اکرحسین لائبریری

DR. ZAKIR HUSAIN LIB

JAMIA MILLIA ISLAMI
JAMIA NAGAR

NEW DELHI

Please examine the book b
taking it out You will be
ponsible for damages to the
discovered while returning it

DUE DATE

Cl. No. ____________ Acc. No. ____________

Late Fine Ordinary books 25 p. per day, Text Book Re 1 per day, Over night book Re 1 per day.

اللاذقية

موطن الجمال

يورك

حة

ية الهضم

SANYO سانيو

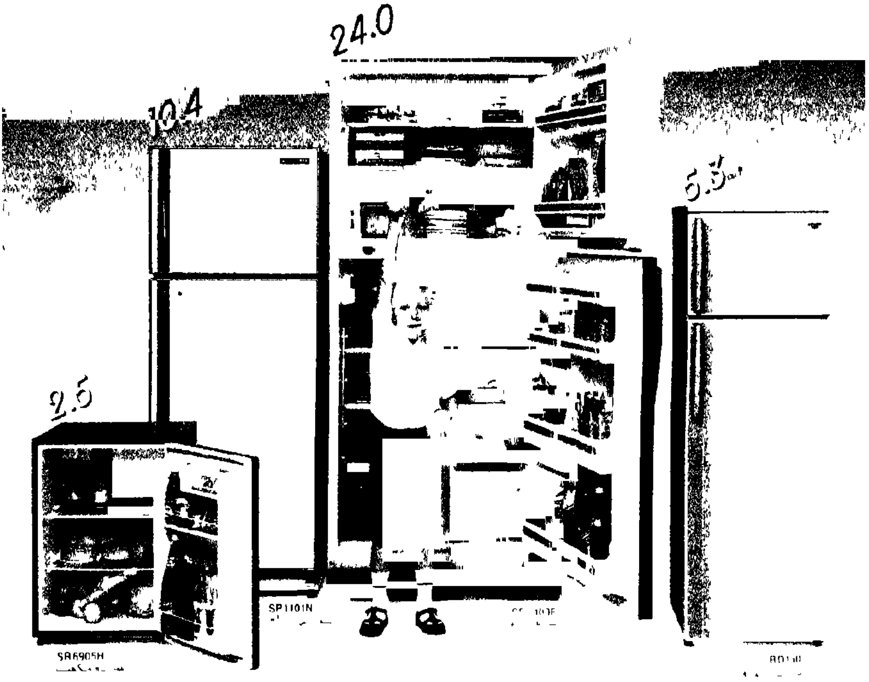

حجم وتصميم
لكلّ عائلة

المطابخ الحديثة ، مثل العائلات في هذه الأيام ، تكون مختلفة . لذلك تقدم سانيو تشكيلة كاملة من البرادات ، المبردات من حجم سوبر [illegible] الى [illegible] السعة الى حجم ميني كيوب [illegible] واحتياجاتك [illegible]

بمستوى التكوين ، واقتصادي ، ومتانة سانيو المعهودة . لذلك سانيو موديلاً لكلّ منا . من "جمبو" إلى "ميني كيوب" من التصميم [illegible] المسطح إلى التصميم [illegible] الأنيق [illegible] [illegible] عائلتك

العدد ٣٤٤ السنة الثلاثون يوليــو ١٩٨٧

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهريًا عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

موجهة للعربي ولكل قارئ للعربية في العالم

121849
11.12.89

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

AL-ARABI

Issue No. 344 July 1987 P.O.Box:748
Postal Code No. 13008
Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

عنوان المجلة
ص ب ٧٤٨ - الصفاة
الرمز البريدي 13008 - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس MITR 44041KT
تليفون فكسيملى ٢٤٢٤٣٧٥
المراسلات باسم رئيس التحرير

الإعلانات يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الإشتراكات ترسل الطلبات إلى. قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقًا لما يلي.
الوطن العربي ٤ د ك - باقي دول العالم ٦ د ك

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلسًا	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلسًا	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٢٥٠ درهمًا
البحرين ٢٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع ريال
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلسًا	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٣٠ قرشًا	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكًا
السودان ٢٠ قرشًا	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران

محتويات العدد

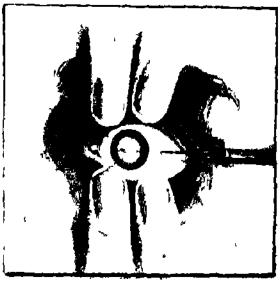
وقفة مع الكحالين العرب ص ٦٠

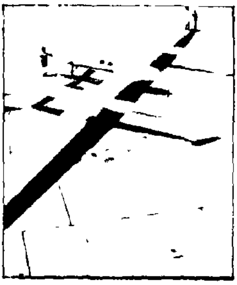
الطيران حول العالم ص ١٢٠

الفيلم الروائي المغربي ص ١٥٢

■ حديث الشهر
الجبهة الخاطئة !
- د. محمد الرميحي ٨
■ حطين ما قبل حطين والفرص الضائعة !
- د. شاكر مصطفى ١٧
■ الأبعاد الأربعة في نهج الإسلام
- د. عبد العزيز كامل ٢٣
■ قصيدتان للوطن
- محمود شلبي ٢٨
■ صفية الإيطالية
سلطانة في البلاط العثماني
- د. خالد محمد نعيم ٣٠
■ حركات الإصلاح الحديثة
وموقفها من التربية والثقافة
- د. المنجي الكعبي ٣٦
■ حطين وقائع وعبر !
- د. سعيد عبد الفتاح عاشور ٤٠
■ الكمأ غذاء فريد
- د. حسين العروسي ٤٨
■ عملية تزوير (قصة)
- رجب سعد السيد ٥٢
■ الأبعاد الثقافية للإنجاز الاقتصادي الياباني
- وحيد عبد المجيد ٥٧
■ وقفة مع الكحالين العرب
وشيخهم عمار الموصلي
- د. سرى سبع العيش ٦٠
■ « ادوارد بوكوك » أول
انجليزي يكتب شعراً بالعربية
- د. نبيل ابراهيم مطر ٦٤
■ من التراث العربي
الاعتبار للأمير أسامة بن منقذ
- جمال الغيطاني ١٠٤
■ الرحلة (قصيدة)
- د. عبده بدوي ١١٣
■ انجاز علمي جديد .
الطيران حول العالم دون توقف
- سعد شعبان ١٢٠
■ الغريب (قصة)
- ترجمة . خليل العطية ١٤٨
■ نظرة عامة على
الفيلم الروائي المغربي
- علاء الدين محسن ١٥٢

نعمان
عاشور

زينب
الكردي

استطلاعات ومقابلات

■ اللاذقية موطن للجمال بين الجبل والبحر
- أبوالمعاطي أبوالنجا ٦٨

■ السياحة في بلد حار .
الخيران منتزه سياحي
- سليمان الشيخ . . ٨٨

■ وجهاً لوجه :
نعمان عاشور
- زينب الكردي . . ٩٧

■ نيويورك تفاحة عسيرة الهضم
- صلاح حزين . . . ١٣٢

العربي
اللاذقية
السياحة
نيويورك
تفاحة

صورة الغلاف

اللاذقية موطن للجمال الطبيعي
الساحر بين الجبل والبحر
(طالع الاستطلاع ص ٦٨)

□□□□□□□□□□□□□□□

الخيران منتزه سياحي ص ٨٨

نيويورك تفاحة عسيرة الهضم ص ١٣٢

المراسلات باسم رئيس التحرير .. والمجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر .. والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء .

أبواب ثابتة :

■ عزيزي القارىء ٧
■ أقــوال . . ١٦
■ منتــدى العربي
ـ قضية : الدخول في دائرة الحداثة
ـ د عبد الرحمن ياغي . . ١١٤
ـ تعقيب ملاحظات
على مقال « حركة الزمن »
ـ محمد بن حسن الشريف ١١٨
■ الجديد في العلم والطب
ـ إعداد : يوسف رعلاوي ١٢٦
■ سلامة البشرية في
سلامة البيئة ١٢٩
■ جمال العربية
ـ صفحة لغة :
حول إعراب المنقوص
ـ محمد خليفة التونسي . ١٧٨
ـ صفحة شعر هكذا غنى الآباء .
عــذاب الحب للصمّة بن عبــد الله
القشيري ١٨٠
■ الكلمات المتقاطــة ١٨٢
■ مكتبــة العربي
ـ كتاب الشهر الصليبيون في الشرق
ـ محسن خضر . . . ١٨٣
ـ من المكتبة العربية أم « أيشين »
والشهادة على زمن مضى
ـ د. محمد حسن عبد الله . . . ١٩٠
■ مكتبة العربي . مختارات . . ١٩٤
■ مسابقة العربي الثقافية ١٩٦
■ حل مسابقة العدد (٣٤١) . . ١٩٨
■ معركة بلا سلاح (الشطرنج) ٢٠٠
■ حوار القراء ٢٠٢

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

■ طفلك والمولود الجديد
ـ ريم الكيلاني ١٦٢
■ المرأة ولعبة القوة
ـ د علياء شكري ١٦٦
■ هو هي ١٧٢
■ طبيب الأسرة حذري الماء
ـ د حسن فريد أبو عرالة ١٧٤
■ مساحة ود جهل ومال
ـ محمود عبد الوهاب ١٧٧

عزيزي القارئ

في الرابع من هذا الشهر (يوليو ١٩٨٧) تكون قد انقضت على معركة حطين ثمانمائة عام ، وحطين هي رمز انتصار عربي ، وإسلامي ، على عدوان مسلح ، احتل الأرض ، وأذل الأهل

وقد ترك هذا الانتصار التاريخي آثاره التي تفاعلت في ذلك العصر ، وانتقلت الى عصرنا الحديث ، فقال الجنرال غورو القائد الفرنسي الذي احتل دمشق في العشرينيات من هذا القرن بعد أن انتصر في معركة ميسلون ما معناه « ها قد عدنا من جديد يا صلاح الدين !! »

بين هذين التاريخين وبعدهما أصبح العرب والمسلمون متفرقين في أوطانهم ، أذلة ، تابعين ، تأكل خيراتهم الحروب

وعلى الرغم من أن التاريخ لا يعيد أحداثه بحذافيرها وتفاصيلها الدقيقة ، فإن اليوم أشبه بالبارحة ، حيث أننا مازلنا في دورة التاريخ منفعلين لا فاعلين !

و « العربي » التي حملت مشعل الاستنارة في الثقافة أفردت لمناسبة مرور ٨٠٠ سنة على معركة حطين ما تستحقه من اهتمام ، فكتب لنا أساتذة أجلاء مثل د شاكر مصطفى ، و د سعيد عاشور ، وجمال الغيطاني ، مداخل لفهم الصراع الحضاري الذي مازال متقدا منذ زمن طويل ، كأمل يرتجى ، وعبرة تحكى

ويساهم في هذا العدد نخبة أخرى من رجال الثقافة والعلم والفنون من الخليج العربي شرقا ، الى المحيط الأطلسي غربا ، وتذهب بك « العربي » في هذا العدد الى (نيويورك) ، في حرها الرطب ، لتسبر أغوار التناقضات في هذه المدينة الكبيرة ، كما تقدم لك « العربي » استطلاعا عن مدينة اللاذقية العربية وهي تستعد لاستقبال الدورة العاشرة لألعاب حوض البحر الأبيض المتوسط الرياضية في سبتمبر القادم

وبين هذه المقدمة والصفحات الأخيرة من هذا العدد مجموعة مقالات منتقاة ، تزيد القارىء ثقافة ، والمثقف عمقا والى العدد

المحرر

العربي - العدد ٣٤٤ - يوليو ١٩٨٧

حديث الشهر

بقلم الدكتور
محمد الرميحي

« اننا نرى أن طاقات وثروات ايران والعراق تبدد على جبهة خاطئة ، ان المكان الطبيعي لتلك الطاقات هو جبهة الصراع على مستقبل المنطقة مع العدو المشترك التي فضحت عقود احتلاله الأربعة لأرض فلسطين حقيقة نواياه العدوانية تجاه كل دول المنطقة »

هكذا حدد أبو الدبلوماسية الكويتية الشيخ صباح الأحمد الجابر - نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية الكويتي - ذو التجربة الدبلوماسية الطويلة ، حدد موقف الكويت - ليس فقط تجاه الحرب المدمرة بين الجارتين المسلمتين العراق وايران - ولكن أيضا حدد بها جدول الأولويات التي يؤمن بها كل عربي ومسلم ومحب للعدل والانسانية ، وهي أيضا سياسة الكويت التي آمنت بها ودافعت - ومازال - عنها .

قال الشيخ صباح الأحمد ذلك في خطابه للدورة الحادية والأربعين (سبتمبر ١٩٨٦) أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة

● الشيخ
صباح الأحمد

نائب رئيس
الوزراء وزير
الخارجية الكويتي

وكانت روح خطابه تتركز على المطالبة بوقف استخدام القوة والعنف والحث على اللجوء الى الحوار والتفاوض ، وذلك هو العامل المشترك لكل المواقف الرسمية الكويتية تجاه الحرب المدمرة التى سوف تدخل بعد شهرين ونيف من اليوم عامها الثامن كى تكون من أطول الحروب الإقليمية في هذا القرن .

لقد أريقت دماء كثيرة حتى الآن في هذه الحرب ، وصرفت أموال طائلة ، حتى قدر بعض الاقتصاديين أن الأموال التى صرفت حتى الآن تعادل دخل ايران والعراق من النفط منذ أن اكتشف النفط في البلدين ! بجانب هذا الهدر الاقتصادى الهائل فقد قضت هذه الحرب على عشرات الألوف من الشباب المسلم في كلا الطرفين ، وهى خسارة أعظم وأفدح .

الكويت ترفض أن تستقطبَ لطرَف عالميّ ضد طرف آخرَ

ولقد تدخلت أطراف كثيرة للتوسط في وقف هذه الحرب ولكنها باءت كلها حتى اليوم بالفشل ، وفي الوقت الذى أعلنت العراق تكرار قبولها للمبادرات النشطة الهادفة لوضع حل عادل وشريف لهذه الحرب ، استمرت ايران في تكرار رفض هذه المبادرات ، وهى مبادرات إما دولية على مستوى الأمم المتحدة ، وإما اقليمية على مستوى دول عدم الانحياز والدول الاسلامية

ولقد أصدر مجلس الأمن قرارات عديدة طالب فيها بوقف الحرب بين البلدين ، وقد أكد في قراره رقم ٥٥٢/١٩٨٤ - ضمن أمور أخرى - على حرية الملاحة في الخليج ، وهو ممر حيوى

لقد كررت الكويت نداءاتها من فوق كثير من المنابر ، أن الخليج ممر مائي حيوى ، يجب أن تبقى شواطئه رمز استقرار وطمأنينة لا منطقة اهتزاز وفوضى ، كررت هذه النداءات منطلقة من مصالحها ومصالح جيرانها وأشقائها الحيوية ولقد كانت سياستها ثابتة تجاه هذا الموضوع وهى أن هذا الممر الدولى - اذا أصبحت حرية الملاحة فيه غير آمنة (من - والى) دول ليست أطرافا في النزاع - فان هذا سيعرض حركة الاقتصاد العالمى لنكسة كبيرة

ورغم هذا الموقف الواضح في الحياد ، فان ناقلات الكويت النفطية التجارية استهدفت بالاعتداء المتكرر ، فلجأت الكويت الى مجلس الأمن الذى أصدر قراراته بهذا الشأن ، ولكن أطرافا تريد أن تؤجج نار الصراع لم ترعو مما جعل الكويت لا تجد أمامها إلا خيارا واحدا ، وهو الاتصال بالدول دائمة العضوية في مجلس الأمن ، وعلى رأسها الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة

ولم تكن هذه الخطوة خارجة عن المسار المنطقى لسياسة الكويت الخارجية منذ زمن طويل ، وهو الخيار الوطنى المشترك والممكن الذى يتمثل في علاقات متوازنة مع الجميع ، وقد اقترحت تسجيل نصف أسطولها التجارى النفطى في الولايات المتحدة ، كما استأجرت بعضا من السفن السوفيتية لحمل نفطها الى العالم

هذه الخطوة اتخذت بعد روية ودراسة ، فالكويت ترفض أن تستقطب لطرف عالمى ضد طرف آخر ، كما ترفض أن تستقطب لطرف اقليمى على حساب طرف آخر ورغم الاستفزاز المتكرر فقد حرص مخططو السياسة الكويتية على وضع العالم ممثلا في القوتين العظميين ، والدول دائمة العضوية في مجلس الأمن أمام مسؤليتهم الدولية

وإذا كانت القوة على إطلاقها لا تمنح حقا ولا تحرمه ، فإن الكويت بخطوتها تلك حملت المسئولية لقوى دولية لها تأثيرها في العالم ـ كما ينص القانون الدولى المستقر ـ لحماية الملاحة في الخليج من مغامرات غير مدروسة

ولقد لجأت الكويت مرارا في حالة التأزم الاقليمى للسعى بين الأطراف المتنازعة للعودة الى الحالة الطبيعية ، وقد بذلت أقصى جهدها لاستمرار حالة الاستقرار عن طريق الحوار ، ولكنها في نفس الوقت ترفض الاستمرار مهما كانت الأطراف التى تقوم به وكان وعى الكويت الدائم بحقائق العصر هو محور سياستها الخارجية التى قامت على أساس من العلاقات المتوازنة دون افراط ولا تفريط .

الداخل والخارج :

رفض هذا الاستمرار نابع من ثقة تامة بالأوضاع الداخلية ، فخيارات الكويت السياسية الخارجية هى تعبير صحيح وواضح عن سياسات داخلية رشيدة ، والشعب الكويتى الذى جبل على الحوار بين فئاته يرفض عن بكرة أبيه أن يسلم استقلاله أو جزءا منه ـ بشكل مباشر أو غير مباشر ـ لأى طرف مهما كان ورغم مساحة الكويت وعدد سكانها المحدود ـ إذا قورنت ببعض الدول المجاورة ـ إلا أن شعبها تسوده مشاعر حقيقية من الاطمئنان والثقة ، مشاعر ليست جديدة أو طارئة وإنما قديمة قدم تشكل الكويت الحديثة

وقد ازدادت هذه المشاعر رسوخا في الكويت الحديثة نتيجة للسياسات الحكيمة التى سارت عليها قيادتها السياسية منذ الاستقلال في الاستثمار الأمثل للمال والرجال على حد سواء المال في استخدامه لبناء دولة حديثة ، والرجال إيمانا بأن الانسان هو الهدف الحقيقى لخطط التنمية

لذلك فإن أى خطوة سياسية خارجية تتخذها الكويت هى تعبير أمين عن رأى عام داخلى ، مرحب بها وموافق عليها ، وأحسب أن هذه السياسة أيضا موضع ترحيب من الجيران والأقطار العربية والأطراف الدولية !

لعل مظاهر هذا الترحيب قد ظهرت بوضوح في التئام المؤتمر الاسلامى الخامس في مطلع هذا العام بالكويت ، ورغم الصعوبات الاقليمية التى كادت أن تصبح عوائق كئودا ـ فقد التأم المؤتمر ونجح وحضره معظم المشاركين في هذه المنظمة الاقليمية الهامة انها سياسات التوازن وتغليب الحكمة

النموذج الذي تتبعه الكويت نموذج التوازن الفاعل.. لا المنفعل

التوازن الفاعل لا المنفعل :

النموذج الذي اتبعته الكويت في سياستها الخارجية الأخيرة ، هو نموذج التوازن الفاعل وليس المنفعل ، توازن يعتبر أن مياه الخليج قسمان قسم دولي على دول العالم أجمع ذات المصلحة أن تهتم به وتحمي المصالح العالمية من خلال ذاك الاهتمام ، وقسم اقليمي ، وهو المياه الاقليمية التي تمارس عليها الدولة سلطاتها ، وهي حق من حقوق الدولة لا تقبل فيه أي منازع

وأثبتت الكويت بهذا الموقف تحركا دوليا يتسم بمبادرة عالية المرونة ، وجاء على لسان صباح الأحمد أنه « وقاية تفضل دائما على العلاج » ، وهو في نفس الوقت يثبت من جديد أن متخذ القرار السياسي في الكويت (كلي القدرة) - حسب تعبير أفلاطون ومن تبعه من المفكرين السياسيين - أي أن كل الخيارات هي خيارات وطنية لا توجهها سلطة أو قوة خارجية ، وحيثما اتضحت المصلحة الوطنية باتجاه ما ، كان القرار السياسي في ذلك الاتجاه

هذا لا يعني أن هذا القرار أو ذاك دائم ، فلا توجد في السياسة قرارات دائمة وثابتة ، ولكن توجد مصالح وطنية ثابتة ودائمة ، وأينما وجدت هذه المصالح وجد ذاك القرار

خيارات السياسة الخارجيّة تعبير واضح عن سياسات داخليّة رشيدة

لقد ورثت الحربان العالميتان في هذا القرن دروسا عميقة للدول ، وبخاصة الدول الصغيرة ، وهي أن تبقى محايدة بين الشرق والغرب ، وأن تبقى مستقلة عن القوى الاقليمية ذات الطموحات غير الشرعية ، انه « الموقع الثالث » الذي تحدثت عنه في البداية بعض بلدان امريكا اللاتينية ، وأصبح حقيقة منذ مؤتمر باندونج في سنة ١٩٥٥ وحقق نجاحات كبيرة في الستينيات وربما السبعينيات خطوة الكويت الأخيرة في حقيقة الأمر تعديل ابتكاري ناجح في ضبط سياسات قائمة على القوة ومنفلتة من كل الضمانات الدولية .

فالدول كالأفراد ، يمكن لها أن تعبث بالأمن لفترة ، ولكنها لاتستطيع أن تعبث فيه طويلا دون مسئولية دولية

وفي ظروف الأزمات تظهر حكمة السياسة الخارجية ، وفي ظروف الأزمة اليوم في الخليج كان جليا أن تلك السياسة الكويتية - فضلا عن حكمتها - مؤيدة من كل قطاعات الشعب الكويتي .

وعندما يصدر التاريخ حكمه على المتسبب الحقيقي في ايلاج الدول الكبرى في هذه المياه الاقليمية بالغة الحساسية سيتعرف دون عناء وببداهة

تحرك الكويت الدولي.. وقاية تفضّل دائمًا على العلاج

شديدة على أن تلك القوى المغامرة البعيدة عن المنطق والسادرة في الحرب واراقة الدماء والرافضة لصوت العقل هي المتسبب الحقيقي في كل ذلك .

لقد أفاضت تلك القوى وملأت الدنيا ضجيجا في قضية واحدة وهي من المتسبب بالحرب ؟ ولكن هاهي تعود وتنقض ذلك فتبادر بالاعتداء بضرب سفن تجارية تحمل قوت شعب مسالم تحت شعارات متهافتة لاتصمد للنقاش معتمدة على القوة البحتة

لقد نسيت أو تناست أن الفرق في (القوة) بين الدول بدأ يختلف في عصرنا ، كما أن مفهوم القوة هو مفهوم معقد في السياسة ، فليست القوة في السياسة كما هي القوة في الطاقة مثلا ، ففي الأخيرة يمكن حسابها ، أما في الاولى فإن حسابها معقد ، وحتى الاختلاف في عدد السكان والمساحة والجيوش لايعني الاختلاف في كل عناصر القوة ، فمسرح القوة يعاد بناؤه اليوم ، والأدلة كثيرة في التاريخ الحديث والمعاصر ، ومن أبرزها أن أمريكا مثلا لم تستطع هزيمة فيتنام ، والاتحاد السوفيتي - من جهة أخرى - لم يستطع اسكات المقاومة في افغانستان

ومصادر القوة في الكويت التي تستطيع بها أن تقف أمام الاستقرار مصادر متعددة منها علاقتها المتميزة بمحيطها العربي وبمعظم دول العالم ، واعتزاز شعبها بتجربته ، ووقوفه بحزم أمام كل أشكال الابتزاز صفا واحدا ، فعندما حاولت أيد أثيمة الاعتداء على أمير الكويت في مايو ١٩٨٥ وقف أهل الكويت والمقيمون فيها صفا واحدا ضد ذاك العمل البربري ، وبعد كل محاولة تخريب تزداد الصفوف تراصا خلف قيادتها محافظة على تجربة تنموية وطنية ، معالمها واضحة في الانسان وفي المكان

استنادا على كل هذه المعطيات نستطيع أن نؤكد أنه لاخوف على الكويت - ولاخوف على شعبها - وهي رغم كل هذا الامتحان الصعب مازالت محتفظة بخطها الواضح في الدعوة الى اطفاء نار الحرب والعودة الى السلام وتسخير كل المصادر المتاحة للتنمية لاسعاد البشر في هذا الاقليم المضطرب ، والاستعداد لدحر طرف دخيل هو للعروبة والاسلام والحق عدو مبين .

موقف مبدئي !

لقد كانت سياسة الكويت تجاه قضية الحرب واضحة ترفع صوتها بنداء العقل والمنطق ، ليس اليوم ولا أمس ، ولكن منذ زمن طويل ، وثمة وثيقة

أن تصنع حربا فتلك قضية سهلة.. ولكن الصعوبة تكمن في صناعة السلام

أخرى تمثل رأي الكويت مؤرخة في سبتمبر ١٩٨٤ عندما قالت بالنص . (إن المجتمع الدولي بأسره مدعو الى عمل جاد ونشيط في هذا المجال ـ مجال وقف الحرب العراقية الايرانية ـ دون انحياز لطرف ضد آخر فالمطلوب هو اتخاذ قرار واضح ضد استمرار الحرب ، الى جانب تحقيق السلام واذا ما تصورت بعض الدول أن في استمرار الحرب فوائد لها تجنيها بشكل أو بآخر ، فإننا نذكر بأن تلك المنفعة آنية وضئيلة ، اذا ماقيست بالنتائج المريرة لاستمرار تلك الحرب ، ان الكويت ترى أن البشرية جمعاء صاحبة مصلحة مباشرة في وقف هذه الحرب الطاحنة والانتقال الى مرحلة البناء)

هذا الموقف المبدئي ـ بتعبيرات مختلفة ـ دأبت الكويت على الحديث عنه ، علنا في المحافل الدولية ، وفي الاجتماعات الرسمية ، وقالته لكل الأطراف البعيدة والقريبة أفبعد كل ذلك يأتي قائل ، يطعن في تلك السياسة المعلنة الواضحة ؟ لست أظن من يفعل ذلك الا هادفا لقصد خبيث ، ومستغلا لظرف طارئ ، وعاجزا في كل الاحوال عن اثبات عكس تلك السياسة

وعلى الرغم من الظروف الصعبة التي أرادت قلة خاطئة خلقها في الداخل ، فقد رفضت القيادة السياسية الكويتية ـ عن وعي بمسؤوليتها وبالظروف ومتغيراتها ـ أن تتخلى عن الحلم والحوار الذي اختطته لنفسها وتحكيم القانون في كل خطواتها ، كما رفضت أن تحقق مايريده لها هذا البعض من عزلة ، فقد جاءت الحوادث لتزيد من التحام الحاكم بالمحكوم ، ومازالت الأبواب مفتوحة كعادتها منذ سنين ، وكذلك القلوب

فان ارادت تلك الافعال المعزولة اثارة اليأس ، فقد ازدادت الثقة ، وان قصدت زرع الفرقة فقد حصدنا التكاتف والكويت في كل الأحوال قادرة على تجاوز العقبات

أسباب الحروب :

يقول لنا مؤرخ بريطاني ذائع الصيت هو « الن تيلور » ـ بعد دراسة لعدد كبير من الحروب الاوروبية « ان هناك أسبابا ظاهرة للحروب كما أن هناك عوامل خفية » ، وكان مجال دراسته الحربين العالميتين في هذا القرن . وعلى حد تعبيره « هناك أسباب مباشرة للحرب وأسباب أكثر عمقا » ، ولقد كتب الكثير في أسباب الحرب العراقية الايرانية ، وهي الآن تتقدم لتدخل عامها

الثامن. ومن الاستخفاف بالعقل أن نقول ـ كما يقول البعض ـ انها أسباب ذات طبيعة شخصية، أو أن انتهاءها متوقف على ذهاب هذا وذاك من الحكام، تلك تفسيرات لاتستقيم مع المنطق، فهناك أسباب أعمق من ذلك بكثير، أسباب ضاربة في القدم، وأخرى لها علاقة بالطموحات الخاصة بالسيطرة والتحكم في هذا الممر المائي الحيوي، وبالتالي التحكم في سكانه

فليس من المعقول أن يذهب عشرات بل مئات الألوف من الضحايا، وتطحن الحرب الأخضر واليابس، لأن البعض لهم وجهة نظر في كيف يحكم هذا الشعب أو ذاك، لابد أن تكون هناك أسباب أعمق نبحث عنها في أعماق التاريخ وفي طبيعة الجغرافيا وفي واقع الاقتصاد والموارد، هذه الاسباب العميقة المدى في الحروب هي التي يجب أن نتوجه لدراستها، ولعلنا نبدأ بفهم طبيعة « الدولة القطرية الحديثة » وتناقض مفهومها مع فكرة (الدولة المذهبية)

أو لعلنا نبدأ بدراسة التناقض غير المحلول بين الدين والدولة في التاريخ الحديث والمعاصر لدولة الشرق الاوسط، أو لعلنا نبدأ ـ ثالثا ـ بدراسة (الطريق المسدود) عندما تصبح الحرب طريقا للبقاء في السلطة

كل ذلك احتمالات ممكنة لفهم طبيعة تلك الحرب المدمرة التي بدأت تضرب عرض الحائط بالأعراف الدولية المستقرة

وأخيرا

لعل التصعيد الأخير في الأسابيع القليلة الماضية، هو تطبيق لفكرة طرحت منذ فترة، مفادها أن احتمال تقليص هذه الحرب وحصرها، ومن ثم وقفها، يبدأ بمحاولة توسيعها، لعل البعض قد اقتنع بهذا المفهوم الخاطئ، فحاول تلك المحاولة الأخيرة، انها تدويل الحرب من أجل الفرار من قرار شجاع بالخطو نحو السلام، وان تصنع حربا فانها قضية سهلة، ولكن الصعوبة تكمن في صناعة السلام

واذا كانت أحلك الساعات هي تلك التي تسبق الفجر، فهل ننتظر فجرا جديدا يبزغ قريبا .

نرجو أن تتغلب الحكمة ويسود منطق العقل ويعم السلام الذي سوف يكون بلا شك لصالح الشعوب المحيطة بهذا الممر المائي الحيوي، من أجل تنميتها والأخذ بيد انسانها الى رحاب أحسن وأفضل □

محمد الرميحي

أقوال

■ « ان شرارات حرب الخليج تتناثر الآن على ضفافه وفوق مياهه وان آلام الحرب وأخطارها أصبحت لا تقتصر على الذين يحملون مسؤولياتها المباشرة ، وانما امتدت حتى الى الدول الكبرى ، وهددت حرية الملاحة الدولية ، وخرجت من اطارها المحلي ، وأمست من الهموم العالمية »

الشيخ جابر الاحمد
امير دولة الكويت

■ « نحرص على بناء علاقاتنا الخارجية على أساس المودة والصداقة والتعاون والاحترام المتبادل مع الجميع ، في اطار مصالحنا الوطنية والعربية والاسلامية ، واذا ما تعرضت ديارنا للعدوان أو انتهكت سلامة أراضينا وسيادة وطننا فلن نتردد لحظة واحدة عن مجابهة المعتدي أيا كان »

الشيخ سعد العبدالله السالم
ولي العهد رئيس مجلس الوزراء - الكويت

■ « على القوتين العظميين تحمل المسؤولية والعمل معا من أجل ايقاف الحرب المدمرة بين العراق وايران ، لأن وقف هذه الحرب يخدم أمن دول المنطقة ومصالحها »

الشيخ زايد ال نهيان

■ « إن حرية الملاحة مبدأ أساسي في السياسة الامريكية ، ليس في منطقة الخليج وحدها ، بل في العالم أجمع »

ريتشارد ميرفي مساعد وزير الخارجية الامريكي

■ « إن الانتصار في الحرب العراقية الايرانية مستحيل ، وان السلام هو الحل الأفضل »

الكسندر بيلونوجوف سفير الاتحاد السوفيتي في الأمم المتحدة

■ « علينا جميعا أن نفعل كل مافي وسعنا لوقف الحرب في أسرع وقت ممكن ، لأنها لاتضر فقط بالأطراف المتورطة فيها مباشرة ، وانما تضر أيضا بالعالم أجمع »

أسامة الباز

■ « نؤكد أهمية الحفاظ على حرية الملاحة في منطقة الخليج بالنسبة لدول المنطقة نفسها وبالنسبة للاقتصاد العالمي بأسره »

جان برنار ريمون وزير الخارجية الفرنسي

■ « إن الحكومة البريطانية تؤكد على ضرورة تأمين حرية الملاحة في الخليج ، وتعرب عن قلقها بسبب التصعيد في هذه المنطقة الذي يهدد حرية الملاحة »

من بيان صادر عن وزارة الخارجية البريطانية

حطين

ماقبل

والفرص الضائعة

بقلم : الدكتور شاكر مصطفى

لا تقوم المعارك فجأة ، هكذا علمنا التاريخ
يسبقها تمهيدات ، ومناوشات ، ومعارك صغيرة ، . ثم تثور زوبعة
عاصفة فتدمدم الحمم ، . وتقوم قيامة المعركة .
فهل سبق معركة حطين معارك مهدت لها ؟
وما هو السلم الممتد من شخصيات التاريخ وأبطاله الذي ارتقاه صلاح
الدين الأيوبي ؟

ان وقع لك كتاب النوادر السلطانية لابن شداد ، أو كتاب الروضتين لأبي شامة ، أو كتاب الفتح القدسي للعماد الأصفهاني ، فافتح فيها على حوادث سنة ٥٨٣ هـ/ ١١٨٧ م واقرأ ما جرى قرب طبرية يوم السبت خامس عشر من ربيع الآخر (٤ يوليو/ تموز)

ما نسميه بيوم حطين كان ذلك اليوم !

صورته لدى الناس أعراس ، ورهو مهرجان ، وفرسان تزغرد بيها الرماح ، وسيوف تلعب بين السماء والأرض ، وطيف صلاح الدين ممدود على المعركة بين السهل والجبل ، أما الصليبيون فأقزام ، وظلال سوداء تمضي ذليلة ، محنية الهام في الأفق !

ولكن اقرأ التفاصيل وقف عند ملحمة الدماء والأشلاء ، وعجين الجثث بالغبار ، ولهاث العطش ، والخيل تقضم اللجم ، أو تزحف ببطونها على السفوح ، والنيران تشوى الصدور المدرعة

و   العرق يسيل أنهارا مع الدم !   لتعرف حطين الحقيقية !

حطين كانت ملحمة للرعب والموت الأحمر ولجوع السيوف ، ولكل الأهوال ، قبل ان تكون نصرا للمؤمنين ما عرفوا النصر الأعظم فيها الا بعد أن عرفوا الهول الأعظم ! وبعد ان ذاقوا حتى الثمالة هذا الهول الأعظم

قال أحد شهود المعركة (١) « وامتلأ الملأ بالأسرى والقتلى وقيدت الأسرى بالحبال وفرشت القتلى الوهاد والجبال ولقد رأيت في الحبل الواحد ثلاثة وأربعين أسيرا يقودهم فارس ورأيت في بقعة واحدة مائة ومائتين يحميهم حارس ورأيت الرؤوس طائرة والعيون غائرة والجسوم رسمتها السوافي وأشلاء الملتقى ملقاة بالعراء ، عراة ممزقة ، مقطعة السهام معوجة البطون ، مقلصة الشفاه »

كان ثمن هذا النصر العالي ، عاليا حقا ، وعلى الطرفين ، لا في أهوال المعركة وحدها ولكن أيضا في المعارك المتصلة التي سبقتها وعلى مدى تسعين سنة مريرة مريرة

فرص ضائعة

السنوات التسعون التي انقضت بين سنة ٤٩٢ هـ ، سنة احتلال الفرنجة للقدس وسنة ٥٨٣ هـ سنة تحريرها منهم ، شهدت مئات المعارك من مثل هذه المعركة الأخيرة ، ثم شهدت مئات المعارك بعدها خلال مائة سنة أخرى ، ما فترت المعارك أبدا ولا هدأ السيف القوس السلجوقية البعيدة المرمى كانت على الدوام على موعد مع السيف الصليبي الحديدي الثقيل والقتال سجال

هذا الثمن العالي لحطين خاصة ، انما دفعه المشرق الاسلامي لأنه أضاع قبلها أكثر من حطين بلى ! أضاع على الأقل أربع فرص من أثمن الفرص لانهاء هذا الوجود الفرنجي في البلاد ، واضطر بعد ذلك الى الانتظار الطويل ليحقق النصر الكبير الأول ، ثم ليحقق النصر الأخير أأحدثك عن هذه الفرص الضائعة ؟ عن الخطيئات التي ضاعت قبل حطين ؟

يوم وصل الفرنجة الصليبيون أول ما وصلوا الى الشام أطلوا عليه من الشمال جاءوا من أوروبا عن طريق الأناضول ونزلوا أول ما نزلوا على انطاكية وحاصروها تسعة أشهر ، لا يستطيعون اختراق أسوارها

قائدها المدافع عنها ياغي سيان مملوك تركي صمد للدفاع ، واستنجد بملوك البلاد حوله برضوان ملك حلب ، وبأخيه دقاق ملك دمشق ، وبكربوغا صاحب الموصل ، وبابن منقذ صاحب شيزر ، وابن ملاعب صاحب حمص ، بل وبالسلطان السلجوقي نفسه بركيارق ، وبالخليفة العباسي ، فما أنجده منهم أحد وأخيرا حين صدر أمر السلطان السلجوقي الى كربوغا بجمع قوى الشام ومعونة ياغي سيان وسار كربوغا متثاقلا يتلوّم

وتوقف ثلاثة أسابيع أمام أسوار بلدة الرها ، واجتمعت اليه جميع قوى الشام حين وصل انطاكية ، ولكنه وصلها بعد ثلاثة أيام فقط من سقوطها ودخول الصليبيين إليها ! بطلها ياغي سيان قتل وهو يحاول النجاة ، وضرب كربوغا الحصار على المدينة الفارغة من المؤن ! وفيها أكثر من مائة ألف صليبي ، هم كل الحملة الأولى ، فسرعان ما دب فيها الجوع حتى أكلوا النعال والجلود وعشب الأرض ، وأفلتت أعداد من الصليبيين تهرب من الحصار ، هرب الجرذان من السفينة الغارقة وحين وصل بعض الهاربين الى القسطنطينية وأوروبا أنذروا ببوار الحملة الصليبية الأولى كلها قالوا لقد هلكت !

---

(١) هو العماد الاصفهاني

لم يكن ذلك غريباً وقد أيقن به المحاصرون في انطاكية ، وبكوا مصيرهم واعتمد عليه كربوغا فأقبل ينتظر انهيارهم ! حتى اذا خرجوا ذات يوم من أبوابها جموعا بائسة يائسة ! نصحه أصحابه باغتنام الفرصة لقتلهم دفعة بعد دفعة فرفض كان يريد ان يقتلهم دفعة واحدة ! فلما هجموا على جيشه المجموع هجمة واحدة يائسة هرب هذا الجيش كله بلى ! هرب الجيش كله !

حطين الأولى كان ممكنا ان تكون في سهل العمق هناك بجوار انطاكية ، وعند الاطلالة الأولى للفرنجة على البلاد ولكن ضاعت حطين الأولى !

الثانية ووصل الفرنجة الصليبيون لفلسطين جموعا ناهمة دموية تحمل الصليب على الصدور ، وجنون الحقد والجشع في العيون والأيدي واحتلوا القدس في مذبحة تكدست فيها الجثث أكواما في شوارع القدس وفي المسجد الأقصى قالوا انهم ذبحوا سبعين ألفا من المسلمين وخاضوا الدماء الى الركب !

بعد أشهر من هذا الاحتلال تحمل الفرنجة الصليبيون عائدين الى بلادهم بلى ! تحملوا عائدين لم يبق في فلسطين منهم سوى ثلاثمائة فارس ، وألفي محارب فقط بقبضة من هؤلاء الفرسان احتل القائد الصليبي تانكريد نابلس وبيسان وطبرية والخليل وهي من أملاك دمشق ، كما ضموا الرملة والخليل ، ونهبوا من هذه المناطق الثروات الهائلة ولم يكن لهم من منفذ الى البحر، الا ممر ضيق عبر مرفأ يافا وكان خاوياً ، هرب أهله فاستغلوا المرفأ !

هل استغل ملك دمشق الفرصة ؟ هل استغلها خليفة مصر الفاطمي ؟ ما استغلها لا هذا ولا ذاك ملك دمشق (دقاق) جاء أتابكه طغتكين الى طبريا قبل احتلالها فكان كل همه أن ينقذ نسخة مصحف عثمان رضي الله عنه منها وأخذ المصحف ودخل به في موكب حافل الى دمشق !! وأغلق الأبواب وبلغ من جرأة الفرنجة على دمشق أن أرسل تانكريد اليها سفارة من ستة فرسان تحمل انذارا الى الملك دقاق باعتناق المسيحية ، أو ترك البلد ! وكان لدى دمشق عشرة آلاف فارس ، ولكنه الخوف على العرش شل الناس ، والقادة ، وضاعت الفرصة مرة أخرى في اقتلاع الفرنجة ، وضاعت حطين الثانية !

داء التردد والخلافات

الثالثة بعد ذلك بسنوات معدودة وبعد أن ارتكب الفرنجة صنوف الوحشية في احتلال مدن الساحل الفلسطيني وقتلوا سكان أرسوف ، وأخذوا قيسارية بالسيف ، وذبحوا أهلها جميعا في المسجد الجامع المطل على البحر وقفت الخلافة الفاطمية في مصر للمقاومة كان لديها خمسون ألف فارس فيما يقولون أرسلت ثلاث حملات متتالية برية وبحرية معا الأولى (في سبتمبر ١١٠١ م) بقيادة سعد الدولة القواسي (حاكم بيروت السابق) اتجهت الى الرملة ولكن الوقت الطويل الذي أضاعته في عسقلان أعطى مملكة القدس الفرنجية فرصة الاستعداد لصدها وقتل القواسي في المعركة !

وتلتها الثانية (في مايو ١١٠٢ م) قادها شرف المعالي ابن الوزير الأفضل ، وزير الخليفة ، كانت في عشرين ألف رجل والتقت بالفرنجة عند (يازور) قرب الرملة في المعركة سحق الفرنجة في مقتلة عظيمة وفر بعضهم الى يافا ولجأ بعضهم الى الرملة واختفى ملك القدس في أجمة قصب فأحرقها المسلمون ، ولحقت النار ببعض جسده ففر بدوره الى الرملة وكانت بلدا ضعيف التحصين وكان في استطاعة المسلمين دخولها في غير عناء ليقبضوا على الملك الهارب ، ولكنهم اختلفوا ، ورأى فريق منهم الاتجاه الى يافا وفريق الاتجاه الى القدس فلا حامية في المملكة كلها !

وكانت الشمس الى الغروب فأجلوا القرار الى

الصباح وفي الليل استطاع بلدوين الملك التنكر والهرب، ساعده شيخ من شيوخ البدو في نوع من الشهامة! ودخل الفاطميون الرملة، وقتلوا فرسان الصليبيين اللاجئين فيها قتلوا أربعمائة، وأرسلوا ثلاثمائة الى مصر وطاردوا الملك حين عرفوا فراره ولكنه فاتهم، ودخل أرسوف وكانت فرحة الفرنجة به عامرة، فلقد انتشرت الأخبار انه قتل وعرف بلدوين أن نجدات فرنجية وصلت في البحر الى يافا فركب البحر اليها كانت في مائتي سفينة وقادها بلدوين ضد المسلمين الذين ضاعت عليهم الفرصة بالتردد! وخسروا حطين الثالثة!

الحملة التالية التي أرسلها الوزير الأفضل الجمالي برا بقيادة (تاج العجم) في أربعة آلاف فارس، وبحرا برئاسة القاضي (ابن قادوس) لم تستطع فعل شيء لأن كلا من القائدين رفض التعاون مع الآخر واكتفى ابن قادوس بأن يأخذ خطوط أهل عسقلان، وأقام على يافا عشرين يوما، واستدعى اليه تاج العجم فلم يأته، ولا أرسل رجلا! وكفى الله المؤمنين القتال! ونجت مملكة الفرنجة!

معركة الأقحوانة

الرابعة وبعد سنوات تزيد على العشر، صح عزم سلطان السلاجقة على الوقوف للفرنجة فكلف صاحب الموصل (الأمير مودود) القيام بذلك مع أمراء الشام الآخرين

وصاحب الموصل الأمير مودود كان رجلا عرف بالتقوى والورع قالوا عنه انه كان من خيار الملوك دينا وشجاعة وخيرا وانه كان مأخوذا بفكرة الجهاد في سبيل الله فجاء الى أواسط الشام بجيشه والتقى مع القوى الاسلامية الأخرى، ومع صاحب دمشق، وهو مملوك بعينين كالصقر وحيوية لا توجد الا في مؤسسي الدول اسمه الاتابك طغتكين

صحيح أن هذه القوى اعتصمت بقلعة شيزر في وسط الشام واجتمعت بها (١٥ سبتمبر ١١١١ م/ ربيع الأول ٥٠٤ هـ) وضربت خيامها حتى على أسطح المنازل في حين اجتمعت جيوش الفرنجة الصليبيين جميعها من الرها وانطاكية وطرابلس والقدس لقتالها في ستة عشر ألف مقاتل! وصحيح أن المناوشات التي قام بها فرسان المسلمين منعت الصليبيين من الوصول الى مياه نهر العاصي للشرب لكن المعركة ظلت موقوفة معلقة!! وتخاذل الطرفان فتسربا من القتال! الشيء الايجابي الوحيد الذي تم في هذا اللقاء هو اتفاق مودود وطغتكين على « المصافاة والمعاهدة بينهما »، وحمل طغتكين الى صاحبه والى بقية الأمراء ما كان معه من الهدايا لهم والتحف والخيل العربية السبق والاعلاق المصرية »، واتفق الاثنان على معاودة الجهاد معا في السنة المقبلة ولكن اللقاء لم يتم الا في عيد النحر أواخر سنة ٥٠٧ هـ/ ١١١٣ م

جاء مودود بجيوشه وخرج طغتكين لملاقاته في أواسط سورية، عند سلمية وسلكا طريق سهل البقاع ووادي التيم الى بانياس المطلة على وادي الأردن وبالغ طغتكين في اكرام صاحبه بأنواع « المأكول والملبوس والمركوب حتى نزل الطرفان على موقع الاقحوانة عند ضفاف طبرية واجتمع الصليبيون في غربهم، كل الصليبيين كانوا هناك!

ليس بين الاقحوانة وحطين في المدى الأرضي سوى كيلومترات معدودة ولكن بينهما في المدى الزمني ٧٧ سنة! على ان المعركة كانت واحدة (وتسرع خلق كثير من العسكر ونشبت الحرب بين الطرفين من غير تأهب ولا ضرب خيام ولا استقرار في منزل ولا مجال واختلط الفريقان فمنح الله الكريم المسلمين النصر بعد ثلاث كرات فقتل من الافرنج تقدير ألفي رجل من الأعيان ووجوه الأبطال والشجعان وملكوا ما كان نصب من خيامهم والكنيسة المشهورة وأفلت (الملك)

بلدوين بعد ما قنص، وأخذ سلاحه وملكت دواب الرجالة وما كان لهم وغرق منهم كثير في البحيرة، (بحيرة طبرية) واختلط الدم والماء وامتنع الناس من الشرب أياما، حتى صفت منه وراقت والتجأ من نجا من الافرنج الى طبرية وأكثرهم جرحى كان ذلك يوم السبت الحادي عشر من محرم سنة ٥٠٧ هـ (٢٨ يونيه ١١١٣ م)

(ولحق المسلمون بالفلول المهزومة التي لجأت الى المرتفعات غربي طبرية، وظلت قابعة هناك ستة وعشرين يوما والماء ممتنع عليها واجتمع بدو المنطقة عازمين على إبادتهم وإن الظفر قد لاحت دلائله والعدو قد ذل وانخذل وليس في فلسطين ولا في القدس من حاميات تحميها بعد أن سحقت في الاقحوانة وبلغت طلائع المسلمين بيت المقدس ويافا وأحرقت أعمالها واستاقت مواشيها وغنمت ما وجدته فيها ودامت هذه الحال حتى آخر شهر صفر)

لكن الجيش الاسلامي اكتفى بالمناوشات لم يكمل الفتح، اكتفوا بإرسال العسكر جرائد من بضع عشرة كردوسة في سهول فلسطين والصليبيون في الجبل لا يظهرون للحرب ولازم بعضهم بعضا الفارس والراجل في مكان واحد لا يظهر منهم شخص وجعل المسلمون يحملون عليهم فيصيبون منهم بالنشاب ما يقرب منهم، ويمنعون الميرة والعلوفة عنهم وقد أحدقوا بهم كالنطاق وقد رحلوا عن منزلهم في ثلاثة أيام لكنهم اضطروا للعودة إليه ، وبقي المسلمون ينتظرون!

«لم يبق في بلاد الفرنج مسلم الا وأنفذ يلتمس الأمان من الأتابك طغتكين، ووصل إليه بعض ضرائب نابلس ونهبت بيسان ولم يبق بين عكا والقدس ضيعة عامرة، والافرنج على حالهم متربعون والمسلمون على حالهم » لا يتحركون لاستثمار النصر! وأخيرا قرروا العودة!

ونجت مملكة الفرنجة!

وأفلتت الفرصة فرصة حطين المبكرة!

خناجر الليل

أفلتت حين استطاع طغتكين اقناع مودود بالعودة الى دمشق ومعاودة القتال في السنة التالية ولكنهما لم يعودا للقتال أبدا فبعد أشهر معدودة كان مودود قتيلا في صحن الجامع الأموي بدمشق بخنجر الاسماعيلية وامتدت أصابع الاتهام الى طغتكين! لقد خشي هذا المملوك الداهية أن ينتصر مودود على الصليبيين فيختطف منه امارة دمشق!

ولم تكن معركة الأقحوانة هذه فرصة ضائعة فحسب لكنها أنتجت أمراً أشد خطراً من ذلك بكثير

فقد أعطت ملك القدس الزعامة الفعلية لجميع فرنجة المشرق صار بعدها القائد الأعلى للقوات، والزعيم الأوحد الذي يدين له بالطاعة أمراء الرها وانطاكية وطرابلس وثبتت قواعد الفرنجة سنين طويلة جدا امتدت حتى سنة ١١٨٧ م صار الصليبيون بعد ذلك جبهة متماسكة رغم قيامها على قواعد اقطاعية، واستمر تماسك هذه الجبهة وعلاجها المرير للمسلمين بعد ذلك سبعين سنة

جميع قصة الصليبيات التي امتدت مائتي سنة، إنما تبدأ بهذه الفرص الضائعة ولئن ضاع غيرها فقد كانت هي الأبرز والأخطر

لقد ضاعت الأولى بحقد الأخ على أخيه وخوف الأخ من أخيه

وضاعت الثانية نتيجة الجهل بقوى العدو والرعب الوهمي منه!

وضاعت الثالثة بالتردد وعدم اهتبال الفرصة

وضاعت الرابعة بالمجان ضاعت القدس لأن طغتكين خشي أن تضيع منه دمشق!

أربع مرات ارتسمت فيها حطين في الأفق ثم امحت أربع فرص ضائعة كان كل منها إمكان حطين

قبل حطين ، كانت حطين التي لم تكتمل وبقدر ما كانت الفرص الضائعة تكثر كانت حطين تبتعد وبقدر ما كان « صلاح الدينات » الآخرون يخفقون كان صلاح الدين الأخير يتأخر

درجات السلم

وهكذا استمرت حطين الحقيقية تنتظر تسعين سنة حتى اكتملت في يوم واحد

اليوم الأخير (السبت ١٠ يوليو ١١٨٧ م) كان تلخيصا لآلام السنوات التسعين السابقة وان لم يكن انتقاماً لآلامها كان نهاية خط المقاومة المتصاعد باستمرار

فكما كانت هناك حطينات عديدة ضائعة قبل حطين كان هناك « صلاح الدينون » عديدون ضائعون قبل صلاح الدين ان بطولته الرائعة لا يجب ان تحجب بطولات سابقة عديدة ظهرت قبله فما كان صلاح الدين « واحدا » فردا ولكنه « صلاح الدينون » كثيرون على امتداد مائتي سنة وما كان « الصلاح » الا تطويرا لهم وحلقة من حلقاتهم ، وان قطفت في النتيجة ثمار تجارب الآخرين وبطولاتهم انه البطولة البارزة في خط ممدود من رجال المقاومة ، ومن البطولات بدأ مع بدء الحروب الصليبية واستمر حتى ما بعد نهايتها في هذا الخط تظهر سلسلة مجهولة طوتها الكتب والصفحات من كبار قواد المقاومة وحده صلاح الدين خرج على الصف ، ترك الأسطر ، ليعيش في ذاكرتنا وخيالنا رمزا بطوليا ، لأنه أخيرا حرر القدس ! وأعاد معظم أرض الاسلام الى الاسلام

في هذه السلسلة يأتي قبله زعماء الموصل كربوغا ، جكرمش ، جاولي ، مودود ، اقسنقر البرسقي ، وعماد الدين زنكي ، ثم ابنه نور الدين ، ويأتي من الجزيرة سقمان ، وايلغازي بن ارتق ، وبرسق ، وبلك ، ونجم الدين البي ، ويأتي ومظفر الدين كوكبرى في اربل وحران ، ويأتي الأفضل الجمالي ، والوزير المأمون ، ورضوان الولخشي من مصر

هل يتذكر أحد هذه الأسماء التي كانت درجات السلم الى حطين ، وكانت الخطوات السابقة لصلاح الدين قبل صلاح الدين ؟ هل يذكر ذاكر ان على أكتافها صعد صلاح الدين الى قمته وتربع ؟ انها مشاريع أولى لصلاح الدين ، كانت تظهر وتتألق حينا من الوقت ، ثم تنطفىء في مستنقع البطالة العامة والتآمر المدمر ، والارهاصات التي تحاول وتفشل حتى اكتملت تدريجيا في عماد الدين زنكي ، ثم في ابنه نور الدين محمود وأخيرا في صلاح الدين !

القائد والفرصة السانحة

ان حطين لم تكتمل الا حين التقى القائد العبقري بالفرصة السانحة وصورة صلاح الدين المهيمنة في التاريخ وفي الأخيلة موجات من الألوية المظفرة ، ليست أكثر من هذا اللقاء السابقون له كانوا محاولات لم تكتمل ، أو لم تسنح لها الفرص وقد عرضت فرص كثيرة ، لكن لم يكن هناك صلاح الدين بعبقريته الحربية ليستغلها

انه شيء من التاريخ ، هذا الذي نسرده ، ونرويه ، ونعيد ذكره وتذكره ولقد يكذبه رفضنا الدائم للمقولة الشائعة بأن التاريخ يعيد نفسه ، وانه لا جديد تحت الشمس ولكنه قد يضع أمامنا بشكل أفضل واجبات وتضحيات المستقبل التي لا بد منها

وإنها لمآس وتضحيات تزلزل الحجارة تلك التي تنتظرنا في الغد حطين المقبلة سوف تكون قطعا من الجحيم تنفجر في الأرض والناس وكأني أرى من خلال الغيب ، الطرق من كل العواصم العربية الى القدس مفروشة بالأشلاء الغالية ، وبالجماجم انطفأت منها العيون ونبت العشب فوق

الأبعاد الأربعة في منهج الإسلام

بقلم . الدكتور عبدالعزيز كامل

هناك أبعاد أربعة تربط المسلم بالعمل لديه أولها رباط العقيدة ، الثاني ارتباطه بالمجتمع الاسلامي ، والثالث ارتباطه بالعصر الذي يعيش فيه ، والرابع قدرته على التعبير نحو التي هي أحسن

البعد الأول

نبدأ بالبعد الأول ، الذي يربط المسلم بعقيدته ، ولنجد له تشبيها نباتيا - أول الأمر - ونعتبر العقيدة جذرا للانسان ، والجذر يحتاج الى الأرض الطيبة ، وإلى أن يتعمق فيها بحثا عن الغذاء وتثبيتا للنبات ، وحملا لمسئوليات تغذية الساق والفروع والأغصان وما تحمل من الأوراق والأزهار والثمر

والجذر في باطن الأرض وظلمتها ، يقوم بهذا الواجب ويقابل تحديات الصخور فيلتف حولها أو يخترقها إن استطاع، وينشر فروعه وشعيراته في هدوء ودأب وصمود وقد تدفع العواصف الساق والفروع ولكن على مدى تماسك الجذر ، يبقى النبات صامدا أمام العاصفة ولبعض الجذور امتداد رأسي ولبعضها امتداد أفقي . وللبعض امتداد مائل ، وفي البعض تناسب بين امتداد الجذور والفروع كأن الفروع والأغصان مظلة لقطعة الأرض التي تجمع منها الجذور مادة الحياة

•• من النبات ننتقل الى الانسان وهو يحتاج دائما الى تعميق « عقيدته » لتكون قادرة على الثبات وهو يتحدى ظلمات الشك وعقبات الطريق لتكون العقيدة راسخة قوية قادرة على أن تمد المسلم في مساره بالاستقرار النفسي والفكري وتحفظ له صلته بالأرض الطيبة · أرض الايمان

هذا هو البعد الأول تعميق الايمان في نفس الفرد ، وسنرى - بعد قليل - الصلة الوثيقة بينه وبين الأبعاد الأخرى

البعد الثاني

ونقصد به البعد الأفقي أو الاتساع وذلك بالدعوة الى الاسلام والله يقول « ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين ، ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوةٌ كأنه وليٌّ حميم وما يلقّاها إلّا الذين صبروا وما يلقّاها إلّا ذو حظ عظيم » (فصلت ٣٣ - ٣٥)

والدعوة امتداد أفقي ، هي كسب لعقول وقلوب جديدة ، بالحوار العاقل ، والتي هي أحسن

وكأن الاسلام بهذا يحمل مواجهة مستمرة بين الوحدة التي يمثلها العمق، والتنوع الذي يمثله الاتساع

وهنا وعند هذه النقطة بالذات نعود الى الآيات السابقات من سورة فصلت ونقرؤها بكل تمعن قال تعالى

«ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلاّ الذين صبروا وما يلقاها إلاّ ذو حظ عظيم»

أدب الحوار هو المقصود، الأدب بمفهومه الواسع الذي يحمل فهم ما عند الطرف الآخر وما عندك، فقد يكون عرض الحق بطريقة منفّرة، وقد يكون عرض الباطل بطريقة جذابة فأين الحسنة وأين السيئة في عرض الاسلام؟ وأين الدفع الحسن الذي يجعل من العدو وليا صديقا؟ ان هذا لا يتحقق إلا بالصبر والحظ العظيم

أما الصبر فمعروف، وأما الحظ فلابد من عودة معه الى لغتنا العربية لئلا تختلط فيه المفاهيم الحظ النصيب أي النصيب المفروض كما في المواريث، والجد والسعادة (معجم ألفاظ القرآن الكريم الذي أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة ص ١٤٢)

والذي أود التركيز عليه هو جانب السعي والعمل الدائب في الآفاق المعينة على اختيار التي هي «أحسن» حتى يعظم حظ الانسان منها، فإذا أضيف اليها الصبر تحققت الثمرة المرجوة، وهي نجاح المسعى

ولك ـ كمجرد مثال ـ أن تستعيد السنوات الأخيرة من حياة الرسول (ﷺ) في مكة، وكيف فكر بعد الحصار الاقتصادي في الذهاب الى الطائف، ولما ردّته ردا غير جميل، أخذ يعرض نفسه على القبائل في موسم الحج قبيلة قبيلة، صابرا على أذى عمه، وصابرا على انصراف كثير من القبائل عنه، حتى لقيه نفر من أهل المدينة وكان هذا باب الفرج، والبعد الثاني الجديد للدعوة الاسلامية

وقبل أن ننتقل الى البعد الثالث، يحسن بنا ـ في عصرنا هذا ـ أن نذكر أن البعدين الأول والثاني يحملان الكثير من المشكلات التي ينبغي أن نقابلها بعقلانية واعية

ونسأل

هل البعد الأول له فردانية واحدة؟ لا، فقد تعددت الاتجاهات الاسلامية المعاصرة، وأصبح لكل فريق ما يودّ البدء به أو التركيز عليه ومع تعدد هذه الاتجاهات توتّرت العلاقات بين الدعاة، ووصل الأمر الى توتر بين الدول حتى استطاع غيرنا أن يسأل لمن نسمع منكم؟ وأنتم أصحاب أصوات متعددة، ومتناحرة أحيانا وحوارها أحيانا بالكلمات، وقد تضيف اليه السلاح، وقد كان

فالبعد الأول أصبح أبعادا، كل منها يدعي لنفسه الأولوية ويثير البعض قضايا طواها الزمان، من صراعات حدثت في صدر الاسلام وأصبح مجرد الحديث عنها مدعاة الى ارتفاع حرارة النقاش والدماء

ونحن في حاجة فعلية الى أن نتفق على «الحد الأدنى» من البعد الأول، وأن نقف إن استطعنا عند قواعد الاسلام الخمس

وأذكر أن سائلا سألني في ندوة إسلامية بعد محاضرة ألقيتها عن الاسلام المعاصر ومسئولياتنا فيه ـ قال

عن أي اسلام تتكلم، ولكل دولة من دول الاسلام فهمها للاسلام؟ وقال ما هو أكبر من ذلك، فقلت له

أتحدث عن اسلام المؤذن، ما تسمعه على المئذنة، وعن اسلام قواعد الاسلام الخمس، لا أكثر ولندع الأمور الخلافية لقاعات البحث والدراسة

إن الاختلافات بين أهل الأديان وبين أصحاب الدين الواحد قائمة، ولكن كيف نتعايش

الخلافات ، وكيف تدع المجال الأكبر للتيار الأعظم ، وهو تيار العمل المشترك فيما نتفق عليه ؟ هذه هي القضية ، وأكثر من أهل دين تخطوا هذه العقبة ، وعبروا خندق الصراع على الخلافات ، وتفرغوا للابداع والتقدم

كذلك الأمر في الاتساع الأفقي ، وهو بطبيعته مدعاة الى الاتصال بأقوام وبيئات مغايرة ، يحتاج هو الآخر الى حكمة والى نوع من « الميثاق الاسلامي » وله أكثر من تجربة ومشروع ، ولكن ينقصنا الصبر على التنفيذ ، والوفاء بما نتعاهد عليه ، والتعاون بين المنظمات العاملة في الحقل الاسلامي

البعد الثالث

ونقصد به الارتفاع بالتفاعل بين البعدين الأول والثاني الى مستوى العصر الذي نحيا فيه ، وأن نحس مسئولياته ونتعاون على القيام بها

قل إنه البعد الرأسي الصاعد الذي يقابل العمق والاتساع في البُعدين السابقين

فقد يكون التفاعل بين العمق والاتساع سلبيا يؤدي الى مزيد من التآكل والتفتت في الوجود الاسلامي وتزداد به الفرق الاسلامية ويطول به جدول الأعمال التي يختلفون حولها

ولقد حذرنا المصطفى عليه الصلاة والسلام من هذه الكثرة السلبية التي تزداد بها مطامع الأعداء في الاسلام ودياره ، ويبدو هذا في حديثه الشريف

« يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها . قال قلنا يارسول الله ، أمن قلة بنا يومئذ ؟ قال أنتم يومئذ كثير ، ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل ، ينتزع المهابة من قلوب عدوكم ، ويجعل في قلوبكم الوهن قال قلنا وما الوهن ؟ قال . حب الحياة ، وكراهية الموت » (رواه أحمد في مسنده عن ثوبان ج ٥ ص ٢٧٨ مسند أحمد بن حنبل وانظر الجامع الكبير للسيوطي ١ ١٠١٩ النسخة المصورة)

فالكثرة ليست غاية في ذاتها وإنما المسئولية الحقيقية في استثمارها ، وتعاون أفرادها على الصعود بالواقع الى المأمول

وهذا الصعود يتكون من شريحتين أساسيتين

الأولى شريحة ثابتة ، والثانية شريحة متغيرة

أما الثابتة فتنبع من قوله تعالى « ولقد كرمنا بني آدم » (الاسراء ٧٠)

وان من أدق المقاييس لانسانية أي مجتمع ، هو مدى احترامه قولا وعملا لكرامة الانسان من حيث هو انسان

ولا تجد حاكماً مستبداً يتلذذ بإذلال الآخرين ، إلا كان في اعماق نفسه يحس المهانة، ذلك لأن احترام الآخرين ينبع من احترام الذات، فالناس ـ كما يقول الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه « إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق » وذلك في كتابه الى الاشتر النخعي حين ولاّه مصر

وإن كلا من احترام الذات والآخرين ثمرة تربية وممارسة جذورها في المنزل والمدرسة تمتد فروعها حتى تصل الى مجالس الشورى ومقاعد القضاء والحكم والقيادة

ومن الايمان بكرامة الانسان تنبع كل حقوق الانسان وواجباته، وتأمّل الاحساس بهذه الكرامة في قول الله تعالى « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا » (الانسان ٨ ـ ٩) وهل يستطيع المسكين واليتيم والأسير في موقفه هذا رد الجميل ؟ وهل يملك أن يفرض على صاحب الطعام ـ وهو في حاجة اليه ـ أن يؤثر غيره على نفسه ؟

هذه صورة من النفوس التي تحس بكرامتها على الله ، وتحس بكرامة خلق الله ، فتفعل الخير لا تبتغي به إلاّ وجه الله تعالى

ومن الطعام والشراب والكساء تتسع الدائرة لممارسة حق العمل ، لتصبح اليد السفلى يدا منتجة مثمرة ، تسعد ببذل الخير والمشاركة الايجابية في

صناعة الحياة

ولكن أي عمل نقصد ؟

إنه العمل الذي يحتاج اليه المجتمع في وحدته وتقدمه، ومن مجموع طاقات الأفراد وابداعهم ، ومن وضع كل منهم حيث يحس ويبدع يتكون هذا « الكل » المرتجى وهذا ينقلنا الى

البعد الرابع

وهو تغير الاسلوب والهدف مع تغير الزمان ، والتغير ليس هدفا في ذاته ولكنه تحرك نحو التي هي أحسن ، ويقتضي تحديدا ومعرفة لكل من نقطة البدء والمسار والهدف ، ولنضرب لذلك مثالا من تطور العلاقات بين أجزاء العالم الاسلامي ، ولنحصر أسسا في العالم العربي ، أو في جزء منه ، هو الجزيرة العربية وما حولها

في العهد النبوي أمكن لأول مرة جمع الجزيرة العربية في سلطان موحد قاعدته المدينة ، وبعد وفاة الرسول (ﷺ) ، حدثت الردة ولها أسبابها ومبرراتها عند الذين تولوا كبرها ، ولكن موقف المدينة الصامد وقيادة أبي بكر الصديق ودقة تحركات الجيوش الأحد عشر التي بعث بها الى مناطق الفتنة ، وتعاون هذه الجيوش ، والبطولة والفدائية وحكمة القيادات الميدانية كل اولئك استطاع أن يجمع الجزيرة مرة ثانية بعد التمزق وأن تتحقق الولادة الثانية للدولة الاسلامية لتنطلق بعد هذا تنشر الاسلام وراء حدودها

ونحن نرى هذه الصفحة من أروع صفحات الجهاد الاسلامي وكانت أقسى اختبار مر فيه الاسلام بعد وفاة المصطفى (ﷺ) ، وحمل المسئولية فيه أصحابه الذين تربوا في مدرسة القرآن والسنة

ومرت الأعوام وانتقل مركز القيادة الى الكوفة ودمشق وبغداد وظهرت عواصم جديدة ودول جديدة وأصبح من غير العملي ، ولا المقبول في أذهان الكثيرين أن تجتمع ملايين المسلمين تحت قيادة واحدة مركزية

أصبحوا عمليا في حاجة الى صيغة جديدة من التعاون ، أي أن « التعاون » حل محل السلطة المركزية التي وصل الأمر بها ـ أحيانا ـ الى أنها أمست سلطة مطلقة تتحكم في الحياة والأموال لا بقرارها الفرد ، وانما أيضا بمن يمثلونها كأنهم ظل الخليفة ، وكان الخليفة ظل الله ، أو المسئول عن تنفيذ أحكامه بقراره وسلطاته وطوى الزمان هذه الصفحة

الصورة التي ارتضاها أهل الجزيرة العربية المعاصرون فيها تعددية وتعاون ، التعددية تمثلها الكيانات السياسية المستقلة والتعاون يمثله مجلس يضم دول الخليج ، أنشأته دوله بإرادة حرّة نابعة من الشعوب والحكومات معا ، وهو يستمد جذوره من التاريخ المشترك واللغة العربية الواحدة ، والدين الاسلامي ، والآمال والمصالح المشتركة ويسير هذا التعاون بخطا واثقة محاولا التغلب على الصعوبات النابعة من الواقع التاريخي أو التركيب السكاني ومصالحه واتجاهاته

وهذه الصورة هي ـ بدورها ـ جزء من صورة أكبر هي الوجود العربي ، رغم كل المعاناة التي يلقاها الآن ، وهذه جزء من الوجود الاسلامي الممتد بين المحيطين الهادي والاطلسي ، ويضم بينهما المحيط الهندي

ولكل من هذه الكيانات صور التعاون التي يحاول بها أهلها اتخاذ المسار الأحسن ، وتحقيق أكبر قدر من آمالهم في التعاون والتقدم ، فالأرض واحدة ، ولكن الزمان متغير ، ومع تغير الزمان تتغير المواقف والحلول ، وبهذا تبدو ضرورة الموازنات بين الثوابت في الحياة الوطنية والاقليمية والعربية والاسلامية وبين المتغيرات التي تواجهها هذه الكيانات في مسارها

ونسير خطوة أخرى

وهي المشاركة في صناعة المتغيرات ، ولنعترف أن القيادة والريادة في العالم المعاصر ليست في يد المسلمين والعرب ، وأن المشاركة في صناعة القرار

محدودة ، وليس أمامنا إلا الطريق الطويل ، طريق العلم والمعرفة وتربية الشباب عليه ، ولا داعي للتهوين من شأن العلم بمدح الأساس الأخلاقي والايماني

ففي الاسلام اللقاء الحق بين العلم والايمان ، والعقيدة والعمل ، والرأي والقرار والتنفيذ ، ولا داعي لتحذير شبابنا بأن ما عندهم يكفيهم ، وأن ما عند الآخرين لا يزيد عن أعراض الحياة الفانية فنحن مأمورون بعمارة هذه الأرض ، والله تعالى استخلفنا فيها ، وما من طعام أو كساء أو صناعة أو علاج أو ابداع إلا وراء عمل وجهد وتنظيم ، والمستهلك يد سفلى ، والمنتج والمبدع يد عليا

فلنواجه أنفسنا صادقين لنستطيع مواجهة الحياة ومسئولياتها وليكن استمساكنا بالمبادىء لا بالصور والنظم فهذه بطبيعتها متغيرة كان ابداعها خطوة تقدمية ورائدة ، ولكن الوقوف عندها جمود ، والتمسك بها بعد فوات أوانها تخلف

تعاون الأبعاد الأربعة

يبدو من هذا كيف أننا بحاجة الى تعميق الايمان بأوسع مدلولاته في نفس الفرد

والاتساع الافقي في التعاون والتفاهم مع المسلمين وغيرهم

والارتفاع الرأسي الذي يطل على حقول المعرفة ويستشرف الضوء والهواء ، ويتلقى تيارات الحياة ومؤثراتها ليبدع فيها

والتحرك في الزمن لموازاة العصر والسعي نحو المشاركة في بناء الحياة

وإذا كان أول الايمان في القرآن ، اقرأ باسم ربك الذي خلق كان العلم من أول الأمر قرين الايمان ، والفعل في الاسمية فعل « أمر » يدل على الاستمرار دائما اقرأ لتزداد معرفة وعلما وتفتح الطريق الى الابداع

وتكمن الخطورة في فقدان التوازن ، أو التعاون بين هذه الأبعاد الأربعة

فالذين عنوا ـ أكثر ما عنوا ـ بتصفية النفس وتربيتها وصرفهم هذا عن المسئوليات الاجتماعية والابداعية والتقدمية ، عاشوا حياة نفر من الزهاد والمتصوفة ، وأنت تراهم في كل دين ، في الاسلام كما في المسيحية واليهودية ، كما في الهندوكية والبوذية هذا التعمق العميق في التأمل الفردي والانفراد بحثا عن الصفاء أو الاستنارة أو أي هدف شاءوا له اسما يستطيع في الاسلام أن يستند الى بعض الآيات والأحاديث دون أن يضعها في إطارها الشامل

وهناك نفر عنوا بالعمل في المجتمع ، ولو على حساب التربية الذاتية ، فحدث الانفصام الجزئي أو الكلي بين الأقوال والأعمال ، منهم من أفاد المجتمع ، وقد وقع في ذات الوقت في شعب النفاق

وهناك نفر عنوا بالتقدم أو الابداع وحركة الحياة ، وان أدى هذا الى انفصام الجذور أو الحاضر وهناك دول دفعها قادتها الى هذا الطريق الوعر ومنهم من بدأ يعود ، ومنهم مازال سائرا في طريقه

وتستطيع أن تقسم خريطة العالم العربي والاسلامي الى شرائح على أساس من مدى العناية ببعد أو أكثر من هذه الأبعاد ، ذلك أيضا أن تميّز بين اتجاهات الأفراد على نفس هذه القواعد

وليس الهدف أن يلتقي الجميع على كلمة سواء في هذا الأمر بحيث يكون الأفراد نسخا متقاربة ، ولكن الهدف أن يعي الأفراد هذا الأمر ، وأن يأخذوا من كل بعد من الأبعاد الأربعة بقدر ، مع تحديد الاطار العام الذي ينظم الأنشطة الجامعة لقوى الأصالة والاتساع والارتفاع والابداع

ومن الصالح أن يكون في علمائنا متخصصون في كل بعد من هذه الأبعاد ولكنه التخصص الذي يعين على التوازن ولا تضطرب به المسيرة ، والذي تتسع به الصدور للحوار دون انغلاق ، وللسير دون أن تضل الطريق □

قصيدتان للوطن

(١) وردةُ المُعتقل :

وردةٌ تصعَدُ من جُرحِ المسافاتِ
الى سِجنِ العذابْ
ودَمي يَرْمي على نافذةِ النهرِ
عصافيرَ السحابْ
ما الذي تفعلُهُ الأرضُ
إذا ناحَتْ حماماتُ القِبابِ ؟ !
وانحنى زيتونُها الأخضرُ ،
يرْوي قصةَ الزِّنزانةِ الموحشةِ الجُدران
للموْجِ ، ودرَّاتِ الترابْ ؟ !
ما الذي تفعلُه ذاكرةُ الحِبْرِ ،
اذا ضاقَ الكِتابْ ؟ !
وانقضى عامٌ ، وعامٌ ،
وأمانينا العِذاب
قمرٌ يقذفُهُ الرمْلُ الى الرمْلِ ،
ويطْويه السَّرابْ
هذه الأعوامُ ملأى بلُغاتٍ ،
ترجمَتْها نبضةٌ تَهْفُو
الى فصْل الإيابْ

* ● *

أيُّها الأحبابُ ،
يا شُرْفَتَنا الأولى الى بُرْجِ السماءْ
نحن لم نذهب بعيداً ،
بل سقطْنا في فراغِ الكبرياءْ
فارفعوا حَقْلَ نشيدٍ ،
لشهيد ،
كفَّنَتْهُ الشُّعراءْ
واقطفوا فاكهة « الحُريَّةِ الحمراءِ »
من صخْرِ الدِّماءْ
خُطْوَةً واحدةً نحو الفضاءْ
تَفْتَحُ الشرفَةُ للبحرِ
ويهلّ مع الفجْرِ الغِناءْ

(٢) رصاصٌ في تراب المُخيَّم .

يجثُمُ الموتُ على صدرِ المُخَيَّمْ ،
باسطا كفَّيْهِ في الآفاقِ ،
يُلْقي كِسرةَ النارِ على الأطفالِ ،
والبيتِ المهدَّمْ
زمنٌ يمضي ،
وللأشجار أفكارٌ ،
رواها الشارعُ المسكونُ بالحسْرةِ ،
والأشباحِ ، والذُّعْرِ الملثَّمْ .
صفحةٌ من دفْتر المأساةِ ،
في أسطُرِها الحرْفُ تفحَّمْ
من رمادِ الجُثَثِ الملْقاةِ تحتَ الردْمِ ،
في الأنفاقِ ظِلٌّ يتقدَّمْ

شعر : محمود الشلبي

طائرٌ رفَّ ، انتقى وجهتَهُ ،
حطَّ على شاهدة الغيم ،
وفي مِنْقارِهِ غُصْنٌ ، وسُلَّمْ
فاصْعَدوا شُرْفتَهُ ،
واشْهدوا صرختَهُ ،
واتْبَعوا خطوتَهُ ،
فوقَ المخيّمْ

* ● *

هذه « صَبْرا » جَناحٌ يتألَّمْ
والدَّمُ المهدورُ ، يُرْخي شَجَرَ الليل ،
على نافذةِ النَّوْمِ المُحرّمْ
أيُّ موْتٍ يبعثُ الذكرى نشيجًا
من عذاباتِ المُخَيَّمْ ؟ !
موجَةٌ مِنْ دَمِنا تسعى الى الصحراءِ ،
تُلْقي قمَرَ الرُّوحِ على التاريخِ ،
مقتولاً ، مُلَجَّمْ

* ● *

يا صباحَ العارِ ،
هذا الشرفُ العاري
هوى مُنْكسِر البالِ ،
وبالدّمع تلعْثَمْ
طلْقةٌ يدخُلُها القلبُ ،
فيا جُرْحَ المروءات تكلَّمْ
ما بدا صَعْبٌ ،
وما يَخفى مِنَ المأساة أعظمْ

صفية الإيطالية

سلطانة في البلاط العثماني!

بقلم : الدكتور خالد محمد نعيم

إذا كان للدولة العثمانية ثقل كبير في حماية الاسلام من غارات التعصب الأوروبية . . إلا أن تدهورها وانهيارها لم يكن مفاجئا ، ولكنه كان نتيجة طبيعية في كثير من الأحيان لسلسلة من التصرفات السيئة ، التي ارتكبت في حق الدولة ، وهدمت سياجها الشامخ من الاساس .

عاشت الدولة العثمانية أكثر من ستة قرون ، واجتاحت جيوشها الاسلامية العثمانية أقاليم شاسعة في جنوب شرق أوروبا ووسطها - وهي أقاليم لم تخضع من قبل لحاكم مسلم ، وأحرزت باسم الاسلام انتصارات باهرة ، وتساقطت في أيديها دول أوروبية عديدة وامتلأت قلوب الحكومات والشعوب الاوروبية فزعا وهلعا من هذه الدولة الطارئة عليها في عقر دارها ونعرضت الدولة في مسيرتها في أوروبا لتكتلات دولية تنادت اليها البابوية في روما ، باسم الصليب ، وأسهمت فيها دول أوروبية عديدة ولم تترك الدول الاوروبية للدولة فرصة لالتقاط أنفاسها ، عندما تبادلت الدولة مع

أعدائها ـ في بعض الاحيان ـ الهزائم والانتصارات .

ان الدولة العثمانية لم تكن تمثل عصر ظلام تام بالنسبة للاسلام ، بوجه خاص ، أو الأمة العربية ، بوجه عام ، فقد استطاعت في فترة من الفترات الوقوف في وجه الغزوات الصليبية ، والغارات الأوروبية التعصبية ، إلا أن كثيرا من الحماقات في نظام الحكم وتصرفات السلاطين هدمت بنيانها الشامخ من الاساس ، ومن جانب عدد من (الجواري) اللاتي تحولن ـ فيما بعد ـ الى زوجات لبعض سلاطين الدولة

ففي عهد خلفاء سليمان القانوني ، استمر نفوذ (الجواري) الأجنبيات بصورة خطيرة ، في البلاط العثماني ، حيث شهد عصر السلطان مراد الثالث (١٥٧٤ ـ ١٥٩٥) وضوح هذه الظاهرة فالسلطان مراد الثالث ، وقع فريسة تأثير جماعة من النساء والمحظيات ، وعلى رأسهن أمة اسمها (نوربانو) ، كانت في الاصل جارية ثم تزوجها والده ، كما كان من بينهن جارية السلطان مراد ، (صفية الايطالية) ، والتي غدت زوجته ، هذا السلطان شهد عصره ، بيع الوظائف الكبرى ، وغدت الرشوة أمرا طبيعيا ، فقد ترك السلطان شئون الدولة في يد زوجته (صفية الايطالية) ، امرأة لا تفهم ولا تحسن الادارة

ومما فعلته هذه السلطانة الايطالية ، في عهد زوجها ثم ابنها من بعده السلطان (محمد الثالث ١٥٩٥ ـ ١٦٠٣) ، انها أدارت السياسة الخارجية للدولة العثمانية ، على نحو يخدم مصالح وطنها الاول ـ جمهورية البندقية ـ ، فحددت امتيازات هذه الجمهورية ، ودست على ابنها رجلا ، قيل انه كان عشيقها ، ويدعى (محمد صوقلي باشا) ، وجعلت منه وزيرا كبيرا في خدمة ابنها وخدمتها بطبيعة الحال فقد تدرج هذا (الصوقلي) في المناصب الخطيرة ، حتى غدا من عمد الدولة ، كما استطاعت (صفية الايطالية) ، أن تتخذ من جنود الانكشارية ، أداة لبث الفتن والثورة ضد القادة وحكام الاقاليم ، بل والتمرد على ارادة السلطان مراد الثالث نفسه ، زوجها ثم من بعده ابنها (السلطان محمد الثالث) !!

البداية ، جارية في الحريم

كانت اغارات القراصنة في البحر المتوسط ، سمة من سمات القرن السادس عشر ، ففي احدى الاغارات ، سطا بعضهم على عدد من السفن ، التي كانت لبعض النبلاء الايطاليين من مدينة (جنوة) ، التابعة في ذلك الوقت ، لجمهورية البندقية وكانت احدى هذه السفن تحمل أفراد عائلة شهيرة تدعى (بافور) وكان من بين أفراد هذه العائلة ، فتاة تدعى (ايمي دي بافو) ، تبلغ من العمر أربعة عشر عاما ، وكانت على حظ موفور من الجمال والرقة

وكان والدها حاكما على جزيرة (كورفو) ، وعندما اختطفها القراصنة ، ذهبوا بها الى الأستانة ، وعرضوها للبيع عام ١٥٧٧ في سراي السلطان مراد الثالث ، الذي اشتراها ، وألحقها بحريمه السلطاني كجارية

وكانت القاعدة المتبعة في بلاط آل عثمان ، أن (الجارية) بعد دخولها (الحريم السلطاني) ، ترتقي الى رتبة (اقبال) ، واذا حملت من السلطان ، صارت رتبتها (قادين) ، فاذا أنجبت ذكورا ، أطلقوا عليها لقب (خاصكي سلطانة)

وعندما دخلت (ايمي دي بافو) الحريم السلطاني في (يلدز) ، كان عليها أن تنسى كل ما هو في الخارج ، أهلها وأصدقاءها ، فقد نشأت هذه الجارية الايطالية ، على قواعد خاصة ، حيث تولى تربيتها نساء تعرف الواحدة في اصطلاحهم (باش قلفي) أي المعلمة

ومكثت (ايمي) في الحريم السلطاني عامين تدربت فيهما على كل ما يسر السلطان ، من حسن الهدام أو الاحاديث ، حتى مشيتها ووقوفها

وجلوسها ، وأحفظوها بعض الاشعار والاقوال الشعرية ، ودربوها على سرعة الفهم بالرموز ، وكافة أصول« البروتوكول » المتبع في الحريم السلطاني ، والعادات والقواعد والآداب الخاصة بالمعاشرة ، ومواجهة أركان الحريم لدرجة أن (ايمي) تحولت الى جارية ، على درجة عالية من المعرفة ، لكل هذه الامور ، بدقة وعناية فائقتين

فقد كان القائمون على (مدرسة الحريم السلطاني) ، يعدون للجواري عامة ، في الداخل دراسات في الثقافة العامة ، والسلوك الاجتماعي ، واللغة التركية ، بعد أن يطلق عليهن أسماء غير أسمائهن الاصلية ، وكان السلطان - أي سلطان - عندما يرتقي العرش ، ينتقي بنفسه ، مع كبيرة المعلمات (القلميات) ، لجواريه أسماء جديدة ، لذلك تحول اسم (ايمي دي بافو) الى (صفية الايطالية) !!

غرام السلطان بصفية

وبعد عامين ، في الحريم السلطاني ، قضتهما (صفية) ، سرعان ما تألق نجمها ، فقد ازدادت جمالا في الخلقة ، ورشاقة في الجسم ، وعمقا في الثقافة ، وأدبا في الحديث ، ورهافة في الحس ، فلفتت انتباه السلطان ، فحصلت على رتبة (اقبال) وكانت هذه الرتبة تجعل الحاصلات عليها - من الجواري - صاحبات نفوذ في الحريم العثماني ، حيث كان بمقدورهن رؤية السلطان ، لأنهن كن يدخلن حجرة السلطان لخدمته تحت اشراف المسئولات الاربع في البلاط السلطاني ، وكانت (الجواري) الحاصلات على لقب (اقبال) يطلق عليهن فتيات الحجرات ، فكانت (صفية) احدى فتيات الحجرات ، فحدث انتباه السلطان اليها ، فهام بها ، فحملت منه فحصلت على رتبة (قادين » ، وحولت الى قصر خاص بها ، ولما جاء المولود ولدا ، (محمدا) ! - والذي أصبح بعد والده ، السلطان محمد الثالث ١٥٩٦ - علا مركزها ، الى مرتبة تقترب من مرتبة السلطانة ، فأعتقها السلطان وتزوجها ، واطلق عليها اسم (صفية الايطالية) وستظل هكذا حتى تتحول الى سلطانة ، بعد الزفاف طبقا لقواعد البروتوكول وهكذا تحولت (ايمي دي بافو) ، الايطالية ، من جارية الى سلطانة ، تسيطر على قلب السلطان مراد وعقله معا

أصبحت (صفية الايطالية) بعد أن أنجبت للسلطان ابنه وولي عهده (محمدا) ، هي الشخصية الثالثة ، في البلاط ، بعد (الوالدة سلطانة) ، أم السلطان التي كانت تدعى (نوربانو) ، ومعناها (سيدة النور) ، وهي جارية ثم احدى (قادينات) السلطان سليم الثاني ، والد السلطان مراد الثالث ، و (اسمات) أخت السلطان مراد ، من زوجة أخرى غير (نوربانو)

وأخذت الغيرة والحقد يعملان في قلب ونفس (صفية) ، من (نوربانو) و (اسمات) لتميز نفوذهما في حريم السلطان ، فقد دار صراع خفي حينا وسافر أحيانا ، بين (الوالدة سلطانة) وبين صفية وتمثل جوهر هذا الصراع حول تميز النفوذ لكل من (الوالدة سلطانة) و (صفية) ، فكل منهما تريد أن تستأثر به لنفسها ، الاولى هي أم السلطان ، وكانت ترى أنها أحق بهذا النفوذ ، والثانية ، هي زوجة السلطان وأم ولي العهد ، وكانت ترى أنها أحق من السلطانة الام ، بهذا النفوذ

ولم تتردد صفية في استغلال هيام السلطان زوجها بها لخدمة أغراضها وطموحاتها ، لكن ببطء وذكاء ذات الوقت ، وبعد أن تأكدت الوالدة سلطانة (نوربانو) من سيطرة (صفية) على قلب وعقل ابنها السلطان ، لجأت الوالدة سلطانة الى سلاح خطير ، ثبت أنه كان مدمرا لسمعة ابنها السلطان ، في محاولة من جانبها للكيد لصفية ، فقد أدخلت (نوربانو)

ابنها (مراد الثالث) ـ الذي كان معروفا عنه شغفه العميق بالنساء ـ بعدد ضخم من الجواري الفاتنات ، لصرف السلطان عن حبه العميق لصفية الايطالية ، وليمحو حب ابنها للايطالية الشقراء ، فيصرف عنها ، كما كانت الوالدة سلطانة تهدف كذلك ، الى تحقيق مصالحها الشخصية ، فاذا ما انصرف ابنها السلطان الى مخادع الجواري الحسان ، استأثرت هي في غفلته بالنفوذ في البلاد وفي الحريم السلطاني ، وبطبيعة الحال ، تسيطر على أجهزة الحكومة

ولكن خضوع السلطان لصفية الايطالية ، فاق كل حد وتصور ، فقد كانت تفتعل كثيرا من المواقف ضد (الوالدة سلطانة) ، لتختبر مكانتها لدى مراد ، فكان السلطان كثيرا ما ينحاز لمالكة قلبه ووجدانه الشقراء الايطالية وما لبثت أن غدت (صفية) السيدة الاولى بين الحريم في البلاط السلطاني ، بعد وفاة « الوالدة سلطانة »

الهيمنة على شئون الدولة

كان من المتوقع ـ بعد وفاة الوالدة سلطانة ـ أن تخف وطأة سيطرة الحريم السلطاني ، على توجيه القرار السياسي للسلطان ، ولكن حدث أن (صفية الايطالية) أخذت تتحكم في السلطان وتحكم الدولة من وراء الستار ، بعد أن غدت مركز قوة خطيرا على أعلى المستويات في الدولة ، فتسلطت على الشئون الداخلية والخارجية للدولة العثمانية ، وعملت على توجيه سياستها الخارجية على نحو يخدم مصالح (جمهورية البندقية) ، وطنها الاول وكانت توجه القيادات العليا على النحو الذي يحلو لها ، ويخدم مصالح ابنها ولي العهد ، فكان نفوذها الرهيب وسيطرتها على السلطان مراد الثالث ، يمثل نقطة سوداء في تاريخه ، وخاصة بعد أن ترك هذا السلطان ، شئون الدولة في يد جاريته (ثم زوجته) صفية الايطالية ، تلك الشقراء التي كانت لا تحسن الادارة

فقد استخدمت صفية نفس السلاح الذي استخدمته ، من قبلها ، الوالدة سلطانة ضد السلطان ، الذي كان معروفا عنه شغفه العميق بالحسان من الجواري ، فاستغلت (صفية) هذه الهواية في زوجها السلطان ، التي كانت أضعف نقطة في خلقه ، ووجهت السيدة العجوز (جانفيدا خاتون) ، التي كانت تقوم بعمل (الكايا) والمتخصصة في تنظيم ليالي السلطان ـ وطلبت اليها الاكثار من شراء أعداد كبيرة من الجواري الفاتنات ، وإلحاقهن بالحريم السلطاني ، في محاولة من جانبها ، لاحكام السيطرة على السلطان ، الذي انخرط في هذا الجو ، بتوجيه من زوجته الايطالية ، السلطانة صفية

السلطانة تجدد امتيازات البندقية

وأخذ نفوذ صفية يتعاظم ، فدست على زوجها السلطان ، رجل صوقلي من مواليد قرية (صوقل) باقليم البوسنة ، وهو (صوقلو محمد باشا) ، الذي غدا صدرا أعظم في عهد السلطان مراد الثالث ، بفضل صفية وكان (صوقلو) قد وقع في قبضة العثمانيين أسيرا ، وهو صبي صغير وتمكن بما له من المقدرة والمواهب الخاصة ، والذكاء ، أن ينال الحظوة لدى (السلطانة الايطالية) صفية ، فزوجته من (اسمات) الاميرة ابنة السلطان سليم الثاني ، وأخت زوجها السلطان مراد الثالث ، وغدا اسمه (داماد صوقلو محمد باشا) ، وظل متربعا في منصب الصدر الأعظم مدة تراوحت بين خمسة عشر عاما وثلاث عشرة سنة وغدا ـ كذلك ـ من عُمد حاشية (صفية) في البلاط العثماني ، وقيل أنه كان عشيقها، وبطبيعة الحال ، أصبح (صوقلو) ألعوبة في يد صفية ، تحركه كيف شاءت وأنى شاءت

وفي عام ١٥٨٣ جدد (صوقلو باشا) امتيازات البنادقة ، لقاء رشوة قدرها خمسة عشر ألف دوكة ، وهي عملة ذهبية ، وجمعها (دوكات) .

وهذه الامتيازات على سبيل المثال - لا الحصر - فان نصوص المعاهدة التي عقدها (صوقلو باشا) مع جمهورية البندقية ، بتوجيه من السلطانة صفية ،

تشتمل على عشرات الامتيازات الاخرى ، التي حصلت عليها هذه الجمهورية ، الموطن الاول للسلطانة صفية ، دون سواها من الدولة الأوروبية

وفي الداخل ، اتخذت صفية من الجنود الانكشارية أداة لبث الفتن والثورات ، ضد معارضيها من القادة والولاة ، في الاقاليم ، فقد أمرت السلطان مراد ، بأن يرفع الحظر المفروض على فيالق الانكشارية بعدم الزواج ، فجعل السلطان وبذلك غدا جنود الانكشارية أداة طيعة في يد السلطانة صفية ، كانت تحركهم كيف تشاء ، بعد أن شغلوا بمشكلات الحياة الزوجية والأنسلال عن الحياة العسكرية ، فغدت القوة العسكرية للدولة ضعيفة ، ثم نجحت صفية أخيرا ، في الاعداد والتمهيد لابنها (محمد) ، ليكون خليفة السلطان على عرش ال عثمان ، دون اخوته البالغ عددهم اثنين ومائة أخ وهكذا تحول السلطان مراد الثالث ، في أخريات أيامه الى سلطان عاطل الرأي ، ضعيف الشخصية ، خاضع لسيطرة (الايطالية الشقراء) عليه ، وعلى مقاليد السلطة بالدولة العثمانية

الابن بعد الأب

ولما توفي مراد الثالث ، وخلفه على العرش أكبر أولاده السلطان محمد الثالث من صفية الايطالية ، التي كانت لاتزال على قيد الحياة ، أخذ نفوذها يتعاظم على ابنها السلطان ، وبالتالي في شئون الدولة فقد كانت صفية حريصة كل الحرص ، على استمرار نفوذها وتميزه في شتى أجهزة الحكومة ، بعد وفاة زوجها

وكانت أول خطوة فعلتها هذه الجارية الايطالية ، جميع اخوته ، غير الاشقاء ، حتى لا ينازعوه السلطان بطبيعة الحال ، ليخلو لها الجو ، وتستأثر بمزيد من النفوذ وحدها وقد امتثل الولد (السلطان) لأمه - صفية الايطالية - فقتل تسعة عشر من اخوته ، الذين كان عددهم اثنين ومائة أخ هم أولاد السلطان الراحل مراد الثالث ، من زوجاته الاربع ، وقاياته الكثيرات العدد !!

نهاية الطاغية صفية

واستمرت صفية الايطالية تسير أمور الدولة العثمانية ، وتتبوأ مكانا عاليا وتسيطر على شئون الدولة ، حتى اذا توفي ابنها السلطان محمد الثالث ، في عام ١٦٠٣ ، وخلفه على العرش ابنه ، السلطان أحمد الأول (١٦٠٣ - ١٦١٧) ، وهو لم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره ، كان في مقدمة تصرفاته - وان كان هذا بتوجيه من أمه (السلطانة الجديدة) - تجريد جدته العجوز ، لأبيه ، (صفية الايطالية) من كل نفوذ لها في البلاط العثماني وأمر بحبسها في السراي القديم ، ومنع اتصال أحد بها ، كما أبعد كل المخلصين لها من حولها ، فظلت (صفية الايطالية) حبيسة حتى توفاها الله ، وهي في الثالثة والستين من عمرها ، بعد أن حكمت الدولة العثمانية قرابة ثلاثين عاما

هكذا كانت السلطانة صفية الايطالية ، تحكم الدولة العثمانية ، فقد مارست نفوذا واسعا ابان حكم زوجها ، ثم حكم ابنها ، ومن هنا تبرز حقيقة الضرر الذي ألحقته هذه الجارية الايطالية ، بالدولة العثمانية ، حين وجهت سياستها الخارجية وفق أغراضها الذاتية ، وقد ثبت - في هذا الأمر - ان الدور الذي قامت به قد جلب الكوارث على مستقبل الدولة ، عندما سيطرت بنفوذها على زوجها ومن بعده ابنها ، مفضلة مصلحتها الخاصة ، ومصلحا

اقرأ
في العدد
القادم
من العربي
عدد أغسطس ١٩٨٧

استطلاعات:

- ■ الريف المغربي .. أسطورة الإنسان عبر الزمان والمكان
  سليمان مظهر
- ■ جمهورية تتاريا .. إرث المغول وطموحات الحاضر والمستقبل
  سليمان الشيخ

الحرب النووية وصراع "الأيديولوجيات .... د. فؤاد زكريا

الضوء وسلوك الإنسان ...... د. أمل المخزومي

● التغريبُ ماذا يعني ؟	د محمّد عمارة
● لماذا تحجبُ الأضواء عن التوبةِ والعفو ؟	فهمي هويدي
● تمويل الإرهاب	رافع عبدالرحمن
● أرقام الحساب .. عربيّة أم هنديّة ؟	د سعيد النجار
● مَن يذهبُ إلى السينما ؟	رؤوف توفيق
● الأصالة في أدب عبد السلام العجيلي	محمد أحمد عطية
● جولة في العالم السفلي !	د سمير رضوان
● "السوبرنوفا" كارثة فلكيّة !	رؤوف وصفي
● وجهاً لوجه : د. حسن الساعاتي .. ود. محمّد الجوهري	

واقرأ أيضاً للكتاب:

. محمد الرميحي ـ جمال وردة ـ شوقي بغدادي ـ خالد القشطيني
يلى العثمان ـ عبدالعليم القباني ـ د. محمد صادق زلزلة ـ د. غسان حتاحت

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

العربي - العدد ٣٤٤ - يوليو ١٩٨٧

حركات الإصلاح التونسية وموقفها من التربية والثقافة

بقلم . الدكتور المنجي الكعبي

لاشك أن لحركات الاصلاح في وطننا العربي وعالمنا الاسلامي مواقف واجتهادات في الكثير من القضايا العامة من هذه القضايا التربية والتعليم والثقافة

فكيف عالجت حركات الاصلاح في القطر التونسي هذا الأمر وما موقفها من ذلك ؟

إن الكتابات التي بين أيدينا حتى الآن عن حركات الاصلاح التي عرفتها أقطارنا العربية والاسلامية خلال القرن الماضي وأوائل هذا القرن اهتمت - إلا القليل منها - بالتأريخ لتلك الحركات ، من حيث نشأتها وأصولها ومؤثراتها وأهدافها ومناهجها ، والتعريف بزعمائها ، ونشر أعمالهم على نطاق واسع ، وهو اهتمام طبيعي ، له مبرره في المنهج التاريخي ، قبل الدخول في مجال الدراسات التحليلية ، والبحوث المقارنة حولها

ورغم التقدم الذي تحقق في ميدان الكشف عن مختلف النصوص والوثائق المتعلقة بتلك الحركات بفضل جهود كثير من الباحثين العرب والمسلمين وغيرهم من المتخصصين في تاريخنا الحديث، فإن الحصيلة العلمية التي لدينا من ذلك لا تسمح - تماما - للمشتغلين بالدراسات الحضارية والمستقبلية بإطلاق الأحكام حول أهمية تلك الدعوات الاصلاحية ، وحول تأثيرها الباقي إلى اليوم

أما إذا أردنا رسم صورة عامة لملامح تيارات

الاصلاح الكبرى التي عمت العالم الاسلامي ، أو شملت أقطارا منه دون أخرى فإن الأمر يبدو ممكنا ، حتى في حدود معلوماتنا الحالية عنها ، ولو قصرنا الحديث في هذا المجال على تونس وحدها في محاولة لبيان موقف الحركات الاصلاحية التي ظهرت في أفقها من التربية والثقافة كقنوات أساسية للتبليغ والانطباع، لأمكننا الوقوف على بعض الملاحظات أو الظواهر العامة التي ينبغي أن تشكل مدخلا من المداخل العامة لفهم حركات الاصلاح في القرن الماضي وتدوينها ، ليس في تونس وحدها ، بل في الوطن العربي والعالم الاسلامي بصفة عامة

حركات واتجاهات

فلقد بات من الواضح اليوم أن الحركات التي شهدتها بلادنا خلال القرن التاسع عشر والتي تلتها تعود - في جملتها - إلى أنماط فكرية أو فلسفية معينة ، يمكن أن يقال فيها في النهاية أنّ كلّ نمط منها ما هو إلاّ ثمرة معطيات دينية ، وظروف اجتماعية وفكرية وسياسية واحدة أو متشابهة ، وذلك على امتداد الساحة العربية والاسلامية ، وهي - على اختلافها - تجري في واحد من اتجاهات ثلاثة كبرى ، الاتجاه المعبّر عنه بالسلفية ، يدور أصحابه ، والقائلون به حول الدين كمبدأ وهدف في تفكيرهم وعملهم الاصلاحي ، ويتعلقون بالاستمداد من نماذج تاريخية سابقة ، أو النسج على منوالها ويناهض هذا الاتجاه ويناقضه اتجاه عصري - حسب حكم أصحابه - بسبب تعلّق روّاده وقادته بالنموذج الغربي المعاصر للحضارة الأوروبية الحديثة ، وإيمانهم بحتمية الاقتباس منها ، والالتحاق بركبها ، من أجل النهضة ببلدانهم الخاصة ، والخروج من التخلف - حسب رأيهم - من أقرب طريق أما الاتجاه الثالث فهو توفيقي وسطي ، لا يولّي ظهره للمعتقدات الدينية السائدة ، ولا يلغي الاعتبارات الذاتية التقليدية للأمة ، ولا يقطع الصلة بالماضي تماما ، لكنّه لا يسمح لنفسه بالاستغراق في تقليد الغرب المتميّز - أساسا - عنه دينيا وتاريخيا ، وإنما يأخذ من مؤسساته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المتطورة ما لا يتناقض - جوهريا - مع الاسلام ، لتنظيم حياته المدنية بغاية استعادة عطائه الذاتي المتميّز في مضمار الحضارة الانسانية

ففي اختلاف الموقف من الدين ومن التراث عامة يكمن التناقض بين دعاة الاصلاح السلفيين وزعماء الاصلاح العصريين ، رغم التحفظ الشديد من جانب أنصار النزعة العصرية الغربية عن الاصداع برأيهم في ضرورة تخطي الدين في سبيل النهضة بالانسان المعاصر مسلما كان أو غير مسلم ، خلافا لما بلغت إليك جرأة بعض المتأخرين من أتباعهم وتلاميذهم في الفترة الاستعمارية أو حتى فيما بعدها

ويبدو أن التوفيقيين - وهم الأحق باسم المصلحين اعتبارا لمواقفهم التوسطية مقابل غيرهم من الثوريين دعاة التغيير الجذري والمواقف الحادة - ، كانوا أكثر عددا وأقوى نفوذا وتأثيرا على الساحة السياسية ، لأسباب عديدة ، منها طبيعة الواقع ، والتدخلات الأجنبية بصفة خاصة

الاصلاح والرئاسة

وليس من السهل الآن أن نقول إن ابن أبي الضياف الوزير والمؤرخ المشهور بكتابه المطول « اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان » كان مثلا من أصحاب الاتجاه السلفي ، أو أن معاصره خير الدين ، المعروف (بالجنرال) خير الدين التونسي ، المشهور أيضا بكتابه « أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك » كان من أصحاب النزعة العصرية ، لأنا نجد في كتابات هذين المصلحين الكبيرين ما ينبيء عن شدة حرصهما على التوفيق بين تعاليم الشريعة الاسلامية ومقتضيات التمدن العمراني الحديث ، على غرار ما هو قائم حينئذ في أوروبا ، ذلك أنه يصعب - في الواقع - إقامة حدود

دقيقة بين أصحاب النزعات المعارضة من رجال الاصلاح [illegible] للاصلاحات [illegible] ... [illegible] ... ولتصور [illegible] ...

لحمل مطوره على إصلاحاته ، دون الانتظار لنتائج ثمرات التربية والتعليم بالدعوة الحسنى ، والاقناع [illegible] حتى [illegible] الاصلاح الذين لا يجدون [illegible] يجوب [illegible] سلطة لتطبيق رسالاتهم [illegible] أوسيا [illegible] في رفوف [illegible]

[illegible] كانت نتائجه [illegible] آثارها تستدعي وقتا طويلا لتظهر بعد جيل أو جيلين ، ولذلك فالسعيد منهم من كان يتمنى أن لو ألقيت إليه مقاليد الاشراف على هذه المسالك ، لتنظيم مناهجها وتسطير برامجها ، ورعاية أفواجها ، وقياسا على قول القائل قديما « نعم العون على العلم الرئاسة » يقول « نعم العون على الاصلاح الرئاسة ! »

صحيح أن موقع مصلح من المصلحين في مستوى من مستويات السلطة قد يمنحه بحسب اطراد نفوذه فرصة تنفيذ إصلاحاته السطرية عن طريق أدوات الحكم المعهودة ، بما في ذلك ممارسة الضغط والاكراه ، فضلا عن التشاريع القانونية والادارية

والامة إذا حملت على اصلاح بقصد [illegible] بها [illegible] قوتها في الارتداد إلى ضده بنسبة سنوات الاكراه التي احتملتها من أجله . وبذلك نستطيع أن نفسر ما حصل في أوائل هذا القرن وفي أواسطه من انتكاس بعض الاصلاحات التي اتصفت بالاسلامية وما هي بإسلامية ، إلا بما تأول لها أصحابها من آيات قرآنية ، وأحاديث نبوية ، ليحموا على الأمة طعمها اللاّئكي وأصولها الأجنبية ، ولا يزال هذا الاتجاه الاقتباسي من الغرب ، المبهر بسلطانه ، في صراع متصاعد مع تيار إصلاحي إسلامي جديد ، أشدّ رفضا وثورة من التيارات السابقة

على أن الاصلاح بالاصلاح ينتمي ، وذلك ،

[illegible] الاصلاحات ومحا[illegible] لانه مهما تكن [illegible]

في أعقاب فشل تلك الحركات الوطنية - بعد الاستقلال - في الوفاء بأبعادها الدينية والقومية الشاملة [illegible]

[illegible]

الحـــــرب والســـــلام

● يقول سومرست موم في كتابه « الروائيون الكبار ورواياتهم » ان بلزاك هو أعظم روائي عرفه العالم على الاطلاق ، ولكن أعتقد ان رواية « الحرب والسلام » لتولستوي هي أعظم رواية ، فلم يسبق أن كتبت رواية تصارعها في الضخامة ، وتعالج مثل هذه الفترة الحاسمة من فترات التاريخ ، وتتناول هذه المجموعة الكبيرة من الشخصيات ، ولقد قيل عنها بحق انها ملحمة ، ولا استطيع أن أجد عملا روائيا آخر يمكن أن نصفه هكذا ونكون محقين في وصفنا

العربي ـ العدد ٣٤٤ ـ يوليو ١٩٨٧

بمناسبة مرور ثمانمئة عام

حطين

وقائع.. وعبر

بقلم الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور

يصادف يوم الرابع من شهر يوليو (تموز) الحالي ذكرى مرور ثمانمائة عام على موقعة حطين (٤ يوليو ١١٨٧) ، وهي الموقعة ذات الأثر العميق ، لا في تاريخ بلاد الشام أو الوطن الاسلامي في الشرق الأدنى فحسب ، بل في تاريخ العلاقات بين العالمين الاسلامي والمسيحي الغربي في العصور الوسطى

لم تكن موقعة حطين مجرد موقعة حربية عابرة من المواقع التي يحفل بها التاريخ ، وإنما كانت أضخم من ذلك بكثير لقد كانت موقعة فاصلة في تاريخ أخطر صراع شهده العالم بين أتباع ديانتين سماويتين كريمتين وهو صراع اتخذ شكل حركة استيطانية استهدفت أهدافا سياسية واقتصادية بعيدة المدى ، واتخذت من الدين ستارا يخفي نواياها الحقيقية

وبدراسة تاريخ الحركة الصليبية يتضح أن الكيان الصليبي في بلاد الشام ظل قائما في صورة أو أخرى نحو قرنين من الزمان ، أو على وجه التحديد مائة وأربع وتسعين سنة ، هي المدة التي انقضت بين وصول طلائع الحملة الصليبية الأولى إلى مشارف بلاد الشام سنة ١٠٩٧م ، وبين طرد آخر البقايا الصليبية من تلك البلاد سنة ١٢٩١ م وشاءت الظروف أن تقع معركة حطين في منتصف هذه المدة لتشكل حدا فاصلا بين عصرين متكافئين تقريبا من الناحية الزمنية ، ولكنهما متباينان تباينا ظاهرا من ناحية أوضاع كل فريق من الفريقين المتعاديين

ذلك أن التسعين عاما التي انقضت بين وصول الصليبيين الى الشام وبين معركة حطين ، اتصفت برجحان كفة الصليبيين الذين استغلوا حالة التمزق السياسي التي سادت المجتمع الاسلامي في الشرق عندئذ ، وحققوا انتصارات سريعة مكنتهم من الامساك بزمام المبادرة في علاقتهم بالقوى الاسلامية المحلية

ولا شك أن الانتصارات التي حققها صليبيو الحملة الأولى على المسلمين في اسيا الصغرى واقليم الجزيرة والشام ومصر ، أكسبت الصليبيين في ذلك الدور قدرا من الاعتداد بالنفس ، والاحساس بضعف خصومهم ، فأخذوا يتوسعون شمالا وجنوبا ، واتخذوا من الوحدات السياسية التي أقاموها على ارض الشام - في انطاكية وطرابلس وبيت المقدس - نقاط ارتكاز ، ينطلقون منها لمهاجمة المدن والقرى الاسلامية ، في طول البلاد وعرضها وربما اتخذت بعض هذه الهجمات الصليبية على ممتلكات المسلمين طابع العربدة ، بحيث لم تستهدف إلا السلب والنهب والعدوان على الأهالي الامنين

حطين وقلب الموازين

ثم كان أن دارت معركة حطين سنة ١١٨٧م لتغير وضع كفتي الميزان فتحول الصليبيون بالشام بعد تلك المعركة الى كيان هزيل تخلى عن الهجوم والتزم بالدفاع والرغبة في مجرد المحافظة على ما تبقى له من وجود حقيقة أننا نسمع في الفترة الواقعة بين حطين سنة ١١٨٧م ونهاية الوجود الصليبي بالشام سنة ١٢٩١م عن هجمات صليبية تعرض لها المسلمون في الشرق الأدنى - وبخاصة في مصر - ولكن مصدر هذه الهجمات كان الغرب الأوروبي وليس القوى الصليبية في بلاد الشام ، مثلما كان الحال قبل حطين

وحقيقة أننا نسمع عن حملات صليبية أتت من غرب اوروبا الى بلاد الشام في عصر ما بعد حطين ، ولكن هذه الحملات لم تستطع أن تحيي العظام وهي رميم ، ولم تفلح في إحياء مجتمع صليبي حطمته الهزيمة ومزقته الكسرة وأقصى ما توصلت اليه هذه الحملات - كما هو واضح في الحملتين الثالثة والسادسة - هو عمل اتفاقية مع المسلمين تضمن للبقايا الصليبية بالشام قدرا من الحياة الامنة

أما الجانب الآخر - وهو الطرف الاسلامي - فقد ارتفعت معنوياته بعد حطين ، واستعاد الثقة بنفسه ، وأيقن أن حطين تمثل نقطة البداية لا النهاية ، وأن الوقت قد حان لاقتلاع اخر البقايا الدخيلة من أرض الاسلام ، وكان أن تحول المسلمون بعد حطين من دفاع الى هجوم ، وهو هجوم شامل لم ينته إلا بتطهير الأرض تماما من الدخلاء الغاصبين ولئن هدأت حركة الجهاد نوعا ما لمدة نصف قرن من الزمان بعد وفاة صلاح الدين ، فان هذا الوضع جاء مؤقتا نتيجة لما اصاب الدولة الأيوبية من وهن بسبب الخلافات بين أبناء البيت الايوبي ولعل هذه الفترة أتاحت فرصة للمجاهدين، يلتقطون فيها أنفاسهم ويضمدون جراحهم ، ويجمعون صفوفهم ، استعدادا لمرحلة جديدة من مراحل الجهاد ولم تلبث أن بدأت هذه المرحلة بقيام دولة سلاطين المماليك في مصر والشام عند منتصف القرن الثالث عشر للميلاد ونستطيع أن نقرر في موضوعية أنه لولا حطين التي زعزعت أركان البناء الصليبي في بلاد الشام ، لما تحقق للمماليك اقتلاع اخر الجذور الصليبية من تلك البلاد ، وذلك في مدى قصير لا يتجاوز الأربعين عاما بل لولا معركة حطين لما أمكن للمسلمين إحراز النصر الكبير على جحافل التتار في عين جالوت سنة ١٢٦٠م

ما بعد حطين

أما عن أبعاد موقعة حطين على مسرح بلاد الشام نفسها فكانت خطيرة ذلك أن الوجود الصليبي بالشام ظل - كما سبق أن أشرنا - يعتمد اعتمادا تاما على ما يأتيه من امدادات من الغرب الأوروبي وفي

121849

عصور ضعفت فيها وسائل نقل الأخبار ، واتصفت طرق المواصلات البرية والبحرية ببطء الحركة ، لم يسمع الغرب الأوروبي أخبار كارثة حطين إلا بعد مدة طويلة نسبيا

وبعد ذلك جرت اتصالات بين البابوية من جهة وملوك الغرب من ناحية أخرى لإرسال حملة صليبية جديدة تنقذ ما يمكن إنقاذه في بلاد الشام وكان أن استغرقت هذه الاتصالات من جهة ، والاستعدادات لتكوين الحملة من جهة أخرى ، نحوا من ثلاث سنين ، تمكن خلالها صلاح الدين من العمل بسرعة لاقتطاف ثمار النصر الكبير الذي حققه في حطين وكان يظن أن صلاح الدين سيتجه بعد حطين الى بيت المقدس مباشرة بوصفها حجر الزاوية في اهتمامات المسلمين والصليبيين سواء ولكن ذكاء صلاح الدين وعبقريته الحربية تجلت في أنه بادر بعد حطين بالاتجاه الى سواحل الشام ، ليحرم الصليبيين داخل بلاد الشام من قواعدهم الحربية التي تقع على الساحل والتي تربطهم بحرا بالغرب الأوروبي ، وبذلك يقطع الشريان الذي يمتد من قلب الحركة الصليبية الى بلاد الشام وفي الوقت الذي استولى فيه صلاح الدين على عكا وقيسارية وحيفا وبيروت وغيرها من المعاقل الصليبية العربية ، كان أخوه العادل سيف الدين قد خرج من مصر واستولى على بعض الموانئ الصليبية على ساحل جنوب بلاد الشام وبعد ذلك اتجه صلاح الدين صوب بيت المقدس ليجدها ثمرة ناضجة ، فاستولى عليها في أواخر عام ١١٨٧م وأعادها الى أحضان دولة الاسلام بعد غيبة استمرت قرابة تسعين عاما

خطوات ما قبل المعركة

وفي تقويمنا لمعركة حطين ، نرى أن هذا النصر المبين الذي أحرزته جيوش المسلمين بقيادة صلاح الدين ، لم يكن حدثا مفاجئا ، ولم يأت وليد مصادفات تاريخية ، بقدر ما كان نتيجة تطورات خطيرة ألمت بالجبهتين الاسلامية والصليبية قبل حطين

فمن ناحية الجبهة الاسلامية ، شهدت تلك الفترة ـ وبخاصة خلال الستين عاما التي سبقت حطين ـ صحوة اسلامية شاملة انطلق شعاعها الأول من الموصل التي نجح أتابكها عماد الدين زنكي في الاستيلاء على حلب سنة ١١٢٨م ، وبذلك غرست نواة جبهة اسلامية متحدة ، امتدت من شمال العراق الى شمال الشام ولم يلبث زنكي أن استولى سنة ١١٤٤م على الرها ـ حيث أقام الصليبيون أولى اماراتهم في الشرق ـ مما يعتبر بداية النهاية بالنسبة للبناء الذي أقامه الصليبيون في الشرق الأدنى إبان حملتهم الأولى في أواخر القرن الحادي عشر للميلاد

ثم كان أن توفي عماد الدين زنكي صاحب الموصل وحلب سنة ١١٤٦م ، وعندئذ خلفه في حكم حلب ابنه نور الدين محمود الذي ورث عن أبيه سياسته الطموحة في اقامة جبهة اسلامية متحدة في منطقة الشرق الأدنى وفعلا نجح نور الدين محمود بعد جهود حربية وسياسية في الاستيلاء على دمشق سنة ١١٥٤م ثم على مصر سنة ١١٦٩ م وسرعان ما سقطت الخلافة الفاطمية المتداعية بعد ذلك بعامين وبذلك لم يمت نور الدين محمود سنة ١١٧٤م إلا بعد أن حقق حلمه الكبير في اقامة جبهة اسلامية متحدة في الشرق الأدنى ، امتدت فعلا من الفرات الى النيل

والواقع أن وفاة نور الدين محمود شكلت نقطة تحول خطيرة في تاريخ منطقة الشرق الأدنى ، لا لأنها حرمت الجبهة الاسلامية من جهود رائدها وبطلها فحسب ، بل لأنها مهدت الطريق لظهور صلاح الدين على مسرح الأحداث ذلك أن نور الدين محمود لم يترك من الأبناء الذكور إلا صبيا صغيرا ، لا يدرك الأبعاد الحقيقية لسياسة أبيه الراحل ، مما جعله ألعوبة في أيدي كبار أمراء الدولة النورية ولم يتردد بعض هؤلاء الأمراء في سبيل تحقيق مطامعهم والتغلب على خصومهم ، في

الانفصال سرا بالصليبيين وعندما سمع صلاح الدين - وهو بمصر - بذلك « استصغر أمر أهل الشام وعلم ضعفهم » على قول أبي شامة ثم أعلنها صلاح الدين في صراحة « لو استمرت ولاية هؤلاء القوم تفرقت الكلمة وطمع الكفار في البلاد »

ومن هذا المنطلق - وحرصا على استمرارية سياسة الجهاد - اعتبر صلاح الدين نفسه المرشح الوحيد لأن يرث سيده نور الدين محمود ، لا في ممتلكاته ونفوذه الممتد من الفرات الى النيل فحسب ، بل أيضا في سياسته البعيدة التي اتخذت من وحدة الصف وسيلة للجهاد في سبيل الله وقد وجد صلاح الدين في مصر ركيزة قوية يمكنه أن يعتمد على امكاناتها البشرية والمادية ، ومنها خرج الى بلاد الشام معلنا « إننا لا نؤثر للاسلام وأهله إلا ما جمع شملهم وألف كلمتهم » وكان أن قضى صلاح الدين الثلاثة عشر عاما السابقة على حطين (١١٧٤ - ١١٨٧) في عمل دائب ، استعدادا لليوم الموعود ، يوم حطين

فحينا هو في مصر يعمل على تحصينها وبناء القلاع والأسوار لحماية عاصمتها وثغورها تحسبا من أي هجوم صليبي عليها وأحيانا هو في الشام واقليم الجزيرة يضرب على أيدي الأمراء الانفصاليين الذين أعمتهم مصالحهم الخاصة عن رؤية الصالح العام وبين هذا وذاك تراه يختلس بعض الوقت لاعادة تنظيم دولته الواسعة مستعينا بأبنائه واخوته وأبناء اخوته ، ليجعل منها جهازا واحدا متكاملا يمكنه الاعتماد عليه عند مواجهة الخطر الصليبي

وفي خضم هذه المشاكل الداخلية ، لم يهمل صلاح الدين أمر الصليبيين بالشام ، فحرص على أن يوجه اليهم ضربة بين حين وآخر ، تارة في شمال بلاد الشام وأخرى في جنوبها ، ليشعرهم بقوته ويزيل من نفوسهم الوهم بأن المسلمين قد ضعف أمرهم بعد وفاة نور الدين محمود على أن تصرفات صلاح الدين تجاه الصليبيين اتسمت بالذكاء

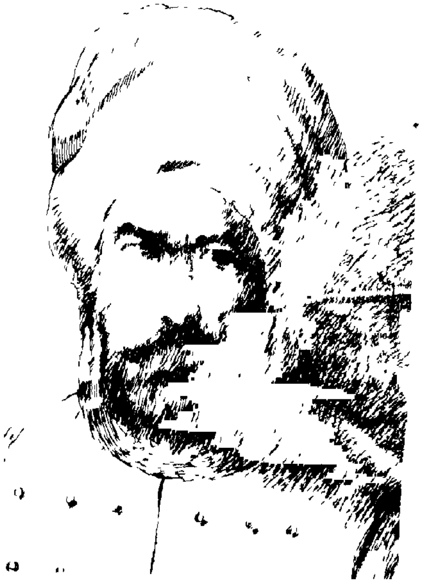

والحرص الشديدين ، فتجنب خوض معركة فاصلة كبرى معهم ، قبل أن يعد للأمر عدته ، ويستكمل بناء جبهته الداخلية لذلك نراه يوجه ضربة خاطفة الى الصليبيين يردفها بهدنة أو اتفاقية وهكذا حتى استكمل استعداداته ، وعندئذ رأى أن « ينصرف بكليته الى الفرنج »

في الجانب الآخر

ولكن ، اذا كانت السنوات السابقة على حطين قد شهدت في الجبهة الاسلامية يقظة ونشاطا وجهودا مكثفة لجمع الشمل والاستعداد معنويا وماديا للمعركة الفاصلة ، فإن نفس الفترة شهدت خللا واضحا في الجهاز الصليبي ببلاد الشام

ذلك أن عموري الأول ملك بيت المقدس القوي ، الذي غزا مصر عدة مرات بين سنتي ١١٦٣م ، ١١٦٩م والذي صمد صمودا شجاعا في مواجهة خطر نور الدين محمود هذا الملك الصليبي لم يلبث أن توفي في ١١ يوليو سنة ١١٧٤ أي بعد وفاة نور الدين محمود بقرابة شهرين من

وقد جاءت وفاة عموري الأول بمثابة كارثة كبرى حلت بالصليبيين في الشام ذلك أن ابنه بلدوين الرابع ـ الذي خلف أباه في عرش المملكة الصليبية ـ كان صبيا قاصرا مصابا بداء الجذام، مما فتح باب التنافس على مصراعيه بين كبار الأمراء الصليبيين لتولي منصب الوصاية ـ على المملكة وملكها المريض. والحق أن بلدوين الرابع رغم مرضه العضال لم تنقصه العزيمة والجرأة في مواجهة خطر صلاح الدين الذي أخذ يتفاقم يوما بعد آخر ولكن حالته الصحية المتدهورة كثيرا ما حالت بينه وبين تحقيق ماكان يأمل في تحقيقه من آمال، الأمر الذي جعله يقتنع سنة ١١٨٠ بعقد هدنة مع صلاح الدين

وكان المفروض أن يحترم أفصال الملك هذه الهدنة، ولكن أحد هؤلاء الأفصال ـ وهو أرناط أمير شرقي الأردن ـ استغل موقع إمارته في شن غارات غادرة على قوافل المسلمين المتجهة إلى الحجاز ومنه

لقد أقدم هذا الأمير ـ الذي اشتهر بهوسه وغدره ونقضه للمواثيق والعهود ـ على عمل طائش سنة ١١٨٢ ـ ١١٨٣، استهدف مهاجمة المدينة المنورة ونبش قبر الرسول عليه الصلاة والسلام وعلى الرغم من أنه فشل في تحقيق هدفه، إلا أن تصرفه أثار حنق المسلمين جميعا. فأرسل صلاح الدين إلى ملك بيت المقدس المريض يحتج على ما قام به فصنه، ويذكره بالهدنة القائمة بين الطرفين ولكن الملك لم يستطع ردع فصنه، بل لقد أعلن أرناط في صراحة أن وضع الملك جدير بالعطف وليس بالاحترام !!

وفي حوادث التنافس بين كبار الأمراء حول الفوز بالوصاية على المملكة وملكها العاجز المريض، برز اسم ريموند الثالث أمير طرابلس بوصفه أقوى أمراء الصليبيين ببلاد الشام ولكن تخوف حاشية الملك من ذلك الأمير القوي جعلهم يدسون له عند بلدوين الرابع، فاختار الأخير جاي لوزجان زوجا لشقيقته الأرملة سيبل، وأردف ذلك بتتويج بلدوين الخامس الطفل ـ ابن الأميرة سيبل من زوجها الأول ـ ملكا على مملكة بيت المقدس في حياة خاله بلدوين الرابع ولم يلبث أن توفي الملك المريض بلدوين الرابع سنة ١١٨٥م، ومن بعده لحقه الملك الصغير بلدوين الخامس في العام التالي. مما مهد لمؤامرة شارك فيها بطريرك بيت المقدس وانتهت بتتويج جاي لوزجان وزوجته سيبل ملكين على مملكة بيت المقدس الصليبية

شرخ عميق

ولا شك في أن هذا التطور الخطير الذي حدث قبل حطين بعام واحد أصاب الجبهة الصليبية بشرخ عميق. لأنه حرم الصليبيين من جهود ريموند الثالث أقوى أمراء الصليبيين بالشام من ناحية. فضلا عن أنه جعل على رأس المملكة ملكا ضعيفا معروفا بالتردد هو جاي لوزجان من ناحية أخرى

وكان الصليبيون في تلك المرحلة في أشد الحاجة إلى مسالمة صلاح الدين. فجددت المملكة سنة ١١٨٥ ـ بعد وفاة بلدوين الرابع مباشرة ـ الهدنة مع صلاح الدين ولكن أرناط أمير الكرك أثبت أنه لا يلتزم بقرارات الدولة، وأن سلطته تمثل دولة داخل الدولة، فاستمر يواصل عدوانه على قوافل المسلمين، غير دار بما غدت عليه الجبهة الإسلامية، بزعامة صلاح الدين من تماسك وقوة

وزاد من حرج موقف الصليبيين تفاقم الخلافات يوما بعد يوم بين مملكة بيت المقدس من ناحية وأميري طرابلس وأنطاكية من ناحية أخرى

أما عن ريموند الثالث أمير طرابلس فلم يستطع صبرا على الجرح العميق الذي أصاب كبرياءه نتيجة لاستبعاده وتتويج جاي لوزجان ملكا على بيت المقدس وفي موجة غضبه، اتصل ريموند الثالث فورا بصلاح الدين، وانتمى إليه، واعتضد به، وطلب منه المساعدة على بلوغ غرضه من الفرنج ففرح صلاح الدين والمسلمون بذلك، ووعده

بالنصر ، وذلك على قول المؤرخ المعاصر ابن الأثير « وفعلا بادر صلاح الدين بإمداد ريموند بمعونة عاجلة ، مما أنذر بصدام سريع قاتل بين أمير طرابلس وملك بيت المقدس ، لولا وساطة بعض الأطراف . ومع ذلك فإن ريموند لم يهدأ ، وإنما حافظ على علاقاته بصلاح الدين ، وقويت مناصحته للمسلمين وباين أهل ملته ، وبث السرايا في بلادهم » . واتخذت اتصالات ريموند الثالث بالمسلمين طابعا علنيا مكشوفا ، حتى أن بعض المعاصرين ظنوا أن هذا الأمير الصليبي قد اتجه إلى الإسلام . وفي ذلك يقول المؤرخ المعاصر أبو شامة « التجأ القمص (ريموند أمير طرابلس) إلى ظل السلطان (صلاح الدين) فصار له من جملة الأتباع ، فقبله السلطان وقواه وشد عضده بإطلاق من كان في الأسر من أصحابه فقويت مناصحته للمسلمين ، حتى كاد لولا خوف أهل ملته يسلم [١] » .

عيون على العدو

وزاد موقف الصليبيين سوءا في تلك المرحلة السابقة مباشرة على معركة حطين ، أن أمير أنطاكية وقف هو الآخر - بالاشتراك مع زوجته - موقفا معاديا من المجتمع الصليبي ببلاد الشام . وكانت الكنيسة في أنطاكية قد اتهمت بوهيموند الثالث أمير أنطاكية باتخاذ أكثر من زوجة في وقت واحد ، وهي تهمة خطيرة عوقب عليها بتوقيع قرار الحرمان عليه . ولكن بوهيموند الثالث لم يرضخ ، وأعلن عداءه ليس للكنيسة فحسب ، بل للمجتمع الصليبي بأكمله .

أما زوجته الأخيرة - واسمها سيبل - فقد عبرت عن نقمتها على الكنيسة وعلى المجتمع الصليبي بالاتصال سرا بصلاح الدين ، وإطلاعه على خطط الصليبيين وتحركاتهم أولا بأول . وذلك في فجر يوم حطين . ويؤكد المؤرخ المعاصر ابن الأثير هذه الحقيقة فيقول إن أميرة أنطاكية « كانت تراسل صلاح الدين وتهاديه ، وتعلمه كثيرا من الأحوال التي يؤثر علمها » .

أما أبو شامة فيقول « وكانت امرأة إبرنس أنطاكية - وتعرف بدام (مدام) سيبل في موالاة السلطان ، عينا له على العدو ، وتهاديه وتناصحه ، وتطلعه على أسرارهم . والسلطان يكرمها لذلك ، ويهدي إليها أنفس الهدايا » .

وهكذا دخل الصليبيون معركة حطين ممزقي الشمل ، منقسمين على أنفسهم ، في الوقت الذي خاض المسلمون تلك المعركة صفا واحدا كأنهم بنيان مرصوص ، تحت زعامة قائد وصفه معاصره وكاتب سيرته ابن شداد بأنه « من عظماء الشجعان ، قوي النفس ، شديد البأس ، عظيم الثبات ، لا يهوله أمر . هجر في محبة الجهاد في سبيل الله أهله وأولاده ، ووطنه وسكنه وسائر بلاده ، وقنع من الدنيا بالسكون في ظل خيمة ، تهب بها الرياح ميمنة وميسرة » .

على أن عظمة صلاح الدين - بطل حطين - لا تبدو فقط من خلال شجاعته ومثابرته على الجهاد وإيمانه بأهداف عليا يعمل لتحقيقها ، وإنما أيضا في بعد نظره وحسن تصرفه في الأزمات . وهي الأمور التي تبدو بوضوح في الاستراتيجية التي وضعها لمعركة حطين وفي الأسلوب الذي وجه به دفة هذه المعركة . ففي معركة حطين بالذات تجلت عبقرية صلاح الدين العسكرية أعظم ما تكون . بحيث إننا إذا أردنا أن نعلل للنصر الكبير الذي أحرزه المسلمون في حطين ، فإن هذا التعليل لا يكون إلا بثلاثة أسباب : أولها روح البطولة والفداء التي تحلى بها مجاهدو الإسلام تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وثانيها حالة التمزق والانقسام والتفكك التي سادت جبهة الصليبيين في حطين ، وثالثها شخصية صلاح الدين القائد الملهم ، ومهارته في تحديد المكان والوقت المناسبين للمعركة ، والأسلوب السليم الذي تدور به المعركة

ذلك أن صلاح الدين ما كاد يقرر الدخول في معركة فاصلة مع الصليبيين بعد أن استكمل استعداداته من جهة، واستبد به الغضب من تصرفات أرناط من جهة أخرى - حتى وضع خطة تستهدف استدراج الجيوش الصليبية التي احتشدت في صيف ١١٨٧ عند صفورية - قرب الناصرة - لتتجه اليه حيث حشد قواته على مقربة من طبرية، عاصمة اقليم الجليل وكان هدف صلاح الدين من ذلك هو أن يقطع الصليبيون مسافة طويلة في ظروف طبيعية شاقة، بحيث يصلون الى المسلمين بعد أن يكون قد استبد بهم الاعياء في الوقت الذي يختزن المسلمون جهودهم وطاقتهم للمعركة ولكي يضطرهم صلاح الدين الى ذلك بدأ بمهاجمة طبرية في مطلع شهر يوليو ١١٨٧م، وعندئذ ثارت ثائرة الصليبيين «وغاظ ذلك الفرنج» فشرعوا في الزحف في اتجاه طبرية لانقاذها وسط ظروف بالغة السوء بسبب انحطاط روحهم المعنوية من جهة فضلا عن حرارة الجو وقسوة الطريق مع ندرة الماء من جهة أخرى

جاءنا ما نريد

وعندما سمع صلاح الدين بأن الصليبيين قد شرعوا في الزحف تجاهه، أدرك نجاح خطته، وقال «جاءنا ما نريد» ثم تحرك قليلا على رأس قواته حتى رابط عند قرية حطين غرب طبرية، وهي قرية غنية المرعى وفيرة الماء وبعد جهد كبير وصل الصليبيون الى «سطح جبل حطين» المشرف على سهل حطين، وكان وصولهم يوم ٣ يوليو، وهو يوم وصف في المصادر بأنه من أيام الصيف الشديدة الحرارة الراكدة الهواء أما سطح جبل طبرية فالمقصود به هضبة واسعة تشرف على سهل حطين، وترتفع عن سطح البحر نحوا من ثلاثمائة متر، وللهضبة قمتان مرتفعتان، مما جعل العرب يطلقون عليها اسم «قرون حطين» وبوصول الصليبيين الى تلك الهضبة كان قد «استبد بهم العطش» فقضوا ليلتهم فوق الهضبة يئنون، وعلى مقربة منهم - أسفل الهضبة على مسافة غير بعيدة من بحيرة طبرية ومائها الوفير - رابط المسلمون «وقد اكثروا من التكبير والتهليل طوال ليلتهم»

وفي خلال الليل أخذ الهواء يتحرك فرأى صلاح الدين «أن الريح على الفرنج» فأمر باشعال النار في الأعشاب والأشواك التي تكسو الهضبة، فحمل الهواء الدخان وحرارة النار الى أفواههم الملتهبة من العطش، فبلغوا - وهم أهل التثليث - من نار الدنيا ثلاثة أقسام في الاصطلاء والاصطلام نار الضرام (حريق الأعشاب) ونار الاوام (العطش)، ونار السهام » على قول المؤرخ ابي شامة

وعندما أشرقت شمس يوم السبت ٤ يوليو، وجد الصليبيون أنفسهم فوق الهضبة محاصرين بجيوش المسلمين التي استغلت فرصة الظلام لتحيط بهم «احاطة الدائرة بقطرها» وهكذا بدأ الهجوم الاسلامي الكبير الذي اتصف بروح الفدائية والرغبة في الاستشهاد في سبيل الله ذلك أن المجاهدين المسلمين أدركوا (أن من ورائهم الأردن ومن بين أيديهم بلاد العدو، وانهم لا ينجيهم إلا القتال والجهاد» ولذا استماتوا في القتال بروح عالية، ولا نداء لهم إلا عبارة «الله أكبر، الله أكبر»

أما الصليبيون فقد أيقنوا - بعد فوات الأوان - أنهم وقعوا في الشرك الذي نصبه لهم صلاح الدين،

فحاولوا الافلات وهم في حالة بالغة السوء من الانهاك والعطش ، ولكن « أحدثهم سهام المسلمين وكثر فيهم الجراح وقوى الحر ، وسلبهم العطش القراء » على قول المؤرخ ابن واصل

ولم يبق أمام الصليبيين من عاصم إلا قمة الهضبة ، فأووا الى جبل حطين ليعصمهم من البلاء وعندئذ أحاط بهم المسلمون وظلوا يطاردونهم من أسفل ، والصليبيون يتراجعون في اتجاه قمة الجبل وفي تلك الأثناء سقط أسقف عكا قتيلا ، ووقع من يده صليب الصلبوت أو الصليب الأعظم الذي كان يحمله ، فاستولى عليه المسلمون « وكان ذلك من أعظم المصائب عليهم وايقنوا بعده بالقتل والهلاك » ومازال « القتل والأسر يعملان في فرسانهم » حتى انتهى أمر الجيش الصليبي بأكمله بين قتيل وأسير » « فمن شاهد القتلى قال ما هناك أسير ، ومن عاين الأسرى قال ما هناك قتيل » على قول صاحب كتاب الروضتين

وكان من جملة الأسرى جاي لورجان ملك بيت المقدس ، وأرناط صاحب حصن الكرك ومقدم جماعة الداوية ، وغيرهم عدد كبير من كبار الفرسان

الحساب

أما صلاح الدين فقد صلى صلاة الشكر « على هذه النعمة » ، ثم أمر باحضار ملك الفرنجة وأمرائهم فاستقبلهم استقبالا حسنا ، وأجلس الملك الى جانبه وعندما لاحظ صلاح الدين أن الملك « قد أهلكه العطش » أمر له بإناء من ماء مثلوج ، فشرب منه جاي حتى ارتوى ، وأعطى ما تبقى لارناط فشرب وعندئذ غضب صلاح الدين لأنه كان قد نذر على نفسه أن يقتل ارناط إذا وقع في يده ولهذا صاح مشيرا الى ارناط « ان هذا الملعون لم يشرب الماء باذني فيناله أماني » ويفسر المؤرخ المعاصر - القاضي ابن شداد - ذلك بأنه « كان من عادة جميل العرب وكرم أخلاقهم ان الأسير اذا أكل أو شرب من ماء من أسره ، أمن بذلك » ثم التفت صلاح الدين الى ارناط وذكره بجرائمه وغدره بالمسلمين ونقضه للعهود والمواثيق « وقرعه بذنوبه وعدد عليه غدراته » وكان أرناط قد غدر مرة بقافلة اسلامية ، وأسر رجالها ، وصاح فيهم قبل أن يقتلهم جميعا « قولوا لمحمد يخلصكم » فما كان من صلاح إلا أن ذكّر أرناط بهذه الواقعة ، ثم صاح فيه الآن انتصر لمحمد صلى الله عليه وسلم » وهوى صلاح الدين بسيفه على ارناط فأطاح برأسه ، وجاء ذلك « وفاء بنذره » حسبما ذكرت المصادر المعاصرة

ويبدو أن قتل ارناط بتلك الكيفية أفزع الملك جاي لورجان ، فظن أن دوره قريب ، ولكن صلاح الدين هدأ من روعه ، وقال له « لم تجر عادة الملوك أن يقتلوا الملوك ، أما هذا فقد تجاوز حده ، فجرى عليه ما جرى »

ولم يلبث صلاح الدين بعد فترة أن أطلق سراح الملك الصليبي جاي لورجان وأعتقه فلقب في المصادر العربية باسم « الملك العتيق »

ومرة أخرى ظهرت سماحة صلاح الدين وكرم أخلاقه في حسن معاملته للأسرى - وهم أعداد غفيرة - فسيقوا جميعا الى دمشق حيث سجن الأمراء وكبار الفرسان

هذه هي معركة حطين ، لقد كانت أكبر من مجرد نصر حربي ، انها مدرسة في فنون الحرب والسياسة والأخلاق ، فضلا عن كونها نقطة تحول خطيرة في التاريخ لذا كانت فرحة المسلمين بذلك النصر عظيمة ، فأقيمت الصلوات في مساجد الاسلام شكرا لله ، وانشد الشعراء القصائد يحيون فيها يوم حطين ومن ذلك قول العماد

يا يوم حطين والأبطال عابسة
وبالعجاجة وجه الشمس قد عَبَسَا
رأيت فيه عظيم الكفر محتقرا
معفرا خده والأنف قد تعسا □

الكمأة

.. غذاء فريد !

بقلم د. حسين العروسي

« فطر ينمو بريا وهو بسيط في تكوينه وتركيبه ، الا انه يتميز بمذاق طيب لايضاهيه فيه مذاق نبات أو حيوان »

توجد بالقرب من سطح الأرض أجسام متكورة ، لا هي من النباتات المعروفة ، ولا هي من حيوانات الأرض ، ولا هي من صخورها أو تربتها .

أجسام ذات رائحة حميمة ، لها جاذبية ونكهة خاصة محببة الى النفس ، وطعم فريد لايجاريها فيه نبات أو حيوان ، تسمى هذه الأجسام الكمأ وتسمى أيضا الفقع

جاء في لسان العرب أن الكمء نبات ينقض الأرض فيخرج كما يخرج الفطر ، والحقيقة أن الكمأ نبات ، لكنه يختلف عن غيره من النباتات ، فهو نبات بسيط ، غاية في البساطة ، ليس فيه أعضاء مختلفة وأنسجة متباينة ، ولا تحتوي خلاياه ـ حتى اذا عرضت للضوء ـ على مادة (الكلوروفيل) التي تعطي النباتات لونها الأخضر المميز ، والتي تساعد على اختزان الطاقة الشمسية وتكوين المادة السكرية

ووفقا لما جاء في المعاجم العربية ، فان الفقع ضرب من الكمأ ، وقيل الكمأة هي التي الى الغبرة والسواد أقرب ، والجبأة هي التي تميل الى الحمرة ، والفقعة هي البيضاء ، كما قيل ان الفقع هو الأبيض الرخو من الكمأة ، وهو أردؤها وأسرعها فسادا

تصنف الكمأة في علم النبات ضمن مجموعة الفطريات ، مثلها في ذلك « فطر عش الغراب » الذي يعرف أحيانا بالمشروم ، وكلاهما من الفطريات الشحمية التي يستحب أكلها ، والتي تنمو بريا في الصحاري والبراري والغابات

تختلف الكمأة عن عش الغراب ، فالكمأة كروية تنمو تحت سطح الأرض ، وعش الغراب على شكل مظلة ، تظهر فوق سطح الأرض ، والكمأة تنتمي

الى مجموعة من الفطريات تعرف بالفطريات الأسكية ، في حين أن عش الغراب ينتمي الى مجموعة أخرى تعرف بالفطريات البازيدية

منذ عهد الاغريق والرومان

عرفت الكمأة منذ عهود قديمة ، الا أن طبيعتها كانت مجهولة حتى عهد قريب ، فقد ذكرها الفيلسوف الاغريقي « ثيوفراستوس » الذي عاش قبل ميلاد المسيح بثلاثمائة عام ، وقد اعتقد أن الكمأة تظهر خلال أمطار الخريف ، وبخاصة اذا صاحبتها عواصف رعدية ، وتصبح الكمأة من أفضل الأغذية في الربيع . كما جاء ذكر الكمأة في كتابات « بليني » الروماني الذي عاش في القرن الأول الميلادي مبينا أن الكمأة تنمو بلا جذور ، وأنه تشاهد محاطة بالتربة من جميع الجهات ، ولا يلاحظ حولها سوى خيوط دقيقة . وأنها تنمو في أراض رملية جافة ، تنمو بها شجيرات ، وذكر أيضا أن الكمأة تتميز بألوانها ، فمنها الأسود والأحمر والأبيض ، وأفضلها ما ينمو في شمال افريقيا

وحب الكمأة ليس مقصورا على الانسان ، فهي تجذب كثيرا من الحيوانات والحشرات ، فبعض الخنافس تطير متجهة اليها من بعد يزيد عن خمسمائة متر . وبعض القوارض تسير نحوها من بعد عدة أمتار . وقد استغلت هذه الخاصية في بعض الدول لتحديد أماكن الكمأة وجمعها

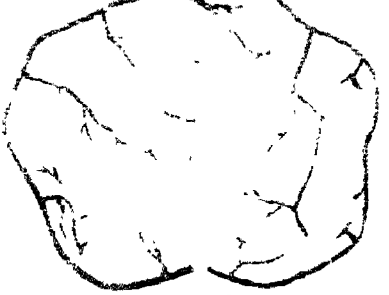

- قطاع في كماة

يهمنا في هذا الحديث كمأة الصحراء التي تظهر في صحارى الدول العربية في أوائل فصل الربيع مع ظهور أعشاب الربيع وزهور الصحراء ، وتتحول أماكن وجودها حينئذ الى متنزهات عامة ، يبحث فيها بعض الناس عن الكمأة ، يجمعونها ويستهلكونها بعد سلقها أو تحميرها أو شيها ، وقد يسوقونها فيحصلون على نقود كثيرة ، تفوق أثمان اللحوم الجيدة الطازجة ، وفي بعض الدول يسوقونها معلبة أو مجمدة أو مقطعة الى شرائح ومجففة

البحث عن عائل

وكمأة الصحراء أنواع متعددة ، ينتشر في دول الخليج والعراق منها نوعان رئيسيان ، كما يعرف « بالزبيدي » ، وهو أبيض اللون وقوامه طري ، وكمأ يعرف « بالجبا » ، ولونه أحمر الى بني داكن ، وقوامه أصلب من « الزبيدي » . وأشهر أنواع كمأة الصحراء هو النوع الافريقي الذي اعتبره الرومان من أفضل أنواع الكمأة ، وقد كانوا يستوردونه من شمال أفريقيا المعروفة حاليا بليبيا . وهو كمأ له غلاف أبيض ومذاق جيد

وقد لوحظ منذ أزمان بعيدة وجود علاقة بين ظهور الكمأة ووجود نباتات معينة قريبة منها ، توجد الكمأة حيث توجد تلك النباتات ، وتختفي الكمأة حيث لاتشاهد تلك النباتات . والعلاقة بينهما علاقة ارتباطية ، فكمأة الغابات يرتبط وجودها بأشجار معينة منها البلوط والزان والبندق ، وكمأة الصحراء - أيضا - يرتبط وجودها بأعشاب معينة ، نذكر منها الرقروق أو الأرقة

بالدراسة والبحث اتضح أن العلاقة بين الكمأة والنباتات المرتبطة بها هي علاقة تكافلية ، يستفيد منها كل من الكمأ والنبات المرتبط به ، فالكمأ يبدأ نشاطه بإنبات جرثومة ميكروسكوبية دقيقة ذات خلية واحدة ، تنبت جرثومة الكمأ عند توافر الماء تحت ظروف حرارية ملائمة ، فتكون نموا خيطيا

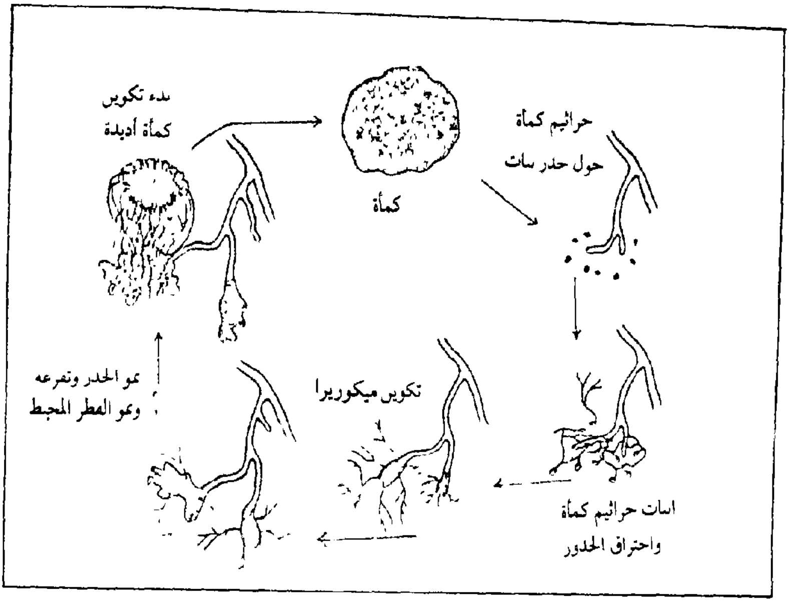

ـ خطوات تكوين كمأة

دقيقا لا يرى الا بعد تكبيره عشرات المرات . ينمو الخيط ويتفرع ، وتتشابك خيوطه مع خيوط نموات أخرى وتتلاحم ، ثم تتجه الخيوط الفطرية بعد ذلك نحو جذور النبات الكفيل ، فتخترق خلاياه ، وتعيش في الطبقات الخارجية لجذوره ، تستمد منها غذاءها ، لتستكمل نموها خارجيا ، تغلف النموات الخارجية نهايات أفرع الجذور بطبقات سميكة من خيوط الفطر ، تعمل كقفاز يحيط بأطراف الجذور مغطية قممها النامية بطول يصل حوالي ملليمترين ، ولا يمنع القفاز الفطري من استمرار نمو الجذر ، فينمو الجذر وتنمو معه الخيوط الفطرية ، وباستمرار النمو يحدث تفريع ثنائي للجذر ، وتستمر احاطة الأفرع الجديدة بخيوط فطرية جديدة ، وهذه العلاقة بين النباتات الراقية والفطر النامي حول جذورها ، دون ضرر على النباتات أو على الفطر ، محدثة حالة من العلاقة ، يستفيد منها كل من النبات والفطر ، وتسمى هذه العلاقة « ميكوريزا » والفائدة العظيمة لفطر الكمأة المكون عن طريق علاقة « ميكوريزا » مع النبات الكفيل هي أنه يزيد كثيرا من السطوح الماصة على الجذر ، حيث تمتص الخيوط الفطرية المحيطة بأطراف الجذور الماء والمواد المعدنية من محلول التربة ، وتقوم بتوصيلها الى النبات ، ويستفيد فطر الكمأة من النبات بالحصول منه على احتياجاته من المواد العضوية التي يصنعها النبات ، ولا يستطيع الفطر تكوينها ، كما أن فطر الكمأة كثيرا ما يكون بعض المواد المنشطة لنمو النبات الكفيل .

وبعد فترة من حدوث تلك العلاقة التكافلية بين النبات الراقي وفطر الكمأة ـ تلك العلاقة التي قد تستمر عدة سنوات ، تحت ظروف بيئية معينة ـ ينمو الفطر المتكافل مع النبات نموا خارجيا بعيدا عن القفاز المحيط بالطرف الجذري ، ويكون نموا غزيرا كثيفا مندمجا ، ثم ينضج فيعطي جسما ثمريا ، وهو الكمأ الذي نأكله ، وينتج عن النبات الواحد كمأ كثير

يحتوي كمأ في داخله على آلاف من الجراثيم التي عند انتشارها قد تحدث علاقات تكافلية جديدة مع نفس النبات أو مع نباتات أخرى ، لأن الكمأة مدفونة في التربة ، ولأن جراثيمها تتكون بداخلها ، فإن الحشرات والحيوانات المنجذبة اليها بفعل الرائحة والنكهة تفيد في عملية الانتشار ، وخاصة أن جراثيم الكمأة تمر خلال القناة الهضمية حية غير مهضومة

محاولات استزراع

جرت محاولات عديدة لزراعة الكمأة ، بعد أن عرفت العلاقة بين الكمأة والنباتات الكميلة ، وقد تمكن الفرنسيون منذ عشرات السنين من زراعتها ، الا أن زراعة الكمأة ليست بالزراعة العادية ، اذ يجب أن تسبق بزراعة النباتات الكميلة ، فزراعة كمأة الغابات يسبقها زراعة أشجار البلوط أو الزان أو البندق أو القسطل أو غيرها من النباتات الكميلة ، وبعد نجاح زراعة الشجر تنثر في التربة تقاوي الكمأة ، وهي أجزاء من كمأة سابقة ، ويمكن الحصول على محصول من الكمأ بعد فترة تتراوح ما بين ست سنوات إلى عشر من تاريخ الزراعة ، وتستمر في اعطاء محصول سنوي لمدة تزيد على عشرين عاما

أما بالنسبة لزراعة كمأة الصحراء فلم يسبق لأحد أن قام بها ، فذلك يحتاج الى دراسات خاصة ، تشمل تحديد النباتات الكميلة ، والتأكد منها عن طريق فحص جذور النباتات التي يغلب وجودها قريبا من الكمأة ، ويتم ذلك ظاهريا « وميكروسكوبيا » ، ومقارنتها بجذور نباتات من نفس النوع في مناطق خالية من الكمأة ، كما تشمل الدراسة التعرف على ظروف ظهور الكمأة التي يعتقد أن منها سقوط أمطار مصحوبة برعد في فصل الخريف ، وبخاصة في نوء الغفر (من أنواع الوسم خلال شهر نوفمبر) ، وتقدر الفترة بين سقوط الأمطار والحصول على الكمأة بحوالي شهرين الى ثلاثة أشهر ، كذلك يجب أن تشمل الدراسة أنواع التربة التي تظهر فيها الكمأة في مناطقها المختلفة ، لمعرفة أفضلها ،

وبعد اتمام تلك الدراسات وتحديد النباتات الكميلة والظروف الجوية والأرضية المناسبة تبدأ تجارب الزراعة ، فتختار أرض ملائمة لنمو الكمأة ، وتفضل الأراضي التي ظهرت بها الكمأة ، ثم تزرع بالعشب أو الأعشاب الكميلة للكمأة ، ثم بعد نجاح زراعة العشب تنثر في التربة - بجوار العشب النامي - قطع من الكمأة من الأنواع الجيدة المفضلة ،.ويجب ري التربة في حالة عدم سقوط الأمطار بكمية من الماء كافية ، وفي الوقت المناسب لنمو العشب وإنبات جراثيم الفطر وحدوث العلاقة التكافلية ، ويجب العناية بالنباتات بالري والتسميد ، ويمكن اجراء تجارب مختلفة على ذلك ، مع فحص جذور بعض النباتات للتأكد من حصول العلاقة التكافلية مع الجذور

ومن مميزات زراعة الكمأة أننا يمكننا في حالة نجاحها الحصول على محصول جيد سنويا ، كما يمكننا أن نحدد الصنف المرغوب ذا القيمة التسويقية العالية

وفي ختام هذا الحديث نذكر نبذة مختصرة عن القيمة الغذائية لكمأة منطقة الخليج ، فقد وجد أنها تحتوي على ماء مقداره (٧٥ـ٨٠/) من وزنها ، وأن نوع الزبيدي أكثر ماء من نوع (الخبا) ، وأن أهم مكوناتها هي البروتين ، حيث تحتوي على بروتين بنسبة (١٦ـ١٩/) من وزنها الجاف ، و (الزبيدي) أكثر بروتينا من (الخبا) وبالنسبة لمحتوى البروتين من الأحماض الأمينية ، فكلا النوعين غني بالأحماض الأساسية ، لكن الزبيدي يتفوق في كافة الأحماض الأمينية أما « الارجنين » « والليسين » فالغني بها هو الخبا

وعموما ، فالكمأة غذاء فريد ، لا ننشده أساسا لقيمته الغذائية ، لكن لرائحته ، ونكهته وطعمه ، وقد جعله ذلك يحتل موضعا ممتازا على المائدة □

العربي - العدد ٣٤٤ - يوليو ١٩٨٧

قصة قصيرة

علاقة غريبة

بقلم رجب سعد السيد

حرص طيلة الطريق إلى المطار على أن يتحاشى أي إشارة إلى الموضوع ، وأنا كنت في حالة من الصمت الكئيب ، فكّرت قليلاً في زوجتي وصغيرتي ، غادرتهما منذ دقائق ، وإلى أمد قد يطول شهوراً ، وعدت أفكّر في احتمال أن يخدعوني - إذا تحققت الوساوس - معهم مرة ثانية ، بعد ساعات قليلة ، وقد نجح مشروع السفر ، ومع التفكير في هذا الاحتمال تعود الوسوسة ، والتفت إلى أحمد حسن ، فوجدته خلف عجلة القيادة ، ممعناً في مراقبة الطريق شبه المظلم ، يلحظ صمتي الطويل القلق ، ولايفعل شيئاً سوى رفع قبضته اليمنى التي يبرز منها الإبهام إلى أعلى ، ويذبذب - كيفما اتفق - في ثقة

قد أبدو شريراً ، أو على الأقل ناكراً للجميل حين أكاشف نفسي بأني لم أعد أتقبله ، أو أن أشعر بأن وجوده - معظم الوقت - صار ثقيلاً ، إني أنسى كل شيء حين يملؤني ذلك الشعور ، وأنسى - ليس فقط جهوده غير العادية لإنجاح مشروع السفر - بل أنسى - أيضاً - تاريخنا المشترك منذ المرحلة الابتدائية ، ولا أرغب - حين يداهمني ذلك الشعور - إلا في التخلّص من وجوده بوطأته الثقيلة ، تماماً مثل شعوري الآن وأنا أنظر إليه وهو يدفع قبضته الواثقة إلى الأمام بإبهامها المشرع

لا بد أنه يشعر بكل ذلك ، فهو يعرفني جيداً ، ويعرفني كمعرفتي به ، فهو لا ينقصه ذكاء ، بل إنه من أهم سماته ، وإلا لما نجح في توسيع أعمال والده ، حين تسلم منه شركة المقاولات المحدودة ، ليحيلها إلى مجموعة شركات ، ترتفع أسهمها في السماء يوماً بعد يوم

هل كانت محاولته في سهرة الأمس إشارة إلى هذه العلاقة الغريبة ؟

وانتابني نفس الشعور غير المريح ونحن نجلس في منزله الفخم ، أنا وهو وزوجتانا ، نتسامر بعد العشاء الشهي ، ومظاهر الكرم التي بهرت زوجتي

بدأ أولاً بإثارة اقتراحه القديم ، بتقديم البديل عن تجربة السفر للعمل في الخارج ، وهو أن أساعده في بعض أعماله ، كمصدر إضافي للدخل يعينني على تحقيق مشروعي الوحيد المأمول ، وهو الحصول على مسكن مناسب

قال إنه بالرغم من مسايرته لي ، وبالرغم من كل السعي الذي فعله من أجلي ، فهو غير موافق على فكرة السفر التي ستكون [illegible] ، وقال إن البلد - كما يتوقع - ستشهد - خلال عقد الثمانينيات الذي بدأ الآن - مرحلة [illegible] (الانفتاح [illegible] بنا عزيزي) ، وساق تشبيهه [illegible] : (إن [illegible] هابطة [illegible] ، والشاطر من يجعل نفسه [illegible] ولا يفكر في مواجهتها)

لم يكن رأيه جديدا عليّ ، وهو يعرف موقفي جيدا وأدهشني تشبيهه الحديد ، فهو يدل على ثقافة ، فقد حماسه لها منذ سنوات

ولم أفلت الفرصة ، بل أشرت إلى [illegible] الحديدة في قاموسه اللغوي .

فقال لك أن تتهكم كما تشاء ، لكنه الواقع

قلت . وأنا أعرف ، لذلك أرفضه

قال لذلك تهرب

قلت . لن نختلف في التسميات ، لكني لن أسهم في تكريس هذا الواقع ، ولن أصبح سنّا في [illegible] « تروسه »

وتوقفت لاحتدامي

عند هذا [illegible] وجاتنا ، فتركناها تثرثران وتلوكان الفستق المملح ، ومضينا إلى شرفة متسعة ، وجلسنا ندخن ، وعرض علي واحدة من سيجاراته المعلبة ، فرفضتها شاكرا ، مكتفيا بسجائري ، فقال ليسبر غوري :

- (لا أظنك تضم كل المستفيدين من الحال الراهنة بالخيانة !) .

وهنا يقترب من حقل الألغام الذي يفصل خطوطي عن خطوطه

- (لا أحد يملك أن يدين الآخرين ، وحتى إن فعل ذلك فما الجدوى؟ نحن في حال من الانفرادية الشديدة ، فكل منا كجزيرة قائمة بذاتها [illegible] في دفاعاتها ضد الأمواج ، وتسعى لاستثماراتها الخاصة ، هكذا أصبحنا)

- (ما زلت عند تساؤلي)

وأمام إصراره على معرفة رأيي في سلوكه كأحد مقاولي الانفتاح بدأت أصارحه

- (لا ضير أن يكون هناك تفاعل إيجابي بالتأثير والتأثر ، في طرق مضاءة ، وبسرعة شرعية)

وأسرع يربط سؤاله بنهاية تصريحي

- هل رأيت لدي ما يوحي بغير ذلك ؟!)

وعمدت إلى زيادة تركيز الجرعة .

- (رأيت رأيتك في وكر المرور سيدا مطاعا .)

وأطلق [illegible] مفاجئة ، جذبت [illegible] وجتينا [illegible] أن عما إذا كان حديث [illegible] انتهى أم لا ، وبدلنا نتبادل النكات [illegible] بتعليقاتها ، وصمت أنتظر أن ينتهي من [illegible] وتوقف الضحك ، وكانت الدموع تسيل من [illegible] وكان يتأوه « آه . . آه » ، لكنه ليس تأوها فقد كان يتنفس بعمق ، ومسح وجهه بكم قميصه الحريري بحركته الطفولية العفوية التي تلازمه ، وقال في تبريره :

- (ياعزيزي ، أنا أعمل في السوق ، وأعيش فيه ،

وإن خرجت منه مت ، أعايشه بكل ما فيه ، بروائحه الطيبة والنتنة على السواء)

- (إلى درجة مصادقة المزورين ؟!)

- (إلى ما يتعدى ذلك من المزورين ، وتجار العملة ، وتجار المخدرات المكشوفين والخفيين ، وغيرهم من القائمة التي تثير غثيانك ، ويخدش مجرد ذكرهم عذرية ضمير الشاعر ، وهؤلاء يا صديقي جزء من المناخ ، بل وأكثر من ذلك ، إنهم قوى محركة فعالة)

وحين زاحمت علامات الاستفهام التي أغلقت أمامي الطريق إلى فهم ملاحظات أخرى حوله وتفسيرها تراجعت ، وخفت أن أكتشف نفسي مفتضحاً بأحقاد دفينة تجاه نجاحه العملي وثرائه المتنامي ، ولملمت شبهاتي ، والتجأت إلى زوايا حميمة من تاريخنا المشترك ، أما هو ، فقد واصل إصراره على المكاشفة

- (أتعرف أني - بالرغم من كل الثروة التي حققتها - أشعر بالنقص وبالخسارة كلما رأيتك ، وخاصة عندما أطالع بعض قصائدك المنشورة ، لقد فقدت أشياء كثيرة في غمرة الصراعات اليومية ، لذلك أحرص على ألا أفقدك ، بالرغم من تباعدك عني ، ولذلك كان فرحي بلحوقك إليّ) .

كنت منكمشا أدخن سيجارة جديدة ، ثم بدأت في الاستجابة الى سيولة تدفق تيار العاطفة ، ودفن الشكوك ، ففسّر صمتي تفسيرا خاطئا

- (أعرفك إنّك تركن الى الصمت حينما ترغب عن القتال ، ولديك القدرة علىٰ اخفاء اسلحتك والتمويه عليها)

- (أنت مخطيء)

- (وأنت ضميري الحي ، ارجو الاّ تتأخّر عن مصارحتي عندما تناقش مع نفسك مدى اساءتي اليك ، حين التجأت معي الى التزوير لتذليل العقبات امام سفرك)

* * *

قادني الى صالة السفر ، وكانت اول مرة أدخل مطارا ، لذلك كانت خطواتي ابطأ من خطواته ، كنت حريصا على متابعة كل شيء بعيني ، وتوقف ، والتفت اليّ

- (الآن ستنفصل بيننا الأسوار ، وكل شيء على مايرام ، انتهت « مأموريتي »)

تعانقنا ، وتركته ودخلت من البوابة الحديدية احمل حقيبتي ، وصرت وحدي ، وعجبت لأن مخاوفي قد زالت عني تماما ، بمجرد ان اجتزت السور الحديدي الى الداخل ، وتحركت بضع خطوات في اتجاه موقع شركة الطيران التي سأركب طائرتها ، وفكرت لحظات ان استمر في سيري دون ان التفت ، وحين التفت وجدته كما توقعته ، ملاصقا للسور ، يتابعني بعينيه ، وحين التقت عيوننا رفع ابهامه ، فابتسمت وواصلت سيري ، وفي سهولة تامة سلمت حقيبتي بعد وزنها ، ثم راجعت اوراقي ، وحصلت على تأشيرة المغادرة ، وتم كل شيء كما وصفه لي احمد خميس بالضبط

جلست مع المسافرين على نفس الطائرة ، في صالة متسعة أنيقة المقاعد ، واستسلمت في البداية إلى الاحساس بخدر الراحة يسري في كل جزء مني ، بالرغم من إرهاق الأيام القليلة السابقة ، ودخنت سيجارة بمتعة حقيقية ، وفقد التدخين متعته في السجائر التالية ، فقد طال الانتظار ، وبدأ المسافرون يتململون ويتناقلون تخوفاتهم من طول تأخر السفر ، ولم يبق لي إلاّ تفحص الوجوه من حولي ، وتوقعت أن أجد نسخا لنفس النموذج الذي أنتمي إليه ، رأيت (الجلباب البلدي) في كل الأركان ، ورأيت مدرسين وفلاحين الطائرة متجهة إلى (مالطا) ، والسؤال الذي يسأله ضابط وثائق السفر - أحيانا للتفكُّه - لماذا تسافر إلى مالطا ؟ ويشترك الجميع في الاجابة للسياحة !! ويشترك الجميع في التغاضي أيضاً

هل يمكن أن يكون كل هذا التأخير بسبب ارتيابهم

في نعص المسافرين ؟ يحكي المسافرون قصصا عن حالات إنزال المسافرين من الطائرة قبيل تحركها ، لقد حكى لي صديق قصة إنزاله من سريره بالسفينة وهو يعادر البلاد من ميناء السويس ، لاشتباه في صحة أوراقه اكتشفه الصابط المختص بعد حصوله على تأشيرة الخروج ومروره

فقدت حالة البرود التي سيطرت علي في طوابير الدخول ، وأخذت الوساوس تعاود اصطرامها وتقافزها ، فالاحتمال الأول أن يكونوا قد قبضوا على المزوّر ، واعترف لهم بكل إنحاراته ، وتم رصد كل تعامل معه ، والاحتمال الثاني أن يكونوا متابعين لمشروع سفري ، ويفتحوا ملفي الدائم لديهم ، وسرعان ما يهبطون لمراجعة أوراقي وفحص قصائدي في حقيبة يدي

ولشدة انصرافي إلى أفكاري المتلاطمة سمعت هتافا باسمي أولا ، قبل أن تلتقط عيناي جيدا صورة الهاتف . كنت أشعر بالوحدة في الصالة المتسعة ، وأتوجس من طاريء موشك مخاتل كان الوجه الذي يقف أمامي مخزونا في ركن قصي من داكرتي ، لكن لم أتذكره إلا بعد أن خبط كتفي محتجا على خيانة الذاكرة

- (الشاعر العظيم عبدالفتاح عبدالجابر ؟)

- (لا ، عبدالماجد)

وأخذني في حضنه بعنف واضح

- (أهكذا تنساني ؟)

- (كم سنة يا رجل ؟ عشر ؟ ثم ، هذا الشارب الكثيف)

- شيء لزوم الشيء !)

وقهقه ، ومضينا نثرثر ، ولاحظت عزوفه عن أي إشارة إلى الشعر الذي بدأناه معا ، وحكى لي قصته حين قرر الرجوع بعد انتهاء إعارته إلى بلد عربي لم يطق الحال ، وقرر العودة ، قلت « عال » سيقودنا انتقاد الأحوال إلى الكلام عن أفكارنا وأشعارنا ، لكنه كان يقصد حال السوق ، والأسعار ، وسعر الدولار ، وثمن الشقة ، والرصيد المتبقي غير المطمئن ، وثمن كيلو اللحم ، ففقدت الأمل في حديث من أحاديث الأمس ، وأمسك بطرف رباط عنقه ، وقلبه ، وسحب من داخل البطانة طرف أوراق نقدية مخبأة وقال

- (هذه هي لغة العصر ياصديقي الدولار)

نفس المفاجأة التي أخذتني حين دخلت مع أحمد خميس وكر التزوير ، ورأيت مختلف الأختام والنماذج المتقنة ، إنها مفاجأة لا تخلو من درجة من البلاهة

- (لكن هذا خطأ ، وأنت تعرض نفسك للمساءلة)

- (أي مساءلة ياعم ؟ هذا شغل ، « شغل على ميه بيضا » ويمور باللذات كل مغامر ، أليس هذا قولكم أيها الشعراء ؟) وضحك وهو يلكزني بكوعه ، فلم أملك إلا أن أضاحكه ، وإحساسي الدفين بالاثم يخف تركيزه نوعا ما ، ووجدت نفسي ربما إمعانا في التخفف من عبء حمل وزر مشاركة أحمد خميس في عمليتنا المشبوهة - أسرّ إليه ، وفمي يكاد يلامس أذنه

- (تصور الظروف تدفعنا إلى أفعال لم تكن على البال ، لقد دلني صديق على مكانٍ أعطاني بطاقة

شخصية أثبت فيها أنني لا أعمل لدى الحكومة ولا القطاع العام ، لأتمكن من مغادرة جهة عملي ، وأسافر دون إذنها !)

وارتفعت ضحكاته ، وسحب حقيبة يده ، وفتحها ، ومد يده ، وأخرج جواز سفره ، وفتحه على صفحة البيانات الشخصية ، وقال

- (إنك لم تر شيئا ، أنظر ، الاسم عبد الفتاح عبد الماجد خير الله ، وأظنك لم تنس اسمي الثالث عبدالله ! ثم ، أنظر المهنة ، « ترزي بلدي » ، والشارب الكثيف كما لاحظت ، وثيقة سفر لا غبار عليها ، لشخص آخر لا تعرفه ، ولا يعرفونه ، لا شيء يستعصي أمام النقود !)

ولما سمعت منه قصصا أخرى تغيرت نظرتي إلى كل الموجودين حولي ، وتهيأ لي أن لكل واحد منهم ما يخفيه ، مثلي ، ومثل عبدالفتاح عبدالماجد خيرالله

ولمعات لكري عبدالفتاح وهو يسألني

- (بالمناسبة .. هل أحضرت معك شهادة خبرة ؟)

- (أي خبرة ؟)

- (خبرة بالتدريس - ألن تعمل مدرسا ؟)

- (طبعا لكني لم أكن أعمل بالتدريس لم أمارسه إطلاقا)

- (هذا لا يمنع أن يكون لديك شهادة خبرة ، فدونها سيعاملونك - ماليا - كالخرّيج الحديث)

ومضى يحسب - بسرعة عجيبة - مقدار ما ستجلبه شهادة الخبرة من علاوة شهرية ، قدرها بالجنيه المصري بمائتين

ونجح في أن يستولي على تفكيري ، ويجعلني مضطربا ، ثم نادما على أنني لم أقابله قبل السفر بمدة كافية ، سألني :

(هل معك عملة كافية ؟)

(ما يكفي للإعاشة في مالطا قبل الحصول على تأشيرة الدخول) .

- (على أي حال سأقرضك المبلغ)

- (أي مبلغ ؟)

- (معي زميل هنا ، لديه شهادة خبرة زائدة ، على بياض ، يطلب في مقابلها خمسين دولارا ، ما رأيك ؟)

ولم ينتظر ردي ، وتركني وسار إلى زميله ، ومال عليه ، فنظر إليّ زميله وابتسم ، وأخرج من حقيبته ورقة أعطاها لعبد الفتاح ، ولكزه عبد الفتاح في كتفه ، وتركه راجعا إلي ، وسلمني الورقة ، وأمرني أن أضعها في حقيبتي بحرص ، وألا أثنيها إلا بعد أن أملأ بياناتها في الطائرة ، ونفذت أمره ، وجلس بجانبي ، وعدنا إلى أحاديث مختلفة قبل أن يكتشف أن زوجته تجلس بجانبنا ، وأنه لم يقم بتعريفي عليها ، وبعد أن أتم التعريف توقفت أحاديثنا ، لحرصي على إيجاد موضوعات مشتركة ، وقد أصبحنا ثلاثة ملت عليه أسأله مبتسما

- (هل زوجتك)

ولم يدعني أكمل ، وبادلني الابتسام

- (صورة طبق الأصل)

وتبادلنا السجائر عدة مرات ، ووجدنا موضوعات عديدة للتسامر ، قبل أن يعلن صوت المكبّر البُشرى إلى ركاب الرحلة بوصول الطائرة ، ويرجوهم التوجه إلى البوابة

سرت مسافة قصيرة قبل أن أصل إلى الحافلة التي ستنقلنا إلى حيث تربض الطائرة في ظلام أرض المطار ، وقبل أن أركب الحافلة التفتّ إلى شرفة المودعين ، حيث توقعت أن أرى في ضوئها الشاحب أحمد خميس يلوح مودعا ، وهو قد يكون الآن في منزله نائما في فراشه الوثير ، وقد يكون أحد الوجوه غير الواضحة الملامح المطلة من الشرفة ، وخيل إلي أن ثمة من يقف في طرف قصي من الشرفة ، يميزه امتداد ذراعه إلى أعلى ، وكأنها تؤكد على الانتصار ، رافعة الإبهام في وجه السماء ، وبدون تردد دفعت بقبضة يدي إلى الأمام ، وإبهامي يضرب في الظلام مرفوعاً مشرعا □

الأبعاد الثقافية للإنجاز الاقتصادي الياباني

بقلم : وحيد عبدالمجيد

« تظل صحيحة مقولة ان الانسان هو محور التنمية وغايتها وأداتها ، ويعد العنصر البشري بذلك أهم كثيرا من الموارد والامكانيات

والعنصر البشري الذي نعنيه هو الانسان ، بكل ما يمثله من نتاج ثقافي وقيمي لمجتمعه ، فاليابان معجزة القرن العشرين نموذج دراسي رائع لاختبار صحة هذه المقولة »

عندما يرد ذكر اليابان في أي حديث يرد الى الذهن - عادة - الانجاز الاقتصادي الكبير الذي حققته خلال السنوات الماضية ، والذي ارتفع بها الى مصاف أكبر قوة اقتصادية في عالم اليوم ، فقد غدت صورة اليابان مقترنة بالتطور التقني المستمر ، وبالانتاج الوفير الذي يغرق أسواق العالم بالمنتجات ، وبهزيمتها الغرب صناعيا في مجال الالكترونيات والسيارات والحديد والصلب بصفة خاصة ، وبالفائض المتزايد في ميزانها التجاري ، وبالارتفاع المستمر لسعر « الين » في مواجهة العملات العالمية ، وبالتوظيف الكامل تقريبا رغم التطور التقني المتسارع ، ورغم العدد الكبير من السكان

هذا الانجاز يعد باهرا بالفعل عندما نأخـ ف الاعتبار الفقر الشديد للجزر اليابانية الأربع الرئيسـ (هوكايدو وهونشو و شيكوكو و كيوشو) في الموار الطبيعية ، فالأرض اليابانية محدودة المساحة (٣٦١ ٧ ألف كيلو متر مربع ، أي ما يعادل ٤٪ فقط من مساحة أمريكا ، وتشغل الجبال ٧١٪ منها) وعديمة فيما يتعلق بالمواد الخام والطاقة ، كما يعيش عليها الآ حوالي ١٢٠ مليونا ، ورغم ذلك تمكن اليابانيون من إعادة بناء اقتصادهم ، بعد انهيار شبه كامل في نهاية الحرب العالمية الثانية ، وحققوا أعلى معدلات للنمـ الاقتصادي في عالم اليوم ، رغم اضطرارهم الى استيراد كل الخامات تقريبا من الخارج ، ورغم أهم

[illegible] على العقدة الغربية العسكرية [illegible] اليابان [illegible]

روح الجماعة

هكذا حقق اليابانيون إنجازا اقتصاديا كبيرا في غيبة الأسس المادية الضرورية المتوفرة لدى دول الشمال بشكل عام، سواء في بلادها أو في مستعمراتها السابقة التي نهبت مواردها، ولذلك تعد اليابان أبرز نموذج لأهمية الدور الانساني في عملية التنمية، فليس من المبالغة القول بأنه لم يتوفر لليابانيين غير قوة عملهم في إطار نظام للحياة، تقف وراءه تقاليد جماعية راسخة منذ القدم

وقد تكونت هذه التقاليد تاريخيا بحكم العزلة الجغرافية التي فرضتها الطبيعة الجزيرية لليابان، لأن بلادهم عبارة عن مجموعة جزر تكاد تكون معزولة على الحافة الشرقية للقارة الآسيوية، نشأ أهلها على عقدة الخوف من المارد الصيني الذي احتل البطن الجنوبي للقارة، وأنشأ حضارة قديمة وإمبراطوريات متتالية، بينما هم صيادون فقراء، ليس في أرضهم مناجم، ولا مساحات واسعة قابلة للزراعة. وهذه الحياة الفقيرة وما صاحبها من خوف خلقت بينهم الارتباط والتعاون وكراهية كل ما هو أجنبي والخوف منه، فتطورت لديهم روح جماعية، تعلي من شأن الجماعة، ولا ترى قيمة للفرد إلا في ارتباطه بها، ولذلك كانت الجماعة والنظام والانضباط من أهم تقاليد الثقافة اليابانية. ومن يخرج عليها تنبذه الجماعة فيجد نفسه في حالة اغتراب وعندئذ يجازي نفسه بالانتحار على طريقة «هاري كاري» اليابانية المعروفة، أي شق البطن بالسيف. ولم تتأثر هذه الروح الجماعية بالتطور الرأسمالي في اليابان الذي بدأ متأخرا في نهاية القرن التاسع عشر، ولا «بالليبرالية» الاقتصادية التي تفرض إطلاق الحريات الفردية والروح الذاتية وإعلاء دور الفرد في

ورغم كثافة حملات التغريب التي تعرضت لها اليابان - وهي في موقف الضعف بعد الحرب الثانية - لم تتراجع الثقافة الجماعية التقليدية أمام قيم «الليبرالية» الاقتصادية التي اضطرت للتكيف مع الطابع الجماعي للشخصية اليابانية، فتطورت الرأسمالية اليابانية كشركات كبيرة أكثر منها كمشروعات فردية، وكان هناك فارق هام من هذه الزاوية بين رأسمالية الشركات اليابانية وبين الشركات الكبرى في الغرب التي تطورت كمشروعات احتكارية، بفعل آليات السوق، لا بحكم الطابع الثقافي، لكن الفارق الأهم يكمن في مضمون العلاقات الاجتماعية داخل الشركات اليابانية، فالعلاقة بين الادارة والعمل تتجاوز علاقة استغلال قوة العمل المعروفة في المشروع الرأسمالي، لتأخذ طابعا مميزا أهم ملامحه الرعاية من جانب الادارة، والانتماء والولاء من جانب العمال، فالعامل يوقع تعهدا اختياريا لا اجباريا عند التحاقه بشركة ما، ينص على أنه سيظل معها طوال حياته العملية، ويختار أكثر من ٩٠٪ من العمال هذا العقد، رغم إمكانية حصولهم على عقد عمل تقليدي لفترة محددة، وهو اختيار يعكس تقاليـ الارتباط بالجماعة التي ظلت صامدة في مواجهة قو السوق. ونواميس الرأسمالية الغربية التي تفر البحث عن العمل الأفضل والأجر الأعلى مقابل ارتباط العامل الأبدي بشركته تلتزم إدار باستمراره في العمل بغض النظر عن أية تطورا تقنية في مجال عمله، وهذا يتيح إمكانية استمر الابتكار التقني دون معارضة من العمال المطمئ على عملهم بحكم التزام الشركة بأن توجد لهم عـ بديلا في حالة حدوث إحلال تقني، وبذلك يصـ العامل مرتبطا بالشركة التي يعمل بها، ويتر شعوره بالانتماء إليها والولاء لها، في الوقت ا

[illegible] العمل الكامل ، [illegible] [illegible] استراتيجية اليابانية ، بما تعكسه له من تسهيلات ، فضلا عن وقوفها بجواره في أوقات الأزمات .

أخلاقيات العمل والادخار :

ولذلك نجد ظاهرة العمل التطوعي في اليابان ، فمن المعتاد أن يستمر العامل في أداء عمله بعد انتهاء أوقات العمل الرسمية ، لشعوره بضرورة الانتهاء من عمل قد بدأه في الصباح ، ودون مقابل مالي ، على عكس قيم المجتمع الغربي فروح العمل التطوعي هذه جنبا إلى جنب مع تقاليد العمل الجماعي،والقدرة الفائقة على العمل كفريق هي السبب في زيادة الانتاجية ، وتحسين نوعيتها باستمرار ، وهذه هي أخلاقيات العمل التي تتميز بالايجابية ، التي تجعل الغياب عن العمل أمرا نادرا ، وإن حدث لا تتجاوز نسبته ١,٥٪ سنويا ، بالمقارنة مع نسبة غياب عن العمل تبلغ ٣,٤٪ في الولايات المتحدة ، و ٧,٧٪ في ألمانيا الغربية ، ٩,٩٪ في ايطاليا

وتكتمل منظومة التقاليد الدافعة للتقدم الاقتصادي عندما تضاف إليها عادات الادخار القديمة في اليابان ، فالثقافة اليابانية التقليدية تتضمن تعظيما لقيمة الادخار ، ورفضا لأنماط الاستهلاك الترفي والتفاخري ، وقد تطورت هذه الثقافة عبر تاريخ طويل من الحياة ، على رقعة ضيقة مجدبة خالية من الثروات الطبيعية ، لكن المدهش أن تستمر راسخة بعد أن تمكن اليابانيون من بناء قاعدة صناعية ضخمة متطورة ، وتمكنوا من تحقيق تفوق اقتصادي عالمي ، غير مسبوق،بالنسبة لدولة تواجه مثل ظروف اليابان ، فظلت لهذا معدلات الاستهلاك الخاص محدودة ، وبقي مستوى الطلب على السلع اليابانية منخفضا ، مما أتاح إمكانيات أكبر للتصدير ، كما أدى انخفاض مستوى الطلب على السلع المستوردة إلى

وتعد من أهم المشكلات التي تواجهها اليابان مع شركائها التجاريين الكبار هذه الأيام ، وعلى الأخص الولايات المتحدة التي يتزايد عجزها التجاري مع اليابان ، فلم يزل استهلاك المواطن الياباني محدودا - مع استثناءات واردة بالطبع - رغم إغراق السوق الداخلية بالسلع ، وتقدم فن الاعلان ، وارتفاع متوسط الدخل الفردي ، فعادة الادخار متأصلة في السلوك الاقتصادي للمواطن الياباني ، مهما كان دخله واسعا أو محدودا ، فلديه نسبة ادخار شهرية ضرورية ، بغض النظر عن مستوى الدخل والالتزامات ، ولذلك تأتي اليابان في مقدمة دول العالم من حيث مستوى الادخار المحلي الذي تصل نسبته إلى ١٨٪ ، مقابل ١١,٣٪ في المانيا الغربية ، و ١١,١٪ في فرنسا ، و ٧٪ في بريطانيا ، و ٥,٢٪ في الولايات المتحدة

العنصرية أيضا :

تسهم الروح العنصرية اليابانية تجاه كل ما هو أجنبي في خفض الطلب على السلع المستوردة إلى أدنى مستوى عالمي ، فاليابانيون لا يحبون إلا الياباني ، ولا يثقون إلا في ما هو ياباني ، بل وينظرون إلى كل ما هو غير ياباني نظرة شك ونفور ، ولم تفلح جهود الحكومة اليابانية - المدفوعة بالضغط الغربي - في إقناع اليابانيين بالاقبال على السلع المستوردة ، بغرض الحد من المشكلات التي يعانيها شركاء اليابان التجاريون بسبب التناقص المطرد في ميزانهم التجاري مع اليابان ، وانخفاض عملاتهم في مواجهة « الين » الياباني ، ومن ضمن هذه الجهود قيام رئيس الوزراء ياساهيرو ناكاسوني نفسه بدعوة مواطنيه لشراء السلع الغربية ، وخفض التعريفة الجمركية على بعض الصنائع الأجنبية ، بل والغائها إلغاء كاملا عن السجائر الأمريكية في أكتوبر الماضي ، ومع ذلك ظل معظم اليابانيين يفضلون سلعهم الوطنية ، ويحجمون عن استهلاك السلع الأجنبية ☐

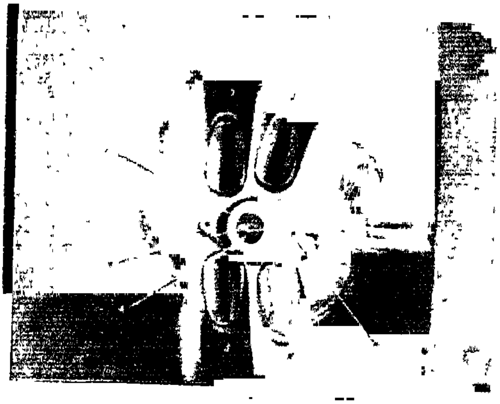

وقفة مع: الكحالين العرب وشيخهم عمار الموصلي

بقلم الدكتورة سرى سبع العيش

يعترف المختصون ممن ألموا بتاريخ الطب وكتبوا عنه أن العطاء العربي لطب العيون كان أبديا وسيبقى منحوتا في كتب التاريخ

ولنا في هذه المقالة وقفة مع ذوي الشهرة من الكحالين العرب، وعلى رأسهم عمار الموصلي

لقد بنى العرب هياكل علومهم الطبية عن الطب الاغريقي، فأخذوا كثيرا عن جالينوس، وجعلوه أستاذهم، وألموا بالقليل من الطب الفارسي والهندي، لكنهم كيفوا الطب حسب حاجاتهم، وأضافوا إليه كثيراً، فأغنوه، وتوسعوا به، واتبعوا طرقهم الخاصة، وأساليبهم العلمية الرصينة، وقاموا بالأبحاث، وتطبيقا لأمانتهم العلمية نسبوا للاغريق كل ما ترجموه عنهم أو أخذوه منهم، وهم الذين أغنوا التراث الاغريقي وخلدوه. وقد نشروا علومهم وثقافاتهم التي كانت هي الأساس القوي للنهضة العلمية والحضارية في أوروبا. لكن علماء الغرب لم يكونوا مثلهم ملتزمين بالأمانة العلمية، فأنكر كثير منهم على العرب فتوحهم الطبية، بل لقد حاول كثيرون منهم التعتي

على الحضارة العربية الاسلامية بعد أن اغترفوا من روائعها، واعتاشوا على فضلها

مع أنه منذ القرن الثاني عشر وحتى القرن السادس عشر كان الرازي وابن سينا العظيمين اللذين فاقا أبقراط وجالينوس احتراما وشهرة في أوروبا، حتى أن دانتي ذكر في ملحمته الملهاة الالهية ابقراط وجالينوس وابن سينا

عن العرب عرف العالم للمرة الأولى الجامعات والمستشفيات والعيادات التخصصية والأطباء الاختصاصيين والاستشاريين. حيث كان تلامذة الطب يتعلمونه نظريا وعمليا من قبل الاساتذة والأطباء. وكان الأطباء وتلامذة الطب يرافقون الجراحين للمستشفيات، ولبيوت المرضى أثناء اجراء العمليات الجراحية

والعرب هم أول من أسس المكتبات العلمية، وجعلها (سبيلا) لمن أراد أن يتعلم أو يسترشد. وهم أول من صنف الكتب في علم الأدوية. وهم اول من أرّخ للطب وللأطباء (عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن ابي أصيبعة)

والحضارة العربية الاسلامية قدمت للعالم - لأول مرة - الكتب الطبية الموسوعية ذات الترتيب المنظم والمنهجي، في حين اقتصرت المؤلفات الاغريقية على المختصرات والخلاصات. وافتقرت الى الشمولية والبحث المنظم والمنهجي، وقد صنف الكتب في الطب من العرب ذوي الخبرة والشهرة الواسعة، والتمرس والمران في الطب. وخاصة في المواضيع التي صنفوا فيها الكتب. بينما ألف المختصرات الطبية الاغريقية بعض الفلاسفة والكهنة، المعتزلون في صوامعهم الذين لم يمارسوا الطب

وقد ألف العرب في فترة ٨٥٠ - ١٢٥٠ م ما لم يستطع الاغريق تأليفه في ألف عام (منذ عهد أبقراط حتى عهد بولص)

من الكتب الطبية الموسوعية نذكر الكتاب المنصوري، والحاوي في الطب لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي ٩٢٣ م، والمعالجات البقراطية لأبي الحسن أحمد بن محمد الطبري ٩٧٠ م. والكتاب الملكي أو كامل الصناعة الطبية لعلي بن العباس المجوسي ٦٩٧ م، وكتاب التصريف لأبي القاسم الزهراوي (١٠٠٣ م)، وكتاب القانون لابن سينا ١٠٣٧ م، والتيسير في المداواة والتدبير لابن زهر ١١٦٢ م، والكفاية لابن رشد ١١٩٨ م. والمغني في الأدوية المفردة لابن البيطار ١٢٦٨، وكتاب التذكرة لداوود الأنطاكي الذي عاصر أواخر عهد الازدهار الاسلامي ١٣١٠ م

الكحالة عند العرب

أطلق العرب على علم طب العيون وجراحتها كلمة الكحالة أو الكحل، وعلى طبيب العين وجراحها كلمة الكحّال، وكلمة كحالة كانت تعني تخصصا طبيا رفيعا، وشرفا مهنيا كبيرا. فالكحالة ليست مجرد وضع الكحل والذرور والشيافات والبارود أو القطرات في العيون، وإنما تعني أيضا إجراء العمليات الجراحية. وهو ما كان يسميه العرب (معالجة العين بالحديد)

والكحّال يفترض فيه أن يلم بجميع الأمراض ومعالجاتها وأن يكون ذا معرفة كبرى بتشريح العين ودقائقها وبواطنها، وأن يكون حسن الهيئة، جيد الصنعة، واثقا من نفسه، متزن اليد، دقيق الملاحظة، واسع الاطلاع، عظيم الخبرة وقد خلف العرب كتبا عظيمة خصصت للعين وأمراضها وعلاجها، من أهمها وأشهرها

(المقالات العشر في العين) لحنين بن اسحق العبادي ٨٧٣ م. وهو أول كتاب جامع عن العين، و (المنتخب في طب العين وعلاجها بالأدوية والحديد) لعمّار بن علي الموصلي ١٠٠٠ م الذي اعتمد في كتابه على الأصالة والخبرة الشخصية. وجاء كتابه بشكل مختصرات مكثفة. وتقارير طبية عن جراحة رائعة الوصف. وكتاب (عمل اليد)

(تذكرة الكحالين) أول موسوعة طبية عربية ، جمعت الأعراض والتشخيص والمعالجة في آن واحد ، وأصبح هذا الكتاب هو المصدر الوافر الذي اعتمدت عليه أجيال من أطباء العيون لبضع مئات من السنين. وكتاب (المهذب في الكحل) لابن النفيس ١٢٤٠ م ، وكتاب (الكافي في الكحل) لخليفة بن أبي المحاسن الحلبي ١٢٥٦ م الذي مارس الطب والكحالة في سوريا ، ويحتوي كتابه رسوما إيضاحية لست وثلاثين آلة جراحة عينية ، من بينها المهت ، والمقدح الأجوف الذي اخترعه عمار الموصلي ، وأخيرا (كتاب الكافي في الكحل) لصلاح الدين الحموي ١٢٩٦ م

الجراحة ، وقد ألف كتابه هذا بالفارسية في الوقت الذي كان يتقن فيه العربية ، والغريب أنه يقول في مقدمة كتابه « أكتب هذا الكتاب بالفارسية لأن الله يحب اللغة الفارسية » وعلى كل حال فالكتاب ـ كما يراه الأوروبيون ـ لا يعدو أن يكون تكرارا لما فعله غيره ، ويبدو أنه قد نقل كثيرا ـ نقلا حرفيا ـ عن الطبيبين العراقيين علي بن عيسى ، وعمار بن علي الموصلي ، لاسيما فيما يختص بالساد أو نزول الماء ، وطرق معالجته ، والأغرب من ذلك أن « زارن داست » يتجاهل ذكر هذين الطبيبين ، مع أنه ينسب مافي كتابه لجالينوس وحنين بن إسحق

علي بن عمار الموصلي - شيخ الكحالين

ولد عمار ونشأ في البصرة ، وتعلم فن الكحالة ومارسها في العراق ، وفيها صمم واخترع الالة الشهيرة (المقدح الأجوف) ، ثم سافر إلى دمشق ، واحتضنته مصر فاستقر فيها . ومارس الطب [illegible]

[illegible] الطرى [illegible] وقد [illegible] شكل رابع - عددا من العمليات التي أجراها ، بكل دقائقها ومضاعفاتها ، وطرق السيطرة على اختلاطاتها ، إنها تقارير تضاهي ما يكتبه جراحو العيون الآن ، دقة ، وروعة في الوصف ، وجمالا في التعبير ، وصدقا في الأداء

وقد شاعت عملية شفط الساد الطري فذكرها أطباء المغرب والاندلس ، كالزهراوي والمصري ، وكذلك الأطباء [illegible]

[illegible] لعدسم . فلا بأس أن نأخذ عن الآخرين الآن ، ونبدأ بالصعود ثانية . فلعل هنالك رمزا عربيا إسلاميا آخر في انتظارنا □

المـــــرأة والرغيـــــف

● يقول الأديب الأستاذ أحمد حسن الزيات   إن معركة الحياة من مبدئها الى منتهاها انما تدور على شيئين   المرأة والرغيف   المرأة لبقاء النوع والرغيف لحفظ الذات ، وإذا كان الكلام في الرغيف وما يتصل به من وسائل ومشاكل من شأن العلم ، فإن الكلام في الحسن وما يتصل به من عواطف وغرائز من شأن الأدب

العربي - العدد ٣٤٤ - يوليو ١٩٨٧ م

إدوارد بوكوك

أول إنجليزي يكتب شعرًا بالعربية

بقلم الدكتور نبيل ابراهيم مطر

لم يكن الاستشراق قد عرف حين أبدى ادوارد بوكوك اهتماما باللغة العربية التي أقام في مدينة حلب ست سنوات ليتقنها ، وما هو أهم من ذلك أن بوكوك كان أول انجليزي يكتب شعرا بالعربية فكيف كان ذلك ؟ وإلى أي مدى نجح في محاولته تلك في ذلك الزمان القديم ؟

بعد عشرين عاما من الفوضى السياسية والاقتتال الطائفي ، وبعد إحدى عشرة سنة من إعدام والده الملك تشارلز الأول ، عاد الابن البكر تشارلز الثاني ، ليتربع على عرش بريطانيا في عام ١٦٦٠ م ، وكانت نظرة الشعب البريطاني لهذه العودة كنظرتهم إلى معجزة تمت بعناية إلهية ، فأقاموا الاحتفالات ، ورقصوا في الشوارع ، وأناروا لندن بالمصابيح ، وألقيت الكلمات ترحيبا بالملك ، وحمدا لله الذي حماه طوال فترة النفي في هولندا وفرنسا

ولعل جامعة اكسفورد كانت أكثر المهتمين بهذه العودة الملكية لعائلة ستيورات ، فقد كانت مدينة اكسفورد المعقل الذي انتقل إليه تشارلز الأول قبيل نشوب أولى المعارك بينه وبين جيش البرلمانيين ، رحبت المدينة به ، وتبرعت له بمساعدة مالية ، كما جمعت كليات الجامعة أواني وأوسمة ذهبية ، وقدمتها للملك ، ليتاح له تسديد مستحقات الجيش والأعوان الذين ساعدوه ، ووقفت موقفا مؤازرا لسياسته ، بينما ساندت جامعة كمبردج البرلمانيين ، وفتحت لهم أبوابها ، ليطبعوا في مطابعها المقالات والكتب الموجهة ضد الملك ومبادئه لهذا كان ابتهاج جامعة اكسفورد بتحقق عودته عظيما إلى درجة أنها قررت إصدار كتاب يضم قصائد للترحيب بالملك تشارلز الثاني ، للتعبير عن دعمها ووفائها له ، وقد شارك عدد من مدرسي الجامعة في إعداد هذا الكتاب ،

وكانت لهم فيه فرصة مناسبة لإظهار براعتهم في الشعر واللغة ، فكتبوا بلغات عديدة كالانجليزية ، او اللاتينية أو اليونانية ، لكن ادوارد بوكوك أستاذ اللغة العربية في الجامعة ، وأحد أكثر اللغويين قربا إلى الملك كتب قصيدة بالعربية يحيي فيها عودة الملك الابن إلى عرش بريطانيا ومن المؤكد أن هذه القصيدة هي أول محاولة شعرية باللغة العربية قام بها انجليزي

محاضرة عن خطب الإمام

ولد ادوارد بوكوك في الثامن من نوفمبر ١٦٠٤ م ، ومنذ صغره أظهر شغفا باللغات الشرقية ، فما أن جاوز سن السادسة عشرة حتى ذهب إلى جامعة اكسفورد لتتابع دراسة العربية والعبرية والسريانية ، وبعد أن أنهى دراسته الجامعية سافر إلى مدينة حلب عام ١٦٣٠ م ، حيث أقام فيها ست سنوات ، دأب خلالها على إتقان العربية بمساعدة أستاذه فتح الله . وفي عام ١٦٣٦ عاد بوكوك إلى انجلترا ، وشغل كرسي اللغة العربية في جامعتها الأم ، وقد أسس هذا الكرسي بمساعدة الملك لتشجيع الطلاب الانجليز ـ خاصة ـ على تعلم هذه اللغة لخدمة « شركة المشرق » التجارية كان بوكوك أول انجليزي ضليع باللغة العربية ،وبعد أن أسند إليه شغل كرسي اللغة العربية قام بإلقاء أول محاضرة له ، وكانت عن خطب الامام علي بن أبي طالب « كرم الله وجهه »

عاش بوكوك بعيدا عن الصخب السياسي الذي هز أركان بريطانيا بين ١٦٤٢ ـ ١٦٦٠ م ، ومع أن موقفه كان ملكيا إلا أنه لم يعزل من كرسيه في الجامعة بعد إعدام الملك ، لأن أحدا لم يكن يتمتع بمثل كفاءته في تخصصه

دأب بوكوك على أعمال الترجمة ، فترجم « لامية العجم » ، والمختصر في الدول لأبي الفرج ، وأجزاء من « حي بن يقظان » لابن طفيل ، وكان معجبا بالجاحظ والغزالي والشهرستاني ، وقد اقتبس منهم كثيرا والجدير بالذكر هنا أن بوكوك كان يترجم النص من العربية إلى اللاتينية مضيفا ملاحظات وإشارات مطولة ، تتناول الوزن الشعري ، والمفردات ، والمبادىء البلاغية ، وقلما ترجم بوكوك من العربية إلى الانجليزية ، وذلك لشعوره أن مبنى اللغة العربية أقرب إلى اللاتينية من الانجليزية ، كما أنه نظر إلى أعماله بمنظار الباحث الجامعي ذي القراء المختصين ، وقد كان واضحا له في تلك الفترة أن الشعر العربي والتراث الاسلامي سيجدان منزلة يستحقانها بين المفكرين والمثقفين الانجليز الذين ألموا باللاتينية ، وليس بين عامة الشعب ، كما أنه اهتم بأن تقرأ ترجماته في بريطانيا وفي جميع أنحاء اوروبا ، لذا اعتنى بترجمة النصوص إلى اللاتينية لأنها لغة البحث الأدبي والعلمي في ذلك القرن

قصيدتان بالعربية

احتفلت جامعة اكسفورد ـ كما ذكرنا ـ بعودة الملك تشارلز الثاني ، وقد ألف أستاذ العربية (بوكوك) بهذه المناسبة قصيدة من سبعة أبيات ، مستخدما فيها الصور الشعرية التي كانت رائجة آنذاك عند أهل العربية ، وقد كانت قصيدته هي القصيدة الوحيدة التي ألفت باللغة العربية ، وبالنسبة إلى اللغات السامية كانت قصيدته إلى جانب قصيدتين بالعبرية والملاحظ على نص القصيدة ـ كما نشرت في الكتاب ـ صعوبة قراءة بعض الكلمات ، والسبب في ذلك أن مطبعة الجامعة لم تكن تملك أحرفا عربية متقنة ، ولهذا أيضا كان العديد من منشورات بوكوك العربية يطبع بأحرف لاتينية ، وقد تمت طباعة القصيدة المذكورة بالحرف العربي ونشرت في كتاب « مجموعة قصائد بمناسبة عودة تشارلز الثاني من تأليف أساتذة الجامعة » وهذا نص القصيدة تماما كما ورد في الأصل

طال الظلام وعمت أبصار
بطلعة الشمس بهت أنوار
بالشمس قدوة لك يا شمسنا
قد زاد بالكسف لك المحار
عيوننا تصاب لاعين الضيا
لقيمة مالنا لكم لاعار
قد صار مجدكم سواء دائما
في الأرض كلها له آثار
من كان هذا حاله مستترا
كيف يصير إن مضت أستار
كذا جرى الأمر بداية إن
كان ظلام بعده نهار
لازال مجدك الشريف ينتمي
ما دام في الأفق يضوء نار

من الواضح أن المطبعة الجامعية ارتكبت أخطاء عديدة في قصيدة بوكوك ، سواء في ترتيب الأحرف أو في دقة البيت الشعري ، ومع ذلك فإن القصيدة بسيطة المبنى والمعنى ، إذ تناول بوكوك فيها صورة شعرية واحدة ، وهي صورة الشمس ، وبنى قصيدته على التناقض بين النور والظلام ومن الملاحظ أن القصيدة تشبه شعر المديح العباسي ، إلا أن الصورة الشعرية التي استعملها المؤلف كانت شائعة في تلك الفترة ، خصوصا أن كسوفا رهيبا للشمس كان قد حدث قبل بضعة أشهر من عودة تشارلز الثاني ، ولذا حاول المؤلف أن يقارن بين كسوف الشمس ونفي الملك ، وبين عودة الشمس وعودة الملك إلى العرش

وقد نجح المؤلف في إظهار عودة الملك كأنها عودة الطبيعة إلى مسارها الدائم ، وفي إظهار حاجة الشعب إلى النور الملكي ، لكنه وجد صعوبة في إدخال اسم الملك « تشارلز » إلى الوزن الشعري العربي ، فالترجمة اللاتينية وإن كانت ـ كما يقول بوكوك ـ « حرفية » تظهر مشكلة ذكر تشارلز بالانكليزية أو « كارول » باللاتينية ، لذا ذكر المؤلف اسم الملك في السطر السادس اللاتيني ، لكنه أحجم عن ذلك في القصيدة العربية ، وقد جانس المؤلف بين كلمة « **Clarion**» في السطر الثاني ـ ومعناها أشد نورا ـ وبين اسم الملك « **cuire**» ، مشيرا بذلك إلى أن الملك هو صورة لنور الشمس القوي ، وقد استعمل بعض الظواهر الشعرية في النص اللاتيني ، لكنه لم يستعملها في النص العربي ، ولا يمكن التكهن بمدى نجاح قصيدة بوكوك ، وما إذا كان تشارلز الثاني قد أعجب بها ، فالملك يعرف العربية ، لكنه ربما قرأ القصيدة اللاتينية فقد كان ضليعا بتلك اللغة ، أما عن طلاب المؤلف أو زملائه في قسم اللغة العربية ، فلم يعرف عنهم أي تعليق حولها

في رثاء هنري

بعد بضعة أشهر من عودة الملك إلى العرش فجع بوفاة أخيه هنري الذي لم يناهز العشرين عاما ، وكان تشارلز يحب أخاه الأصغر حباً شديداً ، وبعد وفاته رفض أن يقابل أحدا من مساعديه عدة أيام ، كان هذا في شهر سبتمبر من عام ١٦٦٠ ، وقد أقيم لهنري مأتم حافل ، اشترك فيه النبلاء والسياسيون وحشد كبير من الناس ، ولما كان أسى تشارلز ظاهرا للعيان رأت جامعة اكسفورد أن من واجبها ـ مرة أخرى ـ أن تقدم كتابا يضم قصائد رثاء بهذه الفاجعة الأليمة التي حلت بالملك ، وكانت هذه هي المناسبة الثانية التي ألف بوكوك فيها قصيدة باللغة العربية

وفي هذا دليل على أهمية كرسي العربية في جامعة اكسفورد ، وعلى تقدير الجامعة لأهمية بوكوك ، وضرورة مشاركته بالمناسبات المهمة

تقع قصيدة الرثاء في ستة أبيات ، وتليها الترجمة اللاتينية ، وقد ظهرت في كتاب «مجموعة قصائد» بمناسبة وفاة هنري. ديوك غلوستر ، من تأليف أساتذة الجامعة ، وكما بنيت القصيدة الأولى على صورة

شعرية واحدة هي الشمس بيت قصيدة الرثاء - أيضا - على صورة شعرية واحدة وهي صورة القمر وهذا نص القصيدة تماما كما ورد في الأصل

علما بما أصابك يا أمير
جميع الزيادة لنقص يصير
رأينا هلالك كبدر مكملا
ولاقاه ما به تصاب البدور
ضياك بظل الأرض ما تحجب
وهل للكواكب بحل قبور
لضاقت بمجدك الآفاق بوسعها
صعدت السماء فيه تنور
بلغت من العلا بحدث شأنك
لما بلغ الكبار عنه قصير
أطلت حياة مع قبل الأيام
أيام لمثلك فهي دهور

رسالة من ملك المغرب

لم يحاول بوكوك بعد هاتين القصيدتين كتابة الشعر بالعربية ، بل دأب على الترجمة والاقتباس ، لكنه نجح من خلال قصيدتيه على ما يبدو في إظهار مقدرته اللغوية للملك تشارلز ، إلى درجة أن الملك استدعاه خصيصا عام ١٦٦٨ إلى لندن ليقوم بترجمة موثوقة لرسالة تلقاها من ملك المغرب وفي عام ١٦٨٢ قام سفير المغرب بزيارة اكسفورد ، فألقى بوكوك أمامه كلمة بالعربية ، أثارت في بعض اللحظات ضحك السفير دون أن يعرف أحد سبب ضحكه ، وهل سبب ضحكه وقوع بوكوك في هفوات لغوية أم أن نكاته هي السبب لكن من الواضح أن بوكوك كان واحدا من أوائل المستشرقين الانجليز الذين برعوا بالعربية ، وأحيوا بعض مظاهرها الشرقية ، وقد ترجم بوكوك كتابا عربيا عن القهوة ، ولم يكن هذا المشروب معروفا في انجلترا آنذاك ، وهذا مما شجع أحد التجار في مدينة اكسفورد على استيراد القهوة وبيعها ، وهكذا كان بوكوك من أوائل شاربي القهوة في انجلترا ، ومن أوائل من أسهم في تشجيع إنشاء « المقهى » كمركز لهذا المشروب الشرقي

بقي بوكوك أستاذا ومترجما وقارئا للتراث العربي والاسلامي حتى وفاته عام ١٦٩١ ، وقد خلفه ابنه الذي سمي باسمه أيضا ، والذي أصبح فيما بعد أستاذاً للعربية في جامعة اكسفورد ، لكنه لم يلمع مثل أبيه الذي يعود إليه الفضل في تقوية كرسي العربية الذي تطور حتى أصبح يعتبر حاليا واحداً من أهم مراكز الدراسات اللغوية الشرقية في الغرب □

القصيدة طفل

● قالوا للشاعر كارل ساندبرج هل طلبت إليك إحدى المجلات أن تكتب لها مجموعة من القصائد على غرار قصائدك المشهورة عن الحياة في مدينة شيكاغو الأمريكية ؟ فقال ساندبرج هل سبق لكم أن سمعتم عن أمر يصدر إلى امرأة حامل بأن تلد طفلا ذكرا لون شعره أحمر ؟ إنه شيء من صنع الله ، والقصيدة طفل لا أحد يعرف - حتى صاحبها - متى تنظم ، أو كيف سيكون مولدها

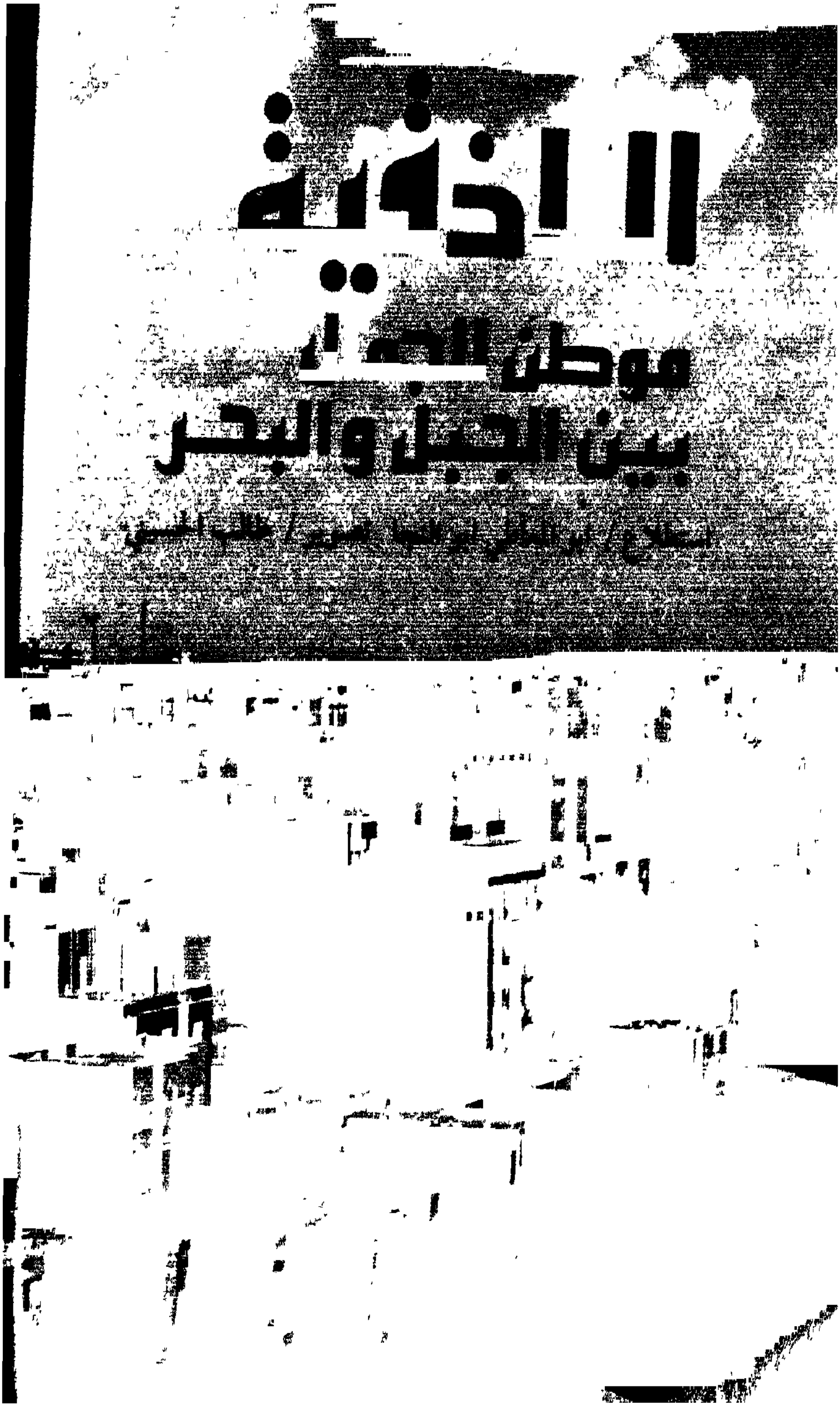# اللاذقية

موطن الجمال بين الجبل والبحر

استطلاع / [illegible] تصوير / طالب الحسيني

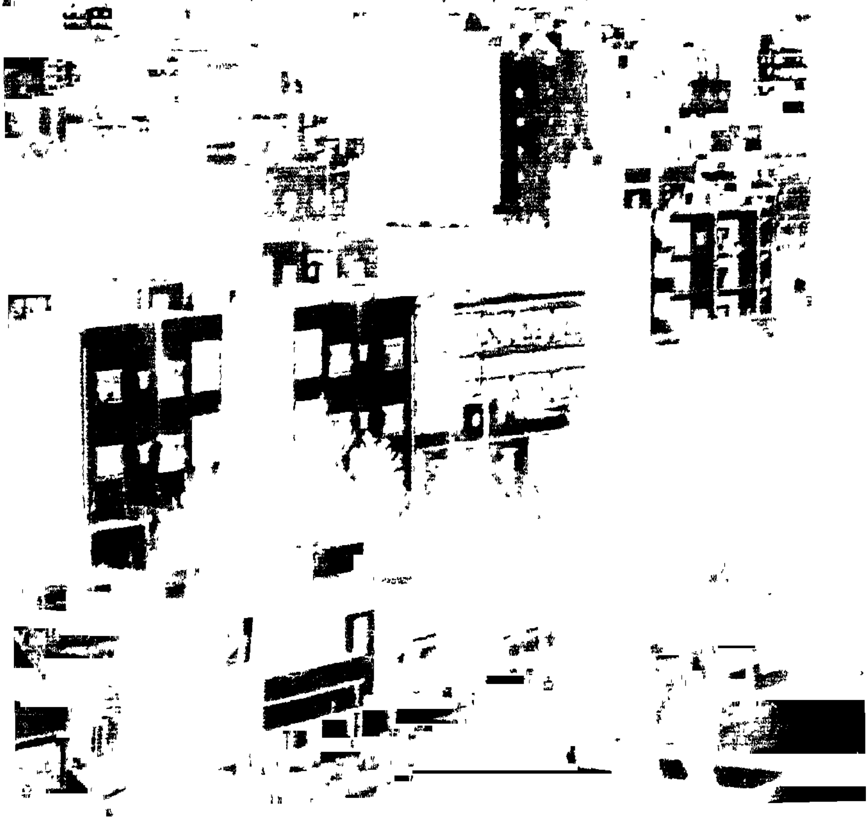

مثلما يبدو الحال في احد البيوت عشية الاحتفال بيوم عرس ، كانت تبدو لنا مدينة اللاذقية عندما وصلنا اليها في شهر فبراير سنة ١٩٨٧. فلأي عرس كانت تستعد المدينة البحرية العريقة ؟ ومن هم المدعوون ؟ ومتى يكون حفل الزفاف ؟

الملصقات في الشوارع تتحدث بالصورة والكلمة عن الاستعدادات للدورة العاشرة لالعاب حوض البحر الابيض المتوسط التي ستقام في اللاذقية في الفترة من ١١ ـ ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٨٧ ، الاسهم تشير الى مواقع العمل الذي يجري على قدم وساق في أكثر من مكان ، الأعلام التي تحمل شعارات الدورة ترفرف هنا وهناك وكأنها تذكر العاملين في كل المواقع بأن ساعة الصفر تقترب ، وان كل شيء يجب ان يتم انجازه في موعده المحدد

كنا في زيارة لاستطلاع مدينة اللاذقية قديما وحديثا ، وكان لابد لنا أن نتوقف أمام هذا الحدث الكبير الذي يلوح وكأنه يشغل الكثيرين ، ويكاد يفرض نفسه على أشياء كثيرة ، وكان السؤال الطبيعي من أين نبدأ ؟ وجاء جوابهم من هنا يمكن ان تكون البداية وأشاروا الى مدرسة تقع في قلب المدينة اسمها المدرسة التخصصية وهي تقدم مقررات فنية ومهنية لمن لديهم مواهب وقدرات فنية خاصة من الطلاب ، ثم أوضحوا قائلين

« طلاب وطالبات هذه المدرسة واساتذتهم هم الذين يقومون باعداد اكثر الاشياء اللازمة لحفلي الافتتاح والختام لهذه الدورة ، ومن المشاركين في هذين الحفلين ، ثم بعد ذلك يمكنكم ان تزوروا المدينة الرياضية في منطقة « افاميا » على ساحل البحر الأبيض حيث يجري العمل للانتهاء من المنشآت الرياضية التي ستقام فيها الدورة و أن تزوروا القرية الاولمبية على مقربة منها »

خلية نحل

داخل المدرسة كان جو العرس أكثر وضوحا ، الكل يعمل ، الكل يشارك ، رغم تعدد نواحي العمل فيبدو ـ مثلما يحدث في خلية النحل ـ أن كل مجموعة تعمل وفق خطة مدروسة ، لتنفيذ برنامج محدد ، يعرف كل واحد دوره فيه

في احدى الصالات طالبات يصنعن من أوراق خاصة ملونة أجزاء الزهرة ، واحدة تصنع البتلات ، واخرى تصنع الاوراق ، وثالثة تجمع الزهور كاملة وتنسقها في السلال التي فرغت من صنعها مجموعة أخيرة لتوها

في صالة ثانية تنبعث نغمات موسيقية ، وطالبات يؤدين عليها حركات ايقاعية تعبيرية ، في صالة ثالثة مدرسات وطالبات يصممن ويحكن ملابس الاستعراضات بألوانها المتعددة ، في حجرة رابعة طالبات يصنعن نماذج ومجسدات واقنعة من عجائن لدنة ، تم تصنيعها في المدرسة لوجوه وكائنات اسطورية وتاريخية ، وبين الدهشة والتساؤل يوضح مرافقنا في المدرسة الدكتور مروان صقر

« كان من الممكن أن نعهد لاحدى شركات القطاع العام أو الخاص بانجاز هذه المهام، لكن أردنا أن يمارس أبناؤنا من الطلاب والطالبات هذه الخبرة الهامة ، أن يطبقوا ما درسوه،وأن يبدعوا فنا جديدا، وأن يعبروا من خلال ذلك كله عن حبهم لوطنهم سوريا ، هذا شيء بالغ الاهمية يتحقق من خلال هذه الدورة ، في كل المجالات سترون أن أيدي الشباب السوري هي التي تنتج وتبدع بأقل تكلفة ممكنة ، وهذا ايضا مطلوب ومقصود !

لكن ألا ترون أننا هكذا لانبدأ من البداية تماما ؟

ماذا عن الدورة ؟ ماقصتها ؟ ولماذا في اللاذقية ؟

قبل أن نتحدث عن حفلي الافتتاح والختام ، وقبل أن نزور المدينة الرياضية أوضح مرافقنا في عام ١٩٤٨ انبثقت فكرة دورة رياضية لدول حوض البحر الابيض المتوسط ، بغية التقارب بين شعوب المتوسط التي تجمعها روابط حضارية وثقافية وفنية ورياضية ، على ان تقام الدورة كل اربع سنوات في احدى المدن المطلة على البحر ، وعلى ان تقام مرة في بلد اوروبي ثم في بلد افريقي ثم في بلد آسيوى ، الدورة الاولى كانت في الاسكندرية سنة ١٩٥١ ، والدورة الاخيرة كانت في المغرب سنة ١٩٨٣ ، وكان من المفروض ان تقام هذه الدورة هذا العام في اليونان لكن بطلب من سوريا وافقت اللجنة الاولمبية المختصة ووافقت قبلها اليونان على ان تستضيف سوريا هذه الدورة على ارضها في اللاذقية

ـ لماذا ؟

ـ اننا نترك الاجابة عن هذا السؤال وعن بقية الاسئلة للسيد / الاستاذ وليد عثمان المسئول عن حفلي الافتتاح والختام لانه موجود الآن بالعاصمة وسيعود بعد أيام قليلة تستطلعون خلالها معالم اللاذقية ، لأن حديثه عن هذين الحفلين وعن الدورة كلها ـ سيكون أكثر دلالة بعد التعرف على خلفية مناسبة عن اللاذقية قديما وحديثا

اللاذقية (صورة من ماض قريب)

في دلك الصباح كنا في طريقنا لزيارة قلعة صلاح الدين التي تقع على مسافة حوالى ٢٥ كم شمال شرق اللاذقية قال مرافقنا السيد سهيل الخالدى

« ان فهم اللاذقية يمكن أن يكون مدخلا مناسبا لفهم الكثير عن سوريا نفسها فأحيانا يشتمل الجزء على القانون الاساسي للكل ، ان مفتاح فهم سوريا هو فهم تاريخها ، وقد ترك هدا التاريخ بصماته على معظم المدن السورية ، وبخاصة « اللاذقية » ، ان اسم المدينة في حد داته يروى جزءا هاما من هـذا التاريخ ، فحيث توجد الان مدينة « اللاذقية » كانت تقوم مدينة قديمة سماها الفينيقيون ـ وهم من أقدم الشعوب التي عاشت في هده المنطقة ـ « راميتا » أي المرتفعة باللغة الفينيقية ، ثم في العصر الهلنستي في سنة ٣٠٠ ق م بنى « سلوقس نيكاتور » أحد قواد الاسكندر الأكبر في المكان نفسه مدينة اسماها « لادوكية » تيمنا باسم والدته ، لقد سماها الرومان بعد دلك « جوليا » وعاشت فترة تناظر أنطاكية ، ثم افتتحها المسلمون عام ٦٣٧م واخذ الاسم قالبه العربي في زمن أبي عبيدة بن الجراح فتحول الى « اللاذقية » في ايام الصليبيين افتتحها « بوهة ريموند » « حاكم طولور » ١١٠٩م ثم فتحها صلاح الدين الايوبي ١١٨٨م ، واقطعها الى اخيه المظفر الدي عمر قلعتها (التي نتوجه الآن لزيارتها) ثم دخلت في الحكم العثماني ، وتتالت عليها الادوار التاريخية مثل بقية المدن السورية

كنت وأنا استمع الى كلمات سهيل الخالدي يتداعى الى ذهني بعض ما قرأته في كتاب الصراع على سوريا « للصحفي الانجليزي « باتريك سيل » وهو يتحدث عن اهمية فهم جغرافية سوريا ايضا لفهم اقدارها السياسية ، فهو يشير الى أن سوريا « تشرف على الممرات الشمالية الشرقية الموصلة الى مصر ، وعلى الطريق البري مابين العراق والبحر الابيض المتوسط ، وعلى شمال الجزيرة العربية

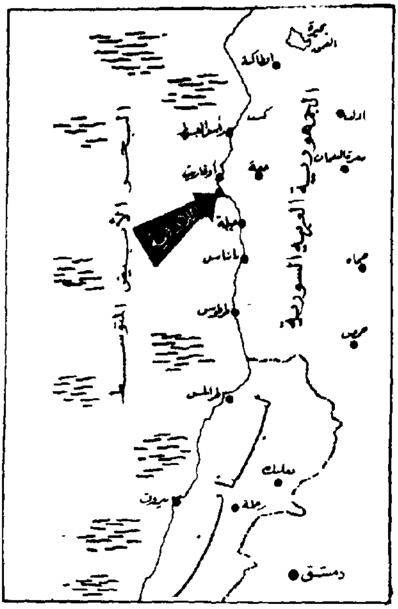

حريطة يطهر فيها موقع مدينة اللادقية

والحدود الشمالية الشرقية للوطن العربي وانها كانت دائما طريق التجارة والغزوات والهجرات بين الشرق والغرب ، فادا كانت سوريا كلها هي بوابة آسيا العربية الى أوروبا ، فقد كانت اللاذقية هي الباب الرئيسي في سوريا لاوروبا سواء عن طريق البحر أو البر ، ان الجغرافيا والتاريخ معا ، وليس واحدا منهما فقط هو مايصنع الثوابت في حياة الشعوب والدول وسياساتها في الوقت داته

قلعة صلاح الدين

الطريق الى قلعة صلاح الدين يمضي من مدينة اللاذقية مخترقا السهل الساحلي الى جبال اللاذقية عبر مزارع الزيتون ، واشجار اللوزيات على منحدرات المرتفعات وسط غابات جميلة مزهرة بخضرتها اليانعة ، وهوائها المعبق بروائح الحقول

توقفت السيارة فوق قمة عالية تطل على منحدر سحيق ، من قلب دلك المنحدر ترتفع هضبة صخرية ضخمة تصل في ارتفاعها الى مستوى القمة التي نقف فوقها ، لأول وهلة يبدو المشهد وكأن ذلك كله كان جبلا واحدا ، ثم وقع حادث جيولوجي هائل أدى

أعلى الصفحة إلى اليمين
طالب وطالبة من السودان في جامعة تشرين باللاذقية ثم طالبة تتدرب على الحاسوب (الكمبيوتر) تحت إشراف أستاذها في الجامعة (أسفل) طلبة يتدربون في أحد معامل كلية العلوم

مشهد عام لميناء اللاذقية

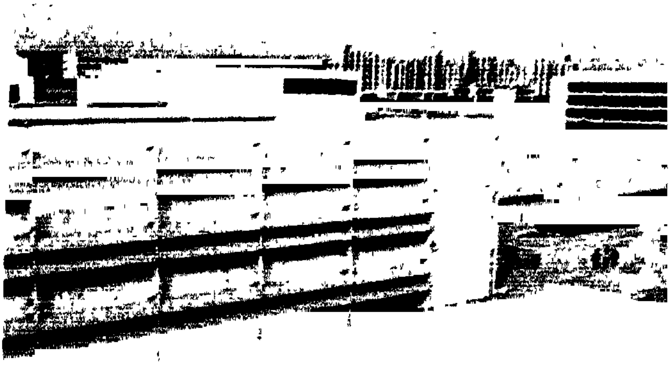

منظر لجامعة تشرين

الى شق أرض من حول تلك الهضبة الوسطى ، صنع ذلك الخندق العميق الذي بدا لنا من حيث نقف وكأنه يحيط بتلك الهضبة من جميع الجوانب

قال مرافقنا سهيل الخالدي وهو يشير الى اسوار القلعة في أعلى الهضبة المحصنة بالخندق العميق

تلك هي قلعة صلاح الدين ، وذلك هو اسمها العربي وكانت تسمى في عهد الصليبيين قلعة « صهيون » ، لقد اردت ان نلقي نظرة شاملة على القلعة من الخارج قبل ان ندخل اليها ، فهذه القلعة تتحكم من موقعها هذا في الممرات التي تصل وادي نهر العاصي بالبحر كما انها تشكل مع مرتفع رأس الشمرة وقلعة بانياس في اتجاه الجنوب على الساحل السوري خط الدفاع القديم المتراص ضد اي هجوم على سوريا من البحر

ولم أكن أتصور كيف سنصل الى هذه القلعة عبر هذا الخندق العميق ، وحين أشار سهيل الخالدي الى الطريق الذي صنع حديثا (بلهجة لاتخلو من الاعتزاز) والذي سنقطعه بالسيارة الى القلعة غاص قلبي بين ضلوعي ، فالطريق يتدلى في انحدار ملتو الى القاع البعيد بين الصخور والأحراش كحبل انفرطت أحماله ، ويرتفع من الجانب الآخر كثعبان لايقوى على الحركة

وخلال عبور هذا الطريق لم أستطع أن أمنع نفسي من التفكير في أولئك الذين كانوا يهاجمون هذه القلعة أو يدافعون عنها عبر مئات السنين ، وكيف انهم جميعا كانوا ينشدون الشهادة أو المجد أو السلطة وأنهم جميعا من مات منهم أو عاش او جرح ، قد واجهوا مصائرهم فوق هذه الصخور ومن حولها ، ووسط كل هذه الوحشة والصمت والجلال !

حين وصلنا الى نهاية طريق الصعود الى القلعة تبين لنا ان الخندق الذي كنا نظنه يحيط بالقلعة من كل جانب لايفعل ذلك تماما ، ان الهضبة التي بنيت فوقها القلعة كانت تتصل اتصالا وثيقا بالمرتفعات التي تقع شماليها ولكي يتم عزل هذه الهضبة نهائيا عن كل ماحولها فقد قام الجنود الصليبيون باحداث قطع في الجبل بعمق ٢٥٠ مترا وعرض ١٥ متر ، في منتصف هذا القطع (الممر) يرتفع عمود بنفس الطول فوقه جسر متحرك يكون طريق الاتصال بين القلعة والعالم الخارجي ، ويتم عزل القلعة تلقائيا برفعه

عند بداية هذا الممر (القطع) التقينا بمراقب القلعة السيد / محمد بيطار الذي بدأ حديثه معنا بشرح المزيد عن هذا الممر «استغرق نحت هذا الممر في الجبل عشرين عاما ، وهذه التجاويف في حوائطه كان بعضها معالف للخيول التي كانت تربط هنا ، وبعضها كانت توضع فيه اخشاب مستعرضة لتتعثر فيها خيول المهاجمين ويصبحون صيدا سهلا لسهام الرماة في ابراج القلعة »

وفي داخل القلعة عاد مرافقنا يواصل حديثه

بنيت هذه القلعة في العصر الروماني ومساحتها ٥٠ ألف متر مربع وترتفع عن سطح البحر حوالي خمسمائة متر ، ثم جاء البيزنطيون وزادوا في بنائها ، ويمكن أن نرى الفرق واضحا بين طابع البناء الروماني بأحجاره الضخمة وبين القسم البيزنطي الذي يتميز بأحجاره الصغيرة نسبيا

وعن الطريقة التي كانت تجلب بها هذه الأحجار الضخمة أوضح المراقب

انها نفس الطريقة التي جلبت بها أحجار الاهرامات في مصر ، كانت تسحب من الجبل القريب على مدرج ارضي يتدرج في ارتفاعه ليصل الى مكان البناء في القلعة ، وعاد السيد / بيطار يشير الى الأجزاء التي بناها الصليبيون في أعلى القلعة وهي الابراج التي تشكل خطوط مراقبة ودفاع معا من خلال فتحاتها على جميع الجوانب ، اما آخر الأجزاء التي بنيت فهي المسجد والمدرسة والحمام وقد بناها صلاح الدين ، وظهر فيها جميعا الطابع الاسلامي ، وقد أخبرنا السيد محمد مبارك مرافقنا من دمشق أن مئذنة المسجد في قلعة صلاح الدين كانت في الأصل برج كنيسة في دمشق نقلت الى هذا المسجد

وقفنا لحظات بين الأحراش التي تنمو في جنبات القلعة القديمة نتأمل قطرات المطر المتحجرة بين فجوات الصخور الضخمة وهى تتساقط ربما حيث كان يقف القواد والملوك والجنود،ربما في المكان نفسه يفكرون في الهجوم أو الدفاع هنا كانت مراحل التاريخ تتجسد في هذه الأحجار القديمة التي بقيت بعد كل شيء تروي لنا تاريخ الصراعات القديمة بين اصحاب العقائد والطموحات وكيف قضوا جميعا وبقيت بعدهم أسلحة الدفاع والهجوم ووسائل العلم والحضارة تنمو وتتطور لكن من أحل من ومن أجل ماذا ؟ لنترك هذا السؤال الآن معلقا على أبواب القلعة !!

أوجاريت (صورة من الماضي البعيد)

تلك كانت محطتنا الثانية في جولتنا بحثا عن مراحل أبعد في تاريخ تلك المنطقة ، تقع مدينة « أوجاريت » او رأس الشمرة على مسافة ١١ ك م

شمال اللاذقية ، وصلنا الى موقع المدينة بعد الظهر ، كان المشهد مثيرا ، ففي وسط الحقول الخضراء تقف هذه المجموعة من بقايا بيوت بلا أسقف ترتفع بالكاد لقامة الرجل لكنها بأحجارها القديمة العارية والمتماسكة تمتد في تناظر عجيب قطعة من الزمن القديم رحل عنها ساكنوها وتركوها تروي في صمت قصة حضارة من أقدم وأخطر الحضارات في التاريخ

قال السيد ابراهيم الباروك مسئول الآثار في المنطقة هذه مدينة فينيقية ، يعود تاريخها الى القرن الرابع عشر ق م اسمها « اوجاريت » مأخوذة من كلمة « اوجارو » وهي في اللغة الفينيقية تعني الارض الخصبة

« تم اكتشاف هذه المدينة سنة ١٩٢٩ بالصدفة ، فبينما كان فلاح يحرث ارضه في هذا المكان اذا برأس المحراث يصطدم بحجر وحين أزاله الفلاح وجد اسفله سلما يؤدي الى هذه المدينة

كانت سوريا آنذاك تحت الانتداب الفرنسي فجاء عالم الآثار الفرنسي « كلود شيفر » ومعه بعثة متخصصة،وواصلوا الحفر حتى تم اكتشاف المدينة ولاتزال عمليات التنقيب تجري حتى الآن

كنا قد بدأنا التجول في طرقات المدينة بل وفي حجراتها فالابواب والنوافذ والطرقات كلها مفتوحة ، والحوائط متماسكة دون ملاط ، والاحجار متراصة على نحو يضمن هذا التماسك ، وفي الفراغ بين الاحجار الكبيرة حشرت احجار صغيرة متكسرة

يواصل السيد ابراهيم الباروك حديثه

« المدينة مقسمة الى خمسة اقسام رئيسة

القسم الاول (الذي نحن فيه الآن) هو القصر الملكي ويضم ٩٠ غرفة ، وخمس باحات ، ومكتبتين وفرن لحرق اللوحات ، لان كل اللوحات التي وجدت في المدينة ، والتي استطاع العلماء من خلالها فك رموز اللغة الاوجاريتية كانت من التراب المحروق الفخار

« القسم الثاني حي الاغنياء والثالث الاسطبلات الرابع السوق ، الخامس الشعب »

كان من الصعب أن نتبين فوارق بين ماتبقى من البيوت في مختلف الاحياء ، مثلما يكون من الصعب أن نتبين فروقا بين هياكل عظمية لمن تختلف حظوظهم في الحياة بعد الموت

ويتابع السيد / الباروك حديثه قائلا

« من اخطر الكشوف التي تمت في مكتبة القصر الملكي اللوحات المكتوبة باللغة الأوجاريتية ، والتي تعتبر أبجديتها حتى الان أول أبجدية في التاريخ ، وهي مكونة من ثلاثين حرفا ، وتسمى اللغة المسمارية، لأن الشكل الأساسي في حروفها هو شكل مسمار، ثم يأخذ الحرف شكله النهائي من تشكيل المسمار مع آخر ، وتتنوع الحروف بتنوع هذه الاشكال ، وتتميز هذه اللغة بأنها أول لغة في العالم لها صوت ، بينما كانت اللغات قبلها مجرد صور مرسومة كاللغة الهيروغليفية

وعن علاقة هذه اللغة بغيرها من اللغات اوضح السيد الباروك

ان العلماء اكتشفوا ، ان هناك علاقات وثيقة بينها وبين اللغة العربية القديمة في قواعد الصرف وأن هناك اكثر من ٧٠٠ كلمة مشتركة ، وانه وجدت في المكتبة الملكية الى جوار اللوحات التي تحمل اللغة الاوجاريتية لوحات اخرى عليها ثماني لغات كانت معروفة في المدينة ، وتحتوي على مراسلات بين اوجاريت ومصر وبينها وبين البابليين في العراق ، والحيثيين في تركيا ، والقبرصيين في قبرص وان اوثق العلاقات ، كانت بين اوجاريت ومصر لموازنة خطر الحيثيين الذي كان يهدد اوجاريت دائما ويضيف السيد / الباروك لقد بلغ من اهتمام العلماء بدراسة آثار اوجاريت ان بلغ عدد الكتب التي صدرت في العالم بمختلف اللغات عن هذه الحضارة مئات الكتب التي تحمل العديد من الفروض العلمية الخطيرة حول هذه الآثار

ثقافة أوجاريت أصل لثقافات عديدة

لقد دفعنا حديث السيد / الباروك الى البحث وراء بعض هذه الفروض فرجعنا الى الكتاب الهام بعنوان « أوجاريت » للكاتب اللبناني الشيخ « نسيب وهبة الخازن » الذي يقدم عرضا شيقا لاكثر الفروض العلمية خطرا حول هذه الآثار ونلتقي هنا بالفرض الذي قدمه العالم الفرنسي « كلود شيفر » بعد دراسته للعديد من اللوحات المكتشفة في اوجاريت ومقارنتها بنصوص توارتية

يقول كلود شيفر :

« ان الأمثلة التي ذكرناها هنا ، تكفي للدلالة على العلاقة الوثيقة بين نصوص رأس الشمرة ، ونصوص التوراة، وهي تثبت أن الانتاج الأدبي كان عظيما في فلسطين ولبنان وسوريا قبل عصر ملوك

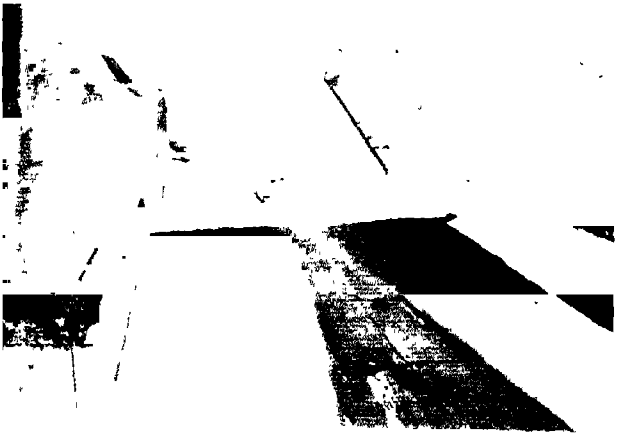

أعلى الصفحة صورة لسد تشرين على نهر الشمالي الكبير في الوسط حقول من أشجار الزيتون أسفل فتيات تقمن بإعداد شتلات الزيتون (أقصى اليمين) في إحدى حقول الحمضيات سيدة تقطف بعض الثمار

اسرائيل ، وان هذا الانتاج الادبي هو في الواقع المورد الذي نهل منه كتاب التوراة والانبياء ، وعليه فأخبار التوراة التي توحي بالتدين في عصرنا تعود الى عهد أبعد بكثير مما كان علماء الاثار يعتقدون »

ثم يضيف ان ظهور هذا الأمر الذي بدا واضحا من نصوص رأس الشمرة قد أجمع علماء الآثار على انه أحد الاكتشافات العظمى في الأبحاث التوراتية »

حضارة أوجاريت

وعن اهم ملامح الحضارة الاوجاريتية يقول السيد / البارك « تقوم الحضارة الاوجاريتية على الزراعة والتجارة ، فلقد وجدت ضمن آثار المدينة معاصر للزيتون والعنب ، ولهذا السبب عرف الفينيقيون بعامة بحبهم للسلام وبصلاتهم الواسعة بالحضارات المجاورة وعندما كانوا يجبرون على خوض الحرب كانوا يجمعون رؤوس القتلى على شكل هرم يقيمونه أمام المدينة ليعرف الناس ماذا تفعل الحروب بهم »

« حضارة أوجاريت هي خامس حضارة سكنت في هذه المنطقة ، أحد العلماء حفر على عمق ١٤ مترا فوجد المدينة الأولى وكانت على مستوى سطح البحر ، ويرجع تاريخها الى ٧ آلاف سنه ق م وتنتمى الى العصر الحجرى من تحليل المواد التى وجدت من فخار وأوان ، وجد بها اثار تنتمى الى العصر البرونزي القديم والوسيط والحديث ، واغلب الظن ان كل المدن التى بنيت بعد المدينة الاولى قد محتها الزلازل التى تعرضت لها المنطقة قديما ، وان اوجاريت أورأس الشمرة وهى الحضارة الخامسة قد قامت على انقاض كل هذه الحضارات ، وفى طريق عودتنا كنت افكر بهذه المفارقة ، لقد اهدت هذه المنطقة الى العالم أول اداة خصبة للتفكير ، أول ابجدية ، بينما اهدت روما الى هذه المنطقة أول قلعة للحرب

ميناء اللاذقية (صورة من الحاضر)

الميناء هو المؤسسة التى يمكن ان تروي من خلال تطورها الكثير عن اللاذقية بل عن سوريا نفسها ، وعن دورها كمعبر بحرى للعديد من دول المنطقة الى اوروبا

ويروي تاريخ الميناء انه كان مزدهرا في عهد الفينيقيين واليونان والرومان ، وانه تأثر بالزلازل التى حدثت في المنطقة في فترات متباعدة في سنة ٥٢٩ م و سنة ١٧٩٦ م وان اهميته ضعفت في عهد المماليك والعثمانيين وانه كان له دور عسكرى ايام الحروب الصليبية ، واهتم به الفرنسيون ابان احتلالهم لسوريا لخدمة مصالحهم العسكرية التجارية اما التاريخ الحديث للميناء وهو الذي يعنينا فيمكن القول بأنه بدا مع استقلال سوريا سنة ١٩٤٦ م

كانت البداية بانشاء شركة الميناء سنة ١٩٥٠ وتمكنت هذه الشركة من استكمال الانشاءات الرئيسة في الميناء سنة ١٩٥٦ حيث قامت بانشاء مكسر للامواج يبلغ طوله ١٤٣٢م ويحيط بحوض مساحته ٢٤ هكتارا ، في عام ١٩٥٤ قامت بانشاء رصيف كحالة بطول ٦٠٠ متر وبعمق ٩,٥ والرصيف الشرقى بطول ٢٧٠ م وبعمق ٧ م

وفي سنة ١٩٥٨ أنشىء رصيف السيلو بطول ١٨٥م وبعمق ٩م ، وفي العام نفسه تم انشاء صوامع الحبوب ، وهى تضم ٥٦ وحدة تخزين سعتها من ٣٥ الى ٤٠ الف طن من الحبوب التى تشحن على السفن بصورة آلية وبقدرة تعادل ١٥٠ طنا في الساعة ، ثم جرى تزويد هذه الصوامع بشماطات هوائية لتفريغ الحبوب ، واجهزة اكثر حداثة لادخال الحبوب الى الصوامع بقدرة ٤٥٠ طنا في الساعة

وفي سنة ١٩٦٣ ، انشىء مستودع التبريد ، وتبلغ سعة تخزينه ألفا وخمسمائة طن موزعة بين قاعات تبريد وأخرى للتجميد تصل فيها درجة الحرارة الى ٤٠ درجة تحت الصفر

خطوة متقدمة على طريق التطور

في سنة ١٩٧٢ وفي اطار اتفاقية مع الاتحاد السوفيتي وضعت الدراسات الفنية لتطوير مرفأ اللاذقية على مرحلتين

وعن دواعى هذا التطوير وأهميته تحدث الينا السيد / رمضان عطيه المدير الحالي للشركة فقال

في ظل الزيادة المطردة في حركة النقل البحرى بمرفأ اللاذقية سواء لتلبية نمو النقل الدولى عبر الميناء أو لتلبية النمو الاقتصادي في القطر السورى ، ولمواجهة التطور الكبير في السفن التجارية ، وظهور أجيال جديدة من الحاويات وسفن النقل المتخصصة ، كان لابد أن يجيء التطوير الجديد للميناء بحيث يستجيب لكل هذه المتغيرات ثم تابع المدير العام للشركة حديثه قائلا .

« في اطار المرحلة الاولى من الاتفاق امكن تحقيق الانجازات التالية

انشاءات بحرية

« اطالة مكســر الأمواج الـرئيسى بمقدار ١٧٣٠ مترا بحيث أصبح طوله الاحالى ٣١٦٢ مترا ويحمى وراءه حوصا مائيا مساحته ١٤٥ هكتارا »

« انشاء ١١ رصيفا بطول احالى ٢١٠٠ متر تقريبا وبعمق يتراوح بين ١٠ - ١٣م

انشاءات برية من أهمها :

« ٤ مستودعات بمساحة احمالية قدرها أربعون ألف متر مربع » ساحات ايداع وطرق مساحتها ٤٣٥ ألف متر مربع منها ٢٥٠ ألف متر مربع مصبوبة « بالباطون » المسلح لايداع الحاويات

« تمديد شبكات السكك الحديدية في منطقة التوسع بطول ١٨ ك م

تجهيزات وآلات

تم اجراء التعاقدات لتوريد التجهيزات التالية لتعمل في مناطق التوسع الحديدة

« ١٦ رافعة رصيف قوة ٦ أطنان »

« رافعتا رصيف كهربائيتان قوة ١٦ طنا »

« رورقان لقطر السفن بقوة ١٥٠٠ حصان »

« روافع رصيف حسرية (كانترى) بقدرة ٤٥ طناً »

« عشر ناقلات شوكية قدرة ١٠ أطنان »

« أربع حاصنات للحاويات »

ويختتم السيد رمضان عطية حديثه إلينا بقوله

« انسا نتطلع الآن الى انجاز متطلبات المرحلة الثانية من الاتفاق بيننا وبين الاتحاد السوفيتى وهى المتطلبات التى تلبى احتياحات نمو الميناء حتى سنة ٢٠٠٠ حيث تتوقع ان ترتفع طاقة مرفأ اللادقية الى ١٥ مليون طن في هدا العام

جامعة تشرين في اللاذقية

كانت لنا زيارة سريعة في الحامعة قبيل بداية الفصل الدراسى الثانى ، افتتحت الجامعة في العام الدراسى ٧١/ ١٩٧٢ بثلاث كليات هى كلية الأداب والعلوم الانسانية ، كلية الزراعة ، كلية العلوم

في الأعوام التالية تم افتتاح كلية الهدسة المدنية ٧٢/ ١٩٧٣ وكلية الطب ٧٤/ ١٩٧٥ والهندسة الميكانيكية ٨٠/ ١٩٨١ وكلية طب الأسنان ٨٣/ ٨٤ ، وكلية الهندسة المعمارية ٨٤/ ١٩٨٦ ، وكلية الاقتصاد ٨٦/ ١٩٨٧

« يوجد بالحامعة مركز الحاسب الآلى ، به ثلاثة مخابر في كليات الهندسة والطب والعلوم لتدريب الطلاب واعضاء الهيئة التدريسية والموظفين،ولخدمة الأنشطة العلمية » ، البرامج الدراسية في الجامعة توضع وفق توجيهات مجلس التعليم الحامعى العالى الذى يخطط لحامعات دمشق وحلب واللادقية ، وباعتبار أن الحامعة لا تزال ناشئة فانها تستعين بعدد من الأساتذة من الأقطار العربية ومن الخارج في بعض التخصصات

« تضم الجامعة بين طلابها نسبة من طلاب الأقطار العربية »

اللاذقية تحت المطر

ترتفع مدينة اللادقية عن سطح البحر حوالى ١٠ امتار تمضى شوارعها في انحدار خفيف لتصب كلها على امتداد شارع الكورنيش على البحر الأبيض

طراز مبانيها يجمع بين القديم والحديد ، وغالبا ما تجد المبانى القديمة ذات الأبواب والنوافذ الخشبية المستطيلة المزخرفة تحيط بشوارع ضيقة تكتظ بالمارة والمحال التجارية الصغيرة والباعة ، أما المبانى الحديثة وبخاصة في ضواحى المدينة المرتفعة وشوارعها الرئيسية فهى تقوم على ضفاف شوارع متسعة مشجرة بديعة التنسيق ، ومثل أغلب المدن الساحلية فان الرطوبة التى ينفثها البحر على مدار العام تترك آثارها على واجهات المبانى القديمة بقعا قاتمة وتشققات في دهان بعض البيوت ، لا فرق من هذه الناحية بين القوس الرومانى في وسط المدينة أو البيوت التى تحيط به

في ذلك اليوم كنا في طريقنا للقاء مدير الزراعة في اللادقية وفجأة اختفت سماء اللادقية وراء غيوم داكنة ، وكاد البحر ذاته أن يختفي خلف ضباب كثيف ثم هطل المطر غزيرا متواصلا ، المارة يهرولون للاحتماء بأقرب سقف ، السيارات وحدها هى التى تبطىء حين يشتد المطر وكذلك يفعل الفتيان والفتيات العائدون من مدارسهم حيث يجعلون من حقائبهم المدرسية مظلات واقية ويضحكون ويتفتحون تحت المطر كالزهور اليانعة

الأشجار الخضراء التى يغسلها المطر تبدو وكأنها نمت فجأة في أماكنها منذ لحظات ، كان المطر يغسل كل شىء في المدينة ، يغسل حتى البحر .

● قلعة صلاح الدين
ويظهر الممر الذي نحت
في الصخر لتعرف عن
الجبال المحيطة

سفل الصفحة إلى
اليمين
القوس الروماني
باللاذقية

(إلى اليسار)
طلاب وطالبات في
المدرسة التخصصية
يتدربون على رقصة
شعبية (فلكلورية)

أسفل الصفحة إلى
اليمين
منظر عام لمدينة اوجاريت
الأثرية وإلى اليمين
وجه من اعمد التسه
فوق جبال اللاذقية

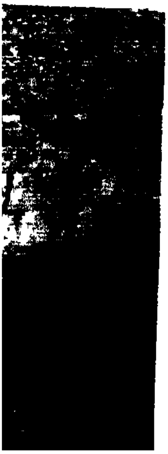

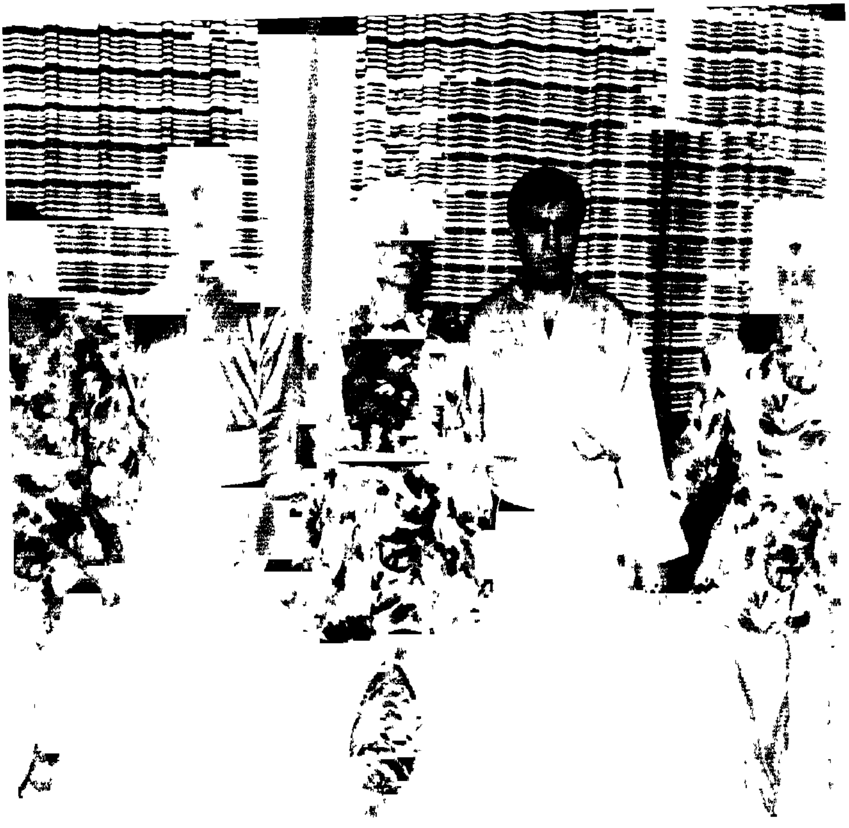

اللاذقية : مدينة الغابات والزيتون

قال لنا السيد ثابت مدير الزراعة في اللاذقية

« حتى الآن لا تزال الزراعة هي أهم ملامح الاقتصاد في محافظة اللاذقية ، الصناعة موجودة وتنمو هناك مصنع للمحركات الصغيرة ومصنع للالمنيوم هو الوحيد في القطر السوري ، وهناك طبعا صناعة الدخان الذي تجود زراعته في اللاذقية ، وصناعة الحرير من دود القز الذي يربى هنا في اللاذقية أيضا لكن الاتجاه الجديد والهام للصناعة هنا هو صناعة المواد الغذائية لكن دعونا نبدأ من البداية

السياسة الزراعية

« مساحة محافظة اللاذقية ٢٢٩ ألف هكتار ، المستثمر منها في الزراعة حوالى مائة ألف هكتار ، منها حوالى ٨٦ ألف هكتار غابات طبيعية واصطناعية تملكها الدولة

« الأراضي المستثمرة في المحافظة جزء منها يستثمر من قبل الدولة ، من خلال المؤسسة العامة لمزارع الدولة والباقي وهو الأعظم يستثمر من قبل الفلاحين وفق خطة موضوعة من قبل الدولة

وعن أهم ملامح السياسة الزراعية قال السيد ثابت

« الذين يعملون في المزارع المستثمرة من قبل الدولة هم أنفسهم الفلاحون الذين كانوا يزرعون الأراضي ذاتها وهي في حوزة الاقطاعيين ، وهؤلاء يتقاضون أجورهم وفق نظم مستقرة وعادلة بالاضافة الى نظام للحوافز لزيادة الانتاج ، وتعويضات وفق طبيعة العمل ، ونظام للتأمين وخدمات صحية واجتماعية

والى جوارهم عمال مؤقتون يأتون الى العمل في مواسم الحصاد والبذار ، وأجر العامل المؤقت يتراوح بين ٥٠ ، ٦٠ ليرة في اليوم حسب طبيعة العمل

« عائدات مزارع الدولة نسبة محددة منها تستخدم لاستثمار أراض جديدة وفق خطة الدولة (كل سنة يتم استصلاح ما بين ألف وألف وخمسمائة هكتار أراضي زراعية جديدة) والباقي يعود لتطوير المزرعة ذاتها ، سواء باضافة أرض جديدة أو تطوير وسائل الري من البعلي الى الدائم أو تحسين البذور

« الأراضي التي يمتلكها الفلاحون ملكية خاصة تخضع مدورها لنوع من اشراف الدولة ، فالدولة هي التي توفر لهؤلاء الفلاحين البذور والسماد والمبيدات الحشرية وآلات البذور والحرث والحصاد مقابل أجور رمزية كما ان الدولة هي التي تضع السياسة التسويقية للانتاج

تلك هي ملامح عامة للسياسة الزراعية في القطر السوري بما فيها اللاذقية

« لكن ثمة ما يمكن أن يكون سياسة خاصة بالتشجير في اللاذقية حيث تجود فيها (نظرا للظروف المناخية الخاصة بها وطبيعة الأرض) زراعة أشجار الحمضيات واللوزيات والزيتون والتفاح وغيرها

« يتمثل اهتمام الدولة بالتشجير في محافظة اللاذقية ، بأنها (من خلال المؤسسة العامة) تبدأ في استصلاح الأرض لصالح الفلاح ، ثم تمنح كل فلاح قطعة أرض مناسبة بعد استصلاحها ، ليقوم هو بزراعتها بالأشجار وتعفيه من سداد ثمنها لمدة خمس سنوات وهي تقريبا المدة التي تحتاجها مثل هذه الأشجار لكي تعطي ثمارها لأول مرة ، يمكن للفلاح خلال هذه السنوات أن يزرع الأرض تحت الأشجار بأنواع من الخضار تعطي عائدا مرة ومرات كل سنة

« الدولة هي التي تحدد للفلاح نوع الشجر الذي يزرع في هذه الأرض وفق اعتبارات منها المناخ ومدى ارتفاع الأرض عن سطح البحر ، فالحمضيات - وتأتي في الدرجة الأولى من الأهمية - تزرع في السهل الساحلي على ارتفاع اقل من ٣٠٠ متر ، والزيتون - ويأتي في الدرجة الثانية - يزرع على ارتفاع أقل من ٦٠٠ متر والتفاح والكرز والأجاص - ويأتي في الدرجة الثالثة يزرع على ارتفاع أقل من ٨٠٠ متر

« الدولة توفر للفلاح دائما الات الزرع والري بكل أنواعه (الرش والتنقيط) وبخاصة في مثل هذه المناطق المرتفعة »

« بعد هذه السنوات يقسط ثمن الأرض على الفلاح لمدة عشر سنوات بأقساط رمزية أقل بكثير من كلفة اصلاحها »

نتيجة لهذا الاهتمام تطور انتاج الحمضيات حيث كان في عام ١٩٧٥ حوالى ١٩ ألف طن وأصبح في سنة ١٩٨٦/ ١٣٠ ألف طن وبالنسبة للزيتون فقد زرعنا في عام ١٩٨٦/ ٢٠٠ ألف غرسة زيتون في المحافظة بلغ انتاجها ٢٥٠ ألف طن ، كما بلغ جملة انتاج اللاذقية من التفاح في العام نفسه ٣٠ ألف طن

للتبغ أهمية خاصة

لزراعة التبغ في اللاذقية تاريخ قديم ، وللفلاح خبرة قديمة بأساليب زراعته ، وقد انتشرت زراعة التبغ في محافظات غير اللاذقية مثل درعا وحلب والجزيرة ، ونتيجة لهذا التطور أنشئت مؤسسة عامة للاشراف على زراعة التبغ في كل انحاء الجمهورية العربية السورية

« والتبغ كالزيتون يزرع أولا في مشاتل صغيرة ، هي عبارة عن كيس من البلاستيك فيه خلطة تراب من نوع خاص مخلوط بالأسمدة وتبقى هذه المشاتل عدة شهور في بيوت من البلاستيك ، ثم تنقل الى الأرض لتواصل نموها ، وقد تابعنا احدى مراحل هذه العملية في احد الحقول القريبة من اللاذقية اثناء جولتنا في مزارع الحمضيات والزيتون

أثناء تجوالنا في مزارع الحمضيات والزيتون بمشارف اللاذقية قمنا بزيارة لاحدى محطات تربية الأبقار التابعة للدولة

قال لنا السيد/ اسماعيل مدير المحطة

هذه المحطة بها ست حظائر تضم حوالى ٥٠٠ رأس ومساحتها الاجمالية حوالى ٥٠٠ دونم وتزرع هذه المساحة بالأعلاف الخضراء التى تغطى حاجة الأبقار الى العلف ، ويعمل بها ٣٢ عاملا بينهم طبيب بيطرى ومهندس زراعي وفنيون لتشغيل الآلات وصيانتها

تربى الاناث لانتاج الحليب ، وعمر الأنثى حوالى ١٠ أعوام وتذبح الذكور

لا توجد صناعة ألبان في اللاذقية لأن كمية الحليب المنتجة في اللاذقية كلها لا تكفي لتشغيل مثل هذه الصناعة

توجد محطات أخرى يمتلكها القطاع الخاص وهى أصغر من هذه المحطة تضم كل واحدة منها من ١٠ ـ ٢٠ رأسا ، وانتاج جميع هذه المحطات يغطى حاجة محافظة اللاذقية للألبان

جملة ما يوجد في اللاذقية وحدها حوالى ٦٠ ألف رأس تتبع الدولة والقطاع الخاص

توجد في سوريا كلها ١٢ محطة تتبع الدولة

سد تشرين

لا يكتمل الحديث عن قطاع الزراعة في اللاذقية دون الحديث عن أحدث سد تم بناؤه فيها ، فتنمية الزراعة في محافظة مثل اللاذقية ، تقوم الزراعة فيها في سهل ساحلى ضيق وعلى منحدرات الجبال ، وفي مناطق تختلف فيها طبيعة التربة والمناخ ، يعنى ضرورة الاهتمام بتوفير مياه الرى بكميات مناسبة وعبر شبكات متعددة ومتنوعة للرى والصرف ، ترتفع الى مناطق تصل أحيانا الى ٨٠٠ م ، ومن هنا فإن اقامة السدود على مجارى الأنهار في سوريا ، وما يتصل من شبكات الرى جزء لا يتجزأ من السياسة الزراعية في سوريا ، وتقوم على ضرورة الاستفادة من كل مصادر المياه جوفية أو نهرية وحسن توزيعها عبر شبكات الرى الدقيقة لتجعل من كل قطعة أرض في السهل أو في الجبل مكانا صالحا للزراعة

وصلنا الى موقع السد الذى أقيم على نهر الشمالى الكبير في منطقة تبعد حوالى ٢٠ كم شمال شرق اللاذقية ، مشينا فوق الجسر الترابى الممتد فوق السد (لم يكتمل رصفه بعد) قال مرافقنا

« ان ارتفاع السد يبلغ ٥٢ مترا ، وعرضه عند القمة (عرض الطريق الذى نسير فيه) ١٢ مترا وطوله ٨٥٤ م ، المنظر من حولنا بالغ الروعة فالبحيرة خلف السد تحيط بها الغابات الخضراء ، وتظهر لنا من بعيد في قلب البحيرة مرتفعات مكسوة بالأشجار الباسقة

سألنا مرافقنا هل ثمة اتجاه لاستغلال هذه البحيرة سياحيا ؟

« هذه البحيرة وطولها ١١ ك م تمثل فرصة سياحية رائعة لأنها تجمع بين ميزتي البحر ، والجبل فحين يرتفع منسوب المياه في هذه البحيرة في موسم الفيضان الى أعلى طاقة له ، سوف تتحول المرتفعات الخضراء في داخلها ومن حولها الى ما يشبه الجزر العائمة ويمكن أن يقوم الاتصال بينها عبر الزوارق البحارية وحين تقام فيها الفنادق السياحية يمكن أن تصبح مثل مدينة البندقية في ايطاليا بالاضافة الى الطبيعة الساحرة من حولها ، وهناك دراسات حول أفضل الوجوه لاستثمار هذه البحيرة سواء للسياحة أو لتربية الأسماك

وعن كمية المياه المحتجزة في البحيرة يقول المرافق

« حجم المياه المختزنة خلف السد والمستعملة بالفعل ١٣٠ مليون متر مكعب أما الطاقة الكاملة للتخزين خلف السد فتبلغ ٢١٠ مليون متر مكعب وعن مساحة الأراضى المستفيدة من انشاء السد يقول

مياه هذا السد تكفى لرى حوالى ١٣ ألف هكتار

أعلى الصفحة
وفي الوسط
المدرسة
التخصصية .
وتظهر بعض
الطالبات اللوا
يقمن بإعداد
الزهور ، ورسم
اللوحات
الفنية
أسفل
الصفحة
منظر للاستاد
الكبير بالمدينة
الرياضية ،
لايزال تحت
الاعداد
أعلى الصفحة
منظر لاحـ
الملاعب المغط
في المديـ
الرياضية
أسفل
الصفحة
طلاب وطالبا
يتدربون عل
العزف ، ا
المدرسة
التخصصية

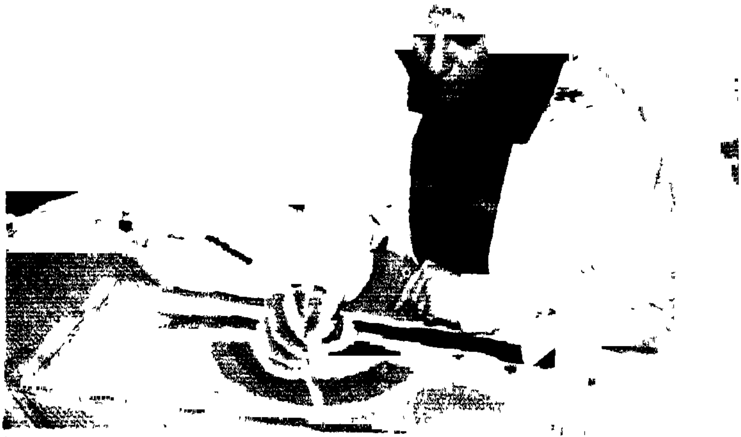

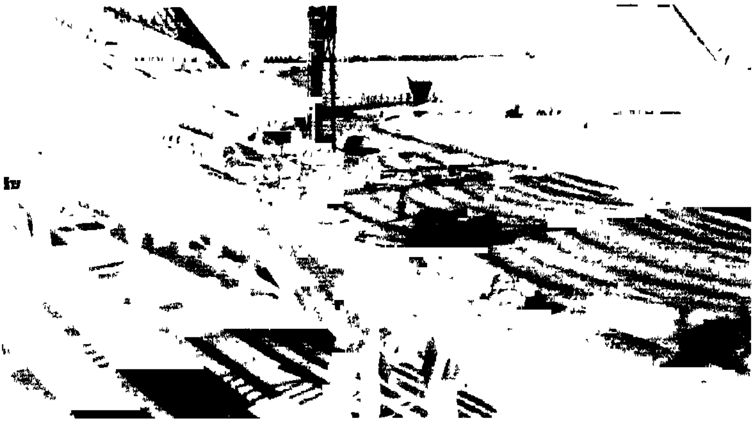

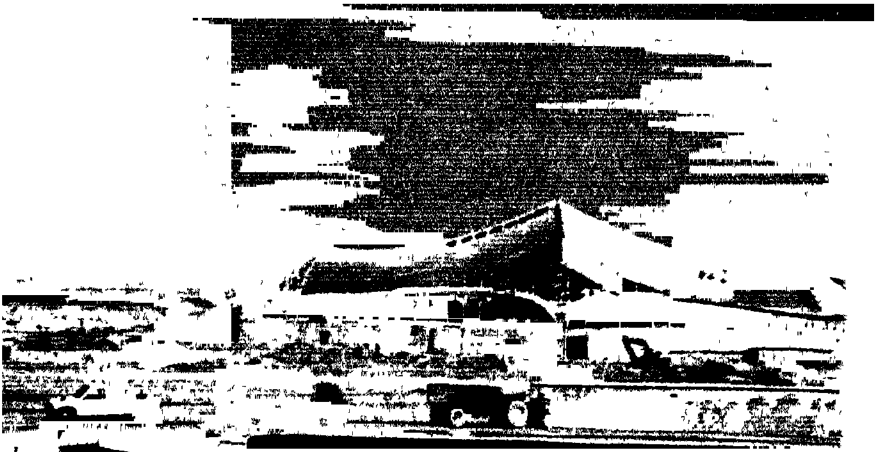

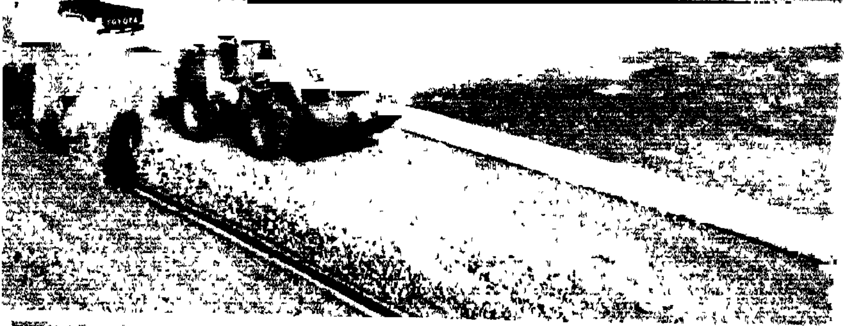
TOYOTA

من الأرض الزراعية منها ألفان وخمسمائة هكتار تروى بالطرق التقليدية المحسنة وعشرة آلاف وستمائة هكتار تروى بالرش والتنقيط ، كما يوفر احتياطيا لمياه الشرب يقدر بـ ٣ ملايين متر مكعب في السنة

كما قد وصلنا في مسيرتنا فوق جسم السد الى فتحات المياه فقال المرافق . توجد ثلاث فتحات في السد هذه الفتحة ، هي قناة التحويل من أجل تمرير مياه الفيضانات المتوسطة التي تصل غزارتها ٩٠٠ متر مكعب في الثانية

وتلك الفتحة تسمى « قناة المفيض » من أجل تمرير الفيضانات العالية التي تصل غزارتها ١٨٠٠ متر مكعب في الثانية ، والفتحة الثالثة هي « مأخذ الري » لتأمين المياه اللازمة للري في وادي النهر وفي المنطقة الجنوبية

لا تزال تجرى الدراسات حول الاستفادة من مساقط مياه السد في توليد الكهرباء

استغرق بناء السد أربع سنوات ، قامت بانجازه شركات سورية والأيدى العاملة فيه ـ في مختلف مستويات العمالة ـ كلها سورية بالتعاون مع الاتحاد السوفيتي في اطار اتفاقية خاصة بذلك

الدورة العاشرة لألعاب حوض البحر الأبيض

عود على بدء

عدنا الى المدرسة التخصصية لنلتقي بالسيد/ وليد عثمان المسئول عن حفلي الافتتاح والختام في الدورة

كان الرجل ودودا ومرحبا ببعثة مجلة العربي وبدأنا معه بآخر سؤال طرحناه في أول لقاء لنا بالعاملين في المدرسة

* لماذا كان قرار سوريا باستضافة الدورة العاشرة لألعاب حوض البحر الأبيض ؟؟

هناك ابعاد كثيرة وراء هذا القرار !

* هناك أولا بعد اهتمام الدولة بالشباب ، فاستضافة الدورة ، واتخاذ الاجراءات الخاصة باقامة مدينة رياضية كاملة في اللاذقية يعني في المقام الأول اتاحة الفرصة أمام شباب سوريا لترسيخ اهتمامهم بالرياضة وممارستهم لها ، باعتبار الرياضة مقوما من مقومات الشخصية في هذا العصر الذى لا تنفصل فيه الصحة الروحية والاخلاقية عن صحة الجسد وكفاءته وفعاليته ، ان المدينة الرياضية سوف تخدم الدورة اثناء انعقادها لكنها بعد ذلك ستبقى لخدمة الشباب السوري ولدورات ولقاءات أخرى

* ثانيا لقد زرتم اللاذقية ولعلكم رأيتم في زيارة المعالم التاريخية بها ما الذى يعنيه موقع سوريا للمنطقة العربية ؟ وما الذى يعنيه موقع اللاذقية لسوريا ؟؟ بلادنا دائما كانت أرضا تلتقي وتتعايش فيها الثقافات والحضارات ، بلادنا مستقر بقدر ما هي ممر . سوريا كانت دائما منطقة احتكاك وتفاعل ، وعندما ندعو الشباب الرياضي من ثلاث قارات ليلتقوا بشباب بلادنا من خلال هذه الدورة وليروا على أرض الواقع لمحات من حضاراتها وثقافتها فنحن في الحقيقة نواصل دور سوريا في صيغة عصرية انسانية وأملنا أن يكون لقاء الشباب في ميادين الرياضة مقدمة طبيعية للتعارف ثم تبادل الخبرات في مجالات أخرى علمية وثقافية وفنية

ثالثا لقد تعرضت سوريا لحملة تضليل كبيرة بسبب مواقفها المبدئية ، ومن خلال هذه الدورة وما تتيحه من فرص اتصال مباشر ، سواء بين المشاركين فيها من ناحية أو بينهم وبين العالم كله (من خلال الأقمار الصناعية) من ناحية أخرى فان هذه ستكون فرصتنا لنوصل لشعوب العالم في بيوتهم رسالة عن حقيقة سوريا المعاصرة ودورها من أجل سيادة السلام والعدالة والحرية في الوطن العربي وفي العالم

رابعا هذا القرار يعني توظيف العديد من الخبرات والكفاءات السورية وراء هدف كبير على مستوى القطر السوري كله ، سوف ترورون المدينة الرياضية ، وسوف ترون متى وكيف تم هذا الانجاز الكبير ؟ كله قام بسواعد الشباب في زمن قياسي ، وأصبح مدرسة لاعداد الأطر والخبرات في ميادين بغير حصر ، وهذه الأطر ستكون في النهاية رصيدا لنا وللأمة العربية

خامسا لعلكم لاحظتم ما هو متوفر في اللاذقية من امكانات طبيعية هائلة للسياحة ، سواء ما هو موجود فيها من طبيعة ساحرة أو من قيم ثقافية وتاريخية كبيرة ، وستكون هذه الدورة مناسبة كبيرة ، لكي نوجه بطاقة دعوة الى من يهتمون بالجمال الطبيعي والقيم الانسانية العالية لزيارة بلادنا

* ماذا عن حفلي الافتتاح والختام باعتباركم مسئولا عنهما ؟

* سيكون هذا الحفل مفاجأتنا للمشاهدين في سوريا وفي العالم ولأننا حريصون الى حد ما على أن يبقى مفاجأة فلا مانع من أن أقول كلمات قليلة من حوله لا عنه

في مثل هذه المناسبات يعتمد حفلا الافتتاح والختام على الابهار من خلال التقنية المتقدمة ، وسنحاول أن يقوم عملنا على المزج بين التقنية المتقدمة والجانب الاساس

ستكون مراسيم الافتتاح التقليدية جزءا حيا ويرتبط دراميا ببقية الفقرات التى ستقدم في هذا الحفل ، علما بأننا قد أدخلنا تطويرا جديدا وافقت عليه اللجنة الأولمبية في شكل مراسيم الافتتاح التقليدية التطوير ليكون مفاجأة للمشاهدين

ستبرز فقرات الحفل النكهة السورية في اطار البعد القومى العربي ، ففي الوقت الذى سيشاهد فيه الجمهور العربات التدمرية والسفن الفينيقية وهى تمخر البحار ، سوف يشاهد أيضا والشخصيات العربية والأسطورية فيها مثل السندباد وعنترة بن شداد بصفاتها العربية الأصيلة وبالمعانى التى ترتبط بها في وجدان الأمة كل ذلك من خلال دراما تتضافر في صنعها التقنية والكلمة والموسيقا والحركة والثياب والأقنعة

المدينة الرياضية

في منطقة افاميا وهى واحدة من أجمل المناطق على ساحل اللاذقية كان العاملون في المدينة الرياضية يسابقون الزمن وهم ينجزون المراحل الأخيرة من العمل الكبير

من خلال نظرة شاملة للموقع الذى يمتد على ساحل البحر الأبيض بمسافة مساحتها الاجمالية مليون و٦٠٠ ألف متر مربع يمكن أن نتبين أن منشآت المدينة تتوزع في مجموعات بينها مساحات واسعة ستكون حدائق خضراء وملاعب للأطفال حين ينتهى العمل

هناك مجموعة الملاعب المكشوفة وهى تضم الاستاد الرئيسى في المدينة   والى جانبه ملعبان تدريبيان لكرة القدم وألعاب القوى .

الاستاد الرئيسى يتسع لـ ٤٥ ألف متفرج منهم ١٢ ألف متفرج تحت المنصة الرئيسية المغطاة بسقف بنى على هيئة خيمة عربية ، وسيغطى هذا السقف بمادة معدنية مضادة للصدأ والتآكل لمقاومة تأثير المناخ والرطوبة البحرية

هناك مجموعة الصالات المغلقة ، وتضم خمس صالات   الصالة الرئيسية بها تتسع لخمسة آلاف متفرج ، وثلاث صالات تتسع كل واحدة منها لـ ١٥٠٠ متفرج ، والصالة الخامسة للتدريب

مجمع السباحة ويضم المسبح الأولمبى ، وبركة غطس وبركة سباحة ومسبحان للأطفال ، ومسبح مغلق للتدريب

نادى التنس ، ويضم ست ساحات للتدريب سعة كل مدرج مائة متفرج . وأربع ملاعب للكرة الطائرة وملعب لكرة السلة ، وملعب لكرة اليد

كل مجموعة من هذه المجموعات لها ادارة مستقلة لكن المدينة كلها تخضع لمجمع ادارى شامل

المجمع الادارى ويضم صالة للاجتماعات ، ومبنى للاذاعة والتلفزيون ، ومبنى للصيانة وآخر للرعاية الطبية

كان العمل يستمر في هذه المنشآت طوال اليوم من خلال ثلاث ورديات ، في قلب المدينة كانت توجد مصانع صغيرة تعمل في وقت واحد منذ بداية تنفيذ المشروع لاعداد كل العناصر اللازمة لانجاز المشروع كالبلاط والخشب والقيشانى والسيراميك والجبس

بدأ العمل في هذه المدينة في نيسان ١٩٨٤

يشارك في الدورة ٥ آلاف لاعب وألفان من المرافقين والصحفيين والمدربين

تشارك حوالى ١٧ دولة في الدورة ويشارك من أبناء اللاذقية في حفلى الافتتاح والختام حوالى ٢٠ ألفا

كان النهار يوشك أن ينقضى ، حين مضت بنا السيارة عبر سهول اللاذقية المفعمة بالحياة والخضرة والغابات ، وشذا الأزهار التى تختفى ألوانها وتبقى روائحها ترشد الخيال الى وجودها الخفى الجميل كنا في طريق العودة الى دمشق نودع موطنا للجمال بين الجبل والبحر وفي الأعماق رغبة بأن نعود يوما الى هذا الوطن الذى يتعانق فيه الماضى والحاضر لنلتقى في المرة القادمة بالمستقبل

□

السياحة
في بلد
حار

"الخيران"

منتزه سياحي

استطلاع [illegible]

هل هي أمنية ، أم حلم ،
أم مخاطرة في التفكير والتخطيط
ومن ثم تنفيذ مشروعات سياحية
في الكويت ، هذا البلد الحار
صيفا ، البارد برودة الصحراء
في الشتاء ؟
إن الأمر فيه من كل ذلك
فتعالوا معا نشاهد ونسمع
ونرى !

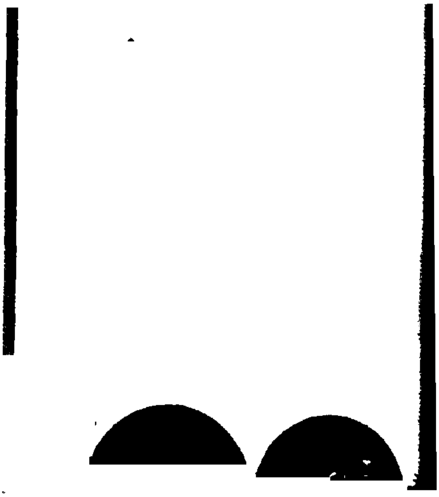

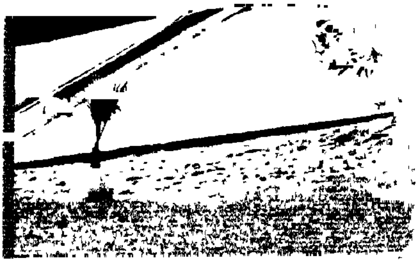

هي بلاد يعرفها أهلها كمعرفتهم لمواطن أكفهم ، فيها عاشوا ، وتعايشوا ، وخبروا كل مافيها وعليها ، كأي مواطنين أحرار في أي بلد من بلاد الدنيا . مساحاتها مكشوفة ، لايوجد فيها غموض ، أو على الأصح أصبح لايوجد فيها غموض . بحر وصحراء . البحر ممتد وشاسع ، كان فيه غموض عندما كان الناس يجوبون غموضه سفن ، تسير أشرعتها الرياح وقوة الانسان العضلية

أما الآن فإن العلم قد ذلل كثيرا من الصعوبات والغموض ، ودخلت سفن تمخر العباب بواسطة التقنية الحديثة ، ولم يبق من الغموض إلا قليله

والصحراء هذا الامتداد المكشوف قطعت غموضه شرايين الطرق الكثيرة التي ترتادها السيارات . هذه « الجمال الحضارية » الحديثة التي أصبحت تصل إلى أقصى مساحة فيها ، هذا عدا عن الطائرات ، وغيرها من مسخرات عصرنا

أي مخاطرة !.

فأي مخاطرة يركب، من يريد « تعليب » الهواء والشمس والرطوبة والغبار ليبيعها للناس في بلاد كالكويت؟ أي مخاطرة وأي مركب يركب ذلك الذي يريد أن « يسوق » السياحة في درجة حرارة تصل إلى الخمسين في بعض الأحيان، تترافق مع رطوبة قد تصل إلى مائة بالمائة، وربما يرافق ذلك غبار ناعم، يحيل زرقة السماء إلى اصفرار أو احمرار خانق؟

أي مخاطرة في الحديث عن سياحة ومشروعات سياحية في بلاد يهجرها نصف سكانها تقريبا إذا مابدأت سياط الشمس تلهب ظهور الجماد والأحياء، من نهاية الربيع إلى نهاية الخريف؟

هل سيغطي قرص الشمس بالأصابع؟ وهل سيركب «فلتراً»كبيراً لتنقية الهواء؟ وكيف سيتغلب على اختناقات الأنفاس من جراء العجاج « الطوز » أو الرطوبة؟

أسئلة كثيرة تدعو للحيرة، وحتى لانطيل فيها، وندخل في تشعباتها، نقلنا بعضها إلى بعض المسئولين الذين يركبون ظهر « المغامرة »، فقال لنا السيد فوزي التميمي مدير العلاقات العامة والتسويق في شركة المشروعات السياحية

- لقد احتفلنا في شهر مارس ـ آذار ـ الماضي بالذكرى الحادية عشرة على إنشاء الشركة (٩٢ / من أسهمها حكومية و ٨ / مملوكة لشركات أهلية)، وقد تم إنجاز عدة مشروعات مهمة، تعتبر أساسات لقيام « صناعة سياحية » في البلد منذ أن تم إنشاء الشركة

* ماهو هدفكم في الأساس؟

- إن هدفنا الأساسي هو رسم بسمة على شفتي كل إنسان في الكويت، وإدخال السعادة على المواطن والمقيم

* إنه ككلام بعض الشعراء، وككلام بعض الشعارات!

- إذن عليك أن تستمع، وأن تسجل لقد ثبت من خلال الدراسات الاحصائية أن ٧٠/ من المواطنين والمقيمين في الكويت يتجهون لقضاء إجازاتهم السنوية إلى أقطار عربية، أو مناطق أخرى من مناطق الشرق الأوسط، و ٣٠/ يتجهون إلى أوروبا وأميركا

ونحن نسعى إلى خوض المنافسة على نسبة السبعين في المائة في هذه المرحلة

إن المرافق التي أنشأناها في الكويت تتفوق على كثير من المنشآت القائمة في بلاد الشرق الأوسط

فالمدينة الترفيهية ومايوجد فيها من مرافق لايوجد شبيه لها في المنطقة كلها، وقد زارها سنة ١٩٨٦ ٦٩٥,٣٥٢ زائرا، عدا زوار أبراج الكويت، والنوادي البحرية، والحدائق، والاستراحات، وصالة التزلج، والنافورة الموسيقية، والمتنزهات السياحية إن هذه المرافق وغيرها توفر للمواطن والمقيم كل مستلزمات السياحة المناسبة

* هل تعتقد أن « صناعة السياحة » ـ خصوصا في الكويت ـ تقوم على توفير المرافق فقط؟ ألا تجد أن طبيعة الطقس تسهم في « الطرد » السياحي نحو الخارج؟

- إن توفير المرافق الترفيهية عامل من عوامل أخرى، تسهم في توفير مستلزمات الترفيه للمواطن والمقيم، وصحيح أننا بإقامة المرافق الترفيهية العديد لن نقضي على السياحة في الخارج، لكن طموحنا المرحلي الآن هو الحد من ظاهرة السياحة في الخارج

إن مرافقنا موجهة لخدمة الانسان، وخدمة الاقتصاد الكويتي، وأستطيع أن أقول بكل ارتياح بأن الجمهور لم يخذل محاولاتنا، فلقد ارتاد مرافقنا ثلاثة ملايين نسمة تقريباً سنة ١٩٨٦، بالرغم من وجود العوامل الطبيعية التي تحد من ذلك، كالغبار (الطوز) والرطوبة والحرارة المرتفعة، وقد تم حجز كثير من (شاليهات) الخيران لأشهر عديدة قادمة على سبيل المثال وليس الحصر

منتزه سياحي

* من المشروعات السياحية التي تم إنجازها، وأضيفت إلى مرافق شركة المشروعات السياحية، منتزه الخيران السياحي، فما هو هذا المنتزه؟ وماذا يقول المواطنون عنه؟

- بتاريخ ٢٣/٢/١٩٨٧ افتتح سمو أمير دولة الكويت الشيخ جابر الأحمد منتزه الخيران بصورة رسمية

- السيد نوري التميمي

* بعد ذلك أصبح اسم (الخيران) يتكرر على كثير من الألسنة

فما هي طبيعة هذا المرفق ؟ ومن أين جاءت التسمية ؟ وماذا يوجد في ذلك المكان القصي من الأراضي الكويتية ؟

- قليلون هم الذين كانوا يعرفون المكان ، وقلة من الصيادين كانوا يقصدونه ، ، لكنه أصبح الآن مرفقا مقصودا لعائلات كثيرة ، فما الذي تغير فيه ؟

- تقع المنطقة التي تسمى بالخيران على بعد حوالي ٩ كيلومترا جنوبي مدينة الكويت ، وتبعد عن حدود السعودية حوالي ٢٠ كيلومتراً تقريبا ، وقد جاء في « الموسوعة الكويتية المختصرة » لحمد محمد سعيدان ، التعريف التالي للخور والخيران

« خور : منعطف أو لسان من البحر يكون في البر شكل خليج صغير جدا ، ويوجد في الكويت من الخيران - جمع خور - منها : خور الأعمى ، خور المفتح ، وخور الصبية ، وخور عبدالله خ

أما « الخيران » فجاء في تعريفها بأنها قرية سية ، تقع على بعد ٩٤ كيلومترا إلى الجنوب من اصمة ، وهي عبارة عن خورين هما خور الأعمى ور المفتح »

● السياحة في بلد حار

وللوصول إلى القرية التي أصبحت منتزها يمكن للمرء ان يسلك الطريق السريع - الجديد - المتجه الى المملكة العربية السعودية ، وهو يبعد عن الطريق القديم المحاذي للبحر تقريبا كيلومترات قليلة ، تقل أو تزيد بين منطقة وأخرى ، إلى أن يتلاقى الطريقان ويصبحان طريقا واحدا بالقرب من استراحة النويصيب التابعة لشركة المشروعات السياحية ، بعد أن يكون قد مر بمحاذاة مدينة الأحمدي والفحيحيل والشعيبة وميناء عبدالله والخليعة ، وعند الوصول إلى الطريق المؤدي إلى ميناء الزور فإن الخيران تصبح على بعد حوالي ١٨ كيلومتراً فقط ،والطريق ممهد ومضاء موزع على اتجاهين للذهاب والاياب ، ويتسع كل اتجاه منه لثلاث سيارات

أبرز معالم الطريق تتمثل بوجود عشرات المصانع أو منشآت الموانيء واحتياجاتها ، وأبرزها جميعا مصانع البتروكيمياوات ومشتقات البترول الأخرى ، وخطوط الضغط العالي الكهربائية ترافقك - تقريبا - الطريق كله

خضرة بعض المزارع بالقرب من ميناء عبدالله وبعده تحرك على الالتفات والتمعن ، فمعالم الخضرة من المعالم المميزة حقا ، خاصة أن ماعدا ذلك يتمثل في صحراء مترامية الأطراف ، أو معالم من الأسمنت ، غزت الصحراء ، واحتلت مواقع فيها

من المعالم التي تلفت النظر أيضا ذلك اللمعان الذي يتكرر على طول الشواطيء التي تمر بها ، لكن عندما تقترب من بعض مصادر اللمعان فإنك تكتشف سره ، وتجده بسيطا جدا ، إنه بعض صهاريج واسطوانات الماء التي أقامها رواد الشواطيء بالقرب من البيوت الصيفية - « الشاليهات » التي أقامها الكثيرون من سكان الكويت على الشاطيء ، كي يلجأوا إليها في إجازاتهم وعطلاتهم الأسبوعية

تلوح بعض مساحات الخضرة على جانبي الطريق الذي تحفه الصحراء ، وعلى تلك المساحات كانت قطعان الغنم والماعز والابل ، ترعى وتمارس شقاواتها ، خاصة أن أيام الحر لم تكن بعد مارست هجومها الشديد « تمت الزيارة في نهاية الربيع »

بعد أن تتخطى استراحة النويصيب فإن

- أحد المسابح الداخلية وروّاد ما قبل الصيف - أعلى -

- الجمهور يمارس «رياضة» المشي داخل المتره

- القطار معلم سياحي يتعرف الجمهور بواسطه على منشآت المتره

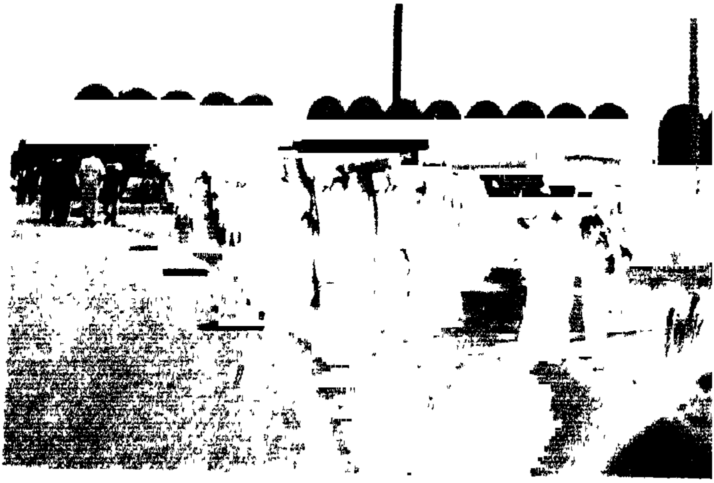

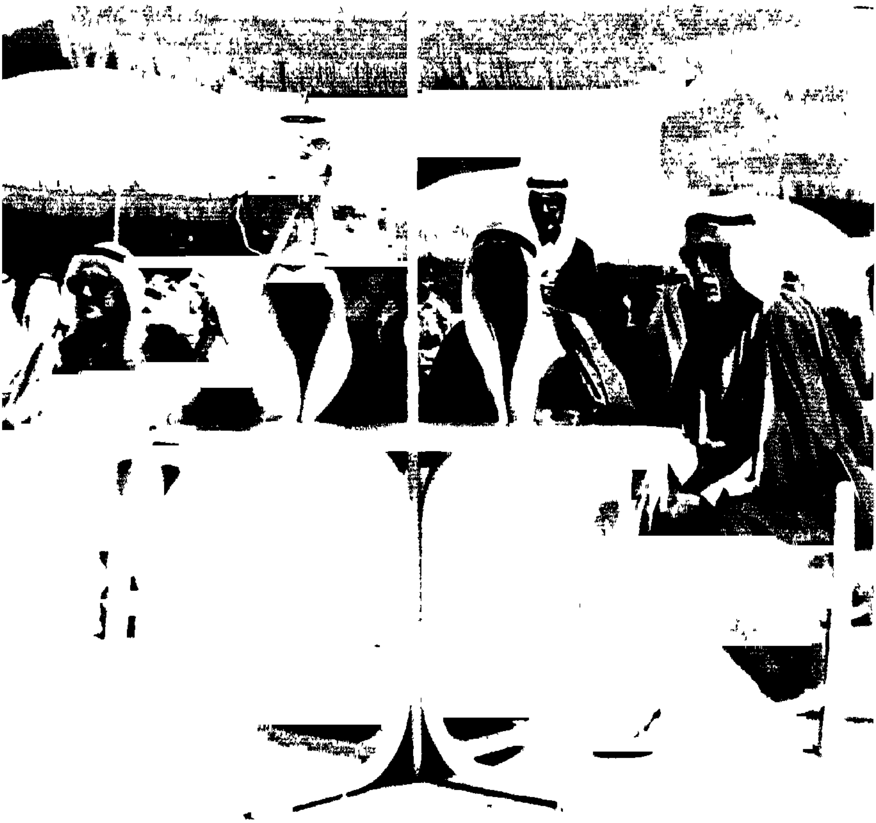

سمو أمير دولة الكويت الشيخ جابر الأحمد بعد افتتاحه المنتزه يحيط به بعض رجالات الكويت ، منهم ناصر القطامي ، يوسف المليح ، محمد عبد المحسن الخرافي

ـ مياه القوارب
زرقة ماء ومهرجان
ألوان

لوحات الارشادات تتوالى في تذكيرك بأنك أصبحت على بعد كيلومترات قليلة من « الخيران »

ثم تصل إلى المفرق المعني ، وتأخذ بالاتجاه نحو البحر ، والطريق ممهد حديثا ، وهو على اتجاهين للذهاب والاياب ، زرعت بينهما بعض أشجار النخيل التي تحتاج إلى عناية أكثر كي تسري الحياة في أوصالها

مازالت المساحات الصحراوية الكبيرة على جانبي الطريق تحتضن عشباً جذب بعض قطعان الماشية

مدخنة مصنع الزور الذي اختص بتصدير مكامن البترول البحرية تحاذيك على اليسار ، ثم تواصل سيرك فتجد أن البحر حين حل الخور قد ترك بعض مياهه على يسارك ، وبرزت بعض « الشاليهات » الخاصة بعيدا عنها ، لقد كان هذا جزء من خور الأعمى

ثم تصل إلى مبنى الاستقبال في المنتزه بعد أن تدخل معمعة التنافس مع الآخرين للدخول ، فتمتع ناظريك بعض خضرة الأشجار والنباتات

داخل الخيران

أنت الآن في داخل « الخيران » وهذا هو القطار الذي يتسع لحوالي ٥٠ فردا ، ويسير على الطريق العادي ، يمارس دورته ، ليطلع ركابه على معالم المنتزه ، صفيره يلفت الأنظار ، وبعض الشبان والشابات يتبعونه بواسطة سياراتهم الخاصة ، أو دراجاتهم التي استأجروها من إدارة المنتزه ، أو أحضروها معهم

تظهر خيمة كبيرة تتسع لحوالي ٩٠٠ شخص قال لنا السيد سعيد النمر الموظف في العلاقات العامة للمنتزه أن كثيرا من البرامج والمسابقات الخاصة بالأطفال تتم داخل هذه الخيمة ، ويتم توزيع عشرات الجوائز على الأطفال فيها

يغريك منظر البيوت التي أخذت شكل نصف دائرة تقريبا ، وكلها تقع على شاطيء البحر ، وتقف على التل القريب من الخيمة وتتجول بناظريك في المكان ، فتجد بعض الناس قد جلسوا للتشمس أمام « الشاليهات » ، وبعضهم يمارس رياضة المشي ، أو يمارس رياضات أخرى عديدة ككرة القدم ، وكرة المضرب « التنس » ، أو السباحة في المسابح الداخلية ، أو التمشي على شاطيء البحر ، أو السباحة في مياهه ، أو التمشي على رصيف ميناء القوارب الجميل المتعدد الألوان ، ثم تجد الأطفال يمارسون ألعابهم في الأماكن المخصصة لهم ، لقد اتضحت صورة المكان بشكل جلي لك الآن

خور الأعمى أصبح على يسار المكان ، وخور المفتح أصبح على يمينه ، وبينهما قامت البيوت أو « الشاليهات » ، فماهي مميزات الخورين ؟ ولماذا أطلقت هذه التسمية عليهما ؟

قال السيد سعيد النمر

إن خور المفتح سمي بذلك لأنه عميق ، يدخل في اليابسة مسافة ١٠ كيلومترات تقريبا ، وكان عمقه حوالي متر قبل إنجاز المشروع ، فتم تعميقه مع إنجاز المشروع ، وأصبح عمقه حوالي ثلاثة أمتار ونصف ، وتم « غرس » المنارات داخله ، كي لاتحصل اصطدامات بين القوارب لاتحمد عقباها ، وعلى أحد فروعه تم إنشاء مرسى للقوارب

أما خور الأعمى فإنه يدخل في اليابسة مسافة ٣ كيلومترات تقريبا ، وعمقه قليل ، لذلك سمي خور الأعمى ، ولأن من يقصده لايشاهد مدخله إلا عندما يصل إليه

* ما الذي يوجد في المنتزه ، وماهو عدد « الشاليهات » ؟

ـ التقينا بالسيد عدنان سعد مدير العلاقات العامة والمبيعات في شركة صماة المدقية التي تدير المشروع فقال

هو رئة للتنفس ، وأحد مرافق السياحة الداخلية ، نعم إنه رئة ، لأنه يوفر المناخ اللطيف البعيد عن الضوضاء ، يجد فيه زائره كل وسائل الراحة والنشاط في نفس الوقت ، وفيه كثير من مرافق الرياضة والسباحة ، وفيه الهدوء والاسترخاء

وإذا كان لابد من ذكر المرافق فإنني أوجز فأقول إن المنتزه يحتوي على ١٣٦ « شاليها » بغرفتي نوم في الطابق الثاني ، و ٤٨ « استوديو » بغرفة نوم واحدة ، و ١٢ « شاليهاً » فاخراً ، وجميعها مزودة بأثاث فاخر ، ومكيفة الهواء صيفا وشتاء ، وكل منها فيه غرفة معيشة ، ومطبخ مزود بكامل المعدات ، وحمامين ، وشرفة مطلة على البحر ، و « صالون » فيه الأثاث المناسب ، ومجهز بهاتف

از مع قناة « فيديو » ، وموقف مغطى يتسع رتين

حد مطعم مجهز بكامل التجهيزات ، يقدم أشهى ولات الشرقية والعربية ، ومقهى ، وشرفة تطل الميناء ، وهناك حمامان للسباحة ، وكل حمام فيه يتيريا » تقدم الوجبات الخفيفة ، ويوجد أربعة ب مضاءة للتنس ، وملعبا لكرة القدم ، وآخر الطائرة وكرة السلة ، وأربعة ملاعب ترفيهية طفال ، عدا عن رياضة التزلج على الماء ، حلات بالقوارب والسفن ، وقاعة للتمارين اصية « جميريوم » مجهزة بمعدات مناسبة ، ات « للسونا » ، وهناك قاعات داخلية لحفلات اف ، وعروض الأزياء ، والمعارض ، ندوات ، وهناك أيضا مركز تسلية بالألعاب برانية للشبان ، إضافة إلى سوق مركزي فيه مايحتاجه الرواد

ي « اليخوت »

عن نادي اليخوت والقوارب حدثنا مديره السيد د الحشاش ، فقال

لقد فتحنا مجال العضوية للنادي ، ويستفيد سو من جميع التسهيلات الموجودة في المتنزه ادي معا ، وهناك مرسى لليخوت ، مجهز بأفضل هيزات ، وهو يستوعب ٢٢٤ قارباً ويختاً صغيراً وسط الحجم ، و ٦ يخوت كبيرة ، كما توجد ة صيانة يحق لأي فرد الاشتراك في النادي ري ، أو الاستفادة من الخدمات التي تقدم وت ، كما توجد محارن خاصة بالرواد ، مات طبية كاملة في المتنزه ، وهناك خدمات ى كالهواتف والتلكس وغيرها

محمد مارك الصوري

ـ السيد محمد الحشاش

ـ السيد عدنان سعد

ـ السيد صلاح سليم خليل

رأي للجمهور :

* عن المتنزه ومرافقه وخدماته كان لنا هذا اللقاء مع مجموعة من الرواد

* السيد عبدالرزاق عبدالوهاب المطوع موظف بوزارة العدل ، والسيد عبدالله السلطان طالب جامعي ، كانا مع أسرتيهما قالا هذه ثاني مرة نأتي إلى هذا المتنزه ، وهو جيد للعائلات ، ولقضاء الاجازات القصيرة ، ففيه كثير مما يشبع احتياجات الرواد ، أما بالنسبة لقضاء الصيف في هذا المتنزه والاستغناء عن التصييف في الخارج فإننا لم نجرب ذلك ، لكننا نعيد القول بأن المتنزه يلبي احتياجات الاجازات القصيرة

○ أما ساجدة نايف طالبة في الثالث متوسط ، وحولة الأيوب طالبة في الثاني متوسط ، فقالتا

إننا نأخذ حريتنا في المتنزه ، ونلتقي بصديقاتنا ، ونجد أنفسنا بين الأهل ، وقريبين من مناطق الكويت السكنية ، وتوجد في المتنزه وسائل ترفيهية مناسبة لعمرينا

○ د محمد مبارك الصوري ، مدرس مادة النقد والأدب المسرحي في المعهد العالي للفنون المسرحية ، التقيناه مع عائلته وأولاده ، قال إن هذه هي المرة الثانية التي أحضر فيها بمتنزه الخيران ، نتيجة لتوفر الكثير من مجالات الترفيه التي لاتكلف كثيرا

وإذا لم نفكر بالسفر في الصيف فإن « الخيران » يمكن أن يوفر مجالا من مجالات الترفيه والسياحة ، وهناك سلبيات تتمثل في زحمة السيارات في الداخل ، وسباقات بعض الشبان فيها ، مما يمثل خطرا على الرواد ، وعلى الشبان أنفسهم .

ـ إيمان الغانم مع مجموعة من صديقاتها داخل المنتزه

* السيدة إيمان الغانم موظفة في وزارة التخطيط قالت

صحيح أن المنتزه يوفر احتياجات العائلة ، وأماكن ترفيهية وسكنية مناسبة ، إلا أني أجده مرتفع الأسعار ، خاصة بالنسبة للعائلات ذات الدخل المتوسط أو مادون ذلك ، والمكان مناسب تماما للاجازات ، لكن الاجازات القصيرة فقط ، وأعتقد أن المنتزه لايغني عن السفر في الصيف

* صلاح سليم خليل ، موظف بوزارة الخارجية ، كان مع أسرته قال

إن المكان مناسب ، ولطيف ، لكني أعتقد أنه لايغني عن سفر الصيف ، فهو مناسب فقط للاجازات القصيرة

* الاخوة بشار وفراس وبرار أبناء يوسف الشاهين ، وأعمارهم ١٨ و ١٦ و ١٤ سنة ، كانوا مع مجموعة من أصدقائهم ، يتشمسون أمام أحد « الشاليهات » ، قالوا

هذه هي المرة الثانية التي نأتي فيها إلى هذا المنتزه ، وهو مناسب لنا نحن الشباب ، ففيه أنواع متعددة من وسائل الترفيه ، وملاعب الرياضة ، نلتقي فيه مع أصدقائنا ، ونمارس هواياتنا المريئة كالسباحة ، وألعاب رياضية أخرى كالتزلج ، ونشاهد فرقا فنية عديدة ، وماهو متوفر يريحنا ، وينشطنا ، ويجعلنا نقبل على دراستنا بشكل جيد

○ أربع مدرسات رفضن التقاط صور لهن ، صرحت إحداهن وهي « أم علي » قائلة المكان لطيف وجميل وقريب من المناطق السكنية في الكويت ، وربما يشجعنا على عدم السفر في الصيف ، لأننا من ذوي الدخول المتوسطة ، لكننا وجدنا أن الأسعار عالية نسبيا ، ونأمل مراعاة ذوي الدخول المتوسطة أو المتدنية

○ نقلنا ماسمعناه خاصة بالنسبة للأسعار إلى المسؤولين عن ذلك فأجمع السيد نوري التميمي ، وعدنان سعد بأن الأسعار مدروسة ومناسبة إلى حد كبير لأن « الشاليه » الواحد يستوعب ثمانية أفراد ، ولو تم توزيع المبلغ على الأفراد الثمانية فإن المبلغ لن يصل إلى خمسة دنانير في اليوم الواحد من أيام الصيف ، ويقل عن ذلك في الفصول الأخرى بالنسبة للفرد الواحد

مركز علاجي متخصص

أخيرا سألنا السيد نوري التميمي عن صحة مايتردد من إضافة منشآت جديدة إلى منتزه الخيران ، فقال

لقد تم اختيار قطعة الأرض المناسبة داخل المنتزه لإقامة مركز علاج طبيعي عليها ، وسيتخصص المركز بعلاج الأمراض العصبية والعظام والسمنة وغيرها ، وسيتم التركيز على العلاجات الطبيعية مثل الحمامات الساخنة والباردة ، والتدليك ، والعلاج بواسطة الأعشاب والطين وغيرها

كما سيتم إيجاد مراكز لتعليم السباحة والغوص ، ومعسكرات « كمبيوتر » وغيرها

قبل أن نصل إلى بوابة الخروج التفتنا إلى خور المفتح ، فوجدنا المتزلجين يتبارون في التزلج على الماء ، و « الطرادات » تمخره رائحة غادية ، وكان القطار يصفر ، والأطفال يتابعون شقاواتهم ملاعبهم وأراجيحهم ، وبعضهم يطلق طائرات الورق نحو السماء ، وغيرهم يتسابقون بواسطة الدراجات ، فيما كان بعض الشباب يطلقون أبواق سياراتهم ، ويتابعون دوراتهم التي لاتنتهي « الشاليهات » ، وعندما وصلنا البوابة الخارجية ك زحام الناس مازال كثيفا من أجل الدخول ، تماما كان عندما وصلنا منذ ساعات

وجهاً لوجه

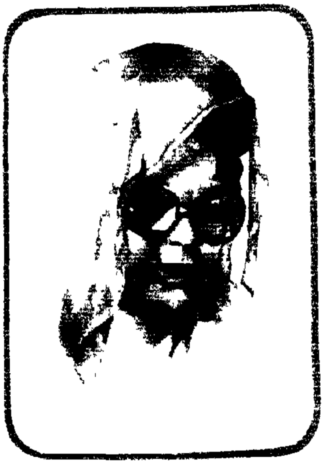

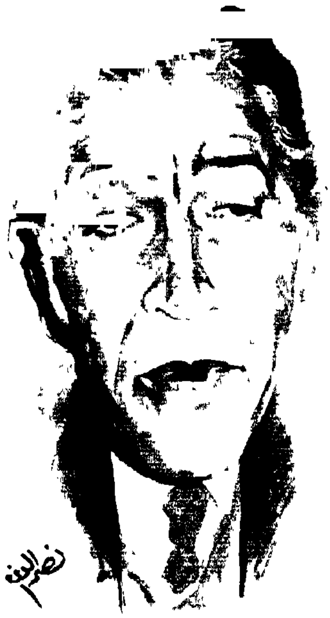

نعمان عاشور ○ زينب الكردي

■ يمكن للكاتب أن يضمن كل مايريد قوله في العمل الفني ■ الطبقة الوسطى تـراجعت ، وعجزت عن تحقيق أبسط أحـلام « الطواف » . ■ المسرح ليس أكثر من نص جيد وممثل ■ الفن يأخذ من الواقع ، ثم يعود اليه ، ليؤثر فيه من جديد . ■ في الثمانينيات عاد المسرحيون الذين سوا في أحضان الستينيات ■ في « عيلة الدوغري » تنبـات بطهـور الطبقة الطفيلية التي تسود الآن . ■ لا ألجأ الى الـرمز ، أو الاسقـاط التاريخي ، وأعتبرهما نوعا من الهروب ■ المسرح التجاري ازدهر في مرحلة الانفتاح ، لأنه يتوجه الى طبقة لاتبحث عن أكثر من التسلية .

نعمان عاشور هو أبو المسرح الواقعي العربي ، فهو بالاضافة الى الشكل المسرحي الواقعي الذي اختاره لمسرحياته صاحب رأي وفكر جاد ، التزم بهما على مدى أكثر من ربع قرن ، تغيرت خلاله الأحداث ، والمواقف ، بينما ظل هو في مكانه كالجبل الشامخ ، لايقبل أبدا بالتنازل من أجل أي امتيازات أو مكاسب ، بل بقي كما عرفناه دائما نفس الكاتب الحر الذي يطرح أفكاره وقضايا مجتمعه بوعي ونضج ، وقدرة على استشفاف المستقبل ، لقد بقي كذلك حتى وافاه أجله في أبريل الماضي وكانت العربي قد أجرت معه آخر حوار قبل رحيله أما محاورته فهي الكاتبة الصحفية زينب الكردي

● كيف اكتشفت موهبتك ككاتب مسرحي ؟ ولماذا المسرح بالذات ، وليس القصة أو الشعر ؟

- أنا لم أبدأ بالمسرح ، بل بالشعر الذي عشقته ، وكنت أكتبه أيضا ، لكني لم أجد نفسي في مجال الشعر ، فاتجهت الى المسرح ، والنقلة لم تكن كبيرة ، فالدراما نشأت مع الشعر ، وقراءاتي المهمة لشكسبير جعلتني اتميز حتى على طلبة الامتياز في قسم اللغة الانجليزية الذي كنت واحدا من طلابه ، وأذكر أن أحد أساتذتي - وكان انجليزيا - قال لي مرة ستكون أحسن من ينقد الدراما ، أو يكتبها

أول مسرحية

● هل تذكر أول مسرحية كتبتها ؟ وأين عرضت ؟

- كان ذلك أثناء الحرب العالمية ، وبالتحديد عام ١٩٤٣ ، حين أعلن الحلفاء من خلال سفاراتهم عن اجراء مسابقة مسرحية ، تتناول النازية ، ولأني من خلال قراءاتي عرفت ماهي النازية ، واتخذت موقفا معاديا لها ، فقد اشتركت بمسرحية من فصل واحد ، وليطمئن قلبي أخذت المسرحية الى ممثل ، اسمه عبد النبي محمد ، قرأها ، ثم ردها الي قائلا ان الحوار جيد ، والفكرة ممتازة ، لكنها لاتصلح للعرض

● في كتابك « المسرح حياتي » قلت انك كاتب مسرحي ، تكتب من منظور اشتراكي ، لمجتمع وصفته في الكتاب بأنه غير اشتراكي - كيف ؟

- لويس عوض هو الذي قدمني الى (سارتر) ، بصفتي كاتبا اشتراكيا ، وقد نفيت عني هذه الصفة ، فأنا كاتب واقعي لا اشتراكي ، لأني لست نابعا من مجتمع اشتراكي ، والمسرح رؤيا ، فيها نوع من الشمولية «رؤى سياسية ، واجتماعية ، وروحية ، وكونية ، وانسانية » ، وكل هذه الرؤى تتجمع في بؤرة واحدة ، هي التي تعبر عنها المسرحية

● لمن تكتب اذن ؟

- أكتب للانسان العادي الذي يجيء ليرى نفسه في مسرحياتي ، لقد قيل اني أكتب عن الطبقة المتوسطة ، وقد كتبت عن هذه الطبقة في حدود علاقاتها بباقي الطبقات ، لكن - في نفس الوقت - كانت هناك في نفس المسرحيات طبقات أخرى تتفاعل معها ، بعضها « ارستقراطي » ، وبعضها الآخر طبقات دنيا بكل المقاييس وهناك كاتبة كانت تحضر رسالة دكتوراه عن مسرحي في باريس قالت ان المستعرب الفرنسي « جان بيرك » - وكان هو أحد ممتحنيها - قال لها اني كاتب ناصري ، أتبنى قضايا الطبقة الوسطى ، فردت عليه قائلة اني في مرحلة سابقة توجهت الى هذه الطبقة باعتبارها الطبقة الوحيدة ، القادرة على احداث التغيير ، لكنها عنده

بدأت تتفتت وتتراجع هامتها . والكاتبة على حق ، ففي تلك المرحلة لم تكن طبقة العمال قد نهضت بدرجة تمكنها من احداث التغيير ، وكذلك كان حال طبقة الفلاحين ، لذا توجهت الى هذه الطبقة ، بهدف دفعها للنهوض بمسئولياتها ، لكنها للأسف لم تقدم شيئا ، بل فشلت في مهمتها ، وعجزت عن تحقيق أبسط أحلام « الطواف » . وفي مسرحية « بلاد بره » انتهيت تماما من التزامي بجمهور هذه الطبقة ومثقفيها ، ووقفت الى جانب ابن محمد « النمس » الذي واجه هذه الطبقة بادانة صارخة ، عندما قال : « أنتم لن تنسوا الاشتراكية ! الاشتراكية سيبيها ابني » . وفي « وابور الطحين » انتقدت محاولة فرض الاشتراكية عن طريق سن القوانين ، وقلت ان من يسن قانونا يملك أن يمسحه بجرة قلم ، وهذا ماحدث فعلا بعد مرحلة عبد الناصر

الفن والواقع

● ماهي القضايا ، والأفكار التي تلح عليك ، وتحاول التعبير عنها ؟

ـ أنا لا أكتب عن موقف ، ولا بسبب فكرة تلح على فجأة ، ولا أقيم مسرحي على « حدوتة » انني أكتب عن مرحلة اجتماعية كاملة ، بعد أن أكون قد استوعبتها تماما . فالتفاعل بين الفن والواقع تفاعل جدلي ، أي أن الفن يأخذ من الواقع ، ثم يعود اليه ليؤثر فيه ، ورؤيتي في جميع أعمالي مستقبلية ، لذا نهاياتها مفتوحة

● قلت في لقاء صحفي أخرى معك في الستينيات انك تكتب مسرحا تسجيليا ، لأنك تكتب بالحس الصحيح ، ولأن المسرح عملية اكتشاف دائم ، وتجديد في الشكل والاتجاه

ـ أقصد من قولي « كاتب تسجيلي » أني أسجل مرحلة ، لكني لا أكتب مسرحيات تعتمد على صراع الأفكار الذهنية ، بدلا من تصارع الشخصيات ، كما يفعل « شو » ، فرؤيتي مستقبلية ، وكل مسرحية هي امتداد لما سبقتها ، ورؤية متطورة ، تنبع من تطور الواقع نفسه ، وهذا يعني أنني أخاطب جمهورا ، لايتأثر بالفكرة المؤقتة ، فبدون الماضي لايكون حاضر ولامستقبل ، وكل شخصياتي لها جذور في الماضي ، وواقع « حاضر » تعيشه ، وهدف مستقبلي تسعى اليه ، أي أنها ليست مرحلية على الاطلاق ، فلو عرضت « عيلة الدوغري » الآن مثلا للاقت نفس الحماس والنجاح الذي لاقته ، لأن امكانياتها موجودة في النص نفسه

في « عيلة الدوغري » ، طلب مني المخرج « تعصير » المسرحية لتتلاءم مع الجمهور الحالي ، فرفضت ، وطلبت منه أن يعيد قراءتها ، وبعد أيام أعادها وهو يعتذر قائلا انه بعد أن أعاد قراءتها اكتشف أنها تتضمن نبوءة بكل مايجري الآن ، فقد تنبأت المسرحية بظهور الطبقة الطفيلية التي نعاني منها الآن ، وتراجع الطبقة الوسطى ! وفي نفس المسرحية ناديت بعدم التخلي عن جماهير الشعب ، لأننا بدونها لن نستطيع احداث أي تغيير ، وقد قلت نفس الكلام في مسرحية « بلاد بره »

الرمز والاسقاط

● في احدى مقالاتك قلت انك ضد اللجوء الى الرمز ، ومع المباشرة ، مع أن هذه المباشرة التي تدعو اليها قد تكون مستحيلة أحيانا ، وقد تؤدي الى أن تمنع الرقابة العمل الفني من الوصول الى الجمهور

ـ المنع لايحدث الا لمن يكتبون بشكل « زاعق » لامبرر له ، أما عندما يكون العمل الفني ناضجا فيمكن للكاتب أن يضمنه كل مايريد قوله ، ففي كل مسرحياتي التي كتبتها لم تمنع لي الرقابة الا مسرحية واحدة هي مسرحية « سر الكون » ، وهي مسرحية تترجم مرحلة مابعد النكسة . ففي نهاية الفصل الأول صورت الجيش وهو يتراجع حافيا من

المعركة. وقد رفضت الرقابة المسرحية دون أن تقرأ الفصل الثاني والفصل الثالث، ولو أنها فعلت ذلك لأدركت أن الفصلين الثاني والثالث قد بنيا على الفصل الاول، فقد بنيت عليه مرحلة الصمود والدعوة الى عدم اليأس والعودة الى القتال، وفي مسرحية «الجيل الطالع» قلت كل ما كنت أود أن أقوله. هناك من يتعمد الكتابة بشكل «زاعق» كي يمنع ويصادر. وبعد أن تهدأ الضجة يذهب برجليه الى الرقابة ويحذف الشتائم، دون أن ينطق بحرف. وقد رأيت هذا - للأسف - بعيني!

● كنت دائما ضد الاسقاط التاريخي مع أنه وسيلة جيدة في التعبير عن رؤيا الكاتب

- الاسقاط التاريخي أسلوب يحتاج الى نوع من الاحكام والاتقان من الكاتب، وانا مسرحي واقعي، لا ألجأ للرمز، ولا الاسقاط التاريخي، اذ أعتبرهما نوعا من الهروب في العالم. وهناك فئة تلجأ الى ذلك لأنها تميل بطبيعتها للتاريخ فيأتي الاسقاط رغما عنها، لأنها في النهاية جزء من الشريحة الاجتماعية، تتأثر بما يدور حولها، مهما حاولت الافلات، وأنا أؤيد اتجاه هذه الفئة، لكن هناك فئة تلجأ اليه لتسب السلطة على أمل أن تصادر فتكسب نوعا من الدعاية الرخيصة، لا أرفض الرمز على علاته، اذا كان العمل ناضجا والنص ينطق به، وليس مفتعلا

● ما سبب حالة التردي الذي يعيشها المسرح حاليا في رأيك؟

- السبب عدم وجود أي تغيير جذري، سواء من الناحية الاقتصادية أو الاجتماعية، فكل واحد من مصلحته أن تبقى الأمور على ماهي عليه، و«النبش» ليس مطلوبا، ولهذا يحدث نوع من «الاسكات» لأي صوت يطالب بالتعبير، ففي السابق كانت الحياة الثقافية تزدهر في ظل استقرار الملوك «والارستقراطية» هي التي كانت تتبنى وتشجع، أما اليوم فيحدث العكس، لأن الاستقرار يتم على حساب الفن والفكر والثقافة، لأنها تحمل طابع ثورة تختلف عن الطابع الذي يريده هؤلاء الذين يفترض فيهم أن يتبنوه. فالفكر يقلق استقرارهم. الا أن هذا الركود في النهاية ركود ظاهري، لأن كل مجتمع لابد أن يعبر عن نفسه، ولن يتوقف هذا، ولن ينقطع مهما كانت المحاولات، والتاريخ يقول ذلك. لكن المشكلة أن من يهيمنون على الحركة الثقافية والفنية لايجيدون القراءة!

في مرحلة الستينيات كانت الدولة ترى في المسرح مهدا للفنون، ومنبرا للتوعية السياسية، وجزءا مكملا لكيانها الحضاري، كثورة لها مدلول حضاري، وبموت عبد الناصر وانتهاء الثورة خلت الساحة لفئة لاتريد أن يصبح للمسرح أي دور، واعتبرت مسرح الستينيات هو مسرح عبد الناصر، وهذا غير صحيح، لأن مسرح الستينيات كان ينتقد عبد الناصر أكثر من انتقاد أعدائه له، فالمثقفون كانوا على اختلاف جوهري معه، فيما يتعلق بموضوع «الديموقراطية»، وهو النقص الذي كان بارزا في ثورة ٢٣ يوليو، وفي مرحلة السبعينيات عمد بعض الأشخاص الى دفع المسرح الى أحضان مايسمى بالمسرح التجاري، وهو مسرح لايقدم الا التجهيل والتخدير والتسلية الرخيصة للناس، ورفع شعار الضحك للضحك، وفي مرحلة الانفتاح ازدهر المسرح التجاري أكثر وأكثر، وكان لابد أن يزدهر، لأنه كمظهر حضاري توجه الى طبقة جديدة طفيلية، لاتبحث عن أكثر من التسلية، ولاتعتبر المسرح مؤسسة ثقافية، لأنها هي نفسها بلا ثقافة

أجيال المسرح

● هل يمكن أن تعقد لنا مقارنة تحليلية بين كتاب المسرح من أبناء جيلك، وكتاب هذا الجيل؟

- لقد عاصرت ثلاثة أجيال - جيل الستينيات والسبعينيات والثمانينيات - جيل الستينيات، الجيل

الذي جمعته وحدة الهدف في الاستقلال . والثورة على الأوضاع السائدة ، ومقاومة المحتل ، والاقطاع ، الخ . وهذه اهداف حققتها ثورة ٢٣ يوليو ، ولأن مبادئ « الديموقراطية » والحرية السياسية أملان لم يتحققا في ظل الثورة كان الكتاب مطاردين خلال عهدها ، لكن كانت ميزة عبد الناصر انه لم يمنع أبدا أي نص من العرض . قيل له ان مسرحية « انت اللي قتلت الوحش » لعلي سالم ، فيها تلميحات صريحة ضدك ، ومع هذا رفض أن يوقفها . ورواية أخرى لثروت أباظة كان واضحا للأعمى أنها تعنيه . ومع ذلك سمح بنشرها ، وحدث نفس الموقف مع « ميرامار » وغيرها

● لماذا كان يفعل ذلك ـ حسب رأيك ـ وتفسيرك ، خاصة ان معظم المثقفين في عهده قد دخلوا السجون ؟

ـ كان يفعل ذلك لأنه في أعماقه كان مؤمنا بتقصيره في هذه الناحية . وأن من حق الناس أن يعبروا عن نفسهم . وهذا مما جعله لايصادر أي عمل ، ولايمنع وصوله الى الناس ، صحيح أن ثلاثة أرباع المثقفين قد دخلوا السجن في عهده ، لكنهم كانوا يخرجون في النهاية ، ثم ان الذين جاءوا بعده قد عمدوا الى « البتر » من الجذور . أي المنع الكامل

جيل الستينات كان له فضل وجود عناصر جديدة وجيدة من جيل السبعينات ، الا أنه لم يتح لها أن تعبر عن نفسها ، ومن هؤلاء أذكر محفوظ عبد الرحمن ، ويسري الجندي ، وأبو العلا السلاموني ، وعلي سالم ، وغيرهم ، فهؤلاء كانوا عناصر ممتازة ، لكن مجموعة الكتاب « الدكاترة » كبتتهم ، وهيمنت هي . وكانت مستعدة لأن تقبل أي كلام يرضي السلطة . والسلطة بدورها اطمأنت لهم ، لأنها تدرك جيدا ما فعلته بهم ، لقد فتكت بهم ثم اشترتهم ، الا أنه في الثمانينات عاد الفريق الممتاز الذي برز في أحضان الستينات ، والذي تحدثت عنه يتألق . وقدم أعمالا جيدة

● وماذا عن المسرح الاجتماعي ؟

ـ لقد بدأ يفقد أرضيته ، لأننا لسنا في مرحلة تغير اجتماعي ، لذا ظهرت أصوات تطالب بألوان من المسرح . تحت شعار التجديد في الشكل ، وتبحث عن قضايا أخرى كإنشاء مسرح عربي ، واستلهام التراث ، أو الدعوة الى مسرح المخرج . وبشكل عام بدا المسرح يتخلى عن النص كأساس ، مما أدى الى منع ظهور كتاب جدد ، يؤمنون بالكلمة ، مع أن المسرح كلمة . وللأسف فإن الاجيال الجديدة مشغولة بقضايا فرعية ، واختلاق موضوعات لامعنى لها ، فأحدهم يدعو لاستلهام التراث ، وآخر ينادي بضرورة ان يكون لنا مسرح خاص ، ونحن لانستطيع أن نكون كالصين أو اليابان لنا مسرحنا الخاص ، ولو أن بعضهم يزعم أن هناك مسرحا فرعونيا ، وهذا غير صحيح

المخرج أم المؤلف ؟

● في كتابك « المسرح حياتي » لاحظت انك وضعت المخرج في المرتبة الرابعة من حيث الاهمية ، وفي الستينات أعلنت مرة انك تفكر جديا باخراج مسرحياتك بنفسك فما سبب هذا الموقف من المخرجين ؟

ـ المسرح ليس أكثر من نص جيد وممثل بالدرجة الأولى ، وحتى مرحلة قريبة لم يكن هناك مخرج مسرحي متخصص ، فأحيانا كان المؤلف يقوم باخراج المسرحية . لكن للأسف بعض المخرجين تلبستهم في السنوات الأخيرة فكرة أن المخرج هو خالق العمل الفني . وهذا الكلام قد يكون مقبولا في السينما ، لكن في المسرح لا ، فالمسرح كلمة وفكر ، وأنا شخصيا لا أقبل أبدا أن يمس المخرج جوهر عملي ، ويعتدي على النص تحت أي شعار . فمهمة المخرج الأساسية ـ في نظري ـ هي أن يدعم فكرتي التي أريد توصيلها الى الجمهور بالعرض الجيد

والحركة المدروسة ، والاضاءة الموحية ـ اني من الكتاب الذين يهتمون كثيرا بحركة الممثل داخل المشهد . لكن مايحدث هو أن بعض المخرجين يتجاهلون دراسة النص ، بل حتى الارشادات المسرحية المدونة ، ويكتفون بانطباعهم عن المشهد والشخصيات ، وهناك أيضا مخرج يلجأ لنوع من استعراض العضلات على حساب النص ، فيعمد الى الابهار والجماليات المبالغ فيها ، وهذا ما أرفضه ، فالعناية بالشكل والعناية بالابهار توحدان عندما يغيب النص الجيد المرتبط بالواقع الاجتماعي الحي مسرحي قائم على الالتحام الفكري في نظرة موحدة للمجتمع ، اني في كل أعمالي أصدر عن تفسير اجتماعي ، ومنهج تحليلي ، والنص الجيد يفرض نفسه دائما

● هل يوجد لدينا ـ الان نقاد بالمستوى المطلوب ؟

ـ لا ، لأنه لاتوجد نصوص في المستوى المطلوب ، والناقد لايأتي من فراغ ، ولذا لايوجد لدينا نقاد بمستوى نقاد الستينيات

● من الذين تعنيهم بنقاد الستينيات ؟

ـ كثيرون ، منهم مثلا عباس صالح ، ومحمد مندور ، وعلي الراعي ، وعبد القادر القط ، ومحمود العالم

في فن القصة

● قلت في بداية الحديث انك كتبت القصة ، فلأي مدى وصلت ؟

ـ معظم كتاب المسرح بدأوا بالقصة ، وأنا بدأت قاصا ، ولي أربع مجموعات قصصية ، لكن المسرح أجدى من القصة والشعر معا ، وأنا سعيد بهذا ، وأحمد الله عليه ، لأن أهم شيء بالنسبة للفنان أن يعرف أين تكمن مقدرته ، ويركز عليها

● أكثر من مرة قلت ان ازدياد العامية سببها ازدياد حدة الصراع مع الطبقة الوسطى وغيرها ، فلم لايكون السبب مختلفا ؟ كأن يكون مجرد الرغبة في التعبير عن الذات بشكل أكثر بساطة ويسرا ؟

ـ أولا أنا لا أكتب باللغة العامية ، أنا أكتب بلغة درامية ، بمعنى أن ما أكتبه للمسرح غير ما أتكلم به ، لأنني غير موجود في مسرحياتي ، فشخصياتي موضوعية ، تعبر عن نفسها ، وثمة لفظ يمكن أن يؤثر في جمهور معين ولايؤثر في آخر ، لأن الكلمات هنا ليست مجرد كلمات ، بل هي حوار درامي

● في لقاء قديم ، بالتحديد عام ١٩٦٩ ، قلت انك ترفض كل النظريات المستوردة التي تدعو لخلق قوالب مسرحية جديدة ، وفي نفس اللقاء قلت ان « المغناطيس » رفضت لأنها لم تتبع المنهج الارسطي ، أي انك تمردت على أرسطو !

ـ التمرد على أرسطو حدث منذ « زمان » ، فقد تمرد شيكسبير على قواعد أرسطو ، وكل ماحدث هو أن أعضاء المسرح حينذاك كانوا حديثي التخرج ، فلم يهضموا المسرحية

● لكنك بالفعل لم تغير في الشكل الذي تقدمه حتى هذه اللحظة !

ـ ولماذا أغيره ؟ أنا مقتنع بهذا الشكل وحده ، وقد نجح ، والجمهور قد تفاعل معه ، ثم انني أعتمد على مقدرتي الدرامية في المحل الأول ، وهذا ما يجعلني لا أرفض أي أشكال درامية جديدة ، لكني أرفض النظريات ، وان ما أقدمه هو الشكل المناسب لفني وجمهوري ، ومع ذلك اخترقت الحائط الرابع في « الناس اللي تحت » ، وفي « الناس اللي فوق » فعلت نفس الشيء ، وقد لجأت للتجديد ، لكن بحذر

● باعتبارك كاتب قصة « سابق » من هم الذين تقرأ لهم من كتاب القصة ؟

ـ يوجد جيل من شبان القصة يبشر بالخير ، منهم مثلا بهاء طاهر ، والمرحوم يحيى الطاهر عبد الله ، وعبد الحكيم قاسم ، وغيرهم كثير ، ومن خارج مصر قرأت لحنا مينا ، وعبد الرحمن منيف ، والأخير ممتاز جدا

● وجها لوجه نعمان عاشور

مشروعات مستقبلية

● هل هناك مشروعات مستقبلية ؟

ـ لا ، مهمتي الآن أن أحرس انتاجي ، وأقوم بمراجعة كل ماكتبته من مقالات ومسرحيات وقصص وغيره وتجميعه ، فليست لدي القدرة على الكتابة الآن ، في ظل هذه الظروف التي تهدر فيها المسرحيات ! ثم ان تفاصيل عملية العرض المسرحي تأخذ مني مجهودا أكبر بكثير من جهد الكتابة نفسها ، واذا لم تكوني قريبة من السلطة التي تمسك بزمام الأمور ، وتحرك المسرح ، فلا أمل باخراج مسرحيتك بالشكل الذي ترضين عنه مسرحية « الجيل الطالع » أخرجت في الستينيات دون أي معاناة ، لأن مدير المسرح آنذاك كان المريد فرج ،

وهو الذي طاردني لأكتب ، ثم سلمته النص وأنا مطمئن ، وقد نفذه باعتدال وأمانة ، ولم يعبث به ، أما مسرحية « برج المدابغ » فقد طبعتها في كتاب عام ١٩٥٥ ، ثم قابلني المرحوم السباعي وسألني عن سبب توقفي عن الكتابة ، فقلت له بأني لم أتوقف ، وثمة مسرحية جديدة في الأسواق ، وأمن سعد الدين وهبة على كلامي ، ثم اكتشفت سر السؤال ، فقد مثلوا المسرحية في سوريا ، دون أن أدري فقلت له اني لست مسئولا عن ذلك فقال لا ، لابد أن تمثل هنا ، وآنذاك طلب السباعي من سعد الدين وهبة أن يدرجها ضمن المسرحيات التي سيقدمها المسرح القومي في موسمه ، لكنهم استبدلوها بمسرحية مترجمة ، لمجرد أن فيها دورا نسائيا ، وهو دور « بطولة » يلائم مديرة المسرح حينذاك !! وبصراحة لم أعد قادرا على تحمل مثل هذه التصرفات وأنا أجتاز هذه المرحلة من عمري

● اذن ما الذي تفعله الآن ؟

ـ أبتسم نجرن قائلا كما ترين بعد رحيل زوجتي فقدت الحياة بهجتها ، فقد كانت أجمل مامنحته لي الأيام ، كانت زوجة وشريكة وصديقة ، واحتوتني بحنانها ، وكانت تهتم بعملي بدرجة غير عادية ، ولم أعان ـ وأنا معها ـ من المشاكل الصغيرة التي تشغل النساء عادة ، وهأنذا بعد رحيلها أحاول أن أشغل نفسي بمراجعة أعمالي ، ومايتبقى لي من وقت أقضيه مع أبنائي الثلاثة ـ فابنتي الكبرى متزوجة ، ، وعندما تزورني بصحبة أولادها أقضي لحظات قصيرة من الفرح الملون ، وابني سعد متزوج ، وقد أنجب لي نعمان الصغير ، ولايقيم معي في شقتي هذه الآن الا ابنتي الصغرى « هالة » □

الفنـــون الشـــعبية

● يقول الأستاذ ثروت عكاشة في حديث له عن الفنون الشعبية « ان الاهتمام بفنوننا الشعبية جزء من العناية بمقومات شخصيتنا ، فهي صورة من طبيعة شعبنا توارثها على مر الزمن ، حتى رسبت في أعماقه ، وانطلقت على لسانه حِكَماً وأمثالاً ، وأغنيات وألحانا ، كما ظهرت في مجموعة رقصاته ، بل ان هذه الفنون أخذت طريقها الى انتاج الشعب ، فأضفت عليه طابعا خاصا يميز شخصيته ، والذين يبنون للمستقبل ينبغي عليهم ألا يتجاهلوا هذه المقومات والعناصر ، فعليها يستند البناء ويعتمد التطور »

من التراث العربي

"الاعتبار"

للأمير أسامه بن منقذ

اعداد وعرض جمال الغيطاني

ثمة رأي شائع حول ندرة التراجم الذاتية في تراثنا العربي، فإلى أي حد يعتبر هذا الرأي صحيحا؟ يقدم الكاتب نماذج من هذه التراجم الذاتية المتميزة من هذا التراث، أيهر هذه المسلمة، وفي هذه المرة يقدم لنا نموذجا مما كتبه الأمير أسامة بن منقذ في كتابه الشهير «الاعتبار»

إن ركوب أخطار الحروب لا ينقص أجل المكتوب فإني رأيت معتبرا يوضح للشجاع العاقل، والجبان الجاهل، أن العمر مؤقت، مقدر، لا يتقدم أجله ولا يتأخر»

هذا ما خطه الأمير العربي أسامة بن منقذ في كتابه الاعتبار» الذي بدأ تدوينه بعد أن بلغ التسعين من العمر، عمر طويل شهد فيه أحداثا جسيمة وحاسمة، كالحروب الصليبية، وزوال الدولة الفاطمية في مصر، وصلاح الدين الأيوبي، والعادل نور الدين، وعاش في البلاط الفاطمي، وكان طرفا رئيسا في الصراعات التي جرت في عهد الخليفة الحافظ، والخليفة الفائز، وخاض معارك لا حصر لها. وكان فارسا شجاعا، أديبا، قطع سنوات طويلة من عمره جوّابا

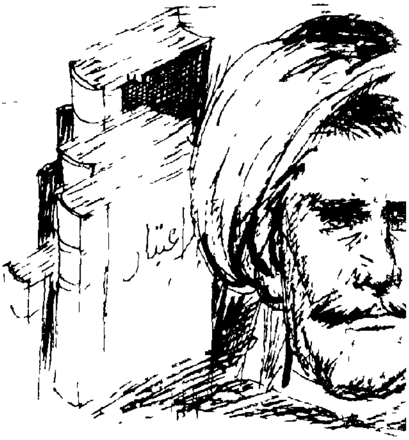

ولد في ٢٠ جمادى الآخرة ٤٨٨هـ (٤ يوليو ١٠٩٥) أطلق عليه والده اسم أول قائد عربي عهد إليه فتح الشام . وقد نشأ في قلعة (شيزر) على ضفاف نهر العاصي ، قضى معظم شبابه ما بين بلاط نور الدين في دمشق ، والبلاط الفاطمي في القاهرة ، أما كهولته فقد أمضاها في الموصل ، في حصن (كيفا) المطل على نهر دجلة ، وزار بيت المقدس في فلسطين . وحج إلى الحرمين . وتنقل بين معظم البلاد الإسلامية ، وخلال سنوات عمره الأخيرة ، وفي حصن (كيفا) ، كان يشرف على السنوات الطويلة التي قطعها في هذه الحياة الدنيا ، يتأمل ، ويحلل ، ويستخلص العبر

وفي حدود ما أعلم ، فإن هذا الكتاب فريد من نوعه في التراث العربي ، إذ يمكن اعتباره سيرة ذاتية متكاملة ، فالكاتب والمكتوب عنه شخص واحد ، وهو سيرة ذاتية ، تتطرق إلى تفاصيل إنسانية ، لم تتطرق إليها السير الأخرى ، كعلاقة المؤلف بوالده ، وإحساسه بالطبيعة ، والزمن ، مما يجعل من الكتاب أثرا فريداً في الأدب العربي ، حيث لا يتكلف السجع ، أو يستعرض فخامة الألفاظ ، إنما يترك أسلوبه يسترسل على سجيته

وهناك سيرة ذاتية أخرى تسبق (الاعتبار) بسنوات قليلة ، وهي لأحد الدعاة الفاطميين ، وهو المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي المتوفى « ٤٧٠هـ » ، غير أن الطابع العقائدي يغلب عليها ، كما أنها لا تتطرق إلى التفاصيل

مخطوطة كتاب (الاعتبار) وحيدة ، لا أخت لها ، محفوظة في مكتبة « الأسكوريال » ، وقد نشرت لأول مرة في (ليون) عام ١٨٨٤م ، وفي عام ١٩٣٠م نشر الأستاذ فيليب حتي هذا السفر العربي محققا في الولايات المتحدة ، وقد أعيد نشره في بيروت منذ عدة سنوات ، وفي هذا الإعداد الذي أقدمه أحاول أن أجعل النص متاحا للقارىء ، لا أتدخل أبدا بالتعديل في الأجزاء التي أقتطعها منه . وقد حرصت على توضيح خلفيات بعض الحوادث التاريخية ، وإعادة ترتيب بعض الأجزاء ، حتى يكون واضحا للقارىء الذي تبدو أمامه كتب التراث كالألغاز والأحاجي وتنأى عن التناول بسبب ظروف عديدة في حياتنا الثقافية

أسامة في مصر

(الدولة الفاطمية في مصر تمزقها الانقسامات ، والاضطرابات ، وتزايد الصراع بين أطراف الدولة المختلفة ، وفي هذه الأوقات العصيبة وصل إلى مصر من الشام الأمير أسامة بن منقذ)

« فكان وصولي إلى مصر يوم الخميس ، الثاني من جمادى الآخرة ، سنة تسع وثلاثين وخمسمائة (٥٣٩ - ١١٤٤م) ، فأقرني الحافظ لدين الله ساعة وصولي ، فخلع علي بين يديه ، ودفع لي تخت ثياب ، ومائة دينار ، وخولني دخول الحمام ، وأنزلني في دار من دور الأمير الأفضل بن أمير الجيوش في غاية الحسن ، وفيها بسطها وفرشها ، ومرتبة كبيرة ، وآلتها من النحاس ، كل ذلك لا يستعاد منه شيء ، وأقمت بها مدة ، إقامة في إكرام واحترام ، وإنعام متواصل ، وإقطاع راج »

(في الوقت الذي وصل فيه أسامة بن منقذ الى

مصر) كان يتولى الوزارة رضوان بن الولخشي، وكان شاعرا، وجنديا مقداما، ثم عزل من الوزارة ففر إلى الشام، وطلب إلى زنكي أتابك الموصل مساعدته. وكان يريد غزو مصر، غير أن الأمير أسامة بن منقذ أثناه عن ذلك، واسترضاه بثلاثين ألف دينار، ودفعها له من أموال الخليفة الفاطمي وعاد الوزير رضوان إلى القاهرة بعد أن أمنه الخليفة الفاطمي الحافظ، غير أنه لم يف بعهده، فقد حبسه عشر سنوات، تمكن في آخرها من الفرار، وجمع أنصارا كثيرين، واستقر في الجامع الأقمر أمام القصر، غير أن جنود الخليفة السودانية هزموا أنصاره، وأسروه، فقطعوا رأسه، وقطعوا جسمه، والتهموه، اعتقادا منهم أنهم بذلك سيماثلونه في بأسه وشجاعته - وبعد يومين من مقتل رضوان توفي الخليفة الحافظ)

* * *

« وجلس بعده الظافر بأمر الله، وهو أصغر أولاده، واستوزر نجم الدين بن مصال، وكان شيخا كبيرا، والأمير سيف الدين أبو الحسن، علي ابن السلار رحمه الله إذ ذاك في ولايته، فحشد، وجمع، وسار إلى القاهرة، وبعث إلى داره، فجمع الظافر بأمر الله الأمراء في مجلس الوزارة، وبعث إليهم زمام القصور يقول « يا أمراء، هذا نجم الدين، وزيري ونائبي، فمن كان يطيعني فليطعه، ويمتثل بأمره »

قال الأمراء « نحن مماليك مولانا، سامعون، مطيعون »

فقال أمير من الأمراء، شيخ يقال له « لكروان » « يا أمراء، نترك علي بن السلار يقتل ؟ » قالوا « لا والله » قال « قوموا، فمروا كلهم، وخرجوا من القصر، وشدوا على خيلهم وبغالهم، وخرجوا إلى معونة سيف الدين بن السلار، فلما رأى الظافر ذلك، وعجز عن دفعه، أعطى نجم الدين بن مصال مالا كثيرا، وقال « اخرج إلى الحوف، اجمع، واحشد، وأنفق فيهم، وادفع ابن السلار » ودخل ابن السلار القاهرة، ودخل دار الوزارة، واتفق الجند على طاعته، وأحسن إليهم، وأمرني أن أبيت أنا وأصحابي في داره، وأفرد لي موضعا في الدار أكون فيه ». ودارت الحرب بين ابن السلار والوزير المخلوع ابن مصال. وكان الأمير أسامة بن منقذ في جانب ابن السلار، وعند مدينة الواسطي بالوجه القبلي دارت معركة حاسمة، هزم فيها ابن مصال، واستقر ابن السلار عنوة في منصب الوزارة غير أن الخليفة الظافر لم يكف عن الكيد له

استدعى الأمير أسامة بن منقذ لمقابلة الوزير بن السلار الذي طلب منه أن يتجهز للمسير إلى الملك العادل نور الدين، ليطلب مساعدته، لغزو مدينة طبرية التي كان يحتلها الصليبيون، فيمنع بذلك غزو الصليبيين لمصر. وفي هذه الأثناء يسير الوزير ابن السلار لغزو غزة وعسقلان

من أخلاق الأمير

يقول أسامة بن منقذ

« وسرت وقد أزاح علة سفري بكل ما أحتاجه من كثير وقليل، فلما من الجفر واحة بين مصر وفلسطين، قال لي الأولاد « هذا مكان لا يكاد يخلو من الإفرنج »، فأمرت اثنين من الأولاد، ركبا مهريين، وسارا قداما إلى الجفر، فما لبثا أن عادا والمهران يطيران بهما، قالا « الفرنج على الجفر ! » فوقفت، وجمعت الجمال التي عليها ثقلي، ورفاقا من السفارة كانوا معي، ورددتهم إلى العرب، وندبت ستة فوارس من مماليكي، وقلت « تقدموا وأنا في أثركم »

فلما وصلت الجفر، وفيه مياه وعشب وشجر، قام من ذلك العشب رجل عليه ثوب أسود، فأخذناه، وتفرق أصحابي، فأخذوا رجلًا آخر وامرأتين وصبيانا، فجاءت امرأة منهم، مسكت ثوبي وقالت « يا شيخ، أنا في حسبك »، قلت

انت آمنة ، مالك ؟ » ، قالت « لقد أخذ أصحابك لي ثوبا وباهقا وبانحا وخرزة » ، قلت لغلماني « من كان أخذ شيئا يرده »

* * *

« ومما جرى في تلك الطريق أن الملك العادل (الوزير بن السلار) قال لي لا تعلم الرملاء الذين معك بالمال ، فجعلت أربعة آلاف دينار في خرج على بغل سروجي مجنوب معي ، وسلمته إلى غلام ، وجعلت ألفي دينار في خرج على حصان مجنوب معي ، وسلمته إلى غلام ، فكنت إذا نزلت جعلت الخرجين في وسط بساط ، ورددت طرفيه عليها ، وبسطت فوقه بساطا آخر ، وأنام على الخرجين ، وأقوم وقت الرحيل قبل أصحابي ، ويجيء الغلامان اللذان معهما الخرجان فيتسلمانها ، فإذا شداهما على الجنائب ركبت ، وأيقظت أصحابي ، فهممنا بالرحيل ، فنزلنا ليلة في تيه بني اسرائيل ، فلما قمت للرحيل جاء الغلام الذي معه البغل المجنوب ، وأخذ الخرج وطرحه على روكي البغل ، ودار يريد شده ، فنزل البغل ، وخرج يركض وعليه الخرج ، فركبت حصاني ، وقد قدمه الركابي ، وقلت لواحد من غلماني « اركب اركب » وركضت خلف البغل ، فما لحقته ، وهو كأن حمار وحش ، وحصاني قد أعيى من الطريق ، ولحقني الغلام ، فقلت « اتبع البغل » ، فمضى ، وقال « والله يا مولاي ما رأيت البغل ، ولقيت هذا الخرج ، وقد شلته » ، فقلت « للخرج كنت أطلب ، والبغل أهون مفقود » ، ورجعت إلى المنزلة ، وإذا بالبغل قد جاء يركض ، ودخل في طوالة الخيل ، ووقف ، فكأنه ما كان قصده إلا تضييع أربعة آلاف دينار »

أسامة بن منقذ في الشام

ويمضي أسامة إلى الشام ، ويلتقي بأسد الدين يركوه ، وبالعادل نور الدين ، فيرفض نور الدين محاربة الصليبيين في هذه الفترة ، لأن أهل دمشق لم يكونوا معه ، وبرغم ذلك سمح للأمير أسامة أن يجد تحت لوائه عددا كبيرا من المتطوعين ، وسمح لعدد من جنود حرسه الخاص الانضمام إليه ، لينسب إلى نفسه ما قد يحوزه أسامة من نصر ، ويحاصر أسامة الفرنج في عسقلان مدة أربعة شهور ، غير أن قواته اندحرت ، لعدم ثباتها أمام الفرنج من جهة ، ولإهمال قائده تنفيذ أوامره ، وسار أسامة بعد ذلك إلى الجنوب ، غير أن ابن السلار أمره بالعودة إلى القاهرة ، وفي القاهرة كانت تنتظره أحداث جسام

لقد كان بصحبة أسامة شاب اسمه عباس ، وهو في نفس الوقت ابن زوجة الوزير ابن السلار ، وكان عباس متألما بسبب سفره إلى الشام لمحاربة الصليبيين ، ومغادرة مصر الجميلة ، ذات المناخ الجميل ، وكذلك كان يضيق بعبء الحياة العسكرية وفي بلبيس أفضى عباس بمتاعبه إلى أسامة ، ويقال إن أسامة أراه حينئذ أنه في إمكانه أن يتجنب هذا كله بقتل الوزير ابن السلار ، زوج أمه ، وعندئذ أرسل عباس ابنه المسمى نصر إلى القاهرة ، فقام باغتيال الوزير ابن السلار ، وعاد عباس إلى القاهرة ، وتقلد الوزارة بدلا من ابن السلار

يقول ستانلي لين بول » إن مقتل ابن السلار بيد حفيد زوجته نصر ، وما تبعه من قتل الخليفة بنفس هذه اليد الآثمة يعتبر من أخفى حوادث التاريخ في مصر »

غير أن الخليفة لم يكتف بقتل ابن السلار ، بل راح يحرض نصر على قتل أبيه عباس ، وكان نصر والخليفة في نفس السن تقريبا ، وكانا أصدقاء ، غير أن تدبير الخليفة انقلب عليه

يقول الأمير أسامة بن منقذ

« كانا يخرجان في الليل متنكرين ، وهما أتراب ، وسنهما واحدة ، فدعاه إلى داره ، وكانت في سوق السيوفيين ، ورتب من أصحابه نفراً في جانب الدار ، فلما استقر به المجلس خرجوا عليه فقتلوه ،

وذلك ليلة الخميس سلخ المحرم، سنة تسع وأربعين وأربعمائة (١٥ ابريل ١١٥٤)، ورماه في جبّ في داره. وكان معه خادم له أسود لا يفارقه، يقال له سعيد الدولة فقتلوه، وأصبح عباس فجاء إلى القصر كالعادة للسلام يوم الخميس، فجلس في خزانة في مجلس الوزارة، كأنه ينتظر جلوس الخليفة الظافر للسلام. فلما جاوز وقت جلوسه استدعى زمام القصر وقال

« ما لمولانا ما جلس للسلام ؟ »

فتردد الزمام في الجواب فصاح عليه وقال

« مالك لا تجاوبني ؟ »

قال

« يا مولاي، مولانا ما ندري أين هو ؟ »

قال

« مثل مولانا يضيع ؟ ارجع فاكشف الحال »

فمضى ورجع، وقال « ما وجدنا مولانا »، فقال عباس « ما يبقى الناس دون خليفة، ادخل إلى الموالي إخوته، يخرج منهم واحد نبايعه » فمضى. وعاد، وقال

« الموالي يقولون لك، نحن ما لنا في الأمر شيء، والده عزله عنا، وجعله في الظافر والأمر لولده بعده »

قال « أخرجوه حتى نبايعه »

وعباس قد قتل الظافر، وعزم على أن يقول « إخوته قتلوه، ويقتلهم، فخرج ولد الظافر، وهو صبي، محمول على كتف أستاذ من أساتذة القصر، فوجده عباس، فحمله، وبكى الناس، ثم دخل به إلى مجلس أبيه، وفيه أولاد الحافظ، الأمير يوسف، والأمير جبريل، وابن أخيهم أبو البقى »

أثار قتل الخليفة وأهله أهالي القاهرة، فنشبت المعارك في طرقات المدينة، وأخذت النسوة والأطفال يرجمون أتباع الوزير بالحجارة من نوافذ دورهن، ولم يلبث هؤلاء الأعوان أن اعتزلوه، ولم يكن لعباس طاقة بمقاومة سلطة الأهالي، وثورتهم، ففر هو وابنه إلى الشام، وكان الأمير قريب من عباس فتأهب لمغادرة مصر

ويستمر الأمير أسامة في طريقه إلى دمشق، يلقى مصاعبا جمة. وفي دمشق يتصل مرة أخرى بالملك العادل نور الدين، غير أن أسرته كانت ما تزال في القاهرة، وأرسل الملك العادل إلى الوزير الفاطمي الصالح طلائع بن رزيك، يطلب منه السماح بسفر أسرة الأمير أسامة، فرد الصالح قائلا إنه يخاف عليهم من الفرنج. ويفكر الأمير أسامة في العودة إلى مصر

الكتاب أنفس ثروة

يقول الأمير أسامة بن منقذ

« فشاورت الملك العادل، واستطلعت أمره، فقال يا فلان، ما صدقت متى تخلص من مصر وفتنتها تعود إليها، العمر أقصر من ذلك. أنا أنفذ، وآخذ لأهلك الأمان من ملك الفرنج، وأسير من يحضرهم

فأعاد - رحمه الله - أخذ أمان الملك وصليبه في البر والبحر، وسيرت الأمان مع غلام لي وكتاب الملك العادل، وكتابي إلى الملك الصالح، فسيرهم إلى دمياط، وحمل لهم كل ما يحتاجونه من النفقات والزاد ووصى بهم، وأقلعوا من دمياط في مركب من مراكب الافرنج، فلما دنوا من عكا والملك بعد رحمه الله، فيها نفذ قوما في مركب صغير، كسروا المركب بالفؤوس، وأصحابي ينظرونهم، وركب ووقف على الساحل، ونهب كل ما فيه، فخرج إليه غلام لي سباحة، والأمان معه، وقال له « يا مولاي الملك ما هذا أمانك ؟ » قال « بلى ولكن هذا رسم المسلمين إذا انكسر لهم مركب على بلد نهب أهل ذلك البلد »، وقال « فتسبينا ؟ » قال لا، وأنزلهم - لعنه الله - في دار، وفتش النساء حتى أخذ كل ما معهم، وقد كان في المركب حلي أودع النساء وكسوات وجوهر، وسيوف وسلاح وذهب وفضة بنحو من ثلاثين ألف دينار، فأخذ الجميع

ـ لهم خمس مائة دينار . وقال : توصلوا بهذه لادكم »

ولا يكتب الأمير أسامة ما يشير إلى تحسره على ـقد ماله ، ومتاعه ، غير أن حديثه عن كتبه حسب

يقول الأمير أسامة

وكنت إذ ذاك مع الملك العادل في بلاد الملك مسعود (قونية) فهوّن عليّ سلامة أولادي ، وأولاد أخي وحرمنا ذهاب ما ذهب من المال إلا ما ذهب لي من الكتب فإنها كانت أربعة آلاف مجلد من الكتب الفاخرة . فإن ذهابها حزازة في قلبي ما عشت . فهذه نكبات تزعزع الجبال ، وتفني الأموال . والله سبحانه يعوض برحمته ، ويختم بلطفه ومغفرته . وتلك وقعات كبار شاهدتها مضافة إلى نكبات نكبتها ، سلمت فيها النفس لتوقيت الآجال وأجحفت بهلاك المال

ويتوقف الأمير أسامة بن منقذ عن سرد الحوادث تاريخية التي عاشها ، ثم ينتقل إلى نوع من التذكر ، واسترجاع التفاصيل الدقيقة التي لم تغب عن ذهنه وقد بلغ التسعين من العمر

ترى في أي موضع من حصن (كيف) المطل على نهر دجلة كان يجلس الأمير أسامة بن منقذ ، يحملق في تداد النهر . وأمواجه المتتابعة كسنوات عمره تسعين ، لا بد أنه كان يستدعي أيامه البعيدة ، وما ـه من أحداث ، ومن مخاطر .

ول معركة للأمير

يقول الأمير أسامة بن منقذ وهو يحدثنا عن أول ـة حاضر فيها القتال

« ومثل ذلك ما جرى لي على أفامية (بلدة في ـام) ، فإن نجم الدين بن الياوري بن أرتق ـحمه الله ـ كسر الإفرنج على البلاط ، وذلك يوم ـجمعة ، خامس جمادى الأولى ، سنة ثلاث عشرة ـسمائة ، وأفناهم . وقتل صاحب الكاكيت روجار ، وجميع فرسانه ، فسار إليه عمي عز الدين أبو العساكر سلطان ـ رحمه الله ـ وتخلف والدي ، ـ رحمه الله ـ في حصن شيزر ، وقد وصاه أن يسيرني إلى أفامية بمن معي بشيزر من الناس ، ويستنفر الناس والعرب لنهب زرع أفامية . وكان قد هدف من العرب إلينا خلق كثير ، فلما سار عمي نادى المنادي بعد « يوميات » من مسيره ، وسرت في نفر قليل ما يلحق عشرين فارسا ، ونحن على يقين أن أفامية ما فيها خيالة . ومعي عالم عظيم من النهابة والبادية ، فلما صرنا على وادي أبي الميمون ، والنهابة والعرب متفرقون في الزرع ، خرج علينا من الإفرنج جمع كبير ، وكان قد وصلهم تلك الليلة ستون فارسا وستون راجلا ، فكشفونا عن الوادي ، فاندفعنا بين أيديهم إلى أن وصلنا الناس الذين في الزرع ينتهبونه . فصاحوا صيحة عظيمة ، فهان عليّ الموت لهلاك ذلك العالم معي ، فرجعت على فارس في أولهم قد ألقى عنه درعه وتخفف ليجوزنا من بين أيدينا . فطعنته في صدره فطار عن سرجه ميتا ، ثم استقبلت خيلهم المتتابعة ، فولوا وأنا غر من القتال ، ما حضرت قتالا قبل ذلك اليوم . وتحتي فرس مثل الطير ، ألحق أعقابهم لأطعن فيهم ثم أخنس عنهم ، وفي آخرهم فارس على حصان أدهم مثل الجمل بالدرع ولامة الحرب ، أنا خائف منه لا يكون جاذبا لي ليعود عليّ ، حتى رأيته حرك حصانه بمهمازه ، فلوح بذنبه ، فعلمت أنه قد أعيا فحملت عليه ، وطعنته ، فنفذ الرمح من قدامه نحوا من ذراع ، وخرجت من السرج لخفة جسمي وقوة الطعنة ، وسرعة الفرس ، ثم تراجعت وجذبت رمحي وأنا أظن أني قتلته ، فجمعت أصحابي وهم سالمون ، وكان معي مملوك صغير ، يجر فرسا لي ، دهماء مجنوبة ، وتحته بغلة مليحة بسروجية ، وعليها مركوب ثقيل فضة ، فنزل عن البغلة ، وسيبها ، وركب الجحرة ، فطارت به إلى شيزر ، فلما عدت إلى أصحابي وقد مسكوا البغلة سألت عن الغلام

الذي راح، فعلمت أنه قد يصل شيزر ويشغل قلب الوالد - رحمه الله -، فدعوت رجلاً من الجند وقلت «تسرع إلى شيزر وتعرف والدي بما جرى»

وكان الغلام لما وصل أحضره الوالد بين يديه وقال «أي شيء لقيتم؟» قال

يا مولاي، خرج علينا الإفرنج في ألف، وما أظن أحداً يسلم إلا مولاي، قال «كيف يسلم مولاك دون الناس؟» قال «رأيته قد لبس وركب الخضراء». وبينما هو يحدثه إذا بالفارس قد وصله، وأخبره باليقين، ووصلت بعده. واستخبرني - رحمه الله -، فقلت

«يا مولاي، كان أول قتال حضرته، فلما رأيت الإفرنج قد وصلوا إلى الناس هان عليّ الموت، ورجعت إلى الإفرنج، لأقتل أو أحمي ذلك العالم»

قدر الحياة والموت

ثم ينصح الأمير أسامة من وصل إلى الطعن أن يشد ذراعه، ويده على الرمح، ويدع الفرس يعمل ما عمله في الطعنة، فإنه متى حرك يده بالرمح ومدها به لم يكن لطعنته تأثير. ويتذكر مواقف مرت به أثناء القتال فيقول

«شاهدت رجلاً من رجالنا يقال له بدي بن تليل القشيري، وكان من شجعاننا، وقد التقينا نحن والإفرنج وهو تعرى ما عليه غير ثوبين، فطعنه فارس من الإفرنج في صدره، فقطع هذه العصفورة التي في الصدر، وخرج الرمح من جانبه، فرجع، وما ظننا يصل منزله حياً، فقدر الله سبحانه أن سلم وبرأ جرحه، لكنه لبث سنة إذا نام على ظهره لا يقدر يجلس إن لم يجلسه إنسان بأكتافه، ثم زال عنه ما كان يشكوه، وعاد إلى تصرفه، وركوبه كما كان

قلت فسبحان من نفذت مشيئته في خلقه، يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير»

غير أن أسامة إذ يفرغ من تذكره لهذا الرجل الذي عاش بعد أن قطع قلبه بالسيف، يذكر آخر مات بسبب إبرة

«كان عندنا رجل من المصطنعة، يقال له عتاب، أجسم ما يكون من الرجال، وأطولهم. دخل بيته فاعتمد على يده عند جلوسه على ثوب بين يديه كانت فيه إبرة، دخلت في راحته، فمات منها، وبالله لقد كان يئن في المدينة، فيسمع أنينه من الحصن، لعظم خلقه وجهارة صوته. يموت من إبرة، وهذا القشيري يدخل في صدره قنطارية (رمح) تخرج من جنبه لا يصيبه شيء؟»

ويتذكر الأمير أسامة فارساً إفرنجياً هزم أربعة من المسلمين

«وكان بأفامية فارس من كبار فرسانهم، يقال له بدرهوا، فكان أبداً يقول «ترى ما ألتقي جمعة في القتال؟»

وجمعة يقول «ترى ما ألتقي بدرهوا في القتال؟»

فنزل علينا عسكر أنطاكية، وضرب خيامه في

الموضع الذي كان ينزله ، وبيننا وبينهم الماء ، ولنا موكب واقف على شرف مقابلهم ، فركب فارس من الخيام وسار حتى وقف تحت موكبنا ، والماء بيننا وبينهم ، وصاح بهم «فيكم جمعة ؟»

قالوا «لا»

وكان ذلك الفارس «بدرهوا» ، فالتفت فرأى أربعة فوارس منا من ناحيته ، فحمل عليهم فهزمهم ، ولحق واحداً منهم طعنه طعنة فشلة ما ألحقه حصانه ليمكن الطعن ، وعاد إلى الخيام

ودخل أولئك النفر إلى البلد فافتضحوا ، واستخفهم الناس ، ولاموهم ، وأزروا بهم ، وقالوا أربعة فوارس يهزمهم فارس واحد ! كنتم افترقتم له ، فكان طعن واحدا منكم ، وكان الثلاثة قتلوه ، ولا قد افتضحتم» ، وكان أشد الناس عليهم جمعة النميري ، فكأن تلك الهزيمة منحتهم قلوبا غير قلوبهم ، وشجاعة ما كانوا يطمعون فيها ، فانتخوا وقاتلوا ، واشتهروا في الحرب ، وصاروا من الفرسان المعدودين بعد تلك الهزيمة

أما «بدرهوا» فإنه سار بعد ذلك من أفامية في بعض شغله ، يريد أنطاكية ، فخرج عليه الأسد في طريقه ، فخطفه عن بغلته ، ودخل به إلى الغاب وأكله ، لا رحمه الله

كثيرة تلك التفاصيل التي يتذكرها الأمير في آخر حياته ، إن ذاكرته تعج بأصوات صليل السيوف ، وركض الخيول ، لا ينسى قط أنه طعن فارسا من رجاله على سبيل الخطأ ، وأن طعنة واحدة من فارس مسلم أودت بحياة فارسين من الإفرنج في وقت واحد ، ولا ينسى هذه اللحظة التي جرح فيها عمه في جفن عينه ، وكيف أن الجفن سقط ، وبقي معلقا بجلدة من مؤخرة العين ، والعين تلعب لا تستقر ، حتى جاء الطبيب وداواها فعادت كحالها الأولى ، لا تعرف العين المطعونة من الأخرى ، ويتذكر قتاله مع الفارس الشجاع جمعة ، وكيف أنهما هزما ثمانية فرسان من الإفرنج ، ولا يلبث أن يتذكر كيف هاجمهما شاب صغير منهم ، واضطرهما إلى الفرار

طويل ذلك العمر الذي عاشه الأمير ، وخلال حروبه مرت به مواقف كثيرة كان يمكن أن يقتل خلالها ، ومن هنا يحدثنا عن عجائب السلامة فيقول

«ومن عجائب السلامة إذا جرى بها القدر ، وسبقت المشيئة ، أن الأمير فخر الدين قرا أرسلان بن سقمان بن أرتق - رحمه الله - عمل على مدينة آمد عدة مرات ، وأنا في خدمته ، ولا يبلغ عنها مقصوده ، وكان آخر ما عمل عليها أن أميراً من الأكراد كان مديونا بآمد راسله ، ومعه جماعة من أصحابه ، وقدر الأمر أن يصله العساكر في ليلة تواعدوا إليها ، ويطلعهم بالحبال ، ويملك آمد ، فعوّل فخر الدين في ذلك المهم على خادم له إفرنجي ، يقال له ياروق ، والعسكر كله يمقته ويكرهه لسوء أخلاقه ، فركب في بعض العسكر وتقدم ، وركب باقي الأمراء فتبعوه ، وتوانى هو في السير ، فسبقه الأمراء إلى آمد ، فأشرف عليهم ذلك الأمير الكردي وأصحابه من سرح ، ودلوا إليهم الحبال ، وقالوا «اطلعوا» ، فما طلع منهم أحد ، فنزلوا وكسروا أقفال المدينة ، وقالوا «ادخلوا» ، فما دخلوا ، كل ذلك لاعتماد فخر الدين على صبي جاهل في هذا المهم العظيم دون الأمراء الكبار ، وعلم بذلك الأمير كمال الدين علي بن نيسان والبلاية والجند ففزعوا إليهم ، فقتلوا بعضهم ، ورمى بعضهم نفسه ، وقبضوا بعضهم ، ومد بعض الذين رموا نفوسهم وهو نازل في الهواء يده كأنه يريد شيئاً يتمسك به ، فوقع في يده حبل من تلك الحبال التي دلوها أول الليل وما طلعوا فيها ، فتعلق به فنجا دون أصحابه ، إلا أن كفيه انسلختا من الحبل ، وأنا حاضر ، وأصبح صاحب آمد يتبع الذين عملوا عليه فقتلوهم ، وسلم ذلك من دونهم ، فسبحان من إذا قدر السلامة أنقذ الإنسان من لهاة الأسد ، فذلك حق لا مثل» □

العربي - العدد ٣٤٤ - يوليو ١٩٨٧

كتاب العربي

السادس عشر

دراسات حول
الطبّ الوقائي

بقلم مجموعة من الكتّاب

كتاب العربي مرآة العقل العربي

الرحلة

شعر : الدكتور عبده بدوي

وطفلٍ كوجهِ الصَّباحِ الوديع   وأوّلِ نوّارةٍ في الربيع
تمطّى ، وغرّدَ في فرحةٍ   ومدَّ جناحيْهِ فوقَ الرُّبوعْ
ولمّا رأى لُقمةً فظّةً   تَشيعُ ، وما ينْبَغي أن تشيعْ
وكفًّا تُشيرُ بلا غايةٍ   فتمْضي وراءَ الهوانِ الجُموعْ
تهاوَى ، وقرَّبَ في الحاجِبَيْنْ   وحدَّثَهُ قَلْبُه بالرُّجوعْ
ولكنَّه قدْ رأى محبساً   تموتُ على جانبَيْه الشّموعْ
فعاشَ كما أطْرقَتْ مُقْلةٌ   تضمُّ على الخوْفِ بَعْضَ الدُّموعْ
ومرَّ الزمانُ بأوجاعِهِ   يُحاولُ تحْتَ الرُّكامِ الطُّلوعْ
ويملأُ كأساً بماءِ الهوانِ   ويزرعُ وردًا بماءِ الخُضوعْ
ويطرحُ من صدْرِهِ حزْنَهُ   فتذْبُل ليلكةٌ في الصّقيعْ
ولمّا مشَى الشّيْبُ في عمْرِهِ   وأجهَشَ قلبٌ وراءَ الضُّلوعْ
وقِيلَ له . قد بلغتَ القِطافَ   وآنَ الحَصَادُ لكلِّ الزُّروعْ
بكى ، واسْتجارَ ، ومدَّ اليدينِ   ليحيا دقائقَ بَعْدَ النُّزوعْ
وسارَ ، وفي نفسِهِ لَوْ يَعِيشُ   ولوْ لحْظَتَينْ قُبَيْلَ القُلوعْ

العربي - العدد ٣٤٤ - يوليو ١٩٨٧

قضية

الدخول في دائرة الحداثة

بقلم : الدكتور عبد الرحمن ياغي

لقد دقت الأبواب على الحياة العربية أيد عنيفة قوية في أوائل عهد النهضة ، ولئن تساقطت في ساحاتها شظايا تفجر رهيب إلا أن مركز هذا التفجر لم يكن في الوطن العربي بل كان في العالم الأوروبي الغربي الذي أحدثت فيه آثار الثورة الصناعية تفجرات هائلة ، قلبت كل كيانه ، وغيرت تركيبه الاجتماعي ، وأقامت على أنقاضه بناء اجتماعياً جديداً

اقترنت مع عصر النهضة نظم سياسية ودستورية ، ونشأت روابط اجتماعية جديدة ، وقامت علاقات ، غير تلك العلاقات الطبقية التي كانت سائدة في نظم الحكم ، وازدهرت طبقة لم يكن ليتاح لها كل هذا النمو ، وهذا النضج ، وهذا التحكم في وسائل الإنتاج ، وأقيم بناء اقتصادي جديد ، يقوم على الصناعة ، وما يربطها بالطبقة الوسطى غير ذلك البناء الذي كان يقوم على الزراعة والتجارة ، ويعود مردوده على النبلاء أو الاقطاعيين المرتبطين بروابط النظام الإقطاعي

ونتيجة لهذه التحولات الجديدة في التركيب الاجتماعي الغربي نشأت تيارات فكرية جديدة ، ومجالات أدبية جديدة ، وأدوات مادية ، تحقق كثيراً من حاجات هذه الطبقة الناشئة الجديدة التي برزت

إلى الوجود في شكل موجات جديدة ، ذات زخم سياسي واجتماعي واقتصادي وفكري وثقافي جديد ! !

أصبح التعليم الحديث في خدمة هذه الطبقة ، وكذلك أصبحت المطبعة الحديثة ، والصحف والمجلات والترجمة

لكن ماذا حدث للموج العارم الذي تدفق بفعل هذه الطاقات الإنتاجية الجديدة في أوروبا ؟ لقد أصبح زخم الموج يهدد كل السدود ، ويزلزل كل الحواجز ، ويقتحم الأسوار ، فلقد زاد الإنتاج ، زاد إنتاج الآلة عن حاجات الناس في أوروبا ، وأصبحت الآلة كأنها الغول الذي لا يمكن أن يمتلىء شدقاه بما يرضيه ، وإذا الأمواج في أوروبا تتدفق ، وشظاياها تبلغ المدى البعيد، وإذا السيل يندفع في غزو ساحق ماحق لا يتريث ولا يتلبث ، وإذا هذا الغول يطلع على منطقة الشرق العربي في شكل موجات تتزاحم ، كل يسابق الآخر للظفر بسوق لهذا الإنتاج ، وإذا كل يحاول السيطرة على بقاع من الشرق ، ويفرض عليها تسلطه وسلطانه ، ويتخذ في سبيل ذلك كل وسائل الغزو العسكرية ، حتى إن القوى الغازية تكاد أن تصطدم فيما بينها ، فنشطت لذلك شركات بريطانيا في الهند ، وفي موانىء البصرة والسويس وفي البحر الأبيض المتوسط ، وكانت حملة نابليون ، وكان التنافس

تكون الدول الحديثة

وهكذا كان التفجر الذي وقع في أوروبا نتيجة للثورة الصناعية ، وحملة نابليون ، وما تلا ذلك من شروع إلى تكوين دول حديثة في منطقة الشرق العربي كان ذلك كله يشكل محاور تحول في التركيب الاجتماعي العربي

ونتيجة لهذا التحول الذى أصاب تلك المجتمعات الغازية حدثت تحولات مشابهة في المجتمع العربي المغزو ، واهتز في شرقنا البناء الذى يشبه البناء الاقطاعي في أوروبا ، وذلك نتيجة لهذه الشظايا التي زلزلت سلطة المماليك شبه الاقطاعية ، وجعلت ظروف الطبقة الوسطى تبرز ، انفتحت الآفاق على نشوء الطبقة الوسطى المشابهة في بعض الوجوه لمثيلتها في أوروبا

وأخذت المدارس الحديثة تنشأ ، وتخرج أعداداً كبيرة من المتعلمين الجدد ، [illegible] هذه الطبقة ، وتطلعت هذه الطبقة إلى م [illegible] حت له شبيهتها في أوروبا ، وحاولت أن تتلمس لنفسها مواد الزاد الفكري والثقافي والأدبي ، وتيسرت المطبعة في خدمتها ، وأنشئت الصحف والمجلات ، وقامت الترجمات ونشطت ، وأصبحت هذه الطبقة ذات كيان ذاتي معترف به ، غير أن هذا التفجر في المجتمع العربي الذي تلا التفجرات في المجتمع الأوروبي قد أفرز موقفين

الأول موقف الإنسان الذي أفزعته هذه العاصفة ، وأرعبته ، وزرعت في قلبه الهول ، وظنها ـ رغم شدتها ـ عابرة فمضى في فزعه ورعبه ، واحتضن شجرة فارعة قوية ، تمتد جذورها إلى أعماق القاع ، ومن حوله أحاط هذه الشجرة بذراعيه ، وغمس في ساقها عينيه ، ولم يتمكن من أن ينظر حواليه ، بل سمر وجهه في جذع الشجرة ، ينتظر مرور العاصفة التي ولدت في قلبه عقدة الخوف منها ، ومن مسببها ، ومن الأمواج التي حملتها ، والتيارات التي أطلقتها

والثاني موقف الإنسان الذي أحس بأن هذه العاصفة ليست عابرة ، وأنها أمواج ستتبعها أمواج ، وأنه لا قبل له بدفعها ، ولا يستطيع أن يتمرد عليها ، فيواجهها مواجهة القوي ، مواجهة الند للند ، فأطلق ذراعيه ، وفرد جناحيه ، وأسلم هذه الأذرع وتلك الأجنحة لتيارات هذا التحول الجديد ، يدفع به حيث يشاء ، ويقذفه حيثما يحل ، ولو أدى به الأمر إلى أن يرتطم بصخور المرتفعات الشاهقة ، أو يلقي به في هاوية ، لكنه لم يغمض عينيه فزعاً ، ولم يتقَّ

الانطلاق مع التيار الجارف

وكان لنا من نتاج هذين الموقفين ثمار وآثار في فن الرواية العربية ، في مطلع النهضة الأدبية الحديثة ، وقد ظل هذان الموقفان متجاورين متسابقين حتى انحسر أحدهما وفسح الطريق للآخر فمضى فيه حتى آخر الشوط وحده ، وابتدأ مرحلته الجديدة بمفرده ، دون أن يحس بظل التيار الآخر يزاحمه أو يرافقه

ومهما يكن من أمر هذه التفجرات في المجتمع العربي الذي تلقى شظايا التفجرات الأوروبية فقد ظهرت عليه الأعراض التفجرية التي ظهرت على ملامح المجتمع الأوروبي

«الرومانس» وليس «الرومانسية»

ومن مظاهر هذا التحول والتغيير في المجتمع الأوروبي ما انعكس على الفكر والثقافة والفنون الأدبية ، فأوروبا ذات النظم الإقطاعية وذات العلاقات الإنتاجية والطبقية والاجتماعية والإدارية التي كانت سائدة راسخة ، وجاثمة على الصدور طوال القرون الممتدة من القرن الثاني عشر حتى القرن السابع عشر ، وكانت أوروبا هذه بنظمها ومجتمعاتها وعلاقاتها تلك تلقي ظلها الدامغ على الفنون الأدبية ، ومنها فن الرواية ، وقد كانت رواياتها في الغالب الأعم أشبه بقصص الملاحم والسير البطولية ، وكان أبطال هذه القصص ـ قصص الرومانس وليس الرومانسية ـ من بين الذين تنحصر في أيديهم مقدرات الناس ، هؤلاء الذين يعتلون القمة في التركيب الاجتماعي، أصحاب القوة والبطش والمغامرة أو من هم في مقامهم !!

فدارت لذلك الروايات حول (شارلمان) مثلا ، واتخذت من قوته وسطوته مدارا لها ، ودارت حول بطولات الملك (آرثر) ، وأعماله ومغامراته ، واتخذت الأحداث الهائلة محورا روائيا كحصار طروادة ، وبطولات الاسكندر !!

وحين نشأت الطبقة الوسطى لم تعد الرواية تدور حول (شارلمان) وأمثاله ، بل أخذت تدور حول أبناء هذه الطبقة الوسطى ، ولم تعد عاطفة الحب محصورة في تصويرها على طبقة الفرسان وسيدات القصور ، بل تناولت هذه الروابط البسيطة التي تربط الإنسان البسيط الذي بدأ يصنع تركيب الجديد

وإن لم تتخلص في أول الطريق من فكرة المغامرات والمخاطر فإنها نفضت عن معمارها ذلك اللون من مغامرات الفرسان ومناوراتهم الخارقة . واستبدلت بها مخاطر الحياة وصعابها الواقعية . ولم يعد لمظاهر البذخ والثراء مكان الصدارة في روايات مجتمع الطبقة الوسطى في أوروبا

انحسار «الرومانس»

ومن هنا يعد الدارسون رواية (روبنسون كروزو) أول ظاهرة من ظواهر هذه الاهتمامات الجديدة ، ولو ظهرت هذه الرواية قبل زمنها بمائة عام ما كان نصيبها غير الإهمال ، وما كان لمؤلفها (دانيال ديفو) حينذاك أن يظفر بأهمية تذكر كالتي ظفر بها فيما بعد ، لكنها ظهرت بعد أن أخذت موجة (الرومانس) تنحسر نتيجة للتحولات الجديدة

لقد وضع (ديفو) في أوائل القرن الثامن عشر اللبنة الأولى في معمار الرواية الفني ، وتبعه في إرساء قواعد هذا المعمار الفني (سويفت) ، و (فيلدنغ) ، و (ريتشاردسون) ، وغيرهم ، ممن كان لهم الفضل في ترسيخ أصول الفن الروائي القصصي على هذا النحو من المعمار في شكله ومضمونه !!

وما قد أصاب المجتمع الأوروبي بصورة قوية عنيفة ، وما قد حدث له من تحولات وما قلب بناءه رأسا على عقب ، وما أعان على ظهور الطبقة الوسطى، وامتلاكها زمام الأمور ، كل هذا قد ألم بالمجتمع العربي بصورة أو بأخرى ، وظهرت في

ـما طبقة وسطى ، وتخلى مجتمعنا عما كان يشبه ـطاع في نظمه ، وكانت تطلعاته تمتد إلى الآفاق ـعيدة ، وإلى التجارب الجديدة لاستيرادها ، أو ـنتفاع بها ، أو من أجل اللقاء معها ، فحين قامت ـض المغامرات في المنطقة العربية ، وتطلعت إلى ـسس دولة حديثة في هيكلها ونظمها ودستورها ـوبيها وإدارتها ، والأخذ بالتطورات الاقتصادية ـمادية الجديدة ، والاهتمام بأدوات الإنتاج ـحديثة ، والوسائل التنظيمية ، والعلاقات المهنية ـفنية والعناية بالنظريات السياسية والاجتماعية ـحضارية ، حين حدث ذلك اتجهت السلطات ـغامرة الجديدة إلى منافذ تطل منها على الغرب ، ـستفيد من تجاربه ، وأقامت مدارسها على غرار ـدارسه واتخذت مناهجها ومدرسيها من مناهجه ـمدرسيه ، واستوردت منه المطابع ، وأنشأت ـصحافة كما أنشأ ، وأصدرت مثله المجلات التي ـمل وجهة نظر الأحزاب السياسية ، حيث تعمل ـلى خلق الرأي العام السياسي والاجتماعي والثقافي ـفكري والأدبي ، وعمدت إلى تبادل الخبرات ، إلى توجيه البعثات ، وإلى الترجمة !!

وكما انحسر في أوروبا أو بدأ ينحسر تيار القصص ـدى يصور مغامرات الفرسان والنبلاء مع نساء ـقصور على وجه خارق ، وفي إطار فن ـرومانس) ، كذلك بدأت موجة الأدب الروائي ـعربي الذي يمثل هموم المجتمع الشبيه بالمجتمعات ـلإقطاعية تنحسر هي كذلك ، وتخلي الطريق لهذا ـلمعمار الفني الجديد في صورته التي رسا عليها في ـوروبا حين اطمأن مجتمعه الجديد إلى ما رسخه ـكتاب الروائيون في القرن الثامن عشر ، أمثال ديفو سويفت وفيلدنج وريتشاردسون وسواهم

ـادلات فنيـــة

ـم أخذت تتم المبادلات الفنية ، وأشكال المعمار ـروائي بين الشرق والغرب ، وحين استوعب جورجي زيدان تجربة الكسندر دوماس في رواياته التاريخية عكف على الانتفاع بهذا المعمار ، وملأه بمضامين تاريخية إسلامية

وليس من قبيل المصادفة أن تأتي مغامرات الفن الروائي العربي القديم ، فتتسرب إلى منتصف القرن التاسع عشر ، وتتسلل إليه ، وتلقى بعض الترحيب في صورة (المقامات) التي اتخذت الرداء التقليدي القديم لدى الشيخ ناصيف اليازجي ، وإن يكن بالإمكان استطلاع الوعي العربي ، ويقظة هذا الوعي ، داخل إطارها القديم كما يمكن للقاريء المتنبه أن يرى في كتاب (الساق على الساق) لأحمد فارس الشدياق صورة لأربع مقامات ، عليها ملامح لأقصوصته الاجتماعية ، ويلمح القاريء المتنبه كذلك حركة التطور في هذه الصورة حين يكتب المويلحي مقاماته (حديث عيسى بن هشام) ، كما يكتب صورة أخرى من هذا القبيل ـ تقصر عنها أو تقترب منها ـ علي مبارك في كتابه (علم الدين) ، ويصنع شيئا شبيها بذلك رفاعة الطهطاوي في كتابه الذي ألفه عن رحلته إلى باريس باسم (تخليص الإبريز في تلخيص باريز) ، ومن هذا الوادي ما كتبه حافظ ابراهيم بعنوان (ليالي سطيح)

الزمن والابداع

ثم مضت حركة المسيرة الروائية في التطور ، حتى انتهت إلى احتلال حيز متميز في الواقع العربي ، وأصبحت الرمح الذي يخترق به الإنسان العربي المبدع هذا السقف الصفيق المظلم الذي يحط على رأسه وعلى صدره ، وبرمح الرواية ، وحربة القصة استطاع المبدع العربي أن يشير إلى أن الزمن الرديء قادر على أن يثمر إبداعاً متفوقاً

ففي فترة ما بين الحربين العالميتين اقترب الروائي العربي من تمثل بيئته المحلية ، وأخذ يحدق في واقعه الخاص ، ويحن إلى طعم التراب والأرض والشخصية والروح الإنسانية الخاصة

فالعلاقة بين القرية والمدينة يصورها (الخوري مارون عصن) في لبنان في روايته (البركة بعد اللعنة ـ ١٩٢٧) ، حيث يضيع ابن القرية في المدينة ، ويهرم ، ويعود إلى قريته كل ذلك ليتكلف الدعوة إلى حب الأرض

كما يصور (الياس أبو شبكة) في روايته (العمال الصالحون ١٩٢٧) محاولة انتحار طفل في السابعة من عمره ، ليتخلص من حياة الشقاء التي تسومه إياها امرأة أبيه

وتحاول الرواية التقدم على يد (كرم ملحم كرم) ، لكنها لا تتضح لها المعالم إلا حين نشأت مرحلة جديدة ، ذات آفاق جديدة ، متأثرة بالمدرسة المصرية ، أو متأثرة بالظروف التي خلقت المدرسة المصرية الجديدة ، وقد صدر عنها إنتاج جديد لا يقل ـ من حيث المستوى الفني ـ عن إنتاج المازني والعقاد وطه حسين وتيمور والحكيم

وتأتي على قمة الإنتاج في هذه المدرسة رواية (الرغيف سنة ١٩٣٩) التي كتبها (توفيق يوسف عواد) ، حيث تدور حول صراع العرب من أجل استقلالهم ، ورغيف خبزهم ، وبها وقف عواد إلى جانب توفيق الحكيم في (عودة الروح) ، وتحاور شكيب الجابري في (قوس قزح) ، حيث اقترب بها من الخطوط الأمامية للواقع الاجتماعي والسياسي العربي

حتى إذا جاء دور الإنتاج الاجتماعي المنصر على يد (نجيب محفوظ) (جمال الغيطاني) ومن على شاكلتهما حاولوا الانتقال بالزمان التاريخي إلى الزمان الاجتماعي

ثم جاء الدرب الملتزم الذي يطالعنا فيما كتبه وما يكتبه (حنا مينه) و (غائب طعمة) و (اميل حبيبي) و (غسان كنفاني) و (يحيى يخلف) و (كاتب ياسين) و(الطاهر وطار) ورفاقهم في سائر أقطار العربية ، ممن واصلوا السير والتطور في هذه السبيل ، مثل (يوسف القعيد) وسواه ، ممن التزموا بالفكر الاجتماعي الفلسفي في إبداعهم الروائي

منتدى العربي

تعقيبات

ملاحظات على مقال

حركة الزمن ..

لقد أثار مقال عبد الأمير المؤمن عن « الزمن » ـ الصادر في مجلتنا العزيزة « العربي » عدد ٣٣٧ لشهر ديسمبر ١٩٨٦ ـ بعض الملاحظات . غير المألوفة ، أود أن أسوقها إليكم

أما كون البحث في « الزمن » أمرا شاقا فلأنه لا يخضع للمقاييس العلمية التجريبية ، وهذا أمر

عجيب، خاصة أننا نتعامل اليوم مع الزمن تعاملا ضمنيا، سواء كان ذلك ضمنه أو عليه!

وفي رأيي أن المشكلة تنحصر في تعريف « الزمن » في طبيعته، وإدراكها في مدلول كلمات مثل الحاضر، والماضي، والمستقبل، وفي مدى صحة وجود الزمن، وفي كونه حقيقة أم فرضية رياضية أم شيئا آخر

لقد تمت الإجابة عن القضايا الآنفة الذكر، بصورة أو بأخرى، منذ القديم، كما أشار إلى ذلك كاتب المقال، إلى أن جاء المسلمون من أمثال محمد بن زكريا الرازي، وجاء الفيلسوف هنري برغسون، ووصل العلماء إلى اعتبار « الزمن »، وجاء اينشتاين الذي قال أيضا بوجود « الزمن »، واعتبره بعدا رابعا للكون، مؤكدا نسبيته، على عكس ما كان معروفا قبله، في كون « الزمن » مطلقا ولكن قبل القول بوجود « الزمن »، أو عدم وجوده أود - بدون تسرع - أن أبدأ بالقول لنقل الكلمات المتداولة التي تشير إلى « الزمن » وأجزائه، مثل يوم، وساعة، ولحظة، وقبل، وبعد، في بداية الأمر، ولنفرض أننا على الأرض، في موضع ما من تونس، وأضرب موعدا مع صديق، في لحظة محددة من اليوم التالي

ومن البديهي أن لحظة الموعد في اليوم التالي لن تأتي إلا إذا دارت الأرض حول نفسها، وأحدثت بذلك زاوية مركزية حول محورها، وفي آن واحد تحولت في مدارها حول الشمس إلى موضع آخر معين ومغاير للموضع الذي كان فيه عند تحديد الموعد، أي إلا إذا توافرت شروط فيزيائية معينة، فعند ذلك فقط يحدث ما يسمى باللحظة المحددة، وعليه يصح الاستنتاج أن لا وجود موضوعيا للحظة الموعد، وبالتالي لا وجود موضوعيا لما يسمى بالمستقبل إذن فلم نتحدث عن لحظة الموعد وكأنها حاصلة لا محالة ؟

إن تجربتنا « للزمن » وكيفية إدراكنا له تجعلنا نتعامل معه وكأنه حاصل لاشك فيه، والحقيقة هي أنه يحصل في صورة ما، إذا توافرت الأحداث اللازمة فقط، وبذلك يتبين لنا أن الماضي قد حصل بالأحداث التي شكلته، وأنها قد ترتبت ضمن نظام مكاني معين وبعد أن ذكرنا كلمة « نظام » فإن النظرة الجديدة لما يسمى - تجاوزا - « الزمن » تجعلنا نفهم نسبيته

إن الحقيقة الموضوعية تتمثل في ترتيب الأحداث في المكان، وعلاقاتها ببعضها وبهذه الصورة يكون « الزمن » موضوعيا، وهو اعتبار آخر للأحداث في علاقاتها ببعضها، ضمن ترتيب معين، ينتمي إلى نظام مكاني معين، وهذا الاعتبار الآخر للأحداث يتميز بكونه جامدا، وبذلك تبرز تلك الخاصية الفيزيائية التي تقول (الزمن لا رجعة فيه)، فالرجعة في الزمن تستوجب عمليتين، هما تفكيك الأحداث، وإعادة ترتيبها، وذلك غير ممكن، بل مستحيل

الاستنتاج الأخير

هو أن الحدث يشكل زمنه، أي أنه - في الحقيقة - يأخذ مكانه، ضمن ترتيب الأحداث الأخرى في المكان، فيكون بذلك إما قبل، أو بعد، أو متزامنا مع حدوث ظواهر أخرى

لقارئ المقال أن يتساءل معارضا (والحركة إذن ؟) والجواب على ذلك أن الحركة ليست حدثا واحدا، أي ليست وحدة متماسكة، أي ليست أولية بسيطة لا تتجزأ، وإنما هي مجموعة أحداث، وكل حدث - كما ذكرنا آنفا - يشكل - كبقية الأحداث - علاقته مع الأحداث الأخرى، فيصبح ذا ترتيب في المكان

محمد بن حسن الشريف

إنجاز علمي جديد

الطيران حول العالم دون توقف

بقلم : المهندس : سعد شعبان

« في الأيام الأخيرة من العام الماضي سجل مهندس طيران أمريكي انجازا علميا جديدا ، فقد تمكن هو وزميلته من الطيران حول العالم ، دون توقف ، في رحلة استغرقت تسعة أيام كاملة ، ليصبح بذلك أول من يفعل هذا في التاريخ »

عندما كتب الأديب الفرنسي (جول فيرن) قصته الخيالية « حول العالم في ثمانين يوما » في اواخر القرن الماضي قبل استخدام الطائرات لم يكن يتصور أن « شطحات » خياله يمكن أن تتحول يوما ما الى حقيقة ، وخاصة أن الوسيلة التي تنقل بها بطل الرواية من بلد الى اخر ، حينذاك هي « البالون » الذي كان اختراعا جديدا

ولقد تحقق في نهاية عام ١٩٨٦ إنجاز ، أعاد الى الأذهان حلم « جول فيرن » ، وذلك بنجاح مهندس الطيران الأمريكي « ديك روتان » وزميلته الطيارة الأمريكية « جينا ياجر » في الطيران حول الكرة الأرضية بطائرة خفيفة دون توقف ، ودون تزود بالوقود

والحق يقال إن هذا الانجاز لايقل أهمية عما حققه الطيار « لندبرج » ، عندما عبر المحيط الاطلسي من نيويورك الى باريس عام ١٩٢٧ خلال ٣٣ ساعة ونصف ، بل ويفوقه بمراحل ، كما لايقل أيضا عما حققته الطيارة الأمريكية « اميليا ايرهات » بعبورها الاطلسي من أمريكا الى ايرلندا عام ١٩٣٢ ، وليس هناك مغالاة في القول ان انتصار الدوران حول الأرض عام ١٩٨٦ يعادل في أهميته ماحققه الاخوان « ولبر رايت وأورفيل رايت » عام ١٩٠٣ بالارتفاع بالطائرة فوق متن الهواء ، رغم أن ذلك لم يدم لأول مرة غير ١٢ ثانية

لذلك يمكن القول ان هذا الانجاز الى جانب كونه انجازا لم يحدث من قبل ، فقد انطوى على قدر كبير من الجرأة والشجاعة ، ولاشك أنه سيكون له آثار عسكرية ومدنية مقبلة

وقبل ظهور الطائرة ذات المحرك بعدة سنوات ظل حلم صناعة الطائرات الخفيفة يداعب خيال كثيرين من مصممي الطائرات ، وفي هذا المضمار تطورت الجهود ، بدءا من محاولة الطيران بطائرات

ـ الطائرة فوايا جير

خفيفة ، يستخدم فيها الجهد البدني ، متمثلا في تحريك بدالات ، أو تحريك الأجنحة لترفرف كما ترفرف الطيور

ومن أشهر من نجحوا في ذلك المغامر الألماني « أوتو ليلنتال » الذي حلق عام ١٨٩٠ بطائرة ذات أجنحة خفيفة يتدلى جسمه تحتها ، ثم تطور الأمر الى استخدام خشب « البلسا » الذي يجمع بين المتانة وخفة الوزن بدرجة كبيرة ، والذي يستخدم في صناعة الطائرات الشراعية حتى الآن

وعندما انتشر استخدام اللدائن وعلى رأسها (البلاستيك) التي دخلت في صناعة كثير من أجزاء الطائرات ، فخف وزنها ، أصبحت قادرة على أن تحل محل المعادن الخفيفة مثل (الألومنيوم)

وجدير بالذكر أن أول طائرة استخدمت لأغراض تجارية طارت من مدينة (بتسبرج) الأمريكية عام ١٩١٠م الى مدينة (تامبا) ، وكانت مزدوجة الأجنحة ، وأغلب أجزائها من الخشب

وتعاقب ظهور أجيال من الطائرات التي تصنع بعض أجزائها من الخشب أو اللدائن أو المشمع ، ظهر ذلك بوضوح في طائرات الهواة ذات الراكب الواحد ، أو العدد المحدود من الركاب ، بقصد قطع مسافات طويلة

ولم يكن الهدف من تخفيف أوزان الطائرات الا من أجل زيادة مداها ، باستهلاك وقود أقل وربما كان التركيز في تحقيق هذا الهدف قد اعتمد في أغلب المحاولات على زيادة قدرة محركات الطائرات ، للعمل على زيادة سرعتها ، حتى تجاوزت حاجز الصوت ، واليوم أصبحت بعض الطائرات المدنية تطوى المسافات بين القارات خلال ساعات قليلة ، بسرعات تفوق ضعف سرعة الصوت ، فضلا عن أن كثيرا من الطائرات العسكرية أصبحت قادرة على أن تمرق في السماء بسرعات تجاوزت ثلاثة أمثال سرعة الصوت

وقد شهدت البشرية تحقيق قطع مسافة قياسية في الجو عام ١٩٦٢م ، عندما سجلت طائرة أمريكية عسكرية من طراز « ب ـ ٥٢ » الطيران في قفزة واحدة الى مسافة ٢٠٠٠٠ كيلو متر

وفكر بعض العلماء في تقليد الطيور ، اذ يستطيع بعضها أن يمتص رحيق الزهور وهو يرفرف بأجنحته ، معلقا في الهواء

ولذلك بدأ منذ أوائل الخمسينيات استخدام الطائرات العسكرية، للتزود بالوقود في الجو، وذلك باقتراب طائرة من أخرى، تعمل كمستودع طائر للوقود في الجو، بحيث لايفصل بينهما أفقيا غير أمتار قليلة، ورأسيا غير بضعة سنتيمترات، تكفي للسماح لخرطوم ذا نهاية خاصة، بالتدلي من طائرة المستودع الى الطائرة الأخرى، فتلتقط نهايته لتدخله في فتحة خاصة، تنتهي الى مستودع الوقود فيها، وبضغطة زر واحدة يمكن أن يتدفق الوقود من طائرة المستودع الى الطائرة الأخرى، فيمكنها أن تواصل رحلتها لمسافة أطول، بدلا من ضرورة الهبوط للتزود بالوقود على الأرض، وأطلق على هذه العملية اسم إعادة المِلء

ولاشك أن عملية إعادة المِلء تحتاج الى مهارة عالية في الطيران، ودقة بالغة في التحكم في كلتا الطائرتين، لتفادي احتكاكهما ببعضهما، وتحقيق النجاح في التقاط نهاية خرطوم الوقود، وكم من حوادث وقعت لطائرات أثناء القيام بهذه العملية، وكان أخطرها الحادث الذي وقع عام ١٩٦١ للطائرات الأمريكية (ب ـ ٥٢) التي كانت تعمل في دوريات الحراسة العالمية حول دول المعسكر الغربي، وهي تحمل القنابل الذرية، فقد تحطمت الطائرة أثناء عملية اعادة الملء، وسقطت وبها أربع قنابل ذرية قرب شواطىء اسبانيا، وظل البحث عن هذه القنابل اكثر من خمسة شهور حتى تم العثور عليها والتقاطها

طائرة في خفة الريش

لم يأت نجاح « ريتشارد روتان ـ الشهير بديك ـ في الدوران حول الأرض في قفزة واحدة من فراغ، بل يرجع الى جهود مكثفة، بدأها قبل ذلك بخمس سنوات، مع شقيقه المهندس مصمم الطائرات «برت روتان» ولقد شهدت صحراء (موجافا) في ولاية (كاليفورنيا) الأمريكية محاولات مبكرة منهما، لصناعة طائرة خفيفة الوزن، صغيرة الحجم وحينذاك كان تقديرهما أنه يمكن التحليق بها حول العالم لمدة خمسة أيام دون توقف، وفي سبيل تحقيق هذا الهدف كان هناك عدد من المشكلات التي أخذا في تذليلها واحدة بعد الأخرى، وكان على رأس تلك المشكلات استغلال أكبر حجم ممكن في جسم الطائر كمستودعات للوقود، ولذلك تعددت هذه المستودعات داخل أجنحة الطائرة، وهيكلها، حتى بلغت سبعة عشر كما كان لازما استخدام المواد الخفيفة الوزن كالألوميوم والصوف الزجاجي والبلاستيك وبعض السبائك الخفيفة التي تصنع على شكل عش النحل في تصنيع هيكل الطائرة، بدلا من الألواح المعدنية المصمتة، وفي نفس الوقت حرصا على عدم الاخلال بمتانة هذا الهيكل، تحسبا لما يمكن أن تتعرض له الطائرة أثناء رحلتها من مؤثرات جوية، ولم يسمح الشكل الانسيابي للطائرة الا بوجود شخص واحد على مقعد القيادة، أمام العدادات والحواكم

ومنذ أكثر من سنتين حاول « روتان » وزميلته تنفيذ رحلة الدوران حول الأرض، غير أن المحاولة باءت بالفشل، بعد طيران دام أكثر من يومين، ولكن ذلك لم يثنه عن إعادة النظر في تصميم الطائرة، ومحاولة التغلب على المصاعب

وبعد أن استمرت المحاولات المضنية أكثر من خمس سنوات تحقق تصنيع طائرة، ذات شكل عجيب، وخواص أعجب، يمكن وصفها أنها في خفة الريش بالنسبة للطائرات الأخرى التي في نفس حجمها، ولها مزايا لم تتحقق لغيرها من قبل، فقد تميزت بجناحين طويلين، يبلغ « الباع » بينهما (٣٢ مترا)، وينتهي كل جناح عند طرفه بقائم رأسي عمودي على مستوى الأجنحة، مهمته خلق الاتزان، ويتكون جسم الطائرة من ثلاثة أجزاء اسطوانية، أوسطها هو الهيكل الذي يستقر في مقدمته ومؤخرته محرك مروحي، وتتوسطه قمرة القيادة التي تعلوها قبة شفافة من البلاستيك، تسمح لقائد الطائرة بالرؤية أمامه وحوله، ولأن القمرة ضيقة، لاتزيد مساحتها عن (متر × ٢,٢٥ متر) فانها لاتتسع الا لجلوس طيار واحد على مقعد القيادة، بينما يجب على زميله أن يستلقي متمددا بجواره، واذا ما أرادا تبادل المكان فان عليهما الانثناء والانحناء كلاعبي (الاكروبات)

يوازي جسم الطائرة الرئيسي هيكلان اسطوانيان آخران، عن اليمين وعن اليسار، تستند عليهما الأجنحة، ويربط بينهما أيضا من الأمام عبر جسم

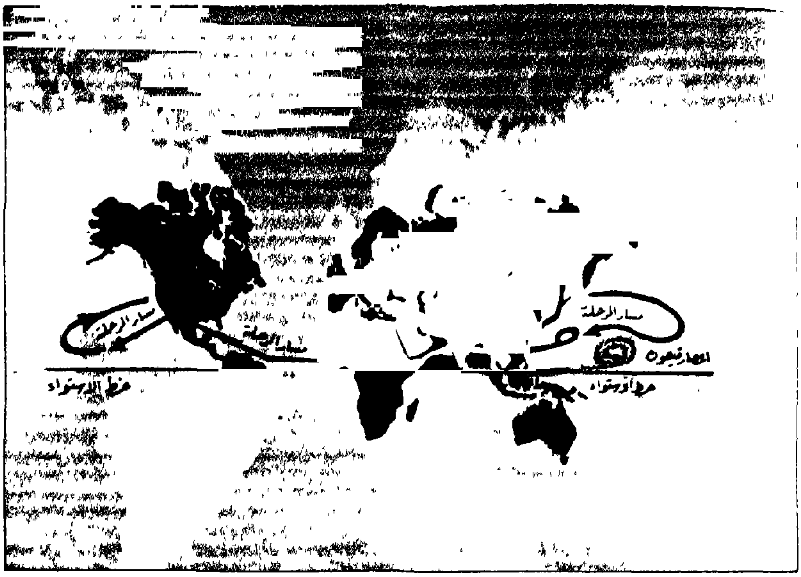

ـ مسار الرحلة مواريا لخط الاستواء

الطائرة قائم عرصي ، وتبرر عند مهاية كل مبهما من الخلف « دفة » رأسية ، يتم التحكم مهـا لتعيير الاتحاه وقد بلع طول حسم الطائرة ثمانية أمتار ، واستعلت أغلب فراعات الأحنحة والهيكل لتعمـل كمستودعات للوقـود ، وقـد أدى الـطول المفـرط للأحنحة بالاصافة الى خفة ورىها الى اعطائها المرونة المصلية ، والاهترار الرأسي ، دون أن تنكسر

أما المحركـان فيوفـران قوة دفـع ، تكفي لبلوغ عة قصوى ، قدرها ٣٢٠ كيلو مترا في الساعة ، الطيران بسرعة متوسطة قدرها ١٧٠ كيلو مترا في اعة أثناء التحليق الحر الـذي يمكن أن يتم على ع ثمانية كيلو مترات ، لتتمكن الطائرة من أن ع مسافة طويلة ، تصـل الى (٤٠,٠٠٠ كيلو) ، وقد قـدر المصمم أن الـوقـود المتوفـر في دعات الـطائـرة السبعة عشـر سيبلغ ورنـه ٤ كيلوحراما) ، على أن يصع الطيار باعتباره المحركين معا في بدء الرحلة ، وعند اشتداد ، لكن عليه بعد ذلـك أن يعمد الى ايقـاف المحرك الأمامي ، والاكتفاء بتشغيل المحرك الخلفي وحده

وكـانت حصيلة هده الاعتبـارات كلهـا أن غدت الطائرة « فوايـاجير » ـ أي « الرحالة » ـ خفيفة الوزن بما لايتجاور ٨٤٠ كيلوحراما ، وهو ورن يقل عن نصف ورن الـطائرات التي تمـاثلهـا في الحجم لـو صنعت من المعادن التقليدية ، ومن ثم فقد قدر أنه يمكن التحليق بها ، لمدة عشـرة أيام متصلة ، دون توقف ، أو حاحة لاعادة التزود بالوقود في الجو

وجدير بالذكـر أن اسم « فوايـاجير » هـو نفس الاسم الـذي سبق اطـلاقـه عـلى سفينتي فضـاء أمريكيتين ، أطلقتا لتجوبا الفضاء القريب من أربعة كواكب في « المنظومة » الشمسية

فاذا أضفنا الى ذلك حنكة الطيار في الملاحة الجوية باستغلال التيارات الهوائية الدافعة باتجـاه الذيـل ، واستغلال التيارات الـهوائية الصـاعدة في اكتسـاب الارتفـاع ، فان ذلـك يشكل إضـافـات الى مـدى الطائرة ، دون الاعتماد على دفع المحركات بحرق الوقود

اعادة التزود في الجو

الطيران حول خط الاستواء

في الرابع عشر من ديسمبر ١٩٨٦ بدأت رحلة الدوران حول الكرة الأرضية ، بالطائرة الخفيفة « فواياجير » ، بقيادة الطيار « ديك روتان » ، البالغ من العمر (٤٨ سنة) ، وزميلته الطيارة المساعدة « جينا ياجير » ، البالغة من العمر (٣٤ سنة) ، وهما عازمان على التحليق فوق مناطق قريبة من خط الاستواء

ووفقا للحسابات الملاحية التي أجريت على مسار الطائرة فقد قدرا للرحلة أن تدوم مدة عشرة أيام متصلة تقطع خلالها الطائرة مسافة ٤٣٤٠٠ كيلومتر ، دون حاجة للتزود بالوقود ، أو الهبوط على أي مكان على الأرض

غير أن أحد المصاعب الهامة التي برزت أمام الرحلة هي عدم امكان معرفة الأحوال الجوية على مدى العشرة أيام التالية ، لأن أقمار التنبوء الجوي ، ووسائل الارصاد الجوية النمطية ، لاتستطيع أن تعطي تنبؤا جويا لمدة تزيد على سبعة أيام ، ومن ثم فقد كان لزاما عليهما المغامرة ببدء الرحلة ، مع احتمال التعرض لبعض المصاعب الجوية ، غير أن المفاجأة قد وقعت أثناء السير على الأرض استعدادا للاقلاع ، فقد احتك الجناحان بالأرض ، نتيجة اهتزازهما وتهدلهما الى أسفل، وقد أدى ذلك الى انفصال طرف قائم الاتزان الرأسي

وقد اتخذت الطائرة مسارها من ولاية (كاليفورنيا) الأمريكية متوجهة الى جزر (هاواي) فوق المحيط الهادي ، بسرعة متوسطها ١٧٠ كيلومتر في الساعة ، وقد دام عبور المحيط ساعات طويلة ، بلا أي معالم ملاحية واضحة فوق لجة المياه ، وقد ظل الطيار (روتان) فوق مقعد القيادة طوال المرحلة الأولى من الرحلة التي امتدت ٥٥ ساعة ، قبل أن يتبادل المكان مع زميلته وبعد عبور المحيط ، وعندما أصبحت الطائرة قرب (استراليا) واجهت اعصار « تيفون » المدمر ، واضطرت للحوم حوله ، لتتجنب الدخول في منطقة الاعصار المضطربة بالتيارات الهوائية العاتية ، لكن قبل الخروج من هذه المنطقة اضطرت الطائرة لتغيير اتجاهها ١٨٠° ، والدوران دورة كاملة لتفادي منطقة تسود فيها الرياح الشديدة التي زادت سرعتها عن ١٦٠ كيلومترا في الساعة ، ثم واصلت الطائرة الرحلة عبر آسيا فوق أجواء الفلبين ، واندونيسيا ، والملايو وجزيرة سيريلانكا ، ثم فوق جزيرة مدغشقر قرب سواحل أفريقيا ، ثم فوق كينيا ، حى

لشاطئ الغربي لأفريقيا ، محاذية خط الاستواء تماما ، ثم واصلت الطائرة الطيران فوق المحيط الأطلسي الفاصل بين قارتي أفريقيا وأمريكا الجنوبية ، وبعد أن أصبحت فوق البرازيل توجهت نحو كوبا ، ثم المكسيك ، حيث بدأت رحلة العودة الى الولايات المتحدة الأمريكية ، والاستعداد للهبوط في قاعدة (ادواردز) في كاليفورنيا ، عائدة الى نفس المطار الذي بدأت منه

وعندما لامست عجلات « فواياجير » أرض المطار يوم ٢٤ ديسمبر ١٩٨٦ ، كانت الطائرة قد قطعت ٤٢,٠٠٠ كيلو متر ، خلال تسعة أيام ، أو على وجه التحديد ٢١٦ ساعة وأربع دقائق ، دارت خلالها دورة كاملة حول الكرة الأرضية ، وكان أكثر من مائة ألف شخص بانتظار الطائرة ، لتحية صاحبي هذا الانجاز العالمي ، أو لتحية البطولة والشجاعة والجلد وروح المغامرة

وجدير بالذكر أنه خلال هذه الساعات الطوال كان الطيار يتبادل التحكم في قيادة الطائرة مع زميلته في نوبات ، ولم يكن أي منهما يستطيع أن ينال قسطا من الراحة يزيد عن ست ساعات ، كما لم يكن التحكم في قيادة الطائرة مقصورا على التحكم اليدوي ، بل يوكل أمره أحيانا الى أجهزة التحكم الآلي التي تعمل تلقائيا دون تدخل من الطيار

كما كانت الطائرة على اتصال بمراكز المراقبة الجوية في كل دول العالم ، وتستقبل نشرات الارصاد الجوية من الأقمار الصناعية ، والشبكات اللاسلكية الخاصة ، ولقد واجهت الطائرة أثناء الرحلة بعض المصاعب ، ففي اليوم الثاني تعرضت الطائرة لعاصفة رعدية ، فقد أثناءها جزءا من طرف أحد الأجنحة فانفصل عنها ، ولكن لم تحدث مخاطر نتيجة لذلك لأن الأجنحة صممت من أجزاء منفصلة

وفي اليوم الثامن توقف المحرك فجأة لمدة خمس دقائق ، أثناء تغيير الوقود من مستودع الى آخر ، ففقدت الطائرة فجأة كيلومترا من ارتفاعها ، قبل أن يعود المحرك الى العمل ، كما ارتفعت درجة حرارة المحرك الخلفي لنسيان تزويده بالزيت

ولقد حفلت الرحلة بكثير من المفارقات الطرائف ، فعندما طلب (روتان) العبور فوق أجواء فيتنام قوبل من السلطات المحلية بالرفض ، واضطر الطيار الى الطيران عبر ممر ضيق يؤدي الى شبه جزيرة الملايو

كما أن سلطات تايلاند تشككت في نوايا الطائرة ، ورفضت الاذن لها بالعبور ، وعندما أفصح الطيار أن مهمته هي الدوران حول الكرة الأرضية زادت شكوك ضابط المراقبة الجوية ، وأعلن أنه لا توجد طائرة يمكنها القيام بذلك

ولقد سيطر اليأس على (روتان) بعد تعرضه لاعصار « تيفون » ، واضطراره للدوران دورة كاملة ، إذ ظن أنه استهلك قدرا كبيرا من الوقود ، لكن عادت الثقة إليه بعد إعادة حساباته فوق سيريلانكا

نتائج كثيرة في المستقبل

على الرغم من أن الطائرة الخفيفة « فواياجير » قد قام بصنعها يدويا مجموعة صغيرة من الهواة ، دون أي تمويل حكومي ، الا أن هناك نتائج كثيرة متوقعة لهذا الانجاز ، ولا شك أن عصرا جديدا في الملاحة الجوية قد بدأ ، ستكون له آثاره على صناعة طائرات النقل ، والطائرات العسكرية المخصصة للاستطلاع ، لأن الطائرة (فواياجير) لم يتوفر لها المدى غير العادي فحسب ، بل توفر لها أيضا الافلات من شبكات الرادار ، وعدم ظهورها على شاشات محطاته ، لأن الأجزاء المعدنية فيها صغيرة الحجم ، ولا شك أن وزنها الخفيف سيكون له أثره أيضا على الطائرات التجارية الأكثر سرعة ، عندما يتحقق تصنيعها بنفس الخامات التي استخدمت في تصنيع فواياجير ، فلقد نجح مصممها في استخدام خامات خفيفة الوزن جدا ، ومتينة جدا في نفس الوقت ، وقد امكنها حمل ٧٠٠٠ رطل من الوقود ، وهو ما يعادل ضعف وزنها الفارغ ، ولا شك أن هذا سيفتح آفاقا هندسية جديدة

ولقد تكلف بناء هذه الطائرة الخفيفة مليوني دولار ، لأن كثيرا من خطوات التصنيع قد تمت بجهود فردية وبدائية ولا شك أن العالم سيشهد دخول تقنية صناعة الطائرات الخفيفة في ناقلات الجنود ، والمظليين ، حيث تكون الحاجة ماسة لهذه الخاصية □

الجديد في العلم والطب

اعداد : يوسف زعبلاوى

لقاح جديد ضد مرض الايدز

● لعل الخطر الأكبر الثاني الذي يتهدد البشرية بالفناء هو مرض الايدز ، فليس هناك ما يفوق هذا الوباء خطورة سوى الحرب النووية وحسبك التفاقم الذي يسجله في أمريكا وأفريقيا وغيرهما شهرا تلو شهر فقد بلغ مجموع الذين ماتوا بالايدز في الولايات المتحدة الامريكية (١٧٠٠٠) نسمة ، وذلك حتى نهاية شهر فبراير/ ١٩٨٧ ولكن الرقم ازداد وكبر في غضون يومين إذ بلغ ١٨٣٨٥ حالة وفاة في ٢/٣/١٩٨٧

لا عجب إذن أن انصبت جهود العلماء في كل مكان - لا سيما في فرنسا والولايات المتحدة - على البحث عن دواء يعالج مرض الايدز وعن لقاح يكسب المرء مناعة ضده ، وهذا هو الأهم ، ذلك ان الذين يعانون من قابلية الاصابة بهذا المرض يعدون بالملايين وهم أكثر بكثير من المصابين به

يفحصون الدم ليتأكدوا من خلوه من فيروس المرض

والظاهر أن تلك الجهود قد أثمرت أو كادت فقد حملت الينا آخر الانباء (٢٣/٣/١٩٨٧) نجاح العلماء في جامعة بيير وماري كوري في باريس في تطوير المصل المطلوب للقاح الايدز الواقي ونشرت مجلة ناتشر (NATURE) بحثا وافيا حول ذلك المصل بقلم العلماء الذين طوروه ، ولعل أغرب ما يذكر في هذا الصدد أن أحدهم وهو الدكتور دانيل راكوري قد أقدم على تلقيح نفسه بذلك المصل بقصد تجربته وهذه مجازفة كبيرة ، كما لا يخفى ، وكان من الممكن أن تسبب للعالم الاصابة بمرض الايدز أو الموت بسببه في غضون الشهور التسعة التي انقضت على تلقيحه ولكن تلقيحه هذا حقق النتيجة المرجوة ، إذ نشط أجهزة الدفاع في جسم الدكتور راكوري ، وأكسبه مزيدا من المناعة ضد مرض الايدز

ولم تقف تجربة اللقاح عند هذا الحد ، فقد جرى تلقيح عدد من المتطوعين في زائير في افريقيا ، فكانت النتيجة في كل تلك التجارب كما يؤكد مقال المجلة العلمية البريطانية (ناتشر) ، تنشيط أجهزة الدفاع في الجسم ، واكساب الملقحين مزيدا من مناعة

على أن تطوير المصل الفعال شيء وكبح جماح وباء الايدز على نطاق عالمي شيء آخر ، فلو ثبت بالفعل نجاح العلما الفرنسيين في تطوير مصل الايدز المناس في الوقت الحاضر لكان علينا الانتظار مد خمس أو عشر سنوات قبل أن يصبح ؛

الامكان اتاحته والافادة منه على نطاق عالمي ، وهذه مدة طويلة تكفي لفناء البشرية كلها ، فيما لو استمر الوباء في استفحاله على النحو الذي استفحل به حتى الآن ، والذي أثبتته ومازالت تثبته الاحصاءات يوما بعد يوم من هنا كانت التوعية هي الوسيلة الفعالة الوحيدة التي تضمن لنا كبح وباء الايدز في المستقبل المنظور ، وبالقدر الممكن ، هذا ما قاله وزير الصحة في الولايات المتحدة في تعقيبه على أخبار تطوير مصل الايدز ، وتشمل التوعية المطلوبة التبصير بمخاطر المرض الكبيرة والتعريف بأسباب انتشاره بوضوح وتجنبها

وتجدر الاشارة هنا الى المؤتمر الذي عقدته منظمة الصحة العالمية في جنيف بتاريخ ١٩/ ٣/ ١٩٨٧ والذي أكد على أننا على أبواب ثورة عارمة في عالم الطب والعافية تلك هي ثورة اللقاحات ، فقد ثبت بما لا يقبل الشك أن الكثير الكثير من الأمراض والأوبئة ـ وليس الايدز فحسب ـ يمكن كبحه وتجنبه باللقاحات قبل الاضطرار للجوء الى العلاجات ، وثورة اللقاحات هذه ذات هدفين أولهما تصنيع اللقاحات الجديدة ، والثاني تحسين وتعميم اللقاحات القديمة ، أما رائدها فانقاذ ٥ ملايين نسمة من سكان العالم يموتون كل سنة بسبب اللقاحات القديمة ، نظرا لعدم صلاحها أو لقلة انتشارها ، وانقاذ ٩٠٠٠ طفل يموتون يوميا تبعا لتطوير لقاحات جديدة طالما مست الحاجة اليها

* * *

يئات الطبية البريطانية تعلن الحرب على الادمان

● صدرت في المدة الأخيرة تقارير علمية وافية ، حول الادمان على التدخين ، ومضاره ، ولعل أهم هذه التقارير ذلك الذي أصدرته كلية الأطباء الملكية في لندن ، في مطلع ابريل (١٩٨٧) ، ونوجز فيما يلي أهم محتويات هذه التقارير -

* حددت التقارير مفهوم الافراط في تناول الكحول بشرب الرجال مايزيد على ٢١ كوبا ، والنساء مايزيد على ١٤ كوبا من (البيرة) في الأسبوع في بريطانيا

* وأكدت أن ١١ / من الرجال و ٦ / من النساء في بريطانيا يشربون البيرة بمعدل ١٠ أكواب يوميا

* دلت الاحصاءات التي أوردتها التقارير على أن ٢٠ / من المرضى يدخلون المستشفيات بسبب الكحول ، وأن (٢٥٠٠) من الذين يموتون في سن مبكرة (٣٦ ـ ٦٥ سنة) سنويا يموتون بسبب الافراط في تناول المشروبات

* وتحدثت التقارير عن أمراض تشمع الكبد ، وتضخمها الذي يسببه الادمان كما هو معروف ، وتحدثت أيضا عن أمراض أخرى خطيرة ، يسببها الادمان ، علما بأن صلة هذه الأمراض بالكحول خافية على كثيرين ، ومن هذه الأمراض ارتفاع ضغط الدم ، وأمراض القلب والمخ ، والسكتات الدماغية

* وأشار أحد التقارير إلى التغييرات الجذرية التي يحدثها الادمان في أجسام

المدمنين ، فالمرأة المدمنة تفقد كثيرا من معالم أنوثتها ، لتحل محلها معالم الذكورة ، فقد تتقلص الصدور ، وتنكمش المبايض ، ويعاد توزيع الطبقة الشحمية في أجسامهن ، بحيث يصبحن شبه بأجسام الجنس الخشن ، ويفقدن مزايا الجنس اللطيف الناعم

وقل مثل ذلك في المدمنين من الرجال الذين لا ينشئون أن يعانوا نقصا في الحيوانات المنوية وإفرازها ، وتقلصا في حجم أعضائهم التناسلية ، وتضخم الثديين ، أضف إلى ذلك مايرافق ه وذاك من عقم وعنّة ، وحسبك أن نص الذين يزورون مستوصفات العقم لدن هم من المدمنين

* أجمعت التقارير على أن الادم يعبث بالهرمونات التي تفرزها غدد الجسم الصماء ، وبالوظائف الهرمونية التي يعتمد عليها الجسم اعتمادا كبيرا

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

كيفية التخلص من البدانة

● البدانة آفة كبيرة لاريب ، وعلة من علل الحياة العصرية ، كادت أن تكون مستعصية ، فالأدوية المتاحة لمعالجتها اما فعالة وخطيرة ، وإما غير فعالة ، لذلك كان الاكتشاف الجديد الذي يبشر بتخفيض الوزن دون اضرار بالذي يتناوله موضع اهتمام كبير

على أن الذي اكتشفه العلماء في أمريكا ليس دواء جديدا ، وإنما هو خصائص جديدة ، لمادة غذائية قديمة ، وليست هذه المادة سوى سكر (البوليستر) التي درجت اليابان على إنتاجها ، واستعمالها مثبتا للطعام، وقد عرف عن هذه المادة أنها دهن صناعي ، بديل قوامه جزيء من السكر ، وثمانية جزيئات من الأحماض الدهنية ، بخلاف الدهن الطبيعي ، المكون من جزيء سكر ، وثلاثة جزيئات أحماض دهنية

أسمن امرأة في
[illegible] وزنها
٨١٥ رطلا
انجلترا

أما الخصائص الجديدة التي اكتشفوها في هذه المادة القديمة فهي أنها غير قابلة للهضم ، وتمر بالجهاز الهضمي مرور الكرام ، ذلك أن كثرة الجزيئات الدهنية فيها تحول دون خضوعها للخمائر الهاضمة التي تفرزها المعدة والأمعاء

واكتشفوا أيضا أن من شأن هذا الدهن الصناعي أن ينقص محتويات (الكولسترول) في الدم ، ويساعد على إنقاص الوزن ، دون أن ينال من مذاق الطعام ونكهته ، وبما أن سكر (البوليستر) خال من السعرات الحراريه وهذه ميزته الأخرى الهامة فهو إذن يحول دون زيادة (الكولسترول) في الدم لأنه لايترك في الجسم شيئا مما يفتقده أصلا ، هذا بخلاف الدهن الطبيعي الذي اشتهر بكثرة سعراته الحرارية، وبكثرة مايتركه في الجسم منها ، ومايتسبب به من زيادة مستويات الكولسترول في الدم

بقي أن نذكر أن الترخيص باستعمال سكر (البوليستر) لانقاص الوزن ل يصدر بعد ، وقد تمر سنة أو سنتان قبل أن تقره الوكالة (**FDA**) ، وتسمح باستعماله

سلامة البشرية في سلامة البيئة

نحل يقتل الانسان ويعبث بالبيئة

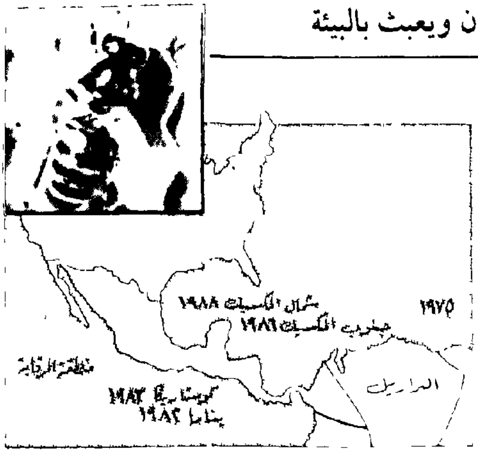

يظن كثيرون أن لاوجود للنحل القاتل ، وأنه من نسج الخيال ، خيال العلماء وكتاب ريو أفلام السينما ، وهو مع ذلك حقيقة واقعة ، غزت جموعه في السنوات الأخيرة دولا شتى في كا اللاتينية ، وبدت على أهبة الاستعداد لغزو يات المتحدة الامريكية نفسها ، ويؤكد ولون في دوائر الزراعة الأمريكية أن الخسائر قد ينزلها هذا النحل في المحاصيل الزراعية يكية لن تقل قيمتها عن (٢٠,٠٠٠) مليون ر

الغريب في النحل القاتل أنه يشبه كثيرا نحل ل الأوروبي ، لكنه عدواني ، مفطور على وم ويقدر العلماء نزعته العدوانية هذه بثلاثين ف نزعة النحل الاوروبي ، وهو يفوقه بعشرة اف من حيث اللسع ، ثم إنه غالبا مايهاجم ن والحيوانات وغير ذلك بجموع حاشدة إن لم مستعمراته الكاملة

لنحل القاتل ماض في رحلته التخريبية الحالية في امريكا اللاتينية ، فقد بدأ هذه الرحلة منذ نحو سنوات ، فانطلق من البرازيل سنة ١٩٧٥ ، كولومبيا سنة ١٩٨٠ ، ثم حل ضيفا على بنما ١٩٨ ، فكوستاريكا سنة ١٩٨٣ ، ثم وصل إلى جنوب المكسيك في السنة الماضية ، وقد يصل إلى شمالها سنة ١٩٨٨ ، ثم يصل إلى تكساس وغيرها من ولايات الجنوب في الولايات المتحدة الامريكية سنة ١٩٨٩ ، ويتابع النحل القاتل رحلته بعد ذلك الى ولايات الشمال ، وهكذا بسرعة تبلغ أضعاف السرعة التي قطع بها المسافة من البرازيل إلى المكسيك ، والتي بلغت ٥٠٠ كم في السنة ، وذلك لأن وسائط النقل الحديثة التي ستتاح للنحل في مناطق الشمال كثيرة ووفيرة

وتسميته بالنحل القاتل تسمية واقعية لا مجازية ، فهو يهاجم الانسان ، ويقتله ، وقد قتل عدة رجال في كوستاريكا ، وفتك بآخر ضحاياه في شهر تموز (يوليو) (١٩٨٦) ، ولو ذكرنا أن هذا

النحل - وكان طالما جامحا يجري بعض الأبحاث العلمية على النحل - قد امتلأ جسمه بلسعات النحل ، بمعدل ٤٥ لسعة لكل بوصة مربعة ، لما عجبا للموت الفوري الذي انتهى إليه

أما أكبر ضرر يحدثه النحل القاتل فهو للنباتات بالذات ، فهو يحجم عن تلقيح النباتات التي تعتمد على النحل المحلي في تلقيحها ، ويفسد هذا النحل بالتزاوج معه وتوريثه تلك الخاصية السلبية الهدامة ، ويترتب على ذلك موت تلك النباتات التي يبلغ عددها في الولايات المتحدة ٩٠ فصيلة ، ومن ثم كان تقدير الخسائر التي ستنزل بولاية جورجيا وحدها بأكثر من ٩٠ مليون دولار ، هذا إذا نسي للنحل القاتل الوصول إليها

ذلك أن الدوائر المعنية في امريكا قد بدأت تعد العدة لقطع الطريق على النحل القاتل منذ الآن وترمي الخطة الموضوعة إلى إنشاء منطقة عازلة في جنوب المكسيك ، يجري فيها التفتيش الدقيق لكل سيارات الشحن والسفن المتجهة إلى الشمال ، بحث عن النحل القاتل ، حتى إذا عثروا عليه عمدوا إلى الفتك به بكافة الوسائل الفعالة ، بما في ذلك رش المبيدات ، وترمي الخطة - أيضا - إلى دفع المكافآت المجزية إلى كل من يرشد المسؤولين إلى مستعمرات ذلك النحل ، وتقدر مخصصات هذه الخطة بنحو (١٠) ملايين دولار

درع واق لصور الحياة

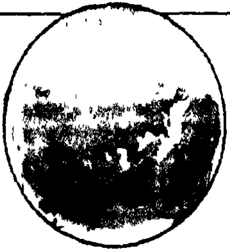

● منذ عشر سنوات والأدلة العلمية تتوالى مؤكدة التلف الذي لحق بطبقة « الاوزون » الموجودة في أعالي الجو وما زال يلحق بها ، ذلك أن « الفلوروكربونات » - وهي مواد يستعملها الناس في الزراعة والتبريد والتجميل وغير ذلك - ما زالت تواصل الفتك بطبقة « الاوزون » ، وما زالت تنتج في المصانع ، ويستعملها الناس على نطاق واسع

ولا يخفى أن طبقة الاوزون هي بمثابة درع واق لشتى صور الحياة القائمة على سطح الارض ، وهي أيضا الكفيلة بتصفية أشعة الشمس ، والحيلولة دون تسرب الاشعة فوق البنفسجية ، والاشعة تحت الحمراء ، بمقادير كبيرة تتسبب بأبلغ الأضرار للانسان والحيوان والنبات ، وتهدد بفناء الجميع في مستقبل غير بعيد

واتفقت الدول على هذه الحقائق الأساسية ، واتفقت أيضا على ضرورة الحد من انتاج « الفلوروكربونات » إلا أنها اختلفت على أي هذه المواد الكيماوية أولى بالحد من انتاجها أكثر من الاخرى ، واختلفت أيضا على مستوى الانتاج الذي يجب عدم تجاوزه ، واستمر خلافها طيلة السنوات الماضية وحتى شهر مايو (آيار) الماضي من هذا العام ، حين عقدت المنظمة الدولية مؤتمرا بيئيا دوليا في « جنيف » حضره مندوبون عن دول متقدمة وأخرى نامية ، بلغ مجموعها (٣١) دولة ، وأقر المؤتمرون بالاجماع مشروع القرار الذي يقضي بتجميد انتاج « الفلوروكربونات » ، عند مستويات انتاج عام ١٩٨٦ وذلك قبل حلول ١٩٩٠ م ويقضي المشروع أيضا بالسعي للحد من انتاج « الفلوروكربونات » في فترة (١٩٩٠ م - ١٩٩٢ م بنسبة ٢٠٪ ، على أن يعاد النظر في الموضوع ككل ف أواسط التسعينيات

وسوف تشهد « مونتريال » مؤتمرا بيئيا دوليا آخ في شهر سبتمبر القادم ، وذلك من أجل الاقرا النهائي للمشروع السالف الذكر ، ووضعه موض التنفيذ

تلوث الهواء في أوروبا وأمريكا وبوادر القضاء عليه

● يبدو ان اوروبا وامريكا توشكان ان تحرزا نصرا مبينا في المعركة الحامية التي كانتا تخوضانها ضد تلوث الهواء ، منذ اكثر من ربع قرن من جهة مضى العلماء في دراسة ظاهرة التلوث من افة جوانبها ، ومن جهة ثانية مضى المخترعون والخبراء في العمل على ابتكار الاساليب والأجهزة لكفيلة بالحد من التلوث ، ومن جهة ثالثة مضت مجالس التشريع في شتى الدول في سن القوانين ووضع الانظمة ، وفق ماتستوحيه البيئة المطيفة

وقد دلت دراسات حديثة على ان الأمطار الحمضية قضت على ٥٠ من الاشجار في المانيا ٧٥ ٪ من اشجار الغابة السوداء فيها وقل مثل ذلك في فرنسا وسويسرا . وقد بلغت نسبة الاشجار التي اتلفتها الامطار الحمضية ٥٠ ـ ٦٠ ٪ في الاولى ، ونحو ٦٥ ٪ في الثانية ولم تنج اوروبا الشرقية من دمار تلك الامطار . وقد بلغ ما أتلفته من اشجار بولونيا نحو ٤٠ ٪ على سبيل المثال

ودلت دراسات أخرى على أن مسؤولية الامطار الحمضية انما تقع على السيارات وعلى المصانع التي تتخذ من مصادر الطاقة الأحفورية وقودا لها وجاءت دراسات أخرى أحدث من هذه وتلك ، تثبت أن اكاسيد الازوت هي الملوثات الرئيسية التي تخرجها السيارات ، وأن ثاني اكسيد الكبريت هو الملوث الرئيسي الذي تنفثه مداخن المصانع ، ولتبين ان ملوثات السيارات ذات أثر محلي ، ولا تجتاز الحدود لتصل الى مناطق اخرى بعيدة ، كما تفعل ملوثات المصانع ذات الاثر المحلي والخارجي في ان معا

أما الوسائل التي ابتكروها لكبح تلوث الهواء فجاءت ثلاثا أولاها متصلة بالسرعة التي تنطلق بها السيارات ، وقد وضعوا الانظمة لتحديدها بسرعه ٥٠ ـ ٥٥ ميلا في الساعة ، باعتبار أن هذه السرعة هي التي تكفل الحد الادنى لكمية الملوثات التي تخرج من عادم السيارة

وتتصل ثانية تلك الوسائل ببنزين السيارة ، وضرورة خلوه من الرصاص ، فوضعت التشريعات الخاصة بذلك على ان توضع موضع التنفيذ في المستقبل القريب ، حسبما يتوافر البنزين الخالي من الرصاص بكميات تجاريه ، وبأسعار معقولة والمتوقع ان يتم ذلك في أكثر الدول المتقدمة قبل حلول التسعينيات

أما ثالثة تلك الوسائل فمتصل بمحرك السيارة بالذات ، فلو أمكن صنع محرك جديد أو تعديل المحرك القديم بحيث يتم احتراق الوقود بالكامل فلا تخرج من عادم السيارة اي من الغازات الملوثة التي طالما افسدت الجو والهواء الذي نتنفس وفيما يجري العمل في هذا الاتجاه على قدم وساق ، لاسيما في اليابان ، فاجأتنا مجلة نيتشر (NATURE) العلمية المعروفة مؤخرا باكتشاف امريكي يضمن القضاء على اكاسيد الازوت من عادم السيارة ، ويبشر بالتحكم بالامطار الحمضية وسخام المدن

وحامض السيانوريك هو قوام الاكتشاف الجديد فهذا غاز غير سام ومن شأنه أن يحول الغازات الساخنة التي تخرج من عادم السيارة الى غاز يتفاعل مع اكاسيد النيتروجين ، فيحللها كيماويا ، ويحولها الى ماء وازوت . وغني عن البيان ان الشرط الوحيد لتحقق هذه النتيجة المرجوة إنما هو في تمرير غازات السيارات الساخنة عبر حامض السيانوريك وهو أمر سهل المنال من الناحية التكنولوجية

وتذكر المجلة فائدة أخرى للأسلوب المبتكر الجديد ، فهو كفيل بفصل التحكم في اكاسيد النيتروجين عن التحكم في السخام مما يضمن التخلص من اكسيد النيتروجين حتى في محركات الديزل ذات (السلندر) الواحد بنسبة ٩٩٪ ☐

العربي
عيونك
على العالم

نيويورك

تفاحة عشاق العالم

استطلاع : صلاح حزين

تصوير : اوسكار متري

حين تعبر الطائرة بك الأطلسي ، وتهبط بين كتل الاسمنت التي تحولت عبر أشكالها الهندسية المختلفة الى عمائر تناطح السماء ، تصبح دون ان تدري تفصيلة صغيرة من تفاصيل تلك الحضارة الشاهقة ، وتنسى وأنت تجوب في أرجاء تلك الغابة المتمددة ، أن هناك شجراً وأشجاراً خضرة ، وتتذكر فقط أنك جزء من مملكة الكائنات الصغيرة التي تعيش في هذا العالم الذي يطاول السماء

إنك الآن في نيويورك تلك المدينة الهائلة القاسية ، أو التفاحة الكبيرة كما كانوا يسمونها في أمريكا في الثلاثينيات ، وقد تكون نيويورك تفاحة بالفعل ، لكنها بقسوتها واسمنتها وحديدها الصلب تفاحة عسيرة الهضم

في البدء جاء الانكليز ، عبروا الأطلسي بسفنهم الصغيرة ، ونزلوا على الشاطىء الشرقي الأخضر المغطى بغابات كثيفة ، سكانها الهنود الحمر الأقوياء الأبرياء البدائيون . بنى الانكليز المستوطنات واستقروا بها ، وأطلقوا على منطقة الاستيطان الأولى اسم بلادهم التي جاءوا منها فكانت نيوانجلند ، وجاءت بعد ذلك أعداد قليلة من الهولنديين والسويديين والألمان ، وعلى مدى مئات السنين التالية جاءت أقليات من كل بقاع العالم ، وضاعت في القارة الجديدة لتصبح جزءاً من الموزاييك الأمريكي الحالي . جاء البعض هرباً من الحروب ، والبعض الآخر هرباً من الفقر ، وآخرون هرباً من الاضطهاد الديني ، ومن غير هؤلاء وأولئك جاء المجرمون المطلقون من سجونهم ، وتبعهم المغامرون والباحثون عن خلاص خارج أوروبا التي مزقتها الحروب الدينية ، والطامعون في الثراء والطامحون الى مجد جديد ، والباحثون عن ثروة سهلة ، والسائرون وراء حلم الرخاء اليسير

حط الهولنديون القادمون من البلاد المنخفضة الرحال في ملتقى عظيم من الغابات والأنهار والتلال ، وأعطوها اسم بلادهم ، فكانت نذرلاند ، وبنوا مدينة عند ملتقى الأنهر والمحيط والتلال والغابات فكانت نيو امستردام

لكن خصومهم المستعمرين الانكليز انتزعوا المدينة منهم بقوة الغزو ، فتحول الاسم الى نيويورك نسبة الى دوق يورك الذي أصبح فيما بعد الملك جيمس الثاني ، آخر من حكم بريطانيا قبل ثورة كرومويل البيوريتانية

الزحف على الأرض العذراء

انبسطت الأرض عذراء أمام الزحف الأوروبي ، وجاء الرجال والنساء ، وبنوا الأكواخ التي تكاثرت ، فأصبحت مستوطنات في الأراضي البكر ، وبدأوا صراعاً مع الطبيعة القاسية العنيدة ، وكان الهنود الحمر - سكان البلاد الأصليون - جزءاً من هذه الطبيعة ، تلك القبائل البدائية التي لم تفلح قوة رجالها الجسدية ولا شجاعتهم البدائية في مساعدتهم على مواجهة هؤلاء القادمين الجدد ، الذين اعتمدوا في حياتهم على أبصارهم الحادة ، وبنادقهم الجيدة الصنع ، والقوة التدميرية لذلك المسحوق الأسود الذي حشوا به بنادقهم ، فأصبحوا بالضرورة قوماً ذوي بأس شديد ، فأحرقوا الشجر البري ، ودفعوا الهنود الحمر الى الداخل ، واستقروا

سواطئ المواجهة لبلادهم الأصليه في العالم الم . ووصل القادمون الجدد زراعتهم سدهم . وأقاموا حفلات الرقص والشراب والصيد والرماية التي كانت لعبتهم المفضلة . ومن ه البقعة في شرق القارة الجديدة بدأ السكان في لاتجاه غربا نحو حدود جديدة ، حتى وصلوا حافة لقارة الغربية

زد الفترة التي كانت خلالها نيويورك عاصمة للولايات المتحدة الأمريكية عن السنة الا قليلا ، ومع ذلك فقد ظلت - ولا تزال حتى الآن - المعبر الرئيسي الى تلك البلاد ، تستقبل القادمين من كل مكان الى العالم الجديد . ومنذ اكتشف هنري هدسون المدينة في بداية القرن السابع عشر فأعطته اسم نهرها الكبير ، ومنذ اشترى الهولنديون جزيرة مانهاتن بمبلغ لا يتجاوز ٢٤ دولارا دفعوه للهنود الحمر على شكل عقود من خرز رخيص ، لم ينقطع سيل المهاجرين الى المدينة التي امتدت من الجزر الصغيرة التي تحيطها أنهار هدسون وإيست وهارلم الى الداخل صوب الأرض التي لم تعد بكرا بعد تعاقب موجات المهاجرين عليها ، فأصبحت واحدة من أضخم مدن العالم

خمس مدن في مدينة

تنتشر مدينة نيويورك فوق جزيرتي مانهاتن ستاتن ايلاند بالاضافة الى بروكلين وكوينز ونكس ، وهي المناطق الداخلية للمدينة ، ص كل من هذه المدن - إن جاز تعبيرنا - على تميز تملك مقوماته دون شك ، غير ان جزيرة مانهاتن القسم الأكثر شهرة من بين هذه « المدن » س . وتقوم شهرة الجزيرة على أنها سوق المدن رى ومركزها التجاري والثقافي والفني جتماعي . وحين تنشر صورة ما لمدينة نيويورك يد الاسمنتية التي تناطح السماء ، فتلك هي في صورة مانهاتن ، هي جزء المدينة الذي ينوب عن الكل . ويمثله ويشير اليه . ففي هذه الجزيرة التي مكنتها أرضيتها الصخرية الصلبة من احتمال البنايات الشاهقة المتراصة ، توجد المعالم الرئيسية لهذه المدينة التي امتدت في جميع الاتجاهات على اليابسة ، وفي الجزر الصغيرة المتناثرة قربها . وعندما أعياها الانتشار فوق الارض اتجهت بناياتها نحو السماء ، فكانت ناطحات السحاب . تلك البنايات التي أعطت المدينة طرازها المميز ، وشكلها المألوف ، وأصبحت سرها ورمزها في الآن نفسه

عند معبر المدينة البحري يقوم تمثال الحرية الشهير بلونه الأخضر وشعلته الجديدة التي حملها يوم الرابع من يوليو من العام الماضي . وفوق هذه الجزيرة ذات الشكل الطولي تقوم المعالم الرئيسية الأخرى ، بناية ورلد تريد سنتر ببرجيها اللذين يبلغ ارتفاع كل منهما ١١٠ طبقات ، وبناية الأمباير ستيت الشهيرة - التي كانت أعلى بنايات نيويورك قبل بناء ورلد تريد سنتر - ومبنى الأمم المتحدة ، والمركز المالي العالمي ، وشارع وول ستريت الشهير ، وبورصة نيويورك ، وحي غرينتش ، والحي الصيني ، وحديقة سنترال بارك ، ومركز روكفلر ، والشارع الخامس الشهير ، بكونه المكان المفضل للتسوق لدى أثرياء العالم ، وشارع برودواي ، والشارع الثاني والأربعون ، ومركز جاكوب جافيتس ، ومركز لنكولن ، وكنيسة سانت باتريك ومسرح راديو سيتي ومتحف المتروبوليتان ، ومسرح ماديسون سكوير غاردن ، وحي هارلم وعشرات الأماكن والمراكز والشوارع والأحياء والجامعات والكنائس الأخرى ، كل هذا فوق جزيرة صغيرة ضاقت بما عليها ، فانطلقت بناياتها باتجاه السماء ، حتى اذا أعيا البناية الارتفاع ، لملمت نفسها وتدبب طرفها العلوي ، وتحولت الى سهم ضاع في الفضاء

الحريـة وشعلتها

« أماه ، لقد سجنوا الحرية » قال الطفل لأمه وهو يرى تمثال الحرية الضخم تحيط به سقالات الترميم

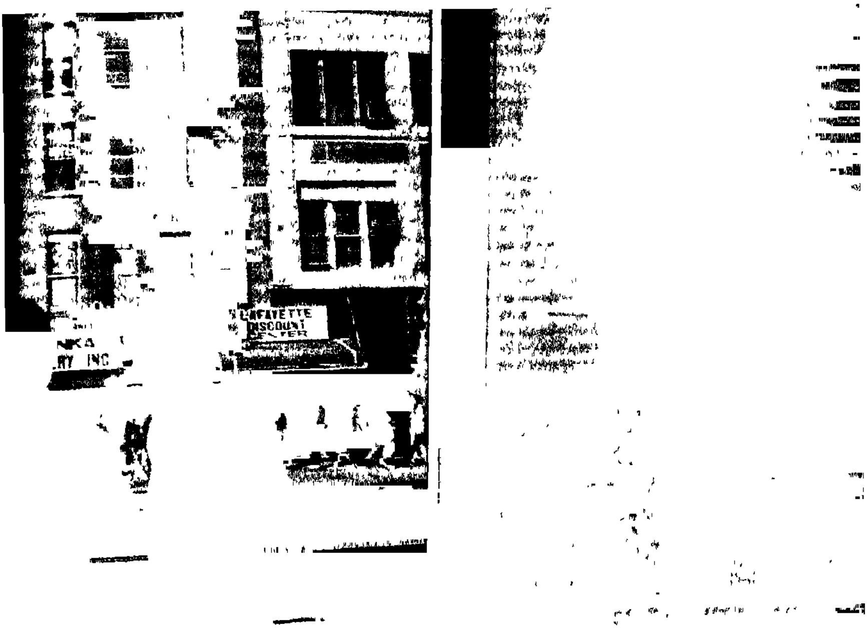
LAFAYETTE
DISCOUNT
CENTER
NKA
RY INC

فوق الى اليمين بضاعة عربية في محل امريكي

الى اليسار جيل أمريكي جديد

الى اليمين صبيان تعتمران قبعة الحرية الامريكية

فوق الى اقصى اليسار طفل ينظر الى نيويورك من فوق بناية امباير ستيت

الى اليسار بحر وشواطيء في مدينة ناطحات السحاب

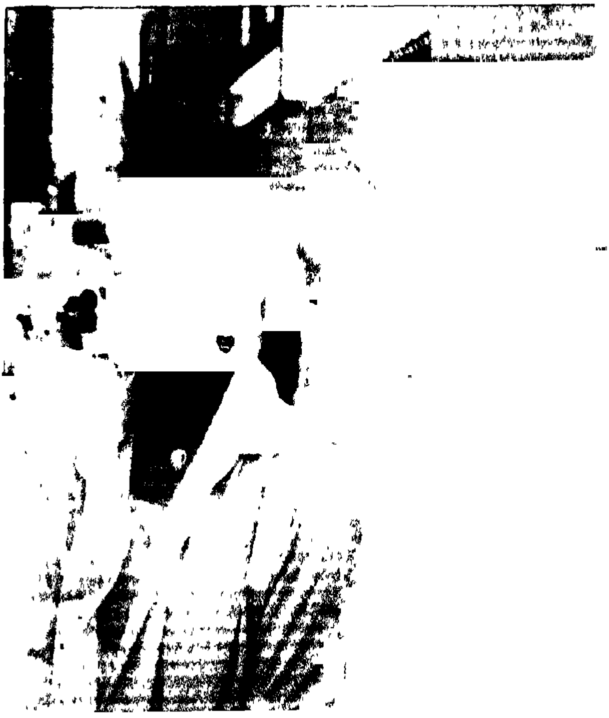

من كل جانب ، فبدا وكأنه سجين في قفص هائل الحجم على بوابة العالم الجديد . فعلى مر السنين تسلل الصدأ الى الدعامات الحديدية الداخلية التي وضعت لتسند جسم التمثال الكبير . واثرت في تمثال الحرية عوامل التحات والتعرية . فاحتاج الى الترميم والاصلاح . فجاء فنيون من فرنسا لترميم التمثال وأخذوا جذوة الحرية ولم يعيدوها الا في الرابع من يوليو ١٩٨٦ ، حين حملت الحرية مشعلها في احتفال مهيب

لم تكن هذه المرة الأولى التي تتآكل فيها أجزاء « الآنسة حرية » . وهو الاسم الذي يطلقه الأميركيون على التمثال . في السابق كانت المعالجة تتم باستخدام القار والنيتروجين السائل والصمغ ولكن مع حلول العيد المئوي «للآنسة حرية» ، ومع كل هذا التقدم التقني لم يعد القار والأصماغ والنيتروجين السائل تكفي لصيانة «الآنسة» ذات المئة عام

فأخذ الخبراء الفرنسيون الشعلة ليقوموا بعملية ترميم شاملة ، ويعيدوها في شكل مذهب جديد

ولكن لماذا الفرنسيون وليس الأميركيين هم الذين يرممون تمثال الحرية وشعلتها ؟ الإجابة عن هذا السؤال تمر عبر مفارقة طريفة تتلخص في أن تمثال الحرية الأمريكي يحق له أن يحمل عبارة « صنع في فرنسا » . فكيف صنع ؟ وكيف نقل بحجمه الهائل عبر كل تلك الآلاف من الأميال الى نيويورك ؟

كانت البداية في باريس في ستينيات القرن الماضي ، عندما فكر المهندس الفرنسي فردريك أوغوست بارتولدي بتصميم التمثال ، وفي عام ١٨٧١ سافر بارتولدي الى الولايات المتحدة ، ووقف على جزيرة صغيرة في مدخل المدينة الكبيرة وقال « هنا سيقوم التمثال » ، ومضت خمس عشرة سنة قبل أن تتحول الفكرة الى حقيقة ، ويصنع بارتولدي تمثاله الذي استوحى فكرته من تماثيل مصر القديمة ، وتمثال رودس العظيم الذي تحطم فوق جزيرة رودس ، وأعطى التمثال وجه والدته وجسم حبيبه التي أصبحت فيما بعد زوجته . فكانت الحرية وتمثالها ، ثم فكك بارتولدي قطع التمثال الذي بلغ طوله ٣٦ قدما ، وفي ورش العمال الفرنسيين الذين كانوا يشكون مظالم حكم نابليون الثالث ، بدا تكبير القطع المفككة بقياسات محسوبة جيدا ، وبدأت بعد ذلك الرحلة الى أمريكا ، حيث شحنت الحرية في صناديق بلغت المائتين عبر الأطلسي الى ميناء نيويورك عام ١٨٨٥ . وهناك في نقطة متوسطة بين ستاتن ايلاند ونيوجيرسي وبروكلين ومانهاتن وقف التمثال متجها نحو القادمين الجدد حاملا المشعل وكتابا نقشت عليه كلمات « الرابع من يوليو ١٧٧٦ » وهو رمز له مغزاه بالنسبة لأتباع الماسونية او البنائين الأحرار

ومنذ ذلك الحين ظلت عيون العابرين الى العالم الجديد تقع أول ما تقع على التمثال الذي ارتبط بقطعة شعرية قصيرة كتبتها شاعرة يهودية ، تنتمي الى عائلة ثرية تدعى ايما لازاروس « تأثرت » بما سمعته عما كان يلاقيه اليهود في روسيا القيصرية عام ١٨٨١ من اضطهاد . تقول الكلمات التي تحتل مكانا بارزا في متحف التمثال « ارسلوا إلى متعبيكم ، وفقراءكم وجموعكم الغفيرة التائقة الى التنفس بحرية » ومنذ ذلك الحين جاء الكثيرون من هؤلاء ، وأخذوا مواقعهم في المجتمع الجديد الذي كان يتشكل في غرب القارة الكبيرة التي أدار لها التمثال الكبير ظهره مشغولا في استقبال القادمين الذين لم يتوقفوا عن المجيء

مهاجرون . . ومهاجرون .

كانت عيون المهاجرين تقع على التمثال ذي الشعلة في البداية ، ومن هناك كان المهاجرون من الدرجة الأولى والثانية ينزلون في مانهاتن ، بينما ينزل مهاجرو الدرجة الثالثة في جزيرة ايليس الصغيرة القريبة من التمثال . ومن هناك تبدأ رحلتهم ويتوزعون على طبقات المجتمع الجديد

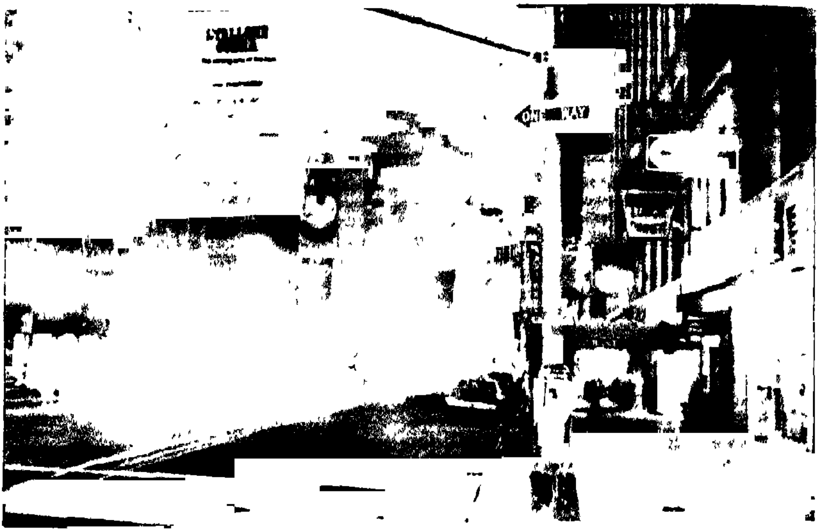

برودواي شارع الأضواء والفن والمسرح

أما قبائل الهنود الحمر فتراجعت أمام زحف «الفقراء والمتعبين والتائقين الى التنفس بحرية» كما تقول قصيدة لازاروس. قليل من هؤلاء الهنود استوعبهم مجتمع القادمين الجدد أما الأغلبية فتقوقعت على نفسها، وواصلت نمط حياتها القديم في تجمعات متناثرة على سطح قارتهم القديمة بعد أن أيقن هؤلاء أن لا قبل لهم بمواجهة «فقراء ومتعبي» العالم القديم ذوي الحضارة المتفوقة، لكن هؤلاء لم يكونوا قساة بشكل مطلق، ولم يعتمدوا على بنادقهم ومدافعهم وبارودهم وديناميتهم فقط، في دفع السكان الأصليين الى الداخل، فقد كانوا في كثير من الأحيان يشترون الأراضي والغابات والسهول والجبال بحر مالهم، وبأسعار يحددها قانون السوق لذي أتوا به معهم من بلادهم الأصلية

هكذا اشتروا مانهاتن بالثمن الذي أوردناه، رادوا بأن أبقوا على اسمها بلغة هؤلاء، فمانهاتن ي بلغة الهنود الحمر أرض التلال، وهذا ما فعله لقادمون الجدد في كثير من الأحيان، حيث دفعوا لهود الى الداخل، واشتروا أو صادروا أرضهم، لكنهم أبقوا على الأسماء القديمة، مثل ماساتشوستس وبوتوك والموهوك وغيرها

لكن مانهاتن ليست كلها ناطحات سحاب، مثل ورلد تريد سنتر وبناية الامباير ستيت، رغم أن ناطحات السحاب والبنايات الشاهقة تشكل المدخل الأنسب الى عالم مانهاتن المكتظ بكل شيء

قبل الانتهاء من بناء ورلد تريد سنتر كانت بناية الأمباير ستيت هي أعلى بنايات نيويورك، ورغم تقهقرها الى المرتبة الثانية من حيث العلو، الى أنها لا تزال أشهر بنايات نيويورك، عدا عن كونها واحدة من أشهر بنايات العالم، بمرصدها الشهير الذي يمكنك من خلال المنظار المثبت في قمته أن ترى بانوراما كاملة لغابة الاسمنت العظيمة التي تسمى مانهاتن، وعن بعد، ومن جميع الجهات، يمكنك رؤية الأفق وقد التقى بآخر نقطة أرضية في شريط غطاه ضباب خفيف تشكل من أبخرة الماء والندى والمطر، أو من دخان المصانع التي اخترقت الغابات المحيطة بضواحي نيويورك

وحين صعدت الى أعلى البناية وشاهدت الناس

باعة متجولون ومأكولات صينيه فى شارع المال « وول ستريت »

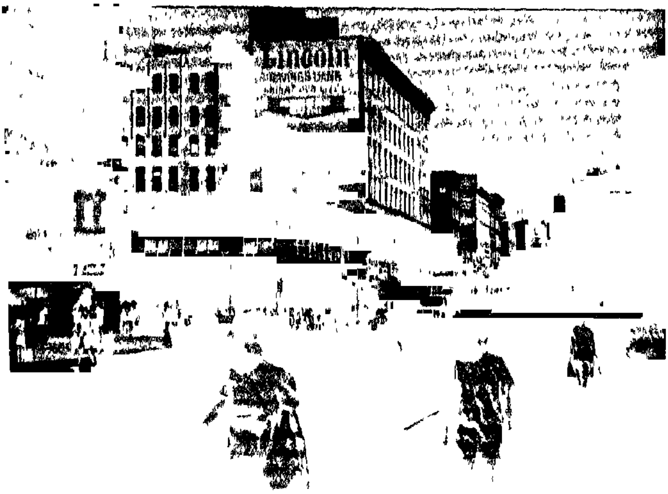

قطعة من الصين فى قلب نيويورك هو الحي الصيني

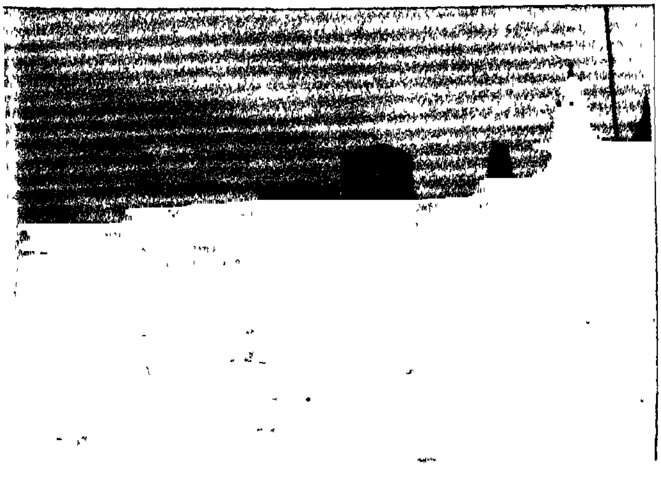

نيويورك فى الليل بحر وأضواء وناطحات سحاب

أقصى اليسار الناس ، وقد تحولوا الى تفاصيل صغيرة فى عالم نيويورك الشاهق

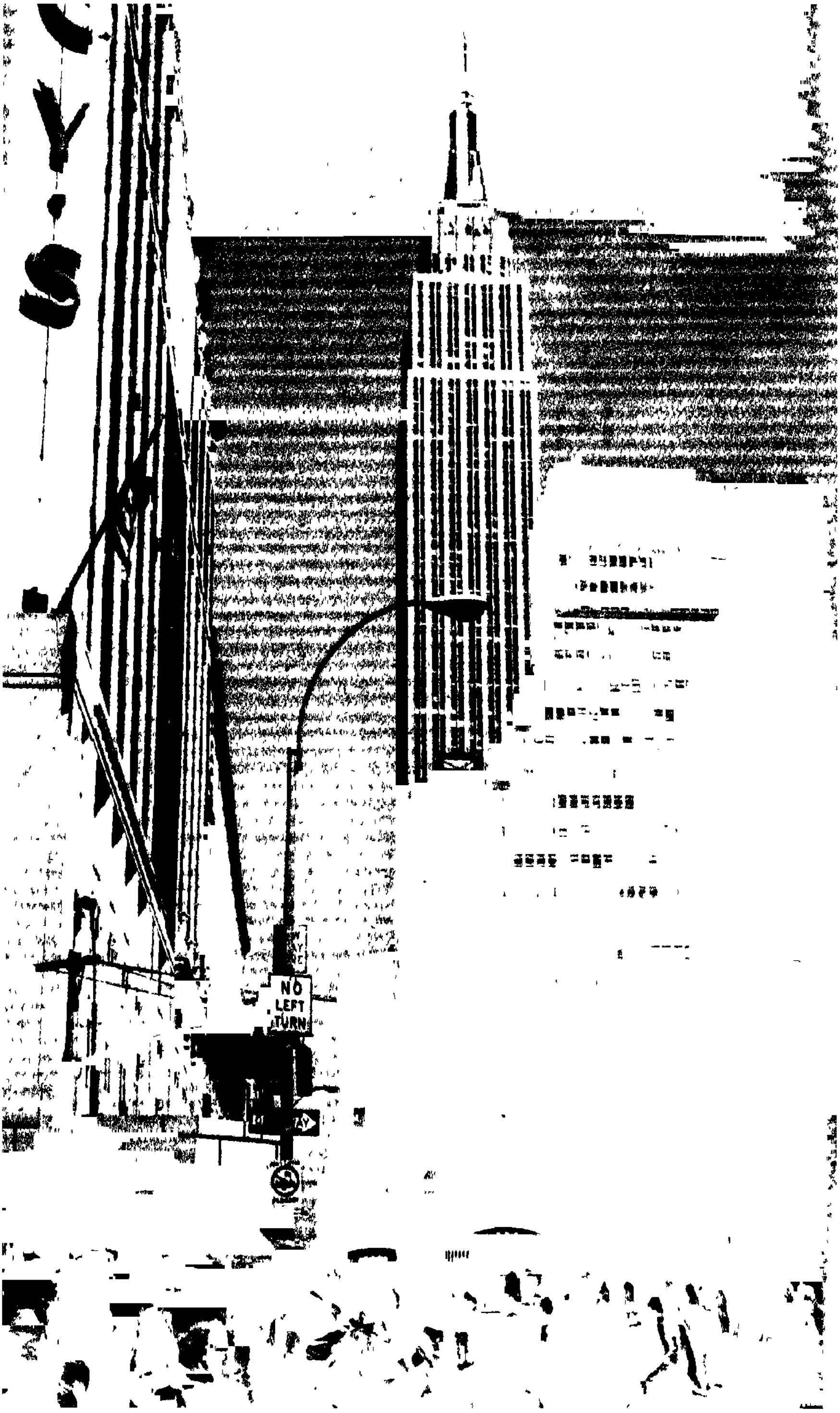
Y'S
NO
LEFT
TURN

والسيارات والحافلات تتحول الى نقاط صغيرة متحركة على مسافة بعيدة جداً الى الأسفل ، أدركت أي نظرة خذلان ألقاها كنج كونج ذلك الوحش الأعجمي الكاسر من كل هذا الارتفاع الشاهق على عالم لا حدود لقسوته . فبناية الأمباير ستيت تشتهر من ضمن ما تشتهر به ، بمصرع الغوريلا كنج كونج على الدرجة الأخيرة من سطح البناية المدبب في الفلم الذي حمل اسم الغوريلا والذي يعتبر الآن علامة في تاريخ السينما الأمريكية والعالمية ، ومنذ الثلاثينيات حين أنتج الفلم والغوريلا والبناية مرتبطان بعضهما ببعض ، ويستدعي ذكر أحدهما الآخر ، وقد يفاجأ الزوار الواقفون في طوابير طويلة في انتظار الصعود الى قمة البناية بالغوريلا تنتقل من مكان لآخر مداعبة جمهور المنتظرين قبل أن يكتشفوا أن كنج كونج لم يبعث حيا ، بل ان هذه الغوريلا ليست سوى رجل تنكر في زي الغوريلا ليعيد الى الأذهان ذكرى مصرع « الوحش الذي قتله الجمال » ، كما تقول الجملة الأخيرة في الفلم

عند الحديث عن ورلد تريد سنتر يمكنك أن تورد حشدا من الأرقام الطريفة التي تصبح في لحظة ما مرعبة لضخامتها وغرابتها ، اذ يبلغ ارتفاع البناية المكونة من برجين ١٣٥٠ قدماً ، استخدم في بنائها نحو ٤٢٥ الف ياردة مربعة من الاسمنت المسلح ، و ٢٠٠ الف طن من الحديد وفتحت فيه ٤٣٦٠٠ نافذة ، ويعمل في مكاتبها ٥٠ الف شخص ، ويدخلها يوميا لقضاء أعمالهم ٨٠ ألف زائر آخر ، ومن فوق سطحها يمكن رؤية مناطق على بعد ٥٣ ميلاً ، ويمكن رؤية مدينة فيلادلفيا اذا كان الجو صحواً   وهكذا يمكن المضي في ايراد أرقام شبيهة الى ما لا نهاية ، لكن ما أوردناه من أرقام يغني عن أي وصف

نيويورك ليست ناطحات سحاب فقط كما ذكرنا ، فهناك حديقة سنترال بارك ، وهي واحدة من أكبر وأضخم حدائق العالم ، ويمكنك مشاهدتها وقد امتدت في نهاية جزيرة مانهاتن المستطيلة الشكل لتكسر بلونها الأخضر الداكن قسوة المشهد الاسمنتي المعمر   وهناك أيضاً برودواي الذي يعرف بأنه شارع المسارح والاستعراضات والأضواء ، لكن المسارح المذكورة لا تشكل سوى ركن بسيط جدا في شارع برودواي الذي بالرغم من اسمه الذي يعني « الشارع العريض » هو « أطول » شارع في العالم . وفي القسم المعروف منه بأنه شارع المسارح ذهبنا وفي أذهاننا صورة مسرح الثلاثينيات والأربعينيات والخمسينيات الأمريكي باستعراضاته المبهرة ومسرحياته الغنائية الكلاسيكية والتجريبية الحديثة ، كان الأمر مختلفاً هذه المرة ، لقد فقد الشارع جزءا من أهميته ، لكنه بقي محتفظاً ببريقه وانبهاره ، وفي لحظة تخيلت الشارع كما كان في الأربعينيات بالسيدات ذات القبعات المريشة ، والأثواب البراقة المزركشة ، والرجال ببدلاتهم الطويلة ، وسراويلهم العريضة الأنيقة ، وأحذيتهم الملونة بالأبيض والأسود والبني ، وشعورهم اللامعة المطلية بالزيوت والدهون والعطور الفواحة الصاعدة من جموع جماهير الأربعينيات السائرة الى المسرح ، لقد سرحت بخيالي لأعيد تركيب هذا المشهد القديم في ذهني ، عندما رأيت مسرحية غنائية قديمة تنتمي الى ذلك « العصر » تعرض على أحد مسارح شارع برودواي الطويل ، هي مسرحية « كيسمت » أو « قسمت » التي تدور أحداثها في عصور العرب القديمة ، حيث الخليفة المرح ، والنساء الجميلات بألبستهن الحريرية ، وبائعو الأسواق والمتشردون والوزراء والسحرة الذين لا يكفون عن الغناء

في العشرينيات عندما عرضت مسرحية « كيسمت » لأول مرة ، لم تكن صورة العربي كارهابي أو بدوي جاهل قد اكتسحت هوليود كما هي الآن ، ولم يكن العربي كوغد شبق يتميز بالغدر والقسوة والخشونة قد ظهرت على شاشات السينما وخشبة المسرح والمسلسلات التلفزيونية ، كانت

الأجواء العربية كما تعكسها الأعمال المسرحية والسينمائية مزيجاً من السحر والخيال والعلاقات الغرامية التي تنمو بين النساء الجميلات والشبان الوسيمين في القصور الضخمة ، بأفرشتها الحريرية ذات الألوان الزاهية ، أو بين مضارب الخيام في الصحراء الممتدة ، وفي أجواء رومانسية صافية تتناقض مع قسوة الصحراء

بعد خروجنا من المسرحية القديمة اصطدمنا بجمع من البشر المتجمهرين في عرض الشارع ، وقد ضاعت أصواتهم وضحكاتهم في ضجيج موسيقا راقصة صاخبة ، وفي وسط الحلقة الضخمة كان راقصو ديسكو الشوارع يعرضون فنهم الذي تمتزج فيه قوة التعبير برشاقة الحركة وخفتها ، وتتثنى الأجساد المرتعشة لتتخذ أوضاعاً غريبة وجميلة وطريفة في آن واحد

انها واحدة من المتع المجانية التي يمكنك مشاهدتها في شوارع المدينة الهائلة التي لا تعبأ كثيراً براقصيها ، اذا لم يتحولوا الى نجوم لامعين مخترقين جدار الحديد والاسمنت المحيط بهم ، وقد يحدث مثل هذا الاختراق ، ويتحول فنانو الشوارع والأزقة الخلفية الى نجوم تبرق في سماء الفن ، ويغادروا هذه الأماكن إلى مواقع عملهم الجديدة في كاليفورنيا وفلوريدا

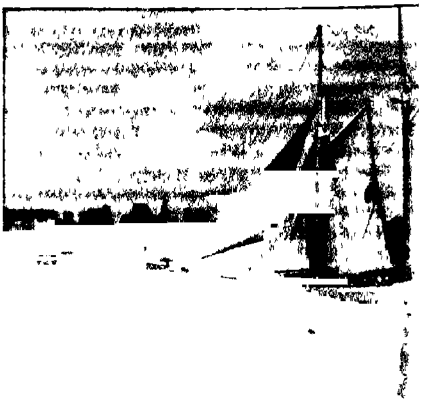

ما زال في نيويورك متسع لسفينة شراعية

عن البؤس والفن .

لقد جاء هؤلاء الراقصون ومعظمهم من السود ، من حي هارلم الشهير ، بكونه مركزا للعنف والجريمة غير المنظمة ، وبؤرة للفقر وتعاطي المخدرات والمتاجرة بها ، فمانهاتن ليست كلها مكاتب فخمة وشوارع تتلألأ ببريق الأضواء ، اذ أن حي هارلم هو الآخر في مانهاتن

عندما تبدأ بالاقتراب من الشارع الرئيسي في هارلم تبدأ العين في التعود على لون البشرة السوداء ، وعندما تصل وسط الشارع يصبح لون البشرة السوداء والملونة هو كل ما تراه ، لا أضواء ولا بريق ، بل سكون تقطعه صرخات الأطفال الذين يقفزون على الحبال بمهارة شديدة تثير الاعجاب ، فهذا الحي البائس الذي أخرج أعظم عازفي موسيقا الجاز في بداية هذا القرن ، وأخرج راقصي ديسكو الشوارع التي تحولت الى صرعة عالمية في بداية هذا العقد ، وأخرج فريق هارلم العجيب لكرة السلة ، يتأهب لتقديم فن آخر هو فن الرقص بالقفز فوق الحبال

فتيات صغيرات يلوحن بأكثر من حبل ، وأخريات يقفزن من بين هذه الحبال ببراعة مدهشة ، ويتناوبن تلويح الحبال والدخول للقفز بينها على ايقاع قباقيبهن التي أصدرت معا حوّل هذه اللعبة المجانية الى متعة للمتسكعين والسكارى والمدمنين ولنا نحن القادمين عبر المحيط للاكتشاف والمتعة والمعرفة ، فماذا عرفنا عن هذا الحي الذي اختلط فيه البؤس بالجريمة ، والفن بالفقر ، والادمان بتجارة المخدرات المربحة ؟

عرفنا أن هناك هارلم السوداء وهارلم الأسبانية ، في الأولى يعيش الزنوج أساسا في بيوتهم البائسة تحت ظروف قاسية ، وفي الثانية يعيش ذوو الأصول الأسبانية ، وهو الاسم الذي يطلق على أولئك القادمين من أمريكا الوسطى ، وبشكل خاص جزر الهند الغربية وبورتوريكو والمكسيك ، وهنا في هارلم

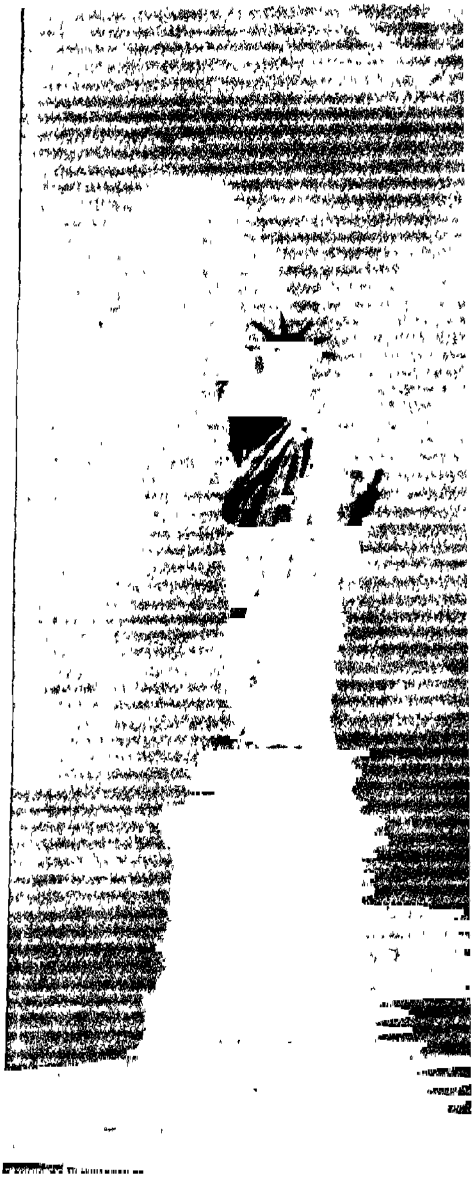

صخب وضجيج واطفال
في هارلم الاسبانية
امرأة من سكان هارلم
السوداء تكشف العالم
من حولها
الانسة حرية تحمل
شعلتها الجديدة
الى اليسار راقصوا
ديسكو الشوارع
يعرضون فنهم المجاني في
شارع برودواي

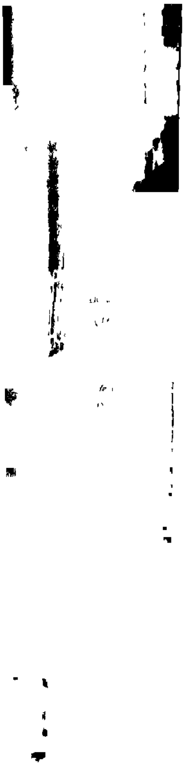

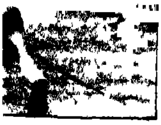

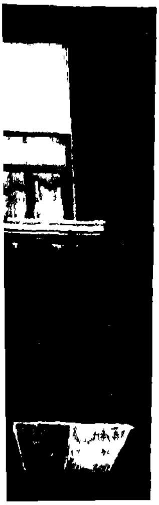

الرقص على حبال [illegible] في حي هـ

الأسبانية يزداد حجم البؤس ، ولكن يكثر الصحيح ويرتفع صوت الموسيقا الصاخبة الراقصة التي اشتهرت بها تلك المنطقة من العالم ، ومن المناظر المألوفة أن ترى فتيات وشبانا يرقصون في الشوارع ، وقد حمل بعض منهم جهاز تسجيل ضخم الحجم في يده أو دلاه من عنقه ، وإن كانت العلاقة بين البؤس والجريمة أكيدة ، فهل من علاقة بين البؤس والفن ؟ سؤال ليس باستطاعتنا الإجابة عنه بالتأكيد لذا فإننا نتركه للمهتمين ، ونمضي لنذكر بعض الحقائق المهمة حول حي هارلم الذي كان في بداية القرن حي أثرياء اليهود والايطاليين المرتبطين بالمافيا ، وكبار عازفي موسيقا الجاز التي دهشت بعقول الأمريكيين في تلك الفترة . لكن هؤلاء تركوا الشارع ورحلوا بسبب الوجود الكثيف لرجال الشرطة القادمين لفض منازعات السود المنتشين بموسيقا الجاز ، وبعشرات زجاجات النبيذ ، فبقي هارلم حياً لجرائم الادمان والسرقة والقتل ، وانتقلت الجريمة المنظمة الى أماكن أقل إثارة للشبهة ، وأكثر بعداً عن هذه الجرائم الصغيرة

ومن الطريف أن هذا الحي نفسه يضم واحدة من أعرق جامعات نيويورك هي جامعة سيتي يونيفير سيتي التي تقوم وسط الشارع الرئيسي بالحي ، وعند نهاية القسم الأساسي من حي هارلم تقوم جامعة أخرى لا تقل أهمية عن الأولى ، هي جامعة كولومبيا التي تعد من أبرز وأشهر جامعات العالم ، وفي هذه الجامعة يعمل الدكتور ادوارد سعيد ـ وهو من أصل فلسطيني ـ رئيسا لقسم اللغة الانكليزية ولأن هذه الجامعة كذلك ، فإن الحي الذي تقوم فيه يمتاز بتكاليف المعيشة المرتفعة ، ففيه يسكن الطلبة الذين أتوا للدراسة في الجامعة العريقة ، مما رفع تكاليف المعيشة فيه ، وخلال دقيقتين ـ سيرا على الأقدام ـ يتم الانتقال من أفقر أحياء نيويورك الى واحد من أرقاها وأعلاها تكلفة

لكن ادوارد سعيد ليس العربي الوحيد الشهير في تلك المنطقة من نيويورك ، فقد سمعنا عن شخص يعرف باسم « النحاس » قيل لنا انه واحد من « أكبر » المتاجرين بالمخدرات ، وأنه نجم لامع في هذا المجال ، فقد وصل العرب الى هنا أيضاً وتوزعوا على الأحياء والمهن ، وتغلغلوا في المجتمع الكبير ، وأصبح بعضهم نجوماً في سماواته المختلفة ، من قمة الهرم السياسي الى القاع

مساعي ومن الغرب الى حدة المحدات

جولات صعبة في شارع المال

ومدينة نيويورك كما هو معروف هي مدينة الامم المتحدة حيث يقوم العرب بشرح قضاياهم العادلة . ومع انهم لا ينجحون الا قليلا ، فانهم لا يكفون عن تقديمها . ولعل انصع امثال قبول منظمة التحرير الفلسطينية عضوا مراقبا في الامم المتحدة . او صدور قرار يعتبر الصهيونية شكلا من أشكال التمييز العنصري أن يحدث ثانية

ذهبنا لزيارة مبنى الامم المتحده ، فصادف يوم اجازة رسمية ، لم يتح لنا اكثر من السير في حديقة البناء الضخم المميز على النهر الشرقي ، والتمتع بمشهد النهر والسفن والجسور التي تربط مانهاتن ببروكلين وبرونكس ، ورؤية امتداد المدينة العملاقة التي أطبق أفقها على الخضرة والأبنية في اطار عمراني جميل

لم نستفد كثيرا من يوم العطلة الرسمية ، فحاولنا زيارة شارع المال والمعاملات المالية التي تعقد في ورصة نيويورك الشهيرة الرابضة في الشارع الصغير لضيق شارع وول ستريت ، لكن الاجازة كانت هناك أيضا ، فأقفر الشارع وسكنت حركته ، وبدلاً من مشاهدة رجال المال بسيارات الليموزين الفاخرة غادين الى عقد الصفقات الكبيرة ، وانجاز لمعاملات المالية ، جلس الباعة المتجولون الى جانب سطاتهم الصغيرة يعرضون بضاعتهم الرخيصة على ضفة الشارع الضيق ، وجلس الصينيون حول مطاعمهم المتنقلة يطبخون أكلاتهم المميزة على قارعة ريق المال « ربما للتمويه بدخانها على الطبخات سريالية التي تعد في هذا الشارع الشهير عادة » كما صديق لي ضاحكا ، ولكن لم يبد لي هذا الشارع يق الصغير مقنعاً ، كمكان تتم داخل بناياته صة عملية التحكم بدورة المال في العالم كله ، لت في تخيل الصورة التي كان عليها هذا الشارع في ٢٩ اكتوبر عام ١٩٢٩ . يوم حدث الانهيار العظيم في بورصة نيويورك الضخمة وسقط . والتي بدت حينذاك « كبيت تسكنه الأرواح الشريرة . حيث ادرك ١٠٠٠ سمسار و ٢٠٠٠ من موظفي البورصة . ان هذا اليوم هو يوم مذبحة اصحاب الملايين » كما يصفه غوردون توماس وماكس مورغان في كتابهما « يوم انفجرت الفقاعة » ، لقد بدا (وول ستريت) أضيق واصغر من أن يحدث كل ذلك الاثر في الاقتصاد العالمي في تلك الأعوام المضطربة

كانت تلك بداية لسنوات الكساد العظيم التي اجتاحت أمريكا والعالم الراسمالي من بعدها . وبعدها انتشرت مقولة لكاتب امريكا العظيم مارك توين على لسان إحدى شخصياته « ان اكتوبر شهر في غاية الخطورة بالنسبة للمضاربة على الأسهم . أما الشهور الخطرة الأخرى فهي يوليو ويناير وسبتمبر وابريل ونوفمبر ومايو ومارس ويونيو وديسمبر وأغسطس وفبراير »

ولكن رب ضارة نافعة ، فسنوات الكساد تلك أفرزت فائضا من الأيدي العاملة ، استغلها الرئيس الأميركي فرانكلين روزفلت في بناء عدد هائل من الانشاءات الأساسية من جسور وشوارع وطرق وأوتوسترادات وأشار مرافقنا الى جسر ضخم لولبي الشكل يؤدي من برونكس الى نيوجيرزي ، وقال وهذا أحد تلك الجسور

حين صعدنا الى أعلى الجسر شاهدنا البحر الكبير والأنهار العظيمة التي كانت البنايات العالية من حولنا تحول دون رؤيتها وتساءلنا ان كانت هناك شواطيء للسباحة ! وبدا السؤال ساذجاً ومشروعاً في الوقت نفسه ، ولم يكترث حين نظر مرافقنا الينا نظرة دهشة ، وقررنا أن نزور أحد الشواطيء الكثيرة في نيويورك ، وأن نستمتع بالسباحة في بحر مدينة ناطحات السحاب ، فقد كانت تلك بالنسبة لنا مفارقة طريفة ، قررنا ألا نتركها تفوتنا قبل أن نغادر مدينة الاسمنت والحديد والشواطيء الكثيرة □

قصة مترجمة

الغريب

للكاتب الفرنسي : شارل لوكانتريك*

ترجمة : جليل العطية

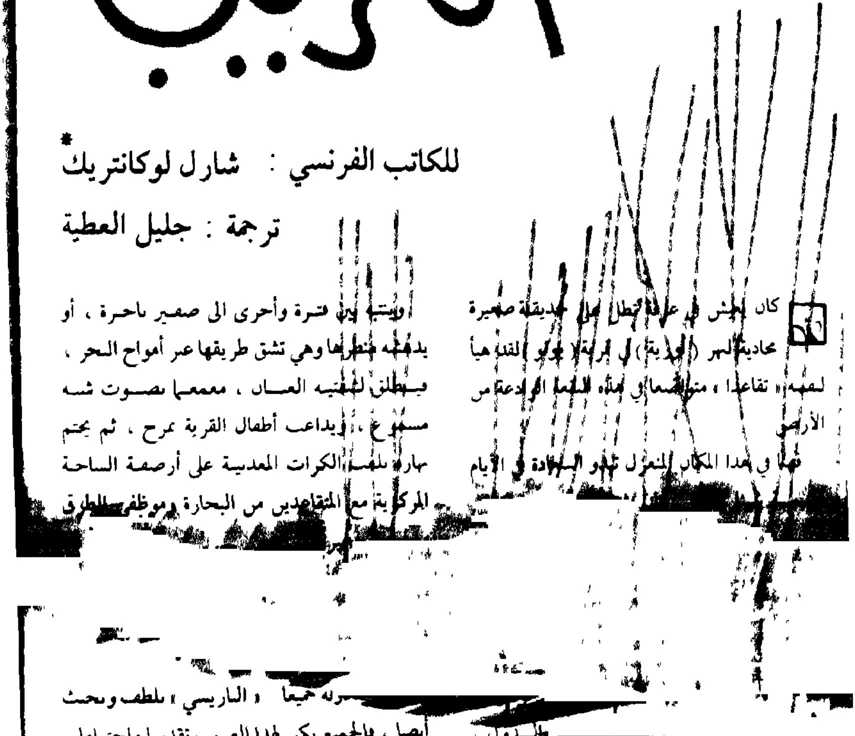

كان يعيش في غرفة تطل على حديقة صغيرة محاذية لنهر ([illegible])* في قرية ([illegible]) لقد هيأ لنفسه « تقاعدا » [illegible] في هذه البقعة الوادعة من الأرض

فهنا في هذا المكان المنعزل تبدو السعادة في الأيام

[illegible] الدول ،

[illegible] بعضها بنوبل فضي أو ذهبي ، أو احتفاء بعضها بذكرى غريبة . ويحدق - بشكل خاص - بوجوه الشعراء والمحاربين والمكتشفين والموسيقيين ، ثم يعمد - بعد أن ينهكه التعب - الى التسكع في أزقة القرية الضيقة ، يوزع التحيات على النساء (نهار سعيد يا امرأة) ، وعلى الفتيات . (نهار سعيد يا جميلتي)

ويتنبه بين فترة وأخرى الى صفير باخرة ، أو يدهشه منظرها وهي تشق طريقها عبر أمواج البحر ، فيطلق لشفتيه العنان ، مصفرا بصوت شبه مسموع ، ويداعب أطفال القرية بمرح ، ثم يختم نهاره بلعبة الكرات المعدنية على أرصفة الساحة المركزية مع المتقاعدين من البحارة وموظفي الطرق

[illegible] جميعا « الباريسي » بلطف وبحث أيضا ، فالجميع يكن لهذا الغريب تقديرا واحتراما ، غير أنه احترام ممزوج بسخرية مبهمة ، لأسباب مجهولة ، لا يعلم سرها الا الله

- « الباريسي » إذن !

لقد أمضى صاحبنا شطرا من حياته في شارع صغير في حي « بير لاشيز » باريس ، بشارع شعبي ، اعتاد قاطنوه على تسمية بعضهم بعضا بأسمائهم المجردة

---

* كاتب معاصر من مواليد مدينة نانت ١٩٤٢ ، يحاضر في الاداب من أعماله الرحيل « مجموعة قصص » الشمس الساطعة « رواية » * نهر في غرب فرنسا ، يقع عليه ميناء نوبو الصغير المخصص للصيد

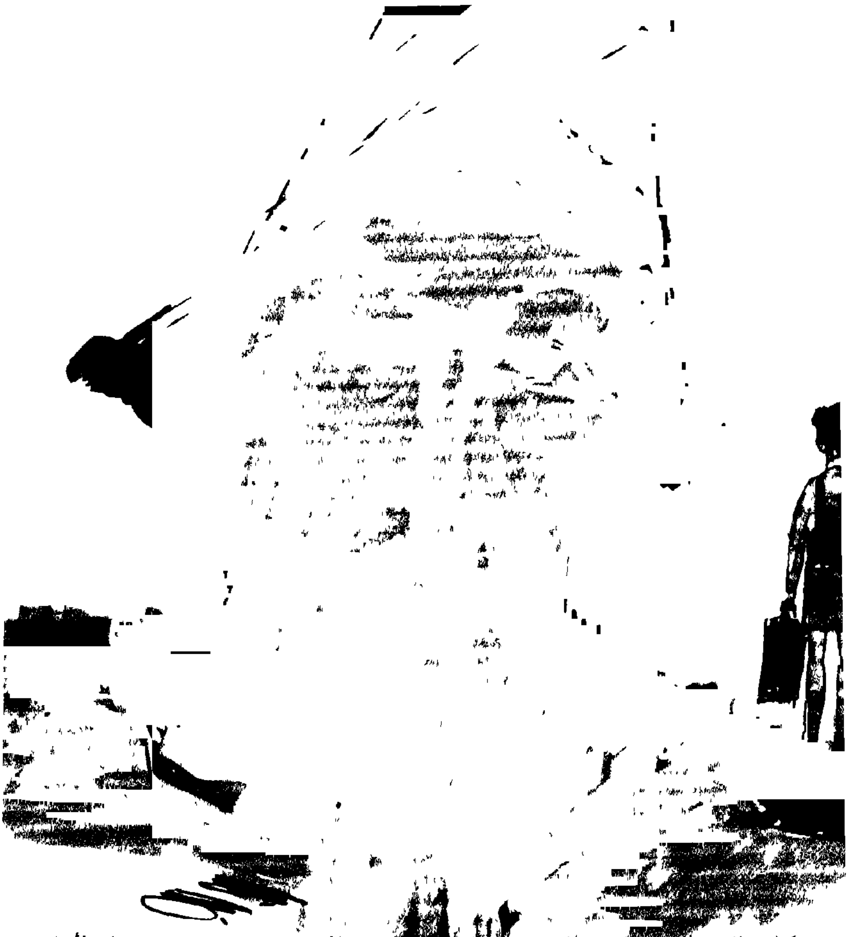

كان بطلنا يتذكر و « موريس » الذي مات غمًّا بسبب حبـ له ، و « دوادا » ماسح الأحذية ، و « ايتيانـ سنة السيرة ، و « كاراموس » بائعة الصحف التي لم كن صوتها يلعلع يوما من قلب حانوتها الصغير إلا ـب أخبار مخربة كالكوارث والفواجع

مقهى « حان » ممتلئا بذوي الكروش المترهلة ، ـب كثرة تناول الخمور الرديئة ، وعلى الرغم من ـلك فإن ادارة المقهى تؤثرهم على غيرهم من رادها

وفي أصيل كل يوم كانت تمر أمام صاحبنا فتاة ـلة ، لم يكن يعرف حتى اسمها ، فسماها

كان طيفها العابر يعمق في قلبه الأحلام لوحة أيضا . وهي امرأة نذرت نفسها ـت حسنها ، وعندما ماتت دفنها في ـتير » المحاذية للحي

ومـ بوفاة زوجته أضحى له ميل غريب لمحاورة القبور ان يتسكع كل يوم بمحاذاة مدينة القبور ، تلك التي تحق أجمل مقبرة في باريس

كان يقرأ باهتمام « شواهـ قبور » ، وتواريخ الميلاد والوفيات المنقوشة على الرخام ، وكان يردد على نفسه إن الناس يرون النور ويموتون بلا متاعب ، ومع ذلك فإن متاعب تاريخ فرنسا منقوشة

هنا ، إما بتواضع أو بتباه ، والمؤمن بجانب غير المؤمن ، والطيب بجانب الخبيث ، والشاعر ينام في مثواه هنا الى جانب الثري ، أما الكاتب « فيليبتيه دي لاميه » فهو الوحيد الذي ذُرّ رماده ، على الطريقة التي يتبعها بعض الهنود

هكذا استرجع صاحبنا شلال ذكريات الماضي ، وهو يحمد الله لأنه يعيش في الريف ، بعيدا عن صخب العاصمة ، وكان لتقدمه في السن أكبر الأثر في احترام الناس له أينما حل

الآن صار جزءا من عالم صغير ، يعنى بشؤون الغيوم ، وحوادث السفن ، والرياح والأمطار ، والساحة وعبور المحيط الأطلسي ، وأخبار « أريك تابارلي » الذي عبر الأطلسي بمفرده

حياة بسيطة وادعة ، لم يقطعها سوى حلول طفل غريب في القرية ، راح يسأل عن عنوان صاحبنا ، ويومئذ تساءل أهل القرية

ـ أهو ابنه ؟

ـ كلا ، ففارق العمر كبير جدا

ورددوا على أنفسهم

ـ احتفظ « الباريسي » بسره لنفسه ، يااللعين

في الأيام التالية كثر تساؤل الناس عن « السر » سواء في المخبز ، أو المغسلة ، أو في الحقول المجاورة ، وكان بعضهم يزعم أنه حفيده

لكن لو كان حفيده لماذا لا يقدمه للآخرين أو لماذا هذا الغموض ؟

لكن الفرحة كانت تغمر الاثنين ، صاحبنا الشيخ وضيفه الطفل ، وكان صاحبنا يعرف المنطقة جيدا ، ويعرف الى أين يؤدي كل درب من دروب الحقول القريبة ، كما يعرف الطرق المؤدية الى « الأحجار الخاصة »

كان الشيخ والطفل يسيران في هذه الطرق ، ويستمتعان بالأشواك وبأصوات الطيور ، وبالأحجار المتناثرة هنا وهناك ، وكانا في منتهى السعادة ، وكان الطفل يحب في رفيقه الشيخ البساطة

والورع ، بينما كان صاحبنا الشيخ يجد في الطفل صورة من طفولته هو شخصيا راح الاثنان يعيدان اكتشاف الدنيا ومخلوقات الله ، سواء أكانت الشمس متألقة أم متوارية خلف الغيوم

كانت صاحبة مخزن البقالة تردد دائما هذان الكائنان ليسا بحاجة الى أي إنسان آخر إذا أرادا أن يصنعا من أي نهار عيدا

ـ يا للباريسي اللعين !

أمضى صاحبنا وضيفه صيفا رائعا ، بعيدا عن الفضول والفضوليين ، في أحضان الصخور ، ووسط الأعشاب ، وبين الطيور التي تتهادى تحت أشعة الشمس

وعند حلول موعد العام الدراسي ودع الطفل الشيخ قائلا

ـ سأرجع ، أعدك بذلك

وعكف « الباريسي » يعد الأيام التي تفصله عن عيد الميلاد والعطل الدينية الأخرى وعطلة الصيف الكبرى ، واكتشف أن الزمن يمر ببطء شديد

ذبلت الأزهار ، ورفضت الحديقة أن تعطي خضرتها للخريف المتوحش ، وجاء موزع البريد مرات عديدة ، ليسلم الشيخ بطاقة بريدية من

« ريمي » وهو اسم الطفل ، أو رسالة صغيرة كتبها من الجبال ، حيث يقضي عطلة الشتاء مع والديه ، يشرح فيها طرائف صادفته ، وهو يجرب التزحلق على الجليد ، ويوضح انطباعاته الساذجة عن قمم الجبال البيض التي تسيطر على الحدود الفرنسية السويسرية

فإذا كانت احدى البطاقات قادمة من « كورفو » فتح الشيخ خارطة كبيرة عتيقة ، راح يبحث بدأب عن موقع هذه القرية أو المدينة ، غير أنه لم يجد لها ذكرا ، وأخيرا ذهب الى معلم مدرسة القرية يسأله عن موقع « كورفو » ، فما كان من « لارمور باذان » المعلم الا أن قام بارشاده الى موقع « كورفو » ، فأحس الشيخ بسعادة كبيرة ، وراح يفكر بتلك المدينة النائية التي يزورها صديقه الصغير ، ويتذكر الأيام الجميلة التي أمضياها معا

- لن يأتي الآن ، بل سيأتي في مطلع الصيف

وعاد الشيخ يلتقي بالبحارة والمسنين ، ويصرف الوقت في المقهى أو في الدروب المتعرجة ، غير أنه كان يبدو وكأنه يحمل هموم الدنيا ، وقد شحب وجهه ، وأصبح غريب الأطوار ، يكلم نفسه ، ويسير بمساعدة عصا دقيقة ، ويغضب لأتفه سبب

قالت صاحبة مخزن البقالة

- ان الوحدة لا تعني شيئا ، صدقوني ان الشيخوخة لا تسامح أحدا ولكن صاحبة مخزن البقالة لم تر « الباريسي » سعيدا الا في شهر تموز ، وهو موعد عودة الطفل « ريمي » لقد تحول الشيخ تحولا تاما ، فغير طقمه ، ولبس ملابس أنيقة ، ، عاش عشرة أسابيع في غاية السعادة ، بين نزهات رحلات على الأقدام ، واستحمام في البحر ، ولهو لى الرمال ، عشرة أسابيع قص كل منهما على الآخر سي أن يقصه في الصيف السابق وهرم الشيخ ثر الفتى ، تأمل الاثنان ببراعة القوارب المتجهة حو جزيرة « آرسي » وميناني نافلو وسان سولوميان كان « ريمي » يهوى الأحجار والصخور ، يفرح كلما وقع نظره على حصاة تتميز بشيء ما ، ويسر كلما رأى حجرة من الجرانيت وقد حفرتها الأمطار ، فيخيل إليه أنها كتابات من حضارات بائدة ، يلتقط « ريمي » الحصى والأحجار ، ويحفظها بعناية في حقيبته كتحف نادرة

كان « الباريسي » يشفق على صديقه الصغير ، فيعينه بالعثور على التحف الرائقة ، وللصغير هواية أخرى ، وهي اصطياد الفراشات والاحتفاظ بها ، ومحاولة معرفة أسمائها

أما « الباريسي » الذي أذهلته حماسة رفيقه فقد صار لا يكترث بالساعات والأيام والشهور ، وعندما انهمرت أول زخة مطر في منتصف أيلول (سبتمبر) هرع الاثنان وأدخلا الكراسي والطاولة الى داخل المنزل ، وأطرقا يفكران باقتراب ساعة الفراق

راح « ريمي » يفكر بمغادرة هذه الحديقة المملوءة بالطحالب والفراشات والحلزون الصغيرة ، بينما راح الشيخ يفكر بأن رحيل الطفل سيقوده مرة أخرى الى الوحدة والسأم

شعر الشيخ أنه لن يقضي صيفا آخر مع ريمي الذي سيحمل النور في حقائبه الى الأبد صاح الطفل سأرجع ، أعدك بذلك

وفي هذه الأثناء نفد صبر سائق الحافلة من استرسال الاثنين ، فتوعد وهدد باغلاق الباب والشروع في الرحيل ان لم يصعد الطفل فورا

- الى اللقاء ، الى اللقاء

- الى اللقاء يا ريمي ، لا تنس أني أهبك حديقتي

رحل الصبي ورحل « الباريسي » .

وما زال ريمي يستمتع الى اليوم بحديقة الشيخ ويجمع الحصى ، ويستدر اعجاب طيور النورس ، ويبحث عن صخور العالم القديم ، ومنذ ذلك الوقت تبناه أهل (بونو) ، وأطلقوا عليه اسم « الباريسي » □

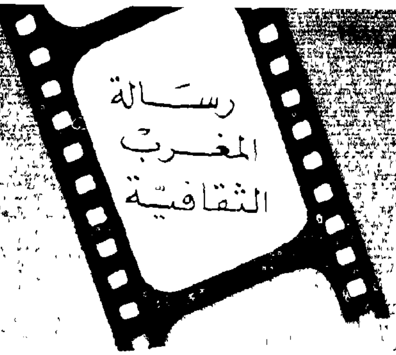

نظرة عامة على الفيلم الروائي المغربي

بقلم: علاء الدين محسن

على الرغم من أن أول الأفلام التي صورت بالمغرب يعود تاريخه إلى عام ١٨٩٧م، إذ يتضمن فهرس المرئيات اشارة إلى شريط أنجزه في ذلك العام «لويس لوميير» وعنوانه «الفارس المغربي»، فإن المغرب يملك الآن رصيدا سينمائيا لا يضم سوى أقل من سبعين فيلما روائيا.

فإذا ما وضعنا جانبا فيلم لوميير السالف الذكر، وبعضا أفلام أخرى تعود إلى تلك المرحلة المبكرة، وصنفت عادة في إطار «السينما الاستعمارية»، فإن أول الأفلام الروائية المغربية التي أنجزها مخرجون مغربيون وممثلون وتقنيون مغاربة، وتناولت مواضيع مستقاة من الواقع المغربي، قد ظهرت عام ١٩٦٨، أي بعد مرور أكثر من عشر سنوات على استقلال المغرب في ١٩٥٦، وأكثر من سبعين عاما على تصوير لويس لوميير لشريطه «الفارس المغربي».

وبسبب حالة الرصيد السينمائي المغربي حيث يبلغ معدل الإنتاج السينمائي [illegible] سنويا، فإن أبرز الملاحظات التي يمكن تسجيلها عندما نكون بصدد الحديث عن السينما المغربية، أن كل مخرج مغربي قد تمكن من إخراج فيلمين في أحسن الأحوال، في حين لم يتمكن معظم المخرجين المغاربة إلا من إخراج فيلم واحد فقط. وقد استطاع مخرجان فقط هما «سهيل بن بركة»

من فيلم « عرائس من قصب ـ ١٩٨١ » للجيلالي فرحاتي .

« نبيل كلو » انجاز أربعة افلام لكل منها ، دون أن نسى المخرج مومن السميحي الذي يحضر لفيلمه الرابع « قفطان الحب » ـ، وانجاز معظم المخرجين المغاربة لفيلم أو فيلمين يجعل الحديث عن اسلوب أي منهم وشخصيته ورؤاه واختياره السينمائي أمرا في غاية الصعوبة ، وانطلاقا من تقديرنا لهذه الصعوبة ـتوم في الفقرات اللاحقة بالتعرض لأهم الأفلام بية من خلال تصنيفها على مرحلتين :

دأ الأولى من عام ١٩٦٨ ولغاية ١٩٨٠ ، وتبدأ ة حيث انتهت المرحلة الأولى ولغاية ١٩٨٥ ، عتبرنا عام ١٩٨٠ فاصلا بين مرحلتين لأنه شهد ر قانون جعل الدولة تسهم في انتاج الأفلام سانية بتقديم مساعدة مالية للمخرجين ، الأمر ساعد على دوران عجلة الانتاج السينمائي عالية تمخضت عن ثلاثة عشر فيلما روائيا ، انتجت ما بين « ١٩٨٠ ـ ١٩٨٢ » ، وهو رقم قياسي مقارنة بمعدلات الانتاج السابقة لهذه الفترة ، وللفترة اللاحقة لها أيضا !

وستعرض هذه الأفلام ـ ثانية ـ من خلال تصنيفها على أساس مجموعة سمات مشتركة بينها ، أو بين كل مجموعة منها ، ونعتقد أن هذه الطريقة يمكنها أن تساعد على تكوين تصور عام عن الطريقة التي يتعامل بها المخرجون المغاربة مع واقعهم ، وما الذي يسترعي انتباههم في هذا الواقع .

أولا : مرحلة ١٩٦٨ ـ ١٩٨٠

شهد عام ١٩٦٨ ولادة فيلمين هما « عندما يثمر النخيل » لعبد العزيز الرمضاني والعربي بناني و « الحياة كفاح » لأحمد المسناوي ومحمد التازي .

يتعرض الفيلم الأول الى مشاكل تحدث بين قبيلتين في جنوب المغرب ، فيما يروي الشريط الثاني

قصة [illegible] قرية [illegible] مدينة [illegible] في ايام الاستعمار ، حيث تصبح حياتها فيها معدومة [illegible]

ويعتبر ابرز الستينات فيلم [illegible] في هذه المرحلة هو « شمس الربيع » للمخرج لطيف لحلو المأخوذ عن قصة للكاتب المغربي المعروف عبد الكريم غلاب . ويتحدث (شمس الربيع) عن حياة موظف من اصل ريفي يعمل بمدينة الدار البيضاء ويعجز عن الإئتلاف معها ، وقد افتتح هذا الشريط عهد التعامل السينمائي المغربي مع القصة والرواية المغربية ، وهو عهد لم يشهد للاسف العديد من المحاولات على هذا الصعيد

وتعتبر هذه الافلام الروائية التي اسست بدائية واضحة في صناعتها السينمائية وتعاملها مع تقنيات الفن السابع . جاء فيلم « وشمة » للمخرج حميد بناني عام ١٩٧١ - ليشكل نقلة نوعية بالمقارنة مع الأفلام التي سبقته

ويتطرق هذا الشريط الى المشاكل النفسية التي يعيش تحت وطأتها طفل ترك وحيدا ليعايش عالما يتصف بالقسوة

انجز حميد بناني فيلمه بامكانيات بسيطة وبالابيض والاسود ، ولكنه استطاع رغم ذلك التوصل الى تعبير خاص به عن قضايا مغربية شكلت سينمائيا بمهارة ، بحيث صار لها بعد اساسي شمولي ، فبناني في فيلمه يهشم - في العمق - تركيبة الاسرة العربية التي تنهض على سلطة أبوية مطلقة ، وهو يتوسع في ذلك ، مما يجعل المشاهد يحس أن هم المخرج هو تحليل طبيعة السلطة السياسية في العالم العربي

وقد حظي هذا الشريط بتقدير كبير في المهرجانات السينمائية العربية والافريقية والدولية ، ويمكن اعتباره بداية الاهتمام بالسينما المغربية ، والحديث عنها ، وأخذها مأخذ الجد خارج حدود بلادها ، ولذلك فـ « وشمة » هو بحق وشمة في مسيرة الانتاج السينمائي المغربي ، مثلما هو كذلك أيضا في مسيرة مخرجه الذي لم يقدم فيلما آخر بعد « وشمة »

مرحلة ١٩٨٠ - ٢٠٠٣

عرفت حركة الانتاج السينمائي في هذه المرحلة سرعة فائقة ، وانتجت ثلاثة عشر فيلما روائيا وعشرة افلام قصيرة . ويعود الفضل في ذلك الى البرلمان المغربي اقر عام ١٩٨٠ قانونا جعل الدولة - من خلال المركز السينمائي المغربي الذي يتبع ادارة وزارة الاعلام - تسهم في تمويل انتاج الافلام السينمائية بما نسبته ٣٠ - ٥٠ بالمئة من ميزانية هذه الافلام

وقد ساعدت هذه الكثافة في الانتاج على ظهور اول مهرجان للسينما المغربية شهدته الرباط عام ١٩٨٢ ، عرضت خلاله جميع تلك الافلام اضافة الى الأفلام التي تعود الى المرحلة السابقة

ولكن السنوات التي تلت المهرجان شهدت عودة الركود الى الانتاج السينمائي ، وفي المهرجان الثاني للسينما المغربية الذي اقيم بعد عامين من المهرجان الأول لم تقدم فيه - وبصعوبة - سوى ستة أفلام جديدة

وتميزت أفلام هذه المرحلة ، وكذلك أفلام المرحلة التي سبقتها بالكثير من الملامح المشتركة نعرضها كالآتي

القرية - الطفل ، والمدينة - الغول

تشكل العلاقة بين عالم (ومجتمع) القرية ، وعالم ومجتمع المدينة محورا يشترك في تناوله العديد من الأفلام المغربية ، منذ البدايات الأولى للفيلم الروائي المغربي في عام ١٩٦٨

وتنهض هذه العلاقة كما يقدمها المخرجون المغاربة على فرضيات مسبقة ، ومهمة شريط الصوت والصورة الوحيدة هي اثباتها عبر حكاية ما

وتتمثل هذه الفرضيات في اعتبار القرية دائما مقابلة للبراءة والبكارة ، حيث مجتمعها لم يتشوه بعد ، وعلاقاته خالية من التعقيد ، وتطبعها التلقائية ، والناس « القرويون » طيبون رغم

● صورة عامة من الفيلم - وثني المغربي

رفهم الصعبة

ما المدينة فهي ذلك الغول المتوحش حيث ن الناس ويضيعون في علاقات معقدة وصراع حل لقاء، وفي هذه المدينة دائما يتم افتراس الوافدين الجدد من القرويين

ومشهد محطة الحافلات الرابطة بين القرى والمدن ر في معظم الافلام المغربية، والامر ليس مجرد صدفة لان هذه المحطة غالبا ما تقدم باعتبارها حد الفاصل بين عالمين متناقضين، فهي تشكل في معظم الافلام المغربية انتهاء مرحلة وابتداء اخرى في حياة شخصيات هذه الافلام

فالشخصية المحورية في فيلم «السراب» ـ ١٩٧ لاحمد البوعناني تعيش ـ خلال احدى سنوات مجاعة التي عرفها المغرب في فترة نهاية الاربعينيات ـ ن عملات نقدية احسنة، وتغادر القرية نحو المدينة قصد استبدالها بعملة مغربية وفي المدينة يكتشف امها عالما يزخر بالعنف وبالعلاقات الغامضة

ستقبل هذا الفيلم في المغرب بترحيب كبير، ولاحظ النقاد ان البوعناني اختار توظيف مرحلة مهمة من تاريخ المغرب في بنية حكائية لم تخل تجسيدها لسينمائي من شاعرية

ويشخص المخرج محمد الركاب في فيلمه «حلاق درب الفقراء ـ ١٩١٢» ذوو اصول قروية، يعيشون في مدينة الدار البيضاء حياتهم ـ مصيرهم ومستقبلهم المبهم

ولد محمد الركاب عام ١٩٤٢، ودرس السينما في ـو وعلم النفس في بروكسل، وفيلمه هذا أحد وأفضل الافلام المغربية لحمولته العالية، ولنفسه ـ الذي يحيلنا مباشرة الى افضل اعمال المخرج ـ صلاح أبو سيف. ويشرح الركاب واقعيته ـ اني مخلص للصورة اليومية التي اشاهدها ـارع. واذا كان من واجبي أن أنطلق من فهذا الواقع هو واقعي»

ـم هذا الشريط المقتبس عن مسرحية بنفس الاسم للكاتب المغربي فاضل يوسف صورة مسائية ـدينة الدار البيضاء وناسها المسحوقين. فالفيلم يبدأ بمشهد الغروب، وينتهي بنفس المشهد تقريبا. «احساسي الداخلي اني اعيش الضباب. وقرب حلول الليل ولا ارى الصباح، اني متشائم كما ترى» يقول الركاب. ويروي الفيلم قصة ميلود الحلاق في درب الفقراء الذي يسرق منه دكانه وعمله ومسكنه على يد شخصيات ذات نفوذ، تعاونت مع الاستعمار فترة احتلاله للمغرب، وبنت ثرواتها عبر المشروع بعد استقلال المغرب

وفي فيلم «الورطة» ـ ١٩٨٤ ـ للمخرج مصطفى الخياط تغادر «السعدية» قريتها، وبعد عدة مآزق تواجهها هناك تضطر للعمل مومسا في ليل المدينة القاسي كنهارها

أما «عودة» الرأسمالي في فيلم مصطفى الدرقاوي «أيام شهرزاد الجميلة ـ ١٩٨٢» فهو يعيش تحت وطأة تاريخه المليء بالانتهازية والوصولية منذ ان غادر الريف وسكن مدينة الدار البيضاء

ولد مصطفى الدرقاوي عام ١٩٤٤، ودرس المسرح قبل ان يدرس السينما بباريس وبولونيا. وله فيلم لم يعرض في المغرب منذ انتاجه عام ١٩٧٥، هو «احداث بلا دلالة». وقدم عام ١٩٨٤ فيلمه الثالث «عنوان موقت»، وتتميز أفلامه بحرصه الشديد على بناء مشاهده واختيار زوايا التصوير التي تقدم اكبر شحنة جمالية ممكنة، وتركيزه على الانفعالات الداخلية لشخصيات افلامه، وتكسيره لبنية السرد التقليدية. فهو يروي حكاية أفلامه من خلال فيلم يصور داخل الفيلم، حيث تتم استعادة القصة نفسها من خلال الشخصيات، المرة تلو الأخرى

وقد اشترك مصطفى الدرقاوي مع محمد الركاب عام ١٩٧٦ في اخراج فيلم «رماد الزريبة» الذي تناول قصة شباب قرويين يتوجهون الى الدار البيضاء

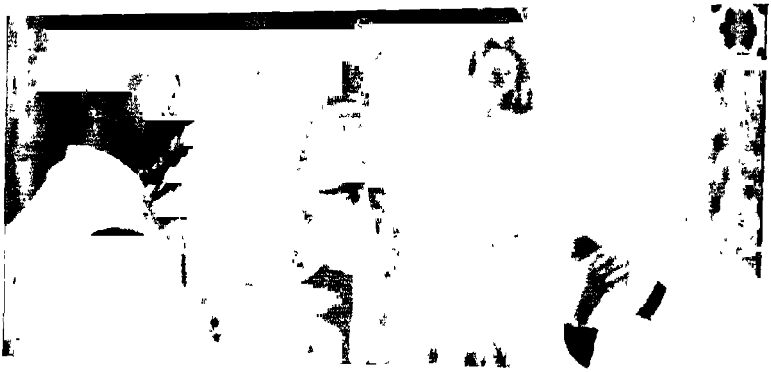

من فيلم « للاشابية ـ ١٩٨٢ » لمحمد التازي

بحثا عن العمل والمستقبل الأفضل ، ولكنهم في النهاية يتلاشون فيها ، دون أن يتمكنوا من تحقيق تطلعاتهم

وتنهض البنية الحكائية في أفلام مغربية أخرى على شخصيات قروية تحلم بالهجرة الى مدينة أوروبية ، تقدم في العادة باعتبارها الفردوس الذي تتحقق فيه حياة الغنى والراحة والعمل و النساء

و « علي » في فيلم « ابن السبيل ـ ١٩٨١ » للمخرج محمد عبدالرحمن التازي يغادر مدينته القروية الصغيرة في أقصى جنوب المغرب ، ويقود شاحنة بضائع باتجاه الشمال ، وبعد عدة مشاكل يواجهها في طريقه ، حيث يُخدع المرة تلو الأخرى في المدن التي يمر بها ، وتُسرق حمولة شاحنته ، يكتشف أن خلاصه الوحيد هو بالسفر الى اسبانيا ، ولكن عصابة لتهريب العمال عبر الحدود تخدعه وتتركه تائها وسط البحر

وعبد الواحد » في فيلم « اليام اليام ـ ١٩٧٨ للمخرج أحمد المعنوني يحلم هو الآخر بالتخلص من واقع الاستغلال الذي يعيشه في القرية بالسفر الى فرنسا

درس المعنوني مخرج « اليام اليام » السينما في بروكسل وفيلمه هذا مثال آخر بالاضافة الى « وشمة » حميد بناني « على امكانية صنع فيلم عميق وجميل بامكانيات مادية بسيطة ، فقد استغنى المعنوني عن الممثلين المحترفين ، واعتمد على سكان القرية التي صور فيلمه فيها ليؤدوا في الشريط أدوارهم الحقيقية على أرض الواقع ، وكان يتكون فريق العمل ـ بالاضافة الى المعنوني ـ من تقنيين اثني فقط ، ففريق العمل الضخم ـ يقول المعنوني ـ كان سيفسد بالتأكيد عفوية سكان القرية ، وكانت المحصلة فيلما يرتقي بتوثيق الواقع الى مستوى العمل الروائي الخلاق

ويحاول مخرجون مغاربة آخرون استحضار مراحل من تاريخ بلادهم سينمائيا ، في محاولة لاستخلاص دلالات يمكن اسقاطها على الحاضر من جهة ، وتخلصا من اعتراضات الرقابة ، كما يقول بعضهم ، من جهة أخرى فيما يعلن مخرجون آخرو عن رغبتهم في توثيق تاريخ بلادهم سينمائيا ، كما ه الحال مع المخرج مومن السميحي

ولد السميحي عام ١٩٤٥ ، ودرس السيـ باريس ، وله ثلاثة أفلام هي « سي موح بدون ح ـ ١٩٦٩ » و « الشركي او الصمت العبـ ١٩٧٥ » و « ٤٤ أو أسطورة الليل ـ ١٩٨١ »

وهو يعود بذاكرته الى الماضي في فيلمي الأخيرين فـ « اسطورة الليل » يتناول تار المغرب فيما بين ١٩١٢ ـ ١٩٥٠ ، أي كامل الاستعمار تقريبا (استقل المغرب في ١٩٥٦) خلال قصة عائلتين مغربيتين الأولى من فاس ، الاستعمار الفرنسي ، والثانية من مدينة الشاو شمال المغرب ، حيث الاستعمار الاسباني

تدور أحداث فيلم « السراب » الذي تطرقنا اليه ـما خلال فترة استعمار المغرب أيضا ، ويقدم ـرج الجيلالي فرحاتي أحداث فيلمه « عرائس من قصب - ١٩٨١ » باعتبارها حدثت عام ١٩٥٣ في ـة طنجة ، ولكنه فيلم لايتناول حدثا أو أحداثا تاريخية معينة بقدر ما يتناول قصة بسيطة ذات أبعاد اجتماعية واضحة عن « عائشة » التي تحمل بشكل غير مشروع

ويتعرض فيلم « هيق الروح - ١٩٨٤ » للمخرج سيل كلو لفترة استعمار المغرب أيضا ، فيما يروى المخرج ادريس المريني في فيلمه « بامو - ١٩٨٣ » المأخوذ عن رواية بنفس الاسم للكاتب أحمد زياد قصة بداية المقاومة المسلحة ضد الاستعمار في المغرب

تهشيم الواقع بالسحرية

للمخرج سيل كلو موقع خاص في السينما العربية ، فقد استطاع المغربي في مغامرته السينمائية رغم الظروف المادية الصعبة التي يعمل ضمنها - شأنه شأن المخرجين المغاربة الاخرين - اذ استطاع انجاز اربعة أفلام هي « القمودي - ١٩٧٨ » ، والحاكم العام لجزيرة شاكر باكر بن - ١٩٨٠ » و « ابراهيم ياش - ١٩٨٢ » و « هيق الروح - ١٩٨٤ »

وهو يلخص فلسفته السينمائية بالقول ان السحرية هي الطريقة الوحيدة للتعامل مع هذا العالم المعقد وغير المفهوم ، والزاخر بالمتناقضات

ـدأ كلو حياته الفنية ممثلا ومخرجا مسرحيا ، وقد ـت هذه المرحلة بصماتها الواضحة على أعماله ـسمائية المتميزة بالاضافة الى السحرية رؤية وأداء حيين

ـلمه الأول « القمودي » يروى قصة موسيقي ـز يربح الجائزة الأولى في اليانصيب ، فتتغير من الفقر الى الغنى ، الأمر الذي يعيد صياغة ـه وعلاقات الآخرين به ، وهو عن طريق هذ تزخر بالسحرية والمرارة يكشف زيف العلاقات واستحالة العيش في مجتمع همّ الجميع فيه الحصول على الثروة لتغيير حياتهم ، وبمختلف الوسائل ، المشروع منها وغير المشروع

وبنفس أسلوبه الساخر يتعرض في فيلمه « الحاكم العام » للديمقراطيات المزيفة في العالم الثالث ، فبطل فيلمه بعد أن يصيبه اليأس من أحزاب بلاده يعلن نفسه حاكما عاما على جزيرة « شاكر باكر بن » التي لاوجود لها على الخريطة

ويسخر في فيلمه « ابراهيم ياش » - وتعني « ابراهيم - من ؟ » - من بيروقراطية الادارة في العالم المتخلف ، فبسبب خطأٍ في تدوين اسمه العائلي يحرم ابراهيم بطل الفيلم من حقوقه التقاعدية بعد أكثر من عشرين سنة من العمل ، ويقضي حياته حتى موته في محاولة مستحيلة لتصحيح اسمه في سجلات الادارة وعقولها الالكترونية

وتبلغ سخرية كلو ذروتها عندما يموت بطله وتصل روحه الى السماء فتؤجل محاكمته ، لأن ملفه لم يصل الى هناك بعد ، فالبيروقراطية تطارده حتى العالم الآخر

ويقدم في فيلمه « هيق الروح » نقدا لواقع بلاده بعد الاستقلال ، فالذين ناضلوا ضد الاستعمار تم التنكر لهم وأصبحوا متسولين ، فيما أصبح من كانوا يتعاونون مع المستعمر أغنياء يحظون بالمناصب الرفيعة بعد الاستقلال ، وينهض الفيلم على مغامرة بطله وسعيه لتصحيح هذا الواقع

الا ان نهايات أفلام سيل كلو متشابهة ومكرورة ، حيث يكتشف المشاهد في الأخير أن جميع الأحداث التي مرت عليه إنما جرت في الأحلام ، وأفلامه ناطقة باللغة الفرنسية في الغالب ، وهو يفسر ذلك بالقول أن الرقابة في المغرب تقبل النقد برحابة صدر اذا قدم بهذه اللغة ، ولاتقبله اذا قدم باللغة العربية أو بالدارجة المغربية

وعندما قرر مخرج مسرحي معروف هو الطيب الصديقي خوض المغامرة السينمائية،قدم فيلمه

[illegible] ١٩٤ [illegible] الذي [illegible] الآخر المعاصر مع واقع يستحيل فيها [illegible] الدار

فقد نسج أحد الأولياء الصالحين يجمع حوله من [illegible] من أتباع [illegible] وحده [illegible] الآخر فيذهب [illegible] حكمة [illegible] ولا طال [illegible] مع [illegible] عربة [illegible] ويكتشف [illegible] ذلك الولي الصالح [illegible] الضريح الذي يعرفه الجميع ، [illegible] لا يعني لأي ولي صالح أبدا . وأن بعض المنتفعين من الدور التي تقدم للضريح قد قاموا بخلق أسطورته منذ البداية

وهكذا ، وعبر رموز كهذه يرسم الصديقي صورة لواقع تتعايش فيه بشكل غريب الأساطير والخرافات والشعوذة مع التقدم والتقنية وانهيارات العصر . وقد أخذ الطيب الصديقي قصة فيلمه « الزفت » من مسرحية له سبق أن مثلت على الخشبة في المغرب عنوانها « سيدي ياسين في الطريق »

المرأة المغربية الحريم والضحية

كانت المرأة المغربية أحد محاور - أو المحور الأساسي - للعديد من الأفلام المغربية وهو ما يعكس الاهتمام الشديد للسينمائيين المغاربة بواقع المرأة في بلادهم الذي لم يتأثر بعمق بحدث حاسم في تاريخ المغرب هو الاستقلال

فقد تعاملت السينما المغربية مع امرأة لا تزال تعيش وتعاني من وطأة أفكار وتقاليد تعود لقرون ماضية بموازاة الانفتاح إلى أقصى حد على نمط وقيم الحياة الأوروبية من خلال النموذج الفرنسي . وتظهر هذه الازدواجية بالإضافة إلى سلسلة من العلاقات الاستغلالية في الأفلام المغربية باعتبارها السبب الرئيسي لصبغة البؤس والتشتت والضياع التي تطبع حياة المرأة المغربية . والخلاصة التي يقدمها المخرجون المغاربة بهذا الصدد هي أن سطح المجتمع المغربي [illegible] الذي يتحرر ويتغير [illegible] لكن عمقه وبنيته [illegible] نفسها [illegible] ولهذا لن يكون مستغربا أن [illegible] الأفلام المغربية [illegible] تعكس [illegible] ومصائر متشابهة

فيلم « عرس الدم - ١٩٧٧ » للمخرج سهيل بن بركة يقدم [illegible] الحريم كما تتجلى في منطقة جبلية بجنوب المغرب [illegible] المرأة هو [illegible] الإنجاب وخدمة [illegible] ولا تقدم [illegible] لأحاسيسها وعواطفها . [illegible] سهيل بن بركة فيلمه عن مسرحية الشاعر الإسباني لوركا التي تحمل الاسم نفسه . « عندما قرأت مسرحية لوركا عرس الدم شعرت أنها تروي جزءا من حياتنا ، ولكنها تجاوز السطحية التي غالبا ما تطبع معالجتنا للتراث الشعبي ، إلى مستوى مدهش من العمق »

يقول بن بركة « إن الطابع السوسيو - ديني لجنوب المغرب يشبه أندلس الثلاثينيات التي تحدث عنها لوركا في مسرحيته . والشخصيات هنا تخضع للتاريخ . ولا تصنعه »

ويروي فيلم « عرس الدم » قصة قبيلتين متصارعتين بسبب ثأر قديم بينهما . وعندما ترتبط شاب وشابة من القبيلتين بقصة حب ، لا يستطيعان الزواج بسبب العداء بين قبيلتيهما . ويختطف « عمروش » حبيبته ليلة زواجها من شخص آخر . وتبدأ مطاردة في الصحراء تنتهي بمقتله ومقتل عريس حبيبته برصاص بعضهما

ويتميز هذا الشريط ، كما هو شأن أفلام بن بركة الأخرى بحرفية سينمائية عالية ونجوم عالميين ، فقد مثلت فيه إيرين باباس ولوران ترزييف . ويكاد أن يكون سهيل بن بركة المخرج المحترف الوحيد في المغرب . فقد توفرت له في جميع أفلامه ميزانيات كافية جعلته قادرا على إظهار حرفيته دون صعوبات . وعلى تجاوز عقدة « الفيلم الواحد » التي يعاني منها المخرجون المغاربة الآخرون . فهو يقدم

[illegible] الف [illegible] ـ ١٩٧٢ » الذي [illegible] ظروف عيش [illegible] واحرج [illegible] لن تتبع [illegible] يقدم [illegible] عن رواية [illegible] للحانات [illegible] قصة تعرض [illegible] صحبة [illegible] في المغرب واستعمال وحيد

ويبدو من تركة انه خرج واقعي وتشغله قصة بلاعداد والاستغلال والاصطهاد في كل مكان

وفي فيلم « عرائس من قصب ١٩٨١ » للمخرج جيلالي فرحاتي فان « عائشة » بعد ان تحمل دون زواج ترفضها عائلتها وعائلة زوجها المتوفي ولاتجد امامها من وسيلة للعيش غير بيع جسدها

وفي فيلم « أميمة ـ ١٩٨٠ » للمخرج محمد التازي ، ترفض البطلة التي يحمل الفيلم اسمها التخلص من جنينها غير الشرعي ، واذا كانت عائشة في فيلم الجيلالي فرحاتي امرأة فقيرة وأمية ، تعمل خادمة في المنازل ، فان أميمة في فيلم محمد التازي طالبة جامعية . ولكن هذا لايحول بينها وبين رفض مجتمعها لها بسبب حملها بدون زواج

ولاتخرج أميمة من مأزقها والصراع الذي تعيشه بين الافكار المتعلقة بحرية المرأة التي تدرسها في الجامعة وبين أفكار وتقاليد مجتمعها الا بالصدفة عندما [illegible] في حادثة سير ، وتفقد جنينها ، ان السماء ، [illegible] الى المجتمع ، تعاقب المرأة التي لاتصون جسدها

[illegible] ١٩٨٢ قدم محمد التازي فيلما آخر هو [illegible] » الذي تدور أحداثه في الريف هذه المرة [illegible] قضية المرأة أيضا من خلال علاقات الانتاج [illegible] الريف المغربي ، وتتمحور موضوعاته [illegible] زواج المفروض على المرأة ، والتهميش الذي [illegible] على جميع المستويات

ويتطرق فيلم مومن السميحي « الشرقي او الصمت العنيف ـ ١٩٧٥ » وفي اطار تاريخي الى مسألة القمع الاجتماعي على المرأة

ويتحدث فيلم « اليوطية ـ ١٩٨٤ » للمخرج مصطفى الدرقاوي عن [illegible] « السعدية » وهي فتاة [illegible] تذهب لتخدمه في [illegible] عندما [illegible] وهناك خدعها صديق لها [illegible] ويقوم باستغلالها بالاتجار بجسدها ، ولكنه عندما [illegible] على يد فتاة اخرى من صحابه تجد السعدية نفسها وحيدة في المدينة الكبيرة التي لاترحم . وقد انقطعت كل طرق عودتها الى قريتها ، فتضطر الى احتراف البغاء

وفي فيلم « ابن السبيل ـ ١٩٨١ » لمحمد عبدالرحمن التازي ، يلتقي مجموعة من الشباب من سيارتهم في عرض الشارع بفتاة بعد ان اعتدوا عليها . ويعثر عليها « علي » بطل الفيلم وتصبح صديقته . ولكنه لايبقى معها بسبب تاريخها الذي يعرف على الأقل جزءا منه ويحاول بسبب مشاكل عديدة واجهها الهروب الى اسبانيا ولكنه يفشل في ذلك

ويعيد مصطفى الدرقاوي في فيلمه « أيام شهر زاد الجميلة ـ ١٩٨٢ » صياغة اسطورة شهر زاد في ألف ليلة وليلة ، فبطلة فيلمه اسمها « نعيمة » أما في الملهى الليلي الذي تعمل فيه كمطربة فاسمها هو شهرزاد ، وحياتها خارج عملها الليلي ـ الملىء بالأضواء والأغاني ـ في غاية البؤس والتعقيد ، فهي قد اضطرت للعمل كمطربة بعد ان اغتصبها مديرها في البنك الذي كانت تعمل فيه . ولها ابنة بدون زواج شرعي ، وكل ذلك اضافة الى عملها في الملهى يجعلها مرفوضة من عائلتها

ومن اللافت للانتباه بعد كل ما سبق ان الأفلام الروائية المغربية لم تقدم أي نموذج ايجابي للمرأة ، يعادل ولو تلميحا النموذج السلبي الدائم الحضور فيها □

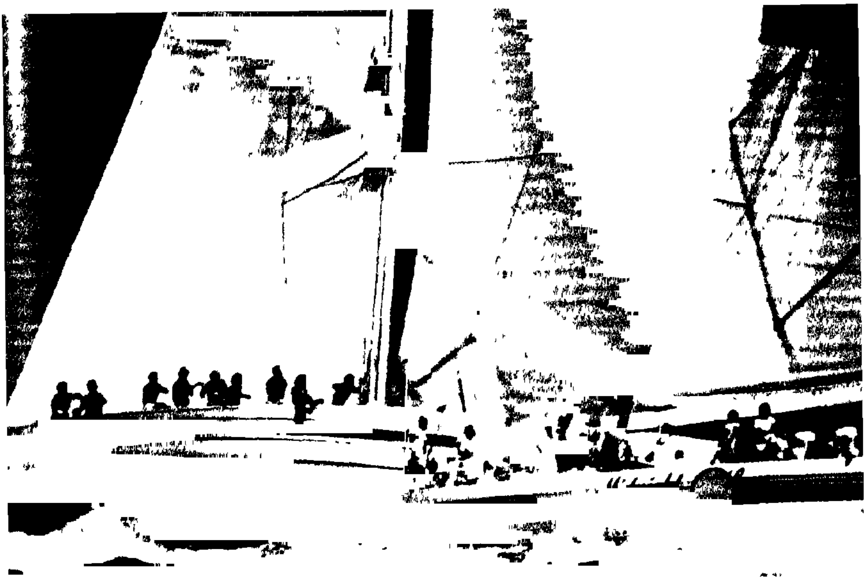

اليخوت الطويلة: الكلاسيكيات تحمّل وثبات.

قيادة يخت "مكسي" طويل حلم يراود جميع أصحاب اليخوت من الفئة الممتازة فمهمّة الربّان تتطلّب تسيير مناورات الملاحة بدقة لا تتعدّى قيد شعرة - وما ذلك بعمل سهل، فكل ما يتعلّق باليخت الطويل له شأن كبير.

وقيادة يخت طويل سرعته ٢٥ عقدة في الساعة لا تثير الإعجاب فحسب، بل إنها محفوفة بالمخاطر. فالحتوا وحدها تزن ٢٥٠ باوندا، والحمل الذي تتعرض له المعدات، كل بمفردها، إنما يبلغ حدًّا هائلاً، ولا غرابة، أن تنهار تحت تأثير الإجهاد فيتأذى بعض أفراد طاقم اليخت.

سرعة البديهة مقترنة مع روح العمل الجماعي أمران حيويان لقيادة هذه اليخوت العملاقة عند السباق.

ومهما كان لسباق الزوارق الطويلة من إعتبار، فإنه لا يفوق مكانة سباق اليخوت الطويلة "ايكايا" لبطولة العالم عندما بلغ أوجه في المرحلة الثانية وانتهى بجائزة كأس رولكس التي منحت في "بورتو سيرفو"، سردينيا.

تصميم كلاسيكي يعمل ضمن نطاق دقيق من القدرة والتحمّل. . وهي مميّزات يعطيها المشتركون في سباق اليخوت الطويلة حق قدرها، وكذلك صانعو ساعة كلاسيكية دقيقة رولكس من جنيف.

ROLEX

رولكس

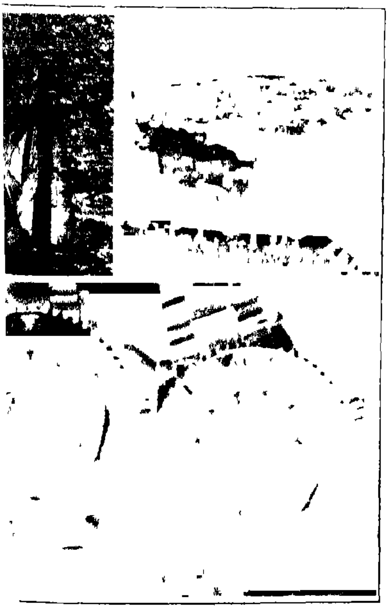

ساعة رولكس صبمارينر مكفولة ضد الماء حتى عمق ٠
الذهب عيار ١٨ قيراطًا، أو من الفولاذ والذهب

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

- طفلك والمولود الجديد

- المرأة ولعبة القوة

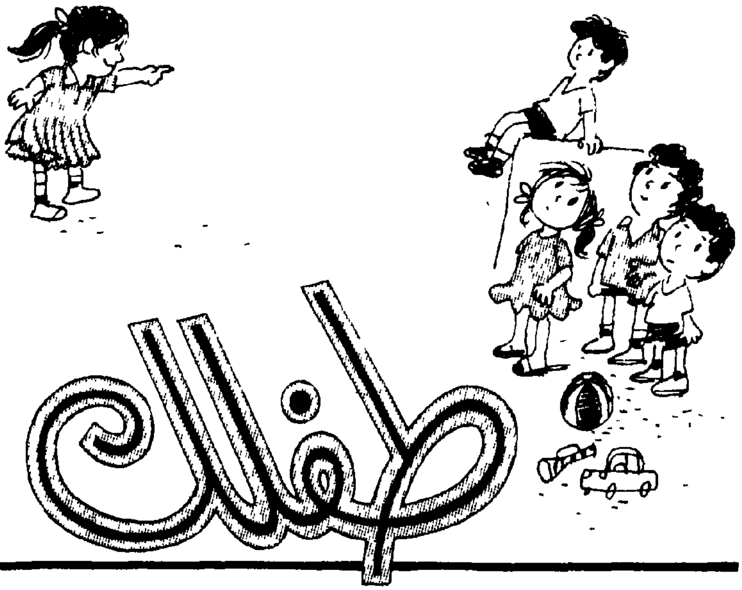

طفلك والمولود الجديد

إعداد ريم الكيلاني

قد يعتبر بعضنا أن الوحدة أمر مزعج ، لكنها تشكل متعة حقيقية في عالم الأطفال ، هذا العالم الذي يتعدى حبا وعطفا واهتماما ، ويرفض من يشاركه جزئية بسيطة منها . لكن ، ماذا يحدث حين تقع المشاركة فعلا ، ويحل على الأسرة طفل جديد ؟

تشعر الأم الحامل عادة بقلق لخوفها مما قد تحدثه الغيرة بطفلها الأكبر من جراء وجود طفل جديد في الأسرة ، فتراها دائما تتساءل عن كيفية إعداد الطفل الأول نفسيا لاستقبال الخصم الجديد

لا شك أن عمر الابن الأول له تأثير كبير في تقبل الوضع أو رفضه ، لكن ، نتوقع من هؤلاء الأطفال نوعا من التفهم أو التقبل لانضمام فرد جديد للأسرة . ونشعر بضرورة التحدث إليهم في هذا الموضوع ، تمهيدا لتهيئتهم للتغير الذي سيحدث البيت ، وغالبا ما نجدهم مضطربين عاطف قلقين ، خاصة حين يصبح الوضع حقيقة ملمو أمام أحدهم

وإذا كنت تحرصين على نفسية ابنك فعليك تقع مسئولية إعداده إعدادا مسبقا ، ليكون على علم بكل ما سيجري حوله من أحداث ، من شأنها أن تغير في كثير من عادات الأسرة ، كأن تدخل والدته المستشفى فيضطر إلى اللجوء لأحد أقاربه أو جيرانه للعناية به ، وهو وضع جديد لم يعتد عليه الطفل مسبقا

زيارة للمستشفى

قد يعبر الطفل عن رغبته في زيارة أمه في المستشفى ، وهذا حق لا نستطيع أن نهضمه إياه ، لكن هذه الزيارة ستكون مهمة جدا ، فعليها سيبني الطفل كثيرا من الأفكار ، لذلك يتوجب على الأم والأب أن يكونا مستعدين تماما لهذه الزيارة ، متجنبين للمخاطرة غير الضرورية التي قد ينتج عنها شعور بالغيرة

ويتحتم هنا على الأب أن يكون أكثر حرصا من الأم ، فيقوم أولا باطلاع الهيئة التمريضية في المستشفى على أهمية هذه الزيارة وخصوصيتها ، وذلك للقيام بالاستعدادات اللازمة لها ، كأن يكون المولود الجديد نائما في سريره الخاص ، غير ملتصق بأمه ، أو نائم بين ذراعيها ، لأن الحرص على خلو يدي الأم من أي شيء أمر ضروري ، إذ يجب أن يكون مستعدة للاستقبال الكبير ، لتحتضن طفلها ، تقبله ، وتمطره بعبارات الحب والشوق ، ولا داعي لاستعجال في هذه اللحظات الحميمة ، لتقديم طفل الجديد ، فهناك متسع من الوقت ليتعرف كل ما بالآخر والأمر الآخر الأكثر أهمية هو مراعاة عدم إطالة النظر إلى سرير الطفل الجديد ، لأن ساس الطفل بتكرار نظر الأم إليه يؤدي إلى رة ، وعلى الأم أن تتحين الفرص لتقديم الطفل الجديد إلى أخيه ، وإلا فإن شعورا بالغيرة سوف يبدأ في الظهور لا محالة

كثير من الاهتمام والحنان

في هذه اللحظات الحرجة التي سوف يلتصق فيها الطفل بسريرك عليك أن تبدي اهتماما حقيقيا به ، وتنصتي لحديثه ، ولكل ما يرويه لك من أخبار مثيرة وحيلة حدثت أثناء غيابك عنه ، دعيه يشعر أنك تهتمين بكلامه ومغامراته ، وتستمعين له بإمعان

فبعد أن يفرغ من سرد حديثه سيشعر أنه أكثر اطمئنانا ، وعند ذلك يمكنك أن تقدمي إليه أخاه الجديد أو أخته الجديدة ، مع مراعاة ضرورة تبادل الهدايا بين الأخوة ، لما في ذلك من تأثير على نفسية الابن الأكبر ، لأن إحساس الابن الأكبر بأنه يتلقى هدية من الضيف الجديد سيخلق شعورا من الود والألفة بينهما ، وإن كان هذا شعورا قصير المدى ، لكن يجب أن لا يغيب عن ذهنك أن الطفل في هذه المرحلة لا يحتاج لهدية قيمة أو لعبة يحبها ، إن ما يحتاجه حتما هو تأكيدك المستمر على حبك له

في حالة ملاحظة الأم لطفلها الأكبر على أنه طبيعي ، لا تبدو عليه علامات ضيق أو إحباط ، فليس هناك داع للقلق ، لأن اللقاء سيكون بين ابنك الأكبر ووليدك تجربة مثيرة ممتعة ، كما لا يهم ما سوف يقوله أو يفعله في اللقاء الأول ، بل إن ما يهم فعلا هو كيفية تلاؤمهما ، وتكيفهما بعد ذلك

مع الضيف الجديد

على الرغم من السعادة والحفاوة التي قد يبديها طفلك في بادىء الأمر تجاه أخيه الجديد أو أخته الجديدة ، فإن هذا لا ينفي ضرورة تأكيدك المستمر على حبك له ، فهو قد لا يظهر غيرته بشكل واضح

في الكلام أو في السلوك ، لكنه سيبدو قلقا فيما يخص علاقته بك

هنا يتوجب على كل أم تحرص على نفسية ابنها أن تجعله يبوح لها بكل مشاعره تجاه الطفل الجديد ، فلا تتضايق أو تتذمر إذا أبدى طفلها غيرة ، أو أظهر مشاعر عدم رضى ، فإنه الوقت المناسب لمساعدته على فهم الوضع الجديد ، وإحاطته علما بأن أمه ستكون أكثر انشغالا من قبل ، فعليها تقع أعباء ومسئوليات أكبر تجاه طفلين ومنزل ، وإن محاولة إقناعه بأنه اليوم قد أصبح كبيرا ، وعليه أن يلهو وحده دون الالتصاق بأمه طول الوقت سوف يكون مجديا

قد يجد الطفل صعوبة في التصرف أو التعامل بشكل طبيعي في الأسبوعين الأوليين ، أو الثلاثة أسابيع الأولى ، ولا بد له أن يتصرف بالفطرة ، وأن يظهر بعض علامات الضيق والتذمر المعتدل غير الحاد التي يعبر بها عن رفضه للمولود الجديد ، وقد يبدو الأمر أكثر صعوبة خاصة إذا كان الطفل دون الثانية من العمر

قد يصل الأمر إلى درجة الحسد ، فقد يحسد الابن الأكبر المولود الجديد على الامتيازات الكثيرة التي يحصل عليها ، كالتغذي من ثدي أمه ، وقد يطلب منها أن يشاركها حمله أثناء إرضاعها له ، بل إن بعضهم يصر أن يأخذ غذاءه من ثدي أمه ، تماما كأخيه الأصغر ، ولن يكون من المجدي حينها أن ترفض ، اسمحي له ببضع دقائق ، فهي مرحلة عابرة سرعان ما تنتهي

عادات جديدة :

قد تلاحظ الأم تغيرا في كثير من عادات ابنها ، تكون الغيرة غير الظاهرة سببا رئيسيا فيها ، فكثير من الأطفال يبدءون بالقلق في نومهم ، وقد يرفضون النوم مبكرا ، أو يستيقظون عدة مرات أثناء الليل خاصة إذا كان العمر يزيد على سنتين ، ويشارك أحدهم المولود الجديد حجرته ، فتراه يسير على نهج أخيه في الاستيقاظ أثناء الليل ، محاولة منه للفت الانتباه ، أو لكي يحظى بجزء من اهتمام أمه الممنوح لأخيه الصغير ، وسيكون من الأفضل توفير بعض من وقتك تقضيه مع الابن الأكبر ، خاصة في أوقات النوم ، وإذا كان الطفلان يشتركان في غرفة واحدة فيجب أن تراعي إخراج المولود الجديد من الغرفة في الأوقات المخصصة للرضاعة ، ليتسنى لأخيه نوما هادئا

وقد يرفض بعض الأبناء تناول الطعام ، وقد يصبح مزعجا أو مشاغبا أثناء جلوسه إلى مائدة الطعام ، بل قد يصل الأمر ببعضهم إلى رفض الأطعمة التي اعتاد عليها من قبل ، ويبدأ في هذه المرحلة كثير من حالات التبول اللاإرادي ، ويفقد خلالها الطفل قدرته في السيطرة على المثانة ، فإذا كان الطفل كبيرا ، إلى درجة تشعرين بها أن الوضع أصبح محتملا ، وتأكدي أنها مرحلة مصاحبة لوجود طفل جديد ، وهي فعلا حالة لا إرادية ، ستزول مع زيادة الاهتمام به

وقد يبالغ بعض الأطفال في غيرتهم فيزداد إلحاحهم غير المباشر على الوالدين لزيادة الاهتمام بهم عن طريق اختلاق آلام وأوجاع وهمية أو تصنعها مما قد يضطرك للجلوس بجانبه ، وتقديم المساعدة الممكنة له

على أية حال مهما كان حجم المشكلة فالأمر طبيعي تماما ، لا تدعي فكرة وجود طفل جديد تسبـ

عليك ، فتحملي هذا القادم مسئولية حدوث تغيرات وتقلبات في نفسية الطفل الأكبر ، فكل تصرف جديد قد يطرأ على سلوك ابنك ليس بالضرورة أن تكون الغيرة سببا فيه ، فهو قد يرفض الطعام تعبيرا عن عدم رغبته في الذهاب إلى المدرسة ، وقد يتبول لا إراديا كطلب غير مباشر للخروج في نزهة أثناء إجازة نهاية الأسبوع

المساعدة البناءة

إن تفاعلك كأم مع الوضع الجديد له أكبر الأثر في زيادة تقارب الأخوين من بعضهما بعضاً ، ويمكنك إبراز هذا التفاعل الايجابي بأكثر من شكل ، كأن تخلقي شعورا في نفس ابنك الأكبر بأنه أصبح كبيرا وواعيا ، فيبدأ في الاستقلال بمتطلباته شيئا فشيئا عن رضى وقناعة ، فيذهب إلى دورة المياه دون مساعدة أحد ، ويتناول طعامه بيده دون الاعتماد عليك ، وثقي أنه سيكون سعيدا بهذه الاستقلالية ، طالما أنك تشعرينه بأنه قادر على الاعتماد على نفسه

يحاول معظم الأطفال إظهار تصرفات وسلوكيات جديدة تجاه الأخ الجديد أو الأخت الجديدة ، فبعضهم قد يبدي سعادة فائقة في الأيام الأولى للطفل في البيت ، خاصة إذا حظي بزيارة له في المستشفى ، حيث يكون قد نقل ما حدث حرفيا لأصدقائه وجيرانه ، ليعبر عن سعادته ، أو ربما رضاه بهذه التجربة الجديدة

وقد تراه يظهر نوعا من الحب المادي تجاه الطفل الجديد ، فيحضر له كثيراً من الهدايا واللعب التي قد شعر أنها مجدية ، خاصة أثناء البكاء ، وهذا النوع س الحب الانفعالي الذي يظهر فجأة ، ويقل تدريجيا عد أسابيع قليلة ، وبمجرد الاعتياد على الوضع جديد ، وبخفة حدة هذا النوع من الحب تبدأ مشاعر العدوان في الظهور والنمو تجاه هذا القادم الجديد ، لكن نعود لنؤكد أن ذلك كله ليس قاعدة ثابتة ، خاصة في المرحلة الأولى لهذه العلاقة ، إنما هي تعتمد فعلا على عمر الابن الأكبر ودرجة حساسيته

للأب دور

إن هذا هو الوقت المناسب لتنمية علاقة الأب بابنه وتعزيزها ، حيث تتجه هذه العلاقة لتأخذ بعداً جديداً ، خاصة حين يشعر الأب عما كان يعانيه ابنه من وحدة ، وإن شعور الأب بحاجة ابنه الفعلية له ، فإنه لا شك سيكون سعيدا أكثر بقضاء معظم الوقت معه ، سواء باللعب داخل المنزل ، أو الخروج معا في نزهة ، وذلك على خلاف ما كان يراه أفضل من قبل ، كالقيام بزيارة لأحد الأصدقاء ، أو التجول في الأسواق

وقد تشعر الأم بعد فترة من الولادة بحاجتها إلى المشي أو التنزه ، وقد تجد صعوبة في اصطحاب طفلين معها ، خاصة في حالات عدم مرافقة الزوج لها ، لكن تلك ليست بمشكلة إذا تمكنت من خلق شعور لدى ابنك الأول بأن هذه النزهة له ، وأنك توقفت عن المشي فترة ما بسبب الظروف الطارئة ، لكن نزهة اليوم ما هي إلا عملية استعادة لعادات المشي والتنزه

تذكري عزيزتي الأم أن الطفل بحاجة في كل لحظة لمزيد من الحب والتشجيع ، وإلى مزيد من تعزيز ثقته بنفسه ، فإذا استطعت أن تحافظي على هدوء أعصابك ، وتحتفظي بقدر من الصبر ، وكنت مقدرة لكل ما قد يحدث من تغيرات في نفسية ابنك وسلوكه فإنك سوف تجتازين هذه المرحلة الحرجة بهدوء ، بدون أي آثار سلبية في نفسية طفلك □

المرأة والقوة !

بقلم : الدكتورة علياء شكري

« منذ بدء الخليقة والجدال قائم بين الرجل والمرأة ، عنصري الوجود والحياة ، من منهما الأقوى ؟ ومن منهما يتفوق على الآخر ؟ ورغم أن المجتمعات في سيرها وتطورها كرست بعض الأوضاع ، إلا أن الجدل لم ينته وهذه رؤية علمية هادئة للقوة ومؤشراتها »

المرأة مخلوق ضعيف ، محدود الإمكانيات الجسمية والنفسية (وبعضهم يضيف والعقلية) ، ولذلك تحتل مكانة أدنى من الرجل ، ليس لأن الرجل يتعمد الحط من شأنها ، أو يضطهدها ، لكنه قد وضعها حيث انتهت بها إمكانياتها ، وقدراتها

وترد بعض النساء بأن المرأة ليست مخلوقا ضعيفا ، بل العكس ، إنها أقوى احتمالا ، وأصلب عودا ، على المستويات الجسمية والنفسية ، وأطول بالا ، وأوسع صدرا ، وأكثر عملا من الرجل (إذا حسبنا ساعات العمل داخل المنزل وخارجه وليس خارج المنزل فقط) ، ورغم كل تلك

المميزات الواضحة ، والإمكانيات الهائلة ، فهي في مرتبة أدنى ، ووضع ضعيف ، لأن الرجل يقهرها ، ويسلبها حقوقها ، ويأخذ عرقها ، وفي النهاية ينسب الأولاد إليه ، رغم كل ما بذلته من جهد وعرق في إنجابهم ، وتنشئتهم ، ورعايتهم

وتسمع أصوات من صفوف الرجال تقول إن ادعاء المرأة الضعف ، والدونية ، والحديث عن قهر الرجل ليست سوى أكاذيب نسائية ، فالمرأة كائن شديد الذكاء ، (إن لم يقولوا شديد الخبث) ، وهي تتظاهر بالضعف ، لتغلب الرجل ، وتدعي العجز ، لتقوى عليه ، وتنسب الى نفسها الخضوع ، لتحكم سيطرتها ، فالمرأة كانت سيدة البيت ومازالت ، وشريكة الرجل ، وأم الأولاد

ويحتدم الجدل ، سواء عندنا ، أو عند من سبقنا الأمم في التقدم الحضاري ، وكل طرف يبرهن سداد رأيه ، ويتبارى الخطباء والكتاب والساسة أصحاب الرأي ، لكن أين الحقيقة من كل هذا ؟ وأين الوهم ؟ وأين اليقين ؟

رؤية هادئة

لن يدلنا على ذلك سوى أن نلوذ بالعلم الاجتماعي ، حيث يستطيع علماء الاجتماع أن يكشفوا لنا النقاب عن حقيقة وضع المرأة في المجتمع ، وفي الأسرة ، أي أن يكشفوا النقاب عن قوتها الحقيقية

ما هو المقصود بالقوة ؟ وما هو المقصود بالمكانة التي تحققها تلك القوة ؟ وما هي المؤشرات الواقعية الملموسة التي تدل على تلك القوة ، وعلى حدودها ، وأبعادها ، وذلك على مستوى المجتمع الكبير ، وعلى مستوى الأسرة ؟

القوة في تعريفها البسيط هي القدرة على التأثير ، والسيطرة على الآخرين ، من خلال عمليات التفاعل الاجتماعي ، وهي نوع من القدرة على التحكم في سلوك الغير ، وتغييره ، وتوجيهه وجهة معينة

ويمكن كذلك تعريفها بأنها القدرة على فرض إرادة حائز القوة ، حتى برغم معارضة الآخرين لها ، أو في وجود معارضة الآخرين لها

وهكذا يمكن تعريف قوة المرأة بأنها قدرتها على السيطرة ، أو على تغيير سلوك غيرها من النساء والرجال ، والقدرة على توجيه أحداث هامة في حياتهم ، حتى ولو كان هؤلاء وهؤلاء من النساء والرجال ضد هذا التصميم

لكن التصور الشائع الآن أن حظ المرأة من القوة - حسب هذا التعريف - حظ ضئيل ، وأن الرجل أوفر منها حظا لذلك ربما يرى بعضهم طالما أن الأمر بهذا الوضوح عدم جدوى البحث في مؤشرات القوة ، وحدودها

لكنهم نسوا أن الموقف يتطلب منا الوقوف بشكل دقيق ، أي كمي إن أمكن ، على حدود هذه القوة ، ثم إن تحديدها في ظرف زمني معين يعني إمكانية قياسها بعد حين ، لمعرفة اتجاهها الى الزيادة والنمو ، أو الى النقصان والأفول . فنحن هنا - وفي كل موقف علمي - نحاول أن نعرف لنفهم الواقع القائم ، ولنتمكن من التنبؤ بما سيكون من أمر حياتنا

مؤشرات القوة :

يجب أن نعترف أن المؤشرات التي سأتحدث عنها لابد أن تجيء عامة ومحملة بالضرورة ، ذلك أن محاولة التعميم على ظروف اجتماعية وتاريخية كثيرة في الوقت نفسه هي التي تؤدي الى هذا الإجمال ، وتلك العمومية ، والسبيل الى صياغتها بصورة أكثر تفصيلا ، وأشد تدقيقا - وبالتالي أكثر كمية - مرهون بإجراء مزيد من الدراسات عن أوضاع المرأة ، في أقطار وطننا العربي الكبير ، لتأتي تلك المؤشرات منبثقة عن معطيات البناء الاجتماعي القائم ، ودالة عليه ، ومتناسقة معه

وقد أشارت « كوستانتينا سافيليوس روتشيلد » الى بعض الأسس العامة التي يرتكز عليها اختيار هذه المؤشرات ، وأهمها الآتي

- كلما زادت قدرة المرأة على التحكم في الأحداث الهامة في حياتها (مثل سن الزواج ، والزواج للمرة الثانية) ، دل ذلك على ارتفاع مكانتها

- ترتفع مكانة المرأة كلما زاد عدد النساء اللاتي يتساوين مع الرجال في أمور الحياة ، وقراراتها ، من نفس السن والطبقة الاجتماعية ، وذلك من حيث الطعام ، والتعليم ، والتدريب ، والوظائف ، والمرتبات ، والترقي الوظيفي ، والهجرة ، واستخدام الوقت ، والتصرف في وقت الفراغ ، وملكية الأراضي ، وغيرها من الممتلكات ، وأمد الحياة المتوقع

وقد بنيت على هذين الأساسين بعض المؤشرات الدالة على قوة المرأة ، وعلى المكانة التي تحظى بها نتيجة لهذه القوة ، وهذه المؤشرات هي -

١ - النسبة المئوية للنساء اللاتي لم يتزوجن في الفئة العمرية (١٥ - ١٩ سنة) ، وفي الفئة العمرية (٢٠ الى ٢٤ سنة)

وأهمية هذا المؤشر أن زواج كثير من الفتيات في هاتين الفئتين العمريتين - وبخاصة الفئة الأولى - يدل على تدني مكانة المرأة ، وعلى ضعف ما تتمتع به من قوة ، فهي في مثل هذه السن تتزوج عادة من يكبرها سنا ، وقبل أن تستكمل عدتها من التعليم والتدريب ، مما سيؤثر بدوره فيما بعد على تدني وضعها الوظيفي ، وهبوط مكانتها الاقتصادية الخ

٢ ـ النسبة المئوية للنساء اللاتي يتزوجن رجالا
صغر منهن سنا

وجهة النظر هنا بأن الزواج من قرين أصغر سنا
كان دائما من حق الرجل وحده ، وهو الذي قد
رضاه أو لا يرضاه ، وزواج كهذا يعد ـ ولكن ليس
الضرورة ـ سبيلا لسيطرة الرجل وإخضاع المرأة ،
ما يعنيه التفوق في السن ، من تفوق في الخبرة ، وفي
لمقدرة الاقتصادية ، والأهلية الاجتماعية الخ

وقد توصلت الدراسات الثقافية المقارنة الى أنه
كلما زاد تحرر المرأة الاقتصادي في مجتمع ما زادت
حريتها في اختيار الزواج من زوج أصغر منها سنا ،
(وقد تأيد هذا الحكم العام من خلال اتجاهات حديثة
في بعض المجتمعات المتقدمة كالولايات المتحدة)

٣ ـ معدلات الزواج مرة أخرى بين الأرامل
والمطلقات ، حسب الفئات العمرية ، ومكان
الإقامة (في الريف أو في الحضر) ، ذلك لأن من
المعروف أن الرجال الأرامل والمطلقين أيسر في
الزواج مرة أخرى من النساء الأرامل والمطلقات ،
وتعبر هذه المعدلات وزيادتها مؤشر على قوة المرأة
ومكانتها ، خاصة في الفئات العمرية (٣٠ سنة فما
فوق) ، وفي المناطق الريفية

٤ ـ نسبة الرجال الى النساء في الفئة العمرية (٣٠
لى ٣٩ سنة) ، والفئة (٤٠ الى ٤٩ سنة) ،
والسبب في ذلك أن المجتمعات التي يسيطر عليها
رجال سيطرة واضحة ، والتي يسيطر فيها نظام
رج هرمي على أساس النوع تكون نسبة الرجال
النساء عالية فيه ، وهي في الهند ٩٣٠ امرأة لكل
١٠ رجل ، وفي باكستان ٩٠٠ امرأة لكل ١٠٠٠
ن ، وذلك لأن متوسط أمد الحياة المتوقع للمرأة
نقص ، بسبب قلة ما تحصل عليه في طفولتها من رعاية صحية وغيرها ، الأمر الذي يؤدي الى ارتفاع نسبة الوفيات بين الأطفال من الإناث ، كما أن ارتفاع معدلات الإنجاب ، والزواج المبكر ، وتوزع نشاط المرأة بين العمل داخل البيت وخارجه يؤدي أيضا الى ارتفاع نسبة الوفيات بين الإناث في هاتين الفئتين العمريتين بصفة عامة

أشكال للقوة

وتنتقل المؤشرات بعد ذلك من الجانب المعنوي والاجتماعي الى الجانب المادي ، فيتحكم فيها

١ ـ نسبة النساء اللاتي يمتلكن أرضا ، أو اللاتي لهن أعمال تجارية خاصة بهن ، ودلالة ذلك المؤشر واضحة لا تحتاج الى تعليق

٢ ـ مدى التفرقة في الوظائف ، أو درجة تركز المرأة في بعض المهن فكثير من المجتمعات تقيم بصفة عامة عديدا من الحواجز في وجه عمل المرأة ، وبعضها يبيح ذلك العمل أو يشجعه ، لكنه يفرق في الوظائف بين الرجل والمرأة ، سواء بحجب المرأة عن تولي بعض الوظائف ، وقصرها على الرجال ، أو بحجب المرأة عن تولي الوظائف القيادية ، والعليا في الكوادر المهنية المختلفة ، وهذا التمييز قائم في أغلب مجتمعات العالم ، حتى في بعض البلاد التي نقول عنها بأنها بلاد متقدمة

٣ ـ النسبة المئوية للنساء اللائي يشغلن المستويات العالية في المهن المختلفة وقد أشرت الى دلالة هذا المؤشر في البند السابق

٤ ـ نسبة الرجال للنساء في القطاع الاقتصادي غير الرسمي مقابل نسبتهم في القطاع الرسمي حيث ان ارتفاع نسبة الإناث في القطاع الاقتصادي غير الرسمي هو دليل على استئثار الرجل بفرص

العمل في القطاع الرسمي الأكثر تميزا ، ومن ثم فهو مؤشر على تدني مكانتها

٥ ـ درجة التفاوت بين أجور الرجال والنساء عن نفس نوع العمل وهذه نقطة لا تحتاج الى تعليق

٦ ـ الفروق بين الذكور والإناث في معدلات سوء التغذية بين الأطفال ، والمراهقين تحت سن (١٥) عاما فقد أثبتت أحدث الدراسات التي أجريت على هذا الموضوع ـ بشكل مستقل أو ضمن دراسات التنشئة الاجتماعية ـ في بلاد العالم الثالث أن الأسرة (وبخاصة الأكثر فقرا بطبيعة الحال) تميز بين الذكور والإناث الصغار تمييزا واضحا في كمية الأكل وفي نوعياته ، فتؤثر الطفل الذكر بكمية أكبر ، ونوعية أفضل ، بالقياس الى أخته أو أخواته ، وقد درسنا هذا الأمر باستفاضة في بحث لنا عن المرأة والمشكلات الديموجرافية ، وذلك له حديث آخر

٧ ـ تقسيم العمل حسب النوع (ذكور/ إناث) بين الأطفال من سن خمس سنوات حتى سن ١٢ سنة حيث نجد الأطفال الإناث في تلك الفئة العمرية يكلفن عادة بالعمل المنزلي ، ورعاية أخواتهن الأصغر منهن ، في حين تتاح للأطفال الذكور في نفس السن فرص المواظبة على حضور المدرسة ، وأداء الواجبات المدرسية ، أو أداء النشاط الذي يحقق دخلا ، إذا لم يكن هؤلاء الذكور يترددون على المدرسة

العلم قوة .

ولا تقتصر المؤشرات العديدة التي يلجأ اليها رجال الاجتماع على الجوانب السابقة فقط بل تمتد الى نواحي المعرفة والعلم والتدريب والمشاركة في الانتاج مثل -

١ ـ نسبة الرجال ـ الى النساء ـ الذين يتمون المدرسة الابتدائية ، فالتعليم أهم مؤشر من مؤشرات المكانة ، وبالتالي القوة ، لأنه يعد سلاحا فعالا في تحقيق مكانة اقتصادية ، ومن ثم وضعا متكافئا ، هذا بالطبع فضلا عن وظيفته كأداة تنوير وتحديث بصفة عامة

٢ ـ نسبة الريفيين ـ للريفيات ـ الذين يتلقون تدريبا زراعيا ، ويحصلون على مؤهلات ، كما يشتركون في مشروعات وبرامج تحسين الانتاج

٣ ـ درجة التفرقة بين الرجل والمرأة في نسبة الوقت الذي ينفقونه في الأنشطة الانتاجية ، مقابل الوقت الذي ينفقونه في الترفيه وقد دلت نتائج البحث الذي أجريناه عن المرأة والسلوك الديموجرافي أن الوقت الذي تنفقه المرأة في العمل يفوق كثيرا الوقت المخصص للترفيه أو العناية بالنفس ، ولاحظنا أن المرأة في الطبقات العاملة الأدنى تكاد لا تجد وقتا تنفقه في الترفيه أو العناية الشخصية ، فلا يوجد في بنود استخدام الوقت عندها ثمة وقت للاستحمام ، أو تصفيف الشعر ، أو سماع المذياع أو مشاهدة التلفاز ، أو زيارة الأقارب والصديقات ، واللافت للنظر أن الرجل في نفس هذه الطبقات أو المستويات الاجتماعية يجد متسعا من الوقت ، يخصصه لأغراض الترفيه ، والمتع الخاصة ، وتؤكد الملاحظات ذلك في القرية وفي المدينة على السواء ، عندنا وعند غيرنا من المجتمعات التي تقاربنا في مستوى النمو الاقتصادي الاجتماعي

٤ ـ نسبة هجرة الرجال والنساء من الريف الى الحضر ، وكذلك نسبة كل نوع في الهجرة الدولية ، فقرار الهجرة في ذاته مؤشر على القدرة على بلورة

موقف ، واتحاد مبادأة ، وممارسة سلوك ايجابي ، من أجل تغيير الواقع الاقتصادي والاجتماعي للفرد المهاجر . هذا فضلا عن أن الهجرة من الريف الى الحضر ، والهجرة الدولية إنما تكون هجرة انتقائية في الغالب . فالعناصر الأفضل هي الأميل للهجرة ، ولذلك لن نعدم الشواهد والبراهين الاحصائية من سجلات الهجرة في بلاد العالم الثالث التي تؤكد لنا ارتفاع نسبة الرجال المهاجرين بالقياس الى النساء ، سواء كانت الهجرة من الريف الى الحضر ، أو كانت هجرة دولية

٥ ـ وجود مؤسسات اقتصادية خاصة بالمرأة (كالتعاونيات وشركات الاقراض وغيرها من المؤسسات التي تدعم وجود المرأة على نحو معين) قد يبرز في بعض جوانبه تحيزا ضدها

تلك في رأيي أهم المؤشرات الدالة على حيازة المرأة للقوة في المجتمع المعاصر ، وكثير منها يمكن الحصول على بيانات كمية (دقيقة الى حد ما) عنها بالنسبة لمعظم الدول النامية ، إما عن طريق التعداد العام ، أو عن طريق معالجات خاصة لبعض بيانات التعداد ، كذلك يمكن الحصول على بيانات عن كثير من هذه المؤشرات عن طريق مشروعات بحثية ، ودراسات خاصة ، كالدراسة التي أشرت اليها عن المرأة والسلوك الديموجرافي التي أجريت في وقت واحد في عدد من الدول ، وهي مصر ، والأردن ، والهند ، وباكستان ، والاتحاد السوفيتي ، ضمن اطار مشروع واحد ، قام بالاشراف عليه ، والتنسيق بين عملياته ، منظمة العمل الدولية في جنيف ، وقد اضطلعت بالاشراف على مشروع البحث في مصر في الفترة من (١٩٨٢ ـ ١٩٨٦)

ولكن هذه المؤشرات ليست كل الحكاية ، وليست نهاية المطاف في موضوع قياس المرأة ، والتعرف على مكانتها في مجتمعنا المعاصر ، ذلك أن المؤشرات السابقة تعطي صورة احصائية عامة ، مستمدة من مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية المختلفة . لكن هناك مؤشرات دالة على القوة التي تتمتع بها المرأة ، سواء تلك المستمدة من الرجل ، أو القوة المترتبة عن ممارستها نشاطا يدر دخلا والآن عزيزتي المرأة انظري الى وضعك ، والى المجتمع الذي تعيشين فيه ، واقرئي الموضوع مرة ثانية ، لتعرفي موقعك في لعبة القوة □

* بعد والدتي . . فقدت يدا حانية كنت أجفف بها عرق المسير
(جبران خليل جبران)

* عجبت لمن يغسل وجهه مرات في النهار ، ولا يغسل قلبه ولو مرة واحدة في السنة .

(ميخائيل نعيمة)

* ازرع كل يوم . . تأكل كل يوم

(مثل شعبي)

العربي ـ العدد ٣٤٤ ـ يوليو ١٩٨٧ م

هو..

لو كنا معاً

يتصور رفضي لفكرته أنه مجرد رغبة في التملك ، وأنها أنانية مفرطة ، ومصادرة لحريته ، وغيرة عليه ، ولا يدور بذهنه أبدا أفكار وتفسيرات أجمل وأرق وأنبل

تزوجنا بعد قصة حب رقيقة ناعمة ، قائمة على اتفاق عقل ، ودفء مشاعر ، وغرقنا في زحام الحياة ومشكلاتها منذ اليوم الأول للزواج ، ولأننا لم نكن نملك إلا إرادتنا واصرارنا على النجاح فقد انصرفنا بكامل طاقتنا الى بناء حياتنا ، مسكن ، وأثاث ، وعاما إثر عام ، بدأت المطالب تخف ، وأصبح في مقدورنا أن نستريح دون أن نلهث ، وفوجئت به يقول لي انه سيأخذ إجازة ، ويسافر بعيدا ، ليقضيها وحده ، وأعترف أن الدهشة قد أصابتني ، تساءلت لماذا ؟ وكيف ؟ . و . و . . ، ولم يقدم تفسيرا مقنعا ، أو سببا وجيها ، فكل ما قاله هو أنه يشعر أن عبء الأعوام الماضية ، ورتابتها ، قد أصاباه بالاختناق ، وأنه يريد أن يستريح قليلا ، ولتكن هذه فرصة للراحة ، وإجازة روحية ، يعود بعدها متجدد النشاط والمشاعر

ولم أوافق ، وبدأ التوتر يصادقنا ، وكذلك الخصام والاكتئاب ، وقلت له إن ما يقوله لا يقبله عقل ولا منطق ، فعبء الحياة لم يكن على كتفيه وأعصابه وحده ، بل لقد شاركته فيه إحساسا ومسئولية ، وليس مهما أنه وعدني أن أسافر معه مرة أخرى بعد عودته هذه ، وشرحت له بأن رصيد حياتنا الذي يبقى معا على مدى العمر ليس هو تفاصيل الحياة اليومية بكل أعبائها ، ولكن الرصيد الذي يبقى هو أحلامنا الصغيرة التي حققناها ، ونجاحنا في التوصل الى أهداف خططنا لها ، وأن الذكريات لكي تكون مشتركة ينبغي أن نعيشها معا ، وقلت له إن الوقت قد حان لكي يكون لنا متع صغيرة مشتركة ، وأنه ليس صحيحا أن كل طرف قادر على الاستمتاع بالحياة وحده ، وأن المتعة تصبح أروع وأجمل عندما يكتشفها اثنان ، و (المونولوج) رائع لكنه مبتور ، أما (الديالوج) فهو أكثر روعة وخصوبة وثراء ، وهكذا هي الحياة ، ليست ترديداً ذاتياً ، ورؤية ذاتية ، لكنها رؤية اثنين ، وحوار اثنين

وقلت له ليس صحيحا على الإطلاق أني رافضة بسبب رغبتي في تقييد حريتك ، ولا غيرة مني عليك ، فما ستفعله وأنت مسافر تستطيع أن تفعله وأنت معي هنا ، لكنني رافضة لأني أدافع عن حقنا المشترك في الحلم ، والراحة ، كما دافعت عن حقنا في تحمل المسؤولية ، والعبء وأنا على يقين أكيد أن كل هذه الأحلام الصغيرة ستصبح أجمل ، وأرق ، فقط لو كنا معا

هي

● لسب العري

هي..

كي لا يقتلنا الاعتياد

أكثر الأفكار « دكتاتورية » في العالم يمكن تغليفها بعبارات رقيقة ناعمة ، عن الحرية لشاركة والمصير الواحد ، ويبدو لي ـ أحيانا ـ أن رواج كلعبة السياسة ، بها معا قدر من الذكاء ، المناورة ، والمراوغة ، والضرب تحت الحزام

تحولت الأمور عندها الى قضية مصير ، وحيانة والقضية أكثر بساطة ، وأقل تعقيدا مما حاولت ي أن توحي به ، فنحن ذوو رغبات مختلفة متباية ، وأذواقنا وثقافتنا ليست متطابقة تماما ، إلا لأصبح كل واحد منا نسخة باهتة من الآخر ، ننا قدر من الاتفاق ، ومثله من التباين

في عام مضى سافرنا لقضاء إجازة ، بدعوة من ية لها ، كانت نزهاتنا تختلف ، فهي تريد الذهاب البحر ، والأماكن الهادئة الجميلة ، وأنا مفتون السير في شوارع المدن وأحيائها ومقاهيها ، التعرف على سكانها ، فعشق المدن عندي داء ، كسر دائرة الوقت والتوقيت أمر أجد فيه متعة ، راء معرفة ، فالسهر حتى ساعات متأخرة لرؤية ب آخر من حياة المدن أمر يفتنني ، والاستيقاظ أول خيوط الفجر لرؤية المدن وهي تنفض عن ها ثوب النوم يروق لي ، وأرى فيه جزءا مهما من المجتمعات والناس

هذه كلها خبرات لا أستطيع ممارستها وهي معي ، وفضلا عن ذلك فهي ممارسات لا تروق لها .

قلت لها كل ذلك ، وقلت لها إنني أريد أن أخوض هذه التجربة ، خاصة أننا منذ زواجنا لم نفترق إلا أياما قصيرة كنت أسافر فيها في مهمات عمل ، وقلت لها انه من الصحي لكلينا أن نجرب الحياة بعيدا عن بعضنا بعضا فترة ، يراجع فيها كل منا ـ على حدة ـ مواقف اجتزناها معا ، واختلافات حدثت .

وقلت لها إن الأشياء لا تتأكد إلا بأضدادها ، فالنور بالظلام ، والليل بالنهار ، والظلم بالعدل ، والكراهية بالحب ، وكذلك المشاعر الإنسانية ، لا يتأكد معنى وجودنا معا وقيمته وجماله إلا إذا خضنا تجربة أن يكون كل منا وحده فترة ، وأن هذا التجديد أمر أكثر أهمية مما نظن أو نتصور ، فمن خلاله تستمد العلاقة حيويتها ، وحرص أطرافها على دعمها ورعايتها ، والابتعاد فترة أهون وأكثر رحمة من أن تضيع العلاقة ، لتصبح عادة ، وننسى أنها كانت اختيارا واعيا ، وصيرورة لازمة ، لأننا بعقل ووعي قد اختار أحدنا الآخر ، ولأننا ندرك أن ما تبقى لنا من حياة ـ لو قضيناه معا ـ سيكون أرق وأجمل ، ومن الظلم أن يضيع هذا المعنى البالغ الرقة والوعي في دهاليز الاعتياد والملازمة تحت دعاوي المشاركة التي تفيد وتضر وضررها ـ أحيانا ـ أكثر من فائدتها

هو

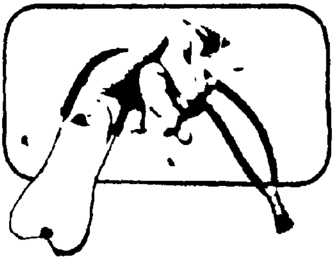

الأسرة ٢٠٠٠

الدكتور حسن فريد أبو غزالة

قضايا منزلية

جدري الماء

قلما تطرح قصية حدري الماء على بساط التوعية كما تطرح قضايا الصحة والمرص الأحرى ، قناعة من أصحاب الشأن بضآلة شأنه ، وانعدام حطره ، وقد حابوا الصواب في هدا الأمر ، وشطوا بعيدا عن الحقيقة والواقع

لقد سموه الحديري تصغيرا لاسم الحدري الدي كان يحتلط معه في بعض أعراضه ، مما كان يخشى معه أن تختلط الأوراق ، ويخطيء الطبيب القليل التجربة ، فيتفشى وباء الحدري الحطير ، ويشيع وينتشر

غير أن انحسار موحة الجدري بعد أن أعلنت منظمة الصحة العالمية عن انقراصه عام ١٩٧٩ ، وانتقال أخباره من كتب الطب إلى كتب التاريخ ، عقب نجاة آخر مريص صومالي كان مصابا بالحدري عام ١٩٧٧ ، ومضي سنتين على هده الحادثة ، دون ظهور حالة أخرى ، في أي قطر من أقطار المعمورة ، ثم إعلان انقراض مرض الجدري من العالم بفصل حملة التطعيم العام

ومن هنا لم يبق مجال للشك في أمر حدري الماء ، ولم يعد لاسم الحديري مبرر ، وربما كان أقرب الأسماء صوابا هو الاسم الذي يطلقه العامة أحيانا « أبو شنيتر » ، لأنه مرض حفيف ، يتميز بطفح مسالم ، لايثير أكثر من شعور الحكة والهرش دون ألم وحديري الماء مرص سريع الانتشار ، بواسطة الرداد ، أو المحالطة المباشرة عن طريق التنفس ، حيث تنتقل مسببات المرض - وهي من نوع الفيروسات - عبر الأنفاس المشتركة

والفيروس المسبب لحدري الماء الذي لا توجد أية علاقة له مع الحدري الحقيقي هو أقرب مايكون إلى فيروس المرص المعروف باسم الهيربس ، أو العقبولة ، فهما شقيقان

وحدري الماء أو الحديري يتميز بحمى حفيفة مد يوم تقريباً ، يعقبها ظهور طفح جلدي ، عـ الأحزاء المغطاة من الحسم ، وبخاصة البدن ، وتحـ

الابطين ، وربما فروة الرأس ، ويتميز هذا الطفح بكونه غير متجانس ، حيث يبدأ ببقع ، ثم بثور ، تتحول إلى حويصلات مائية ، ثم تجف خلال أربعة أو خمسة أيام من ظهورها ، مسببة حكة وهرشا

وحضانة المرض تمتد من أسبوعين إلى ثلاثة ، ويكون المصاب فيها معديا لمن حوله ، في مدة خمسة أيام سابقة لظهور الطفح ، وخمسة أيام أخرى بعده ، ولهذا يفضل عزل المصاب ، وراحته لمدة أسبوع تقريبا

والمرض شائع في الأطفال ، وسريع العدوى ، وخاصة بين تلاميذ المدارس ، لكنه لايستثني الكبار ، بل ربما كان أشد وقعا عليهم من صغار السن

هذا إلى أن فيروسات المرض قادرة على التسرب عبر المشيمة ، ولهذا فالأم الحامل إذا أصيبت قد تعدي جنينها ، وتكسبه المرض ، وتسبب له عاهة ، وتخلفا عقليا ، إذا لم تصل الحال إلى وفاة الجنين قبل أن يولد

ربما اعتبر الناس جدري الماء مرضا خفيفا ، لكنه مرض غدار ، لايصح معه التهاون ، والتراخي في رعاية المريض ، وبخاصة الأطفال ، ولهذا لابد من عزل المصاب عن إخوته وأصحابه ، وفرض الراحة عليه ، تجنبا لحدوث المضاعفات النادرة التي لها عواقب وخيمة أهمها

ولا تقرح الجسم بسبب شدة الحكة ، ومن هنا
ـ قص الأظافر ، والحرص الشديد على النظافة
ستعمال عقاقير مهدئة للحكة

يا التهاب الرئتين هذا أحد المضاعفات
ملة نتيجة تسرب ميكروبات (انتهازية) تجد في ضعف الطفل فرصتها للتسلل إلى رئتيه ، وأحيانا يكون هذا الفيروس سبب التهاب الرئتين

ثالثا التهاب المخ هذا أحد المضاعفات النادرة ، لكن كتب الطب تسجلها ، وتؤكد تواترها

رابعا جدري الماء النزفي وهو المرض الذي يصاحبه نزيف مفاجىء ، يداهم المريض دون مقدمات ، بسبب نقص حاد في الصفائح الدموية ، المسؤولة عن تخثر الدم

خامسا جدري الماء الخلقي سببه كما أسلفنا هو تسلل الفيروسات ، عبر المشيمة ، من أم حامل ، مصابة إلى جنينها

قد يظن بعض الناس أن التطعيم ضد الجدري واق ضد الجديري ، غير أن اختلاف الفيروسين تماما ينفي هذا الاعتقاد الخاطيء ، حيث لايوجد تشابه بين الجدري والجديري ، سوى أن كليهما يعطي منعة دائمة للجسم ، لاتحتمل معه العدوى مرة أخرى ، ولكن لايعطي أحدهما مناعة ضد الآخر ، أما الشبه الثاني فهو أنه لايوجد علاج خاص للجدري أو الجديري يقضي على المرض ، وإنما هناك عقاقير هي كلها من قبيل التسكين ، والتخفيف من المعاناة

وحيث ان الجدري قد مضى ، وولى ، بفضل التطعيم ، فقد بقي جدري الماء وحيدا ، دون منازع ، لكن الأسف كل الأسف أن العلماء لم يتوصلوا إلى تطعيم مضاد ، يقضي عليه ، مثل ماصنعوا مع الجدري الشرس ، ومن هنا لانجد بين أيدينا سوى الوعي ، والحذر من مخالطة المرضى ، ورعاية المصاب ، وعزله ، وراحته حتى يشفى بإذن الله

طبيب الأسرة

عمى الألوان

● مصاب بعمى الألوان الذي اكتشفته على يدي الطبيب مصادفة ، وأود ان اعرف مدى تأثير هذا المرض على اولادي في المستقبل ، واحتمال انتقاله اليهم

م م م
اسيوط ـ مصر

ـ شبكية العين هي الجزء العصبي الحساس من العين نفسها ، وهي تتركب من نهايات عصبية ، ترتبط بالعصب البصري ، وهي نوعان ، الأول يسمى العصيات ، والثاني يسمى الأقماع ، أو المخاريط ، وهذه التسمية نسبة الى شكلهما ، فالأول بشكل عصا صغيرة ، يختص برؤية الأبيض والأسود ، والثاني على شكل مخروط ، أو قمع ، وعمله التمييز بين الألوان ، والألوان الأساسية ثلاثة ، هي الأحمر والأزرق والأخضر ، وكل قمع يختص بلون واحد من هذه الألوان ، فاذا افتقد الانسان أحد هذه الأقماع فقد قدرته على رؤية اللون المختص به ، وفي أغلب الحالات يصاب الانسان بعمى اللون الأحمر ، وربما يصاب بفقد لونين ، أو ربما ثلاثة معا ، لكنه أمر نادر

ان هذا العيب لايصيب سوى الذكور فقط ، لكن الولد يرثه عن أمه ، لا عن طريق أبيه ، لهذا فالأم هي حاملة المرض ، وليست مريضة وهي تنقل هذا العيب الوراثي لأولادها الذكور فقط ، واذا انتقل للبنات فانهن لايعانين منه ، وانما يصبحن حاملات له ليصيب أولادهن الذكور فقط من بعدهن ، وقد سميت مثل هذه الأمراض الوراثية باسم الأمراض المرتبطة بالجنس ، كمرض النزاف مثلا أو الهيموفيليا على سبيل المثال

وبالمناسبة فان كثيرا من الحيوانات تعاني من مثل هذا النقص الوراثي كما هو حال الثور والحصان والسنجاب والأفعى وما الى ذلك

بعض المحللين يرى في عمى الألوان ميزة دفاعية ، لأنهم اكتشفوا أن الحيوانات المصابة بعمى الألوان وكذلك الانسان المصاب لاينخدع بحيل الألوان ، فالجنود الذين يعانون من عمى الألوان لاتخدعهم حيل الأعداء (الكاموفلاج) على أي حال بامكانك أن تطمئن على نسلك ، انه لن يصاب بهذا العيب الوراثي عن طريقك ، لكنك ان تزوجت امرأة حاملة لهذا المرض فسوف يصاب

بعد هذا يبدو لك واضحا جليا أن لاعلاج لهذا العيب الوراثي ، وليس منه خطر كبير أبدا

ردود سريعة :

● السيد / هاني صيرفي ـ حلب ـ سوريا :

ـ ليس هنا من مبرر ولاسبب لاهمال ازالة الزوائد اللحمية من الأنف ، بل هي ضرورة ، لاكتمال النمو على الوجه الأصح ، غير أن الأمر يحتاج الى كشف اختصاصي الأنف والأذن والحنجرة ، ومشورته ، فهو أعلم بالأمر ، وبخاصة بعد اجراء الكشف

جهل ومال

كان صاحبنا كاتب حسابات ، صغير الشأن ، في شركة خاصة كبرى ، وبحكم عمله في مكتب صاحب الشركة كان كثيرا ما يكلفه بالذهاب الى البيت لقضاء بعض الأعمال ، أو توصيل السيدة وصغيرتها .

كان في العشرين من عمره ، أو مايقرب من ذلك ، وكانت المرأة قد تجاوزت الثلاثين ، أنيقة ، جميلة ، فيها كبرياء الجمال والغنى ، متعالية ، فخورة بنفسها

ذات يوم ترك الموظف الشركة ، وبدأ يعمل لحسابه « سمسارا » بين تجار الخضراوات ، ثم « سمسارا » بين عدد من التجار في مجال الحديد وبعض المعادن المستعملة ، ثم قام ببعض العمليات لحسابه الخاص ، ودارت الأعوام ، وانتقل صاحبنا من « السمسرة » الى التجارة ، وازدادت ثروته ، وتضخمت ، وأصبح له مكاتب يدير بها أعماله ، وعنده موظفون ، وسيارات ، ومعاونون

ثم بدأ يمد نشاطه الى نفس القطاع الذي كان يعمل فيه يوم أن ابتدأ حياته كاتب حسابات صغير الشأن ، فقيرا ، متوسط التعليم ، ودخل صفقات مع صاحب الشركة التي كان يعمل بها ، وكثرت لقاءاته به ، وتردد على بيته في دعوات للعشاء والغداء ، وفي أوقات كثيرة لم يكن صاحب البيت موجودا ببيته .

وحدثت المفاجأة ، وطلبت زوجة صاحب الشركة الانفصال عن زوجها ، وألحت ، وأصرت ، وهددت ، وبعد الانفصال تزوجت من كاتب الحسابات صغير الشأن ، متوسط التعليم الذي كان يحمل لها مشترياتها ، ويصعد بها اليها ، ويقف مبهورا أمام كبرياء جمالها وتعاليها

وعرف الناس أن كاتب الحسابات السابق قد وضع لزوجته الجديدة مبلغا من المال في البنك ، يعادل كل رأسمال زوجها السابق

ولم أنتبه كثيرا لمحدثي وهو يستكمل وقائع هذه الحادثة الغريبة ، ولأنه ذكر لي بعض الأسماء ، ولأنني أعرف بعضا منهم ، فقد كانت دهشتي كبيرة ، ولم يعنني في الأمر كيف أثرى الرجل ، ولا بأي أعمال هامشية ، ولم يعنيني جهله المطبق وادعاؤه ، ولم أهتم لحجة وضاعة أصله ، وسوء منشئه .

وليس هذا كله في تقديري تفسيرا ولا تبريراً، وأتصور أنه كان يحل عقدته التي ترسبت مع الزمن ، ويحاول الخلاص من احساس مطلق بالدونية ، طارده طول عمره ، حتى بعد ما أصبح ثريا ، فقد كانت النظرات تطارده ، وتقول له ان الثراء يصنع أرقاما في « البنوك » ، ولكنه لايصنع قيمة ، ولاثقافة ، ولامكانة بين كثير من الناس

محمود عبد الوهاب

لغة

جمال العربية

بقلم : محمد خليفة التونسي

حول إعراب المنقوص

جاءتنا رسالة من السيدين صلاح القيعي ونوري أمين شهاب الدين (حرور / المنوفية / مصر) يثنيان فيها على كتابنا «لغتنا السمحة»[1] ، ويعترضان على بعض ما أوردناه في «إعراب المنقوص» في العدد ٣٢٥ (ديسمبر سنة ١٩٨٥) ، ويستوضحان بعض قضاياه ، ونحن نشكر لهما الثناء والاعتراض والاستيضاح

وكنا قد اعترضنا على تعريف جمهور النحاة للمنقوص بأنه اسم معرب ، وقلنا «انه ليس على الدوام اسماً ولا معرباً ، بل هو أحياناً اسم ، وأحياناً صفة ، لأن الاسم يدل على مسمى (معنى أو ذات) ، والصفة تدل على موصوف» ووضحنا ذلك بما فيه الكفاية شرحاً وأمثلة ، على قدر ما تحتمل الصفحة اللغوية ، حتى كدنا نقع في الاطناب الممل

ولهذا نود من السيدين أن يراجعا ما كتبناه في ذلك ، ليعرفا أن الصفة قسم مستقل عن الاسم وليست منه ، وان شاركته في بعض معالمه ، ونزيد الأمر إيضاحاً بالاشارة الى أن الصفات قد تستعمل أحياناً كالأسماء كما نرى ذلك في الاعلام شاكر ، محمد ، محمود ، فاطمة ، بل ان بعض الأفعال قد تستعمل أحياناً كالأسماء ، كما في الاعلام أحمد ، يزيد ، ينبع ، تبارك ، جاد ، وكذلك قد تستعمل الجمل كما في الاعلام عبد الله ، جاد الحق ، جاد الرب ، تأبط شرا ولكن استعمالها هكذا ينبغي أن لا ينسينا أن هذه الاعلام أو الأسماء منقولة من صفات أو أفعال أو جمل

كما نود من السيدين أن يراجعا التقسيم الثلاثي لأنواع الكلمة ، وهو ما استشهدا له بقول ابن مالك «واسم وفعل ثم حرف الكلم» ورضيه جمهور النحاة قبله وبعده ، فهذا التقسيم المشهور يحتاج الى تفصيل أكبر ، لأنه يدخل في دائرة الاسم كل ما ليس فعلاً ولا حرفاً «أداة» ، ومن ذلك ادخاله في الأسماء ما سموه «اسم الفعل» ، مثل عليك ، واليك ، ودونك ، ونحوها ، وقد أحسن بعضهم حين جعل اسم الفعل قسماً مستقلاً ، وسماه «الخالفة» ، لأن كل لفظة منها تخلف الفعل في معناه ، كما أن هذا التقسيم المشهور أدخل في قسم الاسم ما هو صفة للفاعل أو المفعول أو التفضيل ولهذا سموه اسم الفاعل واسم المفعول واسم التفضيل ، وأدخلوا في قسم الاسم أيضاً كل الضمائر الشخصية والاشارية والموصولة وسمي بعضهم كلمات هذا القسم «الكنايات» وقد أحسن في عزلها عن الاسم

وكل واحد من هذه الأقسام الثلاثة (الخالفة والصفة والضمير) يختلف عن الآخر ، وكلها تختلف عن الاسم في بعض جوانبه ، وسنعود الى توضيح هذه الأقسام في صفحة أخرى بعون الله

وقد استوضح السيدان منا الفرق بين إعرابنا للمنقوص في حالتي الرفع والجر، وبين إعراب النحاة التقديري له، والفرق يتضح في المثال الآتي « القاضي عادل »

فالنحاة يقولون القاضي مبتدأ مرفوع بضمة مقدرة على الياء منع من ظهورها الثقل، ونحن نكتفي بقولنا « القاضي مبتدأ في محل رفع فأيهما أحصر وأسهل، مع الخلو من الوهم ؟

ولا حاجة هنا لبيان محله (الرفع) الا حين يأتي بعده تابع كالنعت والتوكيد والبدل والعطف، فيكون كمتبوعه في الاعراب، والا فلا حاجة لبيان محله وكذلك يقال في حالة جر المنقوص

وكنا قد ذكرنا أن الفتحة في حالة نصب المنقوص قد تختفي في الشعر، لاقامة الوزن، واستشهدنا لذلك بقول عنترة

ان الأفاعي ـ وان لانت ملامسها
عند التقلب ـ في أنيابها العطب

والمعنى لا يستقيم الا كذلك باثبات « الواو »، ولكنها سقطت في الطباعة، وقد أشرنا الى هذا وصححناه في جواب سؤال (العدد ٣٢٨ / ص ١٩٥)

وإذن فلا حاجة لتقطيع البيت عروضياً ليستقيم الوزن، كما فعل السيدان

ونحن لم نقل إن الفتحة عند نصب المنقوص تختفي دائماً، بل قلنا انها قد تختفي في الشعر لاقامة الوزن، فهذه اذن من الضرورات الشعرية، وقد استشهدنا لذلك هناك بشواهد كافية ولدينا عشرات الشواهد عليها

كما أشرنا هناك الى أن المنقوص في حالتي الرفع والجر قد تظهر عليه علامة الإعراب (الضمة والكسرة) في الشعر لاستقامة الوزن،واستشهدنا له

ونزيد هنا أن المنقوص قد يصغر، فتحذف ياؤه أيضاً في حالتي الرفع والجر ومن ذلك قول ابي الميمون القشيري

اتاهم رُوَيعٍ، لا رعى المال بعدها
فقال الا لم تلحق اليوم مرتعا ؟[2]

فكلمة (رويعٍ) فاعل لم تظهر ضمة على آخره (الياء)، لأن الياء محذوفة ولو كان في حالة الجر لكان أمرها كذلك، فنقول « نظرت الى رويع في الحقل » ولكنها لو كانت في حالة نصب لكانت معربة، فظهرت الفتحة في آخرها، فنقول « رأيت رويعياً »

والحركة لا تظهر على المنقوص الا حين يكون منصوباً، فتظهر عليه الفتحة سواء وصل بما بعده في الكلام أو وقف عليه، وسواء كان معرفاً بأل أو غير معرف بها، ولكن لا تظهر عليه حركة الضم ولا الكسرة حين يكون في موضع رفع أو موضع كسر مع وصله بما بعده في الكلام، فاذا وُقف عليه سقطت ياؤه ووقع السكون على الحرف السابق لها، سواء كان معرفاً بأل أو غير معرف بها، كما في المثالين الآتيين من قوله تعالى في سورة الرعد « عالم الغيب والشهادة الكبير المتعالْ » وقوله « وما لهم من دونه من والْ ».

وكلمة « ثماني » تعامل ككل منقوص، ولكنها حين تركب مع عشرة تظهر الفتحة على يائها (ككل منقوص) وتنفرد بجواز ظهور الفتحة على النون قبل الياء، كقول الشاعر (الشريب) يذكر عدد ما شرب من الكئوس

ولقد شربت ثمانياً وثمانيا
وثمانَ عشرةَ واثنتين وأربعا

---

(1) كتاب جمعنا فيه بعض صفحاتنا اللغوية التي نشرتها « مجلة العربي » من مارس سنة ١٩٧٣ الى يونيو سنة ١٩٧٩، وأخرجته المجلة حلقة في سلسلة « كتاب العربي » في أكتوبر سنة ١٩٨٥

(2) التعليقات والنوادر لأبي علي الهجري ٢ / ٤١

هكذا غنى الآباء

عذاب الحب

للصِّمَّة بن عبدالله القشيري

الصِّمَّة (١) بن عبد الله بن الطفيل القشيري شاعر اسلامي بدوي مقل، عاش في العصر الاموي. احب إحدى بنات عمه (العامرية التي يسميها هنا «ريا») فلما خطبها الى عمه اشتط عليه في المهر فسأل اباه ـ وكان كثير المال ـ ان يعاونه فلم يعطه شيء فسأل عشيرته فأعطوه، فلما ساق الابل الى عمه رفضها، وطلب منه أن يسأل أباه تبديلها له، فلما سأل اباه ذلك رفض طلبه، ولما رأى ذلك من عمه وابيه قطع حبال الابل وحلاها، فعاد كل بعير الى صاحبه، ثم تحمل راحلا، فقالت بنت عمه حين رأته يرتحل «تالله مارأيت كاليوم رجلا باعته عشيرته بأبعرة» ومضى من وجهه حتى لحق ثغر طبرستان للجهاد، وقد طال مقامه هناك، وكان يشتاق صاحبته ويندم على سفره، وقد علم انها زوجت من غيره، وكان ينظم الشعر في الحنين اليها، ولكن عزة نفسه ويأسه ابت عليه الرجوع

وقيل انه لما خذله ابوه وعمه قال «تالله مارأيت ألأم منكما جميعا، وإني لألأم منكما ان اقمت بينكما» ثم ركب ناقته وارتحل فأقام في الثغر حتى مات. ويظهر ان الحب أضناه وابلاه، فقد حكى شيخ من أهل طبرستان ـ كانت له فيها ضيعة ـ «أنه يوما رأى رجلا مطروحا، وعليه ملابسُ بالية ممزقة فلما دنا منه وجده لايتحرك فأصغى اليه فاذا هو يقول بصوت خفي

تعزَّ بصبر، لا وجدَّك، لا ترى
شام الحمى أخرى الليالي الغوابر (٢)
كأن فؤادي من تذكرِهِ الحمى
وأهل الحمى يهفو به ريش طائر

ثم فاضت روحه، فلما سأل عنه قيل له «هذا الصمة بن عبدالله القشيرى»

ومعظم الأبيات هنا تنسب اليه في مصادرنا التراثية، ولكن بعضها ينسب الى مجنون ليلى أو قيس بن ذريح صاحب لبنى، ولاسبيل الى القول الفصل هنا، لانها نتاج شعراء ظهروا في عصر واحد (الاموى) وبيئة واحدة (بوادي الحجاز ونجد) بعد انتشار آداب الاسلام فيها واشتداد الفاقة مع إهمال

لدولة شئوبها ، فظهر هؤلاء الشعراء الثلاثة وامثالهم س الشعراء المحبين ، وكانت اشعارهم في السيب متشابهة

وكان المعنون القدماء يتعسون سعص هده الابيات ، وكان من الرواة من يعدوبها احسن ماقيل في السيب في الحاهلية والاسلام

أمن دكر دارٍ بالرَّقاشين اصبحت   بها عاصمات الصيف بدءاً ورُجَّعَا ـ [٣]
حننت الى « ريًّا » ونفسُك باعدتْ   مزارَك من « ريا » وشعباكما معا
فما حسنٌ أن تأتي الامر طائعا   وتجرع إنْ راعي الصبابة أسْمعا
فليست عشياتُ الحمى برواجع   إليك ولكنْ حلّ عينيك تدمعا
كأنك لم تسمعْ وداع مفارقٍ   ولم تر شعْبَيْ صاحبين تقطعا
تحمَّل أهلى منْ « قينٍ » وعادروا   به أهل ريا حين جيدَ وأمرعا [٤]
ألا ياخليليَّ اللذيْن تواصيا   بلومي إلا أن أُطيع وأسمعا
قفا ودّعا نجْداً ، ومن حلَّ بالحمى   وقلّ لنجد عندنا ان يُودَّعا
قفا ، إنه لابدَّ من رجْع نظرة   يمانية ، شتىً بها القومُ ، أو معا
لمعتصب قد عزَّه القومُ أمرهُ   حياء يكفُّ الدمع ان يتطلّعا [٥]
تبرّضُ عينيه الصبابة كلما   دنا الليلُ ، أو أوفي من الارض ميفعا [٦]
ولما رأيت « البشْرَ » قد حال دوننا   وجالت بنات الشوق يحْنُنَّ نُزَّعا [٧]
تلفَّتُ نحو الحيِّ ، حتى وجدتُني   وجعْتُ من الاصغاء ليتاً وأخدعا [٨]
بكتْ عيني اليُسرى ، فلما زجرتُها   عن الجهْل بعد الحلم أسلتا معا
وأذكر ايام الحمى ، ثم أنْثني   على كبدي من خشيةٍ أن تصدَّعا
معي كلُّ غرٍّ قد عصى عاذلاته   بوصل الغواني من لدُنْ أنْ ترعْرعا [٩]
إذا راح يمشي في الرداءين أسرعتْ   اليه العيونُ الناظرات التطلُّعا [١٠]
أما ، وجلالِ الله ، لو تذكُريني   كذكريكِ ما كفكفت للعين مَدْمعا
فلوْ كنت من صخر ، وأعلمْتُك الهوى   رَثيْتِ لنا حُزْنا ، ومِلْت تضرُّعا
فقالت بلى ، والله ، ذكراً لوَ انّهُ   يُصبُّ على صُمِّ الصفا لتصدَّعا

---

(١) الصِّمَّة الاسد ، والشجاع ، والمادة تدل على الصلابة

(٢) الشام شجر عطر الرائحة العوابر الباقية

(٣) الرقاشان جبلان في الحجاز كانت تنزلها قبيلة الشاعر

(٤) جيد الوادي اصابه الجوْد وهو المطر الغزير، وقين واد بالحجاز

(٥) لمعتصب مُكْرهٌ عليه قومه على أمره وحاول أن يمنع دمعه حياء (يقصد نفسه)

(٦) تبرض عينيه الصبابة تأخذ دموعه شيئا فشيئا ـ الميفع المكان المرتفع

(٧) البشر جبل في الحجاز ـ بنات الشوق آثاره في النفس

(٨) الليت جانب العنق ـ الأخدع أحد عرقين خفيين في جانبي العنق

(٩) الغر الساذج ، الذي لم يجرب الامور ـ عاذلاته اللاتي يلمنه ـ الغواني جمع غانية المرأة التي غنيت بزوجها عن غيره ، أو التي غنيت بجمالها عن الزينة (١٠) لبس الرداءين دليل الوجاهة

الكلمات المتقاطعة

يهدف هذا اللغز الى تسليتك ، وامتاعك ، بالاضافة الى إثراء معلوماتك ، وربطك بتراثك الفكري والحضاري ، بتعويدك على البحث الجاد المثمر في المعاجم ، والموسوعات ، وغيرها من المراجع والمطلوب منك ايجاد اجابات هذه الشبكة ومقابلة اجاباتك بالحل الذي سينشر في العدد القادم

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١										
٢						■				
٣							■			
٤			■		■					
٥								■		■
٦		■							■	
٧				■		■				
٨			■		■		■			
٩								■		
١٠										

الكلمات الأفقية

١ـ مسرحية مأساوية لشكسبير

٢ـ متوسطة ، حرف مرضي

٣ـ امرأة طلبت رأس قديس ثمنا لرقصها ، ضرب ضربا خفيفا

٤ـ تجدها في وفاء ، عنصر أساسي في الفحم

٥ـ شاعر أموي اشتهر بالهجاء

٦ ـ استخدمها الرسول في وصف النساء

٧ـ نتاج الشجر ، شجيرة مزهرة شائكة

٨ـ برد شديد ، (الوحش) مفترس

٩ ـ عالم فيزياء بريطاني له اكتشافات خطيرة في الكهرباء ، نغمة موسيقية

١٠ ـ يعرف أيضا بالناصري

الكلمات الرأسية

١ـ والد الحجاج

٢ـ جمع وسيلة ، شدة وقوة

٣ـ عكسها نهار ، من أعداء الانسانية ، تجدها في روع

٤ ـ يطورون مبعثرة ، مكيال للحبوب

٥ ـ حرف لا أساس له ، طعام ، دام مبتورة

٦ ـ يزعج ، ضائع

٧ ـ عكسها حر ، أحمق أو تافه ، بحر

٨ ـ بهر ، أرض مخضرة

٩ ـ منظف ، المتلذذ بتعذيب الغير

١٠ـ ضربن ضربا خفيفا ، مصاب

حل مسابقة العدد الماضي يونيو ١٩٨٧

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١
١	ت	و	ب	ع	ن	ح	ا	م	و	ن
٢	ي	ل	د	■	ب	د	ل	■	ر	ت
٣	م	ي	و	ع	لا	■	م	و	ق	ر
٤	و	م	ي	ص	■	ف	ن	م	لا	■
٥	ر	ف	ن	ا	س	■	ر	ص	ب	ا
٦	ل	و	■	ل	ا	ه	ي	■	ن	م
٧	ب	ل	س	■	ع	ا	ر	ب	ن	و
٨	ك	ك	■	م	د	ن	ي	■	و	ا
٩	■	ن	ا	س	و	ب	■	ح	ف	ل

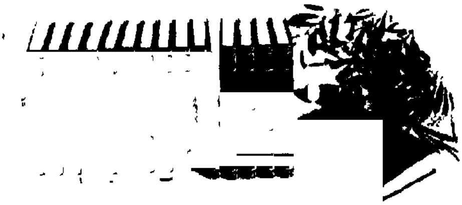

مكتبة العربي

كتاب الشهر

تأليف : ميخائيل زابوروف   عرض : محسن خضر

الصليبيون في الشرق

ميخائيل زابوروف "صليبيون في الشرق"

تكتسب دراسة « الصليبيون في الشرق » للمستشرق الروسي ميخائيل رابوروف أهميتها بسببين رئيسيين ، فهي من ناحية الشكل تتزامن مع مرور ٨٠٠ عام على معركة حطين (٤ يوليه ١١٨٧) ، ومن ناحية الموضوع لعلها الدراسة الأولى في مدرسة الاستشراق الروسي عن هذه الحروب

ومن الواضح أن مؤلف الدراسة التي ترجمها إلياس شاهين قد استفاد جيدا من المراجع الاوروبية حول هذه الحروب التي تتناثر عبر صفحات الكتاب. يصحبنا هذا الربط العلمي الذكي عند رابوروف لتاريخ الحروب الصليبية بالوضع الدولي المعاصر « فالحروب الصليبية التي صارت طي الزمان وثيقة الارتباط بالعصر الراهن ، لا سيما بالصراع الايديولوجي والسياسي في العالم »

ويشير رابوروف الى أن تاريخ الحروب الصليبية مازال يشغل العقول كثيرا في أوروبا ، والولايات المتحدة ، واسيا ، وأفريقيا ، بل حتى في استراليا أيضا

ويلاحظ المؤلف أن الجاسوس الانجليزي الشهير تي إي لورنس قد اختار - حين كان طالبا في اكسفورد - موضوع « تأثير الحروب الصليبية في الهندسة المعمارية الحربية القروسطية في أوروبا » ليقدم أطروحته وقد ذهب الى لبنان وسوريا لمعاينة القلاع الصليبية المتبقية ، مما يؤكد تشابك العلم مع السياسة في دراسة تاريخ الحروب الصليبية

حروب قبل الحروب

لم يظهر مصطلح الحروب الصليبية في رأي رابوروف إلا حديثا ، حيث ان أول من استعمله هو المؤرخ الفرنسي لويس ممبور ، في مؤلفه « تاريخ الحروب الصليبية » سنة ١٦٧٥م ، أما في القرون الوسطى فكان يشار إلى هذه الحروب بمصطلحات أخرى ، مثل الترحل ، والتجوال ، والحملة ، والسفر وراء البحار ، والطريق الى الأرض المقدسة ويجرد رابوروف الحروب الصليبية من قناعها الديني ، ويردها الى أسبابها الداخلية ، وهي تدهور الأحوال الزراعية في الدول الأوروبية ، وانتشار المجاعة ، حيث سادت « سنوات سبع عجاف » ، قبيل الحروب الصليبية مباشرة ، كما سادت الحروب الداخلية المتكررة ، وقد ساعدت الكوارث الطبيعية والأوبئة الفتاكة والظلم الاقطاعي للفلاحين على التمهيد لفكرة تلك الحروب ، ومما ساعد على ذلك أيضا تعاظم الميول الدينية في الريف ، نتيجة ظروف حياة الفلاحين والعبيد القاسية ، من فقر وظلم وجهل وعبودية

ويصل المؤلف الى الدافع الرئيسي للحروب الصليبية « إن مصالح الاقطاعيين الملحة والحيوية قد طرحت أمامهم ، بوصفهم طبقة ، مهمة عاجلة قوامها البحث عن أسلوب لحل القضايا الناشئة ، يتيح لهم تلبية حاجاتهم المتعاظمة الى الأراضي والأيدي العاملة الاجبارية ، والنقود والثروات من كل نوع ، ويخلص كبار الأسياد من مآثم صغار الفرسان ، والفرسان من مصير المعدمين ونصيبهم ، ويشد في الوقت نفسه دعائم النظام القائم ويوطده »

وبرغم تعقد أبعاد اللوحة التي أطلق البابا نداءه وسطها إلى الشرق ، إلا أن المغزى والتأثير المحيطين بعملية الحج إلى فلسطين باعتباره من الطقوس المسيحية المقدسة له أهميته الخاصة ، لأن السفر إلى

الشرق رمز إلى تحول الانسان العادي إلى قديس ، كما صار الحج أهم علامة على قطع صلته بالعالم الباطل ، وبالرغم من أن الحج مشروع ديني صرف ، إلا أنه كان ذريعة مناسبة ، لبلوغ هدف سياسي معين ، يتمثل في كونه وسيلة مضمونة لتوطيد نفوذ الأعيان بين أفراد الشعب ، خالطتها الرغبة في اكتساب سلع الترف في الشرق ، ورؤية أماكن جديدة . وأصبح الفرسان الذين كانوا ينهبون الكنائس والأديرة في بلادهم يتطلعون الى الغفران وخلاص الروح عن طريق الحج ، بالرغم من أعمالهم السابقة.ويخلص المؤلف إلى أن « حركة الحج قد هيأت الحروب الصليبية فكريا وعمليا ، فقد أسهمت في تعاظم الأمزجة والميول الدينية الزاهدة ، وعرفت الأوروبيين على الطريق إلى الشرق ، وعلى الوضع في البلدان الشرقية ، وهيجت تعطش الاقطاعيين الذي لا يرتوي إلى امتلاك الأراضي فيما وراء البحار »

وبالاضافة الى الحج،فقد هيأت الحروب التي نشبت في القرن الحادي عشر في الغرب والتي جرت تحت راية دينية الأرضية من أجل التوسع الاقطاعي الواسع إلى الشرق ، وانخرط الفرسان الفرنسيون في الصراع ، من أجل استعادة الأراضي التي سبق أن احتلها العرب في أسبانيا ، وكانت هذه الحروب ـ كما يذهب المؤلف ـ بمثابة (حروب صليبية) قبل الحروب الصليبية ومن ناحية الكنيسة يعتقد المؤلف أن الاصلاحات الكنسية في القرن الحادي عشر هي إحدى المقدمات المباشرة للحروب الصليبية في الشرق ، حيث ضمنت للبابا مكانة راسخة ، وأجبرت العالم الاقطاعي على الاصغاء بانتباه إلى صوت الحبر الأول في روما،وفي سنة ١٠٧٤ وجه البابا رسالة الى الكونت غليوم الأول ، والامبراطور الألماني هنريخ الرابع ، وماتيلدا مارك كونتيسة توسكانا ، وجميع الأوفياء للقديس بطرس ، ودعاهم فيها إلى تخليص الكنيسة الشرقية من البلية ، وإلى الاشتراك في الحرب في الشرق لهذا الغرض ، ووعدهم بالثواب على محاربة الكفار ،«ونصحهم قائلا قاتلوا بجرأة ، لكي تنالوا في السماء مجدا ، يتجاوز جميع توقعاتنا ، وتسنح لكم الفرصة لاكتساب الغبطة الأبدية بعمل طفيف » ، ولقي هذا النداء صدى واسعا لدى الملوك والفرسان والأعيان والمعدمين على السواء ، لأسباب مختلفة

ويعلق المؤلف على هذا النداء بأن « نوايا روما لم تكن تمت بصلة إلى إنقاذ المسيحية » ، ويدفع المؤلف عن السلجوقيين تهمة التعصب الديني ضد المسيحيين ، والأقاويل عن آلام المسيحيين الشرقيين في ظل حكم السلجوقيين ، وعن العقبات التي أقاموها في وجه الحجاج ، وهي اختلاقات باطلة ، تفتق عنها خيال كتاب كنسيين بيزنطيين وغربيين ، وعلى العكس من ذلك يرى رابوروف أن المتوفر للمسيحيين ولليهود هو إمكانية ممارسة شعائرهم الدينية بلا عائق

ويستخلص المؤلف بأن الباباوات قد استغلوا ضعف اطلاع أوروبا الغربية على ما كان يجري فعلا في الشرق ، فانصرفوا الى تضليل العالم الكاثوليكي ، وقررت البابوية تحقيق أهدافها السياسية بتأسيس دولة ثيوقراطية عالمية ، مستغلة الميول العدوانية للحكام الاقطاعيين وقد اتفق نداء البابا أوربان الثاني في كليرمون مع مصالح الاقطاعيين ، وكذلك الفرسان والأسياد ، حيث وجد بينهم تربة صالحة لفتح بلدان وراء البحار ، كما أهاج خطابه الفلاحين الفقراء ، لأنه وعدهم بمثالين عزيزين ، الأرض والحرية

موقعة حطين

ربما كانت وقائع الحروب الصليبية التي استمرت مائتي عام معروفة لعامة القراء ، ولذا سنتوقف عند الجوانب التحليلية في كتاب المستشرق الروسي ، وبخاصة الفصل الخاص بنتائج الحملات الصليبية

لقد توقفت الحروب الصليبية وانتهت عندما

سحق مماليك مصر آخر ممتلكات الفرنجة في الشرق وأبادوها واحدة تلو الأخرى ، وباستيلاء قوات الملك الأشرف خليل بن قلاوون على طرابلس (١٢٨٩) ، وعكا (١٢٩١) انتهى عهد الحروب الصليبية التي تكونت من أربع حملات صليبية ، وحملتين طفوليتين وتحظى موقعة حطين ببريق وأهمية خاصة في تاريخ الحروب الصليبية ، فقد وحد صلاح الدين الأيوبي مصر ، وقسما كبيرا من سوريا ، وبلاد ما وراء النهرين ، واعتبر حاكم الموصل زنكي الثاني نفسه تابعا للسلطان صلاح الدين الذي صار « أقوى حاكم في العالم الاسلامي » ، وقد وجه صلاح الدين الذي أسس سلالة الأيوبيين جميع موارد الدولة إلى النضال ضد الافرنج ، وبما أنه استهدف في المقام الأول القضاء على مملكة القدس ، فقد تعهد بشن الجهاد على أعداء الاسلام ، فأغار على غزة ، وايله ، وبلغت فصائل المسلمين صيدا وبيروت ، وفي سنة ١١٨٠ انتزع أسطول صلاح الدين جزيرة أرواد من الصليبيين

بدأ ضغط المسلمين المنتظم المستمر على ممتلكات الافرنج ، منذ الثمانينيات من القرن الثاني عشر ، وقد أتاح ذلك لصلاح الدين الفرصة ، وأن يقتحم بقواته المقاطعات الداخلية من مملكة القدس ، في سنة ١١٨٧ ، نتيجة غياب التلاحم بين القوات الصليبية ، والتنازع بينها على الأراضي والألقاب ، وفي الحيل والمؤامرات الديبلوماسية

وتطورت الأحداث ، بنقض البارون القرصان رينودي شايتون ـ حاكم الكرك ـ معاهدة الهدنة ، بين مصر ومملكة القدس ، وذلك عندما نهب قافلة مسلمة ، كانت فيها أخت صلاح الدين ، فطالب صلاح الدين ملك القدس جي دي لوزينيان بالتعويض ، ومعاقبة الناهب ، والافراج عن الأسرى ، إلا أن الأخير خشي معاقبة تابعه القوي ، فاجتاحت قوات صلاح الدين مناطق الكرك وكراك دي مونريال وبعد شهرين بدأ الجهاد ضد الفرنجة ، واحتشدت قوات المسلمين الموحدة التي قدمت من دمشق وحلب والموصل ومقاطعات ما بين النهرين وفي مايو ١١٨٧ أبيدت فصيلة كبيرة ، مؤلفة ـ أساسا ـ من الفرسان الرهبان في الشمال الشرقي من الناصرة ، وفي الثاني من يوليو استولى جيش صلاح الدين على طبرية ، ثم ضرب حصارا مكثفا حول مواقع الصليبيين ، بجوار قرية حطين ، بين الناصرة وبحيرة طبرية ، وفي ٤ يوليو دار القتال واستمر ، وجرت المعركة في وضع غير ملائم للصليبيين ، في قيظ رهيب ، مع نقص مياه الشرب ، وأحرق المسلمون الأعشاب والشجيرات في المنطقة ، فلفت سحب الدخان طوابير الفرسان الصليبيين ، ودارت معركة استمرت سبع ساعات ، سقط فيها مئات الفرسان ، وآلاف المقاتلين المشاة ، ووقع في أسر صلاح الدين الملك جي دي لوزينيان ، وقائد الجيش الفرنسي أموري دي لوزينيان ، وكثيرون من البارونات ، وحفظ صلاح الدين حياة أغلبية الأسرى ، باستثناء ٢٠٠ من فرسان الهيكل والاوسبيتاليين فقد أعدموا ، أما حاكم الكرك دي شايتون ، وناقض الهدنة ، فقد قطع السلطان الظافر رأسه

فتح انتصار حطين الطريق أمام صلاح الدين ، لاسترداد المدن الساحلية كلها ، الواقعة جنوب طرابلس ، فاحتل المسلمون عكا ، وبيروت ، وصيدا ، ويافا ، وقيسارية ، وعسقلان ، وقطع اتصالات القدس مع أوروبا وفي النصف الثاني من

ليو ١١٨٧ حاصرت قوات صلاح الدين القدس ، ولم يكن بمقدور حاميتها الصغيرة حمايتها من ضغط جيش مؤلف من ٦٠ ألف رجل ، وفي اكتوبر من نفس العام استسلمت المدينة ، وسيطر المسلمون على القدس ، وبرهن صلاح الدين أنه رجل دولة حكيم ، فعامل القدس وسكانها معاملة أرق وأرحم بكثير مما عاملهم الغزاة الصليبيون ، حين انتزعوا المدينة من حكم مصر ، قبل ذلك بنحو مائة سنة ، فلم يبطش بسكانها ، ولم يدمرها ، وسمح للسكان المسيحيين بمغادرة القدس بعد دفع الفدية ، عن كل رجل ١٠ دنانير ذهبية ، و ٥ عن كل امرأة ، ودينارا ذهبيا واحدا عن كل طفل ، ولم يستطع ١٥ ألف شخص افتداء أنفسهم ، فبيعوا عبيدا

ويفسر المؤلف الأسطورة التي أحاطت بصلاح الدين في الغرب قائلا إنها تعود إلى رقته ورحمته في معاملة سكان القدس بعد فتحها ، كما أن اعتداله قد أتى لاعتبارات سياسية ، وهي رغبته في ضم أراضي دول الصليبيين إلى الدولة المصرية

وأصبحت مملكة القدس بصورة كلية في يد صلاح الدين ، عدا مدينتي صور ، وطرابلس ، وبضعة استحكامات صغيرة ، وحصن الاوسبتاليين المنيع كراك دي شيفالييه ، وعندما سمع البابا أوربان الثامن بسقوط القدس توفي من وقع الصدمة

هزائم في مصر

لقي الصليبيون هزيمتين في مصر ، الأولى عام ١٢٢١ ، بعد أن احتلوا دمياط ، احتلالها كان عام ١٢١٩ بعد حصار سنة ونصف السنة وبعد إبادة حاميتها ، إلا أنهم ردوا عند المنصورة بفعل فيضان النيل ، وقطع المسلمون طريق التراجع ، وحوصر الصليبيون من جميع الجهات ، من جانب قوات السلطان الكامل وأخويه ، الأشرف والمعظم ، فانسحب الصليبيون من مصر عام ١٢٢١ ، وضاعت دمياط على الصليبيين ، وفارق الصليبيون مصر ، ومنيت الحملة الصليبية الخامسة بالفشل التام » أما الحملة الثانية فكانت في يونيو عام ١٢٤٩ ، نزل الصليبيون مصب نهر النيل ، وأشاعوا الذعر بين سكان دمياط ، واحتلوا المدينة ، وقد أثار سقوطها الذعر في بلاط الملك المحتضر الصالح وقد حاصروا المنصورة ، واستولوا عليها ، في فبراير ١٢٥٠ ، وساعدتهم الخيانة على ذلك ، كما استشهد القائد المصري فخر الدين

لكن سرعان ما حاصر المسلمون بقيادة الملك المعظم طوران شاه ـ وهو الملك الأخير من سلالة الأيوبيين ـ الغزاة ، ولقي كثير من الفرسان الصليبيين وبضع مئات من المشاة مصرعهم ، وبعد فترة من الوقت أغرق المصريون الأسطول الصليبي الذي كان يرسو قرب المنصورة ، وقطعوا طريق الفرسان مع دمياط التي كانت قاعدة لتموينهم ، وتحت طائلة الموت جوعا أسرع الصليبيون في الجلاء عن المنصورة ، وقد فروا منها برا وبحرا ونهرا ، وزال جيشهم من الوجود ، ووقع في الأسر آلاف الفرسان والمشاة ، وفي عداد الأسرى كان لويس التاسع ذاته ، مع أخويه ، وسرعان ما صار المقاتلون الصليبيون الأسرى ضحية للأمراض ، كالملاريا والدوسنتاريا والاسقربوط ، وقد سقطت أسنان الملك ، وحملوه على نقالة وفي مايو ١٢٥٠ أخلي سبيل لويس التاسع لقاء فدية ضخمة (٢٠٠ ألف ليرة) ، وغادر الصليبيون دمياط ، ورحلت بقاياهم إلى عكا

وبالرغم من أن لويس التاسع بقي في فلسطين أربع سنوات أخرى إلا أن ملوك أوروبا تجاهلوا إغاثته ، فقد كفاهم الدرس الذي تلقوه في مصر

ريح الشرق وريح الغرب

يعدد المستشرق الروسي أوجه التأثير الثقافي الشرقي على أوروبا من خلال الحملات الصليبية ، فالتعرف على الشرق أسهم في إحداث تغييرات في

نمط حياة الأسياد في الغرب ، فإن الفارس الصليبي كانت تستحوذ عليه - بعد عودته إلى الوطن - مطامح جديدة ، ولم يكن يعارض الاستعاضة عن اللباس الخشن المعروف في البيت بالألبسة الشرقية الناعمة الجميلة ، وتزيين جدران بيته بالسجاجيد ، والاستعاضة عن المرآة من البرونز المصقول أو من الفولاذ بالمرآة من الزجاج ، ولماذا لا يستكمل المائدة القروية البسيطة بمآكل متأنقة من المطبخ الشرقي ، وبالتوابل ؟ ولماذا لا يشرب الخمر الشرقي ويقدمه لضيفه ؟ وخلاصة القول ان حاجات الاقطاعيين قد تزايدت ، وسبلها قد تغيرت ، وقد اقتبس الغرب كثيرا من شعوب العرب المسلمين في مجال التقنية ، فاقتبسوا الطاحون الهوائي من سوريا ، ومن سوريا أيضا أخذ الغرب الدولاب المائي المحسن الذي حسنه الميكانيكيون العرب ، بعد أخذه من روما ، وكان يستعمل على نطاق واسع في سوريا ، في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، واشتهر صناع أنطاكية بصنعه ، كما شرعوا في أوروبا في استعمال الحمام الزاجل الذي كان مستخدما من قديم الزمان في بلدان المشرق ، ففي القرن التاسع كان الحمام يؤمن « خط البريد » بين الموصل وبغداد وغيرهما من المدن . ثم ان الأوروبيين اقتبسوا من الشرق بعضا من مزروعات الحقول والبساتين والقرعيات التي لم يكونوا يعرفونها ، مثل القمح الأسود ، والأرز ، والبطيخ ، والمشمش ، والليمون وبعض أصناف الزهور ، وسكر القصب ، ودخلت كلمة « السكر » العربية محورة إلى كثير من لغات الشعوب الأوروبية ، وفي القرن الثاني عشر أيضا تطور صنع الأقمشة ، حسب النمط الشرقي .

كذلك انعكس تأثير الشرق على نطاق واسع جدا في ميدان الآداب والمعيشة . ومنذ الحملات الصليبية شرع الأوروربيون يربون اللحى، ويلبسون العمائم على الطريقة الشرقية ، ويأخذون الحمامات الساخنة ، ويغيرون الثياب الداخلية والخارجية . كذلك نقل الغزاة إلى أوروبا سمات الأسلوب الشرقي في الهندسة المعمارية ، وقد كان جامع الخليفة عمر في القدس المثال الأولي للهياكل ذات القبب في كنائس الرهبان الهيكليين ، وفي القرن الثاني عشر تم بناء عدد كبير من المعابد ، وبخاصة في فرنسا ، نقلا عن كنيسة القبر المقدس في القدس .

ثم إن الصليبيين حملوا إلى أوروبا بعض الأدوات الموسيقية ، ومنذ زمن الحملات الصليبية بدأت عادة عزف المؤلفات الموسيقية العسكرية في ميدان القتال ، اقتباسا عن جيوش المسلمين . ولكن زابوروف يلاحظ أنه لم يطرأ في دول أوروبا الصليبية تفاعل ، أو تأثير متبادل بين الثقافة الروحية الشرقية والثقافة الروحية العربية ، فقد منعت الحروب ، وتمرد السكان المحليين تحقيق ذلك ، كما لم يهتم رجال الكنيسة الكاثوليكية المتعصبون بثروات العالم العربي الروحية ، فقد أحرقوا مكتبة طرابلس مثلا ، بعد استيلائهم على المدينة ، لأنهم وجدوا فيها بضع نسخ مخطوطة من القرآن .

كما وسعت الحملات الصليبية آفاق تصورات الأوروبيين الغربيين الجغرافية والعرقية ، وازداد نظام العلاقات الدولية بين الغرب والشرق تعقدا من جراء الحروب الصليبية . ويشير المؤلف إلى

« تشرّق » الأعيان الأوروبيين ، باندماجهم في المجتمع العربي ، وزواجهم من سريانيات وأرميات ومسلمات ، وكانوا يعيشون حسب عادة زوجاتهم ، فمن كان رومانيا أو فرنسيا صار جليليا أو فلسطينيا ، ومن جاء من ريمس أو من شارتر صار ـ هنا ـ صوريا أو أنطاكيا

فشل أم نجاح ؟

في الفصل الأخير من الكتاب يقيّم راسوروف الحروب الصليبية التي امتدت ٢٠٠ عام ، فإن الأهداف المباشرة التي طرحها ملهموها ومنظموها لم تتحقق ، بهذه العبارة يلخص المستشرق السوفييتي نتيجة الحروب الصليبية

فالدول الاقطاعية التي أسسها الاقطاعيون الغربيون في المنطقة الشرقية من البحر الأبيض المتوسط دامت حقبة قصيرة نسبيا ، ولم تستطع أن تصمد لضغط العالم الاسلامي

أما الكنيسة ، فالكرسي الرسولي ، وإن نجح في تعزيز قاعدته المالية بفضل الضرائب والاتاوات الصليبية ، إلا أنه أدى إلى إخفاق الحملات الصليبية في النهاية ، وإلى تقويض سمعة البابوية وتدهورها حقا

ومن عواقب اشتراك الاقطاعيين في الحركة الصليبية ارتفاع مستوى وعيهم الذاتي الطبقي ، فاشتراكهم في المعارك ضد العدو المشترك ـ بوصفهم القوة الحاسمة ـ أدركوا بجلاء انتماءهم إلى فئة اجتماعية واحدة ذات مصالح مشتركة

واختلفت مصائر الدول الاوروبية المشتركة في الحملات الصليبية ، فقد عززت مركز الفرنسيين ، وتوطد مركز فرنسا سياسيا تحت حكم ملوكها ، مما اسهم في نمو الوعي القومي ، وعززت في المانيا الميول اللامركزية فيها ، معجلة بانقسامها إلى إمارات مستقلة ، كما كسبت جنوة والبندقية من الحملات الصليبية كثيرا ، وقد عنت الحملات الصليبية بالنسبة للطبقة الاقطاعية في أوروبا الغربية سفك الدماء بمقادير هائلة ، ذلك أن النجاح في الشرق كلف ضحايا كثيرة ، وقد نتج عنه تغيرات ملحوظة في توزيع ملكية الأرض في بلدان الغرب ، وبالأخص توسيع ملكية الكنيسة للأرض ، فلقد كلفت الحروب الصليبية شعوب أوروبا كثيرا ، حيث هلك مئات الألوف من الناس ، وأنفقت الملايين من الأموال التي ترسب قسم كبير منها في خزائن بابا روما ، وتركت هذه الحروب في وعي الجماهير الشعبية في اوروبا عن نفسها ذكرى حزينة ومشؤومة

وكما يقول راسوروف « إن الحروب الدينية عنت من وجهة نظر التقدم الأوروبي العام ، بتبديد القيم المادية ، والموارد البشرية ، بمقادير كبيرة ، وعبثا لقد تسببت الحروب الصليبية في انحطاط مراكز الشرق الأدنى المزدهرة اقتصاديا وثقافيا ، وكانت بالنسبة لبلدان شرقي البحر الأبيض المتوسط كارثة حقيقية ، ذلك أن الصليبيين حملوا إليها الخراب لعشرات السنين ، اجتاحوا خلالها المدن والقرى في آسيا الصغرى وسوريا ولبنان وفلسطين ومصر ، ونهبوها ، واستحقوا عن جدارة كره شعوبها لهم وازدراءها

إن سحق بيزنطة في سنة ١٢٠٤ لصالح الاقطاعيين الاوروبيين كان أهم ثمرة من الثمار المشؤومة للحروب الصليبية ، لأن الصليبيين دمروا بيزنطة التي كانت على امتداد مئات السنين حصنا ضد جحافل البرابرة من كل شكل وطراز ، وبذلك فتحوا الطريق أمام الاجتياح العثماني □

---

* بعض الناس يمارس الحياة في اطار نفسه ، وكأنه يعيش في جزيرة معزلة

(برتراند رسل)

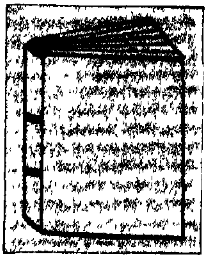

أم أيشين

والشهادة على زمن مضى

تأليف : دكتور جاسم الهاشمي

عرض : دكتور محمد حسن عبد الله

« أم أيشين » أو أم أي شيء » رواية مستفزة ، تشق الأعوام الطويلة ، لتقدم صورة تراجيدية للريف ، تنتفض بقوة الحياة ، وتنازل قسوة المقادير ، حتى وهي تعاني آلام الاحتضار بفعل الجفاف المميت » .

« أم أيشين » رواية شعرية ، وهي طفرة على طريق خاص للرواية العربية العراقية ، لا تشبه أي رواية أخرى فيها من « زينب » الدكتور هيكل أشباه ، وفيها من « موسم الهجرة إلى الشمال » للطيب صالح ملامح ، أهمها تلك الخصوصية الرائعة التي تحمل عبق الزمان والمكان ، فتصل إلى جوهر الانسان العام ، لصدق هذه الخصوصية .

« أم أيشين » اسم قرية صغيرة ، بائسة ، صنعت بيوتها من بوص الأهوار في جنوب العراق ، تعيش في عزلة عن الزمن ، وغياب عن العصر ، وقد عرفنا بعد مائتي صفحة أن ما يجري كان حول عام ١٩٤٤ ، ومع هذا فقد كانت غاية المتمنى أن يذهب الرجل إلى السوق ، إن كان من السادة ، أما رؤية مدينة العمارة ، أو التفكير في زيارة البصرة ، فهذا مما لا يسهل المجازفة به . نتأمل الاسم « أم أي شيء » فنجده يحمل معنى التناقض ، التنكير والتجهيل ، إنها أم أي شيء ، كلا شيء ، كما يعني أنها أصل كل شيء . كاتبها طبيب وأستاذ ، لم يستخدم خبرته العلمية ، ولا وعيه المنهجي وأسلوبه المعقم في كتابة الرواية ، لقد كتبها بكل ما في النفس الانسانية من أحلام البراءة والفطرة وحرارة الشوق لمعانقة الحياة فجاءت الرواية تضج حياة وموتا ، شعرا وواقعية عذرية وجنسا ، تساميا روحيا ، وتجديفا قلقا ، إن ليست حديقة زهور نسقتها خبرة البستاني ، بل هـ الغابة العذراء ، لم تطأها قدم إنسان ، فانطلق

صورها الرائعة بكل ما في العطرة من حمال الحرية

عندما تضحك الحياة

الحكاية في الرواية هي حكاية الحياة في القرية ، القرية هي البطل ، والطبيعة هي صانعة القرية ، إدا اقبل الربيع ، وأزهرت الصحراء الماحلة ، واحصرت سنابل القمح ، ضحكت الحياة ، وأزهرت القلوب بالحب ، فجرى الماء في سيقان النبات ، وفي قلوب العذارى والفتيان ، وإدا حاء الأزرق ، الشتاء ، أو استحكم الحفاف ، تحولت الطبيعة إلى صبع كريه ، مكشر عن أنيابه ، يرى الناس حِيفاً ، يبعي تطهير الأرض منها

للقرية سيد ، لم نعرف اسمه ، إن صفته المكتسبة بالانتساب إلى بيت ديي تكفي ليكون المطاع ، حول هدا السيد مجموعة من السادة ، من الدرحة الثانية ، لهدا يسميهم الناس « طيور السادة » ولهدا يحملون أسماء تميزهم ، مثل أهل القرية حاسم ، وباص ، ومادى هؤلاء لا يعملون في عير فلاحة الأرض ، وهم من حيث الانتماء العرقي أعوان للسيد ، ولكنهم في موقعهم الاجتماعي أقرب إلى سائر الناس ، يتبادلون معهم الصداقة ، والشتائم أيضا

تنقسم الرواية إلى ثلاثة أقسام ، متقاربة الحجم ، وإن لم تكن متقاربة المساحة الزمنية ، القسم الأول أقصرها زمانا ، ولعل الكاتب استخدم فيه ـ دون عيره ـ أسلوب استعادة الماضي ، عن طريق التذكر ، ليوازن بين هيمنة الراهن ، وتوضيحه بالكشف عن جذوره كل قسم يمضي في خطين متوازيين من حياة القرية في مجموعها ، وحياة عدد قليل من أفرادها ، هم الأكثر تمثيلا لطبيعة المرحلة القسم الأول هو الأكثر تماسكا ، لوضوح عنصر الحكاية ، ولامتزاج الخطين الممتدين في مساحات ست قليلة ، بحيث تبادلا الاشعاع ما بين الواقع الرمز ، فمن بين فتيان القرية وفتياتها يزهر حب ، له حذور قديمة بين حسن وفطومة ، يتوقان للقاء ، وتلتهب القرية بالجفاف ، فيأتي السيد « بماكينة » ، يضعها على النهر البعيد ، ويسوق جميع الرجال في القرية ـ سخرة ـ لحفر قناة ، تحمل الماء إلى مشارف القرية ، لري الأرض حسن يشارك في الحفر ، ويغني للرجال ، هو في الحقيقة يغني وحده الخاص ، حين يظهر المنافس العجوز المزواج « شحيت » ، وينال الحظوة لدى سلطان ، والد فطومة ، لأنه يملك المال ، يتغير سلوك حسن وفطومة ، ويغادران مشاعر العذرية ، ويقرران القفز فوق عوائق المجتمع ، يلتقيان بين السر والعلن ، فتتحول الأشواك من حولهما إلى ورود وفي اليوم الذي ينتهي فيه الرجال من حفر القناة ، ويفرحون بوصول الماء لأول مرة ، تشتعل البيوت نارا ، وهي من البوص ، في يوم عاصف ، ويكون الحبيبان من بين الضحايا ، وقبل أن يشرب الناس من الماء يغسلون موتاهم اقترن في هذا القسم الأول البحث عن الحب ، والبحث عن الماء ، وانهزم الحب حين أشعل « شحيت » الحريق ، وقضى على الحبيبين ، لكن الماء وصل القرية ، ومنه استمدت دوافع جديدة للاستمرار ، فانطوت على جراحها ، تطببها بالبناء من جديد ، إن رموز البقاء لاتزال صامدة ، لم يجرء الحريق على الاقتراب منها القلعة القديمة المطلة من فوق التل ، والمضيف ، والماء ، أو لنقل إنها التاريخ ، والايمان ، والعمل

ملـح الأرض

في القسم الثاني يختفي التركيز على شخصين ، بل ينقطع ذكر « فطومة » و « حسن » ، وتتحدد معالم الحياة الاجتماعية أكثر ، ما بين السيد ، وطيور السادة ، وملح الأرض من المعدمين جرت المياه ، فبدأ التحكم فيها ، ومن خلالها ، فنشب الصراع حولها إذ حال السيد بين القرية واستخدام الماء في حياتها اليومية ، إنه للزرع فقط ، و « الماكينة » لن ترفع

الماء من النهر إلا حين يحتاجه الزرع ثم إن للسيد من محصول كل فلاح حصة ، بحق السيادة ، وحصة لما بذل من ماله ثمنا « للماكينة » ، وللمضيف حصة ، فمن المحتمل ألا يبقى للفلاح شيء ، بل قد يخرج مدينا ، على أن السيد يشاغل القرية بأمل جديد ، بعد أن استنفد أمل الماء ، وانتهى إلى بقايا آسنة خضراء ، لا تجري إلا إذا عطش الزرع ، إنه يبشر القرية بالمدرسة ، لا يعرف أكثرهم ما المدرسة ، ولا ما هو القلم ، لكن السيد صرح أنه سيأتي بالمدرسة ، ويجعل من أبنائهم وزراء !! فما أروع هذا الأمل الجديد ، وما أحرى القرية أن تبنى المدرسة ـ سخرة ـ كما حفرت القناة سخرة ، وأن تكون لاهجة بالثناء على السيد في كل حال ، غير أن السيد الذي استطاع أن يبسط سيطرته على الماء لم يستطع أن يفعل الشيء نفسه مع المدرسة ، لقد بنيت في موقع بين القرى ، وليست ملاصقة لأم أيشين ، لقد أرادها أو أريد لها أن تكون بعيدة عن القرية ، لكن هذا البعد أدى إلى معرفة ومخالطة بين أولاد أم أيشين وأولاد القرى المجاورة ، فبدأ أفق الناس يتسع باتساع عالمهم ، وفي المدرسة سمع الأولاد لأول مرة كلمة جديدة ، عرفوا معناها الوطن ، وهذا الوطن اسمه العراق ، وله علم ينبغي أن يصفقوا له عندما يرتفع في ساحة المدرسة ، وحين يتحدث أحد المدرسين إلى السيد ، يطلب منه إطلاق الماء لترتوي المدرسة ، فيرفض ، وتظهر مخاوفه أو موقفه الحقيقي ، بدرجة تجعلنا نتشكك في أنه كان صاحب قرار المدرسة ، أو كان موافقا عليها ، إنه الآن يعلن أنه لم يوافق على أن يكون مقرها في أم أيشين ، فقد أراد أن تكون بمعلميها وطلابها وحكومتها بعيدة عن القرية ، أما وان هذا البعد النسبي لم يصرف الناس عنها ، فإن السيد مضطر أن يقف وراء متاريس الورع « أريدكم أن تعلموا أن المدرسة للكبار والصغار وحق أبريء ذمتي أقول : نعم ، إني غير متأكد من حرام المدرسة وحلالها » (ص ٢١٩) ، بهذا الموقف المتناقض ، الكاشف عن روح الاقطاعي في إهاب رجل الدين والزعيم الروحي ينتهي هذا القسم الثاني ، غير أنه اشتمل على حكاية حب أخرى ، فاجعة ، هي بمثابة رمز ، مستخلص من وضع المدرسة بين الأمل والمتحقق ، فقد أحب البدوي (منيهل) الفتاة الحسناء (حميدة) ، ابنة كبير الحمالة ، فاستعان بواحد من طيور السادة ـ جاسم مؤذن القرية ـ أخضر القلب ، فخطبها له ، والسيد ـ مهما كان موقعه من تسلسل السيادة في القرية ـ هو سيد بنسبه وشرفه لا ترد كلمته وهكذا تزوج منيهل من حميدة ، وعاشا سعيدين ، ولكن كبير الحمالة (وهم أشبه بالغجر في نشاطهم وقيمهم) قرر أن يسترد ابنته ، ويكره البدوي الفقير على طلاقها ، ليزوجها لرجل غني من الخليج وهكذا خطف حميدة بليل ، وهام زوجها البائس على وجهه في الصحراء ، لا يجد من يعطف على جرحه ، فتقوض حلم آخر من أحلام الحب ، بفعل الأب أيضا ، كما حدث بين حسن وفطومة ، ففي النهاية يلتقي خط المدرسة التي بدأت أملا ، واستقرت قلقا بين الحلال والحرام ، بخط منيهل وحميدة التي بدأت زوجة مخنونة وانتهت حزنا هائما ، لا هي زوجة ، ولا هي مطلقة !!

الحب الأقوى

يبدأ القسم الثالث بتاريخ محدد ، وشعور معلن « كان صباح ٢٠/ ٩/ ١٩٤٤ رائعا في « أم أيشين » ، فقد أصبحت المدرسة حقيقة مستقرة ، ومع تغير البنية الاجتماعية نتيجة ذهاب الأولاد إلى المدرسة تغيرت أشياء كثيرة ، لقد عرفوا كم هم فقراء ، مالا وإدراكا ، فقد طلب المعلمون منهم أن يلبسوا أحذية ، فكان الجواب « الحذاء يلبسه السادة » ، ثم من يذهب للسوق غير السادة » ، ولكنها بداية لا بد أن تؤتي ثمارها ، فقد تغيرت أساليب لعب الأولاد في شوارع القرية ، فبعد أن كانت مهارشة

لكلاب أصبحت اختبار الذكاء في المحفوظ من لشعر، وإجراء مسائل الحساب !! لقد خلا هذا القسم الأخير من حكاية حب بين رجل وامرأة، كما حدث في القسمين السابقين، ليفسح المكان لحب أقوى، حب الأرض، والارتباط بالوطن

جاء شتاء أزرق، كسا أرض أم أيشين برقائق الثلج، وقضى على الزرع، فصبر له قوم ولدوا في مهاد الصبر، حتى إذا جاء الربيع، وابتسمت أزاهيره، ظهر الجراد الأحمر فقضى على كل شيء، وكل أمل إن السيد العائد من رحلة الحج أصبح في حالة يأس الآن، حتى نصح الناس بالنزوح عن القرية، والرحيل إلى موقع آخر أحنى عليهم، وإذا كان من المستغرب أن يأتي هذا الحل من جهة السيد، فليس بمستغرب أنه ووجه بالرفض من هؤلاء الذين لم يجوا من قريتهم عبر الجوع والدموع !! إن الخط المزدوج في هذا القسم الثالث يقوم على التنافر، وليس على التوازي، ففي حين يبتعد السيد عن القرية - حسيا ومعنويا - يكون الناس أكثر تجذرا بها من خلال المعاناة نفسها، إن المفارقة في المشهد الأخير علامة على اختلاف المصير

وحدة الجو الروحي

لا يخفى ما بين الأقسام الثلاثة من انقطاع - ولو أنه جزئي أحيانا - أثر على جمالية الشكل الفني، وتماسكه حول محور أساسي، ولكن ما أهمية ذلك ونحن لم نغادر أم أيشين، ولم نبرح أجواءها المشبعة بالإيمان القدري الصارم، والفقر المادي المدقع، والحلم بيوم تنجلي فيه الكروب؟ على أن مستوى الصياغة الشعرية التي تسمو بالنفس إلى مستوى التراتيل لمقدسة، والتصوف في محراب الطبيعة، قد عوض لوحدة الموضوعية بوحدة الجو الروحي، وتناغم قاعات اللغة الشعرية، وصورها المبتكرة النادرة، لذاً يرتبط أقوى ما يرتبط بالطبيعة الصامتة، لمتحركة، الحانية والقاسية الطبيعة تحضر للمشهد وكأنها عزف الموسيقا الذي يهيء المشاعر لبلوغ ذروة خوف أو رجاء أو سعادة، وهي تتجاوب وأصداء الضمير كأنها الجوقة الإغريقية، ولولا أن الكاتب قد آثر القالب الروائي، وأبدع فيه هذا العمل الفريد، لتأكد الظن بأن موهبته الحقيقية هي الشعر، بدءا من توليد استعارات جديدة وصور مبتكرة، إلى تحقيق مبدأ الموسيقا الروحية التي تسري في العبارة سريان اللون والعطر في ورق الورد نكتفي بمثل واحد، ببعض ما صور به الحنطة في الحقل، وسنابلها الخضراء

« الحنطة في الليل تغني، كل سنبلة تغني، كل حبة تهمس لجارتها أغنية، سيقانها تدغدغ الأرض، وفي الليل تنحني السنبلة، وتصفع المياه بشعيراتها (ص ٩٣)

إن حواس هذا الشاعر الروائي تعمل في كل اتجاه، تلتقط الجديد المثير للدهشة من المألوف الدارج، حتى أشكال السحاب في الجو « الغيوم المردة التي بدأت ترتسم في السماء لوحات كثيرة، أقوام تغزو أقواما، وبحار تمهد على رءوس جبال، ومردة يمسكون بأعمدة هائلة، يهددون بها الأرض، وأسود تطارد أشباحا صغيرة، شبح ملتح وعليه عباءته يتناول القهوة، ويتأمل ما يجري على الأرض » (ص ١٥٠)، إن الجو الشعري يبسط أضواءه وعطره وحزنه الشفيف على الرواية كلها، فالصور هنا ليست تجسيدا أو تقريبا أو وسائل إيضاح، إن الكاتب يقدم كونا شعريا، يلتقط من سديمه المترامي قرية، هي شعر أيضا، فليس هذا الوصف مقصورا على الطبيعة، إنه ينبثق من إحساس الأشخاص، بصرف النظر عن أن هذا في مكنتهم أو خارج استطاعتهم، بل بصرف النظر عن الواقع القاسي في صورته المجردة الناصبة، فهكذا يبدو لصانعيه، وصانعوه هم أهل القرية، وليس الكاتب متحدثا باسمهم » □

مكتبة العربي

مختارات

الكتاب الصهيوبية المعاصرة
المؤلف د اميل توما
الناشر الدار العربية للشر والتوريع - عمان
عدد الصفحات ٣٣٩ من القطع الكبير
سة الشر ١٩٨٧

يصم هدا الكتاب مجموعة من المقالات كان قد كتبها المفكر الراحل اميل توما حول الفكرة الصهيونية ، من حلال تطبيقاتها العملية ، ومن حلال الدور الذي وحدت من أحل تنفيده

ومن حلال معرفته الوثيقة بممارسات هده الحركة التي تحولت من ايديولوجية حركة الى ايديولوجية دولة ، يعود المؤلف الى حدور الافكار الصهيونية الأصلية ، ومقولاتها الرئيسية ، ويدرسها في حركتها الدائبة ، وتحولاتها التي لاتتوقف،كما يتابع الاشكال الحديدة التي تتحدها هده الايديولوجية ، عندما تصطدم مالواقع الدي عملت الصهيونية عن التبؤ به والازمات التي لم تتوقعها

■■

الكتاب دهالير الزمن الممتد / قصص
المؤلف أبوبكر العيادى
الناشر دار الرياح الأربع - تونس
عدد الصفحات ١٢٥ صفحة
سة النشر ١٩٨٦

تضم مجموعة القاص التونسى المعروف ، ابو بكر العيادى الحديدة ١٦ قصة قصيرة ، كتبت كلها بين سنتى ١٩٨٠ و ١٩٨٣ ، ويغلب عليها الطابع الواقعى الذي مير قصص الكاتب مذ كان شابا ، ينشر في المجلة التونسية المتخصصة « قصص »

وشخصيات قصص العيادى مستمدة من واقع المجتمع التوسى ، وبشكل حاص من الريف ، وهو - الى دلك - يسيطر على الحبكة القصصية ، ويتحكم في كل تفاصيل البية

أما من ناحية المضمون ، فإن احد الافكار الاساسية التي نرع الكاتب في تصويرها ، هي الصراع بين الحيل التقليدى والحيل الحديد المفتح على الحضارات الاخرى ، سواء في الريف أو في المدينة ، من حلال صور وحالات احتماعية مختلفة وعميقة الدلالات ويعد القاص ابوبكر العيادي أحد أبرر المترحمين للقصص العالمى في تونس ، ولاشك أن سعة اطلاعه على الآثار العالمية البارزة في محال الرواية والقصة ساعده على تطوير مواهبه

■■

الكتاب أنا أنت والثورة . شعر المرأة في العالم الثالث
ترحمة واعداد إلهام ابو غزالة
الناشر مطابع القبس التجارية
عدد الصفحات ١٣٣ من القطع المتوسط
سة النشر ١٩٨٧

يطمح هذا الكتاب الى تقديم بانوراما شاملا لشعر المرأة في بلدان العالم الثالث المختلفة . وهو ع لايزال يبحث عن هوية خاصة به فامتزجت فيه الثو بالتمرد ، والشعر بالابداع ، والقضايا الاجتماء بمشكلات البحث عن هوية

وقد اختارت المؤلفة عددا من الشاعرات

ىلد مختلفة من العالم الثالث ، طرحن قضية المرأة التي تعيش ـ في ذلك العالم ـ أوضاعا خاصة ، امـ حت فيها الظروف الاجتماعية بظروف القهر والاستغلال والتخلف

والى جانب الشاعرات الآتيات من ذلك العالم ، قدمت المؤلفة شاعرات اميركيات وكنديات من أصول هندية حمراء وعربية وافريقية الـح ووضعت انتاجهن ضمن هذا الكتاب الذي ضاقت صفحاته عن اتساع الموضوع وشموله

■ ■

الكتاب الدليل اللغوي
المؤلف سليمان فياض
الناشر دار المريخ ـ الرياض
عدد الصفحات ١٥٠ من القطع المتوسط
سنة النشر ١٩٨٧

يمكن اعتبار هذا الكتاب الذي وضعه القاص والروائي سليمان فياض معجما وجيزا في الادوات والتراكيب والمهارات الكتابية ، كما هو مذكور على غلاف الكتاب

وميزة هذا المعجم أو الدليل هو تبسيطه لمشكلات لغوية غير معقدة لكنها شائعة في الكتابة اليومية ، تم عرضها عبر ترتيب ابجدي يسهل عملية الرجوع الى هذا المعجم الصغير الحجم ، مما يوفر على القارىء عناء الرجوع الى المعاجم والمراجع اللغوية والصرفية والاملائية التقليدية

■ ■

تاب آخر العنادل (شعر)
لف مصطفى فهمي
شر دار قرطبة ـ المغرب
النشر ١٩٨٧

الكتاب هو المجموعة الشعرية الاولى للشاعر مصطفى فهمي وقد رحب به النقاد كعلامة على ميلاد شاعر واعد ، وقال الشاعر عبدالله راجع في مقدمة المجموعة « حين تكون الاداة تكون القصيدة وحين يرتبط الشعر كتجربة ، بتجربة الاحتراق الداخلي ، تكون الشمانية لا أدرى كيف يمكن أن يعيش مبدع ما وجوداً شعريا ، لعل عنصر الصدق في التعامل مع الذات والعالم الخارجي ، يمكن أن يشكل عنصرا من عناصر تحقق هذا الوجود ، وهو شيء موجود في « آخر العنادل » باعتبارها خطوة في اتجاه منبع الحرائق »

قصائد « آخر العنادل » مكتوبة بلغة رقراقة ، وبايقاع شعري ههاف يجعلان من مصطفى فهمي واحدا من رموز شعر الثمانينيات في المغرب ، وهو الجيل الذي مدّ دراعيه ليعانق التجارب الشعرية المتقدمة في المشرق العربي ، دون أن ينقطع عن ارهاصات التجديد في اوروبا

■ ■

الكتاب أهم الامراض الجلدية ـ أسبابها اعراضها وعلاجها
المؤلف د محمد عبدالله المشاري
الناشر مطبعة الفيصل ـ الكويت
عدد الصفحات ٢٣٩ من القطع الكبير
سنة النشر ١٩٨٦

في هذا الكتاب جمع المؤلف ، وهو طبيب مختص في الامراض الجلدية والتناسلية ، مقالاته التي كان قد نشرها في عدد من المجلات الثقافية والعلمية المتخصصة ، والتي عرض فيها لعدد كبير من الأمراض الجلدية والتناسلية المنتشرة في العالم ، وفي وطننا العربي بشكل خاص

وقد اتخذ الكتاب بعد الذي يضم من المقالات المذكورة شكلا مرجعيا طبيا يستفيد منه القارىء العادى في التعرف على هذا اللون من الامراض التى تشمل امراضا جلدية ، بسيطة وشائعة مثل الثآليل ، وامراضا خطيرة ومدمرة مثل مرض الايدز □

مسابقة العربي الثقافية

العـــدد ٣٤٤
يـوليـو ١٩٨٧

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارًا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية
قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الاجابة عن عشرة اسئلة من الأسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي . مجلة العربي - صندوق بريد ٧٤٨ - الرمز البريدي 13008 - الكويت . « مسابقة العربي العدد ٣٤٤ » ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو ١٥ أغسطس ١٩٨٧

أرفق الحل مع هذا الكوبون

كوبون مسابقة العربي
العـــدد ٣٤٤

١ - قطعتان من ديناميت ، تزن كل منها نصف كيلو غرام ، فجرت إحداهما في الهواء من فوق تلة ، تقع على شاطيء البحر ، والأخرى ، من فوق صخرة قريبة ، لكنها مغمورة بمياه البحر - سمع صوت أحد الانفجارين من على بعد كيلو متر واحد تقريباً ، وسمع صوت الانفجار الآخر على بعد ٤٠٠٠ - ٥٠٠٠ كيلومتر . ترى أي الصوتين هو الذي قطع هذه المسافة الهائلة ، أهو الصوت الذي انتقل عبر الهواء ، أم الصوت الذي انتقل عبر الماء ؟

٢ - التلسكوب والمرقاب أيهما مكبر ، وأيهما مقرِّب ؟

٣ - الأطباق الطائرة ظاهرة خارقة لاريب ، لكنها ليست وقفا على العصور الحديثة كما يظن كثيرون ، فقد ظهر كثير منها في العصور الوسطى ، وظهر أحدها في عهد أحد الأباطرة الاوروبيين ، وقد أعلن هذا الامبراطور أن كل من يهبط على الأرض على متن طبق طائر يعتبر مجرما ، ويستحق العقاب ترى من هو الامبراطور ، علما بأن حكمه طويل امتد من سنة ٧٤٢م الى سنة ٨١٤م ؟

٤ - ابراهام لنكولن أحد رؤساء الولايات المتحدة ، يذكر له التاريخ فضل تحرير العبيد ، وقد أصدر إعلانه الشهير بتحريرهم في سنة ١٨٦٣ ترى متى تم تحرير العبيد في الولايات المتحدة

- عقب صدور إعلان لنكولن بتحريرهم مباشرة ؟
- قبل صدور الإعلان بنحو سنتين ؟
- بعد صدور الإعلان بنحو سنتين

٥ ـ استسلمت اليابان في الحرب العالمية الثانية تاريخ ١٠/٨/١٩٤٥م بسبب إلقاء الولايات المتحدة القنبلة الذرية على إحدى المدن اليابانية تاريخ ٩/٨/١٩٤٥ . ترى ما اسم تلك المدينة ؟

٦ ـ درجة الصفر المطلق تعادل ٢٧٣,١٥ درجة مئوية تحت الصفر و ٤٥٩,٦٧ درجة فهرنهيت تحت الصفر فأين توجد هذه البرودة القصوى ؟

* في القطب الشمالي
* في القطب الجنوبي
* في إحدى بقاع سيبيريا

٧ ـ ما الفرق بين مصارعة الجودو اليابانية ومصارعة الجوجتسو ؟

* لا فرق بينهما
* مصارعة الجوجتسو هي الأصل الذي اقتبست عنه مصارعة الجودو
* مصارعة الجودو هي الأصل الذي اقتبست عنه مصارعة الجوجتسو

٨ ـ بهارات هو الاسم الذي يطلقه الهنود على بلادهم ـ فأي الشعوب يطلق اسم (هلفسيا) على بلده ، كما تدل على ذلك طوابعه البريدية ؟

٩ ـ من المعروف أن الفروسية في أوروبا إبان ون الوسطى قد أوجبت على الفارس ارتداء ع واقية كالثياب ، ويذكر عن تلك الدروع كانت ثقيلة الوزن ، بحيث ان الفارس كان حة إلى من يساعده على النهوض إذا سقط عن فرسه . ترى كم بلغ وزن تلك الدروع بالتقريب ؟

* مائة كيلو غرام
* خمسين كيلو غراما
* خمسة وعشرين كيلو غراماً

١٠ ـ شبت النار في روما ، في القرن الأول ، أيام حكم الامبراطور نيرون . ترى من تسبب بذلك الحريق ؟

١١ ـ هناك (الجيوكندا) ، وهناك الأناكوندا ، والجيوكندا هي الموناليزا ، لوحة الفنان ليوناردو دافنشي الشهيرة ، فما هي الأناكوندا ؟

* إنها لوحة فنية منافسة ، رسمها الفنان روفائيل ، بقصد منافسة ليوناردو دافنشي
* الأناكوندا والجيوكندا اسمان للوحة واحدة
* الأناكوندا حية ضخمة ، تعيش في أمريكا الجنوبية

١٢ ـ غزا يوليوس قيصر بريطانيا في شهر أغسطس سنة ٥٥ ، ومع أنه انتصر وسحق المقاومة التي اعترضت سبيله إلا أنه لم يقطف ثمار نصره ، بل قرر العودة إلى روما ، في شهر سبتمبر من السنة المذكورة . ترى لم فعل ذلك ؟

* بسبب مرض معد تفشى في جيشه
* بسبب محاولة الانقلاب التي بلغه خبرها ، والتي قام بها بعض خصومه في العاصمة الرومانية
* بسبب المد والجزر الذي أغرق بعض سفن أسطوله □

مسابقة العدد ١٤١

١ ـ اللحية معروفة إنها شعر الخدين والدقن ، وجمعها ـ لِحَى ولُحَى والنسبة (لحوي)

أما اللَّحي فهو عظم الحنك الذي عليه الأسنان ، إنه منبت اللحية

٢ ـ الحيوانات الثلاثة المذكورة كلها لاتميز الألوان بما فيها الثور ، فالذي يستثير الثور في حلبة المصارعة ليس اللون الأحمر ، وإنما هو حركة المصارع ، وصجيج الجمهور

٣ ـ الزنبور (الدبور) ، وهو الذي يلسع ، لا ذكر النحلة وهو اليعسوب ، هذا بالاضافة إلى النحلة الأنثى التي اشتهرت بلسعتها ، على أن النحلة لاتموت إثر لسعتها إلا في الحالات التي تفقد فيها إبرة اللسع ، بعضها أو كلها

٤ ـ لامنافس للأرنب من حيث التكاثر ، فأنثاه تستطيع البدء بالانجاب وهي في الشهر الرابع من عمرها ، وتستطيع حمل (٩) أجنة في بطن واحد ، ولايطول حملها أكثر من ٣١ يوما ، وتستطيع الحمل ثانية بعد وضعها مباشرة (تقريبا) ، ويؤكد العلماء أن مايستطيع إنجابه ذكر واحد وأنثى واحدة من الأرانب في غضون ٣ سنوات يبلغ ٣٣ مليون أرنب ، على أن ٩٠/ من الأرانب تفترسه بعض الحيوانات

٥ ـ الفئران لاتفضل الأجبان ، بالرغم مما تؤكده أفلام (الكرتون) وقصص الأطفال ، فالخبز والمكسرات والخضار الطازجة هي الأكلات المحببة للفئران ، حسبما تؤكده العلوم

٦ ـ العصفور الطنان يستطيع الطيران إلى الخلف ، وهو عصفور صغير ، يعيش في غابات أمريكا ، وعلى رحيق زهور أشجارها . وهو يرفرف بجناحيه بمعدل ٥٠ ـ ٨٠ مرة في الثانية فيحدث ذلك الطنين الذي سمي بالطنان نسبة إليه

٧ ـ الخنزير هو أقرب الحيوانات إلى الانسان من حيث قابلية أعضائه للزرع في الجسم البشري فصمامات قلبه يمكن أن تحل محل صمامات قلب الانسان ، وجلده قد استعمل بنجاح لمعالجة الحروق البالغة في جسم الانسان ، ويعزى ذلك إلى أن أعضاء الخنزير كبيرة الشبه بأعضاء جسم الإنسان من حيث التركيب الكيماوي

٨ ـ لبن الأتان أقرب إلى لبن المرأة من لبن الناقة ، ومن لبن البقرة ، كما يدل على ذلك الجدول التالي ـ

	الزلال	اللاكتوز	الزبد	الحريرات
لبن المرأة	١٥ ع	٦٣ غ	٣٨ غ	٦٥٠ حريرة
لبن البقرة	٣٣ غ	٥٥ غ	٣٧ غ	٧٠٠ حريرة
لبن الأتان	١٦ غ	٦٠ غ	٢٧ غ	٤٦٠ حريرة

ابريل ١٩٨٧

هذه هي المقادير التي يحتوي عليها لتر واحد من الألبان الثلاثة المذكورة

٩ ـ الفيل هو صاحب أطول أنف بين الحيوانات جميعا ، ودون منازع ، وذلك لأن خرطومه هو أنفه ـ وقد يبلغ طول خرطومه مترين !

١٠ ـ الديناصورات لم تكن كلها ضخمة ، بعضها لم يتجاوز حجمه حجم الديك الرومي ، على أن الاعتقاد السائد بأن الديناصورات كلها ضخمة له مايبرره ، فالاسم نفسه (ديناصور) وهو يوناني الأصل إنما يعني « الضخم المفزع »

١١ ـ البطريق لايبني أعشاشا ، بل يحتفظ ببيضه فوق قدميه ، وهو يضعه على الأرض ، ثم لايلبث أن يرفعه فوق قدميه ، نظرا لبرودة الأرض البالغة في القطب المتجمد الجنوبي ، وخوفا على البيض من التجمد، والبطريق المقصود هنا من فصيلة البطريق الملك أو الامبراطور ، وهو أكبر فصائل البطريق حجما

١٢ ـ الهامة رأس كل شيء ، ورئيس القوم وسيدهم ، ولها معان أخرى غير ذلك

* * *

الفائزون في مسابقة العدد ٣٤١ ابريل ١٩٨٧

الجائزة الاولى **عبدالمجيد طواف** / حي الحوادرية / مدينة خريبكة / المملكة المغربية

الجائزة الثانية **موسى سلمان محمد عبد المنعم** / سعاري / ليبيا

الجائزة الثالثة . **المنصف السالمي** / المعهد الثانوي نصر الله / القيروان / تونس

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ **ابراهيم محمد يوسف النهاري** / جامعة صنعاء / كلية التربية / الجمهورية العربية اليمنية

٢ ـ **عفاف عالب عبدالكريم** / خورفكان / دولة الامارات العربية المتحدة .

٣ ـ م **عبدالله محمد السلمي** / كلية الانصار العربية / كيرالا / الهند

٤ **طارق عثمان محمد علي** / محطة ١٠ / البرارى / السودان

٥ **هيثم عبدالله جاسم الخياط / محافظة بغداد / قضاء المحمودية / العراق**

٦ **سافيناز محمد احمد نصر** / كفر الزيات / جمهورية مصر العربية

٧ **ائق بن سيدو ديكو** / دمشق / الجمهورية العربية السورية .

٨ **سم حمودة عاشور** / المدينة المنورة / المملكة العربية السعودية

معركة بلا سلاح

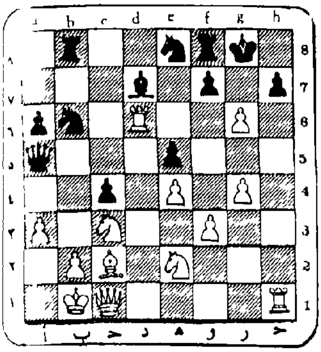

«في الأردن نهضة (شطرنجية) ، تثلج الصدور ، وتبشر بغدٍ مشرق لهذه اللعبة في البلاد» ، بهذه العبارة الموجزة أعرب الأستاذ الدولي الروسي فلاديمير غريغوريف عن إعجابه بالمستوى الذي حققه اللاعبون الأردنيون .

كان ترتيب الأردن التاسع بين الأقطار العربية المشاركة في الأولمبياد السادس والعشرين للشطرنج ، المنعقد في مدينة (سالونيكا) اليونانية ، برصيد قدره (٢٤,٥ نقطة) ، وقد حافظ على نفس المركز في الأولمبياد الأخير ، المنعقد في أواخر العام الماضي ، في مدينة دبي ، وهو أول أولمبياد تم عقده على أرض عربية ، وكان رصيده (٢٧ نقطة) ، وقد كان ترتيب البطل الأردني بهجت الريماوي الخامس في البطولة العربية الرابعة المقامة في تونس العاصمة

ومن الأبطال الأردنيين المرموقين اللاعب حافظ بكر ، بطل الأردن لعدة سنوات سابقة ، واللاعب حسين البطيحي الذي حمل بطولة بلاده لعامي ١٩٨٤ ، ١٩٨٥م إلى أن فاز بها بطل الأردن الحالي بهجت الريماوي

والدور الذي اخترناه لكم في هذا العدد من الأدوار المميزة بين بطل الأردن السابق حسين البطيحي واللاعب الأردني الناشيء محمد يوسف داود (٢١ سنة) الذي يبشر بمستقبل واعد ، والدور من دفاع الملك الهندي

	☐ محمد يوسف داود	■ حسين البطيحي
١	د٤	ح - و٦
٢	جـ٤	ر٦
٣	ح - حـ٣	ف - ر٧
٤	هـ٤	د٦
٥	و٣	حـ٦
٦	ف - هـ٣	ح ب - د٧
٧	و - د٢	أ٦
٨	ف - حـ٦	ف × حـ٦
٩	و × حـ٦	و - ب٦
١٠	ت ت	و - أ٥
١١	ز٤	ب٥
١٢	م - ب١	ب × حـ٤
١٣	ف × جـ٤	ر - ب٨
١٤	ح ز - هـ٢	و - ب٤
١٥	ف - ب٣	جـ٥

الفائزون في حل مسابقة الشطرنج

العدد ٣٤١
ابريل ١٩٨٧

الفائزون باشتراك سنة كاملة

١) سامية العشري - بركات/ السودان
٢) محمد أبو التوت - قويبا / تركيا
٣) محمد عامر - مصر القديمة / ح م ع
٤) ربيع رسلان - حمص / سوريا
٥) هده شرف الدين - تونس

الفائزون باشتراك ستة أشهر

١) حمدي عبد الراصي - القاهرة
٢) مي فؤاد - عمان / الأردن
٣) عسان صلاح - الشعب / الكويت
٤) ابراهيم الشوبكي - الرياض / السعودية
٥) نبيل ابراهيم عدوان - عريان/ ليبيا

١٦	و - حـ ١	حـ ٤
١٧	ف - أ٤	ت
١٨	حـ ٤	هـ ٥
١٩	حـ ٥	ح - ب ٦
٢٠	أ٣	و - أ ٥
٢١	ف - حـ ٢	ف - د٧
٢٢	د × هـ ٥	د × هـ ٥
٢٣	ر - د٦ ! بديعة	ح - هـ ٨
٢٤	حـ × ر٦ (مهدداً مات لو أخذ بالحصان (الشكل)	
٢٤		و × ر٦
٢٥	و - حـ ٦	ر × و٣
٢٦	و × حـ ٧	م - و٨
٢٧	ر × ر٦	ر - و٧
٢٨	و - حـ ٨+	م - هـ ٧
٢٩	و - حـ ٤+	ح - و٦ (مصطراً)
٣٠	ر - و١	ر ب - و٨
١	ح - ز٣	و - حـ ٥
٢	ح - حـ ٥	و - د٦
٣	ز٥ !	ثم يستسلم الأسود بعد النقلة ٣٩

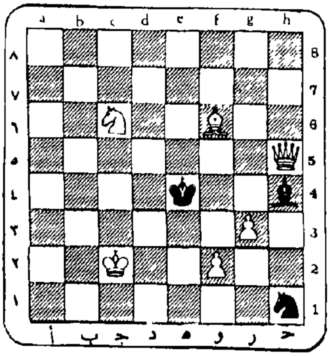

مسألة العدد ٣٤٤

مات ٢

مهداة من القاريء محمد صلاح مبروك (عُمان)

حل مسألة العدد ٣٤٢ مايو ١٩٨٧

١	ر - حـ ٤+	م - ر٦
٢	و٨= كش مات	

العربي ـ العدد ٣٤٤ ـ يوليو ١٩٨٧ م

على هذه الصفحات .. ترحب "العربي

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

حوار القراء ..

المثقفون العرب بين الحسرة والأمل

○ بهذا العنوان جاء حديث الشهر في مجلة « العربي » ، العدد ٣٤١ ، شهر ابريل سنة ١٩٨٧ للدكتور محمد الرميحي

وفي المقال نقاط جديرة بالتأمل والتعليق ، أولها « مصطلح الثقافة » ، فقد استعمل العرب كلمة ثقافة بمعان كثيرة ، من أبرزها ـ وهو ما يخدم المقال ـ الثقافة بمعنى التقويم والتهذيب ، قال ثقفت الرمح ، إذا هذبته ، وقومته ، وأيضا الثقافة بمعنى الحذق والمهارة ، وقد وردت أيضا بمعنى الوجود ، والتمكن ، والغلبة ، وهي معان تشير إلى النقطة الثانية التي ينبغي أن نتوقف عندها في هذا المقال ، وقد أوردها الكاتب في شكل تساؤل ما هو دور المثقفين العرب ، في تبصير الأمة ، بتلك المخاطر التي لا تهددها الآن فقط ، وإنما تهدد بقاء أجيالها القادمة ، كالتشتت العربي ، والحروب القطرية ، والأهلية ؟ وما هي المخارج المعقولة لهذا الضياع الكبير ؟

والسؤال المطروح هنا من هو المثقف العربي القادر على أن يبصر الأمة بمثل هذه المخاطر ؟ هل هو ذلك المثقف الذي تشرب بثقافة الغرب وحده ، أو الشرق وحده ، دون ثقافة أمته العربية ، ودون أن يستخدم ثقافته الحديثة ، ومهما يكن مصدرها لاخصاب ثقافته القومية ، وإحداث نوع من الثورة فيها والتجديد الذي يحترم أصولها ويحميها ؟

ان المثقف الذي يدين لثقافة الغرب وحدها ، أو الشرق وحدها ، قد يجد نفسه دون أن يدري يعمل لخدمة هذا التشرذم والتمزق الواقع في أمته

النقطة الثالثة نحن ندرك أن مثل هذا المثقف موجود ، لكن أين يجب أن يمارس دوره ؟ هل يمارسه فقط بالكتابة في المجلات الثقافية ، والكتب ، وشتى وسائل الاعلام ، أم أنه من الضروري أن يمارسه في البيت ، والشارع ، والمدرسة ، والجامعة ، وحيث يعمل ، ويتخذ القرارات في أي مؤسسة من مؤسسات الدولة والمجتمع ، لقد سمعت شكوى طالب بقسم اللغة العربية بإحدى كليات الآداب ، من أن بعض أساتذته يدرسون باللغة العامية ، فهل تلك هي الطريقة المثلى للمحافظة على تراث الأمة ، والسعي لنهضتها ، على أساس قوي ؟

النقطة الرابعة والاخيرة (أن بعض المثقفين العرب ذهب إلى اتهام الشخصية العربية بأنها شخصية ثنائية ، تحمل الشيء ونقيضه في الوقت ذاته) وهذا الاتهام رغم خطورته لا نستطيع نفيه كما اننا لا نستطيع تعميقه ، فالثنائية موجودة ، لكن المثقف الواعي الذي يدرك اتجاه التطور ، هو الذ يغلب في هذه الثنائية الجانب الذي يخدم التطور عل الجانب الآخر الذي يمثل الرواسب القديمة التي ق تبقى مؤثرة حتى على سلوك بعض المثقفين

وهذا المثقف الواعي هو الذي ينمي في داخ

أفضل ما في تراث أمته ، ويأخذ من الثقافات الحديثة أفضل ما فيها مما يوشك أن يصبح تراثا للانسانية كلها

حمودي أحمد سعيد
السودان / الخرطوم

رسالتان وسؤال واحد

○ الرسالة الأولى من الدكتور شريف زكريا عبد لرحمن ، مدرس بقسم الكيمياء الطبية التطبيقية ، معهد البحوث الطبية ، بجامعة الاسكندرية وقد جاء في هذه الرسالة

قرأت أحد موضوعات العدد ٣٤١ - ابريل سنة ١٩٨٧م من مجلة العربي بعنوان « مرضك هل له علاقة بالكهربائية » ، للدكتور سامي عزيز ، وقد ناول هذا الموضوع جهود العالم السويدي د / جورن نورد نشترم لعلاج السرطان بالكهرباء ، ولما كانت أغلب الأبحاث في قسم الكيمياء الطبية بمعهد البحوث الطبية تدور حول السرطان ، فقد أثار هذا الموضوع اهتمامي ، لذلك أرجو أن تتكرموا بارسال عنوان الدكتور / بجورن نورد نشترم إليّ ، حتى أتمكن من مراسلة هذا العالم ، والحصول على معلومات علمية دقيقة عن أبحاثه

ملا أن تسرعوا بالرد ، لنتمكن - في معهد البحوث الطبية - من دراسة جدية هذا الاتجاه الجديد له ح السرطان ، وإمكانية تطبيقه في مصر ، و لي في الوطن العربي

رسالة الثانية من الدكتورة صفاء كيرتاه ، من ق التخدير بجامعة الاسكندرية ، وتحمل تقريبا ال مام نفسه بموضوع المقال ، والرغبة في معرفة عنوان العالم السويدي ، لمراسلته ، ومناقشته ، في أبحاثه

العربي

ولما كنا في مجلة « العربي » لا نملك عنوان الدكتور « بجورن نورد نشترم » ، فإننا ننشر هنا عنوان كاتب المقال الدكتور سامي عزيز ، ليتمكن الكاتبان الفاضلان اللذان كتبا للعربي من مراسلته ، لعله يرسل لهما عنوان العالم السويدي ، أو لعله يرسل العنوان للعربي ، فننشره ، ليستفيد بذلك كل من يهمه الأمر ، وهذا هو عنوان الدكتور سامي عزيز ص ب - رابغ - السعودية

مجلة الثقافة العالمية

○ قرأت في الصفحات الأخيرة من مجلة « العربي » إعلانا عن مجلة جديدة ، هي مجلة « الثقافة العالمية » ويشير الاعلان إلى أنها تترجم الجديد في الثقافة والعلوم المعاصرة ، لكن هذه المجلة الهامة جدا - كما هو واضح من الاعلان - لا تصل إلى مدينتي « حائل » ، بالمملكة العربية السعودية ، لذلك أرجو أن تنشروا في باب حوار القراء بعض المعلومات عن هذه المجلة ، مثل سعرها ، وقيمة الاشتراك السنوي ، ومتى بدأت تصدر ؟ ولكم الشكر

عامر حوراني
حائل / السعودية

العربي

مجلة الثقافة العالمية ، تصدر دورية ، كل شهرين ، عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت

حوار القراء..

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

وقد صدرت المجلة لتقديم الجديد من تيارات الفكر العالمي، في مختلف ميادين المعرفة إلى القارىء العربي عن طريق الترجمة، وهي ليست متخصصة، لهذا فهي تعطي ميادين عديدة، منها نظريات الفكر، والسياسة، والتنمية، والفنون، والآداب، والانسانيات، ومبتكرات التقنية، وآفاق العلوم، والمستقبليات، الخ

الاشتراك السنوي ٣ دنانير في الكويت، و٤ دنانير في أقطار الوطن العربي، خارج الوطن العربي ٢٠ دولارا متضمنة أجر البريد

الارهاب من زاوية عربية

○ تعقيبا على مقال الدكتور فؤاد زكريا « الارهاب من زاوية عربية » الذي نشر في العدد ٣٣٩ فبراير سنة ١٩٨٧م من مجلة « العربي » وصلتنا عدة رسائل، ولا يسعنا في حدود هذا الباب إلا أن نختار من بين ما ورد في هذه الرسائل ما يلقي الضوء على موقف هؤلاء القراء من هذه القضية

ضمن ما جاء في رسالة السيد علي حسين مراد - من دمشق - أن الدكتور فؤاد زكريا محق في قوله إن الاعلام الأمريكي يتحكم في الصورة التي تكونها معظم الشعوب عن الارهاب من وجهة النظر الأمريكية، وهو كل عمل يمس مصالحها، ولو كان هذا العمل ردا على محاولة إبادة شعب بأكمله، فهل نضعف في الدفاع عن حقنا، في وقت يقوى فيه عدونا على فرص باطله، إن الارهاب الأمريكي وحده مبرر، يمنحنا حق استخدام العنف الثوري، وبخاصة إذا أمكننا أن نصل إلى بعض نقاط الضعف في عدونا، لنجعلها من أهداف نضالنا

إذ ماذا يتوقع العالم من إنسان رأى - بأم عينه - أباه يقتل في دير ياسين، وأخاه يستشهد في كفر قاسم وابنه يذبح في صبرا وشاتيلا؟ هل نتوقع منه أن يجلس ليفكر بهدوء في كيفية إتقان رد على تلك المجازر، بحيث لا يغضب أعداءه، أو الرأي العام العالمي؟

وضمن ما ورد في رسالة طويلة للقارىء علي أبو أحمد - من دمشق - إذا استعرضنا مقال الدكتور فؤاد زكريا نجد أنه في البداية يقول عن العالم العربي بأنه كان إلى عهد قريب استعماريا، وكأنه بهذه العبارة يعطي للاستعمار الغربي صك البراءة من الأعمال الوحشية التي ما زال هذا العالم يدعمها، بشكل مباشر، أو غير مباشر كالذي تقوم به دولة جنوب أفريقيا، أو « اسرائيل »

وإذا عدنا إلى مقال الكاتب نجد أنه يرى « أن اختطاف طائرة مدنية، أو قتل عجوز مشلول، وإلقاءه في البحر من سفينة مخطوفة، سيلفت إلى أنظار العالم، بأسوأ صورة يمكن تخيلها، إلخ »

أريد أن أشير إلى أن رأي الكاتب يمكن أن يكون صحيحا، لكن سبب هذا هو تقصير الاعلام العربي، فهذا الاعلام لم ينقل للعالم - بنفس قوة الاعلام الأمريكي أو الغربي - ما حدث قبل ذلك حين قصفت « اسرائيل » بيروت بآلاف الأطنان من القنابل الحارقة، وعندما دمرت المخيمات الفلسطينية أثناء اجتياح لبنان عام ١٩٨٢، قبل ذلك كله، عندما أسقطت طائرة مدنية فوق سماء وعندما خطفت الطائرة الليبية إلخ

وضمن ما جاء في رسالة السيد مصطفى محمد عطيفي - من أسيوط - « إن الارهاب صناعة غربية

وليس عربية ، فأول من نادى باستخدام الارهاب كوسيلة لتحقيق الأهداف هو المفكر الفرنسي « هو يان موست » ، بل إن أقدم المنظمات الارهابية وهي المافيا قد خرجت من أوروبا ، ويرجع تاريخها إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى ، وقد عقدت بعض المنظمات الارهابية الأوروبية ثلاثة مؤتمرات ، اثنان منها في قلب أوروبا ، والأخير كان في مدينة لشبونة البرتغالية وفي مدينة نيويورك تقع جريمة كل خمس دقائق إلخ

« التدخين هذا المبيد البشري » مرة أخرى

○ جاء في عدد ٣٤٠ مارس سنة ١٩٨٧ من مجلة « العربي » بعنوان « التدخين هذا المبيد البشري » ، تعقيبا على نفس المقال المنشور في عدد ٣٢٠ يوليو سنة ١٩٨٥ . ولما كنت أنا كاتب المقال الدكتور بدوي بدران فاسمحوا لي بالرد على الأخ القارىء خالد مرعي الذي يقول في تعقيبه « أن هناك تناقضا في المعلومات ، حيث ورد أن التدخين يؤدي إلى توسيع الأوعية الدموية وتضييقها في آن واحد وخلاصة الرد أن التدخين يوسع الأوعية الدموية ويضيقها لكن ليس في آن واحد ، بل على مرحلتين ، فجميع الدراسات العلمية تشير إلى أن النسبة القليلة من (النيكوتين) في الدم توسع الأوعية الدموية ، فترة قصيرة ، ومع استمرار التدخين ، وازدياد نسبة تركيز (النيكوتين) في الدم تضيق الأوعية الدموية ، لكن يستمر ذلك فترة زمنية أطول ، وهذا التوسيع والتضييق يحدث بتأثير (النيكوتين) على الجهاز العصبي المركزي ، وعلى الخيوط العصبية ، فالنسب القـ من (النيكوتين) تزيد من مرور الاشارات العـ ـية ، فيحدث التوسع الذي يؤدي الى تحسن الـ ـة الدموية في الدماغ ، وبالتالي يحدث الا ـن ، ويزول وجع الرأس ، ومع ازدياد نسب الـ ـن يقل مرور الاشارات العصبية الأمر الذي يؤدي إلى تضييق الأوعية الدموية ، وبالتالي يؤدي إلى الشعور بالخمول ، وتوتر الأعصاب ، مما يدفع بالمدخن إلى تناول سيجارة أخرى ، وهكذا

التدخين وعلاقته بالضعف الجنسي

ويواصل الدكتور بدوي بدران تعليقه على نقطة أخرى ذات صلة بالتدخين في رسالته نفسها على النحو التالي

« اسمحوا لي أن أبدي ملاحظتي بالنسبة لما ورد في نفس العدد ٣٤٠ صفحة ١٧٨ بعنوان « ضعف الحيوانات المنوية » الذي ورد في أن لا تأثير للتدخين أو الكحول على قضية الضعف»

وأود أن أشير إلى أن الدراسات العلمية والملاحظات السريرية تدل على أن التدخين يضعف الجنس عند الرجال ، كذلك يقلل الرغبة عند النساء ، فالاحصائيات الطبية تشير إلى أن ١١/ من الرجال الذين يعانون من ضعف جنسي هم من مدمني التدخين ، وفي تقرير للدكتور « اكتون اوكستر » ، وهو كبير مستشاري مؤسسة أوكسترا في ولاية نيواوليز الامريكية ، وكبير الحملة الامريكية ضد التدخين يقول « إن التدخين يعتبر عاملا مهما في ضعف الناحية الجنسية عند الرجل »

وفي تقرير للدكتور كارل شيرن « من جامعة هامبرغ الالمانية الذي درس أنماط الاخصاب لدى عشرة آلاف شخص ، فلاحظ ضعفا في حركة الحيوانات المنوية عند الرجال المدخنين الذين يعانون من ضعف جنسي ، وبعد تركهم التدخين أظهرت الفحوصات تحسنا في قدرتهم الجنسية ، كذلك تحسنا في حركة الحيوانات المنوية ، وأن كثيرين استطاعوا إنجاب أطفال ، ويمكن تفسير هذه الحالات بأن (النيكوتين) يؤثر على مراكز الانتصاب العصبي ، وعلى إفرازات الغدد الجنسية ، فمن الثابت علميا أنه يؤثر تأثيرا ساما على الخلايا التناسلية ، فيؤدي إلى ضعف إفرازاتها وإلى نقص الافراز ، وكذلك يحدث

العربي
ص ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

حوار القراء..

ضمورا في الخصيتين ، وقد تصبح الواحدة في حجم البندقة ، كذلك يسبب استرخاء في العضو التناسلي ، ويجعل الحيوانات المنوية ضعيفة ونادرة ، وأثبتت الدراسات الطبية أن أكثر من ثلث مدمني الكحول يعانون من ضعف جنسي ، وضمور في الخصيتين

وغير ذلك هناك تقارير طبية كثيرة ، تشير إلى تأثير التدخين ، والكحول على الناحية الجنسية

الدكتور / بدوي بدران
عمان / الاردن

الهندسة الوراثية

○ قرأت في العدد ٣٤٠ مارس سنة ١٩٨٧ من مجلة « العربي » ، في باب مكتبة العربي عرضا لكتاب « تجارة الجينات » لادوارد يوكسن ، بقلم بهاء الدين محمود ، وقد سعدت لفتح باب جديد عن علم الهندسة الوراثية ، لكن ما تم نشره لا يكفي ليشبع القاريء لهذا الموضوع الهام ، فقد عرضت المجلة مقاطع من الكتاب دون تفصيل ، وأملنا جميعا أن نرى على صفحات مجلة « العربي » موضوعا مفصلا عن علم الهندسة الوراثية ، وأهم ما توصل إليه العلماء في هذا العلم ، ولكم الشكر

عادل السيد سرايا
ح.م.ع / فاقوس شرقية

العربي

ليست هذه أول مرة تنشر فيها مجلة « العربي » عن علم الهندسة الوراثية ، وطبعا لن تكون الأخيرة ، ولن يفي مقال واحد أو عدة مقالات بحاجة المتابعين والمهتمين من القراء ، للاحاطة بتفاصيل هذا العلم ، وأهم ما توصل إليه العلماء في مجاله لكل بعد القاريء ، وندعو المختصين للكتابة في هذا العلم الجديد الهام ، ومتابعة ما يجد فيه

عنوان الدكتورة بربارة شاهين

○ قرأت في العدد ٣٣٩ فبراير سنة ١٩٨٧ من مجلة « العربي » استطلاعا بعنوان « العرب في أمريكا » الحلم الامريكي ، والوهم المغترب ، وإني إذ أشكر للقائمين على مجلة « العربي » جهودهم من خلال هذه الاستطلاعات ، في تزويد القاريء بصور حية ، ومعلومات هو في أمس الحاجة إليها ، عن مختلف بلاد العالم ، فأرجو من الاستاذ صلاح حزين كاتب الاستطلاع المساعدة في الاتصال بالاستاذة بربارة شاهين ، المديرة التنفيذية للجنة مكافحة التمييز ضد العرب ، وشكرا ،

م سائدة الجمال
حلب - جامعة حلب / كلية الآداب

العربي

يسرنا ان نقدم للقارئة الكريمة عنوان الدكتورة بربارة شاهين ، ويمكنها الاتصال بها في العنوان المذكور

1731 Connecticut Avenue N.W ,
Washington ,D.C 20009

عناوين أخرى مطلوبة

● وللقارئة الدكتورة سحر الحاجة / حماة / سوريا نقدم عنوان الدكتور محمد بهاء سويلم / ص ب ٥١٣٦ - هليوبوليس غرب مصر الجديد - القاهرة - ١١٧٧١ جمهورية مصر العربية □

بسم الله الرحمن الرحيم

مؤسسة الكويت للتقدم العلمي

جائزة الكويت

تمشيا مع أهداف مؤسسة الكويت للتقدم العلمي وتحقيقا لاغراضها في تدعيم الانتاج العلمي وتشجيع العلماء والباحثين ، تقوم المؤسسة بتخصيص جوائز في مجالات العلوم والاداب والفنون والتراث وذلك وفق برامجها السنوية وتسجل المؤسسة من خلال هذه الجوائز اعترافها بالانجازات الفكرية المتميزة التي تخدم التقدم العلمي وتساعد على النهوض بالمجهودات المبذولة لرفع المستوى الحضاري في مختلف الميادين

وموضوعات جائزة الكويت لعام ١٩٨٧ في المجالات الخمسة هي كما يأتي -

١ - العلوم الاساسية الميكروبيولوجيا Microbiology
٢ - العلوم التطبيقية الهندسة الميكانيكية Mechanical Engineering
٣ - العلوم الاقتصادية والاجتماعية السياسة المصرفية في الوطن العربي Banking Policy in the Arab World
٤ - الفنون والاداب الشعر Poetry
٥ - احياء التراث العربي والاسلامي الفيزياء في التراث العربي Physics in Arab Heritage

وتخصص المؤسسة سنويا جائزتين مقدار كل منهما (١٠ د ك) عشرة آلاف دينار كويتي في كل مجال من المجالات المذكورة ، جائزة لواحد (او اكثر) من ابناء دولة الكويت واخرى لواحد (او اكثر) من أبناء البلاد العربية الاخرى كما تقدم المؤسسة مع الجائزة النقدية درع المؤسسة وشهادة تقديرية تبين مميزات الانتاج بصورة مختصرة

ويتم منح جائزة الكويت وفق الشروط الاتية

١) يجب ان يكون الانتاج مبتكرا وذا اهمية بالغة بالنسبة الى الحقل المقدم فيه خلال السنوات العشر الماضية
٢) الا يكون المرشح قد نال جائزة ، عن الانتاج المقدم من اية جهة اخرى ،
٣) تقبل المؤسسة طلبات المتقدمين وترشيحات الجامعات والهيئات العلمية كما يحق للافراد الحاصلين على هذه الجائزة ترشيح من يرونه مؤهلا لنيلها ولا تقبل ترشيحات الهيئات السياسية
٤) يتضمن الترشيح السجل العلمي للمرشح ونبذة مختصرة عن حياته وانتاجه ومبررات ترشيحه لنيل هذه الجائزة
٥) لايعاد الانتاج المقدم الى مرسله سواء فاز المرشح او لم يفز
٦) لا تقبل الاعتراضات على قرارات المؤسسة بشأن منح الجوائز للفائزين
٧) على الفائز ان يقدم محاضرة عن الانتاج الذي نال الجائزة بسببه
٨) تقبل الترشيحات ابتداء من ١/٥/١٩٨٧ ولغاية ٣١/ ١/١٩٨٧
٩) يرفق مع الترشيحات أربع نسخ من الانتاج المقدم وترسل على العنوان الاتـي

الـ -/ مدير عام مؤسسة الكويت للتقدم العلمي
ص ب ٢٥٢٦٣ ـ الصفاة
الكويت 13113

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ دولة الكويت

يوليو ١٩٨٧ م

معالم على طريق تحديث الفكر العربي

تأليف

د. معن زيادة

الكتاب ١١٥

٥
لس

لات: باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ص.ب ٢٣٩٥

حوليات كلية الآداب

تصدر عن كلية الآداب . جامعة الكويت

رئيس هيئة التحرير : د. عبد المحسن مدعج المدعج

دورية علمية محكمة، تتضمن مجموعة من الرسائل التى تعالج بأصالة موضوعات وقضايا ومشكلات علمية تدخل ضمن تخصصات كلية الآداب.

- تقبل الأبحاث باللغتين العربية والانجليزية شرط ألا يقل حجم البحث عن (٤٠) صفحة مطبوعة من ثلاث نسخ .
- أن يمثل البحث اضافة جديدة الى المعرفة فى ميدانه الخاص وألا يكون قد سبق نشره .

توجه المراسلات إلى : رئيس هيئة تحرير حوليات كلية الآداب ص ب ١٧٣٧٠ الخالدية - الكويت

الثقافة العالمية

مجلة تترجم الجديد في الثقافة والعلوم المعاصرة

- تعتمد فيما تنشره على الترجمة من مختلف الدوريات العالمية .
- هدفها إقامة الصلة بين الفكر العربي وبين الأجواء المتطورة للثقافة العالمية المعاصرة.
- ميزانها الأساسي في اختيار المترجمات هو الجديد والهام .

تصدر دورية كل شهرين عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . الكويت

رئيس التحرير
[illegible]

نائب رئيس التحرير
د. سليمان إبراهيم العسكري

المجلة العربية للعلوم الانسانية

فصلية محكمة
تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير

د. عبد الله أحمد المهنا

المقر كلية الآداب مبنى قسم اللغة الإنجليزية
الشويخ هاتف ٨١٧٦٨٩ - ٨١٥٤٥٣

المراسلات توجه إلى رئيس التحرير

ص ب ٢٦٥٨٥ الصفاة
رمز بريدي 13126 الكويت

- تلبي رغبة الأكاديميين والمثقفين من خلال نشرها للبحوث الأصيلة في شتى فروع العلوم الإنسانية باللغتين العربية والإنجليزية، إضافة الى الأبواب الأخرى، المناقشات، مراجعات الكتب، التقارير.
- تحرص على حضور دائم في شتى المراكز الأكاديمية والجامعات في العالم العربي والخارج، من خلال المشاركة الفعالة للأساتذة المختصين في تلك المراكز والجامعات.
- صدر العدد الأول في يناير ١٩٨١.
- تصل الى أيدي ما يزيد على عشرة آلاف قارئ.

ترفق قيمة الاشتراك مع قسيمة الاشتراك الموجودة داخل العدد.

مجلة العلوم الاجتماعية

تصدرها
جامعة
الكويت

مجلة فصلية أكاديمية تعنى بنشر الأبحاث والدراسات في مختلف حقول العلوم الاجتماعية.

رئيس التحرير **د. فهد ثاقب الثاقب**

منبر حوار للأكاديميين العرب
توزيع أكثر من (١٠٠٠٠) نسخة
التوزيع في الكويت والخارج مجلة العلوم الاجتماعية

توجه جميع المراسلات الى : رئيس التحرير
مجلة العلوم الاجتماعية - جامعة الكويت ص ب ٥٤٨٦ صفاة 13055
صفاة الكويت - هاتف : ٢٥٤٩٤٢١ - ٢٥٤٩٣٨٧ - تلكس : ٢٢٦١٦ - KUNIVER الكويت

العربي

[illegible] - ١٩٨٢

1/8

ريفا
المغربي
طورة الإنسان
بر الزمان والمكان

اتاريا
ث المغول
موحات الحاضر
ستقبل

SANYO سانيو

مسجل فيديو كاسيت VHR 2300M بـ MF/BG [illegible]

وراحة أكبر لأن فيديوهات سانيو تعتمد الصورة HQ الأكثر نقاء لتعطيك أفضل صورة ممكنة. ستشاهد اللون الأبيض بتفوق تام في الأرنب الناصع كالثلج وذلك إرتفاعه من شاربي الأرنب. صور صافية ستحوز إعجاب العيون اليقظة الأكثر دقة.

مسجلنا الفيديو كاسيت VHR-2300M يعتمد أيضاً موقتت مبرمج ٤ برامج / ١٤ يوماً، ووحدة تحكم عن بعد بالأشعة تحت الحمراء، تشغيل سريع للتسجيل - ٣١ وظيفة إلخ. انظر بنفسك إلى مسجل الفيديو كاسيت من سانيو وسترى ما فاتك

VHR 2200PS مسجل فيديو كاسيت ـ ME BG [illegible]

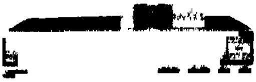

VHR 1700M [illegible]

VHS HQ

العدد ٣٤٥ السنة الثلاثون اغسطس ١٩٨٧

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهريًا عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

AL-ARABI

Issue No. 345 Aug 1987 P.O.Box:748
Postal Code No. 13008
Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

عنوان المجلة
ص ب ٧٤٨ - الصفاة
الرمزالبريدي 13008 - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس : MITR 44041KT
تليفون فكسيملى ٢٤٢٤٣٧٥
المراسلات باسم رئيس التحرير

الإعلانات يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الإشتراكات ترسل الطلبات إلى : قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص . ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقًا لما يلي :
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن النسخة

الكويت	٢٥٠ فلسًا	تونس	٤٠٠ مليم	الامارات	٥ دراهم
العراق	٢٥٠ فلسًا	الجزائر	٤ دنانير	المغرب	٣ دراهم
الاردن	٢٠٠ فلس	السعودية	٥ ريالات	ليبيا	٢٥٠ درهمًا
البحرين	٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي	٣ ريالات	سلطنة عمان	ربع ريال
اليمن الجنوبي	٢٥٠ فلسًا	قطر	٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني	
مصر	٣٠ قرشًا	لبنان	٣ ليرات	فرنسا	١٥ فرنكًا
السودان	٢٠ قرشًا	سوريا	٣ ليرات	امريكا	دولاران

محتويات العدد

الحرب النووية ص١٨

من يذهب الى السينما ؟ص ٩٠

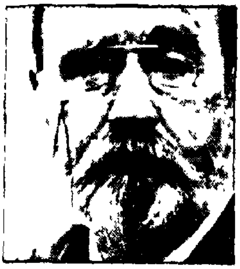

خصومة الأديب والفنان ص ١٠٢

■ حديث الشهر
الحوار الثقافي مع العالم الثالث
ـ د . محمد الرميحي ٨
■ الحرب النووية وصراع « الايديولوجيات »
ـ د فؤاد زكريا . . . ١٨
■ الحوار ألوان ـ فتحي رصوان . ٢٤
■ القصيدة الدافئة ـ شوقي بغدادي ٢٨
■ التغريب مادا يعني ؟
ـ د محمد عمارة . ٣٠
■ رزق الله حسون رائد مجهول في ميادين الصحافة والشعر والترجمة
ـ د علي شلش . . ٣٦
■ جولة في العالم السفلي !
ـ د . سمير رصوان . ٤٢
■ حالة حب مجنونة ! (قصة)
ـ ليلى العثمان . . ٤٨
■ تصحيحات لغوية طبية وعلمية .
ـ د . محمد صادق زلزلة ٥٤
■ الأصالة والعروبة في أدب عبد السلام العجيلي ـ أحمد محمد عطية ٥٧
■ للمناقشة لماذا حجب الأضواء عن التوبة والعفو ؟ ـ فهمي هويدي . . . ٦٢
■ من يذهب الى السينما ؟
ـ رءوف توفيق . . ٩٠
■ « اميل زولا » و « ادغار ديغا » خصومة الأديب والرسام
ـ خالد القشطيني . . ١٠٢
■ الضوء وسلوك الانسان
ـ د أمل علي المخزومي . ١٠٨
■ لكنه لن يعود (قصيدة)
ـ عزت الطيري . ١١٢
■ إعراب في البدن !
ـ د محمد حكمت عبد الدائم ١١٤
■ حكايات طبية
ـ د غسان حتاحت ١٢٢
■ « السوبرنوفا » كارثة فلكية
ـ رءوف وصفي . . ١٥٤
■ رسالة الى الله (قصة مترجمة)
ـ زهير شفيق رومية ١٧٦
■ حديث الشباب (قصيدة)
ـ عبد العليم القباني ١٧٩

حسن الساعاتي

د. محمد الجوهرى

استطلاعات ومقابلات

■ الريف المغربي أسطورة الانسان عبر الزمان والمكان .
ـ سليمان مظهر . ٦٨
■ وجها لوجه : د. حسن الساعاتي ـ د. محمد الجوهري ٩٧
■ « تتاريا » إرث المغول وطموحات الحاضر والمستقبل .
ـ سليمان الشيخ . ١٣٢

صورة الغلاف

● « بين متناقضات الريف المغربي تجري أسطورة الانسان عبر الزمان والمكان »
(طالع الاستطلاع ص ٦٨)

« تتاريا » إرث المغول ص١٣٢

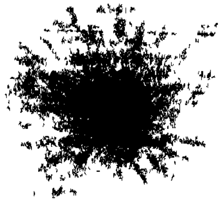
« السوبرنوفا » كارثة فلكية ص١٥٤

المراسلات باسم رئيس التحرير.. والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر.. والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء..

أبواب ثابتة :

■ عزيزي القاريء ٧
■ أقوال ٢٣
■ أرقام : تحت الصفر
ـ محمود المراغي . . . ١٠٦
■ منتدى العربي .
ـ قضية : أرقام الحساب عربية أم هندية ؟
ـ د سعيد النحار . . . ١١٦
ـ تعقيب الأهم من التخطئة استقرار المصطلح
ـ د . إحسان جعفر ١٢٠
■ الجديد في العلم والطب
ـ إعداد . يوسف زعلاوي ١٢٧
■ سلامة البشرية في سلامة البيئة ١٣٠
■ جمال العربية :
ـ صفحة لغة إعراب المقصور ـ محمد خليفة التونسي ١٨٠
ـ صفحة شعر . هكذا غنى الآباء : الى أم كلثوم لمعروف الرصافي ١٨٢
■ الكلمات المتقاطعة . ١٨٤
■ مكتبة العربي :
ـ كتاب الشهر : تمويل الارهاب
ـ رافع عبد الرحمن ١٨٥
ـ من المكتبة العربية : تكوين العقل العربي
ـ جمال وردة ١٩٠
ـ مكتبة العربي · مختارات . ١٩٤
■ ■ مسابقة العربي الثقافية . . . ١٩٦
■ حل مسابقة العدد (٣٤٢) . . ١٩٨
■ معركة بلا سلاح (الشطرنج) ٢٠٠
■ حوار القراء ٢٠٢

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

■ أحواض أسماك الزينة جمال للبيت ، وأداة تثقيف ومتعة
ـ رحاب سعد السيد ١٦٢
■ الوصفات الشعبية داء ودواء !
ـ ريم الكيلاني ١٦٦
■ هو هي . . . ١٧٠
■ طبيب الأسرة صيف بلا عناء
ـ د حسن فريد أبو عرالة ١٧٢
■ مساحة ود الخطر القادم
ـ محمود عبد الوهاب ١٧٥

عزيزي القارئ

هذا الشهر هو أحد شهور الاجازات عند كثير من الناس ، كالطلبة والمدرسين وبعض العاملين في قطاعات كثيرة ، شهر يتوجه الناس فيه الى الأماكن التي يستطيعون فيها شم نسيم بحر ، أو استنشاق هواء جبل ، أما نحن في « العربي » فقد أعددنا عدتنا على الاستمرار في تقديم مواد مثقفة ومفيدة

يأخذك هذا العدد من « العربي » الى الريف المغربي ، فقلم سليمان مظهر وعدسة سليمان حيدر قد طافا بريف المغرب ، ريف الذكريات النضالية ، وريف الجمال ، ومن الريف المغربي الى أرض المغول في تتاريا في الاتحاد السوفيتي يطوف بنا سليمان الشيخ هذه الأماكن المجهولة لكثيرين حتى قبل فترة ليست ببعيدة ، ويكتب لنا الكاتب الكبير فتحي رضوان عن ألوان الحوار ، كما يكتب الدكتور فؤاد زكريا عن « الحرب النووية وصراع الايديولوجيات »

أما رءوف توفيق فإنه يحاول أن يجيب على سؤال عالق في أذهان كثيرين منا ، بعد انتشار التلفاز والفيديو ، والسؤال هو من يذهب الى السينما ؟

وفي « وجها لوجه » نقدم وجهين « أكاديميين » في علم الاجتماع العربي الحديث ، يدور حوارهما حول الرواد في هذا المجال ودورهم ، ودور الجيل الجديد واهتماماته

ويكتب لنا خالد القشطيني عن الاختلاف والتطابق بين طبيعة الأديب أميل زولا وطبيعة الفنان ادغار ديغا

وفي العلوم تقرأ عن الضوء ، وكيف يؤثر على حياتنا النفسية والتعليمية وكثير من سلوكيات حياتنا

هذا بعض ماضمنا هذا العدد من موضوعات ، وهناك موضوعات أخرى غيرها ، طريفة وجديدة وممتعة ، في القصة والقصيدة والطب ، وفي البيت العربي أيضا .

نرجو لك قراءة ممتعة ، وعطلة أمتع ، والى اللقاء

المحرر

العربي ـ العدد ٣٤٥ ـ أغسطس ١٩٨٧

حديث الشهر

بقلم الدكتور
محمد الرميحي

الحوار الثقافي مع العالم الثالث

■ لعل أكثر مواقفنا السلبية ـ نحن العرب ـ وربما أكثرها اثارة للعجب ، هو ما التقطناه من تأثيرات العالم الغربي وحضارته ، وربما كان ذلك جزءا من تكويننا الثقافي المعاصر ، أو هو ظاهرة من ظواهر تخلفنا ! هذا الموقف السلبي الذي اعنيه هو نظرتنا الى ثقافات العالم الثالث ، بكل مفرداتها ، وطريقة حياة افرادها وكيف يكسبون معاشهم ، وكيف ينظمون تعاملهم الاجتماعي الخ هذه النظرة التي تتجاوز الاستغراب الى شيء من التفكه وربما النظرة الدونية !

وللأسف نحن لا نستطيع أن نقيس على وجه الدقة ـ وبطريقة علمية مقننة ـ مدى انتشار ذلك الموقف بيننا ، لكن الرصد العلمي الحـ يكاد يوصلنا الى قناعة تقول بأن هذا الموقف من الثقافات الأخرى ينتشر معظم الطبقات والفئات الاجتماعية لدينا ، متعلمة أم جاهلة ، غنية

فقيرة ، سافرت حول العالم وجابت أرجاءه وشاهدت ورأت أم قبعت في مدينتها أو حيها أو قريتها ولم تغادرها

العادات بنت مجتمعها وظروفه :

■ فوجىء صاحبي ونحن في (بوتان)* بالأدب الجم الذي يعد سمة مميزة لسلوك الناس ، وكذلك بالكرم الذي فاق - كما قال - كرم العرب رغم فقر البلد والناس هناك .

وكانت مفاجأته أكبر عندما علم أن الرجال في تلك البلاد يمكنهم أن يتزوجوا من النساء أربعا أو أكثر ، واتسعت دهشته عندما قيل له - أنه نظريا أيضا - يمكن أن تكون الزوجات أخوات من أم وأب واحد !

ورغم أن الاختلافات بين الشعوب في عاداتها وتقاليدها أمر ممكن بل هو حتمي ، مادامت الظروف الاجتماعية والاقتصادية وعوامل الجغرافيا والتاريخ متغايرة ، الا أن الملاحظ أن هناك من يندهش عندما يرى ان هناك اختلافا أو توافقا وتشابها في تلك العادات فالتصور المرجعي لدى كثير منا هو إما أن تكون عادات وتقاليد الآخرين مشابهة لنا تماما أو هي مخالفة لعاداتنا وتقاليدنا تماما أما أن يكون شيء من هذا أو من ذاك فذلك ما يثير عجب كثير منا ، ولكن الحقيقة ان عادات الشعوب تتماثل وتختلف وتلك هي الحياة

لقد أثبتت كثير من البحوث العلمية ، أن خصائص التأثير والتأثر بين الشعوب والمجتمعات ليست كما يقال لنا بأنها من نتائج عالمنا المعاصر ، ولا هي من نتائج ثورة الاتصال الحديثة التي حولت العالم المترامي الأطراف لى قرية صغيرة حسب المفهوم المعلوماتي المتداول . فلم يعدم الانسان منذ القدم - وربما منذ أن وجد - طريقة للتفاهم بين أفراده ومجموعاته ، ونقل خبرته الى الاخرين ، والأخذ من خبراتهم . إن الاتصال الانساني الذي حاوز اللغة والعرق ، بل وأي حاجز آخر ، كي يربط الانسان بأخيه نسان ، قديم قدم حضارة الانسان نفسه .

لذلك نجد أن القسمات الحضارية للشعوب - حتى وان تباعدت في رض - تتناقل خبراتها عن طريق التجارة ، وطلب العلم ، وبعثات ستطلاع ، بل حتى الحروب ، ووجوه اخرى عديدة للنشاط الانساني ،

---

* بوتان تقع مملكة بوتان في قلب جبال الهملايا تحدها الصين شمالا والهند جنوبا وقد كان - في زيارة لها مؤخرا

قد يتم فيها التأثير والتأثر ، ويحتدم الحوار ، حتى لو كان هذا (الحوا
بواسطه السيف او المدفع واذا كان ابن خلدون من الأوائل الذين تنبه
الى أحد طرق انتقال الثقافة ، وهي على حد تعبيره (تأثر المغلوب بالغال
ومحاولة تقليده في اشعاره وتربيته وأعماله وسائر احواله وعاداته) فان ه
السبب مازال قائما ، ومازال يثبت مصداقيته العلمية في حياتنا المعاصرة

الحوار قائم وقديم قدم تجمع البشر :

■ أريد أن أقول بأن الحوار بين الأمم والشعوب كان قائما ، وقد يعجب المعاصرون كيف وصلت ثقافات معينة الى مقاطعات جديدة متجاورة الجبال والبحار وعوائق أخرى ، وتفاعلت هذه الثقافات ، حتى اصبحنا نرى جزءا من انفسنا هنا أو هناك ، ويرى بعضهم لدينا جزءا من أنفسهم .

كل شعب من الشعوب قد تأثر وأثر في جيرانه ، أو أبعد من جيرانه ، ولا توجد اليوم ثقافة بالمعنى (النقي) غير المختلط ، فكل ثقافة مجدولة بتأثيرات اخرى ، التقطتها وضمتها الى سياقها ، متجاورة او مندمجة .

لذلك فان اولى خطوات التفاهم الدولي - في نظري - هي الحوار الذي يجب أن يجري بين الثقافات المختلفة ، حوار يعترف بالاخر ولا يلغيه ، ولعل أهم حوار ثقافي نطلبه نحن العرب ، ويجب ان نسعى اليه حثيثا ، هو حوار مع العالم الثالث . هذا العالم المليء بألوان الطيف من الشعوب والثقافات والأديان والتقاليد والمواقف والسياسات ، وهو يشكل ثقلا لا يمكن تجاهله على الساحة الدولية اليوم ، ويشكل عمقا وامتدادا على المستوى الجغرافي ، وانتماء ومصالح على مستوى حاجات الاقتصاد والرؤية الجديدة للتنمية والتكامل فيما بين الجنوب والجنوب .

هذا الحوار تجاهلناه كثيرا حتى الآن ، ويممنا وجوهنا شطر الغرب ، نترجم عنه ، نتتبعه ، وننبهر به ، ونعتمد عليه ، ونفتح معه حوارا سياسيا واقتصاديا وثقافيا . وحتى نظرتنا الى ثقافات العالم الثالث كانت من منظور غربي ، وقد نظرت الينا دوله من نفس المنظور والتصور ، فجاءت صورته في خيالنا مشوشة ، وانعكست صورتنا لديهم أكثر تشويشا .

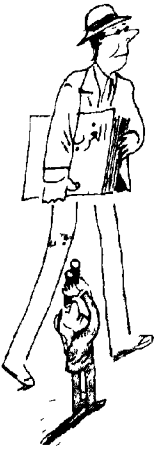

الثقافة مفاهيم ورؤى

■ وللثقافة - كما نعلم جميعا - تعاريف مختلفة ، ومفاهيم متعددة
ويعرف « ريتشارد ماك كيون » الثقافة في كتابه « أصالة الثقافات ودوره

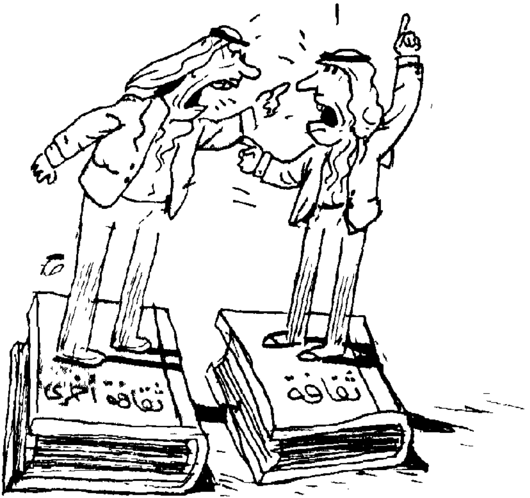

التفاهم الدولي » بأنها انماط ناشئة عن تطور تاريخي ، ومن ناحية أخرى أنها مجموعة من العادات يعترف بكونها مقبولة في جماعة معينة ، كما يمكن متابعة آثارها في كل دوائر النشاط الإنساني ، كالسياسة والحقوق والفن والدين ، والمعرفة العقلية بمختلف صورها .

ويوجز الدكتور زكي نجيب محمود فهمه للثقافة بقوله :

(أن النسيج الثقافي في بلد ما ، وعند فرد معين من الناس انما هو « الأداة » التي يعيش بها الانسان كيفما كان عيشه ، فان رأيت صورة الحياة العملية قد اختلفت بين شعبين ، أو بين فردين ، فاعلم يقينا ان ذاك لاختلاف مرده الى اختلاف فيما نسميه « الثقافة » ، أياما كانت العناصر تي تتألف منها الثقافة)

صحيح ـ كما يذهب الدكتور زكي محمود ـ أن هناك (خصوصية) في ورة ثقافة كل شعب ، وهذه الخصوصية تتميز ، وتعلن ، وتوضح ، نير الى التمايز بين هذا الفرد من هذه الأمة أو الجماعة وبين ذاك الفرد من ماعة أو الأمة الأخرى ، وفي بعض الأوقات بين هذا الفرد أو الجماعة ـ ذاك الفرد أو الجماعة من نفس الأمة .

لكن مهما حاولنا التوكيد على ما هو (خصوصي) و (ذاتي) فاننا في ت نفسه نرى شواهد أخرى ، تؤكد على المشترك والعام في مظاهر

مكونات
ثقافت
تقف بي
المتساهلي
والمتشدي
في فنت
أو وقفت
الأبواد

العلاقات الانسانية ، وهي تؤكد أن الإنسان أخ الإنسان ، مهما اختل اللون والعرق أو العقيدة ، والنقاء الخالص لثقافة أي أمة هو ضرب من المكابرة ، يقود في النهاية الى التعصب والايمان بنظرية الشعب المتفوق التي تؤدي بالتالي الى الحروب والدمار

وحتى في الشعب الواحد فاننا نجد صعوبة هذا التطابق الكامل في الثقافة ، ويقول لنا « ايفان ديشاشيك » الذي درس نظام الحكم المقارن « ان من بين أكثر من ١٥٠ دولة موجودة في العالم يمكن فقط وصف تسع أو عشر دول منها بأنها « قومية » بالمعنى الاحادي العرقي فقط ، أما الأغلبية العظمى من الدول الحديثة فانها متعددة الأعراق »

فالتنوع الثقافي ظاهرة حقيقية في العالم ، ولا يجب ليّ ذراع الحقيقة للحديث عن التطابق ، من أجل قمع التطلع الشرعي للتعبير عن الذات لدى الثقافات المتعددة في المجتمع الواحد ، فما بالنا مع المجتمعات الأخرى !

الأقوى
في عالم
اليوم
هو الذى
تروج
ثقافته
هي تتبع
صناعته
تقنيته

المهمّة العسيرة :

■ على قاعدة التعددية الثقافية يصبح الأمر أكثر تشويقا عندما يوضع في اطار حوار العرب مع ثقافات العالم الثالث وشعوبه ، لكننا نحن والعالم الثالث ـ ونحن جزء منه ـ قد خضعنا لآليات التكوين الثقافي المعاصر ، وهي آليات فرضت علينا وعليهم ، وصورتها النهائية هي الهيمنة من جانب الغرب ، والتبعية من جانبنا

وفيما يتعلق بالمشهد الثقافي في عصرنا يمكننا أن نسجل ـ دون خوف من تعميم أو عجالة ـ بأن الأقوى ثقافيا في عالم اليوم هو الذي تروج بضاعته الثقافية والاعلامية وهي تتبع صناعته وتقنيته ، ويبدو أن ما تحدث عنه ابن خلدون مازال صحيحا مع شيء طفيف من التعديل ، حيث أن (الغالب) في عصرنا لايريد ان يحتل ارضا ، بقدر ما يريد أن يفرض طرق حياة . طرق حياة في الاقتصاد ، والاجتماع ، والسياسة . وتعتمد دول العا الثالث على نماذج ثقافية كثير من مكوناتها مستورد ، تعكس قيم التعام الغربي ، ونمط حياته ، وأساليبه . وتتآكل الذاتية الثقافية لدى شعوب العا الثالث ، رغم أن شعوبها وارثة ثقافات أقدم عهدا ، وأكثر ثراء وتنوعا

قد يغري التحليل السابق بالمطالبة بالنكوص ، والتقوقع ، ورفض الآخرين لمجرد رفضهم ، وذلك مالا نرمي اليه ، بل ولا حتى نلمح .

« فالتعليب الثقافي » والعزلة عن الآخرين ـ حتى لو كان مطمحا ـ لم يعد ممكنا ، فهناك أقمار صناعية تسبح في الفضاء ، وموجات أثير تجتاز البحار والجبال ، وأجهزة اتصال تقتحم المعاقل ، وكتب ، وأشرطة ، وانتقال سريع بين القارات ، كل ذلك يمنع التقوقع ، ويجعله أقرب الى المستحيل

عـرب وإنسـانيون :

■ بين المتشددين في قفل الأبواب والمتساهلين تقف مكونات الثقافة العربية ، وبصراحة شديدة وفي أحسن الحالات مترددة ، منها أطراف معجبة بالغرب ، مقلدة له ، وفي نفس الوقت نافرة من ثقافات شعوب العالم الثالث ، ومنها أطراف اخرى نابذة للغرب ، بيد انها لا تقبل ايضا ثقافات شعوب العالم الثالث ، وهناك فئة صغيرة مستنيرة ، تحمل مشعل التعايش والاستفادة

وينقسم الولاء الثقافي على الساحة العربية اليوم الى قطري ، منقطع عن الاخرين ، معرق في قطريته ، وشمولي متجاوز كل الخصوصيات الاقليمية المشروعة ، وهذا الانقسام يخلق ـ بين فترة واخرى ـ معارك ليس لها سبب حقيقي .

اما الفئة المستنيرة فان موقفها هو قبول الخصوصية ضمن حدود الغصن في الشجرة ، وقبول الشمولية ضمن الفروع المثمرة ، على قاعدة ان الثقافة العربية بحر واسع تكونت مادته الاساسية منذ آلاف السنين ، وأن هذا البحر انضمت اليه الكثير من فروع الانهار والروافد التي جاءت تحمل خصوصيات المنبع ثم أصبحت جزءا من التكوين النهائي

فالثقافة العربية في مجملها ليست غريبة في المغرب او الخليج او مصر ، ان كانت بلغة عربية ولهدف عربي ، وتعبر عن واقع عربي ، أما صوصية الموجودة في تلك الاقطار والاقاليم فهي جزء من الثقافة العربية امة ، وهي احدى تلوينات الطيف في قوس قزح الثقافة العربية المتعدد وان

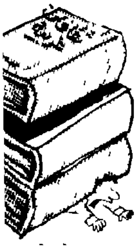

ــغرات التكامل :

■ اذا كانت الثقافة العربية هي كما وصفنا في السابق فهي قادرة وقابلة لما مع العالم الثالث . فهناك دائرة منه ترتبطنا بها عقيدة هي الاسلام ،

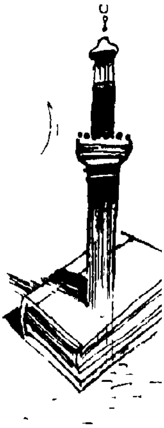

والعربية لغة الاسلام ، ولعلنا في « العربي » نستطيع ان نقدم شهادة هذا التفاعل عندما نعدد مايصلنا من رسائل وطلبات من الهند وباكستان واندونيسيا وتركيا ونيجيريا والسنغال ومالاوي . . وبلاد كثيرة مسلمة طلبات تريد الاطلاع وبإلحاح على الثقافة العربية ، لغة الاسلام، يؤمن أبناؤها بالدين الاسلامي السمح ، ويريدون أن يحصلوا على شيء من الثقافة التي نتكلم بها وهي لغة القرآن .

وتجمعنا محاولات النمو والنهوض من التخلف مع شعوب اخرى كثيرة من العالم الثالث ، فكلانا في دائرة ما يسمى اليوم بالجنوب المتخلف الفقير ، وبالتالي فنحن نستطيع أن نتبادل خبراتنا معها ، نعطيها بلا منة ونأخذ منها بشكر ، ونقربها من فهم مطالبنا العادلة ، ونشرح وجهة نظرنا في القضايا الحيوية التي نؤمن بها في هذا العالم المضطرب . وقنوات التفاعل الثقافي مع العالم الثالث كثيرة ، ثنائية بين البلد العربي الواحد والبلد الآخر ، وجماعية من خلال المؤسسات العربية العديدة .

ولكن المؤسف أن كثيرا من هذه المؤسسات الثقافية العربية المشتركة ، وكذلك جهود الدول الفردية ، انصب معظمها باتجاه الشمال الثقافي ، سواء كان رأسماليا أو اشتراكيا ، ولكنها تقلصت وكادت أن تنضب بيننا وبين دول العالم الثالث .

دول العالم الثالث هي في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، في الحلقتين الأوليتين (آسيا وأفريقيا) نجد أن صلة الاسلام تربطنا مع كثير من هذه الشعوب ، وعلى الرغم من أن الدين الاسلامي أحد الركائز الاساسية والجوهرية التي تجمعنا بهذه الشعوب ، كذلك يجمعنا بها علاقات ثقافية ضاربة في القدم . ومع الاسلام انتشرت اللغة العربية . صحيح أن اللغة العربية واجهتها صعوبات تتعلق بخصوصيات حضارية لتلك الشعوب ، فإن انتشار الاسلام وفر للعربية قواعد الانتشار ، حيث أ العادات والمناسك لا تؤدى بصورة كاملة إلا باللغة العربية .

لذلك فإن الشعوب الاسلامية التي لم تتعرب ، دخلت العربية ف خصائص تكوينها اللغوي ، وأصبح الحرف العربي هو الحرف الذي تكتـ به الكثير من لغات شعوب العالم الثالث كالفارسية والأوردية ، وحتـ التركية ـ قبل ظهور الأتاتوركية ـ وغيرها من اللغات .

فتلازم الدين الاسلامي مع اللغة العربية يمهد لنا الأجواء لنقيم لاقاتنا الثقافية مع دول كثيرة في العالم الثالث ، على أساس الاحترام لمتبادل .

فالعناصر الذاتية اللغوية ليست مجرد عقائد ورموز فقط لكنها أيضا هج فكر وطريقة حياة وأسلوب تصور ، وهي في نهاية المطاف رؤية تكاملة للحياة .

ودول امريكا اللاتينية نرتبط بها نحن العرب بتاريخ النضال ضد لاستعمار ، وتخليص ثرواتنا القومية ، ومن بعد ذلك التوجه والطموح الى اء متوازن لصالح الانسان . كل هذه القيم يمكن ان نؤسس عليها تعاونا قافيا عميقا نكسب من بعده تأييدا عالميا لمواقفنا وحقوقنا العادلة . . والعالم لثالث بعد ذلك يمثل عمقا جغرافيا لنا ، ونظرة على الخريطة تقول أن فريقيا مثلا هي الفناء الخلفي للوطن العربي ، وهي المكان المتاح اقتصاديا سياسيا لكي نضيف الى قدراتنا قدرات ، ولكي نعزز معا ـ نحن وهم ـ بهتنا وموقفنا في مواجهة الاخرين ومحاولات اختراقهم لنا .

أين هو القرار ؟

■ عظم الانجاز الحضاري المتحقق من اقامة حوار مع العالم الثالث وق كل التضحيات التي يمكن ان نقدمها من أجله . . ولكنه فرصة عظيمة تسرب من بين أيدينا .

لقد أحزنني كثيرا ـ كما احزن المهتمين بالثقافة في العالم الثالث ـ ذلك لقرار الذي اتخذ في إحدى اجتماعات اليونسكو في باماكو عاصمة مالي ١٩٧٦ ، القرار يقضي بكتابة اللغات الافريقية بالحروف اللاتينية واهمال عداها !

هذا القرار ـ في نظري ـ هو تغليب (السياسي) على (الثقافي) ، أو حرى هو انحياز ثقافي له مترتبات وأبعاد خطيرة باتجاهين : أولهما اقتراب الى الغرب لدى هذه الشعوب ، وثانيهما ابتعاد عن العربية والاسلام

ورغم خطورة هذا القرار فلم تكن للهيئات العربية ردة فعل وجهد هذا القرار وخطورته .

ان العوامل التكوينية التي تم ترسيخها عبر مئات السنين ، يمكن ان لخل ويصيبها التعطل ، وربما التشويه ، من خلال اختراق مكونات

اخرى جديدة ، وما قرار اليونسكو في باماكو السابق الذكر ، الا محاولة حاد
لتمتين الصلة بين اللغات الأوروبية من جهة ، واضعاف العلاقة باللغ
العربية من جهة اخرى

أي أن مكون اللغة الجامع الموحد الممهد لأرضية الحوار مع شعوب
كثيرة من العالم الثالث أصبح بعد قرار اليونسكو سابق الذكر ليس ذ
قيمة ، وسوف تتضاءل قيمة الحوار مع مرور الزمن وضياع الوقت المناسـ
له

وهـذا يحتم علينا أن نشـير الى أهمية ضبط خـطوات السياسـة مع
الاقتصاد ومع الثقافة في اطار العلاقات العربية مع دول العالم الثالث

كما أن الأهداف الثقافيه يمكن الـوصول اليهـا من خلال التعـاو
الاقتصادي ، فالمشروعات المشتركة والمعونات الاقتصادية يمكن أن يـ
عنها فتح أبواب التعامل الثقافي المؤثرة في القطاعات الأوسع من الناس

الأرضيـة المناسـبة :

■ تجمعنا ـ نحن العرب ـ منظمات دولية واقليمية كثيرة مع دول
الثالث ، مثل منظمة دول عدم الانحياز ، ومنظمة الوحدة الافـريقـ

تلازم الإسلام ولغة القرآن يمهد الأجواء لإقامة علاقات ثقافية مميزة

ومنظمة المؤتمر الاسلامي ، وغيرها كثير . . وإذا كانت مرحلة سابقة من تأييد حركات التحرير في افريقيا وآسيا قد جعلت لنا سمعة طيبة لدى تلك الشعوب ، وتلتها مساعدة اقتصادية كثيرة ومتنوعة ، فان هذه العوامل المتراكمة تعطينا مفاتيح التعاون الثقافي وتوسيع لغة الحوار مع شعوب العالم الثالث والخطوات العملية كثيرة ، فالمساعدة في افتتاح جامعة أو مدرسة ، أو زيادة عدد المقاعد الممنوحة لهذه البلاد أو تلك من العالم الثالث في مؤسساتنا التعليمية العالية ومعاهدنا الدينية والثقافية ، وإرسال المعلمين والبعثات العلمية ، أو حتى توفير برامج ثقافية سينمائية وتلفازية تخاطب وجدان الشعوب ، والاعتناء بتوصيل نتاجنا الثقافي من كتب ومجلات وصحف ، واقامة أسابيع ثقافية ، وتقوية البث الاذاعي الموجه بلغات شعوب أخرى ، كل هذه الخطوات تفيد كثيرا في توفير لغة حوار حضاري بين شعوب العالم الثالث وبيننا

لكن هذه الجهود التي تخاطب الوجدان أكثر من مخاطبتها للبطون والأجسام تبقى مكشوفة ومعرضة للاختراق مالم تعطي بعطائين ضروريين

الأول ان ترسم الخطط وتنفذ من خلال مؤسسات قومية تغلب المصلحة القومية بعيدة المدى على المصالح الاقليمية والذاتية
الثاني أن تتوافق لغة الخطاب السياسي مع لغة الخطاب الثقافي ، والأرجح ان الثقافي هو أول ضحايا السياسي إن تعارض الخطابان .

ويبقى أن نعترف أننا لسنا وحدنا في ساحة العمل الثقافي أو غيره على مجمل ساحة العالم الثالث ، فهناك آخرون لهم أهدافهم السياسية والاقتصادية ويعملون بدأب لاختراق تلك الساحات . كما أن الحوار الثقافي يحتاج الى عقول نيرة يقظة وأجهزة تنفيذ ومال وفير يساعد في كل ذلك

« القرية الصغيرة » التي أصبح عليها العالم تعج بمختلف البرامج و سياسات التي تحاول السيطرة علينا وعلى الآخرين ، والتسابق رهيب على العقول ، وان لم ننسق بيننا فان الغزو يهدد بأن يطولنا ، وهو يحاول من بكل قوة !

محمد الرميحي

الحرب النووية

وصـــــراع «الأيديولوجيات»

بقلم : الدكتور فؤاد زكريا

لو قامت الحرب النووية ، فماذا سيحدث بعدها لعقول الناس ،
وكيف ستكون اتجاهاتهم السياسية ،
واختياراتهم (الأيديولوجية) ؟

لقد أثار دهشتي أني لم أجد اجابة على هـذه الأسئلة فيما قرأت عن الآثار المحتملة للحرب النـوويـة ، مع أن رفـوف المكتبات قـد امتـلأت بدراسات تتحدث عن الخسائر البشرية والمادية الهائلة التي ستلحق بالعالم ، اذا ما نشبت مثل هذه الحرب ، وقدم بعضها تفاصيل دقيقة عن أعداد من سيموتون من جـراء الضربـة الأولى ، وأعـداد من سيفنـون بالضربة الثانية ، وازدادت التفاصيل دقة ، فتحدثت بعض الدراسات عن الفـارق بين خسـائر المهـاجم والمدافع ، وحـددت مقدار الـدمار الـذي سيلحق بمركز سقـوط قنبلة ذات قـوة تـدميريـة معينـة ، والتحريـب الذي سيحدث في المناطق المحيـطة بهذا المركز ، حسب درجة ابتعادهـا عنـه وتنـاولت دراسات لا حصر لها أخطار الاشعاع المباشر وغير المباشر في المدى القريب والبعيد وآخر الاجتهادات في هذا الصدد نظرية « الشتاء النووي » التى عرض صـاحبها ـ وهـو العالم الفيـزيائي الفلكي المشهـور « كارل ساجان » ـ صورة مخيفة لعالم ما بعد الحرب النووية الذي تخيم عليه سحب كثيفة ، تخفض درجة حـرارة الارض الى حـدود لايتحملهـا الانسا ، وتقضي على معظم أشكال الحياة على سطح الأر ، وتتلف التربة الزراعية ، وتجعل ظهور أي محـ ل نباتي أمرا يكاد يكون مستحيلا .

منتصر ومهزوم

لكن الأمر الملفت للنظر حقا هو ندرة الكـ ت التي تتحدث عن التغيرات التي يمكن أن تـط على

عقل الاسان أو انعدام تلك الكتابات ، وعلى نظر الاسان الى العالم ، وعلاقاته مع البشر ، نتيجة نشوب مثل هذه الحرب وليس من الصعب أن نستنتج سبب هذا الاغفال ، لأن التركيز انما ينصب على تأكيد الدمار الشامل الذي ستحدثه الحرب النووية ، والتحذير من أن الحياة ستصبح بعدها مستحيلة ، فاذا كانت تلك الحرب مؤدية الى فناء البشرية ، فلن يعود هناك معى للحديث عن التعيرات التي تترتب عليها في عقول البشر ، ومن جهة أحرى فإن الخوص في موصوع التحولات السياسية أو (الأيديولوجية) التي ستنبثق عن هده الحرب ، قد يترتب عليه التهوين من شأنها ، لأن معناه أن نسبة معينة من البشر ستظل على قيد الحياة بعد نشوب حرب كهذه ، وستعيد بناء حياتها ، وتراجع مواقفها الاحتماعية والسياسية والاقتصادية من حديد ، وهو أمر قد يحمل ضمنا معى التشجيع على شن هذه الحرب

لكن الغريب في الأمر بحق أن هدا هو بعينه الأساس الذي تبى عليه وجهة النطر المعلنة للقيادات السياسية والعسكرية المسئولة في البلد الدي أدحل العالم الى عصر الحروب الذرية والووية ، أعي الولايات المتحدة الأمريكية فالتقارير المطولة التي يعدها أساطين (الاستراتيجية) الأمريكية تقوم بحسابات معقدة لخسائر الصربة الأولى ، والضربة الانتقامية ، والاشعاع والتلوث الخ ثم تنتهي من هدا كله الى أن الطرف الذي يتفوق على الآحر في اشكا، وسائل لتدمير قوة الخصم المهاجمة ، ولضمان وصـ ـ أكبر عدد من صواريخه النووية الى أهدافها في أراد العدو هو الذي سيكتب له البقاء ، وبعبارة أحر فإن هذه التقارير المعقدة لاتبنى على أساس أنه الحر النووية هلاك الجميع ، بل على أساس أن ا ه منتصرا ومهزوماً ، ، وان المنتصر يمكن أن يعس يجني ثمار انتصاره ، بينما يزول المهزوم نهائيا ص ـود

والحق أن العقيدة العسكرية السائدة في أمريكا ترتكز بالفعل على الاعتقاد بأن التفوق التقني يمكن أن يصل الى نقطة تمثل فيها الحرب النووية الشاملة خسارة نسبية للطرف المتفوق ، وفناء حاسما للطرف الخاسر ، وبذلك يضمن الغالب بقاء جزء معين من سكانه ، ومن ثم بقاء نظامه الاجتماعي ، وسيادته على العالم بلا منافس ، وتلك هي الفلسفة الكامنة وراء فكرة « حرب الكواكب » التي تدافع عنها حكومة (ريجان) في وحه مقاومة حادة من بقية شعوب العالم على اختلاف أنظمتها ، والفكرة هي إقامة شبكة دفاعية ، متطورة الى حد مذهل ، يضمن بها اصطياد صواريخ العدو ، أو معظمها على وحه أدق ، وهي لما تزل في الجو ، وتدميرها قبل أن تصل الى أهدافها ، في الوقت الذي تكون فيه الصواريخ الأمريكية قد ألحقت بالخصم فناء شاملا وبالطبع فان صفة « الدفاعية » في هدا النظام صفة حداعة ، لأنها دفاع في الظاهر ، لكنها في حقيقتها أكبر عامل مشجع على الهجوم ، ما دامت ستضمن عدم وقوع ضربة مضادة بعد هذا الهجوم ، تلحق بالمهاجم الأصلي خسارة مدمرة

استئصال الافكار المضادة !

وعلى هذا النحو تكون (حرب الكواكب) في نظر أنصارها ، وهي الحل الجذري للصراع (الأيديولوجي) بين معسكر رأسمالي ومعسكر اشتراكي مثير للمتاعب ، فبدلا من استمرار هذا الصراع بما فيه من مد وجزر ، وانتصارات وهزائم ، يأتي هذا الحل « المثالي » لكي يمحو العدو من الوجود ، ومعه (أيديولوجيته) المشاغبة ، لكي يستقر الأمر في نهاية المطاف للمعسكر الذي تحقق له (ايديولوجيته) الرأسمالية تفوقا تقنيا كاسحا وليبدأ البشر الذين كتبت لهم الحياة بعد المحرقة الكبرى - والمفروض أن معظمهم سيكونون من البلاد الرأسمالية ، ومن أمريكا على وجه التحديد - مرحلة جديدة من التاريخ ، يتم فيها استئصال أي

(أيديولوجية) مضادة أو منافسة

لكن هذا « السيناريو » الذي يدور في أذهان المخططين (الاستراتيجيين) لحكومة « ريجان » على الأخص ، وعلى أساسه تعد ميزانيات الدفاع خلال العقد القادم على الأقل ، في أقوى وأغنى دولة في العالم ، وتكرس الموارد البشرية والمادية بغية تحقيق التفوق المطلق في أي حرب نووية مقبلة ، ينقص هذا السيناريو عنصر يبدو في ظاهره بسيطا ، وإن كانت له في حقيقة الأمر أهمية حاسمة ، وأعني به نوع التغييرات الذهنية و (الأيديولوجية) التي يمكن أن تؤدي إليها حرب نووية شاملة ، ومع ذلك فان هذا العنصر يظل مفتقدا في كافة الخطط التفصيلية الدقيقة التي يرسمها مروجو « حرب الكواكب » ، بالرغم من أنه هو المبرر الرئيسي لتلك الجهود الشاقة ، والأموال الطائلة التي تبذل في سبيل تنفيذ هذا البرنامج

فلم يسمع أحد عن بحث حاول أن يقدم إجابة تفصيلية وعملية بقدر الامكان على السؤال الحاسم التالي إذا افترضنا أن التفوق التقني الأمريكي قد ضمن بقاء نسبة معينة من سكان العالم ، ومن سكان أمريكا على الأخص بعد الحرب النووية الشاملة ، فهل سيظل هؤلاء الباقون الأحياء وسط مظاهر الفناء والخراب في العالم المحيط بهم رأسماليين أو مؤمنين بالرأسمالية ؟ وهل سيكون الانتصار العسكري في مثل هذه الحرب انتصارا للايديولوجيا السائدة حاليا في المعسكر الذي يعتقد أنه سيحرز هذا النصر ، أم أن هذه الحرب نفسها لابد أن تؤدي إلى تغييرات جذرية في نظرة الانسان الذي يعيش بعدها الى العالم ، والى علاقاته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ببقية البشر ؟

افتراضات وأسئلة

سنفترض أن المجزرة الكبرى قد اندلعت في العالم ، وأن الأسلحة النووية القادرة على قتل عشرة أضعاف سكان العالم قد استخدمت ، وسنفترض أيضا أن التدابير الوقائية التي تتيحها « مبادرة الدفاع الاستراتيجي » قد نجحت في نشر مظلة من أشعة الليزر ، أدت الى تدمير نسبة كبيرة من صواريخ الخصوم ، سواء تلك التي أطلقت من البر أم من البحر أم من الجو وسواء كان إطلاقها من مواقع متحركة في غواصات تجوب أعماق المحيطات ، أو ثابتة تختفي في صوامع تحت الأرض ، أيضا أن هذا النظام الدفاعي المحكم قد أدى الى بقاء نسبة معينة من الشعب الأمريكي على قيد الحياة ، لأن أشد أنصار برنامج « حرب الكواكب » تفاؤلا لايزعمون بأنه سيكون نظاما دفاعيا مانعا لكل صواريخ العدو ، بل يعترفون بأن نسبة من هذه الصواريخ ستفلت منه ، وستصيب أهدافها ، وبأن القوة التدميرية للصاروخ الواحد الذي يحمل رءوسا نووية متعددة قادرة على سحق مدن عديدة بكل من فيها من البشر ، فكيف سينظر هؤلاء الناجون من المحرقة الى العالم والى أنفسهم والى مجتمعهم ؟

إن هؤلاء البشر الذين ينتفضون رعبا ، والذين خرجوا من مخابئهم المحصنة بعد شهور طويلة من العزلة عن العالم الخارجي ، وعانوا خلال ذلك أهوالا لاتوصف ، ليس أقلها تلك الحرارة الشديدة المتولدة عن وجودهم في أماكن مغلقة فترات غير عادية ، فضلا عن الصدمات النفسية التي تثيرها أهوال الحرب ، والتوقعات المخيفة في كل لحظة هؤلاء البشر يستحيل أن يعودوا الى اسلوب الحياة والتفكير الذي كانوا يتبعونه من قبل ، فأهل الكهف العصريون هؤلاء سيتعرضون للموت بالاشعاع بعد خروجهم ، ولن يجدوا حولهم الا الدمار المرعب ، وسيبحثون عن الغذاء وعن الكهرباء وعن الماء غير الملوث فلا يجدون من ذلك شيئا فهل يمكن أن يظل هؤلاء رأسماليين ، حتى لو كانت البلاد الاشتراكية قد سويت بالارض ، وحتى لو كان كل من ينتمي
(أيديولوجية) مخالفة قد أصبح رمادا ؟

هل ستصفق لهذا الانتصار (جنرال موتورز

الحرب النوويه حل « مثالي » للصراع « الايديولوجي » ؟

ا حرال الكتريك) و (جنرال ديناميكس) ؟ وهل سنحتفل به (آي بي أم) و (آي تي تي) ؟ وهل سيكون هناك مجال لاجتماع مجالس ادارات الشركات العملاقة ، المتعددة الجنسية ، ذات القدرات الجهنمية والشبكات الأخطبوطية ، ليشرب مدحوا السجاير من أعضائها نخب الانتصار الذي اسـ صل العدو من جذوره ، وترك العالم كله خاليا هـ يصولون ويجولون فيه كما يشاءون ؟

، هذه الشركات لن تجد عندئذ عمالا قادرين ع لانتاج ، ولا خامات مواد قابلة للتصنيع ولا ا مستهلكة للمنتجات ، بل انها لن تجد لنفسها و الدمار الشامل مقرا تمارس فيه نشاطها ، او و تتصل عن طريقها بالعالم ، ولن تستطيع اعادة سا ا كله طوال اجيال كاملة .

ولكن الأهم من ذلك هو التعبير العقلي الهائل الذي لابد ان يطرأ على تلك الفئة القليلة التي خرجت من مخابئها حية ، اذا افترضنا بأن هذا قد أمكن حدوثه فهل يعقل ان هذه الفئة التي عانت اقسى تجربة مر بها البشر طوال تاريخهم سوف تتطلع وسط مشاهد الموت والدمار الى الكسب والتوسع وغزو الأسواق ؟ وهل سيكون للطموح الرأسمالي الى الربح والمبادرة الفردية مكان في ذهن انسان يحيط به الخراب والألم طوال حياته وحياة ابنائه واحفاده ، ويرى الناس يتساقطون من حوله كالذباب في كل يوم من ايام عمره ؟ وهل سيكون للمال ، وللاسهم والسندات وللبنوك والبورصة معنى في هذا الجحيم المقيم ؟

انسان مختلف

باعتقادي أن بشاعة التجربة ستنتج انسانا مختلفا كل الاختلاف عن ذلك الذي عاش قبلها ، وان الصراع الحالي بين الرأسمالية والاشتراكية او الشيوعية لا يكتسب معناه الا في اطار الظروف الموضوعية للعالم « الحالي » ، اما في ظل الاوضاع التي تولدها حرب نووية شاملة فان ظروفا جديدة كل الجدة ستطرأ على حياة البشر ، يفقد فيها هذا الصراع كل معنى له ، ولابد ان تسفر من الوجهة (الايديولوجية) ـ عن شيء مختلف كل الاختلاف ، قد يكون من الصعب الآن تحديد معالمه ، لكنه سيكون قطعا بعيدا كل البعد عن الرأسمالية كما نعرفها الآن

ولو كان لي ان اجازف لقلت ان ما يمكن ان يسود ، في ظل هذه الظروف الفريدة ، هو شكل معدل من اشكال الدعوة الى الحفاظ على البيئة التي تتبناها الآن جماعات « السلام الأخضر » وغيرها ، وذلك لسبب بسيط هو ان مشكلة ايجاد بيئة تتيح استمرار الحياة البشرية ستظل وقتا طويلا جدا ، هي المشكلة المسيطرة على عقول اولئك الذين ظلوا على قيد الحياة وسط انقاض الحضارة البشرية

وهنا يصبح باستطاعتنا ان نجيب على التساؤل الهام الذي طرحناه من قبل ، ولم نجد له عندئذ اجابة شافية ، وأعني به لماذا لم تظهر دراسات دقيقة للنتائج (الايديولوجية) المترتبة على الحرب النووية الشاملة ؟ وذلك لأن دراسة هذا الموضوع من زاوية (الايديولوجيا) ستكشف عن حقيقة اساسية ، يحرص اساطين التسلح واقطاب الحرب النووية على اخفائها ، وهي ان النظام الذي تندلع هذه الحرب من اجل خدمة مصالحه لابد ان يختفي في اعقابها ، ايا كانت النتائج التي تسفر عنها ، وان التقنية الرفيعة التي تبتكر ابشع اسلحة الدمار ، واقوى وسائل الدفاع ، انما تهدم نفسها بنفسها لو حققت الهدف الذي تعمل من أجله ، وان المنتصر الاكبر في الحرب القادمة لابد ان يكون من الوجهة (الايديولو ة) هو الخاسر الأكبر

هي معركتنا ايضا

ويظل بعد ذلك سؤال اخر محير هل هم يجهلون هذا ؟ اغلب الظن انهم لا يجهلون ، وانهم على وعي بان الحرب التي يهيئون انفسهم لها مستحيلة « عقليا » ، مادامت ستؤدي الى عكس المقصود منها ، بل انهم على وعي بالمأزق الفكري لعملية التسلح النووي في عالمنا المعاصر، ذلك المأزق الذي يتمثل في ان هذا التسلح اذا حقق اهدافه بنشوب حرب فسوف تقضي هذه الحرب على النظام الذي هيأ لها الظروف الملائمة ، اما اذا لم يحقق اهدافه ، ولم تقم الحرب ، فسيكون معنى ذلك ان صناع الاسلحة وتجارها قد ارغموا العالم كله على ارتكاب اكبر عمل جنوني في تاريخه ، وهو ان يستنزف أثمن موارده البشرية والمادية في انتاج « لعب » مميتة ، لن يستخدمها احد

وأغلب الظن ايضا ان هذا هو بعينه المقصود ، فأسلحة الدمار الشامل تنتج من اجل الانتاج لا من اجل الاستخدام ، لأن الانتاج عملية مربحة الى أقصى حد ، أما الاستخدام فسيكون الجميع منه خاسرين ، ومن هنا كان من واجبنا ـ نحن شعوب العالم الثالث ـ أن نحدد موقفنا من هذه المسألة بوضوح قاطع ، ما دمنا نعيش في عالم ينفق على انتاج تلك اللعب المميتة التي لن تستخدم، أضعاف ما يكفي لحل جميع مشكلات التخلف والفقر والمرض والجهل في مجتمعنا ، فمن واجبنا أن نكون على وعي بأن معركة (الحد من التسلح) هي معركتنا ، قبل أن تكون معركة أمريكا والسوفييت ، أو حـ ـف الاطلنطي وحلف وارسو ، لأننا أكبر الخاسرين ن هذا الجنون اللامنطقي الذي يرغمنا صناع الأسـ ـحة وتجارها على أن نقبله ، وكأنه حقيقة أساسية ن حقائق الكون .

أقوال

■ « إن الكويت تود أن تؤكد بأن الاجراءات التي تمت أخيرا هي إجراءات تجارية بحتة ، تتعلق بتأمين مصالحها التجارية والاقتصادية ، وهي بعيدة كل البعد عن أي شكل من أشكال التدخلات الأجنبية في المنطقة »

راشد عبد العزيز الراشد

وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء الكويتي

■ « لن نسمح بأن يصبح المواطنون أقلية في بلدنا ، وعلينا الانتباه إلى مخاطر الاعتماد والاتكال على العمالة الأجنبية »

السلطان قابوس

سلطان عُمان

■ إن أول التجديد هو أن نقتل القديم بحثا

أمين الخولي

■ مأساة الشعب الفلسطيني ليست مجرد مشكلة سياسية محلية في الشرق الأوسط ، إنها مأساة تعنينا جميعا ، لأنها تكشف السر عن العنف والظلم الماثلين في صلب حضارتنا .

ج م لوكلوزيو

روائي فرنسي

نبيل السلمي

في ذمة الله

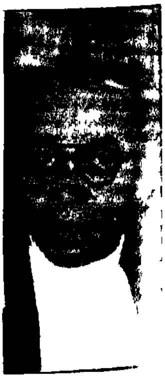

فوجئنا وهذا العدد ماثل للصدور بوفاة زميلنا الفنان الكبير رسام الكاريكاتير « نبيل السلمي » ، إثر أزمة قلبية ألمت به ، وهو أوفر ما يكون عطاء لعشاق فنه ، ولمجلة « العربي الصغير » التي ولدت على يديه ، ونمت ، وماتزال تحفظ له فضل سخاء فنه ، وروعة شخصيته

كان فن نبيل السلمي يتميز برقة النبرة ، وحدة النفاذ ، فهو يمضي مع الخيال إلى أقصى إمكاناته ، ويخاطب أولئك الأكثر ذكاء ، والأقدر على اكتشاف لغة الهمس ولغة القلب المثقل بآلام الآخرين وبنبل المسئولية ، وكان فنه صورة من شخصيته الهادئة ، هدوء من أدرك أن الصخب لا يجدي ، وأن التظاهر لغة على صاحبه ، وأن الصوت العالي يتبدد في الفضاء الواسع ، وأنك لكي تغير لابد أن تعمل في صمت ، وفي صدق ، وفي أمانة ، لكي تصل رسالتك ، وتسهم في إيجاد من يعملون في صمت وصدق وأمانة

قد لا تسمح لنا المساحة ولا الوقت بالحديث عن هذا الفنان بما يستحق شخصه وفنه ، وبالتأكيد فإن لمثل هذا الحديث وقته ومكانه ، ولا يسعنا في هذه السطور وأمام ذهول المفاجأة سوى أن نضرع إلى الله العلي القدير أن يتغمد الفقيد الغالي بواسع رحمته ، وأن نتقدم إلى أسرته ومحبي فنه وأصدقائه في الوطن العربي بخالص العزاء

الحوار ألوان

بقلم . فتحي رضوان

الحوار حاجة انسانية لازمة قلما يستغني عنها الانسان .. منه ما هو داخلي يقيمه الانسان مع ذاته ، ومنه ما هو مع الآخرين .. فما هي « الوان » الحوار التي قصدها الكاتب ؟

ربما لا أكون موفقا اذا قلت أن الحوار وسيلة متخلفة ، في حين اريد أن أقول إنها وسيلة عاجزة غير مؤثرة في اقامة علاقة عقلية بين رأيين أو مذهبين أو فردين أو جماعتين

ان بعض مفكري العرب المحدثين راجعوا صفحات التاريخ الانساني منذ البداية حتى اللحظة التي نكتب فيها هذه السطور ، فلم نعرف أن فيلسوفا أقنع فيلسوفا آخر بنظريته ، كما لم يقنع سياسيا ممثلا لدولة أقامها وآتاه بالاسلوب الجذاب واللسان الخلاب ، والحجة الصادقة ، والبينة القاطعة ، ان يخرج السياسي الممثل لدولة اخرى عن اعتقاده ويسلم لزميله المتحدث الرائع ، والمحاور ال ... قاله وأفضى من الحقائق والمعلومات فأنهى ما ك ... أو بين دولتيهما من نزاع ، وهدأت السيـ ... اغمادها والخناجر في قرابها ، وبقيت الجيـ ... ثكناتها لم تبرحها

وقد رأينا على مدى التاريخ الانساني ... سياسية تنشأ ، وعقائد دينية تولد ، ومدارس فكرية

م ، ورأينا لكل مذهب وعقيدة ومدرسة ، ارا ودعاة يبشرون بمكرتهم ، ويروحون تهم ، ويجادلون عن مذهبهم بالخطبة الأخاذة وار الذى يسد على الخصم المنافذ بعنف أو ، وبالحديث البسيط المسترسل الذى لا تحس رة الاعترار بالنفس ولا الرغبة في القهر ثم لى الكتب رسائل صغيرة ، فأسفارا صخمة لدات تنوء بثقلها الجمال في القوافل ، وكلها ع عن تلك المذاهب ، ومنافحة ـ عن صدقها على خصومها ثم يهدأ غبار المعارك فاذا كل في مكانه ، واذا الناس يزدادون تعصبا لمذهب أو ينفصون عنه ، ويغادرون هذه الدنيا وهم لم موا شيئا مطلقا عن هذه الاسفار الضخمة ، ولا المجلدات التى تعد صفحاتها بالمئات

ر لا ينتهي

ولكن الشىء الذى لا يمكن تفسيره أن الحوار لم ع بين الناس من المذهب الواحد ، وبين الناس لمذاهب المتباينة ، وبين الناس التى تريد أن تحاور ادل ، وهى لا تنتمي الى عقيدة ، ولا تنحار ون فكر الحوار إذن حاجة انسانية لا يستغنى ولا يعيش بغيرها وهناك حوار لا نعترف به ، نعطيه حقه من العناية والدراسة ، والتأمل هو ار مع النفس

ليس حتما ان يكون الحوار مع النفس بالصوت وع ولكنه يحدث بالصوت المسموع فما أكثر ت والخطب والمرافعات التى قالها أصحابها وهم يتصورون انفسهم انسانا يجادلهم أو لسة على مقاعد مصفوفة تستمع وتستمتع سها بالموافقة أو تلهب أيديها بالتصفيق وهى ها ، ولكنها انبثقت من خيال الكاتب أو و الخطيب

وار الذى لم نسمعه ولم يسمعه أحد هو ع الحوار الانسانى تأثيرا وان كان حديثا من طرف واحد ، ولكن اليه ينسب أكبر الأفكار وأعظمها وأجملها وأحلها ، ففي هذا الحديث الذى لا يبغى به المتحدث أن يقر رأيا ، ولا أن يكسب نصيرا هو الحوار الذى يوحى الى صاحبه أولا بالأفكار ، وثانيا بالتغيير والتعديل ، وثالثا بالاقتناع والطمأنينة

واذا التقى اثنان من مذهب واحد فانهما ـ للبحث ـ يبدآن في الحال حوارا ، ليتبينا بعده أنهما حد مختلفين وان ما يفهمه احدهما من مذهبه يفهم الآخر نقيضه ، فاذا هما خصمان لدودان وخصمان متناقضان ، واذا الحوار الهادىء المريح قد استحال الى قذائف متطايرة ولعنات متصاعدة ، تتقلص لها الأيدى وتنقبض بسببها أسارير الوجه وقسماته ، ويتصبب العرق ، ويشيح كل منهما عن صاحبه بوجهه كرها وضيقا ، ثم يهدآن ثم يستأنفان الحديث ، فاذا هما متصافيان يتودد احدهما للآخر ، واذا الخلاف الذى أجج النقاش بينهما يتبخر فلا يجدان له أثرا ، ولا يحسان لوقدته لذعا فيحسان انهما أقرب ما يكون احدهما من الآخر ، ولكن إلام انتهيا وعلام اتفقا ؟ لا شىء مطلقا والموضوع الذى دار حوله الخلاف بقي في موضعه لم يتقدم خطوة ، ولم يتحرك من مكانه قيد شبر

من الحوار الى الخصومة

والغريب انه اذا التقى فردان من مذهبين وعرف كل منهما أن صاحبه على النقيض منه ، دار بينهما الحديث هادئا خاليا من العنف كأنهما لا يجدان ما يدعو الى التصادم فكل منهما قانع بمذهبه مكتف به ، وكل منهما يعلم أن استمالة صاحبه الى مذهبه أمر لا أمل فيه ، ولا نفع منه فاذا ما ساءت علاقتهما لسبب لا يمت الى العقيدة بصلة رأيت كلا منهما ميالا الى الانقضاض على الآخر ، والامساك بتلابيبه ، واذا بالحوار المذهبى يشتعل ويتقد ويتحول مع الزمن الى خصومة معلنة فلا يلتقيان الا ويستثير صاحبه

بكلمة أو دعاية ، وفي الحال يتماسكان وتتحدد هذه الحالة ولسنا نذكر هذا المثل لمجرد بيان صورة من

صور التوتر الذى يسود علاقات أصحاب المذاهب والمواقف المتباينة ، وانما لستمد من هذه العلاقة بين الأفراد للعلاقة بين المجتمعات ، فما أكثر الدول أو مجموعات الدول التى عاشت حياتها تخشى مجموعة اخرى ، وتتوحس من كل حركة تصدر عنها ، أو خطوة تقدم عليها ، ثم تنشب الحروب وتستمر لسنوات والمراقبون يحسبون أن الخلاف مرده المذهب ، فاذا ما تغيرت الظروف ، تجاورت الظروف الجديدة الأوضاع السياسية القديمة ، العيت المجموعتين المتصادمتين وقد تلطفت العلاقة بينهما ،

وكل منها على مذهبه وكان هذا الخلاف المذهبى قد وقع وبشت بسببه حروب طاحنة ومعارك دامية ، فالمانيا وفرنسا تحاربتا قبل النازية وبعدها تحاربا والمانيا في ظل بسمارك ، ثم المانيا في ظل غليوم ثم تحاربا والمانيا في ظل هتلر،فكأن المذهب الذى قيل إنه الداعى الى القتال لم يلقِ بالعداوة ولم يؤججها وكأن التنافس على الأسواق الذى قيل انه السبب الثاني والذى تربيا برى المذاهب لم يفسد للجماعتين علاقة

فالتنافس بين الجماعات البشرية ضرورة اجتماعية وحين يتربيا بري العقائد يزداد تأصلا ولكنه في الوقت نفسه يؤدي الى تدافع هذه المجتمعات والى احداث صور من الصراع ينتفع به التقدم ويتلون به التنافس وتبحث عن الحوار فلا تراه ، لم يفسد العلاقة فيما أفسدها ، وانما صاحبها ولم يصلح تلك

العلاقة متى صلحت وانما عاصرها،والغريب أيضا اننا نجد ان حسبنا ان الحوار لا يحسم مشكلة من مشكلات الفكر المستعصية،ولا يقرب بين متنافرين ولا يؤثر في فرد أو جماعة اختارت لها منهجا يحاول الحوار تحويلها عنه أو تنفيرها منه ، فانه ـ أى الحوار ـ مستمر ومؤثر وفعال ولا يبدو هذا تناقصا،فهذ خوار الذى نعنيه هو حوار داخلى لا تسمعه الآذان وان

كانت الضمائر تتابعه وتتأثر به وتحرص عليه ولا تتجاهله أبدا ، فالجماعات المتنافرة المتناعصة لا تنقطع عن مخاطبة الجماعات التى تقف منها على النقيض ، ولكنه خطاب خفي ، خطاب لا تنفرج عنه الشفاه ، ولا تنطق به الألسنة ، فالحديث بين الشيوعية والنازية ، والحديث بين الديموقراطية والديكتاتورية ـ والحديث بين الرأسمالية والاشتراكية بل الحديث بين المتدينين والملاحدة وبين المسلمين والمسيحيين دائم وموصول ومؤثر ، وكله لا يسجل في كتاب ، ولا تحتويه رسالة ولا يلقى في محفل انه التساؤل الانسانى الموصول الذى يبدى دهشته واستغرابه ـ وربما ضيقه واعتراضه بآراء الآخرين ومواقفهم ، والذى يبدو على قسمات الوجه واشارات اليد ، ونغمات الصوت وهو يخرج صدر الدين وجه اليهم فالملاحدة يسمعون في كل

لحطة . لمؤمنين المتدينين كيف تعمى عيون هؤلاء الموم . رؤية آثار الله في كل مكان ، ألا يرون أن هذا الكون بعرائبه وعجائبه لا يمكن أن يأتي من وراع ألم ير هؤلاء الذين حلت قلوبهم من الايمان والتسليم بقدرته المحيطة ، ان هذا الكون بنظامه المستمر ، واتساقه المستقر ، وخضوعه من ألفه الى يائه لقواعد واحدة في أقصى الأرض وأدناها ، في الصيف المتقد الحرارة ، والبرد الذى تتجمد له الأطراف

النازيون والديمقراطية

ولا ينقطع النازيون والفاشيون عن الهزء بالنظريات الديموقراطية ، والايمان بسيادة الأمة ، وتمثيل الفرد للمجموع بصوته ، وكون النائب المنتخب عن دائرة هو الحارس على حقوق الشعب والممثل له ، وما يصحب صدور القرار في الحكم الديموقراطى من أدوار طويلة تعقد بها حكومة الديمقراطية من خصائص الحزم ، ما يهدد دولها بالمخاطر ولكم سخروا في مقالاتهم وصورهم بقادة الديمقراطية الذين يكونون عادة شيوخا فانين ذوى شوارب تغطي شفاههم ويبدون حكاما متهالكين في حين زعماء النازية والفاشية - رجال ممتلئون بالحيوية متمتعون بالقامات الممدودة والخطوات العسكرية في حين تبلغ أصواتهم بمكبرات الصوت وبغيرها عنان السماء دع عنك الحوار المباشر واستمع الى الحوار غير المباشر بين المذاهب والجماعات المختلفة الذى لا تنطق به الشفاه ، وانما ينطق به لسان الحال

وجملة القول ان هناك حوارا يتم بين الضمائر التى في الصدور ويتلقاها الذين يديمون النظر في شئون البشر ، ويقارنون بين أحوال الناس ويتأثرون بما يلحظونه وما يمر بهم من الظروف والتغيرات مر البرق الخاطف،فيهتزون من الأعماق ويخيل لهم ان عقائدهم تهتز من القواعد فيتشبثون بها ويقبضون عليها كما يقبض الممسك بالجمر وهو يتلظ من النار ، ويكاد يفقد احتماله

هذا الحوار الصامت الناطق المستمر والمتقطع هو الحوار الذى يصوغ في الواقع الأفكار والخواطر والعقائد والميول ، والذى يدفع الناس الى التصادم والتماسك ، وبغيره لا يكون للفلسفة وجود ، ولا لمعارك الرأى والفكر أثرها الباقى والدامى ، فهو في الواقع خلاصة تاريخ البشرية ، وسر عظمة المجددين والثوار

ولكنه مع ذلك مغبون الحق ، مجحود المكانة شأنه شأن كل العظائم في حياة الناس □

- لس ثمة أمة استطاعت أن تنهض من غير أن تطهرها نار

(غاندي)

- العظماء من يشعر المرء في حضرتهم بأنه صغير ، ولكن العظ م بحق هو الذي يشعر الجميع في حضرته بأنهم عظماء .

(مكسيم جوركي)

- مش قط إلا وأنا في حِجْر أمي . **(سقراط)**

القصيدة الدائرة

شعر : شوقي بغدادي

كَمْ حبَّةٍ جَنيْتُ
من بستاننا الأمينْ ؟
كَمْ لَوْزَةٍ في أوّلِ الصيفِ ،
وكَمْ تينٍ ، وكَمْ عِنَبٍ
قَطفتُ في تشرينْ ؟
كَمْ ضحكَةٍ غَسلْتُ في فِضّتِها
مسائيَ الحزينْ ؟
كَمْ لَمْسَةٍ في السِّرِّ ،
ثُمَّ كَمْ صَراحةٍ ،
وكُنْتِ تَسْتَحِينْ ؟
كَمْ جُمْلَةٍ قِيلَتْ لِمَعْنىً وَاحِدٍ ،
كُنّا نُعيدها ، وَنَسْتَزيدُها
في جلسةٍ واحدةٍ مئتينْ ؟
كَمْ مِعْطَفٍ زررْتُه عَلَيْكِ في البَرْدِ
وَأنتِ تَخْرُجينْ ؟
وكَمْ فَرَاشَةٍ رَفَّتْ عَلَى الفَسَاتِينِ
التي تُبَدِّلِينْ ؟
كَمْ قُبْلَةٍ عَلَى الهواءِ ،
كَمْ صَدىً ،
وكَمْ رَنِينْ ؟
الله ، ما أطول ذلك الحنينْ ! .
هأنذا أراكِ من عَشر سنين ،
مِن عشرينْ ،
كأنّني الآنَ تعرَّفْتُ إليكِ ،
الآنَ أحْبَبْتُكِ ،
قَبْلَ لحظةٍ رَأيتُ عَيْنَيْكِ تُحدِّقانِ بي ،
وَتُلغِيَانِ كُلَّ أعيُنِ الحَشْدِ الذي يُنصِتُ لي ،
فلاَأرى سِوَاهُما ،
وَلاَ أقولُ كِلْمَةً إلا إليْهما
الآنَ صَافحتُكِ في الزِّحام ،
ثُمَّ تحتَ شَجَرِ الطريقِ حاوَرْتُكِ ،
ثُمَّ إذْ تأخرْنَا عَنِ الجمعِ ،
واسْتَفاقَ بُلْبُلٌ في شُرْفَةٍ قَرِيبَةٍ ،
وَعلَّقَتْ إحدَى العَجائِزِ الحنوناتِ
عَلَى مَنْظرِنَا بِقولها : « حِلْوينْ » ! .
الله ، كَمْ مَرَّ مِنَ الأيامِ ،

كَمْ فا ، مِنَ السِّنينْ ؟
لَيْسَ سوَاكِ الآنْ ،
لَيْسَ غير الذَّهَبِ العتيقِ ،
لَيس سِوَى شَعْرِكِ خيْمَةً
في صَيفِنَا المُمْتَدِّ حتّى آخرِ الطريق ،
ليس سِوَاكِ رَشّةِ المَاءِ
التي تُقاوِمُ الحريقْ ؟

ماذا جَرَى للشجرِ المائِلِ نحو النهر ،
ينحني ، وينحني ،
وَصَرْخَتِي وَحيدَةٌ ،
لاتُنقِذُ الغَرِيقْ ؟
مَاذَا جَرَى للرَّجُلِ البَشُوشِ ؟ !
كَانَ وَجْهُهُ صَبَاحَنَا ،
وفي المساءِ نكهة المدينةِ الدّافِئَةِ الأصْوَاتِ ،
وابنَ الحارةِ العريقْ ،
مَاذَا جَرَى لِلُقْمَةِ الخُبْزِ ،
ولِلْمُزَاحِ ،
والزِّيَارَاتِ ،
وعزفِ جَرَسِ البَابِ
الذي يُعْلِنُ عَنْ صَدِيقْ ؟
مَاذا جرَى لخطبةِ الجُمْعَةِ ،
والمُصلِّينَ ،
ودلن السِّربِ مِنَ الحَمَامِ ؟
كان سحُ الرِّيشَ عَلَى الأكْتَافِ ،
ثُمَّ ر لايطِيقُ مَرْآنا ، ولانُطيق .
ماد ى للطيرِ ، والغزلانِ ، والسيرانِ ،
وال ، والكلامِ ، والسلامِ ، والهواءِ ،
والزهرِ والشهوةِ
والبحرِ الذي يستوعبُ الأنهار ،
والصوتِ الذي صرتُ له صَدَى ،
أفكّرُ الآنَ بها ،
فإنْ تَعجَّلَتْ
فَذَاكَ أنني أسابِقُ المَدَى ،
أعرف أنها على الطريق ،
أنها تسبقني دوماً ،
وأنها بالجسدِ الفذِّ الذي لها
تختصِرُ الشِّعْرَ برنَّةٍ مفاجئة ،
وتسبق الروح بقفزةٍ نحوي ،
وأنْ تكونَ دائما
البادئة
كيف أجاري فتحة القميص ، والذراعين ،
وكركرات الجرس الفضّي
إذ تطلقها مثل الرَّذَاذِ بُغْتةً
فيشْهقُ القلب من المفاجأة ؟ !
كيف أجاريها إذا انفعَلَتْ واحتدَمَتْ
وهي هادئة ؟

ياليتني أحبُّها غدا
كما أحبُّها اليوم
لقد تَسَلَّلَ الصقيعُ ،
حتى أعذّبَ الكلام ،
إلا هذه القصيدة الدافئة ،
أكتبها ،
وأصطلي بوهْجها ،
ونشْوتي بأنها المُلْهمة القارئة .

التغريب

بقلم : الدكتور محمد عمارة

من أكثر المصطلحات المثيرة للجدل التي يكثر ويشيع استخدامها في حياتنا الفكرية الراهنة . . مصطلح « التغريب » !

ففي « الصراع » بيننا وبين الحضارة الغربية . . بل وفي مناطق وميادين « الوفاق » بيننا وبينها ، يكثر استخدامنا لمصطلح « التغريب » !

في المعارك الفكرية التي شهدتها حياتنا الثقافية ، منذ بدء الغزوة الاستعمارية الحديثة التي شارك فيها أنصار التبني الكامل للنموذج الحضاري الغربي . ودعاة الرفض الكامل لهذا النموذج ، والقائلون بالتوسط بين هذين المذهبين ، شاع ويشيع الاستخدام لمصطلح « التغريب » !

شيوع وغموض

ومع هذا الشيوع . يعجب المرء لبقاء هذا المصطلح محملا بقدر كبير من التعميم والابهام والغموض ، الأمر الذي يدعو الى تأمل . ماذا يعنيه ؟ وماذا مثّلت مقولاته ؟ وماهي آثاره التي تجسدت في واقع أمتنا ، منذ أن هيمن عليها الاستعمار الغربي ، وحضارته قبل نحو قرنين من الزمان ؟ .

لقد جاء الغرب الى بلادنا في غزوته الاستعمارية الحديثة ، وقد وعى دروس غزوته الصليبية في العصور الوسطى فلقد كان في الغزوة الصليبية ، مجردا من الفكر والحضارة ، ليس لديه مايغري أهل البلاد التي سيطر عليها فرسانه الصليبيون ، الذين كانوا كما قال الفارس المؤرخ أسامة بن منقذ (٤٨٨ - ٥٨٤ هـ ١٠٩٥ - ١١٨٨ م) : كانوا « بهائم س لديهم سوى « فضيلة القتال » فلما استف ت فروسيتهم الهمجية فروسيتنا الاسلامية ، واند- ت غزوتهم واستسلمت حصونهم ، لم يخلفوا وراء م-

بعد سنين من الزمان ـ أي أثر في عقل الأمة الاسلامية ، يغري بالاقتداء والاستلهام والتقليد فكان جلاء قوات الغزو انجازا كاملا للاستقلال الوطني الكامل

جاء الغرب في غزوته الحديثة ، وهو على وعي كامل بهذا الدرس وكان عازما على أن يلحق عالم الاسلام بالمركز الغربي الحاقا مؤبدا ، فخطط ، منذ البدء ، لتلافي مصيره في غزوته الصليبية فالاحتلال العسكري ، لا بد يوما أن يستفز الحس الوطني فيجليه . والنهب الاقتصادى لابد وأن يستنفر المصالح القومية فتنتزع الأمة ثرواتها من مامريه وشركاته والأيدي العاملة الرخيصة التي تعتصر احتكاراته جهودها ، لابد وأن يوقظ الاستغلال حسها الطبقي فتثور على هذا الاستغلال اذن كيف السبيل لتأبيد تبعية عالمنا الاسلامي للغرب وحضارته ؟

المركز والهامش !

لقد بدأ فاطلق على بلادنا أسماء فقبلناها ، دون أن نفطن الى أنها « طعم » و « طعام » يؤدي تناوله الى ترسيخ فكرة · أن الغرب هو « المركز » وماعداه فهو « الهامش ـ التابع « فالشرق الأدنى » هو كذلك لأنه الأدنى من المركز الغربي . وكذلك « الأوسط » و « الأقصى » ، إنه هو « وحدة القياس » ثم مضى على هذا الدرب ، حتى غدت مفاهيمه وتجاربه ومذاهبه ، بل « وتقاليعه » هي أول مايقفز الى ذهن « النخبة » و « الصفوة » التي تغربت ، كمعايير ووحدات قياس ، عندما يُذكر أمر من الأمور فليبراليته هي النموذج لليبراليتنا ، وشموليته هي النموذج للشموليين منا . ومذاهبه الأدبية والفنية هي ا ـة والنموذج . . وفلسفته هي الفلسفة . . والرر المادية الحاكمة لعلومه الانسانية هي التي سرت دراساتنا لهذ العلوم الانسانية . وكل ماهو غربي و المتحضر ، وماعداه رجعية وتعصب وتخلف لكيء في مجرى تطور التاريخ .

وعلى درب « التغريب » هذا ، وفي ميادينه يستطيع الباحث أن يرصد الكثير من المعالم والشواهد التي مثلت ـ وما تزال ـ « جهودا » و « معارك » و « أفكارا » و « دعوات » حاول بها الغرب وعملاؤه ، والذين خدعوا بمقولاته أو اندهشوا وانبهروا بزخرف دعاويه ، إغواء أمتنا بالالتحاق بحضارته الغربية والتخلي عن درب « التواصل الحضاري » الذي يجعل نهضتنا المأمولة ذات امتداد متطور لحضارتنا المتميزة .

فـ « بالتبشير » حلقَ لمذاهبه الدينية ركائز وكنائس في بلادنا ، انتزعت أرضا التحقت بمراكز اللاهوت في بلاده وكان ذلك على حساب اسلامنا حينا ، وعلى حساب كنائسنا الوطنية الشرقية في أغلب الأحايين

جانب من دور الاستشراق

و « بالاستشراق » الذي ارتاد اعلامه ميادين تحقيق مخطوطات تراثنا ، والكتابة عن مذاهبنا وفرقنا ومجتمعاتنا سلط الضوء على كل مايؤدي الى ضعفنا وتشرذمنا ، لتسهل التبعية ويتيسر الالحاق فتوجهت جهود كثيرة من الدراسات الاستشراقية ، لتسليط الأضواء على الفرق الشاذة ، والأقليات النافرة ، والمذاهب الدخيلة ، تعطيها أكثر من حقها ، وتضفي عليها جمالا لاتملكه . وبثت أغلب هذه الدراسات في عقول قرائها ، أن أسلافنا لم يكونوا غير نقلة وحفظة لتراث اليونان ، ليتولّد في هذه العقول اقتناع باستحالة إبداعنا لمستقبل متميز ونهضة مستقلة ، طالما أن التميز والاستقلال ليسا أكثر من خرافة ، حتى في تاريخنا الحضاري وتراثنا الذي نفخر به ونتيه . . وحتى الدراسات التي لم تقل ذلك ، ولم تقصد اليه ، جعلت معاييرها في تقييم تراثنا معايير غربية ، فأسهمت هي الأخرى في تكريس روح التغريب في ثقافتنا المعاصرة

وانطلاقا من « المعايير الغربية » التي جعلت حضارة الغرب ، وتطوره التاريخي « وحدة

القياس » في كل شيء ، شهدت ساحات الفكر في بلادنا ـ تحت هيمنة الاستعمار ودعاة التغريب ـ الكثير من الدعوات التي قامت حولها المعارك الفكرية

فالمستشرقون يدرسون « مقدساتنا » كتاريخ بشري ، لا قداسة له وفي هذه الدراسات عبر الخطأ والجهل والمغالطات ، غمز ولمز كثير وعلى هذا الدرب سار منا نفر ، تناولوا بعضا من مقدساتنا بنفس الروح وذات المعايير

واللاتينية عندهم قد أحلَتْ المكان للغات القومية فرأيناهم يدعون الى دفن العربية ، وإحلال العاميات المحلية مكانها متجاهلين الفروق الموضوعية التي تميزنا عنهم في هذا الميدان نحن أمة واحدة ، أما هم فقوميات وأمم عدة

وأن العربية ، فضلا عن أنها رباط الوحدة القومية للأمة الواحدة ، فهي لسان « الاسلام ـ الدين » ولم تكن كذلك لاتينيتهم في علاقتها بالمسيحية والذين دعوا الى ذلك ، لقصورٍ زعموه في وفاء العربية بمتطلبات النهضة العلمية الحديثة ، لم يقولوا لنا كيف استطاعت العربية يوما أن تكون لسان العلم العالمي ؟ ولم يقولوا لنا ـ أيضا ـ هل ستنهض بهذه المهمة ـ خيرا من العربية ـ العاميات المحلية ؟ لم يقولوا شيئا من ذلك ، فلقد كان الهدف واضحا ازاحة العربية لمصلحة اللغات الغربية الوافدة ، واستخدام التعددية في اللهجات العامية ،

لتنفصم عروة وثقى من عرى وحدة الأمة وفوق ذلك وقبله ، جعل العلاقة منبتة بين حاضرنا ومستقبلنا، وبين تراثنا الحضاري المكتوب بالعربية ، وذلك حتى لايكون هذا الحاضر والمستقبل الامتداد لماضي الأمة الحضاري ، وإنما الهامش التابع للمركز الغربي وحضارته الغربية ، فلما فشلت هذه المعركة ، خاضوا معركة أخرى دعوا فيها الى الابقاء على العربية مع كتابتها بالحرف اللاتيني ، لتتغرب الأمة وتغترب عن دينها وتراثها تحقيقا لذات الأم المبتغاة من « التغريب » !

التحديث

وحتى يوهمونا بأن « تقدما » لابد وأن يكون « تحديثا » على النمط الغربي ، وأن خيارنا في الخلاص من مشكلاتنا لابد وأن يكون « خيارا » غربيا ذهبوا يوهموننا بوحدة نمط التطور في تاريخنا وتاريخهم ، منطلقين من الاستعلاء الذي يريد أن يفرض على الأمم والشعوب « النمط الغربي » لا للمستقبل فقط ، وإنما للماضي وتطوره الحضاري أيضا !

فكما كانت علاقة دينهم بدولتهم « كهانة » و « ثيوقراطية » ، و « تفويضا إلهيا » و « حكما بالحق الالهي » زعموا أن إسلامنا كان كذلك ، وأنه قد جعل خلافتنا الاسلامية حكما مطلقا ، الخليفة فيه يستمد سلطانه من الله ، لا من الأمة وولايته على دين الناس ودنياهم عامة ومطلقة كولاية الله سبحانه ، ورسوله صلى الله عليه وسلم ، على الناس

ولما كانت مسيحيتهم قد طلبت أن يدع الناس ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله ، لأنها رسالة روحية مُهمتها خلاص الروح وتنظيم مملكة السماء ، ولادخل لها في سياسة الدولة ، وتنظيم المجتمع ، وتنمية العمران المدني فلقد حاولوا تصوير إسلاما مسيحية ، ليجردوه من جوانبه المدنية ، فزعموا « أن محمدا صلى الله عليه وسلم ، ماكان إلا رسولا لدعوة دينية خالصة للدين ، لاتشوبها نزعة ملك ، ولا دعوة لدولة ، وانه لم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم ملك ولا حكومة ، وانه صلى الله عليه وسلم لم يقم بتأسيس مملكة ، بالمعنى الذي يفهم سياسة من هذه الكلمة ومرادفاتها ، وانه ماكان الا رسولا كإخوانه من الرسل ، وماكان ملكا ولا مؤسس دولة ، ولا داعيا الى ملك »

وهم بذلك لاينكرون حقائق التاريخ و ها ،

بل وينكرون لحقيقة التمايز بين الحضارات والأمم في أنماط التطور فإذا كانت هيمنة الكنيسة على الدول والمجتمعات الغربية قد أصابتها بالجمود والجهل والتخلف في كل الميادين ، فان احتكام أمتنا الى شريعتها هو الذي أثمر أزهى عصور ازدهارنا الحضاري ، وقمة استنارتنا وعقلانيتنا ، ولم تدخل أمتنا الى طور التراجع والتخلف والجمود الا عندما أزاحت دول العسكر المماليك الصبغة الاسلامية عن قطاعات من الواقع ، وعن القانون الذي ينظم حركة هذا الواقع

دوائر الولاء

ولما كانوا قد حلوا مشكلة استبداد كنيستهم بدولتهم وفق « المعيار الانجيلي » « دع مالقيصر لقيصر ، وما لله لله » ، فلقد أرادوا أن تكون « علمانيتهم » التي تفصل « الدين » عن « الدولة » ، هي النهج الذي يحكم علاقة الاسلام بالسياسة في بلادنا ، فارتبط تزايد نفوذهم الاستعماري بين ظهرانينا ، باستبدال قانونهم المعبر عن فلسفة حضارتهم ـ بفقه المعاملات الاسلامي ، الذي هو القانون الطبيعي للأمة الاسلامية ، المتسق مع عقيدتها والمحقق لمقاصد شريعتها ، والذي تكن له الاحترام

وعلى عكس مفهوم حضارتنا « للأمة » ـ وهو المفهوم الذي بريء من عصبية العرق ـ حتى لقد وفق وجمع وألف بين الولاء للدوائر « الوطنية » و « القومية » دونما تعارض أو تناقض على عكس هذا المفهوم رأيناهم يزرعون في واقعنا الفكري والسياسي « المفاهيم القومية » للحضارة الغربية فصار تبعا لها ، في عقول البعض وتوجهاتهم وبرامج أحزابهم التناقضات بين هذه الدوائر ، ورأينا [illegible] يقف عند الدائرة « الوطنية » دون « الص[illegible] » ومن يهمل ، بل وينكر الدائرة « الو[illegible] » و « الاسلامية » معا ، مانحا ولاءه فقط للدائرة « القومية » ، لأن المفاهيم والمعايير الغربية لهذه المصطلحات ، وتطبيقات تلك المفاهيم ، قد صنعت ذلك في التطور القومي لأمم الحضارة الغربية

الميراث والحقيقة

نعم لقد نجح الغرب الاستعماري ، مستخدما سلطانه السياسي والعسكري والاقتصادي ، ومستفيدا من هيمنته الاستعمارية على ميادين التأثير الفكري وأدواتها في بلادنا ، ومستندا الى الانجازات الرائعة ، التي حققتها نهضته الحضارية الحديثة نجح في خلق « نخبة » و « صفوة » متغربة من أبناء أمتنا ، أعلنها سلك هذا السبيل عندما انبهر بروعة الحضارة الغربية وهو يقارنها بتخلفنا الموروث عن نظم وأحقاب دول العسكر التُرك والمماليك ، ظانًّا أن هذا « الميراث » هو حقيقة الاسلام وحضارته ، فاعتقد ـ « مخطئا ـ ومخلصا » أن السبيل الى التقدم وإلى مغالبة الغرب ، والانعتاق من قيوده الاستعمارية ، هو في استعارة الحضارة الغربية بحلوها ومرها ، بخيرها وشرها ، فدعا الى أن نكون غربا ، نصيب كما يصيبون ، ونخطىء كما يخطئون وحتى يدعم من منطلقات هذه الدعوى ويجمع لها المبررات ، ذهب ليوهم الأمة انها والغرب يجمعهما جامع حضاري واحد هو حضارة البحر المتوسط ، وأن هذا الجامع هو أكثر الجوامع الحضارية أصالة ومتانة وجدوى في تاريخنا ، وأن غيره من التأثيرات الحضارية ـ افريقية ـ أو آسيوية (اسلامية) ـ انما هي عابرة وسطحية وموقوتة

وإنصافا للحقيقة ، ولهذا الفريق من النخبة و « الصفوة » المتغربة ، فان الكثيرين من أعلام هذا الفريق ، قد عاد ـ بعد مرحلة الانبهار ـ فراجع موقفه ، وانحاز الى الخيار العربي الاسلامي ، ومنهم من انتقد مرحلة « تغربه الفكري » ، ومنهم من قال ذلك ، عمليا من خلال ، الاهتمامات التي ركز

عليها في إنتاجه الفكري الجديد

لكن فريقا آخر من الذين تغربوا لم يكن دافعهم الى تبني هذا « الخيار » والدعوة اليه « خطأ المخلصين » المنبهرين بالحضارة الغربية ، والساعين الى إنهاض الأمة كي تتحرر من هيمنة استعمارها وإنما كان دافعهم الكراهية للاسلام والرغبة في إزاحة نمطه الحضاري عن النهضة المنشودة ، فكان النموذج الغربي في الحضارة هو البديل ، الذي ليس لديهم سواه ، كي لاتصطبغ نهضتنا بالاسلام الذي يكرهون

جهد على الجبهة الحضارية

وهذا الفريق من المتغربين هو الذي تَكَّون من عدد من المسيحيين الشاميين ، الفارين من تسلط الدولة العثمانية ، فتبلور تيارهم المتمرب على أعتاب دار المعتمد البريطاني في مصر ، ثم جعلوا من صحيفة المقطم سنة (١٨٨٩ ـ ١٩٥٢ م) مدرسة لهذا اللون من فكرية التغريب ولقد نحا نحوهم وسار على دربهم نفر ضئيل من أبناء مصر وغيرها ، حمل للاسلام العداء الذي يحملون وكان سلامة موسى سنة (١٨٨٨ ـ ١٩٥٧ م) الصوت العالي لهذا الفريق فهو القائل إنه إذا كانت الرابطة الشرقية سخافة ، لأنها تقوم على أصل كاذب ، فإن الرابطة الدينية وقاحة ، اننا أبناء القرن العشرين أكبر من أن نعتمد على الدين جامعة تربطنا ونحن في حاجة الى ثقافة حرة أبعد ماتكون عن الأديان وحكومة ديمقراطية برلمانية ، كما هي في أوروبا ، وأن يعاقب كل من يحاول أن يجعلها مثل حكومة هارون الرشيد أو المأمون ، أو « توقراطية » ودينية ، وكلما ازددت خبرة وتجربة وثقافة توضحت أمامي أغراضي يجب علينا أن نخرج من آسيا ، وأن نلتحق بأوروبا ، فإني كلما زادت معرفتي بالشرق زادت كراهيتي له وشعوري بأنه غريب عني ، وكلما زادت معرفتي بأوروبا زاد حبي لها وتعلقي بها ، وزاد شعوري بأنها مني وأنا منها ، وهذا هو مذهبي الذي أعمل له طول حياتي سرا وجهرا ، فأنا كافر بالشرق مؤمن بالغرب

هكذا أرادوا بالتغريب ، نفي « الاسلام ـ الحضاري » عندما أنكروا التماير الحضاري تاريخيا ، والتعددية الحضارية للأمم العريقة في مواريثها الحضارية ، ومن ثم أنكروا التماير في سبل اليقظة والنهضة الحديثة ، وأرادوا بـ « الخيار الغربي » في « التحديث » بتأبيد تبعية أمتنا العربية الاسلامية للمركز الغربي والهيمنة الغربية

وهكذا وجدت دعوات اليقظة الاسلامية وحركاتها وجماعاتها ـ منذ أواخر القرن التاسع عشر ـ أن التحديات والعقبات التي تواجهها وتجابهها ، قد أضيفت إليها مخاطر « التغريب » ، فكان عليها أن تبذل جهدا ملحوظا على الجبهة الحضارية ، لصياغة مشروع حضاري عربي اسلامي ، يكون دليل اليقظة الاسلامية الى النهضة المستقلة استقلالا حقيقيا عن الحبائل والشراك التي صنعها ويصنعها الاستعمار على جبهة « فكرية التغريب »

ومنذ تلك المرحلة أضيف هذا التحدي الى المهام الأولى لليقظة الاسلامية مجابهة الجمود بالاجتهاد والتجديد والتصدي للغزوة الاستعمارية بالجهاد والتحرير ☐

■ كلمة واحدة رقيقة أُصغي إليها حيًّا ، ! خير عندي من صفحة كاملة كلها تمجيد ، في جريدة كبرى ، حينما أكون قَدْ مِتّ ودُفِنْت .

(فولتير)

اقـــرأ فـي العَـددَ القـادم مـن "العـربي"

عدد سبتمبر ١٩٨٧

استطلاعات

البرتغال ..
جســر بَــين الحضارات
صلاح حزين

عُمــان ..
بــلاد النخيــل والنرجيـــل
صادق يلي

مركز الطب الاسلامي ..
والمعالجة بالنباتات الطبية فى الكويت
يوسف زعبلاوي

■ أكذوبة الثقافة اليَهوديّة	د. عبدالوهاب المسيري
■ جسرٌ مِن كلماتٍ ونور	د. عبدالعزيز كامل
■ المجهود العَربي فى العلوم الأساسيّة	د. أسامه الخالدي
■ أزمة المديونية فى العالم الثالث	نعوم ابراهيم عبود
■ قضية التعريب فى الجامعات السورية	أبو العاطي ابو النجا
■ الذكاء والذاكرة	د. فخري اسماعيل الحسن
■ السينما والانواع الادبية	محمد صوفي
■ الشتاء النووي	د. سعود عياش
■ الدلفين أفضل أصدقاء الإنسان	سمير شعبان
■ امهات للايجار !	د. غسان حتاحت
■ القيم الفكرية والجمالية فى أعمال الفنان سامي محمد	حميد خزعل

■ وجهاً لوجه : د. فاطمة المرنيسى وعلاء الدين محسن

اقرأ أيضاً للكتاب

. محمد الرميحي - د. عيسى درويش - د. محمد موفاكو - د. محمد صادق زلزلة
. سلمان قطاية - د. احسان صدقي العمد - د. محمد الكبرا - جار النبي الحلو

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

رائد مجهول

في ميادين الصحافة والشعر والترجمة

بقلم : الدكتور علي شلش

« لم يسمع كثيرون باسم حسون ، بل لقد نسي كثير من الباحثين أنه أول من أصدر صحيفة عربية في البلدان الأوروبية ، وأول من نظم الشعر المرسل ، وأول من ترجم شيئا من الأدب الروسي إلى العربية . لقد كانت حياته رحلة طويلة ، مليئة بالخلافات والاجتهادات » .

لا بد للباحث في طوايا الصحافة والشعر العربيين خلال القرن الماضي أن يستوقفه اسم هذا الرحل الطريف المغامر ، فهناك إشارات إليه في كتب تاريخ الصحافة والشعر ، وهناك أيضا بعض بقاياه الصحافية والشعرية في بعض مكتبات القاهرة ولندن ، ومع أن ما كتب عنه قليل لا يشفي الغليل ، إلا أنه يتميز بميزة لا تتوفر لكثيرين ، فهو أول من أنشأ صحيفة عربية خارج بلاد العرب ، وأول من نظم الشعر المرسل في أدبنا الحديث ، على عكس ما هو سائد في دراساتنا من نسبة أول محاولة لغريمه أحمد فارس الشدياق ، بل إنه أول من ترجم شيئا من الأدب الروسي إلى العربية ، ومع أنه لم يكن في حياته أوضح من نار على علم - كما كان يتصور - إلا أن المصادفة وحدها قد أتاحت له أن يوضع في مكان الريادة ، والأمر الذي لا يحتمل شكا أنه لو كان ذا موهبة لتبدلت حاله ، لكن حظه المحدود منها هو الذي أطفأ ناره ، وأنزل علمه بسرعة ، حتى لم يعد باقيا منه اليوم سوى الريادة بمعناها التاريخي

وبسبب هذه الريادة التاريخية سننظر في آثاره وأعماله ، لنرى أي نوع من الرجال كان ، وإلى أي مدى سارت محاولاته الصحافية والشعرية ، حتى استحق مكانة الرائد ثلاث مرات . مرة في الصحافة ، ومرة في الشعر ، وأخرى في الترجمة

حياة قصيرة حافلة

لعل أهم مصدر عن حياته وأعماله المقال المطول الذي كتبه عيسى اسكندر المعلوف ، ونشره مسلسلا بمجلة « المقتطف » في القاهرة عام ١٩١٠ م ، ثم أعاد نشره فيليب دي طرازى عام ١٩١٣ م في الجزء الأول من كتابه الضخم « تاريخ الصحافة العربية » ، ففي هذا المقال ذكر المعلوف أن حسون من أصل أرمني ، هاجرت أسرته إلى حلب منذ قرنين ، حيث ولد عام ١٨٢٥ م ، وتعلم ، وأتقن الخط العربي ، ثم درس اللاهوت ، واللغة الفرنسية ، والتركية ، والأرمنية ، والعربية ، فضلا عن الرياضيات ، « وكان نابغة في جودة حفظه وذكائه ، حتى أنه نظم الشعر وهو تلميذ في الثالثة عشرة من عمره ، وطاف في لندن ، وباريس ، وجاء مصر ، واستنسخ كتبا كثيرة ، ثم عاد إلى الأستانة » ـ كما يقول المعلوف ـ وكان بينه وبين أدباء عصره في سورية ، ومصر ، وتركيا ، مراسلات ومساجلات ومشاحنات ، ولا سيما مع أحمد فارس الشدياق (١٨٠٤ - ١٨٨٨)

وفي الأستانة مال حسون إلى الصحافة ، فأنشأ عام ١٨٥٥ أول جريدة تصدر بالعربية في عاصمة الخلافة العثمانية ، وكان اسمها « مرآة الأحوال » ، لكنها لم تستمر طويلا ، بسبب انتقاده للعثمانيين ، وتعرضه لبعض الدسائس ، وبسبب هذه الدسائس ـ أيضا ـ تعرض للسجن بعد إغلاق صحيفته ، لكنه ما لبث أن نجح في الفرار من سجنه ، فيمّم وجهه صوب روسيا ، أعدى أعداء الدولة (العلية) العـ بية في ذلك الوقت ، وهناك « أطلق لسانه بالا اد على الحكومة » العثمانية ، كما يقول المعلوف أيـ ثم رحل من روسيا إلى فرنسا ، فانجلترا ، والـ حيرة أصدر مجلة اسمها « رجوم وغساق إلى فار لشدياق » ، لم تدم أكثر من عددين ، في يومين ـ (٤ ، ٥ ، مايو) عام ١٨٦٨ م وكانت ـ كما هو واضح من اسمها ـ مخصصة للهجوم على غريمه الشدياق الذي يقال إنه عاداه في الأستانة ، وألب عليه سلطانها ، وبعد توقف هذه المجلة أصدر صحيفة باسم « آل سام » ، عام ١٨٧٢ م ، خصصها للمال والاقتصاد ، والتنديد بالأتراك ، والتقرب من روسيا ، ولكنها لم تدم طويلا كزميلتها ، فشغل نفسه بعدها بكتابة الشعر والترجمة ، حتى أعاد إصدار « مرآة الأحوال » عام ١٨٧٦ م أسبوعية سياسية ، ثم توقفت بعد أقل من عام ، وأخيرا أصدر مجلة أخرى عام ١٨٧٩ اسمها « حل المسألتين الشرقية والمصرية » ، وكانت تصدر كل أسبوعين ، ويكتبها شعرا كما يقول المعلوف ، وبعد أشهر أخرى توقف عن نشاطه الصحافي ، وتفرغ إلى نسخ كتب التراث ، وتصحيح حروف الطباعة العربية في أوروبا ، ومساعدة بعض المستشرقين في تحقيق عيون التراث ، وقد توفي عن ٥٥ عاما سنة ١٨٨٠ م ، وقيل إن السلطان عبدالحميد بعث إليه من دس له السم في الشراب

مرآة الأحوال في لندن

ذكر المعلوف أنه رأى العدد السادس عشر فقط من « مرآة الأحوال » اللندنية ، ولكننا رأينا عددين منها بالمكتبة البريطانية في لندن ، فضلا عن ٣٥ عددا بدار الكتب في القاهرة في مجلد واحد ، يضم العددين (٢ ، ٣٤) الموجودين في لندن ، وهذه الأعداد الخمسة والثلاثون الأولى من الاصدار الثاني للجريدة في لندن ، أما أعداد الاصدار الأول في الأستانة ، وكذلك أعداد الصحف الأخرى التي أصدرها في لندن ، فلا توجد في القاهرة ، ولا في أوروبا ، ولا أدري إن كان قد بقي منها شيء في بيروت أم لا ، فمن المفروض أن دي طرازي قد اطلع على بعضها حين أرخ لحسون وصحفه في كتابه الضخم

وقد صدر العدد الأول من « مرآة الأحوال »

اللندنية في ١٩ اكتوبر ١٨٧٦ م وكانت أول جريدة عربية تصدر في بريطانيا ، وقد صدرت في أربع صفحات من قطع نصف الجريدة العادية المعروف (التابلويد) ، وكان اسمها يتصدر رأس الصفحة الأولى بخط كبير ، تأتي تحته ـ بخط أصغر ـ عبارة « في السياسة والأخلاق » ، وعلى يمين الاسم درج حسون على نشر ما يوازي خمس عامود بعنوان « شروط الاشتراك » مع عنوان الجريدة في لندن ، ثم يظهر أسفل الاسم سطر بعرض الصفحة ، أشبه بقفل لبيانات الجريدة ، تليه الأعمدة الثلاثة التي تتألف منها الصفحة ، بمقاس نحو ١١ سنتيمترا لكل عامود ، ويسري هذا التصميم على أعمدة الصفحات الثلاث الباقية ، باستثناء بداية الأعمدة من أول الصفحة

في شارع الصحافة

صدرت الجريدة في البداية في أحد شوارع حي غرب لندن ، المعروف حاليا عند السياح ، ثم نقلت إلى شارع آخر مشهور هو « ستراند » ، ابتداء من العدد ١٥ في ٢٥ يناير ١٨٧٧ م ، حتى تكون « بجوار جميع الصحف (الجرنالات) الانكليزية الشهيرة ، وليسهل تناول كل ما يناط بها » ، كما يقول حسون ، فشارع ستراند هذا امتداد لشارع فليت ، أو « شارع الصحافة » المعروف

وكان حسون يكتب أعداد الجريدة في البداية بخطه الجميل ، ويطبعها على الحجر ، ثم بدأ في صفّها بحروف أعدها وصنعها بنفسه ، وكان يطبعها أيضا على ورق سميك نسبيا ، ثم تغير الورق ابتداء من العدد ١٨ في ١٥ فبراير ١٨٧٧ م إلى ورق خفيف ، كي يسهل شحنها في العالم ، بل كان حريصا على إخراجها بشكل لائق ، ولا سيما حين درج على كتابة موادها بالخط ، فهو يترك فراغات بيضاء بين الموضوعات والأخبار ، ويستخدم العناوين أحيانا ، أو الفواصل السطرية أحيانا
أخرى ، دون عناية بأدوات الترقيم مثل النقط
الفواصل

ومن الواضح أن إصدار صحيفة عربية في لند
ذلك الوقت لم يكن أمرا سهلا ولا مريحا ، ولا
حسون كان يقوم بأعمال المحرر والخطاط وال
والموزع ، ومع ذلك كان يساعده في تحري
والترجمة لها بعض معارفه وأصدقائه ، مثل ل
صابونجي ، وعبدالله مَرّاش اللذين هاجرا من ا
إلى لندن حينذاك واحترفا الكتابة والصحافة

استهل حسون افتتاحية العدد الأول مشير
عهد الصحيفة الأول بقوله « مرآة الأحوال
فيما قد سلف تنشر كاسمها ، مرآة تنجلي فيها
الأحوال ، وفعال الرجال ، إن صالحةً فصا
وإن طالحةً فطالحة ، فتأذى بها أصحاب العس
ونصبوا لها فخاخاً ، وما برحوا يمكرون ،
أوصلوا إليها صدأ بغيهم وعدوانهم ، فتعطلت
عن كشف مظالمهم ، واتخذت طريقها في ال
سَرباً ، تطلب عند الانكليز مأمنا ، وقد ج
الحرية لها شعارا ، لا تفند أحدا ما لم يأت منك
ولا تمدح أحدا ما لم يحسن العمل ، تقول بلسان
لأولياء الأمور من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ،
يعمل مثقال ذرة شرا يره »

ثم تحدث عن برنامج الجريدة ، وخط
وكيف أنها لن تنشر الأخبار الأوروبية إلا
غربلتها ، لتنشر الملائم منها ، مرة كل أسبو
فضلا عن نبذة وافية عن أسعار البضائع ، كما
عن أسلوبها فقال « ومعولنا في كتابة هذه الص
على اللغة المألوفة ، والاصطلاح ، يشترك
الخواص والعوام ، لأن الغلط المشهور خ
الصواب المهجور ، لا سيما في مواد التجارة »

وعلى هذه الخطة سار حسون في صحيفته
كان قد ركز على أحوال الدولة العلية ومصر
يخل عدد من الأعداد الخمسة والثلاثين من ال
باستبداد الأتراك ، وظلم الولاة العثم

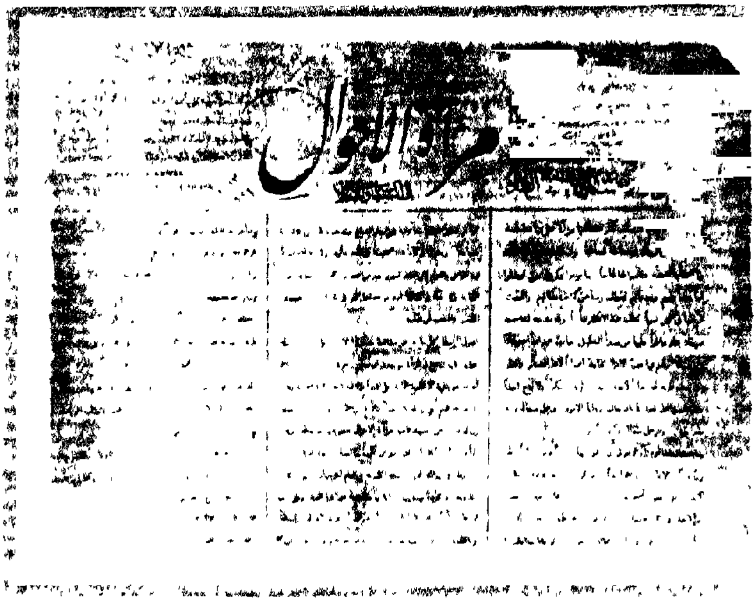

النصف العلوي من العدد الأول لمرآة الأحوال في لندن

لرعاياهم ، ولا سيما في الشام ، بل انه نشر ترجمة كاملة للدستور العثماني الذي وضعه مدحت باشا عام ١٨٧٦ م ، وعلق عليه مادة مادة ، ثم هاجمه بدعوى أنه وضع على غير أساس ، لأن الدستور في رأيه أشبه سقف البيت ، ولا يمكن أن يوضع السقف على غير أساس أو جدران ، وكان في الوقت نفسه يثني على روسيا وقيصرها ، نكاية في الأتراك ، ويهاجم الخديوي اسماعيل ، منددا بإسرافه ، وتجريده حملات عسكرية إلى أفريقيا بغير طائل ، أو استخدامه الرقيق في حرث أراضيه بدلا من الـ انات ، وتدخله في التجارة ، وتعطيله تجارة الا ل ، ويبدو أنه كان يحصل على معظم المادة الـ ية والمصرية عن طريق معارفه وأصدقائه في الأ ـة والقاهرة ، وكان ينقل أخبارا كثيرة من الصـ ـ البريطانية ووكالة (رويتر)

ومن الأخبار التي كان ينشرها ، ويحررها بطريقته الساخرة الركيكة خبر في ٢ نوفمبر ١٨٧٦ م ، هذا نصه

« كثر موت المواشي في الاقليم المصري ، حتى أن ولي عهد الحكومة والوزراء والمأمورين استعاضوا بصهوات الخيل حميرا ، وتنوفس في الحمار تبعا لفراهيته وغندرته ، والنهضة بحملته ، وعلت سوق النواهق وقيمتها على ما أخبر (الديلي نيوز) الصحيفة الانجليزية المعروفة حينذاك) بتاريخ أمس من ستين ليرة (كانت الليرة تعادل حينها استرلينيا) إلى مائة ليرة ، والراغب يزيد فيما يريد »

وتوقفت مرآة الأحوال

في العدد ٣٥ الصادر في ٦/ ٦/ ١٨٧٧ م أعلن أنه « تخلصا من سقامة الطبع بالليتوغراف ، وإجابة لطلب الأكثرين من المشتركين ، وإنجازا لوعدنا المتقدم ، قد عولنا على طباعة المرآة بالحروف » ، ثم

أعلن انقطاع الجريدة عن الظهور استعدادا لتلك الطفرة ، نحو أسبوعين أو ثلاثة ، مع تعويض المشتركين بحساب ٥٢ عددا في السنة » والمأمول ـ كما يقول ـ أنها ستأتي بالحروف طباعة تشرح الصدر ، والخاطر ، وتقي من الكلال الناظر »

ولكن يبدو أن حلمه لم يتحقق ، فسرعان ما أوقف الجريدة ، وفسّر ذلك ـ فيما بعد ـ بقوله « صدّني ـ وقاكم الله ـ ضعفٌ عن القيام بكتابة مرآة الأحوال ، وامتنع تصديرها بحروف الطباعة لما تقتضيه علاوة أضعاف النفقة الليتغرافية ، ولم يواز دخلُ المرآة ربع نفقتها » ، ومعنى هذا أن سر توقفها كان نقص المال ، مما ينقض فكرة أنه كان عميلا للروس ، فلو كان الأمر كذلك لقام هؤلاء بدعم الجريدة ، لا سيما بعد أن دخلوا ـ عام توقفها ـ في حرب مريرة ضد السلطان عبدالحميد ، لكن هذا لا ينفي بالطبع إمكان مساندته ماليا من جانب بعض أثرياء عصره ، ولا سيما السيد بَرْغَش ، سلطان زنجبار الذي مدحه في الجريدة أكثر من مرة

الشعر في الأزمات

كان الشعر ملجأ رزق حسون في الأزمات ، أو النكبات على حد تعبيره ، ولا سيما ، في الحنين إلى أولاده الذين تركهم في الأستانة ، وقد ذكر المعلوف أنه ترك سبعة مؤلفات ما بين مطبوع ومخطوط ، منها ثلاثة كتب ، ورسائل مختصرة في السيرة اليسوعية ، والطباعة العربية ، والأربعة الباقية دواوين شعرية ، لكن أحد هذه الدواوين ليس له ، وهو « ديوان حاتم الطائي » الذي استنسخه عن مخطوطة قديمة ، وطبعه بخطه في لندن من ٣٣ صفحة عام ١٨٧٢ ، وأحدها أيضا ، بعنوان « النفثات » ، طبعه في لندن عام ١٨٦٧ م ، وعَرّب فيه ٤١ حكاية شعرية للشاعر الروسي كريلوف ، كان قد وضعها على طريقة (بيدبا الفيلسوف الهندي) في « كليلة ودمنة » ، ولافونتين الفرنسي في « خرافات عيسوب » ، ثم أضاف حسون إلى حكايات كريلوف بعض قصائده هو في الوصف والمدح والشكوى وهجاء الشدياق حتى أن الأخير قال فيه « كان حسون لصا ، و ه سرقات فأصبح صِلاً وله نفثات »

وقد اطلعت بجامعة لندن على نسخة من الطبعة الأولى لهذا الديوان ، وكذلك على نسخة من الطبعة الأولى لديوان آخر بعنوان « أشعر الشعر » ، ظهر في لندن عام ١٨٦٩ م ، وفيه نظم فصلا من سفر أيوب ، ونشيد موسى ، وسفر الجامعة ، ونشيد الانشاد ، ومراثي أرميا ، ويبدو أن عقيدته الدينية كانت قوية ، وأن محنته وغربته قد ضاعفتا قوتها ، فهو يذكر في مقدمة هذا الديوان أنه نظم سفر أيوب أيام اعتقاله في الأستانة والديوان كله يقع في (١٣٦) صفحة من القطع الكبير ، غير مرقم الصفحات ، مكتوب بخط حسون الجميل ، وعلى صدره إشارة إلى أنه « تَسَجَّل في الديوان الملوكي (أي أنه أهداه للملكة فيكتوريا في ذلك الوقت) في لندن المحمية ، وحُرِّمت طباعته على الناس كافة ، إلا بإجازة من ناظمه » ، وعلى الصفحة الثانية بعد الغلاف ـ المجلد بالجلد ـ عبارة تقول « هذه النسخة بخط الناظم ، طبع منها مئة وإحدى ليس غير ، يخدم بها الأسياد ، ويعطيها الأصدقاء » وفي هذا الديوان ـ أيضا ـ أورد حسون تجربته الرائدة في الشعر المرسل ، ولكن قبل أن نتوقف عندها يحس أن نعرض لديوانه السابق « النفثات » ، لنرى إلى أي مدى أهلته خبرته الشعرية لخوض هذه التجربة

كان « النفثات » أول أعماله الشعرية المنشورة ، وفيه شغلته مشكلة القافية إلى حد كبير ، حين حاول ترجمة حكايات كريلوف شعرا عربيا ، ويبدو أن الأصل الروسي لهذه الحكايات كان منظوما على هيئة مقطوعات ، وهذا ما فعله حسون في ترجمة الحكايات إلى شكل شعري عربي ، حتى يتيح لنفسه التخص من غنائية القافية الواحدة ، والاقتراب من استرسا الحكايات ، فلجأ إلى المراوحة بين البحور الكام والمجزوءة من جهة ، والمراوحة بين القوافي من ح

أحرى ، ومن أمثلة ذلك استخدامه للمزدوجة والثلاثية والرباعية ، وبالرغم من ركاكة تعبيره العربي نحواً وصرفاً ووزناً نورد هنا جزءا من حكاية ترجمها بعنوان « بستاني وحمار » ، وفيه يقول

« حُنَيْة لنزهة النظار
تشقها جداول الأنهار
محفوفة بالورد والأزهار
معدقة بالكَرْم والأشجار
من سائر الأعناب والأثمار
وسلطة العصفور والغربان
تستهلك الغَلَّة بالمنقار »

ثم تمضي الحكاية على هذا النحو كالموشحة ، ولكنها تتفاوت في مستوى النظم والاحادة

بين المرسل والعمودي

ومن الطريف أن هذا السعي وراء شكل يناسب الشعر الروسي لا يلبث في قصائد الديوان التي تنتمي إلى حسون نفسه - ١١ قصيدة - أن يختفي ، ويحل محله التزام كامل بالورن والقافية الواحدة ، وكأنه يسعى إلى التجديد عند الترجمة وحدها ، وهذا ما نجده أيضا في ديوانه الآخر ، « أشعر الشعر » الذي حمل تجربته في الشعر المرسل ، فهو صياغة شعرية تقليدية لسفر أيوب ، مع بعض أجزاء من أسفار أحرى من « العهد القديم » ، باستثناء القطعة المرسلة القافية

جاءت تجربته في الشعر المرسل - على اي حال - وسط تجارب أخرى ، اتبع فيها تجاربه في الديوان السابق في المزدوجة والرباعية وتصريع الأبيات ، أي رحيد القافية في شطري البيت الواحد ، فضلا عن مراوحة بين القوافي أما في الفصل رقم ١٨ من مر أيوب هذا فقد بلغ على يد حسون ٢١ بيتا ، اءت على لسان (بَلْدَد) الشوحي كما في أصل عر ، ويستهل الفصل بقوله (بغض النظر عن كاكة) :

كم لكلام واضعوا أشراككم
تعقلوا ولنتكلم بعد ذا
لَما حُسِبْنا مثل عجماء وفي
عيونكم صرنا مُنَجَّسينا
يا من غدا في غيظه وسخطه
لنفسه مفترسا مستهلكا
هل من جراك الأرض قفرى تعتدى
والصخر عن مكانه يزحزح

وعلى هذا النحو الضعيف يمضي في نظمه ، حتى البيت الحادي والعشرين ، ومن الواضح أن النص كله لا ينم عن موهبة بارزة ، وإنما يمكن أن نعد قيمته تاريخية ، فهو أول محاولة لارسال القافية في شعرنا الحديث ، بالرغم من ضعف وضوح خصائص الشعر المرسل المعروفة في الآداب الأوروبية ، بل إن العنصر القصصي أو الدرامي فيه قد أفسده الشاعر بحرصه على حبس معنى كل بيت داخل شطريه ، دون حريان عبر البيت التالي ، مما أضعف الوحدة العضوية في النص كله فمن السهل تغيير موضع الأبيات ، وترتيبها دون إصرار ببنية النص الدرامية ، وإذا جاز دلك في الشعر الغنائي فلا يجوز في الشعر المرسل

وإذا كانت الريادة تتطلب الوعي بالتجديد والالحاح على الابتكار ، لا مجرد التعبير عن نزوة عابرة ، كما حدث مع الشدياق في تجربته المرسلة غير المنضبطة عام ١٨٥٥ م ، أو مجرد التعبير عن رغبة لصديق كما حدث هنا ، فإن ما فعله حسون في النهاية قد انتظر نحو ٣٥ سنة ، حتى جاء من هو أكثر منه موهبة ، ففي عام ١٩٠٦ نشر الشاعر العراقي جميل صدقي الزهاوي قصيدة مرسلة القافية ، فدفع بتجربة الشعر المرسل في العربية خطوة إلى الأمام

غير أنه يبقى لرزق الله حسون الحلبي فضل الريادة التاريخية في هذه الجبهة ، كما في جبهة الصحافة خارج بلاد العرب ، وترجمة بعض الأدب الروسي إلى العربية ، وهي ريادة قد توضح اسمه في الأذهان ، وإن كانت لا تجعل منه ناراً على علم ! □

جولة في العالم السفلي

بقلم الدكتور سمير رضوان

كلما أمعنا الفكر في عالمنا بصراعاته وتحالفاته ، ترسخ يقيننا بصحة القول الشائع : « لاجديد تحت الشمس » فإذا ما دققنا النظر في العالم السفلي تحت أقدامنا ، لن يسعنا الا أن نضيف : « ولاجديد تحت سطح الارض . »

ربما لايخطر على بالك وأنت تطأ الأرض بقدميك ، أن تحت كل قدم منها عالما بل عوالم ـ كاملة من الأحياء تتجاوز في أعدادها مجموع ما على الأرض من بشر بملايين الأضعاف ، أحياء تسعى في سبيل الرزق وتتكاثر او تتعاون فيما بينها ، وتتصارع ، وتموت وتفنى ، أحياء تتباين كثيرا في أساليب حياتها ، وفي أحجامها وأشكالها ، منها المسالم الوديع والعدواني الشرس ، منها مايعتمد في حياته على مجهوده الذاتي ، ومنها مايسطو بخبث على مجهودات الآخرين ولسوف أصطحبك ـ لدقائق معدودة ـ في جولة تحت أديم الثرى لتشاهد من أسرار الوجود مالايقل اثارة عما تصادفه فوق الأرض هلم بنا الى مركبة تبلغ في دقة حجمها أن ألفا منها لاتكاد تشغل مساحة النقطة التي تأتي في نهاية هذه الجملة فليس بامكاننا ـ الا بمركبة دقيقة كهذه ـ أن نتجول في العالم السفلي بسهولة ويسر

ربوع العالم السفلي

أول ماسوف يسترعي انتباهك في هذه الجولة هو أن احياء التربة يوشك وجودها أن ينحصر في الطبقة السطحية التي لاتتجاوز في سمكها حوالي ثلاث سنتيمترا كما سوف تتبين أن هذه الطبقة الرقيقة سطح الارض ليست مصمتة كما قد تبدو ظاهرها وسوف تجد نفسك محاطا بعدد لانهائي حبيبات التربة التي تتباين كثيرا في أحجامها الدقيق الذي لايتجاوز قطر الحبيبة منه قطر المر

التي نحس بداخلها ومنها الكبير الذي يبلغ آلاف هذا القدر ومهما كان حجم هذه الحبيبات ، فهي جميعا تتشابه في مادتها الكيميائية ، اذ تغلب فيها مادة ثاني اكسيد السيليكون ، وهي المادة التي يتكون منها الرمل وربوع العالم السفلي لاتعرف الطرق المستقيمة الا نادرا ، بل هي في الواقع مجموعة من المطعمات والتعرجات والكهوف ، فالتركيب الحبيبي المذكور تتخلله فراغات ودهاليز صغيرة وكبيرة لا أول لها ولا آخر ، وتحتل هذه الدهاليز نصف مجموع حجم التربة تقريبا ، وهي تحتوى على الهواء والماء ولسوف تشعر بشيء من الاختناق داخل هذه الفراغات كما سوف تضايقك روائح كريهة تنبعث من هنا وهناك ، ذلك لان محتوى هواء التربة من الاكسجين قليل بينما ترتفع نسبة ثاني اكسيد الكربون مرتفعة اما الروائح الكريهة تسببها غازات مثل كبريتيد الهيدروجين الذي ينتج من أنشطة احياء كثيرة في التربة وعلى ذلك يمكنك أن تتصور أن احياء العالم السفلي يعانون بصفة دائمة من نقص الاكسجين ولسوف يبدو لك أن حبيبات التربة الدقيقة تغلف كلا منها طبقة رقيقة للغاية من الماء المذاب ، فيه كثير من المواد العضوية وغير العضوية التي تصلح كغذاء لأحياء التربة وحتى لو جفت التربة لفترات طويلة واندفع الهواء في دهاليزها المتشعبة تظل حبيبات التربة ممسكة بطبقات المياه من حولها بقوة وأحياء التربة لاتبتعد كثيرا عن حبيباتها لتبقى قريبة من هذا المورد الفياض ـ تماما كما تعيش الاحياء فوق سطح الارض قريبا من مصادر المياه والغذاء وهناك على البعد ترى اسطوانة ضخمة ملساء تخترق طبقة التربة لمسافة كبيرة وتلتصق بهذه الاسطوانة مباشرة أعداد لاحصر لها من أحياء التربة ، وهي تشبه أحد الوديان الخصبة التي تعج بالبشر في قلب صحراء قاحلة ، وما هذه الاسطوانة الملساء سوى أحد جذور النباتات الراقية يقوم بفرز مواد كيماوية كثيرة تمثل وليمة شهية لكائنات التربة الحية وفي جولتنا نرى كتلا عديدة ، داكنة اللون ، مختلفة الحجم هي في الواقع مواد عضوية في أطوار مختلفة من التحلل ، هذه الكتل كانت أجزاء من نبات مات ، أو دودة ، أو بقايا اوراق وفروع ، سقطت في التربة هذه الكتل هي الاخرى تمثل واحات غنية تعج بآلاف الملايين من سكان التراب

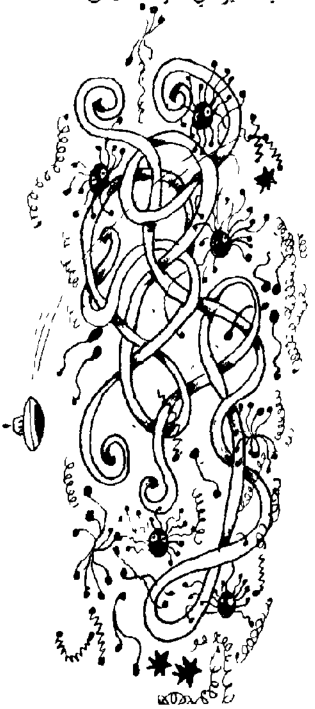

الساكنون تحت التراب

اذا أمعنت النظر ، فسوف تتبين أن ألوان الأحياء تحت سطح الارض تتباين كلما تعمقت في التربة ، فهي على السطح مباشرة حمراء فاقع لونها أما أسفل ذلك بملليمترات معدودة فمعظم الاحياء حمراء مشربة بزرقة ، واذا تعمقت الى مستوى الظلمة الدامسة اختفى اللون الأخضر بين الاحياء تماما ، وكانت في معظمها عديمة اللون ، أو مصفرة ، أو داكنة ، ولسوف ترى أن سكان التراب يشبهون الاحياء فوق التراب في أنهم ليسوا في الواقع

سوى مجموعات من النباتات والحيوانات المختلفة ، ولكن يميزها جميعا أنها مخلوقات صغيرة للغاية ، والحقيقة أن اصغر الاحياء على الاطلاق هي التي تعيش في جوف التربة ، بينما أضخمها على الاطلاق - كما هو معروف - هو الحوت الذي يعيش في المحيطات ويقتصر تركيب الفرد الواحد من سكان التراب - في الغالب - على خلية واحدة ، قد تصل دقتها الى حد أنك لو صففت الفا منها جنبا الى جنب لما جاوز هذا الصف ملليمترا واحدا والطحالب والبكتريا الخضراء المزرقة هي اكثر سكان التراب شبها بالنباتات الراقية ، حيث تقوم جميعا بعملية التمثيل الضوئي لذلك فوجود الطحالب والبكتريا الخضراء المزرقة ينحصر في الملليمترات العليا من التربة حيث يتوفر الضوء ويمكنك رؤيتها كمساحات خضراء على سطح التربة اذا ظلت مبللة لأيام عديدة متتالية على أن هذه الأحياء الخضراء قد يدفع بها دفعا الى جوف التربة حيث الظلام انظر مثلا هاهي دودة الأرض تحفر أنفاقا هائلة في التربة ، وما أن تبلغ السطح حتى تلتصق أعداد غفيرة من الأحياء الدقيقة الخضراء بسطحها وعندما تستأنف الدودة رحلتها مرة اخرى الى الاعماق ، يحتك سطحها بحبيبات التربة فتنتشر الخلايا الخضراء على أعماق متفاوتة ومعظمها يموت في هذه الظلمة ، ويصبح طعاما لأحياء اخرى والقليل منها يحمله قدره مرة اخرى الى السطح حيث الضوء والطحالب غذاء شهي لكثير من سكان التراب ، مثلما يأكل الانسان والحيوانات العشبية نباتات خضراء اما الحيوانات من سكان التربة فتعرف علميا بالحيوانات الأولية ، ويتكون كل فرد منها أيضا من خلية واحدة على أنها من أكبر خلايا احياء التربة حجما وتعيش معظم الحيوانات الاولية في التربة على حساب احياء اخرى ، تماما كما تعيش الحيوانات فوق سطح الارض على حساب احياء اخرى هناك وتفترس الحيوانات الاولية أساسا الطحالب والبكتريا ، انظر الى خلية الحيوان الاو كيف تقترب من فريستها الدقيقة وتلقمها في تجويف صغير يزداد عمقا حتى تصبح الفريسة في جوف خل الحيوان الاولي كلية ، ثم ها هو يفرز أنزيمات تهضم الفريسة ، ويمتص منها غذاءه ثم ينقبض ليلفظ مخلفات الفريسة الى الخارج مرة اخرى ، وكما ترى لايختلف الأمر كثيرا عما يحدث فوق سطح الارض

ومن سكان التراب ايضا البكتريا والفطريات ، أما البكتريا فهي أصغر احياء التراب حجما ، وأوفرها على الاطلاق عددا ، فقد يحتوي الجرام الواحد من التربة على مايزيد عن الف مليون خلية بكتيرية ، كما أنها تتباين في أنواعها ، ومعظمها ، أحياء مسالمة لاعلاقة لها بالأمراض الوبائية ، ورغم صغر أحجامها الا أنها انشط احياء التربة قاطبة - وهي المسئولة عن تحلل معظم المواد العضوية في التربة ، فتلعب بذلك دورا حاسما في خصوبتها أما الفطريات فمعظمها كائنات خيطية الشكل - خيوطها متفرعة بكثافة في التربة الغنية ، وألد اعدائها أنواع البكتريا التي كثيرا ماتهاجم خيوط الفطريات في مناطق ضعيفة منها ، وتسطو على ما بداخلها من مادة عضوية فيموت الفطر فلا تعجب حينما تشاهد أن الفطريات سرعان ماتنتج وحدات جرثومية مستديرة جدرها تستعصي على التحلل - وتكمن المادة الحية بداخلها بمجرد نفاذ المادة العضوية من التربة ، تاركة كل خيوطها الواهية طعاما لبكتريا التربة، وحينما تتحسن الظروف ، تنمو الوحدات الكامنة مرة اخرى على شكل خيوط الى أجل مسمى ولاتحسب أن الفطريات كائنات مسالمة تجاه باقي أحياء التربة ، فلو أمعنت النظر هناك لرأيت احدى الديدان الاسطوانية الضخمة وقد ساقها سوء حظها الى شبكة فطرية معقدة ، فتعثرت - مثلما تتعثر الحشرات في خيوط العنكبوت ، وها هو الفطر يغمد خيطا خاصا في جسم الدودة، فيحقن داخلها مادة تشل حركتها تماما ، فتصبح وجبة شهية له وفضلا عن هذه

حياء الدقيقة تحتوي التربة على أنواع مختلفة من حشرات والديدان وكلها ـ من وجهة نظر التطور ـ كائنات أرقى مما ذكرنا من سكان التراب الاخر

أحياء تأكل وتتنفس وتتكاثر

ولسوف يخيل اليك ـ أثناء جولتنا ـ أن معظم سكان التراب لايأكل ، فالصورة التي تعرضنا لها من قبل ، والتي شاهدنا من خلالها حيوانات اولية تلتقم احياء اخرى دقيقة ، أو حتى مواد عضوية غير ذائبة ، تلك الصورة ليست في الواقع اكثر اساليب التغذية شيوعا بين أحياء التربة ، بل الشائع أن تنتشر المادة الغذائية الذائبة في الماء خلال أغشية الخلايا الى الداخل ، دون حاجة الى أن تلتقم الخلايا غذاءً صلبا هكذا تتغذى البكتريا والفطريات والطحالب أما الطحالب فتمتص من الخارج العديد من الاملاح غير العضوية اضافة الى ثاني اكسيد الكربون الذي تصنع منه جميع المواد العضوية التي يدخل في تركيبها ـ تماما كما تفعل النباتات الراقية وعلى ذلك فهذه الأحياء تمثل مصدرا اساسيا للمادة العضوية اللازمة لاحياء اخرى في التربة الفقيرة مثل تربة الصحراء أما حيوانات التربة الأولية ـ فكما شاهدنا ـ تلتقم طعامها كما تفعل الحيوانات الراقية ، منها مايلتهم الطحالب ومنها مايلتهم البكتريا ، ومنها مايلتهم كتل المادة العضوية الصغيرة الميتة ، وسوف تتبين أن كل نوع من الحيوانات الاولية يستسيغ نوعا واحدا أو انواع قليلة من الكائنات الاخرى أليس هذا ايضا مايحدث فوق سطح الارض؟ حيث لاتأكل الحيوانات كل مايصادفها من عشب ، انما تأكل هذا وتعرض عن ذاك ، وهناك القليل جدا من الحيوانات الاولية التي تتغذى بأسلوب مشابه لاسلوب البكتريا والفطريات حيث تنتشر المادة الغذائية الذائبة خلال أغشيتها الى داخل الخلايا وقد يبدو هذا الاسلوب بسيطا في ظاهره ، ولكنه في الواقع غاية في التعقيد ، فأغشية الخلايا تتحكم من خلال آلية معقدة في نوعية المواد التي يسمح لها بالمرور الى الداخل ، فتسمح للمواد المفيدة وتحول دون دخول المواد الضارة ، وأحياء التربة تتنفس كما تتنفس الاحياء فوق سطح الارض فهي تأخذ الاكسجين لتحرق به المادة العضوية ، فتتوفر الطاقة اللازمة لشتى أنشطتها ، ثم انها تطرد ثاني اكسيد الكربون الى الخارج ، وهي ليست مزودة بفتحات تنفس خاصة مثل الأحياء الراقية ، ذلك لأنها تتنفس الاكسجين الذائب في الماء والذي ينتشر خلال أغشية الخلايا كما تنتشر المواد الغذائية وهناك احياء في التربة تستطيع توليد الطاقة في غياب الاكسجين وهذه قدرة يندر أن تتوفر للاحياء الراقية فوق سطح الارض ولسوف يخيل اليك أن أحياء التربة لاتمارس الاتصال الجنسي كأسلوب للتكاثر كما يحدث فوق الارض فهاهي معظم الاحياء تتكاثر بالانشطار البسيط أو من خلال انتاج براعم صغيرة سرعان ماتكبر ، كما أن الفطريات الخيطية يكفي أن ينفصل جزء منها كي ينشأ من هذا الجزء فرد جديد ، وهذا هو مايعرف بالتكاثر اللاجنسي ـ وهو حقا الاكثر شيوعا بين سكان التراب ، على ان التكاثر الجنسي يحدث ايضا في بعض الانواع بأساليب مختلفة ، ليس هنا مجال التعرض لها

أحياء تتعاون وتتحالف

سوف ترى اثناء جولتنا أن الكثيرين من سكان التراب يتعاونون فيما بينهم تعاونا تحسدهم عليه الاحياء الراقية ، وتوشك ان تعتقد ان عالمهم هو عالم السلام الدائم بيد أنه ليس كذلك وتعاون سكان التربة ضرورة لازمة لبقاء هذه الأحياء في مثل هذه البيئة القاسية حية وقادرة على التناسل وصور التعاون كثيرة فهيا بنا نتأمل امثلة لها هل شاهدت اثناء رحلة بحرية طيور النورس وهي تلازم السفينة لتلتقط مايلقي به البحارة منْ مخلفات الطعام ؟ وهل

رأيت قطيعا من الذئاب أو من افراد ابن آوى وهي تتربص صابرة حتى يفرغ سبع من التهام مايشبعه من فريسة صادها لتوه ، وما ان يمضي حتى تنقض هذه القطعان من كل اتجاه ، والطيور الجارحة من السماء على بقايا الفريسة ، فتأتي عليها ؟ أمعن النظر جيدا فهذه الصورة تتكرر من حولنا في جوف التربة كثيرا ، فها هي بكتريا وفطريات قوية تنقض على مواد عضوية معقدة التركيب مثل السيليوز والبروتينات وغيرها ، فتهضمها وتحللها الى مواد عضوية بسيطة التركيب تستهلك جزءا منها كغذاء وهناك خلف حبيبات التربة أنواع اخرى من بكتريا وفطريات لاتقوى على هضم المواد المعقدة فتأخذ نصيبها من المواد العضوية البسيطة التي أنتجتها الاحياء الاقوى ، وهناك صورة اخرى جميلة للتعاون بين بكتريا التربة لتوفير الحاجات الغذائية ايضا فمعظم البكتريا التي تحيى في التربة ينبغي أن تحصل على واحد أو اكثر من الفيتامينات المعروفة والا هلكت ، على انها تستطيع ان تنتج بنفسها كل الانواع الاخرى من الفيتامينات وتختلف انواع البكتريا في كم الفيتامينات التي تحتاجها ، وتلك التي تستطيع صنعها ولكنها في مجموعها معا تتضافر لتغطي حاجات بعضها البعض من الفيتامينات المختلفة فما يعجز هذا النوع البكتري عن صنعه يزوده به نوع اخر ، ويأخذ منه بالمقابل ما لا يستطيع هو انتاجه، وهو اسلوب يشبه مايحدث فوق سطح الارض بين بني الانسان ، حينما تعقد الدول صفقات تجارية تتبادل السلع بمقتضاها ومن صور التعاون ايضا ان تستهلك احياء هوائية الاكسجين في خندق صغير في التربة ، فتهيىء بذلك الظروف لحياة بكتريا لاهوائية يقتلها الاكسجين - تبقى في خندقها لاتغادره كذلك تفرز بعض الاحياء أحماضا عضوية فتهيىء درجة من الحموضة اللازمة لحياة أحياء اخرى ، كما ان هناك بكتيريا وفطريات تتغذى على مواد سامة في التربة فتنقذ بذلك انواعا اخرى كانت هذه السموم لاشك ستقتلها وثمة صورة اخرى للتعاون المثمر بين سكان التربة تعرف بالتكافل وفيها يرتبط فردان مختلفان من الاحياء ارتباطا حميما لا ينفصم مدى الحياة ، وواضح انهما ما اجتمعا الا على خير ، اذ انهما يتبادلان في هذه الرابطة منافع لاتستقيم حياة أي منهما بدونها خذ مثلا التكافل بين انواع من والطحالب وأخرى من الفطريات ، يمنح الطحلب - خلال التمثيل الضوئي - مايكفيه ويكفي الفطر من مادة عضوية ، أما الفطر فيحتضن الطحلب في حنان موفرا له الحماية والأمان ، ويزوده بالماء والاملاح غير العضوية الذائبة فيه، وهناك روابط تكافلية اخرى عديدة ، مثال ذلك روابط بين حيوانات اولية وبكتريا ، وفيها يلقم الحيوان الاولي خلية بكترية ويخيل اليك انه فاتك بها ، لكنه لايهضمها انما يهيىء لها مسكنا مريحا في جوفه ويزودها بكل ماتحتاجه من غذاء واكسجين في مقابل أن تنتج البكتريا مايكفيها ويكفيه من بعض الفيتامينات ، وهناك انماط لاحصر لها من هذه العلاقات التكافلية واضحة للعين ، وان كان العلماء لم يتوصلوا بعد الى كنه المنفعة المتبادلة في كثير منها هذه العلاقات المثالية - مازالت موجودة - لكنها مع الاسف لم تعد شائعة بين الاحياء فوق سطح الارض وقد تتكافل أحياء التربة الدقيقة مع نباتات راقية وبالتحديد مع جذور نباتات العائلة القرنية كالفول وفول الصويا والبرسيم وغيرها انظر الى تلك الخلية البكترية العصوية الشكل التي تقترب بحذر من شعيرة جذرية لنبات الفول ، ولاحظ كيف ترحب الشعيرة بها متجاهلة كل هذا الكم الغفير من خلايا البكتريا الاخرى القريبة منها واوضح صور هذا الترحيب هو ذلك الانبعاج الى الداخل التي تحدثه الشعيرة عند طرفها ، وكأنها تدعو هذه الخلية للدخول وهاهي خلية البكتريا تلبي الدعوة الكريمة وقد اغرتها الشعيرة بافرازات من مواد غذائية شهية لاتستطيع البكتريا مقاومتها ثم الانبعاج الى الداخل يزداد

عندما ، فيتكون نفق طويل داخل انسجة جذر النبات تمشي الخلية البكترية فيه حتى نهايته فتجد انسجة الجذر وقد تشكلت على صور مهد وثير ، يحيط بها من جميع الجهات ويوفر لها كل اسباب الراحة والغذاء فيطيب لها المقام هناك فتتكاثر وتنمو انسجة الجذر من حولها لتكون العقدة التي نراها بالعين المجردة على جذور الفول ، وما على الخلايا البكترية في هذه العلاقة التكافلية الا ان تنتج انزيما خاصا بها يساعد في تثبيت النيتروجين العاري في التربة في صورة مادة عضوية نيتروجينية تكفيها وتكفي النبات مدى الحياة ومن أعجب انماط التكافل في التربة تلك العلاقة القائمة بين نوع من النمل ونوع من الفطريات انظر الى ذلك القسو الصغير في احد اركان خلية النمل ، ولاحظ أن النمل قد شغل بجمع اجزاء من ورق نبات معين يستخدمه لتغذية الفطر والغريب أن الفطر لايعيش الا على اوراق هذا النوع النباتي وما أن يصبح الفطر حتى يخصص النمل جزءا منه لغذائه اما الجزء الآخر فيزوده بكمية جديدة من الاوراق لينمو ويتكاثر عليها

أحياء تتصارع وتتنازع

وهو صراع ، يتسم بالشراسة والضراوة والعدل في آن واحد ، حيث لاتتناقض القسوة مع العدل بل قد تواكبه وتؤازره ، فسكان التراب لا تتصارع ابدا من اجل سيادة او مجد ، او نجدة حقوق تاريخية كما يفعل البشر ـ انما تتصارع فقط من اجل الغذاء في بيئة هي ـ في الواقع ـ اشد البيئات بخلا على ساكنيها لاحظت من قبل النقص الشديد في نسبة الاكسجين التربة ، كما تأففت من الروائح الكريهة تنبعث من نا وهناك فاعلم الآن ان المواد الغذائية التي قد كون موجودة بكثرة في التربة لايصبح منها متاحا غذاء الاحياء الا قدر جد ضئيل في كل عام ، يتراوح بين ١ الى ٤ في المئة فقط مما هو موجود أي اذا فنت في التربة بورقة نبات فانها تحتاج كي تتحلل كلية الى سنوات تتراوح في عددها مابين ٢٥ الى ١٠٠ سنة كاملة وحكمة الله في ذلك ظاهرة ، فسكان الارض شرهون الى الغذاء ـ فاذا كان متاحا تكاثروا بمعدلات رهيبة السرعة وعلى ذلك فلو اصبح كل الغذاء في الارض متاحا لهم دفعة واحدة لتكاثرت هذه الاحياء لتصل اعدادها الى حدود ستهدد بلاشك وجود كل الاحياء الاخرى على كوكب الارض ويحول بين سكان التربة وبين المواد الغذائية فيها عوامل كثيرة لامجال هنا للتعرض لها ، على اننا اردنا بهذه الاشارة ان نوضح السبب في ان احياء التربة تتصارع على الغذاء ، فمن الواضح أن القدر المتاح منه دائما قليل ، وابسط صور الصراع تتجلى في ان المصارع الاقوى هو الاسرع في معدلات التكاثر ، ومن ثم فهو الذي يفوز بمعظم ماهو متاح من غذاء ، ولايترك الا القليل ـ ان ترك شيئا على الاطلاق ـ للمصارع الاضعف ، ويصبح الصراع اكثر ضراوة من ذلك في كثير من الاحيان حيث يعتدي سكان التربة الاقوياء على ضعافها، ولقد سبق سكان التربة البشر في اختراع اسلوب الحرب الكيميائية، فالمصارع القوي هنا ينتج مواد سامة توقف انشطة المصارع الضعيف ، وربما تقتله ، وهناك مصارعون اكثر شراسة ينتجون اضافة الى ذلك انزيمات تحلل جدور واغشية أعدائهم يتعدون على محتوياتها ومن اشد اسلحة الحرب الكيماوية فتكا المواد التي نعرفها اليوم تحت اسم مضادات الحيوية والتي استأنسنا بعض منتجاتها من احياء التربة لتنتجه لنا دواء نتطبب به والغريب ان اكثر من نصف انواع البكتريا في التربة لها القدرة على انتاج مثل هذه المواد اما اشد المعارك ضراوة في التربة فهي معارك الافتراس والتطفل ، فالكثير من الحيوانات الاولية ، والقليل من الفطريات تفترس احياء اخرى ـ كما شاهدنا من قبل، وينبغي ان نشير هنا الى ان هذا الصراع الشرس يلعب دورا حاسما في استقرار التوازن العددي بين سكان التربة ، حتى لايطغى نوع على آخر □

حالة حب مجنونة

قصة قصيرة بقلم · ليلى العثمان

نصبح وتمسي ولا شيء غير عينيك يا صويلح تصهلان، كجواد ظامئ، في بقاع نهارها، وبراري ليلها المعتم، تحدقان فيها بتلك النظرة الأخيرة الحمراء، تنغرسان في قلبها، ولحمها تثور النظرة كحد سكين جائع، تنحر الدم، فتحس طعم السائل الأحمر بين أسنانها، ويتكسر فرحها، وكأنه تزرع الذبول على وجهها الأسمر المملوح، وتتأوه، وتتآكل حتى مات الصمت في داخلها، وتتحسس صدرها، وتضم قبضتها عليه بقوة، تخشى أن تشق الحقيقة أستاره، وتجد منفذا لها، وتعلن أنها الفاعلة

هي تذكر آخر مرة لمحتك فيها، كنت في عنفوان الشباب، وكانت تمسك بمكنسة «العرفج»، تكنس الدهليز، عندما طرقت الباب ثلاث مرات، ولم تفتح لك، لقد ترددت، وانتظرت حتى جاءت أمها، وأشارت بيدها بحركة تفهمها البنات أمثالها، فتوارت خلف الباب، لكنها أطلت على وجهك من خلف الشق، وانتفض قلبها

صوت أمها حين لمحتك

- أنت؟

ارتعش صوتك

- نعم يا خالتي، أريد «فهدا»، هل هو هنا؟؟

تأتأت أمها قبل أن تجيب

- اسمع يا صويلح

- نعم يا خالتي

رن صوتها بأمر حاد

- إذا أردت فهدا فقابله في الخارج

تلعثمت أنت

- ولكن يا خالتي   أنا   أنا

قاطعتك

- أعرف، أنت رفيقه، ومثل أخيه، ولكن لا تنس أن عندي بنتا قد كبرت، ولا تنس أيضا الجيران والناس، ودخولك ربما، ربما

صوتك رد هادئا حزينا

- نعم، أفهم يا خالتي

ورحتك أمها

- لا تقل لفهد أني طلبت منك هذا، فهد يحبك، ويثق بك، ولكن، أنا   وبكل رنة الحب والتعب سالت كلماتك

- أمرك، أمرك يا خالتي

وحين أغلقت أمها الباب شعرت وكأنه ينطبق على وجهك، ويصهر فرحك، ويهرس شفتيك الكبيرتين، ويمزق قلبك إربا إربا   حتى أوشكت تراها تتناثر أمامك على التراب، وتفوح

أحسست كأن خطوتك ثقيلة لا تستطيع حمل

وأدركت بأنك لم تتحرك، رغم أن أمها قد صـ

الساب ، ودحلت الحوش ، ومي تتلفظ بكلمات سريعة ، لم تمهمها ، فبقيت وحدها في الدهلير ، ونلد تورم حرنها في داحلها ، وألصقت أدمها بالباب ، وحيل إليها أمها تسمع دقات قلبك المدبوح ، وتسمع لحطواتك الرائضة في التراب شهيقا حارا ، ومس تلبها فتجرأت ، بعد أن تأكدت أن أمها ابتعدت عاما ، وفتحت الساب ، وما خاب الطن فقد رأتك راقما ، تتدلى مطراتك ، وتنهمر من عينيك دمعات مالحة

حين تصافح وحهاكما هتمت باسمها

ـ عائشة

حجلت ، وأرادت أن تعلق الساب ، لكن يدك الصلدة حالت دونها ، قلت لها

ـ أنا أحب بيتكم ، لقد تعودت أن أراك

فأرعشها اعترافك اللديد ، لكن يدها امتدت ، وأبعدت يدك عن قبضة الباب ، وأعلقته مرعمة ، واستدت عليه خشية أن ينفتح ثانية وتلج منه ، ويصعف قلبها كالعصفور ، فقد كان طعم اللحطة مرًّا ، وبكت

كم تعدت تلك الليلة ، تقلبت ، وأكل حر الليل الموحش من لحم حنبيها ، وداس بأظلافه الثقيلة على صدرها ، فتوحعت ، وأنّت أنّاتٍ متواصلة ، وكانت تدرك أنها فقدتك ، وفقدت تلك النطرات الحلوة التي كانت تفر من عينيك ، مثل حمامات صافيات ، تحط عماقيرها على وجنتيها الحالمتين ، فتزرع حبيبات أمل ، وبراعم شوق ، تنتشي وتكبر

وبكت تلك الليلة ، فقد عرفت أنها كبرت ، وأنك بأمر من أمها لن تدخل ، وأنك ستلقى « نهدا » في مكان آحر عير البيت حاولت أن تبعد وحهك ، وأن تنساك لحظة صغيرة ، لتغمص العينين المسهدتين ، وتنسى ألم الروح ، لكن رائحة وجعك تختلط برائحة العرقة ، ورائحة ارتعاشها ، ويطل وحهك ستصبا مثل بدر يتحدى عشاوة ليلة داكنة ، وطلت الأفكار تحرث في أرص عقلها ، ترى ما الذي تعانيه أنت بوحدتك ؟ هل تتوجع مثلها ؟ أم تراك تود اقتلاع قلبك الذي تعيش به ؟

لا تدري متى نامت ، لكنها تعرف متى فزع الصحو في عينيها ، حين حن الشارع بالصراخ

صرحات أمك تشق صدرها ، كما شقت أشعة الشمس بكارة الصباح انفلتت مثل كف شريرة ، وصمعت الأبواب ، كل الأبواب ، حتى وصلت الى بابهم ، وفتحت أمها الباب ، واندفعت أمك كالمجنونة ، بوجهها الأسود المغبر ، ولسانها الأحمر المتدلي كلسان كلب لاهث ، وارتمت على الأرض ، وأخذت تنبش تراب الدهليز المبلول وتعفر به وحهها ، وأمها تحاول أن تفهم :

ماذا حدث يا أم صويلح ؟

ورشقت أمك ردها

صويلح حي ، فقد عقله

لقد فقدت هي ذلك الضوء المشع حولها ، ونفثت عيون النفَث حولها ، تضيّق عليها ، وتحصرها في دائرة لا ترى فيها سوى وجهك الذي ورث سواده من وجه أمك ، عيناك الواسعتان ، وأهدابهما الطويلة الملتوية ، وأنفك العريض ، وشفتاك الغليظتان ، ووجه امك أمامها ملطخا بالتراب ، والباب مفتوح يثقل خطوات الفضول ، والسؤال

وسل أنت ، فهل نصدق عيناها ما ترى ؟ هل أنت يا صويلح قد اصبحت أمامها ؟ « دشداشتك » مشقوقة حتى اسفل البطن ، وراسك الحاسر مربوط بخرقة حمراء ، وقد علقت بها الوان من ريش الدجاج ، وريش ذيول الديكة ، وفي رقبتك كنت تعلق عقدا من علب معجون الطماطم الصغيرة ، وأخذت تدور ، وترقص ، وتخترع أصواتا ، وتصفق في يدك ، وتلعق تلك الصفقة ، ثم تدس اصبعك الضخم في أنفك ، وتستل حشوته وتلحسها ، وأمها تراقبك مذهولة ، وامك ماتزال تولول ، وهي من خلف عيونها الباكية تراك قردا ، أو ثورا ، أو أي شيء ، غير صويلح المملوح الذي كان بالأمس يدق الباب ويدخل عند فهد حتى صُفق الباب في وجهه

حولك تحلق أولاد « الفريج » الحي ، يشدونك ، ويصفقون عليك ، يتضاحكون ، ويتصايحون

المجنون المجنون

بعض رجال حاولوا الإمساك بك لتهدأ ، لتستقر في وقفتك ورفس أحدهم مؤخرتك صارخا

سر يا صويلح

لكنك لم تهدأ ، بل تندفع الى الباب ، وتدخل ، وتجلس قرب أمك ، وتمد قدميك المغبرتين ، وتمط لسانك ، وتقلد أمك في عويلها وولولتها ، وتنثر التراب على شعرك ، وأمها حاولت مشفقة أن تقترب منك ، وأن تذكر اسم الله عليك لكنك رفعـ وجهك اليها ، وجمعت كل ما في ثغرك وبصقـ عليها ، وضحكت

وهي أقصد عائشة ، تقف أمامك بلا حراك وتنظر اليك وانت في لحظتك الغريبة ، وتتمنى لـ يلتقي نظرك نظرها ، لكنك أبدا لا تفعل ، بل تدو برأسك في كل اتجاه ، وتحدق بكل شيء ، بكـ الوجوه ، والعيون ماعداها هي ، ماعدا عينيها ، وقلبها الذي يتقاطر ألما وأسفا

هكذا إذن يا صويلح ، في ليلة واحدة تغادر أساسات عقلك ، وتصير مجنونا ، ولاتعرفها ، ويسخر منك الناس ، و « فهد » أخوها جاء إليك لاهثا ، وأزاح كومة الأطفال المتربصة عيونهم بك ، ووثب من عتبة الباب ، وارتمى منهوكا قربك يا صويلح ، وحضنك ، وقبلك ، وتوسل إليك

صويلح سر سر تعال قم معي الى غرفتي وشدك متثاقلا فاقتلعت نفسك من الأرض ، وجر يدك ، فاستسلمت له وأنت تقفز قفزات قرد شقي ، والعلب على صدرك تتراقص ، وتصدر موسيقا ، تعزف لخطواتك المتقافزة ، والريش على رأسك يهتز ، ويتطاير بعضه ، ويتساقط على كتفك ويلتصق بها ، وتتوارى أنت وأخوها داخل الغرفة ، وصوت امها الحزين يناشد أمك الباكية

يا أم صويلح ، كيف حدث هذا ؟؟

لسان أمك اللاهث يتبلل بصاقه وهي تروي

سمعته يهذي هذيانا متواصلا في الليل ، وقد أخذ صوته يرتفع ، فقمت ، وقد ظننته يحلم ، لكـه صرخ ، وانتصب أمامي واقفا يضحك بلا سب ، وصرعت أذني ضحكاته ، وخفت عليه ، وسميت وتعوذت من الشيطان ، وجئت له بكوب ماء فأوقعه من يدي ، فابتعدت عنه ، فتهاوى عـ الأرض ، وصمت ، قلت لنفسي لقد ـام واقتنعت أن ذلك حلم مزعج ، وعندما صحو فجرا قلت أتفقده وأطمئن عليه ، لكني لم أجده

مكانه فبحثت عنه ، فلقيته في حوش الدجاج ، وقد نتف ريشها ، فصرخت فيه مؤنبة ، فهاج مثل ثور في وجهي فصحت ، وركضت ، فركض ورائي - كما ترين - حتى وصلت الى هنا ، لقد فقد عقله ، آه ا ولدي ، يا وحيدي

قالت أمها

سأكلم جارنا أبا محمد ليأخذه الى « الملجأ »

صرخت أمك

- لا لا لا

- يابنت الحلال قد يؤذي الناس اذا تركته هكذا

بكت أم صويلح وأكدت

لا ، صويلح حبيب ، لا يؤذي أحدا ، اتركوه ، فقد يعود له عقله اليوم ، أو غدا ، الله رحيم

ورددت أمك ثلاث مرات « لاحول ولا قوة إلا بالله » قبل أن تلتفت نحو غرفة فهد ، وكأنها تأمل أن يخرج منها صاحيا معافى

وهي أقصد عائشة ، توارت في مكان ما ، وأسقطت رأسها بين ركبتيها ، وسدّت أذنيها في محاولة لمنع الهتاف الصارخ بداخلها ، لكنه يثور مع كل دمعة تقفز مالحة من العين ، بكت ، أيقنت أنك صرت مجنونا ، ولست ذلك « الصويلح » رفيق أخيها ، والوجه الذي يحبها ، وصرت مجرد مجنون ، يشفق عليه الناس ، ويتضاحك خلفه الصبيان مرددين « مجنون » سمحت أمها لخطواتك أن تدخل ثانية الى البيت ، والى غرفة فهد

ومضت الأيام مؤلمة ، وعدت يا صويلح تدخل البـ متى تشاء ، تسبقك « خراخيشك » ، وموسيقاها ، وتيجان الريش على رأسك ، وقد سقط الحاجز ، فأمها بدل أن تأمرك بمغادرة البيت صار تأمرها هي كلما دخلت عليهم قائلة :

ـب يا عائشة ، أعطيه ماء وحلاوة

ـر أخرى تلسع قلبها

ـمريه ، لا تسخري منه

ـع عائشة غصتها ، وتحنو عليك ، وتراقبك ، وأخوها فهد يلاعبك « الكرة » ، أو يجلسك قربه ، ويقص عليك قصص الليالي القديمة ، ونظرته لك لا تخلو من شفقة ، لكنها تتحول أحيانا الى قسوة إذا علا صوتك بالصراخ أو ازداد هرج رقصاتك الغريبة ، يصرخ فيك ، فإن لم تستجب بطحك على الأرض ، وداس على رأسك حتى تتأوه وتعلن الطاعة العمياء

وهي تراقب المشهد ، وتلمح ضعفك ، وعيناك المحمرتان اللتان تموحان عصا مركزتان على وجهها ، ساقطتان في بحر عينيها. ينبع منها مرارة الذل وانكسار الفقير ، وتدنو من أخيها فهد ، وترجوه

- خلاص يا فهد ، خلاص

فيسألك ورأسك مايزال تحت قدمه

- صحيح يا صويلح ! ستهدأ ؟

ويتناثر بصاقك ، وتضحك ، وتهز رأسك « بنعم » ، وتحرك قدم فهد ، فتلملم نفسك وتجلس وعيناك نحوها ، فيهما شكر ، وحب ، وفي عينيها هشاشة المغلوب على أمره .

أصبحت تدخل كل البيوت يا صويلح ، وصار أهل البيوت يجمعون لك العلب الفارغة والخرز ، وقصاصات القماش التي تصنع منها شرائط ، تلفها كالحزام حول خصرك ؟

ترقص في أحواش الناس حتى تلتهب عيناك ، ويسيل لعابك ، وهم يتضاحكون ، ويشدون أطفالهم الى الصدور حذرا وخشية أن تؤذي أحدا منهم

أمها أيضا تتركك معها ، لا تمنعها ، لكنها لا تغفل أن تنبهها بحركة تذكرها أنك مجنون ، وقد تؤذيها ، فتهز رأسها ترضية لأمها ، وتصمت ، وفي قرارتها تعلم أنك لن تؤذيها أبدا فتزف لوجهك ابتسامة دافئة ، وأنت تجلس بقربها ، وتغني بصوت شجي تحس كأنه يخصها هي وحدها ، وتختار أغنياتك فتعتبرها رسائل حب مبعوثة إليها ، وتظل هادئا ، وعيناك وحدهما تنظران إليها ، وتورقان وردا ،

وترتاح هي للنظرة ، وتحس أن حمائمها ترفرف وتحط على اصفرار وجهها ، فتنثان ربيعا ، وتتمنى لو كانت اللحظة تجمعك معها وأنت لست فاقدا لشيء ، إنها لم تصدق بعد ، لكن كل ماتراه وتسمعه يوحي بذلك ويؤكده ، حتى أخوها فهد لم يعد يلاطفك ، ولا يلاعبك ، بل تحول حبه الى شفقة ، ثم الى قسوة واحتقار

كم مرة رأته يركب ظهرك ، ويأمرك أن تسير به على أرض الحوش المتربة ، وكم سال الدم من ركبتك ، وفي الشارع كان يعاملك كمحة ، يأمرك أن تمامىء ، فيهزأ منك الأولاد ، وهم يدسون « الحبّ » في ثغرك

أنت يا صويلح مجنون ، وجنونك يمتد حتى يصل حد السخرية من الناس ، قلت لأحد الصبيان إنك دخلت يوما على أبيه في الحمام ، فرأيت « ذيلا » قد نبت له ، في ذلك اليوم خرج إليك الرجل فاقدا صوابه ، وأمسك بك ، ورج أصابعه في فمك ، وشق أطراف شفتيك حتى سال الدم ، وهدد

ها يامجنون ، هل أشق كل وجهك حتى تخرس وتتوب ؟

من الذين شاهدوك فهد أخوها ، فقد قال إن دموعك حمراء ، طفرت من شدة الألم ، وأنك بصقت كتلا ، كتلا من الدم ، ما إن خرجت يد الرجل من فمك ، لكنك رغم هذا هددت بضحك صارخ وداعبت الرجل واعدا ومتسائلا

سأتوب ، ولكن كيف نبت لك الذيل ؟

قبل أن يمسك بك ثانية ، كنت تهرول والعلب في رقبتك ، تتصافق ، وترعق والأولاد يصرخون وراءك

المجنون المجنون

صار دخولك يا صويلح الى بيتها مشروعا ، هي وحدها التي تعاملك بود وعطف ، ولا تسخر منك ، ولا تعترف مرة أنها أمام مجنون ، بل تجلس إليك ، وتحدثك ، فتفيض من صوتها حقول عشب حانية ، ترطب قلبك ، وتؤنسك وأنت أمامها صامت أ لـ الأحيان ، وتسافر بعينيك في المكان ، وتحطان على وجهها النادر الأليف ، وتستقران على شفتيها السمر لا تفتآن ترجوانك أن تتخلص من العلب ، والريش ، والأحزمة ، وكل « الخراخيش » المدلية التي سورت بها حتى قدميك ، لكنك تشد على أشيائك ، وتنبطح أمامها مثل الكلب الوديع في حضور سيده

عائشة في حوش المطبخ منحنية تنظف بعض القدور ، لمحتك تدخل ، تسبقك موسيقاك ، واقتربت ، وهويت بقربها ، وطلبت مساعدتها بصوتك القديم ، فضحكت بدلال وسألتك

ـ هل تعرف كيف تغسل المواعين ؟

ـ أعرف

ـ وتعرف كيف تطبخ ؟

ـ ونهر صوتك

ـ لا ، هذه مهمة البنات

قلتها بكبرياء واضح ، وبعقل ، وارتجفت هي ، وأحست سخونة الكلمات والمعنى ، وهتفت

ـ صويلح !!

ـ يا عيون صويلح

وانتصبت أمامها ، ولمحت وجهك وقد عاد الى ماكان عليه قبل شهور ، قبل أن تصرخ أمك صرختها ، وتعلن جنونك ومرة ثانية صدر عنها السؤال المدهش

ـ صويلح

وتلفت برأسك سريعا لاستجلاء ما في المكان ، وحين اطمأننت مددت ذراعيك نحوها ، وحضنت كتفيها ، واقتربت ، ودنوت أكثر فأكثر ، فشـ رائحة وجهك ، وعرقك ، تختلطان برائحة عذب تعرفه قبل إعلان جنونك

وتراجعت الى الوراء مرتعشة ، لكنك اقـ أكثر ، وألصقت شفتيك بخدها ، وامتد القبلة ، كأنك تمتص رحيق زهرة ، وتسا

ـت يداها ، وهزها الخوف ، وهتفت ، فنفدت
ـد من قاع صدرها
سويلح
عائشة
رع فرح في وجهها رغم عتمة الخوف
ها أنت تعرفني
رمات برأسك
ا أصيبعك يوما
راجف صوتها
صويلح أنت !!
نعم ، انا صويلح الذي يعرفك ، ويحبك
صويلح ! ماذا تقول ؟؟
مهمة كانت وليس سؤالا ، وانفلتت من بين
، وهربت ، لكنك لحقت بها فوصلتما الى درج
لح المروي ، والتصقت بها أكثر ، وهرستها ،
حد الجسدان في لحظة ، وهي ترتجف مثل
ه ، وأنت تدس أصابعك في شعرها المتناثر ،
اطر شفتاك لها أحمر على وجهها وعنقها ،
ـدها الذي يقشعر من اللذة ، ويرفضها ،
نفسك ، ويتحول سعيرا من الغضب يفلت معه
بها الرقيق فتصفع وجهك وتصرخ
يامجنون ، يامجنون
سكت على الكلمة لتؤكدها ، فشددت عليها ،
ستها بعنف لتوقظها من الظن
لست مجنونا ولم أكن أبدا افهمي
شة
نبضك في صدرك الذي تتراكض دقاته ،
ـ ، ثم انتصبت ، ووقفت أمامها مطأطئا ،
تقذف إليك سؤالها ، وتشير الى (حراجيشك)
ـك
هذا ، ماذا نسميه ؟ أليس جنونا ؟
ـمت وغررت النظرة الواثقة في عينيها
الطريق لأراك
ع رفيف أهدابها ، وتناثر صوتها المبهور

ـ لا أصدق ، لا أصدق !

واقتربت منها ثانية ، ومسحت على وجنتيها المشتعلتين

أمك أرادت أن تحرمني منك ، فكانت هذه وسيلتي ، ولا أحد يعاقب المجانين ، وفجأة صمت العالم أمامها ، إلا صوت الغضب النازف من صدرها ، فشحنت قوتها ، ومدت الذراعين ، ودفعتك من صدرك ، وأسقطتك على الأرض فاهتزت عليك وتطاير بعض ريشك ، وانهال عليك صراخها

ـ ليتك كنت مجنونا حقيقيا ، كنت سأحبك ، أما هذا الذل !

ونفضت عيناها نظرة احترقت قلبك ، دليل في لحظتك وصوتها يأمرك

ـ اخرج ، لا أريد أن أراك ، وسأخبر أمي ، والناس ، وفهدا ، وسأعلن حقيقتك ، وأفضحك

تجمدت مكانك يا صويلح ، شدتك الأرض إليها ، فاغرا فمك ، مذهولا ، يائسا ، وحزينا ، وخرس لسانك ؟

وخرست النظرة العاشقة ، ولم تستطع أن تدافع عن نفسك ، وعن حبك ، وعن ذنبك ، وتركتك ملتصقا في أرضك ، وولت هاربة ، وعلى الأرض كنت ترى شيئا عزيزا يتساقط ، وأقدامها تدوس عليه

انكفأ الليل على صدرها ، وانكفأ الحمل الثقيل ، ولم تنم حتى أشرق الصباح ، وشقت صرخة أمك السكون ، فتراكضت المراقد تقذف بأصحابها نحو بيتكم ، ليشاهدوا المنظر

ومن النافذة أطلت ، ولمحتك تتربع عند الجدار المقابل ، عيناك دامعتان ، وأصابعك العشر مفتوحة ، تنز منها سيول دماء ، والسكين التي ذبحت بها أصابعك مغروزة في كبدك ، وأحد الرجال يحاول إسنادك لكنك وامام عينيها الأملتين تهاويت ☐

تصحيحات لغوية طبية وعلمية

بقلم : الدكتور محمد صادق زلزلة

يستعمل الناس في مجال الطب والعلم بعض المصطلحات في غير مواضعها عن جهل أو تجاوز ، ومنها هذه المصطلحات الواردة في هذه المقالة مع تصحيحات لها

الأكلينيكي ، والأكلينيكية

ان هذه الكلمة ترجمة لفظية لكلمة Clinical الاجنبية التي تعني التعامل مع المريض في سريره ، وملاحظة حالته ، ومعالجته ، وذلك للتفريق بين هذه التعاملات وبين العلوم الطبية الأساسية والنظرية وقد عربها البعض بقولهم الاكلينيكي ، والاكلينيكية فقالوا الفحص الاكلينيكي ، والأعراض الاكلينيكية والصواب السريري ، والسريرية فيقال الفحص السريري ، والأعراض السريرية أما إقحام كلمة الأكلينيكي ، أو الأكلينيكية ، في لغتنا ، وفيها تعريب حرفي لها ، فهو خطأ واهمال لا مبرر لهما

بول الفراش

ويعنى به تبول الطفل في فراشه ليلا بصورة لاارادية وقد وضعها بعض العلماء العرب مقابل كلمة Eneuresis المشتقة من الكلمة اليونانية Enourein التي تعني مرور البول وقد ترجمت هذه الكلمه الأجنبية قبل ذلك بـ « سلس البول » ثم بـ « التبول الليلي » ثم أبدلت ، في السنوات الأخيرة ، بـ « بول الفراش » فأما سلس البول فانه لا يعطي المعنى المطلوب ، لأن معناه نزول البول لاارادياً ، ليلا أو نهارا ، وفي حالة اليقظة والنوم ، لخلل في الجهاز البولي وأما « بول الفراش » فهو مصطلح يخرج عما يراد به من معنى ذلك أن البول هنا ينسب للفراش ـ فهو مضاف والفراش مضاف اليه ـ كما ينسب للطفل ، أو الفصيل ـ وهو ولد الناقة ـ فيقال بول الطفل في ملابسه ، وبول الفصيل في بطن أمه ولا يمكن ان ينسب البول ، أو التبول ، إلى الفراش ، فيقال بول الفراش وقد يكون من الأصح أن يقال البول في الفراش ولكن هذا لا يؤدي المعنى المراد منه والمصطلح العلمي الذي يعطي المعنى تماما هو « التبول الليلي اللاإرادي في الفراش »

الفالج

تلفظ هذه الكلمة بفتح اللام ، فيقال أصـ الفالَج ، وأصيب بمرض الفالج وهذا وهم معنى الفالج ـ بفتح اللام ـ هو مكيال قديم يستعمل ، فيما مضى ، لكيل الطعام (أي الحـ والشعير ونحوهما) أما الصواب فهو الفالـ

بكسر للام ـ فيقال فُلج الرحل ـ على المحهول ـ اصابه داء الفالح ـ بالكسر ـ لأنه اسم فاعل والفالج داء يحدث في أحد شقّي الىدن طولا ، فيبطل حركه واحساسه ، سمي ىدلك لأنه يأحد شطرا من الىدن في العالب ، ويىدر وقوعه في الشقين وعلى هدا فيقال أصيب بالفالح ، ولا يقال أصيب بالفالج

السية

كثيرا ما تلفط هده الكلمة ىصم الىاء للدلالة على ىناء الانسان وفطرة حسمه وهدا حطأ فالبنية ـ بالصم ـ هو ما يبنيه الانسان والبنى ـ بالصم ـ مقصور الىاء ومىه كلمة البِّية ، وهي الكعبة يقال لا وربّ هده البنية أما الصواب فهو البنية ـ ىكسر الىاء ـ وهي الفطرة يقال فلان صحيح البنية ، أي الفطرة والنية عىد الحكماء الاقدمين ـ أي قدماء الأطباء ـ عبارة عن الحسم المركب على وجه يحصل مىه المراح ، وهو شرط الحياة عندهم

الرؤيا ، والرؤية

كثيرا ما تستعمل كلمة الرؤيا ىمعى كلمة **Vision** الاحسية فيقال فلان صعيف الرؤيا ، أو عديم الرؤيا وهدا حطأ لأن الرؤيا ما يراه الانسان في المنام ، أي الحلم فهي تختص بالمنام دون النطر بالعين فيقال تفسير الرؤيا ، ومفسر الرؤيا ، مثلا أما الصواب فهو الرؤية ، وهي النطر بالعين والقلب ، ولكنها في العين حقيقة وفي القلب مجاز ، كأن يقال نطرت الى صاحبي مقبلا عليّ ، وبعثت الى الأمور نطرة حبير مطلع

بحّة

هده الكلمة ترحمة أمينة لكلمة **Hoarseness** الا ـ ة ، ولكنها تلفط بفتح الباء حطأ ، والصواب ان تلفط بالصم ، فيقال البُحّة يقال بحّ بحّا وبححا أحدثه حشونة وعلط في صوته فهو أبحّ ، وهي بحّة ـ يعني للمؤنث ـ وأبحّه الصياح حعله أبحّ والمصدر بُحّة ، بالصم ، وهو الصواب

تجربة

تلفط هده الكلمة ، عالبا ، ىصم الراء ، فيقال تجرُبة وهدا حطأ اد أن الكلمة هي مصدر للفعل يجرِّب ، ومصدرها تَجرِبة ، بالكسر ، وهو الصواب

حميات

كثيرا ما تلفط هده الكلمة ىصم الحاء ، وفتح الميم وتشديد الياء ، فيقال حميّات مثل قولهم مستشفى الحميات مثلا والصواب أن تلفط بضم الحاء وفتح الميم المشددة ، فيقال حمّيات ، جمع حمّى

الأسقربوط

تطلق هده الكلمة على مرص يتسبب عن قلة ، أو انعدام ، فيتامين ج (٢) في الحسم ، يدعى **Scurvy** ، فيسبب تورم اللثة ، وحدوث النزف فيها وكدلك النزف في أنحاء مختلفة من الحسم والكلمة ليست عربية ، وانما هي تعريب لفطي للكلمة اللاتينية **Scorbutus** ، وهي الاسم القديم للمرص والصواب أن يطلق على هدا المرص اسم الثنع فهو وصف دقيق لهدا المرص يقال ثنعت الشفة تثنع ثنعا علط لحمها وطهر دمها وقيل ثنعت لثة الرحل اذا حرحت وارتفعت حتى كأن به ورما والاسم منه الثنع ، وهو طهور الدم بالشفتين والحسم كله

اللّذع ، واللّدغ ، واللّسع

كثيرا ما توصع هده الكلمات في عير مواقعها فيقال لدعته العقرب ، ولسعته الحية ، ولدعته البعوصة ، ونحو دلك وهده كلها تعبيرات خاطئة ، لأنها توضع في عير أماكنها فكلمة لدع ، واللّذع ، لا مكان لها ، ولا مجال لها ، في هدا

الموضع ، لأنها بعيدة عنه ، وليست من جنسه فاللدغ معناه حرقة كحرقة النار ، وهو مسّ النار وحدّتها يقال لدغته النار أي لفحته وأحرقته ولدغ الحب قلبه أي تيمه وآلمه

أما اللّسْع ، فهو للحشرات التي تضرب بمؤخرتها ، وهي ذوات الإبر ، كالنحلة ، والزنبور ، والعقرب ، وأما اللّدْغ فهو لما كان بالفم ، وليس بالمؤخرة ، كالبق ، والبرغوث ، والناموس ، وغيرها فيقال لسعته العقرب تلسعه لسعا ولدغته البقة تلدغه لدغا أما الحية فإنها لا تلسع ولا تلدغ ، ولكنها تعضّ وتنهش فيقال عضته الحية ، ونهشته الأفعى ، ولا يقال لدغته أو لسعته وزعم بعض اللغويين أن من الحيات ما يلسع بلسانه كلسع حُمة العقرب ، وليست له أسنان فيجوز حينئذ أن يقال لسعته الحية ولكن الحيات ـ بصورة عامة ـ تعض بأسنانها ، وأنيابها المجوفة ، فتزرق السم في جسم ضحيتها فيقال عضته الحية ، ولا يقال لسعته او لدغته

القذْف ، والقدْف ، والترجيع

توضع هذه الكلمات ترجمة لكلمة Regurgitation التي تعني مرور كميات قليلة من الحليب ، أو الطعام ، لا تتعدى ملء الفم ، من المعدة إلى الفم أثناء الرضاع ، أو بعده واستعمال هذه الكلمات في هذا الموضع استعمال عاميّ وليس أكاديميا ذلك أن هذه الكلمات جميعها لا تؤدي المعنى العلمي الدقيق المطلوب فالقذف ـ بالذال المعجمة ـ له معان أخرى غير ماهو وارد هنا فهو معناه الرمي بالحجارة وما أشبه كما أن معناه الشتم وما أشبه فيقال قذف المحصنة اذا رماها بريبة مثلا وله معان متعددة أخرى

وأما القدف (بالدال المهملة) فمعناه الصب والنزّح ، فيقال قدف الماء يقدفه قدفا نزحه وصبه ، وغرفه ، من الحوض مثلا

وأما الترجيع ، فله معان لا صلة لها بالموضوع كذلك يقال رجّع الرجل ردد صوته في قراءة أو أذان ، أو غناء والترجيع في الأذان أن يكرر الشهادتين فيه وترجيع الصوت ترديده

أما الصواب فهو القلْس ـ بسكون اللام ـ يقال قلس الرجل يقلس قلسا ، خرج من بطنه طعام ، أو شراب ، إلى فمه ـ سواء ألقاه أو أعاده الى بطنه ـ اذا كان ملء الفم أو دونه فاذا غلب ، أو زاد عن ذلك ، فهو قيء والقلس اسم علمي أكاديمي ينبغي استعماله في هذا المجال أما ما سواه من كلمات ، وأسماء ، فهي معان خاطئة وان كانت تستعمل مجازا لتقريب الموضوع الى أذهان العامة من الناس □

رحلة القهوة

● المعروف أن أفريقيا هي موطن شجرة البن ، والحبشة بالذات هي البلاد التي عرفت هذه الشجرة ، وقد نقل التجار العرب هذه الشجرة الى اليمن ، حيث زرعوها في القرن الرابع عشر الميلادي على سفوح الجبال ، ومن اليمن نقل الحُجّاج البن الى مكة ، حيث شاع بعدها في بقية البلاد العربية ، وقد وصلت القهوة الى أوروبا عام ١٦٢٦ على يد ايطالي يدعى بيترو ديللا تالي ، وكانت تستخدم كعقار مسكن للصداع ، ولكن سرعان ما عملت لتشرب في المقاهي ، وخاصة في مدينة البندقية ومرسيليا ، ومن ثم انتقلت الى مدينة لندن وغيرها .

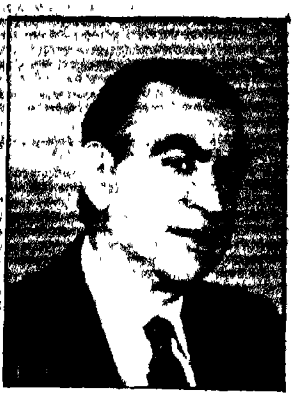

الأصالة والعروبة فى أدب عبدالسلام العجيلى

بقلم : أحمد محمد عطية

على الرغم من أن الروائي العربي الدكتور عبدالسلام العجيلي نهل من الثقافة العربية الحديثة ، وأتيح له أن يعايشها قراءة ورحلة،فإن أعماله الأدبية تعكس نزعة قوية الى استلهام التراث العربي وبعثه في قوالب جديدة،تعبر عن أصالة الكاتب وعروبته . حول هذه الملاحظة يصحبنا هذا المقال في رحلة حول أدب عبدالسلام العحيلي .

عدالسلام العجيلي ، أديب سوري كبير ، وأحد رواد التأصيل في ثقافتنا العربية الحديثة . فهو أديب عربي ، نشأة وانتماء ، وكتابة ، فكرا ، وسلوكا ، وشكلا ، ومضمونا

تتمـ كتابات عبدالسلام العجيلي بالأصالة والعرو ، وبالتنوع ، والتفرد ، والابتكار ، وباحياء تراث العربي والأشكال العربية والمضامين العربـ والاستلهام من ذلك كله ، وتسري في شاماته ا ح العربية ، والقيم العربية ، وتتنوع بين أساليـ رد لدى الرواة العرب وبين الحكاية العربية لأخبار والمقامات وأحاديث العشيات والأسمار ، والأمسيات العربية ، وأدب الرحلات ، وتعكس إيمانه القوي بدور التراث العربي والاسلامي في تعزيز ودفع التقدم العربي ، وتنطلق من وعيه العميق بخطورة الغزو الثقافي العربي ، والتبعية للغرب .

فالعجيلي أديب عربي ، يحرص على الأصالة العربية ، ويبتعد عن القوالب الغربية ، كما أنه يستلهم التراث ولا ينقله ، بل يعيد تشكيله ومزجه بتجاربه وثقافته ، وخياله ، ويوظفه في خدمة الحاضر العربي ، ويشحنه بهموم عصره

إنه شامل ، يجمع بين إبداع الشعر والمسرحية ،

والقصة والرواية ، وأدب الرحلات والمقالة ، والمقامات وأحاديث العشيات ، والمحاضرات والسيرة الذاتية ، كما تتعدد أعماله واهتماماته بتعدد تجاربه في الحياة كأديب ، وطبيب ، ورحالة ، ومناضل بالسلاح ، ونائب ، ووزير

ونظرا لتنوع إنتاجه وكثرته ، مما لا يتسع المجال لتناوله كله ، فإني سأركز في هذه الدراسة على وجوه الأصالة والعروبة في أعماله التي لم تنل حقها من اهتمام النقاد والباحثين ، والتي تؤكد ريادته ـ للتأصيل في ثقافتنا العربية الحديثة ، مثل مسرحيته الأولى شبه المجهولة « أبو العلاء المعري » ، وثلاثيته الفريدة « أحاديث العشيات » ، و « السيف والتابوت » ، و « سبعون دقيقة حكايات » ، ومقاماته الصادرة في طبعة خاصة محدودة

لقد اختار عبدالسلام العجيلي الطريق الصعب في الحياة ، والمعرفة ، والأدب ، وفي النضال من أجل قضايا قومية عربية وإنسانية ، وبالرغم من ثرائه ، وعدم اضطراره للعمل والمعاناة ، فهو أديب وعالم ملتزم بالكتابة وبالعمل والسلوك ، وليس بالنظريات و (الايديولوجيات) ، منذ تطوع للقتال في جيش الانقاذ الفلسطيني ، وحارب العدو الصهيوني في سنة ١٩٤٨ دفاعا عن عروبة فلسطين

وبالرغم من أنه من أسرة بدوية ثرية ، وعمل وزيراً للثقافة والاعلام والخارجية ، إلا أنه لم يفارق بلدته الصغيرة النائية « الرقة » في شمال سورية ، بل رفض كل العروض لمناصب كبرى تبعده عنها ، وكان هذا التزاما وانتماء وعشقا لبلدته الفقيرة ، ولأهله في البادية ، يعالجهم ، ويعلمهم ، ويستلهم تراثهم وتجارب حياتهم الشاقة ، ويمزجها بتجاربه ورؤاه ، وحبه الغامر للتراث العربي ، ولتراث البادية الشعبي ، ولذكريات الطفولة والصبا في أحضان البدو ، والحياة البدوية التي تغذي أدبه بدماء الأصالة والعروبة لذا أصر العجيلي على الاقامة الدائمة في « الرقة »

الأصالة والتغريب :

تنبع أصالة عبدالسلام العجيلي وعروبته من أصوله العربية ، ونشأته البدوية ، وثقافته العربية ، وعشقه للتراث والعروبة ، ولكل ما هو عربي ، فهو ينحدر من أسرة بدوية تتفرع من عشيرة عربية ، هي عشيرة « البوبدران » ، المقيمة في بادية الموصل بالعراق ، وقد انتقلت أسرة العجيلي من الموصل الى « الرقة » مع بعض عشائرها تنتمي عشيرته إلى سلالة الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما كما يذكر العجيلي في كتابه « أشياء شخصية » (الطبعة الثانية ، دار الحقائق ، بيروت ١٩٨٠ ص ٧ وما بعدها) ، فهو عربي أصيل حسبا ، ونسبا . كما عرفت أسرته البدوية بحب المعرفة والفنون والآداب ، فقد كان جده حميد العجيلي شاعرا

وقد ولد العجيلي سنة ١٩١٨ ببلدة (الرقة البدوية ، وعايش في صباه ظروف حياة البادية العربية الصعبة ، وخبرها ، وتنقل في طفولته وصباه مع أسرته ، ومع أهل الرقة البدو ، بين مراعي الكلأ في البادية ، في الربيع والخريف والصيف ، وعاد معهم في الشتاء للاقامة في تلك البلدة ، مما عمق في ذاكرته تجارب الحياة البدوية ، وتقاليد البدو ، وثقافتهم وقيمهم العربية الأصيلة ، مؤكدا أن المعاصرة لا تعني التخلي عن القيم الخيرة التي ترجع الى جذور البداوة في نفسه ونفس كل عربي

أما مصادر ثقافته فهي عربية أصيلة أيضا فقراءاته الأولى كانت منذ طفولته وصباه في كتب دينية ، وقصص شعبية ، وكتب في التاريخ العربي ودواوين الشعر العربي القديم ، وقد استند [illegible] أقعده فيها المرض أربع سنوات ، وكان [illegible] العاشرة والرابعة عشرة فصرفها في قراءات [illegible] كتب الدين والتاريخ الاسلامي ، والقصص [illegible] الشعبية ، وروايات جرجي زيدان [illegible] الاسلامية ، و « ألف ليلة » ، كما أنه [illegible]

مسرحية شبه مجهولة :

بدأ عبدالسلام العجيلي الكتابة في سن مبكرة ، في الثلاثينيات ، فكتب الشعر والقصة والمسرحية والمقالة ، ونشرها بأسماء مستعارة ، نظرا لانطوائيته ، وخوفه من « الشهرة والنقد الذي لا يرحم » حسب تعبيره وقد واصل كتاباته فترة طويلة ، وبأسماء مستعارة ، كان يبدلها بين الحين والحين ، حتى بلغ عددها اثنين وعشرين اسما وقد سبب تخفيه بالأسماء المستعارة في خسارته لعدد من الجوائز ، أهمها جائزة مسرحيته الأولى ، شبه المجهولة « أبو العلاء المعري » التي كتبها سنة ١٩٣٧ ، ونال عنها الجائزة في مسابقة مجلة « الحديث » الحلبية التي أقامها الأديب السوري الكبير سامي الكيالي

وقد نشرت مجلة « الحياة المسرحية » السورية (في عددها المزدوج رقم ١٧ ـ ١٨ صيف ـ خريف ١٩٨١) نص مسرحية العجيلي « أبو العلاء المعري » تحت عنوان « وثيقة العدد » ، بعد أن ظلت محتجبة مجهولة ، إذ لم ينشرها في كتبه ، وقدم لها الأديب الفنان السوري وليد اخلاصي مشيرا إلى ندرة الأعمال المسرحية في هذا الوقت ، نظرا لاتجاه الكتاب آنذاك الى الشعر والمقالة يقول وليد اخلاصي إن المسرحية كتبت في عهد الانتداب الفرنسي لسورية ، عن وقائع قديمة وحقيقية ، جرت في عصر أبي العلاء ، وأن اختيار مثل هذا الموضوع للكتابة يعود في رأيه ـ إلى اختيار مناخ قديم من التاريخ المعروف ، يمكن بواسطته التذكير بما يجري في [illegible] ـلاد في أيام العدوان والاحتلال من قبل أجنبي ، [illegible] ها محاولة من شاب جاد لمناقشة أفكار أبي العلاء [illegible] سفية ، وتقديم شخصيته الى القارىء نموذج [illegible] ي للبطولة العقلية والاجتماعية ، وفي وقت طغ [illegible] ـه البطولة الغربية ، وباتت الحاجة ماسة للتذكير [illegible] خصية العربية »

وهذا يؤكد عمق الأصالة العربية ، والهوية العربية ، لدى أديبنا الكبير ، ففي هذه السن المبكرة (تحت العشرين) كانت كتاباته عربية ، وشخصياته عربية ، ووعيه بخطورة الاستعمار والتغريب متقدما ، كما تبرز هذه المسرحية حرصه على التفرد والتميز ، وشق الطرق الصعبة في التعبير الأدبي والفني ، مما حدا به لكتابة المسرحية والقصة في أعمال تضعه في صفوف الرواد الأوائل لهذين الفنين في القطر العربي السوري وكما يقول وليد إخلاصي ، في تقديمه للمسرحية « ليست مسرحية (أبو العلاء المعري) عملا دراميا كبيرا ، لارتباطها بعملية التوثيق التاريخي ، لكنها تبقى عملا دراميا متماسكا ، وطليعيا في زمنها »

ومع أن المسرحية تسجيلية وثائقية تقدم شخصية أبي العلاء المعري مع شخصيات عصره ، وتنهض على وقائع تاريخية ، وتنطق المعري بنصوص من كلماته ، كما وردت في المصادر القديمة والحديثة ، الا أن العجيلي أبدع شخصية أخرى من خياله هي شخصية « أبو هدرش » التي يصفها بأنها « شخصية خرافية من رسالة الغفران ، وهي شخصية شيخ من شيوخ الجان ، هيئته منكرة ، وصوته رهيب ، وكلامه مملوء بالسحر اللاذع » ، وهي شخصية درامية مناوئة ومناقضة لشخصية أبي العلاء في المسرحية ، تعمق الصراع الدرامي ، وتمثل الوجه الآخر للشاعر والفيلسوف العربي الكبير ، لأنها شخصية من إبداعه في « رسالة الغفران » ، فهي جزء منه يناقضه ، ويحاوره ، وينمي الصراع الداخلي لديه ، ويدفعه الى اتخاذ المواقف والقرارات الهامة

وتمثل شخصية « أبو هدرش » الاضافة الفنية التي يقدمها الفنان عبدالسلام العجيلي لشخصية أبي العلاء وعصره التاريخي المعروف ، إنها صوت الضمير لدى أبي العلاء ، يجسدها العجيلي بكلمات (أبي

هـدرش) . « لا تضـطـرب يـا أبـا العـلاء ، لست بالغريب عنك ، فلو بحثت عني لوحدتني في قرارة نفسـك » وهي شحصية خيـالية ، تـظهر وتختفي « بصورة سحرية » من ابداع العجيلي ، وصعها في فكر أبي العلاء ، وحعلها تدور في مخيلته ، قبل كتابته لرسالة الغفران ، باعتبارها تشغل صمير أبي العلاء وعقله ويؤرخ العجيـلي رمس المسـرحيـة بعـام ٤١٩ هـ ، أي أنها تسبق وقت كتابة المعري لرسالة العمران بحوالي خمس سـوات ،لأن أبا العـلاء قد كتبها حوالي سنة ٤٢٤ هـ

يختتم العجيلي المسرحية بتقديم صورة لانسانية المعري المطوية « لحوهر نفسه المتألق » ، فهو لا يكره النـاس ، لكنـه يتـرفق بهم ، كـما يقـول (أبـو هدرش) « يا أبا العلاء ، لست أدري كيف يعمى من حولك حول حوهر نفسك المتألق ، ولكن الناس حد قصار النطر » ، فالعمى في قصور إدراك الناس لجوهر شخصيـة أبي العلاء ، ونفسيتـه ، وليس في المعري

أحاديث العشيات

إن « أحـاديـث العـشيـات » ، و « السـيـف والتابوت » ، و « سبعون دقيقة حكايات » عبارة عن ثلاثية فريدة ، تقدم نموذجا فذا لنهج عبدالسـلام العجيلي ، وطريقته الخاصة المتفردة في بعث التراث واستلهامه في أشكال عربية أصيلة ، وحديدة بعيدة عن القوالب الغربيـة والتبعية لأشكـالها ، إذ تضم الكتب الثـلاثـة أحـاديث الكـاتب في الأمسيـات الثقـافيـة ، وهي مصـوغـة في شكـل أحـاديث « العشيات » العربية القديمة ، والأسمار العربية التي شهـدها العجيـلي وسمعها في صباه في البـاديـة ، فرسخت في ذهنه وذاكرته ، وأعاد شحنها بمضامين ومفاهيم عصرية أيضا ، ومزجها بأحداث التاريخ العربي القديم والحـديث ، وصبها في قـالب عربي متفرد متميز بالأصالة والحداثة معا ، يجمع بين القصة والحكاية والحوار والشعر والخبر والتاريخ و الحكمة والقيم العـربية والشحصيـات والنمادج الـ عولية العربية ، وهو يمرج هذا كله بذكرياته ، وسيرته ومشاعره وآرائه ورؤاه ، وانطباعاته وطرق إبداعه ، وتنظيره لأدبه وفنه

وقد تحدث العجيلي في مقدمة الحرء الثـالث من ثلاثيته « سبعون دقيقة حكايات » عن هده الثلاثيـة قـائـلا « إنها ليست محـاصـرات ، وإنمـا أشيـاء شحصية ، وتأثرات ذاتية قليلة الموصوعيـة » ، وأكد أنها « فن » ، أي أنها « إبداع » وأوصح قائلا « إن محاصراتي ما هي الا متح من ذاتي ، من دكرياتي وتأثراتي وأفكاري » (ص ٦ و ٧) ، وهي صرورة لفهم شحصية العجيلي ، الانسان العربي الأصيل ، الأديب الطبيب المفكر الفنان ، وهي تجربة متفردة في الابـداع العـربي الأدبي ، حـارجـة عن القـوالب العربية ، متصلة بالأصالة العربية

فالعجيلي من فرط حرصه على التفرد والأصالة والموروث يذكر بارتياح ، في « أحاديث العشيات » أنه حسن الحظ لعدم انضمامه لجمعيات المحاصرات خلال دراسته ، وعدم اتباعه لأساليبها المدرسية ، وأنه ظل وفيا للأساليب العربية القديمة ، الأصيلة التي اختزنها وتمثلها ، أبدع فيها في صياغة عصرية حديثة

وهو ينتقي في هذه الأحاديث شخصياته العربية المتميزة بالبطولة والكرامة والكبرياء ، وحب الأدب والفن والـطرافة والغـرابـة أيضـا ، من صفحات التاريخ العربي القديم والحديث وتجاربه ، ليقدم عليه نماذج منوعة للشخصيـة العربية القـوية الايجابية ، والشخصيـة العربيـة الأدبية الفنـانة المحبـة للشعر والغنـاء والموسيقـا ، والشخصية الصـوفيـة التقية الورعة

كما تحتوي ثلاثية « أحاديث العشيات » بالاضافة الى

ادث الأدبية والتراثية والفكرية على أحاديث ى علمية في الطب والهندسة والرياضيات ، شاء المدن ومعمارها ، ويتغلغل في كل هذه حاديث ، ويلقي عليها ظله وروحه وقيمه داعه وشخصياته ، ففي الطب نجد أحاديثه تمدة من التراث ، ومن القرآن الكريم والسيرة وية الشريفة ، ومن سير الحلماء والعلماء والحكماء ب

ويتحدث العجيلي عن ارتباط « العشيات » كريات طفولته وصباه ، وما اختزنه من صور ياة البدوية التي لعب الشعر دورا كبيرا فيها ، وهي يات وأمسيات سمر ، قوامها الكلمة الجميلة لحديث الجميل ، والقصص والأشعار والحكايات لأخبار ، ومن محصلة ذاكرته التي اختزنت قراءاته حاديث « العشيات » العربية الأولى التي ذكرها عراء العرب القدامى مع تجاربه وذكريات صباه

، « عشيات » وأمسيات البدو ، من هذه المحصلة ترنة التي تمثلها العجيلي ، وأعاد إبداعها في حاديث العشيات » ، ليقدم صورة عصرية اديث العرب القديمة وأحاديث البدو الحديثة

تامات

كما اتجه العجيلي الى المقامات ، ليبهل من هذا الفن ربي الأصيل ، ويبدع على منواله ، واضعا ماته الفنية الذاتية في مقاماته الجديدة الفريدة التي ها بتوقيعه المستعار « ع ع »

ر ، تقديمه لمقاماته يذكر العجيلي أنه بدأ كتابتها لو الب في المدرسة الثانوية بحلب وفي المعهد ط بدمشق ، وأنه كتبها للتسلية والتسرية ، وأنه ي يقصد كتابة المقامات بل استهدف الكتابة ـ ة ، لأن قراءاته لها كانت محدودة في ذلك ر لا تتعدى مقامتين أو ثلاثا مما كان المؤلفون ـ ون يختارونه في كتبهم للهمذاني والحريري ، وحديث عيسى بن هشام للمويلحي (المقامات) الطبعة الأولى ص ٦ و ٧) ، حتى كتب مقامته الطبية الأولى التي انتقد فيها ـ بأسلوب لاذع ساخر ـ مظاهر الدراسة الطبية في المعهد الطبي العربي ونحوها ونشرتها مجلة « الصباح » الدمشقية في عدد خاص عام ١٩٤٢

كان للنجاح الذي أحدثته هذه المقامة الطبية أثره في مواصلة كتابة مقاماته ، غير أنه ـ بتواضعه المعهود ـ يشكك في قيمة مقاماته ، ويقول إنه طبع منها كمية محدودة في طبعة خاصة ، صدرت سنة ١٩٦٢ ، استجابة لاقتراحات المعجبين بها ، وهو يأخذ على مقاماته إفراطها في الذاتية ، ودورانها حول شخص الكاتب وشخصيات إخوانه ، مع أن هذه الذاتية هي الاضافة العصرية التي قدمها العجيلي لفن المقامات العربي الأصيل فالراوي في مقامات العجيلي هو الكاتب نفسه « عبدالسلام عجب »

وقد أبدع العجيلي اثنتي عشرة مقامة هي « المقامة الطبية الأولى » ، و « المقامة الحقوقية » ، و « المقامة الطبية الثانية » ، و « المقامة البرازيلية » ، و « المقامة الهندية » ، و « المقامة القنصلية » ، و « المقامة البرلمانية » ، و « المقامة الصحفية » ، و « المقامة الباريسية » ، « والمقامة الحنيفية » وكلها مكتوبة في شكل المقامات العربية الذي يجمع بين سرد الراوي والقصة والشعر والحوار والسخرية والفكاهة ويضيف إليها موضوعات عصرية ، مستمدة من تجارب أديبنا الكبير في الطب والدراسة والأسفار والسياسة والأدب وأوجه الحياة المختلفة ، كما تجمع بين السجع والأسلوب التراثي وشخصيات التراث العربي

هذه هي ـ بإيجاز شديد ـ بعض وجوه الأصالة والعروبة في أعمال الأديب الكبير عبدالسلام العجيلي □

المناقشة

بقلم : فهمي هويدي

لماذا [illegible]
عن التوبة
والعفو؟

لا نفهم لماذا تسلط الأضواء على النظام العقابي في الشريعة الاسلامية، ولا يأتي أحد من الدعاة في زماننا على ذكر «التوبة» من قريب أو من بعيد.

ورغم أننا نتحفظ من الأساس على مبدأ تصور الشريعة باعتبارها حدودا فقط، ونعتبر أن الخطاب الاسلامي رسالة هداية قبل أن يكون نظاما عقابيا، الا أننا نسجل على الملوحين بلافتة الحدود في كل حديث عن الشريعة أنهم ارتكبوا في حق الشريعة نفسها جنايتين: جناية تقليصها الى حد اعتبار الحدود مرادفا لها، وجناية تغييب التوبة والعفو في الحديث عن الحدود، وإسقاطها من الحساب في الوعي الاسلامي العام.

ولقد عرضنا في مواضيع عدة من قبل - على صفحات «العربي» بوجه أخص - لآفاق الشريعة الرحبة، وتجاوزها اطار الحدود ومفهومها، ويهمنا هنا أن نعرض لصفحة التوبة المطوية، ليس باعتبارها عنصرا مهما في تصحيح النظرة للاسلام ولنظامه العقابي فقط، ولكن باعتبارها أحد مظاهر التميز الفريد للشريعة الاسلامية على غيرها من الشرائع والأنظمة القانونية السائدة. فان قلنا أن التوبة تسقط الحد في المفهوم الاسلامي لم نستطع أن نقول ذلك بالنسبة للقاعدة العامة في القوانين الوضعية لأن توبة الجاني فيها لا تسقط عنه العقوبة.

التوبة تعبير قوي عن حرص الشارع على تقويم العصاة والآثمين، ورجوعهم الى الحق والصواب، أكثر من حرصه على تجريم هؤلاء وتوقيع العقوبة عليهم. وهو ما انتبه اليه الباحثون المتخصصون في القانون الجزائي (الجنائي) الاسلامي، بينما غفل عنه أكثر الدعاة وأصحاب المنابر المختلفة في الساحة الاسلامية، وتجاهلوه.

وقد تحدثنا في عدد الشهر الماضي من العربي عن

صفحة التيسير ورفع الحرج عن الناس التي يتجاهلها المتشددون والمتزمتون ، أما حديثنا عن التوبة فيمثل خطوة على طريق فض الصفحات المطوية من سجل الفهم المستقيم للشريعة

حصار الاثم والمعصية

وإن شئنا أن نضع الأمر في إطاره الاسلامي الصحيح فقد نقول إن حصار الاثم والمعصية بكل السبل يمثل احدى ركائز التعاون على البر والتقوى الذي دعت اليه رسالة الاسلام ، وهنا يتعين علينا أن نفرق - في مواجهة الاثم والمعصية - بين أن يكون المرء جانيا ، أو مجنيا عليه ، أو طرفا ثالثا ليس له علاقة مباشرة بالحدث

هذا الطرف الأخير يدعوه أدب الاسلام وخلقه أن يتخذ موقف « الستر » ، وعدم إشاعة الفاحشة بين الناس ، أما الجاني فباب « التوبة » مفتوح أمامه ، وإذا كان المرء مجنيا عليه فيحثه الاسلام على أن يتحلى « بالعفو » حتى يثاب عليه

والتوجيهات النبوية التي تحث على « الستر » عديدة ، ففي الحديث من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة ، (وفي رواية ستره الله في الدنيا والآخرة) ، وفي حديث آخر لايستر عبد عبدا في الدنيا الا ستره الله يوم القيامة ، من ستر عورة فكأنما استحيا موءودة في قبرها ، لايرى المؤمن من أخيه عورة فيسترها إلا أدخله الله الجنة

وقال صلى الله عليه وسلم لمن اصطحب أحد المسلمين ليعترف أمامه بارتكاب الزنا هلا سترته بثو ـ

ـعقب الامام الغزالي في (احياء علوم الدين)
علـ ـذه الواقعة قائلا أنها من أعظم الأدلة على طلب
الشـ ـع لستر الفواحش ، فإن أفحشها الزنا وقد
سه ـأربعة من العدول يشاهدون (الواقعة)
وهـ لايتفق ، وإن علمه القاضي بنفسه تحقيقا لم يكن له أن يكشف عنه انظر الى كثيف ستر الله ، كيف أسبله على العصاة من خلقه ، بتضييق الطريق في كشفه (الاحياء ج٢ ص١٩٩)

وللستر ضوابط جرت على ألسنة الفقهاء ، بينها أن تكون المعصية قد وقعت وانقضت ، وألا يؤدي الستر الى مفسدة أكبر (كما في حالة التستر على الجرائم) ،وان يجري الستر على من لم يعتد المعصية أو يجاهر بها ، غير أن الذي يعنينا من السياق الراهن هو إثبات قيمة الستر وأهميتها في صياغة مجتمع الفضائل الاسلامي ، وربما جاز لنا أن نفصل في ضوابط هذه القيمة ، وضماناتها في حديث لاحق ، لكن لابد ان نلفت النظر الى خطأ المسارعة الى الاعلان عن الفواحش والمنكرات ، مما يهتك الستر ، ويكشف العورات ، ويصادر فرص تقويم الانحراف ، وحصر المعاصي في أضيق نطاق

اسقاط الحد الشرعي

ثمة جدل بين الفقهاء حول دور التوبة في اسقاط الحد الشرعي ، وإن كان اتفاقهم قائما على أن التوبة تسقط العقوبة في جريمة الحرابة ، استنادا الى النص القرآني (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ، ولهم في الآخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم ، فاعلموا أن الله غفور رحيم) « المائدة ٣٣و ٣٤ »

ففي ظل هاتين الآيتين لم يعد هناك شك في قبول توبة المحارب ، وإعفائه من العقاب ، إذا تحققت التوبة قبل القدرة عليه ، أي قبل أن تصل اليه يد سلطات الدولة ، إنما الذي أثار الجدل هو مدى تأثير التوبة في وقف العقوبات المقدرة عن الجرائم الأخرى وعلى الأخص الحدود

في هذا الأمر اتخذ الفقهاء موقفين على النحو التالي

* فريق رأى أن التوبة ليست سببا للاعفاء من العقاب في غير جريمة الحرابة، وإن النص القرآني ورد في شأن جريمة الحرابة، لا يتعداها الى غيرها من الجرائم، وهذا رأي الظاهرية والحنفية والمالكية، وبعض الشافعية والحنابلة. وقد استدل هؤلاء بأن الامر الوارد في القرآن والسنة بتوقيع العقاب جاء عاما، ولم يستثن من تاب من توقيع العقوبة، وقالوا أيضا ان الرسول قد أوقع الحد على بعض من جاءوا اليه تائبين معترفين بذنوبهم، وأضافوا بأن العقوبة هي التي تزجر المجرم عن الجريمة، وأن القول بمنع العقاب بسبب التوبة يؤدي إلى ابطال العقوبات كلها، وكل مجرم لا يعجز عن ادعاء التوبة

وآخر قولهم إن مساواة المحارب بغيره من المجرمين غير عادلة، لأن المحارب يكون غير مقدور عليه عادة، وإعفاؤه من العقاب إذا تاب يشجعه على العدول عن موقفه، وكف شره وفساده عن الناس، وليس لهذا المعنى وجود في غير المحارب

* أما الفريق الثاني فيرى أن التوبة سبب للاعفاء من العقوبة في الحدود كلها، وليس في جريمة الحرابة فقط، وحجتهم أن النص على جعل توبة المحارب سببا للاعفاء من عقوبة الحرابة يقتضي جعل التوبة سببا للاعفاء من بقية الجرائم، لأن جريمة الحرابة هي الأشد الأفظع، فاذا أسقطت التوبة عقوبتها فالأولى أن تؤدي الى اسقاط العقوبة فيما دونها من جرائم

ويستدلون أيضا بأن القرآن الكريم قد نص على التوبة في عقوبة الزنا ـ قبل تشريع الحد ـ كمانع من العقاب، وذلك في قوله تعالى (واللذان يأتيانها منكم فآذوهما، فان تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما) (النساء آية ١٦).

ويستدلون كذلك بأن القرآن الكريم قد ذكر حد السارق، وذكر معه التوبة في قوله تعالى (فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح، فان الله يتوب ع) (المائدة ـ آية ٣٩)

التائب والعقوبة

وقد احتج لهذا المذهب الامام الشافعي في كتابه (الأم)، وأيده في ذلك ابن قيم الجوزية في (اعلام الموقعين) حيث قال ردا على المفرقين بين المحارب وغيره في الاعفاء من العقوبات بالتوبة « أين في نصوص الشارع هذا التفريق ؟ بل نصه على اعتبار توبة المحارب قبل القدرة عليه من باب التنبيه على اعتبار توبة غيره بطريق الأولى »، ويقول أيضا والله تعالى جعل الحدود عقوبة لأرباب الجرائم، ورفع العقوبة عن التائب شرعا وقدرا، فليس في شرع الله ولاقدره عقوبة تائب البتة. وفي الصحيحين في حديث أنس قال كنت مع النبي عليه الصلاة والسلام، فجاء رجل فقال يا رسول الله إني أصبت حدا فأقمه علي، قال ولم يسأل عنه. فحضرت الصلاة، فصلى مع النبي، فلما قضيت الصلاة، قام اليه الرجل، فأعاد قوله، فقال له النبي « أليس قد صليت معنا ؟ قال، نعم، قال فإن الله عز وجل قد غفر لك ذنبك »، وفي هذا الصدد أيضا يروى عن النبي عليه الصلاة والسلام قوله « التائب من الذنب كمن لاذنب له »

وفي المقابلة بين الرأيين يرجح الرأي الثاني الذي يؤيده أيضا عدد عديد من فقهائنا المعاصرين، من أمثال الشيخ محمد الغزالي، والشيخ محمد مصطفى شلبي والاستاذ عبد القادر عودة. ومما كتبه الدكتور محمد سليم العوا لتعزيز هذا الرأي أن القرآن الكريم احتفى بالتوبة حفاوة ملحوظة، إذ كرر السياق القرآني النص عليها أكثر من مائة مرة، حتى لا تكاد تخلو آية فيها ذكر ذنب من ذكر التوبة معه، والترغيب فيها، والحض عليها، وفي ذلك تنبيه لايخفى الى وجوب أن يكون للتوبة في المؤاخذة على الذنوب، دنيوية كانت هذه المؤاخذة أم أخروية

أما في الآخرة فإن الله يغفر الذنب ولا يعذب عليه وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى) طه - آية٨٢)

وأما في الدنيا فيمتنع العقاب باعتبار التوبة عذرا معفوًا منه

ونحن نضيف الى الأدلة التي أشرنا إليها في اعتبار لتوبة سببا كافيا للاعفاء من الحد أو العقوبة أن هذا لموقف يعتبر أكثر اتّساقا مع وظيفة الرسالة السماوية لتي تعنى بالدرجة الأولى بالهداية والاستقامة والعدول الذاتي عن المعصية

ويرد الدكتور العوا على الادعاء بأن اقرار مبدأ بول توبة الجاني أو الآثم يفتح الباب للهرب من لعقاب ، لأنه بمقدور كل من ارتكب جريمة أن يدعي لتوبة ويقول ، بأن اقرار ذلك المبدأ لا يمنع القاضي من وزن التوبة بميزان الواقع ، ولا يحول ذلك دون ن يقدر القاضي طبيعة تلك التوبة ، وأثرها في ضوء ما يثبت لديه من أدلة وقرائن ، فاذا تبين لديه أنها يست سوى حيلة من جانب الجاني الذي تكرر وقوعه في الجريمة مثلا - فلا تثريب على القاضي إن هدر التوبة ولم يأخذ بها ، وإن كان يرى - ونحن معه - بأنه خير للقاضي أن يخطيء فيحكم بامتناع العقوبة للتوبة ، حتى لو لم تكن صادقة ، من أن يوقع العقاب مهملا اعتبار التوبة التي قد تكون صادقة ، لأن مآل مدعي التوبة أن يكشف أمره في جريمة أخرى (في أصول النظام الجنائي الاسلامي - ص١٠٩)

ويشترط لكي تسقط التوبة العقوبة أن تكون لجريمة مما يتعلق بحق الله ، أي أن تكون من الجرائم لماسة بحقوق الجماعة ، كالزنا وشرب الخمر ، وألا تكون مما يمس حق الأفراد ، كالقتل أو الضرب لأن ذه الجرائم يسقطها العفو ، ولا تسقطها التوبة ، كما نرى ، ويشترط بعض الفقهاء أن تكون التوبة مصحوبة باصلاح العمل ، مما يقتضي مضي مدة علم بها صدق التوبة ، ولكن الاتجاه الراجح يكتفي بالتوبة ، ولا يشترط إصلاح العمل (عبد القادر عودة - التشريع الجنائي الاسلامي - ج١ - ص٣٥٣)

التوبة المشروطة

ومما يسجله الدكتور محمد العوا من ملاحظات على فكرة التوبة ما يلي

- أنها تتيح الفرصة للاقلال من توقيع العقاب في جرائم الحدود ، وتلتقي فكرة التوبة في هذا الخصوص مع فكرة درء الحدود ، أو العقوبات بالشبهات في أثر كل منها على حالات توقيع العقوبة القصاصية ، والرغبة الواضحة في الفقه الاسلامي عامة الى التقليل ما أمكن من هذه الحالات
- أن التوبة كسبب للاعفاء من العقاب ينصرف أثرها الى العقوبة فقط ، دون أن تمنع أوجه المساءلة الأخرى عن فعل الجاني ، خاصة المساءلة المدنية ، المتمثلة في تعويض من أصابه الضرر من الجريمة ، أو في رد ملكه إليه
- ان التوبة توجب الاعفاء من العقوبة اذا كان الجاني يحاكم لأول مرة ، أما من تكرر وقوع الجريمة منه فان التوبة لاتعتبر عذرا معفيا في حقه ، الا اذا قدر القاضي غير ذلك ، أي أن الاعفاء من العقوبة بسبب التوبة هو إعفاء وجوبي في المرة الأولى ، وجوازي بعد ذلك .
- ان الاعفاء من العقوبة المقدرة في جريمة الحرابة بنص القرآن الكريم ، يماثله ما تقرره النظم الجنائية الحديثة من الاعفاء من العقوبة المقررة بالنسبة للمتهمين في جرائم أمن الدولة ، وهو ما تقرره مواد قانون العقوبات في كل من مصر والسودان ، لكن الفارق الأساسي بين التوبة المقررة في النص القرآني - بالنسبة للحرابة - ونصوص القانونين المصري والسوداني هو أن التوبة في النص القرآني مطلقة ، وليست معلقة على شرط ، بينما هي في هذين القانونين مشروطة بأن تؤدي الى ضبط جناة آخرين أو كشف جرائم أخرى

ويضيف أستاذنا المستشار عبد الحليم الجندي في بحث له حول الشبهات المثارة حول تطبيق الشريعة في العصر الحديث، أن نظام العقوبات الأوروبي الذي اقتبست منه دولنا أكثر مواده - فضلا عن فلسفته - لا يوفر أي تشجيع للمذنب لكي يتوب عن فعله ولا يعود اليه، وأن الفلسفة العقابية الوضعية بموقفها ذاك - ولأسباب أخرى - لم تنجح في الحد من ارتكاب الجرائم، ومنذ دخل هذا النظام الى مصر - في الثلث الأخير من القرن الماضي - والجرائم بازدياد. وفي هذا أيضا يقول الدكتور شفيق شحاته - من أساطين القانون في مصر - «ان القانون الجنائي المصري - الأوروبي الأصل - استحدث عقوبات واجراءات للتحقيق، غريبة عن البلاد، مما أسفر - في بادىء الأمر - عن قدر من الاضطراب عند التطبيق، وقد ازدادت الجرائم بعد صدوره زيادة لفتت الأنظار، وهذا مما دعا الى تشكيل لجنة لبحث الأمر في سنة ١٨٨٤»

قيمة جديدة

يعد «العفو» قيمة جديدة تماما، زرعها الاسلام في مجتمع الجزيرة العربية الذي كان الثأر والقصاص من ركائز قيمه السائدة، اذ جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: «فمن عفا وأصلح فأجره على الله» (الشورى - ٤٠) وروى عن النبي عليه الصلاة والسلام قوله «مازاد عبد بعفو إلا عزّا»، ونقل أبي هريرة قوله ما رفع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قصاص إلا طلب العفو

والعفو جائز في جرائم الاعتداء على الأشخاص بالقتل أو الجرح أو الضرب، وهي الجرائم التي اصطلح الفقهاء المسلمون على تسميتها بجرائم القصاص والدية، وهذا العفو مقرر لصاحب الحق المعتدى عليه، سواء كان هو المجني عليه في جرائم الجرح والضرب، أو ورثته أو أولياؤه في جرائم القتل

والعفو من الناحية الشرعية جائز في القصاص، وجائز أيضا في الدية، لكن يظل أثر العفو في كل الحالات محدودا بالعقوبة، وليس ساريا في شأن الجريمة،

فللشخص أن يعفو عن توقيع العقوبة، وللسلطة أن تعاقب الجاني تعزيرا، اذا رأت أن للجماعة حقا قد تعرض للاعتداء في الجريمة يجب اقتضاؤه

لقد أسهم غرس قيمة العفو في التربة الاسلامية المبكر في تقليص دور الثأر الذي يترتب عليه توسيع نطاق الجريمة واستمرارها، فضلا عن أن إعلاء شأن العفو في التوجيهات القرآنية والنبوية كان بمثابة دعوة مستمرة الى ترجيح كفة المودة والتراحم، وكبت نوازع الانتقام والشر

إن أي حديث عن الحدود أو النظام العقابي الاسلامي يظل منقوصا ما لم يتوار معه تبيان أهمية التوبة والعفو والستر أو يسبقه، وتجاهل تلك الصفحة على النحو الحادث للانسان يمثل ظلما فادحا للشريعة، وجورا على عدالة الله ورحمته، يجب تصحيحه وانكار استمراره □

◆

■ إني لأبغض أهل بيت ينفقون رزق أيام في يوم واحد
(أبو بكر الصديق رضي الله عنه)

■ القلم بريد القلب، يخبر بالخبر، وينظر بلا نظر (ابن المقفع)

ي الأسوان

كتاب العربي

السادس عشر

دراسات حول

الطب الوقائي

بقلم مجموعة من الكتاب

كتاب العربي مرآة العقل العربي

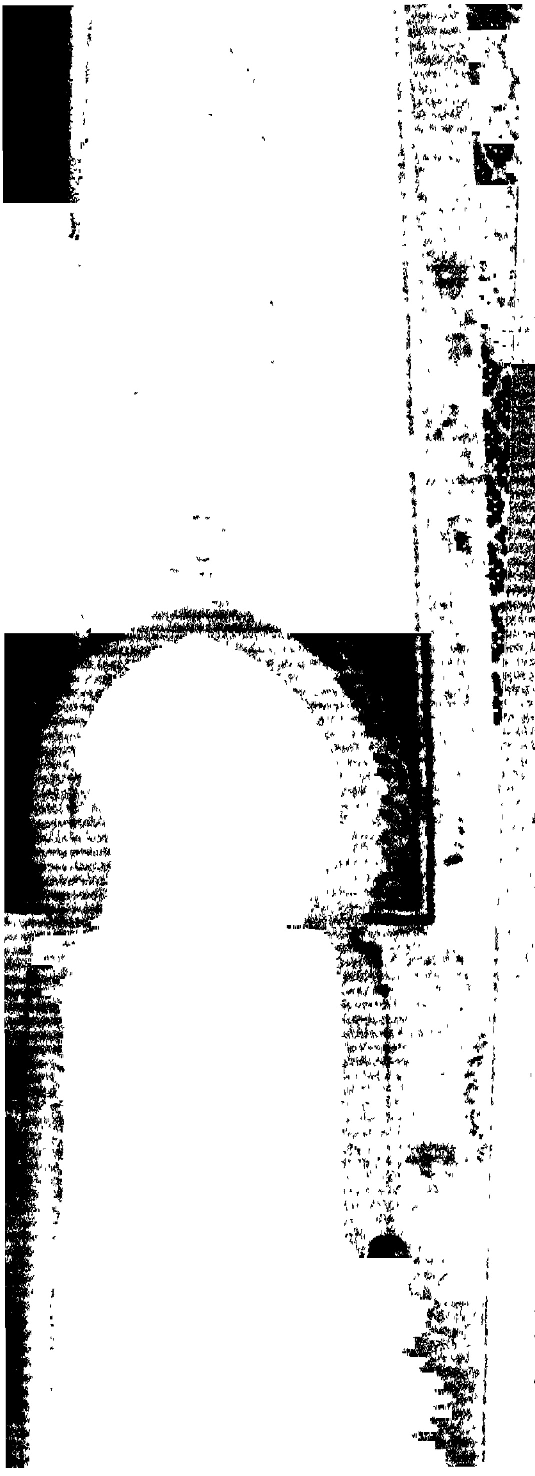

استطلاع : سليمان مظهر
تصوير : سليمان حيدر

«الريف» كما يعرف الناس، قرية وحقل وزرع وربيع .. أما «الريف» كما رأيناه فشيء آخر غير كل ذلك .. جبال وهضاب وسفوح وغابات .. قمم تتوجها ثلوج بيضاء .. وأرض تغطيها صخور جرداء .. وبين كل هذه المتناقضات تجري أسطورة الانسان .. عبر الزمان والمكان ..

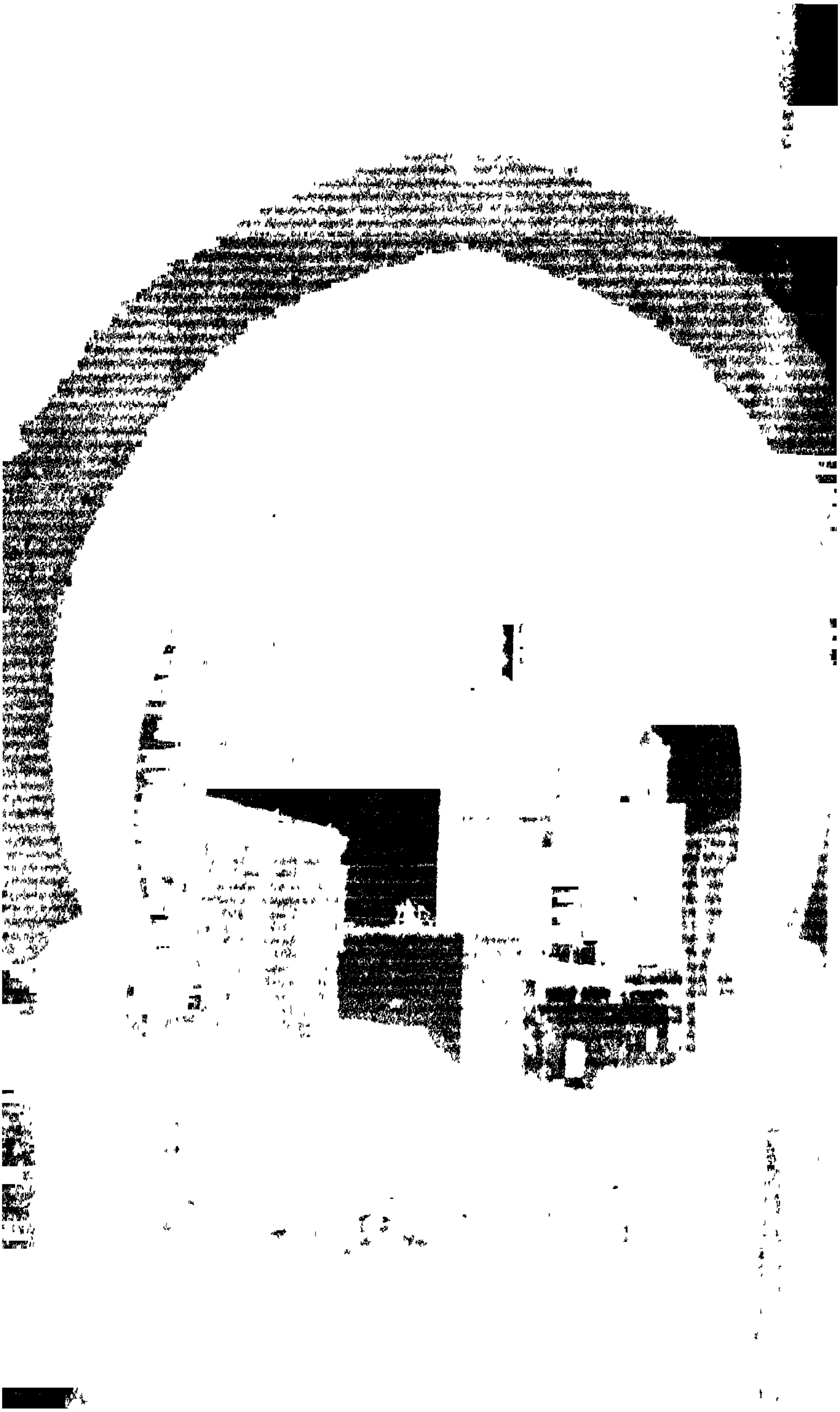

انطلقنا هذه المرة الى شمال المغرب كنا قد قررنا أن نخترق سلسلة جبال الريف المغربي بالطول وبالعرض نعيش مع الذين صنعوا أسطورة الحياة ونخوض بين ثنايا المرتفعات والهضاب والسهول والوديان ونغوص في أعماق الغابات والأحراش فوق القمم وعلى السفوح ونطل على أرض المعركة التي شهدت مصارع الغزاة بأيدي المجاهدين الابطال

كان انطلاقنا من جامع القرويين قلب مدينة فاس . تلمسنا البركة ورويانا من ماء سيدي حرازم وبدأنا المسير !

في قلب الريف

كانت السيارة تواصل الصعود بنا في الطرق الجبلية وهي تتلوى كالثعابين ، ونحن نخترق جبال الريف كنا قد تحركنا في طريقنا إلى « تارة » عند أقدام الريف ، لندخل إقليم الحسيمة ، وبدأ اختراقنا بالعرض لسلسلة الجبال متجهين الى مدينة الحسيمة عاصمة الريف على شاطيء المتوسط ونطلق صاعدين ومنحدرين بين الجبال والهضاب والسهول والوديان التي كانت تشكل كلها حصن المغرب الشمالي ضد الغزاة عبر التاريخ

مشاهد الطبيعة من حولنا مثيرة خلابة ونهر الملوية الذي يخترق جبال الريف يجري برفقتنا ، يشق طريقه صانعا بحيرات في بعض سهول مجراه ، متيحا الفرصة للسيارات في بعض الأماكن الضحلة أن تمر مخترقة المجرى وسط مياهه الجارية ويضرب رذاذ المياه جوانب السيارة ، ونحس برودتها وهي تتدفق من منابعها في أعالي جبال الأطلس لتصب في البحر المتوسط بين مليلية والناصور غربي الحدود المغربية الجزائرية ونجد أنفسنا وقد أطلت علينا غابات السنديان والعلين والصنوبر والأرز من فوق القمم ، بينما تنتشر أمامنا على السفوح وفي المنخفضات أشجار اللوز والبرتقال وحقول الحبوب والخضر والقطاني والكلأ ونشهد طوابير المزارعين يعملون في المزارع التي يشكل إنتاجها موردا أساسيا ٧٠/ من السكان ، وتغطي مساحة تصل الى الف هكتار ، تعادل ٣٥/ من المساحة الكلية الحسيمة ، اكبر اقاليم الريف الذي يحتل مكانة في نشاط السكان

الطريق يتصاعد باستمرار والمرتفعا
شكل أمواج تتخللها بين الحين والأحـ
واستدارات ثم سهول ووديان هي في الحقيقة أ
سطح البحر بمئات الأمتار فجبال الكتلة ا
من الريف تتصاعد قممها حتى يبلغ بعضها
متر فوق سطح البحر ، بينما تغطي سفوحها ا
والشلالات والانهار والتلال الخضر وا
المزهرة ، مما يجعل للمنطقة أهمية كبيرة من ا
الاقتصادية ، خاصة مع توافر المياه التي تعد
الأودية في (واد نكور) و (واد غيس) و
بوفراح) و (واد مسطاسا)

يقول مرافقنا الاعلامي ادريس عثمان الا
ونحن على الطريق اسم « الريف » بالمعنى ا
الضيق ، يطلق على القسم الشمالي من ا
المغربية ، وهي المنطقة المحصورة التي تضم جز
ساحل البحر الابيض بين مضيق جبل طارق و
الجزائرية ، كما تطل في غربها على سواحل
الاطلسي بين طنجة وجنوب العرائش ، ويم
عرضا عن جبال الأطلس الأوسط وادي
شمال وجدة وتارة ووزان وقد أطلق الجغر
العرب مثل ابن خلدون والحسن الوزان على
المنطقة اسم الريف وهي منطقة تبلغ مسا
حوالي ٢٢ الف كيلومتر مربع وطولها حوالي ٢٠
ومعدل عرضها ٧٠ كم تتراوح بين ١٢٥
الطرف الغربي و ٢٥ كم في الطرف الشرقي و
٧٥ كم في المناطق الوسطى أما الكتلة ا
فتقتصر على هضاب عالية وسهول وأودية ،
على الساحل الافريقي الشمالي الغربي على ا
الاطلسي وتعرف « بالجبالة »

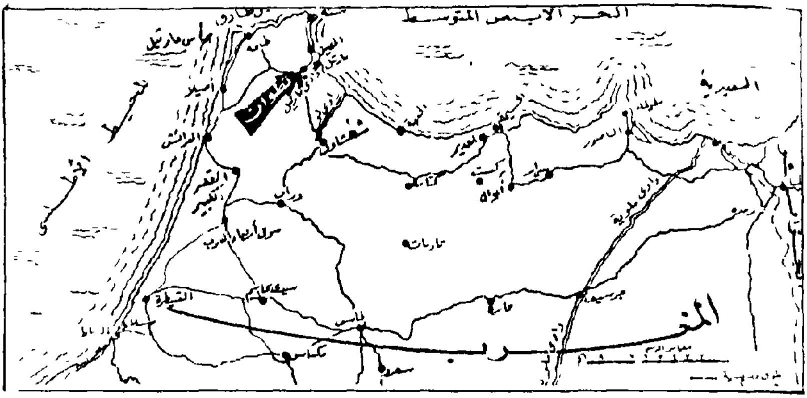

ـ حريطة الريف في الشمال المغربي على طول ساحل الـحر الابيص المتوسط

قبائل الريف

أهالي الريف كله يتجاور عددهم المليوں نسمة أعلبهم من المزارعين ومربي الماشية هم متشبثون بأرصهم ولو كانت قطعة صغيرة صئيلة ، ويمارسون الفلاحة بمختلف أنواعها بما يتكيف مع حاجيات الاقتصاد المحلي ولكن الناتج الزراعي لايغطي حاجة السكان لأن الأرض ليست خصبة بشكل حد ولا شك أن الانقسام الطبيعي في المنطقة يجعل هناك تفرقة في أعمال السكان تبعا لكل جبل وتل ، أوسهل وواد ، أو سفح ومنحدر ويؤدي ذلك بالتالي إلى اختلاف في طبيعة السكان .

وما لفت نظرنا في لقاءاتنا بالجبليين أنهم دوو عيون زرقاء ، بيض الوجوه ، مع شعر يميل إلى الشقرة ، كما أنهم أصحاب ذكاء ورقة ، وقد اشتغلوا خلال مختلف مراحل التاريخ بالزراعة والصيد ، ويعتبرون ـدا لا مثيل لهم ، لا يقبلون سلطة من غير من ـوه ليمثلهم أمام نواب السلطة المركزية

كذا لقيناهم في مختلف المدن التي مررنا بها ـسنت واكنول ثم تاركيست وهناك في ت ، القرية التي كان العمال يخرجون عن ـالى المرسى الكبير بالجزائر ، من أجل البحث ـمل ، إذ كانت بمثابة باب الخروج من الريف والدحول اليه ومن تاويرت نعود الى « أنوال » لنأخذ طريقنا الى قرية أحدير ومدينة الحسيمة ونقف عند « أنوال »

هنا على هذه الساحة ، دارت معركة « أنوال » قمة معارك الريف المغربي وابتلعت الرمال دماء حوالي عشرين ألف جندي أسباني انتحر قائدهم العام بعد أن سحق كل جيشه على أيدي ثوار الريف الذين انقضوا على الغزاة الاسبان بقيادة زعيمهم وقائدهم الاسطورة محمد عبدالكريم الخطابي

أرسلنا البصر الى ساحة المعركة حيث أشار مرافقنا واد أخضر واسع تغطيه زراعات القمح والشعير ، وتحيط به من جميع الجوانب دائرة جبال الريف ، بقممها العالية ، التي لايبدو على سفوحها أي أثر للحياة .

وراء هذه القمم والسفوح كان يختفي ذات يوم خمسة آلاف من المجاهدين الريفيين ، ليس بأيديهم سوى البنادق ، بينما ينتشر في قلب الوادي معسكر كبير يضم حوالي عشرين ألفا من العسكر الاسبان ، يحتمون وراء مائة وخمسين مدفعا وخمسة وعشرين ألفا من البنادق وعشرة ملايين من طلقات الرصاص ، ومئات من مركبات النقل وأدوات المواصلات وصناديق الذخيرة

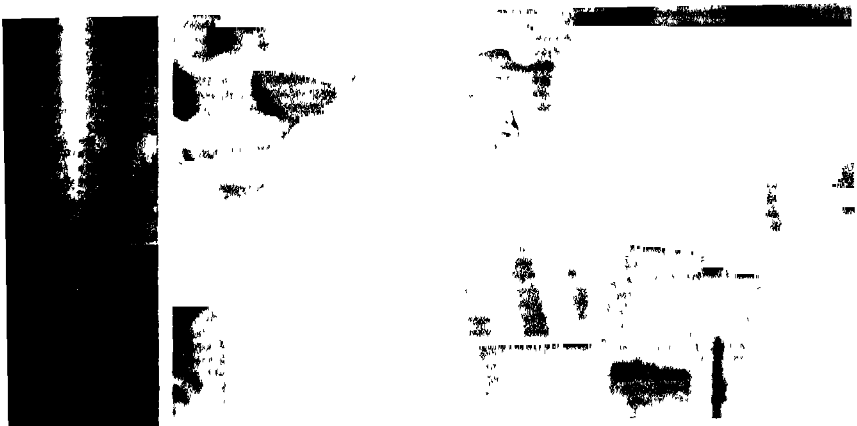

ـ قصة البطولات الريفية كما يتذاكرها المجاهدون القدامى   انهم لاينسون أبدا يوم « انوال » حيث دارت المعركة في الساحة (الصورة الوسطى) ليسجل التاريخ يوما من أيام العرب المجيدة   ومن مقر قيادة الخطابي (الصورة السفلى) انطلقت اسطورة الانسان الذي صنع تاريخ الريف

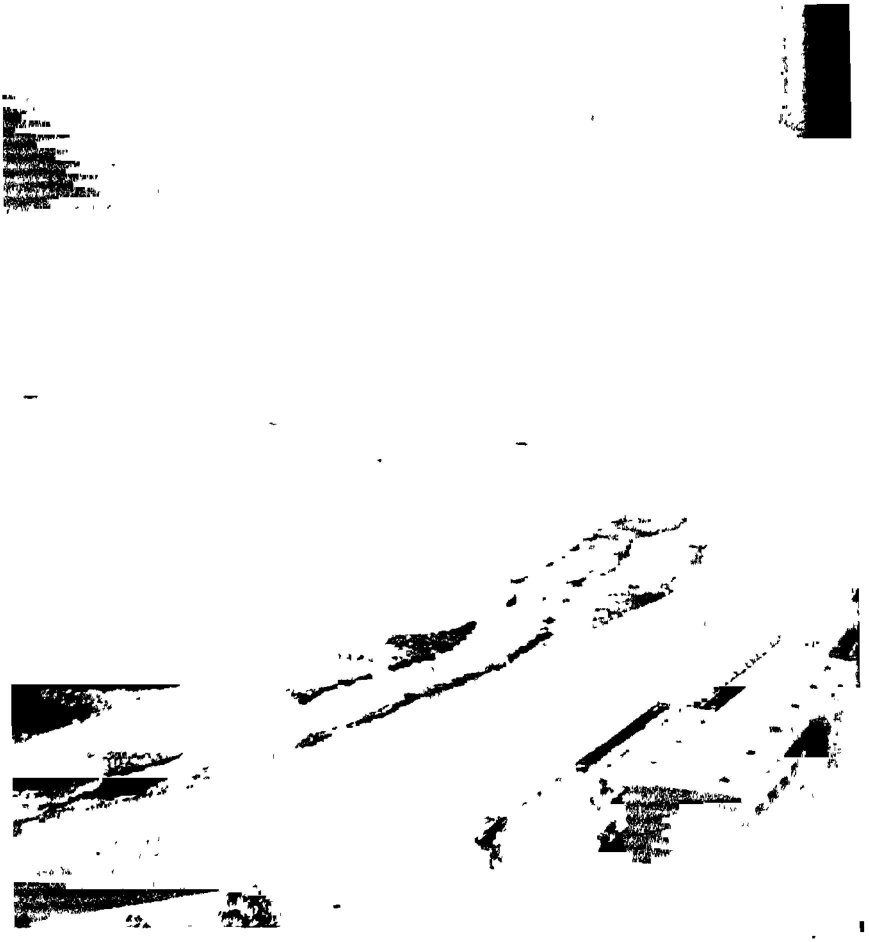

- شاطيء مدينة الحسيمة حيث تمتد المتجعات السياحية عند احمل بقعة في خليجها (الصورة العليا) وغير بعيد منه يقوم الميناء وعلى رصيفه أحد الصيادين يصلح شباك الصيد (الى اليمين).

وفي الواحد والعشرين من يوليو ١٩٢١ قرر قائد الريف - بعد أن تلقى إنذارا من القائد الاسباني - أن يقوم بهجوم مركز على القيادة العامة للجنرال سلفستر وقطع عبدالكريم خطوط التموين الاسبانية بعد أن احتل المراكز الاستراتيجية المحيطة بأنوال وأخذ المجاهدون بأمر من زعيمهم يوجهون مجاري مياه الجبال نحو المنطقة التي تحيط بالقيادة العامة وأرغمت الاوحال الجرال على التمركز داخل الوادي واتخاذ قرار باستدعاء جميع قواته للخروج من المأزق

وبدأت المعركة وخلد عبدالكريم وابطاله في سجل التاريخ يوما من أيام العرب المجيدة هو يوم « انوال »

ففي تلك المعركة التي ظلت مشتعلة الأوار ثلاثة أيام كاملة ، فتكت حفنة من رجال المغرب الابطال بعشرين ألف أسباني مسلحين ، فلم يفلت منهم غير عشرات ألقوا السلاح وطلبوا النجاة ولكنهم أرغموا على التسليم وأرسلوا الى معسكرات الأسرى في الجبال بعد انتحار القائد العام

ولكن الأهم من كل ذلك هو استيلاء المجاهدين على كل المدافع والاسلحة والمركبات والذخيرة التي تركها المهزومون ، وأصبحت هي عماد السلاح الذي حاربوا به الاسبان طوال خمس سنوات تحت قيادة محمد عبدالكريم الخطابي الذي لقبته دول الغرب بعد هذه المعركة « بنابليون الريف »

في مقر القيادة الريفية

كل ذلك تتبعناه ونحن نعاود الانحدار من أعالي الجبال لنهبط الى المنطقة الساحلية

وندخل قرية أجدير ونستمع

« أنتم أول صحفيين عرب ل وأجانب يحضرون لزيارة مقر قيادة عبدالكريم الخطابي في أجدير رغم أن هذا المقر لعب دورا خطيرا في ثورة الريف »

هكذا قال لنا رئيس دائرة أجدير أحبيب بريكي

ونحن نقف أمام مبنى القيادة العامة التي شهـ تطورات معارك الريف طوال خمس سنوات

يقع في منطقة أملاك قبيلة بني ورياغل التي يتزعمها عبدالكريم الخطابي ، وهو عبارة عن كبير أبيض اللون من طابقين طوله خمسة وسبـ مترا وعرضه عشرة أمتار ، ويضم القاعة الوسطى وقاعتين أخريين على كل من الجانبين ، ويطل المد خل الخلفي على ساحة في نهايتها دار عبدالكـ ـم وأسرته أما المدخل الأمامي فتمتد منه ردهة طولية ذات أعمدة شبه رومانية على الجانـ ، وتنحدر بدرجات مبلطة الى حوالي مائة متر وتقوم بجوار المدخل الخلفي درجات توصل الى سطح المبنى ومن فوق هذا السطح كانت قيادة المجاهدين تطل على جزيرة الحسيمة المواجهة على مسافة قليلة من الساحل ، وتراقب تحركات الغزاة الاسبان بنفسهم وهم يوجهون نيران مدافعهم الى تجمعات المجاهدين ومركز قيادتهم ولكن هذه المدافع عجزت عن تدمير المقر إذ كانت تواجهه باستمرار طلقات أشد من المدفعية الريفية التي كان يطلقها المجاهدون الرابضون فوق نحأ أقاموه تحت الأرض يتخذونه مسجدا لصلاتهم ومركزا للهجوم على الاسبان ، وهو مازال حتى الآن قائما عند مدخل نادي البحر الأبيض للسياحة

مقر القيادة كما شهدناه يكاد يكون قائما حتى الآن ، لم يتهدم منه سوى أجزاء من جدرانـ الداخلية ، بحيث لا يحتاج لغير قليل من الاهتما لاعادة ترميمه وجعله مزارا تاريخيا وسياحيا يؤمـ السياح الاوروبيون والعرب ، حتى يدركوا د هذه الثورة الرائعة التي خاضها الريفيون ضـ الغزاة وقد استفسرنا من رئيس دائرة أجديـ عن إهمال ذلك المبنى التاريخي فكانت اجا الاسبان عند انسحابهم من المنطقة بعد الاستقـ تركوه لأبناء قبيلة بني ورياغل ، الذين ر تسليمه الى السلطات المحلية باعتباره من

اتـ ـمة ولكنهم تركوه على حاله ، فلاهم اعتنوا بـ ، ولاهم سمحوا للسلطات بتحويله الى مزار تاريخي يمثل مرحلة طويلة من الجهاد الذي خاضه أبناء الريف المغربي

منجع الحسيمة

ونصل إلى مدينة الحسيمة عاصمة الريف ونلتقي بعامل الاقليم (المحافظ) السيد الحاري محمد ونعرف منه الكثير

عن اسم الحسيمة فهو من كلمة « الخزامة » وهو نبات كان منتشرا في ضواحي جزيرة انكور التي يحتلها الاسبان منذ ١٦٧٣ ، يستعمل في علاج أمراض الجهاز التنفسي وتساقط الشعر ، وحرف الانسان الاسم الى « اللوتيماس » ثم الحسيمة في أوائل استقلال المغرب أما المدينة فهي حديثة العهد لم تنشأ إلا في بداية القرن العشرين ، أي في ١٩٢٤

وقد احتلت الحسيمة في الستينيات وأواخر السبعينيات مكانة ممتازة ومركزا مهما في الميدان السياحي باعتبارها قطبا سياحيا قائما بذاته وتم اختيارها من ضمن خمس مناطق كان لها أولوية الاعداد لمؤهلاتها التي تشكل مساحة سياحية متكاملة من مناظر طبيعية خلابة الى غابات كثيفة هي مقصد السياح الذين يفدون عليها من كل أصقاع العالم ، قاصدين الراحة والمتعة والاستجمام على أجمل الشواطيء المغربية ، وأبرزها شاطيء خليج المدينة وشاطيء المنظر الجميل وشاطيء قرح بمنطقة بني بوفراح ويعتبر من أجمل الشواطيء على ساحل البحر اد سط كما أن سياحة الجبل لاتقل في أهميتها عن ال طيء ، وهي تتمثل في روعة جباله وخاصة تـ ـه كتامة التي تحتفظ تحت ظلالها بتاريخ أكثر من من الزمان كما أن الجبال الشامخة تمكن من اـ على صفحات الجليد .

ـ على شرفة فندق محمد الخامس المطل على حـ ـسيمة . مشهد رائع لشاطيء سياحي تحيط به ثلاثة حوائط صخرية تزيد المشهد روعة ، بينما تبرز صخرة ناتئة في وسط المياه اللازوردية برمالها الناعمة الصافية حيث تمتد على طول الشاطيء منتجعات سياحية بعضها من المباني البيضاء والبعض الاخر من « البانجالو » تزيد المنظر جمالا وبهاء

وفوق سفح الجبل تتناثر البيوت ذات اللون الابيض وهي تطل على الشاطيء ويزداد بهاء المشهد حين يأتي الليل وتتناثر الاضواء على سطوح التلال كأنها النجوم على صفحة السماء

أما الشاطيء المواجه لجزيرة الحسيمة المحتلة فتقوم فيه قرية « نادي البحر الابيض المتوسط » على مساحة معروسة بالاشجار والنخيل تمتد على مساحة ٩٠ هكتارا وتضم مجموعات من الاكشاك السياحية تصل طاقتها الايوائية الى أكثر من ١٤٠٠ سرير

بالاضافة الى كل ذلك توجد شواطيء أخرى رائعة على طول سواحل الاقليم وإن كانت غير مجهزة ولا يمكن الوصول اليها الا عن طريق البحر ولكنها كلها تبشر بمستقبل سياحي لو اتيحت لها فرصة الاستثمار

تطوان . والكنز المدفون

عندما عدنا لاستكمال جولتنا والانطلاق على طول جبال الريف من الغرب الى الشرق ، بعد أن اخترقناها عرضا من الجنوب الى الشمال ، كان علينا أن نذهب الى تطوان على مسافة حوالي ستين كيلومترا شرقي طنجة

ونسمع قصة رواها المؤرخون عن بدايات تطوان

فبعد انهيار حكم البطالمة في مصر بانتحار آخر ملوكها كليوباترا ، نقل أبناء الملكة وأفراد أسرتها الى روما في رعاية الامبراطور أوغسطس قيصر وكان لكليوباترا ابنة من انطونيوس عرفت باسم « كليوباترا سيلانه » زفت الى « جوبا » الثاني ملك « موريطانيا » وهو الاسم الذي كان يطلق على كل الاراضي المغربية بالشمال الافريقي . فلما توفي جوبا

- تطوان آخر الرموز الاندلسية بعد أن أرغم عرب قرطبة على الرحيل بعيدا عن الجنة المفقودة كل المباني تعيد الى الأذهان صورة العمارة الاسلامية الاندلسية بينما بات الريف وشبانه يبدون في أزيائهم التقليدية وهم يواصلون الحياة بين الريف والحضر لمواصلة المسيرة من أجل غد مشرق جديد

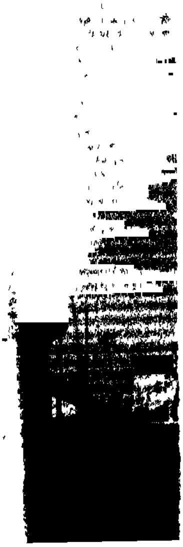

عام ١٨ بعد الميلاد خلفه على العرش ابنه بطليموس حفيد كليوباترا من ابنتها سيلانه وحافظ بطليموس على صداقته بالرومانيين الذين أقروه على ملكه وفي عام ٢٧ ميلادية جاء على عرش قياصرة الرومان الامبراطور « كاليجولا » السفاح الذي كان قد بلغه أن في حوزة ملك موريطانيا اكداسا من الذهب والفضة والحلي والجواهر هي ما تبقى من كنوز البطالمة التي نقلت من الاسكندرية يوم رحلت عنها الاسرة المالكة ورسم الامبراطور خطته للاستيلاء على الكنز الذي بلغه أن الملكة المغربية « أورانيا » زوجة بطليموس تخفيه ، وإذ عجز الامبراطور عن معرفة سر الكنز أرسل يطلب من بطليموس أن يهديه وصيفة الملكة لتكون في خدمته ، لعله يستطيع من خلالها معرفة المخبأ الذي لم يشك أنها كانت تعرفه

ولكن الوصيفة التي أراد الامبراطور أن تكون جاسوسة له على مولاتها أصبحت جاسوسة لها عليه وحين أرسل الامبراطور يدعو الملك بطليموس للنزول في ضيافته بروما أرسلت الفتاة الى الملكة « أورانيا » تحذرها من تلبية الملك للدعوة ، لأن الامبراطور قد بيت له الغدر ولم يهتم بطليموس بالتحذير وانطلق ملبيا دعوة كاليجولا

وفي غمرة مأدبة زاخرة أقامها الامبراطور شعر الملك بطليموس بيد تمسك بكتفه ، وسمع صوت وصيفة زوجته تقول له همسا « اهرب يامولاي قبل فوات الأوان فالامبراطور قد عزم على ألا يدعك تخرج من هذا المكان حيا » ولكن بطليموس الذي كان قد سكر حتى الثمالة رفع رأسه ووقف مترنحا وهو يقهقه مخاطبا كاليجولا . « أسامع أنت ماتقوله هذه الفتاة المجنونة . ؟ إنها تدعي أنك عازم على قتلي وهي تستحق الموت جزاء افترائها على مولاها القيصر . »

ووثب كاليجولا من مكانه وأشار الى الفتاة فأطبق عليها الحراس وأخمدوا أنفاسها ، واتجه الامبراطور مخاطبا بطليموس : « صدقت يا صاحبي إنها تستحق الموت حقا ولكنها كانت صادقة أيضا قالته لك أيها الملك »

وبإشارة من الامبراطور أطبق الحراس بطليموس الملك ومزقوا جسده بالخناجر والسيو ثم أصدر أوامره بأن تكون موريطانيا ونوميديا و رومانية وحين سمعت الملكة أورانيا نبأ الكـا فرت من عاصمتها الى الجبال القريبة واعتصمت بها وعبثا حاول رسل كاليجولا العثور على الملكة أو المخبأ الذى أخفت فيه الكنوز ، ولم يستطع أحد حتى بعد أن قتل كاليجولا بأيدي أعوانه في عام ٤١ ميلادية معرفة مكان اختفاء أورانيا وكنوزها فقد كانت قد ماتت دون أن تطلع أحدا على سرها ، كما لم يتكلم احد من الذين لازموها في الرحلة الأخيرة من حياتها في الجبال الشاهقة المشرفة على « قلعة تاماكا »

وليست « تاماكا » غير تطوان الحالية المدينة التي قامت على أنقاض القلعة الموريطانية التي ضمت في أعماقها رفات الملكة أورانيا ، وكل ما كانت تخفيه من أكداس الذهب والحلي والجواهر التي دفنت معها

غرناطة الجديدة . .

تلك إذن كانت بداية تطوان

والى هذه المدينة القابعة عند أقدام سلسلة جبال الريف من الغرب ، كانت وجهتنا لنبدأ منها مسيرتنا ، تماما كما فعلها المسلمون الهاربون من الاندلس أمام الزحف المسيحي ، حين جاءوا ليبدأوا حياة جديدة لم يستطيعوا أن ينسوا خلالها ذكر حياتهم في الجنة المفقودة

الصورة بدت لنا أكثر وضوحا حين دعينا الى بيت مؤرخ تطوان المرحوم محمد داود ودارت بنا في مكتبته الخاصة الزاخرة بالكتب والصحف والمجلات والوثائق والمخطوطات الباحثة المغربية حسناء داود ابنة المؤرخ الذى يذكره الجميع ويحفظون كتاباته ويعرفون من خلالها تاريخ مدينتهم

ونسمع من محدثتنا الكثير . . .

مدما أرغم الاندلسيون على مغادرة جنتهم رقوا بين المشرق والمغرب   واتجهت جماعة من جيش المتطوعين قوامها لايزيد على ٤٠٠ رجل يقودهم بطل هو القائد أبو الحسن علي المنظري ماستقرت فوق « جبل درسا » على بعد ١٠ كم من ساحل البحر وحوالي ستين كيلومترا من طنجة وأعاد المنظري بناء مدينة تطوان مع بدايات عام ١٤٩٢ بعد أن وجدها بموقعها المتميز خير مكان حصين في منعطف الجبل ، مما يسهل للمهاجرين الدفاع عنها وحماية أنفسهم من غارات الآخرين

ي هذا المكان كانت بقايا تطوان القديمة التي كان قد أنشأها أبو ثابت المريني عام ١٣٠٨ م لتكون معسكرا لجنده قبل أن يدمرها ملك قشتالة الاسباني هنري كاستل عام ١٣٩٩ بعد أن ذبح نصف سكانها وساق أمامه النصف الآخر أسرى   والى هذه المدينة المخربة المهجورة تتابع وصول الاندلسيين وخاصة من أهل غرناطة آخر ممالك الاندلس   جاءوا ومعهم علومهم ومهاراتهم القيمة الرفيعة ومظاهر حضارتهم الباذخة وموسيقاهم الاندلسية وتقاليدهم واخلاقياتهم الكريمة   وقامت تطوان الجديدة على ايدي هؤلاء المهاجرين الذين شيدوا مبانيها وأسوارها وحصنها على نفس الطراز الاندلسي ليعيد تذكيرهم باستمرار بوطنهم الام

وتواصلت مظاهر الحياة في تطوان يختلط قديمها بجديدها ، وتتمازج شخصيتها الاندلسية بما تلاحق عليها من أساليب العمارة ومظاهر الطابع الحديث ، صبح أحد أهم المراكز التجارية على البحر لابيض ، وعلى طول مصب نهر مارتيل   وفي ظل ده التغيرات المتلاحقة تمتعت تطوان بمركز حضاري أهميته الكبيرة في عهد مولاي اسماعيل مع أوائل رن الثامن عشر

ومع الاحتلال الاسباني لشمال المغرب بين عامي ١٩٠ و ١٩٥٦ اتخذ الغزاة تطوان عاصمة لمنطقة يتهم   واصبح بها مقر خليفة السلطان الذي يختاره سلطان المغرب من بين مرشحين تقدمهما أسبانيا ليتولى شئون الحكم تحت الاشراف الاسباني على المنطقة الخليفية ، وهي المنطقة الشمالية من المغرب   ا

وفي بداية عهد الاستقلال عام ١٩٥٦ استردت المدينة عافيتها ، وإن خسرت مركزها كعاصمة للمنطقة الشمالية ، ولكنها استعادت حريتها وخلال تلك الفترة طرأ عامل جديد تمثل في نزوح عشرات الآلاف من أبناء الريف استقروا بها مهددين بتغيير عاداتها وأسلوبها في الحياة وأصالتها وعراقتها بالضياع   وكل ذلك بعض الضريبة التي دفعتها تطوان عن طيب خاطر من أجل وحدة التراب المغربي   وقبلت طوعا خروج رءوس الاموال التي تسربت مع الاوروبيين والاسبان واليهود الذين غادروها مع خروج الغزاة ليحل محلهم النازحون الجدد الذين اشتروا المتاجر الحالية ، وأسسوا صناعات جديدة ذات طابع محلي ، هو ما تعتمد عليه الآن تطوان وسكانها

ونطوف بتطوان الحديثة بعد جولة في أسواقها وحول أسوارها وحصنها العتيق

المدينة تقوم في عرض الجبل الشمالي فوق الوادي الذي يجري فيه نهر مارتيل . وهي تنقسم الى قسمين   الجنوبي ، والشمالي الشرقي ، وكان يحميها ويشرف عليها حصن قديم على رأس جبل درسا .

ونطل على المدينة من فوق الجبل .   فتبدو لنا الجبال الجنوبية وفيها جبل جرجس ووراءه عند الافق جبل بوزيتون ، يرتفع الاول الى ٨٠٠ متر والثاني الى ١٢٠٠ متر .

في سفح جبل جرجس الاخضر تتناثر بضع قرى يسمونها « مشاور » منها بوسملان وبنو صالح وسانارين ، تتخللها بيوت بيضاء تطل من بين البساتين ، بينما ينساب بين الجبلين وادي مارتيل ، حيث يجري بين سهول مزروعة وبساتين من التين

واللور والريتون تمتد حتى المستنقعات القرية مر البحر ، ومن مصب النهر عند البلدة المشاركة له و الاسم ، والتي كانت تضم ميناء تطوان

أما في الجبال الجنوبية فتتباين مشاهد البساتير المحيطة بالبيوت والمروج المنبسطة الممتدة الى الوادي ، ثم الصخور المزينة صدورها بالخصرة المزهرة ، وبالرؤوس المسنة فوق الاعالي الجرداء وغير بعيد منها يقوم متنزه وطريق يشرف على المنطقة التي تزيد روعة جمالها وقت الغروب

في قلب القصبة

وندور في شوارع القصبة المدينة القديمة والقصبة في نظام تخطيط المدن الاسلامية هي المدينة المسورة التى تنشأ عادة على مرتفع ينشئون فيه حصنا للمراقبة والحماية ، فإذا اقتحم العدو الاسوار لجأ اهل القصبة الى الحصن واستمر الجند في الدفاع

الماضى في قصبة تطوان ما يزال حيا يرزق نلمسه في الأسواق والأزقة المتعرجة التى يسمونها « الزنقات » وهى سكك ضيقة متقاطعة تقف عند جدار وتنفذ تحت جدار ، تتسع وتضيق ولكنها غاية في النظافة ، فلا أوساخ ولا فضلات أمام البيوت ذات الجدران البيضاء المتلاصقة والابواب القصيرة ذات الاقواس والزخارف ، بينما مداخل الاسواق تحمل نفس الطابع الاندلسى القديم الذى يذكر بأمجاد غرناطة الجميلة المجاهدة

الشوارع في القسم الحديث من المدينة مخططة بتصميم هندسى وذات اتجاهات واضحة وارصفة مفروشة كلها بالاسمنت وبعضها بالاسفلت ، وتمتاز بوجود الساحات والحدائق العامة وأبرزها حديقة العشاق التى تحول اسمها الان الى حديقة مولاى رشيد ، أبرز الساحات ساحة مولاى المهدى يتوسطها بستان مزهر . ومن هذه الساحة تتشعب ستة اسواق تمتد منها غربا وشرقا وجنوبا وشمالا وما بينها أما المبانى حولها فحديثة البناء والهندسة ذات طبقات متعددة للسكن وبينها مبنى الاذاعة

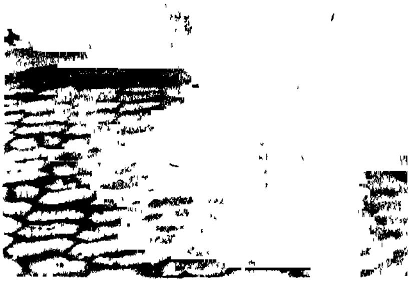

ـ السوق في الريف هو صلة الخير بين القرية والمدينة ومع كل صباح جديد ينطلق الجبليون الى سوق تطوان يبيعون ويشترون ويشربون من سائع المياه وتمتلىء الساحات بالصناعات التقليدية التي يعتز بها اهل الحضر

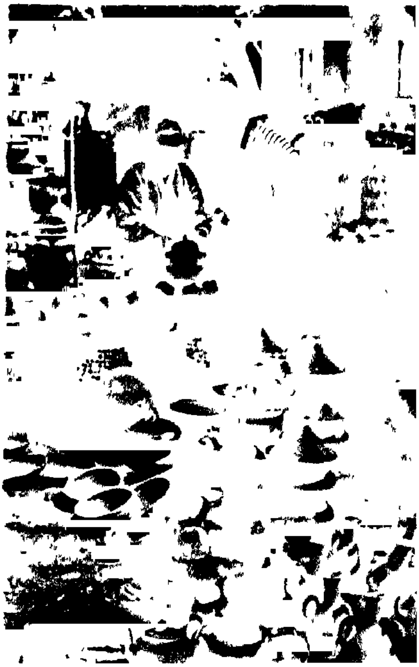

ـ الزنقات والزواريب ابرز معالم القصبة المتاجر على الجانبين تبيع كل شيء والناس في مختلف ازيائهم الوطنية يزحمون السوق المغطى تماما كما كان الاجداد يعملون

والتلمــرة . وكليتـا الآداب الاســلامية والعلوم والمدرسة العليا للمعلمين

على أن من أبرز المعالم التى زرناها في تطوان مدرسة الصنايع والفنون الوطنية ، الواقعة قرب باب العقلة ، أحد الابواب السبعة لسور المدينة القديمة . القاعة الرئيسية تضم معرضا لمختلف الفنون والاعمال والصناعات التقليدية التى تعبر عن حس مرهف ومواهب مبدعة وفن استمد منابعه من الفنون الاندلسية ، أما فصول المدرسة فعبارة عن قاعات عملية يضم كل منها مجموعة من الطلاب الذين يدرسون مختلف المهن والصناعات التقليدية ، ويقومون بتصنيعها بأنامل دقيقة في مختلف أقسام التجليد والتذهيب وزخرفة خشب الأرز المغربي والتلوين أما في المدرسة الوطنية للفنون الجميلة تؤهل الطلبة للالتحاق بعد تخرجهم بكليات الفنون العالمية ولعل من أبرز الدراسات الفنية ما تتدرب عليه فتيات تطوان في مدرسة المهن الفنية حيث يدرسن العزف على الكمان والقانون والعود وغناء الموشحات الاندلسية وفي تطوان جوق اندلسى نسائى هو الوحيد من نوعه في المغرب

تضم تطوان متحفين مهمين أولهما متحف البحوث الاثرية القديمة حيث تعرض قطع أثرية رومانية وأوان فخارية أندلسية واغريقية ومجموعات رائعة من المجوهرات والنقود الاثرية وقطع من الفسيفساء عثر عليها في لكسوس . أما ثانى المتحفين فمخصص للفنون والفولكلور . ولكن أبرز المشاهد الأثرية في تطوان هو دار المخزن ، أو القصر الملكى ، إنه آية من آيات الهندسة الاندلسية الحديثة ، مزخرف بأروع صناعات الفسيفساء التطوانية أرضه وجدرانه كلها مغطاة بالفسيفساء ، وسقفه مغطى بخشب الأرز المزخرف ، وعند مدخله نافورة تطلق المياه المندفعة من العيون التى في الجبال عبر شبكة أنابيب قديمة . هذا القصر شيده القائد أحمد الذى تولى الحكم بعد مولاى اسماعيل ، ثم

تحددت عمارته في اوائل القرن الحالي

الطريق الى شفشاون

وننطلق على الطريق الى شفشاون مخترقين جبال الريف في جناحها الغربي بطول سلاسلها

طوال انطلاق السيارة على الطرق الجبلية نلتقى برجال البوادي الريفيين يسوقون الدواب المثقلة بالأحمال من بقول وحبوب واحطاب ، قادمين من مناطقهم الى المدينه وتبدو الفتيات في قبعات شبيهة بالمظلات وهن يمتطين الحمير الوديعة الصابرة المكابدة الوجوه سمراء حافة الأهداب العيون سوداء ناعسة الخدود تملؤها الحمرة

وكلهن في نعال وبرانس إنهن صلة الخير بين المدينة والريف ، يسرن في هدوء وهن يتنسمن أنفاس الطبيعة في الحقول والمروج القليلة ، حين يشرق الربيع الزاهر على المخضر من السفوح والتلال والروابي التي يشقها مجرى نهر مارتيل بمائه الهادىء الساكن وخلال الطريق نمر بقرى صغيرة تقوم أكواخها في مجموعات بسيطة ، وهي مبنية بالطين والقش بشكل هرمي

وحين يختفي نهر مارتيل نلتقي بنهر آخر هو نهر سيف لاو النهر ينحدر الى واد لاو من فرعين ، أحدهما من مرتفعات شفشاون والثاني من باب تار جبال شفشاون تبدو أمامنا على الأفق الشرقي تغطي قممها البارزة كالقرون بقايا الثلوج ونمر بمنحدرات مفاجئة وأودية منخفضة وانكسارات شديدة ، حيث تلعب عوامل التعرية وخاصة المائية الناتجة عن تساقط الثلوج والامطار دورا كبيرا في ضعف التربة وافتقارها للمواد العضوية الضرورية للانبات وعند ملتقى فرعي النهر تقوم محطة لتوليد الكهرباء لتتلقى المياه المنحدرة بسرعة وقوة من المنبعين ، وأقيم سد تنطلق المياه من فتحاته لتمدى بالكهرباء مدن تطوان وشفشاون والعرائش والقصر الكبير والصغير

ونواصل الاقتراب من المدينة ونهبط منحدر جبل حسان ونصل الى مداخل اراضي بني الأ حيث تجري مياه عذبة تحت أشجار الزيتون الو من الجانبين تغطيه حقول الشعير والقمح ، تم فيها حشود من المزارعين بسعادة بادية ونتقل منحدرات « يزيد جيل » الوعرة السفوح هنا خال من المزروعات سوى بعض النخيل المتناثر وهناك وينحني الطريق عدة مرات لنجد انفس وقد عاودنا الصعود وسط الحقول والينابيع ، وفجأة تنكشف لنا شفشاون عند ثنية جبل القر (١٦١٦م) الذي يطوقها بينما تحتضنها التلال الصخرية من بعيد وتستند المدينة على جبل تيسوكا بحنفيته الصخرية المرتفعة التي تبلغ ١٢٠٠م بينما يطوقها من الناحية الشرقية جبل لشهب الذي يصل ارتفاعه الى ١٢٥٤ مترا وعلى بعد مائة متر نقف على أعلى الطريق الذي تنتشر حوله الحدائق والبساتين والخضرة والزهور على الجانبين يتوسطها رمز المدينة على الجانب الايسر مزروعا بالزهور المتباينة الالوان

وتتوالى بعد ذلك البساتين البديعة المنتشرة أمام منحدرات الجبل وعلى جانبي الطريق حتى ندخل شفشاون ونلتقي عند مداخلها بفندق اندلسي الطراز والطابع، في مدخله ومبناه وقاعاته الداخلية الزاخرة بألوان الفن والجمال والسحر ، نقشا وزخرفة والوانا ، وعلى الجدران والأعمدة ، وفي السقف وتحت الاقدام إنه نفس نمط قصر الحمراء ، أقيم باسم فندق « أسماء »

على سفح التل أسفل الفندق وعند شرفته الخارجية تقترب منا فتيات مشرقات الوجه تفتر شفاههن عن ابتسامة رائعة . انهن من البادية يرعين ماشيتهن من الماعز تحت السفح الذي يقوم عليه الفندق وقد غطين رؤوسهن بالقبعات الريفية ذات « الدلاديل » انهن لا يمتنعن عن التصوير بل يستسلمن للكاميرا في هدوء لطيف ، يشجع على

التقط عشرات الصور التى تبرز الخلفية الرائعة للمدينة ، بمبانيها المتصاعدة على السفوح وشوارعها وأزقتها الملتوية ، والقرميد الازرق الذى يغطى أسطح البنايات كلها

وفي داخل المدينة نعاود الصعود والهبوط فالبيوت كلها قائمة على سفوح ومرتفعات ما عدا وسط المدينة حيث المكان المسطح الوحيد   ونقف عند « ساحة الخاصة » التى يتوسطها بستان قائم على الطراز الاندلسى بأعمدته الرقيقة ونقوشه ورسومه وحول نافورته ضفادع حجرية تنفث الماء ، على أحد جوانب الساحة مبنى أقامه الاسبان خلال فترة الاحتلال وتحول الآن الى مشغل للحياكة والتطرير ، وعلى الجانب الآخر « مدرسة ثانوية الشادلى » التى احتلت نفس مبنى الثكنة العسكرية الاسبانية

قرب الساحة العامة يقوم برج مولاى اسماعيل ، وفي الجهة المقابلة منه تقوم صومعة المسجد الكبير على قاعدته ذات الطابع المغربي الاندلسى

ونعبر باب « العين »

الطريق للوصول عبر أزقة ضيقة وملتوية ومسقوفة بقباب في بعض مسالكها الى المدينة القديمة   الى القصبة

في الساحة الواسعة قبل الدخول الى القصبة نجد أنفسنا وسط السوق   نساء ورجال وفتيات وفتيان ، بدو وحضر ، كلهم يفترشون أرض الساحة ودكاكينها الضيقة « وبازاراتها » السياحية العامرة بالمنتجات والملبوسات الفولكلورية والبرانس والشمات والاحذية والنعال ، جنبا الى جنب مع ال يد من أصناف الفاكهة والخضروات والبقول وا ـوب ، تتجاور مع مختلف انواع الاوانى المعدنية م لنحاس، والطينية من الفخار .

ى الصنوبرة بجوار القلعة القديمة نلتقى ببعض ا ـ وهم يقتعدون مجلسهم يتبادلون الحكايات و ريات ، دون أن ينظروا للحظات الى سور القديم وبوابته القائمة الى يمينهم ، فقد تعودوا مشهدها وأصبحت جزءا من حياتهم ، رغم أن عمرها يمتد الى حوالى خمسمائة عام

هذه القلعة وأسوارها المحصنة هى الأثر التاريخى الذى يكاد يكون وحيدا في المنطقة بجوار « حومة السويقة »

من بوابة « حومة السويقة » نتصعد الى داخل زواريب القصبة   ندخلها صاعدين على بضع درجات ، وبين كل زنقة وأخرى تواجهنا درجات مشابهة أو طريق صاعد   عرض هذه الزنقات أو الزواريب لا يتسع في كثير من الاحيان لاكثر من شخصين متجاورين وإن كان بعضها يتسع لاربعة

البناء المعمارى فريد من نوعه ، يقوم وسط أقواس مستلهمة من الفن المعمارى الاندلسى ، ولا يختلف كثيرا عما شهدناه في تطوان   الابواب مقفلة دائما ومنخفضة بحيث ينحنى الداخل لينفذ منها الى الدار   الاقواس والقباب في كل مكان من البيت سواء في النوافذ المغلقة تحصناً وتمنعا أو في الاروقة والابواب   البيوت تتميز بسقوفها من القرميد المنحدر   والدكاكين ضيقة معتمة مليئة بالصناع والتجار   اما النساء والفتيات والصغيرات أيضا فيغطين وجوههن بأيديهن إذا صادفهن غريب وينفرن من التصوير أو الحديث مع الآخرين

مع مؤرخ شفشاون

في أحد زواريب القصبة ، ندخل دار أحد رجالاتها من ذوى الاصل الاندلسى ، المؤرخ عبد السلام الحضرى ، ونسمع منه الكثير عن تاريخ شفشاون

قبل خمسة قرون ، وبالذات في عام ١٤٧١م (٨٧٦هـ) ، أنشئت مدينة شفشاون على يد المجاهد مولاى على بن رشيد .

كان لابد لعلى بن رشيد والمجاهدين أمام الهجمات البرتغالية أن يبحثوا لأنفسهم عن مكان أمين يستقرون فيه ويبدأون منه هجماتهم   ولم يكن هناك آمن من ذلك المكان الذى تحتضنه الجبال العالية

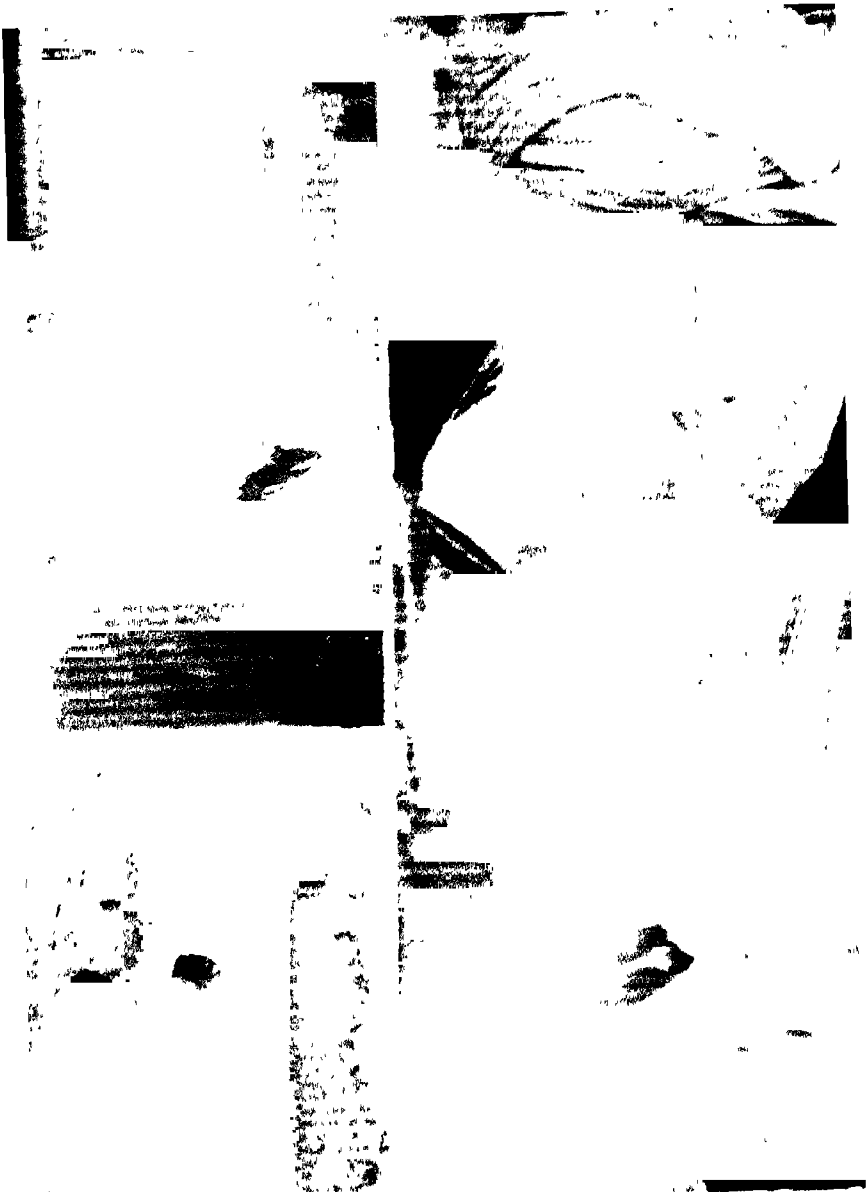

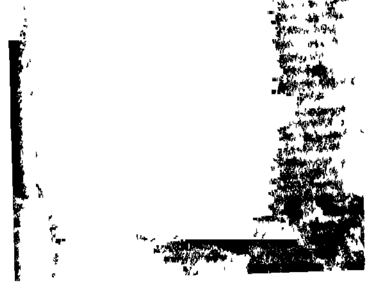

ـ هنا شفشاون المدينة البيضاء التي تعيش في احضان الجبال المحيطة بها كأنها قلاع الحراسة . المباني القديمة على النمط الاندلسي وأزقة القصبة تحكي قصة تاريخ تواصل لاكثر من خمسمائة سنة يلخصها هذا العجوز الذي لاتقطع حكايته إلا شربة ماء عند النبع

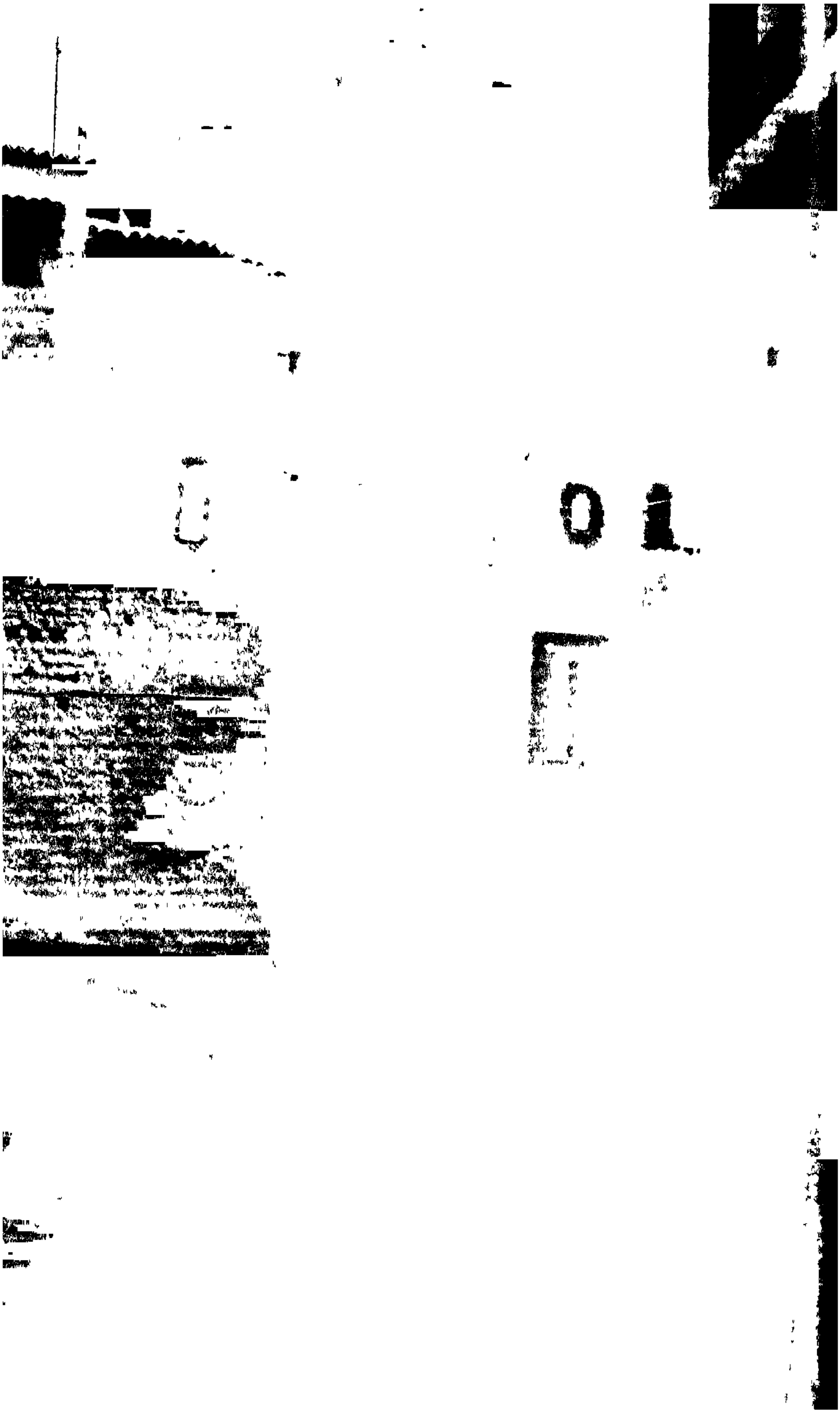

فتخفيه عن الانظار وتسهل الدفاع عنه وبدأ ابن رشيد ورجاله يبنون أكواخهم في قلب الوادي ، فكانت نواة للمدينة التي توالى اتساعها حين جاء بعض مسلمي الاندلس الهاربين من وجه الزحف المسيحي الأسبان على غرناطة قبل ان تسقط بعدة سنوات وكان هؤلاء الاندلسيون يغادرون الاندلس على سفن « عروج وبارباروسا » التي كانت تحملهم وتنقلهم الى الشواطىء المغربية حيث استقبل ابن الرشيد كل من جاء الى مقره في احضان الجبال

وتوالت الافواج وبدأ كل فوج يبني لنفسه حيا جديدا وكان من بين الأحياء التي قامت « حومة الاندلس » التي أقامتها عائلة الحضري ، ولا يزال الشارع الذي تقع فيه دار العائلة يسمى شارع غرناطة ، حيث أسسوا مسجدا لا يزال يحمل نفس الاسم ثم جاء فوج آخر وأقام « حومة الخرازين » ، وتلاه آخر أقام « حومة الصبانين » ، وفوج خامس أقام « حومة المنصة » وكان آخر فوج من الموريسكيين الذين أرغموا على دخول المسيحية واستطاعوا الهرب من الاندلس بعد ذلك وجاءوا الى شفشاون

انطلق الناس في شفشاون يواصلون الحياة محتضنين كل من دخل مدينتهم واستقر بها من الريفيين الذين شاركوا من قبل في عمليات التحرير ، ومع ذلك فقد ظلوا على محافظتهم وحذرهم ومنعتهم وتشددهم ، الى حد الانغلاق في كثير من الاحيان ضد كل ما هو خارجي أو أجنبي عن مدينتهم ، برغم أنها أصبحت مدينة سياحية يأتيها السياح من كل مكان

ذلك هو ما شعرنا به ونحن نلتقي بالريفيين والحضريين معا في شفشاون أحسسنا أنهم قوم يمتنعون عن العرض ويتمنعون عن النظر ، كأنهم يعيشون في قرون لم تبعد كثيرا عن سنوات انتقال أجدادهم من جنتهم المفقودة بالاندلس . لهذا فإنهم يجدون لذة شديدة في نزهتهم اليومية عند « الماء » إنه نبع يذكرهم بينابيع الماء والنوا كانت تزخر بها غرناطة وقصورها وينابيع ومضايها ماء عذب هو أعذب الينابيع الم يخرج من الصخر تماما كعذوبة مدينتهم الحاضرة ويوزع ماءه العزيز على البساتين والحدائق

من عند « نبع الماء » نهبط ونحن نسترق النظر من جديد الى اسفل إلى المدينة البيضاء الجميلة ، إذ نودعها وقد ألقت شمس الصباح غلالتها الذهبية على السهل الأخضر وعلى البساتين الزاهرة التي تنفح عطرها حولنا كأنما تدعونا للعودة من جديد

ولكن ما باليد حيلة

وأخذنا نواصل صعودنا في الجناح الغربي للريف متجهين نحو الشرق

عالم الغابات والأحراش

الطرق تزداد وعورة، والصعود والدوران حول الجبال التي يتزايد ارتفاعها يزيد المشقة والاحساس بالخطورة مع الالتفاف الثعباني المتواصل الذي يحبس الانفاس ، فذلك هو الطريق الى كتامة عند ملتقى الجناحين الشرقي والغربي هنا نواجه بالقمم الصخرية التي تربط شفشاون وكتامة مليلية ثم الناصور والسعيدية وكلما اجتزنا مجموعة من الجبال انعرجنا الى جبال صخرية أشد منها قسوة وصلابة ، تتناثر على سفوحها قرى بربرية صغيرة وسط غابات الارز والصنوبر والفلين والفرعار وانواع اخرى كثيرة

الغابات في الجناح الغربي للريف أغلبها غابات طبيعية شاسعة تشغل حوالى ٢١٥ ألف هكتار ، بالاضافة الى غابات تم تشجيرها على مساحات يصل مجموعها الى ١٥ الف هكتار . هذه الغابات ت بتنوع نباتها وأشجارها وكثرة الحيوانات البرية اختلافها .

ان استغلال هذه الغابات وتشجيرها و استعمالات أخشابها وأحراشها ، يوفر للبلد ال

الر ية نصيبا هاما من العمل ، إضافة إلى زيادة الدخل لصالح ميزانيات الجماعات المحلية ولعل ذلك هو السبب في اهتمام الدولة بعمليات

التشجير ، حيث يتم سنويا تشجير حوالى ٥٠٠ هكتار من جميع الاصناف ، خاصة شجر الصنوبر

بالاضافة الى ذلك فإن قلة الأراضي الزراعية ومحدودية المراعي اقتضت تحسين وسائل الانتاج الساق لتنمية قطعان الماشية ، وخلق مراع تخفف ضغط الرعي في الغابات ، فأنشئت المراعي الدائمة ، غرست فيها أكثر من ٤٠ ألف شجيرة كلأ هذا العام ، كما أنجز خلال السنوات العشر الاخيرة ٢٩٦ هكتارا للمراعي ، وتم تشجير حوالى ٢٨٣

هكتارا بشجيرات الكلأ كما أن عمليات تنمية الثروة الحيوانية الغابوية تجرى بشكل يتيح للريفيين الاستفادة من هذه الثروة ، وقد أقيمت بعين الرامى محطة لتربية « الحجل والتدرج » تنتج سنويا حوالى ١٠٠٠ حجلة و ٢٠٠ من التدرج ، توزع على الغابات في أماكن يمنع فيها الصيد لضمان توالدها وتكاثرها ، وخاصة أن هناك وفرة في الحيوانات البرية بالغابات منها الارانب والقواع والخنازير البرية ودجاج الماء والحمام واليمام وهي كلها تثير شهوة الصيادين

وتدور في أذهاننا ـ ونحن نطل على كل هذه الغابات التي تغطي جبال الريف ـ تساؤلات ومخاوف م إمكانية اندلاع الحرائق ، كمثل ما نشاهد وتنقل الـ الانباء دائما فيما يحدث في الغابات والاحراش في محـ ـ دول الغرب والشرق على اتساع القارات كا

ـلقى الرد من مرافقنا الاعلامى .

ـ جهد واضح وحرص شديد على صيانة

الا ر،ومحاربة الحرائق والمحافظة على الغابات من

محـ لاضرار التي تتسبب في إتلافها ولو نظرتم الى بعيد فستلاحظون مجموعات من الأبراج قائمة على مسافات غير متباعدة لمراقبة الحرائق ، مع وجود أجهزة للتبليغ عنها في كثير من المناطق وهناك الاهتمام بشق الطرق وصيانة المسالك المهددة بالاغلاق مع توالى هطول الامطار والمساقط المائية والانهيارات الجبلية وتقوم السلطات بشق خنادق حامية من الحرائق ، تمتد على طول حوالى ١٧٠ كيلومترا ، ويبلغ مجموع المسالك في غابات الريف حوالى الفى كيلو متر وكل الطرق والاجراءات المتخذة ، تؤدى الى سرعة الاعلام بالحرائق في حالة اندلاعها وفي وقت حدوثها لسرعة التصدى لها وإخمادها ولعلكم تقدرون هذه الجهود حين تعرفون ان النيران أتلفت في عام ١٩٨١ اشجار الغابات في حوالى ١١٥ هكتارا ، كما أتلفت النيران في عام ١٩٨٣ حوالى ٥١٧ هكتارا ، ولكن الرقم بدأ ينخفض كثيرا بعد الاجراءات والوسائل المشددة بحيث هبط ما أتلفته النيران إلى حوالى ١١ هكتارا في عام ١٩٨٤، وهو رقم لم تتجاوزه عمليات الاتلاف كثيرا منذ ٨٥ حتى الآن

الريف من الجو

الآن تعود بنا الرحلة من جديد الى الحسيمة ، بعد أن اخترقنا الريف برا بالطول وبالعرض ولم يعد باقيا أمامنا إلا اختراقه من الجو

وذلك هو ما فعلناه حين انطلقت بنا الطائرة من مطار الحسيمة ، الذى يستقبل كل أنواع الطائرات الكبيرة عدا البوينج ٧٤٧ ومع هذا فهو لا يعمل بصفة مستمرة إلا في موسم الصيف ، وهو أمر يحتاج الى إعادة نظر في فلسفة الخطوط الجوية المغربية والعمل على ربط خط الحسيمة بالطائرات التجارية

ورحنا نطل على جبال الريف من الجو والطائرة تنطلق بنا فوق الجبال ثم على الشريط الساحلي حتى الدار البيضاء عبر تطوان بدت لنا جبال الريف من أعلى كثيرة التجاعيد كأنها وجه عجوز السطح

ـ الجيل القديم ورث الفنون الزخرفية عن الاباء والاجداد وهم يقومون بتدريب الابناء في مدرسة الصنايع والفنون الوطنية على وسائل الابداع في الفن . من خلال الصناعة الوطنية التقليدية .

عبارة عن أرض مسنمة مجولة مضلعة مقببة محدبة مليئة بالاخاديد والاحواض والقنوات والوديان ، ظاهرها رملي يندر فيه الاخضرار وخاصة عند القمم الجرداء والسفوح التي لا يصل بعضها ببعض غير الطرق والمسالك الجبلية التي تبدو كالخيوط الجغرافية على الخرائط . بعض الجبال تبدو عارية جافةموحشة ومسالكها الجبلية هي الصلة الوحيدة بين أهلها ولعل ذلك هو ما جعل الريفيين أصلب جسما وأيبس عودا .

ونطل على شاطىء البحر الابيض ، فإذا به ساحل ضئيل رفيع يحدده البحر من الشمال والصخور الرملية القائمة كالجدران العالية من الجنوب ، على هذا الشاطىء وفوق الكثبان تتناثر البيوت والشواطىء السياحية والموتيلات . وهي تبدو كلها كأحواض فارغة تتوسطها صحون مربعة أو دائرية قد طوقت بسياج من الخضرة

تلك هي الصورة التي تؤكد أن الريف بحكم طبيعته الجبلية يشكل حاجزا هاما وعائقا ضد تسهيل وسائل المواصلات وحركة الانتقال بين شتى أطرافه وهي العامل الاساسي لأي بناء اقتصادي يضاف الى ذلك أن هذه الطبيعة لا تمنح سكانها أرضا خصبة كريمة مما جعل الكثيرين يتجهون الى الهجرة والترحال . .

لكن ذلك لا يمنع أن للريف المغربي معطيات ايجابية لو احسن استغلالها بشكل جيد .

اول هذه المعطيات أن الريف من أجمل مناطق المغرب السياحية ، وله مزاياه من ناحية المنا الجغرافي الطيب في أكثر اوقات السنة ، بالاضافة تمتعه بدفء الشمس سواء على جباله او شواط الجذابة ، وهي عوامل اساسية في تنمية السيا

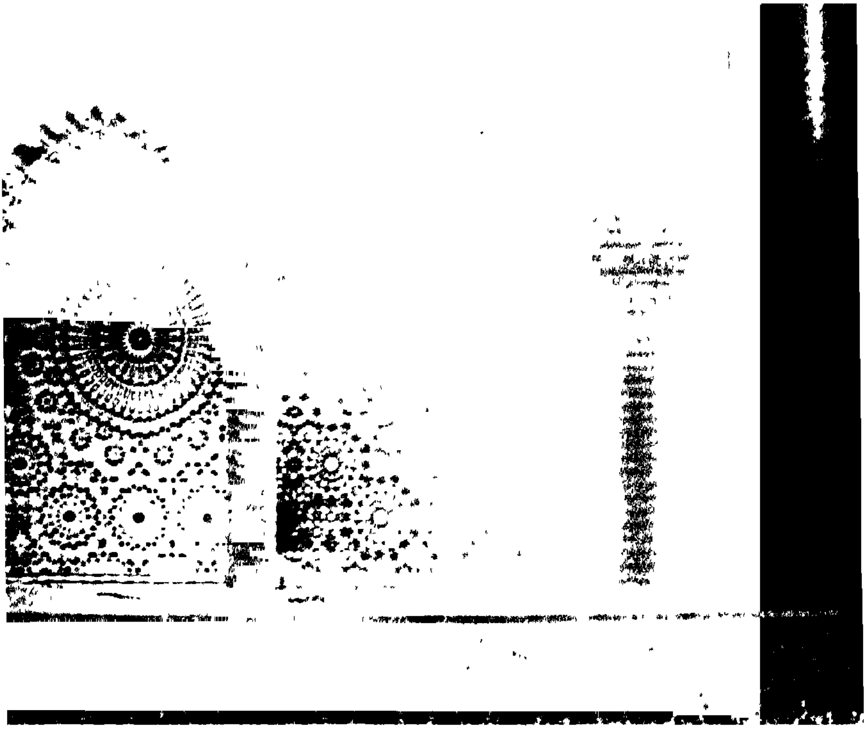

ـ الزخرفة وفنون الفسيفساء صورة الماضي الجميل تعيش في الحاضر من احلى الذكرى ـ وكل وحدة زخرفية تزين جدران المباني والقصور القديمة هي آية من آيات الهندسة الاندلسية المبدعة

واجتذاب السياح

ويتمتع الريف بمدن جميلة غنية من الناحية التاريخية والأثرية ، وقد بدأت هذه المنطقة تجتذب عددا من المستثمرين العرب وغيرهم في ميدان السياحة ، وكان من نتيجة ذلك أن بدأ تنفيذ مشروعات سياحية هامة في طنجة،وعلى شواطىء تطوان وفي الحسيمة واخيرا في السعيدية .

ثم ان للريف مستقبلاً مبشرا ، وإن كان هذا المستقبل يعتمد على استثمار أهم وأوسع في الميدان السياحي ، حتى يستطيع منافسة الشواطىء الاسبانية [illegible] جهة

لعل أهم معطيات الريف المغربي أنه يتمتع بموارد خيرات باطنية كثيرة . . ففي الريف مناجم [illegible] الفحم والحديد وخاصة في الناضور . . كما [illegible] أراضيه على المستوى الجيولوجي مجموعة من المعادن من بينها الرصاص والزنك والنحاس والفضة والكروم والرخام والمنجنيز والزئبق والجرافيت . . بالاضافة الى المياه المعدنية ، وان كانت اهم الاستغلالات المعدنية قد استنزفت خلال فترة سيطرة الحماية الاسبانية . . ولكن بعض المعادن ينتظر أن يبدأ استغلالها مع جهود تقنية مبشرة في المستقبل القريب .

والملاحظ ايضا ان هناك ثروة بحرية يمكن زيادتها وتطويرها إذا تم تزويد أعمال الصيد البحرى بالاسطول والمعدات المتطورة

ان كل ذلك يحتاج بلا شك الى مزيد من الاستثمارات في الميدانين البحرى والمعدنى . . خاصة أن هناك عاملا إيجابيا متميزا . . هو قرب الريف الجغرافي من الاسواق التجارية الغنية في القارة الاوروبية . . ◻

من يذهب الى السينما؟

بقلم / رؤوف توفيق

المتفرج الذي يذهب إلى دار السينما ، من مرة إلى ثلاث مرات في العام يطلقون عليه اسم « المتفرج غير المنتظم » ، لكن بالرغم من ذلك فإن شركات السينما العالمية تنظر إليه على أنه أهم عنصر تقوم عليه صناعة السينما الآن ، ومستقبلا !! فهذا المتفرج يشكل نسبة ٥٩٪ من جمهور السينما .

مقياس نجاح السينما يتوقف على مدى المهارة في جذب المتفرج غير المنتظم ، ويحسب خبراء صناعة السينما واقتصاديوها ازدهار موسم سينمائي أو فشله بقدر حصيلة المحاولة في تحريك هذا المتفرج ، وإقناعه بالذهاب إلى دار العرض .

جاءت هذه « المعلومة » ضمن دراسة إحصائيـ نشرت في كتاب صدر في لندن ، عن هيئة الف البريطاني ، والكتاب بعنوان « السينما في الـ

الإنجليزية » ، وهذه الدراسة الاحصائية قامت ـ أساسا ـ لمناقشة الظاهرة المحيرة التي انتشرت في كل عواصم العالم ، شرقا وغربا ، ومنذ ما يزيد على ست سنوات مضت ، حيث بدأت كل المؤشرات ترصد انخفاض الاقبال على مشاهدة الأفلام في دور العرض السينمائي ، ورغم كل المحاولات التي جرت لتوفير الراحة والأناقة داخل دور العرض ، والاكتفاء بدور عرض صغيرة الحجم استمر الانحصار في خط بياني مثير ، حتى سجلت الأرقام [illegible] هبوط في السنوات الثلاث الأخيرة ، بدءا من عام ١٩٨٤ م

أزمة عدمية

وترددت الأرقام في سوق صناعة السينما مؤكدة أن هذا هبوط شمل كلا من فرنسا وايطاليا وانجلترا [illegible] وأكثر هذه الدول رغم أنها تملك [illegible] سينمائي، واجهت مصاعب [illegible] الشلل والتوقف ، ففضلا [illegible] جمهور السينما فإن النسبة الباقية المنتظمة [illegible] دور العرض تفضل مشاهدة الأفلام الأمريكية عن مشاهدة الأفلام المحلية أو الأوروبية الأخرى [illegible] هذا الموقف المتأزم فكرت هيئة [illegible] ـ وهي هيئة اكاديمية لها ثقلها الفني والمعنوي على المستوى العالمي أن تقوم بدراسة احصائية بين الجمهور الانجليزي حول نقطتين أساسيتين

أولا : من يذهب إلى السينما ؟ (أعمارهم ، ومستواهم الاجتماعي أغنياء أو من طبقة متوسطة أو عمال مهرة ، أو عمال عاديون ، متزوجون أو مطلقون أو عزاب) .

ثانيا : أفضل طريقة لمشاهدة الأفلام (دور السينما ، أم التلفاز ، أم أجهزة الفيديو) ؟ ووزعت استمارة البحث على عينة ، ضمت ٧٩٥ شخصا ، من ٦٧ منطقة ، في كل أنحاء بريطانيا ، ثم عكف المتخصصون على دراسة النتائج ، وضمنوها في كتاب صدر في أواخر عام ٨٦ ، ويعتبر هذا الكتاب من أهم الكتب التي تلقي الضوء على اتجاهات متفرجي السينما عامة ، وليس في بريطانيا وحدها ، فالاتجاهات واحدة ، وإن اختلفت أرقام الاحصائيات بنسب طفيفة ومن خلال تحديد الاتجاهات يمكننا استنتاج أسلوب تفكير شركات الانتاج السينمائي العالمي في نوعية الافلام التي يتحمسون لانتاجها الآن

البقاء في المنازل

أظهرت الدراسة أن ٧٤٪ من الجمهور الانجلزي لا يذهب إلى السينما الآن ، وهذا الرقم ـ في دولة متحضرة لها تاريخها الثقافي والفني ـ يمثل مفاجأة قاسية ، لكن الباحثين في هذه الدراسة يفسرون هذا الرقم بقولهم « هناك حقيقة باردة واجهتنا عندما سألنا الجمهور أين يفضلون مشاهدة الأفلام ؟ فأجابوا قائلين « في المنزل من خلال التلفاز »

وتتساءل الدراسة هل السينما تخوض معركة خاسرة أمام التلفاز ؟!

ويرجعون إلى الوراء ، بفلسفة تقول إنه لا يمكن فهم الحاضر إلا بتتبع الماضي ، فمنذ أن ظهر التليفزيون في الخمسينات أصبح واضحا أنه سيكون العدو الأول للسينما ، وأجمع المراقبون والباحثون على ضرورة دراسة العلاقة بين السينما والتلفزيون .

في داخل انجلترا ارتفع حائزو أجهزة التلفاز

● الأطفال أحيانا هم الذين يختارون الأفلام لكي يشاهدوها مع والديهم ، ومن هذه الحقيقة الاقتصادية فكرت بعض شركات الانتاج السينمائي بتقديم نوعية خاصة من الأفلام التي يعجب بها الأطفال ، وينسى الكبار أنهم كبار ، فيتحولون الى متفرجين كالأطفال .

من ٣ ملايين عام ١٩٥١م إلى ٩ ملايين عام ١٩٥٨ وفي نفس الفترة انخفض عدد المشاهدين للسينما ١٣٠٠ مليون إلى ٧٥٥ مليونا ، وانخفض الرقم العشر تقريبا خلال عام ١٩٨٤م ، فقد أصبح ع مشاهدي السينما يتراوح ما بين ٦٠ إلى ٧٠ مليو مشاهد في السنة ، بينما ارتفع عدد مشاهدي الأفلا بالتليفزيون إلى ٣ بلايين ، ودخل السباق أيض أجهزة الفيديو التي أصبحت تجذب بليون مشاه سنويا (الرقم هنا محسوب على أساس الفر الواحد × عدد مرات المشاهدة سنويا)

وتقول الدراسة إن الذهاب إلى السينما كان سم الطبقات الغنية ، حتى بدأ العمال يظهرون كقو مؤثرة منذ سنوات الخمسينيات ، ومنذ انتقلو للسكن داخل حدود المدن ، وأصبحوا يذهبون إلى السينما ، فحينذاك انسحب الأغنياء من دور العرض ، واكتفوا بمشاهدة الأفلام في منازلهم

وتربط الدراسة الانجليزية بين عادة الذهاب إلى السينما وبين الحالة الاجتماعية ، فعندما يتوفر في المنزل عنصر الراحة ، وترابط العلاقات الاسرية ، تصبح مشاهدة الافلام في المنزل جزءا مكملا لعنصر الراحة ، خاصة بعد أن ثبت اقتصاديا أن الخروج من

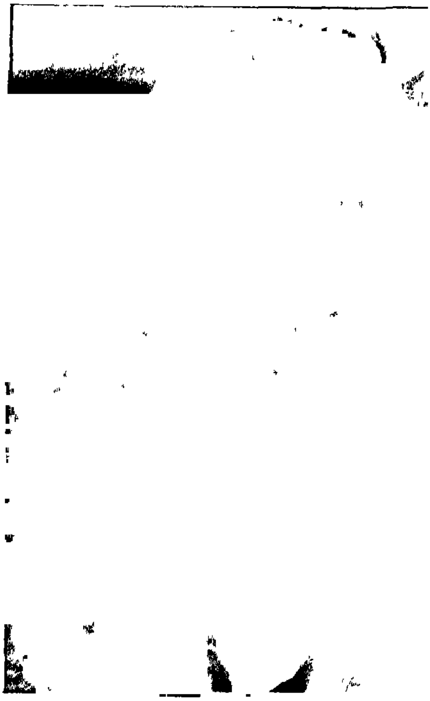

● كريستوفر لامبرت ، النجم الفرنسي الذي أعدوه لكي يكون النموذج الأوروبي للشباب والمراهقين ، ويكون في مقابل النماذج التي تروجها سينما هوليود

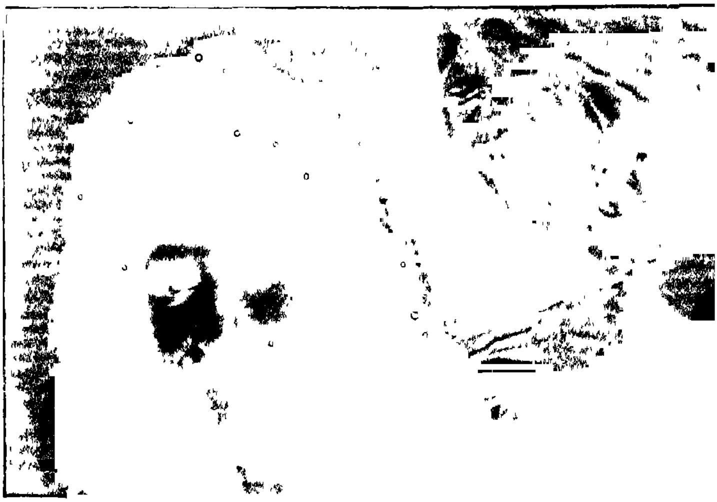

● نماذج من الدعاية التي يجذبون بها المراهقين والشباب الى دور العرض السينمائي ، إنه الإغراق في العنف والغرابة والإثارة

المسـ ، والذهاب إلى دور العرض ، يعتبر عملية مكلفة ، يدخل فيها أمر المواصلات ، وثمن تذاكر السينما ، وثمن وجبة سريعة أو مشروب ، ومع انتشار موجة الغلاء عالميا والثبات النسبي للأجور ، أصبحت المعادلة الاقتصادية تحتم البقاء في المنزل ، بل أصبح تأجير جهاز الفيديو كاسيت ، وتأجير شريط الفيلم المطلوب مشاهدته في مجموعها أرخص من تكلفة الذهاب إلى السينما ، فضلا عن متعة إرجاع الشريط في جهاز الفيديو ، وتوقيفه عند بعض اللقطات لتتبعها

أولا الشباب

من الذي يذهب الى السينما إذن ؟ !

تؤكد الدراسة الانجليزية ما سبق أن أكدته دراسات أمريكية وفرنسية وايطالية ، وتؤكد أيضا ما سبق أن أعلنته بعض الاستنتاجات في أسواق السينما في الاقطار العربية . إن النسبة الغالبة المتسطمة من المترددين على دور العرض السينمائي هم المراهقون والشباب ، وقد حددت الدراسة الانجليزية أعمار هذه الفئة ما بين سن ١٦ الى ٢٩ عاما ، وهؤلاء يذهبون الى السينما من مرة الى ثلاث مرات في الشهر الواحد ، ولا يحدث انقطاعهم عنها إلا في حالة الزواج و انجاب الأطفال

وتخلص الدراسة الانجليزية من هذه الحقيقة الى حقيقة أخرى فرعية ـ لكنها في غاية الأهمية ـ وهي أن الذهاب الى السينما بعد الزواج وإنجاب الاطفال يتم بناء على رغبة الأطفال والحاحهم ، مما يضطر الآباء والأمهات الى الاستجابة ، وهنا يتحدد نوع الفيلم الذي ستشاهده الأسرة حسب رغبة الطفل ، فهو صاحب الاقتراح بالخروج من المنزل ، وصاحب الاختيار لنوع الفيلم

ر ـن تلك الدراسة الى علامة استفهام كبيرة ، حو ستقبل صناعة السينما ، فتقول : « لا يكفي أن . الأفلام ونناقشها ، بل من الضروري أولا أن ـ الجمهور ودوافعه »

شاشة مليئة بالدم والدخان :

ونغلق الآن صفحات هذه الدراسة ، ونتأمل واقع السينما العالمية من خلال ما تم انتاجه وعرضه خلال السنوات الثلاث الماضية ، ومن خلال ما يخططون لعرضه وانتاجه خلال هذا العام ، فنكتشف أن الغالبية العظمى من الأفلام تحاول اجتذاب ذلك الجمهور المضمون من الشباب والمراهقين ، والمحاولات في هذا الباب تتباين، فمن لعب على الغرائز الحسية الى رعب وإثارة ، أو مداعبة للخيال من خلال أفلام مغامرات الفضاء ، والمخلوقات الغريبة والمركبات الجهنمية التي تسبح حول النجوم والمجرات . إنها صناعة هائلة ، يقف وراءها خبراء ومتخصصون في التقنية وفنون الخدع البصرية والسمعية ، تمتلىء شاشات عرضها بكميات مخيفة من الدم والجثث والمدافع والدخان ، وهناك من يقيس الانفعالات ويحسب عدد شهقات الإثارة ، وكلما زاد عدد الشهقات كان الفيلم أكثر نجاحا ، وكلما سجلت الإيرادات ارتفاعا زاد تكثيف الرعب والاثارة في الأفلام الجديدة

وملصقات الأفلام ومواد الدعاية التي تنوء بالأسلحة النارية ، والمخلوقات الغريبة الشاذة ، تدعو جمهورها لمزيد من المتعة الحسية ، والسينما في سباق يومي لتجديد العنف والبحث عن الإثارة

فيلم « رامبو » الجزء الثاني حقق أعلى الإيرادات في أمريكا وأوروبا عام ١٩٨٥م ، وفي عام ١٩٨٦م دخل المنافسة « روكي » الجزء الرابع ، وكوماندو ، وكوبرا ، وهي أفلام أمريكية تزخر بالعنف الدامي ، وتكتسح هذه الأفلام أيضا الأسواق الأوروبية بعد اكتساحها للأسواق الأمريكية

وتحاول السينما الفرنسية الدخول في هذا السباق بنجمها الجديد « كريستوفر لامبرت » ، لكن صناعة السينما الأمريكية بكل عناصر الإبهار والتقدم التقني تسجل تفوقا ، أما السينما الايطالية فتكتفي بمغازلة الشباب بالأفلام الكوميدية والبوليسية ، لكن السينما

● نماذج من المخلوقات البشعة التي تمتلىء بها أفلام المصاص التي لا تكف (الاستوديوهات) الأمريكية عن صنعها لكي تجذب المراهقين الى دور العرض

التجارية في الهند وفي جنوب شرق آسيا تختط لأفلامها خطّاً آخر فتدخل الى الساحة بأفلام المطاردات العنيفة والكاراتيه ، لتغزو بها أسواق العالم الثالث وكل يحاول اصطياد المراهقين والشباب

المتفرج غير المنتظم :

أما المتفرج غير المنتظم الذي قد يذهب الى السينما من مرة الى ثلاث مرات في العام ، فتتنافس لاجتذابه كل العقول المفكرة في شركات السينما العالمية ، فهي تعلم أنه متفرج له ذوق خاص ، يجب أن تكون دوافعه قوية لكي يقرر اختيار الفيلم الذي سيشاهده . فتبدأ المنافسة الفنية التي تنتج لنا أفضل الأفلام السينمائية خلال العام ، لكنها لا تتعدى نسبة ١٠٪ من مجموعة الانتاج العالمي ، وتلك الأفلام هي التي تذهب الى المهرجانات السينمائية ، وتتنافس على الجوائز العالمية ، فينشغل بها النقاد والمحللون ، وتلك الأفلام قد تكون جيدة على المستوى الفكري والفني لكن المعروف أنها لا تحقق مكاسب ضخمة لشركات الانتاج ، بل تحقق الاحترام والسمعة الجيدة ، وهذا ما تحرص عليه بعض الشركات العالمية ، ففيلم جيد لها قد يعدل الميزان أمام عشرة أفلام من النوع الاستهلاكي السريع ، وهناك كثير من المغريات تقدمها شركات الانتاج العالمي لجذب ذلك المتفرج غير المنتظم ليشاهد فيلما سينمائيا بعيدا عن بيته ، ومن هذه المغريات استخدام الشاشة العريضة ـ السكوب والسيراما ـ واستخدام الصوت المجسم ، وكلها عوامل لا تتوفر للعرض التلفازي أو من خلال جهاز الفيديو .

لكن يبقى السؤال قائما : الى متى تستطيع السينما الاستمرار في تلك المعركة مع الخصم التقليدي ، وهو التلفاز ، ومع الخصم الجديد ، وهو جهاز الفيديو ؟ ! □

وجهاً لوجه

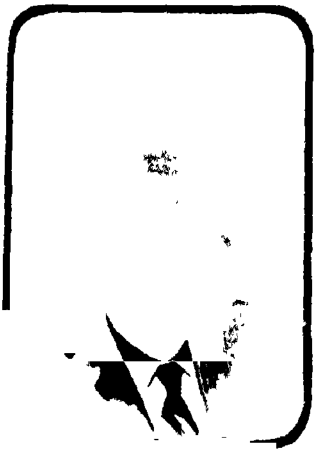

د.حسن الساعاتي و د.محمد الجوهري

■ أساتذة الاجتماع الغربيون يهدفون إلى بيان عجز العرب عن التنظير . ■ سيادة مبدأ « بذل أقل مجهود والمطالبة بأكبر مردود » هي سبب أزمة علم الاجتماع ■ فلسفة المنهج في علم الاجتماع تعاني من التخلف . ■ قدرة الباحث تبرز في اختيار التنظير المناسب موضوع . ■ التراث الاجتماعي العربي حافل بمصادر حول لسفة المنهج . ■ أفكار ابن خلدون والماوردي تفيد في تفسير علاقات البشرية .

إذا تأملنا تاريخ علم الاجتماع في مصر فسوف نجد له امتداداً تاريخياً يجاوز ثلاثة أرباع القرن، بدأت أول الدروس الاجتماعية تلقى على طلاب الجامعة المصرية التي تأسست عام ١٩٠٨ كجامعة أهلية، ثم أصبحت حكومية اعتبارا من عام ١٩٢٥، ومع تبعيتها للحكومة وتحولها إلى جامعة رسمية أصبح قسم الاجتماع بكلية الآداب أحد الأقسام التي بدأت بها الدراسة، وتخرجت الدفعة الأولى في هذا القسم في عام ١٩٢٩

الدكتور حسن الساعاتي صاحب أول رسالة دكتوراة في علم الاجتماع تستند إلى دراسة ميدانية، أجريت على أرض عربية، وعن مواطنين عرب، وقد كانت هذه الخطوة علامة بارزة أولى

وقد أجيزت رسالته من جامعة لندن في الوقت ي دارت فيه بحوث الدكتوراة التي قدمها الرواد وائل حول موضوعات نظرية، تقوم على دراسات كتبية خالصة. كانت رسالة د. حسن الساعاتي عن مشكلة انحراف الأحداث في مصر، أي أنه رائد لاتجاه الساعي نحو رؤية الواقع الاجتماعي القائم، وأنه قد تعامل مع هذا الواقع بلغة العلم، وأدواته ضبطة، وليس بالخطابة والوعظ أو بالتأمل لتخمين

ملامح الاتجاه

لكنا نجد على أي حال أن تشخيص الدكتور ساعاتي لملامح هذا الاتجاه طريفة وغريبة، تجعله ستحق الشرح شيء من التفصيل

أ- إن هذه المدرسة واقعية تركز جهودها على دراسة واقع الحياة الاجتماعية المصرية. ويؤكد ساعاتي هذا المعنى فيقول: «إن معنى هذا أن هذه المدرسة تنأى بوضوح عن أي فلسفة اجتماعية، قائمة على التخمين، أو الخيال، أو الافتراضات، أو ما شابه ذلك»، وهي أيضا مدرسة وصفية أساسا، وهو يدافع بحماس عن هذه السمة، ويطالب بتشجيع الدراسات الوصفية، لأنها تساعد في إلقاء الضوء على كثير من الحقائق، وعلى صياغة كثير من الفروض التي يمكن أن تصبح موضوعات ملائمة لبحوث علمية أخرى فيما بعد

ب- والسمة الثانية لتلك المدرسة أنها ذات توجه اشتراكي، ويعني الدكتور الساعاتي بذلك أنها تهتم بالمشكلات الأساسية للمجتمع «بهدف تحديد طبيعتها، وأسبابها، ونتائجها. وذلك كشرط أساسي لمواجهتها، ومن ثم تمكين المواطن من بلوغ مستوى محترم من الحياة، يحفظ له كرامته الانسانية». فهي بذلك مدرسة ذات هدف محدد، تضع العلم في خدمة المجتمع

جـ- والسمة الثالثة لهذه المدرسة أنها تقوم على أساس تكاملي، ليس من الوجهة العلمية فحسب وإنما من حيث توجيه البحث نفسه، ويشرح الساعاتي ذلك بقوله إن هذه المدرسة لا تقبل فكرة العامل الواحد، ولكنها تعترف بتفاعل العوامل المختلفة في حقل السلوك الاجتماعي، أو الظاهرة الاجتماعية

موقف هندسي اجتماعي

يتضح من استعراض ملامح هذه المدرسة تتبنى موقفا هندسيا اجتماعيا، وهو أمر اتفق ع كثير من الكتابات الواعية عن علم الاجتما مصر، وعدته من أبرز عيوبها، كما أدركت أن

ق هو الدي عوّق اهتمام هدا العلم بتكوين إطار ري متكامل ، وهذه السمة التي عاں منها علم حماع في مصر وما زال يعاني ظاهرة بكل حلاء في ح معظم جيل الرواد ، ونفر غير قليل من الشباب حصصيں ي هذا العلم

● ألا ترى أں هدا الاتحاه « الهدسي الاحتماعي » يُعىَ ي وحهه الآحر تني موقف محافظ على الصعيد السياسي ، وهدا هو ما يلاحطه القاريء الواعي بين سطور كتاباتكم التي أشرت إليها ، فما تعليقكم ؟

ـ أود أن أوضح أمرا بالغ الأهمية ، بخصوص احي العلمي ، وهو أنه ـ حتى الآن ـ يقع في ثلاث احل ، تبدأ الأولى بتحضيري أطروحة دكتوراة لسفة في علم الاجتماع سنة ١٩٤٤ م ، والقيام ل محث ميداني على ظاهرة احتماعية معتلة ، وهي وح الأحداث في مصر ، ولي في هده الأطروحة لاثة تنظيرات أحدها حول الوعي المصري مدالة ، وثانيها عن التَّبَوُّء الحناحي في المدينة المعروف عناطق تكاثر الأحداث واحتذابهم) ، ثالثها عن التحليل الظرفي للجنوح ، وكلها ظيرات أصيلة مبتكرة ، لا في مصر وحدها ، بل في طاق العالمي . وقد استغرقت هذه المرحلة اثنتي شره سنة ، انتهت سنة ١٩٥٥

وتبدأ المرحلة الثانية بالنشاط العلمي سنة ١٩٥ ، وتستمر مدة أربع عشرة سنة ، أجريت ها مسحين اجتماعيين هامين أحدهما لقسم باب شعرية (١٩٦٠) ، والآخر لحي (الباطنية) لشهرته الواسعة في تجارة المخدرات ١) ومن أهم البحوث التي أشرفت عليها ر القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية في حلة بحث البغاء في مدينة القاهرة ، والمسح ي لمنطقة (أسوان) ، وبحث تنمية المجتمع النوبي الجديد ، ثم بحث تنمية المجتمع الريفي ، المعروف بمسح القرى الست

وفي هده المرحلة نشر لي مقال في عام ١٩٦٤ عن تطور المدرسة الفكرية لعلم الاحتماع في مصر منذ سنة ١٩٥٢ ، دلك المقال الذي يشار إليه كثيراً في نقد انتاجي العلمي ، علما بأنه قد مضى على نشره أكثر من عشرين عاما ، وإن آرائي المذكورة فيه تصدق على تطور المدرسة الفكرية لعلم الاجتماع حتى سنة ١٩٦٣ ، وهي السنة التي كتبته فيها ، ولذلك لا يكتمل المنظور الاجتماعي العلمي لانتاجي وعطائي إلا إدا شمل ما تبقى من هذه المرحلة ، وهو ست سنوات ، وأيضا المرحلة الثالثة وطولها سبع عشرة سنة

تحقيق الهوية

المرحلة الثالثة من إنتاجي العلمي بدأت سنة ١٩٧٠ وما زالت مستمرة ، وتمتاز بتفجير ثلاث قضايا جديدة ، بالغة الأهمية هي قضية تحقيق الهوية ، وقضية دراسة التراث الاحتماعي العربي بوعي حديث ، وقضية النظرية الاحتماعية العربية

أما القضية المتعلقة بدراسة التراث الاحتماعي العربي بوعي حديث فقد شغلت بها أولا في المرحلة الأولى ، عند كتابتي عن الوعي المصري للعدالة

وقد انطلقت في هدا الاتجاه التراثي في المرحلة الثالثة من إنتاجي ، فألفت كتابا بعنوان (علم الاجتماع الخلدوني قواعد المنهج) وقد نشر سنة ١٩٧٢ ، وقد أسهمت بأوراق علمية ، منها « منهج البحث عند أبي الفداء » ، و « أصول الاحتماع في القرآن » سنة ١٩٧٧ ، « والبدو والحضر في مقدمة ابن خلدون » ، أكتوبر ١٩٨٣ ، « وتصنيف العلوم في الحضارة العربية الاسلامية ، وأصنافها في مقدمة ابن خلدون » ، أكتوبر ١٩٨٥ ، وأخيرا « مصادر التنظير الخلدوني من القرآن والحديث ، يوليو ١٩٨٦ .

أما القضية التي شغلت بها تنظيرا وكتابة ومحاضرة، فتتعلق بالنظرية الاجتماعية العربية التي دارت بخصوصها تساؤلات كثيرة، ليس بين أساتذة علم الاجتماع العرب فحسب، بل أيضا بين الأساتذة الغربيين الذين يهدفون إلى بيان عجز العرب عن التنظير العام، وإرغام علمائهم على التبعية الأجنبية، تعميقا لاغترابهم عن مجتمعاتهم وتراثها الغني، وإفقادا لهويتهم

لكني بعد تدبر طويل في هذه القضية البالغة الأهمية، وبعد تحليل الفكرة المحورية في تنظير العلماء العرب، حول جوهر التفاعل الاجتماعي في العلاقات الاجتماعية، كالألفة عند الغزالي، والألفة الجامعة عند الماوردي، والعصبية عند ابن خلدون، وجدت أن هذه الأفكار المحورية تفيد في تفسير العلاقات البشرية في نطاق محدود، كمجموعة الأسرة، والجماعات الريفية والحضرية، وبخاصة في تنظير ابن خلدون المتبلور في العصبية، وهي الألفة الجامعة للأغلبية حول شخص متميز، تجعل منه خليفة أو ملكا أو حاكما

حديث عن الأزمة

إذا كان لنا اليوم أن نتحاور مع الدكتور الساعاتي عن علم الاجتماع في مصر فلا بد أن نتدارس معه أزمة هذا العلم في الوقت الحاضر، لأن كثيراً من الأساتذة، وآلافا مؤلفة من الطلاب، وعشرات من أقسام الاجتماع، ومعاهد الخدمة الاجتماعية وكلياتها على امتداد رقعة الوطن العربي، ومراكز عديدة للبحوث والدراسات والتخطيط، كل هؤلاء يمثلون كيانا متضخما بأكثر من الحاجة الحقيقية إليه، مفككا لا يربط التواصل الشخصي أو التنظيمي بين أفراده، والأهم من كل ذلك دوره القاصر عن فهم مشكلات الواقع الاجتماعي القائم، ومشاركته غير الكافية

*** بعد اشتغال بعلم الاجتماع تقترب من نصف قرن، ما تعليقكم هذه الأزمة؟ وهل ترون إمكانية للخر منها، وتجاوزها؟**

- « يرجع ذلك في رأيي إلى سيادة مبدأ « بذل أق مجهود والمطالبة بأكبر مردود » الذي أصبح يتمسك به الطلاب، والأساتذة، والباحثون. فالطلاب إ اهتموا يقرأون الكتاب المقرر، ويطالبون بإلحاح حذف قسم منه، وفق العرف السائد الذي أعرف به رسميا، وأغلب الأساتذة يؤلفون كتبا منقولة من الكتب الأجنبية، دون الإشارة إلى مصادرها. وكثيرا ما يحشونها بأقوال الأساتذة الأجانب وآرائهم، وهم لا يعون خطورة ذلك، من حيث فقدهم لهويتهم المصرية، وإرهاق الطلاب بأسماء وأقوال أساتذة كثير منهم متوسطو التفكير، وتربيتهم على التبعية الفكرية للأجانب، وإبعادهم عن التراث العربي، أما الباحثون فهم فقراء في التفكير المنهجي السليم

والسبيل إلى الخروج من الأزمة وتجاوزها يكون بالعدول عن سياسة الكم إلى سياسة الكيف، وما تتطلبه من جدية، وأمانة، ومثابرة، وسعة اطلاع، وتعمق، وطموح، ووعي بالأخلاق الحسنة السائدة في الميادين العلمية ذات المستوى الرفيع، وذلك بمرحلة الطلب والتدريب، ومرحلة التدريس والبحث والتأليف »

المحدود والشاسع

ومع ذلك فلا بد أن نشير بوضوح إلى أن علم الاجتماع يعاني أزمات تتجاوز المستوى المحلي وتكبل حركته، وتعوق تقدمه، من أبرزها أز التنظير في علم الاجتماع المعاصر

ويمكننا القول عموما أن فلسفة المنهج في علم

ـماع تعاني من تخلف نسبي ، بالقياس إلى طرق المادة والقياس وأساليبها ، ويجب ألا نخلط بين ـدانين ، لأنهما على جانب كبير من التميز ـختلاف

ـموضوع فلسفة المنهج ينصب على تحليل طريقة ـث العلمية في علم الاجتماع ، وهو لذلك يمتد ـمل ابتداء من إلقاء الضوء على بعض طرق ـحث (من حيث قيمتها ودلالاتها ـدواها إلخ) وصولا إلى المستويات العليا ، ـث يتصدى للمشكلات المعقدة المتصلة ببناء ـظرية في علم الاجتماع

فإذا ميزنا في ضوء التراث الحالي والتاريخ الذي ـه علم الاجتماع بين علم الاجتماع النظري تطوير الأنساق التصورية المجردة من ناحية ، ـحوث « الامبيريقية » (الواقعية) التي تجرى ـتقلة عن ذلك نسبيا ، والتي كثيرا ما تؤدي إلى ـيق إسهامات بارزة في مجال تطوير أساليب القياس إلى تطوير نظرية لعلم الاجتماع ، فإن ميدان ـفة المنهج العلمي يمتد إلى الميدانين ، ويربط بينهما ـفس الوقت ، وعليه أن يسد الثغرة التي تفصل ـهما ويقرب الشقة التي تباعد بين جناحي علم ـتماع الحقيقي

فإذا كانت تلك هي ملامح الأزمة المعاصرة للتنظير علم الاجتماع المعاصر فبديهي أن تكون لها آثار ـه إلى علم الاجتماع العربي خاصة ، وأن هذا ـلم - كما أكدنا من قبل - يعيش على التراث ـر ، ويأخذ عنه مظاهر ضعفه ، وأمراضه ، ـا يأخذ عنه مظاهر الصحة والقوة

* بوصفكم صاحب خبرة ميدانية طويلة في البحوث الاجتماعية ، وبوصفكم أيضا صاحب مؤلف هام في طرق البحث الاجتماعي ، ما تعليقكم على هذا التشخيص ؟

- إنني أوافقك فيما قلت عن أزمة التنظير في علم الاجتماع ، وعن معاناة فلسفة المنهج فيه من التخلف النسبي بالقياس إلى طرائق البحث وأساليبه ، ووسائل جمع البيانات وأدواتها التي تحقق لها تقدماً كبيراً ، ولكن الجدل حول هذا الموضوع في العالم العربي قد انحصر بين مدرستين فكريتين ، إحداهما كيفية ، شغلت بما أطلقت عليه عبارة « التنظير الشاسع » ، والأخرى كمية ، عنيت بما أسمته « التنظير المحدود » ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل تجاوزه إلى التراشق بعبارات نقد قاسية ، فالكيفيون يتهمون الكميين بأنهم مصابون باستحواذ الكم وهوس الأرقام ، والكميون - من جانبهم - يتهمون الكيفيين بأنهم كقراء الحظ في فناجين القهوة وفي الكرة البللورية ، أما القول الفصل فهو أن كلا من التنظير الكيفي والتنظير الكمي لازم لإثراء علم الاجتماع وتقدمه ، ولكن قدرة الباحث تبرز في اختيار التنظير المناسب للموضوع ، واختيار الطريقة المناسبة له ، ثم وسيلة جمع البيانات المناسبة ، وقد يحتاج الأمر في بعض المشكلات البحثية إلى استعمال التنظيرين معا ، كل واحد منهما في دائرته ، واستخدام أكثر من طريقة للبحث ، وأكثر من وسيلة وأداة لجمع البيانات

والأمر الذي يجب الانتباه إليه فيما يتعلق بفلسفة المنهج في علم الاجتماع هو أن الذي ينقص المعنيين به تدريسا وبحثا ينحصر في العلم . باستخدام القياس ، والاستقراء ، والاستنباط ، والاستدلال ، في منظورات اجتماعية والتراث الاجتماعي العربي حافل بمصادر كثيرة ، ومتنوعة حول هذه العمليات المنطقية التي هي أساس فلسفة المنهج في علم الاجتماع ، والتي إن ألَمّ بها المعني بهذا العلم سهل عليه التنظير ، واستطاع أن ينأى بنفسه عن التبعية الفكرية للعلماء الأجانب ، وأمكنه تقديم إسهام نظري ومنهجي أصيل للفكر الاجتماعي العالمي » □

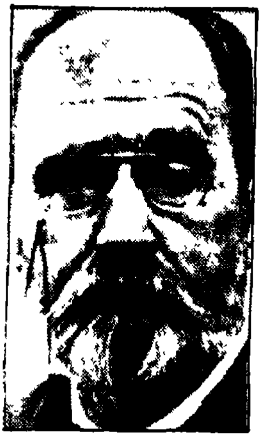

اميل زولا

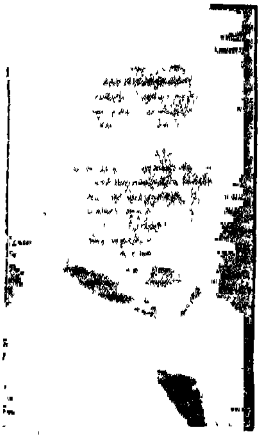

ادغار ديغا

اميل زولا

وادغار ديغا

خصومة الأديب والرسام

بقلم . خالد القشطيني

من مفارقات الحياة أن أقرب الناس أكثرهم نزاعا ، ولا مثال أصدق على ذلك من أهل الفن والفكر الذين نجد بينهم خصومات لا تقل روعة ومهزلة . ومن أشهر هذه الخصومات وأبدعها ، الخصومة التي استعرت بين الرسام ادغار ديغا والكاتب اميل زولا

عاش ديغا وزولا في أواخر القرن المنصرم في باريس ، وعلى مسافة لا تبعدهما كثيرا عن بعضهما ، وكانا قريبين فكريا في التقائهما في المدرسة الواقعية والطبيعية التي سادت عصرهما ، وأكثر من ذلك أن كل واحد منهما يعتبر قائدها في ميدانه ، زولا في الأدب ، وديغا في الرسم والنحت ، ولقد تمسك زولا بالواقعية والطبيعية تمسكا أعمى فنيا ونظر فكتب في « القصاصون الطبيعيون » (١٨٨١ « أن على الكاتب أن يعطي تحديداً دقيقا للمـ وتأثيره على الشخصيات كضرورة علميـ ضرورات القصة المعاصرة . » ، وأكد في الكتاب على أهمية الطبيعية في تأليف المسر

و جراحها .

وتأثر زولا باجتهادات عالمين ، الأول تاين الذي كـ كثيراً عن تأثير العرق والزمن والمحيط على تكوين الشخصية ، والثاني كلود برنارد الذي ناقش أفكاراً مشابهة في كتابه « مدخل لدراسة الطب التجريبي » (١٨٦٥) وبوحي الكتاب الأخير نشر زولا « القصة التجريبية » ، المؤلف الذي أصبح مانفستو المدرسة الطبيعية التي ركزت في تطبيق المدرسة الواقعية ، وبالغت في ذلك ، وعولت على استخدام العلوم ، أو ما كان يتصوره الناس علما

التقنية العلمية في الأدب

نصت هذه الآراء بضرورة الاعتماد على التقنية العلمية في الأدب والفن ، والتأكيد على التجربة والملاحظة ، كما دعى إليها كلود برنارد ، وتطبيقا لكل ذلك كرس زولا حياته لذلك العمل الملحمي الذي صور في عشرين رواية متسلسلة الحياة الباريسية في عهد الامبراطورية الثانية ، بكل سحها ومشاكلها وشقائها وضياعها ، ورسم صورا دقيقة للعاصمة « البونابارتية » بمواسمها وسمائها وجمال حدائقها وصخب شوارعها ، ولتوخي التصوير الدقيق الطبيعي للحياة عمد الكاتب إلى دراسة موضوعه كما لو كان عالما اجتماعيا يعد تقريرا لحكومته ، فالأرقام والاحصائيات والتقارير الرسمية والدراسات الموضوعية أصبحت عدة له

وعلى الطرف الآخر وقف ديغا ، يرسم لوحاته ويصنع تماثيله من نفس الأساس والمطلق ، وقلما فنان وقته وجهده لملاحظة موضوعه ودراسته واقعية ، كما فعل ديغا الذي اعتاد على قضاء ات طويلة مضنية في مراقبة موضوعه ونموذجه حظته ، ودراسته ، وإعداد عشرات المخططات شتى الجوانب والزوايا قبل أن يفرغه بالزيت اللوحة ، (قارن ذلك مما يفعله الرسامون ثون الذين يفرغون من الصورة في غمضة عين) ، وزيادة في ذلك أقام عدة منصات في « الاستوديو » على مستويات مختلفة ، تمكنه من ملاحظة موضوعه وتخطيطه من فوق ومن تحت ، ومن أي مستوى كان ، وطور أيضا المواد التي كان يستخدمها ، وطريقة مزجها ، ومن ذلك نضح « الباستيل » بالبخار ، بحيث يصبح كالزيت ، أو مزجه بالغلسرين ، ونحو ذلك ، مما يخرجنا عن نطاق هذه المقالة وقد فعل كل ذلك للحصول على أقرب تشابه مع الطبيعة

ادغار ديغا مشهور بين الناس بلوحاته عن راقصات « الباليه » ، ولكن قلما انتبه الجمهور إلى التعابير الأليمة التي كان يضعها على وجوههن ، لقد قضى هذا الرسام أشهرا وسنين في مدارس « الباليه » ومسارحها ، وفرق « السيرك » ، يراقب الفنانات والفنانين في ساعات التعب والسأم والألم ، فالراقصة عنده ليست مخلوقا ملائكيا ساحرا ، وإنما عاملة تكسب قوتها بعرق الجبين والمعاناة ، وتجلس وراء « الكواليس » ، تنتظر دورها عملا ، وهي تتثاءب ، ولا تحلم في شيء غير أن تكون في فراشها نائمة

عداء مستمر

كنا ننتظر من هذا الالتقاء في النظرة والمشرب أن يلتقي هذان الفنانان في جبهة واحدة ، لا سيما أنهما كانا يصوران في أكثر الأحوال نفس الشخصيات أيضا ، مثل عاملات « المكوى والغسيل » ، والراقصات والمومسات ، والعاملات والعاملين في السيرك ، وأبناء الطبقة « البرجوازية » المترهلة الخ ، ولكن ذلك لم يحدث ، وما حدث هو العكس تماما ، أي عداء مستمر ، وربما عاد هذا العداء نفسه إلى استعمالهما نفس الطريقة ، عملا بالمثل الشعبي « ديكان على نفس المزبلة لا يتصافيان » ، فبادر زولا أولاً إلى كتابة قصة « القطعة الرائعة » (الماستربيس) ، وفيها صوّر فشل الرسام في محاولة تصوير الواقع ، وأكد على أن الكاتب مما يستعمله من

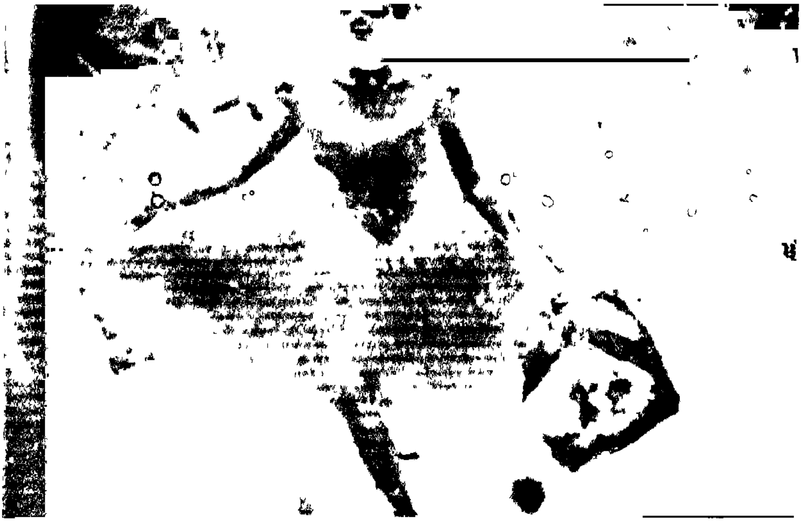

« الباليه » من اشهر اعمال ديغا ، ويوجد في احد متاحف باريس ، وقد رسمها عام ١٨٧٢

وسيلة الكلمة أقدر على التعبير والتصوير من الرسام ، وكان هذا تحديا واضحا لديغا ، فأشار بعضهم على زولا أنه يجب أن يستثنى من مثل هذا التعميم فنانا دقيقا في تصويره مثل ديغا ، لكنه أبى أن يستثنيه ، وقال « لا أستطيع أن أقبل بأن الرجل الذي يحبس نفسه طوال حياته لمجرد أن يرسم « فتاة باليه » يساوي في المنزلة والقوة فلوبير أو دوديه أو غونكور » ، وكان هذا التصريح أكثر من أن يستطيع ديغا عليه صبرا ، والحق معه ، لأن زولا كان مجحفا في حكمه لم يحبس زولا نفسه في « الاستوديو » ليرسم فتاة « باليه » ، لقد كان يجول ويصول في أنحاء باريس حاملا معه قلمه ودفتره ، يراقب ، ويدرس ، ويرسم ، ويسجل ما يراه وثار الرسام لنفسه عندما سخر من طريقة اميل زولا في دراسة الواقع من قراءة التقارير والأرقام والاحصائيات ، فقال انه يذكره بالرجل العبقري الذي يحاول دراسة المجتمع بقراءة دليل الهاتف وعندما نشرت قصة زولا « بهجة السيدات » في أمريكا (١٨٨٣) كتب ديغا إلى الناشر مقترحا عليه أن يضع في كل نسخة من الكتاب عينات من القماش و « الدانتيلة » التي لبستها البطلة ، وكان ديغا يستهزيء بذلك بمحاولة زولا تصوير الواقع بدقة ، فمهما أوتي القصاص أو الشاعر من عبقرية في الوصف فإنه لن يستطيع أن يباري فرشة الرسام في تصوير الشيء أو الشخص ، والظريف في قوله أنه هو في الواقع الذي استعمل القماش « والدانتيلة » في تمثاله « الراقصة الصغيرة » إمعانا منه في الطبيعية

واحتدمت المعركة بين الطرفين ، وتدخل فيها ادموند دي غونكور الذي وصف ديغا بأنه « رسام المومسات الساقطات » ورد ديغا عليه بسلاحه ، وهو فرشة الرسام ، فرسم غونكور بشكل شخص مدّع يحاول أن يظهر أمام الناس بمظهر « نابليون » وكتب زولا فقال « إن تخطيطات ديغا أحسن من لوحاته ، فهو يتلف لوحاته بضرباته الأخيرة ومحاولاته لانهاء الصورة » ، ثم سخر منه سخرية لئيمة فقال . « إنه ليس سوى فنان من الدرجة الأولى مصاب بالامساك »

والمدهش في هذه المشادة أن كلا منهما كان يعرف في قرارة نفسه أن الآخر عملاق من عمالقة الفن وكا اميل زولا من كبار النقاد الفرنسيين في الفنو التشكيلية ، ولم تغب عن ملاحظته عبقرية ديغا وكان ديغا ـ من جانبه ـ يقرأ روايات زولا وك فصول من الكتاب المقدس ، بل وقد قام برسم بعد

مشـ مد هذه الروايات لقد كان كل منهما يدرك مدى طبيعية وروعة إنتاج الآخر إلى الحد الذي جعلهما يسرقان من بعضهما ، وهناك أمثلة كثيرة للتطابق بين أشخاصهما ومشاهدهما ، لقد رسم ـ مثلا ـ ديغا خادمات المغسلة ، وصور حياتهن الكادحة في خمس لوحات في ١٨٦٩ ، ثم عرض هذه اللوحات في المعرض الانطباعي لعام ١٨٧٤ ، وبعد سنتين فقط نشر زولا قصة « دكان الدرام » التي وصف فيها عاملات المغسلة بشكل لا يترك شكا في أنه نقله أو استوحاه من رسوم ديغا ، وقد لاحظ نقاد آخرون تطابقا بين أعمال ديغا « صور في البورصة » وشخصيات رواية « الفلوس » لاميل زولا

مشهد غرفة العرس

وفي مثل آخر وجد النقاد أن صورة ديغا المعروفة « منظر داخلي » قد جاءت في الواقع كتصوير تشكيلي لمشهد غرفة العرس التي وصفها زولا في قصة تريزة راكوا التي نشرها بعنوان « زواج حب » ، بهذه الكلمات

« كانت هناك نار جيدة تتوهج في الموقد ، وترسل بقعا كبيرة من ضياء ذهبي ، يتراقص على الجدران والسقف ، ويضيء الغرفة بكاملها بإشعاع براق نابض ، وأمام هذا الضوء تضاءل المصباح ، واستحال إلى بصيص خافت أرادت السيدة راكوا ـ عمة تريزة ـ أن تجعل الغرفة جميلة وناعمة ، وكل شيء فيها في بياض مضيء وعاطر كعش لغرام فتى بكر ، لقد طاب لها أن تزين الفراش بقطع إضافية من « الدانتيلة » ، وأن تملأ المزهريات على رف الموقد بباقات كبيرة من الورد ، وهناك تجلس تريزة على كر ي واطىء إلى يمين الموقد »

ن معظم ما ورد في هذا الوصف قد لقي ما يقابله لي ورة ديغا « منظر داخلي » ، وقد أضاف الرسام مر خياله ما يكمل ـ في الواقع ـ السرد القصصي وا العام للرواية ، ومن ذلك « الكورسيه » الملقاة على الأرض ، القبعة العالية الرجالية ، والشال النسائي على السرير

هناك كثير جمع بين هذين الفنانين ، لكن ما الذي أثار بينهما هذه البغضاء والمشاحنة ؟

وأشار بعضهم إلى الخصومة التقليدية بين الفنون الأدبية والفنون التشكيلية ، بين القلم والفرشاة ، بين الكلمة والخط ، لكني لم أجد ذلك التفسير مقنعا ، وكأحد الممارسين للسياسة وجدت التفسير الوحيد في إطار السياسة ، إذ لم يكن زولا فرنسي الأصل ، وإنما انحدر من عائلة إيطالية ، هاجرت إلى فرنسا في صباه ، ونشأ يتيما ، وعانى كثيراً من الفقر والحرمان والتشرد ، وقد أعطاه كل ذلك شعورا بالقلق والنقمة على المجتمع ، والتعاطف مع الحركات « الراديكالية » ، وقد نظر إلى المدرسة الطبيعية من الزاوية الاجتماعية ، كما ينظر إليها في أيامنا هذه النقاد السوفييت والاشتراكيون واليساريون عموما

وعلى نقيض ذلك انحدر ديغا من أسرة « برجوازية » مترفة ، ذات أصول فرنسية عريقة ، ولذلك لم يتجاوب مع الحركات الثورية والاصلاحية في زمانه ، بل لقد نظر إلى المدرسة الطبيعية كما ينظر أبناء « الارستقراطية الأوروبية » وأساتذة « السوربون » و « اكسفورد » و « كيمبردج » إلى حياة البدو و « الاسكيمو » ، وبنفس الحرص على الدقة والموضوعية ، وقد تجلى هذا الاختلاف في النظرة في موقف كل منهما حيال القضية الشهيرة المعروفة بقضية « الكابتن دريفوس » ، فبينما ثار زولا على الظلم الذي أحاق بهذا الضابط اليهودي ، وصال وجال لاثبات براءته انضم ديغا إلى « البرجوازية » الفرنسية في تجريم الضابط ، ونظر باحتقار إلى محاولات زولا لاثبات العكس

وأنّ كان سبب نزاعهما فقد جاد علينا هذا النزاع بفرص فريدة ، تفرجنا فيها على موكب العظماء ، في ساعات ظريفة من ساعات عراكهم ومهاتراتهم . □

Dr. Zakir Husain Library
Jamia Nagar
New Delhi

أرقام

بقلم : محمود المراغي

تحت الصفر

أطلق الاقتصاديون كلمة « معدل النمو » كتعبير موجز عن حالة الاقتصاد ومدى تقدمه ولكن ومع الارقام الاخيرة للبنك الدولي ، يبدو اننا بحاجة الى مصطلح جديد اسمه « معدل التراجع »

يسجل اطلس البنك الدولي الصادر عام ١٩٨٧ بعض المؤشرات الأساسية لحالة العالم في اثني عشر عاما ، تنحصر بين ١٩٧٣ و ١٩٨٥ وفي حالة متوسط دخل الفرد ، أو نصيبه من الناتج القومي تصدمنا المفاجأة ، فهناك ٣٩ بلدا اصبح نموها « تحت الصفر » وبعضها - مثل نيكاراجوا وزائير وغانا وليبيا ونيجيريا والسلفادور ومدغشقر بلغ فيها معدل التراجع نسبأ تتراوح بين ٢ / و ٤ / كل عام

ورغم أن معدل النمو لم يعد المؤشر الوحيد على ارتفاع مستويات المعيشة ، ورغم أن نظرية جديدة قد فرضت نفسها ، واعتمدت على ما يسمى اشباع الحاجات الأساسية ، كالمأكل والصحة والسكن والتعليم . واعتبرت أن مؤشر النمو شيء أصم اذا لم يقترن باشباع الحاجات وبعدالة توزيع الدخل رغم ذلك فان نسبة النمو تظل مؤشرا رئيسيا على أي حال .

نحن إذن امام حالة يقف فيها جزء كبير من هذا العالم على عكس ما نظن أنها حركة التاريخ واصبح واضحا أن التاريخ لا يسير دائما للأمام ، وان التقدم ليس حتمية تاريخية تحدث بالتقادم او مضي الزمن !

هذه الحقبة . . هذه الدول

في التفاصيل تستوقفنا الارقام واسماء الدول

٣٩ دولة ليست عددا هينا ، بل إنه عدد يقترب من ربع ما ادخله البنك الدولي في دراسته والبالغ قدره (١٨٤) دولة

كما أن عدد سكان هذه الدول ليس قليلا انه يقترب من (٣٧٧) مليون نسمة . أي ان هذه الملايين كلها تعاني - على الارجح - من تراجع في مستوى المعيشة ، وعلى مدى فترة زمنية تتجاوز الحقبة

هنا نتوقف عند العديد من الامور

أولها ، إن معظم الدول التي اصبح معدل نموه تحت الصفر ينتمي لما يسمى العالم الثالث وبالتحديد . افريقيا وامريكا اللاتينية ، الامر الثا أن الفترة الزمنية موضع الدراسة هي الفترة التي تـ

· ا سميناه ثورة النفط ، وقد اعقبها ومنذ عام ١٩٧· ارتفاع في اسعار المواد الاولية ـ عدا النفط لبضع سنوات ـ وتأثر الكثير من الدول النامية التي واجهت عجزا شديدا في موازين مدفوعاتها مع العالم الخارجي ، وانكماشا في تجارتها وارتفاعا في مديونياتها

لقد استطاع العالم الصناعي أن يحتوي الصدمة النفطية الاولى والصدمة النفطية الثانية وبينما بدأ حولته بالتكيف واعادة التوازن ، انهى الجولة بالهجوم على سلاح النفط ذاته وتجريده من ميزته النسبية التي رفعت الاسعار عدة سنوات

في نفس الوقت ، كانت الدول النامية تسير ـ في معظمها ـ في خط آخر ، فعبر البعض أزمته ، وعجز البعض عن ذلك ، وكانت النتيجة سالبة

ولكن لم تكن ثورة النفط ورد فعل الدول الصناعية ، وحصار المواد الأولية تمثل كل أسباب الأزمة

فهناك الزيادة السكانية للبلدان النامية التي كانت تقل عن ١٪ سنويا قبل الحرب العالمية الاولى ، فأصبحت ٢,٤٪ منذ عام ١٩٥٠ وحتى الآن وتضاعف عدد السكان من مليار الى مليارين بين منتصف القرن وعام ١٩٨٠

في نفس الوقت زاد سكان الحضر من (٢٥٠) مليون نسمة الى (٨٠٠) مليون نسمة في ثلاثين عاما ، ويبدو أن تكلفة ذلك كانت اكبر من عائده ـ ووسط هذا المسار التاريخي الذي زادت معه اعداد السكان واعداد المتجهين للحياة في الحضر جاءت سنوات الاخيرة بصدمات ابرزها الجفاف ·الجوع والتصحر قلت الامطار وانحسر اللون خضر من مساحات غير قليلة ، وبينما كانت بلدان الهند تعلن الثورة الخضراء كانت الطبيعة في اقع اخرى ـ معظمها افريقي ـ تعلن الثورة سادة ، بتحويل مساحات غير قليلة الى أرض ء غير صالحة للزراعة

. . . ملاحظات اساسية

في التحليل يمكن أن نقف عند ما نسميهم « الأفقر في العالم » وهم الذين لا يتجاوز دخل الفرد منهم دولارا وبضع سنتات في اليوم ، اي ان متوسط دخلهم يقل عن (٤٠٠) دولار في العام ، وسوف نجد تطابقا بين العديد من دول هذه المجموعة وبين من يسجلون معدلا للتراجع ، أو معدلا للنمو ، اطلقت عليه المؤشرات الاحصائية كلمة « تحت الصفر » وسوف يصدق ذلك بالنسبة لدول مثل اثيوبيا وزائير وافريقيا الوسطى وغانا وسيراليون

مع ذلك فان التراجع ليس مقصورا على الفقراء أو الاشد فقرا، فهناك دول نفطية اصابها نفس الشيء مثل ليبيا والامارات العربية بسبب تراجع اسعار النفط كذلك فان التراجع ليس متصلا في كل الاحوال بفقر الموارد ، فنيجيريا ليست اقل موردا من سنغافورة ، والارجنتين ليس اقل حالا من هونج كونج ، ومع ذلك فان نيجيريا والارجنتين يدخلان في مجموعة « تحت الصفر » ، وسنغافورة وهونج كونج والصين وبتسوانا يسجل كل منها معدل نمو يزيد عن ٦٪ سنويا

هل تتصل الظاهرة اذن بادارة الموارد وليست بما تمتلكه الدولة من موارد ؟

الاجابة الصحيحة أن العوامل تتدخل وان كانت السياسة الاقتصادية تلعب دورا حاسما كما أن بصمات الاقتصاد الدولي ووطأة الظروف الطبيعية تلعب كلها ادواراً بنسب مختلفة

وايا كان السبب ، أليس ملفتا للنظر ـ مع التقدم الهائل في العالم ـ أن يكون التقدم في ٣٩ دولة الى الخلف ؟

الامر بحاجة الى دراسة ، فالتقدم للخلف يعني تدهوراً في نصيب الانسان من الحياة ، ابتداء من حبة الطعام الى الامتار التي يحتلها في مسكن أو مقبرة ! □

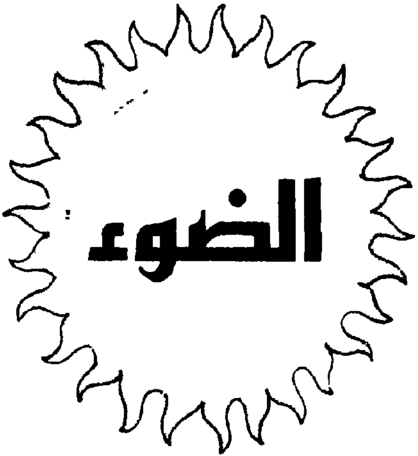

الضوء وسلوك الإنسان

بقلم الدكتورة : أمل علي المخزومي

هل للضوء تأثير على سلوك الانسان ، وتصرفاته ، ونشاطاته ؟ اختلف الباحثون في هذا الأمر ، وذهبوا مذاهب شتى ، لكن تعاقب الليل والنهار ، وبزوغ الشمس ، وظهور القمر ، يبين لنا الحكمة من وراء ذلك ، ويعطي بعض الأجوبة .

تعتمد الحياة على ثلاثة أسس ، هي الهواء والماء والشمس ، إذا فقد الانسان عنصرا منها يختل التوازن ، وتتعذر الحياة وللشمس دور كبير في تنظيم الحياة العملية للأفراد . يكد الانسان طوال النهار ليخلد للراحة ليلا ، وقد سارت على هذا النظام جميع المخلوقات تقريبا ، وقد جعل الله النهار أكثر حيوية من الليل بالشمس ، بما لمفعول ذلك النور الذي يضفي على الانسان والمخلوقات الأخرى الحيوية والنشاط ، تمد الشمس الأرض بالحرارة وهذه بدورها تساعد على ادامة الحياة ، فلو لم تكن الشمس لجمدت الأرض وبالتالي استحالت الحياة ،

العين البشرية .

تؤثر أشعة الشمس على تركيب العيون ولونها ، فتتميز عيون الشعوب التي تسكن في المناطق القريبة من أشعة الشمس بسواد العيون ووسعها ، أما البعيدة عن أشعة الشمس فتتميز بعيون ملونة ، أو شديدة الزرقة

تكون العين البشرية حساسة لموجات الضوء ا ي لا تقل عن ٣٥٠ ولا تريد عن ٧٥٠ جزءا من بل من الأمتار الضوئية ، كما تستطيع العين تميز الط الشمسي ، وذلك بواسطة المستقبلات الموجود ي شبكية العين ، وتحتوي هذه الشبكية على حوالي ٥ ١

ـ ١٣ مليون مستقبل ، مهمتها استقبال الموجات الضوئية ، وإرسالها الى المخ ، وبذلك يستطيع المخ تمييز الألوان لا تتصل المستقبلات بالدماغ مباشرة ، بل تعطي إشارات كهربائية الى نوعين من الخلايا ، هما الخلايا ذات القطبين ، والخلايا ذات العقد ، وهما ما نسميها المستقبلات المخروطية والضوئية ، وللمستقبلات المخروطية قدرة على النظر في الاضاءة الجيدة ، ورؤية الأشياء الصغيرة والكبيرة بالتفصيل ، كما تستطيع تمييز الألوان بشكل واضح ، وتنقسم المستقبلات المخروطية الى ثلاثة أنواع ، يمكنها تمييز الطيف الشمسي ، بيد أن منها ما يكون حساسا للون الأزرق ، وما يكون حساسا للون الأخضر ، أو حساسا للون الأحمر ، أما المستقبلات العصوية فإنها تقوم بمسؤولية النظر في العتمة ، لكنها لا تستطيع التمييز بين الألوان

تأثير الضوء على الانتاج .

تستلم الموجات الضوئية من مختلف المصادر ، كالشمس ، والمصابيح ، والشموع ، والأجهزة الالكترونية وللضوء آثار نفسية وجسمية ، وله تأثير على الانتاج اليومي للفرد

هناك دراسات عديدة أجريت لمعرفة مدى تأثير الضوء على إنتاج الأفراد ، اضافة الى تأثيره على العلاقات القائمة بينهم ، وعلى سبيل المثال هناك دراسة قام الدارسون فيها بمراقبة سلوكيات الأفراد ، تحت نسب مختلفة من الضوء ، فوجدوا بأن انتاج النساء يزداد عندما تكون هناك نسبة عالية من الضوء ، وتعليل هذه الظاهرة هو أن النساء يشعرن بأـ مراقبات في ظروف الضوء الساطع ، وهذا ما ـفعهن الى زيادة انتاجهن ، وقد تكون الزيادة ـ الراحة النفسية التي تشعر بها المرأة في الضوء الـ لمع ، ذلك بأن المرأة ترغب في تسليط الأضواء عـ ، لاظهار محاسنها ، وزينتها التي صرفت وقتا طـ لاعدادها ، وهناك دراسة أخرى أظهرت نتائج ايجابية على انتاج الأفراد في أداء أعمالهم في ضوء الشمس ، والسبب هو أن ضوء الشمس أكثر راحة للعين والجسم ، لهذا دأبت الشركات على إنتاج مصابيح تحاكي ضوء الشمس ، لكن يبدو أن للضوء تأثيرا متباينا على الأفراد من مختلف الأعمار ، فقد ذكرت الباحثة جين واين بأن الضوء الساطع أكثر تأثيرا على الأفراد في سن ٢٥ سنة ، مقارنة بالأفراد البالغين ممن هم في سن ٤٥ سنة ، كما أن ضوء المصابيح الساطعة يؤدي الى انعكاسات عديدة على سطح الأجسام ، مما يؤدي الى ارهاق العين وتعبها ،

العين البشريه

ومن نتائج الاستفتاء الذي قامت به جين أن الأفراد ذكروا بأن الضوء الذي يحاكي ضوء الشمس في نسبته هو الأحسن والأفضل للعين ، كما يضفي ضوء الشمس على الانسان الشعور بالراحة

طومسون نيلسن ، وماركريت جونسن من جامعة البرتا وجامعة جزيرة الأمير ادوارد ، لم يؤيدا الرأي القائل بأن الضوء الساطع يؤثر تأثيرا ايجابيا على الانتاج ، بل أشارا من خلال تجربتهما على الطلاب ، بأن الطلاب قد ذكروا أن الضوء الساطع يؤدي الى التعب الشديد ، مما يؤدي الى ضعف انتاجهم ، إضافة الى الشعور بالضجر من شدة الضوء

الضوء والشاعرية

لموقع المصابيح أثر على الراحة والهدوء والشاعرية ، فالأشخاص الجالسون حول منضدة عليها ضوء أكثر تفاعلا ، كما أن الضوء الخافت يضفي على المكان جوا من الشاعرية والتفاعلية ، لهذا نجد الأماكن الليلية والنوادي تستعمل الضوء الخافت الذي يؤدي الى راحة الأعصاب ، وبالتالي نجدهم يتكلمون فيما بينهم بصوت خافت ، مقارنة بالأماكن الأشد إضاءة ، كما أن وضع المصابيح على الحائط أو خلف الستائر يضفي على المكان راحة وهدوءا وشاعرية ، واذا كان جانب من الغرفة مضيئا والآخر معتما أدى الى الشعور بضيق تلك الغرفة

أثر الأجهزة على العين .

للأشعة الصادرة من التلفاز والأجهزة المرئية التي تتميز بطول الموجات الضوئية أثر كبير على أعصاب العين ، ويؤدي جلوس المرء أمام تلك الأجهزة فترة طويلة وبمسافة قصيرة الى تشبع العين بهذه الأشعة ، وعندما يغلق المرء عينيه يشعر بوجود هذه الأشعة التي تبقى فترة من الزمن ثم تتلاشى ، وهذه الظاهرة شبيهة بظاهرة التحديق في المصباح مدة طويلة ، مثلما يلاحظ الفرد عندما يكون في مكان مضيء ثم يدخل فجأة في مكان متوسط العتمة ، فإنه لا يستطيع رؤية الأشياء الموجودة في ذلك المكان

الضوء ومرض الكآبة :

يتكيف جسم الانسان مع البيئة الخارجية ، والضوء شيء منها وتلعب الغدة الصنوبرية دورا مهما في هذا التكيف ، وهي تقع تحت سطح المخ وعند قاعدته ، وتفرز هرمونا يسمى ميلاتونين **Melatonin** ، يزداد هذا الافراز كلما تلاشى النهار وقصر ، فتكون الافرازات في الشتاء أكثر من الصيف ، ويمكن قياس حساسية المرء للضوء من خلال كمية الهرمون الذي يفرز ، فكلما زاد الهر أعطى الجسم اشارات لمرض الكآبة الانسان بضيق يشبه الكآبة عند الغروب ، والسبب هو إفرازات تلك الغدة وقد اتخذت طرق علاجية الكآبة باستعمال نسبة عالية من الضوء ، بمعدل أضعاف الضوء المستعمل في المكاتب ، وذلك لعلاج المصابين بالكآبة يوميا ، فيشعر المريض نتيجة لذلك بالراحة وزوال المرض

أشار الباحث دانيال كربك بأن مرض الكآبة يزداد في الشتاء أكثر من الربيع ، لأن ليل الشتاء أطول ونتيجة لذلك يتعرض الانسان الى فترة أقل للضوء ولو قارن دانيال بين الشتاء والصيف لكان أكثر دلالة ، وقد يكون لبرودة الشتاء بشكل غير مباشر اثر في مرض الكآبة ، لأن الانسان يقبع في البيت فترة أطول طلبا للدفء ، أما في الفصول الأخرى فانه يذهب الى أماكن التسلية ، كالسباحة ، والتنزه في الحدائق ، وزيارة الاصحاب ، مما يضفي على تلك النشاطات والعلاقات الاجتماعية نوعا من الراحة والاستجمام الذي يبدد الشعور بالكآبة

هناك طرق علاجية أخرى استعملت في المستشفيات لعلاج الأطفال المصابين بالاعياء ، أو صعوبة الوقوف ، أو الشعور بالكآبة والحزن ، واستعملت لعلاج الأطفال سريعي التهيج والبكاء دون سبب واضح ، إضافة الى استعمال الضوء لعلاج الأرق والقلق استعمل الضوء الأخضر والأزرق لتخفيف مرض الكآبة ، وكانت نتائج تلك الاستعمالات جميعها ايجابية ، واستعمل الضوء الأزرق لعلاج المولودين حديثا المصابين بمرض اليرقان ، وذلك بعمل حمامات مضيئة بالضوء الأزرق ، إضافة لاستعماله في علاج الأطفال المصابين بتسمم الدم

قام الباحث روبرت بتجربة في لوس انجلوس لقياس أثر الضوء على الأفراد من الناحية النفسية وطلب من طلابه أن يتخيلوا لونا معينا للضوء الذ

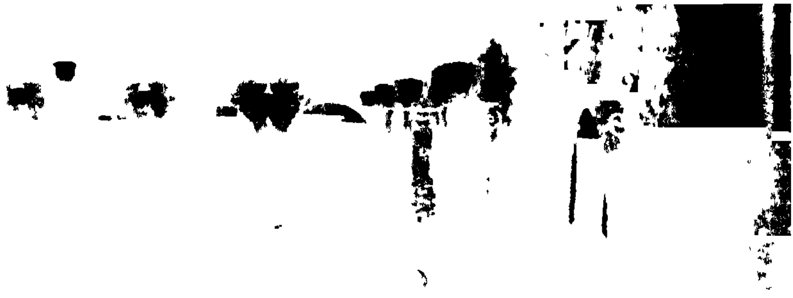

يضفي اللون على الجميع الهدوء والسكون

يرغبون فيه ، ولم يذكر بعض الطلبة لونا معينا ، فاقترح عليهم أن يتخيلوا اللون الأزرق أو البرتقالي ، وطلب من الجميع أن يتخيلوا أنفسهم في حمام مضيء بالألوان التي تخيلوها ، وسمح لهم برؤية الضوء الذي تخيلوه ، وسألهم فيما بعد عن شعورهم ، فاتفقت الاجابات على أنهم شعروا بنوع من الراحة ، فوجد أن رؤية الضوء لها أثر أكبر من الاستعمال الحقيقي للضوء ، وأيده في ذلك الباحث هارس من خلال نتائج الاستفتاء الذي قام به على بعض الموظفين ، فوجد أن ٨٥٪ منهم قد ذكروا بأن للضوء أثرا على راحتهم وإنتاجهم اليومي

هناك أوقات يؤثر التطلع فيها الى أشعة الشمس تأثيرا كبيرا على أعصاب العين ، كوقت الغروب الذي قد يؤدي الى اصابة العين بأمراض عديدة ، وقد وجد الباحثون بأن التعرض الى أشعة الشمس فوق البنفسجية يؤدي الى تغيير لون الجلد وطبيعته ، وقد يؤدي الى الاصابة بمرض سرطان الجلد ، لهذا ينصح الأطباء الأشخاص المعتادين على السباحة ، والجلوس ساحل البحر أن لا يطيلوا التعرض الى الشمس صة في ساعات الظهيرة

ضوء والسلوك :

ختلف تأثير الضوء على سلوك الأفراد باختلاف ان ، فاللون الأحمر والبرتقالي يشعران الفرد ارة والدفء أكثر من اللون الأزرق ، أما اللون الأخضر فإنه يعين الفرد على التركيز

يستعمل الانكليز اللون الأخضر في غرفة العمليات ، فلون الجدار والشراشف والمناشف جميعا في المستشفيات هو اللون الأخضر ، كي يساعد الطبيب الجراح على التركيز في وقت اجراء العملية ، وهناك بعض المدارس تستعمل لوحات الكتابة المطلية باللون الأخضر لنفس السبب

قام بعض علماء النفس الانكليز بتجربة ، وذلك بأخذ ٢٨ طالبا الى حانة لعب القمار ، وقسموا قسمين ، قسم يلعب في غرفة مضاءة بالضوء الأحمر ، والآخر في غرفة مضاءة بالضوء الأزرق الفاتح ، فوجدوا أن المجموعة الأولى كانت تقامر أكثر من المجموعة الثانية ، لهذا نجد أصحاب الحانات يستعملون الضوء الأحمر لدفع الأفراد الى المقامرة كي يخسروا أكثر .

أما اللون الأبيض فله أثر على شعور الأفراد قام باحث سويدي بتجربة على ١٢ ملاحا في السفن والبواخر الكبيرة ، وذلك باستعمال اللونين الأبيض والأحمر ، فوجد أن الملاحين لا يميلون الى اللون الأحمر ، وإنما يفضلون اللون الأبيض ذكر بعضهم انهم يلاقون صعوبة في ايجاد الطريق عندما يستعملون اللون الأحمر نلاحظ انتشار اللون الأبيض في الملاحة ، ثم يليه اللون الأزرق ، وقليلا ما يستعمل اللون الأحمر لنفس الأسباب المذكورة . □

[illegible] .. لن [illegible]

إلى صديقي الشاعر الذي مضى . . .

شعر/ عزت الطيري

(١) (ابتداء)

قمرٌ أمْ ندى   نجمةٌ أمْ شذى
وردةٌ أمْ صهيل   دمعةٌ أمْ هديل
مطرٌ أمْ دماء   أيهذا المساء ؟!
أيهذا الفتى الفوضوي المعبأ
بالحزن والأمنيات !
أنتَ علَّبتنا بالبكاءِ الجميل ،
على مهرة المستحيلْ
أنتَ أرهقتنا بحساباتك الخائباتِ
حينَ يسقطُ من كفِّكَ النردُ ،
حين يذبلُ في حقلك الوردُ ،
حين يلسعك البردُ ،   حين تنكرك الفاتناتُ
وقد كنت أشجيتَهُنَّ بدمعكَ ،
قلَّبتَ في صدرهنَّ المواجعَ ، عند ابتداء الغناء
مرةً . . قلتَ لن نلتقي !!
مرةً قلتَ لن أكتبَ الشِّعرَ ، لن أرشقَ الوردَ
فوق جبين البنات
والتقينا كثيراً ،   غير أنَّ الهوى فاتنا ،
والمحطات بدَّلت اللافتاتْ   وتهنا كثيراً ،
وعُدنا لتسبقنا الحافلاتْ

(٢) (شهادة أولى)

كان يأتي إلينا   مثقلاً بعذاباته ،   حاملاً تعبا
وفوضاهُ في كفهِ   موسماً من حنينْ ،   ثم يجلس
يشرب قهوتَهُ ،   ويقلِّب أوراقَهُ
باحثاً عن صحابْ ،   وعن إخوةٍ طيبينْ ،
وعن بيتِ شعرٍ جديدْ ، وعن أغنياتٍ ،
تفتش في ظمأِ الروحِ ،تروي أخاديدَ قلبٍ حزين .
كان يعرفنا واحداً واحداً ،
ثم ينكرنا   واحداً   واحداً ، ويَمضي
لتسبقه موجةٌ مِنْ جوًى ، وعصفورة هَرَبَتْ فجأة ،
لتحطَّ على وجههِ المتألقِ   كالياسمين !

(٣) (شهادة ثانية)

ضيّقٌ وقتهُ ،   ضيّقٌ سربُ أيّامهِ ،
(وعيناه واسعتان) ،   واسعات سماواتهُ ،
كان يقبضُ أحزانَهُ ،   ويقيِّد أشجانَهُ ،
ثم يطلقُ أطيارَهُ   في الفضاءِ البعيد

مَنْ يعيدُ الفتى ياصحابْ ؟
مَنْ يعيدُ المُحبَّ الجسورَ لأحبابهِ ؟
مَنْ يعيدُ الغناءَ لعرسِ البناتِ ؟

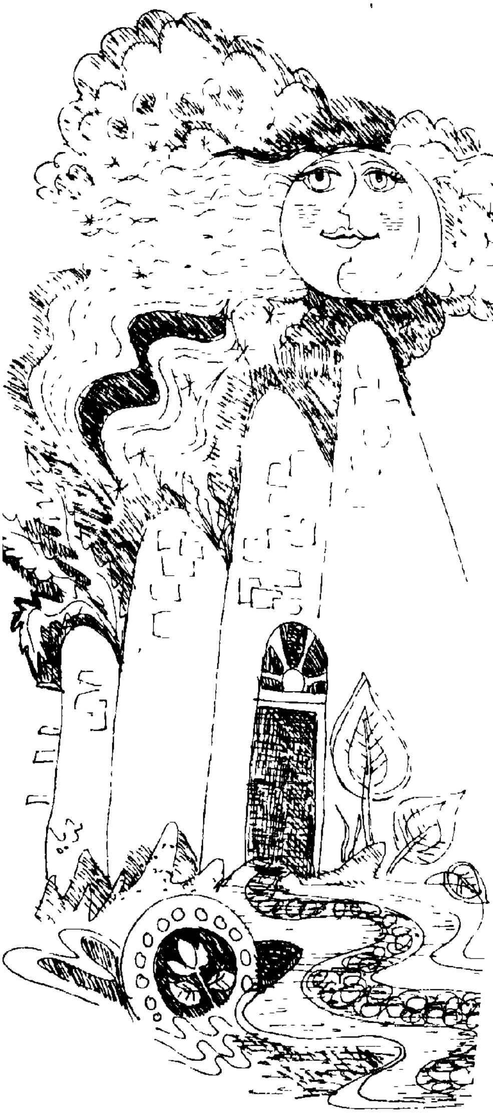

مَنْ يعيدُ الغزالاتِ للسهلِ ؟
مَنْ يعيدُ الفراشات للحقلِ ؟
مَنْ يعيدُ الربيعَ لأشجارِهِ ؟
مَنْ يعيدُ الفتى الفوضويّ
لأمّ بَكَتْ ، وارتَمَتْ تحت أقدام آثارِهِ ؟!

(٤) (انتهاء)

لن يعودَ الفتى ياصحاب ،
ربما يشربُ الآنَ قَهْوَتَهُ في مكانٍ قَصيّ ،
احثاً عن قَمَر ، وعن وجه طفلٍ نقيّْ ،
وعن فاتناتٍ ، يقلنَ كلاماً جميلاً
وعن مستحيلٍ شهيّْ ربما ربما
ربما يشعر الآنَ أنَّ الطريقَ الذي كادَ
سلك صعبٌ ، وأنّ الممراتِ جَدْبٌ ،
نّ الصديقَ احتفى بالعدوِّ ،
نّ العدوّ اختفى بالصديقِ ،
نَّ الطريقَ بعيدٌ ، وأنَّ البعيدَ بعيدٌ .
ربما ولكنّه لن يعودْ ولكنّه لنْ يعودْ

إعراب في البدن !

بقلم الدكتور محمد حكمت عبدالدائم

ترى لو كان لكل جملة مبنية معنى، فما معنى مبناك؟ وإن كان لكل كلمة مغزى، فما مغزى أحشائك؟ وإن كان لكل عضو تأويل، فما تأويل أعضائك؟ وإن كان لكل اسم دلالة، فماذا أحدثت أسماؤك؟ وإن كان لكل مثل عبرة، فما عبر أمثالك؟

أما العقل فهو تعقل لتتدبر، ومتى عقلت فتوكل، فلولا العقل والعقال لاستحال كل مقال، لأن أصل القول الربط بين الاسم والخبر، وبين الفعل والفاعل والعقال هو الحبل الرابط، والعقل هو الاستمساك، وأنت حين عقدت الأمر اعتقدت، فعقلت ثم تقولت، وحددت المعنى ثم توكلت، ولو انفرد العقل دون التوكل، والقول دون المعنى لاختل المبنى على كل تدبير، وما كان ليصح أما التوكل دون تعقل فلا يحدث أصلاً، إذ علام تتوكل، وفي أي مبنى يتجلى المعنى؟ يولد العقل مخفياً، ثم يستنير فينمو فيتدبر، ثم يغشاه حُسبان الأيام فيخسف به

أما القلب فهو الباطن في يسارك، يتقلب كالدم مع كل نبضة في وريد وارد إلى شريان شارد، كل ساعة هو في حال، شغوف ملتف بالشغاف، فؤاد مفتتن بهواه، فما صدر عنه صدر في شريان نابض مندفع هي مضغة القلب تسري قوتها في جميع أوصالك فتحييها، فإذا صلح صلح الجسد كله، وإذا فرح طرب لفرحه الجسد كله، وأما الغضب فهو جمرة توقد في قلب ابن آدم، ألم تروا إلى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه

واللسان هو الرسول الترجمان، ينطق بهوى القلب، وبدفقه النابض، وباسم العقل وبعقله الأمر، وهو في الوسط بينهما يشهد عليهما، كلسان الميزان، فما تكلم إلا بكليهما، من العقل الأمر والفصل، ومن قلب الصدر الصدور فمن ادعى أن اللسان من العقل وحده فقد تعالى في دنياه، ومن ادعى أن اللسان من القلب وحده فقد تهاوى في هواه، وأما من أتقن صنعته وعدل ميزانه فقد أحسن مبلغه وأتم ترجمته ووفّى رسالته

وكان السمع حركة من أنفاس صدرية، في أشكال شفوية، فتموجات هوائية، في محّارة أذنية، ثم في باطن الأذن احتلاجات عظمية، ثم في النفوس طرب واهتزاز، أو اضطراب ورَجَفان فثقل الحركة له في الأذن وَقْر، وثقل الحركة له في النفـ وَقار

ثم كان البصر للاهتداء، والبصيرة للاستهدا فالعين أم البصر، والنفس أم البصيرة، والـ واسطة العين إلى البصر، والقلب واسطة النفس

البصيرة ، ومرص العين غشاؤها ، ومرض القلب كاله ومبل العين حَوَلُ في البصر ، وميل القلب عوح في البصيرة

وفي الوحه الجبهة ، والحبيان ، والحاحبان المتوثبان ، والعينان الحيتان ، والحدان المتوردان ، والأنف الأنوف ، والفم الحلوف والجبهة مقدمتك وحركتك ، إدا فوحئت انصمتْ وانحرفتْ ، وإن هممت انجرتْ وانعقدتْ ، وإن تيسّرت استرحتْ وسكنتْ والعينان حيّتان توسعتا وعدقتا عند الشدة ، واستحيتا عند المدلة ، واحتجتا بانثنين متوثّبين حاجبين عند الرهبة، ودبلتا عند التعب ، وارتكتا عند الحيرة والأزمة ، فهما عينا حالك ، وراويتا ماڤي بالك

والحدّان المكمان ، فيهما يتجلى القلب احمراراً لبشرى أو شحوباً لنبأ ، وفيهما تتحلى النفس استدارةً لانبساط فيها ، أو تكرراً لتوتر يروعها ، أو هبوطا لهمود يتغشاها والجبينان المُعْرصان ، والأنف الأنوف في الرَعام ، والفم الحلوف في الصيام ، كل هدا للوحه ، لدا توحه له النظر والانتظار ، وتوجب له الاحترام والاعتبار ، وانفرد بعظيم مناه ، وبتجلي معناه ، فهو صفحة الانسان ومحلاه

والرحم في الحوص ، والانسان على الأرص إذا استحاص ماء الرحم فهو الحيص ، وإن استحاص ماء الأرص فهو الفيص الرحم موضع الخلق ، والرحمة تعاطف بين الخلق فالرحم مقر لخلق وانفطار ، والأرص دار تخالق واعتبار لدا استوحب كل ابن رحم الرحمة ، وكان في كل كبدٍ حرّاء أحر

فإدا رماك النعاس فأنامك ، كان نومك كالبررخ بين اليقظة والحلم ، والحلم رؤيا انفرد بها النائم ، واليقظة رؤية أجمع عليها الأنام ، في الحلم غلبة عليك ، وفي اليقظة غلبة لك ، وفي كليهما حياة وانفعال للنفوس والألباب ، لدا كان النوم سباتاً بين حياتين ، ومررحاً بين عالمين ، وظلمة بين نورين ، نور اليقظة الترابية ، ونور الرؤى الخيالية

والكل في الكل إنسان ، وكلنا أنام ولا مفرد لنا نحن الورى على الأرص ، فما أورثنا إلا أنفسا ، التبسنا البشر لبوساً وتلونّا لكل بُشرى ، أم ورَيْنا أنفسنا وَرْياً كما يري القيح حوفه ؟ بل الانسان تراءى لنفسه في سواد نفسه ، فسمي إنسانا ، كالمثال الذي يرى في سواد العين فسمي إنسان العين تراءى الانسان لنفسه فاستأنس ، وظن الظنون ، وأصبح كالرائي نفسه في حلم فتخبّط ، ولم يدر أهو الرائي أم المترائي ، وما هو إلا بصيرة على نفسه

كذلك جملة أمرك ، حيرة بين رؤيتين ، وجملة بين قراءتين ، والحيرة حركة ، والحركة حياة فما لك بعد هذا إلا الحركة والاعراب ، فاعرب إن كنت بشراً عربياً معربا ، فإن من أحسَنَ إعرابه أقام جملته ، وأصاب حركته ، وأبان معناه ، وأنرا محياه □

منطق مقبول

● دهش مدير الفندق الكبير عندما طلب منه « حون روكفلر » المليونير الأمريكي الشهير أن ينزله في أرخص غرفة في الفندق . فقال مدير الفندق بعد وحوم ولكن ابنك ياسيدي يستأجر أفخر أجنحة الفندق عندما ينزل عندنا ، فرد المليونير في ابتسامة هادئة . أيها الشاب ان لابني أبا ثريا أمّا أنا فلا

منتدى العربي

قضية

أرقام العرب عربية أم أجنبية

بقلم : الدكتور سعيد النجار *

عرف الوطن العربي منذ مدة طويلة طريقتين لكتابة الأرقام   الطريقة الأولى وهي الشائعة في بلاد المشرق العربي وفي كل البلاد الاسلامية غير العربية التي تستخدم الأبجدية العربية مثل ايران وأفغانستان وباكستان وتركيا   وفيها تتخذ الأرقام هذه الصورة

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ٠

أما الطريقة الثانية فهي الشائعة في بلاد المغرب العربي   وفيها تتخذ الأرقام الصورة الآتية

0987654321

وهي أيضا صورة الأرقام المعروفة في البلاد الأوروبية   ويطلق على هذه الصورة أحيانا الطريقة الغبارية .

قبل عقد السبعينيات

وقد سارت جامعة الدول العربية منذ انشائها سنة ١٩٤٤ على الطريقة المشرقية في كتابة الأرقام ، ولم يكن هذا الموضوع محل خلاف أو شكوى من أحد ، واستمر الحال كذلك حتى نهاية عقد السبعينيات ، حين قررت الجامعة التحول من الطريقة المشرقية الى الطريقة المغربية أو الغبارية ، وأعقب ذلك حدوث نفس التحول في المنظمات العربية التابعة لأسرة جامعة الدول العربية ، واليوم نجد أن كل التقارير الرسمية والبحوث والجداول الاحصائية تستخدم الطريقة المغربية في الأرقام ، واختفت الصو ة المشرقية للأرقام تماما من دائرة الجامعة العر ة

---

* استاذ سابق بجامعة القاهرة

والمنظمات العربية الحكومية الأخرى ، بما فيها المنظمات ذات الاستقلال الذاتي ، مثل الصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي وصندوق النقد العربي وغيرها

ولا تخفى الأهمية الكبرى لهذا التحول ، فان معناه أن الجامعة العربية والمنظمات العربية الأخرى توافرت لديها أسباب قوية دفعتها الى تغليب الصورة المألوفة في ثلاثة أقطار عربية (تونس والجزائر ومراكش) وأوروبا على الصورة الشائعة في سائر الاقطار العربية ،وتغليب نظام مألوف لدى ٤٥ مليون فرد عربي على نظام مألوف لدى ١٣٥ مليون عربي ، وأخطر من هذا كله أن النسبة الساحقة من التراث العربي والاسلامي لا تعرف الا الصورة المشرقية للارقم ، ويصدق ذلك على المساجد التاريخية المنتشرة في أنحاء الوطن العربي والعالم الاسلامي ، والمخطوطات التي انتقلت الينا عن مدة تربو على ألف سنة ، والمصاحف النادرة ، والأواني الخزفية القديمة والمسكوكات النقدية الأثرية ، وهكذا حيثما قلبت النظر في تراثنا في أي مظهر من مظاهره فإنك - ولا ريب - تجد الصورة المشرقية للأرقام ، ولن تجد مسجدا يحمل تاريخا في صورة 985 مثلا ، أو مصحفا يحمل ترقيما في صورة 34 اللهم الا في حالات متناثرة في المغرب العربي ، ولكنك سوف تجد هذه الارقام في تقارير جامعة الدول العربية التي صدرت عنها بعد أواخر عقد السبعينيات

أين هي الحقيقة ؟

أقول انه لا بد من وجود أسباب بالغة القوة لنبذ نظام مستقر مألوف لمدة عشرة قرون من أجل نظام يختلط في ذهن المواطن العربي العادي في معظم أرجاء الوطن العربي والعالم الاسلامي بالصورة الأوروبية أو الافرنجية لكتابة الأرقام

يبدو أن السبب في هذا القرار الخطر يرجع الى نظرية تقول ان الصورة المغربية أو الغبارية هي الصورة العربية الحقة ، أما الطريقة المشرقية فهي عند أصحاب هذه النظرية منقولة عن الهند ، ومن ثم فان احلال الصور المغربية للأرقام محل الصورة المشرقية نتيجة منطقية لحركة التعريب التي تقتضي الأخذ بالعربي الخالص ونبذ الغريب المستورد

وقد جاءت هذه النظرية في بعض البحوث التي نشرت تحت اشراف المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الرباط التابع لجامعة الدول العربية ، وأود بهذه المناسبة أن أعرب عن شكري للأستاذ جورج عطية مدير الدائرة العربية في مكتبة الكونجرس في واشنطن الذي لفت نظري الى هذه البحوث ، ومن بين هذه البحوث دراسة للأستاذ محمد سراج - الأستاذ السابق في جامعة القرويين - بعنوان « الطابع العربي في الأرقام الرياضية » ونشرت في مجلة اللسان العربي في يناير ١٩٦٥ ، ويقول في نهاية بحثه

« يستنتج من كل ما ذكر أن الأرقام الحسابية الجاري العمل بها في البلاد المغربية هي من وضع عربي مغربي ، لأن عرب المغرب لم يتصلوا بالهنود ، وانما اتصلوا بالاغريق الذين لم تكن لهم طريقة منظمة لكتابة الاعداد ، كما اتصلوا بالرومان ، وهم أصحاب طريقة بسيطة في رقم الاعداد يضاف الى ذلك الاشادة بعرب المغرب فقط ، من أجل محافظتهم على طريقة أجدادهم ، واطلاق اسم الأرقام العربية عليها ، ونقلها الى أوروبا عنهم ، وتسمية السلسلة المقابلة (يعني الطريقة المشرقية) باسم الأرقام الهندية الى غير ذلك »

وكان الأستاذ السراج قاطعا في أن الصورة المشرقية مأخوذة عن الهنود كما يبدو ذلك من عبارته الآتية

« ان عرب المشرق كانوا وسيلة لاظهار الكنوز العلمية الهندية التي ازدهرت عندهم ومنها على الخصوص فن الحساب وأرقامه ، وان أعظم فضل يشاد به لهم هو نقلهم الأرقام الهندية »

كذلك تناول الأستاذ سالم محمد الحميدة نفس

الموضوع في بحث له سنة ١٩٧٥ بعنوان « الأرقام العربية ورحلة الأرقام عبر التاريخ » وهو يتفق مع الأستاذ السراج في أن الطريقة المغربية أو الغبارية ابتكار عربي بحت لا يمت الى الهنود بصلة ، ولكنه يختلف مع الأستاذ السراج في أصل الطريقة المشرقية فهو لا يذهب مذهب الأستاذ السراج في أنها منقولة عن الهنود ويرى أنها هي الأخرى ابتكار عربي ، ولو أنها منقولة عن الطريقة المغربية ، غير أن العرب أطلقوا عليها اسم الأرقام الهندية اكراما منهم للهنود الذين كان لهم الفضل في وضع النظام العشري للأرقام ، ويختم الأستاذ الحميدة بحثه بالعبارة الآتية « وبذلك نستطيع القول بأن العرب قد توصلوا الى نتيجة لا تقل قيمتها العلمية عن ايجاد أو اختراع أشياء جديدة ويؤهلهم ذلك الى مركز الواضع أو المخترع

أما بالنسبة للسلسلة الثانية (يعني المشرقية) التي أطلق عليها العرب أنفسهم اسم الأرقام الهندية ، رغم أنها لا تشبه الأصل الذي أخذت عنه ، والسبب في اطلاق هذه التسمية عليها على ما يظهر هو الاكرام بعينه للشعب الهندي الذي منحهم هذا النظام ، وذلك عرفانا منهم بالجميل

والنتيجة التي نخرج بها من دراسة هذه الحقائق تظهر لنا أن هذه الأشكال التي أوجدها العرب في السلسلتين المستعملتين في الوقت الحاضر ما هي الا ابتكارات عربية »

افتقار المنهج العلمي

هذه هي النظرية التي اتخذتها جامعة الدول العربية أساسا لنبذ الصورة المشرقية للأرقام ، واحلال الصورة المغربية مكانها ومما يثير الأسى أن يكون مثل هذا القرار الخطير على أساس هذا النوع من الدراسات التي تفتقر بصورة واضحة الى المنهج العلمي في البحث التاريخي لأصول الأرقام ، فانه مما يلفت النظر في هذه الدراسات أن أصحابها لا يكلفون أنفسهم مشقة الرجوع الى المرا العلمية المعتمدة في تاريخ الرياضيات ، واعتمـ على بعض المراجع المغربية المتأخرة في القرن الثا عشر الميلادي ، وما بعده ، كذلك فانه مما يلـ النظر أن أصحاب هذه الدراسات لا يرجعون الأصول الهندية في كتابة الأرقام ، للتحقق من مدى صواب النظرية التي ينادون بها ، ولو أنهم فعلوا ذلك لاستبانوا بسهولة خطأ الاستنتاجات التي انتهو اليها ، ذلك ان اجماع المصادر العلمية المعتمدة أن الطريقة المغربية أو الغبارية منقولة عن الطريقة التي كانت شائعة في بعض أجزاء الهند في القرن الثا الميلادي ، وهو الوقت الذي أخذ فيه العرب بالنظام الهندي الحسابي ، ويتبين ذلك بوضوح عند مقارنة الصورة الغبارية بالصورة الهندية حينذاك ، وخلاصة القول أن قرار جامعة الدول العربية نبذ الطريقة المشرقية لكتابة الأرقام واحلال الطريقة المغربية مكانها لا يمكن أن يدخل تحت بـا التعريب ، والحقيقة المجردة أنه تمهيد للأرقام العربية ، بمعنى أنه يضع الأرقام العربية في صورة هندية

دور الخوارزمي والعلماء الآخرين

وأود قبل تقديم الدليل على ذلك أن أذكر بعض الحقائق التاريخية التي لا خلاف عليها ، من الثابت أن العرب لم يكن عندهم نظام للأرقام في الفترة السابقة على ظهور الاسلام ، وكانوا يستخدمون الحروف الأبجدية للدلالة على القيمة الرقمية ، وهو النظام الذي كان معروفا عند الاغريق ، وفي أغلـ الأحوال كانوا يعبرون عن الأرقام بالكلمات ، مثل الخامس والعشرين ، أو السابع عشر بعد المائة ، أو بعد الألف . واستمر الحال كذلك ما بعد ظهور الاسلام ، حتى عهد الخليفة العبا أبي جعفر المنصور (١٣٦ ـ ١٥٨ هجرية أو ٥٤ - ٧٧٥ ميلادية) وبالذات حتى سنة ٧٧٣ ميلاد

يعتبر هذه السنة ذات دلالة كبرى في تاريخ لر سيات في الوطن العربي ، وذلك أنه قدم الى داد في تلك السنة أحد المنجمين الهنود باسم انكا . وكان يحمل معه أحد الكتب الهندية في علم لفلك . وهو كتاب « سدهانتا » من وضع الفلكي هندي برامعوبتا ، وأمر المنصور بترجمة الكتاب الى لعربية ، وأصبح يعرف باسم « كتاب سند هند » وكان ذلك بداية دخول النظام الهندي للأرقام الى لوطن العربي . غير أن الدلالة الحقيقية للنظام هندي لم تتضح الا على يد العلامة الرياضي لخوارزمي الذي قام بالترجمة المعتمدة لكتاب « سند هند » سنة ٢٠٤ هجرية (٨٢٠ ميلادية) ، بناء على تكليف من الخليفة المأمون ، بيد أن الخوارزمي لم يقف عند حد الترجمة ، فهو الذي كشف عن عبقرية النظام الحسابي الهندي وتفوقه الكبير على الأنظمة الحسابية الأخرى ، ومن أهم صفاته البارزة أنه يعتمد على تسعة أرقام فقط ويضاف اليها الصفر ، وأن قيمة كل رقم تتوقف على مكانه ، فالرقم ٤ يصبح قيمته ٤٠ اذا كان في خانة العشرات ، أو أربعمائة اذا كان في خانة المئات ، أو أربعة آلاف اذا كان في خانة الآلاف وهكذا الى مانهاية . وهذا كله بفضل اختراع فكرة الصفر (٠) ، ووضع الخوارزمي كتابيه وفيهما ابتدع نظام اللوغاريتمات الذي عرف باسمه ، ووصل الى حلول مبتكرة للمعادلة التربيعية . وكان لكتب الخوارزمي أعمق الأثر في شيوع النظام الهندي في الوطن العربي ، وانتقل بعد ذلك عن طريق العرب في الأندلس الى أوروبا في القرن العاشر الميلادي ، ومن الثابت تاريخيا أن الخوارزمي استخدم الصورة المشرقية تماما ، وأشار في مقدمة كتابه في الحساب الى وجود طريقين لكتابة الأرقام ، وان هناك فروقا واضحة بين طريقتين في كتابة الأرقام ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، وأ الى استخدام الصورة المشرقية التي سادت دون نازع في كل بلاد المشرق العربي والعالم الاسلامي ، منذ سنة ٨٢٠ ميلادية الى وقتنا هذا ، أي لمدة تزيد على ١١٥٠ سنة ، ويصدق ذلك على كل أعلام الرياضيات من العرب ، أو من الذين كتبوا باللغة العربية في العهد الذهبي للحضارة الاسلامية ، وقد استخدموا جميعا دون استثناء الطريقة المشرقية لكتابة الأرقام وعلى رأسهم البيروني (٩٧٣ ـ ١٠٤٨ م) وابن الهيثم (٩٦٥ ـ ١٠٣٩ م) وثابت بن قرة (٨٢٦ ـ ٩٠١ م) والبتاني (٨٥٠ ـ ٩٢٩ م) وأبو الوفا (٩٤٠ ـ ٩٩٨ م) وابن سينا (٩٨٠ ـ ١٠٣٧ م) وعمر الخيام (١٠٥٠ ـ ١١٢٢ م) والكرخي (٩٩٠ ـ ١٠٥٠ م) وناصر الدين الطوسي (١٢٠١ ـ ١٢٧٤ م) . هؤلاء هم صفوة العرب والحضارة الاسلامية في الرياضيات ، ولم يعرف عن أحدهم أنه كتب بالطريقة الغبارية

رحلة الأرقام

ويرجح أن الطريقة الغبارية وجدت الى جانب الطريقة المشرقية خلال المدة من ٣٧٣ ميلادية حين دخل النظام الهندي الى بغداد الى ٨٢٠ ميلادية ، حين ترجم الخوارزمي كتاب السند هند ، وهذا هو ما يفهم من مقدمة كتابه في الحساب ، ويرجح كذلك أنها انتقلت خلال هذه المدة غربا الى بلاد الأندلس بواسطة التجار والحجاج ، واستقرت في بلاد المغرب ، وسارت في طريقها مستقلة عن الطريقة المشرقية ، غير أن الطريقة المشرقية كانت مستخدمة أيضا في بلاد المغرب وبقيت بها الى جانب الطريقة المغربية الى الوقت الحاضر

التهنيد بدلا من التعريب !.

ويتضح مما تقدم النتائج الآتية

١ ـ لا يوجد أي أساس للقول بأن الصورة المغربية أو الغبارية لكتابة الأرقام ذات أصل عربي بحت ، والحقيقة التاريخية التي لا يرقى اليها الشك أنها مأخوذة عن الصورة الهندية الفليورية أو

الديوانغارية للتطابق الذي يكاد يكون كاملا بين الأرقام في الصورتين ، والواقع ان اسمها يدل على أصلها الهندي ، فقد سميت بالغبارية نسبة الى الغبار الذي كان ينشره الهنود على ألواح الكتابة وينقشون الأرقام عليه ، وقد انتقلت عن طريق بغداد الى الأندلس ومنها الى أوروبا في نهاية القرن العاشر الميلادي

٢ ـ أن الصورة المشرقية للأرقام وجدت جنبا الى جنب مع الطريقة الغبارية خلال فترة التكوين ، وهي الفترة من ٧٧٣ م الى ٨٢٠ م ، حين قام الخوارزمي بترجمة كتاب « سند هند » ، بعد ذلك سادت دون منازع من القرن التاسع الميلادي الى الوقت الحاضر في كل بلاد المشرق العربي والبلاد الاسلامية

٣ ـ ان الطريقتين المشرقية والمغربية ترجعان دون شك الى الطريقة الهندية التي كانت سائدة في الهند وقت انتقالها الى بغداد في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور ، ومن ثم فلا محل لوصف الطر المغربية بأنها عربية والطريقة المشرقية بأنها هندية والواقع من الأمر أنه اذا جازت التفرقة بين الطر فان الطريقة المشرقية هي الأجدر بوصف العربي وذلك للاختلاف الواضح بين أرقامها وأرقام الأص الهندي الذي أخذت عنه ، أما أن الأوروب يطلقون وصف العربية على الأرقام المغربية . فا ذلك لا يعني أكثر من الحقيقة التاريخية ، وهي أنهم عرفوا النظام الهندي للحساب والطريقة الغبارية في كتابة الارقام عن طريق العرب في الاندلس . ولا يجوز أن يحمل كلامهم على أنه اقرار بعروبة الص الغبارية وهندية الطريقة المشرقية

٤ ـ ان قرار جامعة الدول العربية بنبذ الطريقة المشرقية واحلال الطريقة المغربية مكانها بدعوى التعريب لا يستند الى أساس . بل انه يتناقض تمام مع الحقائق التاريخية الثابتة ، وهو في الواقع يعتبر تهيدا للارقام العربية وليس تعريبا للأرقام الهندية □

منتدى العربي

تعقيبات

الأهم من التخطئة استقرار المصطلح

في العدد (٣٣٦) من « العربي » تكلم الدكتور محمد صادق زلزلة عن « أخطاء لغوية طبية وعلمية » ، تستخدمها بعض المحافل العلمية ومن تلك (السخد) فقال « السخد تستعملها بعض الجهات العلمية والأكاديمية على أنها تقابل كلمة Placenta ، وهي العضو اللاصق ب جدار الرحم ومنه يتغذى الجنين ، أو الخميل بواسطة الحبل السري » ، وخلص إلى أن إطلاق (السخد على (البلاستة) وهم ، واستصوب أن توضع بد منها كلمة المشيمة . وبذلك يكون الدكتور زلزلة

أثا قضية لغوية طبية ، احتدم حولها الخلاف بين العلماء واللغويين في عامي ١٩٢٧ م و ١٩٢٨ م

فاللغوي المشهور الأب انستاس ماري الكرملي هو الذي كرس وضع مصطلح (السحد) ، أو بالأحرى أحياه ، مقابلا بينه وبين (البلاستة) في سنة ١٩٢٧ ، وهو يرى أن المشيمة هي (الغرس) حسب شرح صاحب التاج ، أي أنها كل ما يخرج مع الولد من الأقذار . ولذلك فالسحد عنده غير المشيمة ، ولقد أخذ برأيه وبمصطلحه أطباء المعهد الطبي العربي بدمشق ، وعلى رأسهم الدكتور مرشد خاطر ، والدكتور شوكة موفق الشطي ، ومن ثم دخل مصطلح (السحد) بعض المعجمات الطبية الثنائية اللغة ، في حين اعترض على تسمية (البلاستة) بالسحد الدكتور عبد الرحمن الكيالي ، وانبرى لتخطئة الأب الكرملي ، مصرا على أن (البلاستة) هي المشيمة

والحقيقة أن في كتب اللغة عددا من المعاني للسحد ، منها تلك التي نقلها كاتب المقال عن ابن منظور ، ومنها أيضا -

- السحد هو الذي يخرج بعد الولد (عن ابن السكيت)

- (السحد جلدة رقيقة فيها ماء أصفر ، تكون على رأس الولد ، تنشق عنه (عن الأصمعي)

فإذا أخذنا بالمعنى الذي انفرد به ابن السكيت في كتاب (القلب والابدال) - طبعة هفنر ١٩٠٣ - يكون معنى (السخد) هو البلاستة) حسب رأي الكرملي وخاطر ، والشطي ، وحتي ، ويكون معنى المشيمة الخوريون ، أي الغشاء الثاني من أغشية ا-ين ، وقد أخذ بذلك حتّي في معجمه الطبي ، بينما ا-ر الدكتور محمد شرف - في معجمه - المشيمة و سحد شيئا واحداً ، وهذا يخالف الدقة المتوخاة في ا- جمات الطبية

والمعروف أن للجنين ثلاثة أغشية تحيط به ، سمي ا ل منها (الامنيون) ، والثاني (الخوريون) ، والثالث (البلاستة) ، ولقد أشار إلى ذلك أطباء العرب القدامى ، كابن سينا حيث ذكر في « القانون » أن الجنين تحيط به أغشية ثلاثة » سماها المشيمة ، والفلاس أو اللفايفي ، والأنفس ولقد اضطرب الاطباء واللغويون - القدامى منهم والمحدثون - في تسمية هذه الأغشية أيما اضطراب ، فاختلفوا في تسميتها اختلاف لهجات القبائل وتشعبها ، وأطلقوا عليها أسماء متعددة ، هي المشيمة ، والسحد ، والسلى ، والسابياء ، والماسكة والسّقي ، إلخ .

وعندما اختار أطباء المعهد العربي الطبي بدمشق (السحد) لتطلق على (البلاستة) لم تكن لفظة (المشيمة) قد غابت عنهم هي ومرادفها (الخلاص) ، وجاء تكريسهم للفظة (السحد) لنكتة - كما يقال - هي توخي الدقة في اختيار المصطلح وملاءمته العلمية

إذا ليس المهم تخطئتنا لهذه المصطلح أو ذاك بقدر ما هو مهم اتفاقنا على توحيد المصطلح وإرسائه ، والابتعاد به عن التغييرات السريعة التي تبعدنا عن الاستقرار اللغوي ، فدعونا نعمم ما اتفقنا عليه ، ونشيعه بين مستعملي المصطلحات الطبية ، ودعونا ننطلق إلى عملية تعريب التعليم الطبي بهذه المصطلحات المقرة ، ونلتزم بالثبات عليها ، وبعدم الاستعجال في تغييرها ، فالممارسة وحدها تصقل اللفظ ، فتثبته أو تمجه وتلفظه

إن الحاجة إلى توحيد المصطلح الطبي هي الأهم ، ولقد كان السير على هذا الدرب الشائك سيرا حسنا بإصدار المعجم الطبي الموحد (الطبعة الثالثة - مزيدة ومنقحة - ١٩٨٣) ، فخلصنا من الفوضى في المعجمات الطبية العربية الأخرى التي كان من يكشف فيها عن أحد المعاني الطبية يجد العجب العجاب من عدم الاتفاق على الأصول التي يجب أن تراعى في أثناء الوضع والتعريب والنقل والاحياء □

الدكتور إحسان جعفر

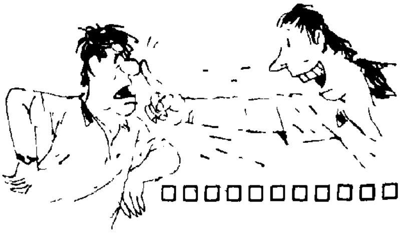

حكايات طبية

بقلم الدكتور غسان حتاحت

أخطاء طبية فادحة

● عندما يخطئ شخص ما فإن تقدير مدى ذلك الخطأ يختلف اختلافا واسعا باختلاف الناس الذين يقدرونه ، فليس الخطأ الكبير حقا هو الخطأ الأكثر أهمية من سواه ، بل إن خطأ صغيرا جدا قد يأخذ لدى بعض الناس حجما كبيرا

يقول « مايكل كوردا » مؤلف كتاب القوة Power ، وهو كتاب تصدر قائمة كتب ، كانت أكثر مبيعا في العالم فترة ما إن على مدراء الشركات إذا أرادوا طرد موظف لديهم دون أن يحسوا بتأنيب الضمير أن يستحضروا كل الأمور الصغيرة التي كانت تزعجهم في ذلك الموظف ، كارتدائه مثلا بدلة زرقاء وحذاء بنيا وربطة عنق صفراء ، مع ما في ذلك من عدم تناسب بينها ، فحينذاك يصبح طرده أسهل عليهم من أن يستحضروا في ذهنهم إهماله وأخطاءه الكثيرة

ويروي « لي ياكوكا » في سيرته الذاتية - وهو كتاب تصدر أيضا قائمة كتب أكثر مبيعا في العالم - ومؤلفه هو الرئيس السابق لشركة فورد للسيارات الذي طرده هنري فورد الثاني حسدا منه وغيرة ، فانتقل بعدها لينقذ شركة كرايسلر من إفلاس محقق ، ويحرز بذلك مجدا شخصيا عظيما ، يقول هذا الرجل إن هنري فورد عندما كان يريد أن يطرد شخصا ما فإنه كان يطرده ليس بسبب أخطائه الكثيرة ، بل بسبب أمور تافهة ، كارتدائه سروالا ضيقا ، أو دخوله على رئيسه بدون استئذان أو ما أشبه ذلك من الأخطاء التافهة

وأذكر أني تركت التعامل مع أحد الحلاقين المشهورين ، ليس لأنه أساء قص شعري ، فذلك ذنب يسير ، بل لخطأ رأيته أكبر من ذلك ، فقد سألني مرة هل تصبغ شعرك ؟ علما بأني لم أشعر يوما بالحرج من وجود شعيرات بيضاء قليلة في رأسي ، ولم أفكر قط بتغيير لون ما ابيض منه ، وهو قليل جدا على كل حال ، ولا أخجل من ذكر عمري ، بل إني عندما بلغت الأربعين كتبت مقالة بعنوان « وقفة عند الأربعين » ، نشرتها على الملأ دون حرج ، لكن سؤال الحلاق غير ذي الأهمية - يمكن إلحاق الصفة بالسؤال أو بالحلاق لا فرق - قد أحدث صدمة لي ، فتركته غير آسف ولا نادم

لنا أخطاؤنا :

نحن الأطباء لنا أخطاؤنا أيضا ، وكل إنسـ
خطاء ، ومن هذه الأخطاء ما هو كبير ، يتعلق
التشخيص ، أو سوء المعالجة ، أو الإهما

الممارسة ، ومنها ما هو صغير يتعلق بمعاملة الطبيب لمريضه ، لكن الغريب أن قلائل جدا من المرضى يتركون أطباءهم بسبب ارتكابهم خطأ كبيراً جسيماً، ومعظم من يغير طبيبه إنما يفعل ذلك لأن الطبيب أخطأ خطأ حسبه صغيرا ورآه المريض كبيرا

من ذلك مثلا الوالدان اللذان رزقا طفلا ذكرا بعد خمس بنات ، وعندما فحص الطبيب ذلك المولود الذكر فحصا عاما ، واطمأن على صحته ، وتأكد من حسن ختانه ، أخذ يحدثهما عنه بضمير الأنثى ، فكانت زيارتهما تلك هي الزيارة الأخيرة لهذا الطبيب ، وأخاله كان مستحقا لذلك

ومن الأخطاء التي يراها الأهل فادحة أن يسخر الطبيب من اسم الطفل مثلا ، كأن يسأل لماذا سميتموه بهذا الاسم ؟ أو ما معنى ذلك الاسم ؟ مع أن الوالدين والأهل عندما اختاروا اسم طفلهم كان لديهم ملايين الأسماء المحتملة ، وهم لا يرضون بما اختاروه بديلا

هذان مثلان عن الأخطاء الفادحة في طب الأطفال ، أما في الطب العام ، فإن من الأخطاء التي لا أعتقد أن المريض يغفرها هي أن يسخر الطبيب من شكل المريض ، أو هيئة شاربيه مثلا ، أو أن يستهزيء بتسريحة شعر المريضة ، أو أن يستهين بالتوافه من شكوى المريض فمثلا هناك من المريضات المراهقات المصابات بداء السكري ، من يكن في وضع خطير ، غير مستقر ، وأذكر مريضة من هذا النوع ، كانت حياتها في خطر ، وكان همها الوحيد أن يأتيها الحيض ولو مرة في العمر ، كي تشعر أنها امرأة طبيعية ، وعندما وصفت لها من الأدوية الهرمونية ما أدى الى حصول دورة طمثية لديها ، كادت تجن من الفرح ، وأخذت تدعو لي بالخير في الوقت الذي كانت تدعو على طبيب آخر بالويل والثبور ، لأنه قال لها عندما ذكرت هذا الأمر ما حاجتك الى الدورة الشهرية وأنت مصابة بهذا المرض ؟

إن على الطبيب أن يدرك مشاعر المرضى وأهلهم ، وأن يقدر طريقتهم في قياس الأخطاء ، وعليه أن يتجنب أي خطأ كبير أو صغير ، ويجب أن يتذكر دائما أن بعض الأخطاء الكبيرة تبقى أقل أهمية لدى المرضى من أخطاء يسيرة تافهة

ولو كان الحلاق الذي تكلمت عنه آنفا قد قص شعري بصورة لا مثيل لها من القبح والاهمال لما تركته ، ولكن أن يتحدث عن صبغ الشعر ، وأنا الذي لم أفكر فيه قط فذلك خطأ فادح ، خطأ لا يغتفر

درس من الكوليرا :

● عندما كنا طلابا في كلية الطب ندرس الأمراض « الانتانية » ، كان أستاذنا يروي لنا كيف كانت طرق الوقاية من بعض هذه الأمراض في الماضي ، وهي طرق تثير السخرية في أحيان كثيرة ، وتدل على الجهل والسذاجة ، وكان يستشهد بما جرت عليه العادة في الوقاية من مرض الكوليرا في بداية هذا القرن ، أيام كانت بلادنا ما تزال ترزح تحت الحكم العثماني

فالكوليرا ، والمعنى الحرفي لاسمها اللاتيني هو « الهواء الأصفر » كان يعتقد أنها تنتقل عن طريق

الهواء ، وبما أنها تأتي على شكل جوائح تصيب كثيرين وتقتل كثيرين كان لا بد من الوقاية منها

فكانت الحكومة العثمانية ـ والعهدة على أستاذنا الذي رواها ـ تكلف بهذه المهمة بعضا من موظفيها طوال القامة ، عراض الأجسام ، ذوي الشوارب المعقوفة ، والهيبة المشعة ، ولعلها كانت تأمل ـ وهم بهذه الصفات ـ أن يخيفوا الكوليرا كما كانوا يخيفون الناس !

فكان الواحد من هؤلاء المسؤولين عن الوقاية ـ وأعتقد أن اسم نياري بك ، أو ربما نياري أفندي يناسبه تماما ـ يتجول في الأزقة والحواري والأسواق ، مسبوقا بقارعي الطبول ، وعازفي الموسيقا ، وكان يحمل بيده مقصا كبيرا ، يفتحه ثم يغلقه ، تعبيرا عن قيامه بقص الهواء الذي سبب المرض كما كان يعتقد !

وكان الناس يشعرون بالأمان والراحة بعد أن يمر (نياري بك) ، أو لعله (نياري أفندي) وحوقته ، فقد قطع هذا الرحل سبب المرض ، وحلب لهم الوقاية ، جزاه الله كل خير !

وكان أستاذنا يتابع محاضرته فيقول « ولكننا الآن (كان ذلك في الستينيات) لدينا لقاحات فعالة ، لا تستطيع الكوليرا أن ترفع رأسها بوجودها ، وها نحن نعرف سبب المرض وعلاجه ونعلم طرق الوقاية منه »

وأذكر مرة أن جائحة حصلت ، وكنا طلاب طب حينذاك ، فاستنفرنا جهودنا ، ووزعت على كل اثنين منا ثلاث محاقن وإبر لا يزيد عددها على عدد أصابع اليد الواحدة ، وكلفنا بتلقيح أعداد كبيرة من طلاب المدارس وعامة الناس ، وكانت التعليمات أن نعقم المحقنة بعد اجراء عدد معين من اللقاحات ، وأن نمسح الابرة بالغول (الكحول) بين كل لقاح وآخر ، وقد كان

ومرت الأيام ، وظهر أن اللقاح المضاد للكوليرا ليست له تلك الفعالية الكبيرة التي كان يعتقد بوجودها فيه ، ولم يعد ينصح بإجراء التلقيح على

ذلك المستوى الواسع ، وثبت أن استعمال المحاقن والابر غير المعقمة يسبب أمراضا كثيرة ، لعل من أبرزها التهاب الكبد المصلي

وهكذا نرى أن طرق الوقاية التي كنا نستعملها في ستينيات هذا القرن كانت أسوأ من الطرق التي كان يتبعها (نياري بك أو نيازي أفندي) في أوائل هذا القرن !

من يخدع طبيبه يخدع نفسه :

● ثمة قصة رواها لنا مرة أحد أساتذتنا في كلية الطب ، علقت في ذاكرتي لما فيها من عبرة ، قال هذا الأستاذ « جاءني مرة أب ، يحمل طفلته ، وطلب مني أن أفحصها للاطمئنان عليها ، للتأكد من أنها بصحة جيدة ، وذكر لي أنها لا تشكو من شيء ، ولا تتناول أي دواء ، وقد قمت بفحصها بدقة متناهية ، وقد أشعرتني الحاسة السادسة لدي بوجو ما يريب ، لكنني لم أجد أي مظهر مرضي لديها ، فكل ما فيها مما نفحصه عادة كان ضمن الحدو الطبيعية وبعد أن ذكرت ذلك للأب أخرج جيبه مظروفا كبيرا سميكا ، يحوي مجموعة التحاليل والصور الشعاعية والوصفات الطب وقال بلهجة تجمع بين الانتصار والشماتة إن

الطفلة مصابة منذ ولادتها بقصور في الغدة الدرقية ، وهذه الفحوص دليل على ذلك ، فكيف تدعي أنها طبيعية ، وأنت الأستاذ المشهور ؟ » وقد تابع الأستاذ قصته فقال « سألت هذا الأب هل تعطي الطفلة خلاصة الغدة الدرقية ؟ قال نعم ، فقلت له إن هذا الدواء هو الذي جعل طفلتك تبدو طبيعية للعيان ، وإن إخفاءك هذا الأمر عني منذ البداية أمر لا يتناسب مع الصراحة التي يتوجب توفرها في العلاقة بين المريض والطبيب ، ولا مع الصدق الذي لا بد منه في التعامل بينهما ، وأنا لست بحاجة الى أي امتحان آخر ، فلقد اجتزت في حياتي فحوصا كثيرة ، وامتحانات عديدة في دول شتى ، وحتى لو كنت بحاجة الى فحص جديد فلا أرضى أن تكون أنت الفاحص » ثم تابع الأستاذ « ثم أشرت الى باب العيادة وأنا أطرد هذا الزبون الثقيل ، بعد أن أعدت إليه أجرة المعاينة التي قد دفعها سابقا ، فليس أثقل على النفس من ثقيل ، ولو أعطانا وزنه ذهبا »

وكنت كلما استعدت هذه القصة أشعر بكثير من التعاطف مع هذا الأستاذ ، رغم ما عرف عنه من جفاء وعبوس ، وقد صور لي الوهم أني لن أتعرض لمثل هذه الحادثة قط ، فأنا عادة رحب الصدر ، طويل البال ، وقد أفرط في ذلك أحيانا الى حد معيب ، ولا يثير غضبي في العيادة ـ أحيانا ـ إلا أحد أمرين اثنين ، أولهما أن أحس أن ثمة ما يهين كرامة الطب كمهنة ، كأن يذكر المريض أمامي زميلا لي بسوء ، أو أن أشعر أن المريض وأهله يخدعون الطب ، أو يستصغرون شأنه

أن توهمي كان خاطئا ، فقد حصلت معي منذ مدة بية حادثة مشابهة لما حصل مع أستاذي ، ما تـ تثير فيّ كوامن الغيظ كلما تذكرتها ، فقد دخل الى عـ ب مرة رجل وحده ، وأنا كطبيب أطفال يندر أن يأ رجل أو امرأة الا وهم يصطحبون طفلا أو أكثر ال لي هذا الرجل : « إنني قد نصحت عراحمتك ، بسبب اهتمامك بالأمراض الوراثية ، وقد تقدم رجلان لخطبة ابنتي » وذكر لي نوع الزمر الدموية لكل من الرجلين وزمرة ابنته ، وطلب مني أن أذكر له مَن من هذين الرجلين أنسب من الناحية الصحية للزواج بها ، ورغم امتلاء غرفة الانتظار بالمرضى من الأطفال ما بين باك وصارخ ، ومن هو مصاب بحرارة مرتفعة ، أو إسهال شديد ، رغم ذلك كله أخذت أشرح لهذا الرجل أن الأسس التي يقوم عليها الزواج ليست الزمر الدموية فقط ، بل هنالك ما هو أهم منها بكثير ، من عوامل عاطفية واجتماعية ومادية ودينية الخ ثم شرحت له أن من اختلاف بعض الزمر الدموية ما يؤدي الى حصول يرقان عند بعض المواليد ، وحتى في هذه الحالات فهنالك طرق للوقاية والعلاج ، وأخذ هذا الرجل يسألني ويستفسر مني بتفصيل شديد عن اليرقان والزمر الدموية ، وما هي احتمالات الزمر الدموية للأطفال في حالة زواج ابنته من أحد هذين الرجلين ، وبعد أن قضيت نصف ساعة أو يزيد وأنا أشرح وأوضح قال لي هذا الرجل « لقد كذبت عليك ، فهناك زواج قائم فعلا بين ابني وامرأة ، وزمرهما الدموية هي كما ذكرت لك ، ولديهما عدة أولاد ، إلا أننا نشك بعفة الزوجة ونسبة الأطفال الى أبيهم حقا ، ونريد التأكد من فحص الزمر ، وأخرج قائمة بالزمر الدموية للأطفال ، وكانت كلها مطابقة للاحتمالات التي ذكرتها له ، مما يعني أن فحص هذه الزمر لم ينف أو يثبت شرعية هؤلاء الأطفال ، وإن كان ثمة طرق أو زمر أخرى توضح ذلك وهنا تذكرت قصة أستاذي عن المريض الثقيل ، وقلت لهذا الرجل لو كنت سألتني مباشرة عما يشغل فكرك لكنت أجبتك بدقائق معدودة ، وأرحت واسترحت ، وكان الواجب أن تكون صريحا معي منذ البداية ، أما والحالة هذه فأحيلك الى طبيب آخر ، لأنه لا مجال للتعامل عند انعدام الثقة والصدق □

الجزء الثالث (المجلد الرابع)

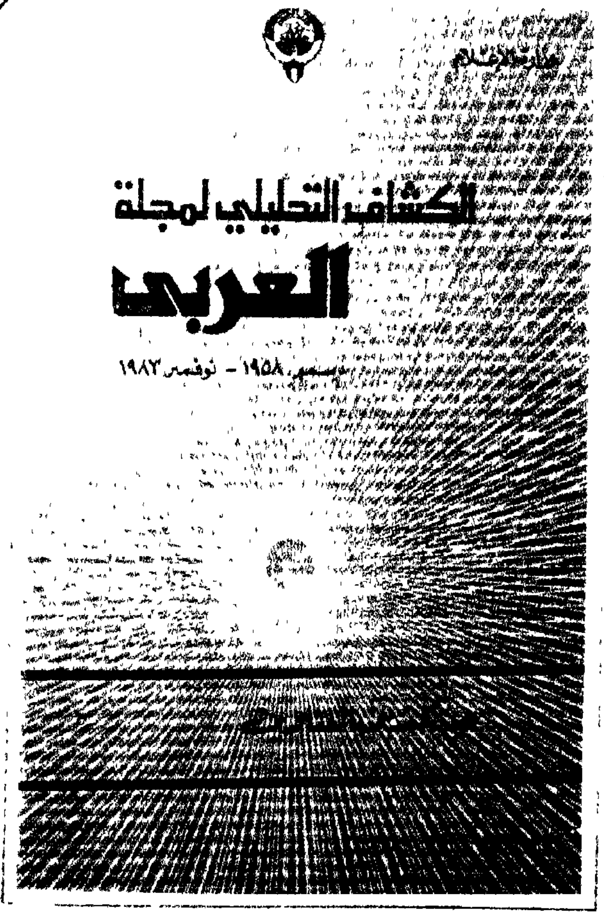
وزارة الإعلام
الكشاف التحليلي لمجلة
العربي
ديسمبر ١٩٥٨ - نوفمبر ١٩٨٢

- يطلب من موزعي مجلة "العربي" في الوطن العربي.
- السعر ديناران.

الجديد في العلم والطب

اعداد : يوسف زعبلاوي

العلاج بأسلوب « الكيجونج » الصيني

من المعروف أن ارتفاع ضغط الدم والذبحة الصدرية والشلل الجزئي أمراض خطيرة ، وقد يتعذر علاجها بأحدث الأدوية وأشدها فاعلية ، ومن هنا كان خبر معالجة هذه الأمراض دون استعمال أي دواء على الاطلاق خبراً مثيراً للدهشة والريبة في آن واحد ، مالم يكن هذا الخبر صادراً عن الصين ، بلد المفاجآت في كل مجال ، وبخاصة مجال العلاج الطبيعي والتداوي بالأعشاب

ذلك أن علماء الصين والأطباء فيها قد اكتشفوا أن التنفس بأسلوب معين (يسمونه الكيجونج Qigong) مدة ربع ساعة في الصباح ، وربع ساعة في المساء كفيل بالقضاء على الأمراض الثلاثة السالفة الذكر ، بنسب من النجاح متفاوتة ، وأسلوب « الكيجونج » في التنفس يعرفه أهل الصين منذ القدم - وقد عرفوا فوائده ، ودرجوا على ممارسته بين حين وآخر ، لكنهم لم يكتشفوا كفاءة (الكيجونج) العلاجية إلا مؤخراً ، وفي سنة ١٩٧٧ على وجه التحديد

لا عجب إذن إن أنشأت حكومة الصين جمعية للبحث العلمي الخاصة بالكيجونج ، وأقامت كذلك مئات المعاهد العلمية التي تركز أبحاثها على أسلوب التنفس المذكور ، هذا إلى جانب المراكز التي أنشأتها المستشفيات والجامعات في الصين للغرض نفسه ، فالقصد الذي تسعى إليه هذه المؤسسات العلمية جميعاً واحد ، وهو مدى قدرة « الكيجونج » على معالجة الأمراض

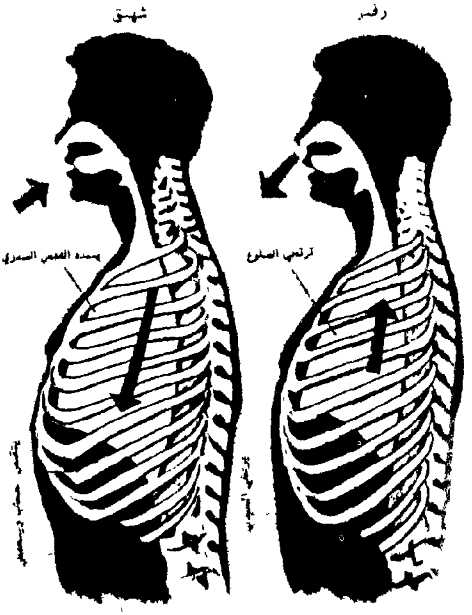

• رسم يبين تفصيل عملية التنفس ولكنه مع الأسف لا يوضح الأسلوب الصيني في التنفس (الكيجونج) !

الثلاثة السالفة الذكر ، ومدى نجاحه في الشفاء منها ، أي أن الأبحاث العلمية الحالية منصبة على (المدى) الذي تبلغه خصائص « الكيجونج » العلاجية لا على الخصائص نفسها ، فقد ثبتت هذه ثبوت اليقين بعد ألف من التجارب أو أكثر أجرتها حكومة الصين خلال السنوات العشر الأخيرة ، أي أنهم فرغوا من التجارب والدراسات الأولية ، أو إن شئت فقل المخبرية ، وانصرفوا بعد ذلك إلى التجارب الميدانية

وتشمل هذه التجارب عددا لا يستهان به من الناس - ١٥ مليون نسمة - كلهم من موظفي الدولة المكلفين بممارسة « الكيجونج » مرتين يوميا ، الأولى في الساعة العاشرة صباحا ، والثانية في الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر ، وذلك في مدة (١٥) دقيقة لكل مرة

وتدل هذه التجارب على أن كفاءة « الكيجونج » العلاجية تختلف باختلاف الأمراض الثلاثة التي ذكرناها فهي تبلغ ٨٥/ فيما يتصل بارتفاع ضغط الدم ، و ٦٧/ فيما يختص بالشلل الحرني الذبحة الصدرية ، « فالكيجونج » بمعالجتها والشفاء منها بنسبة ... ويجري بعض العلماء في الصين أ أخرى تتحرى فاعلية « الكيجونج معالجة أمراض أخرى أهمها السرطا

ومع أن تفاصيل أسلو « الكيجونج » في التنفس عـ معروفة ، ولم تكشف عنها التقارير التي وردتنا حتى الآن ، إلا أننا نعرف أنها بسيطة للغاية ، ولا تعقيد فيها ، وقوامها التنفس البطيء المتأني الذي يحد من كمية الأوكسجين التي تدخل جسم الإنسا بنسبة ٣٠/ تقريبا ، ويحد بالتالي من عملية الاستقلاب والسرعة في التنفس بنسبة ٢٠/ تقريبا ، وكأن المبدأ الذي يقوم عليه أسلوب « الكيجونج » هو التقنين في استهلاك الجسم للطاقة ، وحفظ هذه الطاقة المقننة كرصيد يساعد الجسم على محاربة الأمراض ، وعلى ترميم الطاقات ، وتجديد الموارد

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

جهاز جديد لسبر المياه الجوفية

● اسم الجهاز « الوادي » ، وهو اسم عربي كما لا يخفى ، لكن الشركة التي صنعته شركة سويدية ، تتخصص في صنع أجهزة القياس (الالكترونية) ، أما المهمة التي طور الجهاز من أجلها فهي سبر المياه الجوفية

فهو إذن يحل محل الأجهزة التي كانت تستعمل وما زالت من أجل اكتشاف مواطن المياه في أعماق الأرض ، وبعض هذه الأجهزة قديم ، يكتشف الماء بالصدفة ، أو بطريق الخطأ والصواب إن هو اكتشفه أصلا ، وبعضها حديث ويقوم على أساس من نظريـ (جيوفيزيائية) ، لكنه باهظ الثمـ يحتاج إلى كفاءات عالية لتفسير إشارا ثم إن نجاحه غير مضمون على كل حا

أما جهاز « الوادي » فمختلف ما

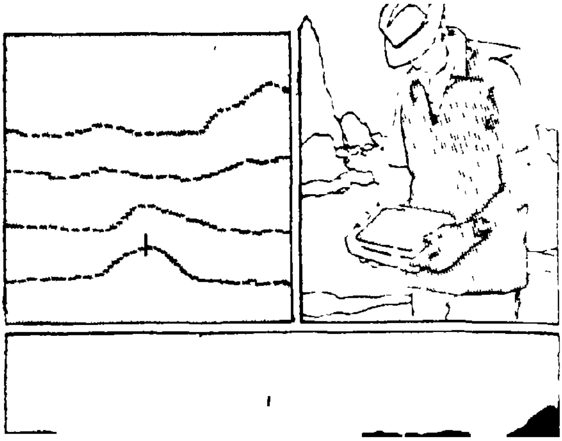

● رسم لجهاز الوادي ولبعض الاشـارات التي تظهر على شاشته ، والتي تدل على مواطن الماء الجـوفي وعلى مدى بعدهـا عن سطح الارض

على تلك الأجهزة، فهو صغير الحجم ، (١×٨×١٠) بوصات ، وخفيف الوزن (٥ كيلوجرامات بالتقريب) ، ومهمته تنحصر في قياس موجات (الراديو) ذات الذبذبات البالغة الانخفاض ، التي تعرف بالانجليزية باسم (VLF) ، وهذه الموجات التي تصدر عن أجهزة الارسال الحكومية والعسكرية ـ وهي أجهزة كثيرة ومنتشرة في كل مكان ـ تسير مع انحناءات الأرض في المستوى الأفقي ، ويسجلها الجهاز ، ويبينها خطا أفقيا على نحو ما ترى في الرسم

فإذا خرج هذا الخط عن خط سيره الأفقي ، وظهرت فيه نتوءات عمودية هنا وهناك كانت هذه النتوءات مؤشرا لوجود الماء في باطن الأرض ، ذلك أن الصخور الحاوية للماء في باطن الأرض عبارة عن موصل جيد للكهرباء ، وأجود بكثير من الرواسب التي تحيط بها ، والتي ليست بصلابة تلك الصخور ، ومن شأن هذه الصخور أن تعمل على إيصال تلك الموجات ، وإحداث تلك النتوءات في الخط الأفقي الذي يسجله الجهاز ولو أعيد تشغيل الجهاز مرتين أو ثلاث في المنطقة نفسها لأمكن التوصل إلى نتائج شبه مؤكدة عن وجود الماء الجوفي في تلك المنطقة ، لكن جهاز (الوادي) لا يقف عند اكتشاف وجود الماء الجوفي فقط ، بل هو يعطي تقديرا لمدى العمق وزاوية الانحراف حيث يمكن العثور على الماء ، أضف إلى ذلك أن الجهاز سهل الاستعمال

والجدير بالذكر أن الجهاز ليس معصوما من الخطأ ، إذا كانت هناك خطوط أنابيب معدنية ممدودة على سطح الأرض □

●

ليس ثمة بارجة كالكتاب ، تنقلنا بعيدا بعيدا ، وليس ثمة جياد كصفحة شعر متوثب .
(اميلي ديكنسون)

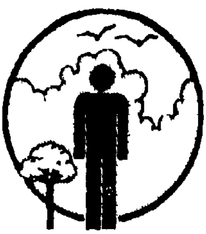

سلامة البشرية في سلامة البيئة

استغلال آبار النفط الناضبة

● من المعروف أن آبار النفط لا تلبث أن تنضب ، فتهمل ، ومن المعروف أيضا أن هذه الآبار ليست في حقيقة الحال ناضبة ، وإنما هي « بحكم الناضبة » لتعذر استخراج الزيت المتخلف فيها ، ولو ذكرنا أن كميات هذا الزيت المتخلف كميات تجارية ، وتستحق العمل من أجل استغلالها لما عجبنا للجهود التي طالما بذلها العلماء والخبراء في سبيل تطوير التقنية اللائقة بذلك الاستغلال

ويبدو أن تلك الجهود قد بدأت تثمر ، لكن في الاتحاد السوفيتي هذه المرة ، وليس في الولايات المتحدة كما قد يظن القارىء ، وكانت البداية في ملاحظة عابرة، تسنت للعلماء الروس ، عندما لاحظوا أن آبار النفط تعطي مردودا مضاعفا من الزيت إذا اتفق وجود هذه الآبار في منطقة تمر بها قطارات البضائع الثقيلة الوزن ، وتبين لهم أن أعظم المردود إنما يأتي من الآبار التي تسير تلك القطارات فوقها مباشرة ، ومضوا في إجراء التجارب ، وتسجيل الملاحظات ، وراقبوا الزلازل وأثرها على آبار النفط ، فثبت لهم أن الاهتزازات التي تحدثها القطارات الثقيلة ـ فضلا عن الهزات الارضية ـ هي التي تضاعف مردود الزيت

وانعطف تفكير العلماء السوفيات بعد ذلك من الآبار الفتية والغنية إلى الآبار التي تعتبر بحكم الناضبة ، وتساءلوا لم لا تولد اهتزازات مصطنعة ، تضمن لنا اعتصار الزيت المتخلف في تلك الآبار ؟ وقد طمأنتهم التجارب الأولية التي أجروها إلى أن ذلك الاعتصار ممكن

فانطلقوا بعد ذلك في تطوير المعدات الكفيلة بتوليد الاهتزازات المطلوبة ، وقد اقتربوا الآن من النهاية ، لذا يستطيع المرء التحدث عن أهم ما استكملوا تطويره من تلك المعدات ، وهي الهزازات الراجفة (أو الزلزالية) ، ومن شأن هذه الهزازات أن تولد طاقة ارتجافية ، أو هزة أرضية خفيفة ، تنطلق من المنصة المحكمة حيث توجد الهزازات حتى تصل إلى البئر « الناضب » ، فتلتقطها الأجهزة الصوتية التي وضعت في البئر مسبقا

ومن شأن الهزة الخفيفة التي تولدها هذه الهزازات أن تطلق العنان للغاز الذائب المكون من نفط وماء ، وما أسرع ما تتكون فقاقيع الغاز ، فتتدفق هنا وهناك ، بحثا عن قطرات الزيت المختلفة ، في الشقوق ، حتى إذا اجتمعت الفقاقيع بالقطرات ، ولامس الغاز الزيت ، التصق به وكوّن (بالونات) قوامها الغاز في الداخل والزيت الذي يحيط به من الخارج ، ثم يجرى تحريك هذه (البالونات) من فوق المنصة المحكمة ثم يجرى توجيهها بواسطة أجهزة النشاط الصو الارتجافي ، بحيث - الاستفادة من كل الزي

المـ ـف في البئر

ن أهم ما يذكر عن هذه الأجهزة والمعدات أن كلفة تشغيلها زهيدة ، لا تكاد تبلغ ٣,٠ / من قيمة الزيت المستعمل من آباره الناضبة ، أضف إلى ذلك أن نسبة ما تستعمله من هذا الزيت المتخلف لا تقل عن ١٠٠ / ، ثم إنها ضرورية لاستخراج الزيت من آباره الفتية الغنية ، فهي تقوم بتكثيف ذلك الزيت بسرعة تفوق سرعة الطبيعة ألف مرة

حدائق الحيوان المكشوفة أكثر ربحا من المزارع

● أجرى بنك التنمية الافريقي دراسة علمية ، قارن فيها بين مزارع المواشي وحدائق الحيوانات البرية ، وقدم دراسته تلك إلى منظمة الأغذية والزراعة التابعة للمنظمة الدولية ، وقد لقيت هذه الدراسة من الاهتمام والعناية ما ستحقه

والمقصود بحدائق الحيوانات البرية تلك الحدائق المكشوفة ، أو إن شئت فسمها المزارع الشاسعة التي ترك الوحوش فيها على سجيتها ، أما الاقليم المعني بالدراسة المقارنة فهو وادي نهر الزامبيري في افريقيا ، حيث تكثر تربية المواشي من أجل بيع لحومها ، دون الاهتمام بجلودها أو غير ذلك

وقد أثبتت الدراسة أمرين هامين ، أولهما أن مردود حدائق الحيوان المكشوفة يفوق مردود مزارع المواشي - البقر مثلا - بنسبة الثلث أو أكثر ، ولعلك تعجب لهذا أو لا تتعجب ، فالايرادات المختلفة التي تنتجها الحدائق المكشوفة نذكر منها إيرادات الرسوم التي تتقاضاها الحدائق من هواة الصيادين ، ونذكر منها أثمان الحيوانات الحية التي تبيعها للحدائق الأخرى محلية أو أجنبية في دول أخرى قريبة أو بعيدة وتشمل تلك الايرادات أيضا أثمان جلود الحيوانات وعاجها ، هذا بالاضافة إلى رسوم السياحة التي تجنيها الحدائق المكشوفة ، وهي كبيرة ، ولعل أكبر من سائر الايرادات

أ الأمر الثاني الذي أثبتته الدراسة فهو أن الحدا المكشوفة تمتاز على مزارع المواشي من حيث قدرة على حماية البيئة ، والمحافظة على فصائل الحيوان البرية المهددة بالانقراض ، ونذكر من هذه الحيوانات الكركدن الأسود ، وقد نجحت الحدائق المكشوفة في وادي الزامبيري في انقاذ فصيلة الكركدن الأسود من الانقراض الذي طالما تهددها

* زرافة تتمشى بجانب جدول ماء في احدى حدائق الحيوان المكشوفة في كينيا

وتؤكد الدراسة السالفة الذكر أيضا مدى الحاجة إلى الحدائق المكشوفة في جهات عديدة من العالم ، وتؤكد أيضا العقبات التي تقف في طريق انتشارها ، فالموضوع متصل - كما لا يخفى - بالتقاليد والعادات الفكرية ، وأسلوب العيش على الأخص ، وهذه كلها راسخة في نفوس الفلاحين والمزارعين ، ويصعب جدا التغلب عليها لصالح الحدائق المكشوفة □

العربي
عيونك
على العالم

تتاريا

إرث المغول
وطموحات الحاضر والمستقبل

استطلاع : سليمان الشيخ
تصـــوير : سليمان حيدر

* يتأثر المغلوب بالغالب في معاشه ، وتصرفات حياته وفي معتقداته

هكذا وصع ابں خلدوں هذه القاعدة التي استقاها من وقائع كثيرة إلا أن التتار خرحوا عں هده القاعدة ، وكانوا شوادها ، فهم بعد أں احتلوا كثيرا من بلاد الدبيا المعروفة في رمانهم إثر حروحهم العاصف مں بلادهم الأسيوية أسلموا بعد وثنية ، واعتنقوا دين بعض الشعوب التي علبوها ، وأصبحت من رعاياهم .

بعثة « العربي » زارت الجمهورية التتارية ، وكان لها مشاهدات وحوارات .

قامت جمهورية تتاريا السوفيتية سنة ١٩٢٠ م وهي جمهورية دات حكم داتي ، صمن جمهوريات الاتحاد السوفيتي ، وكانت قبل دلك ـ أي منذ سنة ١٥٥٢م حرءا من الامبراطورية الروسية ، وقد تم صمها لهذه الامبراطورية رمن القيصر (ايفان) الذي لقب بالرهيب

مساحة الجمهورية الآن حوالي ٦٨,٠٠٠ كيلومتر مربع ، عدد سكانها حوالي ٤ ملايين نسمة ، وعاصمتها مدينة قازان التي يتجاور عدد سكانها المليون نسمة ، وهي تقع في قارة أوروبا ، في الجانب الشرقي من جمهورية روسيا الاتحادية ، يمر فيها نهر الفولغا ويلتقي بنهر كاما ، والفولغا من أشهر الأنهار في الاتحاد السوفيتي ، الصالحة للملاحة ، طوله ٣٥٠٠ كم ، قامت عليه مدن عريقة كثيرة في الاتحاد السوفيتي ، كموسكو التي تقع على النهر الذي يحمل اسمها الآن ، وهو متصل بالفولغا بقناة ، ومدينة غوركي ، وكويبشيف ، واستراخان ، وفولغوغراد ، وغيرها ، وقازان تقع على الجانب الأيسر من نهر الفولغا

تحد جمهورية تتاريا من الشرق جمهورية بشكيريا ذات الحكم الذاتي ، وتحدها من الغرب والشمال جمهوريات صغيرة ذات حكم ذاتي ، مثل الحوفاش ، وماري ، وادمورت ، وفي الجنوب تقع حبال الاورال ، وجمهورية كاراخستان ـ الاتحادية ـ وجمهورية شكالوف ، دات حكم داتي

كان معظم سكان هده الجمهوريات يديبون بالاسلام ، ومں بيبها جمهورية تتاريا ، وبظرا لوجود مياه وفيرة في الجمهورية تنتشر الزراعة فيها وتزدهر ، وتزرع فيها كثير من أنواع الحبوب ، كالقمح والشعير والذرة ، والخضراوات والفواكه

ولا تقتصر ثروة تتاريا على خصب تربتها ، ووفرة مياه أنهارها ، بل إن في باطن أراضيها كميات كبيرة من الذهب الأسود ، وهو النفط الذي تنتج مه الجمهورية ملايين الأطنان سنويا

مع رئيس الجمهورية :

في اليوم الثاني لزيارة بعثة مجلة « العربي » للجمهورية في صيف العام الماضي التقينا بالسيد شامل مطاييف رئيس الجمهورية ، وسكرتيرته في « كرملين » قازان

قال إن جمهورية تتاريا مشهورة بانتاجها النفطي الذي يزيد على ٥٠ مليون طن سنويا ، وقد بدي باستخراج هذه الثروة اعتبارا من سنة ١٩٤٣ م ، وتفيد التقديرات الأولية إلى أن جمهوريتنا تحتوي على ما يزيد على ملياري طن من النفط

وقد لا أبيح لكم سرا لو قلت إن التركيز في خطط الحكومة المركزية ينصب على توسيع انتاج مادن

* رئيس الجمهورية التترية السيد / شامل مطاييف

والنفط من منطقة سيبيريا ، ومن ثم توجيه كثير من الكفاءات والقدرات نحو هذه « القارة » الغنية كثيرا بالثروات

وتمر في جمهوريتنا أنابيب النفط المتجهة من سيبيريا إلى أوروبا ، (شرق أوروبا وغربها)

* ألا توجد عقبات تقنية تحول دون التوسع في هذا المجال ؟

- نعم توجد عقبات تقنية ، وهناك صراع مع الوقت لجعل الأجيال الحاضرة تستفيد من الثروات المتوفرة ، ومع ذلك فإن الخطط الطموحة ما زالت تسارع وتيرتها ، وكل عقبة لها حل بطبيعة الحال ، ولن يمضي وقت طويل إلا ونكون قد تجاوزنا المشاكل الآنية ، لندخل في مشاكل أخرى ، إنها الحياة ، وجدل الحياة لايعرف التوقف أو السكينة

* لاشك أن جمهورية تتاريا غنية بكثير من الثروات ، فهل ينعكس ذلك على المواطن ؟ وعلى الخدمات التي تقدم له ؟

صحيح إن للمواطن الحق في الاستفادة من ثروات بلاده ، لكن لا تنس أننا جزء من الاتحاد السوفيتي ، وفيه مناطق غنية وفقيرة ، كما أن للاتحاد السوفيتي التزاماته على أكثر من صعيد محلي وعالمي ، ومع ذلك فإن القرارات المركزية قد أكدت على سد ثغرات النقص ، وتقديم كل ما يمكنه أن يدخل الرفاه إلى حياة الناس ، خاصة في المناطق الغنية بثرواتها

إن تتاريا بلاد صناعية ، تنتج كثيرا من الصناعات المهمة ، يساعدها في ذلك الطاقة الناتجة عن المياه ، والطاقة الناتجة عن النفط ، كما أن الزراعة فيها متطورة ، وهي بلاد عريقة ، فقد تخرَّج في جامعة قازان عشرات - إن لم أقل مئات - من الأشخاص المشهورين والرواد في كثير من العلوم والفنون ، ولذلك فإنك لن تجد أميا واحدا فيها ، كما أن الخدمات فيها متطورة ، ويمكنك أن ترى ذلك بنفسك

* المعلومات المتوفرة لدينا تشير إلى أن مدينة قازان يسكنها ما يزيد على مليون نسمة ، وهي مدينة واسعة ، لا يجد الزائر فيها ازدحاما كثيفا ، ومع ذلك فإنه يسكنها ربع سكان الجمهورية ، وأخشى أن تحتوي المدن الأخرى في الجمهورية على كثافة سكانية مماثلة ، والسؤال هنا ألا تجدون أن هناك اختلالا بين عدد سكان الأرياف وبين عدد سكان المدن ، وذلك يناقض طروحاتكم النظرية ؟

- ملاحظتكم جديرة بالتقدير ، وجديرة بالتعليق والمناقشة ، وما يمكن أن أقوله وأجتهد فيه هو أن سنوات التطوير الأولى لم تشهد نزوحا كثيفا نحو قلب المدن ، إلا أن ظهور النفط ، وإنشاء مشروعات صناعية كبيرة دفع الناس إلى تكثيف وجودهم في الحواضر الصناعية ، مما أثر على الريف ، وعلى التنمية الزراعية ، وجعلنا ننحو إلى تحسين الظروف التقنية ، والاهتمام بتوفير الخدمات والمؤسسات المتطورة في الأرياف ، حتى أوجدنا بعض التوازن بين الريف والمدينة ، وما زلنا نوالي تحسين ظروف الاسكان ، وظروف العمل في الارياف ، وقد استقرت النسبة على وجود حوالى ٤٠٪ من السكان في الارياف ، ونحن بصدد زيادة هذه النسبة

* أيد ناعمة ، وصناعات دقيقة

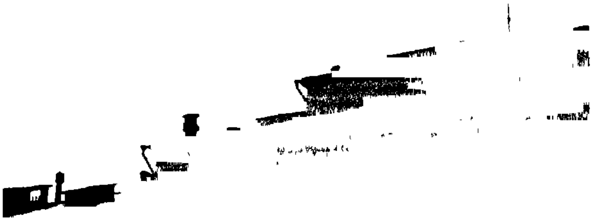

* هذه الأعمدة التي تذكرك بالعمارة الرومانية القديمة هي أعمدة جامعة أوليانوف ، أي جامعة مدينة قازان ، إحدى أعرق الجامعات في العالم ، والتمثال للقائد لينين الذي درس في شبابه فيها

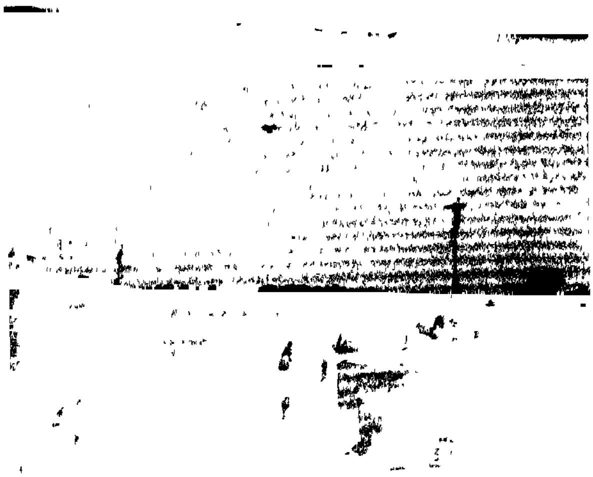

* نهر الفولغا الذي قامت عليه أشهر الحضارات والمدن الروسية والسوفيتية ، ومنها مدينة قازان

*هل تأثرتم عما حصل في تشيرنوبيل ، وهل وصلكم الغبار الذري ، وهل أثر على حياتكم ؟

ـ لقد استقبلنا حوالي ٥٠٠ طفل وشاب وفتاة ، تتراوح أعمارهم بين ٨ سنوات و ١٤ سنة ، وهم من سكان مدينة تشيرنوبيل ، وقد أسكناهم بين العائلات التترية ، وأقول بكل اطمئنان انه لم يظهر عليهم أية مضاعفات ، أو أية ظواهر غير طبيعية ، ما عدا ذلك فإن حياتنا ما زالت تسير كما هو معتاد بالرغم من اتخاذنا لاجراءات الفحص والوقاية المستمرة

وأنهى السيد رئيس الجمهورية حديثه بتقديره وتقدير الشعب التتري لما تقدمه حكومة الكويت من مساعدات وقروض للشعوب الأخرى ، دون منة ، أو فرض شروط خاصة ، وأعلن عن تقديره للسياسة المتوازنة التي تنتهجها الكويت في علاقاتها ومواقفها بالنسبة لكثير من قضايا العالم ومشاكله

كرملين قازان

تلفت نظر الزائر لمدينة قازان المباني العريقة ، والقصور المتقاربة ، والأبراج الشاهقة ، تلك التي يطلق عليها اسم « كرملين قازان » ، وهي تشبه إلى حد كبير مباني الكرملين في موسكو ، وإن كانت أكثر تواضعا منها ، وهي مقر الحكومة ، حيث استقبلنا رئيس الجمهورية ، فمن بناها ؟

تذكر المصادر أن القيصر ايفان الرهيب بعد احتلاله للمنطقة وقهره ـ للخانيات ـ الامارات التتارية القائمة فيها ، جعل من قازان بوابة له نحو الشرق ، وتابع القياصرة الذين أتوا بعده هذه السياسة ، وقد اختط ايفان أبنية الكرملين القازانية ، وتابع البناء القياصرة الذين أتوا بعده ، وكان كل قيصر بعد ذلك يضيف إلى المباني أو يرممها وهي المباني التي ما زالت قائمة حتى الآن ، وهي مقصد للسياح ، إضافة إلى كونها المقر الرسمي للحكومة

حكاية التتار :

* إذا كان الأمر كذلك، فما هي حكاية التتار الأقدمين ؟

من هم البلغار الصقالبة الذين كانوا قبلهم ؟

وما هي حكاية ابن فضلان معهم ؟

بل من هو ابن فضلان نفسه ؟

* « صحيح أننا أحفاد التتار القدماء، لكننا ندين سياسة الحرق والقتل التي أتى بها هولاكو، وتيمورلنك، وجنكيز خان، وغيرهم »

هكذا قال لنا كامل بن إمام الدين، مؤذن مسجد مدينة قازان، المتخرج منذ ثلاث سنوات من المدرسة الدينية التي تسمى « مير عرب » في بخاري

فمن هم التتار الذين يقال لهم المغول في بعض المصادر أو العكس ؟

جاء في الموسوعة العربية الميسرة

« تتار اسم عام يطلق على شعوب اكتسحت أجزاء من آسيا وأوروبا، بزعامة المغول في القرن الثالث عشر الميلادي، ويرجح أن التتار الأصليين جاءوا من شرق آسيا ووسطها، أو من وسط سيبيريا، وبعد أن انحسرت موجة غزوهم نحو الشرق ظل التتار يسيطرون على كل روسيا وسيبيريا تقريبا، وظلت امبراطوريتهم حتى أواخر القرن الخامس عشر، حين تمزقت إلى خانات عديدة مستقلة، سقطت في أيدي الأتراك العثمانيين، والقيصر ايفان الرابع »

وجاء في دائرة المعارف الاسلامية - المجلد الرابع

« ويظهر أن الشعوب التي انحدرت من أصل « مغلي » وتتحدث بالمغولية كانت تسمى نفسها دائما باسم التتر »

* لكن كيف دخل التتار في الدين الاسلامي، مع أنهم كانوا وثنيين، وقد أسقطوا دولة الخلافة العباسية الاسلامية في بغداد سنة ١٢٥٨م ؟

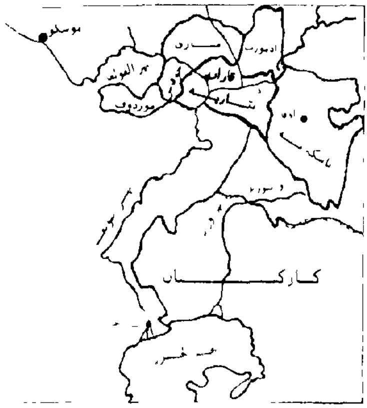

● جمهوريات حوض نهر الفولغا ومنها جمهورية تـ ـ

جاء في كتاب « المسلمون في الاتحاد السوفيتي - عبر التاريخ » الجزء الأول، للدكتور محمد علي البار ما يلي

« كانت بداية هذا التحول عندما تولى بركة خان ابن جوجي ابن جنكيز خان الحكم لقبيلته، المعروفة بالقبيلة الذهبية، وذلك سنة ١٢٥٦م، وكان بركة خان قد دخل في الاسلام منذ طفولته

واستمر حكم بركة خان إلى سنة ١٢٦٧م، وتحول في أثنائها معظم أفراد القبيلة الذهبية إلى الاسلام

وكان سلطان هذه القبيلة يمتد من تركستان حتى روسيا وسيبيريا، وقد حكموا موسكو نفسها، ولم يكن ينصب أمير موسكو إلا بعد موافقتهم، وقد أقاموا مدينة قازان الشهيرة في شمال نهر الفولغا التي أصبحت بعد ذلك عاصمتهم

واختلط هؤلاء المغول الذين عرفوا باسم التتار « ببلغار » الفولغا المسلمين، اختلاطا شديدا وأصبح سكان هذه المناطق يعرفون - جميعا - با
« التتار »

* إذا كان الامر كذلك فما الذي حدث لهذه الد
بعد ذلك ؟

يجيب الدكتور البار في كتابه سابق الذكر قائلا « نتيجة للخلافات انقسمت أملاك القبيلة الذهبية في مجرى نهر الفولغا وما حولها إلى عدة دويلات ، عرفت باسم الخانيات ، وذلك منذ سنة ١٤٣٨م ، حيث كانت تلك بداية النهاية »

وهكذا سقطت الخانيات واحدة إثر أخرى بيد الروس

بلغار الفولغا :

* لقد ورد ذكر « بلغار الفولغا » في النص السابق ـ فمن هم ؟ وهل هناك بلغار غير بلغار الفولغا ؟

« لقد انتشر الاسلام على صفاف نهر الفولغا منذ زمن طويل ، وأرجح أنه كان منتشرا قبل وصول بعثة ابن فضلان سنة ٩٢١م الى مدينة بلغار ، عاصمة الدولة آنذاك التي ما زالت شواهدها قائمة على بعد بضعة كيلومترات من موقع مدينة قازان ، وقد لعب التجار وأصحاب بعض الطرق الصوفية دورا رئيسيا في نشر الدين الاسلامي » هكذا قال لنا الأستاذ الدكتور مير قاسم عثمان نائب مدير جامعة أوليانوف ـ أي جامعة مدينة قازان

ويذكر الدكتور سامي الدهان في مقدمته لرسالة ابن فضلان الذي ترأس بعثة الخليفة المقتدر العباسي إلى ملك البلغار المش بن يلطوار ، وكتب عن أحوال الناس والبلاد ما يمكن اعتباره وثيقة مهمة جدا ، ومما جاء في تلك المقدمة ما يلي

« إن سمعة بغداد في الخارج كانت جيدة ، بل عظيمة ، يتهافت الملوك والأمراء عليها ، ليعقدوا مها أجمل الصلات ، وأوثق المحالفات ، حتى أن الصقالبة » ـ وهم من سكان الشمال في أوروبة ، أطراف نهر الفولغا ، وعاصمتهم على مقربة من سازان » اليوم ، في خط يوازي مدينة موسكو وا عون الخلافة ومساعدتها ، فقد ذكر ابن لان أن مليكهم « المش بن يلطوار » طلب إلى أمير المؤمنين المقتدر بالله أن يرسل إليه بعثة من قبله ، تفقهه في الدين ، وتعرفه شرائع الاسلام ، وتبني له مسجدا ، وتنصب له منبرا ، يقيم عليه الدعوة للخليفة في جميع مملكته ، وسأله أن يبني له حصنا يتحصن فيه من الملوك المخالفين له ، وقد بسط ابن فضلان أمر هؤلاء المخالفين فقال إنهم ملوك الخزر من اليهود ، كانوا يعتدون على قومه ، ويفرضون عليهم الضرائب ، يؤدونها عن كل بيت في المملكة جلد سمور ، وابن ملك الخزر يخطب من يريد من بنات ملك الصقالبة ويتزوجها غصبا »

وتفيد بعض المصادر التاريخية إلى أن رحلة ابن فضلان استغرقت حوالى ١١ شهرا ، من ٢١ حزيران (يونيو) سنة ٩٢١م إلى ١١ آيار (مايو) سنة ٩٢٢م ، كما تفيد تلك المصادر إلى أن دولة الخزر كانت قائمة على جوانب نهر الفولغا الدنيا ، وعلى شواطيء بحر « الخزر » ، أي قزوين حاليا ، وكان اسم عاصمتهم (إتل) ، وهو الاسم القديم لنهر الفولغا ، وموضع هذه المدينة هو نفس موضع مدينة (استراخان) الحالية

والخزريون كما تذكر بعض المصادر صقالبة بلغار ، من نفس جنس جيرانهم ، تهود بعضهم ، ودخل المسيحية بعض آخر ، كما أسلم منهم بعض ، خاصة أن مدينة دربند « باب الابواب » القريبة من إتل أي استراخان سيطر عليها المسلمون منذ زمن ليس بالقصير وانتشر فيها الاسلام

ويبدو أن للصقالبة البلغار عدة فروع ، فبعض المصادر التاريخية تذكر بلغار الفولغا ، وبلغار الدانوب ، ويبدو أن الدولة البلغارية السلافية الحالية هي استمرار لما كان قائما من قبل في منطقة الدانوب ، في حين أن الروس قد قضوا قضاء تاما على دولة البلغار الخزريين سنة ٩٦٨م ، وقضى التتار على دولة بلغار الفولغا سنة ١٢٣٦م

* الدق بعنف هي إحدى ميزات الرقص الشعبي التتري . فهل هو نوع من التنفيس عن طاقات كامنة ؟ (فوق)

* عائلة العامل السوفيتي فلاديمير تشير نايوف (الى اليمين)

* وجهان تتريان (الى أقصى اليسار)

* درس في فن « الكولاج » - القص واللصق - في إحدى الاستراحات (الى اليسار)

« قازان » من تكونين ؟

« قـازان » الحالية مدينـة واسعـة ، وعـاصمـة للجمهورية التترية ، تقع على نهر قازانكا أحد فروع نهر الفـولغـا ، وهي مـركـز صنـاعي ، زراعي ، علمي ، تجاري مهم في المنطقة

جاء في الموسوعة العربية الميسـرة عن « قازان » « أن بهـا مصانـع للطائرات والقـاطـرات والآلات الـزراعيـة والمـطاط الصنـاعي ، والمفـرقعـات والمنسوجات ، وبها أيضا كثير من المنشآت الثقافية » (من بينها جامعة أنشئت سنة ١٨٠٤م)

نشأت قازان سنة ١٤٠١م عاصمـة لخانية ـ إمارة ـ تترية قوية ، غزاها ايفان الثاني سنة ١٥٥٢م »

ومازالت المباني القديمة تشهد على أهمية هذه المدينة عبر عصور التاريخ ، فشوارعها فسيحة ، وكثافتها السكانية قليلة بالنسبة لمساحتها الـواسعة ، يتخلل قلبها وأطرافها كثير من الأشجار ، كما أن النهر يمثل رئة مهمة لسكـانها ، إضـافـة إلى كـونـه وسيلة مناسبة للتنقل ، ويقوم عليه كثير من المنشآت ، منها (ترسانة) لصناعة السفن وإصلاحها

وعندما سألنا الدكتور مير قاسم عثمان عن معنى قـازان أو كـازان ، ومن أين جـاء ، ذكـر عـدة اجتهادات في هذا الأمر فقال

ـ يقال إن وعاء كبيرا سقط في النهر ، فأخذ أحد الجنود يصيح قازان ، قازان ، وبعد ذلك أطلق هذا الاسم على الموقع

ـ يقال أيضا انه كانت هناك قلعة مكـان كرملين قازان الحالي ، وكان الناظر من القلعة يرى دوائر في الماء أو على الأرض ، ولـذا كان يصيـح قازان ، قازان

ـ كما يقال ان اسم النهر كان (قازان صو) فأطلق الاسم على المدينة

ـ ومما يقال أيضا ان القبيلة التي سكنت المكان كان اسمها قاز ، وأن لفظ « آن » يعني أراضي بالتترية ، فيكون المعنى أراضي قاز

توقاي في بيت شامل !

* لمن هذا التمثال ؟

ـ إنه لعبد الله توكاي « توقاي »

* ومن يكون ؟

ـ إنه شاعرنا العتيد ، إنه « بوشكين » التتار

* يبدو أنه لم يترجم له شيء إلى العربية ؟

ـ بلى ، لقد ترجمت « شيرالاي » إلى العربية

*وما هي « شيرالاي » هذه ؟

ـ هي قصـة عن « الغـول » ، كتبهـا تـوقـاي للأطفال

هكذا دار الحوار بيني وبين مرافقنا التتاري

كان الشارع الذي تواجدنا فيه يحمل اسم توقاي أيضا ، ثم وصلنا إلى مبنى متوسط الحجم بطابقين ، يحاذي الشارع ، فقيل لنا هذا « متحف توقاي » ، فدخلناه ، فاستقبلنا مديره السيد نعمان حبيب الله ، قال

ـ إن هذا البيت لم يكن لتوقاي ، بل كان لعميد في الجيش القيصري اسمه محمد شامل

* هل تعني شامل داغستان القفقاسي ؟

ـ أجاب المدير نعم إنه ابن الشيخ شامل ، لقد فعل عكس ما فعله والده ، فبينما كان الشيخ ثـائرا ضد السلطة القيصرية التحق ولده بجيشها ووصل إلى رتبة عميد ، وعندما تقاعد سكن هذا البيت ، وتوفي سنة ١٩٠٦م

ـ وعندما قامت ثورة سنة ١٩١٧ طالب النـاس بعدها بتحويل البيت إلى متحف لأعمال توقـاي ، وكما ترى فإن كثيرا مما يخص توقـاي موجـود هنا ، مؤلفاته ، وكتبه ، لكنه قد مات قبل أن يشهد بزوغ شمس الثورة مع الأسف

* متى توفي ؟

ـ في عام ١٩١٣م

* ومتى ولد ؟

ـ سنة ١٨٨٦م ، ولقد مات وهو ما يزال في عنفوا

ـسابه ، ومع ذلك فقد أنتج عشرات الأعمال لشعرية والقصصية ، خصوصا المتعلقة بالأطفال ، إصـدر بعض الصحف ، ولعب دورا في تحريك لوعي ضد السلطة القيصرية وممارساتها

موز آخرون :

مادمنا في سيرة عبد الله توقاي ، فقد زرنا متحفا عمل اسمه ، في قرية قرلاي ، أقيم بالقرب من حيرة صغيرة كان يلجأ توقاي للجلوس تحت بعض لشجيرات المحيطة بها ، ويكتب بعض أعماله ، من لك الأعمال المشهورة (شورالاي) الذي جسده حد النحاتين بمنحوتات خشبية ، تم وضعها في حديقة المتحف ، وهي عبارة عن « غولات » الغابة لما تصورها الكاتب

وقد تم تشييد بناء المتحف اعتمادا على الأسلوب لشرقي ، ومادته الأساسية من الخشب ، وقد بلغت كلفته حوالي مليون روبل ، نفذه المهندس الفنان اقي أورمنشاه ، وافتتح عام ١٩٧٩م وهو يحتوي على طابقين فيهما كثير من أعمال الشاعر وأشيائه

ذكرت لنا مديرة المتحف أن لينين رئيس الدولة لسوفيتية الأسبق سأل مجموعة من التتار ذات يوم

* هل يوجد مثيل لتوقاي في تتاريا ؟

ـ أجابوا · نعم يوجد

فعلق لينين إذن لم تنته قوة الشعب التتري بعد

كما ذكرت لنا المديرة أيضا أن لويس أراغون الشاعر الفرنسي المشهور كتب ذات يوم : « إن شعر توقاي ، ومسجد كافوري ، وروايات ابراهيموف ـ أحد أدباء التتار ومفكريهم ـ قد عبدوا الطريق لأدباء تـ يا السوفيتية وأوحوا لهم بما أنتجوا » .

ومادمنا في سيرة الأشخاص الرموز فلنذكر أن ال احة المقابلة لكرملين قازان تحتوي على نصب ـ . سألنا مرافقنا · لمن هذا النصب ؟

جاءنا الجواب : إنه لموسى جليل الوطني الذي ـ ، دورا في مقاومة الألمان عندما جاءوا إلى تتاريا سنة ١٩٤٢ ، أثناء الحرب العالمية الثانية ، فساقوه معهم وأعدموه ، وهو من مواليد سنة ١٩٠٦

وموسى جليل أديب مناضل ، له ديوان شعري مطبوع ، مترجم إلى عدة لغات ، منها الانكليزية ، ونص ديوانه الأصلي مكتوب باللغة التتارية ذات الحروف العربية

لينين في قازان :

هناك رمز آخر ، وطني وعالمي في نفس الوقت ، إنه قائد ثورة أكتوبر ، فلاديمير ايليتش لينين

* ما هي علاقة لينين بقازان ؟

ـ « لقد عاش فيها وناضل ، بل وتعلم في جامعتها » ، هكذا أجابتنا السيدة كلارا وليدوا مديرة البيت الذي عاش فيه لينين ، والذي تحول إلى متحف ، وافتتح سنة ١٩٣٧م ، وقد زار المتحف ٦ ملايين زائر من حوالي ١٠٤ جنسية ، وعندما عرفت المديرة جنسيتنا علقت لقد أصبحوا ١٠٥ جنسية الآن

وأضافت لقد كان والد لينين مفتشا للمدارس ، فجاء إلى قازان ومعه العائلة والأولاد ، ودخل لينين جامعة قازان اعتبارا من بداية السنة الدراسية ١٨٨٨م ، إلا أن نشاطاته ، وحدوث اضطرابات في الجامعات ـ ومنها جامعة قازان ـ حتمت اعتقاله ، خاصة بعد أن عرف أنه شقيق الكسندر الذي تم إعدامه سنة ١٨٨٧م ، نظرا لنشاطاته الثورية ، ثم نفي إلى قرية تبعد ٤٠ كيلومترا ، كانت تعرف باسم كوكوشاكينو ، وهناك أمضى ساعاته وأيامه بالقراءة الحادة ، وبعد أشهر سمح له بالعودة إلى المدينة ، لكن لم يسمح له بالعودة إلى الجامعة ، وقد أمضى عدة أشهر بقراءة كثير من المراجع ، خاصة كتابات ماركس وانغلز . وفي سنة ١٨٨٩م انتقل إلى بلدة سامارا التي أصبحت تعرف بكاييشيف ، ثم انتقل بعدها إلى العاصمة الروسية

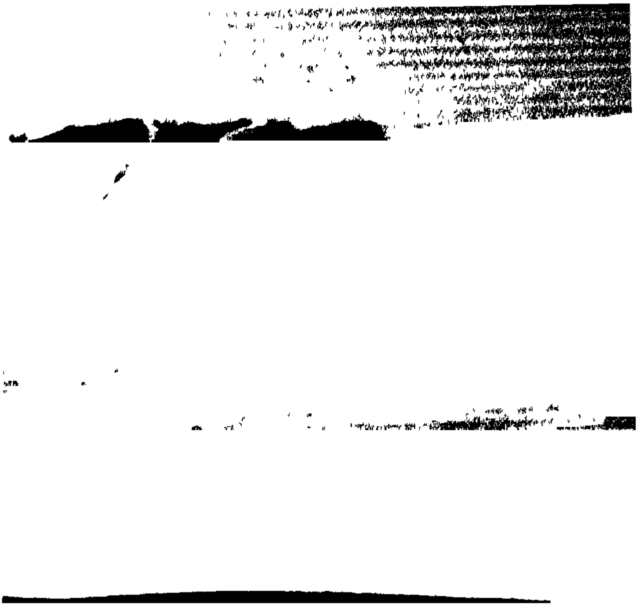

* مزروعات وثروة حيوانية ـ إنه الريف الثري الغني والمتنوع الثروات
أعلى الى اليمين

* بانتظار الآتي في إحدى محطات الحافلات في مدينة قازان
الصورة العليا

* ما زال النقش والتطريز يتمان باليد لتوكيد العراقة والمتانة في صناعة الجلود الى اليسار

* العامل التـ
السوفيتي اس علا
وزوجته صوفيا
الى اليمين

ويحتوى المتحف على بعض ممتلكات العائلة وأثاثها ،وبعض الاشياء التي تتعلق بلينين ، منها ساعة عمرها ـ كما ذكرت مديرة المتحف ـ ٢٠٠ سنة ، وهي مازالت تعمل ، حتى يوم زيارتنا

في الجامعة

جامعة أوليانوف (نسبة إلى اسم والد لينين ، وقد كان لينين يوقع بهذا الاسم بعض الاحيان) تم افتتاحها سنة ١٨٠٤ ، « والمعروف أن قازان كانت مدينة علم وثقافة منذ زمن بعيد ، وفيها الآن فرع لأكاديمية العلوم السوفياتية ، وقد أنشىء فيها أول فرع للاستشراق بالاتحاد السوفيتي أيضا ثم انتقل إلى لينينغراد وجامعة قازان تعتبر الثالثة من حيث الأهمية في الاتحاد السوفيتي بعد جامعتي موسكو ولينينغراد »

وقد درس في هذه الجامعة وتخرج فيها عدد من الشخصيات المرموقة المهمة ، مثل لينين ، وتولستوي ، وبافلوف (عالم النفس المشهور) ، وبوتليروف اختصاصي كيمياء ، وفشنفسكي اختصاصي جراحة ، وفانيلوف ، وغيرهم كثير

وقد تخرج في الجامعة خلال الخمس سنوات الأخيرة حوالي ٩٨٣٤ طالبا وطالبة من أربعين قومية ، منهم بعض الطلبة العرب من سوريا ، واليمن ، وليبيا ، وغيرها من الأقطار العربية الأخرى

حروف اللغة

لا شك أن ظاهرة لغات بعض الشعوب التي اعتنقت الدين الاسلامي المكتوبة بحروف عربية تلفت الأنظار ، وتثير كثيراً من الأسئلة ، خاصة عندما يتم التصريح بأن تلك الحروف قد تم تغييرها إلى حروف لاتينية وغيرها ، أي انه اذا ما كان استخدام الحرف العربي ، لم يخدم اللغة فلماذا لم تتم العودة إلى حروف اللغة القومية ؟ ولماذا يتم الاستعانة بالحرف اللاتيني ثم الحرف الروسي ؟ أهي قضية سياسية ، أم هي قضية لغوية ، أم أن في الا
أسبابا خفية غير معلنة ؟

طرحنا السؤال على السيد رئيس الجمهوريه فأجاب.

- إن قلت لك يقينا ما هي الأسباب فإنني أتعد
على اختصاصات غيري ، فأنا غير متخصص باللغة ، وتجربتي السابقة كانت ضمن العمل النقابي ، ومع ذلك أجتهد وأقول عندما قامت الثورة كان معظم شعبنا أميا ، وكان لزاما علينا محاربة الأمية ، واطلاع شعبنا على مجمل التطورات التي حصلت في شتى مجالات الحياة ، وهكذا وجد الاختصاصيون أن الحروف اللاتينية تسهل عملية القضاء على الأمية ، وتسهل ادخال العلوم في المناهج الدراسية

ويمكن القول انه لا يوجد في بلادنا أي أمي الآن ، والحروف العربية واللغة العربية مازالتا تدرسان في الجامعة في الأقسام المتخصصة ، وباعتقادي أن الأمر غير مرتبط بالموقف من الدين أو غيره من اعتبارات غير فنية

- بروفسير التاريخ مير قاسم عثمان اجتهد في هذا الموضوع فقال

لقد استخدم سكان هذه المنطقة ـ البلغار أو التتار ـ حروف اللغة العربية بدلا من حروف لغتهم الوطنية منذ حوالي ألف سنة تقريبا ، ومع ذلك فإن الأمر قد تم دون قواعد لغوية ، وهناك حروف في اللغة العربية غير موجودة في اللغة التترية ، كالذال ، والصاد ، والطاء،وهم ـ أي التتر ـ يخلطون الزاي بالسين أو بالذال ، ويخلطون الصاد بالصاد والثاء . إلخ .

وقد تم بذل جهود مضنية لتطوير الحروف الت
المكتوبة بالعربية للاستجابة للخطط الطمو
للقضاء على الأمية ، فبرزت صعوبات جمة ،
على سبيل المثال أن اللغة العربية فيها تشكي
وحركات ، وكان يختار التتاري كيف يشكل

لمكتوبة بالحروف العربية ، وهكذا تم اللجوء إلى الحروف اللاتينية نتيجة لحيثيات تتعلق بأمور تقنية ثقافية لغوية وليس نتيجة لأسباب أخرى سياسية أو غيرها

ضجيج الحياة :

كان لا بد من مشاهدات تنقلنا من حالة التنظير والمناقشات إلى ما يبدعه الانسان ، ويعطي مصداقية للكلام عن تقدم الصناعات والتقنيات في قازان وغيرها

وكانت زيارتنا الاولى لمعرض مصنع المعدات الطبية ، فالتقينا بالسيد يمعيي رليوف رئيس قسم الانتاج ومساعديه ، قال بعد أن اطلعنا على نماذج من تلك الصناعات

إن مؤسسة إنتاج المعدات الطبية تأسست سنة ١٩٦٢ ، وهي تابعة لوزارة البحث العلمي ، وتنتج أربعة آلاف نوع من المعدات الطبية وأجهزة المختبرات ، كأدوات الجراحة ، والجلد الاصطناعي ، وأدوات تجميل الوجه ، وأدوات طب الأسنان ، والمعدات الخاصة بالكسور ، ومعدات المعالجة ، وفحص النساء ، وأدوات فحص الأمراض الناتجة عن الجراثيم ، وأمراض العيون ، وغيرها

ويوجد في المؤسسة حوالي خمسة آلاف عاملة وعامل ، وبها سبعة أقسام ، منها مكتبان للتصميم ، ومكتب للتطوير والاكتشافات التقنية والعاملون والعاملات متخرجون في معاهد وكليات تقنية ، كما أن تطوير تعليم العاملين متوفر ، وله دورات محددة وخاضع للمتابعة ، وتقوم إدارة المؤسسة بالتعاون مع الحكومة بتوفير البيوت للعاملين فيها ، ومعدل إيجار الشقة لا يتجاوز ٢٪ من الايجار ، كما يتم تأمين دور حضانة وروضات لأبناء العاملين ، وهناك استراحات للعمال .

ثم انتقلنا بعد ذلك إلى أحد المصانع التابع للمؤسسة ، وهو متخصص بأدوات جراحة الأسنان فقط ، وقد ذكر لنا رئيس المهندسين في المصنع أنه ت تأسيسه سنة ١٩٣٢ م ، في مدينة كييف الأوكرانية ف الأساس ، إلا أن قيام الحرب العالمية الثانية والهجو الالماني على الاتحاد السوفيتي حتم نقله إلى قازان ، وهو ينتج حوالي ٥٠ ألف قطعة تقريبا سنويا ، ويت ادخال تحسينات على المعدات المنتجة كلما وجدنا الأم يتطلب ذلك ، ويتنج المصنع حوالي ٨٠/ من احتياجات الاتحاد السوفيتي من أدوات جراح الأسنان ، ويتم تصدير بعض المنتجات إلى حوالي ٢٠ دولة

في قلب الغابة وعلى حافة النهر :

وقد آثرنا بعد زيارتنا للمصنع أن نقوم بزيار استراحة خاصة بأبناء وبنات العاملين في المصنع ، ث زيارة بيت عامل من عمال المصنع

تبعد استراحة الأطفال حوالي ٢٥ كيلومترا ع مدينة قازان ، والطريق إليها معبد وتحف به أشجا الصنوبر والشربين من الجانبين ، والسيارات الت ترتاده قليلة ، ونسيم الصيف العليل يهب منعش ناعما ، وعندما بدأنا بالاقتراب من ساحل نهر الفول وجدنا أنفسنا فجأة بين عشرات الفتيان والفتيات فالاستراحة في قلب الغابة ، والنهر يبعد حوالى كيا متر واحد

قالت لنا مشرفة الاستراحة ناديا سابا ايفا إ الاستراحة تشغل حوالي ٦ هكتارات ، وتستوع ١٥٠ فتاة وفتى ، تتراوح أعمارهم بين ٧ و ٥ سنة . وفجأة انقطع حبل الحديث بيننا ، وانصب الأنظار المندهشة على مشهد حدث بحضورنا ، فق هجمت فتاة لا يزيد عمرها عن ١٠ سنوات على أح الأشخاص المرافقين لنا واحتضنته ، وكا هذا الرجل والدها ، ولم يرها منذ أيام ، ثم تابعت المشرفة حديثها عن الاستراحة :

الفتيان لهم غرف نومهم ، والفتيات كذلك . وهم مفصولون عن بعضهم بعضاً إلا أنهم يختلطو في النشاطات ، من تمثيل وموسيقا ونشاطات فنية ،

* من المؤكد أن أحلام الشاعر عبدالله توقاي لم تكن تصل إلى أن ما سيتركه من آثار سيحتويه مثل هذا المتحف في قرية قرلاي بالقرب من « قازان »

وألعاب رياضية ، والاقامة في الاستراحة لمدة شهر تقريبا ، ويوجد حوالي ٣٨ مشرفا ومشرفة متخصصين ، إضافة إلى وجود عيادة وطبيب مقيم ، ويدفع المشترك (٩ روبلات) في الشهر ، وتدفع نقابة العاملين بقية المبلغ ، والاستراحة خاصة بأبناء العاملين في المصنع فقط

كان الفتيان والفتيات في فترة الزيارة يمارسون هواياتهم الفنية ، ويبدو أن الدرس كان عن فن - الكولاج - القص واللصق ، طائرات ورقية ، وسفن ، وأغطية رأس كانت تخرج من بين أياديهم وهم يغنون ويترنمون ، والمشرف والمشرفة يشاركونهم أغانيهم

مررنا بمجموعة أطفال ونحن نغادر الاستراحة ، كانوا يرسمون بالطباشير الملون على قطعة أرض مسفلتة بزفت ناعم

أحدهم لا يتجاوز عمره السابعة ، تراءى لي أنه رسم قوس قزح ، فسألته : ما الذي ترسمه ؟

أجاب قوس قزح ، سألت ما هو قوس قزح هذا ؟ بقي مشغولا بعمله وأجاب هو القوس الملون الذي يظهر على صفحة السماء بُعيد المطر ، أو أثنائه عندما تتكسر أشعة الشمس بذرات المياه العالقة في الهواء

تابعنا جولتنا في بقية مرافق الاستراحة ، ثم خرجنا منها ، واقتربنا من شاطىء النهر ، كانت السفن تمخر صفحة المياه وسابحون يسبحون ، والغابة على حدود النهر ، والنوارس تتقافز وترفرف بأجنحتها ، وخيوط الشمس الذهبية تلمع على صفحة المياه كأنها اللجين الذي ذكره بعض الشعراء

حالة سوفيتية تماما :

مع أن الرجل روسي الأصل إلا أنه ولد في مدينة باكو عاصمة أذربيجان الأسيوية سنة ١٩٣٠ ، والزوجة مولودة في مدينة أوليانسك سنة ١٩٣٩ ، على نهر الفولغا ، كان والدها ضابطا في الجيش ،

ساء إلى قازان فاستقرت العائلة فيها ، فتعرف لاديمير على لودميلا ، ثم تزوجا سنة ١٩٥٩ ، ولدت لهما ابنة أطلقا عليها اسم ناديا في نفس عام واجهما ، وما زالا إلى الآن يعيشان في قازان .

سألت الرجل : هل تعتبر نفسك مواطنا تتريا ، مد أن عشت كل هذا العمر في قازان ؟

- أجاب وحالة تعجب وربما استنكار على محياه نا مواطن سوفيتي ومواطن تتري أيضا ، علي ما على لناس ، ولي ما لهم ، بل وأصبحنا نجيد التربية أيضا

إننا نتعامل كمواطنين متكافئين في الأفراح والأتراح والمناسبات ، ولا يوجد أي تفرقة ولو للحظة في أي أمر من الأمور ، فالدستور والحقوق والواجبات هي الحكم بين المواطنين ، كل المواطنين

* هل تتزاوجون ؟

- عادت علامة التعجب والاستنكار علي محيا الرجل نعم زواجنا مشترك ، وثقافتنا مشتركة ، ولنا أصدقاء كثيرون من شتى القوميات السوفيتية ممن يعيشون في قازان

الرجل هو فلاديمير تشيربانوف العامل الممتاز في مصنع الأدوات الطبية ، وزوجته لودميلا تعمل معه في نفس المصنع منذ سنة ١٩٦٠ ، أما ابنتهم فهي تعمل مدرسة علوم منذ سنة ١٩٧٧ بعد تخرجها في جامعة قازان . . . زرناهم في بيتهم وكان هذا الحوار معهم .

ولأنه عامل ممتاز فإنه يحصل على أجر ممتاز أيضا ، يصل إلى حوالي ٧٠٠ روبل ، في حين أن متوسط الأجور في المصنع يتراوح بين ١٥٠ و ٢٠٠ روبل ، والعائلة تعيش في شقة ، فيها ثلاث غرف مع حمام ومطبخ ، إيجارها الشهري ٢٤ روبلا مع الكهرباء والماء والتصليحات ، وهي ممنوحة للعائلة من قبل الحكومة ، وقد منحتهم النقابة ٣/١ هكتار من الأرض خارج قازان على بعد حوالي ٢٨ كيلومترا منها ، بعد أن دفعوا رسوماً قليلة ، يزرعون فيها خضراوات وفواكه ، ولهم فيها بيت ريفي ، يقضون فيه عطلاتهم وإجازاتهم . وهذه ظاهرة سوفيتية منتشرة في كل الجمهوريات والمناطق

* هل تزوجتم بعد معرفة ؟

- نعم تعارفنا والتقينا ، ثم تزوجنا عن طريق مكتب الزواج في منطقتنا

* هل تشعرون باختلاف بين شباب الأمس وشباب اليوم ؟

- شباب اليوم أقل إحساسا بالمسؤولية

* ورأي ناديا ؟

- لأقل ان نسبة كبيرة من جيل الشباب غير جادة ، ولا تسعى إلى الاستقرار الأسري .

* ولذلك لم تتزوجي حتى الآن ؟

احتقن وجهها قليلا ، وبانت حمرة الخجل على محياها ، ثم أجابت ربما ، ولأقل بصراحة اني لم أصادف بعد الشاب الجاد كوالدي ، صحيح أن لي صداقات لكنها لم تتطور إلى زواج

* من الذي أشرف على تربيتك وأنت صغيرة ، عندما كان والدك ووالدتك يذهبان إلى العمل ؟

- جدتي وجدي هما اللذان لعبا دورا في طفولتي ، وبعد ذلك دخلت الروضة ، وعندما كبرت وأصبح عمري حوالي ٨ سنوات حصل والدي ووالدتي على شقة واستقلا في حياتهما .

* هل لكم اهتماماتكم خارج العمل ؟

- نقرأ الكتب والصحف ونتابع برامج التلفاز ، ونذهب إلى السينما والمسرح .

* هل أنتم حزبيون ؟

أجاب الرجل نعم أنا حزبي منذ سنة ١٩٦٤ . وأجابت الزوجة وناديا إننا غير حزبيتين .

* لماذا ؟

- لا يوجد قانون يجبر كل الناس بأن يكونوا حزبيين .

* والدين ما هو موقفكم منه ؟

ـ الدين تراث نحترمه ، لكنه لا يلعب دورا في حياتنا ، ومن أراد الصلاة فهو حر ، شرط أن يلتزم بقانون عدم إثارة الحزازات والكراهية بين الناس

* وهل يثير الدين ذلك ؟

ـ يثيره بعض المتعصبين وجهات أخرى يهمها تفتيت الناس والشعوب بسبب المعتقد الديني

*** لكن الدين ليس كذلك**

ـ صحيح ذلك ، لكن بعض الناس يجعلون أنفسهم أدوات تخريب وفرقة

*** هل تنتميان إلى نقابة المصنع ؟**

ـ نعم ننتمي ، والنقابات قوية في الاتحاد السوفيتي ، والانتخابات فيها مباشرة ، وليس بالضرورة أن كل من فيها هو حزبي ، وقد حققت كثيراً من المكاسب للعاملين فيها

*** هل تتابعون الأخبار عن منطقتنا ؟**

ـ لا شك في ذلك ، وبعض أقطاركم غنية بالنفط ، ويمكن استغلال ذلك لتطوير الحياة ، لكن حروباً كثيرة قائمة في منطقتكم ، نأمل الاستقرار والسلام في العالم وخصوصاً في منطقتكم

الوجه الآخر

تعد منطقة أرسك ـ « أرشاي » كما كان يطلق عليها من قبل ـ حوالي ٥٠ كيلومتراً عن مدينة قازان ، وهي منطقة زراعية ، أشهر المزروعات فيها القمح والذرة والبطاطة ذهبنا إليها لنرى وجه الحياة الآخر

قال لنا السيد دامير فايموف السكرتير الأول للجنة الحزبية المحلية يبلغ عدد السكان في المنطقة حوالي ٥ ألف شخص ، منهم ١٢ ألف شخص يعيشون في مد أرسك نفسها ، ويعمل في الزراعة حوالي ١٧ ال فرد ، وإنتاج القمح السنوي يصل الى حوالي ٠ ألف طن ، في مساحة تقدر بحوالي ٩٥ ألف هـ ، كما ينتج حوالي مائة ألف طن من البطاطة ، في ساحة تقدر بحوالي ٧ آلاف هكتار ، والمنطقة مشهورة أيضاً بإنتاجها من الحليب واللحوم ، إذ يربى فيها حوالي ١٨ ألف بقرة ، والمصانع الموجودة في المنطقة هي مصانع تتعلق باللحوم والمنتجات الزراعية ، ومعامل أخرى تتعلق بالمصنوعات التقليدية ، كالأحذية وغيرها ، ويبلغ عدد التلاميذ في المنطقة حوالي عشرة آلاف ، موزعين على جميع مراحل الدراسة ، بالإضافة إلى المدارس التقنية والزراعية

وانتقل الى الحديث عن البيوت التي يفضل ناس الريف أن تكون ملكية خاصة بهم ، لذلك فإن أكثر من نصف البيوت في المنطقة حسبما ذكر مملوكة للناس ، والنصف الآخر بنته الحكومة والنقابات الزراعية والصناعية

وعن الأجور في المزارع والمصانع ذكر بأن معدلها الوسطي متقارب ، وهو يتراوح بين ١٧٠ إلى ٢٠٠ روبل تقريباً ، وأن نسبة ما يدفع كأجرة لا يتعدى ٢ / من الأجور

سألت هل يوجد عاملون من قوميات أخرى غير التتر في هذه المنطقة الريفية ؟

واجهني بنظرة خاصة ثم أجاب قائلاً لا يوجد إلا مائتا روسي في المنطقة كلها ، والباقي من التتار

واتممنا جولتنا في مصنع الأحذية التقليدي الذي يعمل به ١٥٠٠ عامل وعاملة ، وينتج حوالي مليون حذاء سنوياً ، وينقسم إلى ٢٢ قسماً

مكان لكل إنسان

وانتقلنا إلى بيت العامل أنس علاخيف الذي يعمل بمصنع الاحذية وهو من مواليد سنة ١٩٤٠ ، وزوجته صوفيا العاملة في نفس المصنع ، وهي من مواليد سنة ١٩٤٣ رافقنا مدير المصنع ورئيسة النقابة فيها . يتكون البيت من ثلاث غرف مع منافعها

قال أنس وصوفيا بأنهما تزوجا سنة ١٩٦٢ ، وهما تتريان من نفس منطقة أرسك ، وأنهما تعارفا مدة سنتين ، ثم تزوجا بعد ذلك .

• الأستاذ الدكتور مير قاسم عثمان

قالت الزوجة إنها تعمل في المصنع منذ سنة ١٩٦٤ ، أما الزوج فقال . إني أعمل في المصنع منذ سنة ١٩٥٩ وأتقاضى ٢٠٠ روبل كأجر

• والزوجة كم هو أجرها ؟

أجابت · أجري ٢٣٠ روبلا شهرياً

استفسرت لماذا يفوق أجر الزوجة زوجها مع أنه أقدم منها في العمل ؟

أجاب مدير المصنع لأن عمل الزوجة فيه دقة فنية تفوق عمل الزوج

• كم عدد أطفالكم ؟

أجابت المرأة لقد أصبحوا كباراً الآن ، فأنيس عمره ٢٣ سنة ، يتعلم بكلية الاقتصاد بجامعة قازان ، وزوريلا تعمل في قازان وتسكن هناك ، وفولناس عمرها ١٦ سنة وتعيش معنا وهي ما زالت طالبة

سألت ما هي إجراءات الزواج عندكم ؟

أجابوا تتم الموافقة التقليدية من قبل الأهل ، ثم يتم عقد الزواج في القسم المخصص لذلك

• والشيخ ؟

- يمكن أن يعقد الزواج بواسطة الشيخ أيضاً ، حسب رغبة طرفي الزواج

• هل أفهم بأنكما غير متدينين ؟

- إننا نحترم التراث الديني ونقدره ، ونحترم التقاليد ، لكننا غير متدينين ، صحيح أننا لا نصلي ، لكننا قلما نشرب المشروب ، ولا نميل إلى أكل لحم الخنزير ، ونادراً ما ندخن السجائر

• لكنكما مسلمان ؟

- نعم نحن تاريخياً مسلمون ، ونحن أننا قريبون من العرب

• هل أفهم أنه أصبح لا يوجد لكم علاقة بالإسلام ؟

- نحن تاريخياً مسلمون

• والآن ؟

- لا يوجد في الدستور أو في غيره من النصوص ما يمكن أن يشير إلى دين الفرد ، ونحن في الحقيقة غير متدينين

• هل أنتما حزبيان ؟

- قال الرجل نعم أنا حزبي ، لكن زوجتي غير حزبية ، أما الأولاد فهم في منظمات الشبية

• كيف تنظرون إلى وجود القوات السوفيتية في أفغانستان ؟

- هذا إجراء - كما نعتقد - مؤقت أملته التدخلات الاستعمارية ، وقد جاء بطلب من الحكومة الشرعية ، ونأمل أن ينتهي في أقرب فرصة ممكنة

• والحرب العراقية الايرانية ؟

- إنها حرب غير مفهومة وغير مبررة ، والشعوب هي التي تدفع الثمن ، نأمل أن تنتهي ، ويحل السلام بين الجارتين

• والقضية الفلسطينية كيف تنظرون إليها ؟

- لا يوجد إنسان بلا وطن ، فلماذا يفرض عـ الفلسطيني أن يكون بلا وطن ؟

تهامس الحضور فيما بينهم ، ثم طلبوا من الزو إحضار آلة موسيقية ، ثم أعلنوا : أن الزوج ماهر العزف على الجارموشكا ، وهي آلة تشبه الناي ، ة

الزوج إنه يعرف عليها منذ الصغر ، وعندما بدأت الموسيقا تتداخل مع مواطن الاحساس في كل فرد منا انطلق صوت الزوجة بعد تمنع ، وشاركها الحضور

كانت النغمة نغمة شرقية ، والكلمات عصية على الفهم ، وعندما انتهى العزف والغناء سألت ماذا كانت تقول كلمات الأغنية ؟

أجابت الزوجة . هي أغنية تترية قديمة ، يقول كلامها « العالم كالدائرة » ، وفيها مكان لكل الناس ، فلماذا لا نعيش عليها بسلام ؟ لماذا ؟ لماذا ؟

الــدق بعنف :

قبل أن نذهب إلى أحد قصور الثقافة في المدينة آثرنا زيارة إحدى الحدائق الكبيرة فيها ، وكان المساء يرخي سدوله ورؤوس الأشجار تتمايل برقة ، كأنها تشارك بدورها في التجاوب مع نغمات الموسيقا التي كانت تتسلل إلى آذاننا من بعيد ، وعن يسارنا كانت حديقة حيوانات صغيرة ، ونوافير ماء ، وملاعب لعدة رياضات على اليمين ، وتزايدت نغمات الموسيقا وضوحاً بشكل تدريجي ، وكانت حشود الشبان والشابات تتجه إلى مكان محدد ، فسرنا وراء الحشد ، وإذا بنا في مواجهة ساحة مسورة مكشوفة ومئات الشبان والفتيات فيها ، بعضهم في قلب الساحة ، وبعضهم خارجها ، ودقات الموسيقا الغربية ونغماتها تتردد بين الجنبات ، والفتيات والفتيان يرقصون على نغماتها فرادى وجماعات ، والداخل إلى الحلبة يدفع كوبيكات قليلة ، ثم يشارك مع الجمع بالدق أو التمايل حسب اجتهاده

• سألت هل هي طريقتكم في الخروج من ساعات المعلقة ، وما يمكن أن يحصل فيها ؟

- أجاب مرافقنا . يبدو أنها طريقة الرفاق التتار خاصة للاستجابة إلى رغبات الشبان والشابات بلهم إلى الموسيقا والرقص

رذاذ المطر كان ينثر حباته بتؤدة ، والشبان والشابات لا يأبهون لذلك ، ودقات الموسيقا تتوالى ، والجمع لاه يمارس حركات تنفيسية عن طاقاته الكامنة

وانتقلنا من الحديقة العامة إلى قصر الثقافة التابع لنقابة البناء في المدينة ، قال لنا السيد مارس شالداي نائب مدير النادي يوجد برنامج سنوي لتنفيذ كثير من النشاطات الثقافية والفنية ، والاتجاه الأساسي ينصب على الاستجابة إلى رغبات الشبان والأطفال بالنسبة للنشاطات الفنية وبخاصة بالنسبة للرقص الشعبي فإننا نستفيد من مجمل الموروث الشعبي ، بل ونذهب إلى القرى ، ونستفيد مما يقدم فيها من نشاطات ، وأحياناً نبقيه على ما هو عليه ، وأحياناً أخرى نطور ما نجده بحاجة إلى تطوير

وعلى سبيل المثال فإن فرقة الرقص الشعبي التي تراها أمامك شاركت في كثير من المهرجانات العالمية ، كمهرجان الشباب الذي أقيم في موسكو سنة ١٩٨٥ ، وهي تعتبر من الفرق المشهورة في الاتحاد السوفيتي ، وقد عرضت في موسكو ، كما عرضت في أسبانيا ، واليونان ، ومالطا ، وغينيا بيساو وغيرها

ملابس الفرقة كانت تحاكي اللباس التتري التقليدي كما ذكر السيد شالداي ونغمات الموسيقا بدأت تتوالى ، وتنغيمات الأيدي والأرجل التي يؤديها فتيان وفتيات الفرقة أخذت تتجاوب وتتوافق معها ، وتلتها الأصوات

الخفة والسرعة والدق العنيف على الأرض هو ما يميز الرقص التقليدي التتري

تخرج الفرقة إلى الساحة الأمامية للنادي وتأخذ في توزيع نغماتها ودقاتها ، فيتجمع حولها الناس ، ويسارع زميلي المصور إلى التقاط عشرات الصور ، ثم ننشد جميعاً اللحن والكلمات

« العالم كالدائرة ، وفيها مكان لكل الناس ، فلماذا لا نعيش عليها بسلام ؟ » تجاوبت مع الكلمات ورددتها ، لكني أنصت إليها ، السلام العادل ، نعم السلام العادل ! □

السوبرنوفا
كارثة فلكية!

بقلم : رؤوف وصفي

شوهدت ظاهرة فلكية نادرة الحدوث في شهر فبراير الماضي ، فقد انفجر نجم هائل في مجرة سحابة ماجلان الكبرى التي تبعد عنا (١٧٠,٠٠٠) سنة ضوئية ، وهي مسافة قريبة بالمقاييس الفلكية ، واهتم العلماء بتسجيل ذلك الحدث الفريد الذي انتظروه حوالي أربعمائة عام ، فلم يحدث أن انفجر نجم بهذا اللمعان منذ عام ١٦٠٤م .

وجه علماء الفلك مراصدهم البصرية و (الراديوية) إلى موقع محدد من مجرة سحابة ماجلان الكبرى ، كما صدرت الأوامر إلى عدد من الأقمار الصناعية بتوجيه أجهزة الرصد لديها نحو مكان الانفجار ، لقياس الإشعة الصادرة عنه ، مثل أشعة جاما ، والأشعة السينية ، والأشعة الكونية ، والأشعة فوق البنفسجية

فالعلماء يدرسون حدثا فلكيا ، وقع منذ ١٧٠,٠٠٠ سنة ضوئية ، وهو يشاهد أمام أعينهم في الوقت الحاضر ، لأن الضوء استغرق كل هذه السنوات في الوصول إلى كوكب الأرض ، وهي فرصتهم للدراسة الواقعية لمراحل تطور النجوم ، بعد أن كانوا يلجأون للمعادلات الرياضية النظرية

وهذا الانفجار المروع الذي يطلق عليه اسم (السوبرنوفا) يقذف بمادة النجم ومجالاته المغناطيسية وإشعاعاته إلى أعماق الكون ، وهو يمثل كارثة لنجم يحتضر ، بعد حياة مثيرة استمرت ملايين السنين ، لكن الأمر الغريب هو أن قلب النجم سيبقى ينبض ملايين السنين مفعما بالحياة في شكل نجم (نيوتروني) ، أو قد يخلف الانفجار هوة لا قرار لها ، تبتلع النجوم التي حولها ، وتمثل إحدى أغرب ظواهر الكون كافة ، وهي الثقب الأسود

وأثناء حدوث (السوبر نوفا) تتسارع العناصر إلى الفضاء بفعل قوة الانفجار ، لتكون سحبا من الغاز والغبار ، ثم تنتج أيضا موجات صدمية تتحل هذه السحب ، وربما تكون السبب في نشأة نجـ وكواكب جديدة

فما هو سر - السوبر نوفا - ذلك الحدث الفل الذي يحمل في طياته موتا لنجم ، ويمنح الحياة لأحـ فضائية أخرى ؟

« السوبر نوفا » عبر التاريخ

ظل الفلكيون الصينيون القدماء يرقبون السماء آلاف السنين ، ويسجلون بدقة بالغة كل الظواهر الكونية ، لاعتقادهم بأنها ترتبط بأقدار الناس ، وبالأحداث فوق كوكب الأرض وكان أكثر ما يثير تساؤلاتهم تلك النجوم التي كانت تتوهج فجأة في مكان ما من السماء ، لم تشاهد فيه نجوم من قبل ، ثم تعود للاختفاء مرة أخرى ، وقد أطلقوا على تلك النجوم المتوهجة « النجوم الزائرة »

وقد سجل الصينيون في عام ١٨٣م نجما متوهجا في كوكبة (قنطوروس) ، وقد استمر تألقه عدة أسابيع ، وكان أكثر الأجرام السماوية إضاءة بعد الشمس والقمر ، كما رصدوا نجما آخر أقل توهجا في عام ٢٩٣م في كوكبة (العقرب) ، وقد ظل متأججا في السماء حوالي ثمانية شهور

وفي عام ١٠٠٦م سجل الفلكيون في الصين ومصر وسويسرا وإيطاليا ظهور نجم جديد في كوكبة (الذئب) ، واستمر فترة طويلة متألقا في الفضاء ، وتوهج نجم في كوكبة (الثور) عام ١٠٥٤م ، وكان واضحا للفلكيين في نصف الكرة الشمالي ، وكان متألقا بأكثر من عدة أضعاف تألق كوكب الزهرة الذي يسمى نجم الصباح والمساء ، وبقي هذا النجم الجديد مدة ثلاثة أسابيع متألقا ، حتى أنه يمكن رؤيته أثناء النهار ، وبعد ذلك بقي حوالي ستين واضحا للعين المجردة

واكتشف الفلكيون الصينيون واليابانيون نجما متوهجا عام ١١٨١م في كوكبة (ذات الكرسي) ، ثم مرت أربعة قرون دون اكتشافات جديدة ، وعندما ظهر نجم « جديد » في القرن السادس عشر كانت الأمور مختلفة ، فقد تقدمت العلوم في أوروبا في مختلف المجالات ، ومنها علم الفلك ، حيث حدث (نيقولا كوبر نيكوس) البولندي - ١٤٧٣ - ١٥٤٢ - ثورة في المفاهيم السائدة في ذلك الوقت

مجرة سحابة ماجلان الكبرى
حيث شوهدت سوبر نوفا ١٩٨٧م

عندما قال إن الأرض تدور حول الشمس ، بعد أن ظل العالم يعتنق نظرية (بطليموس) التي تقول بأن الأرض هي مركز الكون مدة ألف وخمسمائة عام

سديم السرطان بقايا « سوبر نوفا »

إن انفجار « السوبر نوفا » حدث فلكي مروع ، ولهذا كان من الصعب على العلماء أن يتصوروا أنه لا يترك أثرا في الفضاء ينم عن هذا الانفجار الذي يجعل النجم يضيء فترة محدودة ، مثل مجرة كاملة تحتوي على بلايين النجوم

وتحقق أمل العلماء أخيرا ، فاكتشفوا « سديم السرطان » على بعد ٦٠٠٠ سنة ضوئية ، وهو عبارة عن كتلة غازية ممزقة ، تشبه شكل حيوان السرطان البحري وقد بدأ سديم السرطان يجذب اهتمام الفلكيين ، لأنه فريد في الفضاء وبدراسته اتضح أنه يتمدد بسرعة ١٣٠٠٠ كيلومتر في الثانية ، كما أنه مصدر قوي للنبضات الراديوية

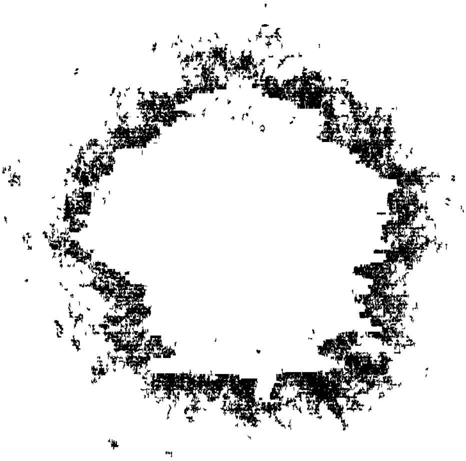

انفجار السوبر نوفا

قزم أبيض يحيط
به سديم كوكبي

رسم قديم يبين
كوكبات السماء

ميلاد النجوم

سديم السرطان

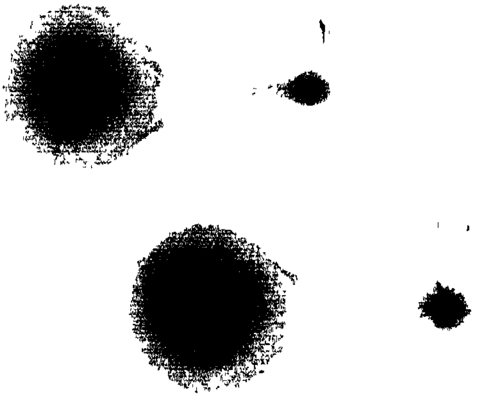

مراحل حدوث «النوفا» بين العملاق الأحمر والقزم الأبيض

التلسكوب الراديوي

انفجار «السوبر نوفا» (أ)
وما تخلف عنه من سديم
ونجم نيوتروني (ب)

وبالمزيد من الدراسات الفلكية وبتحديد موقع سديم السرطان في كوكبة الثور بالقرب من المكان الذي سجله الصينيون القدماء للنجم الزائر في عام ١٠٥٤م اتضح أن سديم السرطان هو بقايا النجم المتوهج المذكور ، وبدراسة الاشعاعات التي تصدر عن السديم يظهر أنها لابد أن تنتج عن مصدر يطلق طاقة هائلة أكبر من « النوفا » ، إذن فالانفجار الذي شوهد في عام ١٠٥٤م نشأ عنه سديم السرطان ، وهو « سوبر نوفا » واتضح أيضا بدراسة الانفجارات ١٠٠٦ ، و ١٥٧٢ ، و ١٦٠٤م أنها ليست « نوفات » بل « سوبر نوفات »

أكثر ضياء من بليون شمس

استطاع العلماء تقسيم « السوبر نوفات » إلى نوعين ، النوع الأول هو الشديد التألق والأكثر ضياء ، ويصل لمعانه إلى ما يقرب من ٢,٥ بليون مرة قدر ضياء الشمس ، وعندما يصل إلى أقصى تألقه يعود إلى الخفوت بطريقة منتظمة وقد اتضح من دراسة طفيفة أنه يفتقر افتقاراً شديداً إلى الأيدروجين ، كما أنه يحدث في المجرات اللولبية والبيضاوية ، وفي أذرعتها ومراكزها أيضا ، أما النوع الثاني المتألق فأقل ضياء ، إذ يصل لمعانه إلى ما يقرب من بليون مرة قدر ضياء الشمس ، وبعد أن يصل إلى أقصى تألق يعود إلى الخفوت بطريقة غير منتظمة ، كما أنه غني بالأيدروجين ، ويكاد يحدث هذا النوع في المجرات اللولبية فقط ، وفي أذرعها بالتحديد

أما عن الاختلافات في التركيب الكيميائي بين النوعين فالنوع الشديد التألق لا يحتوي على الأيدروجين ، وهذا يعني أن النجم المتفجر في نهاية حياته ، وأن عدم وجود الأيدروجين وتوفر الكربون والنيتروجين والاكسوجين يدل على أنه قزم أبيض

فهل هذه الأنواع الشديدة التألق عبارة عن أقزام بيضاء منفجرة نتيجة وجودها في نظام ثنائي قريب مع عملاق أحمر كما أوضحنا من قبل في حالة « النوفا »

إن الأمر يختلف قليلا في حالة السوبر نوفا ، وإ كان القزم الأبيض كبيرا ، ولتكن كتلته ١,٣ قد كتلة الشمس ، أي أقل من « حد شاند اسيخار » ، أو إذا كان النجم الرفيق له في النظام الثنائي عملاقا أحمر هائلا ، ومن ثم يلقي بمادته إلى القزم الأبيض أسرع من المعتاد في حالة « النوفا » ، أو إذا حدث الأمران معا فإن « السوبر نوفا » هي التي تحدث ، وليس « النوفا » فقط

وذلك أنه في هذه الحالة يكتسب القزم الأبيض المادة بمعدل سريع ، وبكمية هائلة ، وهكذا يتعدى حد (شاندر اسيخار) ، ومن ثم لا يتمكن من الاحتفاظ بكتلته ، فيتقلص وينهار فجأة ، فتصطدم نويات الكربون والاكسجين والنيتروجين معا بقوة هائلة ، فتحدث تفاعلات نووية نورية ، تنتج عنها طاقة مروعة سريعة ، ينشأ عنها انفجار مروع ، يصدر طاقة - في عدة أسابيع - تعادل ما تطلقه شمسنا طوال عمرها ، أي خلال عشرة بلايين سنة

أما النوع الثاني من « السوبر نوفا » (المتألق) فيحدث للنجم عندما يصل إلى مرحلة العمالقة الحمر ، وتكون كتلة النجم حوالي (٣) إلى (٤) مرات بقدر كتلة الشمس ويتكون العملاق الأحمر من طبقات عديدة ، تحتوي الطبقة الخارجية على الأيدروجين والهيليوم ، وتليها طبقات من الكربون والنيتروجين والاكسجين والنيون والصوديوم ، وذرات أخرى أثقل ، حتى نصل إلى المركز فنجد ذرات الحديد والكوبالت والنيكل . وبصفة عامة تتكون كل طبقة من ناتج الاندماج النووي للذرات في الطبقة السابقة ، وعندما يصبح مركز النجم من الحديد والكوبالت والنيكل لا يمكنه أن يصدر طاقة فسواء حدث تغيير نووي في هذه العناصر بالاندما النووي لينتج عنه نويات أكثر تعقيدا ، أو انشط نووي تنشأ عنه نويات أقل تعقيدا ، وهنا لن يص النجم طاقة ، بل سوف يمتص الطاقة

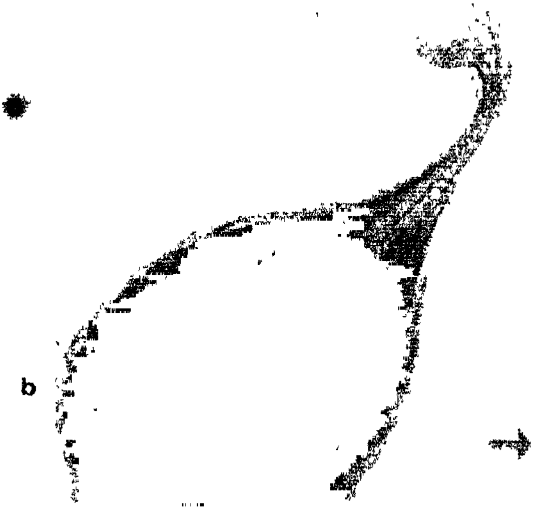

انفجار « السوبر نوفا » وتكون الثقب الأسود

وبينما يكبر مركز النجم المكون من الحديد يصل النجم إلى مرحلة يصبح فيها غير قادر على إصدار طاقة للاحتفاظ بكتلته ، ومن ثم تتقلص طبقاته الداخلية بشكل مفاجيء ، فتتحرر طاقة من الحادبية ، فينطلق موجة صدمية تؤدي إلى انفجار الطبقات الخارجية إلى الفضاء ، وكذلك تشعل تفاعلات نووية فيها ، ومن ثم تتحرر طاقة إضافية تميز النوع الثاني (المتألق) من « سوبر نوفا »

تقول نظرية حديثة بأن حدوث « السوبر نوفا» بسبب جسيمات النيوترينو ولنتعرف أولا على هذا الجسم الغريب ففي داخل الفرن الذري للنجوم يتحلل النيوترون إلى بروتون والكترون ، لكن اتضح بأن كتلة الجسيمين الأخيرين معا لا تساوي كتلة النيوترون التي نشأت عنه ، ولا يمكن تفسير هذا النقص في الكتلة الكلية ، إلا بأن جزءا بسيطا من كتلة النيوترون قد تحول إلى طاقة يحملها جسيم آخر ، متعادل الشحنة ، له طاقة ، لكنه يكاد يكون بلا كتلة ، وقد أطلق على هذا الجسيم الشبح اسم (النيوترينو)

يتكون عدد هائل من جسيمات النيوترينو في مرحلة ما قبل « السوبر نوفا » ، وذلك بطريقتين ، في الطريقة الأولى يتكون من الإشعاع مادة ، والمعروف أن لكل جسم من المادة جسيم من المادة المضادة ، ويتشابه الجسيمان في كل شيء ماعدا الشحنة الكهربية ، ويمكن للاشعاع إذا كان عالي الطاقة أن ينتج جسيمات من المادة والمادة المضادة ، فأشعة (جاما) التي تنتج في مركز نجم هائل لديها من الطاقة ما يمكنها من إنتاج الكترون والكترون مضاد (بوزيترون) ، وعندما يصطدمان ينتج النيوترينو

أما الطريقة الثانية فعند اتحاد الالكترون مع البروتون لتكوين نيوترون ينتج عن هذا الاتحاد تحرير جسم نيوترينو ، وعند تحلل النيوترون إلى الكترون وبروتون ينتج أيضا جسيم نيوترون آخر ، وتهرب جسيمات النيوترينو محملة بجزء من الطاقة ، وهذه الطاقة التي تحملها هي سبب حدوث « السوبر نوفا » ، فهذه الطاقة التي تتخللها جسيمات النيوترينو المتسارعة إلى الفضاء هي التي يفقدها

بقايا « سوبر نوفا » في كوكبة الشراع ، وتحوي في داخلها على نجم نيوتروني

النجم بشكل مفاجىء ، بينما الطاقة التي تتحول إلى إشعاعات تندفع الى الطبقات الخارجية للنجم ، وهي بهذا تساعد في دعم النجم في مواجهة ضغط الجاذبية ، وكلما فقدت الطاقة من مركز النجم بتأثير جسيمات النيوترينو يصبح غير قادر على مقاومة الجاذبية ، وعند حد معين تتغلب الجاذبية ، ويصبح تقلص النجم أمرا لا مفر منه ، ويؤدي هذا التقلص إلى اندماج الالكترونات والبروتونات لتنتج النيوترونات ، وعند تكوّن كل نيوترون يتحرر نيوترينو ، وهذا التقلص المفاجىء يحرر طاقة تحملها جسيمات النيوترينو إلى الطبقات الخارجية للنجم ، فتشتعل فيها التفاعلات النووية ، فتنفجر بشكل مروع مكونة « سوبر نوفا » .

بالرغم من أن « السوبر نوفا » تحدث عندما يكون النجم في مرحلة الاحتضار إلا أنه ينتج عنها « جنينا » ينبض بالحياة ، فعند حدوث « السوبر نوفا » يكون تقلص مركز النجم مفاجئا وعنيفا ، بحيث يحطم التركيب الذري ، فتندمج الالكترونات مع البروتونات مكونة نيوترونات ، تتلاصق مع النيوترونات الموجودة من قبل ، وهكذا يصبح النجم مكونا فقط من نيوترونات متراصة ، ولهذا يطلق عليه اسم « النجم النيوتروني » وكان أول نجم نيوتروني تم اكتشافه في ذلك السديم الغامض هو سديم السرطان وبالمزيد من الدراسة اتضح أن النجم النيوتروني يصدر نبضات سريعة جدا في الثانية الواحدة ، ولهذا أطلق عليه أيضا اسم « النجم النابض » ، كما ظهر أيضا أنه يدور حول محوره بمعدل مرتفع جدا ، وهو لم يتفتت في الفضاء بسبب كثافته العالية

لكن إذا كانت كتلة المركز المتقلص للنجم - بعد حدوث « السوبر نوفا » - تزيد عن ٣,٢ قدر كتلة شمسنا فإنه يظل يتقلص بعد مرحلة الأقزام البيضاء والنجوم النيوترونية ، ويكون أغرب ظواهر الكون « الثقب الأسود » ، وهي هوة لا قرار لها ، وقبر مظلم في الفضاء - وحتى الضوء بسرعته الهائلة لا يستطيع الهرب من قبضتها ، وهي تبتلع النجوم التي تقترب منها ، حيث تنضغط وتتضاءل ، وتختفي مادتها في أسرع من لمح البصر ، وبالرغم من أنها تصبح غير مرئية ، أي أن حجمها يصبح أصغر ، إلا أنها تبقى هناك في مركز الثقب الأسود بكتلتها وثقلها ، ومن ثم - ومع تراكم المادة - تصبح الجاذبية لا نهائية ، ويختلط الزمان بالمكان ، وتخرق كل النظريات الفيزيائية ، وتصبح الكثافة غير محدودة ويرى بعض العلماء أنه بعد أن تختفي المادة في الثقب الأسود ، فإنها تمر في نفق كوني ، حيث تنبثق مر أخرى من خلال ثقب أبيض ، سواء في كوننا أو كون آخر .

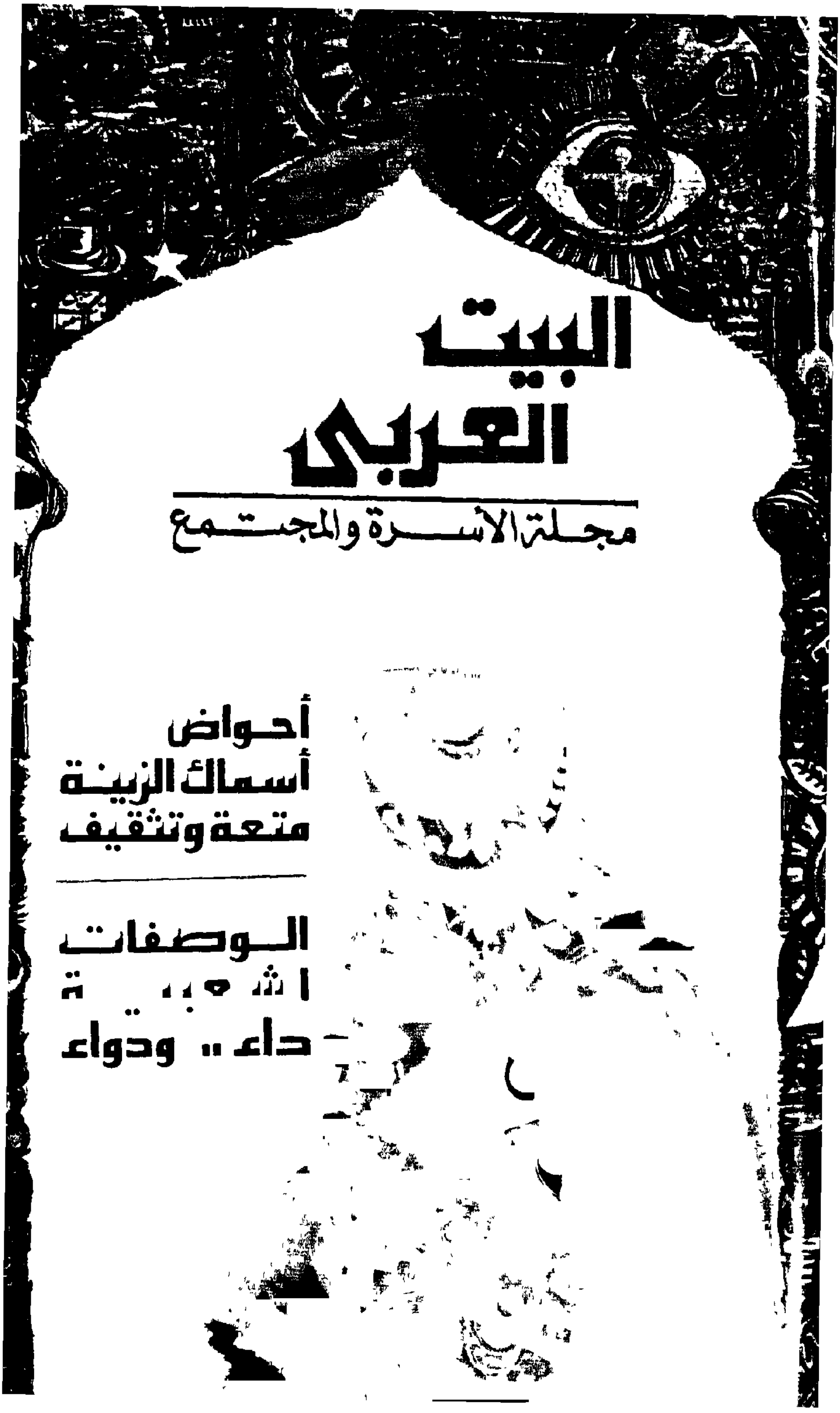

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

أحواض أسماك الزينة متعة وتثقيف

الوصفات الشعبية داء.. ودواء

أحواض أسماك الزينة

جمال للبيت وأداة تثقيف ومتعة

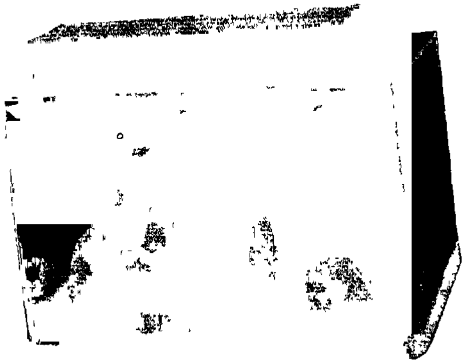

بقلم : رجب سعد السيد

أحواض أسماك الزينة في المنازل ليست قطعة (ديكور) جميلة فقط ، لكنها تؤدي وظائف كثيرة ، فهي تمتص ارهاق اليوم الطويل وتوتره ، وهي متعة للأبناء ، ومدخل طريف يتيح لهم الاطلاع على بعض أسرار الحياة

انتشرت هواية تربية أسماك الزينة انتشارا واسعا ، وأصبحت صناعةتلقى رواجا كبيرا عند مختلف شعوب العالم ، فأنشئت المصانع العديدة لانتاج مختلف مستلزمات هذه الهواية ، وافتتحت المتاجر الفخمة لتسويق هذه المنتجات،وأقيمت المعارض الاحتفالية لترويجها والاعلان عنها

وأحواض أسماك الزينة ليست شكلا جميلا يزين البيت فحسب ، لكنها أداة ثقافية ، تدفع أفراد الأسرة إلى القراءة في مجالات عديدة متنوعة ، قد تكون جديدة بالنسبة لهم ، بل وأكثر من ذلك ، فقد يكتسب بعض أفراد الأسرة عدداً من المهارات اليدوية لكي يتسنى لهم القيام بأعمال الصيانة والرعاية للحوض وما فيه

أما الأطفال فإن الحوض لن يكون مصدر بهجة مستمرة لهم فقط ، لكنه أيضا معرض علمي يطلعهم على بعض أسرار الحياة ، وينمي فيهم قوة الملاحظة ، ويقوي قدرات التفكير العلمي لديهم ، ويمكن للحوض أيضا أن يكون عاملا مشتركا يجمع حوله كل أفراد الأسرة ، يفكرون ويتحاورون ويتبادلون الاهتمام به وبما يحتويه

ما يقول كثير من علماء النفس فإن مراقبة حركة الحميلة في حوض الأسماك يمكن أن تكون من الاحهاد العصبي ، إذ تمتص شحنات ، وتساعد على تهيئة أفراد الأسرة على نوم عميق .

ـل أن يتحذ القرار لتحديد المكان الذي ـع فيه الحوض لا بد من دراسة عاملين ، وهما الاضاءة ، ودرحة حرارة الموقع ، ء الطبيعي المباشر ـ ضوء الشمس ـ يساعد على ائنات النباتية في الحوض ، كالطحالب غير ب فيها ، مثلا ، ويفضل الخبراء الاكتفاء ءة الصناعية لسهولة التحكم فيها ، ويراعى عدم تعريض الأسماك لتغيرات مفاجئة في الحرارة ، فهذه التعيرات قد تؤدي إلى صدمة مص أنواع الأسماك الحساسة أو تمرضها ، ، يستحب الابتعاد بالحوص عن أحهرة ـ

بد أيصا من التأكد من أن الطاولة أو الحامل ص لحمل الحوص مناسبا للثقل الذي سيكون ولا تستهن بورن الحوض في شكله النهائي .

ضل كثير من الهواة الأحواض ذوات الزوايا ية المدهونة بمادة تمنع الصدأ ، مثل الكروم ، الخبراء بأن لا تقل سعة أول حوض تقتنيه عن عشر جالونات ، ويفضل أن يكون أكبر ك ، فهو لن يحتاج فقط إلى عناية أقل ، بل يعطي أيضا الحرية لاختيار أكبر مجموعة من ك والنباتات

حاول البائع إقناعك بضرورة شراء غطاء ، وهذا حق ، لأن الغطاء المحكم يقلل من الحرارة من الماء إلى الخارج ، ويقلل أيضا من كمية المياه التي يفقدها الحوض بالبخر ، كما أنه يمنع الأسماك من الهرب قفزا إلى خارج الحوض ، ويقلل من احتمالات العبث بمحتوياته ، ولغطاء الحوص فائدة إضافية ، إذ تثبت به وسيلة الاضاءة ، وتتفق آراء الخبراء على أن مصابيح الفلورسنت (النيون) أفضل من المصباح الكهربائي العادي من عدة أوجه هي قلة استهلاك الكهرباء ، وعدم إشعاع كمية كبيرة من الحرارة ، تؤثر على النظام الحراري للحوص

خطوات تمهيدية

أما عن أسماك الزينة فإنها تنقسم إلي مجموعتين كبيرتين أسماك المياه الاستوائية أو الحارة ، وأسماك المياه الباردة ، والمجموعة الأخيرة أسهل من الأولى في تربيتها ، لأن الأسماك الاستوائية تحتاج إلى مزيد من الجهد لتوفير درجة الحرارة المناسبة لمياه الحوص

ستجد عدداً من أنواع السخانات ، يمكنك المفاضلة فيما بينها من حيث المزايا والتكاليف ، لكنك تحتاج إلى سخان ذي منظم حراري (ترموستات) ، بالاضافة إلى ميزان حراري (ترمومتر) ، لتسجيل درجة حرارة مياه الحوض مرة في اليوم أو أكثر

وستحتاج إلى معدات للتهوية والترشيح ، وأهمها مضخة ، وأنابيب مرور الهواء إلى داخل الحوض ، وهي تنتهي بالقرب من قاع الحوض بقطعة من الحجارة المسامية ، تسمى (حجر الهواء) ، تنظم تدفق فقاعات الهواء في مياه الحوص ولا يكتمل رونق الحوض إلا بعد فرش قاعه بالرمال والحصى .

وتباع في المحلات المخصصة لأسماك الزينة أنواع عديدة من الحصى ، أفضلها ذو الحجم المتوسط ، ويفضل ذو الألوان الطبيعية ، فإن كانت صناعية ،

او جد حوض السمك في الغرفة ركنا حيا تقضي فيه الأسرة بعض أمسياتها

وجب التأكد من ثبات اللون ، وخلوه من السمية ويمكنك أن تحسب احتياحك من الرمل أو الحصى على أساس رطلين لكل « جالون » من مياه الحوض .

والنباتات ضرورية للحوض ، وقيمتها الجمالية في المرتبة الثانية بعد ما توفره للأسماك من بيئة طبيعية ، تجد فيها المأوى والظل وحماية البيض في وقت التكاثر هذا بالاضافة إلى وظيفتها الأساسية ، وهي استهلاك ثاني أكسيد الكربون الذائب في الماء ، وإمداد الحوض بغاز الأكسجين

حرص ومتابعة

ومعظم أسماك الزينة تعيش في المياه التي تحتوي على نسب ضئيلة من أملاح الكلوريد أو الكبريتات أو الكربونات ، وبعضها يعيش في المياه المالحة ، بينما تعيش مجموعة ثالثة في المياه القليلة الملوحة

وإذا كانت أسماكك من بيئة المياه العذبة ، فيمكن استحدام مياه (الصنبور) بعد تركها معرّضة للهواء لمدة يومين أو ثلاثة أيام قبل صبها في الحوض ، وذلك للتحلص من الكلوريد الضار بالأسماك

والمستحسن أن تختار أسماكك من الأنواع التي تتكيف مع ماء (الصنبور) العادي ، مع مراقبته لكي لا ينحرف في أي من الاتجاهين الحمضي أو القلوي ، ويمكنك التأكد من ثبات تعادلية ماء الحوض باستخدام أوراق عبّاد الشمس الملونة ، فإن بقيت كما هي بعد غمسها في الماء ، فإن الحالة مطمئنة ، وإن احمرّ لونها أو ازرقّ ، فإن ذلك يعني تغير حالة الماء إلى الحمضية أو القلوية ، على

الترتيب

وأخطر مؤشرات تلوث مياه الحوض هو زيادة نسبة أملاح النيتريت والنيترات المذابة في الماء ، فإذا حدث ذلك فإن الأسماك تموت تباعا بعد أن ينعدم إقبالها على الطعام ، وتتقلص زعانفها ، وتضطرب حركتها ، ويمكنك في هذه الحالة أن تستخدم العقاقير الخاصة المتوفرة في الأسواق ، لكن أساس معالجة هذه الحالة هو أن تقوم بتغيير ثلث ماء الحوض ، من حين لآخر ، مع التأكد من ثبات درجة الحرارة

كيف تختار الأسماك ؟

إن اختيار الأسماك التي ستسكن الحوض بعد تجهيزه يحتاج إلى دراسة متأنية ، للمفاضلة بين مختلف مزاياها ، فإذا توفرت في بعض الأنواع خصائص الجمال ، مع عدم الاحتياج إلى مزيد من الجهد في الرعاية كانت هي الأفضل

وبعض أنواع الأسماك لا تطيق مشاركة أنواع أخرى لها في مياه الحوض ، فهي تعيش فردية ، ولا تكف عن العراك مع غيرها ، مثل أوراتوس ، وسياميز فايتينج ، وريد تايل بلاك شارك ، فهي أنواع مزعجة ، يستحسن أن تتجنبها ، ما لم توفر لها ظروف المعيشة الخاصة بها

ولا يغب عن بالك أنك تستضيف في بيتك كائنات حية ، وهي ضيوف عزيزة لديك ، ويجب أن تقوم بواجب إكرامها على الوجه الأكمل ، فتعرف أولا حاجاتها الغذائية ، فالأسماك إما آكلات عشب (نباتية) ، أو آكلات لحوم ، أو خليط من هذا وذاك ، فالنباتية منها تحتاج إلى وجبات صغيرة تلاحقة (كل ثلاث ساعات) ، أما آكلات اللحوم إنها تفضل الوجبات الدسمة المشبعة ، ويفضل بيت مكان أو مكانين في الحوض لالقاء الطعام منها ، وذلك لاتاحة الفرصة لكل سكان الحوض لأخذ احتياجاتهم من الطعام ، ومن المفضل أيضا أن (يتنوع) الطعام ، فيكون جافا مرة ، وطريا أخرى وكثير من أنواع الأغذية الجافة يباع معلبا في متاجر أسماك الزينة ، وأحسن أنواعه تلك المصنعة من عدة حبوب ، أما الأغذية الطرية فهي تشمل الطحالب والعقد البكتيرية الملتصقة بسيقان النباتات وجذورها ، وبرغوث الماء ، وديدان الأرض ، ويرقات الحشرات والقشريات

وعلى أي حال فثمة بعض القواعد الأساسية التي يجب ألا تغيب عن ذهن أي هاو لأسماك الزينة

أولا مراقبة العوامل والمؤشرات الطبيعية والكيميائية للحوض يوميا (درجة الحرارة ـ درجة الحموضة الخ)

ثانيا تنظيم عملية التغذية للاحتفاظ بالأسماك في حالة صحية جيدة

ثالثا مراعاة توفير الفراغ الحيوي المناسب لمعيشة كل سمكة ، فلا يزدحم الحوض بالأسماك

رابعا . ضرورة تغيير جزء من ماء الحوض كل أسبوعين للمحافظة على صلاحيته لمعيشة الأسماك

خامسا الكشف الدوري على الأجهزة الملحقة بالحوض (كالمضخة والمرشحات والسخان) والتأكد من كفاءة عملها

سادسا يجب ألّا تزيد قوة السخان عن « واحد » لكل لتر من الماء

سابعا مراعاة النظافة العامة والتامة بالحوض ، واستبعاد أي جسم عالق بالماء قابل للتحلل

ثامنا القراءة المستمرة . للتعرف على أحدث الأفكار في مجال تربية أسماك الزينة

ألم أقل لك ، في البداية ، أن حوض أسماك الزينة في بيتك جهاز تثقيفي ؟؟ !! □ .

الوصفات الشعبية

داء.. ودواء!

بقلم : ريم الكيلاني

لم تزل وصفات جداتنا وامهاتنا هي اسلوب العلاج لكثير من الامـراض رغم العلم وتقدم الطب ، ورغم ما تسببه من نتائج وخيمة .

الدنيا تتغير كل يـوم ، والعالم لم يعد يومـه كالأمس ، فالتغييرالسريع الحادث في مظاهر ياة أصاب كل مناطق وطننا العربي من مدن وقرى فور ونجوع وبـدو وحضر ، واصبحت أدوات ياة العصريـة منتشرة في كـل مناطق الـوطن على ساعه ، وعلى الرغم من هذا فان ثقافتنا الاجتماعية يصبها نفس القدر من التغيير ، فما زالت عادات ـاليد كثيـرة تتحكم فينا ، ومـا زالت سلوكيات ـرة منتشرة وسـائدة رغم كـل الاستنارة والعلم لتقدم

الات وشهود

لم يـزل العلاج بـالوصفـات الشعبية قـائـما حتى وم ، وما زالت امثـالنا الشعبيـة تحث على سؤال المجـرب ذي الخبرة بـدلا من سؤال الطبيب وبينـما يشهد العالم ثـورة علمية في علم الـوراثة وتتم فيـه عمليات جراحية معقدة ، فما زلنا في عديد من القرى والكفـور والنجـوع وحتى في الاحيـاء الفقيـرة والمتوسطة في المدن الكبرى نعالج الاسهال بماء الارز أو البـطاطس المسلوقـة ، ونـداوي الجـرح بـالبن المطحون ، ونـسقي اطفالنا الصغـار « الخشخاش » المغلي لكي يناموا ليلا ، وكثير من الامهات ما زلن يـدلكن أجسام المـواليد الجـدد بالملح والـزيت مدة أربعين يوما لمنع التهابات الجلد أو ظهور الحبوب ، وما زال العلاج بالكي منتشرا على خريطة مناطق كثيرة وأحياء عديدة في وطننا العربي

تقـول السيـدة أم غـازي وعمـرهـا قـد تجـاوز التسعين · الحمد لله أنني لم أذهب للطبيب في حياتي

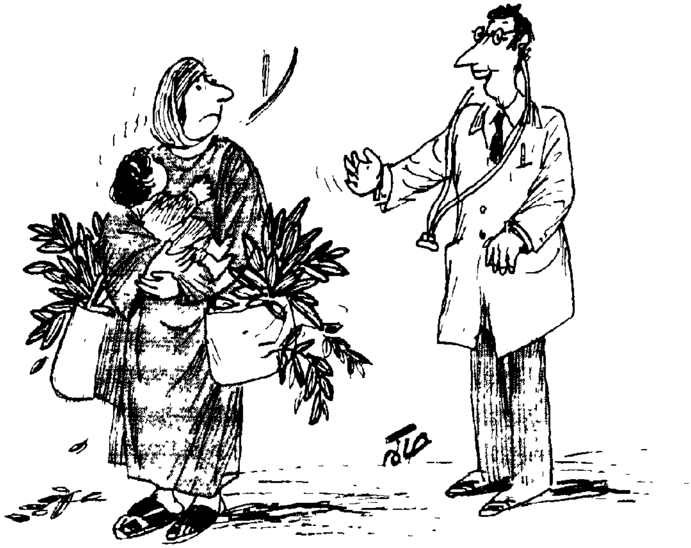

كلها ، ولماذا أذهب اليه وكل الامراض معروفة لي وخلال عمري الطويل رأيت كل الأمراض ؟ واعرف كيف كان آبائي وأهلي يعالجونها قبل أن يظهر ما يسمى بالاطباء

اما الحاجة حنساء فتقول لماذا ادهب للطبيب واعراض المرض واضحة امامنا ؟ فمثلا نعرف أن الذي يمكن أن يسبب ارتفاع درجة حرارة الطفل إما التهاب اللوزتين أو ظهور اسنان جديدة او حصبة وهكذا ، وكل هذه امور علاجها مضمون ومعروف ، فلماذا الطبيب ؟

أما السيدة أم عصام فتقول : الطبيب بشر مثلنا صيب ويخطىء ، وكثير من المرضى ذهبوا الى اطباء لم يجدي معهم العلاج ، ولكن الوصفات الشعبية مروفة ومجربة ومأمونة الجانب

فهل نحتاج الى مزيد من شهادات الشهود ، والى أقوال افراد آخرين من المجتمع ؟ اعتقد أن في الذهن وفي العالم المحيط بنا كثيراً من الشهود والوقائع التى تفوق غرابتها كل مقدرة للخيال .

محاولة فهم

عوامل كثيرة تقف وراء هذه المفاهيم التي نعيشها ، منها اننا مستوردون للعصرية وادواتها ، وان علاقتنا بمظاهر التقدم هي علاقة استعمال وليست معايشة وخلقاً وابتكاراً ، ونحن بالتالي نعيش العصر بعقلية وثقافة قديمة ، وليس بعقل العصر وثقافته ، ومن هذه العوامل أيضا الظروف الاقتصادية لوطننا العربي ، والفقر وما يستتبعه من ظواهر اجتماعية

ومن هذه العوامل ايضا أن الثقافة الاجتماعية تتغير ببطء شديد واذا كان مطلوبا أن تتغير نحو الايجابية ، فيجب ان يكون المناخ العام كله ايجابيا .

الدكتورة ليلى الفزيع اختصاصية امراض الاطفال بمستشفى الصباح بالكويت تقول :

الوصفات او الممارسات الشعبية موجودة في كل ارجاء المعمورة ، وهي ليست بالشيء الغريب . بل إن هذه الممارسات كانت بداية وجود علم الطب الحديث لقد جاء الطب اليوم ليكمل ويضيف لكثير من الوصفات الشعبية القديمة التي ابتكر منها اشياء كثيرة معتمداً في ذلك على النظريات العلمية ، والقواعد الأساسية في تركيب العقار

ونحن كأطباء لا نرفض كل الممارسات الشعبية ، بل اننا وفي احيان كثيرة نصفها لمرضانا من ذوي الحالات البسيطة ، بكميات محدودة،بحيث تكون مناسبة لعمر المريض وحالته ، خاصة ان قدرة الطفل على الاحتمال اقل بكثير من الشخص الكبير ، فالطفل حديث الولادة حين يصاب بالاسهال لا نستطيع مداواته بعقار ما ، لكننا ننصح الام بوقف عملية الارضاع الطبيعية ، بل ان هذا النوع من العلاج معروف لدى جميع الامهات ، لكن على النقيض من هذا التصرف التلقائي الايجابي ، نجد أن الام غالبا ما تخفف آلام طفلها باستعمال الخشخاش ، وهو نوع من الاعشاب ذات النتائج السيئة الخطيرة ، فهو الى جانب كونه مخدراً ، قد يؤثر على مركز التنفس عند الطفل مما يسبب بعض حالات الاختناق ، وقد تلجأ بعضهن لاستعمال الينسون ـ خاصة في الليل ـ باعتباره نوعاً من الاعشاب المنومة مما قد ينتج عنه اسهال شديد

كذلك فان كثيرات يفضلن علاج القروح والجروح باستعمال المؤن المنزلية كالبن للجروح ، ومعجون الطماطم ومعجون الاسنان للحروق ، وأحيانا يعالجن التهاب الجلد أو الاصابة بالحساسية بالزيت والملح،والحقيقة ان هذه الاستعمالات لا تشفي بقدر ما تكون مصدراً فعالا لادخال الجراثيم الى الجسم فتسبب تلوث الجروح وتقرحها .

وتضيف الدكتورة الفزيع . أن بعض النساء المتقدمات في السن يعبن اللجوء للطبيب واستعمال العقاقير الجديدة ، باعتبار أن الادوية الحديثة تزيد الوفيات ولا تقلل منها

والحقيقة أن تطور الطب والمجتمعات أعطى فرصاً لظهور امراض كثيرة،والسبب في ذلك زياد الاهتمام بصحة المولود والطفل ، ففي الماضي كا

الطفل اذا اصيب بالتهاب رئوي ، او التهاب السحايا يموت فورا فلا تكون هناك فرصة اخرى ، رد على ذلك عدم الاهتمام بالرضاعة الطبيعية اليوم ، حيث يعني ذلك قلة المناعة عند الطفل

ان الوصفة الشعبية تعالج الاعراض ولا تعالج المرض الاصلي،لان الانسان العادي غير المتخصص لا يكون قادرا على الوصول لحقيقة المرض وأسبابه ، ومن ثم فإن الوصفة لا تكون مجدية في كل مرة ، خاصة ان هناك تشابهاً كثيراً في اعراض بعض الامراض كالتهاب السحايا ، والالتهاب الرئوي ، والتهاب المجاري البولية ، والتهاب الاذن ، والنزلات المعوية،حيث يصاحبها جميعا صداع وارتفاع في درجة الحرارة مع اسهال واستفراغ واستعمال وصفة شعبية واحدة لهذه الاعراض يعني تمكين المرض من الجسم .

الكي كذلك نوع من انواع العلاج الممتاز ، ونتائجه مضمونة شريطة استعماله بطريقة علمية سليمة ، وإلا اصبح مصدراً لادخال الجراثيم ، اضافة الى أنه نوع من التعذيب

اما عن اصعب الحالات التي يواجهها الطبيب كل يوم فهي تلك الحالات التي تدخل المستشفى بعد عدد من الممارسات الشعبية التي اجريت دون ادنى فائدة ، فهناك حالات كثيرة تم فيها كي اليافوخ ، بسبب انتفاخه الناتج عن وجود التهاب في السحايا ، لكنه لم يشف ، بل أدى ذلك لزيادة حالة المرض حتى وصل الى التهاب في الدماغ ، ولما كانت المناعة في جسم الطفل قليلة ادى ذلك إلى سرعة تأثير الجراثيم داخل هذا الجسد الضعيف كذلك فان عمليات كي سلسلة الظهر او كي البطن قد يؤدي لشلل او تلوث الدم ومن اكثر الحالات المستعصية استعمال الدواء دون استشارة طبيب ، وباجتهاد شخصي من الأم كأن يكون هذا اعتقادا منها بأن هذا الدواء او ذاك له فائدته وفعاليته

هذه بعض الآراء في امور ما زالت سائدة وموجودة،ويواجهها الناس يوميا بالرغم من نقلة التطور الكبيرة في العلاجات الطبية وغيرها □

شهية متفتحة

دعي فيكتور هيجو أحد أقطاب الأدب الفرنسي مرة لتناول طعام العشاء لدى أسرة فرنسية ، تعرف عليها منذ عهد قريب ، وقد راق له الطعام ، فأقبل عليه بشهية ، حتى أن ربة البيت لم تتمالك نفسها ، فهنأته على ذلك ، فأحرج هيجو ، لكنه تخلص من هذا الاحراج قائلا في لباقة لو أنني كنت قد تعرفت إليك من قبل يا سيدتي لتفتحت شهيتي أكثر من ذلك .

العربي - العدد ٣٤٥ - أغسطس ١٩٨٧

هو..

برود

لم يثر بيننا خلاف حول هذا الموضوع أبدا ، لكنني بين الحين والآخر ، وكلما دار نقاش ألمح نبرة لا تروق لي ، وأسمع رأيا لا يوافقني ، إلى أن جاء مساء وفتحت الموضوع معه عن عمد ، محاولة أن أصل إلى ما يفكر فيه ، وأسمع رأيه كاملا

رزقنا الله بثلاثة أبناء على مدى سنوات ، ومن علينا بسعة في الرزق ، فأبتنينا بيتا من طابقين ، ولمعاونتي في أعمال البيت استأجرنا خادمين وسائقاً ، ونظرا لطبيعة عمل زوجي فقد أصبح عبء إدارة شئون البيت والاشراف على الأولاد من مسئولياتي وهمومي ، ومنذ استقر الأمر على هذا وزوجي لا يتدخل في شيء إطلاقا ، فإذا ذاكر الولد ، أو مرض ، أو استأذن ليخرج مع أصحابه ، أو حقق تقدما في درجاته المدرسية ، كل ذلك لا يدخل في دائرة اهتمامه يعود أحيانا من العمل في المساء ، فأشكو إليه من تصرف الأولاد ، أو من خطأ ارتكبه أحد الخدم ، وأطلب منه أن يثور عليهم ويعـ ويصدر أوامر صارمة حادة ويترك لي بعد ذلك مهـ المتابعة ، لكن برودة أعصابه وعدم اهتمامه يسـ صدمة ، وكثيرا ما يعود وأنا في ذروة غضبي فأطـ منه التدخل وإنزال العقاب ، لكنه ينظر إلي طويلا ويبتسم ، ثم يقول هذه معاركك أنت فخصوصيا فليس لدي أي استعداد لأن أخوض معاركك بالنيابة

إلى أن عاد يوماً وقت الظهر ، وكنت لا أرى أمامي من الغضب ، فقد أرسلت السائق منذ الصباح إلى بيت أختي الذي لا يستغرق الطريق إليه أكـ نصف ساعة ، لكن السائق لم يعد حتى العصـ وعندما حان موعد عودة الأولاد من المدرسة طلـ سيارة أجرة واضطررت للذهاب بها إلى المدرسـ لاحضارهم ، وعدت والسائق لم يعد بعد ، وبعـ رويت لزوجي ما حدث طلبت منه أن ينزل العقـ اللائق بالسائق ، إذا كان يريد لأمور البيت تنتظم ، وبالفعل ناديت على السائق ، وما إن روجي حتى قال بصوت هادىء . « عليك أن تنـ أوامر سيدة البيت ، وتحسن من طرق عملك ، كل ما قاله فقط ، وهذا كل ما تفضل به ، ولقد حرصت أن أسمع منه وأعرف رأيه ، ورؤيته يكون في اعتقاده أنه يقيم في فندق لا في بـ وبالتالي فهو لا يتحمل أي مسئولية . هـ

هي.. عصا

لا تريد أن تصدق ، وتظن أني أقصد إثارة غيظها ، وكأني متآمر لإصابتها بأمراض ضغط الدم والأعصاب

لظروف عملي لا أعود إلى البيت إلا وقت الظهر للغداء ، والراحة ساعة واحدة ، ثم العودة مرة أخرى إلى العمل ، ثم أعود في المساء لأراجع أوراقا ومذكرات وتقارير سأباشرها في اليوم التالي ، وهكذا ، فأنا نصف مقيم ، ونصف متابع ، ولكنها تريد إشراكي في مشاكلها الصغيرة على طريقة المقيم المتابع المهتم

وأحاول أن أشرح لها وجهة نظري ، فأقول لها إن السلطة صنو المسئولية ، ومادمت أنت قد تحملت المسئولية فأنت تملكين سلطة الثواب والعقاب ، وليس جيدا في حقك أن أتدخل أنا بعقاب ما ، فإن هذا كفيل بأن يفقدك قدراً من هيبتك لدى الأبناء والخدم سواء بسواء والجزء الأكبر أهمية أني كثيرا ما أكون غير حاضر هذه المشاحنات ، ولا يمكن أن ينقل إلي الاستفزاز بالعدوى ، ولا الغضب بالملامسة ، وبالتالي فإن ردود فعلي لا يمكن أن تتناسب مع الخطأ ولا تصححه

ثم الأمر الآخر الذي حاولت كثيرا أن أقوله وهو أن العلاقات بين البشر لها قانون ، ينسجه أطرافها ، مهما كان أطراف هذه العلاقة ، ومهما كان مستوى هذه العلاقة ، فأنا مثلا أكثر الناس مقدرة على إدارة موظفي مكتبي وضبط عملهم ، وأدرى بما يصلحهم ، فهذا يصلح بالكلمة الطيبة ، وذاك بالزجر ، وغيره بالتهديد ، وهكذا ، وليس مستساغا أبدا أن أوقع عقاباً على أحد ثم تأتي هي بعد ذلك وتنسى العقاب ورغم إيماني بصحة سلوك إيقاع العقاب والعفو ، أو التوقف عن استمرار العقاب ، إلا أن هذا السلوك في تقديري مشروط بأن الذي يعاقب يجب أن يكون هو الذي يعفو ، لكن أن يعاقب طرف ويعفو آخر فهذا ما لا أقره بحال ، لأن الطرف المعاقب سيصبح بمثابة مصدر نكد وهم لأهل البيت ، يكرهون تواجده ، وينقبضون عند وصوله ، لكنها تقول إن هذا ليس هدفها ، وهي لا تريد للأبناء والخدم أن يكرهوا تواجدي في البيت

قلت لها مازحا إذن لم يبق إلا أن أصبح عصا في يدك ، تضربين بها من تشائين ، وأغير مهنتي في البطاقة الشخصية لتصبح المهنة « عصا مربية » ، وثارت ، وأربدت ، واتهمتني بالبرود ، والرغبة في إصابتها بضغط الدم

هو

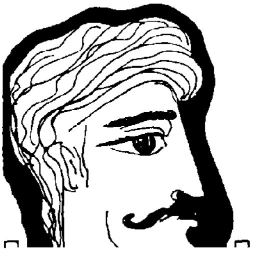

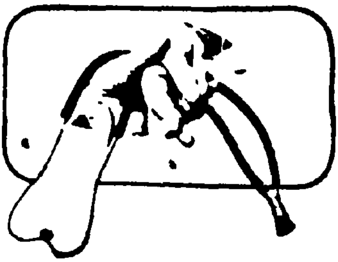

الأسرة

الدكتور حسن فريد أبو غزالة

قضايا منزلية

صيف بلا عناء

في اليوم الحادى والعشرين من شهر يونيو تتعامد الشمس مع حط ٢٣ر٥ شمال خط الاستواء المعروف بمدار السرطان ، وهنا فان شمال الكرة الارصية يحظى بالقدر الأوفر من أشعتها التى تختزن حرارتها في القشرة الأرضية فيكون مهذا أعلى درحات الحرارة حلال شهري يوليو واغسطس

بالمقابل فان شهور الشتاء تكون سائلة في جنوب خط الاستواء من الكرة الأرضية .

بعض الناس يعاني من شهور الصيف بقدر بعده أو قربه من مدار السرطان ، غير أن الذي يحدد درجة المعاناة ثلاثة عوامل رئيسية هي :

أولا : درجة الحرارة ، فالانسان من المخلوقات التى تتميز بدرجة حرارة جسمانية ثابتة بفضل منظم للحرارة يقع في المخ، وهى درجة ٣٧ مئوية تقريبا ، غير أن جسمه قابل للتأقلم مع درجات متفاوتة حول درجة حرارة جسمه ، بفضل أجهزة تكييف تشكل أحد أسس تركيب جسمه ، منها الغدد العرقية ومنها أوعية الدم الجلدية .

ولعل أفضل درجة حرارة جوية يرتاح لها البدن دون ارهاق لأجهزة التكييف الذاتية تتراوح بين ١٨ إلى ٢٢ درجة مئوية ، فاذا زادت درجة الحرارة ، فان الأوعية الدموية في الجلد تتفتح لتطلق فائض الحرارة ، هذا الى أن الانسان بفضل عقله ، وبفضل طبيعة جسمه يعزف عن تناول أغذية الطاقة المنتجة للحرارة كالسكريات والدهنيات ، بل إن الطبيعة تعطيه الفرصة لتناول العديد من الفواكه والخضراوات في فصول الصيف مما لا تحمل في طياتها مخزونا كبيرا من مواد الطاقة .

ثانيا : الرطوبة النسبية : والرطوبة النسبية تعنى نسبة الماء الموجود في الهواء بالنسبة لكمية الماء التى تشبع الهواء في درجة حرارة معينة ، فاذا قلنا ان الرطوبة النسبية هي مئة في المئة ، فهذا يعنى أن الهواء يحمل أكبر كمية من بخار الماء يمكن له أن يحمل،وادا كانت الرطوبة النسبية خمسين بالمئة فهذا يعنى أ الهواء يحمل من بخار الماء نصف طاقته ، ومن ه فان نسبة الرطوبة العالية تحرم العرق الذى تفر

المدد العرقية من التبخر ، وبالتالى فان عملية التبريد الذاتية بواسطة العرق تبطىء أو تتوقف ، ومن هنا نكون المعاناة في الجو مرتفع الرطوبة النسبية وقد وحدوا أن الفصل نسبة للرطوبة يرتاح لها الجسم هى ما بين ٦٠ الى ٧٠ بالمئة ، لان الدرجات الدنيا من الرطوبة النسبية تسبب الجفاف للجلد ، والضيق للنفس .

ثالثا حركة الهواء إن تبخر العرق من ناحية ، وتبريد الجلد من خلال التلامس لابد له من حركة الهواء الذى يتجدد ، إذ يتحرك الهواء الساخن الرطب ليحل محله هواء باردوجاف ، ففي الأجواء ساكنة الهواء يصاب الناس بالضيق والعناء ، ومن هنا لجأ الانسان منذ القدم الى ابتكار المراوح بدءا بمراوح القش البدائية ، وانتهاء بالمراوح الكهربائية التى تحرك الهواء فتخفف المعاناة

من هذا المنطلق يجب التعامل مع الصيف حتى لا يحملنا معاناة وضيقا .

طعام الصيف :

حرارة الجسم تتولد أساسا من حرق الطعام ومصدرها الرئيسي هو النشويات والسكريات المعروفة باسم الكربوهيدرات ومن الدهنيات إن جرام الكربوهيدرات يعطى ـ اذا ما احترق ـ أربعة سعرات ، فيما يعطى جرام الدهنيات تسعة سعرات ، لهذا فلابد من الاقلال ما أمكن من الأطعمة النشوية والسكرية والدهنية بينما لابد من رياد شرب الماء الذى يفرزه الجسم في هيئة العرق تحتلد ملح الطعام ، لذا ينصح الاطباء بزيادة رصيد العف ن الملح لتعويض افراز الغدد الدرقية ، والحم له اذ وفر لنا الخضراوات والفواكه المتنوعة في أيام الصيف

في الصيف إذ ينصح بزيادة السوائل ينصح الاطباء بالاقلال من الطعام عامة ، والبعد عن الاسراف والتخمة

ملابس الصيف :

يجب أن تتوفر في الملابس شروط تتلاءم والعوامل التى تتحكم في راحة الانسان او عنائه ، اذ لابد من الألبسة التى توفر التهوية وتسمح للعرق أن يتبخر وهذا لا يعنى التعرض المباشر للشمس بل لابد من ملابس تحمى الجلد من أشعة الشمس المباشرة ، ولهذا تعتبر الدشاديش القطنية هي الأفضل بينما أقمشة النايلون والأكمام القصيرة لا تصلح للأجواء الخارجية المعرضة للشمس

والأقمشة الصوفية على عكس ما يتوهم البعض فانها لا تزيد حرارة الجسم بل ربما تخفظها ، ومن هنا نجد أن العمال أمام الافران يلبسون البسة صوفية لان مسام القماش تحوى كثيرا من الهواء بين ثناياها والهواء عازل جيد للحرارة يمنعها من أن تصل الى جسم الانسان .

الرياضة في الصيف :

الالعاب الرياضية عادة ما تولد الحرارة لهذا فليس كل الالعاب الرياضية صالحة لفصول الصيف لكن بعضها مثل السباحة يعتبر أفضل ما يمكن لأيام الحر واذا كان هناك من رياضة مستحبة فالافضل أن تمارس داخل غرف مغلقة ذات تبريد مكيف

أمراض الصيف :

ترتبط أمراض الصيف باختلال العوامل الثلاثة التى ذكرناها ، واستجابة الجسم لذلك ويمكن

استعراض هذه الأمراض التي يمكن تلافيها بالسيطرة على العوامل التي تتحكم في قدرة الانسان على التأقلم :

أولا : الانهاك الحراري وهي آلام عضلية عامة وشعور بالتعب والارهاق نتيجة فقد كمية كبيرة من ملح الطعام ومن الماء أثناء العرق ، خاصة في الأجواء ذات الرطوبة النسبية العالية ، حيث يفرز الانسان عرقا لا يتبخر الا القليل منه

ثانيا ضربة الحر · حين يعجز المركز المنظم للحرارة عن السيطرة على ميزان الصرف الحراري ، ويفقد القدرة على التفريق بين الحرارة المتولدة والمكتسبة وبين الحرارة المصروفة من وسائل التبريد الذاتية فانه يتوقف عن العمل ، وبهذا يجف الجلد وترتفع درجة الحرارة ارتفاعا عاليا لان وسائل التبريد قد فقدت قدرتها على العمل حين غابت السيطرة العصبية ، هذه الحال التي كانت تعرف باسم ضربة الشمس لا ترتبط بالشمس فقط وانما هي من تأثير الحرارة المرتفعة ، ومن هنا يجب اللجوء الى الاجواء الباردة المكيفة وعدم العمل في الأجواء والاوقات الحارة .

ثالثا : الطفح الحراري : وهو احتقان يمد الغدد العرقية التي تطفح بالعرق ، لان فوهاتها سدت ولا سبيل لها لافرازها ، فيتسرب حر العرق تحت سطح الجلد ، ويسبب التهابا

وربما كان الاستحمام المتكرر خير وقاية من هذه الحال التي يمتلىء بها الجلد بالحبيبات التي تثير الحكة والازعاج والمعاناة

رابعا · تسمم الطعام · من المتفق عليه في جو الحرارة والرطوبة أن تترعرع الميكروبات والجراثيم ، وتنمو بأكثر من جو البرودة والجفاف ، لهذا تجد هذه الميكروبات فرصتها للنمو السريع في الاطعمة غير المحفوظة ، وخاصة ما تعرض منها للحشرات ، مسببة أشكال التسمم الغذائي المختلفة ، ومن هنا كان الصيف فرصة مواتية للتسمم الغذائي ، وعليه فلا يجب اعداد كميات كبيرة من الطعام أيام الصيف ، وتحاشي الأطعمة القابلة للتسمم كالبيض والكريمات ومنتجات الحليب ، واذا ما فاض بعض منها فلابد من حفظه في الثلاجات

الصيف يحمل حقا أسباب المعاناة ولكن لكل مهمل لأسباب الوقاية ولغير المدرك لاسباب المعاناة

بريد طبيب الأسرة

ردود سريعة

* السيد محمد الحساوي ـ طرابلس ـ ليبيا

اسم العقار المنتظر لعلاج الصلع هو المينوكسيديل ، سيطرح في الأسواق في القريب العاجل ، ومعه تفاصيل استعماله ، لأنه مازال قيد التجربة والاختبار

* السيد أ ع ـ محرم بك ـ الاسكندرية ـ مصر

لاشيء يمنع من الانجاب ، فتوكل على الله

* السيدي ع ع ـ اليمن الديمقراطي

ربما لو استشرت طبيبا اختصاصيا في العدد ا لكان أفضل ، حيث أن رسالتك لا تتضمن تفصيل

الخطر القادم

يبدو أننا وسط انشغالنا بقضايا كثيرة قد أصابنا الارتباك ، فلم نعد قادرين على تحديد ما هو مهم ، وما هو أهم ، وأصبحنا غارقين في كمّ من التفاصيل الصغيرة ، والخلافات ، والاتهامات ، وكلما استغرقتنا هموم الحاضر غاب عنا أفق المستقبل ورغم أن العالم يطل على القرن الجديد بعقل جديد ، وثورات عديدة في مجالات شتى ، فإننا ما زلنا نعيش السنوات الباقية من قرننا هذا بعقلية قرن مضى ، وفي تقديري أن أخطر ما ينتقل إليه عالمنا هو هذا التحول الهائل في أثر المعرفة ، وقيمة المعلومات ، وآثار البحث العلمي ونتائجه ، وفوق أن البحث العلمي قد أصبح واحدا من مجالات التنافس (الاستراتيجية) الكبرى ، فإن نتائج هذا البحث ، وشمول آثاره للمجتمع كله ، بنظم تعليمه ، وهياكل إنتاجه ، وشكل الانتاج ، وكيفيته ، قد أصبحت قضية تشغل العالم المتقدم ، لكي يستطيع أن يواكب هذا التغيير الجذري الذي يحدث ، ولقد شهدت السنوات الماضية تراجعاً في كثير من (الكلاسيكيات) السائدة ، فلم تعد العمالة - أي العنصر البشري - تمثل قيمة كبيرة في العمل والصناعة ، وبدأ العالم يعرف (الأوتوماتية) ، وليس مجرد (الميكنة) ، وبدأ يشهد هذا التحول التدريجي من الصناعات ذات العمالة الكثيفة إلى الصناعات ذات المعرفة الكثيفة

وعند هذه النقطة تتضح ملامح الخطر القادم الذي يتهددنا ، والذي سوف يحكم علينا بالتخلف سنوات أخرى طويلة ، إن لم نلحق بالركب ، فالمعرفة التقنية الحديثة تمثل الآن ٧٠/ من قيمة إنتاج قطع (الكمبيوتر) ، مقابل ١٢/ للعمالة ، وتمثل أيضا ٥٠/ من قيمة إنتاج الأدوية ، مقابل ١٥/ للعمالة ، وهكذا - في عديد من قطاعات الانتاج والصناعات الحيوية - تتزايد القيمة النسبية للمعرفة ، وتتضاءل قيمة الكم البشري - والمعرفة ليست نتاجا ذهنيا لفرد ، ولا معلومة يمكن تداولها عند مستوى ما من المجتمع ، يتولى إدارة الحياة والتخطيط لها ، لكنها عقل المجتمع كله ، ونظمه ، وقوانينه ، وثقافته ، وسلوكه ، وما لم نكف عن كثير من القضايا التي تأكل حاضرنا ، وتبعدنا عن آفاق المستقبل ، وننتبه لهذا التحول الذي ينتقل إليه العالم ، فإن آفاق المستقبل لن تكون أبدا أفضل من حاضرنا □

محمود عبد الوهاب

رسالة إلى الله

قصة مترجمة

تأليف : جيورجيو لوبيز فيونتس * / ترجمة : زهير شفيق رومية

يقع المنزل ـ وهو المنزل الوحيد في الوادي كله ـ على قمة هضبة منخفضة ، من هذا الارتفاع يستطيع المرء أن يرى النهر و« الزريبة » قربه، وحقل القمح الناضج المنقط بأزهار اللوبياء التي كانت تعطي دوما محصولا وافرا

هطول المطر أو بعض زخات قليلة منه كان هو الشيء الوحيد الذي تحتاجه الأرض منذ الصباح لم يفعل (لينشو) الذي يعرف حقوله بالتفصيل شيئا ، سوى تفحص صفحة السماء الشمالية الشرقية

ـ « الآن ستمطر فعلا يا امرأة »

أجابت المرأة التي كانت تحضر طعام الغداء

ـ « أجل ، هذه مشيئة الله »

كان الأولاد الكبار يعملون في الحقل ، بينما الصغار يلعبون قرب المنزل حين دعتهم الأم جميعا

ـ « تعالوا لتناول الغداء »

أثناء تناولهم لتلك الوجبة ـ كما توقع لينشو تماما ـ بدأت قطرات ضخمة من المطر بالتساقط ، وفي الشمال الشرقي كانت تبدو جبال ضخمة من السحب ، وهي تتقدم ، وكان الهواء نقيا لطيفا

خرج الرجل يبحث عن شيء ما في « الزريبة » ، لا لسبب ، بل ليسمح لنفسه بالاستمتاع بالشعور الناتج عن انهمار المطر على جسده ، وعندما رجع هتف قائلا :

« ليست تلك قطرات مطر تنهمر من السماء ، انها عملة معدنية جديدة ، فالقطرات الكبيرة كأنها عشر قطع (سنتافو) ، والصغيرة كأنها خمس منها » نظر بعين الرضا الى حقل القمح الناضج ، وأزهار اللوبياء المتمايلة تحت غطاء من المطر ، وفجأة بدأت تهب ريح عاصفة ، تسقط معها حبات برد ضخمة جدا وكانت الحبات فعلا تشبه عملة فضـ جديدة ، مما جعل الصبية يخرجون لجمع اللآ المتجمدة ، معرضين أنفسهم للمطر وصـ ح

---

* الكاتب ولد ونشأ بين هنود مكسيكو مما أتاح له النفاذ الى تركيبة حياتهم اليومية كان شاعرا، وصحفيا وكاتب قصة ورواية . ربح جائزة مكسيكو الوطنية عام ١٩٣٥ عن روايته « الأنديو »

الرجل بمشاعر يعتريها الألم .

- « في الواقع صار الوضع سيئا الآن ، وآمل أن تمر العاصفة سريعا » .

ولم ينجل المطر ، بل هطل المطر والبرد مدة ساعة على البيت والحديقة ، وسفح الهضبة ، وحقل القمح ، وعلى الوادي كله ، فأصبح الحقل ناصع البياض كأنه قد غطي بالملح . ولم تبق ورقة واحدة على الشجرة ، وأتلف القمح كله ، واختفت الأزهار من نباتات اللوبياء ، وغمر الحزن روح لينشو وعندما انجلت العاصفة ، وقف وسط الحقل وحاطب أولاده -

- « لو أنها كارثة جراد لأبقت أكثر من هذا ، لم يترك البرد شيئا ، لن نأكل القمح أو اللوبياء هذا العام »

كانت تلك ليلة تعيسة

- « كل تعبنا راح سدى »

- « لاأحد يستطيع مساعدتنا »

- « سنجوع جميعا هذا العام »

لكن ثمة أملاً وحيداً في قلوب الجميع الذين سكنوا في ذلك البيت المنعزل وسط الوادي .

عون من الله

« لاتكن قلقا حدا ، حتى لو بدا هذا كخسارة مالية ، تذكر أن لاأحد يموت من الجوع »

« ذلك مايقولونه لاأحد يموت من الجوع »

لوال الليل كان لينشو يفكر بأمله الوحيد وهو عون له الذي ترى عيناه كل شيء ، حتى ماهو خاف في سمير المرء

كان لينشو كثور في هيئة انسان ، يعمل كحيوان ب الحقول ، لكنه مازال يعرف كيف يكتب وفي ليوم التالي عند انبلاج النهار ، وبعد أن أقنع نفسه وحود روح حامية ، بدأ يخط رسالة سيحملها بنفسه لى المدينة ، ليضعها في البريد ولم تكن سوى رسالة لى الله

كتب « يا الله ، اذا لم تساعدني سأجوع مع أسرتي مدا العام ، انني بحاجة الى مائة (بيزو) ، لكي حرث الأرض من جديد ، وأعيش حتى مجيء لمحصول ، لأن البرد » وكتب على المغلف « الى لله » ، ووضع الرسالة داخله ، وذهب الى المدينة سرتبكا ، وفي مكتب البريد وضع طابعا على لمغلف ، وأسقطه في صندوق البريد

أحد المستخدمين الذي كان ساعي بريد وموظفا نيه أيضا أسرع الى مديره ضاحكا من أعماق قلبه ، ليريه الرسالة التي كتب على مغلفها الى الله ، فلم يعرف أبدا خلال حياته كساعي بريد عنوانا كهذا ، أما مدير البريد ـ هذا الرجل البدين اللطيف ـ فهو أيضا ينفجر مقهقها ، لكنه سرعان ماينقلب الى الجد ليطوي الرسالة ويضعها على مكتبه ويعلق قائلا

« ياله من ايمان ، ليت لي ايمان الرجل الذي كتب هذه الرسالة ، حتى أؤمن بطريقته ، وآمل بالثقة التي يأمل بها ، فهاهو عنون الرسالة الى الله ! »

وحتى لايفقد الرجل ايمانه ، خطرت للمدير فكرة الاجابة على الرسالة ، لكنه عندما فتحها أدرك بوضوح أنه لكي يجيب عليها سيحتاج الى أكثر من النية الطيبة والحبر والورق ، لكنه مضى فيما عقد العزم عليه ، فطلب نقودا من مستخدميه ، ودفع هو جزءا من راتبه ، وأرغم عددا من أصدقائه لتقديم شيء ، لأن في ذلك « عملا من أعمال الخير »

كان مستحيلا أن يجمع مائة(بيزو)، لكنه تمكن أن يرسل الى ذلك المزارع أكثر من نصف المائة بقليل وضع الأوراق النقدية في ظرف معنون الى لينشو ، مع رسالة له تتضمن كلمة واحدة فقط كتوقيع وهي (الله)

قدم لينشو في يوم الأحد التالي مبكرا أكثر من العادة ، ليسأل اذا كان ثمة رسالة له ، فسلمه ساعي البريد الرسالة بنفسه ، بينما راح المدير ينظر اليه من مدخل مكتبه ، ليجرب رضا رجل قام بعمل خير

لم يظهر لينشو أدنى مفاجأة عند رؤية الأوراق النقدية لأنه واثق من حدوث ذلك ، لكنه أصبح غاضبا عندما عدها ، ان الله لايمكن ان يخطىء ، ولا أن ينكر على لينشو ما يطلبه

وسرعان ماصعد لينشو الى الكوة ، وطلب ورقة وحبرا ، وعلى طاولة الكتابة العامة بدأ يخط رسالة أخرى ، وحاجباه منعقدان بشدة ، بسبب الجهد الذي كان يبذله ليعبر عن أفكاره ، وعندما انتهى ذهب الى الكوة ليشترى الطابع الذي لعقه بلسانه ثم ثبته على المغلف بضغطة من أصبعه

وفي اللحظة التي أسقط فيها الرسالة في صندوق البريد أسرع المدير وفتحها فوجد المزارع قد كتب فيها

« يا الله ، بالنسبة للنقود التي طلبتها لم يصلني منها سوى سبعين بيزو.أرسل الباقي ، لأني بأمس الحاجة اليه ، لكن لاتبعثهم بالبريد ، لأن موظفيه ليسوا أكثر من مجموعة من اللصوص لينشو » □

حديث الشباب

شعر : عبدالعليم القباني

يامن حِباهُ أتدري وأنا الذي
أتعبتُ كلَّ مشاعري حتى الصِّبا
حدَّثتني فتركْتُ عمْرِي كلَّه
وَسَبحْتُ للأملِ البعيدِ مداعِبًا
وعرَضْتَ ما قدْ كانَ أوْ هُو كائنٌ
لم تُبْقِ ثَمَّ مشارقا ومغاربَا
حتى تَركْت دمي وَقَدْ أشْعلْتَهُ
لهباً تدفَّق في عُرُوقي لاهبَا
ورجعْتُ أسْبحُ في الخيال وفي المُنى
حتَّى لبسْتُ من الشباب جلاببا
ورأيتني ورأيتُ أحلام الصِّبا
كالأمس ثُمَّ دوافعاً وَجَواذبا

* * *

قل للذي راعَ المشيبُ شَبابَهُ
فيم الحياةُ إذا انْزوَيْت مُجانِبَا ؟
ياما ظننتُ الشيبَ يَمنعُ خافقي
أن يَسْتجِيب ، فكان ظنيِّ كاذبَا
أقبِلْ على الدنيا بقلبٍ ضاحكٍ
تلقَ الذي ضَيَّعْتَ منها آيِبَا
هذي العيونُ الواسعاتُ دلالُها
لم يُبْقِ للشيبِ الموقَّرِ جانِبَا
فاجْعَلْ حياتَكَ رحلةً في ظلِّها
تنْسَ الذي قدْ كانَ منها غائِبَا

بقلم : محمد خليفة التونسي

إعراب المقصور

يقسم النحاة الاسم (والصفة) - بالنظر الى حرفه الاخير - اربعة اقسام منقوص ومقصور وممدود وصحيح

المنقوص - عندهم - هو الاسم المعْرَب الذي آخره ياء لازمة مكسور ما قبلها مثل القاضي والجواري ، وقد سمي منقوصا لنقص حرفه الأخير (الياء) نطقا ثم كتابة في بعض التراكيب فيقال هذا قاض ، وهؤلاء جوار ، ويدخلون في هذا النوع ما اشبهه اذا كان منتهيا بهمزة عند حذفها مثل المرجيء والمستهزيء وشاطيء وشواطيء ، فيقال فيها مُرجٍ ومُستهزٍ ، وشاطٍ وشواطٍ ، ولا تظهر على آخره الا الفتحة حين يكون منصوبا ، ولا تظهر عليه الضمة في الرفع أو الكسرة في الجر أو الخفض لثقلهما الا لضرورة شعرية

والمقصور عندهم هو الاسم المعرب الذي آخره الف لازمة (ولا بد من فتح ماقبلها) مثل هدى ومُرتقى ، ومستشفى ، وسمي مقصورا لقصر النطق بألفه أو انحباس الصوت معها ومن المتعذر أو المستحيل ان تظهر على آخره حركة من ضمة او فتحة او كسرة

والممدود وهو الاسم المعرب الذي آخره الف زائدة بعدها همزة ، مثل سماء ، وحمراء وأسماء وسمي ممدودا لامتداد النطق بألفه أو امتداد الصوت فاذا وقف عليها ظهرت منها همزة في النطق ، والفرق بين الف المقصور والف الممدود صوتيا فرق في الكم وان كانتا متحدتين اصلا ، وتظهر على الممدود كل الحركات الضمة والفتحة والكسرة ، وقد يمد المقصور ، ويقصر الممدود

والصحيح هو الاسم المعرب الذي ليس بمنقوص ولا مقصور ولا ممدود ، مثل حجر وكفه وس وتظهر عليه الحركات الثلاث كالممدود

وفي صفحة لغوية سابقة (العربي العدد ٣٢٥ ديسمبر سنة ١٩٨٥) ناقشنا رأى النحاة المنقوص ، ووضحنا ما فيه من مآخذ ، وخلاصة انتهينا اليه انه قد لايكون اسما بل صفة،ويكون معر وجمعا،وأنه يكون مبنيا في حالة الرفع والجر أو الخفض

عالبا ، ولا تظهر عليه الا حركة الفتحة عند نصبه فيكون حينئذ معربا

وقد تدعو ضرورة الشعر الى عدم اظهار الفتحة عند نصبه .

والياء في المقصور أوضح فآخره يلتزم حالة الجمود كيف كان موقعه من الاعراب، وهذا هو [illegible] ونعرض عن تعريف النحاة اياه فنشير الى انه قد لا يكون اسما مثل [illegible] ومرعى بل يكون [illegible] مثل الاولى والصغرى ويكون مفردا كما في الامثلة [illegible] او جمعا مثل الاسرى والمهى [illegible]
[illegible]
[illegible] لانه [illegible]
[illegible] ولا نزيد على انه دمية تسربت الى أوهام النحاة لولعهم بالاعراب ، كما توهم الاسلاف لاقدمون في مجموعات النجوم وعدوا من بينها الدب القطبي والمرأة المسلسلة وبنات نعش ، وعدوا البروج اثنى عشر ، منها الجدي والسنبلة والسرطان والدلو والحوت. واذا كانت هذه التسميات قد أفادت ولم تزل مستعملة ومفيدة ، فلا فائدة من الاعراب التقديري على المقصور والمنقوص وغيرها إلا تصعيب النحو على المتعلم ولاسيما الناشيء ، وهو لا يُسّهل نطقا ولا فهما في الكلام بل يضيف صعوبة الى صعوبات أخرى في النحو وهي كثيرة

ان الحركات على آخر الكلمات ليست الا قرينة واحدة من القرائن التي تبين وظيفة الكلمة في الجملة ، وبأمثال هذه القرائن بين كلمات الجملة نستدل على وظيفة الكلمة في موقعها من الجملة ومن سائر الجمل دون حاجة الى حركة اعرابية بل من امثال هذه القرائن نعطي آخر الكلمة حقه من الحركة في الاعراب ان كان مما تظهر عليه الحركة لا العكس ، ولهذا يصيب النحاة حين يقولون « ان الاعراب فرع المعنى » فالحركة تتبع المعنى لا العكس

وليس معنى هذا ان نستغني عن الحركات في لغتنا الفصيحة فالحركات فيها من أقوى خصائصها واهدارها اهدار للغة نفسها ، والحركات من مزاياها التي تمكننا احيانا كثيرة من ترتيب الكلمات في الجملة تقديما وتأخيرا كما يقتضي المعنى . فتكون عونا على الأداء الدقيق الحاسم لهذا المعنى دون ادنى التباس بغيره ولكن هذا شيء وافتراض الحركة حيث لاتوجد شيء آخر . وهذا هو الوهم الذي نتوخى الخلاص منه لأنه لايفيد شيئا ، ثم هو يصعب اللغة على طلابها ولا سيما الناشئة

وننظر مثلا الى اعراب كلمة « موسى » في هذه [illegible] على طريقة [illegible] النحاة المتعارفة [illegible] صدق [illegible] موسى [illegible] وكلمة موسى عندهم [illegible] مرفوع بضمة مقدرة على الالف منع من [illegible] المقدرة على الالف لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة . « فليس الأولى أن نقول في الاعراب « موسى » مضاف اليه مبني ؟ وان شئنا قلنا أنه في محل جر

شبه المقصور والمنقوص

وتكثر في لغتنا الاسماء (والصفات) المقصورة والمنقوصة ، ولكنّ هناك نوع من الاسماء ليس من صميم لغتنا وقد كشفه نحاتنا في اللغات الاخرى وهو الاسم الذي ينتهي بواو قبلها ضمة وكانوا يمثلون لها بكلمتي « سمندو ، وقمندو » ولكن لو تتبعنا امثالها اليوم لوجدناها عندنا بالعشرات بل بالمئات مثل ادكو وادفو ، ومثل خوفو ، ومثل بنيتو وتيتو ، وفتوريو ، ومثل الاسماء المصغرة للتدليل . زورو ، وتوتو وفوفو ـ ومثل هذه الاسماء يجب اعتبارها مبنية ، وكذلك الاسماء الاجنبية المشاكلة للمنقوص مثل : بيجى ، وكامي ، وموسوليني ، وكرايسكي ، ونضيف اليها الاسماء العربية التي نقلناها عن التركية مثل : شوقي وصدقي وصبري وحفظي وشكري ، فالأفضل عدها مبنية وأن لا نحرك اخرها بالفتحة وان وقعت منصوبة ، فهذا أيسر نطقا واعرابا وأحفظ لبنية الكلمة □

شعر

جمال العربية

هكذا غنى الآباء

إلى أم كلثوم

لمعروف الرصافي

معروف (بن عبد الغني) الرصافي (١٨٧٧ - ١٩٤٥م) يعد هو وزميله جميل صدقي الزهاوي أشهر شعراء العراق في الجيل الماضي ، عاشا في بغداد وكان بينهما تنافس يخفى حينا ، ويظهر حينا ، ولد في الرصافة (أحد شطري بغداد) فنسب اليها ، وفيها نشأ وتعلم ، وكان تلميذا مدى عشر سنوات لنابغة علمائها محمود شكري الآلوسي في العلوم العربية والدينية ، ثم صار معلما ومفتشا في مدارسها ، رحل الى مصر وأقطار الشام وتركيا ، وانتخب نائبا في مجلس المبعوثان العثماني (البرلمان التركي) ثم نائبا في مجلس النواب العراقي عدة مرات ، وفي سنة ١٩٤١ خلال الحرب العالمية الثانية شارك في ثورة العراق ضد الاحتلال الانجليزي بخطبه وأناشيده ، فلما فشلت الثورة اعتزل في بيت متواضع بحي الأعظمية (نسبة للامام الأعظم أبي حنيفة حيث مشهده ومسجده) ببغداد ، وبقي في عزلته ليعيش في ضنك حتى وفاته وقد تولى جهازه ودفنه أحد أعيان بغداد ، وقبره في مدافن الاعظمية كسائر ما حوله من قبور العامة ، ومنذ نحو عشرين سنة أقيم له تمثال في أحد ساحات بغداد

ألف عدة كتب في اللغة والادب ، وقد ألف بعض مريديه العراقيين عدة كتب في أدبه وحياته ، وكله مطبوعة ، وله ديوان كبير (طبع أكثر من مرة) موضوعات قومية ووطنية واجتماعية ، وكان م دعاة الحرية والتجديد في الادب والاجتماع

وقصيدته هنا أهداها الى مغنيتنا الكبيرة أم كلث حين غنت في بغداد سنة ١٩٣٢ كما قدم اليها أم يومئذ كثير من شعراء بغداد

أمُّ كُلثومَ في فنون الأغانى   أمةٌ وحدها بهذا الزمان
هي في الشرق وحدَها ربةُ الفن   فما إنْ للفن ربٌّ ثانِ
داعٍ من صوتها لها اليوم صيتٌ   عمَّ كلَّ الأمصارِ والبُلدان
ما تغنت إلا وقد سحرَتْنا   بافتتانٍ لها ، وأيُّ افتتان
في الأغانى تُمثِّل الحبَّ تمثيـ   ـلا صريحا بصوتها الفتان
يتجلى في لحنها مَشْهدُ الحبِّ   ولونُ الوِصال والهِجران
فتُريك المحبَّ عند التنائى   وتُريك المحبَّ عند التدانى
وتُريك الحبيبَ عند افتراقٍ   وتريك الحبيبَ عند اقتران
كلُّ هذا في صوتها يتجلى   من خلال الأنغام والألحان
صفحاتٌ من الغرام تراها   ظاهراتٍ في صوتها للعِيان
تُنْشدُ الشعر في الغناء ، فتأتى   بلحونٍ مطابقاتِ المعانى
فإذا أنشدتْ عن الوصلِ أبدتْ   فيه لَحْنَ السرور والجَذلان
وإذا أنشَدتْ عن الهجر جاءت   بلحونٍ تدعُو الى الأحزان
كم سقتْنا كأسَ السرور بلحنٍ ،   وبلحنٍ كأسا من الأشجان
تُفهِمُ الروحَ منطقَ الحبِّ مما   تتغنى به ، بلا ترجمان
فكأنَّ الأنغامَ في الصوت منها   ناطقاتٌ لنا بغير لسان
قد سمعنا غِناءها فعرفْنا   كيف فعلُ الغناء في الإنسان
حُسنُ صوت يَزينه حُسنُ لحنٍ   فيه للسامعين حُسنُ بيان
نبراتٌ في صوتها مُشجياتٌ   تتركُ السامعينَ في هَيَجان
تسترقُّ القلوبَ منا بصوتٍ   نعبُدُ الحسنَ منه بالآذان
كلُّ لحن اذا سمعناه منها   دبَّ فينا دبيبَ بنتِ الحانِ(١)
في وقارِ الحليم تجعلنا طوْ   را ، وطورا في خفة النَّشْوان
ستفانى في الاستماع اليها   ونرى لذةً لنا في التفانى
وترانا نهتز حين تغنى   فكأنا في حالة الطَّيران
وكأن الأرواح - اذ تتعالى   طربا - جُرِّدتْ من الأبدان
هي في مرتقى الأغاريد تعلو   حين تشدو ونحن في خَطران
يشعر المرءُ حين يُصغى اليها   بغرام من صوتها روحانى
بنتُ فنٍّ غنت لنا فسقتنا   من فنون الغناء بنت دِنان(٢)
هكذا فلتكنْ يدُ الفن عُليا   هكذا فلتكن على الفنَّانِ

---

(١) بنت الحان الخمر ، والحان موضع شرابها

(٢) بنت الدنان الخمر ، والدنان ، جمع دن ، وهو الوعاء الذي تخزن فيه الخمر

يهدف هذا اللغز الى تسليتك وامتاعك بالاضافة الى اثراء معلوماتك وربطك بتراثك العربي والمعاصر من طريق البحث خلال اللغز في المعاجم والموسوعات [illegible] [illegible] اسئلة هذه اللغز [illegible] بالحل الصحيح الذي سينشر في العدد القادم

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١										
٢					■		■			
٣				■						
٤						■				
٥					■					
٦				■				■		
٧	■		■						■	
٨						■				
٩									■	■
١٠		■								

كلمات أفقية

١ - صاحب نظرية النشوء والارتقاء
٢ - مادة عروية ، نطريق الحو
٣ - أعلى الشيء ، مستأحر معثرة
٤ - ايريس معثرة ، تحدها في ميران
٥ - محيط الشيء ، زلزال معثرة
٦ - حادث بالخير ، سَمح ، حرف نداء
٧ - تفاخر
٨ - الاسم الأول لرحالة ايطالي مشهور ، منسوب للأرض
٩ - مؤلف وفيلسوف ومؤرخ وسياسي تونسي
١٠ - من ألقاب الأكاسرة

كلمات رأسية

١ - بطلة أقاصيص ألف ليلة وليلة ، اصطرب
٢ - أداة اخترعها الفلكيون العرب تعرف أيضاً بمرآة النجوم
٣ - وصف للجبال ، أدام النظر
٤ - حرف نفي وجزم ، أرض منثورة ، حنتك معثرة
٥ - سَقْي ، إله النور والجمال عند اليونان
٦ - كثير الدهن والشحم ، أداة شرط ، شذ مقلوبة
٧ - رئيس الولايات المتحدة الأمريكية بين (١٩٥٣ - ١٩٦١م)
٨ - سرحل مبعثرة ، ينظر متأمّلاً
٩ - معركة كبرى انهزم فيها نابليون بونابرت
١٠ - مدينة يابانية نكبت في الحرب الكونية الثانية

حل مسابقة العدد ٣٤٤ - يوليو ١٩٨٧

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١	ى	و	ل	ى	و	س	ق	ى	ص	ر
٢	د	س	ى	ط	ة	■	ر	هـ	ا	ب
٣	س	ا	ل	و	م	ى	■	ر	ب	ب
٤	ى	ن	■	ر	■	ك	ر	ب	و	ن
٥	ا	ل	ف	ر	ز	د	ق	■	ب	■
٦	ل	■	ن	و	ا	ر	ى	ر	■	م
٧	ب	م	ر	■	د	■	ع	و	س	ح
٨	ف	ر	■	ص	■	ص	■	ص	ا	ر
٩	ف	ا	ر	ا	د	ا	ي	■	د	و

كتاب الشهر

تأليف: جيمس آدمز/ عرض ونقد : رافع عبد الرحمن

تمويل الإرهاب

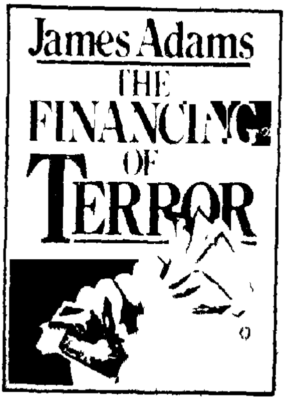

الثائر إرهابي في نظر عدوه ، وهكذا ، فبينما يعتبر كثيرون ثورة الشعب الفلسطيني حركة مشروعة للتحرر الوطني يراها أعداؤها حركة إرهابية .

مؤلف هذا الكتاب الذي يبين وجهة النظر المعادية لا يتوقف ليناقش تهمة الارهاب التي تلصقها « اسرائيل » وأمريكا بمنظمة التحرير الفلسطينية ، بل يأخذها كمسلمة بديهية ، ويمضي للبحث عن مصادر تمويل المنظمة التي يقرنها بعدد من المنظمات الارهابية الأخرى .

من أجل إيجاد تعريف الإرهاب والإرهابيين يختار المؤلف تعريفا واحدا ، يورد نصه في مدخل الكتاب ، ليناقشه شكليا ، ويضع تعريفا أكثر تحديدا منه

فأي تعريف يختار ؟

هل يختار تعريفا يربط الإرهاب بانتهاك حقوق الانسان ، وإخضاعه بالعنف ؟ هل يختار تعريفا يميز بين الإرهاب والنضال المشروع الذي تخوضه الشعوب المقهورة ضد المستبدين بها ومستغليها ؟

إنه لا يفعل ذلك ، فهو لا ينتمي الى شعب من هذه الشعوب ، ولا تهمه قضاياها ، ولا يهمه من حقوق الانسان إلا حق اليهود في الهجرة من الاتحاد السوفيتي ، وبعض الحقوق الشكلية الأخرى ، لذا يختار تعريفا يناسب كل هذه المنطلقات ، إنه تعريف المخابرات المركزية الأمريكية للإرهاب الذي تبنته وزارة الخارجية الأمريكية فيما بعد ، يقول التعريف الإرهاب هو التهديد باستخدام العنف ، من أجل أغراض سياسية ، من قبل أفراد أو جماعات ، سواء كانوا يعملون من أجل سلطة حكومية قائمة أو ضدها ، فعندما يكون القصد من هذه الأعمال زعزعة مجموعة مستهدفة تتجاوز الضحايا الفعليين ، أو ضربها أو إرهابها

ويشمل الإرهاب مجموعات تسعى الى قلب نظم حكم معينة ، أو إزالة ظلم وقع على أمة ، أو مجموعة ، أو الإخلال بالنظام الدولي كغاية في حد ذاتها

وهو يلاحظ محقا أن صيغة التعريف واسعة تماما ، بحيث تجعل كل من يستعمل العنف إرهابيا ، لكن المؤلف لا يهدف من وراء ذلك الى إبعاد تهمة الإرهاب عن الشعوب المضطهدة التي تستخدم العنف لرفع الاضطهاد عنها ، بل يسعى الى اخراج القوى التي تدعمها وكالة المخابرات المركزية من الصف الإرهابي ، فالمؤلف في بحثه عن تعريف « أضيق » ملكي أكثر من الملك

تعريف آدمز وحقائق الكون

ويقدم آدمز تعريفه « الإرهابي فرد ، أو عضو في جماعة ، تريد تحقيق أهداف سياسية ، مستخدمة وسائل عنيفة غالبا ، تلحق إصابات بالمدنيين الأبرياء ، تؤيدها أقلية فقط من الشعب الذي تدعي تمثيله » واستنادا الى تعريفه هو يقوم المؤلف بحركة تنقصها الرصانة بإخراج من يريد من دائرة الإرهاب ، وإدخال من يريد ، فيخرج معارضي النظام الأفغاني ، ومعارضي نظام نيكاراغوا ، ويبقي من التعريف ما يتسع لمنظمة التحرير الفلسطينية التي يضعها جنبا الى جنب مع الألوية الحمراء والجيش الجمهوري الايرلندي

فكيف أدخل المؤلف منظمة التحرير في الثوب الذي أعده لها مسبقا ؟ لقد شوه ببساطة صورة المنظمة ، ولنقرأ ما يقول عن المنظمة والألوية الحمراء ، وقد قرنهما معا « إن جذور مثل هاتين الجماعتين الإرهابيتين تكمن في الاستياء الاجتماعي لدى أقلية من السكان التي تفشل في الوصول الى التعبير من خلال القنوات الديمقراطية العادية » إنه بذلك لا يشوه المنظمة فحسب ، بل يشوه مجمل القضية الفلسطينية التي يعرف القارىء العربي حقيقتها ، ثم يزعم أن المنظمة لم تنجح قط في كسب « التأييد الشعبي من الفلسطينيين في « اسرائيل » والضفة الغربية ، حيث تعيش الغالبية العظمى من الفلسطينيين

ومن الحقائق الموضوعية التي لا تخضع للاجتهادات واختلاف وجهات النظر أن غالبية أبناء فلسطين يعيشون خارجها ، وليس داخلها ، كما أن تأييد أبناء فلسطين الذين يعيشون في الأراضي المحتلة لمنظمة التحرير واضح لكل من يريد أن يرى الواقع كما هو ، والتأييد الشامل الذي يعترف به العالم أجمع إلا أميركا و « اسرائيل » يتجسد يوميا في التصدي للمؤامرات التي تستهدف عقد الصفقات بالقفز عن المنظمة أو النيل من انفراد المنظمة بتمثيل الشعب الفلسطيني

لكن آدمز لا يرى إلا ما يريد ، وقد أعد تعريفه مسبقا للإرهاب ، وعلى المنظمة أن تدخل ضمن هذا التعريف ، حتى لو تناقض تعريفه المذكور مع حقائق الكون

إرهاب الدولة

تحت هذا العنوان يخصص المؤلف الجزء الأول من الكتاب لتناول دور بعض الدول في دعم الإرهاب . وقد لاحظنا أن تعريفه للإرهاب لايشمل إرهاب الدولة . والعنوان يستدعي الى ذهن القارىء ممارسات الولايات المتحدة في كثير من أنحاء العالم . وممارسات « اسرائيل » ضد الشعب الفلسطيني والشعوب العربية ، وممارسات النظام العنصري في جنوب افريقيا الخ لكننا لن نجد في هذا الفصل شيئا مما يخطر ببالنا ، فلسان حال المؤلف يقول من كان ضدنا فهو الإرهابي ومن كان معنا فهو ضد الإرهاب) وهكذا نجد أنفسنا أمام أحاديث عن بلغاريا ، وارتباطها بالحركات الإجرامية في أوروبا والشرق الأوسط ، وعن الأسلحة التي وصلت الى منظمة التحرير الفلسطينية عن طريقها ، عن دور كوبا في دعم الثورات في مختلف أنحاء العالم . وبعد أن يفرغ من كل ذلك دون أن ينسى وسط كل ذلك موقف الدول الاشتراكية يتناول دور الولايات المتحدة في مواجهة الارهاب ، وعلى الأخص منذ جاءت إدارة ريغان الى السلطة ! ويشير الى دعم الولايات المتحدة لحرب العصابات في ليبيا ، وأفغانستان ، وإيران ونيكاراغوا وكمبوديا وتشاد ، فينقطع آخر خيط يربط المؤلف والقارىء الباحث عن الإرهاب الحقيقي ، ناهيك عن تمويله

وفي الفصل الثاني من الجزء الأول يستعرض المؤلف تطورات القضية الفلسطينية منذ عام ١٩٤٨ كما يراها بمنظاره ، ليفهم تطور الحركات الإرهابية التي تعمل تحت مظلة منظمة التحرير الفلسطينية ، وينطلق من حقيقة وجود جماعات فلسطينية لا وزن لها في الساحة الفلسطينية ليزعم أن كل دولة رئيسية في الشرق الأوسط لها جماعتها الإرهابية الخاصة في منظمة التحرير . ثم يصف المنظمة بأنها مؤسسة متعددة الجنسيات

وفي الفصل الثالث من الجزء الأول يقرر المؤلف ان المنظمة استفادت من الارتفاع المفاجىء لعائدات النفط ، هذا الارتفاع الذي أسهم في تكريس الإرهاب ، كسمة دائمة في السياسة الدولية ، ثم يشير الى اضطرار المنظمة الى الاعتماد المتزايد على مصادرها المالية الخاصة في السنوات الأخيرة ، بعد انخفاض المساعدات العربية التي تتلقاها

ويخلص الى أن « إرهابيي اليوم » قد علموا أن الدعم الذي يتلقونه من الحكومة لا يركن اليه ، وأن عليهم أن يهتموا بمصادر تمويلهم الخاصة ، للمحافظة على بقائهم ، مشيرا الى أن منظمة التحرير كانت في المقدمة على هذا الطريق

رأس المال المجرم

في الجزء الثاني من الكتاب ، المخصص لتناول المنظمة يلقي الكاتب الضوء على مؤسسة « صامد » ، في سياق إبرازه لتطوير « بنية أساسية » للمنظمة ، وسعيها الى الاعتماد على مصادر تمويل خاصة ، ثم يفيض في الحديث عن منظمة « أيلول الأسود » ، وينبه الى حقيقة يعتبرها مهمة ، وهي أن « صامد » و

« أيلول الأسود » أنشئتا في نفس الفترة ، وينسى أن « صامد » مؤسسة خيرية ، تساعد أبناء الشهداء لفلسطينيين ، وتسهم في المحافظة على التراث لفلسطيني أمام محاولات تشويهه ، لكن هذا لا يضير لمؤلف كثيرا ، فيضع « صامد » و « أيلول الأسود » نفس السلة ، تحت عنوان استفزازي هو (رأس لمال المجرم) ، ويبالغ آدمر في تشويه صورة المنظمة ، فالفدائيون يلتحقون بالمنظمات طمعا في المال ، المنظمات تتنافس في إغرائهم ، « كأن للولاء سعره » ، بل « تسرق كل منها صيد الأخرى » ، منظمة التحرير وحزب الكتائب في كتاب آدمر قومان معا بالسطو على البنك البريطاني للشرق لأوسط عام ١٩٧٦

وفي نهاية هذا الجزء يشير آدمر الى أن « اسرائيل » رتكبت خطأ أساسيا حين اعتقدت أن بإمكانها حل شكلتها الأمنية بإخراج المنظمة من لبنان ، إذ لم درك مدى التطور الذي حققته المنظمة خلال الأعوام لخمسة عشر الماضية ، وهو يقصد مصادر التمويل لخاصة التي نجحت المنظمة في تأسيسها ، ويرسم دمر صورة للصندوق الفلسطيني ، واستثمارات لمنظمة التي توفر لها دخلا مضمونا ، مشيرا الى أنه مع نمو ثرواتها تراجع الإرهاب ، وتم الاعتماد على لقوة العسكرية ، فقرار بسيط بشن هجوم إرهابي في لقدس أصبح في غاية التعقيد

والمؤلف هنا يتجاهل العقبات الكبيرة التي تعترض لعمل المسلح الفلسطيني ضد « اسرائيل » ، يتناسى أن هذه العقبات راجعة الى تعقد الأوضاع لفلسطينية والعربية ، وليس الى الثروة التي أعاقت العمل المسلح

ويبالغ المؤلف في تضخيم حجم استثمارات المنظمة ، فيجعلها تغطي الكرة الأرضية من نيكارغوا غربا الى اليابان شرقا ، وتشمل أسواق المال العالمية ، وأسواق التجارة ، والنقل الجوي في أوروبا الغربية ، وعددا من دول العالم الثالث وفي النهاية يدعو الى تناول هذه الصورة كدراسة حالة ، تبين اخفاقات المواجهة التقليدية للإرهاب

وكان جديرا بإنجازات المنظمة في الميادين الاقتصادية والاجتماعية وغيرها أن تشكل صورة ، تعكس الوجه الحقيقي لنضال الشعب الفلسطيني ومنظمته ، وتميز بوضوح بين التمرد الأخرق من الحركات الإرهابية من جهة والنضال الحتمي المعبر عن حركة شعب ، لحقت به أبشع أشكال الظلم والقهر الذي يتناسب مع اتجاهات تتشكل في النسيج التاريخي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي ، لكن كيف لكاتب يشهر تعريفه العجيب في وجه القارىء منذ البداية أن يدرك ذلك ، أو يفكر في الالتفات اليه ؟

يستعرض الكاتب في الجزء الثالث نشأة الجيش الجمهوري الايرلندي عام ١٩٥٦ ، بشكله المعروف ، نتيجة للتفرقة التي يتعرض لها (الكاثوليك) على أيدي (البروتستانت) في ايرلندا الشمالية ، وانشقاقه عام ١٩٦٩ ، ثم يستعرض الدور الذي قامت به منظمة « نوريد » في دعم الجيش بالمال والسلاح ، قبل أن تتعاون الولايات المتحدة مع بريطانيا في قطع هذه القناة التمويلية .

والمؤلف ـ كالعادة ـ لا يتطرق الى الأسباب الحقيقية التي تكمن وراء حركة الجيش الجمهوري الايرلندي ، باعتباره نتيجة لظلم تاريخي ، وقع على

هذا الشعب ، منذ زمن طويل ، وذلك بغض النظر عن الاتفاق أو الاختلاف على مشروعية الأسلوب ، لكنه في محاولة للظهور بمظهر الكاتب الموضوعي الأمين يشير الى التضحية بالذات والإضراب عن الطعام في السجون ، كصور تدعو الى احترام رجال الجيش الجمهوري الايرلندي ، وإشارة كهذه لم يكن ممكنا منحها لرجال منظمة التحرير الذين زعم الكاتب أنهم لم يحسنوا استخدام الأسلحة التي كانت بحوزتهم عندما غزت « اسرائيل » لبنان

الخطف والفدية

تحت هذا العنوان يتناول المؤلف ممارسات الألوية الحمراء ، حيث ان « الخطف من أجل الفدية يبقى الطريقة المفضلة لدى الألوية الحمراء » لزيادة ماليتها ، كما يشير الى دور الجيش الجمهوري الايرلندي ، ويقول إن عمليات خطف من أجل الحصول على فدية نفذت في ثلاث وسبعين دولة منذ عام ١٩٦٨ ، وحصل الخاطفون على ثلاثمائة وخمسين مليون دولار بهذه الطريقة ، منها أكثر من مائة وخمسين مليونا دفعتها شركات أمريكية ، ويتطرق الى استفادة شركات التأمين من قيام كثير من المؤسسات بالتأمين على الضحايا المحتملين للخطف من كبار موظفيها ، ويشير الى دور المفاوضين الذين يساومون الخاطفين لإخلاء سبيل الضحايا مقابل الفدية ، مؤكدا الضرر الذي يلحقونه بمكافحة هذا النوع من الإرهاب

الربح والخسارة

يضع المؤلف في النهاية خلاصة ما توصل اليه ، فيشير الى أن منظمات إرهابية عديدة قد ظهرت في الستينيات والسبعينيات ، وقد تلاشت ، بينما نمت منظمات أخرى ، واستمرت ، وفي تعليله لاستمرار الأخيرة يقول السبب هو أنهم كانوا رأسماليين أفضل

ويقول آدمز « آن الأوان لتدرك الحكومات العربية أنه لا يوجد حل سريع وسهل لمشكلة الارهاب» ، ويدعو تلك الحكومات الى التضحية بالكسب قصير المدى الذي يحقق أغراضا سياسية لصالح تحقيق فوائد بعيدة المدى ، عن طريق تقويض القاعدة الاقتصادية للإرهاب الدولي ، ويدعو الى بذل الجهود في تعقب مصادر التمويل ، والحسابات المصرفية (البنكية) ، والاستثمارات الخاصة بالجماعات الإرهابية ، بدل التركيز على مكافحة الإرهابيين الذين يقومون بعمليات التفجير والاغتيال ، ومن أقواله في هذا المجال قوله « مادامت « اسرائيل » تصر على قياس نجاحها بعدد إرهابيّ منظمة التحرير الفلسطينية الذين تستطيع قتلهم ، فإن المنظمة تستمر في النمو ثروة وقوة »

إن ضيق الأفق هو الذي يجعل آدمز يرى في المال المحرك الأساسي ، والعامل الذي يضمن الاستمرار ، لحركة تحرر وطني ، لها قاعدة سياسية ، واجتماعية واسعة جدا ، كمنظمة التحرير ، وتاريخها يثبت أنها وجهت الى العدو ضربات موجعة ، وخاضت معارك كثيرة ، خرجت منها أقوى مما كانت في وقت لم تكن تملك فيه أموالا تذكر ألم يقل آدمز نفسه إن « الإرهاب » والاعتماد على القوة العسكرية قد تراجع مع نمو ثروة المنظمة ؟

إن منظمة التحرير ليست مثل تلك الجماعات التي يقارنها بها آدمز ، كمنظمة (بادر ماينهوف) ، والجيش الأحمر الياباني ، إن العنف الذي تمارسه منظمة التحرير يعبر عن حركة شعب شرد في المخيمات والمنافي ، واقتلع من أرضه ، بينما خضع من بقي منه في أرضه لظلم لا يحتمل ، لذلك فهو عنف له صيرورته التاريخية ، وهو يحظى بتأييد الشعوب العربية ، وعشرات من دول العالم وشعوبه لكن كيف يمكن لكاتب منحاز مسبقا ضد كل ما هو مشروع أن يرى كل هذه الحقائق ؟ ! □

من المكتبة العربية

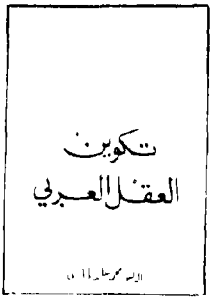

تكوين العقل العربي

تأليف : الدكتور محمد عابد الجابري
عرض وتعليق : جمال وردة

إن نقد العقل الصانع للفكر جزء أساسي وأولي من كل مشروع حضاري نهضوي ، لكن هل يمكن بناء نهضة بعقل غير ناهض ، عقل لم يقم بمراجعة شاملة لأدواته ومفاهيمة وتصوراته ورؤاه ؟

عن جماعة الدراسات العربية للتاريخ والمجتمع ومقرها - الكويت - صدرت هذه الدراسة العلمية للدكتور محمد عابد الجابري ، طارحة منهجا علميا جديدا في تناول التاريخ العربي ، وكشف المقومات الأساسية للمجتمع العربي الاسلامي ، وذلك من أجل ايضاح الرؤية المستقبلية لهذا المجتمع ، أمام التحولات الجذرية التي تجري بتسارع ملحوظ في بنياته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية

الثالوث العقلي

بدأ الدكتور الجابري بتعريف للعقل العربي على أنه مجمل المبادىء والقواعد التي تقدمها الثقافة العربية للمنتسبين إليها كأساس لاكتساب المعرفة الانسانية ، مع ضرورة التمييز - في نفس الوقت - بين العقل العربي والعقل اليوناني والعقل الأورو الحديث لكن لماذا التركيز على هذا الثالوث العقلي الاساسي فقط ؟

إن المعطيات التاريخية المتوفرة تضطرنا - حسب رأيه - الى الاعتراف للعرب واليونان والأوروبيين بأنهم وحدهم مارسوا التفكير النظري العقلي بالشكل الذي سمح بقيام معرفة علمية أو فلسفية أو تشريعية منفصلة تماما عن الأساطير أو الخرافات ، ومتحرر الى حد كبير عن الرؤية (الميثولوجية) التي كانت تتعامل مع أشياء الطبيعة كأشياء حية ، ذوات نفوس ، تمارس تأثيرها على الانسان ، وعلى امكانا المعرفية صحيح أن حضارات عريقة قد سادت قديما في مصر وبابل والهند والصين وغيرها ، و شعوب هذه الحضارات قد مارست العلم إنتاج وتطبيقا ، ولكن الصحيح أيضا أن البنية العامة هذ

الثقافات كانت بنية كالسحر ، أو ما في معناه ، وليس العلم هو العنصر الأساسي الفاعل فيها ان الحضارات التي مارست التفكير العلمي بوعي فأنتجت الفلسفة والعلم هي تلك التي كان العقل يمارس داخلها درجة من السيادة ، لاتقل عن تلك التي للسحر أو لغيره من ضروب التفكير اللاعقلي في تلك الحضارات القديمة ، إن الحضارات الثلاث - اليونانية والعربية والأوربية الحديثة - هي وحدها التي مارست التفكير بالعقل ، وفي العقل أيضا ، رغم عملية التأثير والتأثر والتمايز بين هذه الثقافات

دور اللغة

هناك معطيات كثيرة يمكن أن تبرر اعطاء الأولوية للغة العربية في دراسة مكونات العقل العربي ، لأنه إذا كان أهم ما ساهم به العربي في الحضارة الاسلامية التي ورثت الحضارات السابقة لها هو اللغة العربية والدين فالدين الاسلامي قد بقي عربيا ، ولا يمكن أن يستغني عن لغة العرب ، لأن القران وهو كتاب عربي مبين لايمكن نقله الى لغة أخرى دون المساس به ، فالعربية جزء ، كما يقول علماء أصول الفقه ، ونستطيع أن ندرك أبعاد هذا المبدأ الأصولي اذ لاحظنا ذلك الدور البالغ الأهمية الذي تلعبه اللغة العربية في الدراسات والأبحاث الاسلامية ، وإن كثيرا من الخلافات المذهبية والفقهية مرده الى اللغة ، وكذلك وجدت النزاعات السياسية التي كانت تحركها أصلا دوافع اجتماعية أو طائفية في النص الديني العربي بفضل مطاوعة اللغة ما تتخذ منه سندا أو غطاء إن اللغة ليست مجرد أداة للفكر ، بل هي القالب الذي يتشكل فيه الفكر ، وذلك يعني أن اللغة التي تحدد قدرتنا على الكلام هي نفسها التي تحدد قدرتنا على التفكير ، ولكن لو نظرنا الى قواميسنا القديمة والمعاصرة لوجدنا أن مادتها قد جمعت في عصر التدوين ، من أفواه الأعراب الذين بقوا الى ذلك العصر منعزلين ، لم يتعكر صفو لسانهم بالاختلاط مع سكان المدن والحضر إن قاموس « لسا العرب » وهو أغنى القواميس وأضخمها في اللغ العربية لاينقل الينا على ضخامة حجمه أسماء الأشيا الطبيعية والصناعية ، ولا المفاهيم النظرية وأنوا المصطلحات التي عرفها عصره - القرن السا والثامن للهجرة - إن الثمانين ألف مادة لغوية الت يضمها هذا القاموس الذي نعتز به لاتخرج عن دائر حياة ذلك « الأعرابي » الذي كان بطل عصـ التدوين ، « تلك الحياة التي تمثل خشونة البداو بتعبير ابن خلدون ».وهنا تكمن المفارقة الخطيرة الت يعاني منها الانسان العربي الى اليوم ، ذلك أنه م جهة تتوفر له لغة للكتابة والتفكير ، على درجة عال من الرقي ، من حيث آلياتها الداخلية ، ولكن هذ اللغة نفسها لاتسعفه بالكلمات الضرورية عندم يريد التعبير عن أشياء العالم المعاصر ، وإن هذا الفق الحضاري في اللغة العربية يقابله فيها غنى بدوي يتمثل خاصة في كثرة المرادفات التي يرجع جزء منـ الى الاشتقاق الصناعي على طريقة الخليل بن أحمد وفي جزء آخر منها يرجع الى السماع من قبائ مختلفة ، فكانت النتيجة هذا الكم الهائل م الكلمات التي هي من أصل واحد ، وهكذا أصبحـ لغة المعجم - لغة الأصل والمشتق - أوسع كثيرا م لغة الواقع ، ولكن في دائرة خشونة البداوة فقـ والنتيجة هي أن اللغة العربية الفصحى - لغة المعاجـ والشعر والثقافة - ظلت تنقل الى أهلها عالما يردا بعدا عن عالمهم وما تزال كذلك ، وهو عالم بدو يعيشونه في أذهانهم وخيالهم ووجدانهم ، عا يتناقض مع العالم الحضاري الذي يعيشونه ويـزدا غنى وتعقيداً

حضارة وفقه

إذا جاز لنا أن نسمي الحضارة الاسلامية باحد منتجاتها فإنه سيكون علينا أن نقول إنها حضار « فقه » ، وذلك نفس المعنى الذي ينطبق عـ

الحضارة اليونانية حينما نقول أنها حضارة فلسفة ، وعلى الحضارة الأوروبية المعاصرة حين نصفها بأنها حضارة علم وتقنية . ونستطيع أن نقول دون تردد أن الفقه الاسلامي إنتاج عربي اسلامي محض ، وهو الى جانب علوم اللغة يبقى العطاء الخاص للثقافة العربية ، وعبثا حاول المستشرقون إيجاد صلة مباشرة أو غير مباشرة بين القانون الروماني والفقه الاسلامي . ويبقى الفقه الاسلامي - أقرب منتجات العقل العربي في التعبير عن خصوصيته ، والحق أن أصالة الفقه الاسلامي ترجع الى ذلك العلم المنهجي الذي لانجد له مثيلا في الثقافات السابقة أو اللاحقة ، ويمكن القول أن علم أصول الفقه هو أول محاولة إنسانية استهدفت إنشاء علم للقانون ، متميز عن القوانين التفصيلية الخاصة بهذا السلوك أو ذاك ، علم يمكن تطبيقه في دراسة قانون أي بلد أو أي عصر . لقد وجدت على الدوام وفي كل المجتمعات قوانين وأعراف ، فلقد كانت هناك شريعة حمورابي ، والألواح الاثنا عشر عند اليونان ، وقوانين جستنيان عند الرومان ، فضلا عن القوانين الصينية والهندية ، لكن هذه القوانين كلها لم تكن مؤسسة على علم أصول ، فهذا العلم قد ابتكره المسلمون ، ولا نجد له نظيرا عند الأمم الأخرى .

إن أهمية هذا العلم تكمن في طابعه المنهجي ، وقواعده المعرفية التي يتوصل بها الى استنباط الأحكام الشرعية من الأدلة ، وهو بالنسبة للفقه كالمنطق بالنسبة للفلسفة ، فاذا كانت مهمة الفقه التشريع للمجتمع فان مهمة أصول الفقه هي التشريع للعقل ، ودون التقليل من أهمية مساهمة الأصوليين الذين جاءوا بعد الشافعي في إخصاب هذا العلم نستطيع القول أن القواعد التي وضعها « الشافعي » لاتقل أهمية بالنسبة لتكوين العقل العربي الاسلامي عن قواعد المنهج التي وضعها « ديكارت » بالنسبة لتكوين الفكر الفرنسي ، بشكل خاص ، و العقلية الأوروبية الحديثة بشكل عام . لقد كانت الخطوة التي خطاها الشافعي بالفقه الاسلامي على صعيد التنظير خطوة متواضعة ، لكن نتائجها سرعان ما ظهر في علم أصول الفقه الذي اتخذ صبغة علمية منهجية ، كانت بالنسبة للشريعة كالمنطق بالنسبة للفلسفة ، وقد كان هذا العلم أحد وجهي العقلية الاسلامية ، أما الوجه الآخر فهو علم الكلام ، لكن ما ان انتهى عصر التدوين بفترة قصيرة حتى بدأت عملية الاجترار والجمود ، فقد سد باب الاجتهاد في الفقه ، وانصرف الناس الى تقليد أئمة المذاهب الأربعة ، وظهر ما يسمى بالمناظرات ، ثم قيام علم الجدل الذي ركز على نقاط الاختلاف الفقهية . وهكذا تحول القياس البياني الذي كان في الاصل أداة إنتاج للمعرفة الفقهية والنحوية واللغوية بطريقة منظمة الى حرفة كلامية ، كل همها « حفظ رأي أو هدمه » كما قال ابن خلدون ، وهكذا انتهى الأمر بالعقلية العربية الى نفس النهاية التي عرفتها العقلية اليونانية ، وبدأ العقل العربي مباشرة بعد عصر التدوين وكأنه يلتهم نفسه .

الفشل والنجاح

واذا نظرنا الى طبيعة اللحظة التاريخية التي برزت فيها الحضارة العربية الاسلامية لتتسلم زمام القيادة العالمية على المستوى الثقافي وجدناها تسجل بداية النهاية للعصر « الهلينستي » ، عصر الانحطاط بالنسبة لتاريخ الفكر البشري . لقد كان منظورا الى الحضارة العربية الاسلامية باعتبارها بداية البداية للنهضة التي تحققت كاملة في أوروبا ، منذ نفس اللحظة التي اختنقت فيها التجربة الحضارية العربية في القرن الخامس عشر . فلماذا فشلنا فيما نجح فيه غيرنا ؟

ولماذا لم تتمكن التجربة العربية من الانتشار والصمود ؟ وهل يرجع ذلك الى غياب العنصر المحرك للتقدم الفلسفي وهو العلم ؟ كما تطرح علينا التجربة الأوروبية التساؤل عن عدم استطاعة النهضة

العربية في القرون الوسطى بأن تشق طريقها كما فعلت أوروبا ، وهل يرجع ذلك الى غياب العنصر المحرك للتقدم العلمي وهو التجربة ؟

البياني والعرفاني

لقد صنف الدكتور الجابري كافة العلوم والمعارف في الثقافة العربية في ثلاث مجموعات ، وهي علوم « البيان » أو الفكر الديني العقلي ، وعلوم « العرفان » أو الفكر الالهامي الباطني ، ثم علوم « البرهان » أو الفكر الفلسفي العلمي

ويلاحظ أن هذه العلوم جميعا قد بلغت ذروتها مع بداية تاريخها ، وأن العقل العربي الذي شيدها لم يضف جديدا الى ما أبدعه فيها خلال عصر التدوين ، وبقيت هذه العلوم سجينة لانتاج ذلك العصر ،فلقد كان الموضوع الذي تعامل معه العقل « البياني » العربي - وما يزال - هو النصوص ، والتعامل مع النصوص غير التعامل مع الطبيعة وظواهرها ، وإن الانجاز الذي تحقق في مجال اللغة والفقه لم يكن مجرد قوانين ، يجب التقيد بها ، بل انتهت الى قوالب وقيود للعقل نفسه ، وذلك يعني تثبيت آليات نشاطه في اطار معين ، لايجوز اختراقه ، وعندما اكتمل البناء في اللغة والتشريع ولم يعد هناك مجال للمزيد أصبح العقل العربي سجينا لهذا البناء الذي طوق نفسه به ، ولم يكن بعد ذلك مناص من الركود ولا مفر من التقليد ، وبالرغم من بعض الملامح المشرقة للتقدم العلمي العربي على يد بعض علمائنا كالخوارزمي في الرياضيات ، والسموأل المغربي في منهج التحليل والتركيب ، وابن الهيثم الذي مارس الاستقراء العلمي والتجريبي بطريقة منهجية ، بالاضافة الى بعض الانجازات العلمية في ميدان الفلك التي حققها البيروني والبطروجي وغيرهما ، الا أننا لابد أن نسجل بأن العلم العربي بهذا المعنى قد بقي من أول الأمر حتى نهايته خارج مسرح الصراع في الثقافة العربية ، و بالتالي فهو لم يدخل في أية علاقة مع أي طرف من الأطراف المتصارعة فيها ، فلا هو مع الدين ولا مع الفلسفة ، لأن الصراع في الثقافة العربية لم يكن بين الأسطورة والعلم كما كان الأمر في الثقافة اليونانية ، ولم يكن بين العلم والكنيسة ، كما حدث في التجربة الأوروبية الحديثة ، بل لقد ظل الصراع في الفكر العربي بين النظام « البياني » والنظام « العرفاني » ، وعندما دخلت الفلسفة العلمية كطرف ثالث كان دخولها كعامل مساعد لاذكاء هذا الصراع وليس لتحييده أو للتحكم عليه فقد كان الصراع الفكري في الثقافة العربية صراعا سياسيا بالدرجة الأولى

دين ودنيا

إن اللحظات الحاسمة في تطور الفكر العربي الاسلامي لم يحددها العلم ، وإنما حددتها السياسية ، ذلك لأن الاسلام التاريخي الواقعي كان في آن واحد دينا ودنيا ، وبما أن الفكر الذي كان حاضرا في الصراع (الايديولوجي) العام كان فكرا دينيا أو على الأقل في علاقة مباشرة مع الدين فإنه كان أيضا ولهذا السبب في علاقة مباشرة مع السياسة

لقد كانت المواقف السياسية تبحث لها دائما عن سند ديني يدعم وجهة نظرها ، وهكذا تحول علم الكلام من مجرد كلام في العقيدة الى ممارسة سياسية في الدين ، وقد اتسعت لتصبح ممارسة للسياسة في الفلسفة أيضا أما ممارسة العلم فقد بقيت على الهامش دون ضجة وبفعاليات فردية ، وهكذا ظل العلم العربي التجريبي - علم الخوارزمي وابن الهيثم وابن النفيس - خارج مسرح الحركة الثقافية العربية ، ولم يشارك في تغذية العقل العربي ، ولم يجدد قوالبه ، وهكذا بقي الزمن الثقافي ممتدا على بساط واحد ، منذ عصر التدوين وحتى عصر ابن خلدون ، وبعدها ضاع البحر ، وتخشبت فيه الأمواج □

مكتبة العربي

مختارات

الكتاب/ رؤ يه حديده للناصريه
المؤلف/ مصطفى طيبة
الناشر/ المركز المصري العربي ـ القاهرة
عدد الصفحات/ ١٤١ من القطع الكبير
سنه النشر/ ١٩٨٦م

بعد نحو ١٧ عاما على وفاة عبد الناصر ماتزال .راسات التي تتناول تجربته وحياته وأثره تصدر نقائق وتحليلات جديدة ، تدل على غنى شخصية عيم الراحل ، وغنى التجربة التي انتهت بموته عام ١٩٧

ومع ذلك فان مؤلف هذا الكتاب بعد أن يرصد تجربة الناصرية ، ويتابع تطوراتها واتجاهاتها ختلفة ، والطريق المتعرجة الى سلكتها ، يقدم روحته القائمة على أن المشروع العربي القومي كما مع اليه الزعيم الراحل مايزال صالحا كأساس ص به أمتنا العربية ، وبالتالي فالمشروع القومي اصري لم ينته بموت عبد الناصر ، وهذا ما يطمح كتاب الى اثباته

■ ■

الكتاب / أدب المرأة في الجزيرة والخليج العربي
المؤلفة / ليلى محمد صالح
الناشر / دار ذات السلاسل ـ الكويت
عدد الصفحات / ٤٢٠ من القطع الكبير
سنة النشر / ١٩٨٧

في هذا الكتاب ، وهو الجزء الثاني من كتاب يهدف الى التعريف بأدب المرأة في الخليج العربي ، تؤكد المؤلفة أنها لاتهدف الى نقد او تحليل النصوص الادبية ، بل الى تسجيل وتأريخ الواقع الثقافي والأدبي ، في هذه المنطقة من الوطن العربي

والمؤلفة هنا تستكمل ما كانت بدأته في الجزء الاول من كتابها ، فتلقى ضوءاً على شاعرات وكاتبات اليمن بشطريه الشمالي والجنوبي ، وفي سلطنة عمان والى جانب السيرة الذاتية لكل منهن ، تعطى المؤلفة الحيّز الأكبر من الكتاب للنصوص الخاصة بهن ، مما يزيد من أهمية الكتاب في كونه مرجعاً ببليوغرافياً لمن يود الاستزادة بعد ذلك ، والقيام بدراسة تتضمن النقد والتحليل الذي قالت المؤلفة إنها لم تهدف اليه في هذا الكتاب

■ ■

الكتاب / الضفة والقطاع ـ دراسة وثائقية
المؤلف / رفعت سيد احمد
الناشر / دار العروبة للصحافة والنشر والتوزيع ـ القاهرة
عدد الصفحات / ١١٠ من القطع الكبير
سنة النشر / ١٩٨٧

ينصب الجهد الرئيسي لهذا الكتاب على تقديم دراسة وثائقية لاهم المشكلات المتعلقة بالأراضي الفلسطينية المحتلة ، المعروفة باسم الضفة

والقطاع وهذه المشكلات هى مشكلة المستوطنات التى قدمها المؤلف تحت عنوان مأرق المكان ومشكلة المياة التى قدمها تحت عنوان أرمة الارتواء ، ثم الوضع القانوى للصمة والقطاع الذي قدمه لنا المؤلف تحت عنوان تقيى الهوية الصائعة ، والى حانب هذه الفصول الثلاثة المهمة ، أصاف المؤلف ملحقا يتصمن الوثائق المحتلفة التى بى عليها دراسته ، ليقدم مادة مهمة للباحثين والدارسين لهذه البقعة من وطننا العربى التى تختزل صراعا يتعلق بوحودنا ومصيرنا

■ ■

الكتاب / المملكة السوداء ـ قصص
المؤلف / محمد حصير
الناشر / ورارة الثقافة والاعلام ـ بغداد
عدد الصفحات / ١٩٧ من القطع الكبير
سنة النشر / ١٩٨٦

الطبعة الثانية من مجموعة القاص العراقى الاولى ، ومن خلال مجموع القصص التى كتبت بتقنية فنية عالية ، وتكثيف شديد ، يرسم المؤلف لوحات عينة للحياة العراقية الأعياد الدينية ، العلاقات العائلية وبؤس العالم السفلى في المدينة ورثاثته وبساطته في الريف

وقد استخدم المؤلف مهاراته الكتابية باطلاقتها لتقدم العالم الداخلي لشخصياته المتحركة في عالم متشابك ببؤسه وجماله وعناه ومتعه الصغيرة ، فلجأ الى اشكال فنية راقية تجمع بين تقنيات السينما والتصوير والجملة المعبرة المثقلة بالايحاء •

■ ■

الكتاب / تعريب العلوم بين النظرية والتجربة الميدانية
المؤلف / أحمد دياب وآخرون
الناشر / التعاضدية العمالية للطباعة والنشر ـ تونس
عدد الصفحات ١١٨ من القطع المتوسط
سنة النشر / ١٩٨٧

من أهم المشكلات التى تواجه امتنا العربية في نهضتها مشكلة المصطلحات العلمية التى لم يتم التوصل الى صيغة بشأن تعريبها ، وهذا الكتاب حصيلة أبحاث ونقاشات جرت في ندوة تحت عنوان « تعريب العلوم بين النظرية والتجربة الميدانية » شارك فيها اكثر من باحث معظمهم من تونس

بالرغم من أن تجربة التعريب في تونس هى المطروحة في هذا الكتاب ، الا ان هذا الجهد يضاف الى جهود اخرى في مجال التعريب ، ليشكل بالتالى حصيلة جيدة في هذا المجال المهم ، والحيوى بالنسبة لأمتنا العربية

■ ■

الكتاب / الايدز ـ معضلة القرن العشرين
المؤلف / د محمد صادق زلزلة
الناشر / دار ذات السلاسل ـ الكويت
عدد الصفحات / ٢٦٦ من القطع المتوسط
سنة النشر / ١٩٨٦

يتناول المؤلف في كتابه هذا المعلومات الأولية والمهمة عن مرض متلازمة نقص المناعة المكتسبة « المعروف باسم الايدز »، وهو المرض الذي أهلك مئات الالوف في انحاء كثيرة من العالم ، دون أن يعرف له علاج شاف حتى الآن

وبالاضافة الى تاريخ اكتشافه ، والطريقة التى تم بها هذا الاكتشاف ، يقدم المؤلف معلومات مهمة عن طريقة انتشار هذا المرض في الجسم ، والحالات والاماكن التى يسود فيها ، وكذلك طرق علاجه التى يقول انها اثبتت عدم جدواها حتى الآن ، لكنه يتوقع أن يتم استخلاص طعم لهذا المرض قبل نهاية هذا العقد □

مسابقة العربي الثقافية

العدد ٣٤٥
أغسطس ١٩٨٧

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ دينارا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارا
٨ جوائز تشجيعية
قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الاجابة عن عشرة اسئلة من الأسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي مجلة العربي - صندوق بريد ٧٤٨ - الرمز البريدي **13008** - الكويت « مسابقة العربي العدد ٣٤٥ » ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو ١٥ سبتمبر ١٩٨٧

أرفق الحل مع هذا الكوبون

كوبون مسابقة العربي
العدد
٣٤٥

١ - « الجامع في الأدوية المفردة » كتاب يتحدث عن ١٤٠٠ نبات ، ويحدد خصائصها النباتية ، وفوائدها الطبية ، عاش مؤلفه - وكان من مواليد ملقا - نحوا من خمسين عاما من سنة ١١٩٧ - ١٢٤٨م فمن هو مؤلفه ؟

٢ - اذكر نباتاً واحداً لا جذور له ، ونباتا آخر لا أوراق له ؟

٣ - ما وجه الشبه بين الورد والتفاح ؟ ولماذا تنتمي شجرة التفاح الى أسرة الورد في عرف علماء النبات ؟

- الشبه قائم بين زهور الورد وزهور التفاح من حيث الشكل
- الشبه قائم بين (رائحة) الورد (وطعم) التفاح وان كان هذا الشبه غامضا
- التفاح لا يشبه الورد من قريب ولا من بعيد

٤ - نبات (رافليسيا) أو الجثة النتنة اشتهر بأن زهرته هي الزهرة الكبرى في عالم النبات ، ولونها برتقالي مائل الى البني وتعلوها بقع بيضاء ، أين ينمو هذا النبات ؟

- في احراج آسيا وغاباتها
- في القارة القطبية الجنوبية
- على سفوح جبل كلمنجارو بافريقيا

٥ - يذكر التاريخ أن عدد سكان ايرلندة نقص بنسبة الثلث تقريبا في غضون الثلاث سنوات ١٨٤٧ - ١٨٥٠ وقد بلغ ٦,٥ مليون نسمة سنة ١٨٤٦ ولم يجاوز ٥,١ مليون نسمة عام ١٨٥١ ترى ما السبب ؟

- زلزال مدمر ضرب العاصمة دبلن ومنطقتها
- الحروب الأهلية الضروس وكانت حرو

دينية طائفية

* المرض الفطري الذي أصاب محصول البطاطس في البلاد آنذاك

٦- الكيناء دواء الملاريا الشهير ، ذو أصل نباتي وقد أثبت فاعليته على مدى القرون ترى ما اسم الشجرة التي استخلص هذا العقار من لحائها ؟

* شجرة الكينا

* شكرة الكتكويا التي تنمو على سفوح جبال الانديز في أمريكا الجنوبية

* شجرة حشحاش البرتقال

٧ - يسميها أهل الغرب (بلادونا) ويسميها نحن العرب (ست الحسن) وهي لا تعدو كونها عشبة طبية سامة ترى لم هذه التسمية التي تبدو مضللة ؟

* نظرا لحسن شكل العشبة

* سموها كذلك لأن عصارتها توسع العين وتزيدها جمالا وقد استعملتها النساء في الماضي

٨ - لبن الثدي هو الغذاء المثالي للطفل الرضيع دون أدنى ريب ولكنه ليس بلا منافس ، على كل حال ، فثمة فاكهة تتميز بنفس عناصر اللبن الغذائية

- والفاكهة فوق ذلك كله سهلة الهضم ويستسيغ طعمها الطفل الرضيع ، ترى أي فاكهة هذه

* التفاح

* الموز

* كمثرى الافوكاتو

٩ - الشعير ، الذرة ، القمح ، الأرز

تلك هي الحبوب التي يعيش عليها الناس في مشارق الأرض ومغاربها ، ولعل من البديهي أن الانسان لم يعرف هذه الحبوب الأربع كلها دفعة واحدة ، ولكن في أزمنة مختلفة من التاريخ والمطلوب ترتيب هذه الحبوب تبعا للأوقات التي عرفها ، واعتمدها الانسان فيها ، بادئا بالأقدم فالأحدث

١٠ - الخمور إما حمراء أو بيضاء كما هو معروف ، وكذلك الأعناب إما حمراء أو بيضاء كما هو معروف أيضا ، فمن أي الأعناب تصنع الخمور البيضاء ؟

* تصنع من الأعناب البيضاء ولا تصنع من الحمراء

* تصنع من الأعناب البيضاء كما تصنع من الأعناب الحمراء أيضا

١١ - اشتهرت بورتوريكو بخليجها الوضاء الذي يضيء في الليل دون كهرباء ، والذي اشتهر باسم الخليج (الفلورسانت) ..ترى ما سر هذا الخليج ؟

* الحيوانات الصغيرة التي توجد فيه وهي من النوع الوضاء

* النباتات الصغيرة (البحرية) التي تتكاثر فيه ، وهي من النوع الوهاج الذي يرى ضوءه من على بعد ١٥ مترا

١٢ - في سنة ٩٥١م وصل الى قرطبة الراهب نيقولاوس سفيرا للامبراطور قسطنطين السابع ، امبراطور القسطنطينية آنذاك ، وهو يحمل هدية الامبراطور الى أمير الاندلس ، ولم تكن الهدية سوى كتاب ، ولم يكن موضوع ذلك الكتاب سوى النباتات الطبية ذات الفوائد العلاجية ، وكان كتابا شهيرا كتبه ديوسقوريدس أحد كتاب اليونان واطبائهم المعروفين ، ترى من كان أمير الأندلس الذي تقبل الهدية وسعد بها كثيرا ؟ □

مسابقه العـدد ٤٢

١ ـ الثريد هو فتة الخبز بالمرق يقال ثرد الخبز ، أي فته ثم بلله بالمرق ، فالخبز ادن ثريد أو مثرود

٢ ـ القطران هو المسؤول عن اصابة المدخن بالسرطان ، والنيكوتين هو المسؤول عن اصابته بامراض القلب والحدير بالذكر أن القطران يتسبب بسرطان الرئة بخاصة وحسبك أن تضع مايكفي من القطران على ادن احد الفئران لترى بأم عينيك كيف تصاب تلك الادن بالسرطان ويتسبب القطران أيضا باصابات مختلفة خطيرة للجهاز التنفسي عامة

اما النيكوتين فهو المسؤول عن اصابة المدخن بامراض القلب ، وهو يصيب الأعصاب باضرار بالغة ، ثم أنه سام وعنصر ادمان

٣ ـ البقدونس هو أغناها بالفيتامين أ والفيتامين ج وبالحديد في آن معا فالاونصة منه تحتوي على ٢٢,٥٠٠ وحدة من فيتامين أ بينما الجزر لايحتوي الا على ١,٢٧٥ وحدة ويحتوي البقدونس ايضا على ثلاثة اضعاف مايحتويه عصير الليمون من فيتامين ج

والجدير بالذكر أن البقدونس غني جدا بالحديد أيضا فالاونصة منه تحتوي على ٥,٧٦٣ ملغرام حديد بينما اونصة السبانخ لاتزيد محتوياتها من الحديد على ١,٢ ملغرام فقط

٤ ـ الجزر يحسن القدرة على الرؤية في الظلام فهو غني بالكاروتين وهذا يصنع الفيتامين (أ) في الجسم ولما كان نقص هذا الفيتامين في الجسم هو سبب عمى الظلام في كثير من الاحيان ، كان الجزر سببا هاما في تغلب المرء على تلك الآفة

٥ ـ الخبز الأسمر يحتوي على مزيد من الف[illegible]ات والحديد والالياف لاسيما اذا لم [illegible] نخالته

٦ ـ يحتوي الحليب على ٦٥ حريرة [illegible] يحتوي الجبن الهولندي على ٣٥٠ حريرة [illegible] غرام)

٧ ـ طبعا الكستناء اذ تبلغ حريراتها ٦٢٠ حريرة او سعرا حراريا للمائة غرام ، [illegible] الحريرات في بيض الدجاج (١٠٠ غرام) على ١٥٠ حريرة

٨ ـ لو قارنا بين ملعقة من البن المحمص [illegible] وملعقة أخرى مماثلة من اوراق الشاي جافة لوجدنا مقدار الكافيين (اسم المادة المنبهة في كلا القهوة والشاي) في الثانية اكثر منه في الاولى ، ومع ذلك نجد أثر شرب الشاي في التنبيه أقل من اثر شرب القهوة ويعود ذلك كما لايخفى الى مدى التركيز او التحضير الذي يخضع له كل من المشروبين فالكوب من مشروب الشاي يحتوي على ٦٠٪ من الكافيين الذي يحتويه كوب مماثل من مشروب القهوة (الامريكية بالتحديد)

٩ ـ لحوم الاسماك وشحومها وزيو[illegible] [illegible] الاصابة بامراض القلب كما تفعل [illegible] والشحوم والزيوت المستخرجة [illegible] وحيوانات البر ، ذلك أن المواد [illegible] مشبعه في الاولى وهي مشبعة [illegible] وتسبب بالتالي أمراض القلب [illegible] المواد الدهنية المشبعة وغير المشبعه [illegible] الاخيرة (تفقد سيولتها في درجة

مـــــايو ١٩٨٧

العاده حوالي ٢٠ درجة مئوية) من هنا كان الشبه الكبير بين زيوت الاسماك وزيوت النباتات

١ ـ سكان ولاية يوتاه من المورمون يمتنعون حكم مذهبهم عن التدخين والكحول ، وهذا هو السبب الذي جعلهم اقل عرضة للاصابة سرطان من سائر سكان الولايات المتحدة امريكية بنسبة ٤٠٪ ـ ٦٦٪ والجدير بالذكر أن د سكان المورمون ٢.١ مليون نسمة

١١ ـ الفيتامينات لاتسهم في بناء انسجة الجسم ولا في توليد مايحتاج من طاقة، ومهمتها الوحيدة هي مساعدة الجسم على أدائه الفعال لوظائفه ، وهي مهمة اساسية ولاريب . بحيث يصاب الجسم بامراض خطرة لو نقصت مقادير الفيتامينات فيه

١٢ ـ الفالودج حلواء طعما تعمل من الدقيق والماء والعسل والكلمة دخيلة وجمعها فواليد ومرادفها (الفالود) وكذلك (الفالودق) □

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

ـئزون في مسابقة العدد ٣٤٢ مـــايو ١٩٨٧

- الأولى **المصطفى السالمي**/ المعهد الثانوي المختلط/ القيروان/ الجمهورية التونسية
- الثانية **عادة أحمد صالح حسن**/ عمان/ المملكة الأردنية الهاشمية
- الثالثة **فتحي محمد أحمد**/ المجلس القومي للبحوث/ الخرطوم/ جمهورية السودان الديمقراطية

ـئزون بالجوائز التشجيعية

محمد نبيل محمد عيم/ القاهره/ ميدان الدقى/ جمهورية مصر العربية

ـسم عبد ر **محمد فيص**/ الصفاه/ الكويت

ـمحمد أيمن **ـتوت**/ قونيا/ تركيا

ـيوسف عب **ـخيل**/ كلية العلوم/ جامعة صنعاء/ الجمهورية العربية اليمنيه

ـدكتورة عـ **لسباعي**/ حماة/ الجمهورية العربية السورية

ـمحمد شـ ـسم/ الجزائر

ـمهل مو **سف السكّر**/ ال ماص/ المملكة العربية السعودية

ـنور الدي ـ **حصير**/ بغداد/ حي الكفاح/ الجمهورية العراقيه

معركة بالسلاح

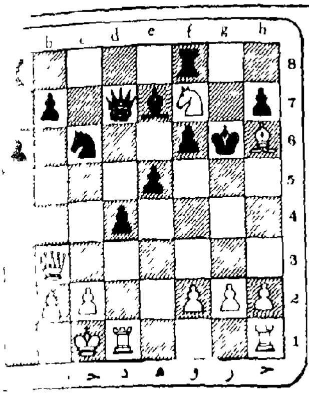

يسود الاعتقاد بأن الهند هي الموطن الأول للعبة الشطرنج وأن اللعبة كما نعرفها اليوم قد تطورت من لعبة هندية قديمة كانت تعرف باسم « الشاطورنجا » والتي كانت شائعة في مقاطعة البنجاب الهندية حوالي سنة ٥٥٠ قبل ميلاد السيد المسيح

وتتابعت القرون بعد ذلك دون أن يكون للهند حضور على الساحة الشطرنجية الدولية باستثناء ظهور اللاعب الهندي العبقري سلطان خان في الثلاثينيات من هذا القرن

وفي السنوات القليلة الماضية بدأت اللعبة بالازدهار في الهند من جديد .وفي عام ١٩٨٢ تمكن الصبيّ الهندي « ماروا » من إلحاق الهزيمة باللاعب الكبير فيكتور كورشنوي وفي عام ١٩٨٤ تمكن تلميذ آخر يدعى « آناند » من الفوز بلقب أستاذ دولي ومن أحدث انتصارات اللاعبين الهنود فوز الفتى « آناند » في أقوى المباريات البريطانية المفتوحة التي جرت مؤخراً على البطل الأمريكي المرموق « دي فرميان » في الدور التالي من الدفاع الصقلي

□ ف أناند	■ ب
١) هـ ٤	حـ د
٢) ح - و ٣	د ٦
٣) د ٤	حـ × د ٤
٤) ح × د ٤	ح - و
٥) ح - حـ ٣	أ
الأسود يختار تفريعة « ناحدورف »	
٦) ف - هـ ٣	هـ ٥
٧) ح - و ٣	ف هـ
٨) ف - حـ ٤	
نقلة متسرعة و - حـ ٧ أفضل ثم	
٩) ف × هـ ٦	
١٠) ح - ز ٥	
١١) و - و ٣ استعداداً لنقل الوزير	
هـ ٦ ولو لعب الأسود بالحصان	
د ٨ لرد الأبيض بنقل الفيل	
١١)	د ٥
١٢) هـ × د ٥	هـ
١٣) ت ت (طويل)	د
١٤) ح (٣) - هـ ٤	ت

الفائزون في
حل مسابقة
الشطرنج
العدد ٣٤٢
مايو ١٩٨٧

الفائزون باشتراك سنة كاملة

١ - مدحت توفيق - شبرا / ج م ع
٢ - فايزة أسعد - حمص / سوريا
٣ - عبدالمطلب بورفكي / السودان
٤ - أحمد كرامة - عدن / اليمن الديمقراطية
٥ - حسام عبدالهادي / العراق

الفائزون باشتراك ستة أشهر

١ - أسامة رمضان - القاهرة / ج م ع
٢ - جمال عبدالعي - الدوحة / قطر
٣ - سارة الريد / السعودية
٤ - حسين عبدالسلام - طرابلس / ليبيا
٥ - الأزهر بوعوني - الرديف / تونس

ب - د ٢ ح - حـ ٦
ح × و ٦ + ر × و ٦ ؟
ر - ب ٣ + م - حـ ٨
ح - و ٧ + م - ر ٧
ب - حـ ٦ + م - ر ٦ شكل (١)
ب × و ٨ ر × و ٨

ر - د ٣ ! نقلة بديعة ، فلو أخذ الأسود الحصان
الأبيض الملك بالرخ في ر ٣ فيخسر الأسود
لثاني ومن ثم الدور كله

و ٥
ر - ر ٣ + م - و ٦
ح - حـ ٦ و ٤
ح - ر ٨ + م - و ٥
ر ٧ د ٣
- د ١ هـ ٤
ح × هـ ٧ + ح × هـ ٧
- و ٧ + ر × و ٧
و ٧ + م - هـ ٥
حـ × د ٣ هـ × د ٣
هـ ١ م - د ٤
ر ٦ + م - حـ ٤
و - حـ ٣ يستسلم

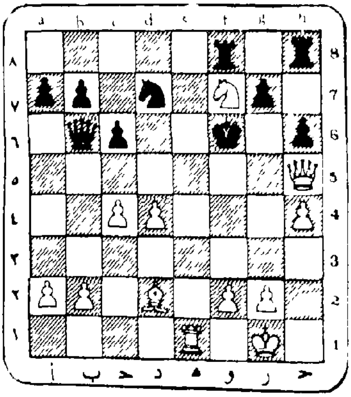

مسألة العدد ٣٤٥

مات ٤

مهداة من الصديق عزام حدبا (لبنان)

حل مسألة عدد يونيو ٣٤٣

١) و - حـ ٧ م - ب ٦
٢) و - حـ ٧ + ح × حـ ٧
٣) ف × د ٤ كش مات

على هذه الصفحات .. ترحب "العـ

حوار القراء

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

المساجد القديمة في الكويت

● نشر في مجلة العربي في العدد ٣٣٧ شهر ديسمبر سنة ١٩٨٦ موضوع عن المساجد القديمة في الكويت، وتطرق كاتب المقال إلى مسجد آل بطي المشهور بمسجد النصف، فأشار ـ خطأ أو سهوا ـ إلى أن المسجد المذكور هو مسجد بطي نصى الخلاهمة، والصحيح أن مسجد الخلاهمة كما هو معروف في « محلة ابن خميس »، أما المسجد الذي في « محلة النصف » فهو في الحقيقة والواقع مسجد بطي آل بطي، ومشهور باسم عائلة النصف الكريمة

وفي معرض الحديث عن المسجد المذكور، ولندرة المعلومات حول ذلك المسجد، والظروف المحيطة به، لا سيما أن معظم العائلة قد نكبت بكارثة غرق في البحر منذ زمن بعيد، ولم يبق منها إلا الأطفال والنساء، وبصفتي أحد أفراد هذه العائلة، فقد تجمع لدي بعض البيانات عن مسجد البطي وسندنا في ذلك ما عثرنا عليه في أوراق المرحوم « سلطان البطي بوطيبان » من حقائق، وشهادات أشخاص عدول، منهم من هو حي يرزق، كما أن سندنا في ذلك بعض المؤرخين الثقاة في الكويت، مثل الاستاذ حمد السعيدان في كتابه (الموسوعة الكويتية ص٢٠٣)والسيد سيف مرزوق الشملان في برنامجه التلفزيوني (صفحات من تاريخ الكويت)، ومساهمة منا في توضيح جانب
تاريخ بلدنا أقدم البيانات التالية

بعد بناء السور الأول جاء البطي
منطقة الزبارة في قطر، ونزل ومن معه
يسمى الميدان، ثم انتقلوا إلى منطقة
بنوا مسجد البطي (١١٩٠ هـ ـ
بنوا الجزء الشرقي من السور الـ
الثاني، وشيدوا في السور برجاً « عويه
السيف. وهو عبارة عن غرفة عالية
بنوا بوابة (دروازة) في سور الكويت الـ
البوابة الأولى من الشرق ١٢١٠ هـ ـ
وبعد انتهاء موسم البحر كانوا يسحبون
اليابسة، ثم يقيمون وليمة كبيرة
أكلة تسمى « المحمّر »، وهي أكلة
الكويتيين وأهل الخليج

وتقول المصادر التاريخية بأنه قد ظهر
هذه الأسرة عدد من ربابنة « نواخذه »
وقد جاء في ص ٢٠٣ من الموسوعة
مسجد البطي الذي أسسه المرحوم بطي
١١٩٠ هـ الموافق ١٧٧٦ م قد جدده راشد
بالاشتراك مع آل العسعوسي سنة
١٨٦٧ م ، ثم جددته الأوقاف سنة
١٩٥١ م ، ومن ثم اشتهر باسم الأسر

معروفة أسره صف
وقبل أن أنهي رسالتي أهيب بكل من يريد الكتابة عن مسجد آل بطي ، أو بوابة (دروازة) آل بطي ، أو أسرة آل بطي بأن يراجعنا قبل ذلك ، إذ أن لدينا معلومات قد تفيده . كما نهيب بكل من لديه معلومات أو شهادات حول هذه الموضوعات أن يرسلها ، شاكرين حسن تعاون الجميع

مستشار أحمد سلطان البطي بو طيبان ـ الكويت

كلمة أخيرة في موضوع

الأرقام الأجنبية

● لقد رأيت أن تكون هذه الرسالة إلى المرجع الأعلى المسؤول الأول في مجلة العربي الغراء التي جمعت بين الأدب والعلم على أعلى المستويات

قرأت على صفحات المجلة وفي القسم المخصص لحوار القراء في عدد نيسان ١٩٨٧ تحت عنوان حول استعمال الأرقام الأجنبية في العربي » آراء تستنكر استعمال هذه الأرقام

أن الارقام الأجنبية التي استعملت في عدد العربي لشهر سنة ١٩٨٧ ليست أجنبية ، بل هي عربية ، قد طورتها الحضارة الاسلامية . وقدمتها إلى العالم ضمن ما قدمت له من علم ومعرفة

وهذه الحقيقة ثابتة قد قام بتثبيتها الأجانب قبل أنفسهم ، ودليلنا حسب ما ورد في مراجعهم وكتبهم . ولو ... إلى الموسوعة البريطانية أو الأمريكية أو ... لوجدنا ما يؤكد بأن كلا نوعي الأرقام

١، ٢، ٣، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ٠ و 1,
... 7, 8, 9 . 4 , 3 , 2 من إنتاج الحضارة
العربية والاسلامية تطويرها

أورد هنا على سبيل المثال لا الحصر ترجمة لما جاء على لسان السيد / سيد حسين نصر في كتابه العلوم الاسلامية طبعة عام ١٩٧٦ صفحة ٧٧ ، عندما يفكر الغربيون بالحضارة الاسلامية أول ما يتبادر إلى ذهنهم هو الأرقام العربية التي وصلتهم من العالم الاسلامي بين القرنين الرابع والعاشر

أما الدكتور محمد عبد الرحمن مرحبا أستاذ الفلسفة في الجامعة اللبنانية وجامعة بيروت العربية فقد أفرد بحثا خاصا لعلم الحساب على الصفحات (٣٥٥ ـ ٣٧٣) من كتابه (المرجع في تاريخ العلوم عند العرب) وتحدث فيه عن الحساب عند أمم الأرض جمعاء ، وعن ماهية الأرقام التي كانوا يستعملونها ، وماذا صنع العرب لهذا العلم ، وكيف أصبحت بفضل العرب ، وكيف تم للعرب اكتشاف الصفر ، إلى أن استتب الأمر على الشكل النهائي لمجموعتي الأرقام السابقتين

الا يكفي أن أمم الأرض جمعاء تستعمل مراتب الأرقام من اليمين إلى اليسار وهذا ما يقطع كل شك بأن كلا المجموعتين عربيتان ؟

ملاحظة أخيرة أود أن تلقى منكم كل اهتمام ، وهي أن تقوم مجلة العربي بنشر بحث عن هذه المسألة على صفحاتها ، ليكون في متناول الجميع ، حتى يقطع الشك باليقين ، وتنتهي المسألة

ختاما أتوجه بالتحية لمجلتنا الغراء التي أتاحت لقرائها حوارا مفتوحا على صفحاتها ، وشكرا

محمد ثائر الأصفري ـ مهندس عضو الجمعية الأمريكية ـ

العربي

ـ نشكر للقارئ الكريم متابعته ... يوحد على صفحات هذا العدد بحث حول هذا

العربي
ص ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

حوار القراء..

الموضوع ، للدكتور سعيد النجار ، لعله يضع النقاط على الحروف

هذه المرة من السارق ؟

● مرة أخرى تتفجر قضية السرقة الأدبية من خلال رسالتين ، وصلتا إلى مجلة العربي ، الرسالة الأولى من الدكتور ابراهيم الدسوقي ، أستاذ بكلية طب القاهرة ، والرسالة الثانية من السيد مصطفى محمد مصطفى ، بإذاعة البرنامج الثاني من القاهرة ، كلتا الرسالتين ترفعان اتهاما واحدا ، يقول الاتهام إن القصيدة المنشورة في العدد ٣٤٠ شهر مارس سنة ١٩٨٧ من مجلة العربي تحت عنوان « الموت على صدرها » للشاعر السوداني علي عبد القيوم مسروقة والدليل الذي تقدمه الرسالتان واحد ، وهو صورة للقصيدة نفسها ، منشورة في مجلة « القافلة الحديدة » ، وهي مسلسلة ثقافية ، غير دورية ، تصدر في جمهورية مصر العربية ، العدد السادس يونيو سنة ١٩٨٥ ، تحت العنوان نفسه ، باعتبارها من الأعمال الفائزة في المسابقة الأدبية للثقافة الجماهيرية ، للشاعر عادل فرج عبد العال »

ثم تتحدث الرسالتان طويلا بأسىً عن العبث ، والاستهانة ، والسطو على جهد الآخرين ، وتلحان على مجلة العربي أن تتأكد قبل نشر أي عمل من صحة نسبته إلى مؤلفه »

ولأنه لا توجد بعد طريقة قاطعة يمكن بها توفير هذا التأكد قبل النشر لم يكن أمامنا سوى أن نعود إلى الشاعر نفسه علي عبد القيوم ، لأنه بالمصادفة يعمل في معهد الكويت للأبحاث العلمية ، وبالتالي يمكن مراجعته شخصيا ، ووضعنا بين يديه الرسالتين ، وصورة القصيدة المنسوبة للشاعر عادل فرج عبد العال

وبين الذهول والدهشة والرغبة في تبرئة ساحته طلب منا الشاعر أن نمنحه فرصة لاثبات أن القصيدة له ، لأنه هو نفسه لا يعرف كيف تم ذلك ، فهو ل يرسل بقصيدته (التي كتبها فعلا من وقت بعيد) لغير مجلة العربي ، لكنه قد قدم نسخا منها إلى بعض أصدقائه ، لقراءتها بصفة شخصية ، ولا دليل لديه سوى دعواه نفسها

ثم عاد الشاعر علي عبد القيوم في المرة الثانية ، ليلقي إلينا بعض الضوء على هذه القضية ، وفي هذه المرة كانت معه نسخة من جريدة « الأيام » العدد الثاني الصادر في مارس ١٩٨٥ ، وبها قصيدته « الموت فوق صدرها » ، منشورة باسمه هذه المرة . وبأسفلها أن تاريخ كتابة القصيدة هو سنة ١٩٧٤ » ، والتفسير الذي قدمه هو أن أحد أصدقائه الذين أعطاهم نسخة من قصيدته قد أرسل بها إلى الجريدة ، فنشرت في هذا التاريخ السابق بالقطع على تاريخ نشرها في المجلة المصرية ، وهو يوجه تهمة السرقة إلى السيد عادل فرج عبد العال الذي سرق قصيدته مرتين ، مرة ليفوز بها بإحدى جوائز مسابقة الثقافة الجماهيرية في مصر ، ومرة بنشرها في « القافلة الحديدة »

تلك هي الوقائع ، نسوقها كما جرت بتتابعها ونترك للقراء الكرام أن يستنتجوا الحقيقة ، وإن ك نؤكد أن الضمان الحقيقي لوقف تيار السرقة الأدبية

مهما يكن السارق ومهما تكن ظروف السرقة ـ هو يقظة الضمير ، وإدراك أن مضمار الكذب قصير ، وأن مكاسب السرقة لا تعني شيئا امام يقظة القراء ويقظة الضمير

تحية من الأرجنتين

● السيد الدكتور محمد الرميحي .

من صميم القلب نبعث إليكم بأصدق عواطف التهنئة [illegible] مجلتنا العربي ، [illegible] لثلاثين وقد صدقتم حين قلتم في الافتتاحية إن العربي قد [illegible] في الوطن العربي والإسلامي [illegible] [illegible] على [illegible] تسييرها وتحديثها

صدقتم بما قلتم ، وأحمد الله يمدكم في طريق النجاح ، لكي يظل الحرف العربي والثقافة العربية في الطليعة . من صميم القلب نبعث لكم بالتحيات والاعجاب والاكبار والشكر العميق . « فالعربي » هي مفخرة العرب أينما حل ، وحيثما وجد

الياس قصل وشقيقه يوسف قصل ـ الأرجنتين

هل يكون تطوير التربية هو أساس النهضة ؟

● طالعت مقال الدكتور محمد عبد السلام الذي نشر بعنوان « العلوم وطموحات المستقبل » بالعدد ٣٣٨ يناير سنة ١٩٨٧ من مجلة العربي ، والذي استعرض فيه أوجه التخلف في الأمة العربية على الرغم من الامكانات البشرية والاقتصادية الهائلة التي تملكها هذه الأمة ، وقد عزا أسباب التخلف إلى افتقار الأقطار العربية إلى الأنظمة المتطورة لحتميات العلمية

ولي إذ أحيي الدكتور عبد السلام على غيرته ا ومية ، وتوصياته الهامة التي أنهى بها مقاله ، ل خروج من هذا التخلف ، أود أن أشير الى أن مفتاح الحل لواقعنا المتخلف إنما يكمن في التربية ، فالمحاولات المختلفة لتطوير المناهج التربوية في الأقطار العربية ما زالت تراوح في مكانها ، إذ أن هذه المناهج إنما توضع للطالب المتوسط ، دون النظر إلى قدرات الطالب المبدع ، وفي ذلك قتل لمواهبه ، ودون مراعاة لقدرات من هم دون المتوسط ، وفي ذلك جور عليهم أضف إلى ذلك إلحاح هذه المناهج على الحفظ والتلقين وأساليب الامتحانات بصورتها التقليدية لتكريس ذلك كله

ـ الهدف الرئيسي للتربية هو تعلم العقل كيف [illegible] وكيف يصل إلى حلها والتعليم الجديد هو الذي يعمل على تفجير الطاقات الابداعية لدى الناشئة وإثارة التفكير عندهم مما يؤدي إلى تغيير سلوكهم ، ليتناسب مع الثورة العلمية والتعليمية في العصر الحديث ، فعملية الابداع الفكري ، وتنميته لدى الجيل الجديد هي التي سوف تسهم في خلق التطور الحضاري والعلمي الذي نتطلع إليه

كما أن اعتماد أسلوب التعلم الذاتي في التربية هو الأساس الصحيح لتنمية الابداع من ناحية ، ولتحقيق التعليم المستمر من ناحية أخرى ، حيث يتابع الطالب أثناء الدراسة وبعدها التطور المستمر للعلوم وللمعرفة في مجال تخصصه ، أو في أي مجال آخر يهتم به إننا بحاجة حقا إلى الثورة على تكديس المعلومات ، وحزنها في الذاكرة ، والتخلص من الامتحانات التقليدية ، إذا أردنا أن نصل إلى تحقيق التطور الحضاري المنشود

عبد اللطيف السعيد ـ سوريا ـ حمص

السوق العربية المشتركة

● في الوقت الذي تزداد فيه حدة الأزمة الاقتصادية التي تعصف بالدول النامية ـ ونحن العرب جزء منها ـ نجد أن كل قطر عربي يفكر بطريقته الخاصة كيف يتفادى هذه الأزمة وحده ؟

العربي
ص ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

حوار القراء ..

مع أن هذه الأزمة ذات طبيعة جماعية ، وبالتالي فلا بد أن تكون المواجهة جماعية جاء عصر النفط ، وجاءت الأرقام الخيالية لمردوداته ، وتحقق إنجازات كثيرة لهذا العصر ، لكنها كلها غالبا ذات طابع قطري وكنا نسمع بين حين وآخر عن السوق العربية المشتركة الذي يمثل الرد الطموح على تحديات هذا العصر ، عصر الشركات الكبرى المتعددة الجنسية ، والسوق الأوروبية المشتركة ، لكن هذا السوق العربي لم يخط أبدا إلى حيز الوجود ليصبح حقيقة واقعة وجاءت مرحلة انخفاض أسعار البترول ، ولا زلنا كما نحن ، فالبرتقال الفائض في ليبيا لا يعرفه المقيم في موريتانيا ، والتكاليف الباهظة المهدورة لزراعة الطماطم في البيوت (البلاستيكية) كان يجب أن تصرف على زراعة الخضروات في اليمن أو في السودان - فهل حان الوقت لنعرف الطريق إلى المواجهة الصحيحة لتحديات هذا العصر ، ولمواجهة أزماته ؟

لا زلنا على الأمل ، ولن يعرف التشاؤم طريقه إلينا

سلطان عبده سيف الشيباني - اليمن / صنعاء

العبرة لمن يعتبر ؟

● قرأت باهتمام مقالة « احتكار الفضة وخسارة العرب » للدكتور غسان حتاحت ، في عدد ابريل سنة ١٩٨٧ من مجلة « العربي » ، وتأثرت بمحتواه الذي يمثل واقع أمتنا العربية في هذا الظرف الراهن الذي أنعم الله عليها فيه بثروات نفطية وغير نفطه لكن من المؤسف لم نحسن الإفادة من هذه النعمة كما أوضح مقال الدكتور ، وأود أن أذكر بهذه المناسبة تدليلا آخر على ما أشار إليه الدكتور غسان في مجال ثان ، وذلك بالإشارة إلى ما جرى بخصوص أسهم شركة إسلامية (في أحد الأقطار العربية) ، وهي شركة ذات نفوذ واسع ، أنشئت تحت شعار « وأحل الله البيع وحرم الربا » ، فبعد مضي ثلاث سنوات من طرح أسهم هذه الشركة للتداول كانت النتيجة إيقاف التعامل بهذه الأسهم ، بسبب الخسارة الفادحة الناجمة عن شراء كميات وفيرة من المعادن الثمينة بأسعار باهظة آنذاك ، ثم اضطرت الشركة لسبب أو لآخر - إلى بيع هذه الكميات بأسعار بخسة ، مما أدى إلى ضياع مدخرات كثيرة من المساهمين ذوي الدخول المحدودة

والعبرة المستخلصة من ذلك هي ضرورة حسن التصرف في هذه النعم التي أنعم الله بها على هذه الأمة باستثمارها في مجالات إنتاجية دائمة ونامية ، وإلا فإننا بذلك نبرهن على أننا لم نكن أهلا لنعم ا سبحانه وتعالى

د محمد مروان النحاس - دمش

■ نظر الناس إلى داخل بيتي من الشقوق ، وعيروني ، فوجب عليّ أن أفتحَ لهم النوافذَ والأبوابَ ليروني كما أنا ، لا كما يتخيلون (روسو)

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ دولة الكويت

أغسطس ١٩٨٧ م

أدب أمريكا اللاتينية

قضايا ومشكلات

تنسيق وتقديم : فرناندث مورينو

ترجمة : أحمد حسان عبد الواحد

مراجعة : د. شاكر مصطفى

٥٠٠ فلس

الكتاب ١١٦

المراسلات : باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ ص.ب ٢٣٩٩٦ الكويت

صندوق الوطني للإستثمار

تستطيع الآن استثمار مبالغ تبدأ من ١٠٠ دولار امريكي في صندوق استثماري يضم أسهم شركات رائدة يجري تداولها في أهم الأسواق المالية العالمية وتدار بواسطة شركة بنك الكويت الوطني لإدارة الاستثمارات في لندن

اتصل بمدير فرعك أو بمسئول حساباتك الشخصية أو بدائرة الخدمات المصرفية الشخصية على هاتف رقم ٢٤٤٨٣٥٩ أو بخدمة الوطني الممتازة على هاتف رقم: ٢٤٣٥١٤٦ / ٢٤٦٣٧٥٢ للحصول على كافة المعلومات عن هذه الخدمة الاستثمارية الجديدة

عالم الوطني يقدم لك الفرص الاستثمارية المختلفة.

بنك الكويت الوطني

بنك تعرفه وتثق به منذ عام ١٩٥٢

[illegible]

تصدر عن كلية الآداب . جامعة الكويت

رئيس هيئة التحرير : د. عبد المحسن مدعج المدعج

دورية علمية محكمة، تتضمن مجموعة من الرسائل التي تعالج بأصالة موضوعات وقضايا ومشكلات علمية تدخل ضمن تخصصات كلية الآداب.

- تقبل الأبحاث باللغتين العربية والانجليزية شرط ألا يقل حجم البحث عن (٤٠) صفحة مطبوعة من ثلاث نسخ.
- أن يمثل البحث اضافة جديدة الى المعرفة في ميدانه الخاص وألا يكون قد سبق نشره.

توجه المراسلات إلى : رئيس هيئة تحرير حوليات كلية الآداب ص ب ١٧٣٤٠ الخالدية - الكويت

الثقافة العالمية

مجلة تترجم الجديد في الثقافة والعلوم المعاصرة

- تعتمد فيما تنشر على الترجمة من مختلف الدوريات العالمية.
- هدفها إقامة الصلة بين الفكر العربي وبين الأجواء المتطورة للثقافة العالمية المعاصرة.
- ميزانها الأساسي في اختيار المترجمات هو الجديد والهام.

- تصدر دورية كل شهرين عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت

رئيس التحرير
أحمد مشاري العدواني

نائب رئيس التحرير
د. سليمان ابراهيم العسكري

المجلة العربية للعلوم الانسانية

فصلية محكمة
تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير

د. عبد الله أحمد المهنا

المقر: كلية الآداب - مبنى قسم اللغة الإنجليزية
الشويخ - هاتف ٨١٧٦٨٩ - ٨١٥٤٥٣

المراسلات توجه إلى رئيس التحرير

ص ب ٢٦٥٨٥ الصفاة
رمز بريدي 13126 الكويت

- تلبي رغبة الأكاديميين والمثقفين من خلال نشرها للبحوث الأصيلة في شتى فروع العلوم الإنسانية باللغتين العربية والإنجليزية، إضافة إلى الأبواب الأخرى، المناقشات، مراجعات الكتب، التقارير
- تحرص على حضور دائم في شتى المراكز الأكاديمية والجامعات في العالم العربي والخارج، من خلال المشاركة الفعالة للأساتذة المختصين في تلك المراكز والجامعات
- صدر العدد الأول في يناير ١٩٨١
- تصل الى أيدي ما يزيد على عشرة آلاف قارىء

ترفق قسيمة الاشتراك مع قسيمة الاشتراك الموجودة داخل العدد

مجلة العلوم الاجتماعية

تصدرها
جامعة
الكويت

مجلة فصلية أكاديمية تعنى بنشر الأبحاث والدراسات
في مختلف حقول العلوم الاجتماعية
رئيس التحرير . د. فهد ثاقب الثاقب

منبر بارز للأكاديميين العرب
توزيع أكثر من (١٠٠٠٠) نسخة
الموزع في الكويت والخارج مجلة العلوم الاجتماعية

توجه جميع المراسلات الى: رئيس التحرير
مجلة العلوم الاجتماعية - جامعة الكويت ص. ب ٥٤٨٦ صفاة 13055
صفاة الكويت - هاتف: ٢٥٤٩٤٢١ - ٢٥٤٩٣٨٧ - تلكس: ٢٢٦١٦ - KUNIVER الكويت

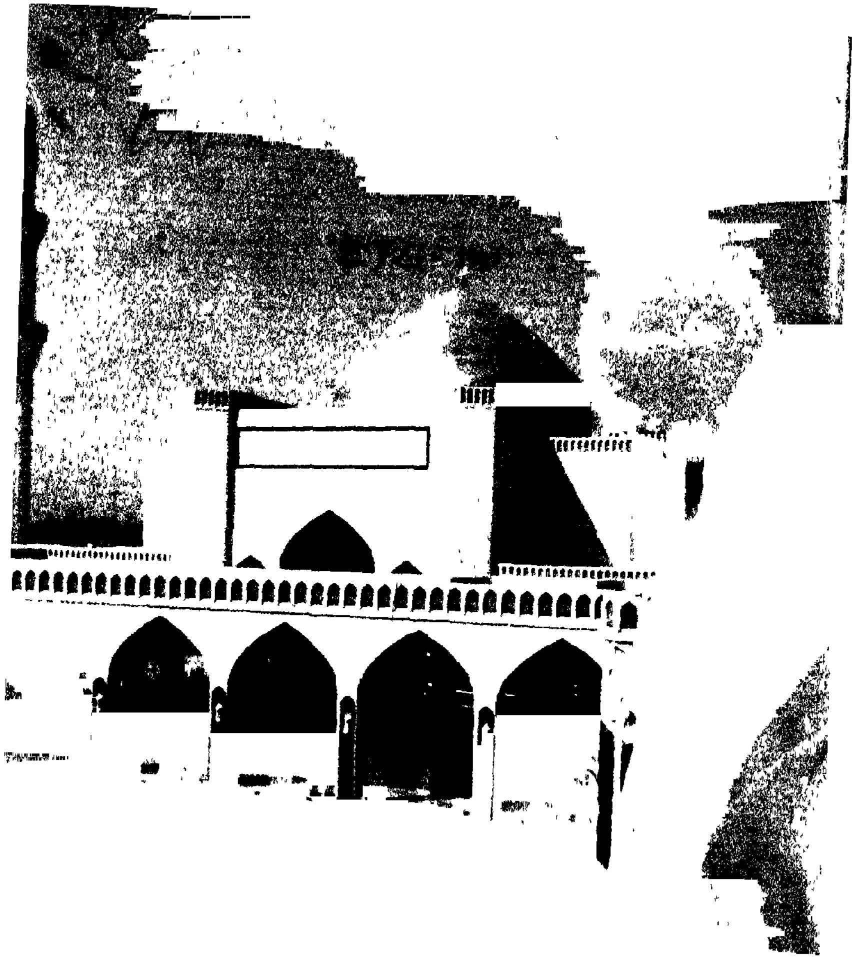

كز الطب

[illegible]

لجة بالنباتات

صل

الحضارات

SANYO سانيو

مسجل فيديو كاسيت VHR 2300M نظام ME/BG سيكام [illegible]

وراحة أكبر لأن فيديوهات سانيو تعتمد الصورة HQ الأكثر نقاءً لتعطيك أفضل صورة ممكنة. ستشاهد اللون الأبيض فوق بياض فراء الأرنب الناصع كالثلج وذلك إرتعاشة من شاربي الأرنب. صور صافية ستحوز إعجاب العيون اليقظة الأكثر دقة.

مسجّلنا الفيديو كاسيت VHR-2300M يعتمد أيضاً موقت مبرمج ٤ برامج / ١٤ يوماً، ووحدة تحكم عن بُعد بالأشعة تحت الحمراء، تشغيل سريع للتسجيل - ١٣ وظيفة إدخ، انظر بنفسك إلى مسجّل الفيديو كاسيت من سانيو وسترى ما فاتك

VHR-2200FS مسجل فيديو كاسيت نظام ME/BG سيكام

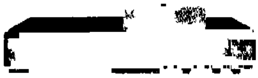

VHR-1700M متعدد الاستعمال [illegible] طاقة عالية

VHS HQ

محتويات العدد

الشتاء النووي ص٤٤

النحات سامي محمد ص٨٨

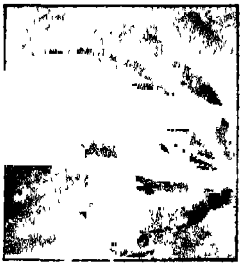

الدلفين والانسان ص١٠٣

■ حديث الشهر لماذا نحتاج الى العائلة ؟

- د محمد الرميحي ٨

■ تساؤلات (قصيدة)

- د عيسى درويش ١٩

■ جسر من كلمات ونور

- د عبدالعزيز كامل ٢٠

■ أكذوبة الثقافة « اليهودية »

- د . عبدالوهاب محمد المسيري ٢٥

■ الاقتراض الخارجي « أزمة المديونية في العالم الثالث »

- نعوم ابراهيم عبود ٣٠

■ اللعاب في الصحة والمرض

- د . محمد الكسرا ٣٥

■ هل كان الرجل المريض مريضا ؟

- فتحي رضوان ٤٠

■ الشتاء النووي

- د . سعود عياش ٤٤

■ صادق الحمّال (قصة مترجمة)

- د . محمد موفاكو ٤٨

■ للمناقشة : إشكالية « الآخر » في التفكير الاسلامي ! - فهمي هويدي ٥٢

■ المجهود العربي في العلوم الأساسية

- د اسامة الخالدي ٥٧

■ السينما وعلاقتها بالفنون الأدبية

- محمد صوف ٦٤

■ القيم الفكرية والجمالية في أعمال الفنان سامي محمد

- حميد خزعل ٨٨

■ الدلفين افضل اصدقاء الانسان

- سمير صلاح الدين شعبان ١٠١

■ الأسلحة النارية في اواخر العصور الوسطى

- د احسان صدقي العمد ١١٦

■ الذكاء والذاكرة

- د فخري اسماعيل حسن ١٢٠

■ قصيدتان للخالد الأسمر

- محمود عبدالصمد زكريا ١٢٤

■ مركب ملونة (قصة)

- جار النبي الحلو ١٧٧

العدد ٣٤٦ السنة الثلاثون سبتمبر ١٩٨٧

17 DEC 1991

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهريا عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

AL-ARABI

Issue No 346 Sept. 1987. P.O.BOX 748
Postal Code No. 13008
Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by : Ministry Of Information - State Of Kuwait.

عنوان المجلة

ص ب ٧٤٨ - الصفاة
الرمز البريدي 13008 - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس : MITR 44041KT
تليفون فكسيملي ٢٤٢٤٣٧٥
المراسلات باسم رئيس التحرير

الإعلانات يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الإشتراكات

ترسل الطلبات إلى . قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية
أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقا لما يلي
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د ك

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلسا	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلسا	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٢٥٠ درهما
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع ريال
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلسا	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٣٠ قرشا	لبنان ١٥ ليرة	فرنسا ١٥ فرنكا
السودان ٢٠ قرشا	سوريا ١٠ ليرات	امريكا دولاران

د. فاطمة المرنيسي

علاء الدين محسن

استطلاعات ومقابلات

■ الموصل تبحث عن زمنها المفقود
- صلاح حزين ٦٨

■ وجها لوجه د. فاطمة المرنيسي
- علاء الدين محسن ٩٧

■ مركز الطب الإسلامي والمعالجة بالنباتات الطبية
- يوسف رعلاوي ١٢٩

■ عُمان بلاد النخيل والتارجيل.
- صادق يلي ١٤٤

صورة الغلاف

ماذا سجل التاريخ عن الموصل، المدينة التي تبحث عن زمنها المفقود؟

(طالع الاستطلاع ص ٦٨)

* * *

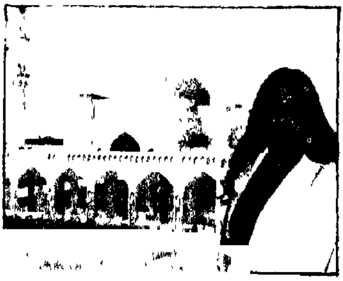
مركز الطب الاسلامي ص١٢٩

عُمان بلاد النخيل والتارجيل ص١٤٤

المراسلات باسم رئيس التحرير.. والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر.. والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

أبواب ثابتة :

■ عزيزي القارىء ٧

■ أرقام : المجتمع العربي : نموذج مصر
- محمود المراغي ٩٥

■ منتدى العربي :
- قضية : تعريب التعليم الجامعي .
- أبو المعاطي أبو النجا ١٠٩
- تعقيب : بين طه حسين وأحمد أمين .
- د . محمد دسوقي ١١٥

■ الجديد في العلم والطب ١٢٦

■ جمال العربية :
- صفحة لغة : أسئلة وأجوبة
- محمد خليفة التونسي ١٨٠
- صفحة شعر : السماء للشاعر إيليا أبي ماضي ١٨٢

■ الكلمات المتقاطعة ١٨٤

■ مكتبة العربي :
- كتاب الشهر . المسرحية المفقودة لشكسبير
- د . صفاء خلوصي ١٨٥
- من المكتبة العربية : كتاب « الخيل »
- د . سلمان قطاية ١٨٩
- مكتبة العربي : مختارات ١٩٤

■ مسابقة العربي الثقافية ١٩٦

■ حل مسابقة العدد (٣٤٣) ١٩٨

■ معركة بلا سلاح (الشطرنج) ٢٠٠

■ حوار القراء ٢٠٢

البيت العربي
مجلة الأسرة والمجتمع

■ حدة الطبع وعنف المزاج عند الطفل
- د محمد صادق زلزلة ١٦٢

■ أمهات للإيجار
- د غسان حتاحت ١٦٦

■ هو هي ١٧٠

■ طبيب الأسرة قضايا منزلية علیان الحلیب
- د حسن فريد أبوغزالة
١٧٢

■ مساحة ود زهرة إليها
- محمود عبدالوهاب ١٧٦

عزيزي القارئ

في اجتماع هيئة التحرير لإعداد سلسلة أعداد « العربي » للخريف ، واجهنا سؤال ذكره أكثر من قارىء في رسائل مطولة ، السؤال عن حقوق النشر باللغة العربية التي ما زال يدور حولها كلام كثير ، والمناسبة أن أحد القراء أرسل الينا مجلة تصدر في اسبانيا باللغة العربية ، نقلت موضوعاً نشرناه في العدد (٣٣٦) لشهر نوفمبر ١٩٨٦ وهو للزميل حسن عباس ، عن الآثار العربية في شمال الأندلس والملفت للنظر أن المقال نشر بصوره وباسم كاتبه كاملاً دون إشارة للعربي وموضوع آخر بعث لنا أحد القراء رسالة حوله ، وهو عن حركة التاميل ، كما قد نشرناه في العدد (٣٢١) لشهر اغسطس ١٩٨٥ من العربي بقلم الزميل سليمان مظهر وموضوع ثالث عن الاتحاد السوفيتي الخ

وإذا كنا في العربي لا نستهدف الا اشاعة الثقافة الجادة ، ولا يضيرنا ما ينقل عنا إلا أن المطلوب هو شيء من حسن السلوك المهني حتى لا يضلل القارىء ولا تفقد المطبوعة حقوقها الأدبية بحكم المبادرة والريادة ، فالمطلوب فقط هو الاشارة الى مصدر النشر وتاريخه لحفظ الحقوق المعنوية

وعلى الرغم مما يسببه هذا النوع من القضايا من مضايقات ، إلا أنه يشير أيضاً الى نجاح « العربي » في مسارها الذي دأبت عليه ، وهو تقديم كل جديد ومفيد وممتع لذلك فإن هذا العدد حافل بالموضوعات التي تجد فيها - عزيزي القارىء - متعتك الثقافية فالدكتور عبد العزيز كامل يكتب لك عن جسر من كلمات ونور ، والدكتور عبد الوهاب المسيري يحدثك عن « أكذوبة الثقافة اليهودية »والدكتور أسامة الخالدي يستعرض معك المجهود العربي في العلوم الأساسية أما فتحي رضوان فيجيب على التساؤل هل كان الرجل المريض مريضاً ؟ كما يناقش فهمي هويدي إشكالية الآخر في التفكير الاسلامي ويحدثك الدكتور فخري اسماعيل حسن عن الذكاء والذاكرة ، والدكتور إحسان صدقي العمد عن الأسلحة النارية وكما عودتك العربي عزيزي القارىء فإنها تقدم لك استطلاعاً عن « الموصل جسر بين الحضارات » وآخر عن « عمان بلاد النخيل والنارجيل » وثالث عن مركز الطب الاسلامي في الكويت كل هذا عدا مجموعة من المقالات في الطب والعلوم وأبواب وجهاً لوجه والبيت العربي وكتاب الشهر وغيرها

بجانب ذلك فإننا نعد في العربي انطلاقة جديدة لعام قادم جديد ، تدخل فيه العربي عامها الحادي والثلاثين ، نرجو من خلاله أن يتواصل إسهامنا في إغناء الثقافة العربية

وأنت عزيزي القارىء مع كل عدد من « العربي » على طريق جديد

المحرر

حديث الشهر

بقلم الدكتور
محمد الرميحي

لماذا نحتاج إلى العائلة؟

فرغت توا من قراءة كتاب مشوق ، جديد في موضوعه ، يطرح قضية أساسية هامة بطريقة جديدة ، أو قل بطريقة شعبية لا تستعصي على القارئ العام. الكتاب يتحدث عن الأسرة ، الحلقة الأولى في المجتمع الإنساني. عنوان الكتاب يشد الانتباه ، فقد وضع له المؤلفان عنوانا مثيرا ترجمته الأكثر قربا للمعنى باللغة العربية هو « الأسر . وكيف ننجو من رواسبها ! »*

وهو عبارة عن حوار بين كاتب هو (جون كليز) ومحلل نفسي عائلي هو (روبن سكينر)

جون كليز هذا كان يعاني كما يقول من انفلونزا مزمنة ، ومجموعة من المشكلات مع زوجته ، ولم تذهب الانفلونزا رغم العلاج الطويل لها إلا بعد أن نصحه طبيبه المعالج بالالتحاق بمجموعة تتعاطى العلاج الجماعي حيث أن مرضه ليس له أسباب عضوية ، وهناك صادف المحلل روبن سكينر ، وبعد ثلاث سنوات من العلاقة المهنية والعلاجية ظهر هذا الكتاب .

FAMILIES And How To Survive Them - Robin SKYNNER John Cleese

يقول الكاتب واصفا تجربته ، أنه لم يدخل عالم التحليل النفسي والعلاج الجماعي وهو سعيد ، فهو كغيره من الرجال والنساء في العالم . لديه تحفظات على علم النفس وما يستطيع وما لا يستطيع عمله !

ولكن الموضوع الذي اعتقد أنه سينهيه في أشهر لتجربة التغلب على مشكلاته العائلية والصحية استغرق لإنهائه ثلاث سنوات . يقول (كانت أفضل خبرة في حياتي الراشدة ، خرجت منها وأنا معافى صحيا ونفسيا ، ولقد كانت هذه الخبرة مساعدة كبيرة لتحاور عقبات الحياة ومعضلاتها . فقد أصبحت أقبل على أية مشكلة تصادفني وأنا أكثر ثقة

لقد مر بي وقت تصورت فيه ـ بعد أن سمعت مشكلات زملائي ـ أن أعقد الأفلام الروائية الدرامية التي نشاهدها على شاشة التلفاز ما هي الا قصص واهية ومصنوعة وغير مقنعة اذا قارنتها بحقائق الحياة التي تكشفت لي لقد اكتشفت أشياء كثيرة عن نفسي لم أكن أعرفها من قبل ، كما اكتشفت انني احمل صورة عن نفسي لم تكن واقعية

ثم بدأت أسأل أسئلة جديدة في محور العلاقة الانسانية ، العلاقة بين الرجل والمرأة)

إنسان واحد وشخصيات متعددة :

■ يقول الكاتب (نتيجة للخبرة السابقة بدأت أنظر الى الحياة بشكل إيجابي ، وأستمتع بها ، ووجدت أن أية مشكلة أواجهها الآن هي بالنسبة لي أقل قسوة وأكثر قربا للحل ، نتيجة لأفكار « العلاج الأسري » ومواقفه ومناهجه ، فقد تطور كثيرا في السنوات الأخيرة)

الكثيرون عندما يولدون ويترعرعون وينشأون في نطاق الأسرة ، تبدو لهم القضية كأنها عمل تلقائي ، ومعظمنا عندما يولد لنا أطفال (بنين وبنات) نتركهم أيضا لأشكال التنشئة الاجتماعية المتوارثة

ولكن القليلين ما هم من يعرفون أن مستقبل هذا الطفل او ذاك ـ ليس المادي فقط كما يتبادر الى الذهن ولكن الصحي والعقلي ـ يعتمد اعتمادا تاما على كيفية عمل الأسرة وعلاقة الوالدين بالطفل وعلاقتهما مع بعضهما ، خاصة ي السنوات الأولى من حياة ذلك الطفل !

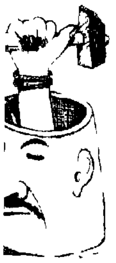

خطورة الأمر تكمن في ان هذا الطفل إن كان لديه أية أمراض عضوية ان أعراض تلك الأمراض تظهر عليه ، ونستطيع أن نعالجها أو نتفهمها ، كن ضعيف الصحة العقلية لا تظهر عليه في كثير من الأوقات أعراض صه ، لكن نتائج ذلك المرض ـ سواء كانت قوية أو ضعيفة ، ظاهرة أو مية ـ تكون بالغة الخطورة عليه وعلى اسرته وعلى مجتمعه ، لذلك فإن العلماء دون لاكتشاف قوانين عمل الأسرة في « المجتمع الانساني » ، وكيف يمكن

للاسرة أن تساعد لايجاد جيل يتمتع بصحة عقلية سليمة. وحتى في داخل الأسرة الواحدة فإن الاختلاف في المعاملة بين طفل وآخر ينتج رجالا ونساء مختلفين. وكثيرا ما يحكم الشخص العادي على أختين أو أخوين بأنهما مختلفان.

أكذوبة الحب :

■ هل الحب أكذوبة إنسانية، نريد أن نصدقها لأنها تمنحنا شيئا من الاطمئنان، أم أن هناك بالفعل شيئا اسمه الحب؟

تقول لنا الدراسات الحديثة في علم الاجتماع العائلي أن الحب أكذوبة صدقناها. فالناس يتزاوجون لأسباب محددة، وهي أنهم يتشابهون في الخلفية الأسرية، أي أن تجاربهم الاسرية متشابهة، وذلك هو ما يشد بعضهم إلى بعض. فالذين يتزوجون يأخذون أسرهم معهم «نفسيا». لقد اكتشفت تلك الحقيقة مما يسمى (بالتمرين الأسري) وهو تمرين طور في أمريكا، وجرب في اكثر من مكان في العالم الصناعي، وأتى بنفس النتائج. هذا التمرين هو أن توضع جماعة تضم من عشرين الى أربعة وعشرين شخصا، نصفهم من الرجال والنصف الآخر من النساء دون معرفة سابقة، ويطلب من كل واحد منهم - دون تبادل الحديث - أن يختار شخصا من الجنس المخالف مفترضا أنه اختار زوجا أو زوجة، ثم يطلب من كل أربعة أن يشكلوا أسرة، ويوزعوا الأدوار فيما بينهم، كأن يختار أحدهم دور الأب والآخر دور الابن وتختار المرأة دور الزوجة أو الجدة ... الخ. لقد اكتشفت من خلال هذه التمارين أن الاختيار غالبا ما يتم نتيجة تشابه في الخلفيات الأسرية. هذا الاكتشاف جاء دائما من نفس الذين قاموا بالتمرين، فهم يشجعون على الحديث عن أسباب الاختيار، وبعد وقت يجد الجميع أن هناك شيئا متشابها في خلفياتهم الأسرية، كأن تكون هناك مثلا صعوبات في المشاركة العاطفية، أو صعوبات في التعبير عن الغضب أو الحسد، أو يكون ما يجمعهم أنهم اناس متفائلون ضاحكون أو متشائمون عابسون. وقد يكتشفون أنهم محرومون من تواجد الأب عندما كانوا اطفالا او ان أسرهم فقدت عزيزا لديها عندما كانوا في نفس العمر. والملفت للنظر أن هذه التمارين الأسرية قد أظهرت أن من عاشوا طفولتهم في أسر بديلة أو في مؤسسات رعاية أسرية غالبا ما يختارون بعضهم بعضا كأزواج محتملين، دون أن يعرفوا مسبقا خلفيات بعضهم! لقد شعروا بالاهمال في بداية حياتهم فاختار بعضهم بعضا!

يقول الكتاب أن اختيار الزوجين بعضهما بعضا هو في الحقيقة اختيار (مصلحي) تتمحور أسبابه حول ثلاث قضايا.

إما أن تكون أسبابا اجتماعية، مثل الطبقة أو المستوى الاقتصادي أو

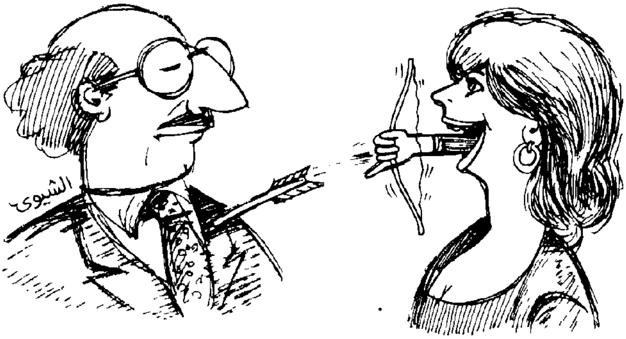

المذهب او الديانة ، وإما أن تكون أسبابا شخصية واعية مثل الشكل الخارجي أو الاهتمام بموضوعات متشابهة في الحياة ، أو قد تكون أسبابا (غير واعية) يسميها بعضهم (الكيمياء) وهي في حقيقة الأمر ما نتحدث عنه

والأسباب الأخيرة التي سميناها أسبابا (غير واعية) ليست بالضرورة أسبابا (غير ظاهرة) ، بل على العكس ، فقد تكون ظاهرة تتضح في (لغة البدن) Body Language ، كيف تلبس ، كيف تتحرك ، كيف تشعر الناس بالاهتمام أو بقلة الاهتمام الخ فهناك جوهر للشخصية يمكن أن يظهر حتى على ملامح الانسان الخارجية

فالشخص المكتئب يتحرك دون عناية ، مترهلاً ، عابساً وعلى مر الزمن يأخذ شكل وجهه وتقاطيعه مظهر الاكتئاب ، وهو نفس ما ينطبق أيضا على الشخص المرح المبتسم فاختيار الشريك إذاً ليس كما علمتنا الكتب ، وإنما يتم عن طريق الحب ، فالحب - إن وجد - يكون وزنه النسبي قليلا في مجموعة العوامل الاجتماعية والشخصية

مراحل التطور :

■ في الأسرة الصغيرة التي انجذب طرفاها (الزوج والزوجة) الى بعضهما لأسباب أهمها تشابه الخلفية الاجتماعية والنفسية يولد الطفل الجديد - كما يقول الكتاب - محكوما عليه سابقا بخلفيات والديه فإذا كان والداه قد حرما من الرعاية في صغرهما فانهما لن يستطيعا أن يقدما له هذه الرعاية (فان لم يُعْتَنَ بنا بشكل جيد ونحن صغار ، لن نعرف كيف نَعْتَني بالآخرين عندما نكبر) ، إنها حلقة لا تعوضها الخبرة في المجتمع بعد ذلك

لذلك فإننا نرى في الحياة أشخاصا يتصرفون اجتماعيا بطريقة مختلفة عما نتوقعه . لماذا ؟

لأن توقعاتنا هي خبرتنا وتصرفاتهم هي خبرتهم ، وعندما يشب الأطفال فانهم يحملون خبرات أسرهم معهم . هذه الخبرات محملة بما تحدده الاسرة منذ البداية حول ما هو الشعور (الايجابي) ، وما هو الشعور (السلبي) .

فقبول السلطة أو الخروج عليها ، وقبول التعاون مع الاخرين أو الانغماس في الفردية ، والسيطرة على الشعور السلبي كالغضب أو الحسد أو الغيرة او عدم السيطرة على مثل هذا الشعور ، كل ذلك يرضعه الطفل من أسرته في سنواته الأولى ، وإذا كان ثمة انحراف سلوكي للطفل في المستقبل فانه يتكون هناك تحت سمع الوالدين وبصرهما أو بسبب سلوكهما !!

وبدون (الانضباط الشخصي) الذي يلعب الأب دورا مهما في تلقينه للطفل . وتحديد خريطة ما هو مقبول وما هو ممنوع ، لا يستطيع الطفل ان يكون علاقات جيدة مع السلطة في المجتمع عندما يكبر ، فالأوامر والنواهي الاجتماعية ان لم يتعرف عليها الطفل لا يستطيع أن يقبلها بعد ذلك ، حيث كانت كل طلباته مستجابة ، وكل ما يفعله مقبولا ، فهو لا يقبل بعد ذلك أي تحديد لهذا السلوك ، وعند ذلك فانه يقاوم اي سلطة تريد أن تحد من شهواته

والخطورة لا تكمن هنا فقط ، فعندما يوضع وهو رجل في موضع يحتاج فيه الى ممارسة الانضباط سيجد ذلك صعبا ، فالسلطة مطلوبة (بحب وبحزم) من الوالدين تجاه الطفل ، والطفل الذي يعامل بهذه « التوليفة » يشب قادرا على اتخاذ القرار بعد الحوار حوله ، وعندما يتخذه يقوم بتطبيقه بتحديه . وهذا هو المطلوب في السلوك السوي

والطفل أيضا يحتاج الى إخوة وأخوات وأصدقاء يلعب معهم ، ليس من أجل اللعب فقط . وإنما من أجل ان يتعلم المشاركة ، وضبط شعور الانانية فالاطفال الذين لا يعرفون معنى ضبط هذا الشعور ومعنى المشاركة ، لا يفهمونها عندما يواجهون بها في المجتمع وهم كبار

خطوات الاستقلال عن الوالدة ثم عن الوالد - أي الاسرة - عملية خطيرة في حياة الاطفال والمراهقين ، ودون اجتيازها بنجاح عن طريق فهم الوالدين لهذه الضرورة - ضرورة الاستقلال - وتسهيلها امام أطفالهم ، قد تنتج عنها مضاعفات نفسية خطيرة للاطفال وعندما لا يحصل الأطفال على تلك الفرصة بشكلها الطبيعي فانهم يتحولون الى التعلق المرضي بوالديهم أو بأحدهما ، وعندما يتزوجون يحولون أزواجهم أو زوجاتهم الى آباء وأمهات فالخلل في مرحلة النضج والاستقلال تلك يواكب الناشيء طول حياته ، ويخلق له المشكلات مع من يحتك بهم في المجتمع

وتشجيع هذا النضج يجب أن يتم عن طريق حث الأم لطفلها في البداية للعبور الى حجرة الوالد ، ثم حث الوالد للطفل للعبور الى حجرة المجتمع ، عن طريق تشجيعه بالالتحاق بمجاميع من سنه ، وكذلك تشجيعه على انشاء علاقات صداقة مع أفراد من نفس الجنس

فالفشل في العبور من مرحلة الى مرحلة في سن الطفولة مع أب أو أم غير

قادرين على هذه العملية الصغيرة ـ عملية التنشئة الاجتماعية السليمة ـ تورث الأطفال مصاعب نفسية ، قد لا تكون ظاهرة بل مختفية في نفوسهم

الظاهر و الباطن :

■ كما هو في الحياة فهو أيضا في النفس ، فعندما لا نستطيع أن نهتم بشيء نتجاهله ، ونصرف النظر عنه الى شيء آخر ، فإننا نسقطه من حسابنا . وفي النفس نقوم بعين العملية ، إلا ان هذا الاسقاط يظل حبيس ستار كثيف ، لأننا لا نريد أن نعرف ما هو خلف هذا الستار

هذه عملية سماها عالم النفس الأمريكي هاري ستاك سوليفان (التجاهل الاختياري) ، وهذا التجاهل الاختياري هو اننا نتجاهل متعمدين الشعور السلبي ، أو أي شعور تعتقد اسرتنا التي نشأنا فيها أنه سلبي . ونضع نحن هذا الشعور خلف هذا الستار ولا نظهره لأنفسنا ولا للآخرين . ولكن وضعنا ذلك الشعور أو أي أشكال أخرى من الشعور السيئ خلف ذلك الستار لا يعني أنه ليس موجودا

فالشعور يمكن أن يوضع خلف الستار لسببين رئيسيين

إما بسبب (الصدمة) أو بسبب موقف الأسرة منه . خذ مثلا شعورا بالغضب لدى طفل . فهو إما أن حدث بسبب حالة معزولة لكنها قوية ، كأن تدخل والدته المستشفى بعد ان يصاب بحالة غضب ، فهو أصغر من ان يفهم السبب الذي دخلت والدته بسببه المستشفى وتخلفت عن العناية به ، لذلك فانه سوف يعتقد أن والدته تركته لأنه غضب ، ومن هنا فانه يشعر بخوف شديد عندما تنتابه حالة غضب . مما يجعله يحاول إما أن يضع هذا الغضب خلف الستار ، أي لا يعترف به ، وتلك حالة الصدمة ، او أن يضع شعور الغضب خلف الستار لأن هناك انطباعا قويا في الأسرة ان (الغضب معيب) فالطفل محبوب عندما يكون هادئا مسالما ، لهذا فهو في البداية يخفي غضبه طلبا لرضا الأسرة ، ثم بعد ذلك يخفي غضبه عن نفسه

كل أسرة تضع بعض الشعور الذي تعتقد أنه (سلبي) خلف ستار . ويتعلم الطفل الجديد أن هذا الشعور أو ذاك يجب ان يوضع خلف الستار مخفيا هناك عن العيون . فكل أسرة لها نقطة عمى Blind Spot ، وتنتقل نقطة العمى من جيل الى جيل ، لكن الستار لا يخفي كل شيء ، فان كنا تعبين او مرضى أو تحت تأثير مخدر يمكن أن يتسرب ذلك الشعور من خلف ستار ، وفي بعض الأوقات قد ينفجر ذلك الشعور لسبب تافه جدا ، ويأتي الى رح أمام الستار ، ويشعر الانسان من بعده كأنه ليس هو ، ولابد أن يكون ا آخر . وتزداد الحيرة عندما يكون سبب هذا الانفجار أو رفع الستار سببا كل ما جرب ذلك في نفسه أو أصدقائه أو معارفه ، وعندما نطلق

إذا كنت تعاني من الإنفلونز أوالصداع النصفي دون سبب عضوي فابحث عن السبب في علاقاتك الأسرية

الزوجان السعيدان لأن الغداء لم يكن جاهزا فإن الشعور المتراكم خلف الستا هو السبب وليس تأخر الغداء .

ولأن هناك خطورة من أن يشعر كل واحد منا بأن هناك شعورا سلبيا خلف الستار مثل الغضب أو الغيرة أو الخوف . الخ يمكن ان ينفلت دون شعور ، فان جزءا منا يبقى متيقظا لعدو لا يستطيع ان يراه ولا نعرف لماذ نحن متيقظون حذرون لا نشعر بالراحة ، ولذلك فان الانسان يبدو متعبا متوترا وهو يبذل الجهد لطمس ذلك الشعور غير المنظور ويصبح لهذا الجها علاقة بمجموعة من الأمراض النفسية العضوية ، كوجع البطن ووجع الرأس (الشقيقة) او ارتفاع ضغط الدم وأنواع من الروماتيزم الخ

كيف نواجه ذلك ؟

بالاعتراف بأن كل أنواع الشعور لدى الانسان لها دور ايجابي ، ولنرجع الى الغضب عند الطفل ، فلو عرف الطفل أن الغضب ليس مصيبة عظمى ولا هو عاطفة هدامة ومميتة ، وأن غضب الانسان في بعض الأوقات يمكن أن يكون ظاهرة طبيعية ، وأن الطفل يمكن ان يتحكم في غضبه بشكل معقول . لو حدث كل ذلك فان الطفل سيشعر بأمان عندما يعبر عن غضبه ، ويتعلم الطريقة التي يكيف بها غضبه ويكبح جماحه كما يفعل الجميع عادة في حالات مثل الغضب والقسوة والانانية وكل شعور انساني (سلبي) يكون من الأفضل أن نعترف به ونتحكم فيه ، بدلا من أن نلقيه خلف الستار ثم يظهر بعنف وبشكل مفاجيء وهدام

فعندما نعترف بهذه الأنواع من المشاعر نستطيع أن نستدعيها في الوقت المناسب للغرض المناسب ، فكل شعور انساني هام لحياة الانسان ، ولكن عندما نخبيء المشاعر ونلقيها خلف الستار الكثيف فاننا لا نجدها عندما نحتاجها ، وان جاءت مزمجرة ربما سببت لنا خسائر لاننا لم نتعود أن نتعامل معها جيدا

كل البشر لهم نفس مستوى الانفعال والشعور ، مثل ذلك مثل جسم الانسان الذي يتكون من نفس النسب الكيماوية ، جميعنا لدينا الحب والغيرة والشجاعة والحزن ، والتصميم ، والفرح ، والجبن ، والحنان ، والعنف ، والجنس ، والحياء الخ من أنواع الشعور الانساني

ما نبرزه من عواطف أمام الستار وما نخبئه خلف الستار يعطينا شخصيتنا ، ومن يخبيء الحب يبدو ذا شخصية غير ودودة ، ومن يخبيء الشجاعة يجعلنا نحسبه رعديدا ، ومن يخبيء الغيرة يبدو لنا أنه غير قادر على المنافسة ، ومن يخبيء الحزن يبدو مهووسا مثيرا للاهتياج ، ومن يخبيء القلق يبدو مغامرا

هنا يبدو أن مايشد شخصين الى بعضهما كي يتزوجا ويكونا اسرة ليس

فقط ما يظهر امام الستار من شعور يظهر من تصرفهما الظاهري ويقع كثيرا من الناس انه السبب ، ولكن الذي يشدهما الى بعضهما أيضا هو ما خلف الستار من شعور

الـــزواج السـعيد والأسـرة السـعيدة :

■ الزوجان السعيدان هما من يعترفان بأن هناك أشكالا كثيرة من العواطف كامنة خلف الستار ، سيسترجعانها بهدوء ويراجعانها ـ حتى لو سبب ذلك ألما مؤقتا ـ لأن في المراجعة ورفع الستار إيجابية العيش معا بشكل أكثر حرية وبهجة ومعرفة ، ومن جانب آخر فان أكثر الزيجات تعاسة تنشأ من أن هناك كثيرا من العواطف كامنة خلف الستار يرفض الاثنان الاعتراف بها ، ودع عنك مناقشتها ، تراهما وقد كثر بينهما التشاجر والخلاف ، شديدي الحساسية على كل شيء ، قد يصفان بعضهما بعضا بالنقد والتجريح

لنأخذ مثلا على ذلك ، كأن يكون أحد الشريكين او كلاهما يحب (التدليل) لكن هذه العاطفة موضوعة خلف الستار في ما نسميه (التجاهل الاختياري) ، عندئذ تكثر بين الشريكين الخصومات ، لأنهما غير معترفين بهذه الحاجة علنا ، ولنفترض أنهما اعترفا بها وقدمها كل شريك للآخر ، فان درجة الخلاف بينهما سوف تقل بالتأكيد

الزواج السعيد ـ كما يقول الكتاب ـ عدده مثل عدد أنواع الأشجار وليس هناك وصفة خاصة للزواج السعيد ، أو الزواج المثالي ، ولكن علماء الصحة العقلية اليوم يؤكدون ان الزواج السعيد يقترب من تلك الدرجة كلما كان لدى الزوجين قدرة وإمكانية واستعداد للنظر خلف ذاك الستار ، وكلما ناقشا ما خلف الستار من عواطف مهما كانت درجتها ونوعها كلما أصبحت علاقتهما الثنائية أكثر غنى

لقد اكتشف البحث الاجتماعي أن الأسر السعيدة تقبل التغير بصورة أسرع ، ربما لأنهم لا يخافون من أي تغير يطلق الشعور الخفي الذي أسدلوا الستار عليه . كما أنهم يقبلون النقد من بعضهم ، وفي الغالب يتم هذا النقد بطريقة ايجابية مساعدة ، وفي الوقت المناسب ، رغم أن النقد ـ حتى لو كان فيه بعض الحق ـ يسبب ألما نفسيا ، ويزداد هذا الألم النفسي إذا كان النقد موجها لشيء وضعناه خلف الستار ، وكنا قد وضعناه هناك في الأصل لأنه يشوه من تصورنا لأنفسنا وذلك هو مايثير الألم .

دلـيـل التصرفات والسـلوك :

■ أن تستطيع بكل ما يمكن من الصعوبة أن تتحمل التغير الايجابي والسلبي دليل على صحة نفسية وأسرية ، فتقبل التغير كالتخرج في الجامعة والالتحاق بالوظيفة الجديدة أو الفصل من العمل أو التقاعد ، أو وفاة أحد

أفراد الأسرة . أو الانتقال الى بلد آخر ... الخ من أشكال التغير في الحياة . تلك عملية بحد ذاتها صعبة . فنحن جميعا نملك في رؤوسنا تصورا أو ملفا عن عالمنا كما نعرفه ، أو خريطة عقلية متمثلة بخالتنا الداخلية (مثل تماثل خريطة العالم مع واقع الكرة الارضية) ونستخدم هذه الخريطة العقلية كدليل لتصرفاتنا . كل شيء في حياتنا في هذه الخريطة حيّنا ، قريتنا ، أسرتنا ، أطفالنا ، والدانا ، أصدقاؤنا ، بيتنا ، جيراننا ... الخ وأي شيء في حياتنا مخطط هناك ليرشدنا للتكيف مع حياتنا . نحن في الحقيقة ننظر الى جزء فقط من هذا المخطط وإن كان موجودا كله . فعندما يموت قريب عليك أن تتحول من خريطة يحتل فيها شخص هذا القريب مكانا ما ، كبيرا أو صغيرا ، الى خريطة لا يوجد فيها هذا القريب . فهذا التغير من خريطة الى أخرى هو ما يعرف عادة بالتكيف ، وهو إعادة كتابة ورسم مخططنا العقلي . وإعادة الكتابة تحتاج الى طاقة حتى لو كان التغير الى الأفضل . ولكننا نحتاج الى طاقة أكبر عندما يكون التغير الى الأسوأ أو عندما يحدث التغير المفاجيء . وقد تكون التغيرات صغيرة لكنها متتابعة لا تعطينا الوقت الكافي لنسترجع توازننا . مثل أن يتسخ المنزل بسرعة أكبر من قدرتنا على تنظيفه . في هذه الحالة نشعر بضغوط نحتاج منها الى فترة (راحة) كمثل العائلة التي تفقد شخصا بالموت . فلا تستطيع أن تمارس عملها المنظم . فيأتي جيران بالأكل عدة أيام الى العائلة في (الأزمة)

مهمة الأم والأب تكوين هذه الخريطة العقلية لأطفالهما . فالطفل الذي لا يعرف في الوقت المناسب أن هناك حدودا بين عالمه وعوالم أمه وأبيه وأسرته . يصبح صاحب علاقة مشوشة بالعالم ، ويصيبه بعد ذلك في أزمة التغير المفاجيء هذه الخريطة كلما ألم به طاريء واحتك بالعالم الخارجي

والأمهات يشاركن في هذا التشوش . فعندما تكون خريطة الأم أصلا مشوشة - حيث لم تحصل في طفولتها على رسم خريطة عقلية واضحة - فانها تنقل هذا التشوش لأطفالها . ويعتقد العلماء أن هذا التشوش في أسوأ حالاته هو أحد الأسباب الرئيسية - على الأقل - لمرض عقلي عضال هو (انفصام الشخصية) . أما اذا كان التشوش في رسم هذه الخريطة العقلية بصورة أقل سوءا فان الطفل ينشأ وهو يعاني من الهلوسة . فهو لا يعرف التفرقة بين الحلم وحلم اليقظة والواقع الحقيقي . ويخضع لتأثير الآخرين بشكل غير طبيعي . ويبدو سلوكه للناس الآخرين غير طبيعي وليس له معنى في بعض الأوقات . فهو يتخيل قصصا - قد لا تكون واقعية - عن أهله ومدرسيه وزملائه

لذلك فان دليل التصرفات والسلوك الذي يضعه الأب والأم مجتمعين لطفلهما أو لأطفالهما ، يعتمد عليه هؤلاء الأطفال في تحديد علاقاتهم بالخارج ، وكلما حصلوا على رسائل ثنائية متناقضة زاد التشوش عندهم

في كل منا طفل صغير :

■ دليل التصرفات الذي تقدمه الأسرة لأطفالها ليس دليلا كاملا ، فالحياة ليست مثالية ، وعملية الانفصال عن الأم والأب والأسرة تأخذ فترة طويلة ، بل ربما تأخذ فترة الحياة كلها . ولأن ظروف الأسر النفسية والصحية والاجتماعية والاقتصادية مختلفة - ربما باختلاف الأسر نفسها - فإن الطفل يشب وفيه شيء من طفولته

نحن جميعا لدينا طفل في داخلنا ، عندما تكون الأمور طبيعية يكون ذلك الطفل في داخلنا ساكنا ، لكنه تحت الضغط يبدأ بالصراخ ، فبعض (الأطفال الداخليين) يمكن إغضابهم أسرع من الأطفال الآخرين ، فحتى لو كان ذلك الطفل الداخلي صغيرا جدا لا يكاد يظهر ، فإن الضغط المناسب عليه سوف يجعله يصرخ . ولا فائدة من إنكار ذلك الطفل فينا ووضعه هو الآخر خلف ستار ، فالرجل القوي المتوازن حقيقة يعترف بذلك الطفل في داخله ويهتم به ويرعاه ، لأنه بذلك يستطيع رعاية الآخرين ، أما تجاهله فهو مما يتيح خروجه منفلتا في أي وقت . والاستجواب البوليسي الحديث يعتمد على هذه المعادلة في إظهار ذلك الطفل في الإنسان المستجوب . عليك فقط أن تكثر من الضغط مع قطع أية إمكانية للتعضيد العاطفي لتجد ذلك الطفل ظاهرا يصرخ . كذلك المرأة لابد أن تعتني بالطفلة داخلها فهي هناك قابعة ، والأم التي تشكو من أذى أطفالها وضغوطهم هي ابتداء قد أقفلت الباب على الطفلة الصغيرة الكامنة في داخلها . فالطفل الذي يصرخ في الخارج هو انعكاس للطفل الذي في الداخل . والاعتراف بالطفل الداخلي هو اعتراف بطلب الحب والرعاية ، والخجل من هذا الشعور ووضعه خلف الستار يعقد المشكلة اكثر مما يحلها ، حتى لو كان هذا الشعور ضعفا . فالشعور الضعف ليس المشكلة . المشكلة هي الاعتراف به ، الاعتراف بأن فينا جميعا طفلا صغيرا أو طفلة صغيرة

التطرف السياسى :

■ إذا قسمنا شعورنا الى (جيد) (ورديء) وحب وكره ، ونسبنا كل ما هو كريه ورديء للآخرين ، وكل ما هو جيد وإيجابي لنا ، فإنها طريقة مرضية في النظر الى الأمور . إنها عقدة الاضطهاد ، ليس بمعناها المرضي ولكن بمعناها العلمي . وإذا كان لومنا للآخرين على ماهو سلبي مؤقتا يزول بزوال العارض كما يحدث عندما نتحمس لفريق كرة القدم الذي نشجعه ، فإن ذلك شعور طبيعي يساور كثيرين منا ، أما إذا كان ذلك الشعور مستمرا ويجعلنا ننفس عن أنفسنا ونرتاح ونضع كل شعور سلبي بشكل دائم على الآخرين ، فذلك هو جنون الاضطهاد

وعندما تنظر الى السياسة من حيث تبرير تصرفاتك ومواقفك ، في شكل لوم على الآخرين وتحميلهم تبعات كل ما هو سيء ، فذلك عمل فني من الطراز الأول . نحن نشاهد هنا الكثير من تصرفات عقدة الاضطهاد ، وترداد هذه العقدة وتتضح لدى المتطرفين سياسيا ، فالرجال الأصحاء يدخلون السياسة كما يدخلون مباريات كرة القدم ، ربما يشعرون بالغضب عندم يناقشون آخرين من مجموعات أخرى في تصرفاتهم ، ولكنهم بعد ذلك ينزعون العداء وينظرون الى مناوئيهم السياسيين كبشر

اما المتطرفون في السياسة فلديهم مشكلة ، فهم لا ينظرون الى معارضيهم كبشر لهم وجهات نظر مخالفة ، إنما ينظرون اليهم على أنهم أناس (اناس سيئون) هؤلاء الناس عندما يكرهون ، فهم يكرهون ما بأنفسهم ، وما وضعوه خلف الستار (في التجاهل الاختياري) ويتحاشون النظر اليه ، الى أخطائهم . والانغماس الكامل في السياسة بهذه الطريقة هـ في الحقيقة لوضع صراع ذاتي مؤلم خارج النفس ، ونكران الاعتراف بهذ المشاكل الذاتية . مثل ذلك مثل القيام بحرب تشنها دولة قد لا يكون لها سبـ منطقي عبر توجيه الرأي العام نحو قضايا خارجية ، ومحاولة تصدير صرا داخلي تشنه ضد الآخرين . فماذا يحدث لو ظهرت خطورة أن يستمعو ويقتربوا من الاقتناع بوجهة نظر أعدائهم السياسيين ؟ سيكون ذلك أكثر خطورة لأنهم عند ذلك سيواجهون أخطاءهم ونقاط ضعفهم ، سوف يرتفع الستار ليخرج الى السطح ماأرادوا دائما إخفاءه ، ويرون في أنفسهم أسو ما نسبوه الى الآخرين ، واذا ظهر احتمال حدوث ذلك ، فانهم يسرعون الى تدبيج الخطب باتهام الآخرين وتهديدهم ، وبذلك يؤخرون المواجهة مع أنفسهم وقتا أطول ، أو يقللون من مواجهة أخطائهم الى درجة يمكن تحملها

لهذا السبب فان المتشددين والغلاة يحتاجون الى هذا التشدد وتلك المغالاة كي يبقوا أصحاء عقليا

من ظواهر التطرف السياسي ان المجموعات فيما بينها لا تستطي التفاهم ، انهم دائما ينقسمون ويكونون مجموعات جديدة ، لأن المتشدد المغا يرسم حدودا ضيقة حول نفسه ويبعد الشعور الذي لا يريده ، كما ا لا يستطيع ان يعقد صلحا ، فهو محور بقاء معتقداته ، يعتقد انه مثالي اكثـ مما هو في الواقع ، ويسقط المتطرف كل الشعور السلبي الذي لديه من القسو والحقد والغضب والغيرة ، مبررا كل ذلك بأن (عدوه) أكثر قسوة ، وهذا ه ما يبرر لماذا يكون الانسان شديد القسوة على أخيه الانسان

انه من الصعب أن تعالج شخصا له مواقف سياسية متطرفة ومغالية فقط عليك أن تعطيه بعض الدواء . . !

محمد الرميحي

تساؤلات

شعر : الدكتور عيسى درويش

أتسألني عَنِ الماضي
وتتركني إلى الآتي
وعند القادمِ المجهولِ
أغرَقُ في خيالاتي ؟!

تُرى ..... يا زهرةَ الأيّامِ
يا أنشودةَ الزمنِ ......
يمرُّ اليومُ إثرَ اليومْ
يمرُّ العامُ مثلَ اليومْ
وبين الحُزْنِ والأفراحْ
بين الدمعِ والأقداحْ
خيطُ الصَّحْوِ والوَسَنِ ؟!

فلا تسألْ ....
فإنّ العُمْرَ .... مثلُ النهرْ
هذا يموتُ عند البحرْ
وذاكَ يموتُ في الزَّمَنِ
....

أتسألني عنِ الشّعرِ
وسرِّ الطيبِ في العِطْرِ
وَهلْ تدري ....
بأنَّ الشِّعرَ ..... مثلُ الروحِ
شيءٌ غامضُ السرِّ ؟! ....
تُرى هل موجةُ البحرِ
يحركها هوى البحرِ ؟!
أم الأحزانُ تضربُه
فيمضي هائجاً يجري ؟
وبين البرِّ والبحرِ
وبين الريحِ والمطرِ
وبين الشمسِ والقمرِ
مواضيعٌ بلا نظَرِ
فَلا تَسألْ عَنِ السِّرِ
وسرِّ الروحِ ...... والشعرِ
فكلُّ خليقةٍ تمشي
كما خطَّتْ يدُ القدرِ

العربي ـ العدد ٣٤٦ ـ سبتمبر ١٩٨٧

جسر من كلمات ونور

بقلم : الدكتور عبدالعزيز كامل

> « لو كان هذا الجسر مجرد لقاء أفكار لقلنا إنه من الكلمات ولو كان مجرد لقاء قلبين لقلنا إنه من النور . ولكنه جسر يضم العقل والقلب جميعا . وهو قادر على أن يمتد عبر الزمان والمكان ، غير متقيد بوحدة إلا وحدة الانسانية في شمولها » .

في هذا الحديث نذكر نماذج من الجسور ، وهي إن تغيرت في مظاهرها ـ والتغير في الحياة يتدفق كما يتدفق النهر ـ إلا أن حقيقة كبيرة تظل كامنة فيها متجلية منها ، حقيقة يظل الأفراد وتظل المجتمعات في حاجة دائمة اليها

ولنذكر نموذجين أحدهما من الشرق والثاني من الغرب

مالك والشافعي وأحمد بن حنبل

ونستطيع أن نستبدل بهؤلاء الاعلام أقطارا فنقول إن الجسر كان بين الجزيرة العربية والعراق ومصر مرورا بديار الشام

ولنأخذ واسطة العقد وهو الامام الشافعي نصحبه وهو في حداثته في مكة يتلقى العلم في المسجد الحرام ويختلف الى شيوخه ، وتتطلع نفسه الى ا
يتلقى عن عالم المدينة الامام مالك ، وحصل عل
خطاب تزكية من والي مكة الى والي المدينة ليقدمه ا
مالك . ونقتبس من هذه القصة بعض ما أورده عن
ياقوت في معجم الأدباء حاكيا عن الشافعي ، وقد
سار معه والي المدينة الى بيت مالك ، منهيا هذ
اللقاء ، واستأذن ، وأعلم مالكا عن طريق جار
البيت أنه يحمل اليه رسالة من أمير مكة ، وعاد
الجارية وفي يدها كرسي فوضعته ، يقول الشاف
« ثم إذا أنا بمالك قد خرج وعليه المهابة والوقار
فجلس . فرفع اليه الوالي الكتاب فقرأه . و
بالكتاب من يده ثم قال

« سبحان الله ، أو صار علم رسول الله صلى عليه وسلم يؤخذ بالوسائل ؟ » فرأيت الوالي

ـب أن يكلمه ، فتقدمت اليه ، وقلت . اصلحك الله . اني رجل مطلبي (من بني ـبد المطلب) وقص عليه الشافعي قصته وكان الك فراسة ، فقال ما اسمك قلت محمد ، ـقال يامحمد ، اتق الله ، واجتنب المعاصي ، فانه ـيكون لك شأن من الشأن ، إن الله قد ألقى في قلبك ـورا فلا تطفئه بالمعصية ، اذا كان الغد تجيء ويجيء من يقرأ لك »

هذه الكلمة من مالك ، من الجسور بين عقلين وقلبين . لقد تفرس مالك في الشافعي ورأى فيه نور وأحس فيه العقل . ودعاه الى أن يحافظ على هذا النور فلا يطفئه بالمعصية ، ودعاه الى مجلس العلم فلنتظر ماذا كان في المجلس

جاء الشافعي في غده ، ومعه موطأ الامام مالك ـيقرأه عليه ، فابتدأ يقرأ . فأعجب مالك بحسن ـراءته فكان الشافعي كلما تهيب الاستمرار في لقراءة يقول له مالك زدْ يافتى . وبذلك أتمه في لقراءة على مالك في أيام يسيرة

جانب ثالث كمله مالك للشافعي ، وقد كان يعاني ـن ضيق ذات يوم وكان مالك يرعى المحتاج من ـلاميذه وصحبه الشافعي نحو تسع سنين عاد ـعدها الى مكة ، وفيها لقي والي اليمن الذي صحبه ـولاه أمر نجران ، وأراد أهلها أن يصانعوه ، فلم ـجدوا عنده إلا العدل والاستقامة

وضاق به بعض القادرين من أهل النفاق ـالظلم ، فاتهموا الشافعي بأنه مع العلويين ، ـسلوا بهذا الى الخليفة العباسي الرشيد ، وقال ـالي الذي سعى بهذه الوشاية « إن ها هنا رجلا من ـ شافع المطلبي ، لا أمر لي معه ولا نهي ، يعمل ـانه مالا يقدر عليه المقاتل بسيفه »

وسيق الشافعي مكبلا بالحديد من نجران اليمن بغداد ، سنة ١٨٤هـ وسنه وقتئذ نحو أربع ـلاثين

وفي هذا الموقف العصيب يسر الله له جسرا آخر من النور والكلمات

فلقد أحسن القول أمام الرشيد وكان في مجلسه محمد بن الحسن الشيباني وهو أيضا من تلاميذ مالك وأبي حنيفة معا

كان محمد بن الحسن وقتئذ قاضي بغداد ، واستأنس الشافعي عندما رآه . ولعلهما التقيا من قبل في مجلس مالك بالمدينة

فقال الشافعي مخاطبا الرشيد « إن لي حظا من العلم . وإن القاضي محمد بن الحسن يعرف ذلك » فسأل الرشيد محمدا فقال « له من العلم حظ كبير ، وليس الذي وقع عليه من شأنه »

ووجد الرشيد في هذا القول ذريعة ، فقال لمحمد بن الحسن وهو أهل ثقته « خذه اليك حتى أنظر من أمره » وكان هذا آخر العهد بهذه الإدانة الظالمة

وكان محمد بن الحسن للشافعي في بغداد كما كان مالك له في المدينة يسر له الانصراف الى العلم ، وأنزله في بيته ، وآواه ، وتلقى عليه فقه العراقيين ، واجتمع له بذلك فقه الحجاز وفقه العراق

واستطاع بهذا الجمع مع الموهبة العقلية وطهارة القلب والتفرغ للعلم أن يضع القواعد ، وأن يصل الى مرتبة الاجتهاد وخير شاهد لذلك كتابه « الرسالة » الذي وضع به علم « أصول الفقه »

ومع أن الشافعي استقل عن مالك ومحمد بن الحسن وكتب في ذلك كتابا سماه « خلاف مالك » وكتابا سماه « خلاف العراقيين » إلا أن الاحترام العميق الذي ظل يكنه ويعلنه لهما ، وعرفان الجميل والأدب والأمانة في العرض والنقد ظلت من أبرز صفات الشافعي ، وهي « جسور » عرفان الجميل نحو أساتذته ، وتقابل « جسور » الخير العقلي والقلبي والمادي التي سبق أن أنشأها أساتذته نحوه ونحو نظرائه من تلاميذهم

نستطيع أن نتتبع عودة الشافعي بعد هذا الى مكة ، ثم عودته الى بغداد ، وقد ازداد نضجه

وهناك تتلمذ له أحمد بن حنبل الذي لقيه في مكة من قبل ، وعجب من عقله وفكره ، ولم تطل إقامته في بغداد ، ولعل الصراع السياسي والعسكري بين الأخوين الأمين والمأمون جعله يؤثر الهجرة من بغداد ويؤثر الاقامة في مصر ، وكان فيها تألقه ثم مثواه ورحيله عن دنيانا سنة ٢٠٤هـ وهو في الرابعة والخمسين من عمره ويروي عنه الحافظ بن كثير في تاريخه أنه كان يقول « وددت أن الناس تعلموا هذا العلم ولا ينسب إليّ شيء منه ، فأوجر عليه ولا يحمدوني »

ونستطيع أن نتتبع العلاقة بين الشافعي وابن حنبل ، وكان بينهما ما يتفقان معه ، وما يختلفان ولكن مع الأمرين ، بينهما التوقير والمودة والاخلاص

تولستوي ورومان رولان وهرمان كيسه

ومن جسور الشرق ننتقل الى جسور الغرب ، وحديثنا عن ثلاثة من عمالقة الأدب الأول روسي والثاني فرنسي والثالث ألماني فما الذي يربط بينهم ؟

ولنذكر أن وفاة الأول كانت عام ١٩١٠ والثاني عام ١٩٤٤ والثالث عام ١٩٦٢

اكتب هذه السطور وأمامي كتاب هرمان هيسه « عقيدتي مقالات عن الحياة والفن » ط . ١٩٨٥ ، وله عدة طبعات سابقة ، وكان حصول الكاتب على جائزة نوبل في الأدب عام ١٩٤٦ وفي الكتاب مقالان عن رومان رولان أولهما عن علاقته بتولستوي وكان نشر هذا المقال عام ١٩٢٢ تعقيبا على كتاب رولان « حياة تولستوي » يقول هيسه (والترجمة هنا للمعاني أكثر منها للألفاظ)

« كل انسان يعرف شيئا عن رومان رولان ، يعرف الدور الكبير الذي قام به تولستوي عندما كان رولان طالبا حديث السن في باريس ففي يوم من الأيام جلس رولان ونفسه ممزقة بين شكوكه وأخلاقياته واختياره طريق المستقبل ، أيتجه الى الفن أم الى حرفة يعيش منها ؟ فكتب الى تولستوي حم لعله لم يكن يتوقع له ردا ، خطابا كان أكثر اعتراف ، كان محاولة لتوضيح الذات ، كان ص يأس أكثر من كونه سؤالا

ولكن شيئا يبهر النفس حدث ، فلقد أرسل الشيخ الروسي الذي عمت شهرته العالم الى هذا الطالب المجهول الحديث السن في باريس رد رسالته كان ردا كريما عطوفا ، ومفصّلا ، فيه عناية واطمئنان نفس كان ردا من عدة صفحات

كانت هذه التجربة عميقة الأثر في نفس الطالب رولان ، وعندما نشر كتابه نحو عام ١٩١٢ بعنوان « حياة تولستوي » أي بعد وفاته بعامين تقريبا ، لم يكن الكتاب دراسة لشخصيته ، ولا مجرد دراسة أدبية طيبة ، ولكن كان أيضا اعترافا عميقا بالجميل ، وتعبيرا عن حب مخلص وتقدير يستمر مدى الحياة

إن قدرة رولان على إبداع هذا الكتاب عن تولستوي بكل ما فيه من إنسانية وحب وحيوية كان ثمرة لخطاب تولستوي ، الذي لم يكن مجرد فنان كبير وداعية مؤثر ، ولكنه كان إنسانا مبادرا الى تقديم العون ومملوءا بالحب الأخوي

هذه الجوانب كانت العناية الأساسية في كتاب رولان عن تولستوي ، بمعركة حياته التي لم تنقطع فيها الآلام ، والتي شملت الكثير من الصعاب والهموم والاحباط ، ولكنها كانت حياة صادقة دائما وفي الكتاب دراسة لروائع تولستوي وبخاصة كتبه الباكرة القوزاق ، الحرب والسلام ، أنّا كارينا وإن الصفحات التي كتبها رولان عن الحرب والسلا تعتبر من أروع ما كتب في حياته وأما لسعادة أ يرى الانسان في هذا الكتاب ماذا يستطيع الحب أ يصنع الطريقة التي فهم بها الفرنسي رولان الروسي تولستوي وكيف يفهم هذا المثق الفرنسي باتجاهاته الاشتراكية في غرب أوروبا ، ه الصوفي الشرقي ، وكم كان عادلا معه ، وكيف ك

يبذر نظرياته،وكيف تتبعه في آماد حياته الدينية ، وكيف أنه لم يكن يتتبع الأخطاء العابرة ، ولكن الخطوط الأساسية في حياته ان قراءة هذا الكتاب متعة نادرة وغير عادية »

وندع الآن هذا التعقيب من « هيسه » على كتاب رولان عن تولستوي ، وهو مجرد نموذج لانتقال التأثير عبر الكلمات والاحساس نموذج للقاء الانسان بالانسان

جسور في تراثنا وحياتنا

ونعود الى حياتنا ويستطيع كل فرد منا أن يحصي من هذه الجسور الكثير فقط كل الذي يتحراه أنها تجمع بين الفكر والمودة،بين العلم والحب

ونبدأ بقول الله تعالى موضحا الصلة التي تربط بين الرسول والمؤمنين بالعمل لله وهي صلة تجمع بين العلم والحب

يقول تعالى مخاطبا رسوله « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم » (آل عمران ٣١)

والآية تجمع بين الاتباع ومدخله العلم ، والحب وهو ثمرة الايمان والمعرفة وبهذا كان الحب في الآية طريقا وغاية

ولا نستطيع أن نتصور مسار الاسلام إلا بتحقق هذين الأمرين العلم والحب وكل مسلم يحس أن بينه وبين الله تعالى وبين الرسول عليه الصلاة والسلام هذا الرباط أو قل هذا الجسر قد يبدو بارزا في شخوص حملت الكبار من مسئوليات الاسلام ولكنه ميراث مشترك ، لكل مسلم فيه نصيب

ان القرآن الكريم ـ وهو كتاب الله وكلامه ـ انتقل من فم الى أذن ، وتعيه قلوب واعية ، وسلاسل الحفاظ يرفعونها ليصلوا بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك سلاسل الأحاديث الشريفة

وان الجانب الأكبر من حفظ التراث الاسلامي ، والاضافة اليه كانت عن طريق سلاسل من العلماء تبدو فيهم قمم عالية ، هي شوامخ الفكر الاسلامي ، وتجمع بين العلم والحب معا

كأمثلة مجرد أمثلة انظر الى الامام أحمد بن تيمية وتلميذيه الامامين ابن القيم وابن كثير ومن تاريخنا القريب لك أن تنظر الى هذه السلسلة بحلقاتها الثلاث جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا ولكل منهم أكثر من زميل وتلميذ تلقى ووعى عنه وأبدع وحفظ الجميل والحب ونشر العلم

الحاجة الى جسور جديدة

ولكن ألا نحس الآن أن هذه الجسور قد قلت في حياتنا ؟

قد نجد الترابط العلمي ، ولكن لا نجد معه التوقير والمودة ، وقد نجد الحب ، ولكن لا نجد معه الوزن العلمي الدقيق

ولأضرب مثالا من الحياة العربية والاسلامية المعاصرة ، ولن نرجع الى أكثر من نصف قرن الى الحرب العالمية الثانية وما بعدها

لقد شهدت هذه العقود القريبة تطورا ضخما في حياتنا العربية والاسلامية ظهرت دول استقلت دول اشتد التفاعل مع المعسكرات العالمية تزاحمت التيارات الفكرية فوق أرضنا قامت أكثر من حركة اسلامية فيما اصطلحنا على تسميته بالصحوة الاسلامية تعددت الاجتهادات والآراء ولكن لا نحس أن هناك مائدة حوار واحدة يستطيع أبناء العروبة أو أبناء الاسلام أن يجلسوا اليها ، ودليلهم البحث العلمي المجرد ، ونورهم الحب والمودة

ان الدفاع عن الفكرة أصبح دفاعا عن صاحبها ، واختلطت ـ أو امتزجت ـ الأفكار بالأشخاص ، وأصبح البحث العلمي في قضايا العروبة والاسلام كأن الطرفين فيه ممثل الادعاء وممثل الدفاع . ولكن أين القاضي ؟

لك أن تنظر الى قضايانا على المستوى السياسي أو الاقتصادي أو العسكري لك أن تنظر الى العلاقات بين المذاهب الاسلامية ، وقد تطورت الى الحرب والسلاح والتخريب وتمزيق الأوطان وحرب الجيران والكل خاسر والمستفيد تاجر السلاح وباعة المنشآت الذين يبنون ما تهدمه الحروب وهؤلاء المستفيدون قد فرغوا ـ أو كادوا ـ في ديارهم من أمراض العصبيات الضيقة، دينية كانت أو سياسية ، واتجهوا الى الابداع العلمي والتقني وتسابقوا فيه ولازالوا يتسابقون . وبينهم آفاق تعاون يعرفونها ، وآفاق تنافس يحددونها ، وآفاق صراع لا يتعدونها

عندهم من السلاح أضعاف ما عندنا وأقوى ، ولكنها للردع لا للقتال

وعندنا القليل الذي يسمحون به ، وبعضه لتوازن القوى ، والبعض للاستهلاك فوق أرضنا وبأيدينا ولأبنائنا

ألا نحتاج نحن الى جسور جديدة ومنهج جديد يجمع بين العلم مع دراساته الموضوعية دون تعصب ولا توتر ، وبين المودة دون تهاون أو ميل مع الهوى ؟

هذه هي الجسور التي نحتاج اليها في مرافقنا

ـ نحتاج اليها في جامعاتنا لتحيا بها تقاليد عريقة كانت بين الأساتذة والطلاب قبل أن تتحول جامعاتنا الى معامل تفريخ شهادات إلا ما رحم ربك

ـ نحتاج اليها معاهدنا الدينية ليتخرج فيها عالم الدين القادر على أن يجمع القلوب والعقول على حب الخير والعمل له والتحول الى الانتاج والتقرب الى الله بالعمل وعمارة الحياة وكراهية الظلم وحب العدل

ـ نحتاج اليها في حياتنا السياسية ومن الساسة ؟ إنهم إفراز جامعاتنا ، وحصاد نظام التربية القائم فالسياسة هي الصورة التنفيذية لنظام التربية عندما تكون السلطة في يده ، نحن محتاجون الى ساسة لا ينعزلون عن الشعب، ويضعون أيديهم دائما على نبض الامه وآماله ، ساسة قادرون على إدارة شئون الداخلية والخارجية بوعي وتدارس ومتابعة تتوطد بها المؤسسات ، وتتجدد بها صفوف القيادات المتتابعة .

بحيث تصبح السياسة مدرسة سياسية للتكوين والتدريب على التنفيذ

ـ نحتاج اليها في حياتنا الاقتصادية بحيث يصبح للعمل والانتاج قداسة

نعم قداسة ترفعه الى أن يكون الميزان الأول لمكانة الفرد في المجتمع ، وأقصد العمل في أوسع آفاقه العمل الفكري واليدوي والتنظيمي

كل هذه جسور نحن في حاجة اليها ولكن من أين نبدأ ؟

إن نقاط البدء قائمة ، والحياة لا تنتظر أحدا وهي تسير بنا ، إن لم نسر بها ، ولكن الحديث هنا موجه الى المؤسسات مباشرة ، وتستطيع كل مؤسسة بإمكانياتها وقدراتها أن تتخذ الى ذلك سبيلا ، وما عليها من حرج ، فقط تحتاج المؤسسة الى الارادة والتخطيط لها والسير والمتابعة ثم التنسيق مع غيرها إن الحديث ليس على المستوى الفردي ، ولا على مستوى الدولة ، وإنما على مستوى المؤسسة وهي ـ عمليا ـ الجماعة الأقدر على الحركة والتطوير

ولنبدأ بأمل محدود هل تستطيع هذه المعاني أن تجد طريقها الى عقول شبابنا وأبنائنا ، ولو عن طريق الاعلام والصحافة وكتب القراءة المدرسية ؟ وهل نجد من مؤسساتنا من يسارع في الاستجابة ؟

الأمل كبير . والحياة أمل وعمل □

كتابات صهيونية

الثقافة "اليهودية"

بقلم : الدكتور عبد الوهاب محمد المسيري

تتحدث الكتابات الصهيونية - وتتبعها في ذلك بعض الكتابات العربية - عن « الثقافة اليهودية » ، وهذا الإصطلاح - شأنه شأن المصطلحات الأخرى ، مثل « التراث اليهودي » ، و « التاريخ اليهودي » ، و « العرق اليهودي » ، و « الشخصية اليهودية » - يفترض وجود إبداع « يهودي » مستقل عن إبداع الأمم التي يعيش اليهود بين ظهرانيها ، وهو افتراض تدحضه الشواهد التاريخية

العبرانيون منذ ظهورهم في التاريخ قد تبنوا حضارات الأمم الأخرى ، ابتداء من اللغة ، ـرورا بالمفاهيم الدينية ، وانتهاء بالطراز عماري ، وعلى سبيل المثال فليس هناك طراز ودي معماري ، أو فن يهودي مستقل ، فهيكل ليمان من الطراز الآشوري الفرعوني ، والمعابد هودية في الوطن العربي من الطراز العربي ، أما في جنوب الولايات المتحدة في القرن التاسع عشر فمن النمط (النيوكلاسيكي) السائد هناك آنذاك ، والفنانون التشكيليون « اليهود » في العصر الحديث أمثال مارك شاجال ينتمون إلى تراث فني غربي ، ولا يمكن رؤيتهم في إطار تراث يهودي مستقل

ولم يعرف أيضاً تراث أدبي يهودي مستقل ، فالأدباء اليهود المستعربون في الجاهلية والإسلام

اتبعوا التقاليد السائدة في عصورهم ، وكذا الأدباء اليهود في الولايات المتحدة وانجلترا ، إبداعهم الأدبي مرتبط بالتراث الذي ينتمون إليه ، وهذا أمر طبيعي ومتوقع ، بل إن التراث الديني اليهودي نفسه ليس تراثاً مستقلاً بأي حال من الأحوال عن الموروث الديني والتقاليد والأفكار الدينية السائدة في الشرق الأدنى القديم ، خاصة بلاد الرافدين ، كما لا يمكن فصله عن الإرهاصات الدينية التوحيدية في مصر ، وعبادة يهوه في سيناء ، ولعل تطور اليهودية - من عبادة (يسرائيل) شبه الوثنية التي لا يوجد فيها مفهوم لليوم الآخر والثواب والعقاب إلى اليهودية التي تعد نسقاً دينياً توحيدياً متكاملاً - هو أكبر دليل على تأثير الحضارات المصرية والبابلية والآشورية ثم الفارسية والهيلينية على المعتقدات الدينية اليهودية

بل إن جوانب كثيرة من الرسالات العامة للعهد القديم من تعظيم الله الواحد الذي لا تدركه الأبصار ، والوصايا العشر ، والروح العامة للأنبياء العبريين ، والأمثال ، والمزامير أصبحت جزءاً من التراث الديني المسيحي ، أما التراث (التلمودي) وكتب التفسيرات الضخمة فلم تكن معروفة عمليا لعامة اليهود ، وكانت هذه الكتب أو على الأقل الرؤى التي تتجسد من خلالها تؤثر في سلوك اليهود ، لكنه تأثير جزئي لا يشاكل بأي حال أثر تراث بلدهم الحضاري الذي يتفاعلون معه ، ويبدعون من خلاله ، ويدورون في إطاره ، ويدركون العالم ككل من داخله

يقول آرثر كوستلر (المؤلف الانجليزي اليهودي) إن ما يعرف « بالتراث اليهودي » أو الثقافة اليهودية أمر ليس من السهل تعريفه ، إذ أن كل ما يصدر عن أعضاء الأقليات اليهودية في العالم ليس يهودياً بالمعنى المحدد ، وليس جزءا من تراث قائم ، فالإنجازات الفلسفية والعلمية والفنية لليهود الأفراد تتوقف على معطيات ثقافات الشعوب الأخرى وحضاراتها ، ولا تمثل عطاء حضارياً عاماً ، أو جزءاً رئيسياً مستقلاً عن التراث

« لغات اليهود »

لعل أهم وعاء من أوعية أي موروث حضاري هـ اللغة ، ومن المعروف أن اليهود لم يتحدثوا باللغة الـ تعرف بالعبرية إلا فترة قصيرة جداً ، فلغة الآبا - ابراهيم واسحق ويعقوب - كانت لهجة سامية قريبة من العربية أو الآرامية ، أما العبرية فكانت لهجة من اللهجات الكنعانية ، ولم يتخذها اليهود لساناً لهم إلا بعد إقامتهم في كنعان (فلسطين) ، ويبدو أنها اختفت كلغة للحديث بين اليهود مع التهجير البابلي

أما لغة الحديث التي كان يستخدمها أعضاء الأقليات اليهودية بعد انتشارهم في العالم في تعاملهم مع الأغنياء فقد كانت في معظم الأحيان لغة الوطن الذي استقروا فيه وانتموا إليه ، أو إحدى اللغات الدولية السائدة ، فكان يهود بابل يتحدثون الآرامية ، لغة التجارة الدولية والإدارة في الشرق الأدنى القديم ، وكان يهود الاسكندرية في العصر الهليني يتحدثون اليونانية ، وبعد انقسام الامبراطورية الرومانية كان يتحدث يهود الامبراطورية الشرقية لغة هذه الامبراطورية ، أي اليونانية ، أما يهود الامبراطورية الغربية وأفريقيا وغرب أوروبا فكانوا يتحدثون اللاتينية ، وكانوا يتحدثون العربية في الوطن العربي ، وهكذا وفي بعض الأحيان كان أفراد الأقليات اليهودية يستخدمون في التعامل فيما بينهم رطانات مكونة من اللغة الأم بعد أن تدخل عليها بصبغة كلمات ومصطلحات عبرية ، فيهود الأندلس على سبيل المثال كانوا يتحدثون برطانة تسمى العربية اليهودية ، ويهود اسبانيا كانوا يتحدثون اللادينو أما يهود أوروبا فكانوا يتحدثون اليديشية التي تحول في مرحلة لاحقة الى ما يشبه اللغة المستقلة للحد- والكتابة ، وكان أفراد الأقليات اليهودية كثيرا

يستخدمون الأبجدية العبرية في كتابة هذه الرطانات في المعاملات اليومية ، مثل (الفواتير) التجارية ، أو أمور الدنيا الأخرى ولم يكتب أحد من هذه الأقليات اليهودية أدباً ذا بال بهذه الرطانات ، سواء في العصور الوسيطة أو في العصر الحديث ، وربما يمكن استثناء اليديشية من ذلك ، فنظراً لأنها عمّرت طويلاً وأصبحت لغة مستقلة يتحدث بها معظم يهود العالم الغربي في القرن التاسع عشر قد كتب بها أدب شعبي للنساء ، وللعامة في بادىء الأمر ، ثم كتبت بها أعمال أدبية ، بعضها يرقى لمستوى الأعمال الجادة ، لكن هذه المرحلة دامت فترة قصيرة جداً ، بسبب اختفاء اليديشية

ومع بدايات العصر الحديث وخروج اليهود من (الجيتو) وتحديثهم ، وبانتهاء تميزهم الوظيفي بدأت تختفي هذه الرطانات ، إذ أن الدولة القومية الحديثة طالبت أفراد الأقليات بأن يكون انتماؤهم القومي لأوطانهم كاملا وقد تعرضت اليديشية خاصة لهجوم شديد ، لا سيما أن التجار اليهود كانوا يستخدمونها ، مما سهل عليهم غش الآخرين وتظل الصورة اللغوية العامة بالنسبة لأعضاء الأقليات اليهودية في العالم - فيما يختص بالحديث ولغة المعاملات اليومية - تنبىء بأنهم يتحدثون لغة الوطن الأم أساسا

لغة التأليف

أما بالنسبة للغة التأليف الديني فنجد أن العهد القديم قد كتب بعبرية العهد القديم التي اختفت كلغة حية بعد التهجير البابلي ، ولذا نجد أن لغة التلمود هي الآرامية ، ومع هذا ظلت العبرية لغة المؤلفات الدينية في معظم الأحيان وليس كلها ، فقد وضع هليل وشماي مؤلفاتهم بالعبرية ، بينما وضع المفكرون اليهود في الاسكندرية في العصر الهيليني مؤلفاتهم باليونانية ، وكان موسى ابن ميمون يكتب بالعربية ، أما راشي فكان يكتب بالعبرية ، أما أدب القبالة الصوفي فقد كتب بالآرامية

وقد ظل هذا الوضع قائماً حتى القرن التاسع عشر ، حيث بدأ المفكرون اليهود يضعون مؤلفاتهم الدينية بلغة الوطن الأم فكتب موسى مندلسون بالألمانية ، وكذا فعل مارتن بوبر ، وكل المفكرين اليهود الإصلاحيين، ويكتب كثير من المفكرين اليهود الآن في الولايات المتحدة مؤلفاتهم الدينية باللغة الإنجليزية

أما بالنسبة للكتابات التي تقع خارج نطاق التفكير الديني من أدب وفلسفة وعلم ، والتي قام بوضعها مؤلفون يهود ، وهم قلة نادرة حتى القرن التاسع عشر ، فاللغة من البداية كانت لغة الوطن الأم ، فقد وضع فيلون السكندري مؤلفاته باليونانية ، أما موسى بن ميمون فكان يستخدم العربية ، وكذلك معظم الشعراء اليهود في الأندلس وفي العصور الوسيطة في الغرب لم يظهر مؤلفون يهود يعتد بهم حتى القرن السابع عشر حين ظهر سبينوزا (المنشق على اليهودية) الذي كتب مؤلفاته باللاتينية ، شأنه في ذلك شأن الكتاب الغربيين في عصره وغني عن البيان أن المؤلفات الرسمية-غير الدينية-للمؤلفين من أعضاء الأقليات اليهودية تكتب كلها في الوقت الحاضر بلغة الوطن الأم ، فيعقوب صنوع - الكاتب المصري اليهودي - قد كتب بالعربية ، وهايني وماركس كتبا بالألمانية ، وبروست بالفرنسية ، ودزرائيلي وسول بيلو بالانجليزية ، بل إن معظم (كلاسيكيات) الفكر الصهيوني قد كتبت إما بالألمانية أو بالإنجليزية وكان هرتزل لا يعرف العبرية ولا أبجديتها ، وقد حاول في المؤتمر الصهيوني الأول أن يدخل البهجة على قلوب الحاخامات الأرثوذكس، فنطق ببعض كلمات عبرية كتبت له بالأبجدية اللاتينية ، لكنه دوّن فيما بعد في مذكراته ملاحظة يقول فيها « إن محاولته هذه قد سببت له مشقة كبيرة ، تفوق كل متاعبه في الإعداد للمؤتمر » وقد كان هرتزل ونوردو وكثير من

المفكرين الصهاينة الأوائل لايؤمنون بوجود ما يسمى « بثقافة يهودية » ، وقد سخر هرتزل من هذا المفهوم بصوت عال ، حينما طرحه لأول مرة في أحد المؤتمرات ، بل إن هرتزل لم يكن يتصور أن تكون العبرية لغة للوطن القومي الذي يقترحه ، فقد كان يرى أن كل مستوطن يهودي سيتحدث بلغته

وقد نشبت في السنين الأولى من الاستيطان حرب تسمى حرب اللغة ، بين دعاة استخدام الألمانية (من أتباع الاستعمار الألماني) ، ودعاة استخدام العبرية (من يهود شرق أوروبا المؤيدين للاستعمار الانجليزي)

رغم هذا كله تنطلق الصهيونية من مفهوم « الثقافة اليهودية » المستقلة ، بل إنها تجعل منه إحدى ركائزها الأساسية ، خاصة بعد أن انضم إلى صفوفها يهود شرق أوروبا من دعاة الصهيونية الثقافية الذين كانوا ينادون بأن اليهودية هي هوية (اثنية) بالدرجة الأولى ، لها تراثها الثقافي المستقل ، وشخصيتها الثقافية المستقلة ، ولغتها المستقلة (العبرية) ، وقد عارضتهم في ذلك ثلاثة اتجاهات يهودية

١ ـ اليهود المتدينون الذين يؤمنون بأن اليهودية ليست مجرد تراث ثقافي ، وإنما هي انتماء ديني ، وأن اللغة العبرية لغة مقدسة (ليشون هاقدوش أي لسان مقدس) ، لا يصح استخدامها في الحياة اليومية أو في شئون الدنيا

٢ ـ اليهود الاندماجيون الذين كانوا يتركزون أساساً في فرنسا وانجلترا وألمانيا ، أي غرب أوروبا والذين كانوا يتركزون في الولايات المتحدة ، وهؤلاء كانوا يرون أن اليهود يكتسبون هويتهم الثقافية من الثقافات القومية المختلفة التي يتصلون بها ، وقد استبعد معظم هؤلاء كل الإشارات القومية والمصطلحات العبرية حتى من الصلوات اليهودية

٣ ـ اليديشيون أو دعاة الثقافة اليديشية الذين كانوا مركزين في شرق أوروبا التي كانت تضم غالبية
يهود العالم آنذاك (في روسيا وبولندا أسا
ودعاة هذا التيار يرون أن يهود شرق أوروبا يشـ
أقلية ذات شخصية ثقافية قومية مستقلة . لكن
الشخصية ليست يهودية بشكل عام ، وإنما هي
أوروبية ، تتحدث وتفكر وتكتب باليديشية ،
لها أي علاقة بالعبرية وقد كان حزب البوند
تنظيم اشتراكي في أوروبا في أواخر القرن ال
عشر ، وكان يضم أعضاء الطبقة العاملة اليهو
شرق أوروبا ـ من أهم المدافعين عن الثق
اليديشية

تحت راية وهمية

تم الاستيطان الصهيوني تحت راية الامر
العربية ، والثقافة اليهودية العالمية العبرية الو
وكان المستوطنون الأوائل يرفضون أن يـ
« يهودا » ، وكانوا يعتبرون أنفسهم « عبرانيـ
يهدفون إلى إنشاء « دولة عبرية أو عبرانية » ،
علاقتها تماماً بالتراث اليهودي وقد ظل هذا ال
قائماً حتى منتصف الثلاثينيات ، ثم تم تبني مف
« الدولة اليهودية » ، بسبب إمكانياته الت
الواضحة ، لكن بعد إنشاء الدولة ما تزال
الثقافة اليهودية تلاحق الصهاينة داخل « ال
الصهيوني » وخارجه ، فكل مهاجر صـ
يستوطن فلسطين يحضر معه من وطنه الأصلي
الحقيقية التي تعلمها ، ونشأ عليها ، بحيث
« اسرائيل » إلى ساحة صراع بين هذه الحضـ
المختلفة وقد تفاقم هذا الوضع وبحدة حينما
مؤخرا أعداد كبيرة من الفلاشا من الحـ
والفلاشا يتحدثون الأمهرية (لغة معظم
الحبشة) ، ويصلون باللغة الحميرية (لغة ال
القبطية هناك) وتذكر إحدى الـ
« الإسرائيلية » أن معلقاً إذاعياً إسرائيلياً سأل
المهاجرين عن اللغة التي يتحدث بها ، ويبدو
يكن قد سمع عنها قط من قبل ، ولذا طلب
يكرر الإجابة ثلاث مرات ، قبل أن يستوعـ

أمهرية » ثم طلب منه أن يشرح معنى الكلمة !

لكن الصراع الأكبر هو الصراع الدائر بين ثقافة ؤسسي الدولة ـ الاشكار ـ من جهة ، وثقافة « السفارد » (من المتحدثين باللاديو) واليهود المستعربين من جهة أخرى . فالثقافة المهيمنة في « المستوطن الصهيوني » هي الثقافة ذات الطابع « الاشكاري » التي تسم المؤسسات الثقافية في « اسرائيل » بميسمها . أما ثقافة « السفارد » فقد تم استبعادها على قدر المستطاع . فلا تذكر الكتب المدرسية شيئاً عن إنجازات اليهود المستعربين داخل التشكيل الحضاري « الاسرائيلي » ، ولا عن إسهامات « السفارد » داخل تشكيل البحر الأبيض المتوسط بشكل عام ، وعلى الرغم من أن اليهود « السفارد » والمستعربين يشكلون الآن أكثر من نصف سكان التجمع الصهيوني فإن التوجه العام ما يزال اشكاريا غربياً

ويرى بعض دارسي المستوطن الصهيوني أن ثمة « ثقافة جديدة » متميزة آخذة في الظهور هناك ، وعاؤها اللغة العبرية الجديدة ، وأن هذه الثقافة ستخطى الانقسامات القديمة ، وتتجاوز الثقافات المختلفة التي حملها المهاجرون معهم ، ورغم أن مثل هذه الثقافة الجديدة ما تزال في طور التكوين ، باعتبار أن الاختلافات والانقسامات الثقافية ما تزال واضحة ، إلا أنه يمكن التسليم بأنه في إمكانية هذه الثقافة ـ من الناحية النظرية والمنطقية ، إن لم يكن من الناحية الفعلية أيضاً ـ أن تظهر وتكتمل معالمها بمرور الزمن . ومع هذا يمكن أن نضيف التحفظات التالية

١ ـ إن هذه الثقافة الجديدة ، ثقافة « الصابرا » ـ ي ثقافة الاسرائيليين المولودين على أرض فلسطين ـ ستكون ذات صبغة اشكنارية واضحة ، نظراً لاستبعاد « السفارد » (واليهود المستعربين) من ؤسسات صنع القرار ، ونظراً لأن صورة الذات في اسرائيل » اشكنارية ، ونظراً لأن أجهزة الإعلام ادارة « اشكنار » ينظرون للعالم بعيون اشكنارية ، ونظراً لأن الأشكال الأولى لهذه الثقافة قد تم صياغتها في غياب « السفارد » واليهود المستعربين

٢ ـ حينما تكتمل هذه الثقافة بأشكالها المختلفة لن تكون « ثقافة يهودية » ، وإنما ستكون « ثقافة اسرائيلية » ، تعبر عن تجربة المستوطنين الصهاينة في فلسطين ، وليس لها علاقة كبيرة بثقافات أعضاء الأقليات ، اذ سيظل هؤلاء داخل تشكيلاتهم الثقافية المختلفة ، يتفاعلون معها ، ويؤثرون فيها ، وتؤثر فيهم . ومن المعروف أن أعضاء جيل « الصابرا » لا يكنون كثيراً من مشاعر الاحترام والمودة نحو أعضاء الأقليات الذين تصفهم الأدبيات الصهيونية بأنهم شخصيات مريضة هامشية ، خانعة ، قابلة للنفي كحالة نهائية . وقد حدا هذا بجورج فريدمان ـ عالم الاجتماع الفرنسي اليهودي ـ أن يسمى « الاسرائيليين » بأنهم أغيار يتحدثون العبرية ، أي أن مواقفهم ورؤاهم لا تختلف كثيراً عن مواقف غير اليهود ورؤاهم إلا في وعائها اللغوي

٣ ـ لكن حتى هذا الوعاء اللغوي ـ أي العبرية التي ارتبطت دائما بأعضاء الأقليات من الناحية الدينية ، وبأعضاء المستوطنين في كافة نشاطات حياتهم ـ قد بدأت تحيط به المشاكل . اذ كتب مواطن عربي في « اسرائيل » يسمى انطون شماس رواية بالعبرية ، تسمى «أرابيسك»، أثنت عليها الناقدة الإسرائيلية يائيل لوتان ، وعبر الروائي الاسرائيلي « يهوشاوا » عن إعجابه بها ، وشبه كاتبها بالروائي الروسي نابوكوف الذي يكتب بالانجليزية . ويبدو أن الرواية ـ باعتبارها عمل فني جيد ـ ستفرض نفسها على الأدب العبري ، لكن كاتبها عربي فلسطيني غير يهودي ، أي أنه شخص لا يحمل عبء الوعي اليهودي ، وليس عضواً في القبيلة اليهودية ـ حسب قول لوتان ـ أي أن العبرية نفسها كوعاء يهودي قد انكسر على يد هذا الروائي العربي ☐

الاقتراض الخارجي

أزمة المديونية في العالم الثالث

بقلم : نعوم ابراهيم عبود

« التنمية الاقتصادية التزام يقع على المجتمع الدولي كله ، فمن واجب الدول جميعا أن تساهم في العمل على خلق نظام اقتصادي جديد عادل ، تستطيع بظله جميع الأمم أن تحيا دون خوف أو حاجة أو بأس ، وأن تسمو الى مرتبة العضو الكامل في أسرة الأمم »

تسعى البلدان النامية الطموحة - عقب حصولها على الاستقلال السياسي - لتحقيق تنمية اقتصادية سريعة ومتوازنة للقضاء على مظاهر التخلف الاقتصادي والاجتماعي. وقد تضطر الدولة بسبب ضعف قدرتها التمويلية من المدخرات المحلية الى الاستعانة بالقروض الخارجية التي تقوم عمليا بسد الفجوة القائمة بين الاحتياجات الاستثمارية المستهدفة والمدخرات القومية المتاحة ، فالقروض الخارجية، والخبرات الفنية، وأشكال المعونات المالية وغيرها من الدول الصديقة، تلعب دورا هاما في تسريع عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية . وبخاصة خلال المراحل المبكرة لهذه العملية

ويتوقف على كمية استخدام حصيلة القروض الخارجية مدى نجاح الدولة المقترضة في تخطيط مشاريع ناجحة للتنمية وتنفيذها ، يكون من شأنها تخفيف العبء الواقع على ميزان المدفوعات ، فكلما ارتفعت درجة إنتاجية مشاريع التنمية وكفاءتها زادت قدرة الدولة المقترضة على خدمة ديونها الأجنبية ، وتحمل أعبائها. ومع اطراد نجاح عملية التنمية التي لايمكن أن تتحقق تلقائيا ، والتي لا بد لها من جهد هادف ، وإرادة واعية مصممة تستطيع تدبيره وتوجيهها ، لتجتاز البلاد النامية الطموحة مرحلة التهيؤ للانطلاق في تنميتها ، وذلك بزيادة الاعتما على مواردها الخاصة ، وإمكانياتها الذاتية ، والقو المتنامية لاقتصادها الوطني ، والاقلال - تدريج

ـ ار ثانت ـ من الاستعانة بالقروض الخارجية ، لتـ ـل الى مرحلة الانطلاق التنموي ، وتوفر شـ وطه ، ومن تلك الشروط ارتفاع نسبة الدخل القومي المخصصة لأغراض الاستثمار المنتج ، وتحقيق الأهداف المنشودة الاقتصادية والسياسية رالاجتماعية والثقافية للبلاد

فاقم مديونية الدول النامية

تزايدت المديونية الخارجية للدول النامية ـ دول لعالم الثالث ـ بوتائر سريعة خلال الخمس عشرة سنة لماضية ، حتى غدت ـ في وقتنا الحاضر ـ تشكل حجاما كبيرة جدا ، وباتت من الظواهر المقلقة التي ستقطب اهتمام المجتمع الدولي ، بسبب عجز عدد ن الدول المقترضة عن تسديد الفوائد والاقساط لستحقة في أوقاتها ، واضطرارها الى « جدولة لديون » ، واللجوء الى المزيد من القروض الخارجية لجديدة ، لتسديد التزامات الديون القديمة ، استخدام القروض في نفقات غير إنتاجية ، أو في شاريع إقتصادية قليلة الجدوى ، وزيادة حدة عجز في موازين المدفوعات ، نتيجة قصور سياسات المالية والنقدية الحكيمة أو غيابها في بعض لك الدول

كل هذا أدى الى تطور مفزع في أرقام مبالغ نروض ، وزيادة المديونية الخارجية ، والى ارتفاع ساء خدمة الديون (الفوائد + الاقساط) الى ستوى حرج لكثير من الدول النامية

وتختلف أرقام المديونية الخارجية بين مصدر خر ، علما بأن المصدر الرئيسي لها هو تقارير البنك ولي وصندوق النقد الدولي الذي يستقي معلوماته الدول الأعضاء التي تستبعد عادة الديون سكرية وبعض الديون الخارجية التي تدفع بالعملة لية

وتشير تقارير البنك الدولي وبياناته إلى أن الديون رجية المتراكمة على الدول النامية ـ دول العالم ث ـ قد قدرت في عام ١٩٧٠ بمبلغ (٧٢) مليار دولار ، وصلت الى (١٦١) مليار دولار في عام ١٩٧٤ ، ثم قفزت الى (٢٧٩) مليار دولار في عام ١٩٧٧ ، ثم الى حوالي (٨٢٨) ملياراً في عام ١٩٨٤ ، مع التنويه أن الديون الخارجية لمجموعة الدول الاسلامية قد وصلت في العام المذكور (١٩٨٤) الى حوالي (١٩٠) مليار دولار

وفي احصائية جديدة قدّر إجمالي مديونية دول العالم الثالث عام ١٩٨٦ بحوالي (٩٧٠) مليار دولار ، منها (٣٨٠) مليار دولار لديون أمريكا اللاتينية وحدها ، طبقا للبيان المشترك الصادر في أوائل عام ١٩٨٧ إثر الاجتماع غير العادي للمجموعة الاقتصادية لدول أمريكا اللاتينية ودول الكاريبي الذي عقد في (مكسيكو) بشأن الديون الخارجية لهذه الدول

خدمة الديون الخارجية

يقصد بخدمة الديون مجموع الفوائد وأقساط استهلاك القروض المستحقة سنويا على الدولة المقترضة لتسديد ديونها تجاه دائنيها

لقد بلغت خدمة الديون على بلدان العالم الثالث ككل (٢٢,١) مليار دولار في عام ١٩٧٤ ، وارتفعت بعد ذلك تباعا حتى وصلت الى ٧٦,٢) مليار دولار في عام ١٩٨٠ ، والى (١٢٥,٢) مليار دولار في عام ١٩٨٣ وهذه المبالغ تشكل (١٤,٤ /) من قيمة صادرات هذه البلدان من سلع وخدمات في عام ١٩٧٤ ، ووصلت الى (١٧,٦ /) في عام ١٩٨٠ ، وارتفعت إلى (٢٦,٨ /) في عام ١٩٨٣ ، علما بأن نسبة (١٥/ الى ٢٠/) تعتبر حدا أقصى ، ومؤشرا خطيرا لايجوز تجاوزه

يقول (ادوار دو ويسمر) مدير ادارة نصف الكرة الغربي بصندوق النقد الدولي ـ وهو وزير مالية سابق في كولومبيا ـ بمقال له نشرته مجلة (التمويل والتنمية) التي يصدرها صندوق النقد الدولي والبنك الدولي ـ عدد مارس (أذار) ١٩٨٥ ـ ما يلي

« إن القضية ليست في حجم الدين فقط ـ سواء حجمه المطلق أو بالنسبة للناتج المحلي الاجمالي ـ وإنما في ما اذا كان من الممكن خدمته ، ويعني هذا مقارنة بين التزامات خدمة الدين ـ سداد أصل الدين والفائدة ـ وصادرات السلع والخدمات ، وحتى اذا افترضنا أن أصل الدين لايسدد عادة وإنما يعاد تمويله فسيظل الوضع مع ذلك خطيرا »

« ففي عام ١٩٨٣ كانت الارجنتين تحتاج الى تخصيص (٥٤ ٪) من صادرات سلعها وخدماتها لدفع الفائدة على دينها الخارجي ، والبرازيل الى (٤٠٪) والمكسيك الى (٣٥٪) لنفس العام »

ويضيف (ادوار دو ويسر) في مقاله المذكور قائلا « من المؤسف انه لم يجر دائما استثمار حصيلة القروض أو استخدامها في توليد العملة الأجنبية ، أو لاستكمال المدخرات المحلية ، والواقع أنه في بعض الأوقات قد تم تمويل الاستهلاك لا الاستثمار ،

ونتيجة لذلك ارتفعت ارتفاعا شديدا نسبة خدمة الدين الخارجي الى صادرات السلع والخدمات »

لاشك في أن قدرة الدولة على خدمة ديونها الخارجية تحكمها عوامل مختلفة ، منها حصيلة صادراتها ، وحجم وارداتها ، واحتياطها من النقد الاجنبي ، ومدى انتفاعها من استخدام القروض الأجنبية في مشاريع التنمية التي تشد خطواتها الاقتصادية ، وقدرة المشروع الاستثماري على اعادة تسديد القرض الذي استعمل من أجله

اعادة جدولة الديون

أدى ظهور مشكلة (ازمة المديونية الدوليه) التي أخذت بالتفاقم بصوره ملموسة منذ عام ١٩٨١ الى طرح حلول لمواجهتها ، من ضمنها الحل المعروف ، وهو (إعادة جدولة الديون) كحل مؤقت قصير الأجل في إطار حلول أخرى طويلة الأجل ، تعتمد بصورة أساسية على التعديلات الهيكلية في اقتصاديات الدولة المدينة

إن حل (اعادة الجدولة) قد برز أساسا السنوات الأخيرة ، نتيجة غياب الحلول الأخرى التي يمكن استخدامها لمواجهة الأزمة للمديونية الدولية أو قصور تلك الحلول ، وهو ليس جديدا ، فقد كان مستخدما منذ مدة وقد تكرر استخدامه في فترات سابقة على العالمية الأولى وبعدها

وتعني إعادة (جدولة الديون الخارجية مقترض تأجيل فترة سداد الأقساط المستحقة ستستحق من أصل الدين فترة محدودة جديدة ، تهدف ـ اساسا ـ للتغلب على نقص لدى المدين التي تؤدي الى عدم قدرته على بأعباء خدمة الدين المستحقة ، او التي تستحق الأمد القصير ، ومنح الوقت للدولة المدينة فرصة للبدء في عملية التصحيح الاقتصادي ذات الآثار الطويلة الأجل وتعتمد عملية الجدولة) على المفاوضات المباشرة بين المدين ممثليهم ، او من خلال هيئات دولية وسيطة نادي باريس ، وصندوق النقد الدولي ، وغيرها

وغني عن البيان بأن (إعادة الجدولة) مديونية البلد او أعبائه المالية ، بل قد تزيدها الاقتراض الجديد ، او نتيجة للشروط المفروضة على البلد المدين في اعادة الجدولة تصبح (الجدولة) تأجيلا لمأزق ، بل إنها احيانا البلد المقترض الى مأزق جديد ، فيما اذا فرضت شروط جديدة غير ملائمة عند إعادة الجدولة

لذلك يجب عدم اللجوء الى (الجدولة) إلا أخير ، رغم أنه بديل موجود وممكن منذ البداية يتطلب تجهيز ما تتطلبه عملية (إعادة الجدولة معلومات واتصالات وتقدير تكاليف بالنسبة الأخرى المطروحة ضمن الحلول المقترحة المديونية الدولية

إن (اعادة جدولة الديون) ما هو الا حل الأجل كما أوضحنا آنفا ، هدفه توفير بعض

ـد المدين ، حتى يتمكن من ترتيب أوضاعه ـداخلية لمواجهة (أزمة مديونيته الخارجية) بالحلول ـاجعة المعروفة الواجب اتباعها والتي منها

١ـ عادة دراسة وتحليل الوضع الاقتصادي والمالي ـد وتحليله ، بهدف كشف الخلل في جوانبه ـختلفة ، وتقويمه بالشكل الذي يلائم ظروف البلد هدافه ، وإمكاناته ، وفي ظل رؤية شاملة ـلأمور ، وإدارة حكيمة حازمة

٢ـ ـم سياسة رشيدة ومرنة لعلاج الاختلال في ـن المدفوعات ، وتخفيض عجزه ، والسعي لجعل ـعدل نمو الصادرات أعلى ـ ولو بقليل ـ من معدل نمو ـواردات ، وتحسين ميزان المدفوعات بوضع خطة ـسبة للتجارة الخارجية ، تكون مندمجة متكاملة مع خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية للبلد

٣ـ زيادة الاعتماد على الموارد المحلية وامكانيات البلد ـدنية ، واستخدام المدخرات الوطنية ، والقروض لاجنبية ذات الشروط الميسرة ، في مشاريع ـسة التي تثبت جدواها الاقتصادية

٤ـ مواكبة التطور في التركيب الهيكلي لقوة العمل ـتطلبات التنمية الاقتصادية والاجتماعية في البلد ، ـ حيث انواع المهارات والاختصاصات والمستويات ـعلمية والتدريبية اللازمة لتحقيق زيادة الانتاج ـمن كفاءة اقتصادية

لاشك أن تفاقم (أزمة المديونية الخارجية) ـشكل المرعب الذي وصلت اليه ، وكادت أن ـعصف بعدد من دول العالم الثالث قد أرغمت هذه ـن أن تلجأ الى إعادة جدولة الديون ، والى اتباع ـل الأخرى التي نوهت بعضها سابقا ، لمواجهة مديونيتها ، ولمواصلة عملية التنمية ، ولوقف ـر مستوى معيشة السكان

وقد انطلقت صرخات عالية من قبل معظم قادة العالم الثالث ، تطالب بتخفيض أسعار الفائدة الحقيقية على الديون ، وتعديل شروط صندوق النقد الدولي ، ووضع حدود معقولة لخدمة الدين ، وشرع بعضهم في طرح المطالبة بإعفاء الدول النامية من ديونها المستحقة ، وبخاصة الفقيرة منها ، وأن يتحمل الدائنون الخسارة نتيجة لذلك الاعفاء

وترددت هذه المطالب أو الأماني في مؤتمر القمة الافريقي الذي انعقد في « أديس ابابا » في يوليو (تموز) ١٩٨٦ ، وفي قمة (هراري) لمجموعة دول عدم الانحياز التي انعقدت في سبتمبر (أيلول) ١٩٨٦ ، وكذلك برزت في اعلان (قرطاج) لمجموعة دول أمريكا اللاتينية ، وقد صرح مؤخرا رئيس جمهورية (البيرو) ـ آلان غارسيا ـ أنه من أجل حل مسألة المديونية يتعين على بلدان أمريكا اللاتينية أن ترفض ضغوط صندوق النقد الدولي ـ وأضاف قائلا إن التاريخ نفسه يدفعنا الى الاتحاد واتخاذ قرارات موحدة بهذا الشأن

ومنذ مدة قريبة أعلن في (مكسيكو) تأسيس جبهة موحدة لبلدان أمريكا اللاتينية من الأهداف الرئيسية لهذه المنظمة الحديثة النضال من أجل إقامة نظام اقتصادي جديد ، وإيجاد حل عادل لمسألة تسديد الديون الخارجية

وإني مع القائلين على بقية الدول النامية ـ دول العالم الثالث ـ أن توحد جهودها مع دول أمريكا اللاتينية ، للوقوف في وجه ضغوط الدول والجهات المقرضة ، والتعاون معا لايجاد مخرج عادل ومشرف لأزمة (المديونية الدولية) التي اصبحت قضية ساخنة مرعبة في عصرنا الحاضر ، وذلك من خلال إعادة تنظيم العلاقات الاقتصادية الدولية □

■ الجميع أمام المال من دين واحد (فولتير)

في العدد القادم من العربي اكتوبر ١٩٨٧

استطلاعات

البحرين ساعة لربك وساعة لقلبك

سليمان مظهر

اليمن الشمالي: مشاريع على طريق التنمية

صادق ديلي

لوحات "روبنس" تحط رحالها في الكويت

عبد الغني عبد الله

- عصر المواجهة بين الدائنين والمدينين / د. رمزي زكي
- صاحب قديم ! / د. عبد السلام العجيلي
- فن القصة القصيرة في أمريكا اللاتينية / د. حامد أبو أحمد
- طعام المستقبل / ابراهيم عبد الله العلو
- بعد أن يموت السيد ! / د. محمد المنسي قنديل
- طفيليات يمكن أن تعيش على كبدك / د. سامي محمود علي
- الموسيقا العربية المعاصرة / سليم سحاب
- التنبؤ بالاحوال الجوية عبر الأقمار الصناعية / طاهر بكر القيسي
- النخالة البيضاء / د. محمد عبد الله المشاري
- كتاب الشهر: البترول ولعبة السياسة الدولية / عرض: جمال وردة
- وجهاً لوجه: حنا مينا وأبو المعاطي أبو النجا

واقرأ أيضاً للكتاب

د. محمد الرميحي - فتحي رضوان - فهمي هويدي - محمد الشارخ

فاروق شوشة - د. كمال زاخر لطيف - عبد السميع المصري - يوسف طاف

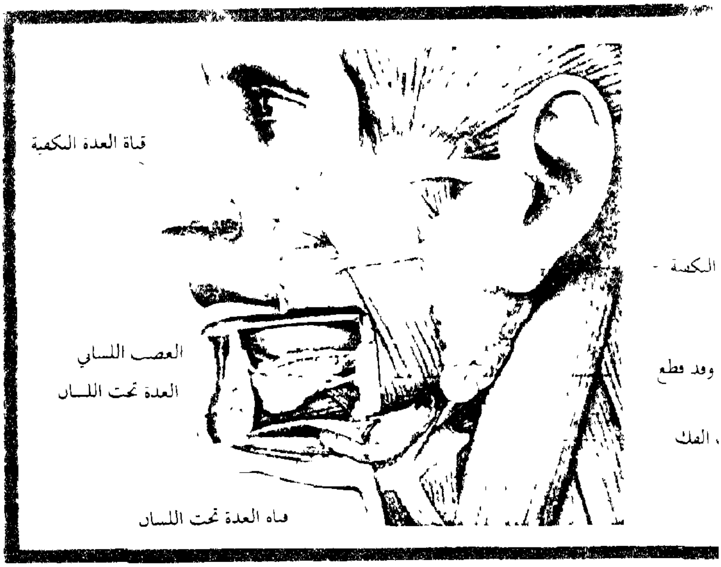
قناة الغدة النكفية
العصب اللساني
الغدة تحت اللسان
قناة الغدة تحت اللسان
النكفية -
وقد قطع
، الفك

اللعاب

في الصحة والمرض

بقلم . الدكتور محمد الكبرا

لا نتعمق في أي وظيفة من وظائف الجسم إلا ونجد فيها عظمة ، والدقة في أداء العمل وعلى هذه الصفحات سنستكشف أهمية ، ووظيفته الهامة التي يقوم بها .

دد الفارزة للعاب إما أن تكون غددا أو صغيرة . والغدد الكبيرة مؤلفة من ، وهي الغدتان النكفيتان ، والغدتان والغدتان تحت اللسان وهي تفتح جميعا فم . أما الغدد الصغيرة فمؤلفة من ة غددية عنبية موزعة في الفم والبلعوم متين

١ - الغدة النكفية وهي أكبرها وموضعها تحت مجرى السمع الظاهر وأمامه ، وعلى القسم الصاعد من الفك السفلي . وهي غير منتظمة . هرمية الشكل تقريبا ، تنقسم إلى قسمين ، قسم سطحي ، وقسم عميق . تمر بينهما فروع العصب الوجهي ، وتخرج من الغدة قناة مفرغة للعاب تسمى قناة (ستينون) ، حيث تسير في باطن الخد ، وتفتح داخل الفم مقابل

الرحى الثانية العلوية

الغدة تحت الفك يقدر حجمها بنصف حجم الغدة النكفية ، وهي تحتل المسافة بين الحافة السفلية للفك السفلي بقرب زاويته السفلية والعظم اللامي Hoyoicl ، وتخرج من الغدة قناة تسمى قناة وارطون ، تسير إلى الأمام ، وتفتح من خلال الغشاء المخاطي لأرض الفم بوقريباً من الخط المتوسط

الغدة تحت اللسان وهي أصغر غدة ، يقدر حجمها بنصف حجم الغدة تحت الفك ، وتوجد على طول القسم الأمامي الوحشي ـ (أي البعيد عن الخط المتوسط) ـ من أرض الفم ، تحت الغشاء المخاطي مباشرة ، لها عدة أقنية مفرغة ، أكبرها تسمى قناة ريفينوس اوبارتولان وتفتح في ذروة الحليمة اللسانية

كيفية تشكل اللعاب وإفرازه :

يتشكل اللعاب من حصيلة ثلاثة أمور

١ ـ يرشح من الدم إلى خلايا الغدة الماء ، والشوارد ، وبعض الجزئيات ، وتقوم الخلايا العنبية بجرها

٢ ـ تقوم الخلايا العنبية بصنع بعض المواد الموجودة في اللعاب ، مثل خميرة الأميلاز والمخاطين والغلوبيولينات المناعية ، وتمررها إلى القناة الأنبوبية مع ما وصل إليها من الدم

٣ ـ تقوم القناة الأنبوبية بامتصاص بعض المواد المفرزة ، وذلك كي نحصل على لعاب منخفض التوتر ، ثم تطرح بعد ذلك للقناة الرئيسية للاطراح

تقع الغدد اللعابية تحت تأثير الضبط العصبي ، فالإفراز اللعابي له منعكس بطريق صادر وآخر وارد ، وهذا المنعكس ضروري لكي يكون الإفراز اللعابي سريعا ، حيث أن الطعام يبقى فترة قصيرة في الفم ، وبالتالي فمن الضروري أن يكون الإفراز سريعا ، فالضبط العصبي للغدد يؤمن هذه السرعة ، ولولاه لانقطع اللعاب ، وأصاب الغدد اللعابية الضمور

العوامل المؤثرة على إفراز اللعاب :

١ ـ إفراز الراحة أو الأساسي . إن الحفاظ على الليونة والسطح الرطب للغشاء المخاطي للفم والبلعوم يعتمد على الإفراز المستمر لكمية قليلة من اللعاب ، وهذا الإفراز يخدم أيضا في التنظيف والفعالية المضادة للجراثيم ، ويعتبر واحداً من عناصر آلية العطش ، ولهذا الإفراز أهمية أيضا خلال فترات تناول وجبات الطعام ، وأثناء النوم ، وهذا النوع من الإفراز اللعابي يسمى بإفراز الراحة أو الأساسي

وتفرز الغدة تحت الفك كمية أكبر مما تفرزه النكفيّة بثلاث مرات أثناء الراحة ، والغدة تحت اللسان تفرز أقل من ٥ / من الإفراز الكلي ، وينقص إفراز الراحة أثناء النوم ، وبالتمارين الشديدة والشد الفكري ، والخوف إن حركات الفم والفك (تثاؤب ـ بلع) تحدث زيادة عابرة في إفراز الراحة ، ثم ينقص بعد ذلك ، وربما تعود الزيادة إلى الضغط الآلي على الغدة أو بتنبيه انعكاسي للآلية القابضة في الغدة وإن هذا الإفراز (الأساسي) يحدث بسبب انعكاسي لجفاف الفم والبلعوم ، وبعض الخلايا الإفرازية ربما تفرز دون التأثر بعوامل عصبية أو خلطية ، كما أن الغدد الصغيرة لها خاصية الإفراز التلقائي أثناء الراحة

٢ ـ الإفراز بالتنبيه يحدث هذا الإفراز استجابة لعدد من المنعكسات وهي

الإفراز اللعابي بالاستجابة إلى تناول الطعام ، وهذا الإفراز ناجم عن مجموعة من المنعكسات تحدث بشكل متلاحق وهي

١ ـ إفراز بالمنعكس الشرطي بالاستجابة للتفكير والنظر والشم

٢ ـ المتعكس الإفرازي الطبيعي المثار بالمضغ

٣ ـ الاستجابة لمنعكسات تنبيه مستقبلات الذوق ومستقبلات اللمس العمومية

٤ ـ إفراز بتأثير المنعكس البلعومي المريئي اللعابي

٥ ـ إفراز بتأثير المعدي اللعابي أثناء مرور اللقمة الطعامية إلى المريء والمعدة ويحدث عن تنبيه مخاطية المريء أو تمدده منعكس سيلان لعابي ملحوظ بشكل جيد ، وبلع اللعاب يثير الحركات الحيوية للمريء الذي يساعد بدوره على انزلاق اللقمة الطعامية إلى المعدة

إن مجموع ما يفرز من اللعاب يتراوح بين ٠,٥ ـ ١,٥ لتر يوميا ، ومعظمه يفرز أثناء وجبات الطعام

ويفرز منه أثناء الراحة معدل ٢٠ مل/ ساعة

وقد وجد أن هناك مادة في اللعاب تحرض على الإفراز اللعابي لو تم حقنها في الدم

الأدوية المؤثرة على الإفراز اللعابي .

من خلال دراستنا لآلية إفراز اللعاب وجدنا أن الأدوية المؤثرة على إفراز اللعاب قد تكون مثيرة أو مثبطة للإفراز وهذه الأدوية تعمل في أماكن مختلفة على طول الطريق العصبي للغدد اللعابية ، وتنقسم كالتالي

١ ـ الأدوية المنبهة للمستقبلات المحيطية

السكرور ، ومحاليل حمض الليمون ، وحمض الخل ، والقلويات اللادعة ، تزيد إفراز اللعاب ، بتنبيهها مستقبلات الذوق

كما يزداد الإفراز في حال التسمم بالرصاص ، والتدخين ، وبعض المخدرات كالإيتر ، والكلوروفورم ، والسيكلوبروبان ، إذا طبقت وضعيا ، وذلك بتحريشها مخاطية الفم

كما أن الليغنوكائين **lignocaine** ، والكوكائين ، ينقصان الإفراز ، بتخديرهما الموضعي .

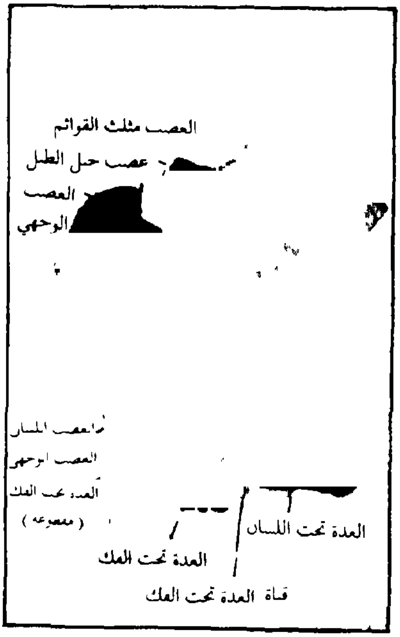

٢ ـ الأدوية المؤثرة مركزيا

إن الاستركنين **Striknine** والبيكروتوكسين **Picrotoxine** والكوكايين **Cocaine** والرزربين **Reserpine** تزيد الإفراز اللعابي ، وكذلك الأدوية المسببة للغثيان ، والقيء ، وهذا يحدث بشكل انعكاسي ، أو بتأثير مركز التقيؤ في البصلة السيسائية أو بإثارة منطقة المستقبلات الكيماوية للتقيؤ في البصلة ، ومن هذه الأدوية المورفين ، وأبومورفين ، وديجيتال ، أما المواد المخدرة فتنقص الإفراز بتخديرها منعكسات اللعاب

٣ ـ الأدوية المؤثرة على النهايات العصبية الذاتية للغدد اللعابية

أ ـ الأدوية المقلدة لنظير الودي تزيد هذه الأدوية الإفراز بشكل غزير ، ومنها الاستيل كولين والبيلوكاربين **Pilocarpine** والميكوليل **Mecholyl** والأدوية المضادة لخميرة الكولين استراز

ب - الأدوية الحالة لنظير الودي وعلى رأسها الاتروبين والاسكوبولامين **Scopolamine**

جـ - الأدوية المقلدة للودي وهذه الأدوية تحدث الإفراز أقل بكثير مما تحدثه الأدوية المقلدة لنظير الودي، ومنها الأدرينالين، وأفدرين، وايزوبرنالين، وامفيتامين

٤ - أدوية مؤثرة على الجهاز العصبي الذاتي مثل المخدرات العامة، والباربيتورات، ومضادات الهستامين، وهذه أدوية تنقص اللعاب بتأثيرها المثبط للجملة العصبية المركزية

وآلية عمل الجهاز الدفاعي في اللعاب ضد الجراثيم هي

أ - يقوم اللعاب بعمل آلي صرف في إزالة الجراثيم من الأسنان ومخاطية الفم، وتحمل هذه في معلق، ثم تبتلع، لتقتل في عصارة المعدة الحامضة

ب - إن الكريات البيضاء في اللعاب يمكن أن تلتهم الجراثيم بواسطة بالعاتها، وتحطمها بواسطة خمائرها

جـ - إن اللوكوتاكسين **LEUCOTAXIN** في اللعاب يحدث انجذابا كيماويا للكريات البيض، لتهاجر إلى اللعاب، ولتقوم بعمل اللقمة للجراثيم، وهذا يحدث بشكل خاص إذا كان هناك رض في مخاطية الفم

د - إن الأوبسونين OPSONINS موجودة في اللعاب، وتزيد من قابلية الكريات البيض على فعل اللقمة

هـ - الأجسام الضدية وعلى رأسها الغلوبيولين المناعي I g A، وهو جسم ضدي، يعمل بشكل عام على مقاومة الجراثيم التي على سطح الغشاء المخاطي، وحلها وتعليبها

تركيب اللعاب

١ - العناصر غير العضوية

إن الشوارد الرئيسية في اللعاب هي الصوديوم، والبوتاسيوم، والكالسيوم، والمغنزيوم، وترافقه شوارد الكلور، والبيكربونات، مع كمية قليلة من الفوسفات، والسلفا، كما أن هناك كميات ضئيلة جدا من التيوسيانات، واليود، والآزوت والفلور

إن مستوى هذه الشوارد يتأثر بمصدر اللعاب والجنس، والعمر، ومعدل الإفراز، ونوعية المنبه، وتركيز هذه الشوارد في المصل، والغذاء وحالة المرض

واللعاب بتركيبه قريب من تركيب السائل داخل الخلايا من حيث نوعية شوارده

٢ - العناصر العضوية

إن اللعاب يحتوي على حوالي ٣٠٠ ملغ/ ١٠٠ مل من البروتينات، وكمية البروتين في اللعاب تحدد صفات اللعاب من حيث اللزوجة واللصوقية، كما تختلف نوعية البروتين من غدة إلى أخرى. فكمية الاميلاز الكبرى من الغدة النكفية، بينما المخاطين (البروتين المخاطي) من الغدة تحت الفك

ولكن اللزوجة الكبيرة تعود للعاب الغدة تحت اللسان، حيث مقدار اللزوجة ١٣،٤، وللعاب الغدة تحت الفك مقدار ٣,٤، وللغدة النكفية مقدار ١,٥، وذلك يعود إلى كمية المخاطين فيه، وعدا عن البروتينات المخاطية والاميلاز هناك أنزيمات أخرى، ذات تركيب بروتيني، مثل الغلوبيولين المناعي أنواع **IgA** و **IgG** والـ **IgA**، وتركيزه في اللعاب أعلى بعشرة أضعاف منه في الدم، وهذا يدل على صنعه في الغدد اللعابية، ومن الأنزيمات الفوسفات القلوية، والحامضة والليباز، وبروكسيداز، وكاليكرين، وذي هيدروجيناز، وكاربونيك انهيدراز ولاكتوبيروكسيداز، ولاكتوفررين

كما يرشح في اللعاب البولة، وحمض البول وهو يعكس مستويها في الدم، أما الغلوكوز يزداد مع زيادته في الدم

وظائف اللعاب :

إن كل ما تحدثنا عنه جاء ليسهل علينا فهم كيفية قيام اللعاب بوظائفه ، فالآلية التي يفرز فيها اللعاب ، وطبيعة تركيبه لم تكن كذلك إلا لتخدم وظيفة على اللعاب أن يقوم بها

ووظائفه كثيرة ، سنستعرضها فيما يلي

أ ـ وظيفة اللعاب في الحفاظ على صحة الفم

يقوم اللعاب بوظيفته هذه بالطرق التالية

١ ـ الترطيب إن اللعاب يبقي مخاطية الفم والبلعوم رطبة ، وهذا مهم لصحة الفم ، ولولا ذلك حصل جفاف ، وتقشر في المخاطية ، مما يؤدي إلى غزو الجراثيم

٢ ـ التليين للمضغ والبلع إن اللعاب يلين الطعام ، ويطريه ، ويسهل ذلك في فعل المضغ ، وحركات اللسان ، وفي تشكيل اللقمة الطعامية الطرية ، ليسهل انزلاقها في المريء

٣ ـ التليين للكلام إن ترطيب الفم وتطريته أساسي للكلام ، ، وإن الحركات المشتركة للسان والشفتين لإنتاج الأصوات يتطلب ذلك ، فلولاه لما حصل كلام واضح ، وإن الكلام الطويل أيضا يحتاج إلى رشفات متكررة من الماء ، بسبب التبخر الكبير للعاب أثناء الكلام

٤ ـ دور المخاطين إن هذه المواد تلعب دورا هاما في تنظيف الفم وتليينه ، وتمنع تراكم بقايا الطعام ، والأنقاض الخلوية ، والجرثومية ، عدا عن أنها تسهل حركات الشفتين والخدين واللسان ، وتنقص من معدل تبخر الماء من اللعاب ، كما أنها تثبط عمل بعض الخمائر الحالة للبروتين ، ولها دور في الخاصية الدارئة للعاب

٥ ـ التمديد والتبريد والتسخين إن اللعاب يسيل بغزارة كبيرة عند تناول المحاليل ، وبخاصة الحامضة ، فيعدل من حموضتها ، ويمنع فعلها المؤذي ، كما أنه يسخن الطعام البارد ، ويبرد الطعام الساخن

٦ ـ الفعل الدارئ أي أنه يحافظ على التوار
الحامضي القلوي ، ويمنع أو يخفف أي تغير ملحو
في نسبة شوارد الهيدروجين الموجودة في المحاليل
(وهي التي تحدد نسبة الحموضة والقلوية P H)
وهي التي قد تؤذي مخاطية الفم ، وقد تؤثر على عم
خمائر اللعاب ونشاطها ، وكذلك الحفاظ على ها
التوازن مهم للمحافظة على الزمرة الجرثومية الطبيع
للفم ، وحتى لا تحدث النخرات السنية ، وتتطور
وإن البيكربونات هي الدارئة الكبيرة في اللعاب
كما أن للبروتينات المخاطية (المخاطين)
والفوسفات دورا صغيرا في ذلك الفعل الدارئ

٧ ـ الفعالية المضادة للنخرة السنية لقد لوح
أن إزالة الغدد اللعابية عند الفئران تسبب ز
زيادة ملحوظة في النخرة السنية ، وهذا يحدث عـ
الإنسان عندما ينقص إفراز الغدد اللعابية بشك
كبير ويقوم اللعاب بحماية الإنسان بعدة سبل

أ ـ يقدم بعض المعادن لتغذية السن قبل بزوغه

ب ـ الكالسيوم وفوسفات اللعاب يعملان عـ
مع انحلال السن

جـ ـ تتشكل طبقة من البروتينات السكري
اللعابية ـ تسمى اللويحات PLAQUE ـ تنقص أ
الاحتكاك الحادث بالتحريش والحت

٨ ـ الفعالية المضادة للجراثيم إن الجراثيم الت
توجد بشكل طبيعي في الفم كثيرة جدا ، فالوسـ
الحار الرطب داخل الفم ملائم لنمو الجراثيم ، كـ
أن اللعاب يحتوي على أحماض أمينية وبعض الموا
الآزوتية الأساسية لنموها ، كما أنه يسمح لهـ
بالدخول إلى الفم أثناء تناول الطعام ، وأثناء التنفس
عن طريق الفم ، لذلك فبقدر ما تكون الجراثيـ
الموجودة في الفم والداخلة كثيرة بقدر ما يجب أن
يكون الجهاز الدفاعي ضد الجراثيم قويا ، وهذا مـ
هو موجود فعلا في اللعاب ، حيث أنه يثبط نمو
الجراثيم ، وإلا تحدث التهابات كثيرة في الفم
والأسنان □

هل كان الرجل المريض مريضا؟

بقلم : فتحى رضوان

في الأيام القليلة الماضية ، حدثت هجمة على إحدى القرى التركية ، وكان المهاجمون من فراد منطقة مجاورة ، فجرحوا وقتلوا أكثر من ثلاثين خصا من بينهم النساء والأطفال والشيوخ ، ولما صلت انباء هذه المذبحة تأثر الاتراك ، ولكن زاد ن حزنهم أن تعليقات وكالات الانباء الدولية كانت شوبة بنغمة شماتة ، فقد ذكَّروا الاتراك بما اقترفته يديهم في النصف الثاني من القرن التاسع عشر من ذابح في البلاد التي كانت خاضعة آنذاك لحكم لاتراك ، كمنطقة الأرمن والبلغار واليونان وحريب رومانيا   وقد تداعت لهذه المذبحة الشرسة ، ولما صاحبها من تعليقات صحف الغرب ، ذكريات لحملة التي نظمتها دول أوربا الغربية مثل بريطانيا وفرنسا والتي انضمت اليها روسيا ضد تركيا ، وكان هدف هذه الحملة التي اتسع نطاقها ، وتلونت وتعددت وسائلها ، تشويه صورة تركيا ، وإظهارها ي صورة الدولة الهمجية التي تتذرع بالمدفع والبندقية والخنجر في حكم رعاياها من المسيحيين ، والتي فككت أوصالها ، وتدهورت أجهزة حكمها ، وتوقفت المدارس والمعاهد عن التعليم ، والمحاكم عن القضاء العادل ، وتوقف موظفوها عن أداء واجباتهم لتدني مستواهم ، وانعدام تدريبهم ، ولحرصهم الشديد على اقتضاء الرشوة والحصول على الثراء بفضلها ابتزازا من الرعايا ، سواء كانوا مواطنين تابعين للدولة أو كانوا من غير المسلمين

ولقد تواصى كتاب الغرب ، وصحفيوهم ، ومؤرخوهم على استعمال « نعت » لتركيا إمعانا في النكاية ، ومبالغة في التشهير ، راح علما على تركيا ، ذلك هو لقب « الرجل المريض » في اوروبا أو « رجل اوروبا المريض » وقد استعمل هذا اللقب أول ما استعمل في النطاق الدبلوماسي الضيق ، أي في المراسلات بين رؤساء الدول وسفرائهم ، اورؤساء الدول وزملائهم أو مندوبي الدول في ندواتهم المغلقة أو مؤتمراتهم الخاصة   فلا يقول سفير روسيا في لندن مثلا لقيصره   ان تركيا قالت او فعلت ، بل يقول قال الرجل المريض او فعل الرجل المريض ، فيفهم المرسل اليه من المقصود بهذا اللقب

ثم خرج هذا اللقب من النطاق الخاص الى نطاق واسع قليلا ، فأصبح الحديث في قاعات (البرلمانات) ولحانها يدور على الرجل المريض بغير حاجة الى تعريف ، ثم تلقف بعض المؤرخين ذوي القيمة والاعتبار هذا اللقب ذاته ، فأطلقه باعتباره اصطلاحا علميا من قبيل أن تسمى الارض (البسيطة) أو الشمس (الحوراء)

القيصر مبتدع التسمية

ويقال أن أول من اطلق لقب الرجل المريض هو قيصر روسيا نيقولا الاول (١٨٢٥ ـ ١٨٥٥) وذلك في حديثه مع اللورد ابردين رئيس وزراء بريطانيا ، ـ وكانا صديقين حميمين ـ في قصر وندسور أثناء حديث متبادل الا أن الرجل نفسه فقد قدرته على ضبط النفس في لحظة غضب ، فقال لأحد محدثيه سنة ١٨٣٣ « ليس في استطاعتي أن أبعث الحياة في الموتى ، ان الدولة العثمانية دولة ميتة ، ولا أظن ان هذا الجسم العجوز سيقوى على المحافظة على الحياة ، إنه في حالة انحلال في جميع النواحي »

ولم يكن قيصر روسيا بطبيعته مؤرخا ولا دارسا ممن تخصصوا للحكم على الدول ،إنما كان يقوم بهذه الحملة توطئة لتوزيع الممتلكات العثمانية اشلاء بينه وبين امبراطورية بريطانيا ، وقد عرض فعلا آنذاك أن تأخذ بلاده الاستانة ،وتأخذ من المضايق التركية البسفور وتأخذ بريطانيا الدردنيل ، وتحتل بريطانيا مصر وتأخذ كريت إن شاءت الى آخر هذه القسمة

ولم تكن الحملة التي شنتها أوروبا في قسوة وضراوة ، وفي إصرار ومواظبة ، ضيقا بجسم فقد الحياة يعترض سبيل سيرهم ، بل كان الواقع انهم هم الذين فعلوا كل شيء في وسعهم ليثخنوا الدولة العثمانية جراحا ، وكان يسرهم أن يروا الدم ينزف من هذا الجسد الذي كان مليئا بالحيوية ، فياضا بالقوة ، والذي بسط نفوذه على كل شرقي اوروبا ، والذي هددت جحافله بغزوة ساحقة لفيينا عاصمة النمسا ، وكانت آنذاك امبراطورية مترامية الافاق ، ذات شهرة ضخمة ، وكان اسمها امبراطورية النمسا والمجر يملأ الاسماع وكان شرقي آسيا وشمال افريقيا وجزر البحر الابيض كلها من ممتلكات الدولة العثمانية تديرها بكفاية واقتدار ، وقد بذل الغرب كل جهد ، وتوسل بكل وسيلة ليحول الامبراطورية العثمانية بملكها الشاسع في البر ، واساطيلها الهائلة في البحر الابيض الى خبر كان ، وتعجلوا الامر بأمل أن تلفظ الدولة العثمانية انفاسها وتستسلم للموت واعتبروها رجلا مريضا ، عاجزا عن الدفاع عن نفسه ، مستسلما لضربات القدر التي توالت عليه بشكل ثورات في شرق أوروبا ، واضطرابات في الاقطار العربية ، ومؤامرات ومكائد ودسائس في المحافل الدولية

هل كان مريضا حقا ؟

ولكن هل كان الرجل المريض مريضا ، أم أنه كان ـ على الرغم من كل المصائب والمحن ، والمكائد ـ انسانا متمتعا بالقوة والقدرة على المناورة والمداورة والقتال والنزال ؟!

سنأخذ موضوع فلسطين والرغبة في الانقضاض عليها ، واقتطاعها هدية للصهيونية التي بدأت تطل برأسها في أخريات القرن التاسع عشر فماذا فعل الرجل المريض في هذه المكيدة الجديدة ؟

بادىء ذي بدء ، لما فتح السلطان سليم الأول مصر عام ١٥١٧ أصدر فرمانا (أي قانونا) بمنع هجرة اليهود الى سيناء ولما تولى سليمان القانوني عرش الدولة العثمانية سنة ١٥٢٠ أصدر فرمانا (قانونا) ثانيا بتأكيد حكم القانون السابق وبعد وفاة سليمان القانوني بعد ست وأربعين سنة من الحكم خلفه سلاطين ضعاف فتنفس اليهود الصعداء فنزحوا في هجرات متقطعة الى سيناء ،وأدركوا أن

رصة سانحة لهم لتحقيق حلمهم القـديم ، وقد
روا هجراتهم أول الامر على الاستيطان في مدينة
لور ، ترعم حركـة الهجـرة الى الـطور طبقا
ائق ذلك العصر ابراهيم اليهودي ، استوطن
اهيم هذا مع اولاده وباقي أفراد أسرته مدينة
لور وكان من الممكن أن تستمر هذه الهجرة لعدة
وات في غفلة من السلطات ، لولا أن اليهود حينما
تقر بهم المقام في الطور تعرضوا بالأذى لـرهبان
نت كاترين الذين بدأوا يشكون كتابة وشفاها ،
ناءوا الى مصر ، وكانت شكاياتهم تقوم على أن دير
نت كاترين هو مكان مقدس فلا يسوغ أن يتعرض
م بالاذي أقوام وافدون ليسوا من أهل المنطقة ولا
لة لهم بها ، وان هجرة اليهـود الى هذه المـنطقة
ورة ملفتة للنظر مما يدل على أنهم ينوون أمرا ،
هتمت السلطات العثمانية فأصدرت ثلاثة قوانين
نعة لليهود من الهجرة الى سيناء ، وقد تـلا ذلك
راج ابراهيم اليهودي من سيناء وصدر قانون
د باب التحايل في وجـه هجرة اليهـود مقررا أن
ارة السائح لسيناء لا يجوز أن تزيد عن ثلاثة أشهر
ى لا يكـون السفر بقصـد السيـاحـة سبيـلا الى
ستيطان

ند الاحتلال البريطاني

ولكن الايام تغيرت واحتلت بريطانيا مصر سنة
١٨٨ فتشجع اليهود بنظام الحكم الجديد ولا سيما
د أن بقى السلطان التركي عبد الحميد الثاني ، على
اع سياسة تركيا القديمة القائمـة على منـع هجرة
هود الى فلسطين ، فشمر زعيم الصهيونية ومؤلف
اب الدولة اليهودية عن ساعد الجد ، وتصور أنه
در بما وراءه من نفوذ الغرب ، وأموال الصهاينـة
نفوذ دوائر المـال والاقتصاد عـلى أن ينتزع من
لطان تركيا قرارا بفتح باب الهجرة الى فلسطين أمام
هود وقد دخل هرتزل فعلا في مفاوضات مـع
ض أعضاء الـوزارة البـريـطانيـة ، وكـان منهم جـوزيف تشمبـرلن وزيــر المستعمـرات واللورد لانسدون وزير الخارجية لتوطين اليهود في سيناء على أساس إقامة دولة يهودية فيها تتمتع بالحكم الذاتي في نطاق الامبراطورية البريطانيـة ، ووافق الوزيـران على الاقتراح من حيث المبدأ ، وكان ترحيب هذين الوزيرين بهذا الاقتراح أساسه أن الدولة اليهـودية ستتـولى حماية قناة السـويس ، وعـزل مصـر عن الولايات العربية في الدولة العثمانية واضعاف الدولة العثمانية بـوضع شـوكة في جنبهـا تزداد مـع الايام كـبرا ، وتأديبا لدولة الاتراك على تقاربها من الالمان وبعد مفاوضات طالت تألفت لجنة من ثمانية أعضاء قال الانجليز انهم يمثلون مصر ، مع أن الدكتور عبد العـزيز الشنـاوي يقـول أنـه ليس في أسـماء هؤلاء الاعضـاء اسم واحد يتفق مـع الاسماء المصـرية وكانت مهمة اللجنة تهيئة أسباب توطـين اليهود في سيناء وانشاء مجالس بلدية يهودية في أنحاء سيناء وانتهت اللجنة الى أن سيناء تصلح لتوطين اليهود ، واقتـرحت أن تكون العـريش هي البدايـة وكان صدور قرار هذه اللجنة في سنة ١٩٠٣ وكان من بين شروط إقامة هذه الـدويلة أن تحول مياه النيل الى سيناء ، ولكن جاء الانقـاذ من رجل بـريطاني هـو اللورد كرومر الذي كان معتمد بريـطانيا في مصـر ملقب قنصل جنرال ، لأن المياه المطلوبـة من النيل تؤثـر على المسـاحة المـزروعة في مصـر وأرسلت الحكومة البريطانية مذكرتين آخرهما كـانت بتاريـخ ١٦/٧/١٩٠٣ أنهت فيهما الى هرتـزل أن حكومـة بريطانيا عدلت عن مشـروع إنشاء دولـة في سيناء لليهود

عندها استدار هرتزل الى السلطان عبد الحميـد للضغط عليه بكل وسيلة متاحة لحمله على المـوافقة على المشروع الصهيوني ، وكان السـلطان عبد الحميد يجسد بشخصه وبمـظهره وبمـا ينسب إليه وتنسبه الرجل المريض تماما وتصادف أن اليهود تعرضوا لموجة من الاضطهاد والتعذيب في روسيا ، وكانت

السلطات الروسية قد انتهزت فرصة اغتيال القيصر اسكندر الثاي فاتهمت اليهود في قصية اغتياله ، وساقتهم مئات بعد مئات الى السجون ، حيث عانوا عذابا رهيبا ، وقصدوا القنصلية العثمانية في ميناء اودسا بروسيا الوفا وراء الوف ليحصلوا على تأشيرة دحول لفلسطين، وحاء الرد من الحكومة المركرية في استانبول برفص هده الطلبات وقصد اليهود المستر لويس ولاس سفير أمريكا في استانبول ليصغط على الدوائر التركية لتمنح إحارات دحول لفلسطين ، ودهبت هده الحهود سدى ، فقصد اليهود أفواحا الى يافا بدون إدن دحول لفلسطين ، وارادوا أن يدحلوا عنوة ، ولكن السلطان أمر حاكم القدس بأن يمنع أي يهودي قادم من روسيا او رومانيا أو بلغاريا ، كدلك صدر أمر بمنع دحول اليهود من مواىء بيروت واللاذقية

مؤتمر بال

على هدا النحو ، حاصرت الدولة العثمانية مولد نشأة الحركة الصهيونية وكان الصهاينة قد عقدوا المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بال السويسرية سنة ١٨٩٧ بقيادة تيودور هرترل الصحفي النمساوي الدي سلمت اليه الاشارة ، وكانت الحركة الصهيونية بعد ثلاثة أيام من الانعقاد في مؤتمر بال ، قد كسبت قوة وثقة النفس

ولم ييأس هرتزل من صدود السلطان عبد الحميد المستمر ، فتوسل بأكثر من شخصية عالمية في الغرب ، ليسمح بلقائه في قصره الملكى في استانبول ، وتمت المقابلة في اليوم السابع عشر من مايو سنة ١٩٠١ وكان مع هرترل اثنان من أقطاب الحركة الصهيونية وجاءت بعد هده المقابلة مقابلتان عرض خلالها هرترل مشروعا صهيونيا حلاصته أن يصدر السلطان قرارا بالسماح لليهود الاحانب بالهجرة الى فلسطين والتواطن فيها ومنحهم قسطا كبيرا من الحكم الذاتي مقابل أن يدفع اليهود عند صدور الفرمان مبلغا كبيرا من المال قدر بثلاث ملايين من الحنيهات الاسترالية ثم تدفع الدول اليهودية بعد دلك حرية سنوية

وأطال عبد الحميد صبره على هرترل وأفسح ل صدره ، فتكلم الرحل وأفاص وظن أنه بجح و استمالة سلطان الاتراك وأن الطريق بات مفتوحا أما الصهاينة وفوحيء هرترل في آحر المطاف برفص بات للمشروع الصهيوني ، وحرج هرتزل شاعر بحيبة الأمل وبالحسرة ، ولم يطل عمره فقد مات و ١٣ يوليو سنة ١٩٠٤

وقد تحدث حمال الدين الافغاني ـ وكان يجالس السلطان عبد الحميد ـ عن مواهبه السياسية وقدرت على احماء عواطفه ، فقال لو ورن السلطان عبد الحميد مع أربعة من نوابغ عصره لرححهم

ولعله يحدر بي أن احتم هذه المجالة بآحر عبار نطق بها السلطان عبدالحميد موجهة لهرترل

«انصحوا هرترل ألا يتحذ حطوات جديدة في هد الموصوع ، موصوع توطين اليهود في فلسطين ، فهي ليست ملك يميي بل ملك شعبي ، لقد ناضل شعبي في سبيل هذه الارص ورواها بدمه فليحفظ اليهود ملايينهم ، وإذا مزقت امبراطوريتي يوما فإنه يستطيعون آنذاك أن يأحذوا فلسطين بلا ثمن ، أم وأنا حي فإن عمل المبضع في بدني لأهون عليّ من أن أرى فلسطين قد بترت من امبراطوريتي ، اني لا استطيع الموافقة على تشريح أحسادنا ونحن أحياء» لقد قال القيصر الروسى ان تركيا بلد ماتت وكان ذلك من سنة ١٨٣٥ ولكن تركيا بقيت بعد هذ المقولة نحو مائة عام ، وقاومت الاستعمار الغربي في البر والبحر ، في السياسة والحرب ، وعجزت الصهيونية بكل ملايينها وبنفوذها السياسي ودسائسها أن توطن يهوديا واحدا او تنشيء مستعمرة بموافقة الدولة العثمانية ، فالرجل المريض لم يكن مريضا ، ولو تنبه العرب الى أهمية شفاء الرجل المريض لتغيرت الاحوال □

العربي - العدد ٣٤٦ - سبتمبر ١٩٨٧

الشتاء النووي

بقلم : الدكتور سعود عياش

حتى سنوات قليلة مضت كانت هناك قناعة سائدة بأن الآثار التدميرية للحرب النووية ستقتصر على الفرقاء المتخاصمين ، وان هذه الآثار ستكون موضعية الطابع ، إذ ستقتصر على المراكز التي تتعرض للضرب بالأسلحة النووية والمناطق المحيطة بها . غير أن القناعات الحديثة تشير إلى صورة مختلفة تماما .

ان الدمار المتوقع من جراء التفجيرات النووية لن يقتصر على المتخاصمين فقط بل سيمتد ليشمل المتحاربين والمحايدين وقسماً كبيراً من الأنواع الحية الأخرى ، نباتية وحيوانية . ان الأخطار الجسيمة التي ستنجم عن صدام نووي واسع النطاق ستتمثل في التغيرات الحادة التي ستطرأ على طقس الكرة الأرضية ، ونشوء ما يعرف بظاهرة « الشتاء النووي »

في أواخر الحرب العالمية الثانية ضربت مدينتا هيروشيما وناجازاكي في اليابان بقنابل نووية وتعرضت المدينتان نتيجة ذلك لدمار شامل وقتل قسم كبير من سكانهما . لكن التدمير بقي في نهاية الأمر ، مقتصراً على رقعتين جغرافيتين صغيرتين نسبياً . وربما كان ما حصل في المدينتين المنكوبتين هو ما شكل القناعة السالفة حول موضعية الآثار التدميرية للحرب النووية . وحسب هذه القناعة فان حرباً نوويا مقبلة ستؤدي الى قتل أعداد أكبر من البشر وتدمير مساحات أوسع نظراً لأن المخزون الحالي من الأسلحة النووية أكبر بعشرات آلاف المرات مما كان متوفراً في نهاية الحرب العالمية الثانية .

كانت القناعة السالفة تفترض أيضا أنه بعد أن يتوقف المتحاربون عن تبادل الرؤوس النووية تبدأ عمليات الإغاثة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه وتبدأ عمليات إنقاذ الجرحى والمصابين ونقل الأحياء الى أماكن أكثر أمنا . ولن تمضي أسابيع قليلة حتى تعود الأمور الى سابق عهدها ، ويعود البشر إلى ممارسة أعمالهم ، وإعادة بناء ما تدمر . ألم يحصل ذلك في أعقاب كل الحروب السالفة ؟

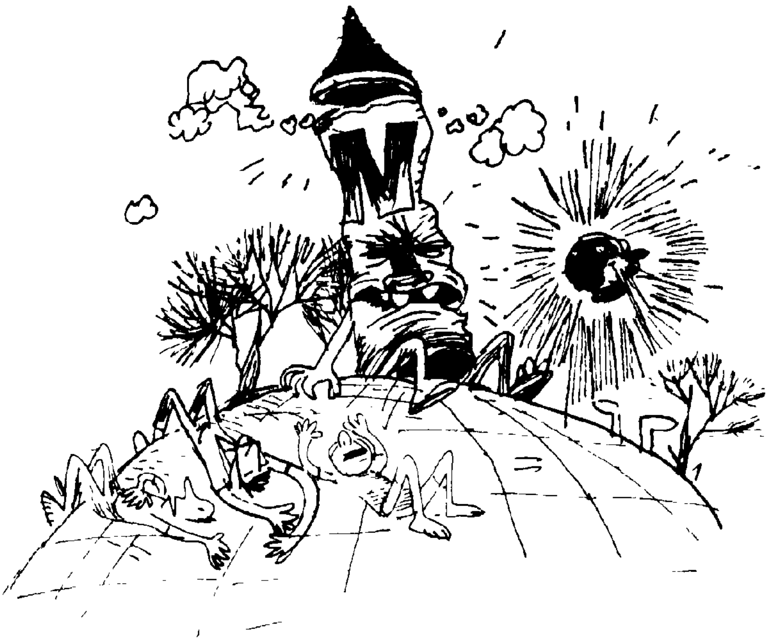

من حسن الحظ ان الصورة السالفة لم تعد قائمة الآن ولا تقبل بها أي من الجماعات العلمية على جانبي خط الصراع النووي فهناك اجماع على أن الصدامات النووية المحدودة النطاق هي من ضروب الخيال وإن أي صدام مستقبلي سيكون واسع النطاق وشاملاً لمعظم ، إن لم يكن لكل ، المخزون النووي وهذا يعني ان الحرب النووية المقبلة ستتضمن تفجير آلاف الرؤوس النووية التي يبلغ متوسط القدرة التفجيرية للرأس الواحد منها حوالي نصف مليون طن من المواد المتفجرة وتشير التقديرات المختلفة الى أن ما بين ٤٠٠٠ ـ ٦٠٠٠ مليون طن من المواد المتفجرة ستستخدم في أي حرب نووية مقبلة وتضع تقديرات أخرى الرقم عند ١٠,٠٠٠ مليون طن

هذه الكمية الهائلة من المواد المتفجرة ستودي بحياة ربع سكان الكرة الأرضية في حالة حدوث صدام نووي وسيسقط ربع آخر ما بين مصاب وجريح وسيترك هؤلاء دون مساعدة أو اغاثة فلن تتوفر إمكانات لتقديم أي شكل من العون واما النصف الذي سيبقى على قيد الحياة فسوف يواجه ظروفاً يتمنى معها لو أنه لحق بالربع الأول فقد تبين من الدراسات التي أجرتها جهات علمية مستقلة أن شتاء نووياً سيعقب الحرب النووية وأنه سيستمر لأشهر طويلة ، يخيم أثناءها على معظم أجزاء الكرة الأرضية ويقضي على المحاصيل الزراعية بحيث أن من لا يموت برداً يموت جوعاً

الشتاء النووي .

ظهر مصطلح الشتاء النووي في دراسة صدرت عام١٩٨٣ وعرفت باسم دراسة (تابس) نسبة للأحرف الأولى لمؤلفي الدراسة وقد صاغ ريتشارد تيركو ، أحد المؤلفين ، مصطلح الشتاء النووي ، الذي شاع استعماله منذ ذلك الحين ، لوصف جملة التغيرات البيئية التي ستطرأ على طقس الكرة الأرضية في أعقاب الحرب النووية وكانت قد سبقت دراسة (تابس) دراسة قام بها بول كروترين وجون بيركس نشرت في مجلة « أمبيو » التي تصدر عن الأكاديمية الملكية السويدية وتحمل الدراسة التي صدرت عام ١٩٨٢ عنوان « الطقس عقب الحرب النووية شفق عند الظهيرة » ، وقد أشار كروترين وبيركس في

دراستهما إلى أن الصدام النووي سيؤدي إلى نشوب حرائق هائلة في الغابات ، والبراري ، وآبار النفط والغاز ، وخزانات الوقود ، والمناطق الصناعية والحضرية وذكر المؤلفان أن كميات ضخمة من الدخان والسخام سترتفع الى طبقات الجو العليا نتيجة تلك الحرائق ، وسيؤدي ذلك إلى حجب أشعة الشمس عن الأرض بحيث لا يصلها سوى جزء ضئيل مما تستقبله في العادة وتوقع المؤلفان أن التغير في طقس الكرة الأرضية سيحد من سقوط المطر ويقضي على الزراعة في نصف الكرة الأرضية الشمالي

في دراسة تابس وضع المؤلفون عدة تصورات للقدرة التدميرية للحرب النووية ، لكنهم اتخذوا حالة قاعدية تفترض تفجير ٥٠٠٠ مليون طن من المواد المتفجرة وأشارت الدراسة إلى أنه في ظل هذا الصدام النووي سيتولد ٢٢٥ مليون طن من الدخان و٦٠ مليون طن من الغبار الناعم تصعد إلى طبقات الجو العليا خلال عدة أيام ، وتؤدي إلى حجب أشعة الشمس بحيث لا يستقبل نصف الكرة الأرضية الشمالي أكثر من ٣٪ من الأشعة التي يستقبلها في العادة وتبين من الدراسة أن الدخان أشد تأثيرا على أشعة الشمس لأنه يمتصها بينما لا يفعل الغبار سوى بعثرة الأشعة ولهذه الظاهرة تأثير سلبي لأنها تؤدي إلى تسخين طبقات الجو العليا بحيث تسمح للدخان والغبار بالارتفاع أكثر والانتشار فوق مساحات أكبر من الكرة الأرضية وتقلل من فرص سقوط الأمطار

يؤدي حجب أشعة الشمس إلى انقطاع مورد الحرارة - بل مورد الحياة - الأساسي عن الكرة الأرضية وتأخذ درجة الحرارة بالانخفاض تدريجياً وخلال ثلاثة أسابيع من نشوب الحرب النووية - التي لا تستمر بالمناسبة إلا ساعات قليلة - تنخفض درجة الحرارة بما يتراوح بين ١٠ درجات مئوية في المناطق الساحلية و٢٥ درجة في المناطق الداخلية ويعود السبب في ذلك إلى أن المخزون الحراري الهائل في المحيطات يعمل على تلطيف الجو في المناطق الساحلية ، ويحد من آثار احتجاب الشمس وتتضح أهمية الانخفاض في درجة الحرارة إذا أخذنا في الاعتبار أن متوسط درجة الحرارة على سطح الكرة الأرضية لا يزيد على ١٣ درجة مئوية وان العصر الجليدي يأخذ مداه الكامل حين ينخفض هذا المتوسط بمقدار ٣ - ٥ درجات مئوية وهكذا ، يخيم الشتاء النووي شديد البرودة فوق نصف الكرة الأرضية الشمالي خلال أسابيع قليلة من حصول الحرب النووية

● سيختفي اللون الأخضر وتنتهي الزراعة تماماً من نصف الكرة الشمالي وستتجمد كل الأشجار والنباتات

أشارت دراسة(تابس) إلى أخطار بيئية أخرى ستترتب على الحرب النووية مثل سقوط المواد المشعة فوق مساحات شاسعة ، ونضوب طبقة الأوزون

ـدريجياً نتأثير أكاسيد النيتروجين ، وتركز الغارات السامة النالجة عن الحـرائق في طبقات الحـو السفلى قريباً من الأرض

دراسات أخرى ونتائج مشابهة

أثارت دراسة(تاسن) ردود فعل متباينة ما بين مؤيد ومعارض وتعرضت الدراسة لبعض الانتقـادات على أساس أنها تبالغ في تضخيم حجم الآثـار التي ستطرأ على طقس الأرض غير ان الدراسة أثارت اهتمـاماً واسعـاً بمسألـة الشتاء النـووي ، مما حـدا بجهات علمية أخرى تشكيل لجان متخصصة لدراسة المسألة ففي ديسمبر ١٩٨٤ ، أصدر مجلس البحث الوطني في الولايات المتحدة دراسة حول المـوضوع بنيت على أساس أن الصدام النووي سيتضمن تفجير ٦٥٠٠ مليون طن من المتفجرات ومع أن التقرير لم يورد حجم التغيرات المناخية المترتبة عـلى الصدام النووي إلا أنه أشار إلى أن درجة الحرارة فوق مناطق اليابسة ستنخفض بمقدار ١٠ ـ ٢٥ درجة مئـوية وبعد فترة قصيرة في أوائل ١٩٨٥ صدر تقرير حول نفس الموضوع عن الجمعية الملكية الكندية ، أشار إلى أن درجة الحرارة ستنخفض في أعقـاب الحرب النووية الى ما دون الصفر في المناطق الداخلية وفي مـارس ١٩٨٥ صـدر تقـريـر عن وزارة الـدفـاع الأمـريكية ذكر ان الدمـار الذي سيلحق بـالوجـود البشري نتيجة أقل التغيرات المناخية ـ المتوقعة ـ حدة ستكـون على مستـوى الأخطار الأخـرى المـرتبـطة بالحرب النووية

في سبتمبر ١٩٨٥ صدرت دراسة عن الآثار البيئية للحرب النووية ، قامت بها اللجنة العلمية لمشاكل البيئة التابعة للمجلس الدولي للاتحادات العلمية ، تدعرفت الدراسة باسم (سكوب) وضمت اللجنة عضويتها علماء من ٣٠ بلداً وافترضت الدراسة حدام ٦٠٠٠ مليون طن من المواد المتفجرة موزعة ١٢٠٠٠ رأس نووي وقد توصلت الدراسة الى نتائج مشابهة لما ورد في دراسة (تابس) . ففي الأيام القليلة الأولى تغطي الغيوم الدخانية أمريكا الشمالية وأوروبا ومعظم آسيـا وتنخفض درجة الحـرارة في نصف الكـرة الشمالي بمقـدار ٢٠ درجة مئـويـة وأشارت الدراسـة إلى إمكانيـة انتقال الـدخان إلى المناطق الاستوائية ، ونضوب ١٠ ـ ٣٠/ من طبقة الأوزون

ظهـرت بموازاة وعقـب الـدراسـات السـالفـة دراسات أخرى أكدت جميعاً على حصول تغيـرات مـناخيـة نتيجـة الحـرب النـوويـة ، وإن اختلفت تقديرات حجم التغيرات المرتقبة لكن من الملاحظ انه لو قبلنا بأكثر التقديـرات تحفظا ، والقـائلة بأن درجة الحرارة ستنخفض حوالي ٥ درجات مئوية فقط فان الزراعة في النصف الشمالي من الكرة الأرضية ستواجه كارثة لعام واحد على الأقل وربما أكثر فمن المعروف ان الزراعة شديدة التأثر بتغير درجة الحرارة وان أي انخفاض ملحوظ سيقضي عـلى المحاصيـل الـزراعية في مـناطق الانتاج الـرئيسيـة في أمـريكـا الشمـالية وأوروبـا وآسيا ، وقـد أشـارت دراسـة (سكوب) الى أن« ٢,٥ بليــون » شـخص ـ وهم الباقون على قيد الحياة في أعقاب الحرب النوويـة ـ سيواجهون المجاعة

الصورة السالفة تضاف الى صورة الدمار الشامل التي رأينـا بعض نماذجهـا البـدائيـة في هيـروشيـما وناجازاكي والتي ستكون بالتأكيد أشد هولاً في أي حرب نووية قادمة فالمراكز الصناعية والحضـرية ستسوّى بالأرض ومنظومات الخدمات الاجتمـاعية ستشل بالكامل ، وستتعطل محطات تزويد الكهرباء والطاقة ، وتحترق مخازن الطعام والغذاء ، وتنقطع سبل المواصـلات والاتصالات ، وتختفي الخـدمات الطبية

قيل في السـابق ان الحرب النووية لا يخرج منهـا منتصر بل الكل مهزوم والآن يبدو أن هذه الحرب لن تخلف وراءها ولا حتى مهزومين □

قصة قصيرة

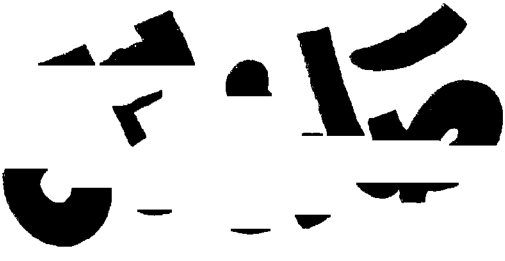

تأليف : رامز كلمندي */ ترجمة : الدكتور محمد موفاكو

اليوم قتل إنسان ، وهذا الانسان ماهو إلا أنا اسمي صادق ، صادق الحمال ، كانوا ينادونني أيضا « أبو بردعة » (+) ، نعم ، كنت أحمل « البردعة » على ظهري اليوم مت ، وارتحت من حمل « البردعة »

الجميع يعرفوني ، فالناس يعرفونني وكذلك الشوارع ، كل شوارع المدينة ، وتعرفني أيضا الأكياس والصناديق الكثيرة التي تحتوي على البضائع المختلفة أنا صادق ، صادق الحمال ، أبو « بردعة » فكيف لا تعرفوني أنتم ؟

لماذا توقفتم ؟ وما الذي أثاركم لتنظروا إلي بهذه العيون المندهشة ؟

عمن تسألون بعضكم بعضاً ؟ عني ؟ ألم تشاهدوا في حياتكم إنسانا ميتا ؟

نعم أنتم ، أنتم الذين قتلتم الآلاف من أمثالي ، أنتم الذين أفزعتم العالم بهمجيتكم ، أنتم الذين ثقبتم ظهري ، وقتلتموني ، والآن مابكم توقفتم تنظرون إلي ؟ هل تحركنكم رؤيتي ياترى؟ها،ها،ها ، لاتدعوني أضحك ، هل أجرب أن أضحك مرة على الأقل ؟ أأضحك بعد موتي ؟ لكن هل يمكن أن يضحك الانسان الميت ؟ ذلك الانسان الذي لم يعرف الضحك طيلة حياته

إذا أردتم أن تحسنوا إليّ فأخرجوني من هذا الوحل الذي سقط فيه نصف جسمي ، فهذا سهل بالنسبة لكم ، لأنكم ترتدون ألبسة جديدة ، وفوقها هذه المعاطف الواقية من المطر ، أما أنا ففي الوحل دون معطف واق من المطر ، إن المطر يسقط عليّ ، وينشر

---

* رامز كلمندي من أهم الاسماء التي برزت في القصة الالبانية بعد الحرب العالمية الثانية ولد في جنوب يوغسلافيا يعمل الان مدرساً في معهد التربية في بريشتينا يكتب القصة القصيرة والطويلة والرواية ونشر حتى الان أكثر من عشرة كتب ومن أهمها « خطوط وآثار » ، « حكايتان » ، « حين تحصد المراعي » ، « رسائل من اولشين » ، « سبعة أشخاص يلاحقون المؤلف » الخ وتتحدث القصة عن حمال خلال الاحتلال الالماني ليوغسلافيا في أثناء الحرب العالمية الثانية

(*) البردعة في الاصل للحمار ، ويستخدم الحمالون في جنوب يوغسلافيا شكلا مبسطا منها ، من الجلد المحشي بالقش ، ليساعدهم على حمل الامتعة

البرد في جسمي مالكم تنظرون إليّ كالمجانين؟ إن هذا الجسم الذي اعتاد على البرد في حياته سيعتاد عليه أيضا في مماته اسحبوني من هنا لكي تروني بشكل أفضل، نعم، هكذا الآن أصبحت في وضع أفضل، هنا لن يصيبني المطر، كما أني قد تخلصت من الوحل، إن الحجر يجرح عظامي، لكن هذا ليس مهما، شكرا لكم، إنكم لطفاء فعلا، أرجو أن تتركوني مع «البردعة»، أريد أن تبقى معي تتساءلون لماذا؟ لقد قضيت كل حياتي معها، لقد حملت عليها كثيراً كثيراً، حتى صناديق العتاد وأكياس الأسلحة التي سرقت منكم هل تعرفون هذا؟

لماذا تضربون الأرض بأقدامكم؟ لماذا أنتم هكذا؟ لماذا تقفون في حالة استعداد؟ تحيّون من برفع أيديكم؟ آه، ضابطكم، كدت أصدق أن هذه «التشريفات» لي، ماذا يسألكم؟ كيف مت؟ أخبروه وماذا يسألكم الآن؟ ماذا قلتم له؟ هل فهمتكم جيدا ياترى؟ ألا تعرفون كيف تخبروه من أنا؟ أنا صادق، صادق الحمال، أبو «بردعة» من أين أنا؟ هذا ليس مهما، كان لي أب وأم في الماضي، وقمتم بقتلهما، لا، لا أقصدكم أنتم بالذات، لقد قتلهما آباؤكم في الحرب العالمية الأولى، وكان الناس هنا يسمونهم ألمانا أيضاً، ويقال إنهم تركوني وحدي في الطريق العام، وبعد ذلك أخذني أحدهم، ورباني في بيته، لا أعرف عن نفسي شيئا سوى أن اسمي صادق، ولا أعرف شيئا أكثر من ذلك

بدأت في العمل منذ أن بلغت الثانية عشرة، عملت كل ما تحمله جسمي الطري في ذلك الحين، وكنت مضطرا للعمل لأؤمن لقمة العيش، وحين بلغت العشرين أصبحت أعمل في الحمل فقط، وفي كل صباح ومساء كنت أذهب إلى محطة القطار، في كل يوم ثلاثاء، وعندما يجيء يوم السوق الأسبوعي كنت أبحث عن العمل هناك، وبعد الظهر كنت أذهب إلى محطة الحافلات في بقية الأوقات، وكنت أبحث عن عمل في كل الشوارع، وكنت أتواجد في أي مكان يفترض وجود حمال فيه، كنت أقضي النهار في العمل، وأنام في الحدائق ليلا، وخلال فصل الشتاء كنت أنام في أروقة الجوامع

عملت على هذا النحو ثلاثين عاما، ولهذا أبدو الآن أكبر من عمري بعشرين سنة، نعم، لقد تجاوزت الأربعين، لكن وطأة الحياة أضافت إلى عمري عشرين سنة أخرى، لحظة من فضلكم، ألا تريدون أن تعرفوا قصتي؟

منذ البداية عملت مع هذه «البردعة»، هذه التي ترونها أمامي، لقد كانت معي دائما في الليل والنهار كنت أعمل بها، وفي الليل كنت أنام عليها، نعم، في الليل كنت أفترشها، وأنام عليها، ومنذ عدة سنوات أصبح اسمي صادقاً الحمال، وأخيرا «أبو بردعة»

كانت تمر علي أيام لا أتمكن فيها حتى من تأمين لقمة الخبز، كنت أخرج إلى المحطة أنتظر القطار الأول، ثم القطار الثاني، وكنت أتنقل بسرعة من عربة إلى أخرى، متوجها إلى الركاب بتوسل «حمال، حمال»

وكان ذلك دون جدوى، فقد كان الركاب لايهتمون حتى بالالتفات إليّ، بل كانوا يتابعون سيرهم إلى حيث يقصدون، بعضهم كان يركب عربة في انتظاره، بينما كان بعضهم الآخر يسرع حاملا حقائبه بيديه

كان الركاب يهبطون من العربات، وأنا أتنقل من عربة إلى أخرى، حتى أصل إلى العربة الأخيرة راجيا

ـ حمال، حمال، حمال ياسيد، هل أحمل عنكم هذه الحقائب ياسيد هل آخذ عن سيادتكم هذه الحقائب؟

حمال ياسيد، حمال!

بعض الناس كان يلتفت إلي فقط، بينما كان

بعضهم يجيبني « وأنا حمال مثلك »

بعضهم كان لا يكلف نفسه حتى بالالتفات إلي ، وكنت أهرع وراء الركاب في اتجاه المدينة ، كان لابد لي أن أومن لقمة الخبز

وفي يوم السوق الأسبوعي كنت هناك دائما ، وكنت إذا لمحت شخصين يتساومان أمام كيس ذرة او قمح أسرعت إليهما قائلا

ـ عسى ان يقدم الله مافيه الخير ، هل اتفقتما على السعر ؟

وبعد هذا كنت أقول فورا

ـ إن شاء الله بالهناء والعافية ياأخي ! لقد وفقك الله بهذا ! هل أحمله لك إلى الميزان ؟

ومن الميزان كنت أحمل الكيس على « البردعة » فوق ظهري إلى بيته ، أو إلى المطحنة ، وكانوا يكافئونني كما لو كانوا يتصدقون علي ، وبعد هذا كنت أعود بسرعة إلى السوق ، ومرة أخرى انادي

ـ حمال ، حمال !

كنت أعمل أحيانا ليلاً في تفريغ الشاحنات في المحطة أوتحميلها ، لم أعد إنسانا ، بل تحولت إلى حيوان ناقل ، حينذاك تغيرت حياتي تماما ، وبدأت أفكر بشكل مختلف ، بدأت أميز بشكل أفضل بين أولئك الذين يسلخون جلدي من التجار والأغنياء ، وتعاقبت الأيام إلى أن جئتم أنتم أخيرا ، فأصبح الوضع في زمنكم أسوأ بكثير ، وأحسست كما لو أن أحذيتكم قد شقت صدر هذا البلد ، جئتم وجاء معكم البؤس والعبودية ، وبخاصة للفقراء من أمثالي هل تسمعونني ؟ لقد تغير صادق أبو « بردعة » ، لقد قمت أنا الذي تتطلعون إليه الآن بحفر عدد من قبوركم ، حيث ستلاقون مصيركم عما قريب ، فالأرض تهتز تحت أقدامكم ، فهذه البلاد سوف تتحرر ، وأناسأتحرر ، وجميع الناس من أمثالي أيضا ، أعرف أنه لن يكون بعد اليوم ازدراء ولا احتقار ولا اضطهاد ، فلقد ولّى عهد هذه الأمور هل تعرفون هذا ؟

يكفي ماحملت لكم من صناديق ، يكفي ، طبعا يكفي ، ماذا تفكرون ؟ أتريدون أن أحمل صناديقكم لتستخدموها ضد إخواني ؟!

لماذا تغطون رأسي بهذا الكيس ؟ هل مللتم من رؤيته ، ومن سماع صادق الحمال ؟ اتركوني لحظة فقط لأكمل قصتي

كنت قد خرجت هذا المساء أيضا لأحمل الصناديق ، وكان الظلام قد غطى الأرض حين سمعت هدير الشاحنة الكبيرة ، فهرعت بسرعة ، وتوقفت الشاحنة أمام إحدى عربات القطار ، وبعدها جاءت عدة شاحنات أخرى ، ووقفت أمام العربة المفتوحة بانتظار تفريغها ،

ونزل من الشاحنة عدد كبير من الأشخاص باللباس العسكري وبالمعاطف الواقية من المطر ، وحين لمحوني قالوا شيئا في لغتهم ، ولم أفهم ماقالوه ، إلى أن أشاروا إلي بيدهم ، ولم أرغب بهذا العمل ، ولذا لم أتحرك من مكاني

وحينئذ سحب أحدهم مسدسه ، وشهره في وجهي ، فاضطررت أن أقوم بما أراد ، وحملت صندوقين أوثلاثة ، وألقيت بالرابع والخامس في الظلام ، وقلت لنفسي هذه ستكون للكفاح ضدكم

وابتعدت الشاحنات ، وذهبت أنا إلى صناديقي ، وانتظرت قليلا ، ووضعتها على ظهري ، وسرت في الظلام ، ولا أعرف ماذا حدث بعد ذلك ، لقد انطلقت ورائي طلقات بندقية ، فسقطت مع صناديقي على التراب

ثم جئتم ، فرأيتموني ، وهأنا قد رويت لكم كل شيء هل تدرون الآن ما حدث ؟

لكن لماذا أروي لكم ذلك ؟ إنكم تدركون جيدا أن هذه البلاد قد انتفضت ضدكم ، لقد انتفض ضدكم الصغير والكبير ، إنكم تعرفون هذا ، ولذلك لست حزينا لأنني قد مت

أنا صادق الحمال ، أبو « بردعة » □

المناقشة

بقلم : فهمي هويدي

إشكالية الآخر في التفكير الإسلامي !

لايسعُ الباحث في أمر الواقع الاسلامي ، عبر غالب مراحل تاريخه ، الا أن يقرر بأن « الآخر » ظل يمثل مشكلة محيرة ، وأحيانا مستعصية القبول والحل من حيث أن العقل الاسلامي في تلك المراحل بات يضيق بهذا الاخر ، ولايبدي استعدادا كافيا لاحتماله والتعايش معه ، وهو شعور ربما كان للجبر والاضطرار فيه دور اكبر من التطوع والاختيار

ولما كان الفقه مرآة عاكسة لظروف الزمان والمكان ، فقد أسهم في التعبير عن ذلك الموقف وتنظيره ، الامر الذي يطالبنا بأن نجري نوعا من الفرز لتحديد مصادر ومظاهر ذلك الضيق المرصود ، وان نستجلي موقف الشريعة منه ، ممثلة في القرآن والسنة وعلينا بعد ذلك أن نسعى جادين الى صياغة علاقة مع الاخر ، أكثر أمانة في التعبير عن نصوص الشريعة ومقصودها ، وأكثر استجابة للغة العصر في الخطاب الانساني والسياسي

صور ثلاث

الآخر الذي يتجه اليه هذا الحديث له صور ثلاث آخر يعيش خارج ديار الاسلام - وآخر يعيش في ظل الدولة الاسلامية ولكنه ينتمي الى دين مغاير - وآخر يقف على أرضية الاسلام ولكنه ينحاز الى رأى مخالف

واذا حاولنا ان نستقصي العناصر التي أسهمت في صنع « اشكالية الاخر » في التفكير الاسلامي ، فسوف نجد أن بعضها يرجع الى التاريخ ، وبعضها يعود الى الموروث من العادات والتقاليد ، وبعضها مصدره التباس في فهم النصوص الشرعية

وأزعم أن تجارب التاريخ كان لها دورها الاكبر في صنع هذه الاشكالية ، فالدين السماوي الذي جاء خاتما لأديان السماء ، ومقراً للسابقين من الانبياء والرسل والكتب ، لم يواجه في البداية باعتراض وصد من جانب المشركين وحدهم ، في قريش وشبه

الجزيرة العربية ، ولكنه ووجه برفض وعداء مماثلين من جانب أصحاب المصالح بين اتباع الديانتين السابقتين ، اليهودية والمسيحية ولما أصبح لدعوة الاسلام الجديدة دولة ناهضة ، فانها ووجهت بصراع طال أجله وعداء لم يتوقف ، من جانب القوتين الأعظم في الزمن القديم ، الروم والفرس

واذ نجح المسلمون في القضاء على التحدى الفارسى في عصر الراشدين ، والوصول بتعاليم الاسلام الى بلاد ماوراء النهر في العصر الاموى ، الا أن الانجاز لم يتحقق بالقدر ذاته في مواجهة الروم بهزيمتهم المبكرة في الشام أيام ابى بكر الصديق ، وسقوط عاصمتهم القسطنطينية في العصر العثمانى ، لم يحسما عداء العالم المسيحى ، وكان ذلك العالم قد تحول الى الهجوم بالحروب الصليبية ، وافادته عصور انكسار العالم الاسلامى التى تلاحقت مع ترهل الدولة العثمانية حتى أصبح الواقع الاسلامى في نهاية المطاف يعيش في ظلال الحضارة المسيحية الغربية ، التى لم تخمد نزعاتها الصليبية الى الان

وقد كان موقف الاسلام الأصيل المقر للديانتين السابقتين عليه عنصرا أساسيا في الحفاظ على كيانات المسيحيين واليهود واستمرارها داخل المجتمع الاسلامى ، مما دفع الاخر ـ الخارجى ـ الى محاولة استثمار هذا الموقف لصالحه بصفة دائمة فنجح حينا وفشل في حين اخر ، مما كان سببا اضافيا لاحداث التوتر بين الطرف الاسلامى والطرف غير الاسلامى في الدولة الواحدة

مشهور موقف يهود خيبر وبنى قينقاع من النبى عليه الصلاة والسلام ، وهو موقف المتآمر والدساس دائما ، الساعى الى الوقيعة والفتنة بكل السبل ومعروف موقف نصارى الروم من الكيد لرسول الله ، ومساندتهم للمنافقين الذين أقاموا مسجد الضرار الذي احرقه النبى ، ثم مواجهتهم العسكرية في السنة الثامنة من الهجرة ، مرة في « مؤته » ومرة « تبوك » وتحريضهم نصارى العرب من الغساسنة على القتال ضد الدين في المرتين

منذ ذلك التاريخ المبكر ومحاولات الروم مستمرة لاختراق الواقع الاسلامى ، باستخدام غير المسلمين فيه ، أو لتوجيه الضربات الى ديار الاسلام بالمواجهة العسكرية الصريحة ، التى تعددت حلقاتها وتواصلت ، منذ العصر الاسلامى الاول ، وحتى العصر الحديث حين زحفت جيوش الغرب وقامت باحتلال دول العالم الاسلامى في القرن الثامن عشر ، من اندونيسيا الى المغرب

وفي أدبيات الروم المبكرة ، فان المسلمين اعتبروا « كفارا » ومنذ حوالى تسعة قرون ، أعلنها البابا اوربان الثانى صراحة عندما دعا في جلسة المجمع الدينى بكليرمونت (سنة ١٠٩٥ م) الى انقاذ المسيحيين وبيت المقدس من براثن المسلمين الكفرة

دار الاسلام ودار الحرب

هذا الموقف العدائى في جملته ، كان طبيعيا أن يتعامل معه الفقه الاسلامى بعناصره الواضحة للعيان والتى فرضتها ظروفها التاريخية وكان مبررا أن يتحدث الفقهاء عن دار الاسلام ودار الحرب ، اذ أن الآخر الاجنبى كان محاربا ومعاديا على الدوام وكان مبرراً أيضا أن يتحدث المسلمون عن دار الكفر

ولئن فرق المسلمون مبكرا بين المشركين عبدة الاوثان ، وبين اصحاب الديانات السماوية الاخرى ، واعتبروا الاولين كفارا والآخرين اهل كتاب ، فان وقوف الاثنين معا في المربع المعادي للاسلام والمسلمين ، رغم الأيدى الاسلامية الممدودة الى أهل الكتاب ، هذا الموقف دعا فقهاء المسلمين في تلك الأزمنة الى اعتبار الجميع ـ أيضا ـ أهل كفر

في تلك الأزمنة ، قسم فقهاء المسلمين العالم بناء على موقفه المحارب من دين الله ، وان شاعت التفرقة

بين دار الاسلام ودار الحرب ، الا أن الشافعية أضافوا « دار العهد » التي تصالح أهلها مع المسلمين دون حرب ، على شيء يؤدونه يسمى « خراجا » وربط الفقهاء بين الذميين ، أهل الكتاب الذين يعيشون في دار الاسلام وكانوا يدفعون الجزية ، وبين المستأمنين ، وهم أهل دار الحرب الذين يطلبون الامان ، ويفدون على دار الاسلام ، ووضع الاثنان في مربع واحد

لقد كان الآخر الخارجي محاربا وكان الآخر الداخلي من غير المسلمين موضع شك فألحق به ، واستقرت هذه الصيغة بمضي الوقت ولم يرد على لغة الخطاب الفقهي احتمال أن يكون الآخر ـ الأجنبي ـ غير محارب ، أو غير معاهد ، وانما هذا الآخر جار أو عضو في الاسرة الدولية ، يتبادل مع غيره الحقوق والواجبات ويحترم سيادة الغير طبقا لمواثيق دولية متفق عليها

بالمثل لم يخطر على بال فقهاء السلف ، أن يكون الآخر ، غير المسلم في الدولة الاسلامية شريكا في الوطن ، وليس لائذا بذمة المسلمين أو يكون هذا الآخر ـ المواطن منفصلا عن المحارب ، وموصول التابعية بوطنه الذي يعيش فيه وليس بالآخر الاجنبي .

ويظل كتاب ابن قيم الجوزية « أحكام أهل الذمة » نموذجا يعزز الفكرة التي نحاول عرضها ومعالجتها ، عندما يكون للتاريخ دوره الأساسي في صناعة الفقه ، وتشكيل العلاقة مع الآخر بناء على عناصر ذلك الظرف التاريخي ، فعندما كتب ابن القيم مؤلفه في القرن الثامن الهجري ، كان شبح الحروب الصليبية لايزال ماثلا في الاذهان ، وكانت أفاعيل المغول في قلب العالم الاسلامي يتناقلها الناس كأنها كابوس جثم على صدر الامة ، وأشاع الرعب في أوصالها وكانت المظالم التي اقترفها هؤلاء وهؤلاء محفوظة في ذاكرة المسلمين ، الى جانب ذلك ، فقد كان ابن القيم مدركا للمدى الذي بلغه الصليبيون والمغول في الاستعانة ببعض نصارى العرب ، وخاصة السريان والأرمن والنساطرة

هذه الخلفية المرة دفعت ابن القيم الى اتخاذ موقف لايخلو من تشدد وتجاوز في بعض الاحيان تجاه غير المسلمين ، فذهب الى اعتبار الجزية بحسبانها الخراج المضروب على رؤوس الكفار إذلالا وصغارا

« وقال ان اسمها مشتق من الجزاء » إما جزاء على كفرهم لأخذها منهم صغارا ، او جزاء على أماننا لهم ، لأخذها منهم رفقا (جـ ١ ـ ص ٢٢) وعارض بذلك الرأي الراجح بين الفقهاء الذي يرى الجزية بديلا نقديا عن أداء واجب الدفاع عن الوطن والنفس ولايرى في الصغار المذكور في الاية القرآنية (حتى يدفعوا الجزية عن يد وهم صاغرون) معنى المذلة والمهانة ، ولكن ذلك الرأي الفقهي الراجح ـ والأصدق تعبيرا عن احترام الاسلام لكرامة الانسان ـ يحمل الصغار بمعنى الامتثال لسلطان الدولة ، خاصة وأن الكلمة مذكورة في سياق موقف صدام مسلح ، هزم فيه المحاربون للمسلمين فاستحقت عليهم الجزية

على الجملة فان ابن القيم تعامل مع غير المسلمين بحنق وسخط شديدين ، وبتأثر واضح بما تصوره اسهاما لهم في هزيمة المسلمين واذلالهم أما ارتيابه وشكه في ولاء هؤلاء فكان شديد الوضوح ، فبعد أن قدر لهم أداء الجزية على نحو خاص وهيئة محددة ، تحقق معنى الصغار والمذلة ، دعا الى الباسهم ثيابا خاصة ، والى تمييز بيوتهم عن غيرها ، وتقييد احتفالاتهم ونشاطاتهم وهكذا

واذ نفهم أن يتخذ ابن القيم ذلك الموقف الذي أنكره عليه آخرون من الفقهاء اللاحقين ، الا أن مالانفهمه حقا أن يعتمد البعض اجتهادات ابن القيم ويرى فيها صلاحية للاستمرار وبدلا من أن يقرأ اجتهاده في ضوء ملابسات عصره ، ويجتهد غيره على نحو آخر ، بعد ما زالت الملابسات وتغير العصر فان بعض اللاحقين مضوا على طريق التقليد ، وتبوا

اء ابن القيم لغير ما داع أو مبرر ، فأساؤا وأفسدوا يصلحوا

ونحن نجد امتدادا لمنطق ابن القيم في التعامل مع غير المسلمين في تفسير الاستاذ سيد قطب للقرآن الكريم (الظلال ـ جـ ٢ ص ٩٠٧ و جـ ٣ ص ١٦٢) ونرى موقفا مماثلا في كتاب سعيد حوا (المدخل الى دعوة الاخوان) الذي يدعو فيه الى الترفع على غير المسلمين (ص ٢٤٦) في حين نقرأ في كتابات أخرى دعوة الى عدم المساواة بين غير المسلمين والمسلمين ، وضرورة اشعار الاولين دائما بقوة الاسلام وعظمته ـ (فقه الجاهلية المعاصرة ـ لعبد الجواد ياسين ص ٥٩) وهكذا

منطق الفاتحين المنتصرين يتحدثون عن الجزية أو الرحيل (سعيد حوا) وعن أن غير المسلمين لايتركون على دينهم الا اذا اعطوا الجزية وقام بينهم وبين المسلمين عهد » سيد (قطب) وعن أنه « لامفر من الجزية ولامشاركة في الحكم » (عبد الجواد ياسين)

نعم ان التيار الغالب بين الفقهاء المعاصرين يطرح هذه الآراء جانبا ، مستبعدا فكرة الجزية وداعيا الى المساواة بين المسلمين وغيرهم ، فيما يخرج عن نطاق الالتزام الديني الشخصي ، ولكنا فقط ندلل على استمرار الاشكالية التي نحن بصددها في مدارس الفكر الاسلامي المعاصر

شيء من هذا القبيل نجده في كتابات مولانا أبو الاعلى المودودي ، عندما يقرر بأن القانون الاسلامي يقسم رعاياه من غير المسلمين الى ثلاثة اصناف ين يدخلون في كنف الدولة الاسلامية بعقد صلح معاهدة ـ والمغلوبون بعد الهزيمة في الحرب ، أي ين فتحت بلادهم عنوة ، والذين ينضمون الى دولة الاسلامية عن طريق الصلح والحرب ، شرح في كتابه « نظرية الاسلام وهديه » في الفصل اص بحقوق اهل الذمة ـ ووضع كل من هذه جموعات الثلاث ، وحقوقها في الدولة الاسلامية (ص ٣٢٩ وما بعدها)

لم ينتبه الاستاذ المودودي الى أنه يتحدث عن عصر غير عصرنا ، وعن تصور أفرزته تجربة تاريخية مضت ولم يعد لها وجود لهذا السبب فقد كان خطؤه الأساسي هو أنه حدد موقفه من الاخر في زماننا ، بمنطق عصور الاسلام الاولى ، سواء عندما كانت الدولة الاسلامية هي صاحبة اليد العليا ، او عندما كانت العلاقات الدولية قائمة على اساس فكرة الغالب والمغلوب ، او المنتصر في الحرب او المهزوم

مشكلة الاخر الاسلامي ، المختلف في الرأى الواقف على أرضية الاسلام تداخلت في صنعها عناصر عدة ، وفي تفسيرها قد أضم صوتي الى صوت الشيخ محمد الغزالي حين اعتبرها من جملة ما جنت عليه العادات العربية الموروثة منذ كان للقبيلة سيد أو شيخ له رأى واحد ، وأمامه لايتصور أن يكون هناك « آخر » ومنذ كان لعصبية العرق والنسب دورها في تحديد المكانة السياسية والاجتماعية ففي قريش كان هناك سادة القوم وعامتهم ، وبين عرب الجزيرة كان لقريش وضعها المتميز ، حتى ظن البعض خطأ أن لهم حقوقا في السيادة والقيادة بأكثر مما لغيرهم ، وفي المحيط الاسلامي ذاته ، كان هناك العرب والموالي

وفي بعض مدارس الفكر الاسلامي المعاصر من ينادي برفض الاحزاب السياسية واستنكار فكرة المعارضة واخيرا شاع استخدام عنوان « حزب الله » الذي تردد في السياق القرآني وحمل بمفهوم الحزب المتداول في الخطاب السياسي الحديث

دور التاريخ

ونحن نجد تأييدا لدعوة خلو الحياة السياسية الاسلامية من الاحزاب في المدونات التقليدية لجماعة الاخوان المسلمين والجامعة الاسلامية في باكستان

وان طرأ بعض التعديل على هذا الموقف مؤخرا ، حين قبلت الجماعتان - موقتا - بالمشاركة في الحياة السياسية في ظل التعددية الحزبية وربما كان ذلك الموقف التقليدي هو السبب في أن أيا من الجماعتين ترفض أن تسمي نفسها حزبا منذ نشأة الاخوان سنة ١٩٢٨ ، ونشأة الجماعة الاسلامية في الهند سنة ١٩٤١

ورغم ان كلا من الجبهة الاسلامية في السودان وحزب التحرير الاسلامي في الاردن والشام وفلسطين يؤيد التعددية الحزبية ، الا اننا نرى في ادبيات جماعة الجهاد المصرية ادعاء منظريها ان « تعدد الاحزاب يختلف مع الاسلام اختلافا جذريا » - (من دراسة غير منشورة بعنوان ازمة النظام السياسي المصري) - بينما يعتبر مؤلف (فقه الجاهلية المعاصرة) ان النظام الحزبي هو من مظاهر « الجاهلية » - (ص ١٨٢)

هنا أيضا نحسب أن التاريخ لعب دوره المؤثر والحاكم ، فمنذ احداث الفتنة التي كانت بدايتها مقتل الخليفة الرابع عثمان بن عفان من قبل « المعارضين » ومنذ تعاقب الصراع بين الامام علي بن ابي طالب ومعاوية بن أبي سفيان ، ثم ظهور الخوارج بعد ذلك منذ ذلك الحين الذي بدت فيه الدولة الاسلامية مهددة بالانهيار ، والذي سالت فيه دماء المسلمين ، توجس الوعي الاسلامي شرا من المعارضة واتجه فكر أهل السنة بوجه اخص الى ضرورة الالتفاف حول النظام السياسي القائم والحفاظ على سلطان الدولة ، التي كانت قيامة الدين من قيامتها ، وشاعت مقولة ابن عبد ربه ، صاحب « العقد الفريد » انه « اذا كان الامام عادلا فله الأجر وعليك الشكر ، واذا كان الامام جائرا فعليه الوزر وعليك الصبر »

ورغم تغير الظروف وزوال الفتنة وثبات الاسلام وذيوعه ، فقد ظلت المعارضة في الوعي الاسلامي مقترنة بالفتنة ، وحسبها البعض بابا للشر واجب الاجتناب والصد

اين موقف الاسلام من ذلك كله ؟

يحتاج الامر الى تفصيل وحديث مطول □

في الكتاب العربي

في استفتاء أجرته مجلة الآداب اللبنانية في مايو عام ١٩٥٤ عن منافسة الصحافة المصورة والسينما والاذاعة للكتاب العربي منافسة حادة

يقول الدكتور محمد مهدي البصير لاشك أن الصحافة المصورة والاذاعة والسينما تنافس الكتاب العربي منافسة حادة ، ولكن يخيل إلي أنها لا تشكل خطرا مميتا على مستقبله ، كما أنها لم تشكل مثل هذا الخطر على غيره من الكتب الحية ، ولكن الكتاب العربي عليه أن يشعر بالخطر الداهم ، فيعد للأمر عدته ، ويتجهز بكل ما من شأنه أن يكفل له البقاء ، من جودة في المادة ، وجمال في العرض ، وإتقان ، وعندي أن الكتاب العربي سيعيش إلى جانب الصحافة والاذاعة والسينما ، ولكنه سينحط أو سيزداد انحطاطا على مر الأيام بسبب مماشاته الأهواء ، وتملقه الجماهير ، سعيا وراء الرواج والرغبة في الاستثمار

المجهود العربي

في العلوم الأساسية

بقلم : الدكتور أسامة الخالدي

حقق البحث العلمي العربي مؤخراً انجازات لاشك فيها وبرزت بعض البلدان العربية لتنافس عدونا الرئيسي « اسرائيل » في هذا المجال ، لكن مجمل البحث العلمي العربي مازال يعاني من صعوبات ، ليست كلها فنية فما هي الانجازات العربية في هذا الميدان الحضاري المهم ، وما هي معوقاته ؟

يقسم المجهود العلمي التقني ـ عادة ـ الى أربع مراحل ومع وضع تحفظات على هذا التقسيم يمكن تعريف هذه المراحل كمايلي

١ ـ البحث العلمي الأساسي

وهو البحث الذي لا تقصد منه فائدة اقتصادية مباشرة ، فانه المجهود الذي يقوم به الباحثون ، في محاولة لفهم الظواهر الطبيعية والاجتماعية ، واستكشاف اسرارها ، وهو مانسميه الاكتشاف او « العلم من اجل العلم » تقود هذه المرحلة ـ عادة ـ الى منشورة علمية في مجلة محكمة تحتوي على معلومات كافية ، بحيث يتمكن زملاء الباحث من أكيد الاكتشاف او نفيه ويعتمد القبول العالمي ذا الاكتشاف على رأي هؤلاء الزملاء ، والأهمية يولونها له ، ويظهر ذلك من الرجوع الى هذه المنشورة في منشوراتهم ، ومن ادخالها في المراجعات العلمية

٢ ـ البحث العلمي التطبيقي

وهو البحث الذي يقصد منه التوصل الى منتج جديد ، او تحسينه ، وهو ما يمكن ان نسميه الاختراع والمفترض ان يكون القصد من ورائه الربح الاقتصادي او خدمة المجتمع وينتج بعد صدور براءة اختراع مسجلة ، او ما يوازيها ، كتقرير او مقالة ، او قد يحافظ على سريته الى ان يتطور في مرحلة لاحقة

٣ ـ التطويـر

وهي المرحلة التي تجري فيها دراسة الجدوى الاقتصادية للمنتج ، كما تجري فيها دراسة طرق الانتاج العملية ، وادخال التحسينات على

الاختراع ، وفي هذه المرحلة تتداخل العوامل الاقتصادية والاجتماعية مع النواحي العلمية وفي نهاية هذه المرحلة يجب ايجاد نموذج فعلي عملي ، قد يخضع لبراءة اختراع او عدة براءات

٤ ـ الانتاج

تسيطر عليه العوامل الاقتصادية ، من تمويل وتسويق وبناء وسياسة دولة ، وهو مايقود الى سلعة اقتصادية فعلية ، ومنه ترجع الاموال التي صرفت على المراحل الثلاث الأولى

ان جميع هذه المراحل متداخلة ، واي تقسيم لها هو تقسيم مصطنع ، وكثيرا ما تسمى المرحلتان الأولى والثانية بمرحلتي البحث ، او تسمى المراحل الثلاث الأولى بمراحل البحث والتطوير (R AND D) ، كذلك تتميز هذه المراحل في ان المرحلة الأولى والرابعة هما مرحلتان علنيتان ، بينما تلف السرية كثيرا مما يحصل في الثانية والثالثة ، ولذلك فمن الصعب جدا قياس كمية الجهد او نوعيته في هاتين المرحلتين ، فبراءات الاختراع المعلنة لا تؤلف الا القليل من نتائج هاتين المرحلتين

وسنركز بحثنا على المرحلة الأولى ، فالمرحلة الرابعة معلنة من قبل وزارات الزراعة والصناعة والصحة والاقتصاد والتنمية في البلدان المختلفة ، والمجهود العربي العلمي فيها ضئيل ، وهي تعتمد ـ غالبا ـ على التقنيات والبراءات المستوردة

البحث العلمي الأساسي

إن القصد المعلن وراء النشر العلمي ـ منتج المرحلة الأولى الاساسي ـ هو ايصال نتائج البحث الى المجتمع العلمي العالمي الواحد ، ولذلك فان النشر يتم مبدئيا في مجلات علمية متخصصة ، تدخل في المختصرات الدولية ، وتصل بواسطتها الى الزملاء المهتمين في هذا الموضوع العلمي الدقيق ، فيتمكنون من تقييم هذه النتائج ، ومن الحكم عليها ، كما يتمكنون من البناء عليها ، مما يقود الى تقدم العلم

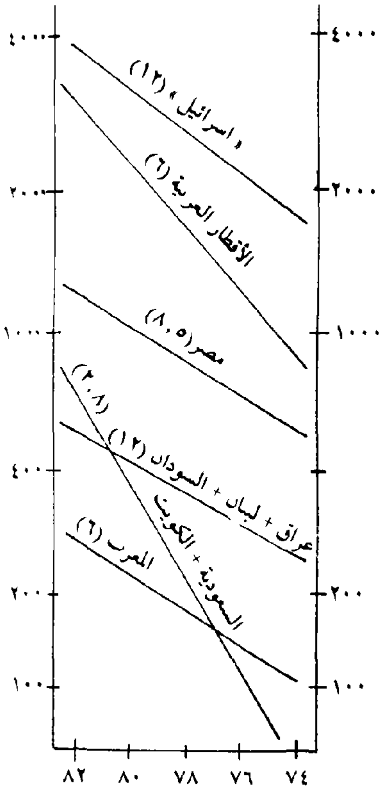

الانتاج العلمي العربي ـ عدد المقالات الواردة في المختصرات الدولية

وهذا لا يعني ان الدافع الشخصي للعالم وراء النشر ـ دوما ، او عادة ـ خدمة العلم الشريف ، فهو في الغالب يتم بدافع محاولة العالم الناشر الحصول على اعتراف المجتمع ، او زملائه بالسبق ، مما يقوده الى الترقيات او الجوائز او مجرد الاعتزاز الشخصي بالمنجزات

يقاس المجهود العلمي الاساسي في بلد ما بعد المنشورات العلمية التي تصدر عن ذلك البلد المجلات العالمية التي تدخل في المختصر التخصصية ، وبنوك المعلومات الدولية، وقد لا كثيرون ممن درسوا هذا التطور العلمي ان ع

نشورات العلمية عالميا يتضاعف في كل عدد معين ن السنين ، وهذا هو المنوال الذي تسير عليه منذ كثر من مائة سنة ، لكن لا يمكن ان يستمر هذا التضاعف الى مالا نهاية ، خاصة ان مدة التضاعف العالمي تقترب من عشر سنوات ، ولابد ان نصل الى وقت تتوقف فيه هذه الزيادة

لكن حتى نصل الى ذلك الوقت يمكن وضع رسم بياني للتقدم العلمي الاساسي ، برسم عدد المنشورات في السنين المختلفة على شكل شبه « لوغارتمي » ، بحيث تظهر كخط مستقيم يمكن منه قراءة اعدادها ، كما يمكن قياس مدة التضاعف وكلما نقصت مدة التضاعف كان التقدم العلمي يسير بتسارع اعظم

قام الدكتور انطوان زحلان برصد المجهود العلمي العربي خلال العقدين الماضيين وتمثل كتبه ومقالاته بما تحتويه من ارقام واحصائيات المرجع الاساسي لدراسة هذا التطور ، واعتماداً على الارقام التي نشرها د زحلان يظهر ان اعداد المنشورات العلمية العربية ذات المختصرات الدولية تتضاعف كل ست سنوات تقريبا ، وهذه نسبة معتبرة جدا ، وتفوق التسارع العالمي ، كما ان الفجوة العلمية بين لعرب « واسرائيل » قد قاربت على الاختفاء بالنسبة في عدد المنشورات

ونرى من خلال هذه الارقام الدور الذي ابتدأت سعه المملكة العربية السعودية والكويت في العقدين لاخيرين ، ففي اواخر الستينيات كان الانتاج علمي ـدين البلدين غير ذي بال ، لكنه اصبح الآن بالس مصر ، واذا استمر هذا التضاعف المذهل مره حوالي ثلاث سنوات ـ فان السعودية لكويـ ـف تخرجان من دائرة العالم الثالث قبل سة هـ رن ، بل وتتفوقان وحدهما على سرائ في الانتاج العلمي الأساسي من صحيح ـء لا يستهان به من الانتاج العلمي في د س ـودية يقوم به علماء ليسوا مواطنين في هذه الدول ، لكن حسب هاتين الدولتين فخرا انهما وفرتا المناخ المناسب لهؤلاء العلماء ليعملوا فيهما وينتجوا هذا الانتاج الجيد، وبالاضافة الى هذا التسارع المذهل فإن حجم الانتاج العلمي الكويتى والسعودى قد تفوق في السنين الاخيرة على انتاج العديد من دول العالم الثالث الكبرى

مجمل الانتاج العلمي الاساسي

يعترض كثيرون في العالم الثالث على استعمال المختصرات الدولية وبنوك المعلومات لقياس الانتاج العلمي لبلدانهم واعتراضهم قائم على ان اكثرية المجلات العلمية الصادرة عن دول العالم الثالث لا تدخل في المختصرات وبنوك المعلومات الدوليه ، وان كثيرا من انتاج علماء العالم الثالث ينشر في هذه المجلات المحلية ، وتتراوح الأسباب المذكورة لعدم ادخال مجلات العالم الثالث في المختصرات الدولية بين ضعف هذه المجلات وعدم استمراريتها من جهة ، وتعصب الغرب ضد علماء العالم الثالث والسياسة التي تحكم علاقة العالم الثالث بالعالم المتقدم من جهة اخرى ومهما يكن الامر فان جزءا مهما من الانتاج العلمي العربي الاساسي يضيع ، لعدم نشره في مجلات عالمية ، تلتقطها شبكات بنوك المعلومات الدولية ، اذ ان عدم دخولها هذه البنوك يحجبها عن المجتمع العالمي الدولي ومجرد نشرها في مجلة محلية ـ غير متوفرة عالميا ـ لا يعتبر سابقة نشر بالمعنى الكامل

في محاولة لقياس كمية المنشورات الصادرة عن العلماء العرب التي لا تدخل في بنوك المعلومات استعنا ببعض طلبة الطب في جامعة الخليج العربي ، فقاموا بدراسة عينة من السير الذاتية لعلماء عرب ، ممن تقدموا بطلبات عمل ، او تقدموا لجوائز علمية ، وصنفت المقالات التي ذكروها في سيرهم الذاتية لمقالات لها مختصرات عالمية ومقالات محلية ، وقد روعي في اختيار هؤلاء العلماء التوزيع الجغرافي

والاختصاصات المختلفة في قطاعات العلم العربي وقد تبين ان هذه العينة من العلماء العرب قد نشرت حوالي ٦٠ مقالة في مجلات محلية ، مقابل كل مائة في مجلات عالمية تدخل في بنوك المعلومات ، فاذا اعتبرنا ان هذه العينة قريبة من تمثيل مجموع العلماء العرب فان مجموع ما ينشره العلماء العرب يزيد بحوالي ستين بالمائة عما هو موثق في بنوك المعلومات

المجاعـة العلميـة :

يمكن تقدير عدد الباحثين العرب حاليا بما يقارب الاربعين الفا ، وسواء اعتبرنا انتاجهم المنشور اربعة آلاف او ستة الاف وخمسمائة مقالة علمية في السنة فان هذه الانتاجية منخفضة جدا ، واقل بعدة اضعاف من انتاجية العلماء العالمية

ان اول الاسباب التي يمكن ان نفسر بها هذه الانتاجية المنخفضة هي الاسباب المالية ، فنحن نصرف اقل من ٣/ ١/ من دخلنا القومي على البحث والتطوير ، بينما تصرف الدول المتقدمة ستة او سبعة اضعاف هذه النسبة ، وحتى دول افريقيا وامريكا اللاتينية تصرف نسبا اكبر على البحث العلمي

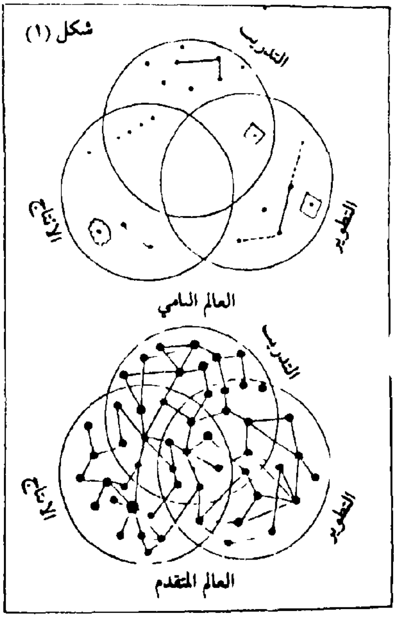

شكل (١)

واذا حسبنا المبالغ التي نصرفها على كل باحث عربي يتضح لنا اننا ابخل اهل الارض قاطبة على علمائنا ، فبينما تصرف امريكا الشمالية ٧٦ الف دولار لكل عالم ، وتصرف اوروبا ٧٥ ألفاً وآسيا ٤٥ الفاً وافريقيا ٥١ الفاً تصرف الاقطار العربية ٣٠ الفاً فقط

قد لايكون من الممكن اجراء ابحاث علمية بمصروف أقل من مصروف الاقطار العربية فان احدا غيرنا لم يتمكن من ذلك وهذا قد يعني ان عنق الزجاجة في الانتاج العلمي هو في المصروف على هذا الانتاج

والمهم ان زيادة المصروف على كل باحث تقود حتما الى زيادة الانتاجية بنسبة تفوق بكثير نسبة المصروف الاضافي . فالثلاثون الف دولار المذكورة في الجدول تدخل فيها رواتب الباحثين ، وكلفة البناء ، والأدوات ، والادارة ، والصيانة ، الخ ، ومايصرف فعليا على البحث العلمي الفعلي هو جزء يسير جدا من هذا المبلغ والباحث الذي يعمل على مستوى قريب جدا من « المجاعة العلمية » لا يمكن ان ينتج انتاجا ذا بال

ولكن لعل هناك اسباباً اخرى غير المال تعوق تقدم انتاجية العلماء العرب وربما انعدام سياسة علمية تركز جهود الباحثين العرب في مواضيع محددة بحيث تتألف منهم الكتل الحرجة القادرة على الانتاج العلمي الجدي هي السبب الأهم في ضعف انتاجية العلماء العرب ، ونحن نعتقد ان هذا عامل اهم من الضائقة المالية الخانقة

تصنيف المنشورات العلمية العربية :

من أجل أن نصنف المنشورات العلمية العربية المواضيع المختلفة انتقينا جميع المنشورات العر المذكورة في الشهرين الأولين من فهرست المص (Citation Index) لسنة ١٩٨٥م ، فكا (٥٠٤) مقالات ، ودرسناها بالتفصيل ، فتبين لـ

العلوم الطبية تستحوذ على حصة الاسد من المنشورات العلمية العربية (٤٤/) ، وتتفاوت هذه الحصة بين قطر وآخر ، اذ انها تتراوح بين ٣٤/ في مصر و٧٨/ في قطر ، ويظهر ان الاقطار التي تأسس فيها البحث العلمي قبل غيرها تتجه الى البحث العلمي في حقول اخرى ، بينما يسيطر الطب على البحث العلمي في الاقطار الحديثة العهد بالبحث العلمي ، اي ان البحث العلمي يبتدىء في قطر ما اول مايبتدىء في المواضيع الطبية ، وهذا منتظر ، لأن كثيرا من المنشورات الطبية ما هو الا نتيجة مباشرة للممارسة الفعلية للطب ، ولامكانية القيام بالبحث العلمي بالاعتماد على المختبرات والاجهزة الموجودة اصلا للمارسة العملية ويساهم في ذلك ايضا التدريب الجيد الذي توليه الدول الناشئة لاطبائها ، وطول مدة هذا التدريب ، ويلفت النظر في هذه اللائحة مركز لبنان والسودان ، فمع عراقة البحث العلمي فيهما نجد ان الطب يستحوذ على نصف المنشورات العلمية في لبنان وثلاثة ارباعها في السودان ، واذا تذكرنا ان هذا حاصل في قطرين يشكوان من الحرب الأهلية المزمنة فقد يعني ان البحث العلمي في الطب هو ايضا اكثر تأصلا واصعب اجتثاثا عندما تضعف الابحاث العلمية الأخرى

تأثير البحث العلمي العربي .

للبحث العلمي الأساسي فوائد مباشرة ، هي نتيجة نشر المقالات العلمية ، وهذا ماقد يمكن قياس بعضه ، لكن لعل الفوائد غير المباشرة أهم في الدول النامية ، فمجرد قيام الاستاذ الجامعي ببحث علمي - سواء نشره ام لم ينشره - يحافظ على مستواه العلمي كأستاذ ، كما يفتح الباب امام قيام دراسات عليا وتدريب لعلماء شبان

وينشر العلماء مقالاتهم في المجلات العلمية لكي تتمكن العلماء الآخرون من الحصول على هذه المعلومات والبناءعليهابتطويرها إما في اتجاه البحث العلمي الاساسي او التطبيقي

ويصعب كثيرا قياس تأثير المنشورات العلمية على العلم التطبيقي ، اذ ان كثيرا من نتائجه قد تبقى سرية ، وحتى المنشورة منها قد لا تحتوي على اشارات كاملة لمصادرها جميعاءوالاستثناء الهام للسرية هو في مجال العلوم الطبية ،والتي تؤلف المنشورات فيها ما يقارب نصف المنشورات العربية،وفيها يظهر ضعف تأثير هذه المنشورات على صناعة الأدوية العربية أو ممارسة الطب في العالم العربي او سياسات وزارات الصحة،لكن قياس تأثير منشور ما على البحث العلمي الاساسي ممكن بالرجوع الى فهرست المصادر الذي يعدد المنشورات العلمية التي تذكر مقالة ما كمصدر اعتمدت عليه وهنا حاولنا تصنيف المقالات التي ترجع الى عينة من المنشورات العربية الى ثلاثة اقسام

١ ـ مقالات من نشر المؤلف نفسه (او الفريق نفسه) ، ويشترط فيها ان يكون احد مؤلفيها مذكورا مع التأليف في مقالة يمكن تحديدها والعدد الذي حصلنا عليه هو الحد الأدنى ، اذ أننا قد لا نستطيع التعرف على مؤلفين من نفس الفريق

٢ ـ مقالات نشرها مؤلفون من اقطار عربية

٣ ـ مقالات نشرها اجانب

ثم حاولنا ان نجيب على السؤال من الاتجاه الآخر ، اي الى من يرجع المؤلفون العلميون العرب في مقالاتهم ، ولذلك اخترنا عينة عشوائية من مقالات نشرها علماء عرب في العلوم المختلفة ، وصنفنا المصادر التي رجعت اليها هذه المقالات التصنيف المذكور اعلاه فتبين لنا ان البحث العلمي العربي مايزال متشرذما ، بحيث ان ابحاث عالم عربي قلما تؤثر على ابحاث عالم عربي آخر الا في العلوم الاجتماعية ، وهذا متوقع لحداثة العلم الطبيعي في الوطن العربي ، ولضآلة حجمه ، ولأنه لم يصل الى درجة (الكتلة الحرجة) عندما تتفاعل اجزاؤه مغذية بعضها بعضا،ولكون العديد من المنشورات العربية

الجيدة في العلوم الاجتماعية منشوراً باللغة العربية

ولعدم وجود السياسة العلمية الهادفة الى زيادة تفاعل العلماء العرب، وعدم وجود الخطة العلمية الهادفة الى تركيز البحث العلمي في مواضيع محددة ولذلك مايزال العلم العربي ـ اكثره على وجه التقريب عدا العلوم الاجتماعية ـ مرتبطا بأصوله العربية، اي اننا ما نزال في طور التبعية العلمية للعرب

نموذجان للنظام العلمي التقني

كثيرا مايلجأ المرء الى استنباط النماذج، في محاولة لفهم النظم المعقدة، وليتمكن في النهاية من التحكم فيها والنموذج المنشود هو تبسيط لعمل النظام الفعلي بقدر الامكان، مع عدم ابعاد الأمر عن الواقع، وهذا امر ليس ممكنا نظريا، فالتبسيط هو في جميع الحالات ابعاد عن الواقع المعقد، والنجاح في استنباط نموذج مقبول وتطويره يعتمد على الوصول الى معادلة بين التبسيط والابعاد عن الواقع، ولكل شخص حق في ان يقبل النموذج المعروض عليه او لا يقبله، والنموذج الناجح هو الذي يقبله عديد من الناس ويسهل عليهم الفهم والتفكير في النظام الذي يمثله ذلك النموذج، ومهما يكن النموذج لاي نظام فلا يمكن التفكير فيه بمعزل عن العوامل التي يعمل النظام ضمنها، واهمها الضغوط والحوافز التي يوفرها المجتمع وهذا بدوره يعتمد على ماينتظره المجتمع من ذلك النظام

ينبع النموذج (الكلاسيكي) لعمل النظام التقني من الدراسة التاريخية لتطور التقنية في البلدان العربية، ومن دراسة تطوير ثمرات هذه التقنية ويقسم هذا النموذج النظام التقني الى اربع مراحل، وهي البحث الاساسي والبحث التطبيقي والتطوير والانتاج

ولا يمكن اعتبار هذه المراحل منفصلة، كما لا يمكن اعتبار التفاعل بينها يجري في اتجاه واحد، ويمكن ان يمثل هذا النموذج بنبتة، جذورها العلوم الاساسية، وساقها العلوم التطبيقية، واوراقها وغصونها التطوير، وثمرتها الانتاج فاذا قبلنا هد النموذج تصبح (استراتيجية) تطوير النظام التق واضحة ويجب ان نبدأ بتقوية العلوم الاساسية فكل دعم للبحث العلمي الاساسي سيقود عاجلا ا آجلا الى الثمرات التقنية شكل (٢)

ويريد من قبول هذا النموذج انه يعطي التبرير للأكثرية الساحقة من المهتمين بدراسة النظم التقنيه ـ من العلماء الاساسيين او الذين مارسوا البحـ العلمي الاساسي سنين عديدة ـ لعمل العمر

أما النموذج الثاني الذي نود ان نعرضه فهو مستمد من النظر في عمل النظام العلمي التقني في العالـ المتقدم، وفي العالم الثالث، وهو ناتج اساسا عن مقارنة بين نظامين، في محاولة للتعرف على التعديلات التي يجب ادخالها في انظمة العالم الثالث كي تلحق بركب العالم المتقدم وقد قمنا بتطوير هذ النموذج بالاشتراك مع الاستاذ يوسف الشيراوي وزير التنمية في البحرين، وقد نوقش وحسن هذ النموذج في احدى اللجان الفرعية، في لجنة (استراتيجية) العلوم في دمشق ويتألف النموذج من ثلاث دوائر، تمثل كل واحدة منها حقلا من حقول العمل في المجال التقني العلمي، وهي

١ ـ البحث والتطوير

بما فيها الابحاث الاساسية والتطبيقية والأبحاث الابداعية او الابحاث التحويلية المجردة او للحصول على معلومات

٢ ـ التعليم والتدريب

في جميع مراحله واشكاله، ومن ضمنه التدر غير الرسمي الذي لا يقود الى الحصول شهادات

٣ ـ الانتاج

بجميع فروعه الصناعية والزراعية والخدما وهذه قد تكون في النظام التقني ككل، او في فر

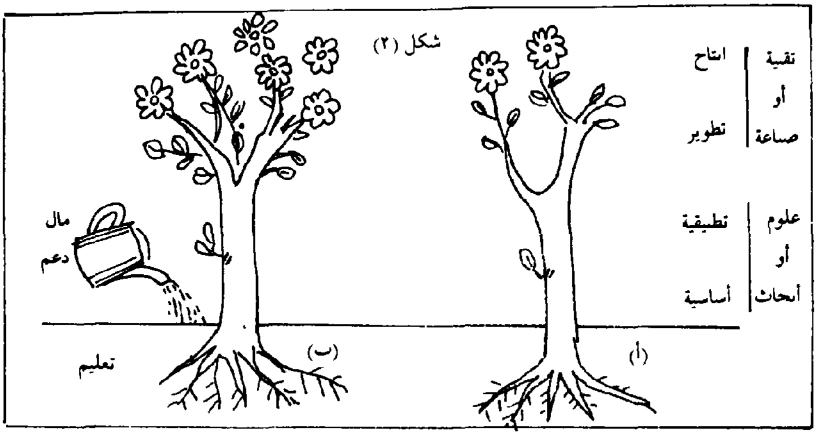

فروع المعرفة او الانتاج

ويتمثل كل عنصر في احد هذه المجالات (عامل او مؤسسة أو جزء من مؤسسة) بنقطة قد تقع في مجال واحد من هذه المجالات ، او في اثنين منها ، او في ثلاثة معا   شكل (١)

وتتميز الدول المتقدمة على دول العالم الثالث بعدة عوامل

١ ـ حجم العناصر   فهي اكبر بكثير في العالم المتقدم

٢ ـ وجود هذه العناصر داخل الحلقات ، بينما نجدها هامشية في الدول المتأخرة ، وتتواجد عناصر كثيرة في العالم المتقدم ، تتولى القيام بأكثر من مهمة ، فهي اذن تقع ضمن دائرتين او ضمن دوائر ثلاث ، بينما تتدور هذه العناصر في العالم المتأخر

٣ ـ ترابط العناصر بحيث تؤلف شبكة متكاملة ، يشد بعضها ازر بعض ، بحيث لا تضيع ثمرات المجهود في احد المجالات الثلاثة ، بل تنتقل الى المجالين الاخرين

وتتضمن طرق الربط التعيين المشترك للاشخاص ، والاستعمال المشترك للمرافق ، والدعم المالي المباشر بين مؤسسة واخرى ، كما تتضمن تعريف وظائف المؤسسات او الاشخاص ، حيث تشمل الوظائف الثلاث أو اثنين منها ، بينما نجد ان العناصر في العالم الثالث منفصلة عن بعضها بعضا تماما ، واذا كان لاي منها ارتباط فهو مع اصوله العربية لا مع العناصر الأخرى في المجتمع نفسه ، وحتى النظم واللوائح التي تسير عليها مؤسسات العالم الثالث فانها قلما تخلو من نصوص تمنع التعاون بين هذه المؤسسات والعناصر الأخرى في المجتمع

ولعل نجاح العلوم الطبية قبل غيرها في الدول النامية يرجع ـ بدرجة كبيرة ـ الى كون الانتاج فيها وهو التطبيب والبحث العلمي والتدريب للمساعدين في صلب العمل (الأكاديمي) الطبي ، فالحقول الثلاثة متواحدة بشكل طبيعي في مجال الطب

والمهم في الأمر ان (الاستراتيجية) التي يتبعها اصحاب القرار في تطوير النظام التقني في بلد ما تعتمد على النموذج الأكثر اقناعا لهم ، فاذا ما اختاروا النموذج الأول اصبحت (استراتيجيتهم) تقوم على دعم البحوث الاساسية بشتى انواعها ، اما اذا اختاروا الثاني فعليهم اختيار مواضيع يحصرون فيها العمل (تضييق الدوائر للحصول على الكتل الحرجة ، واكمال النواقص (وأهمها وصل العناصر) لقد اختارت اكثر الاقطار العربية النموذج الأول اساسا ، نظرا لصعوبة اتخاذ القرارات في حصر البحث العلمي في مجالات لم تظهر بعد علامات نجاحها ولا يمكن ان تظهر □

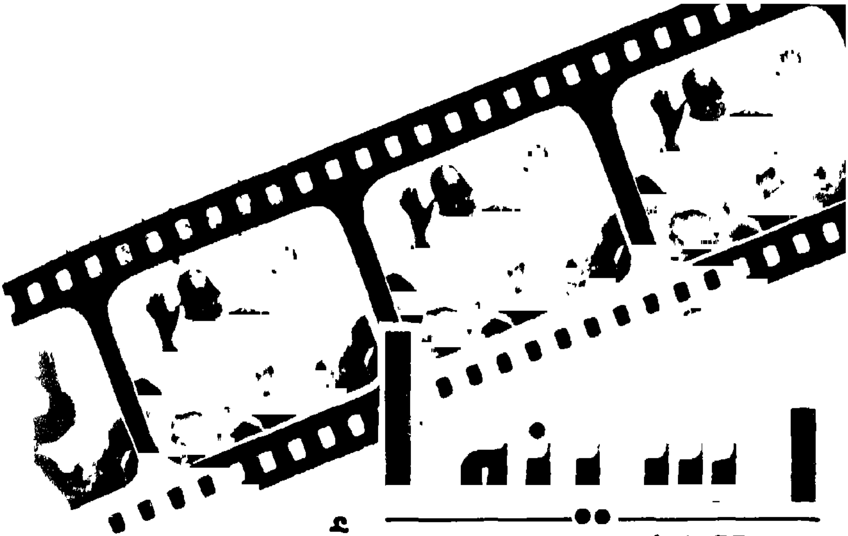

السينما وعلاقتها بالفنون الأدبية

بقلم . محمد صوف

عندما أطلت السينما كانت فنا ، يعنى بالدرجة الأولى بالصورة ، وباستعمال دقيق لعدسة تصوير ، بغية التقاط صورة متحركة لشخص أو حيوان أو شيء ما ، تلتقط العدسة بدقة متناهية اللون والشكل ، هادفة إلى إعادة إنتاج أمينة للواقع ، ومع ذلك تظل هذه العملية جزئية ، إذ لا تتمتع بالصورة ساعة عرضها سوى العين . وبعد ظهور تقنية الصوت ونجاحها صاحبت الصورة ، وأمتعت الأذن أيضا ، لكن المتعة بالصورة والصوت عبر حاستي البصر والسمع لم تأت تلقائيا ، ولن تأتي كذلك ، إذ لا بد من شخص يختار ويعمل ، أي يتدخل بمعرفته وذوقه ورؤيته ورؤياه ، ووجود هذا الشخص خلف العمل ينفي إمكانية الاعادة الأمينة لانتاج الواقع ، بل ويذهب إلى إدخال عناصر جديدة ، توهم بالحقيقة ، في حين أنها غير ذلك ، كالممثل والديكور إلخ ، إنها لا تعيد إنتاج الواقع ، بل تنقله من خلال الموضوع ، والايقاع ، والتقطيع الفني ، والتمثيل ، والديكور ، والحوار ، والصورة ، وهي هنا تتوافق مع فن الأدب ، ولا تكمن حقيقتها إلا في الكيفية التي تعبر بها عن الواقع

وقد كان هذا التعبير في البدء عبارة عن مزج بين الصورة والحوار المكتوب ، يرى المشاهد الصورة وشفتي الممثل تتحركان في حديث لا صوت له ، ثم تختفي الصورة ليظهر له ما قالته الشخصية مكتوبا ، وهو أسلوب يولد تفاوتا بين التعبير الواضح والتعبير الغامض ، ويفسح المجال لتدخل المؤلف في السرد السينمائي ، كما تسمح بذلك الرواية لكاتبها ، والحوار المكتوب في هذه الحالة ينحصر دوره في خدمة الصورة وإضاءتها ، وهو تابع لها ، لا يستمد وجوده إلا من وجودها ، وبدون حاجتها إليه يفقد كل مبرر في ضرورته . وبعد أن تطورت التقنية وبدأت

تسمح للصوت بأن يصاحب الصورة ، تطورت الحاجة إلى الصوت ، وأصبح التعبير السينمائي دونه ناقصا ، إذ يعتبر غياب مزج الصورة والصوت والموسيقا والمؤثرات الصوتية بترا ، وقد سمحت تقنية الصوت للصورة ان تنطلق دون حمل هم التفسير المكتوب ، وأصبح الفنان يستطيع إنجاز تركيب سريع متلاحق للقطات التي تقبلها العين ، وتتفاعل معها ، دون إحراج ، وأعطى هذا الأمر ـ بدوره ـ للسرد السينمائي متانة ، تمكنه من تحقيق تناغم على مستوى الايقاع ، وثراء تعبيري ، وخصب إبداعي ، يتولد عن تضافر جهود الصورة والصوت

فالصوت إذن قد أضاف للسينما شحنة جديدة ، جعلته يتجاوز دور الحوار المكتوب في خضوعه للصورة ، وأصبح يحظى بتفاعل جدلي معها ، وأحيانا يتوازى معها في الفاعلية ، وحينا آخر يصبح عنصرا مضادا لها ، حسب ما تقتضيه الصيرورة الابداعية ، وهدف التبليغ الذي يسعى إليه السينمائي ويتم التعبير السينمائي عبر تركيب وأسلوب يأخذ بها ميزة اللغة ، فهو كاللغة المكتوبة ، يستعمل الفصول والجمل والنقط ، والفواصل المصورة تأخذ في قاموس السينما مصطلحات كالوحدة الدرامية واللقطة ، واللقطة الكبيرة ، إلخ ، واستعمال هذه المكونات يجعل فن السينما أسرع من فن الكتابة في ترجمة الفكرة والخيال ، وإعطاء رؤية جديدة للعالم بواسطة إسراع حركة الصورة أو إبطائها مؤدية وظيفة شعرية ، أو بتثبيت انتباه المتلقي ، واختيارها لرؤية توجه نحوها الاهتمام ، دون أن تغير الواقع باستعمالها للقطة الكبيرة أو لتقنية الترتيب المضاد

السينما والملحمة

الملحمة عمل أدبي يخلد موضوعا وطنيا كبيرا ، ونوع ثري من الأنواع الأدبية ، وإن كان ثراؤه محدودا ، حيث أنه قد يتعرض للجهل خارج البلد المعني بالأمر ، وفيه الأسطورة تمنح للسرد ميد واسعا ، يتحرك فيه بإمكانيات كبيرة وأشه ملاحم التاريخ هما الالياذة والأوديسا ، حتى بعض الناقدين وصف الأولى بأنها قصيدة كـ الحروب ، والثانية بأنها قصيدة كل الرحلات وطابع الملحمة يجعلها أسطورة جاءت من الـر القديم ، وبالتالي يجعل من حداثة الحربين العالمية ـ الأولى والثانية ـ ما يمنع أن يجعل أي عمل أدبي عـ صفة الملحمة ، وكذا ثورة أكتوبر في الاتحـ السوفياتي ، ولعل أقرب الوقائع الكبرى في التار إلى الملحمة هي احتلال الغرب لأمريكا ، والحرو الأهلية التي أعطت الميلاد لشخصيات ملحمية أصبحت أساطير يرددها الأمريكيون ، دون أن تلـ ملحميتها معارضة ذات أهمية ، نظرا لقدمها ولاحتفاء شخوصها من أبطال وشهود ، وهذا مـ جعل السينما الروسية تكتفي بتقديم بيير الأك وإيفان الرهيب ويلاحظ على هذين العملين أ معنونان باسمين لشخصيتين تاريخيتين ، وذلك ا الملحمة تعتمد على وجود شخص كمحور ، تد حوله الأحداث ، ولا يبتعد بطل الملحمة كثيرا ، النجم السينمائي الذي جعله نظام النجوم « الـ سيستم » يحظى بهالة من الاهتمام والإقبال فشخصية (زورو) و (درتاكان) و (روبان بوا) و (أوليس) شخصيات لها علاقة ملحم بدوكلاس فيربانكس ، وجون وين ، وجان ماريه والتركيز على شخصية واحدة تتمحور حولها الوقا مسألة حيوية بالنسبة للشريط السينمائي ، تجعل نقطة التقاء مع الملحمة ، ووجود هذه الشخصـ يعطي بالضرورة وجود شخصيات تحرك الصراع أشهرها شخصية الخائن التي تسعى إلى تحطـ البطل ، بينما يسعى البطل إلى القضاء عليها ويكـ عنصر الفرحة والاثارة

نظرة قصيرة على الالياذة والأوديسا تجعلنا نكتشف أنهما تحفلان بالمواضيع السينمائية ، من صراعا

فردية وجماعية ، ومبارزات بين الأبطال وأعداء الحق الخونة ، (أوليس ضد الطامعين في الحصول على زوجته) ، والمطاردات (هكتور وأخيل) ، وكذا لحظات الوداع المؤثرة ، والمشاهد اللامألوفة كما في الجزيرة العجيبة ، والانتصار على الوحش رغم طاقته التي تفوق طاقة الإنسان ، والزوجة المخلصة بيبلوب … ويجعل تنوع الإثارة من الملاحم (سيناريوهات) جيدة ، تتعانق فيها بساطة التركيب وانسيابية الأحداث ، حيث تتتابع الحلقات مترابطة مشدودة إلى موضوع رئيسي ومركزي … وعن هذا تولدت فكرة المسلسل ، والمسلسل ليس سوى نقل للتقسيم الملحمي

السينما والرواية

إن السرد - بطبيعته - يقترب من المادة (الدرامية) أكثر من اقترابه من المادة الروائية ، إلا أن الرواية تتميز بقدرتها على تناول السرد وتطويره وإغنائه في إطار خارجي ، تستطيع الرواية تقطيع السرد وإخضاعه لتحليل تجريدي ، يصعب على السينما إدراك تحقيقه ، ومن هنا تأتي عملية نقل رواية إلى الشاشة شبيهة بتحويل العمل الروائي إلى (دراما) ، فكل شيء يصبح حركة ، وتشاء طبيعة السينما أن تقيد هذا التعبير الحركي في زمن محدود جدا ، يبدأ وينتهي مع انتهاء عرض الشريط … في حين أن تلقي الرواية قد تمتد أياما أو ربما شهورا ، وتستطيع السينما أيضا أن تقتحم ثلاثة أنواع من الرواية ، ذلك الذي يصور حقبة زمنية معينة ، وذلك الذي يحكي حياة شخص وتطوره إيجابا وسلبا ، وأخيرا النوع الذي يجعل من سرد فترة زمنية قصيرة متوترة ، وفيها أزمة ما موضوعا له ، وفي النوعين الأولين يقع اختيار السينما على لحظات ذات دلالة . فهي لا تحكي الحقبة الزمنية المعنية بالتفاصيل (الروتينية) ، ولا تتعرض لحياة شخصية بدقة تبعث على الملل ، بل تلتقط من هذه وتلك «اللوحات الأساسية … هي إذن تختزل وتلخص لتصور مقاطع مختارة من عمل ضخم ، ومهما حاولت السينما أن تجتهد في تقديم المهم من رواية « الحرب والسلام » لتولستوي ، أو من رواية « دافيد كوبر فيلد » لشارلز ديكنز ، فثراء العملين يجعل الصورة دائما قاصرة عن عطاء أكثر ، لما يحفلان به ، لكن رواية الأزمة التي تركز على فترة قصيرة عابرة من حياة فرد أو عائلة أو جماعة الخ … تقترب أكثر من السينما ، وتيسر عملية النقل إلى الشاشة وتحويل السرد إلى حركة … وأغلب الأعمال الأدبية التي نجحت السينما في إنتاجها وعرضها تنتمي إلى هذا النوع من الرواية … وترتاح السينما في تعاملها مع رواية الحركة أكثر من ارتياحها للتعامل مع الرواية التحليلية ، إذ أن هذا النوع ينحصر في سرد أزمة يحاصرها الزمن ويعتمد على سلوك شخصياتها الخارجي ، الظاهر للعيان

ومع ذلك فالنص السينمائي يعتمد في تعبيره على حدس المتلقي ، وهو في هذا يتأثر بالنص الروائي الذي يعتمد أيضا على ذكاء القاريء وتفاعله مع العمل ، فالنص الروائي لا يقول كل شيء ، بل إن هناك بين السطور أشياء على القاريء أن يكتشفها ، كما أن العناصر المكونة للعمل السينمائي تدع المتفرج يعتمد على تفاعله للكشف عما لم يقله (الشريط) وهذه العملية لا تتأتى إلا بعد عشرة طويلة ، تخلق ألفة بين المتلقي والفيلم ، كما خلقت هذه العشرة ألفة بين الرواية والقاريء

السينما والشعر

أما الشعر فباعتباره فنا أدبيا لا يعرف في السوق إقبالا إلا من طرف هواة القصيدة ، وتعامل السينما معه يطرح أولا إشكال الجمهور ، ويبقى السؤال الحاضر دوما … هل ينجح فن تجاري في خلق علاقة مع نوع أدبي لا يميل إليه إلا القلة ؟ حاولت السينما أن تتعامل مع القصيدة منذ بدايتها ، فتم إنجاز الشريط الصامت « المطلق » ABSOLU ، وكان الفشل التجاري هو النتيجة المنطقية لعرض قصيدة

مصورة ، وما تزال أفلام القصيدة تفتقر إلى إقبال الجمهور الواسع ، في حين أنها تلقى تشجيعا خلال المهرجانات ، وبما أن في كل فنان جزءا من شاعر فإن بعضهم يحرص على إدخال الشعر في الفيلم التجاري بإدخال شخصية شاعر في الحبكة ، وبالتالي تقديم نفس شعري للفيلم في خضم الحركة والتوتر ، ليصبح الشعر جزئيا لكنه على الأقل حاضر وكلما خرج الفيلم من إطار الحكاية العادية ، ومن السرد المنطقي أمكن له أن يعانق القصيدة كما في فيلم « الجميلة والوحش » ، و « العودة الخالدة » ، حيث يفيد غياب عنصر السرد المكثف الأصالة الشعرية ، وتفرض (تيمة) الصورة نفسها حين يسوقها الشاعر في نسق لا يخضع لمنطق السببية ولا للعقل وقد سجل فلاهيرتي FLAHERTY ـ رائد الأفلام الوثائقية ـ جمالية شعرية ناجحة ومقبولة ولعل أنجح الأعمال الشعرية التي لا تخضع لمنطق هي الرسوم المتحركة التي تحملنا صورها إلى عالم جديد ، والتي توفق في النقل البصري إلى الرؤية الشعرية ، وكما في القصيدة لا ينخدع شاعر الصورة أو مخرج فيلم القصيدة بانفعالاته ، بل يسهر على إعطاء الايقاع والأسلوب المناسبين لترجمة إلهامه ، ولا قيمة لجمال الصورة إذا لم تهدف إلى التعبير عما يفرضه الالهام ، وتبليغ الرسالة التي يرمي الشاعر إلى إيصالها ، ومن هنا يأتي نجاح فلاهيرتي في نانوك ، وموانا ، ولويزيانا ستوري ، إذ أخضع التجربة الشعرية لعلاقتها مع الواقع ، وحرص على قيمة الايقاع في تبليغ الدلالة وترجمة الأحاسيس

السينما والمسرح

أما المسرح فهو أقرب الفنون الأدبية إلى السينما ، من حيث التركيب ، ومن حيث صيرورة الزمن التي تتحكم في الخشبة والشاشة ، ثم إن أعظم الأفلام السينمائية بنت (سيناريوهاتها) على موضوع جاد وأبدي ، حافل بالتعبير الحي ، يمنح للفنان إمكانيات العطاء والقدر بتفاعلاته و (ميتافيزيقيته) أعطى مادة خصبة للأفلام التراجيدية ، وميزة التراجيديا أنها تتلخص في أزمة رئيسية محورية تتنامى وتتطور

في حين أن الكوميديا تخضع الفيلم لقوانين الفرجة وإثارة الضحك التي تتحقق عبر التعبير بالصورة ، وعن طريق الحركة الكثيفة ، ويلاحظ في الأفلام الكوميدية الشهيرة أن الايقاع يحتل الصدارة في العمل الفني ، انطلاقا من ميلييس **MELIES**، ومرورا بماكس ليندر **MAX LINDER**، إلى شارلي تشابلن **CHARLES CHAPLIN** وكلما تخلت السينما عن تكثيف الحركة واعتمدت التعبير على الطباع البشرية بنقدها سقطت في « تسميم » المسرح ، إذ يصبح الحوار سائدا ، وفيه تكمن قيمة الفيلم الأساسية ولعلها الوحيدة والحدث والحركة يشكلان الركيزة الأساسية للفيلم الضاحك ، وقد عرف تاريخ السينما أنجح ما أعطت (الكوميديا) وهو ذلك النوع الذي يأخذ شخصية نمطية ، ويعمل على تبرير تصرفاتها عبر الحركة والحدث ، مثل أفلام « شارلو » والثنائي « لوريل وهاردي » و « الأخوة ماكس » ، وقد وصلت شهرة هذه الأفلام إلى درجة (الكليشيه) ، كما أن الشاشة استفادت كثيرا من مسرح « الفودفيل » أو مسرح الشارع ، حيث تصبح الحبكة آلية ، وتخلق مشاهد موازية تناقضات مثيرة ، تعتمد على المنطق المغلوط ، وعلى سوء التفاهم ، وهما من أنجح ما يثير ضحك المتلقي

يبقى الحوار ـ وهو العنصر الأساسي في المسرح ـ غير ذي متانة في السينما لأن الصورة تطغى ، ولأن (الدبلجة) تقتضي تسجيل الحوار بعد التصوير ، محافظة على تطابق حركة الشفتين مع القول ، وقد تخلت السينما عن قوة التعبير الشفوي المثير للعواطف والانفعالات في المسرح ، معوضة ذلك بالصورة البليغة الناطقة دون أن تتكلم ، غير أن هذا لا يعني تأثير جودة الحوار في الفيلم ، بل ينزع عنه فقط صفة الأولوية التي تجعل منه ضرورة على الخشبة، بدونها لا يتحقق العمل المسرحي □

العربي
عيونك
على العالم

الموصل تبحث عن زمنها المفقود

استطلاع : صلاح حزين

تصوير : طالب الحسيني

حين بلغنا الموصل كانت المدينة الخضراء تودع ربيعها الأول ، لتستقبل ربيعها الثاني ، فلكل مدن العالم ربيع واحد ، وللموصل ربيعان ، واحد في الربيع ، وآخر في الخريف ، وبين الربيعين تتزين المدينة وريفها بالثوب الأخضر الموشى بآلاف الورود الحمراء والصفراء والبيضاء ، مستقبلة السكان المحتفلين بأعياد مدينتهم الزاهية .

حين يأتي الربيع يخرج أهل الموصل إلى الغابات القريبة ، والجبال الخضراء ، نط المياه المجاورة ، ويرقص الشباب ت ، ويتقافز الأطفال بين الأشجار ، غون فوق العشب الذي استطال مجاور هم الصغيرة ويتأمل الكبار في الأفق الممتد لسهول والجبال التي شهدوها صغارا و ، هاهي الجبال والسهول والغابات تواصل الخالدة في استبدال ثوب بثوب ، ولون وتموت أجيال ، وتأتي أجيال ، ويزول الناس ، كما زال ملوك « آشور » العظام ، وكما زال ن والسلوقيون والفرس والتتار ، وكل الغزاة روا بهذه المدينة العظيمة ، ولا تزول الجبال ل والغابات والمياه الجارية ، بل تبقى شاهدا روت الإنسان وضعفه ، وعلى مجده وعاره ، ياته وموته الذي تعددت أسبابه

، بلغنا الموصل كانت الحرب هناك أيضا ، فقد المدينة تودع شهيدا سقط في الحرب التي ت في الجنوب ، فاكتوى بنارها الشمال ، بظلها على كل شيء لكن متى انتهت الحرب ومتى غادرت الحرب أرض الموصل ؟ لقد لموصل بالقرب من أطلال مدينة نينوى ، حاضرة الآشوريين الذين لم يخل عصر ملك كهم من حملة أو أكثر ، حتى طغى الجانب ي من نشاطهم على ماعداه ، مما جعل بعض ، لايرون فيهم غير أمة من الجند والقادة ن والملوك القساة المستبدين ، ويتهمونهم سياسة النار والحديد مع الأقوام المجاورة ، عرف عن بعض ملوكهم العظام من اهتمام ة والفنون والأدب الذي حفظ منه كثير

الآشوريين جاء البابليون ، ثم السلوقيون ، انيون ، وأقوام آخرون غيرهم ، ثم جاء العربي الإسلامي وفي كل عهد من هذه كانت الحرب هناك لاتبارح لذا كان السور المنيع الذي يحمي المدينة إحدى ضروراتها ، فكان سور نينوى القديم ، ببواباته الخمس عشرة التي أخذت أسماء الآلهة الآشورية ، مثل بوابة شمس ، وأود ، وسن ، وغيرها ثم بعد ذلك كان سور الموصل الشهير بمنعته الذي لم يبق منه الآن غير تلك القلعة الحصينة المسماة « أشطابيا » الواقعة على ضفاف دجلة ، تروي قصة الغزاة الذين وقفوا على أعتابها دون أن يقتحموها قال عنه ابن بطوطة « إنه من أسوار الدنيا العظام ، وأنه لم ير مثله في أسوار الدنيا إلا السور الذي على مدينة دهلي حاضرة ملك الهند » ، وزارها الرحالة الأندلسي ابن جبير فكتب « وهذه المدينة عتيقة ، ضخمة ، حصينة ، فخمة ، قد طالت صحبتها للزمن ، فأخذت أهبة استعدادها لحوادث الفتن ، قد كادت أبراجها تلتقي انتظاما لقرب مسافة بعضها من بعض »

حين هدمت المدينة سورها

ومع ذلك فإن التاريخ يروي لنا حادثة طريفة ، اضطر فيها أهل الموصل إلى هدم سور مدينتهم بأيديهم ، فقد ذكر المؤرخون أن الموصل ثارت على هارون الرشيد سنة ١٨٠ هـ ، فجرد حملة على المدينة ، وهدم جزءا من السور ، وأرسل مناديا في المدينة يقول « من هدم ما يليه من السور فهو آمن » ، فهدم الناس سور مدينتهم بأيديهم

وظلت المدينة بلا سور فترة طويلة من الزمن قبل أن يبنى من جديد ، ليهدمه المعول ، ويعاد بناؤه ثانية ، وتبليه الغزوات العديدة والزمن ، فيتحول إلى أطلال وأنقاض بعدما دخلت الحروب عصر المدفعية الثقيلة والطائرات والصواريخ ، وبعد ما عجزت أسوار المدن عن حماية سكانها ، فقامت بلدية الموصل ببيع ما تبقى من أنقاض السور بعد عام ١٩١٥ ، فكان ذلك فصل الختام في تاريخ السور الحصين ، وبداية عهد جديد للمدينة التي شهدت فجر التاريخ فماذا سجل التاريخ عنها ؟

« هي محط الركبان ، ومنها يقصد إلى جميع البلدان ، فهي باب العراق ، ومفتاح خراسان ، ومنها يقصد إلى أذربيجان ، وكثيرا ماسمعت أن بلاد الدنيا العظام ثلاثة نيسابور ، لأنها باب الشرق ، ودمشق ، لأنها باب الغرب ، والموصل ، لأن القاصد من الجهتين قل مالا يمر إلا بها وما عدم شيء من الخيرات في بلد من البلدان إلا وجد فيها » ، هكذا وصف ياقوت الحموي الموصل في زمن غير هذا الزمن فماذا عن تلك المدينة العراقية الواقعة على بعد ٢٦٨ ميلا إلى الشمال من بغداد اليوم ؟

لقد قدم لنا ياقوت المدينة باعتبارها جسرا يربط بين حضارات مختلفة ، في أماكن مختلفة من العالم ، ولذا كان اسمها الموصل ، يقول ياقوت « قالوا سميت الموصل لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق ، وقيل وصلت بين دجلة والفرات ، وقيل لأنها وصلت بين بلد سنجار والحديثة ، وقيل بل الملك الذي أحدثها كان يسمى الموصل »

غير أن هناك من يقول أن الموصل ما هو إلا تحريف لكلمة « موسيلا » ، وهو الاسم الذي أطلقه على المدينة القائد اليوناني « زينفون » ، حينما مر بها بصحبة عشرة آلاف مقاتل في أواخر القرن الخامس قبل الميلاد

وفي الواقع أن الموصل مدينة متعددة الأسماء والأوصاف ، فقد سماها الآراميون حصن عبرايا ، وسميت هي ونينوى بالحصين ، كما سميت بالحدباء لاعوجاج دجلة عندها ، واحديداب الأرض القائمة عليها ، ووصفت بالبيضاء والفيحاء وبالخضراء لاخضرار بقاعها وجدرانها بعد سقوط الأمطار ، ولقبت أيضا بأم الربيعين ، لأن خريفها معتدل كربيعها

وحين بلغنا الموصل كانت أعياد الربيع الأول قد انتهت ، فخلدت المدينة إلى السكون بين ربيعيها

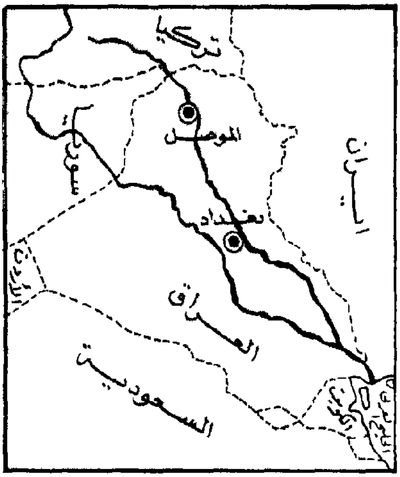

الموصل

سباق مع الغروب

لانخيل في الموصل إلا نخيل الزينة في الشوارع الفسيحة والساحات الكثيرة التي تزين المدينة وتعلن عن الاهتمام بها وبهذا تختلف الموصل عن مدن العراق الجنوبية المكتظة بالنخيل ، وليس في الموصل ذلك المشهد الأخضر المغبر الذي يميز جنوب العراق ووسطه ، بل الخضرة النضرة والشوارع التي اعتادت نزول المطر ليغسلها ، والساحات التي انبثقت منها مياه النوافير، والأبنية الحديثة العديدة والجسور التي تربط شطري المدينة القائمين على نهر دجلة الذي يخترقها ، وعلى أطراف المدينة تشابكت أشجار الغابات ، فوق بساط من العشب الطالع من الأرض الحمراء ، بساط يفترشه سكان المدينة حين يخرجون إلى الغابات للاحتفاء بالربيع ، بساط لمتعة الأطفال وتأمل الشيوخ ورقص الشباب حين يخرجون في استجابة عفوية لنداء الطبيعة الغامض

في داخل المدينة كانت الحياة تسير ، والناس والسيارات والعربات والمركبات والباعة والمشترون والمتنزهون والمتسكعون والواقفون على الأرصفة يمارسون عادة الانتظار التي ألفها البشر منذ آلاف

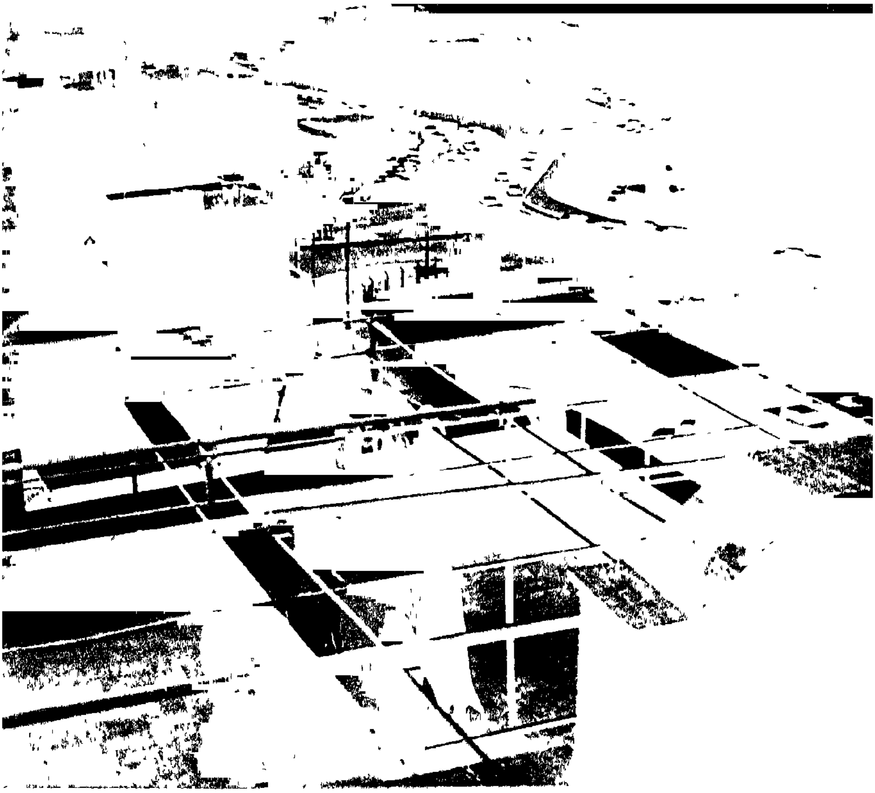

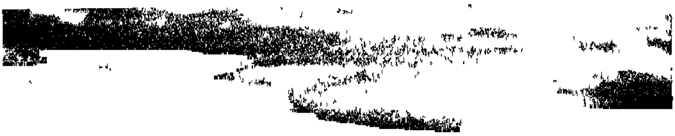

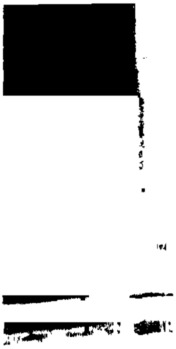

- (أعلى) عمارات ارتفعت على حافتي دجلة (أسفل) أضرحة لأولياء مجهولين ، وقباب مخروطية مميزة (إلى اليسار) الثور المجنح ، رأس مهشمة وخمسة أقدام (أعلى يمين) لقطة شاملة للموصل من فوق جامع النبي يونس ، جزء من سور نينوى القديم وقد أعيد بناؤه (أقصى اليمين) ترميم الأدعية في دار التوتنجي

السنين

كانت الشمس تؤذن بالمغيب ، ودجلة يواصل سيره على عهده منذ آلاف السنين ، ولم يكن أمامنا وقد وصلنا المدينة في آخر النهار إلا مراقبة الغروب الجميل ، لكن الأبنية العالية داخل المدينة ، والغابات الكثيفة خارجها ، كانت تحول دون استمتاعنا بمشاهدة المطر الخالد ، ركبنا السيارة ، واتجهنا نحو الأفق ، في محاولة للظفر بمشاهدة الشمس الغاربة. ومن ضفة النهر وعبر غابات الموصل ، ومن خلال أغصان الأشجار المتهدلة شهدنا غروب شمس الموصل خلف نهرها الخالد في مشهد جميل وجليل ، والتقط زميلي المصور ما أراد من صور لهذه اللحظة التي تشي بأكثر من معنى ، وعدنا إلى الفندق للمبيت قبل أن نبدأ يوم عملنا الأول في الصباح التالي.

استيقظت المدينة في اليوم التالي على صبح ربيعي رائع ، لسعات البرد الخفيفة كانت تذوب سريعا في حرارة الشمس التي بدأت تزداد رويدا رويدا ، فتزيل عبث اليوم الذي انقضى ، وتعطي النهار وهجا جديدا. وتحت شمس النهار الصاعدة كان أهل الموصل يغادرون منازلهم نحو مراكز العمل ، غير مبالين بكل هذا الجمال الذي ألفوه ، وكانت الحوانيت تفتح أبوابها والمركبات تسير كسلى في شوارع المدينة المستيقظة ، والساحات والشوارع تمتلئ بالقادمين من أطراف المدينة ، ومن القرى المجاورة. يتوجه العاملون إلى أعمالهم ، والطلبة إلى مدارسهم ، والفلاحون إلى حقولهم القريبة وتبدأ دورة الحياة اليومية.

في ذلك الصباح الربيعي كنا على موعد مع مزاحم الروبعي مدير آثار النمرود في إدارة آثار نينوى ، فالموصل هي عاصمة محافظة نينوى التي أخذت اسم مدينة نينوى القديمة ، إحدى عواصم الدولة الآشورية ذات المجد القديم. أما النمرود فهو الاسم الذي أطلقه العرب على مدينة كالحو العظيمة ، وهي عاصمة المملكة الآشورية الثانية الواقعة قرب الموصل. ومع أن السيد الروبعي اختصاصي في الحضارة الآشورية القديمة إلا أنه يعرف المدينة بأحيائها وشوارعها الخلفية وأزقتها الضيقة وأسواقها القديمة معرفة تامة.

ومن مكتبه الواقع في سفح تل كانت تقوم عليه فيما مضى أجزاء من نينوى القديمة ، بدأنا رحلتنا نحو ساحات الموصل الرئيسية التي تشكل امتدادا لبوابات سور الموصل المنيع الذي تحدثنا عنه ، فأحياء الموصل هي امتداد للأحياء القديمة التي كانت تقود إليها ، وأبواب السور القديمة مثل باب سنجار وباب البيض وباب الطوب وباب السراي وغيرها. ومن أحد هذه الأبواب - من باب الطوب - دلفنا إلى المدينة القديمة ، لنرى ماذا فعل الزمن بالموصل ، وماذا فعلت الموصل لتتحدى الزمن - وهي التي يعود تاريخها إلى الألف السادس قبل الميلاد - حين كانت قرية زراعية صغيرة تدعى نينوى.

في سوق الهرج

اخترقنا الأبنية العتيقة والأزقة الضيقة المليئة بالعربات والناس بملابسهم التقليدية ، مشترين وبائعين وعاملين ومتسكعين ، ودلفنا إلى أسواق المدينة القديمة التي تراصت الحوانيت فيها جنبا إلى جنب ، حتى وصلنا ساحة صغيرة وقفت بها عربة ، وفوق العربة جلس شاب لم يبلغ العشرين ، وقد بدا بملابسه التي تتكون من عمامة وقميص وسروال فضفاض كأنه خرج من حكايات ألف ليلة وليلة. إنه ينتمي إلى ذلك الجيل الذي يحفظ للمدينة تقاليدها ، وللمهن أسرارها فيحافظ على ما يمكن أن ينقطع إذا تمكن نموذج الحياة الجديد من اختراق هذا الجزء العزيز من مدننا القديمة ، إن الحياة تجري خارج هذا الجزء الموصلي القديم ، وخارج المدينة الحديثة ، وخارج العراق والوطن العربي ، لكنها تجري هنا بوتائرها الخاصة وأسلوبها المميز ، ويحاول هذا الجزء

العريق الذي كان يوما مركزها المزدهر أن يبقى على ما كان عليه من مجد غابر ، لكن للزمن قوانينه ، وللتطور الذي هو سنة الحياة منطقه الخاص الذي لايقف عند حنين الناس إلى القديم الأصيل والعريق ، بل يفرض نفسه على نمط الحياة بقسوة باترة

في السوق وقف رجال يساومون على ثمن المسابح والعاديات والمصنوعات اليدوية الخفيفة ، رجال وشباب من مختلف الأعمار ، ارتفعت من خلال حواراتهم لهجة أهل الموصل المميزة القريبة من لهجة مدن شمال سوريا ، ويلبسون زيهم الموصلي التقليدي الشبيه بزي الريف في بلاد الشام ، الغترة والعقال والجلباب المفتوح طوليا من منتصفه ، يحيط به حزام جلدي أو قماش فوق سروال أبيض طويل

جلس الرجال المسنون بزيهم هذا أمام حوانيتهم التي غصت ببضائعهم التقليدية ذات الألوان الداكنة المتنافرة

اقتربنا من بعضهم ، وقدمنا أنفسنا ، طالبين التحدث إليهم ، وأخذ بعض الصور لهم ، فرحب بعضهم بالحديث لكنه اعتذر عن الصورة معلنا أنه لايحب التصوير ، وقبل بعضهم الآخر بعد مساومة أن تؤخذ له صورة بزاوية معينة اختارها هو ، ووقف آخرون لامبالين بالصورة التي التقطها لهم زميلي المصور ، واستسلم غيرهم ليده وهو يوجههم كيفما شاء ، فيما حاول بعض الشبان الصغار الدخول في محيط الصورة ، وهم يشيرون بأيديهم إلى أشخاص وهميين مومئين لهم ومبتسمين ابتسامات تمثيلية متنوعة ، وأقبل كثيرون ليروا ما يحدث في سوق الهرج ، وكان طريفا أن نعرف أن هذا السوق قد سمي بهذا الاسم لوجود المنادين على بضائعهم بصوت عال ، وحيث يكثر الهرج والمرج

اخترق الجمع شخص تطوع فورا للحديث والشرح ، وأعلن عدم ممانعته في أن نأخذ مانشاء له من الصور ، وصاح بعضهم « أبو علي السواس » ،

وبدا أبو علي السواس بلحيته البيضاء الجليلة وه
الأليفة ، وقد تمنطق بعدد من السيور الجلدية
أحاطت بوسطه ، وامتدت من صدره إلى ظهره
كتفه ، وحمل قربة السوس (العرقسوس) ، ودا
بأصابعه المدربة الأكواب النحاسية التي يصب
السوس لزبائنه ، فأصدرت لحنا مميزا على حـ
المميز

وبدأ أبو علي السواس يتحدث بطلاقة و
تامتين إنه حسين السواس ، يبيع السوس في
السوق منذ كان في الحادية عشرة من عمره ،
الآن على أبواب السبعين ، وفي الشتاء يتحول أبو
ليبيع القهوة العربية ، لذا فهو شخصية معر
مألوفة في سوق الهرج يسأل عنه الصحفي
والمصورون ليلتقطوا له الصور التي تمثل المو
القديمة ، ويسألونه عن ماضي السوق كما ع
صغيرا ، وعما حل به مع الزمن الذي طالت يده
شيء إنه جيل آخر من الرجال الذين حفظوا تر
المدينة العريقة ، حتى بعد اتساع الموصـ
وامتدادها ، ودخول الأسواق الحدي
و (البوتيكات) والوكالات التجارية الغربية إلي
وبدا لنا أبو علي السواس والفتى القادم من حكا
ألف ليلة وليلة منسجمين تماما مع الدكاكين الـ
التي امتدت بشكل طولي حتى نهاية السوق ، و
سوق جديد ، وبدونا نحن بزينا الأوروبي وأ
التصوير كأننا غرباء عن المشهد كله

من سوق الهرج إلى سوق الحبالين الذي تمطه
الطريق الآتية من سوق الهرج في أحد الحوا
العتيقة وقف أحمد يونس ، يرتب حباله الملو
ويفك ما « تشربك » منها ، ليعرضها على أفـ
صورة ، إنه يبيع الحبال في هذا المحل منذ ٤٠ سـ
وقبلها كان والده يرعى المحل حتى توفاه ا
وسألت أحمد يونس عن صناعة الحبال وبيعها ،
مهنة الحبالين التي لاتعرفها أجيالنا جيدا ، فأجـ
« إن مهنتنا تبور ، فلم يبق هناك من يستخدم

- شباب الموصل يحتفون بربيع مدينتهم (يسار) حاملات الجرار من أشهر تماثيل الموصل (أقصى اليسار) الموصل القديمة تزول تدريجيا إطلالة على الموصل ساحات وتماثيل وبنايات حديثة في الموصل الجديدة

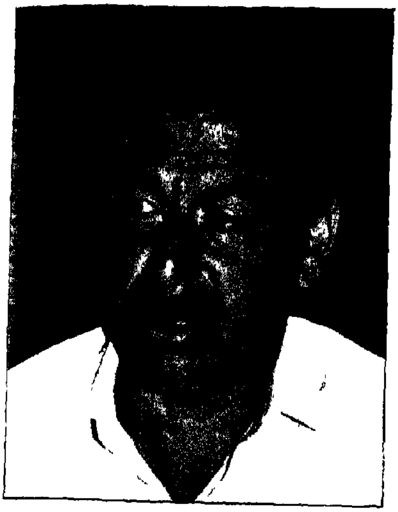

ـ السيد مزاحم الرويعي مدير آثار النمرود

لخيل والجياد في الموصل ، بعضهم يستخدم البغال ، لكن هؤلاء أصبحوا قلة لايقيمون سوقا وتركت احمد يونس وأنا أقلب في ذهني فكرة اختفاء الجياد التي اشتهر بها العرب ومايزالون لقد مضى عصر الفروسية فلم لاتختفي الجياد ؟

ومن سوق الحبالين إلى سوق البزازين (الأقمشة) ، إلى سوق العطارين ، فسوق الصفافير ، وسوق السراجين ، وغيرها من المهن التقليدية التي أقامت الموصل لكل منها سوقا ، والحال هو الحال ، المهن القديمة تمضي وتبور ، ويعاني البائعون من وضع السوق الذي لم يعد كما كان ، فيهجر بعضهم حوانيتهم ، ويهجر آخرون مهنهم ، بينما يمضي آخرون متمسكين بها في وجه الحياة الحديثة الزاحفة إليهم في عقر أسواقهم

دار التوتنجي

ومن مجمع الأسواق ذاك أكملنا جولتنا في الأحياء القديمة ، في حي القليعات ، وهو من بقايا مدينة نينوى الآشورية ، وباب السراي ، والسرج خانة ، وسوق الصغير نفس الأزقة الضيقة تتكرر أمام عيني الزائر ، ومجاري المياه على الطريقة القديمة تنساب على امتداد الممر الضيق ، والأبواب المزخرفة وشناشيل النوافذ التي قاربت على الالتقاء لضيق الأزقة ، ومع أن هذه الأحياء مازالت باقية إلا أن أحياء قديمة غيرها هدمت ، لتقوم مكانها شوارع فسيحة ، وبنايات حديثة ، وأسواق تعرض البضائع الاستهلاكية ، وتبيعها

وحتى يصان الطراز الموصلي التقليدي في بناء البيوت استملكت المؤسسة العامة للآثار عدة بيوت قديمة ، بهدف ترميمها ، وإعادة بنائها حسب الطراز الأصلي الذي يعكس الهندسة المعمارية الموصلية ، من حيث ترتيب الغرف والردهات والسراديب ، ومن هذه البيوت دار التوتنجي التي كان يملكها أحد أعيان الموصل في سالف الزمان ، وحين وصلنا الدار كانت الأشغال وأعمال الترميم قائمة فيها على قدم وساق

تتكون الدار الموصلية التقليدية من قسمين ، وكل قسم من طابقين ، ويصل بين القسمين العلويين باب صغير ، وذلك عدا البوابة الرئيسية التي تتفرع حال دخول الدار إلى بوابتين داخليتين ، تؤدي كل منهما إلى قسم من قسمي الدار فالقسم الأول وهو القسم الخارجي خاص بالضيوف الذين يمكنهم ربط خيولهم في الدور الأرضي الذي تتوسط ساحته بئر للماء ، وزير مليء بالشعير لاطعام الجياد ، وفي الدور العلوي غرف للنوم ، وأخرى للسهر والمسامرة ، أما القسم الداخلي الذي يصل بينه وبين القسم الخارجي باب صغير فيسمى حرم الدار ، أي دار العائلة التي تحتوي على الايوانات وغرف النوم والسرداب الذي تتوسطه نافورة صغيرة ، وفي الدور العلوي ذي الأقواس المطل على الفناء تجلس العائلة في أمسيات الصيف ، متنعمة بنسيمه العليل ، وفي الداخل هناك المخزن الذي يوضع فيه تموين الدار ، والمطبخ ، وغرف النوم ، ثم فناء الدار الذي زينته كتابات

بالخط الكوفي الجميل. وعنصر البناء الرئيسي في الدار الموصلية هو المرمر الموصلي الذي يكثر في أطراف المدينة. وحاولت أن أتتبع يد الخطاط الذي جاء ليرمم فناء دار التوتنجي، وقد وقف فوق (سقالته) النحيلة، وأمسك بفرشاة، يتتبع باللون الأبيض آثار الكتابة فوق شريط أزرق اللون، يمتد بعرض جهات الفناء الثلاث، فقرأت:

يا كاشف الكربات عن شاكيها
يا راحم العبرات من باكيها
عدوتي وأنا جنين في الحشا
لا أعرف الدنيا ولا أدريها
ولطفت بي في المهد طفلا مرضعا
ورزقتني التنعيم والترفيها
صلي عليه وآله وصحابه
وعلى البتول وبعلها وبنيها

وخرجنا من دار التوتنجي عبر الأزقة الضيقة التي سقفت أجزاء منها، ونحن نتساءل عن السحر الكامن في الأماكن القديمة، هل هو في بساطة حياتهم، أم في نظرتهم إلى الحياة وموقفهم المبسط من الفقر والغنى، أم في طريقة التعبير عنها، أم هو فينا نحن، نسقطه على شيء مضى وانقضى، ونرسم صورة زاهية لعهد لن يعود؟!

الموصلين

على مقربة من دار التوتنجي تنهض الموصل الحديثة، بشوارعها الواسعة، وبناياتها العالية، ذات الهندسة المميزة، وساحاتها الخضراء الفسيحة التي تزينت بالنوافذ والأضواء والتماثيل التي تسجل جوانب من حياة الموصل القديمة، مثل الفلاحات وحاملات الجرار وغير ذلك من أعمال فنية. وفي أحدى هذه الساحات وقف نصب معدني ضخم لاناء جميل متناسق التكوين والأضلاع، إنه نسخة مكبرة، لأشهر إبريق موصلي صنعه من النحاس الأصفر المطعم بالفضة شجاع بن منعة الموصلي سنة ٦٢٩ هـ (١٢٣٢ م)، ويرمز هذا الابريق إ
أزهى عصور الموصل، وأكثرها ازدهارا ورخاء
وهو عصر الأتابكيين الذين أنجبوا عماد الدي
زنكي، ونور الدين زنكي، ومهدوا لظهور صلا
الدين الأيوبي الذي كان له شرف توحيد مصـ
وسوريا والعراق، وهزيمة الصليبيين، واستعا
القدس منهم، لكن تلك قصة أخرى.

وقد وصف المؤرخ الشهير ابن الأثير - وهو م
أبناء الموصل - حكام المدينة من الأتابكة، فكتـ
يقول إنهم «نعمة أنعم الله بها على أهل تلـ
العصور»، فقد تقدمت فيها العلوم والفنون، ونبـ
منهم المؤرخ عز الدين بن الأثير، وابن يونـ
الفيلسوف المشهور، وأبناء هبل المشهورو
بالطب، والهروي السائح، وابن عصرون وآخرون غيرهم.

وازدهرت فيها صناعة التحف، حتى صار
مثلا في الدقة والاتقان، واشتهرت هذه الصناعا
في أوروبا باسم الموصلين (MOSLINE) نسـ
للموصل، وهو اسم أطلقه الأوروبيون أيضا عـ
النسيج الموصلي الذي عرفوه جيدا في القرو
الوسطى.

الحدباء

وفي عهد الأتابكة أيضا بني الجامع النوري (نسـ
إلى نور الدين زنكي) الذي اشتهر بمنارته المائلة نحـ
الشرق، وهي واحدة من أشهر المآذن في العـ
الاسلامي، أطلق عليها اسم الحدباء لاحديدابها
وميلانها الذي يشاهده زائر الموصل من كل مكان
المدينة، ويبلغ ارتفاع المئذنة نحو (٥٥) مترا
وتحيط بها على التوالي سبعة أشرطة زخرفية، كـ
منها يختلف عن الآخر بطريقة الزخرفة الظاهرية التـ
كان أساسها الآجر أو الطابوق، وداخل المئذنة هنا
درجان، يصعد بهما إلى الأعلى، وينزل إ
الأسفل، بحيث لايلتقي الصاعد بالنازل. وف

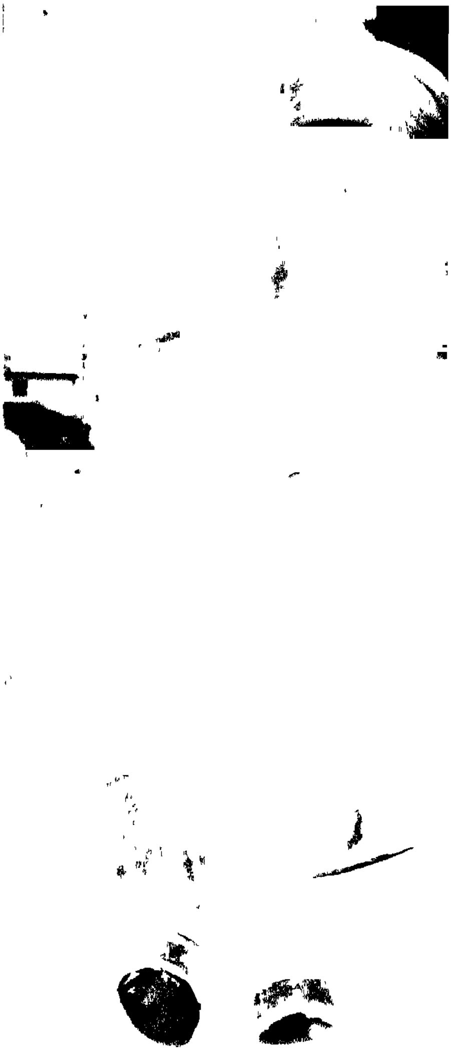

ـ أبو علي السواس (فوق) وحسين الحال وصاع آخرون لمهن تور في أسواق الموصل القديمة (إلى اليسار) سوق الرح ماعة ومشترون من جميع الأعمار ـ (إلى اليسار) ابريق «شحاع بن معة» في إحدى ساحات الموصل

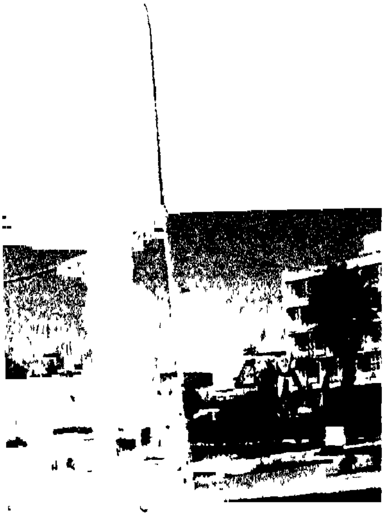

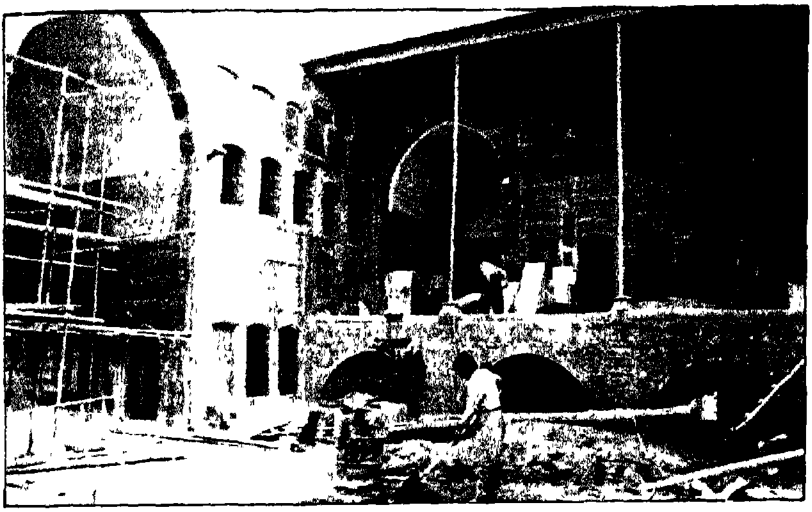

ـ أعمال الترميم في دار التوتنجي

تفسير ميلان المئذنة الحدباء يقال أن هناك احتمالين ، الأول أن يكون المهندس هو الذي عمد إلى بنائها بهذه الطريقة ، والثاني أن تكون الرياح الغربية هي التي أمالتها نحو الشرق ، وليس بين الاحتمالات أن يكون هناك خلل في عملية البناء ، قد أدى إلى اعوجاجها بهذه الصورة وغادرنا الجامع النوري الكبير الذي بني بين عامي ٥٦٦ ـ ٥٦٨ هـ ونحن نتساءل عما إذا كانت هناك احتمالات خطأ هندسي أدى إلى احديداب منارته كما هو الحال مع برج بيزا المائل في ايطاليا ، وهل هناك علاقة بين اسم المئذنة واسم الموصل ، حيث يطلق على كل منهما اسم الحدباء ؟ !!

وإن كانت الحدباء أشهر مآذن الموصل فإن جامع النبي يونس هو أشهر جوامعها الكثيرة ، ويقع جامع النبي يونس فوق تل يسمى تل النبي يونس ، وهو أحد تلين كانت تقوم عليهما مدينة نينوى القديمة ، أما الثاني فتل قوينجق المقابل له ، وينسب تل النبي يونس إلى (يونان بن متى) ، صاحب الحوت الذي ورد ذكره في القرآن الكريم والتوراة ، ويذكر أنه عاش في مدينة نينوى وبشر فيها وفوق هذا التل يقوم مسجد النبي يونس الذي يعد من أهم الأماكن المقدسة في محافظة نينوى ، حيث يأوي إليه الزهاد والنساك والعباد ، وبخاصة في مواسم معينة من السنة ، وقد مر المسجد بأدوار مختلفة من البناء ، فجدد بناؤه أكثر من مرة ، كما شهد الموقع نفسه تغيرات عديدة ، وأدوارا مختلفة ، فقد كان المسجد في بادىء الأمر معبدا آشوريا ، ثم اتخذ موضعا لعبادة النار ، ثم ديرا أو كنيسة مسيحية ، وأخيرا اتخذ جامعا إسلاميا ، ولذا فإن أقدم غرفة تعود إلى أيام الآشوريين وعندما دلفنا إلى تلك الغرفة وجدنا الحجارة العتيقة ، وقد اكتست بطبقة من السواد المتمكن منها ، ولما سألنا عن سر ذلك السناج قيل إن هذه الغرفة كانت « مطبخا في معبد آشوري » فما سر هذا الحساء الآشوري العجيب وماذا عساهم كانوا يطبخون حتى بقي السناج طوال هذه الآلاف من السنين ؟ !

وفي إحدى الغرف داخل المسجد الفسيح مقام

للنبي يونس ، وقد علقت على جدران الغرفة التي تختص المقام عظام حيوان بحري يقال إنها عظام الحوت الذي ابتلع سيدنا يونس ومن فوق المسجد حيث القباب المميزة بشكلها المخروطي ولونها النحاسي الداكن شاهدنا مدينة الموصل بأحيائها العديدة ، منبسطة أمامنا ، يختلط فيها أسمنت الأبنية بخضرة الأشجار والغابات ، وفي الأسفل على مقربة من المسجد رقد تمثال متوسط الحجم لثور مجنح ، اشتهرت به الحضارة الآشورية حتى صار رمزا لها وحين سألنا عن سر وجوده هنا قال لنا شوقي محمد صالح الذي تتوارث عائلته حراسة المسجد أبا عن جد إن هذا التمثال قد عثر عليه أثناء حفر الأساسات لتوسيع المسجد ، وعند ذلك تذكرت من جديد أن التل الذي يقوم فوقه المسجد هو أحد تلين قامت عليهما مدينة نينوى الآشورية قبل آلاف السنين ، وكلمة نينوى تكتب بلغة الآشوريين المسمارية لتلفظ(نوا) ، وتكتب بالعلامة المسمارية الخاصة بكلمة مدينة ، وداخلها السمكة ، حيث ساد الاعتقاد بأنها مدينة الآلهة نينا ، آلهة السمكة ، وهناك ما يشير إلى أن لفظة (نون) وتعني بالآشورية السمكة هي أصل اسم العلم بأشكاله المختلفة يونان ويونس وذو النون والاسم الأخير تشتهر به مدينة الموصل دون غيرها من مدن العراق وهناك من يبالغ بالقول فيقول بأنه من بين كل ثلاثة من أهل الموصل هناك اثنان يحملان اسم ذي النون

إذن فالموصل ليست جسرا بين حضارات ازدهرت في أماكن مختلفة فحسب ، بل جسرا بين حضارات مختلفة وعصور متباينة في أزمان متعددة وهكذا أوقفنا رحلتنا عبر المكان ، وبدأنا رحلة أخرى عبر الزمان ، لنتابع عصور مدينتنا ، وكان مزاحم الزوبعي هو مرافقنا هنا أيضا ، فهو اختصاصي بالحضارة الآشورية دون غيرها ، وهل يمكن أن يكون دليلنا غير واحد من أهل الاختصاص مثله ؟

عصر الحجاب الآشوري

تعد مدينة نينوى التي قامت على أطلالها الموصل واحدة من أقدم المدن في العالم ، ويقدر أن تاريخ المدينة يعود إلى الألف السادس قبل الميلاد ، عندما كانت نينوى قرية صغيرة وقد دلت الأدوات والآلات المكتشفة فيها على أنها قد ظلت مأهولة منذ ذلك التاريخ ، لكنها كثيرا ما كانت تقع تحت حكم الاكديين والسومريين والبابليين ، وفي أحد عهودها تبعت نينوى سلالة أور البابلية الأولى ، بزعامة سادس ملوكها حمورابي في أوائل الألف الثاني قبل الميلاد ، وقد ظلت هكذا حتى قام في آشور ملوك عظام ، وكانت لهم مدن وحواضر وعواصم ، وكانت نينوى تلقى اهتماماً خاصا ، حتى عندما لم تكن عاصمة للدولة ، كما تدل الألواح المسمارية المكتشفة في المناطق المجاورة وأنجبت الحضارة الآشورية من الملوك العظام آشور ، وشمش ادد ، وسرجون الثاني الذي اتخذ من مدينة خرصباد المجاورة لنينوى عاصمة لحكمه ، وأبقى نينوى مقرا له ولأحفاده

من أهم من حكموا نينوى ملكة آشور الأسطورية سمورامات التي يطلق عليها في الغرب الاسم اليوناني سمير أميس التي جلست على العرش الآشوري مدة خمس سنوات ، باعتبارها وصية على ابنها القاصر ، وهذه هي الحالة الوحيدة في تاريخ العراق الموغل في القدم الذي حكمته فيه امرأة ، وربما كان ذلك سببا لنسج العديد من القصص والأساطير حول شخصيتها المثيرة ، رغم اجماع المؤرخين تقريبا على أن الفترة التي حكمت فيها سمير أميس كانت فترة ضعف وانكماش ، أدت إلى قيام ثورة في البلاد ، انتهت بقيام الامبراطورية الآشورية الثانية في عام ٧٤٥ ق م

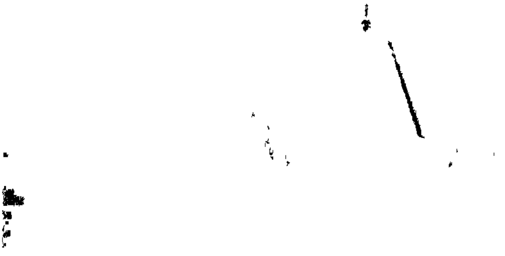

ـ قناب حامع السو
يوس المميزة بشكله
المخروطي

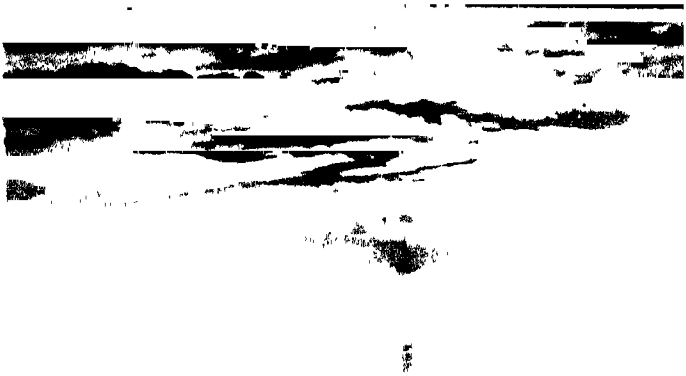

ـ سق الأهـ
الآشورية ـ عروب
دجلة

ـ الملاك المجنح
حكيم آشور، وطبيبه
يلاحظ اللون الأسود ك
هو مند آلاف السنين

ـ صبايا الحصـ
بجانب آلهة الشمس
(الى اليسار)

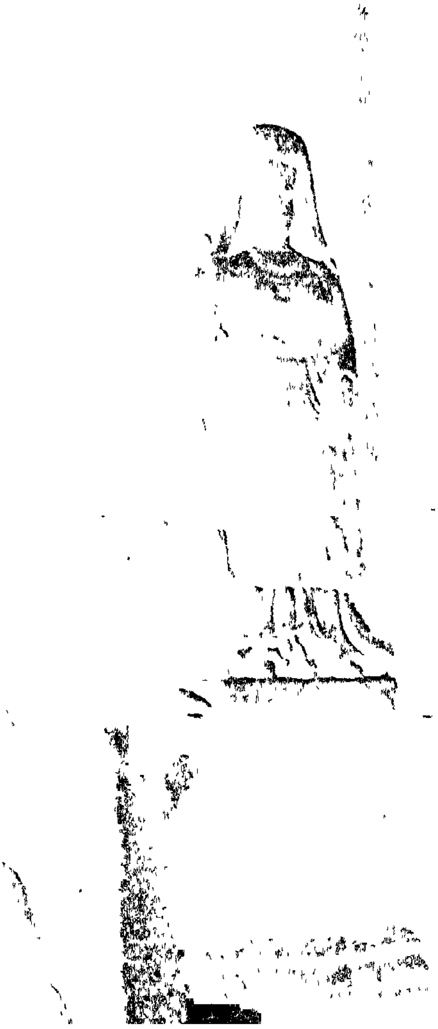

حين سرقوا النمرود

تقع آثار النمرود على بعد ٣٧ كم جنوب غربي الموصل ، والنمرود هو الاسم الذي أطلقه العرب على مدينة كالح أو كالحو ، وهي عاصمة الامبراطورية الآشورية الثانية ، ويعتقد بعض المؤرخين أن اسم نمرود جاء من القبائل العربية المجاورة التي تعزو كل عمل هائل إلى الملك الأسطوري النمرود ويقول ابن منظور في لسان العرب « إن النمرود اسم ملك معروف ، أو هو نمرود الملك الذي أمر بالقاء ابراهيم في النار » ، وعلى أي حال فإن الكلمة التي هي في الأعلى تحريف لكلمة « نيمورتا » وهو اسم إله آشوري ، قد أصبحت صفة تدل على الجبروت والظلم ، وهي تقابل كلمة (فرعون) لدى بعضهم

بنيت مدينة كالحو أول مرة في عهد الامبراطور شلمنصر ، لكنها تحولت إلى خرائب ، بعد أن فقدت أهميتها حتى جاء الملك آشور ناصر بال الثاني الذي حولها إلى عاصمة لملكه في احتفال مهيب ، استمر عشرة أيام ، وحضره ٦٩,٥٧٤ شخصا كما تذكر الألواح المسمارية التي اكتشفت على جدران قصره المعروف بالقصر الشمالي الغربي ، كما نقشت على هذه الألواح قوائم الأطعمة التي تناولها هؤلاء في حفلتهم الميمونة ، ومنها أكلة تسمى (كوبي ماتي) ، ويرجح العلماء أنها أكلة « الكبة » التي ماتزال مدينة الموصل تشتهر بها

مررنا « بالزقورة » القريبة من القصر ، ومعبد نيمورتا ، ومعبد نابو المجاور الذي شيدته الملكة سمير أميس والزقورة عبارة عن تل ضخم ، بني فوق كتلة صماء ، كانت في الأصل عدة طبقات بنائية متدرجة في الصغر ، تنتهي عند القمة على شكل المئذنة الملوية الشهيرة في سامراء

على باب معبد نيمورتا وقفت ثلاثة تماثيل ضخمة للثور المجنح ، تهشم رأسا اثنين منها ، أو ربما سرقا ، والثور المجنح الذي هو أشبه برمز للحضارة الآشورية في عهودها المختلفة حيوان غريب ، له رأس إنسان ، وأرجل ثور ، وجسد أسد ، وجناحا نسر ، وقد كان هناك اعتقاد بأن من شأن هذا التمثال أن يطرد الأرواح الشريرة

واقتربنا من التمثال الذي كان يواجه الداخلين بصدره ورجليه الأماميتين ، وحين تجاوزناه داخلين إلى المعبد لاحظنا أن له ثلاث أرجل أخرى محفورة على الصخر ، مما يعني أن للتمثال في الواقع خمس أرجل وليس أربعا لقد واجه الفنان الذي أقام التمثال مشكلة فنية تتمثل في ما يسمى بالبعد الثالث ، فلم يجد لها حلا أفضل من صنع تمثال بخمس أرجل ، وربما كانت تلك أول محاولة في التاريخ لحل مشكلة البعد الثالث في فن التصوير !

وحين دخلنا المعبد ، دهشنا أولا لجمال التماثيل والرسومات وعظمتها ودقة التعبير فيها وشدة الشبه بينها وبين الرسومات الفرعونية ، ودهشنا ثانيا لأننا شاهدنا أكثر من دليل عيني على محاولات لم تكتمل لسرقة بعض هذه التماثيل والرسومات البارزة على الجدران ، فقد كان لصوص الآثار يلجأون إلى « السهولة » في عملية السرقة ، فيقطعون رأس التمثال أو الجزء العلوي من جسمه ، مما يسهل اقتطاعه وإخفاءه ليباع بثمن بخس في سوق الآثار الرائجة وقد شاهدنا أكثر من تمثال للملاك المجنح أو الثور المجنح أو للملك آشور ناصر بال الثاني ، وقد دقت في الجزء العلوي منه الأزاميل بهدف اقتطاعه ، لكن المحاولة لم تكتمل لسبب أو لآخر لكن هذا السبب بالتأكيد لايتعلق بصحوة الضمير حول سرقة تراث البلاد وفي أوائل السبعينيات سرق لصوص الآثار رأس الملك سنطروق من مدينة الحضر ، وهربوه عبر سوريا ، لكن الشرطة العراقية تمكنت من إرجاعه في مغامرة ، تحولت فيما بعد ذلك إلى فيلم سينمائي

في بلاد عربايا

تقف مدينة الحضر بآثارها الشاخصة على بعد ١١٠ كم إلى الجنوب من الموصل ، أعمدة مرتفعة ، وبوابات عظيمة ، ومعابد شبه مكتملة ، كلها بنيت من الحجر الصلب كما نقترب من المدينة فتتضح معالمها وحجارتها التي احتفظت بشيء من النضارة رغم السنين ، لقد كانت الحضر عاصمة لمملكة عربية ، تسمى بلاد عربايا ، أي بلاد العرب ، وكان يطلق على المدينة اسم (حطرا) أو (حطرا دي

لم يكن ذلك رمز المرأة الذهبي بالتأكيد . فقد اكتشفت في آشور بعض الألواح الطينية التي كتبت عليها باللغة المسمارية قوانين ، يتعلق بعضها بالنساء فقط ، وبالجرائم التي ترتكبها ، وبعلاقة المرأة بزوجها ، وبطقوس الخطوبة والزواج والطلاق ، وتتضمن هذه القوانين أيضا عقوبات للزوجة التي تسرق زوجها وهو على فراش المرض ، وعقوبات لجرائم الجنس ، مثل الاغتصاب والغواية والخيانة الزوجية ، تصل حد الاعدام ، وتحدثت إحدى مواد « قانون الأحوال الشخصية الآشوري » - إن جاز لنا أن نسميه كذلك - عن الحجاب ، ونصت على أن التحجب لايكون إلا للحرائر من النساء ، وليس للاماء اللواتي لايحق لهن التحجب إلا في حالة الزواج من رجل حر ، وتنص المواد الخاصة بطقوس الخطوبة على أن يقوم الخطيب بصب الزيت على رأس عروس المستقبل في يوم العيد ، وتقضي مادة أخرى من مواد القانون الطريف بإعطاء الحق للزوج بأن يشد زوجته من شعرها أو يفرك أذنيها إن رغب في ذلك !!

ومن الطبيعي في ظل ظروف تخرج مثل هذه القوانين أن يكون مصير سمير أميس الحقيقي هو الاطاحة بها في ثورة عارمة لكن مثل كثير من شخصيات التاريخ أنصفتها الاسطورة الخرافة حين استكثر الواقع على المرأة أن تكون ملكة عظيمة ، وقائدة منتصرة ، فروي عنها وعن عصرها من الأساطير ماخلدها

شمش) ، أي الحضر مدينة الشمس ، وقد ازدهرت المدينة في القرنين الرابع والخامس قبل الميلاد ، حيث بدأت القبائل العربية بالتجمع حولها ، وغدت هذ المدينة مركزا دينيا مهما ، كانت القبائل العربية تحج إليه ، وتقدم له القرابين والنذور في (بيت الاصنام) ، وقد اتصلت بمدن العراق الأخرى مثل بابل إن أهم مايميز الحضر أنها قامت وازدهر بفضل العنصر العربي ، وأنها إحدى الآثار القليل لحضارة عربية قامت قبل الاسلام ، وقد انته الحضر كمدينة عربية وحصن منيع عندما فتحها الملك الساساني سابور الأول عام ٢٤٠ م وسقطت أسوا الحضر المنيعة لتنتهي الدور السياسي للمدين العظيمة وقد رويت الأساطير فيما بعد لتبري سقوطها رغم منعتها وقوة اسوارها تقو الأسطورة إن ابنة ملك الحضر وقعت في ح الملك الغازي ، فطلب منها أن تمكنه من فتح المدينة ففعلت ، وفتحت ثغرة في السور الحصين ، بعد مم العراة ، وبعد أن تم له الانتصار وتزوج ابنة الملك المهزوم تقدم الزوج من زوجته وسألها عن نوع المآكل والملابس التي كان يقدمها لها والدها ، فأجابت أ كانت من أفخر الأنواع ، فأجاب الزوج بقسوة إ كان ذاك والدك ويوفر لك كل هذا فخنته فما الذ يضمن ألا تخونيني أنا أيضا ؟ وكانت النهاية الفاجع بقتل الابنة الخائنة وتنتهي الأسطورة التي لايعرف أحد مدى صحتها ويذهب الجميع ، وتبقى الحض واقفة في صحراء العرب ، وتندب مجدها العابر

ودعنا حصن العرب الذي كان يطوف به بعض سكا مدينة الحضر الجديدة القريبة من الحصن القديم وبعض السائحين الأوروبيين الذين كانوا يقفو مبهورين في أرجاء هذه المدينة الشاخصة التي شهدت في يوم من الأيام مجدا عربيا زاهيا ، واتجهنا نحو زمن ومدننا التي لم يبق فيها من حضاراتنا القديمة إلا القليل

سباق القيمة الفكرية والجمالية في أعمال النحات الكويتي

سامي محمد

بقلم حميد خزعل

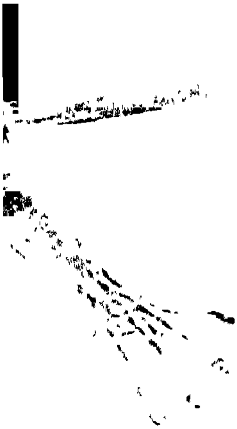

[illegible]

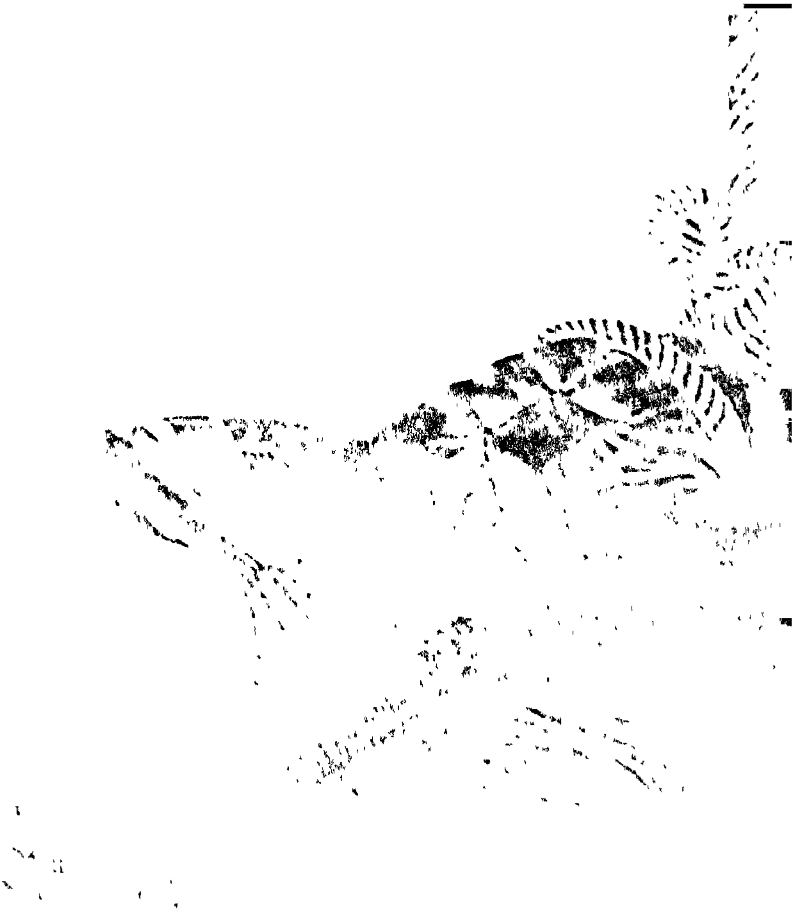

إن الطريقة المفرطة بالغرابة التي يعالج بها هذا الفنان أفكاره هي الميزة الأساسية في خصوصيته التشكيلية ، فهو ينتمي الى ذلك النوع من الفنانين الذين يقدمون القيمة الفكرية والفلسفية على القيمة الجمالية ، وانبعاث كل هذا الكم من الغرابة المرعبة في أعماله التي تشعر المشاهد بالقشعريرة المجوبة تجاه هذه الأجزاء الآدمية والحيوانية المتفسخة التي تكاد تشم رائحتها من بين ثنايا الكتل البرونزية تؤكد انتماءه هذا

والتساؤل الذي يطرح في محاولتنا للبحث عن الشخصية الخاصة لفكره هو هل الصندوق شكل هندسي ، أم مفردة تشكيلية ؟ فأعماله المميزة ، وأشكاله المتوترة من هذا الشكل الهندسي ذي الأضلاع الأربعة ، أو هذا المكعب المليء بالأسرار القاتمة تحتم طرح هذا السؤال

والحلول الصعبة التي اختارها لاعطاء مفرداته سمة الترابط التي تعتبر سمته الأساسية في نجاح العمل النحتي من الناحية التشكيلية أسبغت على أفكاره بعدا فلسفيا مميزا ، وأعفته من مهمة الاستعانة بمفردات أخرى ، كان يجب إضافتها لتكويناته ، حتى يصل لحل المعادلة ، أو للنقطة التي تتيح له التوصل لابراز هذه الأفكار ، ذات الرؤية التحليلية الغريبة

يحاول بعضهم وضع أعمال سامي محمد ضمن المدرسة « السريالية » ، إلا أن هذا التبويب ناقص مبتور ، بالرغم من أن الخطوط العامة لأعماله توحي بأشكال سريالية ، إلا أنها تخلو في مضمونها من الفلسفة (الميتافيزيقية) التي يعتمد عليها الخط السريالي في تحقيق مفاهيمه ، وأشكاله التعبيرية المختلفة ، لموازنة « لا واقعية » مضامينه

إن من أهم الأسباب التي أعطت المسوغ لربط هذه الأعمال بالسريالية هو نزوعها الى تشكيل عناصرها ، ومفرداتها ، بصورة مغرقة بالمأساوية التي تتجاوز الواقع ، وتتفوق عليه في احداث الصدمة ، لكن لا يمكن بأي حال ادراج هذا الفنان ضمن أصحاب الخط السريالي ، فهو وإن عمد الى ترميز عناصر أفكاره في معالجاته التشكيلية إلا أنه قد الت خطا واقعيا في التعبير عن هاجسه الوحيد ، وهو قضية الانسان في معاناته ، وصراعه مع الحياة ، ولقد استطاع أن يستغل الاطار الرمزي ، لأفكار استغلالا جيدا تمكن من خلاله من تشكيل أعمال بأسلوب ابداعي

ففي مجموعة « الصندوق » و « صرخة من الأعماق » و « محاولة خروج » و « الصراع » ، و « اندفاعة » التي رمز بها الى « القيد » أنجز معالجة ناجحة لهذا المعنى ، حلل فيها الرموز ، وشرحها بطريقة مبدعة ، فقد حصر مفرداته في كتل متماسكة ، أعطت المضمون الذي أراد التعبير عنه ، واستغل المسطحات الجانبية للصندوق في اختزال الصفات التشريحية لهذه المفردات، لتقوم بدورها بالتعبير عن هذه الأفكار مقدمة تجربته الخاصة في دراسته لمفهوم الحيز تشكيليا ، مانحا قوة للنتيجة التي سرت على شكل هذه الكتلة المترابطة في قالب واحد ، تخرج فيه الأشكال من نقطة حتمية ، وتعطي احساسا بالتوالد التلقائي الذي يتمثل في بناء أشكال جديدة ، تعزز قوتها فنيا وفلسفيا

أما مجموعته المسطحة الصراع (١) ١٩٧٩ ، والصراع (٢) ١٩٨٠ ، والمعلق ١٩٨٠ ، والحبل الأزرق ١٩٨١ ـ وهي منفذة بخامة الحبر الشيني على الورق ـ فهي لا تبتعد فكريا عن مضمون مجموع « الصندوق » الذي استبدل هنا بالحبل ، ليؤدي نفس الغرض في التدليل البصري عن القهر الانساني بشكله العام ، ولا تبدو المقارنة الزمنية لولادة أي من المجموعتين قبل الأخرى ضرورية هنا ، فالترابط الفكري ، ووحدة الموضوع ، تلغي فكرة التسلسل الزمني ، وكلتا المجموعتين تعتبران تطويرا لمحاولة أولى ، تمثلت في مجموعة « المكبس » ، إن جاز لنا أن نطلق عليها هذه التسمية التي نفذت في سنة ١٩٧٩ ،

ثم نضجت فنيا لتولد مجموعة الصندوق ، ثم الحبال ودمج المجموعات الثلاث في رؤية تشكيلية واحدة يبرز اهتمام الفنان في معالجة قضية علاقة الكتلة التي تعبر عن احتواء حيز « معلوم » بالمحيط الخارجي « كفراغ » ، وارتباط هذا الجانب فكريا وفلسفيا بالانسان الذي هو بطل الحدث الوحيد عند سامي محمد

الانسان والعصر

عندما نستعرض أهم مجموعة في أعمال هذا الفنان التي يدور من خلالها تحليلنا لفكره في العمل التشكيلي تبرز أمامنا أسماء كثيرة مختلفة ، لكنها تظل متفقة على معنى واحد ، وهو قضية « الصراع » ؟

ولكن أي صراع ؟

إن تركيز الفنان على الجانب الانساني في معالجته لأعماله قد أبرزت بشكل واضح تلك العلاقة القائمة بين الانسان ومشكلات العصر الحديثة ، وهي مشكلات لا جدوى من تبويبها ، والبحث في أنواعها ، وأشكالها ، فالمعاناة تأخذ شكلا واحدا، والقهر والإذلال لها ألف وجه ، لكن تلك الوجوه عندما تنطبع على وجوه ضحاياها تأخذ صفة واحدة

إن سبل التعبير المميزة التي انتهجها في تحقيق آرائه جاءت إضافة انسانية جديدة لبحث العلاقة بين الفنان والمجتمع

من أهم ما يميز « سامي » معرفته الدقيقة ، لإمكاناته الفكرية والتشكيلية ، فهو يحسب هذه الامكانات بدقة رياضية ، ويعلم تماما متى يبدأ ، ومتى يقف ، فالتمادي في السير بفكرة معينة - مضمونا وشكلا - سيؤدي الى إهدار قيمتها الفنية ، ويحولها الى قضية مستهلكة تشكيليا وفكريا ، وقد أخذ هذا الأمر بالاعتبار ، فالصندوق أوفى بجميع التزاماته تجاه أفكاره الخاصة ، وبحوثه التشكيلية والفكرية ، واستطاع أن يكون مرحلة مميزة من مراحله المتصلة بهذين الجانبين ، لذلك كان حتميا أن ينتهي هذا البحث التشكيلي للفنان ، ليبدأ مرحلة أخرى من البحث ، وهكذا جاءت مجموعة (صبرا وشاتيلا) وهي عبارة عن عملين لا يبتعدان في مضمونهما عن الخط العام لالتزامه الفكري بقضايا الانسان ومعاناته ، بل إن هذين العملين يعتبران تأكيدا لهذا الالتزام الانساني ، فالميزة المهمة التي برزت من خلالهما هي إشهار المضمون ، وتقديمه للمشاهد ، فبعد أن أخرج شخوصه من الصندوق لم يجد لزاما أن يستخدم الرمزية بحدة ، كما أن التعبير عن مأساة مخيمي صبرا وشاتيلا يحتاج الى كثير من الحرية في حركة المفردة التي لم تكن بعنف حركة المفردات التي احتواها الصندوق ، والتي تعبر عن قضية عامة ، قد تحتاج الى قليل من المعالجة لشرح فكرتها ، فالتجربة كانت تهدف الى إحداث صدمة للضمير الانساني بقدر قسوة المأساة التي أحاطت بضحايا صبرا وشاتيلا ، وكان التعبير التشكيلي هو الوسيلة لتحقيق هذه الصدمة الفكرية ، وقد ساعد الفنان في ذلك قوة الفكرة ، وطريقة التشكيل في إضفاء طابع الهدوء النسبي على حركة الأشكال ، بدلا من الحركة « الرياضية » المنفعلة

وقد كان لتهدئة الحركة المقهورة فعل ايجابي في تقديم العملين تقديما مقبولا ، فضلا عن أنها شرحت بإيجاز النقطة الفلسفية التي استهدفها الفنان في عمليه المذكورين

التواصل الفني والفكري

من أهم العوامل التي أعطت أعمال سامي محمد التشكيلية قوة الثبات على أرضية صلبة هو توكيده التام على ايجاد صلة بصرية وفكرية بين كل خطوة وأخرى يخطوها ، مما جعل لأعماله اطارا واحدا وإن اختلفت طرق التشكيل والأداء حسب ما تقتضيه حاجة الفكرة التي تولد في ذهنه ، ففي مجموعة (المكبس والصندوق) اتجه لعلاج قضية العلاقة بين الكتلة والفراغ ، ومعالجة حركة هذه الكتلة كشكل

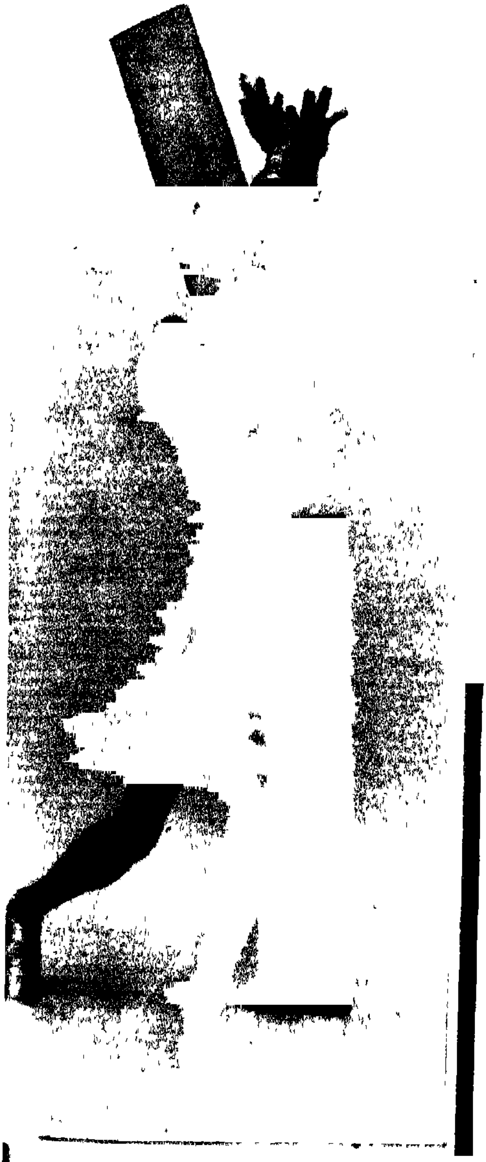

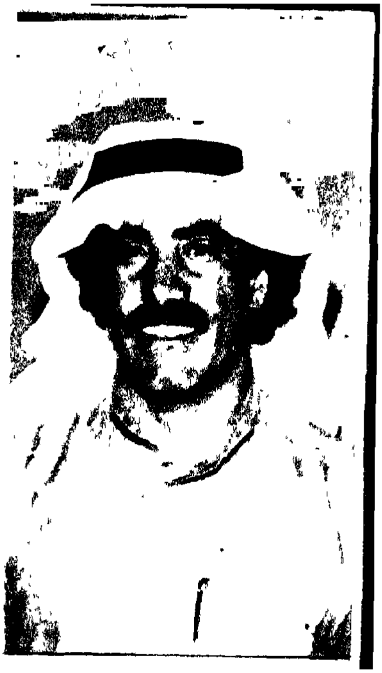

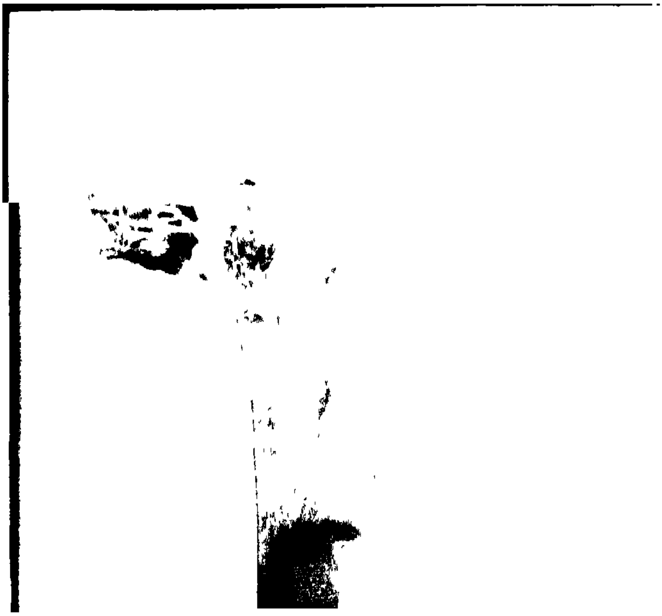

ؤدي دورا « روائيا » في أعماله ، حلال حير معين ، ملقه هو ، ويتحكم في حجمه وماهيته « المكس الصندوق » ، ثم يأتي في نقلته التي تمت مجموعة لأعمال هذه ليعالج حانبا آحر من حوانب رؤيته لفلسفيه لقضية الانسان ، لكنه لم يندفع تماما الى حثه الأول ولم ينسلخ عنه كذلك ، وهو العلاقة بين لكتلة والفراغ ، بل لقد تمكن من ايجاد مفهوم حديد ، خاصة لهذه العلاقة التي تمثلت في علاقة لعمل بالفراغ المطلق

فأعماله (المربع الأزرق ، والحبل الأزرق ، المعلق ، والصراع) قد حرر فيها بطل أعماله ، أخرجه من حيز محدود الى فراغ اللوحة ، في حركات متشنجة ، حيث بدا منهكا ومستسلما لمصيره لمأساوي إن (الصندوق) بجدرانه المسطحة لمغلقة بسرية تامة لن يساعد على ايجاد حلول تشكيلية فكرية ناجحة ، تخدمه في تحليل هذه العلاقة بين شكاله وفراغاته ، كما أنه لا يريد أن يحيد عن رؤيته لفلسفية لهذه القضية ، فكان لزاما عليه ايجاد بديل ناجح بصياغاته التشكيلية ، يؤدي نفس العرض لذي كان يؤديه (الصندوق) ، ويتعايش مع هذه لمرحلة بانسجام ، ويخدم هذا الشكل المرعب الذي يصور علاقة الانسان « بالقيد » ، فالنظر بتمعن الى هذا الجسد البشري المعلق بوحشية ، والمقيدة أجزاؤه بعضها ببعض بهذا العنف اللاإنساني يثير الغثيان ، ويعطي أساسا للتواصل الفكري بين (الصندوق) و (الحبل) ، باعتبارهما رمزين لمجموعتين أو مرحلتين من مراحل تطور الفنان ، ثم تأتي بعد ذلك مجموعته التالية بقطعتين من البرونز ، باسم صبرا وشاتيلا ، بالاضافة الى قطعة من الرخام ، باسم « يكفنون الناس وهم أحياء » ، لتشكلان الهيئة النهائية لهذه الرؤية ، ولتوظفان بشكل مدروس الواقع الذي كان مفقودا في الأعمال التي سبقت (صبرا وشاتيلا)

لقد كانت حلوله الأخيرة ملائمة ، من حيث تشكيل العلاقة في أعماله التي تحررت من حيز (الصندوق) مع الكم الهائل من الفراغ المحيط بها من كل جانب ، فأسلوب التعبير الأدائي يفرض عليها أشكالا عديدة من (الحركة) ، تتناسب مع الدور الذي تلعبه في العمل ، وهذه الأشكال الحركية تحتاج ـ بالتالي ـ الى مساحة فراغية شاسعة ، ترح من خلالها كل هذه التشنجات العنيفة ، والانتفاضات الجسدية التي تنم عن ألم وقسوة لا نهاية لها □

فلنترجم

يقول الاستاذ ميخائيل نعيمة في كتابه (الغربال) نحن في مرحلة من تطورنا الأدبي والاجتماعي ، تنبهت فيها حاجات روحية كثيرة ، لم نكن نشعر بها قبل احتكاكنا الحديث بالغرب ، وليس عندنا من الاقدام ما يفي بسد هذه الحاجات ، فلنترجم ولنجل مقام المترجم ، لأنه واسطة التعارف بيننا وبين العائلة البشرية العظمى ، ولأنه يكشف لنا أسرار عقول وقلوب كبيرة ، تسترها عنا غوامض اللغة ، فيرفعنا من محيط ضيق إلى محيط نشرف منه على العالم الأوسع .

أرقام

بقلم : محمود المراغي

المجتمع العربي :
نموذج مصر

قديما كانت الخليقة تتجمع حيث تتوفر أسباب الحياة المياه والزرع والأمان والطمأنينة ، وحديثا اختلف منطق الأمور ، فأصبحت أسباب الجذب للتجمع السكاني متعددة ، فهناك جاذبية النشاط الاقتصادي ، أيا كان نوعه ، وهناك جاذبية المدينة بما توفره من فرص عمل ومتع وخدمات أكثر

لقد أصبح الناس يتجمعون ويتفرقون لأسباب شتى ، تستدعي التأمل والدراسة ، كما تستدعي طرح سؤال هل يختلف الأمر بين دولة وأخرى ؟ وهل يختلف منطق التجمعات البشرية ، ونموها ومساراتها من بلد عربي إلى آخر على سبيل المثال ؟

مصر نموذج عربي

من المؤكد أن البيئة تختلف من قطر عربي إلى ـر ، وكذلك عنصر الثروة ، ودرجة النمو ، ح ، ومع ذلك فإن هناك أوجه شبه كبيرة ، والدليل ـ آخر تعداد شامل للسكان أجرته مصر في ليلة (١٧ ـ ١٨) نوفمبر ١٩٨٦ ـ وهي ما ميها رجال الاحصاء « ليلة العد » ـ كانت صورة جتمع العربي في مصر على النحو التالي (٥٠,٥) مليونا من البشر يسكنون في جزء يسير من الأرض المصرية ، ويهجرون معظم الأرض التي يكسوها اللون الأصفر وقد نما عدد السكان بين عامي تعداد (٧٦ ـ ٨٦) بنسبة (٢,٨ ٪) سنويا في المتوسط ، وزاد عدد المهاجرين منهم ، كما زاد عدد المتعلمين والأصحاء والأطفال ، ونلاحظ الآتي

أولا ان المجتمع العربي في مصر ـ وهو ربع المجتمع العربي في الوطن العربي على وجه التقريب ـ قد حافظ على نسبة نمو سكاني عالية ، وهو نفس الأمر في معظم الأقطار العربية ، بل إنه نفس الأمر في معظم البلدان النامية ، وذلك على عكس ما يحدث في العالم الصناعي المتقدم ، حيث انخفضت نسبة النمو إلى أقل من ١ ٪ في معظم البلدان ، وإلى الصفر في بعض البلدان التي تعادل فيها القادمون والراحلون من البشر

معنى ذلك أن المشكلة السكانية ـ في مصر وبقية الأقطار العربية ـ ما زالت قائمة ، وأن جهود تنظيم الأسرة لم تقدم شيئا يذكر ، وأن أحد مدخلات قضية مستوى المعيشة ـ وهي العلاقة بين الموارد والسكان ـ ما زالت خارج السيطرة

ثانيا يلفت النظر ارتفاع نسبة المهاجرين بالأرقام المجردة ، فقد تقول إن عدد المهاجرين للعمل في الخارج يقترب من تعداد بعض البلدان ، لكن الأهم هو الأهمية النسبية ، وهي في مصر (٤,٥٪) ، وهذه النسبة قد تبدو صغيرة ، لكن أثرها كبير بالنظر لطبيعة المهاجرين ، فقد بلغ عدد الفنيين خريجي الجامعات منهم (٤٩) ألفا عام ١٩٨٣ ، أو بالنظر للأهمية الاقتصادية حيث تحويلات هؤلاء المصريين أكثر من (٢٠٪) من موارد البلاد بالعملات الأجنبية وعلى الجانب الآخر يأتي التأثير السلبي بانسحاب هؤلاء من قطاعات عمل قد تحتاجهم ، وبعودتهم من الخارج بأنماط استهلاك تفوق طاقة المجتمع

والنموذج هنا ليس مصريا خالصا ، لكنه نموذج متكرر في السودان واليمن ، وبدرجة أقل في تونس والأردن وغيرهما

ثالثا تأتي حكاية الحضر والريف ، والقلب والأطراف ، وفيها أيضا تتشابه مصر مع معظم الأقطار العربية ، حيث يتزايد سكان الحضر ويقل سكان الريف ، ويتزايد سكان ما يمكن تسميته بقلب الدولة ، بينما تظل الأطراف والحدود قليلة السكان ، قليلة الكثافة

في مصر يشكل سكان القاهرة (١٢,٥) من السكان ، وإذا أخذنا ما سمي القاهرة الكبرى ، أي النطاق الاقليمي للقاهرة الذي يضم أجزاء من محافظات أخرى فإن النسبة ترتفع إلى ٢٠٪ ، والرقم يقترب من عشرة ملايين نسمة ، لكن ـ في نفس الوقت ـ تبدو الآثار العكسية لازدحام المدينة ، وتزايد متاعبها ، فتسجل القاهرة نسبة نمو بين (٧٦ و ٨٦) أقل من النسبة العامة للتزايد ، وتتراجع قليلا نسبة التزايد في الحضر بشكل عام ، بينما تحتفظ الحدود بأهميتها النسبية الضئيلة ، حيث لا يتجاوز سكانها (١,٢٪) من السكان

ظواهر اجتماعية

في نفس الوقت تبرز في التعداد مؤشرات توضح مسيرة المجتمع ، فيزداد بتحسن الصحة عدد الأطفال تحت سن ١٢ سنة ، ويزيد متوسط العمر ، بينما لا تتغير سنوات العمل ، وهو ما يعني في لغة رجال الاقتصاد

ارتفاع نسبة ما يعوله كل مشتغل ، ومما يعكسه ذلك على مستوى حجم الأسرة ، ويتراوح بين (٤,٩) أفراد في الحضر ، و (٥,٣) أفراد في الريف ، و (٦,٣) أفراد في محافظة صحراوية كمطروح ـ وهو متوسط مرتفع

ومن الأرقام ذات الدلالة تراجع الأمية ، إذ تقترب من (٥٠٪) ، وتزايد أعداد المتعلمين ، وتضاعف أعداد الجامعيين ومن هذه الأرقام أيضا تفاقم مشكلة الاسكان ، حيث يشغل كل غرفة فرد ونصف

لكن ـ مع ذلك ـ هناك ما يقرب من (٢) مليون شقة معلقة ، بعضها بسبب السفر ، وبعضها بسبب ارتفاع السعر

أليست هذه الظواهر في معظمها عربية عامة ؟ □

■ إذا سألت كريما حاجة فدعه يفكر ، فإنه لا يفكر إلا في خير ، وإذا سألت لئيما حاجة فعاجله ، فإنه إن فكر عاد الى طبعه .

(الإمام علي)

وجهاً لوجه

د. فاطمة المرنيسي و علاء الدين محسن

■ أنا امرأة خطفت حق الكلام من الرجال ■ « **الديمقراطية** » **قضية وهاجس مستمر في تاريخنا العربي** . ■ الحرب اللبنانية جعلت حضور العالمي يتم بطريقة مذهلة ■ **العقل العربي يجب أن يهاجر ، ويبدع في أي مكان ، وأي ثقافة في العالم** . ■ لو كان صوتي خافتا لقيل عني أنني امرأة عظيمة

ضيفة « العربي » في « وجها لوجه » لهذا الشهر هي الباحثة المغربية الدكتورة فاطمة المرنيسي التي تعتبر أحد أبرز الأسماء الفاعلة في حركة الثقافة المغربية اليوم .

وعلى الرغم من أن تخصصها هو علم الاجتماع تعتقد أن البحث الاجتماعي إذا كان صحيحا أنه يهتم بدراسة ظواهر آنية ، بالاستقصاء والتحليل ، فإن هذا التحليل لا يمكن أن يخلص إلى نتائج أقرب ما تكون إلى الدقة ، بدون العودة إلى « ماضي » اللحظة الراهنة التي يجري بحثها .

وانطلاقا من هذا الاقتناع وجدت نفسها تصبح باحثة في التراث العربي ، إضافة إلى تخصصها في علم الاجتماع

في محاولاتها لفهم الظواهر والسلوكيات والمفاهيم الاجتماعية بالعودة إلى التراث ، من أجل وضع « اللحظة » ضمن سياقها التاريخي ، مما يكفي لفهم صيرورتها ، أعطت لبحوثها تميزا خاصا ، يمكن أن نجد ملامحه أيضا في جرأتها على مناقشة تراثها ومساءلته

وبسبب ثقافتها الفرنسية الانجليزية وجد من يأخذ على أبحاثها احتواءها على شيء من « النكهة الاستشراقية » ، إلا أن الدكتورة فاطمة المرنيسي تقول في حوارها مع « العربي » « إني امرأة خطفت حق الكلام من الرجل ، ولأننا لم نتعود سماع صوت امرأة تتكلم ينظر إليّ بدهشة واستغراب » وكأنها ترد بذلك على كل ما يقال بصدد أبحاثها

صدر كتابها الأول « خلف الحجاب » عام ١٩٧٥ باللغة الانكليزية ، وهو ما يزال « خلف الحجاب » للأسف ، إذ لم يترجم إلى العربية بعد ، في حين ترجمت لها كتب أخرى صدرت في بيروت والرباط ، منها « الحب في حضارتنا الاسلامية » ، و « السلوك الجنسي في مجتمع إسلامي رأسمالي تبعي » ، و « نساء الغرب » ، و « كيد النساء » ، ومن كتبها الأخرى التي صدرت بالفرنسية ولم تترجم بعد « المغرب كما ترويه نساؤه » ، و « الحريم السياسي » ، وهو آخر كتاب صدر لها ، أما كتابها القادم فهو عن « حسناوات العرب » ، وقد نشرت بعض فصوله - خلال عام ١٩٨٦ في إحدى المجلات المغربية الصادرة بالفرنسية - التي حاولت فيها الاحاطة بمفهوم الجمال في الحضارة الاسلامية

وفي هذا الحوار مع « العربي » يتعرف القراء العرب لأول مرة على جوانب من السيرة الذاتية لهذا الصوت النسائي المغربي « المشاكس » ، إضافة إلى محاور أخرى تتعلق بالجديد من أبحاثها وانشغالاتها

أما محاورها فهو الزميل علاء الدين محسن ، الكاتب الصحفي العراقي ، مراسل « العربي » في المغرب

ولدت في زمن مهم ، ومدينة مهمة .

* إن سيرة حياتك - على العكس من أبحاثك الاجتماعية والتراثية - غير معروفة للقراء فهل يمكن أن نعود بالذاكرة قليلا إلى الماضي ؟

- أنا « مباركة ومسعودة » - كما يصف المغاربة الناس المحظوظين - فلقد ولدت في زمن مهم ، ومدينة مهمة ، فالمدينة فاس ، والزمن سنوات الأربعينيات ، وآنذاك كانت هذه المدينة عاصمة

للمكر الوطي ، وللصراع الثقاق والسياسي والعسكري صد الاستعمار العرسي

وقد فتحت عيي على مسافة ٣٠٠ متر من « القرويں » في مدينة عربية إسلامية ، تعيش ثورة ثقافية حقيقبة ومں « أحواء » هده الثورة التي ما ترال عالقة بداكرتي أں أمي كانت ترفص الامرواء في البيت ، والانصراف لتدبير شؤونه ، شأىها شأن ناقي السوة اللواتي كں يعادرن مىارلهں قائلات لأرواحهں « سوف ں ىحصر الطعام هدا اليوم ، لأىںا داهىات لسماع حطىة علال الفاسي في القرويں ، فلقد حرح علال الفاسي من السحں هدا اليوم » ، وكں يأحدنني معهں لسماع هده الحطب

لم تكں هناك ثورة تهم الرحال فقط ، ىل ثورة ثقافية حدرية شاملة ، شاركت فيها حميع الطبقات وفي وسط هدا الحو ، وهده الثورة ترعرعت

والعالم الاسلامي الدي تفتحت عياي فيه كان قادىه الديىيون هم رعماء ثورة ، تدفع بالمرأة للحروح لطلب العلم ، ىل كانوا هم الدين يؤسسون المدارس وقد درست في إحدى مدرستيں أنشأهما أستادي مولاي ابراهيم الكتاني ، مدير معهد المحطوطات الآن ، وكانت المدرستان مفتوحتيں للجنسيں ، ومتفتحتيں على مختلف العلوم ، إد كنا ىدرس الرياصيات والقرآن والأدب العربي واللغة الفرنسية ، ثم انتقلت ىعد دلك إلى مدرسة الأستاد ىں عبدالله وهو من الفقهاء ورحال الدين الدين نادوا ىـ الحركة التعليمية للبنات

إىي اتحدث عن هده المرحلة المىكرة من حياتي وتعليمي ، لأىها كانت أساسية في تكويىي ، ولأىها حعلتني أكتشف مىكرا أن ليس هناك تناقصا أو عدم انسحام بيں أن يكون المحتمع إسلاميا ، وبيں أن يكون - في الوقت نفسه - ثوريا ، يعمل إعادة النظر في بنياته ، وطرح مشاكله على بساط البحث ، وتعبئة حميع الناس على مختلف طبقاتهم واهتماماتهم وآرائهم ىطريقة ديمقراطية ، من أحل التوصل إلى حلول لتلك المشاكل إىي أؤمن بدلك ، لأ وعشته

* من أثر فيك ىعمق من أس تلك المرحلة ؟

- أثر فيّ بدرس الشعر العربي الذي كان ا الأستاد شميق ، هذا الأستاد لم « يلقنني العربي فقط ، بل علمني طريقة للوقوف العالم والأستاد شميق حاء من منطقة (آر (فاس) ، ليعلم في مدرسة فرنسية ، المستعمرون لكں هل تدري كيف كان يا الرحل إلى القسم « الصف » ، ويقدم درس مرفوع القامة ؟ كان وسيما وأنيقا ، وفي تلك علمني أن من الفحر أن تكون عربيا وسط الاستعماري الذي يحاصرك ، وهدا الفح يجعلك تواحه المستعمر بصلابة ، والأستاد يكں يدرسنا قصائد امرىء القيس وعم ربيعة فقط ، بل كان يعلمنا كيف نواح « الأحنبي » دون حوف ، وهدا شيء أسام ىعمق

لیس هناك عالم عربي وآخر غربي

* والآن كيف تنظرين إلى ا - الآخر - الغرب ؟

- غالبا ما أسافر إلى أقطار توصف عصرية ، لكنني لا أحسها كدلك ، إد لا ىالي ، ولا يمكں أن أتصور أن هناك من أعاني من نقص في عقلي أو ثقافتي لمحرد أني فأنا أعرف عن ثقافتي وتاريخي وتراثي الاحساس بالامتلاء ، والوقوف على أرص صلبة أنا مدينة به لتلك المرحلة الأولى الم مؤثرة في حياة المغرب ، وحياتي ، وأنا لا هناك عالما عربيا وعالما غربيا ، بل أعتبر

مة المرنيسي ـ مثلا ـ » أنتمي إلى مجتمع عربي
العالم الأوسع ، وهذه الكرة الأرضية ليست
للغرب ، إذ أن لي الحق فيها ، ولي الحق في
هذا العصر ، لأني أمتلك حضارة يمكني أن
م بها على الصعيد العالمي

د مللت من النقاش حول الشرق والغرب ، إذ
يمكني أن أقول « أنا في مواجهة مع الغرب »
ين أني أستعمل السيارة والتلفاز والحاسوب
كمبيوتر » ؟ فالقضية ليست هي أن نكون ضد
أو معه ، لكن القضية في سؤال يقول كيف
ا أن نجد مكانا لنا في هذا العالم اليوم ، وكيف
ا مثلا المساهمة في حضارة « التلفزة » ؟

الجواب لا يمكن أن يكون أبدا بالانكماش على
ت ، وبناء الجدران ، ورسم الحدود ، لكنه
العكس من ذلك ـ ممكن فقط بالانفتاح ، وبأ
من حدودنا الثقافية ما نعدي به العالم

* وهل تظنين أن « استبداد » الشرق يمكنه أن يواجه « ديمقراطية » الغرب ، ويحقق كل ذلك ؟

في كتابي الأخير ـ « الحريم السياسي » ـ أتناول
ث من حياة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ
ث سنوات الواقعة ما بين غزوة أحد وفتح مكة
كانت زاخرة بنقاش صاخب حول حقوق
ان ، من خلال محورين هما الحق بين العبيد
دة ، والحق بين المرأة والرجل

د تطلب مني هذا الكتاب خمس سنوات من
، وأحس أنه سيصحح الفكرة التي تقول بأن
العربي ليس له في تراثه نقاش أو صراعات حول
قراطية » ، وأنه نقل النقاش « الديمقراطي »
مرب واعتمد في الكتاب على نصوص ووثائق
رجتها من السيرة النبوية لابن هشام ، ومن
ي ، وسأعطيك مثالا

د هذه النصوص يعود بنا إلى أحداث الفتنة الأولى بين عائشة والإمام علي ـ كرم الله وجهه ـ فقد كان طلحة والزبير يخطبان في أحد مساجد البصرة ، فقام لهما رجل من عبدالقيس ، فقال له طلحة أيها الرجل انصت حتى نتكلم ، وقال له عبدالله بن الزبير « ومالك والكلام » ؟ لكن الرجل تكلم ، وقال « يا معشر المهاجرين ، أنتم أول من أجاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكان لكم بذلك فضل ، ثم دخل الناس في الإسلام كما دخلتم ، فلما توفي رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ بايعتم رجلا منكم ، والله ما استأمرتمونا في شيء من ذلك ، فرضينا واتبعناكم ، فجعل الله عز وجل للمسلمين في إمارته بركة ، ثم مات رضي الله عنه ، واستخلف عليكم رجلاً منكم فلم تشاورونا في ذلك ، فرضينا وسلمنا ، فلما توفي الأمير جعل الأمر إلى ستة نفر ، فاخترتم عثمان ، وبايعتموه عن غير مشورة منا ، ثم بايعتم عليًا عن غير مشورة منا ، فما الذي نقمتم عليه فنقاتله ، هل استأثر بفيء أو عمل بغير الحق ، أو عمل شيئا تنكرونه ، فنكون معكم عليه ، وإلا فما هذا ؟

فهموا بقتل ذلك الرجل ، فقام من دونه عشيرته ، فلما كان الغد وثبوا عليه وعلى من كان معه فقتلوا سبعين رجلا

تاريخ الأمم والملوك للطبري ، الجزء الخامس ، ص ١٧٩

وهذه القصة بالنسبة لي تحمل صوتا هو من أهم الأصوات المطالبة « بالديمقراطية » ، فكيف يمكن بعد ذلك القول بأن قضية « الديمقراطية » وحقوق الإنسان غريبة على تاريخنا ، وأن الاستبداد هو فلسفة الشرق ؟ !

لقد قلت في جوابي السابق إن علينا أن نواجه العالم بالعودة إلى تاريخنا ، والتمعن المتفتح في هذا التاريخ من شأنه أن يجعلنا نعرف أن الديمقراطية كانت باستمرار قضية وهاجسا ضمن هذا التاريخ ، فنحن

لسنا مجموعة من فاقدي الذاكرة ، بل لدينا ذاكرة مكتوبة ، يمكنها أن تعطينا قوة متى عرفنا كيف نجعلها تعيش العصر

نحن اليوم نعيش العصر بشكل ما ، إنما ـ للأسف ـ حضورنا « العالمي » هذا هو محصلة تمزقات وصراعات . فالحرب اللبنانية مثلا قد دفعت بالعقول اللبنانية الخلاقة نحو أوربا ، وهكذا « فعالميتنا » تمت بطريقة مؤلمة ، لكن فيها مع ذلك جانب إيجابي ، رغم أنه رمزي ، يتمثل في ان العالم أصبح يتعامل مع هذه الطاقات العربية الخلاقة

هناك من يتحدث عن هجرة العقول العربية ، وسلبيات هذه الهجرة ، لكني لا أتفق مع هذا الرأي ، لأن العقل العربي يجب أن يتنقل ويعمل ويبدع في أي مكان وأي ثقافة في العالم

والسؤال الذي يجب أن يطرح بصدد هذه العقول العربية المهاجرة خارج اوطانها هو كيف يمكن لنا أن نربط جسرا للابداع بين الداخل والخارج . أقول هذا وفي ذهني ان الصين لها أقليات في جميع الأقطار الأسيوية ، وهي تستعملهم كوحدات جماعية او كعناصر مفردة ، وتدعمهم ثقافيا ، وتنمي بينها وبينهم علاقات اقتصادية وثقافية ، لتحقق هدفين الأول يتجلى في استمرار محافظة هذه الأقليات على الروح والحضارة الصينيتين والثاني هو تمكين الأقليات الصينية من القيام بدور سياسي وثقافي في البلدان التي تعيش فيها

لقد زرت ماليزيا ، ودهشت عندما رأيت ان الماليزيين من أصل صيني هم الذين يقودون البلاد ويغذونها اقتصاديا

ويجب أن لا يفهم من مضمون حواري هذا على أنه دعوة للاستيلاء على العالم ، لأني أدعو في العمق الى المساهمة في خلق عالم له أصوات ثقافية متعددة بما فيها الصوت العربي

الرجل العربي تعيس !

* أبحاثك الاجتماعية والتراثية تنصب على المرأة ، واريد أن اسألك هنا ، كيف ترين الرجل العربي ؟

ـ لست أنا من سيقول رأيا في الرجل العربي ، لكن الكتاب والسينمائيين والروائيين والمغنين العرب هم الذين عندما تقرأ أعمالهم او تشاهدها او تسمعها تجدها تتحدث عن رجل تعيس ، لا ينال حقه من الحنان ، وعلاقته بالمرأة دائما علاقة بامرأة يخاف منها لأنها مخادعة ، تهجره وتختار حبيبا اخر ، وهمها هو البحث عن الرجل الغني

وبعبارة اخرى فان الابداع الثقافي هنا هو الذي يعبر عما يجول في خاطر الرجل ، وإحساسه إزاء نفسه

لقد استرعى ذلك الخطاب الرجالي عن الرجل العربي انتباهي ، وفي النهاية وجدت انه ليس صعبا فهمه ومعرفة اسبابه ، فالعلاقة المريضة المبنية على عدم التوازن التي احد طرفيها مهضوم الحقوق لا يمكنها سوى ان تنتج رجلا كهذا ، ومن الخطأ ان نعتبر الرجل العربي غير مقموع ، بينما الطرف الآخر الذي يعيش معه علاقة الحب والعشق مقموع ايضا ، انه يستهلك علاقة مع انسان لا حقوق له ، وعلاقتهما بالتالي علاقة السيد بالمسود ، مما يجعل الرجل مسلوب الحق بالسعادة من خلال الحب ، ولهذا تجدني اقول ان الرجل العربي غير سعيد عاطفيا

* أي قمع تعنين في جوابك هذا ؟

ـ في سلسلة مقالات نشرتها بمجلة « كلمة » المغربية « بالفرنسية تناولت مفاهيم الحب والجمال ، وضمنها تساءلت لماذا ارتبط مفهوم الجمال بالصمت ، ولماذا يجب ان تكون المرأة الجميلة

صامتة ، ومن اين أتى الينا هذا التصور ، وما علاقة مفهوم الجمال بمفهوم الصمت ، وهل هو سياسي ويقابل الحق في التعبير

غريب ان يصبح الجمال رقابة « بوليسية » تمارسها المرأة على نفسها ، كي تكون محبوبة ، وأي نوع من الرجال ذلك الذي يحب امرأة تمارس على نفسها مثل هذه الرقابة لقد قالت لي ثقافتي بأنني اذا اردت ان اكون جميلة فيجب ان اصمت ، لكني عرفت رجالا احبوني لأنني اتكلم ، وهذا معناه ان الرجل احيانا يفلت من قبضة العقلية السائدة ، وهي عقلية تحاول تبرير مواقفها بالعودة الى مرجع هو التراث لكن هل تراثنا الحقيقي كذلك حقا ؟

إنني متشبعة بالمثال النبوي ، والنبي - ﷺ - مثلا كان يحب عائشة ، وأحب خديجة وام سلمة ، ولقد انزعج النبي(ﷺ) مرة ايما انزعاج لأن عائشة وصفت خديجة بعد موتها بالعجوز ، انزعج لأنه رفض أن تمس خديجة التي كان يحبها حتى بعد موتها ولك ان تتصور اي احترام واي علاقة جميلة كانت تربط النبي (ﷺ) بنسائه ، فكيف يقال لي اليوم انه ليس من صميم حضارة الرجل العربي ان يحب المرأة الا اذا كانت صامتة ؟ هذا احد الأمثلة عن القمع الذي اعنيه

لقد خطفت حق الرجل .

* وهل تكتبين في قضايا المرأة على الأخص احتجاحا على هذا القمع ؟

- اهتمامي بالمرأة هو استمرار لصيرورة تاريخية ، تتجلى في ان هناك دائما خطابا عن المرأة ، اي انني اكتب في هذا الموضوع استمرارا للموروث من تراث حضارتنا ولقد انجزت مؤخرا لليونسكو بحثا حول كيفية تعامل الكتّاب العرب مع المرأة العربية ، وارفقته بوثيقة ، وهي لائحة كان قد وضعها صلاح الدين المنجد ، وجمع فيها ما ألفه العرب عن النساء ، وقد بلغ ذلك ثمانين كتابا ، وهذا الرقم لا يعبر بالطبع عن مسح شامل

استخلص من ذلك ان كتابتي عن المرأة امر طبيعي ، وفي حالتي فان ما هو غير طبيعي يتمثل في كوني امرأة تكتب في قضايا المرأة لماذا ؟ لأن هذا الخطاب عن المرأة كان دائماً من قبيل حكرا على الرجل ، بل هو من امتيازاته

ما حدث اذن ، هو انني امرأة « خطفت » حق الكلام حول هذا الموضوع ، ولأننا لم نتعود سماع صوت امرأة تتكلم ينظر الي بدهشة واستغراب ، ولو كنت امرأة تتحدث بصوت خافت ، وتعيد ما قاله الرجل من قبل ، وتكرس ما هو سائد ، لقيل عني بأنني امرأة عظيمة ☐

النحو - قواعد

تقول الأديبة العراقية الدكتورة نازك الملائكة إن قواعد النحو العربي ليست إلا صورة من القوانين المنتظمة التي تخضع لها الجماعات ، والجماعة التي تضيع قواعد لغتها لابد أن تضيع قواعد تفكيرها وحياتها ، وإن لزوم القاعدة النحوية صورة من إحساس الأمة بالنظام ، ودليل على احترامها لتاريخها ، وثقتها بنفسها ثقة كاملة أصيلة

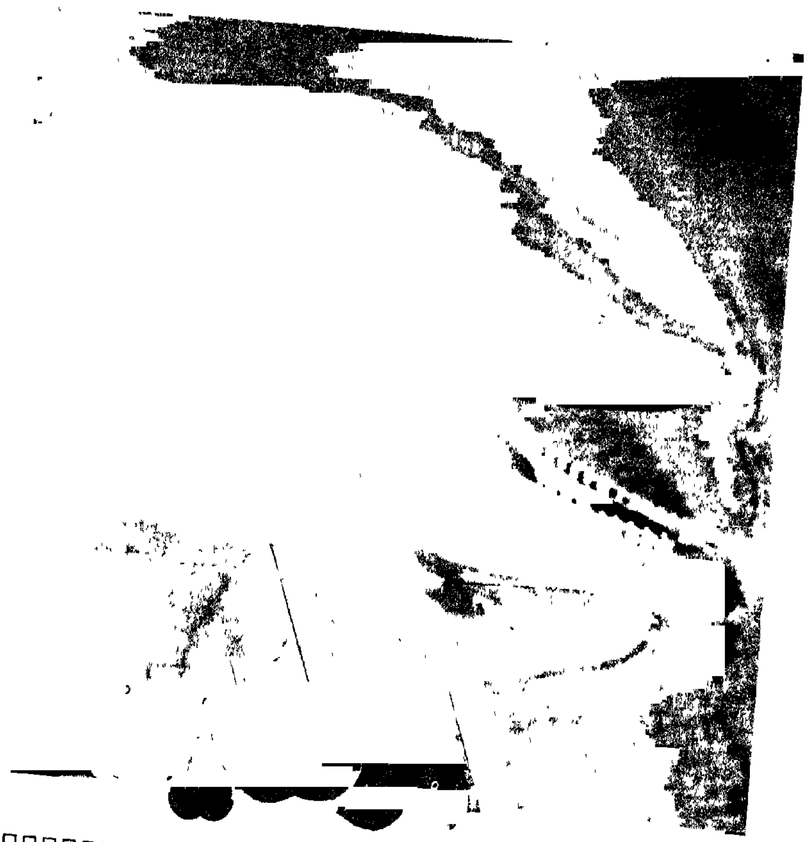

أفضل أصدقاء الإنسان

بقلم : سمير صلاح الدين شعبان

في عام ١٩٥٤ م انطلقت إحدى سفن الأبحاث الفرنسية من عدن باتجاه الخليج العربي، للتنقيب عن النفط فيه، وبينما كانت السفينة تودع الميناء لمح القبطان في الأفق بقعة كبيرة من سطح البحر، يرتفع فيها الزبد، وكأن الماء «يغلي»! ـاعتقد القبطان في بادئ الأمر أن هذا الزبد المرتفع ـا عن ارتطام الأمواج «بشعب» أو جدار ي. وبغية التأكد رجع القبطان إلى خارطته «ليشاورها»، فارتسمت على وجهه ملامح الدهشة، إذ لا وجود لمثل هذا «الشعب» في تلك المنطقة!

اقتربت السفينة من ذلك الزبد شيئا فشيئا، فوقعت عينا القبطان على مشهد لم يرياه، وربما لن تراه عين بشر، «رقصة باليه مائية»، يشارك فيها ما يزيد عن ١٠٠٠٠ دلفين، كل دلفين يبعث الماء في الهواء كالصاروخ، مستمتعا بقفزاته التي تنتهي

بارتطام يثير كثيرا من الزبد. وتساءل القبطان كيف اجتمع هذا العدد الهائل من الدلافين، في هذا الزمان وفي هذا المكان؟

سفينة أخرى كانت تمخر عباب البحر في المشرق الأقصى بسرعتها القصوى. وتأرجحت مقدمة السفينة إلى الأعلى، ثم إلى الأسفل، لتدفع أمامها موجة عالية، وفجأة لاحظ القبطان أن هناك من يسابقه، مجموعة من الدلافين ترافق السفينة، من كلا الجانبين، وتنطلق بسرعة مساوية لسرعة السفينة، وتزيد عنها أحيانا!

« الدلفين القائد » يأخذ زمام المبادرة، وينطلق كالسهم أو الطوربيد إلى مقدمة السفينة، وحينما يصل إلى قمة الموجة التي تدفعها السفينة أمامها، يسترخي فوقها، ويتركها تدفعه إلى الأمام، ثم يغطس تحت الماء، ويغيب عن الأنظار، ليسمح للدلفين التالي « بركوب الموجة »، وبعد قليل يفسح الثاني المجال للدلفين الثالث، وهكذا دواليك، كي يتسنى المجال لجميع الدلافين المشاركة في هذه اللعبة المرحة!

يحدث كل هذا والدلافين منطلقة بسرعة لاتقل عن ٥٠ كيلو مترا في الساعة، وفجأة « يلتصق » دلفينان على جانبي السفينة، وكأنهما يحاولان « حمل » السفينة، لضمان بقائها طافية على سطح الماء! وقد لاحظ القبطان أن ألعاب الدلافين هذه « جماعية »، يشارك فيها الجميع دون استثناء، وأن الجميع يبدءون الحركة واللعب في نفس اللحظة! وتساءل القبطان: كيف يتم تحديد « لحظة الصفر »؟ وهل للدلافين لغة خاصة بها؟

شاهد الأستاذ (البروفسور) (ريني بوسني) BUSNEL في عدد من المناسبات أرتالا من الدلافين. يزيد طولها عن (٣٥ - ٤٠) كيلو مترا! وقد أحاطت الدلافين - مرة - بسفينة من كل جانب، أثناء إحدى رحلاته في البحر الأبيض المتوسط، وقد رتبت الدلافين نفسها، بحيث يتمتع كل منها بحيز يقارب ٢٠ ياردة مربعة فقط من سطح البحر، وقد قدر (بوسني) عددها ببضعة ملايين! فما الذي يدفع الدلافين إلى السعي لمرافقة السفن، بهذه الأعداد الكبيرة؟

ومرة كان الغطاس الأمريكي (ادوارد لايهان) يراقب فقاعات الهواء الصادرة عن زفيره، على عمق ٣٠ قدما، أمام شواطيء (السلفادور)، ففوجيء دون سابق إنذار بأنه وجها لوجه مع دلفين، لاتفصله عنه إلا مسافة « سنتيمترات »: إنسان ودلفين! وبرفق مد (لايهان) يده، ليداعب بها فم الدلفين، فأغمض الدلفين عينيه جزئيا، لكنه بقي ثابتا بدون حراك، بعدها فتح فمه، وكأنه يدعو الغطاس إلى مبادلته الشعور نفسه بالثقة، ومرت لحظات طويلة، والاثنان يحدقان ببعضهما: إنسان ودلفين!

كان هذا الدلفين « مشهورا » لدى غطاسي أهل المنطقة، وكان كثير التردد عليهم ومداعبتهم، وقد أطلقوا عليه اسم (ساندي). وفي كثير من الحالات كان صخب إقلاع محرك قارب أحد الغطاسين كافيا، لكي ينطلق (ساندي) إلى القارب بأقصى سرعة، بقفزاته المرحة المتتابعة، حتى يضع نفسه أمام مقدمة القارب: إنه حيوان « وحشي » يبحث عن صحبة الأنسان!

بقي (ساندي) يسبح ويلعب مع الغطاسين المشهورين قرابة سنة كاملة، لكنه اختفى فجأة، تماما كما جاء فجأة، ولا أحد يدري إلى أين ذهب!

حياة الدلفين

يعيش الدلفين في جميع محيطات الأرض، وفي عدد من الأنهار، في أمريكا الجنوبية (مثل الأمازون)، وفي آسيا (مثل الغانج)، ورغم أن مظهره الخارجي يشبه الأسماك، لكنه من الحيوانات الثديية (اللبونة) التي ترضع صغارها. والدلافين - وتسمى أحيانا بوربوس PORPOISE - عبارة عن حيتان صغيرة مزودة بأسنان

اكتشف علماء الأحياء البحرية ـ حتى الآن ـ ماينيف عن ٥٠ نوعا من الدلافين والبورسوس ، يختلف بعضها عن بعض في كثير الصفات ، مثل الحجم والشكل والوزن . وعلى سبيل المثال فإن « دلفين الموانئ » صغير جدا ، لايزيد وزنه عن ٣٤ كيلوغراما ، وطوله ١٥٢ سنتيمترا ، أما أكبر أنواع البورسوس ، وهو (الاوركا ORCA) ، فقد يصل وزنه إلى حوالي ٨٠٠٠ كيلو غرام ، ويطلق عليه أحيانا اسم « الحوت القاتل » ، ويصل طوله إلى ٨ أمتار ، إلا أن أكثر الأنواع المشاهدة وفرة هو مايسمى « بالدلفين العادي » ، وإليه يعود الفضل في معرفة كثير من الحقائق عن الدلافين والبورسوس بشكل عام

وبما أن الدلفين من الثدييات (اللبونات) فهو مضطر إلى تنفس الهواء ، لذا يضطر للطفو بين فينة وأخرى للتنفس ، بواسطة منخره الوحيد الموجود في قمة رأسه ، وعندما يطفو الدلفين يفتح منخره ، ليزفر الهواء المتراكم في رئته ، وليستنشق هواء نظيفا ، ثم يغلق المنخر ، ويغطس في الماء مرة أخرى

يصعد معظم أنواع الدلافين إلى سطح الماء للتنفس مرة كل (٤ـ٦) دقائق ، وحتى عندما تكون نائمة فإنها تتحرك بصورة لاإرادية إلى السطح للتنفس ، ويضطر بعض أنواع الدلافين ـ مثل دلفين « أنف الزجاجة » ـ للتنفس مرة كل ٢٠ ثانية

وهناك أنواع أخرى تتمكن من حبس أنفاسها مدة تصل إلى ٣٠ دقيقة أحيانا

الدلفين « متلائم » مع بيئته المائية بشكل ممتاز ، فجسمه محاط بطبقة سميكة من الدهن ، تحميه من برودة مياه المناطق الباردة ، وجسمه الشبيه بالطوربيد ، محزز طوليا ليسهل انزلاقه في الماء ، وزعانفه الموجودة على جانبي جسمه تساعده على التوازن ، وتغيير وجهته ، أما « زعنفة المؤخرة » فهي تمثل مجدافه القوي الذي يتحرك نحو الأعلى والأسفل ، ليدفعه إلى الأمام بسرعة هائلة ، إن لزم الأمر ، وإلى هذه « الزعنفة » يعود الفضل في تصنيفه ضمن أسرع السابحين ، فهي التي تؤمن له سرعة تصل الى ٥٠ كيلومترا في الساعة في بعض الاحيان !

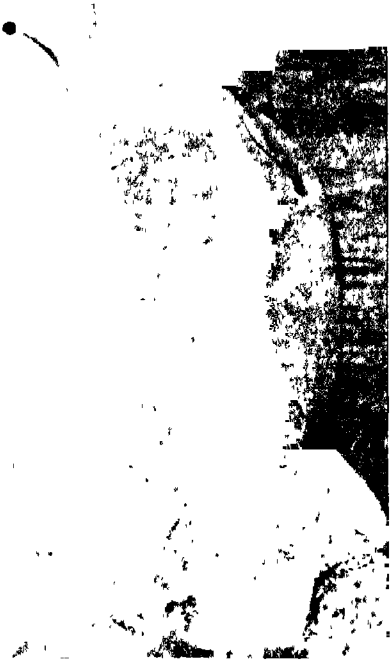

الدلفين والانسان

هل هناك علاقة بين « ألوان » جسم الدلفين « وتأقلمه » مع بيئته المائية ؟

إن ألوانه تسمح له بالاختفاء عندما يشعر بالخطر ، فمن ينظر إليه من الأعلى لايقدر على تمييز لون ظهره القاتم ، الداكن ، عن لون مياه الأعماق القاتمة أيضا ، وعند النظر إليه من الاسفل يتلاشى لون « بطنه » الفاتح مع اللون البراق لسطح الماء

سباحة الدلافين بمجموعات كبيرة تعطيها حماية إضافية ضد الأخطار المحتملة ، ويتراوح عدد أفراد مجموعة الدلافين بين بضعة حيوانات وعدة آلاف ، وقد يتجاوز عدد مجموعة منها في بعض الأحيان ـ

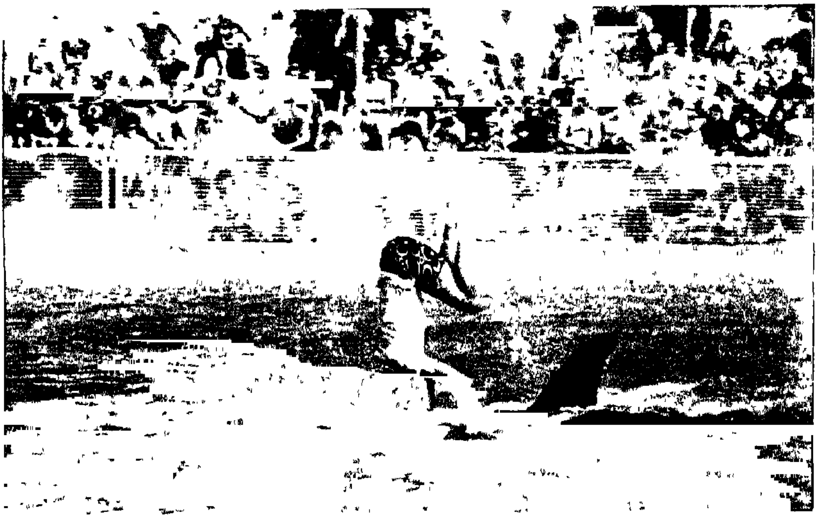

تدريب الدلافين على اداء اصعب المهمات

١٠٠٠٠ دلفين ! وعندما تسبح الدلافين بشكل مجموعات فإنها تبقى على اتصال مستمر فيما بينها ، عن طريق إصدار « الأصوات » المختلفة ، وعندما يشعر أحد الدلافين بالخطر يصيح طالبا النجدة من رفاقه

يعرف عن الدلافين بأنها تهب مجتمعة « لإنقاذ » الدلافين المجروحة ، أو المريضة ، أو المصابة بعارض ما ، إذ كثيرا مايصعب على الدلفين المصاب الصعود إلى سطح الماء للتنفس ، وهنا تتآزر الدلافين على « حمل » المريض منها إلى السطح على زعانفها ، وتسبح معه إلى السطح

يروى عن قيام الدلافين بإنقاذ بعض الغطاسين من البشر بالطريقة نفسها، حكايات كثيرة ! لكن هذه لاتمثل الطريقة الوحيدة لتضامن الدلافين وتكافلها . فعندما تلد أنثى الدلفين الحامل تقوم الإناث الأخريات بمساعدتها في عملية الولادة نفسها أولا ، ثم تساعدها مع وليدها على بلوغ سطح الماء للتنفس علما بأن الوليد الجديد يطفو إلى سطح الماء فورا للحصول على « الشهيق الاول » ، والا مات « غرقا » وسبب حزنا لأمه ولرفيقاتها !

تضع أنثى الدلفين مولودا « وحيدا » ! بعد مضي سنة كاملة تقريبا على عملية الاخصاب ، وتتم الولادة غالبا في بواكير الربيع من كل سنة ، وبعد الولادة مباشرة تقوم الأم بدفع وليدها ـ بمساعدة الإناث الأخريات ـ « برفق » إلى السطح ، وقد تساعدها الأخريات أيضا في الإمساك بالوليد الجديد أثناء عمليات الرضاعة الأولى تستمر الأم بإرضاع وليدها قرابة ١٠ أشهر ، والأم مزودة بعضلات خاصة تمكنها من « عصر » حليبها في فم رضيعها

تم « تدريب » عدد من الدلافين الذكية الفضولية على القيام بعدد من المهام والحيل في أحواض مائية خاصة ، بإشراف عدد كبير من علماء الأحياء البحرية ، وهناك يقفز عدد منها عبر حلقات معلقة في الهواء ، أو يقفز لاقتناص سمكة من يد المدرب الواقف على حافة الحوض ، وغير ذلك كثير فمن أين لها هذا الذكاء ؟

[illegible] سيث نوريس (K . NORRIS) [illegible] مة كاليفورنيا في (سانتا [illegible]) [illegible] الاثبات العلمي على أن مقدرة الدلفين المدهشة [illegible] تحت الماء ، إنما تتم بواسطة حاسة « السمع » . ففي عام ١٩٥٩م قام (نوريس) بربط عيون أحد الدلافين ، ثم وضعه في [illegible] معتمة ، لكنه أصيب بالدهشة عندما وجد أن الدلفين يشق طريقه بلا سهو [illegible] طريقه وهو معصوب العينين !

يجيب الدكتور (نوريس) عن هذا السؤال قائلا بأن الدلفين يطلق أصواتا خشنة متتابعة [illegible] الهواء بين الجيوب الأنفية الموجودة داخل جمجمة وهذا الأمر يشبه صوت « [illegible] » عندما [illegible] الطقس [illegible] وبعد ذلك ينصت [illegible] « الصدى » المرتد عن تلك [illegible] التي [illegible] ويلتقط قطارا من « الطقطقات » العائدة [illegible] يتم تركيز هذه الأصوات وجمعها بواسطة « عدسة » من الدهون الموجودة في جبهة [illegible] تماما كما تقوم العدسات الزجاجية بتجميع إشعاعات الضوء في نقطة تجمع (محرق) رئيسية

يطلق الدلفين مثل هذه النبضات بين فينة وأخرى ، وينصت ، علّه يعثر على طعامه المفضل ، مثل سمك البوري أو المحار الذي يلتهم كميات كبيرة منه بشهية واضحة ، وتساعده « حمله الصدى » هذه أيضا على الاهتداء إلى الطريق الصحيح ، وتجنب الحواجر ، وقد لاحظ العلماء أن عدد « الطقطقات » التي يصدرها الدلفين يزداد ، كلما أصبح على مسافة أقرب من فريسته ، وقد وجد الدكتور (نوريس) أن الدلفين قد تمكن بمساعدة طريقة « تحليل الموجات » هذه ، من التحديد الدقيق لموقع كبسولة (فيتامينات) تحت سطح ماء الطرف الآخر لحوض مائي كبير !

وقد أعرب (نوريس) عن اعتقاده بأن البشر سيكتشفون - يوما ما - المهارة الفائقة للدلافين « في التقاط الصور الصوتية » ، ويشير إلى أنه أصبح من الثابت الآن أن بمقدور الدلافين التعرف - [illegible] - طبيعة الأجسام وحجمها ، ويعتقد بأن هذه [illegible] الصوتية الشديدة الحساسية قد [illegible] أحاسيس الدلافين الأخرى وانفعا [illegible]

وقد وجد (نوريس) أيضا أن الدلفين [illegible] « [illegible] خارجية ، بل فتحة [illegible] من رأس [illegible] الأذن « الحقيقية » [illegible] عبارة عن « [illegible] » رقيقة من عظام الفك [illegible] الأصوات خلالها [illegible] قام نوريس [illegible] سيث عطاء على عكي إحدى [illegible] إحدى الملامح الأساسية للدلافين [illegible] ابتعدت عنه ، وبلطف [illegible] عميقة ، حتى خلصت عكيها من « [illegible] » ثم حملت الوثاق في فمها وأعادته إلى [illegible] ، وكأنها تريد أن تقول له « هذه حيلة طريفة [illegible] حيلتك [illegible] ؟ »

[illegible] دلافين حكايات طريفة عن ذكاء الدلافين [illegible] ، وعلى سبيل المثال ، فقد عود [illegible] مالن J . MULLEN) دلافينه على « تنظيف مسابحها » [illegible] كلما أحضر الدلفين للمدرب قطعة من الأوساخ نال سمكة [illegible] مكافأة [illegible] الطاقة ، لكن الشك اعتراه ، عندما أصبح أحد الدلافين ، المسمى « السيد سوك » ينال المكافأة تلو الأخرى ، جراء إحضاره قطعا من الأوراق المهترئة ، وأخيرا وجد المدرب أن « السيد سوك » كان ينال مكافأة في كل مرة على قطع من الورق التي المتشابهة ، الممزقة من كيس وحيد ، وغطس المدرب في الحوض فوجد أن « السيد سوك » كان قد خبأ كيس ورق في إحدى زوايا الحوض ، وأنه كان ينزع منه قطعة صغيرة في كل مرة ، ويقدمها للمدرب « الكريم » !

تجرى دراسات عديدة في عدد من دول العالم على

الدلفين، لمعرفة مزيد من المعلومات حول براعاته وخصائصه. وقد وجد الدكتور (سام ريدغواي S. RIDGWAY) أن للدلفين عددا من « المعدات »، مثل البقر، والماعز. وقد وجد بعد دراساته المكثفة في « مركز الحمل الحيوية » في (ساندييغو) أن الدلافين تركز الملح في الكلى، مثل الجمال تماما، وأنها بحاجة إلى ساعات محدودة من « النوم »، مثل البقر أي من ساعتين إلى ثلاث ساعات، كما وجد أنها قادرة على النوم مع إبقاء إحدى العينين مفتوحة، كما يبقى نصف المخ مستيقظا!

يضع علماء هذا المركز نصب أعينهم استخدامات أقرب إلى الحياة العملية ويشير (ريتشارد سول) الذي يرأس قسم الحمل الحيوية إلى أن أدق تجهيزاتنا (الالكترونية) لاتتمكن من محاكاة عشر مقدرة الدلفين السمعية تحت الماء

ويقول ان البحرية الامريكية ترغب في تصغير هذه الهوة، بغية ابتكار أذن صناعية قادرة على التصنت تحت الماء، انطلاقا من تقليد الدلفين!

يقوم الدلفين بإصدار عدد من أصوات الاستكشاف، بترددات أو ذبذبات أعلى بكثير من تلك التي تقدر الأذن البشرية على سماعها، أو فلنقل إنها موجات « فوق سمعية ULTRA SOUND »، وقد نجح مهندسو البحرية الأمريكية في توليد النبضات التي يولدها الدلفين، ولكن بواسطة الأجهزة (الالكترونية)، وبثها ونشرها ضمن الماء، وبعد ذلك يقوم حاسب (الكتروني) باستقبال الأصداء المنعكسة، وتحويلها إلى موجات تتمكن الأذن البشرية من سماعها، وهكذا يتمكن الغطاس من البشر وهو مغمض العينين من التمييز بين الأجسام الموجودة في الماء، مثل الدلفين تماما!

يكمن الهدف النهائي لمثل هذه الاختبارات في التوصل إلى جملة سمعية مائية (الكترونية) بالكامل، لاتتدخل فيها قدرة حواس الانسان إطلاقا، ويستخدمها الغطاسون ليلا، أو تستخدم في توجيه « الطوربيدات » إلى أهدافها المحددة سلفا!

يوجد في مركز الأبحاث هذا أنثى دلفين عجيبة، أطلق عليها اسم (كاي KAE)، وقد اشتركت ذات يوم مع مدربها (ايرل مور تشيسون E. MURCHISON) في لعبة « عشرون سؤالا »

قام المدرب بتغطيس عدة أجسام مختلفة الأشكال والأحجام، كل جسم على حدة في الماء، وعلى بعد ٣٠ قدما من (كاي) - في الوقت نفسه كان أحد المحررين يستمع إلى الأصوات تحت الماء بواسطة مكبر صوت - وسأل (ايرل) « هل هناك شيء؟ »، فبدأت (كاي) بإصدار (طقطقاتها) الرادارية، حتى اطمأنت وتأكدت، وبعد ذلك استدارت لتقدم « الجواب »، وقد ضربت الكرة الحمراء التي يعني ضربها « نعم » ولما أجابت (كاي) نعم حصلت على مكافأتها

وازداد إعجاب الحاضرين (بكاي) عندما أجابت إجابة صحيحة على السؤال الثاني عندما وجه إليها، وقد كان السؤال « هل هو اسطواني؟ » وقد قام (ايرل) بتغطيس اسطوانات من أحجام مختلفة ومن مواد مختلفة أيضا، منها ما هو مصنوع من الخشب، أو الفولاذ، أو اللدائن، أو الالمنيوم، ومنها ما هو مصمت (خال من التجويف) أو مجوف، وفي كل مرة كانت (كاي) تشغل « رادارها الصوتي » ثم تقدم الاجابة الصحيحة « نعم »

ثم أنزل المدرب قطعة حديد بشكل زاوية، فلم يرقها ذلك، وأصدرت فقاعة من منخرها، وأجابت « لا » وهذا يوحي بأن هذا الحيوان يدرك فعلا « المفهوم التجريدي » للاسطوانة

كانت التساؤلات التالية في برنامج التدريب « هل هو معدني أم لا؟ » « هل يتحرك؟ »، وبالاعتماد على هذه التساؤلات التي تكفي الإجابة عليها بنعم أو بلا، سيتمكن العلماء من معرفة المزيد عما « يراه » الدلفين بواسطة « راداره الصوتي » □

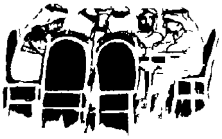

منتدى العربي

قضية

تعريب التعليم الجامعي

أجرى الحوار : أبو المعاطي أبو النجا

قضية التعريب قضية قديمة متجددة ، ذات اتصال وثيق بإشكالية الاصالة والمعاصرة ، من أهم عناصرها قضية تعريب التعليم الجامعي ، التي تتميز فيها جامعة دمشق بموقف قومي رائد وجريء . حول هذا الموقف تجري مجلة العربي هذا الحوار مع أستاذين كبيرين في جامعة دمشق هما الدكتور عادل العوا - رئيس قسم الفلسفة بكلية الآداب والدكتور عدنان تكريتي - أستاذ الجرثوميات والطفيليات بكلية الطب وفي هذا العدد ننشر الجزء الاول من الحوار مع الدكتور عادل العوا

لجامعة دمشق موقف متميز وواضح من قضية التعريب ، ولعلها أول جامعة عربية تدرس المواد العلمية باللغة العربية قبل أن ندخل في مناقشة تفاصيل هذه القضية نود أن يوضح لنا الدكتور عادل العوا الفلسفة أو الاطار الفكري الذي يقوم عليه هذا الموقف في جامعة دمشق ؟

- ليسهل تحديد هذا الاطار نوضح في البداية ماذا نقصد بمصطلح « التعريب » ، ونفرق بينه وبين مصطلح « الترجمة » فحين نقوم بترجمة كتاب أو نص من أي لغة إلى اللغة العربية مثلا فهذه ترجمة ، والترجمة هنا هي عملية نقل المعرفة ، وهنا ينشق سؤال ماذا أريد من هذه الترجمة ؟ فإذا كنت أريد

من نقل هذه المعرفة أن أتيح الفرصة لثقافتي العربية لكي تتحاور مع ثقافة جديدة ، وأن تتلاقح معها ، لتنمو ثقافتي وتزدهر ، وتصبح أكثر قدرة على الاسهام في الثقافة العالمية ، وفي النهضة العلمية العالمية ، فهذا هو التعريب ، إذن فالتعريب مصطلح يجب أن يطلق على ما نقصده من عملية الترجمة ، وهو أن نجعل الثقافة العربية المعاصرة على المستوى المعروف عالميا ، وأن نمضي بها قدما ، بحيث نساهم في تقدم المعرفة الانسانية بشكل عام

إذا نظرنا في هذا الاطار إلى حركة النهضة العلمية العربية القديمة التي تمت في العصر العباسي في عهد المأمون من خلال إنشاء بيت الحكمة قلنا إن الروح العربية في نهضتها هي التي أرادت أن تطلع على ما هو موجود في الثقافات العالمية آنذاك ، وهذه الروح هي التي قادت إلى حركة الترجمة . وقد كانت الترجمة مجرد وسيلة لتغذية هذه الروح المتفتحة ، المتطلعة إلى ما حفلت به الحضارات القديمة ، سواء في أقصى الشرق في فارس والهند أم في أقصى الغرب في « اليونان » ، أو ما كان يسمى آنذاك بالمعجزة اليونانية

بداية التعريب في جامعة دمشق

* كيف يمكن أن نحدد بداية هذه الحركة ، أعني حركة التعريب بالمفهوم الذي أشرتم إليه في الجامعة السورية في العصر الحديث ؟

ـ في الواقع أن روح التعريب موجودة في سوريا ، وأكاد أقول أنها موجودة قبل القرن الحالي ، ففي زمن السيطرة العثمانية كانت الروح العربية الكامنة تعبر عن نفسها باتجاه الناس إلى الترجمة من اللغة التركية ، ومن اللغة الألمانية ، وسواهما ، وفي مختلف فروع المعرفة ، والتجربة السورية المعاصرة لا يمكن فهمها إلا بإضافتها إلى التجربة العربية الكبيرة في عهد المأمون ونسبتها إليها ، حين استطاع أن يبلور النهضة بتمازج الثقافات القديمة من خلال الجهود التي قام بها بيت الحكمة الذي نظم جهود الترجمة التي كانت قبله ، وجعل منها مؤسسة تنسق جهود العلماء لغاية واضحة وتوجهها

فالتجربة السورية في إطار التعريب إذن قديمة ومستمرة ، وعميقة الصلة بنزوع الروح العربية للنهضة والتحقق ، فإذا جئنا إلى جامعة دمشق وجدناها قد أخذت ـ منذ نشأتها ـ تستجيب للحاجات الاجتماعية والثقافية في سوريا ، فأصبح التعليم فيها منذ وجود الانتداب الفرنسي باللغة العربية أنشئت أولا أثناء الحرب العالمية الأولى كلية اسمها مدرسة الآداب ، أغلقها الاستعمار الفرنسي بعد ثلاث أو أربع سنوات من إنشائها ، لنمو الروح الوطنية بين طلابها ، ثم أنشئت كليتا الحقوق والطب ، وكان التدريس فيهما باللغة العربية ، وكان الأساتذة الرواد رائعين في نقل المصطلحات في مجال الحقوق والآداب والطب ، وقد ترجمت آنذاك بعض المعاجم المتخصصة في الطب ، وطبعت في جامعة دمشق ، وفي تلك الفترة أيضا أنشىء المجمع اللغوي في دمشق ، للعناية باللغة العربية ، ولوضع المصطلحات العلمية ، ثم حدث تنظيم الجامعة سنة ١٩٤٦ بعد الاستقلال ، ومنذ ذلك الوقت بدأت قضية التعريب والترجمة تطرح بصورة فعالة ، ليس على مستوى كليات الآداب والحقوق والطب فقط ، بل على مستوى جميع الكليات النظرية والعملية

صعوبات على الطريق

* بطبيعة الحال واجهتكم وأنتم تقومون بهذه المهمة في التعريب صعوبات وتحديات كثيرة ، ولعلها تواجه كل المهتمين بقضية التعريب في وطننا العربي ، سواء فيما يتعلق بمنهج وضع المصطلح ، أو بتوفيره بما يجاري التطور المذهل في شتى فروع المعرفة ، أو في تأليف الكتب العلمية باللغة العربية ، أو في الترجمة الخ نود أن توضحوا لنا طبيعة هذه

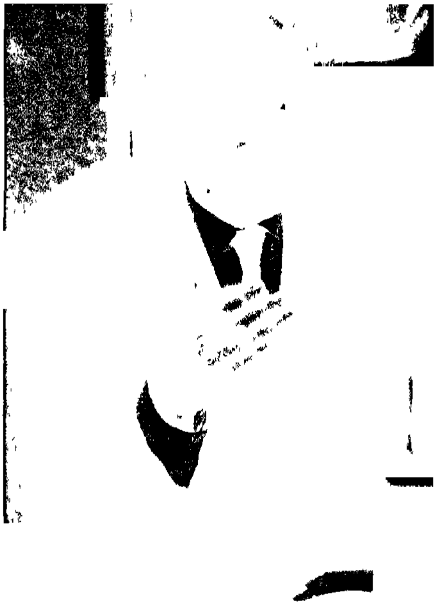

د عادل العوا

الصعوبات ، وكيف تواجهونها ؟

ـ لقد كانت هناك صعوبات مختلفة وما تزال ، ولكن بعضها يرجع إلى العنصر الانساني بالدرجة الأولى ، إننا نسمع عما يسمى بالترجمة الآلية ولا نريد أن تكون ترجمتنا آلية ، ولو بأفضل الامكانيات ، لأن العلوم الانسانية تحتاج إلى العنصر الانساني ، لا سيما في مجال الأدب والفكر ، إذ يمكن أن نترجم معادلة رياضية أو كيميائية بطريقة آلية اصطلاحية ، أما اللغة في العلوم الانسانية والنصوص الأدبية فهي تحتاج إلى الانسان ، لفهم النص وتذوقه وقراءة ما بين السطور

وإذا عدنا إلى الصعوبات التي تتعلق بالعنصر الانساني أمكننا أن نشير إلى أن من أهمها تنوع ثقافات أعضاء هيئة التدريس بالجامعة ، فبعضهم استكمل دراسته العليا في بلاد تدرس باللغة الانجليزية ، وبعضهم درس باللغة الفرنسية أو الروسية إلخ ونود أن تصبح هذه الصعوبة وسيلة لاخصاب عملية التعريب وإثرائها ، لكننا اليوم نتغلب على هذه الصعوبة بالممارسة العملية ، فالمصطلحات التي نتفق عليها أو نقرها نسعى إلى تعميم استخدامها ، ونشرها بين الجميع على اختلاف خلفياتهم الثقافية

ومن الصعوبات أيضا الاختلافات التي تظهر أحيانا بين ما يراه « المجمعيون » وبين ما يعيشه الجامعيون ، سواء فيما يتعلق بمنهج وضع المصطلح ، أو أولوياته ، فالمجمعيون يسيرون في عملهم بإيقاع هادئ ، وفق مناهج محددة ، قد يستغرق الوفاء بمتطلباتها وقتا طويلا ، بينما يجد الجامعيون أنفسهم أمام ضرورات عاجلة ملحة ، حيث يتطلب الوفاء لمنهج دراسي محدد وضع مصطلحات جديدة ، لم يتطرق إليها المجمعيون بعد أنا أحب أن أترجم ـ مثلا ـ كتبا تتصل بالفكر العلمي الجديد ، وقد ترجمت ـ سابقا ـ كتابا يتصل بفلسفة الهندسة المعمارية ، فكنت أجد نفسي أمام مصطلحات جديدة ، لم يتطرق إليها المجمعيون بعد ، فكنت ـ كقاعدة ـ أرجع إلى زملائي في كلية الهندسة أو في كلية العلوم أحيانا « بالهاتف » ، ـ مناهج وضع المصطلح من نحت واشتقاق الخ معروفة ـ فأبحث وإياهم عن أفضل المقترحات لترجمة مصطلح أجنبي محدد ، وأختار من هذه المقترحات ما يؤدي المعنى بدقة ، ومع سهولة الاستعمال بهذه الطريقة نذلل بعض هذه الصعوبات ولا أقول أننا قد تغلبنا عليها كلها

تعاون غير تقليدي

* أرجو أن تأذن لي بشيء من التعليق على ما تفضلت بذكره من صعوبات ، ولعل ذلك يقودنا إلى أوجه جديدة لها ، فمجمع اللغة العربية مثلا في القاهرة يقوم بالاضافة إلى عمله بإعداد المعاجم اللغوية العامة مثل « الكبير » و« الوسيط » و« الوجيز » و« مجموعات المصطلحات العلمية » بتنظيم المصطلحات التي يتم إقرارها في مختلف فروع المعرفة في كتيبات خاصة ، يمكن أن تصبح عند اكتمالها معاجم متخصصة في مختلف العلوم الانسانية

والعلوم البحتة ، كالفلسفة والتربية وعلم النفس والفيزياء والكيمياء ... الخ فهل تصلكم مثل هذه الكتيبات أو المعاجم من مجمع اللغة في القاهرة ؟ فقد يكون في بعضها بعض ما تبحثون عنه وإلى أي مدى يستفيد عملكم من أعمال المجامع الأخرى ، ولا يكرره ؟ وهذا الأمر يقودنا إلى صعوبة جديدة ، لعلها « التنسيق بين عمل الجهات المختلفة في قضايا التعريب ووضع المصطلح العربي » ، فقد قامت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بوضع معجم متخصص ، هو « المعجم العسكري » في وقت قياسي ، بفضل الدعم الذي حظي به هذا المشروع ولعل هذه الحالة تشير أيضا بالاضافة إلى مشكلة التنسيق مشكلة الدعم المالي الذي يجب أن تحظى به مثل هذه الجهود ، لتعطي ثمارها في الوقت المناسب ، كما أن مسألة الاختلاف بين ما يراه المجمعيون وما يعيشه الجامعيون قد تجد نوعا من الحل ، وبخاصة أن معظم الأجيال الجديدة من أعضاء المجامع اللغوية هم من أساتذة الجامعات ، وكذلك كل الخبراء العاملين في المجامع اللغوية

ـ لقد طرحت أكثر من ملاحظة في إطار واحد ، والكلام عنها يثير السرور لدى كل من يهمهم أمر قضية التعريب ، فكلها بتفاصيلها مهمة للغاية وأقدم أمثلة ليسهل الأمر على كل من يهمهم أمر هذا البحث ، ومتابعته بين المجامع اللغوية العربية والمنظمات المعنية بشئون التعريب ، فالواقع أن هناك تعاونا فعليا ، بطرق قد لا تكون كلها « روتينية » أو مقصودة ، فمجمع اللغة العربية في دمشق حريص كل الحرص على التنسيق مع جهود مجمع اللغة العربية في القاهرة ومع غيره من المجامع اللغوية في بقية الأقطار العربية وعلى الاستفادة من مجهوداتها ، فقد كان المرحوم رئيس مجمع اللغة العربية في دمشق الاستاذ حسني سبح دائم الاتصال بزملائه في بقية المجامع العربية ، وبخاصة بزميلنا الدكتور ابراهيم مدكور رئيس مجمع اللغة العربية في القاهرة ، حتى خارج إطار المؤتمرات السنوية

كنت في زيارة للجزائر ، وعندما علمت وأنا في الطائرة أن هناك محاضرة للدكتور ابراهيم مدكور قد أزف موعدها نزلت من الطائرة إلى مكان المحاضرة مباشرة ، فبالرغم من كل الظروف يحصل الالتقاء حول العمل الثقافي ولا يفتر ، أضرب مثلا آخر في القاهرة ترجم إخواننا بإشراف الدكتور عبدالرحمن بدوي « مفردات لمعجم متخصص فلسفي » ، وضعه فرنسي درس بعض الوقت في القاهرة ، اسمه « اندريه لا لاند » ، واسم المعجم « المعجم الفلسفي والتقني للمفردات الفلسفية والتقنية » أقول لقد ترجموا المفردات فقط ولم يترجموا المعجم ، وطرحوهُ في كتيب ، ونحن هنا نستعمله ، ونوصي طلابنا وزملاءنا بقراءته ، ليعرفوا كيف يتم اقتراح ترجمة بعض المصطلحات الفلسفية والتقنية ، هذا بالاضافة إلى كتب أخرى متخصصة في مختلف العلوم الانسانية وغيرها ، تأتينا من مختلف الأقطار العربية وهذه كلها وسائل عملية ممتازة تحقق التواصل ، والتعاون ، وتفيد كمقترحات أولية ونحن نتابع من هنا أعمال مكتب التعريب في الرباط وتصلنا مطبوعاته ، ومجلته « اللسان العربي » ، وهذه مجرد أمثلة ، تؤكد أن التعاون والتواصل قائمان بين المعنيين بقضايا التعريب ، أما مسألة الاختلاف بين المجمعيين والجامعيين فهي ليست مسألة اختلاف أشخاص ، وأنا معك أن معظم المجمعيين الآن من أساتذة الجامعة ، لكن الاختلاف هو في إيقاع العمل ، وفي أولوياته ، فالأستاذ في الجامعة مضطر للبحث عن حل عاجل لمصطلحات مطروحة عليه في زمن محدد ، أما المجمعيون فيعدون عملا وفق إطار خاص أو عام ، قد لا يستجيب للحاجات العاجلة ، لأنه يعد لخدمة الأجيال القادمة ، ويتم في أناة ، لاستيفاء كل قواعد البحث في المعاجم القديمة والحديثة ، ليتم وضع مصطلح قابل للاستمرار والتعميم

إجتياز الفجوة المتزايدة . كيف ؟

* اسمح لي أن أعود قليلا إلى ما تفضلت بالاشارة إليه في بداية هذا الحوار ، من أن فلسفة التعريب تعني في النهاية توفير فرصة التلاقح والحوار بين ثقافتنا العربية والحركة العلمية العربية وبين الثقافات المعاصرة الخ

من هذا المنطلق نفسه تنبعث بعض المخاوف والمحاذير ، فمن الواضح أن الحركات الفكرية والثقافية والعلمية في أقطارنا العربية ما تزال متخلفة إذا ما قورنت بنظيراتها في العالم المتقدم ، وأن هناك فجوة بيننا وبينهم ، خاصةً في العلوم البحتة والتطبيقية ، وتدريس العلوم في الجامعة باللغة العربية قد يؤدي إلى زيادة هذه الفجوة القائمة ، حيث لا يتمكن الطالب الذي درس العلوم باللغة العربية من متابعة حركة البحث العلمي في الخارج

في الوقت الذي ما تزال فيه حركة البحث العلمي عندنا في بداياتها ، تقول وجهة النظر التي تثير هذه المخاوف إن القياس على ما حدث في عصر المأمون حين أنشىء بيت الحكمة قياس غير دقيق ، فالمترجمون في بيت الحكمة كانوا يترجمون عن ثقافات وحضارات في حالة سكون ، ثقافات ثاوية في الكتب ، يمكن - بعد وقت طويل أو قصير - أن تتم ترجمتها كاملة ، أما نحن في وضعنا الراهن فنلاحق تيارات ثقافية وفكرية تمور بحركة علمية مذهلة في تطورها وتقدمها ولهذا فمخاطر بقاء الهوة - وربما اتساعها - يظل قائما

ـ هذه ملاحظة ثمينة ، وابتداءً يجب أن نفرق بين ما نريد أن نأخذه من الغرب من أجل تقدمنا المادي ، وما نريد أن نأخذه من أجل تقدمنا الفكري والثقافي ، فمن الناحية المادية يجلق بنا أن نعلم أبناءنا التقنية الحديثة بكل مستوياتها ، أما الأهداف التي سنستخدم من أجلها هذه التقنية فهي أهداف محلية وعربية وإنسانية هنا تقول توجد هوة ، والهوة قائمة فعلا ، وإذا كان الأساس في اختيارها هو قيام حركة بحث علمي ، وحركة تصنيع وتنمية ، تخدم أهدافنا العربية والانسانية ، فمن المهم أن تكون هذه الحركة العلمية باللغة العربية ، وأن نؤسس لهذه الحركة بترجمة الكتب العلمية إلى اللغة العربية ، وبوضع المصطلحات العلمية والتقنية في اللغة العربية ، مهما يكن الجهد والوقت أما بالنسبة للعلوم الانسانية فلا توجد مشكلة هوة بالصورة الموجودة في العلوم البحتة والتطبيقية ، وأمامنا تجارب الأمم في هذا المضمار ، ففي اليابان قد أخذوا التقنية من الغرب ، ودرسوها بلغتهم القومية ، وتفوقوا في ذلك على الغرب ، وعلى أمريكا ، من ناحية العلوم الانسانية ، وكل ما يتصل بالشخصية القومية اليابانية لم يأخذوا كثيرا عن الغرب ، بل تطوروا في مجالات العلوم الانسانية ، وأصبح لهم فيها إسهام واضح في الثقافة الانسانية

وعندما نحن في مجالات العلوم الانسانية تراث كبير ، وقيم كثيرة ، يحتاجها العالم ، والمهم أن نعرف كيف نعرضها بلغة العلم الحديث ، ونطورها ، ففي مجال التصوف عندنا - لا أتكلم عنه كما آل إليه الحال في أمر الفرق - لو أخذناه في ضوء فكرة التحليل النفسي لوجدنا أن النفس الانسانية في الثقافة العربية قد تم تحليلها إلى درجات لا تقل إرهافا عما وصل إليه الآخرون

وعندما ننقل الآداب أو العلوم الانسانية من الغرب فإننا لا نسعى إلى تقليدها ، بل نتمثلها ، ونهضمها ، لتصبح جزءا من الغذاء لثقافتنا العربية النامية ، فتعطي ثمارا عربية أغنى ، وأقدر على الاسهام في الحضارة الانسانية ، فأجدادنا عندما أخذوا المنطق اليوناني استخدموه في علم الكلام وفي الفقه ، وفي القياس ، وهكذا

أما مسألة ضرورة أن يكون لدينا حركة بحث علمي ناهضة لترتكز حركة التعريب على أساس قوي منها فلا خلاف حولها ، لكن مسألة ضرورة الدعم المادي لجهود التعريب ، والتنسيق بين هذه الجهود

فهي مسألة في غاية الأهمية ، بيد أن مثل هذه الأمور تبقى دائما نسبية ، ومحكومة بظروفها ودائما ستبقى هناك مسافة بين ما توفره أي دولة لهذه الأمور وبين ما يتطلع إليه القائمون بها

المثل الشعبي يقول « العين تسمى اكثر مما ترى » ، وهذا في كل مكان حتى في فرنسا ، ففي المركز القومي للبحوث بفرنسا ، درس أحد الباحثين واسمه « ادجار موران » قضية الهيبيين ووضع فيها كتبا ، ودعا الدولة إلى الاهتمام بقضاياهم ، لكن للدولة أيضا أولوياتها . والمثل اللاتيني يقول « نعيش أولا ثم نتفلسف » . ولدينا هنا مثلا ضرورات التنمية وضرورات الأمن ، ومخاطر « اسرائيل » . . الخ

الابداع في اللغة القومية

* حين كنت أناقش قضية التعريب . في الجزائر مع الأستاذ مولود قاسم أيد بقوة وجهة النظر التي تقول « إن تدريس العلوم باللغة القومية أمر أساسي لإيجاد حركة بحث علمي عربية وتأصيلها ، ولمولد جيل من المبدعين في الآداب والعلوم ، لأن الابداع الحقيقي لا يكون إلا في اللغة القومية للمبدع » ونود أن نعرف رأيك في هذه القضية التي تتصل في صميمها بفلسفة التعريب

- إذا أردت أن نجيب بصورة دقيقة عن قضية الابداع المهمة هذه فلابد أن نميز بين الابداع في المجالات المادية والتجريبية ، والابداع في المجالات الأدبية والفنية والعلوم الانسانية ، فمثلا في مجال « الالكترونيات » أو العلوم التجريبية ليس شرط لنا أن يكون الابداع في اللغة القومية ، لأن هناك لغات خاصة بالبحث في هذه المجالات ، هناك لغة « البازيك » و « الفورتران » وهذه لغات عالمية

أما بالنسبة للعلوم الانسانية فيوجد لدينا أمران الفكر ، والتعبير عن الفكر ، والفكر لا يتوقف عند لغة معينة ، بل إن الفكر يبدع حين تتوفر الموهبة ، وحين يطلع المبدع على ما قاله الآخرون ، وعندئذ يتاح له أن يمضي قدما في الابداع الفكري ، أما بالنسبة للتعبير اللغوي فإذا كان المقصود به هو الابداع اللغوي الجمالي فيجب أن يكون باللغة القومية التي تمكنه من أن يبدع بها جماليا ، لأنه أدرى الناس بارتكازاتها ، وانعكاساتها العاطفية والجمالية ، أما من حيث المضمون الفكري لهذا التعبير اللغوي فنستطيع أن نأخذ في عرضنا الرمزية في الأدب التي قال بها « رامبو » وسواه ، فهي قد جاءت إلينا من الغرب ، فكان لها دورها العجيب في الثقافة والشعر الحديث ، فالشعر الحديث كله يريد أن يكون رمزيا ، لكن إلى أي درجة يوفق أو لا ؟ يوفق طبعا إذا كان التعبير الجمالي مستوفيا للشروط الفنية والموسيقية ، ولا يوفق إذا لم يستوف هذه الشروط ، وبقي مجرد رموز غامضة ☐

الجزء الثاني من الحوار
مع الدكتور عدنان تكريتي
في العدد القادم

●

■ العقل ينظم الشعر ، والقلب وحده هو الشاعر	(اندريه شينيه)
■ الرجل القوي يعمل ، والضعيف يتمنى	(برنارد شو)
■ الأقارب والدواء تحتاج إليهما في اليوم العسير .	(مثل حبشي)

تعقيب

بين طه حسين وأحمد أمين

كتب الأستاذ حافظ أحمد أمين في العدد رقم ٣٣٥ الصادر في شهر اكتوبر الماضي كلمة الذكرى المئوية لمولد والده ، العالم الأديب ر أحمد أمين رحمه الله ، وقد استهلها بالحديث حه الشبه في العلاقة التي جمعت بين جمال الدين ي ومحمد عبده من جهة ، وبين طه حسين أمين من جهة أخرى ، وأن طه حسين يعد ا للأفغاني ، وأن أحمد أمين يعد امتدادا للامام عبده

ـمأ بعد ذلك إلى فساد الصداقة التي كانت بين الأدب العربي وأحمد أمين أي مالك الحزين ، ـانت تطلق عليه بعض الصحف ـ وذكر أنها إلى أن طه حسين كان يريد أن يظل بنفوذه طاغيا ـديقه ، بيد أن هذا الصديق لما تولى عمادة كلية ـ خرج من دائرة نفوذ طه حسين ـ تعبير الأستاذ ـ فقام بين الصديقين صراع ، أصيبت منه ـقة بما فصم عراها

ـ مجال في هذه الكلمة لمناقشة ما ذهب إليه ـد حول أوجه الشبه بين الأفغاني وطه حسين ، محمد عبده وأحمد أمين، إن ما يعنيني مناقشته ـ الخصومة أو الخلاف بين والده وعميد الأدب ـ ، فهو لم يحدثنا عن مدى هذه الخصومة ، ـهرها ، بل اكتفى بالاشارة إلى التباين بين ـن الكبيرين في المزاج ، وهو تباين لا يمكن معه ـم صداقة أو تستقر مودة ، وأن أحمد أمين تمرد ود صديقه في أواخر الثلاثينيات ، بعد أن عميدا

ا كان التفاوت بينهما في المزاج هو مصدر فساد ـقة فكيف قامت مع وجوده من قبل ؟ ، ثم إن الربط بين تولي منصب العمادة وما جد بين الصديقين من خلاف قد يوحي بأن أحمد أمين كان رجلا ضعيف الشخصية ، تابعا لغيره ، وأنه ثار بعد أن أصبح في مركز قوي ، ولا أعتقد أن الرجل كان كذلك ، وما عرفته معرفة لقاء عن طه حسين ، وما حدثني به ينفي انه كان يحب السيطرة على سواه بل إنه ـ كما كانت زوجته تقول لي رجل فيه طيبة وسذاجة ، يثق بكل من تربطه به علاقة ، ويصدق كل ما يقال له ، وهو يسعى لخير كل من يلجأ إليه وكم شاهدت في بيته أساتذة ورجال صحافة لهم مشكلات مختلفة ومصالح متنوعة ، فكان ـ على الرغم من ضعف صحته وقلة حركته ـ يحقق لهم ما يريدون عن طريق الهاتف أحيانا ، وأحيانا أخرى عن طريق الرسائل الشخصية

والعميد كان يقدر صديقه أحمد أمين كل التقدير ، ومما حدثني عن علاقته به قوله « لقد عرفت أحمد أمين وهو يعمل في القضاء ، وعرضت عليه العمل بالجامعة ، وبعد انتقاله إليها توطدت الصداقة بيننا ، كما توطد التعاون العلمي ، فألفنا لجنة لاعادة كتابة التاريخ الاسلامي سياسيا وعقليا وأدبيا ، على نحو جديد في الجانب السياسي فعهد إلى أحمد أمين بالكتابة عن الحياة العقلية ، وعهد إلي بالكتابة عن الحياة الأدبية ، وقد نجح أحمد أمين فيما عهد إليه ، فكتب موسوعته المعروفة عن فجر الاسلام ، وضحاه ، وظهره ، ويومه ، وأذكر أني كتبت مقدمة لفجر الاسلام

رحم الله الرجلين ، وجزاهما على ما قدما خير الجزاء □

الدكتور محمد دسوقي

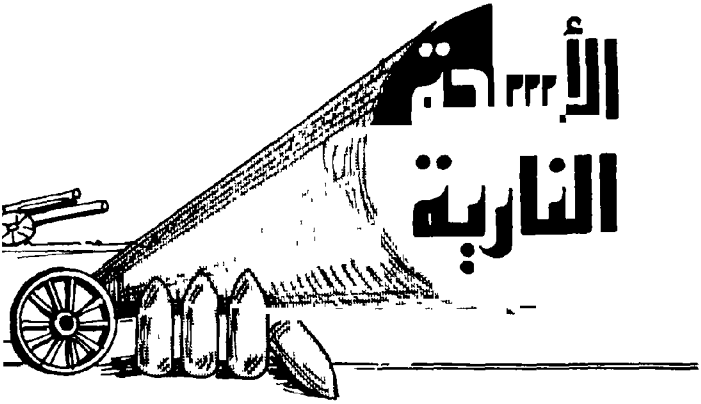

أكبر تحدٍ واجه القوى العسكرية التقليدية في أواخر العصور الوسطى

بقلم . الدكتور إحسان صدقي العمد

تعتبر الأسلحة النارية أكبر تحد واجه القوى العسكرية التقليدية في العصور الوسطى ، بل لعل تطور السلاح الناري من المدفعية إلى البندقية في أواخر تلك العصور كان أوضح شاهد على انتقال الفن العسكري إلى العصور الحديثة ، وما رافق ذلك من تسارع مذهل في تطوير أسلحة الفتك والدمار

ترتبط الأسلحة النارية عموما باكتشاف البارود ، ومن ثم استخدام خصائصه في الأسلحة القاذفة والنارية ويرجع ذلك إلى العمليات الكيميائية التي كان بعض العلماء يجرونها على عدد من المعادن والمواد ، بهدف تحويلها إلى معادن نفيسة ، إضافة إلى انتشار الحروب السياسية والدينية في العصور الوسطى ، والحاجة إلى سلاح قوي مدمر ، لهدم الأسوار والحصون والقلاع التي كان يستعصي الاستيلاء عليها في ذلك الوقت بالوسائل والأسلحة التقليدية

النار الاغريقية

وربما كانت النار الاغريقية تأتي في مقدمة الأسلحة النارية التي اقتبسها العرب المسلمون عن الروم البيزنطيين وطوروها ، ومن ثم مهدت لظهور البارود ، وقد لعب هذا السلاح الاغريقي دورا هاما في الحروب مع الفرنجة في العصور الوسطى ، وهو يتكون من مزيج من مواد حارقة ، أساسها النفط والكبريت وبعض الصموغ والدهون وكانت تطلق من اسطوانات نحاسية ، يقذف منها السائل مشتعلا ، أو يطلق على هيئة كرات مشتعلة ، أسماها العرب بالزراقات التي كانت تنبعث منها نار بإرعاد ودخان ، فتحرق السفن

وقد استخدمت هذه النار في حروب المسلمين مع الروم البيزنطيين ، وبخاصة في حصار الرشيد العباسي لقلعة هرقلة في اسيا الصغرى ، حيث وصف الشاعر تأثير هذا السلاح في قوله

هوتْ هرقلةُ لَمّا أنْ رأتْ عجباً
جوّ السّما تُرتمى بالنفط والنّار

لكن المسلمين أدخلوا تحسينات على النار الاغريقية ، واستخدموا نوعا مطورا منها في عهد صلاح الدين الأيوبي ، وأحرقوا به أبراج العدو أثناء حصاره لمدينة عكا ، في أواخر القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي

اكتشاف البارود

وقد شهدت الالات القاذفة تطورا ملحوظا باكتشاف البارود الذي عرف في آسيا قبل الحروب الصليبية ، وربما كان الصينيون هم مكتشفوه ، لكنهم لم يستخدموه كسلاح حربي ، بدليل أن المغول الذين فتحوا الصين لم يقتبسوه عنهم ، كما أنهم لم يستعملوه في حروبهم ، بل اقتصر استعماله في الصين مثلا على إطلاق صواريخ الألعاب النارية

ويبدو أن من الصعوبة بمكان التوصل إلى رأي يقيني بالنسبة لتطور ظهور هذا الاختراع كسلاح فعال في الحروب ، لكن يستدل من كتاب « الفروسية والمناصب الحربية » ومؤلفه حسن الرماح المتوفي في أواخر القرن السابع الهجري - أن البارود كان معروفا في مصر منذ زمن مبكر ، وقد أورد مؤلف الكتاب الحديث عنه في عدة صفحات ، ذاكرا تركيبه من الملح والكبريت المسحوق ، ورماد الفحم والبرادة والنشادر والزرنيخ الأحمر والنيلة الزرقاء والفتائل ، وذكر النسب بين هذه المواد ، كما تحدث عن الصواريخ والنفط الطيار الذي يصعد منه لهب النار ، وأطلق اسم الدواء على المادة المتفجرة التي يلقم بها المدفع

المسلمون يستخدمون الأسلحة النارية

ويؤكد جوانفيل الذي رافق ملك فرنسا لويس التاسع في حملته على مصر في منتصف القرن السابع الهجري أن القوات الأيوبية استخدمت المدافع والصواريخ في تصديها للغزاة ويقول في مذكراته « إن المسلمين قد استخدموا في أثناء القتال آلة لم يستعملوها من قبل ، يقذفوننا منها بشيء ملأ قلوبنا بالدهشة والرعب ، نار مستقيمة ، كأنها اسطوانة كبيرة ، وذيلها من خلفها مثل الحراب الطويلة ، ودويها يشبه الرعد ، وكأنها جارح يشق الهواء ، لها نور ساطع جيد ، من جراء انتشار اللهب العظيم الذي يحدث هذا الضوء ، حتى أنك ترى كل ما في المعسكر ، كما لو كان في وضح النهار » وقد أكد بعض المتخصصين في تطور الأسلحة أن هذه الأوصاف انما تنطبق على المدافع التي أطلق عليها في ذلك العصر عدة أسماء مثل مكاحل البارود ، ومدافع النفط ، وصواعق النفط ، وهندام النفط ، وصواريخ النفط ، او النفوط ، وقوارير النفط التي تقتلع القلاع ويذهب بعض الباحثين ايضا الى ان المماليك قد استخدموا هذا السلاح في موقعة معينة ، هي (عين جالوت) ضد المغول عام ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م ، وأنه كان العامل الحاسم في انتصارهم في

* المدفع العربي على قاعدته الخشبية كما ورد في كتاب «العز والرفعة والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع» لابن الفقيه الاندلسي

تلك الموقعة. وتوالى ذكر هذا النوع من الأسلحة النارية في المؤلفات التي ظهرت في عصر المماليك، مثل «التعريف بالمصطلح الشريف» لابن فضل الله العمري، «و الأحكام الملوكية والضوابط الناموسية» لمحمد بن منكلي، «والسلوك لمعرفة دول الملوك» للمقريزي، «وبدائع الزهور» لابن اياس، و «صبح الأعشى» للقلقشندي، ومع ذلك فإن المدافع التي كان يمتلكها المماليك ظلت تستخدم فقط في الأغراض الدفاعية، في حين بقي فرسان المماليك بوجه عام يحتقرون هذه الأسلحة، ويلتزمون نظام الفروسية التقليدي في القتال، مما سهل على العثمانيين الانتصار عليهم فيما بعد

انتقال الأسلحة النارية الى المغرب والأندلس

وليس غريبا أن تنتقل تقنية صنع الأسلحة النارية بعد ذلك الى المسلمين في المغرب والأندلس، حيث كانوا يواجهون أخطارا كبيرة على المستويين الداخلي والخارجي

وتحدثنا بعض المصادر والمراجع ان المسلمين في المغرب استخدموا الأسلحة النارية في هجومهم على سرقوسة بصقلية في أوائل القرن السادس الهجري، وأن الموحدين قد استخدموها في مهاجمتهم لمدن وهران والمهدية ومراكش، وأنهم استولوا على قلاع اندلسية كثيرة بفضل الات حصارهم العنيفة التي كانت تقذف كتلا هائلة من الحجارة وكرات ملتهبة من الحديد

ويؤكد الدكتور احمد مختار العبادي أن مسلمي المغرب والأندلس توصلوا في اواخر القرن السابع الهجري - الثالث عشر الميلادي - الى اكتشاف خاصية اخرى للنفط كمادة هادمة متفجرة، وذلك اذا خلط بملح البارود او النشادر وحصى الحديد، تحت درجة حرارة عالية، مما أدى الى تطوير جديد في المدافع والأسلحة النارية

وقد أورد ابن خلدون في مقدمته شيئا عن هذا التطور خلال وصفه لمهاجمة سلطان المغرب يعقوب المريني مدينة سجلماسة التي كانت في أيدي بني عبدالواد عام ٦٧٢هـ، حيث «نصب عليها هندام النفط القاذف بحصى الحديد، ينبعث من خزانة امام النار الموقدة في البارود، بطبيعة غريبة، ترد الافعال الى قدرة باريها»

وما لبث هذا السلاح الناري القاذف المدمر ان استخدمه مسلموا الأندلس في صراعهم ضد الاسبان، كما فعل سلطان غرناطة اسماعيل بن فرج، ابو الوليد عام ٧٢٤هـ/ ١٣٢٤م، مما أثر على معنويات قوات الاسبان المعادية التي انتشرت في

صفوفها كما تقول الحوليات الاسبانية « شائعات بأن ملك غرناطة يمتلك سلاحا جديدا مبيدا »

ويتضح مما سبق أن الأسلحة النارية قد عرفت واستخدمت لدى المسلمين قبل الاوروبيين بحوالي نصف قرن على الأقل، وأن الاسبان والمتطوعين الاوروبيين في صفوفهم هم الذين اقتبسوا هذه الأسلحة عن المسلمين، فنقلوها إلى اوروبا، وطوروها خلال حرب المائة سنة بين انجلترا وفرنسا والحروب الايطالية في الفترة التالية، في وقت كانت فيه القارة الاوروبية على أبواب نهضة علمية شاملة، فلم تلبث ان تلقفت السلاح الجديد، وعكفت على تجربته وتطويره

التفوق الاوروبي في تطوير الأسلحةالنارية

وقد أدى إقبال الاوروبيين على تطوير الأسلحة النارية الى تفوقهم في هذه الصناعة، وبخاصة في استعمار كثير من الشعوب في اسيا وافريقيا، وابادة شعوب اخرى، كشعوب الهنود الحمر في القارتين الأمريكيتين، بل ان هذا التفوق قد ظهر بشكل جلي أيضا عندما عجزت الدولة العثمانية او تراجعت في مجاراة التقنية العسكرية للدول الأوروبية، وهو امر أثبتته ميادين القتال البرية والبحرية، حيث بدأ العجز العسكري العثماني واضحا في اوروبا الشرقية منذ القرن السادس عشر الميلادي، كما ادى الى تراجع قوات المماليك والعثمانيين البحرية عن التصدي للقوات البرتغالية والاوروبية في المحيط الهندي، واستمر التراجع العسكري العثماني في القرون التالية، حتى انتهى بسقوط الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى

وليس من شك في ان استمرار التفوق الاوروبي على المسلمين في صنع الأسلحة النارية المتطورة يأتي في مقدمة الأسباب التي تكمن وراء عدم انتصار العرب والمسلمين على اعدائهم في معظم المعارك البرية والبحرية التي خاضوها، وهي المعارك التي وصفها القائد العثماني البحري سيدي علي ريس « بأنها معارك المدفعية والمسكيت » (أي البنادق)، وقد فطن كثير من المؤرخين ودعاة الاصلاح السياسي والعسكري الاسلامي الى هذه الحقيقة منذ وقت مبكر، ومن هؤلاء حسن كافي الاقحصاري الذي أكد في رسالته « أصول الحكم في نظام العالم » التي ألفها في اوائل القرن الحادي عشر الهجري، اواخر السادس عشر الميلادي، وقد أكد هذه الحقيقة بقوله « إن أعداءنا كلما اخترعوا نوعا من الأسلحة واستعملوه غلبوا علينا، ثم إذا اتخذنا مثله واستعملناه غلبنا عليهم بعون الله العلّام لقوة الإسلام »

والواقع ان الاقحصاري قد وضع يده على السبب الحقيقي المباشر لتراجع العثمانيين في اوروبا الشرقية، ونعني به التفوق الاوروبي في الاسلحة الحديثة، وهو امر يكاد ينطبق على جميع ميادين المواجهة العسكرية غير المتكافئة التي اضطر المسلمون وغيرهم من الشعوب الى خوضها مع اعدائهم منذ ذلك الوقت وحتى يومنا هذا، وقد تأكدت هذه الحقيقة في جميع الحروب المباشرة التي خاضها العرب والمسلمون ضد قوى الاستعمار والصهيونية، وبخاصة في القرنين التاسع عشر والعشرين وترتبط هذه الظاهرة - قبل كل شيء - بالفجوة العلمية والتقنية التي تتسع بين الدول المتقدمة، والدول النامية، ومنها الدول العربية والاسلامية

وأغلب الظن ان المعادلة سوف تبقى على هذه الحال، ما لم تظهر في الأفق بوادر توازن في القوة العسكرية بين الجانبين، مما يستغرق وقتا غير قصير، لكن والى ان تتوازن المعادلة فليس امام الدول النامية المهضومة الحقوق سوى الحرب الشعبية المنظمة الشاملة التي تعمل فيها الأسلحة التقليدية الخفيفة على استنزاف قوى العدو المتفوق عسكريا، وتجبره في النهاية على التسليم بالحقوق المشروعة للأمم والشعوب □

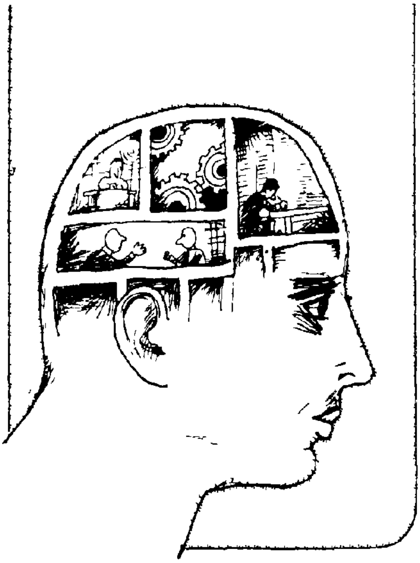

الذكاء

[illegible]

بقلم : الدكتور فخري اسماعيل حسن

نخطيء كثيرا بالربط بين حجم الدماغ والذكاء ، ونخطيء أيضا عندما نردد المقولة الشائعة بأن الانسان الذكي قوي الذاكرة ، والواقع أن هذا الثلاثي ليس مرتبطا ببعضه بعضا

هذا المقال يلقي أضواء على العديد من المقولات الشائعة في هذا المجال

يعتبر الدماغ - مصدر الذكاء والمكان الذي تحفظ فيه الذاكرة - أهم وأعقد أجهزة الجسم ، وهو عبارة عن نسيج شديد الرخاوة والليونة، وكبقية أنسجة الجسم يغلب على تركيبه الماء ، تؤمن عظام الجمجمة القوية الحماية للدماغ من المؤثرات الخارجية ، ويفصل ما بين الدماغ اللين الحساس وعظام الجمجمة الصلبة القوية طبقة من الانسجة ، تسمى السحايا ، ويغلف على السحايا الملاصقة للدماغ الرخاوة ، وبالتالي لاتسبب له أي أذى ، بالاضافة لذلك يحيط بالدماغ النخاع الشوكي الدماغي الذي يحفظه من تأثير الجاذبية الارضية التي تجذب جميع الأجسام الى أسفل ، ويعمل هذا السائل أيضا على امتصاص تأثير الصدمات التي تصيب الرأس ، فلا تؤثر على الدماغ الا اذا كانت على درجة كبيرة من العنف

الذكاء

إن كتلة دماغ الحوت قد تصل الى حوالي ٩كغم ، وبالتالي فإن دماغ الحوت أكبر أدمغة الكائنات الحية قاطبة ، ونحن نعلم أن الحوت ليس أذكى الحيوانات ، لذلك يمكن القول أن كبر الدماغ لايعني الذكاء ، ولايجاد نوع من العلاقة بين كتلة الدماغ أو حجمه والذكاء نلاحظ أن هنالك نوعين من الوظائف التي يقوم بها الدماغ

١- السيطرة على عمل جميع أجهزة الجسم والتنسيق فيما بينها

٢- التفكير والذاكرة والقدرة على التحليل ، وغير

ذلك من الوظائف التي تحدد مستوى الذكاء، ويطلق عليها أحيانا الادراك ، أو العقل ، فإذا كان جسم الكائن الحي ضخما - كما في حالة الحوت والفيل - فإن الدماغ قد يستنفد معظم طاقاته في ادارة هذا الجسم الضخم ، ولا يتبقى للادراك والتفكير الا اليسير ، وبذلك ينخفض مستوى الذكاء ، لذلك يبدو واضحا أن استخدام النسبة بين كتلة الدماغ وكتلة الجسم للكائن الحي كمقياس أو دليل للذكاء أفضل كثيرا من كتلة الدماغ المطلقة ، وسوف نطلق على تلك النسبة للاختصار اسم « نسبة الكتلتين » لقد حسب (هاري جيريسون) ، من جامعة (كاليفورنيا) نسبة الكتلتين لكثير من الكائنات الحية ، فوجد أنها تزداد حسب الترتيب الآتي أسماك ، زواحف ، طيور ، ثم ثدييات ، أي أن نسبة الكتلتين تكون أكبر ما يمكن للثدييات ، وهذا يتفق مع تطور وتعقد الأجهزة البيولوجية لهذه الكائنات ، فاذا تساوت مثلا كتلة احدى الثدييات مع كتلة احدى الزواحف ، فإن دماغ الأولى يكون أكبر من دماغ الثانية ، على الأقل بعشرة أضعاف ، وقد يصل الى مائة ضعف ، وبالنسبة للثدييات فان رتبة الرئيسات (١) تملك أكبر نسبة للكتلتين ، وتكون هذه النسبة أكبر ما بين (٢-٢٠)مرة من نسبة الكتلتين للثدييات من الرتب الأخرى ، ولا شك أن نسبة الكتلتين للانسان هي أكبر النسب قاطبة ، وتساوي في المتوسط ٢/ أي أن كل ٥٠ غم من الجسم يقابلها غرام واحد من الدماغ ، ويبين الجدول الآتي متوسط كتلة الدماغ ، ونسبة الكتلتين لبعض الكائنات الحية يلي الانسان في كبر نسبة الكتلتين - لاحظ الجدول - كل من الدلفين والشمبانزي ، والاعتقاد السائد أن كليهما ذكي نسبيا ، فالمعروف أن الدلفينات تستخدم الأمواج الصوتية كلغة تخاطب وتفاهم فيما بينها ، وتشبه لغة الدلفينات الى حد ما طريقة عمل جهاز السونار المستخدم في الكشف عن الأجسام تحت الماء ، وهذه الطريقة غير مفهومة بالضبط حتى الآن ، ولكن يعتقد بعض العلماء أن الدلفين يبث موجات صوتية مشابهة للموجات التي تنعكس عن الجسم المراد وصفه ، وعند استقبالها من قبل دلفين آخر فإن الموجات تنتج بالنسبة للدلفين ما يشبه رسما صوتيا للجسم المعني ، ويمكن القول - إن صح التعبير - أن الدلفينات تتخاطب من خلال صور سمعية ، أما بالنسبة للشمبانزي فإن هنالك محاولات كثيرة لتعليمه لغات معينة ، بعضها باستخدام الحاسوب(الكمبيوتر) ، وبعض العلماء مفرطون في التفاؤل ، اذ يعتقدون أنه يمكن أن يوجد بعد عدة أجيال جيل جديد من الشمبانزي ، له القدرة على الكلام

لابد من الاشارة الى أن هنالك بعض الاستثناءات للعلاقة بين نسبة الكتلتين والذكاء ، فمثلا إن نسبة الكتلتين لبعض الحشرات الصغيرة قد تصل الى نسبة الكتلتين للانسان ، أو حتى تفوقها ، ويعتقد أن هنالك حداً أدنى لحجم أو كتلة الدماغ ، وإذا ما نقص الدماغ عن ذلك فإنه يفقد معظم أو حتى جميع قدرته على الادراك والتفكير ، وبالتالي فان نسبة الكتلتين في مثل هذه الحالة لاتعبر عن الذكاء

	الانسان	الدلفين	الشمبانزي	الغوريلا	الفيل	الحوت
متوسط كتلة الدماغ	١٣٧٥ غم	١٤٠٠	٣٨٠غرام	٥٤٠غرام	٧ كغم	٩ كغم
نسبة الكتلتين بالتقريب	١ ٥٠	١ ١٠٠	١ ١٥٠	١ ٥٠٠	١ ١٠٠٠	١ ١١٠٠٠

---

(١) رتبة الرئيسات هي أكثر رتب الثدييات تطورا ، وتشمل الانسان والقرد

ليس كل كبير الدماغ ذكياً

لنركز الآن على الانسان ، فقد يتساءل بعضهم هل يمكن أن نحدد ذكاء الشخص بقياس نسبة الكتلتين له ؟ نلاحظ قبل الاجابة عن هذا السؤال ما يلي

أولا تقل كتلة دماغ المرأة عن كتلة دماغ الرجل بحوالي ١٥٠ غم ، وبما أن كتلة جسم المرأة في المتوسط أقل من كتلة جسم الرجل ، فإن ذلك يعني أن نسبة الكتلتين للانسان لاتعتمد على الجنس ، وكذلك الحال مع الذكاء ، فهو لا يعتمد على الجنس

ثانيا يولد الطفل بدماغ كبير نسبيا ، وفي المتوسط فإن كتلة دماغ الطفل عند الولادة تساوي ٣٥٠ غم ، وهذا يجعل نسبة الكتلتين للوليد حوالي ١٢ / أي ست أضعاف نسبة الكتلتين عند البلوغ ، وينمو دماغ الطفل بسرعة كبيرة جدا ، وخصوصا في الثلاث سنوات الأولى ، حيث تعتبر سنوات المحاكاة والتعلم السريع التي قد تحدد مستوى الذكاء في المستقبل

ويؤدي تعلم الطفل ممن حوله الى زيادة كبيرة في سمك القشرة الدماغية المخية وكتلتها وبالتالي يؤدي الى زيادة عدد الخلاياالعصبية وتنشيط الموجود منها ، مما يساعد على سرعة التعلم في المستقبل ، وزيادة مستوى الذكاء ، وعندما يتم الطفل عامه الأول تنخفض نسبة الكتلتين الى نصف قيمتها عند الولادة (حوالي ٦ /) ، وعند سن دخول المدرسة (٥ ـ ٦ سنوات) يكون دماغ الطفل قد أصبح ٩٠ / من دماغه عند البلوغ ، بينما تكون كتلة جسمه حوالي ٢٠ / من كتلته عند البلوغ ، ونلاحظ من ذلك مدى أهمية سنوات الطفولة الأولى ، ليس فقط بالنسبة للنمو الجسماني ، ولكن بالنسبة لتأثيرها على الذكاء في المستقبل

ثالثا لايوجد ـ حسب معلومات الكاتب ـ إحصائيات شاملة دقيقة لكتل أدمغة بعض المشاهير ، وذلك لمقارنة نسبة الكتلتين مع الذكاء الفعلي لهم . لكن هنالك بعض الحالات المعروفة ، فلقد كان دماغ (لورد بايرون) ـ من أشهر الأدباء الانجليز في القرن الماضي ـ مفرطا في الكبر (حوالي ٢٢ ٠ غم) ، وكانت بالتالي نسبة الكتلتين له كبيرة جدا . لكن لم يكن الحال كذلك مع (ألبرت اينشتين) الذي يعتبر بحق من أعظم العلماء ، فلم تكن نسبة الكتلتين له كبيرة بشكل ملفت للنظر ، يتناسب مع ما قدمه للعلم في أوائل هذا القرن ، وهنالك كذلك بعض الأشخاص الذين عرفوا بدماغ صغير ، ومع ذلك كانوا أذكى من كثيرين ممن كانت كتلة أدمغتهم كبيرة ، ومن أشهرهم (أناتول فرانس) ، وهو أيضا كاتب عبقري ، ومع ذلك فكتلة دماغه تساوي ١١٠٠ غم ، أي أن كتلة دماغه تساوي نصف كتلة دماغ بايرون

رابعا لو كانت جميع اجزاء الدماغ متكافئة أو متساوية في الأهمية أو التأثير ـ كما تفترض بعض النظريات ـ لكان لحجم أو كتلة الدماغ تأثير كبير وفعال على مستوى الذكاء ، لكن الثابت ان أجزاء الدماغ غير متكافئة ، بمعنى أن أجزاء الدماغ غير متساوية في الأهمية ، فمثلا كتلة دماغ الانسان القديم المعروف باسم (نيندرتال) الذي وجد بالقرب من دوسلدورف بألمانيا ، تساوي ١٥٠٠ غم ، أي أكبر من متوسط كتلة الدماغ للانسان في الوقت الحاضر ، ولا يمكن أن يكون هذا الانسان البدائي الذي عاش قبل عشرات الآلاف من السنين أذكى من الانسان الحالي ، إن الفرق المهم بين تركيب دماغ الانسان القديم ودماغنا هو أن الفص الأمامي من القشرة المخية في الانسان الحديث قد نما واتسع ، على حساب الفص الخلفي ويجب أن لاننسى اختلاف البيئة الاجتماعية في الحالين ، وتأثيرها على الذكاء ـ لاحظ

دائما ـ وإذا أخذنا كل ذلك في الاعتبار ، يمكننا القول إن كبر الدماغ أو كبر نسبة الكتلتين بشكل مفرط ، يميل إلى إبراز الذكاء ولكن ذلك ليس هو العامل الوحيد أو الفعال المؤثر في الذكاء وإنما هنالك عوامل أخرى . وفعلا لقد تبين حديثا أن الدماغ يحتوي على دوائر كهربائية غاية في الصغر (مجهرية) لا تزيد أبعادها عن ميكرون واحد (الميكرون الواحد = واحد من المليون من المتر) ، وتتكون هذه الدوائر في الدماغ في أواخر مرحلة الجنين

الذاكرة

إن عملية حفظ المعلومات في الدماغ ، ثم استرجاعها عند الحاجة ، عملية معقدة وتتم ـ أساسا ـ في القشرة الدماغية (المخية) ، وهنالك مناطق في الدماغ لخزن المعلومات للمدى القصير ، ومناطق أخرى مخصصة لخزن المعلومات للمدى الطويل (٢) . يحتوي الدماغ باستثناء المخيخ الذي ليس له علاقة بالذاكرة ، على حوالي مائة بليون $(١٠)^{١١}$ خلية عصبية (عصبون) ، وتدعم كل خلية عصبية بعشر من الخلايا الغروية لتحافظ على هيئتها البنائية ، وهنالك ثلاثة أنواع من العصبونات : العصبونات الحسية لنقل المعلومات حول البيئة ، والعصبونات الحركية وتنقل الانبعاث العصبي إلى خلايا العضلات والغدد ، وأخيرا العصبونات المتوسطة أو التشاركية وهذه لها علاقة بالوظائف المعقدة الخاصة بالكائنات المتطورة الذكية ، مثل الإدراك والتعلم ، وعددها يختلف في الكائنات الحية ، تبعا لرقيها ، وتقدمها على سلم التطور

لا يختلف تركيب الخلية العصبية عن الخلايا الأخرى كثيرا إلا أنها تحتوي على مقدار كبير نسبيا من الحامض النووي المعروف باسم حمض الريبونيوكليك والبروتين ، ويتفرع من كل خلية عصبية ما بين ألف وعشرة آلاف من التفرعات الشجرية ـ تشبه تفرع الأغصان في الأشجار ـ وتتصل الخلية بالخلايا العصبية الأخرى لنقل الانبعاث العصبي للخلية ، ويتفرع من الخلية أيضا ليف يتراوح قطره ما بين نصف وعشرين ميكرون ، يسمى المحور ، حيث ينتهي بفروع صغيرة ، يوجد في نهاية كل منها انتفاخ صغير ، يسمى بالزر التشابكي ، لوصل الخلية العصبية إما بخلية أخرى ، أو بعد استجابة (غدة أو عضلة) ، وينقل الانبعاث العصبي باتجاه واحد من الخلية العصبية إلى الأعضاء

إذا صح اعتقاد بعض العلماء بأن الدماغ البشري يستخدم نفس الطريقة المستخدمة في الحاسوب « الكمبيوتر » ، أي طريقة الأعداد الثنائية في حفظ المعلومات ، فإنه يمكن حفظ معلومة بسيطة (٣) في كل واحدة من التفرعات أو الأزرار التشابكية للخلايا العصبية ، ويقدر العلماء كمية المعلومات التي يمكن حفظها في الدماغ بما لا يقل عن $(١٠)^{١٥}$ معلومة (واحد وأمامه خمسة عشر صفرا) ، وقد يبدو هذا الرقم مذهلا ومبالغا فيه ، لكن إذا فكرنا في كمية المعلومات التي يستطيع الشخص العادي أن يتذكرها ـ من أرقام وعمليات حسابية وحروف ومفردات لغوية ، وتواريخ وأشخاص ومعلومات عامة وذكريات ـ لوجدنا أن الرقم قد يكون متواضعا أمام عظمة الدماغ البشري □

---

(٢) المقصود بمعلومة بسيطة هو الإجابة على سؤال محدد إما بنعم أو لا ثم تحفظ الإجابة في الذاكرة ، وهذه طريقة الأعداد الثنائية المستخدمة في حفظ المعلومات في الحاسوب « الكمبيوتر »

(٣) تحفظ المعلومات للمدى الطويل في القشرة المخية أما للمدى القصير ـ يوم واحد أو أقل ـ فإنها تحفظ في تركيب صغير تحت القشرة المخية ، يسمى قرين آمون .

قصيدتان

لخالد الأسمر

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
يهديكم الخبز والترب
خيط من الماء يأتي ، ويكفي ، ولا يقطع ،
إنه العاشق المستهام الذي كان يأتي ،
فيلقي السلام على بكركم
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
يهديكم [illegible]
يهديكم كل [illegible]
[illegible]
طلقوا [illegible]
[illegible]
كي يعود [illegible]
وكم [illegible] أقسى [illegible]

شعر: [illegible]

حين يلفك غلٌ ،
[illegible]
[illegible]
[illegible]
وفي الصبح [illegible] الضحية
لون الضحية أصفر ،
وفي العرس أخضر ،
وقد سلمت مقودا ساعة الامتزاج ،

وها هي دي تنتظر ،
وكل الأحنة مدت أكفّاً ،
تصرّع فيها العورُ
وكم أنت أقسى من الحرب
حين يلفك غلٌ ،
يكدر وهجك صمتٌ .

يناطح رأسك سور الحصار .
فترتد . تعرر علك في الطمي .
تخنق صوتك ، تقطع كفّك ،
تومئ في حسرة للأحنة .
وددت لو أنك تخفر أدرعها بالدماء ،
فهل كنت يوما دما ؟

لانك حطت عليك الطيور ،
وحط النخيل ، وحط البشر .
لأنك حلم السمر .
تنام ، وتعط ،
وعند التقاء المناحل بالعشب .

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
ويل ويلك يا بحر [illegible]
هلى [illegible] يا بحر [illegible] وجهي
فهل أتساوى بملح ،
وقد كنت عذبا ؟
وترتد ملحا ،
فترجع كل الماجل ،
تخلع ثوب الندى ،
ترتدي « شكة » للحروب
وتكشف عن صدرها
بالحديد يفل الحديد ،
وترجع . تلمع .
تخفر كل البراعم بالدم
يرجع لونك أسمر ،
تزف المليكة ، تأخذ مقودها في يمينك
عرس المليكة أخضر ،
ولون المليكة أخضر ،
فهل أنت نهر ،
أم أنك آه ؟
فكم أنت أقسى من الحرب ،
حين يلفك غلٌ ،
وتقدر

الجديد في العلم والطب

سيارة الفستق السوداني

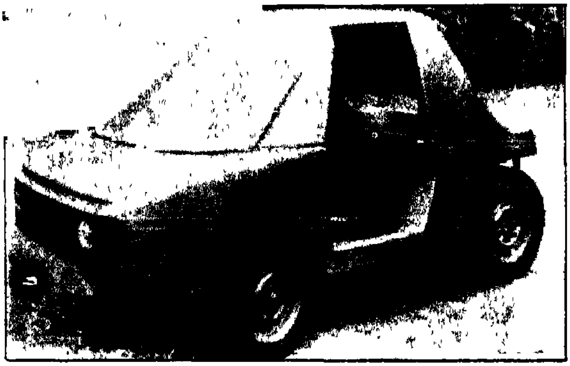

سيارة الفستق ، او سيارة الصين ، صغيرة لكنها قويه

● طورتها احدى الشركات الاسترالية ، وسمتها سيارة الصين وكان الأولى أن تسميها سيارة الفستق

أما تسميتها سيارة الصين فلأن الشركة الاسترالية تستهدف غزو اسواق الصين بسيارتها المرتقبة فعدد سكان الصين يزيد على ١,١٠٠ مليون نسمة اي ما يعادل ربع مجموع سكان العالم تقريبا والاسواق الصينية متعطشة لسيارة صغيرة قوية ورخيصة كالسيارة التي تنوي انتاجها الشركة على نطاق واسع قبل حلول سنة ١٩٨٩

وقوام هذه السيارة محرك ديزل ذو سلندر واحد ، يعمل بزيت الديزل ، ولكنه يعمل أيضا بزيت الفستق السوداني ، وتقطع السيارة نحو ثلاثين ميلا بمقدار من الوقود لا يزيد على (ربع جالون) ولا يزيد طول السيارة على ٨ اقدام ، ولا يكاد يبلغ وزنها نصف طن ولكنها قادرة على حمل أو جر ١,٥ طن ، والفضل في ذلك يعود الى جهاز تحويل الحركة ، وإلى علبة التروس وتبلغ سرعة السيارة القصوى ٣٠ ميلا في الساعة ، وذلك اثناء حملها ثلاثة ركاب (رجلين وفتى)

وقد صممت سيارة الصين بحيث تلائم الطرق غير المعبدة ، وهي منتشرة في الصين ، ويجرى تطويرها حاليا لكي يسهل عليها تسلق الطرق الجبلية بسهولة

وتسعى الشركة الاسترالية الى تسجيل

براءة اختراعها   المحرك ومحول الحركة على الاقل   وستعهد هده الشركة الى الجهات المعبة في الصين بصنع هيكل السيارة ، اما صنع المحرك والمحول فستحتفظ به لنفسها ، وتنوى الشركة انتاج (١٠,٠٠٠) سيارة في السنة سنبيع ما يمكن بيعه منها في أسواق الصين وفي محافظة حيانسكو بالتحديد   ولن تتردد في تصديرها الى الاسواق الاخرى   وتقدر تكاليف السيارة الواحدة بنحو ـ٢٥٠٠ دولار على ابعد تقدير

* * *

الطرق الحديدة في معالجة السرطان

● تحدثنا في عدد سابق (عدد شهر مايو ١٩٨٧ صمحة ١٢٨)عن إحدى طرق معالجة السرطان بواسطة أساليب الهندسة البيولوجية ، وورد الينا من رسائل القراء مايدل على مدى الاهتمام بهده الطرق الحديثة ، التى تكلف كثيرا وتبشر كثيرا ، تبشر بالشفاء من المرض الخبيث ، وهو شفاء عاحل وتام الى حد كبير كما تؤكد الأوساط الطبية والعلمية المعنية

الدكتور ستيمن روز سرع أحد رواد أسلوب المعالجة الحديدة للسرطان

فقد نشرت محلة نيو انجلند الطبية في أواسط شهر ابريل الماصي بحثين مختلفين لعلماء في موصوع واحد هو موصوع معالحة السرطان بواسطة حهار الماعة ، وتوصلا الى نفس النتائج المرصية المطمئنة   لا عجب ادن أن نشرت المحلة الطبية المذكورة مقالا افتتاحيا يعلق فيه كاتبه على الموصوع الذى دار حوله البحثان المذكوران   وقد قال فيه « لعلنا في نهاية البداية في بحثنا عن علاج ناحح للسرطان ، علاج يعتمد في المقام الاول على اسلوب الجسم نفسه في محاربة المرص ، وهو الاسلوب الذي يعمل به حهاز المناعة في جسم الانسان »

وتحدث البحث عن التجارب التي شملها ، وقد اجريت على (١٥٧)مريضا من المرضى المصابين بأورام سرطانية مختلفة منها سرطان الكلي ، وسرطان القولون ، والأورام الليمفاوية وسرطان الجلد   وكانت هذه السرطانات من النوع المستفحل المستشرى الذي لا أمل في الشفاء منه في نظر الاطباء

مادة الانترلوكس
رها حهار المناعة
الحسم ، ويقوم
ط ـب المعالـح
ـيط هـدا الحهار
طريقة حقـه
رعات كبيرة

ومصى الاطباء في معالحة المرصى باسلوب حهاز المناعة ، ودلت المحوص في نهاية التحارب التي شملها البحث الاول على أن

٩ مرصى شفوا تماما

٣٢ تقلصت اورامهم السرطانية تقلصا كبيرا

٤ ماتوا بسبب آثار حانبية دات صلة باسلوب العلاج وطرأ تحسن ملحوظ على بقية المرصى

والحدير بالذكر أن الدكتور ستيفن رونبرع احد كبار المسؤولين في معهد السرطان القومى بالولايات المتحدة هو الذي اشرف على تحارب البحث الاول ، وساهم في الكتابة عن نتائجه وتحاربه للمجلة السالفة الدكر ، والدكتور روبرغ هدا هو الدي شارك ونطق بلسان الاطباء الدين احروا عملية سرطان القولون للرئيس ريحان ، ومن طليعة رواد الاسلوب الحديد في معالحة السرطان (اسلوب انترلوكن)

أما البحث الثاني الذي نشرته المجلة فقد تولاه واسهم في كتابته الدكتور وليم وست ورملاؤه العاملون في شركة بيوثرا بوتيك

وهي الشركة التي أسسها سنة ١٩٨٤ الدكتور اولدهام مبتكر طريقة العلاج التي تحدثنا عنها في عدد مايو الماضي وتشابه البحثان في التجارب التي احرياها واسلوب العلاج الدي اعتمداه ، وتشابها ايضا في النتائج التى توصلا اليها مع الفارق ان الشفاء التام لم يكتب لاي من مرصى البحث الثاني

بقى أن نتحدث عن اسلوب العلاج الحديد نفسه فنذكر أول ما نذكر مادة الانترلوكن ـ ٢ وهي المادة التي يقوم عليها هدا الاسلوب والتي يفرزها حهار المناعة في الحسم بمقادير صئيلة ، وقد أمكن انتاج هده المادة على نطاق معقول بواسطة الهندسة البيولوحية

ويبدأ اسلوب العلاج الحديد بحقن المادة المذكورة بجرعات كبيرة في حسم المريض من أحل تنشيط حهاز المناعة الدي يفرز مادة (IL2) بكميات قليلة كما ذكرنا

ثم يخطو الطبيب المعالج خطوته الثانية فيسحب الدم من حسم المريض وتعزل الخلايا البيضاء ـ خلايا المناعة ـ من دم المريض هدا ، ثم تنقع في محلول مادة (الانترلوكن ـ ٢) السالفة الذكر ، فتتكاثر الخلايا بمزيد من السرعة ، وتسمى بعد دلك خلايا (لاك) والكلمة لاك هذه اختصار للاسم الطويل (Lymphokine - Activated Killer)

وتكون الخطوة الثالثة في اسلوب العلاج الحديد بإعادة الكريات البيضاء الى دم المريض ، وإعادة دمه هدا الى حسمه ، وما اسرع ما تنجذب خلايا (لاك) الى خلايا السرطان فتهاجمها على الفور وتقضى عليها كلها او اكثرها

ويستغرق اسلوب علاج السرطان الذي اوجزنا نحو اسبوعين، ويكلف ٣٠,٠٠٠ دولار او يزيد ، ينفق اكثرها على العناية المكثفة التي يحتاجها المريض ، والتي تكلف الكثير في الولايات المتحدة ، ذلك أن الاسلوب ليس بلا اثار حانبية ، وهذه الاثار تستوجب وضع المريض في غرفة العناية المركزة بعض الوقت ☐

مركز الطب الإسلامي والمعالجة بالنباتات الطبيّة

بقلم : يوسف زعبلاوي / تصوير : صلاح آدم

تعيش الكويت نهضة طبية ناشطة ، كادت تضاهي مثيلاتها في بعض الدول المتقدمة ، فنسبة الأطباء إلى مجموع سكان الكويت مقدارها طبيب واحد لكل (٦٤٤) نسمة . وهناك (٣٧) سريراً لكل (١٠) آلاف نسمة . وللمقارنة فإن في اليابان طبيباً واحداً لكل (٧٠٥) من السكان ، وفي الولايات المتحدة (٥١) سريرا لكل (١٠) آلاف نسمة . والمعروف أن الكويت تقدم خدماتها الطبية لمواطنيها والمقيمين بها دون مقابل ، وقد بلغت المخصصات التي أنفقتها على الخدمات الطبية في سنة ١٩٨٤م/ ١٩٨٥م وحدها (١٧٧) مليون دينار ، أي بواقع (٩٩) دينارا لكل فرد واحد من السكان.

[illegible]

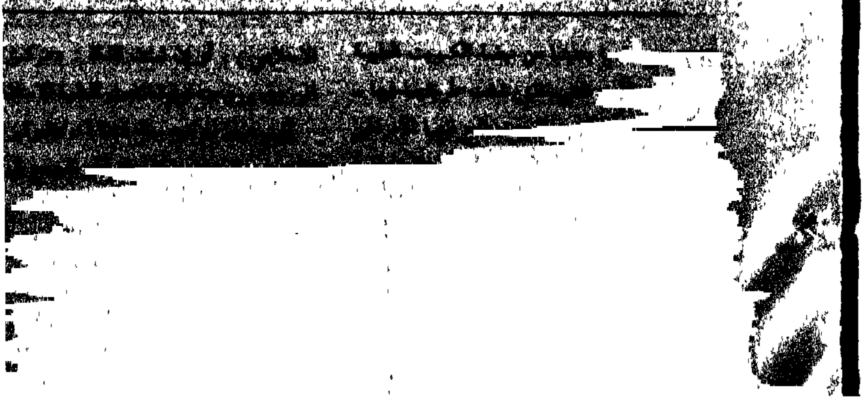

السنوات الماضية مبنى متواضعا ، لا تتعدى مساحته ٥٠٠ متر مربع ، فأصبح اليوم مبنى رحبا فسيحا ، تبلغ مساحته المبنية ٦,١٠٠ متر مربع ، يضاف إليها مساحة الممرات والحدائق ، ناهيك عن المسجد ، وبذلك تبلغ مساحته الاجمالية ١٥,٥٠٠ متر مربع ، وقد بني خصيصا للمركز ، وتكلف بناؤه ملايين الدنانير ، فأصبح في طليعة المباني في الكويت روعة وجمالا ، وتجسيدا لفن العمارة الاسلامية

وقد حظي افتتاح مركز الطب الاسلامي في مقره الجديد بمزيد من الحفاوة والتكريم ، حيث شمل أمير الكويت صاحب السمو الشيخ جابر الأحمد الصباح برعايته السامية حفل الافتتاح في ٢١ فبراير شباط ١٩٨٧ م ، وذلك في مناسبة عزيزة ، هي عيد الكويت الوطني السادس والعشرون

آية من آيات العمارة الاسلامية

اتفقنا في بادىء الأمر على إرجاء الحديث عن مبنى المركز الجديد ، حتى نفرغ من الحديث عن أعماله وخدماته ، لكن المبنى شدنا إليه ، وفرض نفسه على حديثنا ، وكنا قد عرفنا مسبقا أن تكلفة أعمال بنائه قد بلغت ٦,٥ ملايين دينار ، واستغرقت أربع سنوات متواصلة ، ثم عرفنا المعنيين الرائعين المتجسدين في المبنى ، معنى الكرم ومعنى الوفاء ، ذلك أن هذا الصرح الضخم الفخم لا يعدو كونه هدية ، مجرد هدية تبرع بها ال يوسف المرزوق وحرمه لولوة النصار ، لتكون المقر الجديد لمركز الطب الاسلامي في الكويت ، أما الوفاء فقد تجلى في الكلمات القليلة التي وردت على لسان أحد المتبرعين ، وهو السيد فيصل يوسف المرزوق ، إذ قال « لو ذكرنا مالكويتنا الحبيبة من جميل علينا ، وذكرنا عطاءها الذي يفوق كل عطاء ، لتضاءلت الهدايا ، كل الهدايا التي يمكن أن نقدمها إليها ، وتضاءلت أيضا هديتنا الحالية ، وهي هدية متواضعة أصلا »

ونظرنا إلى المبنى ـ الهدية ـ فإذا به آية من آيات العمارة الاسلامية ، تذكرك أقواسه وأعمدته بقصر الحمراء في الأندلس ، ويذكرك رخام بلاطه برخام تاج محل في الهند

وللمبنى جناحان ، تصل بينهما ممرات وحدائق ، الجناح الأيمن منهما يشغله « مركز الطب الاسلامي » ، وتشغل جانبا منه « المنظمة الاسلامية للعلوم الطبية » ، والجناح الأيسر وقوامه مسجد لولوة النصار ، وهو المسجد الذي ترى قبته من على بعد كبير ، ذلك أنها كبيرة جدا ، إذ يبلغ قطرها الدائري عشرين مترا ، وارتفاعها خمسة وعشرين ، وهي مطلية بالذهب الخالص ، أو هكذا تبدو لك ، إذ أن المطلي بالذهب ليس القبة نفسها وإنما الفسيفساء التي كستها ، فقد وجدت التقنية الحديثة في ذلك ضمانا لصمود الطلاء ، وتسهيلا لأعمال صيانته ، وما يقال عن القبة الكبيرة يصدق أيضا على القبة الصغيرة التي تتوج المئذنة التي يبلغ ارتفاعها (٤٥ مترا)

أما المسجد فواسع رحيب ، لا تقل مساحة صحنه عن ١,٢٦٧ مترا ، ويتسع لألف وخمسمائة من المصلين ، ويعلو الصحن دور علوي خاص بالنساء ويبلغ نصف مساحته

لفت نظرنا السجاد الذي غطيت به أرض المسجد ، فهو سجاد صيني ، وألوانه بديعة ، ونقوشه رائعة ، وما أسرع ما لاحظنا التطابق بين تلك النقوش ونقوش القبة التي فوقها فملكتنا الحيرة ، حتى عرفنا أن نقوش القبة هي الأصل ، وأن تصاميمها قد أرسلت الى « طيوان » ، ليجري نسج السجادة وتطريزها وفق تلك التصاميم نقول السجادة بصيغة المفرد ، ولا نقول السجاد بصيغة الجمع ، ذلك أن ما صنعته « طيوان » وشحنته لم يكن إلا سجادة واحدة ، لكنها عملاقة ، مساحتها (٨٠٠) متر مربع

وتجولنا في المسجد ، وتأملنا المحراب والمنبر .

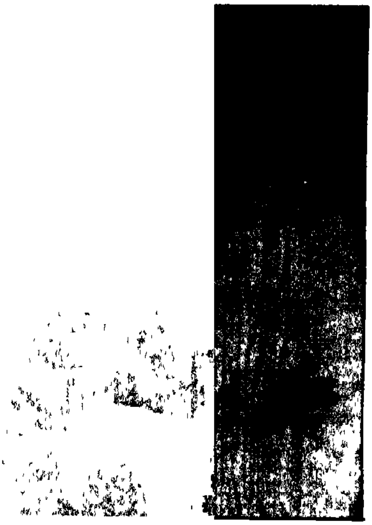

* د أحمد رحائي الحندي رئيس مركز الطب الاسلامي

وتأملنا أيضا الخطوط العربية الجميلة ، فشعرنا كأننا في متحف لا في مسجد ، متحف يزخر بثروة من روائع الفن الاسلامي ، وسألنا عن الخطاط فعرفنا أنه الشيخ حسن شلبي ، خطاط تركيا المعروف ، وقد حضر شخصيا إلى الكويت لوضع اللمسات الأخيرة

ولعل أهم ما يذكر عن مسجد لولوة النصار من الناحية العمرانية أن قبته الضخمة لا تقوم على أعمدة ، ومعنى هذا أن الناس الذين يصلون في المسجد تجمع بينهم وحدة وثيقة ، ولا تفصل بينهم أي أعمدة ، ولعل هذه الميزة خاصة بمسجد لولوة ، ولا نجد لها نظيرا في سائر المساجد عندنا

وانتقلنا بعد ذلك من الجناح الأيسر إلى الجناح الأيمن ، مقر « مركز الطب الاسلامي » ، ومقر « المنظمة الاسلامية للعلوم الطبية » أيضا ، وهو مبنى واسع ، قوامه طابقان ، طابق أرضي يضم العيادات والمكتبة والقاعات والصالات ومكتب التسجيل والصيدلية ، وطابق علوي يضم الادارة والسكرتارية والمختبرات ، فضلا عن مكا
المنظمة

مركز الطب الاسلامي هو الأصل .

كان الدكتور أحمد رجائي الجندي أول من زر
في مركز الطب الاسلامي   ولا عجب ، فهو رئي
المركز الذي تولى إدارته منذ تأسيسه ، وهو المؤ
(دكتوراة في العلوم الصيدلية) لاعطائنا ما ;
بحاجة إليه من إيجاز وإجمال ووضوح ، وس
الدكتور الجندي عن أهداف المركز وأعمال
فابتسم ، وذكّرنا بأن الحديث عن الأصل يجب
يسبق الحديث عن الفرع ، فمركز الطب الاسلا
هو الفرع ، أما الأصل فهو « المنظمة الاسلا
للعلوم الطبية » ، تلك المنظمة التي يترأسها ور
الصحة العامة الكويتي الدكتور عبدالرحمن عبا
العوضي ويتولى الدكتور علي سيف أعمال أم
العام ، والدكتور أحمد رجائي الجندي أعمال أ
المساعد

لكن الأهداف واحدة على كل حال ، إنها إ
التراث الطبي الاسلامي ، فبينما يعمل المركز
إحياء هذا التراث عملا وممارسة ، وذلك بمعا
المرضى بالنباتات الطبية ، تعمل المنظمة على إ
فكرا وحضارة

ومضى الدكتور الجندي في حديثه ، فأشار إل
الأقسام الأساسية في مركز الطب الاسلامي ثلا
عيادات ومختبرات ومصنع ، وأن التداوي بالنب
الطبية هو محور تلك الأعمال والأقسام حي
فالعيادات هي التي تقوم بمعالجة المرضى ، وإعط
ما يحتاجون من أدوية نباتية ، والمختبرات هي
تقوم بالتحقيق والتدقيق في تلك الأدوية مسبا
وذلك للتأكد من أنها فعالة وآمنة ، ولتحديد حر
الطبية ، ومدة صلاحيتها ، فضلا عن تحـ
الأشكال التي يجب تصنيع النباتات الطبية عليها
القسم الثالث فهو المصنع التحويلي ، وهو الذي

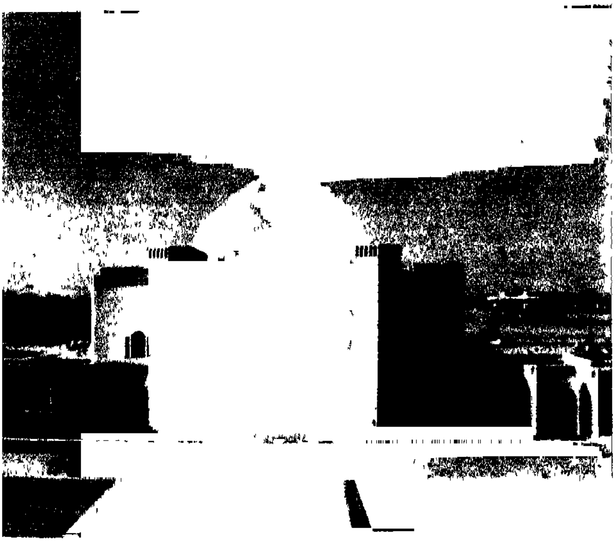

* صاحب السمو امير دولة الكويت الشيخ جابر الأحمد الصباح في افتتاح مركز الطب الإسلامي ، وإلى اليسار مسجد لولوة الصباح كما يبدو للناظر إليه من فوق الممرات

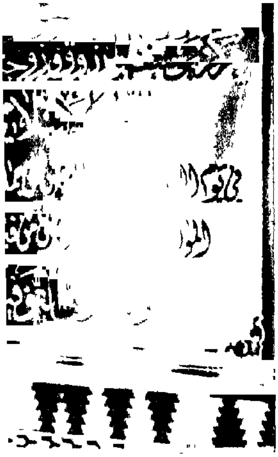

* لوحة الاهداء لمقر
المركز ، وبجانبها صورة
لجهاز الفسيوجراف
لفحص الأدوية النباتية ،
للتأكد من فعاليتها
وأمانها ، وإلى اليسار
محراب مسجد لولوة وهو
مرصع بالفسيفساء
المذهبة

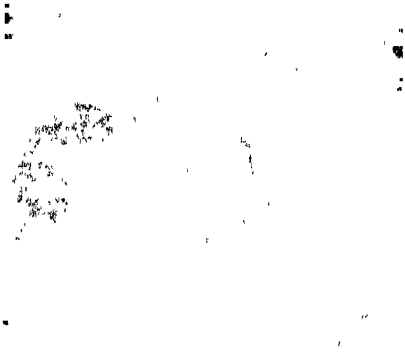

● مكتبة المركز وهي من أحدث المكتبات الالكترونية

بإنتاج الأدوية النباتية على شكل أقراص أو « كبسولات » أو مساحيق أو أشربة أو معاجين ، وذلك بعد تركيب تلك الأدوية من خاماتها النباتية

وتتنوع مصادر تلك الخامات ، فهي من الجذور والبذور وأوراق النبات ، ولحاء الشجر ، أو غير ذلك أما البلاد التي تستورد منها تلك الخامات فهي باكستان غالباً

عيادة التشخيص أولاً . .

وانتقلنا بعد ذلك إلى قسم العيادات ، وإلى عيادة الفحص ، وعيادة التشخيص هي أولى تلك العيادات ، وهي العيادة التي لا مفر لمرضى المركز من زيارتها أولا ، ذلك أن التشخيص هو الأساس الذي يقوم عليه العلاج ، أي علاج ، والذي بدونه يفقد مركز الطب الاسلامي هويته الطبية ، ويصبح مستودعا كبيرا لتوزيع النباتات الطبية والأعشاب ، وتصبح مهمته عشوائية ، أقرب إلى مهنة العطارين .

واجتمعنا بالطبيب المسؤول في عيادة التشخيص الدكتور أحمد أبو الفضل الذي شرح لنا ما يقوم به من أعمال ، فقال

« نعم ، أقوم بالتشخيص ، وأحرص كل الحرص على استخدام كل ما توصل إليه الطب الحديث من وسائل التشخيص والتقدم التقني الباهر ، وأجري ما أستطيع إجراءه من فحوص سريرية ، ثم أحيل المريض إلى المختبرات ومراكز الأشعة في مستشفى الصباح ، حتى إذا تجمعت نتائج التحاليل والصور في ملف المريض ، وأمكنا تشخيص مرضه ، أحلناه إلى عيادات العلاج بالنباتات الطبية ، لتبدأ المرحلة الثانية من أعمال العيادات ، ولتجري معالجته وفق حاجته ، وثمة مرحلة ثالثة من أعمال العيادات ، وهي مرحلة المتابعة التي تعقب مرحلة المعالجة ، إذ لا بد من فحص المريض مجددا ، لتأكد من مدى الفائدة التي جناها من المعالجة بالنباتات الطبية » .

وتأملنا كلمات الدكتور « أبو الفضل » فعادت بنا الذاكرة إلى ما قبل عشرة قرون أو أكثر ، إلى أيام الرازي وابن سينا وغيرهما من عمالقة الطب الاسلامي ، فقد أولوا الفحص والتشخيص من عنايتهم واهتمامهم ما لا يقف عند حد . يقول الرازي (محمد بن زكريا الرازي المتوفي سنة ٣١٣ هـ ـ ٩٢٥ م) في كتابه الموسوعي « الحاوي »

« كان عبدالله بن سوادة فريسة حمى قوية ، كانت تعوده كل سنة ، وأحيانا كل يومين ، وأحيانا أخرى كل أربعة أيام ، وكان يصحبها ارتجاف قليل ، ويكثر معه ماؤه ، فقلت له ان حالته تلك ناجمة عن حمى الملاريا ، أو عن دمل في كلوته ، وبعد قليل وجدت قيحا في بول المريض ، فأخبرته بأن احتمال الحمى قد ولى ، وأن دمل الكلوة هو العلة ، ولو علمت أن أباه قد عانى الكثير من ضعف المثانة ، وأنه قد عالجها في صباه لما ترددت لحظة في معاينته وفق ذلك ، وفي الوقت المناسب وصفت للمريض مدرّاً ، حتى إذا خلص من القيح وصفت له دواءاً ناجحا » .

والجدير بالذكر أن كتاب « الحاوي » الذي يقع في ٢٨ مجلدا أو ثلاثين ، يفيض بقصص كالتي ذكرها الرازي ، وهي في الغالب قصص تشخيص ، سجلها الرازي في مذكراته التي انبثق منها كتاب « الحاوي » بعد وفاته

أما الشيخ الرئيس ابن سينا (المتوفى سنة ٤٢٨هـ/ ١٠٣٧ م) فيقول - « علينا ألا نثق بنتائج تحليل البول إلا إذا توافرت لدينا الشروط التالية أن يكون البول أو بول المريض بول الصباح ، على ألا يكون المريض قد شرب الماء بكثرة ، أو أكل ما يمكنه أن يلون بوله كالزعفران ، كذلك يجب على المريض ألا يقوم بحركات خاصة ، أو يتبع نظاما على غير عادته ، كالصيام والتأخر في النهوض ، والامعان في التعب ، لأن كل هذا يؤثر كثيرا في تركيب البول ، كما أن الجماع يغير لونه ، والقيء والدوخة يؤثران على تركيبه »

لقاء مع حكيم أعشابي

والتقينا بعد ذلك بالأخ الحكيم محمد ظهور الحسن أحد الأطباء أو الحكماء الأعشابيين العاملين في المركز ، بل أقدمهم ، وهو من إخواننا المسلمين الهنود ، ومن مواليد حيدر آباد ، وله من العمر ٥٤ عاما ، وقد عرفنا عنه مسبقا التخصص في دراسة التداوي بالأعشاب (الطب اليوناني كما يسمونه في الهند) ، دراسة جامعية حديثة ، وهو يشغل منصب مستشار في طب الأعشاب لدى وزارة الصحة في الكويت وذلك على أساس الاعارة من حكومة الهند

وحدثنا الحكيم الأعشابي عن الأمراض المختلفة التي تعالج في عيادات مركز الطب الاسلامي ، وأكد لنا أن هذه العيادات لا تعالج الأمراض جميعا ، بل إنها لا تعالج إلا عددا محددا منها ، قد لا يجاوز خمسة عشر مرضا ، إلا أن عدد هذه الأمراض بازدياد ، وهي تزداد تبعا للأبحاث التي يجريها المركز للتثبت من إمكانية معالجتها بالنباتات الطبية أولا ، وللتأكد من فاعلية الأدوية النباتية المتاحة أو المقترحة لمعالجتها عمليا .

وتشمل قائمة الأمراض التي يعالجها مركز الطب الاسلامي أمراض الجهاز التنفسي والحساسية الأنفية والجيوب والربو ، وتشمل كذلك أمراض الجهاز الهضمي من امساك وإسهال وحموضة ، فضلا عن قرحة الاثنا عشر والبواسير وتقرحات القولون وتكاسله ، ويعالج المركز أيضا أمراض الجهاز البولي بما في ذلك الالتهابات والحصى ، وأمراض الروماتزم والصداع النصفي إلى جانب الدهنيات الفائضة في الدم وتكاسل الكبد والبهاق (البرص) ومرض البول السكري .

والجدير بالذكر أن عدد المرضى الذين يترددون على مركز الطب الاسلامي كانوا بازدياد في السنوات الثلاث الأخيرة ، فعددهم لم يجاوز ٩٥٠٠ مريض سنة ١٩٨٤ م ، لكن عددهم بلغ ١٣٥٠٠ مريض في نهاية السنة الماضية (١٩٨٦) ، ولعل في هذه الزيادة دليلا على ما شعر به المرضى من فاعلية المعالجة النباتية التي حصلوا عليها في المركز ، وإلا لما ترددوا على عياداته ، ولما ازداد عددهم على نحو ما ذكرنا

وتحضرنا هنا قصة رواها لنا أحد المرضى الذين اجتمعنا بهم في المركز ، لقد عانى هذا الرجل (٦٨ سنة) من تقرحات القولون ، وذاق الأمرين من تكاسله ، ومن الآلام المبرحة التي كانت تأتيه كل يوم بميعاد ، بتمام الساعة الرابعة بعد الظهر ، وعانى أيضا من الامساك الشديد جدا ، ومن الاسهال المفرط ، وقد تناوبا عليه وتعاقبا أسبوعا بعد أسبوع ، ولم تجد فتيلاً الأدوية الكيماوية التي واصل تناولها شهوراً عديدة ، حتى يئس أو كاد ، فلجأ إلى مركز الطب الاسلامي ، ومضى في تناول الأدوية النباتية التي وصفت له طيلة أسبوعين ، ثم ما لبث أن توقف ، وقد عوفي من شتى الأعراض والآلام التي طالما شكا منها ، ولم يعاوده شيء منها ، رغم مضي

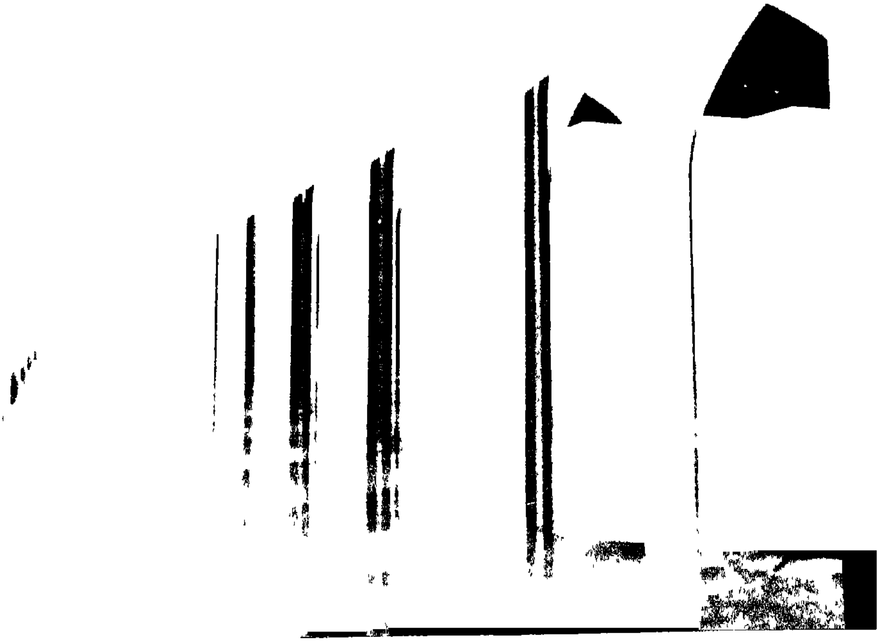

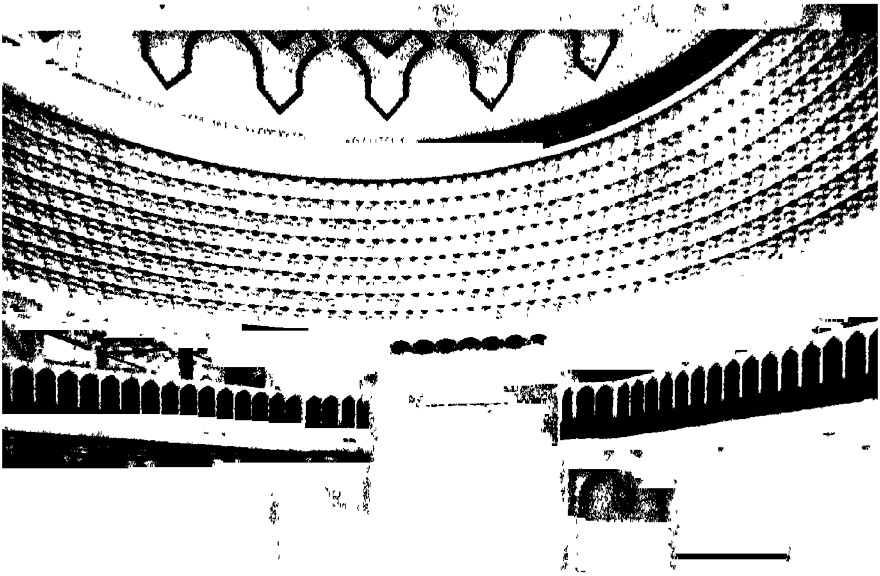

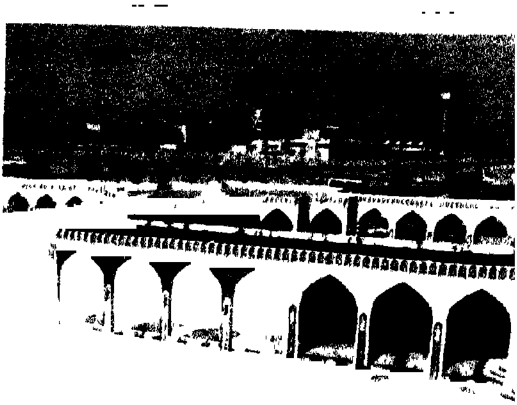

* (أعلى إلى اليمين) أحد الممرات التي تؤدي إلى مركز الطب الاسلامي المحلى بالأقواس والأعمدة ، (وإلى اليسار) السجادة العملاقة التي تبلغ مساحتها ٨٠٠ متر مربع

وأقصى اليمين إحدى صالات انتظار المرضى ، ثم بوابة مسجد لولوة الضخمة المحلاة ، وصورة إحدى الساحات المغطاة بالحصرة التي ستتحول إلى حدائق عما قريب .

عشرة شهور على التوقف عن تناول الأدوية النباتية

وعجبنا من حديث هذا الرجل ، فآفات القولون لا تشفى في الغالب ، ولا مفر للمصاب بها من أن يتعايش معها ، ويكتفي باللجوء إلى المسكنات المعروفة حين يتعرض لآلامها ، هذا على الأقل هو ما يردده الأطباء الذين يعالجون علل القولون بالأدوية الكيماوية

وحدثنا الحكيم ظهور الحسن بعد ذلك عن الأدوية التي اعتمدها ، وما زال يعتمدها مركز الطب الاسلامي لمعالجة الأمراض ، ففهمنا أنها من المركبات ، أكثرها إن لم نقل كلها ، أي أن المفردات بينها نادرة ، وفهمنا أيضا أن المعادلات المعتمدة في تركيب تلك الأدوية معادلات موثوق بها كل الثقة ، وأن الكثير منها مأخوذ عن كبار الأطباء المسلمين ، وعن الشيخ الرئيس ابن سينا على وجه التحديد

أما الخامات أو النباتات والأعشاب الطبية التي تركب منها تلك الأدوية فكثيرة ، والكثير منها غير معروف في منطقتنا ، على أن منها ما هو معروف ومألوف ، بل إن بعضها شائع ولا يخلو منه منزل ، بحيث قد يستهجن المرء أن يكون فيه أي أثر لدواء لأي داء . ونذكر من هذه النباتات والأعشاب على سبيل المثال ، البنفسج ، والعرقسوس ، والشّمار (الشّمرة) (أخو الينسون) والهندباء ، وحبة البركة ، والمصطكي (المستكة العربية)

وسألنا الحكيم ظهور الحسن بعد ذلك عن الكيفية التي تؤثر بها الأدوية النباتية في جسم المريض ، وهل تختلف في ذلك عن الأدوية الكيماوية؛ وعرفنا منه أن الدواء الكيماوي يحتوي على عنصر فعال واحد بخلاف الدواء النباتي الذي يحتوي على عدة عناصر فعالة ، وعدة عناصر أخرى ثانوية ، لكنها ذات فائدة صحية ، ومن هنا كان التمييز الشائع بين هاتين الفئتين من الأدوية ، فالدواء الكيماوي يعالج المرض الواحد بالتحديد ، أما الدواء النباتي فيعالج المريض ككل ، ويعيد إليه توازن جسمه ، وهو قوام عافيته كما لا يخفى ، وهناك من يؤكد أن الأدوية النباتية تعمل على تنشيط أجهزة المناعة في جسم المريض

وخلص الحكيم ظهور الحسن من حديثه إلى التأكيد على أن الأدوية النباتية ليست بلا محاذير ، فقد يتسبب بعضها بآثار جانبية ، لا تقل خطورة عن الآثار التي تترتب على الأدوية الكيماوية ، لذلك وجب التقيد بالتعليمات الخاصة بتناول تلك الأدوية ، كالجرعات وأوقات تناولها ومدة العلاج ، إلى آخر ما هنالك . وأشار أيضا إلى أن فاعلية الأدوية النباتية قد تختلف باختلاف المرضى ، فقد يتجاوب بعض هؤلاء للمعالجة بها ، ولا يتجاوب آخرون ، وأضف إلى ذلك أن فاعلية الأدوية النباتية قد تختلف باختلاف موطنها الأصلي ، والتربة التي نمت فيها والماء الذي رويت به

في عيادة مرض السكر ومرض البهاق

وزرنا بعد ذلك عيادة مرض السكر ، حيث اجتمعنا بالطبيب المعالج فيها الدكتور فهد عبدالله الغانم ، وهو أحد الأطباء العاملين في عيادة السكر المركزية في حي (النزهة) ، حيث يعالج المرضى بالأنسولين والدايبنيز والداؤنيل وغيرها من الأدوية الكيماوية المعروفة

وحدثنا الدكتور فهد عن الازدواجية في معالجة مرضى السكر في مركز الطب الاسلامي ، فهو يعالجهم بالنباتات الطبية ، دون أن يوقف معالجتهم بالمركبات الكيماوية التي درجوا على تناولها ، ويواصل الطبيب وصف كلا العلاجين في آن معا ، حتى إذا انخفضت نسبة السكر في دم المريض انخفاضا ملحوظا عمد الطبيب إلى الحد من مقادير الأدوية الكيماوية التي يتناولها المريض ، وإلى زيادة مقادير الأدوية النباتية ، ويستمر في ذلك حتى يصبح في إمكان المريض الاستغناء عن الأدوية الكيماوية نهائيا

ثم زرنا عيادة مرض البهاق ، واجتمعنا بالطبيب المعالج فيها الدكتور صالح سعد الجريوي ، رئيس

* جهاز تجفيف بالتبريد

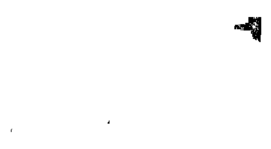

* جهاز تحليل كروماتو غرافيا الغاز

وحدة الأمراض الجلدية في مستشفى (العدان) في الكويت ، فحدثنا عن مرض البرص ، وعن النباتات الطبية التي يعالج بها المرضى في مركز الطب الاسلامي فقال

« مرض البهاق أو البرص مرض جلدي معروف ، يتميز بالبقع البيضاء التي تظهر على الجسم ، وعلى الوجه ، وتختلف هذه البقع شكلا وحجما ، ومع أن المرض ليس معديا إلا أنه قد يتسبب بمشاكل نفسية واجتماعية ، لا تخلو من خطورة ، ولا يعرف للبهاق أسباب محددة ، وإن كانت الصدمات النفسية والعصبية قد تسبب الاصابة به في كثير من الأحيان

« والبهاق أنواع ، منه الوراثي ، ومنه المكتسب ، ومنه ما يحدث تبعا لتعرض الجسم لبعض المواد الكيماوية ، أو للاصابة بأمراض جلدية أخرى ، أو غير ذلك

أما الأدوية التي نصفها لمعالجة البهاق في مركز الطب الاسلامي فكلها أدوية نباتية ، تحضر وتركب في المركز ، ومنها ما هو معد للاستعمال الموضعي ،، ما يجري تناوله بالفم وقد ثبتت فاعلية هذه الأدوية العلاجية ، وبخاصة في الحالات التي يقتصر البهاق فيها على بقع محدودة »

المنظمة الاسلامية للعلوم الطبية :

المنجزات

واجتمعنا أخيراً بالدكتور على سيف الأمين العام للمنظمة الاسلامية للعلوم الطبية التي يتولى رئاستها وزير الصحة العامة الدكتور عبدالرحمن عبدالله العوضي والدكتور أحمد رجائي الجندي أعمال أمينها العام المساعد والتي لولاها لما قامت لمركز الطب الاسلامي قائمة ، ولعل من حق قراء هذا الاستطلاع أن يلموا ـ ولو بإيجاز ـ بالمنجزات التي حققتها هذه المنظمة

وتأتي المؤتمرات العالمية في طليعة تلك المنجزات ، وتعقد المنظمة الاسلامية هذه المؤتمرات في العواصم الاسلامية المختلفة ، وتدعو إليها نخبة من العلماء ، علماء الطب والفقه والتاريخ والعلوم الانسانية وغير ذلك ، لالقاء المحاضرات في مواضيع هامة وحيوية

* عيادة الفحص والتشخيص اولى عيادات المركز ، ومكتب تسجيل المرضى وفتح ملفات لهم . وإحدى المختبرات وإلى اليسار لوحة لأول صيدلية في اواخر القرن الثامن الميلادي ببغداد ، وأسفلها عملية إجراء اختبار المستخلص النباتي على امعاء منتزعة من أرنب ، وبجانبها الآلة تحصر الأقراص من النباتات ، وطاقتها عشرون ألف قرص في الساعة

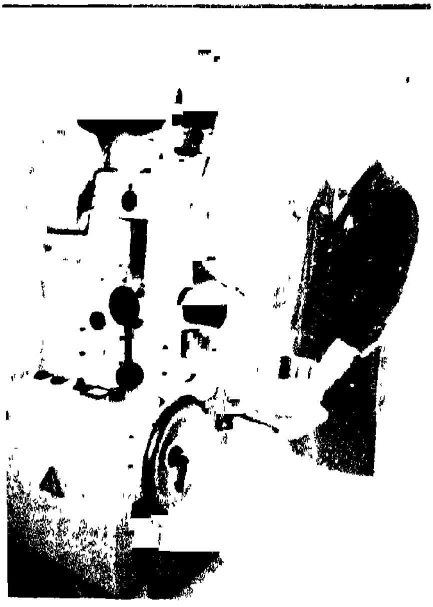

من مواضيع التراث الطبي الاسلامي ، وتعقب لمناقشات هذه المحاضرات ، وتعقب هذه وتلك البحوث والدراسات

وقد عقدت المنظمة أول تلك المؤتمرات في الكويت سنة ١٩٨١ ، وعقدت ثانيها في الكويت يضا في سنة ١٩٨٢ ، أما المؤتمر الثالث فقد عقدته لمنظمة في اسطنبول سنة ١٩٨٤ م ، وعقدت المؤتمر لرابع الأخير في كراتشي سنة ١٩٨٦ م ، وذلك دعوة من الحكيم محمد سعيد رئيس مؤسسة همدرد ي باكستان .

أما الندوات فغالبا ما تعقد في الكويت ، ويدعى ليها علماء الدين والفقهاء والاسلاميون من جهة ، الأطباء والمفكرون من جهة ثانية ، ذلك أن ما تسعى ليه هذه الندوات هو تحديد موقف الدين الحنيف من ضايا ومنجزات الطب الحديث

ونضرب مثلا على ذلك بالندوة الأولى التي عقدت الكويت في ٢٤ مايو (أيار) ١٩٨٣ التي أدت ناقشاتها إلى اتخاذ المواقف التالية

١ ـ عدم تشجيع قيام بنوك الحليب البشري لمختلط

٢ ـ عدم جواز التحكم في جنس الجنين وذلك من جهة نظر الشرع

٣ ـ عدم التسرع في إبداء الرأي الشرعي في قضايا لاستنساخ بالنسبة إلى الانسان

٤ ـ جواز أطفال الأنابيب والرحم الظئر في شرع ولكن بشرط مراعاة الضمانات الكفيلة بمنع تلاط الأنساب

ونذكر على سبيل المثال أيضا الموضوع الذي ولته الندوة الثانية التي عقدت في الكويت بتاريخ ١/ ١/ ١٩٨٥ ، فقد ركزت على الحياة الانسانية ، ددت بدايتها في مفهوم الشرع ، بالتحام الحيوان وي بالبويضة ، ليكونا البويضة الملقحة ، كما دت نهايتها في المفهوم الشرعي أيضا بجمود منطقة خ التي تؤدي وظائف الحياة الأساسية ، وهو ما يعرف اصطلاحا بجذع المخ ، فموت الانسان هو موت جذع مخه لا قلبه !

قسم الطبيب وقسم ابقراط

ونذكر من منجزات المنظمة الاسلامية للعلوم الطبية منشوراتها وكتبها ، وأول ما تجدر الاشارة إليه من هذه الكتب تلك التي تسجل وقائع المؤتمرات والمحاضرات التي تلقى فيها ، ولعل هذه أقرب إلى الموسوعات منها إلى الكتب العادية ، وقد أثرت المكتبة العربية والاسلامية ، وحفلت بكثير من المواضيع التي كثيرا ما يبحث عنها الباحثون في المراجع العادية بلا طائل .

وقل مثل ذلك في كتاب « الحياة الانسانية . بدايتها ونهايتها » الذي يسجل مناقشات الندوة الثانية السالفة الذكر ، والذي يقع في أكثر من ٦٥٠ صفحة ، ونذكر من كتب المنظمة أيضا « قانون ضمان سلامة الأدوية النباتية » الذي يحدد الشروط والمتطلبات الخاصة بتسجيل الأدوية النباتية ومراقبتها وتداولها ، والكتاب مطبوع في لغتين في آن واحد ، للعربية منه (٨٠) صفحة ، وللانكليزية منه (٦٤) صفحة ، وقد تعاونت المنظمة الاسلامية مع منظمة الصحة العالمية (لشرق البحر المتوسط) في إعداد هذا القانون

ونذكر من كتب المنظمة الاسلامية كذلك « المرشد الاسلامي في الفقه الطبي » بل الجزء الأول منه ، وموضوعه الجهاز الهضمي بالاضافة إلى كتابين للدكتور حسان حتحوت ، أستاذ الولادة وأمراض النساء بجامعة الكويت باللغة الانجليزية ، وعنوان الأول « مسائل في الطب الاسلامي » ، وعنوان الثاني « نظرات إسلامية في أمراض النساء والتوليد » .

ونأتي أخيرا إلى قَسَمْ الطبيب الذي وضعته المنظمة ، ليحل محل قسم أبقراط في عالمنا العربي والاسلامي على أقل تقدير ، حيث ترى المنظمة أن قسم أبقراط المشبع بالأدعية الوثنية لم يعد لائقا بأطباء القرن العشرين عامة ، والمسلمين منهم بخاصة ،

ويتضمن القسم الجديد فيما يتضمن - « أقسم بالله العظيم أن أراقب الله في مهنتي ، وأن أصون حياة الانسان في كافة أدوارها ، وأن أحفظ للناس كرامتهم ، وأن أثابر على طلب العلم ، وأسخره لنفع الانسان لا أذاه ، إلخ »

إطلالة على المستقبل

على أن للمنظمة الاسلامية من التطلعات والتوجهات الجادة ما لا يقل شأنا عما حققته من منجزات . ومن تلك التطلعات إنشاء جامعة لتدريس طبابة الأعشاب والتراث الطبي الاسلامي ، ولو ذكرنا ما في الصين والهند من معاهد وجامعات متخصصة في تدريس المعالجة بالنباتات الطبية ، وتدريس طب ابن سينا والرازي وغيرهما من أطباء السلف الصالح ، ولو ذكرنا أيضا إقبال دول عديدة في أفريقيا وأمريكا اللاتينية على إنشاء المعاهد والمختبرات العلمية المتخصصة في النباتات الطبية ، وذكرنا كذلك المدينة الجامعية ، مدينة الحكمة التي قررت إنشاءها مؤسسة همدرد في كراتشي ، لشعرنا بمدى أهمية مشروع الجامعة الذي أوصى به أحد مؤتمرات المنظمة الاسلامية

ومن تلك التطلعات أيضا إنشاء شركة لتصنيع الأدوية الحديثة من النباتات الطبية ، وتجدر الاشارة هنا إلى إحدى شركات الأدوية في ألمانيا الغربية (شركة الدكتور مداوس وشركاه) ، فقد تخصصت هذه الشركة في صنع الأدوية الحديثة من الأعشاب والنباتات الطبية ، وحققت من النجاح ما جعلها في مصاف الشركات العشرين الأولى في صناعة الأدوية في ألمانيا ، بالرغم من حداثتها نسبيا ، وقد أنشئت سنة ١٩٤٠ ، ولكن أدوية هذه الشركة أحادية العنصر الفعال ، وهي أقرب في نظر بعض الأعشابيين إلى الأدوية الكيماوية الحديثة منها إلى المستحضرات النباتية التقليدية في المفردات والمركبات ، ولا ندري ان كانت الشركة الاسلامية المزمعة ستكون كالشركة الألمانية ، تصنع الأدوية النباتية ذات العنصر الفعّال الواحد ، أم أنها ستصنعها من خاماتها النباتية ، مبقية على العناصر العديدة المختلفة التي تحتويها تلك الخامات

ونذكر من تطلعات المنظمة الاسلامية للعلوم الطبية توجّهها إلى الاستثمار وشراء وحدات سكنية بقصد تأجيرها ووقف ريعها على الخدمات الطبية المجانية التي يقدمها مركز الطب الاسلامي ، ولم لا ؟! فهذا هو ما فعلته مؤسسة جائزة نوبل ، حتى أمكنها توزيع الجوائز التي بلغت قيمتها المادية أضعاف قيمة تركة نوبل الأصلية ، وهذا هو ما تفعله مؤسسة همدرد في باكستان والهند ، فقد نجحت شركة الأدوية النباتية التي استثمرتها المؤسسة في مطلع القرن العشرين ، وحققت أرباحا وفيرة ، وما لبثت أن اعتبرت هذه الأرباح وقفا خاصا للانفاق على خدماتها الطبية ، وأعمالها الخيرية

ولعل المجلة التي تتطلع المنظمة إلى إصدارها هي التي تستأثر بالأولوية بين مختلف التطلعات ، وذلك بالنظر إلى الحاجة الحيوية الملحة التي تدعو إلى إصدارها في أقرب وقت ممكن ، فمجتمعنا العربي ما زال بحاجة إلى توعية وتبصير حول النباتات الطبية ، والتداوي بالأعشاب ، ناهيك عن الالمام بمنجزات التراث الطبي الاسلامي ، وبأمجاده ومفاخره ، ثم إن المستجدات في طبابة الأعشاب كثيرة ، ومتلاحقة ، ولا سبيل إلى مواكبتها إلا بمجلة شهرية أو نصف شهرية ، تصدرها المنظمة ، أضف إلى ذلك النهضة الطبية في الكويت ، والنهضة البيئية التي بدأت تتبلور أخيراً

ومن يدري . . فقد تنتشر المجلة المرتقبة هنا وهناك ، فتنتشر الوعي الأعشابي لا في الكويت فحسب ولكن في شتى الأقطار العربية الشقيقة أيضاً ، بحيث لا يمضي زمن طويل حتى تظهر في مختلف أقطارنا مراكز للتداوي بالأعشاب على غرار مركز الطب الاسلامي في الكويت . □

عُمان
بلاد النخيل والنارجيل

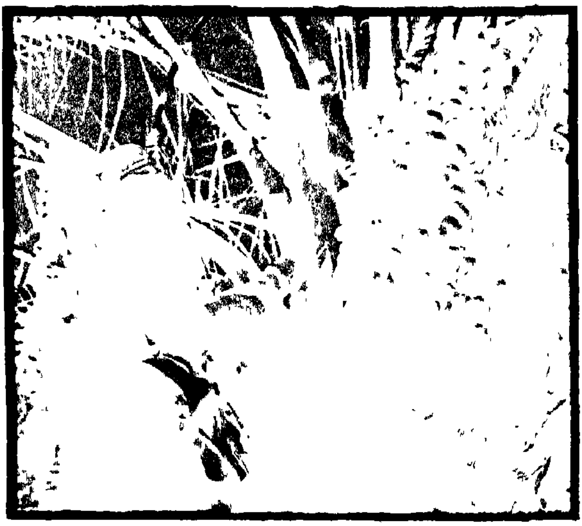

عرفت عمان الزراعة كإحدى الركائز الهامة والأساسية للاقتصاد العماني ، وما طريقة الري بالأفلاج التي ابتدعها الانسان هناك - تلك الطريقة الفريدة المتميزة في ري الأراضي الزراعية - الا دليل قاطع على أن الزراعة كانت ذات مكانة مرموقة في الاقتصاد العماني ، ومازال كذلك .

من المعروف أن سلطنة عمان من أكثر مناطق شبه الجزيرة العربية اخضرارا ، ولعل موقعها الجغرافي وطبيعة أراضيها وسواحلها هي مؤهلاتها لبناء اقتصاد زراعي متطور ونام ، يكون رافدا أساسيا في تنويع مصادر الدخل القومي ، بعيدا عن الاعتماد الكلي على النفط ، فهو مورد ناضب بلاشك مهما طال به الأمد ، ولذلك انصب الاهتمام منذ بداية الحركة التصحيحية التي شهدتها عمان في عام ١٩٧٠ على قطاع الزراعة في خططها التنموية ، اذ بلغ اجمالي الانفاق في هذا المجال نحو ٤٥ مليون ريال عماني ، بالاضافة الى ٢٨ مليون ريال أنفقت لايجاد مصادر مياه جديدة ، وتطويرها ، الى جانب تحسين وسائل الري الحالية التي مازالت تعتمد - الى حد كبير - على نظام الري بالأفلاج التقليدية

أفلاج وسدود

ولما كانت مياه الري-وهي عصب الزراعة-قد وجدت قليلة بحكم موقع سلطنة عمان الجغرافي ، وندرة مياه الأمطار التي لاتتجاوز ١٥٠ ملم في العام ، باستثناء جبال المنطقة الجنوبية التي تعد مراعي طبيعية تروى بالأمطار الموسمية خلال الفترة من يونيو الى سبتمبر سنويا ، لذلك اهتم المسؤولون في عمان بالبحث عن مصادر جديدة للمياه ، إما عن طريق استغلال المياه الجوفية او عن طريق بناء السدود ، وتطوير أقنية الري والأفلاج القائمة التي بناها العمانيون القدامى ، كنظام مميز للري ، يتلاءم مع طبيعة الأراضي الزراعية العمانية

يحدثنا المهندس عبد العزيز بن سالم الحارثي عن الجهود التي تبذلها حكومة عمان للإستفادة من مصادر المياه الموجودة حاليا ، وعن المشروعات الجديدة التي هي قيد الانجاز قائلا . « لقد تم اصلاح مايزيد على ٣٠٠ فلج خلال السنتين الأخيرتين ، كما تم حفر آبار مياه جديدة ، بلغ مجموعها ٥٢٤ بئرا ، هذا فضلا عن اقامة مشروع سد وادي الحوص لحجز الأمطار ، وتخزينها قرب وادي سمايل ، ومن المتوقع أن يوفر مشروع سد وادي الخوص نحو أربعة ملايين و ٦٨٠ ألف متر مكعب من المياه العذبة سنويا ، ليسهم في توسيع الرقعة الزراعية ويعد وادي الحوص من أكبر الانجازات المائية الحديثة في سلطنة عمان ، حيث يبلغ طوله نحو ٤٩٠٠ متر ، أما ارتفاعه فيبلغ ثمانية أمتار ، في حين يبلغ سمكه ٥ أمتار ، وقد اختير موقع هذا السد في وادي سمايل ، لأنه من أكبر الأودية التي تفيض بكميات كبيرة من المياه عند سقوط الأمطار ويضيف المهندس الحارثي قائلا ان الهدف من بناء السدود الذي توليه الحكومة عناية فائقة هو تنمية موارد مياه الري ، ثم المحافظة على مياه الأمطار التي تهدر سنويا في البحر أو في الصحراء ، والتي تقدر بحوالي ١٢٠ مليون متر مكعب ، كما يهدف الى تجنب زحف مياه البحر المالحة الى داخل الأراضي الزراعية الساحلية ، بسبب السحب المستمر للمياه الجوفية العذبة ، ثم ليصبح في الامكان توفير مياه الري للتوسع الزراعي المستقبلي ، كما يهدف مشروع بناء السدود أيضا الى الافادة من فيضانات الأودية عقب سقوط الأمطار ، والمحافظة عليها بتخزينها في طبقات الأرض السفلى ، ومن ثم زيادة المخزون الجوفي بتغذيته بالمياه

ان بناء مثل هذه السدود في عرض الأودية يساعد على تقليل سرعة مياه الأمطار الجارية ، ومن ثم

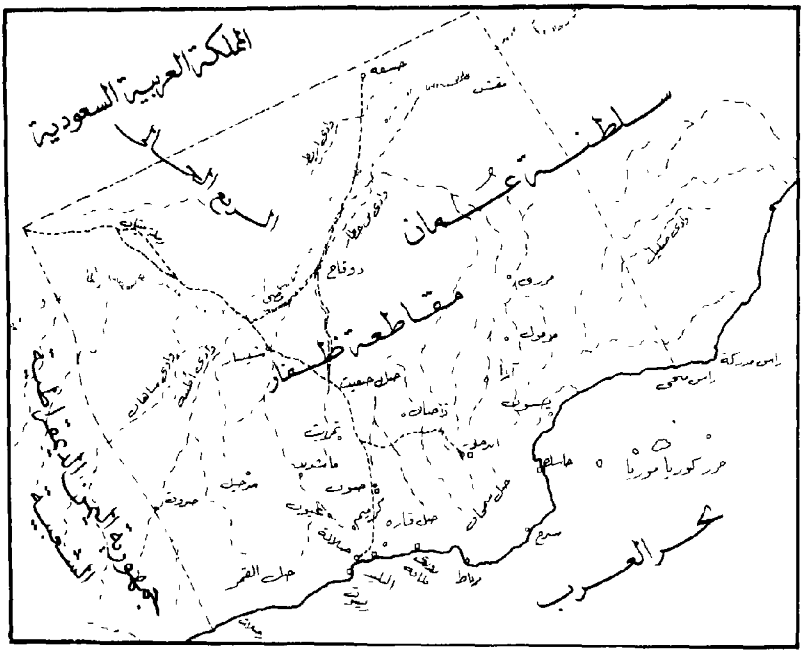
المملكة العربية السعودية
الربع الخالي
سلطنة عمان
مقاطعة ظفار
الجمهورية العربية اليمنية
بحر العرب
جزر كوريا موريا
رأس مدركة
حاسك
مرباط
طاقة
صلالة
حبروت
ريسوت
دوقاح
حاسك
رأس نوس

● عُمان بلاد النخيل والنارجيل

يساعد على تنظيم سير هذه المياه ، وانتشارها فوق مساحات كبيرة خلف السدود ، لاعطائها فرصة التسرب السريع تحت سطح الارض قبل وصولها الى البحر وتبنى هذه السدود غالبا من الأتربة والحصى بعد دكها ، وتجهز بفتحات خرسانية أو أنابيب معدنية لتنظيم المياه المحجوزة ، بحيث تتسرب في الأراضي الخلفية ويتابع المهندس الحارثي حديثه عن السدود قائلا لقد أقيمت ثلاثة سدود ، هي سد وادي الخوض بمنطقة السيب ، ثم سد وادي حلفي صلاحي بولاية صحار ، وأخيرا سد وادي سيفم بمنطقة وادي قريات بولاية مهلاء ، كما أن هناك خطة هي الآن بصدد البحث والدراسة ، لتنفيذ ثلاثة سدود أخرى ، هي سد وادي الجزي بولاية صحار وسد وادي الفول بولاية الحمراء ، وسد وادي تنوف بولاية نزوى

الري بالأفلاج

تعد الأفلاج من المصادر الرئيسية لمياه الري في سلطنة عمان   والري بالفلج طريقة فريدة ، اشتهرت بها عمان منذ القدم ، بل اننا لانبالغ اذا قلنا أن حياة الانسان العماني ارتبطت بالأفلاج ، فمنها يشرب ، ومنها يزرع ويعيش

يوجد في عمان مايقرب من ٤٠٠٠ فلج ، تجري فيها المياه ، وتختلف أطوال هذه الافلاج تبعا لقوة تدفق المياه ، وطبيعة المنطقة التي يمر بها الفلج ، اذ يصل أدنى طول الى نحو ١٠٠ متر ، أما أقصى طول لمجرى الفلج فقد يزيد عن ١٢ كيلومترا،وتنقسم الأفلاج من حيث طبيعة المنشأ وجريان المياه الى نوعين ، أولها أفلاج عميقة تحت سطح الأرض ، وهذهتستمد مياهها من المخزون الجوفي مباشرة ، حيث يكون للفلج جزء جامع للمياه تحت منسوب

● ـ « ميكنة » زراعية

● ـ ثمار « اللومي »

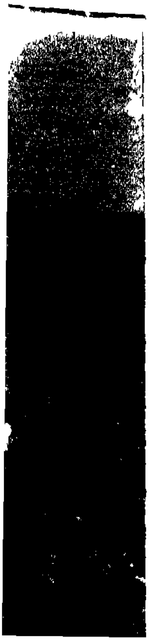

● ـ الاهتمام باختيار الشتلات العالية الجودة

●ـ شاركت المرأة العمانية لأول مرة في العمل بتعليب التمور في مصنعي الرستاق ونزوى

●ـ إقامة السدود في الأودية للحفاظ على مياه الأمطار إحدى الوسائل المتبعة للاستفادة من مياه الأمطار

المياه الجوفية ، وجزء للمجرى فوق المياه الجوفية ، أو مايسمى ناقل المياه ، أما بقية مجرى الفلج فيقع فوق سطح الأرض ، ومع وجود فتحات رأسية تستخدم في حالات التنظيف والصيانة ، وهذا النوع من الأفلاج يمثل ٨٠٪ من عددها الأجمالي ، أما النوع الثاني فيعرف بالافلاج الغيلية أو السطحية ، وتستمد مياهها من المصادر السطحية ، مثل الينابيع والبرك الناتجة عن الأمطار ، ولايزيد عمق هذه الأفلاج عن أربعة أمتار يحدثنا عامر سعيد الحسي المسؤول عن الثروة المائية قائلا لقد وضعت الحكومة خطة خمسية ، انتهت في عام ١٩٨٥ ، واستهدفت صيانة ٣٠٠٠ فلج، وتدريب الأهالي على استخدام مواد البناء الحديثة ، مثل الخرسانة والمواد الاسمنتية العازلة للرشح ، وذلك بغرض زيادة عمر الأفلاج ، كما اشتملت الخطة هذه على انشاء حجرات للتحكم في نهايات بعض الافلاج لحجز المياه الزائدة عن الحاجة عند الري ، كما اشتملت الخطة الخمسية السالفة الذكر على صيانة الآبار القديمة التي انهارت جدرانها بسبب القدم ، أو بفعل فيضان الأودية ، لضمان حصول المزارع في المناطق المختلفة على كفايته من المياه اللازمة للري ، وللأغراض المعيشية الأخرى

ومن المعروف أن الآبار تمثل احدى وسائل الري التقليدية التي تعتمد عليها معظم المزارع الواقعة في منطقة الباطنة وسهل صلالة بالمنطقة الجنوبية ، أو المزارع البعيدة عن الأفلاج في المناطق الداخلية ، وتعد الآبار المفتوحة، المحفورة يدويا هي السمة الغالبة على نوعيّة الآبار المنتشرة في السلطنة وتكون مياهها قريبة من سطح الأرض ، وتستخدم فيها مضخات لرفع المياه ، والآبار الارتوازية التي مازالت محدودة العدد ولاتوجد الا في بعض المزارع الحديثة ، وتساهم وزارة الزراعة والأسماك في نشرها عن طريق القروض التي تقدمها للمزارعين ، وبالاضافة الى ذلك هناك عدة عيون للمياه الطبيعية في كثير من مناطق السلطنة ، يستغل بعضها استغلالا جيدا في الزراعة ، مثل عين ارزات بالمنطقة الجنوبية ، وعين صحنوت ، وعين حرزيز التي تم تطويرها لتوفير المياه اللازمة لزراعة مساحات كبيرة من الأراضي الزراعية ، علما بأن مشروع تحسين وسائل الري هذه يكلف ميزانية الدولة حوالي ١٦ مليون ريال عماني

تمور النخيل

اعتمد الشعب العماني منذ القدم على المحاصيل الزراعية في كسب عيشه ، والزراعة سمة بارزة في حياة الانسان العماني ، فقد كان نصف هذا الشعب يمتهن الزراعة الى سنوات قليلة خلت ، قبل اكتشاف النفط ، وتجود أرض عمان بعدد كبير متنوع من المحاصيل الزراعية ، وتأتي النخيل وثمارها من التمور في المرتبة الأولى لهذه الحاصلات الزراعية ، فالتمور لم تفقد أهميتها عبر الزمن ، بل تضاعفت قيمتها ، وتظهر أهمية النخيل فيما توفر من غذاء ، ودخل ، وظل ، فضلا عن صدها الرياح فهي تشغل مساحة تقدر بحوالي ٢٠ الف هكتار ، وتصل أعدادها الى نحو ثمانية ملايين نخلة تقريبا ، تتناثر في أنحاء السلطنة ويصل متوسط انتاج النخلة الواحدة مابين ٥٠ الى ١٠٠ كيلو جرام من التمور في السنة ، أما متوسط انتاج الهكتار الواحد فيبلغ نحو ١٠ أطنان ، وهناك أكثر من ٣٠ نوعا من التمور ، أشهرها الهلالي ، والخلاص ، والخصاب ، والخنيزي ، والمدلوكي ، والمبسلي ، ويعد الخلاص والخصاب والحبيري من أجود الانواع التي تؤكل طازجة ، أما التمور فتنتج أفضل انواعها من الخلاص والفرض ، ويشتد الطلب عليه من الدول العربية حيث يدخل في صناعة « البسكويت » ، كما يستخدم كحلوى ، أما المبسلي فيجفف ، ويصدر الى الهند على وجه الخصوص

وتستأثر منطقتا العاصمة والباطنة بأكبر عدد من أشجار النخيل ، حيث تصل النسبة فيهما الى ٥٠٪ تقريبا من اجمالي عدد أشجار النخيل في عمان ، كما

تستأثران بأكبر مساحة من اجمالي المساحة المزروعة بالنخيل ، وفي نفس الوقت فان منطقة العاصمة والباطنة تستأثران أيضا بأكبر نسبة من اجمالي الأشجار المنتجة في عمان تليهما منطقتا حلال والشرقية اللتان تستأثران بحوالي ١٢٪ من اجمالي عدد أشجار النخيل ، وبحوالي ١٣٪ من المساحة المزروعة ، والتي تصل نسبة أشجارها المنتجة الى نحو ٦٣٪ من اجمالي الأشجار التي تنتج تمرا في عمان ، ثم تأتي المناطق الأخرى بالمرحلة الثالثة وبنسب متفاوتة

شكوى الأهالي

كانت لنا زيارة لاحدى مزارع النخيل في منطقة السيب ، قرب العاصمة مسقط ، وهي مزرعة أهلية ، يملكها السيد عبد الكريم محمد سالم فسألناه عن المشاكل التي تواجه زراعة النخيل في البلاد ، فأجابنا قائلا : ان أولى هذه المشاكل هي ايجاد العامل الزراعي ، فقد ترك الفلاحون الأرض ، وذهبوا يبحثون عن أعمال تعود عليهم أموالا أكثر ، مع أنا لا نبخس هؤلاء المزارعين حقهم ، فقد يصل اجر العامل يوميا الى ثمانية أو عشرة ريالات ، ولكنهم هجروا الزراعة ، كما نطالب وزارة الزراعة والأسماك بمساعدتنا لاستيراد بعض الأجهزة الحديثة ، مثل أجهزة التلقيح ، وقطف الثمار ، فقد سمعنا أن اخواننا في المملكة العربية السعودية استخدموا بعض هذه الآلات ، وقد قمنا بعرض الشكوى على السيد محمد رضا حسن مدير عام الزراعة بوزارة الزراعة والأسماك العمانية فأجابنا قائلا : ان استخدام الآلات الحديثة في تلقيح الثمار وقطفهايحتاج الى أن تكون بساتين النخيل واسعة ، وأن تكون هناك مسافات لاتقل عن عشرة أمتار بين النخلة والأخرى ، حتى تتمكن الآلة من أداء عملها على أحسن وجه ، ولما كانت مزارع النخيل في بلادنا مزدحمة بالأشجار ، ولاتوجد مسافة كافية بين النخلة والأخرى ، فإن هذه الآلات لن تفيدنا في شيء ، ونأمل من اخواننا أصحاب مزارع النخيل أن يراعوا في المستقبل الطرق الحديثة في زراعة النخيل ، أما عن أجهزة التلقيح فإننا بصدد جلب بعضها خدمة للمزارعين ، ومع ذلك أقولها بصراحة ان النخلة لاتستغني عن خدمات الانسان بأي حال من الأحوال

مصانع التمور

ونظرا للكميات الكبيرة التي تنتجها أشجار النخيل من تمور متنوعة ، تفيض عن حاجة المستهلك المحلي ، فقد أقيم مصنعان في كل من مدينة نزوى والرستاق ، وهذان المصنعان هما باكورة مشاريع تصنيع المواد الزراعية التي تعد بحق من أهم مجالات التنمية ، نظرا لمساهمتها في المحافظة على الانتاج الزراعي ، وللفائدة التي تعود على كل من المزارع والمستهلك والاقتصاد القومي جميعا ، لقد بدأ العمل في انشاء هذين المصنعين في عام ١٩٧٤ ، وتم افتتاحهما في نهاية عام ١٩٧٥ ، وأعقبت ذلك فترة تدريب لعمال المصنعين وعاملاتها يقول الاستاذ محمد رضا حسن مدير عام الزراعة : لقد أحدث افتتاح المصنعين المذكورين تغيرات اجتماعية في المناطق المحيطة بها ، حيث التحق بالعمل عدد من العاملات لأول مرة في تاريخ عمان ، وهذا شيء تعتز به وتفخر » .

يقوم المصنع بتخزين التمور في غرف مبردة ، حتى يتم تسويقها ، أو تصنيعها ، وتصل طاقة التخزين في كل مصنع الى ١٠٠ طن ، وفي هذين المصنعين خطوط آلية ، تقوم بنزع النوى ، كما تحتوي على أجهزة لتعبئة التمور ، وتغليفها آليا ، وذلك لملاحقة الاحتياجات المحلية والخارجية وتلبيتها ، وفي السنوات الأخيرة أدخلت على هذين المصنعين تعديلات وتوسيعات كثيرة ، فقد تم تكييف المصنعين ، مما ساعد على رفع كفاءة العمل بصورة ملحوظة ، وقد بلغت التكلفة الاجمالية

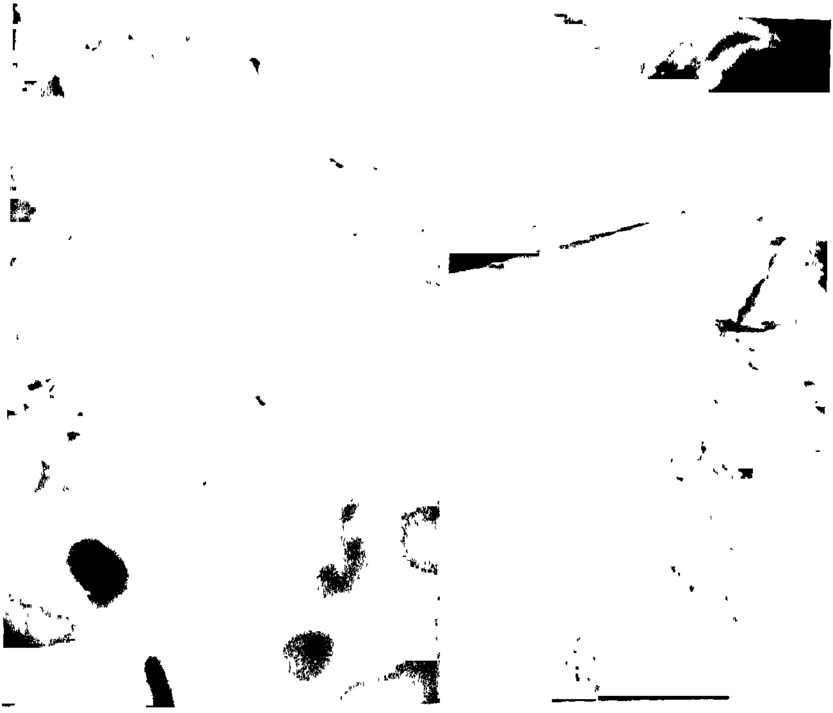

● ـ الري بالأفلاج إحدى طرق الري التقليدية المميزة التي يتبعها المزارع العماني

● ـ التقنية الحديثة في عمليات الري على نطاق واسع

لتحديث مصنعي نزوى والرستاق وتطويرهما حوالي مليون ريال عماني

النارجيل

والنارجيل أو جوز الهند كما يعرف في معظم أقطارنا العربية من المحاصيل الزراعية التي تجود بها أرض السلطنة ، والنوع الطويل من أشجار النارجيل هو الشائع الغالب في عمان ، وقد تم في السنوات الأخيرة ادخال النوع المخلط الذي يجمع بين أشجار النارجيل الطويلة والأشجار القصيرة وهو نوع يعطي ثماره بعد ثلاثة أعوام فقط من استنباته ، مقارنة بالنوع الطويل الذي يعطي ثماره بعد حوالي سبعة أعوام أو أكثر ، وتصل جملة أشجار النارجيل في عمان الى نحو ١٥٠ ألف شجرة تقريبا ، تستأثر المنطقة الجنوبية - وخاصة مدينة صلالة - بأكبر عدد منها ، وذلك لملائمة مناخها المعتدل لهذا النوع من الأشجار ، وبسبب هطول الأمطار الموسمية التي تسقط عليها وفي احصائية أصدرتها وزارة الزراعة والأسماك في عمان يتضح أن عدد أشجار النارجيل في المنطقة الجنوبية قد بلغ نحو ١١٠ آلاف شجرة ، منها نحو مائة ألف شجرة منتجة ، أما الحيازات التي تزرع بها أشجار النارجيل فتبلغ نحو ٧٩٢ حيازة ، تمثل ٤٣/ من عدد الحيازات الزراعية بمنطقة صلالة ، كما تستأثر المنطقة الجنوبية بمعظم المساحة المزروعة بأشجار النارجيل التي تصل نسبتها الى ٩٨٫٧/ من اجمالي المساحة المزروعة بأشجار النارجيل في عمان ثم تأتي منطقة الباطنة والعاصمة بفارق شاسع بعد صلالة في زراعة أشجار النارجيل ، ولايتعدى عددها أكثر من ألف شجرة ، ونظرا لجمال أشجار النارجيل وخضرتها الدائمة فقد قامت بلدية مسقط ومطرح وبعض الضواحي القريبة منهما بتزيين شوارعها الرئيسية بأعداد من هذه الأشجار ، لتضفي على تلك الشوارع جمالا ورونقا

مانجو وموز

ومن المحاصيل الزراعية الجيدة الانتاج في عمان « المانجو » ، ويطلقون عليها اسم « الهامبا » ، وقد أدخلت هذه الفاكهة الى عمان منذ مايقرب من قرن من الزمان ، وقد نجحت زراعتها في منطقتي الباطنة والشرقية ، ومن المعروف أن شجرة « المانجو » تحتاج في الغالب الى ٥ سنوات ، حتى تبدأ الانتاج ، وتستمر منتجة مدة قد تصل الى سبعين سنة شأنها في ذلك شأن النخلة ، ولاتزرع أشجار « المانجو » وحدها ، بل تزرع متداخلة مع محاصيل أخرى ، ويمكن لأشجار « المانجو » أن تنمو في أي تربة ماعدا المناطق المجاورة للبحر ، كما تحتاج هذه الاشجار الى ري منتظم في بداية زراعتها ، لكن احتياجها للماء يقل بعد اكتمال نموها ، ويقدر انتاج الهكتار الواحد في المتوسط بحوالي طن واحد من الثمار ، والنوع المسمى « الزعفراني » هو المعروف محليا في عمان ، وقد أدخلت أنواع أخرى من « المانجو » حديثا ، منها « الفونسو » ، و « لانجرا » و « سيدري » ، وبنجلورا وتستأثر منطقة الباطنة والعاصمة بحوالي ٨٩/ من اجمالي المساحة المزروعة بالمانجو ، وتبلغ نحو ٢٩٣٠ هكتارا تقريبا وهي تمثل ٨٢/ من الأشجار المنتجة ، كما تعتبر منطقة الظاهرة من أفضل المناطق من الناحية الانتاجية ، ثم تليها منطقتا الباطنة والعاصمة

أما الموز فهو أيضا من المحاصيل التي دخلت عمان حديثا ، والصنفان المعروفان في عمان من أشجاره هما الطويل والقصير ، وينتشر الصنف الطويل في شمال عمان ، وهو يتكون من نوعين أيضا يطلق عليهما المرد والسيلي أما الصنف القصير فيطلق عليه اسم مالندي ، وتجود زراعته في منطقة الباطنة ، وعمان الداخل ، كما تنتشر زراعة النوع القصير في منطقة صلالة ، ويشتهر النوع القصير بحلاوته الفائقة وفي احدى المزارع التجريبية في منطقة

الرميس سألنا المدير المسؤول عن المزرعة حول امكانية ادحال بعض الأصناف الحديدة من الموز ، س بعض البلدان المشهورة بانتاجه ، مثل الفلبين ، وهندوراس ، والصومال ، فأجابنا قائلا « لايخفى أن نوع التربة في السلطنة يختلف عن نوع تربة تلك البلدان ، فتربة السلطنة يعلب عليها الطابع الرملي ، لدلك لم تنجح التجارب التي أحريناها على الاصناف المستوردة من الفلبين وهندوراس وربما تنجح مستقبلا في تحاربنا على المور الصومالي ، لأن هناك بعص التشابه بين تربة بلادنا وتربة الصومال

ويقدر متوسط انتاج الهكتار من الموز في السلطنة بحوالي ٨ أطنان أما المساحة المزروعة بأشجار الموز فتبلع نحو ألفي هكتار ، ولما كانت انتاجية المنطقة الحنوبية ـ حاصة مدينة صلالة ـ من محصول المور حيدة ، نطرا لمساعدة عاملي المناخ والتربة ، حيث يساعدان على نمو أشجار المور بكثافة ، فقد بدأ في هده المنطقة مشروع تنمية محصول الموز وتطويره ويهدف المشروع الى تسويق الموز المحلي ، وتغطية الاحتياحات الاستهلاكية ، وقد أقيمت محطة لاستقبال المور ، وانضاحه ، وتعبئته ، بطاقة تتراوح بين عشرة آلاف الى ١٥ ألف طن سنويا ، بالاضافة الى انشاء مخازن مبردة ، وايجاد شاحنات مبردة لنقل الانتاج للمناطق المختلفة من السلطنة

« اللومي »

وتشتهر عمان بزراعة « اللومي » ، المعروف بشدة حموضته بالنسبة لليمون العادي المعروف بالأصاليا الذي يزرع في معظم أقطارنا العربية ، وهذا « اللومي » يشبه الى حد كبير ليمون بنزهير المعروف في مصر ، وقد نالت مدينة صحار في عمان شهرة فائقة في منطقة الخليج والهند وبعض البلاد في أفريقيا بانتاجها لهذا النوع من الليمون ، فله سوق رائجة كبيرة ، خاصة في الهند وأقطار الخليج العربي ، حيث يصدر اليها مجففا ، فيضاف الى الأطعمة ، كنوع من البهار ، يضفي على الطعام رائحة زكية ويستحدم كشراب بدلا من الشاي في معظم أقطار الخليج والعراق ، أو يعصر ويحفظ في رحاحات للاستعمال اليومي ، ويحتل اللومي المجفف مركزا بين الصادرات غير النفطية في عمان ، فقد جاء في المرتبة الأولى في عام ١٩٧٩ ومن المعروف أن فترة نضوج اللومي تتراوح بين ١٥ و١٨ شهرا ، وتشير التقديرات بأن في عمان نحو مليون شجرة منه ، أما المساحة المزروعة بأشجاره فتبلغ نحو ٢٢٥٠ هكتارا ، ويقدر انتاج الهكتار الواحد بنحو ٥ أطنان من اللومي الطازج وتستأثر منطقتا العاصمة والباطنة بحوالي ٦٥٪ من احمالي المساحة المزروعة بأشجاره ، وتأتي منطقة الحجر الغربي والحجر الشرقي في المرتبة الثانية في الانتاج ، أما منطقتا صلالة ومسندم فهما من المناطق القليلة الانتاج من هذا المحصول .

وهناك مساحات متفرقة في عديد من المناطق لزراعة الحمضيات الأخرى ، مثل البرتقال والليمون والسفرجل والرمان ، وقد أولى المسؤولون عناية حاصة بزراعة الخضراوات ، فتصل المساحة التي تزرع الخضراوات بحو ٢٢٠٠ هكتار وتعد منطقة العاصمة والباطنة من أكبر المناطق ، من حيث المساحة المزروعة بالخضراوات ، تليها منطقة عمان الداخل ، ثم المنطقة الجنوبية ، ومنطقة الظاهرة ومن أهم الخضراوات التي تزرعها عمان البصل والثوم والطماطم والفجل والفلفل ، وغيرها من أصناف الخضراوات الأخرى التي أدخلت حديثا

اهتمام بأساليب الزراعة الحديثة

اهتم المسؤولون في السلطنة بأساليب الزراعة الحديثة التي تجمع بين التطور العلمي والتقني الحديثين وبين طبيعة البنية العمانية مثل توجيه المزارعين لاعتماد أسلوب التسميد بالرش بدلا من استخدامه في التربة ، مما يساعد على زيادة نمو النباتات وحجم الثمار ، وقد توسع الارشاد

● تحتل عمان ساحلا طوله نحو ١٧٠٠ كم ، فلا غرابة أن تكون حرفة صيد الأسماك من المهن التقليدية للانسان العماني ، ولذلك أبرمت حكومة عمان اتفاقيات مع شركات للصيد متخصصة ، لتنمية هذه الثروة

الزراعي في استخدام منشطات النمو، وتدريب المزارعين على زراعة المحاصلات الزراعية التي تم ادخالها الى السلطنة، مثل البطاطس والكرنب والزهرة والقلقاس وغيرها، كما اهتم أيضا في توجيه المزارعين لاعتماد أسلوب استخدام الأسمدة المركبة، الى جانب الأسمدة العضوية، والتوسع في توفير الحراثة الآلية في مختلف المناطق، واستخدام احدث ماوصلت اليه التقنية الحديثة في مكافحة الآفات الزراعية. كما أبدى المسؤولون بالسلطنة اهتماما كبيرا في اقامة المزارع التجريبية، ومراكز الأبحاث الزراعية، حيث بلغ عددها ٢٤ مركزا ارشاديا، و١٢ محطة أبحاث، تقوم باجراء أبحاث زراعية على المحاصلات، بالاضافة الى توزيع الأشتال والتقاوى على المزارعين بالمجان، أو بأسعار رمزية، والى جانب ذلك تم تطوير مصانع التمور والمور في كل من مدينة الرستاق ونزوى، وكذلك مصنع تعبئة المور في صلالة، ولم ينس المسؤولون تشجيع القطاع الخاص، لزيادة مشاركته في المشاريع الزراعية، فهناك مشروع مزارع الشمس الأهلية التي تعد بحق من أكبر مزارع عمان النموذجية الحديثة، كما يقوم «بنك عمان للزراعة والأسماك» بتقديم القروض الزراعية لمساعدة المزارعين في تنمية وتطوير منتجاتهم وأرضهم الزراعية

ثروة سمكية

تشتهر سلطنة عمان بموقع جغرافي فريد، فسواحلها طويلة تطل على خليج عمان والمحيط الهندي، اذ يبلغ طول ساحلها نحو ١٧٠٠ كيلو متر، فلا غرابة اذن أن تكون حرفة صيد السمك مهنة تقليدية، توارثتها الأجيال منذ فجر تاريخ هذه السلطنة. يحدثنا الأستاذ محمد رضا حسن عن هذه الثروة قائلا - «لقد أثبتت الدراسات التي أجراها خبراء من انجلترا واليابان وجود كميات هائلة من الأسماك في المياه العمانية، وكان الهدف من هذه الدراسات توجيه الاهتمام الى أهم مجموعة من هذه الأسماك، وهي أسماك الأعماق، حيث ارتفع انتاجنا الى مايزيد عن ٣٠٠ ألف طن سنويا، بالاضافة الى انتاج مليون ونصف مليون طن من سمك السردين، ونحو ٦٠ ألف طن من سمك التونة»، ويضيف الأستاذ محمد رضا حسن «وقد تضمنت الخطة بالاضافة الى الدراسات الفنية انشاء وحدات تبريد، ومعامل ثلج، في مناطق صيد الأسماك، ومناطق التسويق، والعناية بنقل الأسماك بالشاحنات المبردة من مناطق الصيد الى الأسواق، وتوفير القوارب والمعدات الصغيرة والشباك للصيادين التقليديين، وانشاء أرصفة

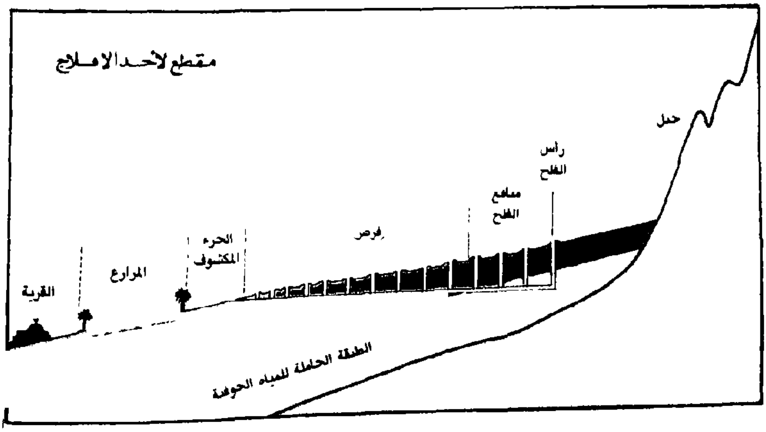

ومراسي لقوارب الصيد ، الى تنمية مصايد الأنواع الخاصة من الثروة السمكية ، كالصدفيات التي تجد سوقا رائجة في بلدان أوروبا ، كما تضمنت الخطة انشاء شركات صيد حديثة لأعالي البحار »

شركات صيد متخصصة

لقد اتفقت وزارة الزراعة والأسماك بموجب هذه الخطة مع شركتين يابانيتين مختصتين بصيد الأسماك على القيام بالصيد في مساحة تغطي نحو ٦٠٠ كيلومتر من الساحل العماني ، تتحمل الشركتان التكاليف التي تستلزمها عملية الصيد ، والتي تقتصر على مجموعة أسماك الأعماق ، وبموجب هذا الاتفاق تحصل حكومة السلطنة على ٤٠/ من الكميات التي يجري اصطيادها من السمك ، وتقوم الشركتان بالاضافة الى ذلك بتدريب عشرة من العمانيين على كل سفينة من سفن الصيد التي تستخدمها في منطقة امتيازها ، وكذلك تدريب ستة آخرين في المركز الاقليمي لصيد الأسماك بالكويت ، كمساعدين لربابنة سفن الصيد ، ومهندسين بحريين ، وقد التزمت الشركتان - فضلا عن كل ذلك - بشراء فائض حصة الحكومة العمانية من السمك ، وحصلت شركة أخرى هي شركة الأسماك الكورية لما وراء البحار على امتياز في مياه ساحل طوله نحو ٦٠ ميلا بحريا ، تقوم بتحمل تكاليف عملية الصيد فيه ، وتحصل على ٧٠/ من كميات السمك التي يجري اصطيادها مقدمة للحكومة العمانية النسبة الباقية ، كما أبرمت الحكومة العمانية اتفاقا مع شركة نيوزيلندية متخصصة بصيد الأسماك ، قامت ببناء مجمع لخدمة الانتاج السمكي في مسقط بتكلفة قدرها حوالي ثلاثة ملايين ونصف مليون ريال واطلق على هذا المشروع اسم « مشروع مطرح لاستغلال الثروة السمكية » يحتوي هذا المشروع على برادات تخزين ، بطاقة تصل الى ١٠٠٠ طن من الأسماك ، وغرفة تجميد بطاقة ١٠ أطنان يوميا ، ثم معمل للثلج ، طاقته تصل الى ٥٠ طنا يوميا ، كما تضمن
الاتفاق قيام الشركة النيوزيلندية ببناء المنشـ
اللازمة على الشاطيء ، مثل الأرصفة والمراسي ،
تولت الشركة المذكورة بناء مجمع آخر للان
السمكي في مدينة صلالة ، يحتوي على براد
تخزين ، سعتها ١٥٠ طنا ، ومعمل للثلج ، بـ
١٥ طنا يوميا ، كما أقيمت مجمعات أخرى للا
السمكي ، بهدف تخزين كميات كبيرة من فا
الصيد ، لتوزيعها وتسويقها فيما بعد

وحول اهتمام الحكومة العمانية بتشجيع القـ
الخاص ، وانماء الثروة السمكية الهائلة في عمان
الاستاذ محمد رضا حسن « لقد قمنا في عام ٨٠
بانشاء « شركة الأسماك الوطنية العمانية » لتشـ
القطاع الخاص على الاستثمار في صناعة الأسـ
بالسلطنة ، برأسمال قدره مليون ريال عماني ،
نصيب هذا القطاع فيه نحو ٨٠/ ، مع ضمان
صغار الصيادين في ٢٠/ من رأس المال ، وبالا
الى ذلك قمنا بانشاء صندوق تشجيع صا
الأسماك الذي يتيح للصيادين الحصول
إعانات ، لشراء القوارب والآلات ومعدات ال
الأخرى ، وتصل هذه الاعانات الى ثلثي ق
المعدات ، واتاحة الفرصة للصيادين بتقسيط ال
الباقي على أقساط شهرية مريحة ومما يجدر ذكره
أن « بنك عمان للزراعة والأسماك » الذي يبلغ ر
ماله ١٩ مليون ريال عماني يقوم بتقديم تسهيلا
ائتمانية للصيادين والمزارعين » ويضيف الا
محمد رضا حسن قائلا « لايخفى أن كميـ
الأسماك التي يتم صيدها في الوقت الحالي ، و
تتراوح مابين ٦٠ الى ٧٠ ألف طن سنويا ، تـ
جزءا صغيرا مما هو موجود في المياه العمـ
وسواحلها الطويلة ، حيث أن أعمال المسح تـ
امكانية انتاج مايقرب من ٣٠٠ ألف طن سنويا
أسماك القاع ، بالاضافة الى أنه بالامكان صـ
حوالي ٤٥ طنا أخرى من الربيان « الجمبر
سنويا

يصدر في
١٥ أكتوبر ١٩٨٧

كتاب العربي

السابع عشر

خطاب إلى
العقل العربي

بقلم

الدكتور فؤاد زكريا

كتاب العربي مرآة العقل العربي

ابيتن العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

حدة الطبع وعنف المزاج عند الطفل!

أمهات للإيجار

حدة الطبع وتقلب المزاج عند الأطفال

بقلم : الدكتور محمد صادق زلزلة

« قد لا يربط كثيرون بين طرق معاملة الطفل وتربيته وبين سلوكه ، وبدون أن ندري قد ساهم بذلك في إكساب الطفل عادات وسلوكيات يصعب التخلص منها مع الزمن » . .

تظهر عند بعض الأطفال - فيما بين الشهر الخامس عشر والسنة الثالثة من العمر - بعض التصرفات العنيفة والشرسة ، حيث يقوم الطفل ببعض الأعمال العنيفة المخربة ، كرمي الصحون على الأرض وكسرها ، وإتلاف بعض ما يقع في يده من أشياء صغيرة كاللعبة ، والكتب ، وما أشبه ، أو أن يضرب الباب بيده ، أو يرفس الأثاث برجله ، وما إلى ذلك من أعمال تتصف بالعنف والشدة والشراسة ، وقد تقوم الأم بمعاقبة طفلها على حدة طبعه وشراسته ، لتمنعه من التمادي فيها ، أو تكرارها في المستقبل ، لكنه لا يلبث أن يعود اليها مرة أخرى ، غير خائف ولا وجل !

ما هي أسباب حدة الطبع عند الطفل ؟

في بعض أدوار الطفولة ـ وهو الدور الذي يمر به الطفل من دور الطفولة الهادئة الناعمة ، الى دور الوعي ، والاستقلال ، والتحدي ـ يبدأ تبلور شخصية الطفل ، وظهور ما يسمى « الأنا » عنده ، و « الأنا » هي الشعور الواعي للنفس ، حيث ينظر إلى نفسه وكأن له شخصية متكاملة ، لها رغباتها ، ومتطلباتها ، وتكون حدة الطبع في هذا الدور أمراً سويا ، يظهر ـ غالبا ـ عند الأطفال جميعا بدرجات متفاوتة ، يعبر بها الطفل عن شخصيته ، ويعلن بها عن وجودها ، ويفرضها على المحيطين به كالوالدين والأهل جميعا ، ويكون لشخصية الطفل الموروثة دور كبير في ظهورها وتبلورها ، فهي تظهر غالباً عند الطفل الأيد القوي الذي يتمتع بقدر كبير من النشاط يميزه عن غيره من الأطفال ، ولا تظهر عادة عند الطفل الهادىء ، اللين العريكة ، الرضي السلوك الذي يطيع أوامر أمه ، ويتقبل إرشاداتها ، وتعليماتها

وتزول هذه الحالة عادة في الأحوال السوية دون أن تترك في نفس الطفل شيئا من الآثار والترسبات ، وذلك عند معرفة الأم بطريقة معالجتها ، وحسن تصرفها مع الطفل في هذه الحالة ، وتجنب ما يسبب تمكنها من شخصية الطفل ، واستقرارها في أعماق نفسه ، أما إذا أساءت الأم التصرف ، وحدث التصادم بين شخصية الطفل المتنامية وروح التمرد وحب الاستقلال فيه وبين شخصية أمه وإرادتها ، وذلك بفرض سلطانها عليه ، وإخضاعه لارادتها ، وتعسفها ، فإن الطفل يبدأ بالصمود أمام إرادة أمه هذه ، فيتحدى أوامرها ، ويرفض سلطانها وتعسفها ، فتتلبسه حالة من العنف وحدة الطبع

وتزداد تلك الحالة سوءاً إذا ما أساءت الأم التصرف أكثر من ذلك ، كأن تزجر طفلها على حدة طبعه ، وسوء تصرفه ، أو تعاقبه أو تضربه ، أو تشكوه إلى أبيه ، أو تشكو إلى بعض جاراتها وذويها ـ أثناء وجوده ـ ما تعانيه من جراء عنف صغيرها ، وتعنته ، وشراسته ، وتبدي قلقها وخوفها عليه ، فيتمادى الطفل بتلك الحالة ، ويكررها ،ليشد إليه الانتباه ، ويركز نحوه الأنظار ، ويستمر في تماديه هذا حتى تصبح حدة الطبع عادة متأصلة فيه ، يلجأ إليها كلما أراد فرض إرادته ، أو إظهار احتجاجه على بعض مالا يرضاه من تصرفات أمه معه ، ومعاملتها له ، أو عند عجزه عن الحصول على شيء يتمناه أو يرغب في اقتنائه

لا للشدة أو فرط التدليل

ومما يسبب قيام حالة العنف وحدة الطبع عند الطفل:المحيط المتزمت ، والأنظمة الصارمة التي تفرض على الطفل ، والحساب العسير الذي يحاسب به في كل عمل يعمله أو نشاط يقوم به ، بدل محاولة تفهم مشاكله ، والبحث عما يثيره أو يريحه ، وتحقيق المعقول من طلباته ، مما يثير عنده مشاكل نفسية كثيرة ، ومن جملتها حالة العنف وحدة الطبع ، وعلى الأم أن تتذكر دائما أن الطفل يجب أن يعامل حسبما تقتضيه حالته وسلوكه ، وألا تتجاهل التباين بين شخصية طفل وآخر ، ذلك أن معاملة طفل كما يعامل غيره ممن يختلف عنه في الشخصية ، والسلوك ، والتصرف ، قد يثير المتاعب والمشاكل له ولأمه على السواء

كذلك فإن معاملة الوالدين للطفل معاملة شديدة ، صارمة ، متعسفة ، لا تتناسب مع سنه ، ولا تتوافق مع مستوى فهمه وإدراكه تسبب للطفل

الارتباك ، وتثير فيه الحيرة ، مما يدفعه إلى التحدي والتمرد ، ثم إلى العنف وحدة الطبع ، ومن الخطأ أن تعترض الأم على كل عمل يقوم به الطفل ، حتى وإن كان لا يستدعي الاعتراض أو الزجر ، فإنها بذلك تولد فيه روح الاستياء ، والتذمر ، والتمرد ، خاصة في العمر الذي تظهر فيه روح الاستقلال ، والشعور بالكيان المستقل الذي يولده فيه ظهور « الأنا » ، وكذلك زجر الأم لطفلها أثناء لعبه ولهوه خشية إزعاج الجيران ، أو مراعاة وجود ضيوف في البيت بشدة وقسوة ، أو بعقاب وضرب ، فإنها تكبت في طفلها حب اللعب ، والرغبة في المرح والتسلية ، إذ ان لعب الطفل ، وصياحه ، أثناء ذلك أمر طبيعي ، لا يستدعي الزجر ، والتأنيب ، والعقاب ، لأن ذلك يولد في الطفل روح النقمة والغضب ، ثم التمرد ، وعدم الطاعة ، ثم حدة الطبع والعنف ، وإنما ينبغي على الأم أن تهيء لولدها جوا يلعب فيه ويمرح حسب ما يشاء ، وأن تفهمه - بمودة وعطف وتفاهم - أن إزعاج الجيران أمر غير صحيح ، وأنه لا يليق بشخص مؤدب لطيف مثله

إن مسامحة الطفل في كثير مما يأتي به من أخطاء ، والتساهل معه في بعض الأمور التي لا ينبغي التسامح بها ، وتلبية جميع رغباته مهما كانت متزمتة ومتعبة ، والخوف عليه من كل أمر مهما كان صغيرا وتافها ، من الأسباب المهمة التي تنمي في الطفل روح العنف ، وحدة الطبع ، وذلك أن مثل هذا الطفل لا يعرف - عادة - الحدود التي ينبغي عليه أن يقف عندها في طلباته وتصرفاته ، لالتباس الأمر عليه ، ولعدم إدراكه لما هو معقول منها ، وما هو غير معقول ، بسبب تلبية أمه لجميع رغباته وطلباته دون استثناء ، فإذا ما أسرف الطفل يوما وتجاوز تلك الحدود تجاوزا مزعجا فإن أمه ستقوم إما بزجره وإيقافه عند حده ، أو - على الأقل - بعدم الاستجابة إلى تنفيذ تلك الرغبة وذلك المطلب ، وعند ذاك يثور الطفل ، ويلجأ إلى العنف وحدة الطبع ، معبرا عن رغبته في تنفيذ رغباته وطلباته كلها ، كما كان عليه الحال آنفا

وقد تضطر الأم في بعض الأحيان أن تعد طفلها ببعض الوعود ، ثم لا تفي بها ، أو أن تقول له قولا ثم تفعل فعلا مغايرا له ، كأن تهدد طفلها بأنها سوف تعاقبه إذا فعل أمرا معينا ، أو إن امتنع عن تلبية بعض إرشاداتها أو عصى بعض أوامرها ، ثم تنسى أو تتناسى وعيدها وتهديداتها ، فيتعجب الطفل من تلك الأمور ، ويفقد ثقته بأمه ، ثم يظهر احتجاجه على ذلك بإبداء حدة الطبع والعنف والمشاكسة ، وعلى الأم أيضا ألا تعارض الأمور التي يوافق عليها الأب بطلب أو التماس من الطفل ، فتحرم الطفل من التمتع بموافقة أبيه على طلبه ، لأن ذلك يثير في الطفل روح المشاكسة ، والعنف ، وحدة الطبع

أسباب مرضية لها علاج

وهناك أسباب عضوية لحدة الطبع ، منها بعض الأمراض التي تصيب الطفل ، فتجعله يشعر بالضيق والانزعاج ، كالحمى ، وفقر الدم ، وأورام الدماغ في أدوارها الأولى ، ونقص السكر في الدم ، وتناول بعض الأدوية ، وبعض الأمراض المزمنة كالصمم ، والتدرن والسؤال الآن كيف يعالج الطفل المصاب بحدة الطبع ؟

قبل كل شيء يجب التحري عن وجود الأمراض العضوية التي تسبب حدة الطبع للطفل ، فإن وجد بعض تلك الأمراض وجب علاجها والقضاء عليها

أما في حالة الطفل السوي فإن على الأم أن تتفهم

سبب حدة الطبع عنده ، وأن تعمل على علاجها وإزالتها

إن الطفل يبغي من وراء حدة طبعه وعنفه أن يشد الانتباه إليه ، ويجذب الأنظار نحوه ، ويسبب الأذى والمضايقة لأبويه ، ويبذر فيهما بذور القلق ، ثم الاهتمام بأمره والانتباه لرغباته ، فيفرض إرادته عليهما ، وينال منهما ما يرغب ويريد ، ولذلك فإن أول ما ينبغي على الأم أن تفعله هو أن تتجاهل حدة طبعه ، وتغض النظر عن شراسته وعنفه ، وتقابل ثورته بصبر وهدوء ، فلا تزجره أو تعاقبه ، ولا تلقي لتصرفاته العنيفة بالا ، ولا تظهر على وجهها علامات الغضب أو الأسف ، أو الاشمئزاز أو النفور ، وأفضل ما تفعله هو أن تخرج من الغرفة ، وتغلق الباب خلفها بهدوء وسكينة ، وتترك الطفل في ثورته يبكي ويضرب بيديه ، ويرفس برجليه ، ويأتي بما يشاء من حركات العنف والشدة ، وذلك أن أشد ما يكون على الطفل أن تتجاهل أمه عنفه وشراسته ، ولا يؤلمه شيء كما يؤلمه عدم اهتمام أمه به وهو يبكي ويصرخ بعنف وشدة

ثم إن على الأم أن تدرس حالتها وحالة الأب ، وهل في تصرفاتهما أو سلوكهما مع طفلهما ما يؤثر على نفسية الطفل وسلوكه ، كالتدليل الكثير والتسامح المتمادي ، وتلبية رغبات الطفل جزافا وإسرافا ، أو كالصرامة والشدة ، وما تسببه هذه الحالة وتلك من توتر نفسي ، وقلق ، وحرمان عاطفي ، للطفل

ومن ناحية أخرى ينبغي أن تراعي الأم حالة التغذية عند الطفل ، وتلاحظ أوقات تناول الطعام التي لا ينبغي أن تكون متباعدة عن بعضها إلى حد شعور الطفل بالجوع بعض الوقت ، ذلك أن نقص السكر في الدم الناتج عن سوء التغذية أو قلته قد يكون سببا من أسباب حدة الطبع ، ولا سيما إذا كانت أوقات تناول الطعام متباعدة عن بعضها بصورة غير معقولة ، ويجب أن تراعي الأم ذلك عند عودة طفلها من المدرسة جائعا ، فقد يكون حاد الطبع متبرما بسبب الجوع ونقص السكر في الدم ، إذ يجب عليها أن تسرع بتقديم وجبة الغذاء لطفلها ، حيث يصبح بعد تناول غذائه هادئا في تصرفاته ، قرير العين ، سويا في سلوكه □

■ المرأة تضحك عندما تقدر ، وتبكي عندما تريد . **(مثل روسي)**

■ قتل فتى شجاع في حرب ، فدخل المأمون على أمه معزيا بقوله : لا تجزعي يا أماه ، فإني ابنك بعد ابنك ، فأجابته « كيف لا أجزع على ابن أكسبني ابنا مثلك » .

■ قطاع الطرق يسألونك عن كيس نقودك أو حياتك ، لكن النساء يطلبن الاثنين ! **(صموئيل بتلر)**

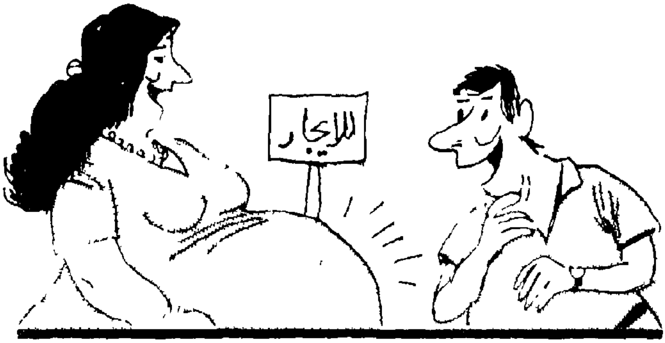

أمهات للإيجار!

بقلم : الدكتور غسان حتاحت

« خلف كل شيء جميل هناك قبح ما ، ويختبئ في كل اكتشاف علمي جانب غير أخلاقي ، وهذه قضية تشغل بال أساتذة القانون والاجتماع والطب ، فجرها كشف علمي هز الدنيا ، وقبل أن يصبح هذا الكشف متاحا لكل البشر ، بدأ الاستغلال غير الأخلاقي له »

في عام ١٩٧٨ أنجز الطبيب المولد الإنجليزي باتريك ستبتو تقدما طبيا رائعا ، استفاد فيه من معطيات التقنية الحديثة ، فجدد الأمل في قلوب آلاف من الأمهات العقيمات ، إذ استخرج هذا الطبيب بويضة من مبيض امرأة عاقر (هي ليسلي براون) ، ثم لقحها في أنبوب اختبار بنطفة من زوجها (جلبرت جون براون) ، وبعد ذلك زرع البويضة الملقحة في رحم الأم التي استمر حملها طبيعيا ، وولدت أول طفلة أنبوب اختبار (كما أطلق عليها فيما بعد)

ولقد فتح هذا الأمر باب الأمل واسعا أمام النساء اللاتي لديهن ما يسمى بانسداد بوقي (فالوب) ، حيث أن البويضة التي تنشأ من المبيض لا تستطيع أن تصل إلى الرحم حيث يتم التلقيح ، لأن بوقي أو

أسوني (فالوب) اللذين يصلان بين المبيضين والرحم مسدودان ، وكأن ما قام به باتريك ستبتو هو تجاوز هذه العقبة ، وهو أمر ليس يسيرا

ولقد كان التخوف من أن يساء استعمال هذا التقدم الطبي قائما منذ البداية ، إذ خشي كثيرون أن يصبح هذا التطور وسيلة استغلال ، غايتها الربح الحرام ، وحمي المال

ولقد بدأ ذلك الاستغلال ـ أول ما بدأ ـ عندما باع السيد جلبرت جون براون وزوجته ليسلي حقوق نشر أخبارهما إلى جريدة ديلي ميل البريطانية بمبلغ قدره (٥٦٥٠٠٠) دولار

لكن ما أيسر ذلك الاستغلال إذا قارناه بما تلاه ، ففي محاكم نيوجرسي تعرض الآن قضية حضانة طفلة عمرها تسعة أشهر ونصف ، كانت والدتها السيدة ماري بث وايتهيد ـ قبل قرابة عام من ذلك ـ قد وقعت على عقد ، وافقت فيه أن تكون أما بديلة تحمل طفلا لحساب الزوجين وليام واليزابت ستيرن

وقد لقحت الأم تلقيحا اصطناعيا ، بحقنها بنطف من السيد وليام ستيرن ، على أن تسلم محصول الحمل بعد الولادة إلى الزوجين ، وبعد تمام الحمل وضعت هذه الأم طفلة اسمتها سارة ، وعز عليها أن تسلمها إلى الزوجين المتعاقدين ، وقررت الاحتفاظ بها ، وأصر آل ستيرن على الحصول على هذه الطفلة التي سموها ميليسا ، واحتار القاضي هاري سوركو كيف يحكم في هذه القضية ، إذ لا يوجد في القانون وسالف الدعاوى سوابق مماثلة ، يمكن أن يسترشد بها

فإذا اعتبر القاضي هذا الموضوع خلافا حول عقد قانوني ، فالعقد ساري المفعول ، والطفلة حق آل ستيرن ، أما إذا اعتبر الأمر موضوع حضانة الطفلة ، فهنا يجب النظر لمصلحة الطفلة نفسها ، وعادة يكون الحكم في هذه القضايا لصالح الأم ، وهي هنا السيدة ماري بث وايتهيد ، لكن الطفلة ميليسا في الوقت نفسه قضت معظم أيامها مع آل ستيرن ، فحق لهم أيضا شيء من الترجيح في أمر الحضانة

هل تصبح تجارة

إن حضانة هذه الطفلة ليست هي الأمر الأكثر أهمية عندما نقارنها مع المشكلة التي تطرح ، وهي أليس من المحتمل أن تصبح تجارة الأطفال هذه شائعة مبذولة ، فيستطيع كل زوجين عقيمين أن يستأجرا رحم امرأة ما ، كي تحمل طفلا لهما ، مقابل مبلغ من المال ، خاصة بعد نجاح طريقة ستبتو ؟ وحتى لو اعتبر هذا الأمر غير قانوني ، وغير شرعي فإنه سينتقل دون شك من العلانية إلى الخفاء ، لكنه سيبقى كابوسا يهدد الأسرة والمجتمع

ونعود إلى بداية القضية عندما تعاقد وليام ستيرن ـ وعمره ٤٠ سنة ، وهو باحث في الكيمياء الحيوية ، وزوجته اليزابيت ، وعمرها ٤١ سنة ، وهي طبيبة أطفال ـ مع السيدة ماري بث وايتهيد عام ١٩٨٥ على أن تحمل الأخيرة بإخصاب اصطناعي طفلا لحسابهما ، وقد كان لقاؤهم بمركز العقم في نيويورك ، وهو جمعية غايتها الربح ، وقد اختار آل ستيرن السيدة وايتهيد بعد مقابلتهم لما يقرب من ٣٠٠ مرشحة ، وقد رفض الزوجان أكثرهن لأنهن يدخن أو يشربن الخمور أو يستعملن المخدرات

وبدت لهما السيدة وايتهيد مثالية ، فهي زوجة ، ولها طفلان في سن الدراسة المدرسية ، وهي ترغب في أن تكون أما بديلة ولا تريد مزيدا من الأطفال ، ولذا وقعت وزوجها عقداً يتعهدان فيه بتسليم

محصول الحمل بعد الولادة إلى آل ستيرن ، على أن يدفع آل ستيرن مبلغ (١٠٠٠٠ دولار) لوايتهيد ، إضافة إلى النفقات الطبية ، ومبلغ (١٠٠٠٠ دولار) أخرى لمركز العقم

وبعد الولادة رفضت وايتهيد تنفيذ العقد ، وتركت حقها في المال ، وأبت التخلي عن طفلتها الوليدة ، وأخذتها إلى بيتها ، فجاء آل ستيرن بعد ثلاثة أيام بمرافقة رجال الشرطة وأخذوا الطفلة عنوة ، وبدأت المشاكل بين المتعاقدين

وقد أصدر القاضي هارفي سوركو حكمه في البداية بصورة مؤقتة بأن الحضانة لآل ستيرن ، وأن من حق الأم أن ترى طفلتها مرتين كل أسبوع في مكان محايد ، ريثما يصدر الحكم النهائي الذي عليه أن يحل المعضلة ، فيحكم هل الطفلة للأب الذي قدم النطفة ، أم للأم التي قدمت البويضة ، وحملت الطفلة تسعة أشهر (وهنا على وهن)

ولا شك أن الأمهات البديلات معروفات منذ القديم بشكل أو بآخر ، إذ نجد لهن ذكرا في الكتب السماوية ، فالسيدة سارة زوجة ابراهيم عليه السلام عندما عجزت عن الانجاب ، وغدت عجوزا عقيما ، قدمت جاريتها هاجر لسيدنا ابراهيم فحملت الأخيرة باسماعيل عليه السلام ، وقد نشأت عن ذلك مشاكل فيما بعد ، أدت إلى أن يسكن ابراهيم هاجر وابنها (بواد غير ذي زرع عند بيت الله المحرم) ، وبقية القصة معروفة مشهورة

أما الأمهات البديلات بوضعهن الجديد حيث يتم الاخصاب الاصطناعي ، أو يتم زرع البويضة الملقحة حسب طريقة ستبتو ، فتقدم الأم البديلة الرحم فقط ، بينما يقدم الزوجان البويضة والنطفة ، وهو أمر حديث

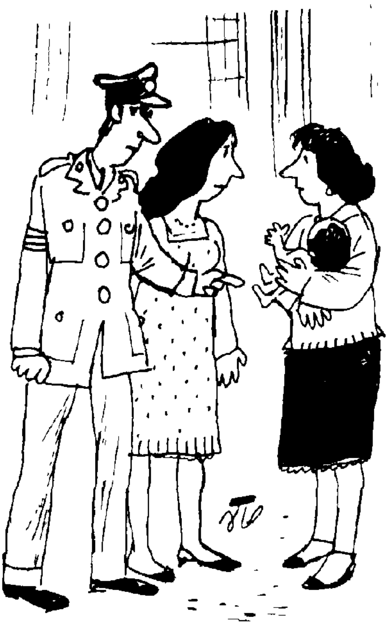

يقول المحامي نويل كين ، وهو المشرف على المركز الذي جمع آل ستيرن بوايتهيد « إن هنالك الآلاف من الذين يرغبون بالاستفادة من هذا الأمر ، ومنهم الأمهات البديلات ، وقد حصل حتى الآن في الولايات المتحدة ما يزيد على ٥٠٠ حالة ، منها ٦٥ حالة في السنة الماضية فقط ، وهناك على الأقل عشرة مراكز للأمهات البديلات » ، وإذا عرفنا أن نسبة ١٥ / من الأزواج يمكن اعتبارهم عقيمين عرفنا كيف سيسير الحمل عن طريق الأمهات البديلات في طريق الازدياد والشيوع

سوق لسلع لاتباع

ويرى بعضهم أن تشريع قوانين تنظم هذا الأمر هو اعتراف بشرعيته ، وإقرار بقبوله ، مما يشجع الناس عليه ، فتفتح سوق جديدة لبيع الأطفال

وغني عن البيان أن الشرائع السماوية كلها ـ وعلى رأسها الدين الاسلامي الحنيف ـ تحرم ذلك ، بل إن الدين الاسلامي العظيم يحرم حتى ادعاء الأطفال عن طريق التبني

فالاطفال ليسوا بضاعة ولا تجارة ، ولا يحق لأب أو أم أن يبيعا أطفالهما ، لكن ما يخشى منه أن تصبح الأمهات البديلات تجارة رابحة محرمة ، وأن تصبح أرحام الفقيرات الأمريكيات ، أو بعض نساء العالم الثالث بضاعة تستأجر ، وحواضن لأطفال الموسرين الذين لا يودون أن يزعجوا أنفسهم بالحمل ومشاكله وبخاصة بعد أن جاء ستنو بطريقته الفذة

تقول اليزابيت كاين ، وهي أم بديلة : لابد من اعطاء الخيار للأم التي حملت الطفل ، فإذا أرادته فهو لها ، وإذا سلمته فإن الواجب أن تساعد في التغلب على مشاكلها النفسية ، دون أن تترك وحيدة ، فأثناء الحمل يكون الزوجان المتعاقدان ودودين مجاملين ، أما بعد الولادة فإنهما يتجاهلان الأم البديلة تماما في إهمال معيب ، ونجد أن العقود الحالية للأمهات البديلات لاتعطيهن أي حق ، بل تحرم عليهن كثيرا من الأمور ، كالتدخين وشرب الخمر ، وحتى أن يجامعهن أزواجهن في فترة الاخصاب الصناعي ، بينما تسلم الأم البديلة طفلها لعائلة لا تعلم عنها شيئا

إن العواطف في قضية الطفلة (سارة ـ ميليسا) فيمكن أن تنقسم مع هذا الفريق أو ذاك ، لكن الطفلة نفسها لا تنقسم ، بل ان هذه الطفلة ـ على الاغلب ـ سوف تبلغ عامها الأول ، ولما يصدر الحكم بعد ، ولما تستقر على اسم ، ولما تستقر في بيت

وهكذا يخلق التقدم الطبي أحيانا مشاكل ، ويعجز عن إيجاد حلول لها ، لكن الناس هم الذين يحملون الأطفال وبالتالي عليهم أن يتحملوا نتائج ذلك □

■ قيل إن أحد رجال الأعمال الفرنسيين ترك مبلغا يساوي مائة وعشرين ألف جنيه للمرأة التي رفضت مرتين عرضه الزواج بها ، وجاء في وصيته : إنني أترك لها هذا المبلغ اعترافا بجميلها ، فبسببها تهيأ لي أن أعيش حياة (عزوبة) هنيئة ، منطلقة ، خالية من المشاكل ، مما سهل لي النجاح في الحياة

■ ضرب رجل ، وطولب بمال فلم يسمح به ، فأخذ ابنه وضرب ، فجزع ، فقيل له في ذلك ، فقال : ضرب جلدي فصبرت ، وضرب كبدي فلم أصبر

■ لما بشر الحسن البصري بمولود له قال : لا مرحبا بمن إن كنت غنيا أذهلني ، وإن كنت فقيرا اتعبني

العربي - العدد ٣٤٦ - سبتمبر ١٩٨٧

هو..

في بيتي

● يطلب مني المستحيل ، ويضعني بين خيارين ، كلاهما مر حاولت أن أقول له أن مايريده فوق الطاقة ، ومناف لكل عرف وتقليد ، لكنه ركب رأسه وأصر

لي في الدنيا ثلاثة إخوة ، شاب في مقتبل العمر ، موظفان وطالب جامعة ، وأمي سيدة مسنة قعيدة ولأننا فتحنا أعيننا على الدنيا ولم نجد حولنا أحدا ، فقد توثق ترابطنا بعضنا ، وأصبح كل منا للآخر أكثر من أخ وصديق

وبعد زواجي صار بيتي هو ملتقى إخوتي ، فيه يتجمعون ويلتقون ، وحمدت لهم حرصهم على السؤال عني ، وشجعتهم على المجيء عندي ، لأنهم أكثر قابلية للتحرك مني ، ولايعانون مثلي مشقة الانتقال لو أردت أن أذهب إليهم ، فكيف أنتقل أو أحمل طفلتي ، وأترك البيت إلخ ؟

وفي البداية كان زوجي يسعد بهم يجلسون معا ، ويشاهدون التلفاز ، أو يلعبون النرد ، وتدور بينهم مسابقات في النرد ، يخوضونها بحماس ، ويقضون بها أمسياتهم

كنت أسعد الناس بهذا ، إلى أن بدأ زوجي يتململ ، ويضيق ، وكنت أرجع الأمر في البداية إلى أنه يمر بظروف انعكست على بيته وعلاقاته العائلية ، وعندما طال الأمر فاتحته في بوادر الضيق التي تبدو عليه ، فانتقل من التلميح إلى التصريح ، فآثرت أن أتفادى المواجهة ، وأتجاهل الأمر كله ، لكن بدلا من أن يرجع عن ضيقه بدأ يطاردني بضرورة التخلص من إخوتي !! وأن زيارتهم كل أسبوع كافية ، وأنهم بذلك قد أقحموا أنفسهم في حياته ، وأنه لم يتزوجني وحدي ، لكنه بهذا الشكل ـ هكذا يقول ـ قد تزوج إخوتي معي قلت له إني لا أستطيع أن أمنع إخوتي من المجيء ، ولا أستطيع أن ألمح لهم بذلك ، ولا أن أقابلهم بشكل يفهمون منه أن زوجي يضيق بهم

وحاولت معه كثيرا قلت له تحملهم من أجلي ، وأحسن صحبتهم إكراما لي لكنه ركب رأسه وأصر قائلا بأن الزيارات العائلية يوم واحد في الأسبوع ، وبالتبادل ، يجيئون هم أسبوعا ، ونذهب نحن إليهم أسبوعاً آخر أصبحت بين المطرقة والسندان ، وحيرتي وخجلي يلفان أيامي كلها ، فطوال حياتي لم أسمع أن أختا طلبت من إخوتها ألا يزوروها في بيتها

هي

هى.. والعائلة

هساك فروق دقيقة بين الأشياء ، وأحطر مايمكن أن يصيبا هو أن نتحاور الفروق ، أو أعيسا عنها ، فعندئذ تختلط الأشياء ات والمواقف ، ويصعب علينا التفرقة بين صواب في إطار ما ، وماهو خطأ إذا ما ما نفس المعيار

ما تروجنا كنت أعلم مدى ارتباط الاخوة م ، وكنت أعلم حالة أم زوجتي ، ويشهد الله مع زوجتي يوما عن الدهاب لأمها ، لرعايتها ة شئون إخوتها ، لكن زوجتي حتى قبل أن طفلتنا الوحيدة استسهلت الاستقرار في ، وأن يأتي إخوتها لزيارتها

يكن لدي أدنى اعتراض على هدا ، بل س كنت أرحب بهم وأسعد ، وفي ظني أن م هو من قبيل الزيارة ، لكن مع الوقت الفروق ، وتاهت وأصبحت الزيارة إقامة ون من أعمالهم فيجيئون إلى البيت ظهرا ، ون طعام الغداء ، ثم يهجعون في نومة ، وعندما يستيقظون عصرا يتحول البيت إلى أصدقاؤهم يأتون للسؤال عنهم ، وزيارتهم وصغيرهم يحتل غرفة الاستقبال للمذاكرة ، لطلبات ، شاي وقهوة ومرطبات ونقاشات ، إلخ

، الليل علينا ، فيكتشفون أن الوقت قد تأخر ، فيبيتون معا ، ويجيء صباح جديد بنفس الأحداث ومع الوقت صار لهم ركن مخصص لملابسهم في خزائن ثيابنا ، وعند الضرورة يستعيرون ملابسي ، وصارت غرفة الاستقبال مكان نومي ، على الأرائك وعلى الأرض توضع « حشية » ووسادة للنوم الدائم حتى الحوار على ندرته عندما يحدث بيني وبين زوجتي يتدخلون دوما لصالح شقيقتهم ، ويبدو أن هذه اللعبة قد راقت لزوجتي ، فصار لايحلو لها أن تطلب شيئا إلا أمام أشقائها ، وأجد نفسي في حرج من لايستطيع الرفض وتحولت الحياة إلى جحيم ، وأصبح البيت كأنه فندق من فنادق الدرجة الثالثة ، وأصبح إخوتها يشاركونني في كل شيء ، حتى سريري في غرفة نومي كثيرا ما أعود ظهرا لأجد أحدهم نائما فيه ، وعلي أن أختار بين النوم بجواره أو عدم النوم وعند هذا الحد قلت لزوجتي أهلك فوق رأسي ، لكن كضيوف ، وليسوا كمقيمين ، وعلينا أن نحدد الفارق بين معاملتهم كضيوف وبين تواجدهم الدائم بيننا

وصمتت ، في البداية تصورت أنني مع الوقت سأتغاضى عن الأمر ، وتستمر الحياة بحكم العادة ، لكن عندما أصبح الأمر فوق الاحتمال قلت لها اطلبي منهم المغادرة فورا ، وأن يقتصر مجيئهم على يوم الخميس مساء كل أسبوع ، والأسبوع التالي نذهب إليهم .

هـو

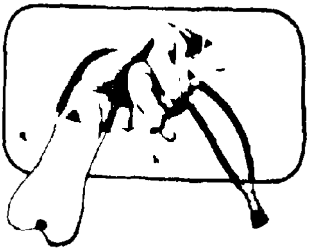

الأسرة

الدكتور حسن فريد أبو غزالة

قضايا منزلية

غليان الحليب

لسنا في مقام الحديث عن قيمة الحليب غذائيا، ولا عن موقعه بين عناصر التغذية الصحية، فقد تحاور المختصون حدود هذه القضية، وانتهوا إلى شبه اتفاق باعتبار الحليب غذاء شبه متكامل، ولو اضيفت إلى كوب الحليب بضع تمرات - كما كان يفعل العرب القدامى في بواديهم - لارتقينا به إلى مرتبة الغذاء الكامل المتكامل، حيث ان ماينقص الحليب من العناصر كأملاح الحديد أو بعض الفيتامينات سنجده بوفرة في تركيب التمر، وهكذا وصل العرب القدامى بعفويتهم إلى حقيقة علمية، وقفت سدا منيعا أمام المرض والوباء، وحالت بينه وبين أن يتسرب إلى بواديهم، لهذا لم نعهد مرضا قد استشرى بين العرب في جاهليتهم، ولم نسمع عن وباء قد تسلل إلى قبائلهم

بيد أن الحليب كغذاء شبه متكامل ليس حكرا على الانسان، بل هو مشاع بين المخلوقات، لهذا تجد الميكروبات والجراثيم فيه مرتعا خصبا، تنمو عليه، وتتكاثر فيه، ومن ثم كان ذلك الوجه الكريه للحليب الملوث، المتمثل في أمراض شتى، يطول تعدادها، وقد يكون من أبرزها السل والتيفود والحمى المالطية (البروسيلا) والتسمم الغذائي، إلخ

لكن الله ساق للانسان اكتشاف النار، ثم عرف درب تعقيم الحليب بالغليان، ولا جدال حول قيمة غليان الحليب في توفير حليب آمن من التلوث والضرر، غير أن السؤال الأهم هو هل نحن حقا نغلي الحليب؟ وهل غليان الحليب بلا ثمن أو ضريبة؟

من الملاحظ أن هناك قناعة سائدة بين الناس مؤداها أن فوران الحليب هو غليانه، وهذا خطأ شائع، عند ممارسة الناس لغليان الحليب، حيث أن فوران الحليب يتم عند درجات متدنية من الحرارة، تتراوح بين ٧٠ إلى ٨٠ درجة مئوية، بسبب تصاعد فقاعات هوائية مغلفة بغشاء رقيق من الدهن والزلال، أما الغليان الحقيقي فعلى درجة حرارة تتعدى مائة درجة مئوية بقليل، ولهذا فلا أحد يضمن تعقيم الحليب على وجه مرض ومقنع، يكون معه الحليب آمنا خاليا من الميكروبات الضارة الضارية، وهناك عصبة من الميكروبات تصمد أمام

درجات الحرارة العالية ، لا تموت إلا بعد طول غليان ، وهذا المطلب له ثمن يدفعه من قيمة الحليب الغذائية ، ومن صفاء لونه ، وطعمه ورائحته ، وهذا ما يمكن إيجازه على الوجه التالي -

١ - اصفرار لون الحليب إذ يتغير اللون الأبيض المعتاد للحليب إلى لون أصفر فاتح ، بسبب احتراق سكريات الحليب المعروفة باسم اللاكتوز (أو سكر الحليب) ، وهي عملية تعرف في أوساط صناعة الحليب بالكرملة

هذا بالاضافة إلى تحول زلال الحليب المعروف بالكازين إلى هيوين ذات لون مائل إلى الصفرة

٢ - تغير طعم الحليب بعد الغليان يصبح للحليب طعم مميز عن طعم الحليب الطازج ، وسبب هذا الأمر هو (كرملة اللاكتوز) أولا ، وتحول دهنيات الحليب بعد تسخينه إلى مادة تعرف باسم (الاكرولين)

٣ - رائحة الحليب المغلي يتميز الحليب المغلي برائحة خاصة ، تعزى إلى تصاعد أحماض دهنية طيارة من الحليب في أثناء تسخينه ، وإلى رائحة أبخرة الكبريت المستمدة من بعض زلاليات الحليب

٤ - ترسب زلاليات الحليب يشتهر الحليب بزلاله ذي الأحماض الأمينية الأساسية النافعة للجسم ، لكن حرارة الغليان تعمل على ترسيب هذه الزلاليات في قاع الاناء

٥ - تلف الكالسيوم لا طعام أشهر من الحليب في محتواه من الكالسيوم سهل الامتصاص ، غير أن حرارة الغليان تحيل مركبات الكالسيوم هذه إلى تركيب عسر الهضم ، يعرف باسم (ثلاثي فوسفات الكالسيوم) ، مما يفقد الحليب أهم مزاياه ، وهو وفرة الكالسيوم

٦ - تبديد الفيتامينات إن أهم ما يحتويه الحليب من فيتامينات عندما يكون طازجا فيتامينا أ و ج ، فالأول منهما يتأثر مع الحرارة بأكسجين الهواء ، وهو ما ما يعرف بالأكسدة ، كما يتأثر الثاني ويتلف بالحرارة

وعلى هذا يمكن القول ان غلي الحليب ليس هو الحل الأمثل ، ولا الجواب النهائي لقضية تلوث الحليب ، ومن هنا كان الطريق واسعا أمام العالم الفرنسي لويس باستير ليسير على درب جديد عرف باسمه وهو (بسْترة) الحليب

بريد طبيب الأسرة

أسباب الزكام

● ما هو سبب الزكام وما هو سر الاصابة به في فصل الشتاء على وجه الخصوص ؟

(   )

- الزكام مرض سببه فيروس معين ، قد تصل أنواعه الى مائة ، ومن هنا يسهل تكرار العدوى ، دون أن يكتسب الانسانُ مناعة ، ويصيب هذا الفيروس منطقة الجهاز التنفسي العلوي ، وهو سهل العدوى في كل فصول السنة ، لكنه يشيع في فصل الشتاء والربيع ، نظرا لطبيعة الزحام ، وحصر الناس داخل غرف مقفلة ، في مجموعات كبيرة ، تعطي الفرصة للفيروسات أن تنتقل من المصاب الى السليم ، عن طريق التنفس ، والرذاذ ، وتقلب الانسان بين الغرف الدافئة والجو الخارجي البارد فجأة ، مما يؤثر على مناعة الغشاء المخاطي للأنف والحلق والقصبة الهوائية

علاج لسقوط الشعر

● منذ سنوات طرحت احدى شركات الادوية عقارا لعلاج ضغط الدم المرتفع تحت اسم مينوكسديل ، غير أن التجربة اظهرت لهذا العقار آثاراً جانبية اهمها ظهور شعر كثيف على البدن في مواضع شتى

لهذا فقد قام طبيب بتحضير دهان من مسحوق هذا العقار يستعمل موضعيا حين يكون هناك سقوط للشعر او ضعف فيه ، انتهت تجربة الطبيب حيث توقع ، اذ نبت الشعر في المواقع التي استعمل فيها الدواء موضعيا مما شجع الشركة المنتجة ان تتجه بعقارها الى استعماله في انبات الشعر وايقافه في علاج ضغط الدم المرتفع

لقد وضعوا العقار تحت التجربة والاختبار فاثبت نجاحه وفعاليته بنسبة كبيرة قد تصل الى ٧٩ بالمئة لهذا فقد طرحوه في السوق التجاري بعد موافقة الجهات الصحية المختصة بمراقبة الادوية والعقاقير وقد وصل الى بعض الأقطار العربية تحت اسم ريجين Regain وقد يلفظه البعض باسم ريجان على سبيل الخطأ في اللفظ

اذن لانملك الا ان نقول لك اصبر وماصبرك الا بالله مع التأكيد بأن الصلع ليس بالعيب الذي تتوهمه ، بل هو ميزة يعتبره البعض احدى علامات الذكاء

الثعلبـــة

● هل لي أن أعرف ماهي الثعلبة ، وماهي أسبابها وعلاجها ؟

ش ش ش - ســوريا

- الثعلبة هي اصطلاح لسقوط الشعر الموضعي بسبب ما ، وغالبا ما يكون ذلك السبب مجهولا ، وقد يعزى لأسباب نفسية كامنة

يداهم المرض مواضع في الجلد غير محددة ، تكون غالبا في منطقة اللحية عند الرجال ، أو في منطقة فروة الرأس ، وتظهر فجأة دون مقدمات ، أو يلاحظها المصاب فجأة ، وتدوم أياما أو شهورا لا يمكن التنبؤ بها ، وقد تختفي تلقائيا كما ظهرت ، بمعنى أن الشعر سوف ينبت دون سبب أو مبرر ، وهذا هو حال ما يقدر بخمسين بالمئة من الحالات

وقد يستعمل بعضهم مهيجات موضعية للجلد ، مثل صبغة اليود ، وبعضهم قد يستعمل فصوص الثوم ، يدلك بها الموضع المصاب ، أو ربما حكه بقطعة من الصوف بين حين وآخر

وقد سمي هذا المرض بالثعلبة ، لأن الثعالب تصاب به - كما قيل - من جراء حك جلدها في حقول القمح ، مما يسبب تساقط شعر فروتها

على أي حال فالمرض لا يحمل أي خطورة على صاحبه ، ولا يؤدي إلى أي اختلال في وظائف الجسم ، أو يسبب للمريض أي معاناة أو ألم أو مضاعفات تستحق القلق

الانسكاب البللوري

● أعاني منذ فترة طويلة من انسكاب جنب دري أيسر أي اصابة الغشاء المغلف للرئتين بسبب مرض السل ولست ادري كيف أصبت به ولاكيف اتصرف معه .

هل لكم أن تذكروا شيئا عن هذا المرض ولكم وافر شكري

جميل صرفه

ميسلون - ادلب - سوريا

أي مرض يداهم الرئتين قد يتفاقم ليصيب الغشاء

المغلف للرئتين المعروف باسم الحنبة فيؤدي الى مضاعفات تعرف باسم ذات الحنب

والحنبة هي مايعرف باسم الغشاء البللوري والغشاء ذو طبقتين بيهما سائل رقيق يغلف الرئتين ، وعندما يصاب هذا الغشاء يزداد ارتشاح السائل ، ويمتلىء الفراغ بين الغشائين مما يضغط على الرئتين ، ويمنع حركتهما ، وبالتالي يؤدي الى صيق التنفس .

ومن المألوف أن يصاحب هذا الانسكاب او الارتشاح اصابة درنية للرئة واذا كانت متطرفة في نسيج الرئة فانها تسمح بتسرب العدوى الى غشاء الحنبة وتؤدي الى تهيج الغشاء وزيادة افراز السائل مما يعرف في الطب بذات الحنب يشعر معها المريض بألم حاد وخاصة عند التنفس

ان علاج هده الحال يتطلب بزل السائل بابرة حاصة ، وتوفير الراحة للرئتين مع اعطاء المريض العقاقير المناسبة لعلاج الدرن ، وافصلها ماحرى اختباره على مزرعة للميكروبات ، تؤخد من عينة من المريض مع موالاة مراقبته سريريا ومخبريا بمحص البصاق وسرعة ترسيب الدم ، واستزراع افرازات المريض من موصع الاصابة

النقـــرس

● أرجو التكرم بإلقاء الصوء على مرض القرس ، وعلى أسبابه ، وعلاحه ، ونظام التعدية للمصاب به ؟

السعيد صلاح محمد ـ كفر الشيخ ـ مصر

ـ النقرس مرض مرمن من أمراض المفاصل ، عرفه العرب قديما باسم مرض الملوك ، لقناعتهم أن الاسراف في أكل اللحوم هو سبب الاصابة به ، وهو أمر من أمور الملوك والأمراء والأغنياء ولقد كشف الطب الحديث سبب المرض ، حيث لوحظ ارتباط المرض بارتفاع أملاح حامض البوليك في الدم ، مما يؤدي إلى ترسبها في المفاصل ، وبخاصة في إبهام القدم ، غير أن بعض المرضى قد يعاني من الألم الشديد الذي يداهم صاحبه عقب وجبة دسمة ، أو الاسراف في شرب الخمر ، حيث يتورم المفصل المصاب ، ويصير لونه أحمر ، بالاضافة إلى الألم الشديد ، ومع هذا فإن نسبة أملاح حامض البوليك قد تكون في الحدود الطبيعية في الدم ، كما قد ترتفع أملاح حامض البوليك ارتفاعا حادا دون أي معاناة

ويعتقد الأطباء أن المرض يعود إلى خلل في التمثيل الغدائي لبعض أنواع البروتينات التي تكثر في لحوم الأعصاء ، كالقلب والكبد والكلى وما إلى دلك ، غير أن تمثيلها لا يتم على الوجه الأكمل ، فيتخلف عنها أملاح البوليك التي تزيد في الدم ، ومن ثم تترسب في المفاصل على نحو ما ذكرنا

هناك علاجات كثيرة تعمل على خفض نسبة الأملاح في الدم والمفاصل ، غير أن النصيحة دائما هي بالامتناع عن المواد الغنية بالأحماض الأمينية التي تؤدي إلى ترسبات أملاح حامض البوليك ، وهده متوافرة في لحوم الأعضاء التي ذكرناها لهذا ننصح بالاقلال من اللحوم بصفة عامة

ردود سريعة

* الآنسة ن ع ب ـ المنصورة .

ـ لماذا لا تستشيرين اختصاصيا في أمراض النساء للكشف الطبي والنصيحة المثلى ، فهو المختص ، وهو أعلم بالأمر وأصدق في إسداء النصح السليم .

* ع س ـ دمشق

ـ من الأفضل مراجعة طبيب مختص في الأنف والأدن ، فربما احتجت إلى كي الأنف ، بسبب وجود منطقة هشة من الأوعية الدموية

العربي ـ العدد ٣٤٦ ـ سبتمبر ١٩٨٧

مساحة ود..

زهرة إليها

رقيقة كقطرة ندى ، ناعمة كزهرة ، حنونة كأم كانت أصغر إخوتها وهي أم لطفلين مازالا في زمن البراءة ، عمرها لم يتجاوز الثلاثين لايذكر أحد لها طوال هذا العمر أنها اختلفت معه ، أو تشاجرت ، أو تشاحنت ، حتى مشاحنات الأطفال وشجارهم لايذكر لها إخوتها يوما أنها فعلته ، وحتى حزنها أو غضبها كان رزينا رقيقا ، فقد كانت تنزوي في جانب من البيت ، وتلمع عيناها بالدمع ، وتلوذ بالصمت وعندما حملها الزمن في بحاره وصارت فتاة ثم زوجة وأما ، كان الزمن يمر عليها فيفجر فيها كل يوم نبعا من الحنان والسكينة والرضى كانت لكل إخوتها الصدر والملاذ والصديق ، وكان بيتها واحة يحتمي فيها إخوتها من قسوة الزمن حينا ، ومن غضب بعضهم على بعض حينا آخر

وعاشت أحلام إخوتها كلهم ، وسعدت معهم ، وتعذبت ، وفرحت بهم ولهم وراح زمان وجاء زمان ، وبدأت تشكو من ألم هنا ، وألم هناك ، وعرفها المرض ، عوارض كثيرة أضفت على أيامها آلاما ، كانت تختزنها وحدها في صمت ، حتى ضاقت بها يوما ، وعجزت عن الاحتمال ، وذهبت إلى الطبيب ، فاكتشف أن الورم قد انتشر في جسدها الرقيق ، وأن الحل والعلاج لايمكن أن يتم دون استئصال بعض الأجزاء من جسدها ، ورقدت على فراشها بين حياة يرجوها لها كل أحبابها ، وموت يلقي بظله في نهاية الطريق ، وعرف إخوتها العذاب والألم والحزن ، وفقدت الحياة كل جمال فيها ، وحولها كانوا يتجمعون فيتسولون الضحكات كي لاتدرك حقيقة مرضها ، ويتصنعون شجاعة هي أبعد ما تكون عنهم ، وبعيدا عنها عرفت بيوتهم ساعات من البكاء الحار والدعاء والابتهال الى الله بأن يأخذ من أعمارهم ويقيها لحظة ألم

كنت أعرف واحدا من إخوتها . لقيته حين عرف الخبر ، وشهدت انفجاره بالبكاء ، وسمعت منه عن حزنه وإحساسه الهائل بعبث الحياة ، وبأننا جميعا تراب يمشي على تراب ، فقلت له لماذا تحزن عليها وحدها ووطننا العربي يمتلىء بأمهات وأشقاء وأبناء يتألمون كل يوم ، ويموتون كل يوم ، هذه ـ على الأقل ـ وجدت حولها من يشفق عليها ، ويمنحها علاجا يسكن آلامها ، أما غيرها فيموت من الألم والعذاب ولماذا تحزن عليها وحدها ، وكل ما في حياتنا يصيب بالحزن ، وكل ما هو عام مليء بالخيبات والهزائم ؟ لماذا يبقى عالمك الخاص بك وحدك مزدهرا بشيء جميل ؟ إن عذاباتها ياصديقي وأخي جزء من عذاباتنا جميعا ، وقصارى ما نفعله أن نرسل لها زهرة ، علها تبتسم ، وتسعد ، وتختفي من عينيها قطرات الدمع □

محمود عبد الوهاب

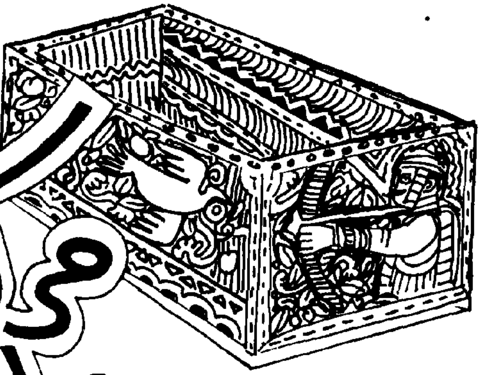

علب ملونة

قصة بقلم: جار النبي الحلو

أختي التي تكبرني لها لون وجهي القمحي، وصفات الشعر الخشن، وهي صموت، لا تبرح الدار تلبس فستانها ذا اللون الأصفر، وتلف وسطها النحيل بحزام أسود، ثم تخلعه وتجلس في حجرتها تنتحب في بكاء مكتوم

عندما سألتها ذات مرة لماذا لم تتزوجي يا أختي؟

ابتسمت وقالت إني أجهز أشيائي وأعدها.

ثم احتضنت صندوقها بيدين، في يد «ساعة» وفي يد «عويشة»

وصندوق أختي من المعدن اللامع، مرسوم عليه باللونين الأحمر والأزرق فارس وسهم، وحيوان كغزال بلون أبيض

وصندوق أختي غير كل الصناديق، فهو رقيق، وفخم، وله غطاء بدون قفل أو مفتاح تحمله دائما معها في حجرة النوم أو فوق السطح، وحين تساعد أمي في أعمال الدار تضعه على المنضدة، حيث فرشت المنضدة بمفرش أبيض مطرز بالورد الأحمر، والورد المنثور على المفرش كأنه قطف حالا من شجرة مزهرة

صندوق أختي به خيوط بيضاء وحمراء وزرقاء، وإبر طويلة وإبر قصيرة، وخيط رفيع، وخيط من «النيلون»، وكمية كبيرة من الخرز الملون الذي يبدو حين تراه كنجوم السماء

أختي التي تكبرني تصعد الى السطح عندما تكون الشمس في كبد السماء، وتقعد على كرسي، له ظهر مرتفع، وأمامها منضدة صغيرة مدورة، تضع فوقها الصندوق بلطف، ثم تأخذ في شغل رسومها، ومن الخرزات الملونة المثقوبة كحبات العقد تصنع حقيبة وسمكة وشمسا وفوق السطح يتجمع حولها البط والدجاج والأرانب لكنها لا ترسم أرنبا أو دجاجا أو بطا، فدهشت لذلك وسألتها لماذا **لا** ترسمين أرنبا وبطا ودجاجا؟

قالت وهي تنظر الى الشمس

إنهم معي، وأنا أرسم ما ليس في يدي، مثل السمكة، والنهر، والقمر، والنجمة تحت القمر

وسكتت، ولم تكمل

ورأيت الشمس تلمع في عينيها ، ورأيتها حلوة واستغربت لماذا لم تتزوج ، ولماذا لم نغن لها حتى الآن ؟ ولماذا لم تشتر أمي الحناء ؟ وجرت حبات الخرز الملونة بين أصابعها إلى خيوطها الرفيعة الطويلة

أختي رصعت جدران دارنا بخرزها ، حينما رسمت الهلال والسمك ، وحاولت أن أتعلم حرفة أختي ، لكنني لا أستطيع أن أمسك الخرزة الملونة الصغيرة ، لأدخل في ثقبها الإبرة الدقيقة ، لتنزلق الخرزة بسرعة إلى أخواتها ، فأصنع في النهاية حقيبة ملونة

وحاولت أن أعرف لماذا تحملق أختي في السقف بعينين دامعتين حتى أغط أنا في النوم

لكني هذه المرة نجحت ، فقد ظلت تحملق في السقف بعينين دامعتين حتى غطت هي في النوم ، وكانت تحتضن صندوقها ، فلما كاد أن يقع منها أمسكته برفق ، ثم وضعته أمامي ، وترددت قليلا ، ثم فتحته ، لمع الخرز ، وبهرني اللون الأزرق ، أختي تقول دائما إن اللون الأزرق أجمل الألوان ، وهي ترسم البحر والسماء وتلونهما به

حاذرت من الإبر حتى لا تؤذيني ، عندما داعبت أصابعي الخرزات الملونة كادت أن تشي بي ، وتوقظ أختي ، وبحرص أخرجت الهلال ، ثم وجدت مركبا ، وكانت المركب بنفسجية اللون ، وشراعها من خرز أحمر ، مثل حب الرمان ، لكن أختي لم تطلعني عليه من قبل

وقمت على مهل ، وعلقت الهلال على الحائط ، وتحته بمسافة علقت المركب ، وتحت المركب علقت عدة سمكات ذات ألوان حمراء وبيضاء وصفراء ، وسمكات اختلطت في خرزها كل الألوان ، ورجعت ، وجلست بجانب أختي النائمة ، وخيل إلي في هذه اللحظة أنها تبتسم وهي نائمة ، وجلست القرفصاء ، وأخذت أتأمل وضع الهلال والمركب والسمك

ودخلت أمي ، وأطفأت المصباح ، وخرج بوجه جامد وشفتين مزمومتين ، وغاصت الأشياء العتمة ، ثم لمع الهلال ، واشتعل الشراع احمرارا وببطء تحرك السمك ، وظللت أحدق وأحدق

وببطء أيضاً تحركت المركب ، ثم وقفت ، وهب ريح باردة ، فاهتز الشراع ، وتحركت المركب ومضت مسرعة ، وشراعها الأحمر القاني يش السماء ، ويمضي ، وابتلت المركب بالماء ومالت لكنها لم تنقلب ، لكنها بدون ربان أو ركاب وبدون مناديل تلوح بالوداع ، وبدون علم فو الصاري ، وليس بها غير لونين ، أحمر وبنفسجي ولكنها تشق البحر في ثقة ، والبحر يتفجر زر وفرحة ، وكلما سارت المركب تبعها الهلال ، وسب تحتها السمك ، لكن السمك الكبير لا يأكل السم الصغير ، حتى الطيور الجوارح في السماء لم تن تنقض على المركب ، بل لقد تركت العصافير بألوا الصفراء تلهو بأمان

ومضت المركب البنفسجية بعيدا ، حتى أصبح صغيرة صغيرة ، لكن الجبل الكبير نهض من بـ البحر فجأة ، ووقف أمام المركب ، فتوق السمك ، وأرعب الهلال ، واختفى خلف الجب الكبير ، فسادت الظلمة

وعندما كبر الهلال أصبح بدرا ، وظهرت المرك بلونيها البنفسجي والأحمر ، وعادت تكبر وتكبر وتراقص السمك حولها ، بل لقد طار السمك شدة السرور ، وفرحت الطيور وحطت فو الشراع

ولما اقتربت المركب أكثر تبينت أن الفارس الجم الوجه قادم على المركب ، ويحمل معه سهما لامعا فجريت إلى المركب ، فرأيتها محملة بكميات كبيرة الخرز الملون

ونهضت أختي فزعة من نومها ، فهمست لها لا تخافي يا أختي ، نامي ، لقد رأيته في مركب الخر الملون□

لغة

جمال العربية

بقلم : محمد خليفة التونسي

أسئلة وأجوبة

١ - إعراب قبل وبعد

ورد الينا السؤال التالي من السيدين/ غالب محمد غالب الحبشي، وأشرف عبد الله محمد (تعز/ الجمهورية العربية اليمنية)

نرجو توضيح أحوال «قبل وبعد» بالتفصيل، فقد سمعنا من بعض علمائنا هنا من يقول: «انهما مبنيان دائما على الضم» برغم ورودهما في القرآن الكريم تارة بالضم وتارة بالكسر.

والجواب: ورد هذان اللفظان في القرآن الكريم مرات بالضم وبالفتح وبالكسر. وأيا كان أصلهما من أقسام الكلام فانهما يستعملان ظرفين للزمان والمكان.

«قبل» تدل على أن شيئا سابق لآخر زمانا أو مكانا، و«بعد» تدل على أن شيئا تال لغيره زمانا أو مكانا، كما سيتضح من الأمثلة الآتية.

ثم ان اللفظين اضافيان أو نسبيان، فاذا سمعنا تساءل الذهن: قبل ماذا؟ أو بعد ماذا؟ أو «قبل من؟» أو «بعد من؟»، على ما يقتضي سياق الكلام، فالاضافة مراعاة في كلا الظرفين سواء ذكر المضاف اليه بعد كل منهما في الكلام أو لم يذكر.

١ - عند ذكر المضاف اليه بعد الظرف: يفتح الظرف كما في قوله تعالى: «قالت ياليتني مت قبل هذا، وكنتُ نسيا منسيا» وقوله: «والله أنزل من السماء ماءً، فأحيا به الأرض بعدَ موتها» واذا وقع الظرف بعد «من» فانه يكسر، كما في قوله تعالى «ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يُقضى اليك وحيُه» وقوله «وكم أهلكنا من القرون من بعدِ نوح»

٢ - وعند حذف المضاف اليه

أ - يجوز أن يلاحظ كأنه قائم وعندئذ يمتنع تنوين الظرف مراعاة لاضافته، فيفتح كما في قولنا: «حين سمعنا الأذان صلينا الفريضة، ولم نصلها قبلَ» أى قبل الأذان أو قبل سماعه، وكما في قولنا «حين نودي للرحيل رحلنا ولم نتأخر بعدَ» أى بعد النداء.

وكذلك يكسر بلا تنوين اذا وقع بعد «من» كما في

قولنا « عرفنا أخاك اليوم ، ولم نكن نعرفه من قبلِ » أي قبلِ اليوم ، وقولنا « تمت المراجعة الأخيرة للمقالة ، ولا عودة اليها من بعدِ » أي من المراجعة الأخيرة ويؤيد ذلك قراءة قرآنية ذكرها الفراء هي قول الله تعالى « لله الأمر من قبلِ ومن بعدِ » وقد عارضها بعض العلماء

ب ـ كما يجوز في هذه الحالة ضم الظرف دون تنوين ، سواء جاء بعد « من » أو بغيرها كما في قولنا « لم أركب الطائرة قبلُ وسأركبها بعدُ » وقولنا « لم أركب الطائرة من قبلُ ، وسأركبها من بعدُ » وتشهد لذلك قراءة لقوله تعالى « لله الأمر من قبلُ ومن بعدُ » وهي أشهر القراءات القرآنية

حـ ـ ويجوز اهمال المضاف اليه كأنه لم يكن البتة فينون الظرف لأنه غير مضاف ، وحينئذ يفتح كما في قول الشاعر (وهو من شواهد النحو)

وساغ لي الشراب ، وكنت قبلاً
أكاد أغص بالماء الفرات

أو يكسر مع تنوينه أيضا ، كما في احدى القراءات لقوله تعالى « لله الأمر من قبلٍ ومن بعدٍ »

٢ ـ كتابة الهمزة المتوسطة

في رسالة من السيد/ محمد المريني (الرباط/ المملكة المغربية) يشير الى كلمات وردت في بعض مقالات العربي وقد كتبت همزتُها على واو ، والكلمات هي « تقرؤه » وأقرؤها و « مبدؤها » كما يشير الى ورود كلمة « مئة » هكذا ، والمتعارف عليه ـ كما قال ـ ان تكتب هكذا (مائة) ثم يسأل عن الصواب في ذلك

ـ ليت أسلافنا اخترعوا حرفا خالصا لصوت همزة القطع ، اذن لأراحونا من الحيرة والاختلاف في رسمها حيث وقعت من الكلمة (أو شبهها) وقد كان الكاتب ولم يزل يحار في كتابة الهمزة المتوسطة

ويلاحظ أن الكلمات التي ذكرها الأخ قد لحق كل منها ضمير متصل ، فصار كأنه جزء من حروف الكلمة ولذلك عدت همزتها متوسطة ، وقبل التحاق الضمير المتصل بالكلمة كانت همزته تُكتب على ألف هكذا « تقرأ ، واقرأ ، ومبدأ » ولذلك يكتبها بعضهم على ألف حتى بعد أن يلحقها الضمير ، ولكن اعتداد همزتها متوسطة وكتابتها على هذه الطريقة أعون على قراءتها صحيحة مثل هذا مبدؤها ، عرفت مبدأها ، أعجبت بمبدئها ، وهكذا تكتب كل همزة متوسطة اذا وقعت بعد فتح ، فتكتب على الحرف المناسب لها ، فاذا كانت مفتوحة كتبت على ألف مثل « وأد » ، واذا كانت مضمومة كتبت على واو مثل لؤُم ، واذا كانت مكسورة كتبت على ياء (نبرة) ، ومن هنا يظهر صواب رسمها على واو في الكلمات الثلاثة المسئول عنها

ولكن يراعى حركة ما قبلها اذا كانت مفتوحة بعد ضم أو كسر ، فتكتب على واو اذا كان ما قبلها مضموما مثل سؤال ، وتكتب على ياء (نبرة) اذا كان ما قبلها مكسورا مثل مئة وفئة ، ومئين (تراجع مجلة العربي/ العدد ٢١٦ نوفمبر ١٩٧٦)

٣ ـ رجعة الى « الغير »

ويسأل السيد/ منيب الرشدان (دير أبي سعيد/ الاردن) عن استعمال كلمة « الغير » بالألف واللام ، ونود منه أن يراجع ما كتبناه عن ذلك في العدد ٣٠٩ (أغسطس سنة ١٩٨٤) ، وقد وضحنا هناك أن استعمال « الغير » جائز وأما العبارة التي يسأل عن صحتها وينسبها الى دكتور في احدى كليات الآداب الجامعية ـ وهي « على الطلاب الغير مكملين في اختباراتهم مراجعتي » ـ فصوابها « على الطلاب غير المكملين » لأن « الغير » هنا لا تضاف الى نكرة ☐

---

١ ـ يراجع موضع الآية في تفسير القرطبي ١٤/٧ ، والاملاء للعكبري ٢/٩٩ ، والبحر المحيط لأبي حيان النحوي ٧/١٦٢ والكشاف للزمخشري ٣/٢١٤

هكذا غنى الآباء

السماء

للشاعر إيليا أبي ماضي

إيليا أبو ماضي من مشاهير شعراء المهجر الامريكي الشمالي ، ولد سنة ١٨٨٩ في قرية « المحيدثة » في لبنان ، ولاضطراب موطنه سياسيا واقتصاديا واجتماعيا هاجر صبيا الى الاسكندرية سنة ١٩٠٠ ، وكان يبيع فيها التبغ والسجاير ، وحين بلغ العشرين بدأ يشارك في تحرير بعض الصحف والمجلات المصرية ، وفي سنة ١٩١١ هاجر الى امريكا الشمالية واستقر في « سنسناتي » وفي صيف سنة ١٩٢٦ انتقل الى نيويورك ، للاشتغال بالصحافة ، وقبل انتقاله اليها كان بعض الأدباء العرب هناك قد أنشأوا الرابطة القلمية ، سنة ١٩٢٠ ، وكان هو أحد مؤسسيها مع زملائه جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة وآخرين ، ثم أنشأ في نيويورك صحيفة « السمير » وكانت اسبوعية ، ثم أصدرها يومية في « بروكلين » ، فكانت من أوسع الصحف العربية انتشارا في امريكا وبقي يصدرها حتى وفاته سنة ١٩٥٧

وقد أغرم منذ صباه بالأدب والشعر ، فكتب كثيرا من المقالات في صحف مصر ثم امريكا ، وأكثر مبكرا من نظم الشعر ، ونشر ديوانه الاول « تذكار الماضي » ، قبل ان يبرح الاسكندرية سنة ١٩١١ ، ثم نشر ديوانه الثاني « ديوان ايليا أبي ماضي » سنـ ١٩١٦ ولكن شعره بعد ذلك كان أنضج شعور وفكرا ولغة ، وأرفع وأوسع افقا ، وفي سنة ١٩٢٧ طبع ديوانه الثالث « الجداول » فأذاع صيته ورفـ منزلته الأدبية في امريكا والاقطار العربية ، وقد كتـ زميله الاستاذ ميخائيل نعيمة مقدمة قصيرة له أشـ بالتحية لشعره الجديد الرفيع ، وقد زادت شهرة ذيوعا ، ومكانته رفعة ، حين أصدر ديوانه الرابـ « الخمائل » في سنة ١٩٤٧ حتى أنه أعيد طبعه بـ وقت قصير

وقد ألفت كتب خاصة في سيرة أبي ماضي وأد ولاسيما شعره ، بالاضافة الى ما ورد عنه في الكتـ التي عرضت للادب والشعر المهجري

وهذه القصيدة التي اخترناها له هنا احدى قصا ديوانه « الجداول » ، وهو ديوان صغير في نحو ٢٠ صفحة ، ومن قصائده قصيدته الطويلة (١٣٢) بـ بعنوان « الطلاسم » التي يكرر في نهاية كل رباعـ من رباعياتها « الثلاث والثلاثين » قوله « لسـ أدري » وقد تغنى ببعض أبياتها الأستاذ محمد عبـ الوهاب فزادته شهرة

لا تسلْني عن السماء فما عنـ   ـديَ إلا النعوت والأسماءُ
هي شيءٌ، وبعضُ شيءٍ، وحيناً   كلُّ شيءٍ، وعند قوم هباءُ

○○○

فسماءُ الراعي كما يتمنا   ها مروجٌ فسيحة خضراءُ[1]
تلبس التبر مئزراً ووشاحاً   كلما أشرقتْ وغابت ذكاءُ[2]
أبداً في نضارة، لا يجف الـ   ـعشبُ فيها، ولا يغيضُ الماءُ[3]

○○○

وهي عند الأم التي اخترم المو   تُ بنيها، وضلّ عنها العزاءُ
موضعٌ لا ينالُهم فيه ضيمٌ   لا، ولا يدرك الشباب الفناءُ[4]
وكذا يُولد الرجاءُ من اليأ   س، إذا مات في القلوب الرجاءُ

○○○

وهي عند الفقير أرض وراء   الأفْق، فيها ما يشتهي الفقراءُ
لا يخاف المثرى، ولا كلْبه الضا   ري، ولا لامرئٍ به استهزاءُ
وهي عند المظلوم أرض كهذي الأ   رض، لكن قد شاع فيها الإخاءُ
يجمع العدلُ أهلها في نظام   مثلما يجمعُ الخيوط الرداءُ
لا ضعيفٌ مستعبَدٌ، لا قويٌّ   مستبِدٌّ، بل كلُّهم أكفاءُ
كلُّ شيءٍ للكلِّ ملكٌ حلال   كلُّ شيءٍ فيها كما الكلُّ شاءوا

○○○

وهي عند الخليع أرضٌ تميس الـ   ـحورُ فيها، وتدفُقُ الصهباءُ[5]
كل ما النفسُ تشتهيه مباحٌ   لا صدودٌ، لا جفوةٌ، لا إباءُ
أكبرُ الإثم قولةُ المرء هذا الأ   مر إثمٌ، وهذه فحشاءُ
ليس بين الصلاح والشر حد   كالذي شاء وضعه الأنبياءُ
وإذا لم يكن عفافٌ وفسْق   لم تكن حشمة ولا استحياءُ

○○○

كل قلب له السماء الذي يهـ   ـوى، وإن شئت، كلُّ قلب سماءُ
صورٌ في نفوسنا كائناتٌ   ترتديها الأفعالُ والأشياءُ
ربَّ شيءٍ كالجوهر الفرد فذٍّ   عدَّدتهُ الأغراض والأهواءُ
كلُّ ما تقصر المداركُ عنه   كائنٌ مثلما الظنونُ تشاءُ

---

[1] ـ المرج: الحقل الذي ترعى فيه الدواب

[2] ـ التبر: فتات الذهب قبل صياغته، والمراد نور الشمس وفيه صفرة كالذهب، ذكاء: الشمس

[3] ـ يغيض: ينقص، [4] ـ ضيم: ظلم، [5] ـ تميس: تتبختر، تدفق الصهباء: تسيل الخمر

الكلمات المتقاطعة

يهدف هذا اللغز الى تسليتك وامتاعك بالاضافة إلى إثراء معلوماتك وربطك بتراثك الفكري والحضاري عن طريق البحث الجاد المثمر في المعاجم والموسوعات وغيرها من المراجع الهامة والمطلوب منك الاجابة على اسئلة هذه اللغز ومقارنتها بالحل الصحيح الذي سينشر في العدد القادم

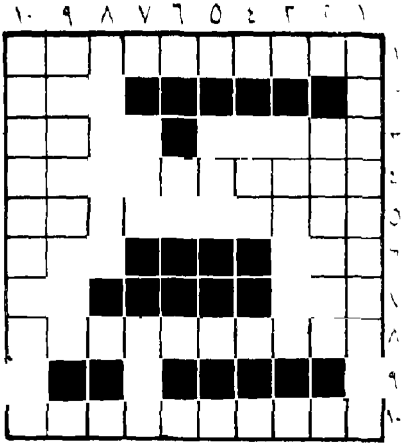

كلمات أفقية

١ القطب الجنوبي باعتباره قارة سادسة
٢ بقايا حيوان أو نبات متحجر ، سئم وضجر
٣ قط بري متوحش ، مملكة بلقيس
٤ امبراطور فرنسا ، والدة
٥ أحمق أو غبي ، تقال في معرض الترحيب
٦ نجدها في وال ، أخمص البطن ، (القدر) على
٧ ندى ، من أبناء دولة عربية شقيقة
٨ خضاب الدم
٩ موسيقي أندلسي كبير ، لعب ولهو
١٠ سياسي سويدي وأمين عام للأمم المتحدة (١٩٥٣)

كلمات رأسية

١ من كبار الرحالة العرب ولد في طنجة
٢ لوحة ليوناردو دافنشي الخالدة
٣ تصرف كالأرنب ، أرض كثيرة النبت
٤ نجدها في أحمر ، من أسماء جهنم
٥ جماعة من الطير ، من أسماء الأسد
٦ ماء عذب ، دربيل مبعثرة
٧ نظر ، تأملوا مبتورة
٨ يطهر
٩ عاصمة يوغندا ، يرشد
١٠ من أكبر أنهار العالم وأعرضها وأوسعها

حل مسابقة العدد ٣٤٥ أغسطس ١٩٨٧

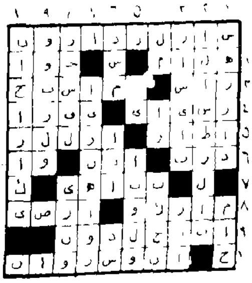

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١	س	ا	ر	ل	ر	د	ا	ر	و	ن
٢	ه	ن	ا	م	■	س	■	ح	و	ا
٣	ر	ا	س	■		م	ا	س	ب	ح
٤	ر	س	ى	ا	ى	■	ى	ف	ر	ا
٥	ا	ط	ا	ر	■	ا	ر	ل	ل	ر
٦	د	ر	ب	■	ا	د	ن	■	و	ا
٧	■	ل	■	ب	ب	ا	ه	ى	■	ك
٨	م	ا	ر	ل	و	■	ا	ر	ص	ى
٩	ا	ن		ج	ل	د	و	ن	■	■
١٠	ح	■	ا	ب	و	س	ر	و	ا	ن

كتاب الشهر

بقلم : الدكتور صفاء خلوصي

المسرحية المفقودة لشكسبير

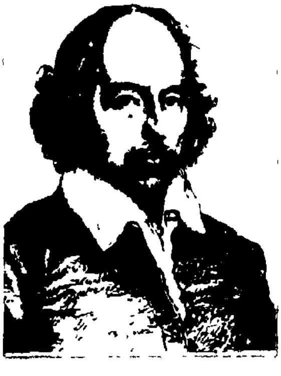

« في « يناير » كانون الثاني من العام الماضي نشرت في انجلترا مسرحية قديمة لشكسبير ، لم تنشر من قبل ، يرجح الباحثون أنها كانت من البدايات المبكرة لأعماله ، فهي تتميز بذات الخصائص الرائعة التي عرفناها في أعماله المعروفة » .

لم يكن من المعقول أن يظهر شكسبير بهذا الكمال والقوة والنضج فجأة، كما نشاهده في مسرحياته وموشحاته، فلا بد إذن من إرهاصات ومقدمات كانت ضائعة، ثم أخذت تظهر للعيان، بعد أن اكتشفت موشحته «هل سأموت؟» في مكتبة «البودليان» بأكسفورد، واستقر رأي مطبعة جامعة أكسفورد على إدراجها في أعماله الكاملة في طبعاتها التالية، وليس هذا فحسب، فقد فاجأنا إريك سامس في نهاية يناير (كانون الثاني) ١٩٨٦ بمسرحية شكسبيرية مفقودة، عنوانها «إيدموند أيرون سامير» وإيدموند هذا هو ملك الإنكليز السكسوني الذي حكم سنة ١٠١٦ م، أي قبل الفتح النورماندي بنصف قرن، والتحم في معارك مع أمير الفايكنج الدانمركي كانوتس، وقد سنح لي أن أدرس المسرحية حال ظهورها، فوجدتها - والحق يقال - ذات نكهة شكسبيرية، لا يخطئها المطلع على أعمال شكسبير الأخرى، فاللغة والاستعارات والتشبيهات كلها شكسبيرية، فيها الإبداع والابتكار الذي عهدناه في كل ما نظم هذا الشاعر وألف. غير أن الإنسان لا يفوته أن يتبين أنها لا تقف من حيث الحبكة وتطور الأحداث وبراعة العرض في مصاف «هاملت» و«الملك لير» و«عطيل» و«تاجر البندقية» و«روميو وجوليت»، فهي من نتاج شاب لا يتجاوز السادسة والعشرين، إذ أن تاريخ المسرحية لا يمكن أن يتعدى سنة ١٥٩٠ م، إن لم يكن قبل ذلك. وتضم المسرحية خمسة فصول، ضمها إريك سامس في إحدى وستين صفحة، أما بقية صفحات الكتاب - وهي ثلاثمائة واثنتان وعشرون صفحة - فقد خصصت للمقدمة والحواشي والتعليقات، لا سيما ما يتعلق بصحة نسبة المخطوط إلى شكسبير

تقسيم انجلترا

القصة بإيجاز هي قصة الصراع بين (إيدموند) ملك السكسونيين وكانوتس أمير الدانمارك، وينقسم نبلاء الإنكليز إلى فريقين، فريق يلتحق بهذا، وفريق بذاك، ويضم الفريق الأخير (إيرل جيستر) و(دوق نورفوك) و(إيرل ساوثمتون) وابنته (إلجيفا) التي تتزوج فيما بعد الأمير الدانمركي، رئيس أساقفة كنتربري، وكلهم ناقم على الملك السكسوني، غير أن ضميري (إيرل جيستر) و(دوق نورفوك) سرعان ما يستيقظان، فيلتحقان بالملك السكسوني، تاركين ولديهما رهينتين بيد الأمير الدانمركي الذي ينتقم منهما أشنع انتقام بجدع أنفيهما، وقطع يديهما، لأن هذا في رأيه أفظع من الإعدام، وأروع لمن تسول له نفسه الخيانة

وبعد معارك طاحنة يذهب ضحيتها آلاف الأبرياء يقرر الزعيمان المتنازعان أن يتبارزا فمن كانت له الغلبة كان له تاج إنكلترا، وعندما يجد الأمير الدانمركي نفسه مندحرا يرفع يديه مستسلما طالبا الأمان، فيبلغ النبل بالأمير السكسوني مبلغ مؤاخاته ومصالحته، على أن يقتسما إنكلترا فيما بينهما، وأن يكون للدانمركي أي جزء يشاء وهكذا تنتهي المسرحية، إذ يخرج الخصمان المتنازعان متأبطين ذراعي بعضهما بعضا، غير أن (إيدريكس) دوق ميرسيا - جاسوس الطرفين - يبهتهم قائلا «بحق السماء لأنتقمن منكما معا» وروعة المسرحية ليست بأحداثها، بل بتعابيرها الشكسبيرية المبتكرة،

وروح شكسبير الانسانية المحبة للسلام ، المتجلية في المشهد الختامي الذي نسمع فيه الحوار التالي

كانوتس على مهلك ياايدموند ، على مهلك ، فإن كانوتس مستسلم لك

ايدموند ماذا ؟ أتراه يستسلم بخنوع ؟ معاذ الله من الشيطان !

كانوتس خذ احداثنين ، أيهما شئت ، يدي أو سيفي ، فيدي تمنحك الصداقة الراسخة التي لاتتزعزع ، وسيفي يجلب لك العداء العنيد

ايدموند لقد ظفرت ياكانوتس الشجاع باستسلامك بما لا يستطيع سيفك أن يظفر به أبدا ، وهو ما جلبه لسانك بلطف كلامك خذ بيدي ياكانوتس . وهاك سيفي ، فايدموند هبة لك مع كل مايملك ، وليجاهد كلانا ، ليتبين من هو أعظم من صاحبه ، فاللطف المتبادل سيتبين من هو الذي يستحق أن يلقب بالصديق

المبارزة

كان ادريكس هو نفسه الذي اقترح فكرة المبارزة بين الزعيمين ، على أن يقتل أحدهما الآخر ، فتنتهي الخصومة وتنقذ حياة الاف الجنود

اذ توقف مخاطبا كليهما في المشهد الثاني من الفصل الخامس الأخير (ص ١١٢) يقف مخاطبا لهما وهو يقول « فيم تتصارعان ، أنت ياايرون سايد العظيم ، وأنت ياكانوتس الشهير مالذي تستهدف ؟ ففي كل يوم تقدمان من أجل حربكما الفانية أجساما ، طعمة للسيوف لتذبح وتقطع ، ومع ذلك ليس فيكما من هو منتصر ، وله اليد العليا في حسم المعركة ، فمن اندحر منكما اليوم ينتصر غدا ، من يفرغ منكما طول الانسحاب يعود فيجدد القتال بقوة مضاعفة

وهكذا يتعلق النصر في ميزان الاضطراب ، وعدم الاستقرار ، والحظ المتذبذب يعبس أويبتسم لأحدكما اليوم فما مصير هذا الحقد الذي لاينتهي ؟

لن تنتصرا حتى يفنى جيشاكما معا ، فتبقيا بمفردكما تقتتلان أو تتصافيان ، فمن انتصر منكما يجد انذاك رعايا يحكمهم ، ولا شعبا يسوده فالحرب المستهلكة ستبتلع هذه الجزيرة المعزولة دو أن تترك من يحكم . ولا من يقاوم الغزو الأجنبي اكبحا جماح نزوتيكما العارمتين ، وفوران عقليك المكابرين ، فقد برهنتما على جرأة جيشيكم وشجاعتيهما ، والآن أخيرا تصافحا وتآخيا ، واتفق كملكين نبيلين ، ودعا الأرض لأحدكما ، وارحما هذ الجزيرة الصغيرة ، فقد ملأتما تربتها سمادا بجث قتلاكما . وأغرقتماها ببحر من دماء الأبرياء

أما إذا كانت منافستكما بعضكما بعضا عظيم بحيث أن كلا منكما يستنكف أن يكون له منافس لأنه لايرى لنفسه ندا أو نظيرا في المكانة ، فاقتتل وحدكما ، ليكون الملك لأحدكما دون الآخر

لاتدعا الكل يهلك بسبب إرادة اثنين ، بل دع سيفيكما يقرران من هو صاحب الحق الشرعي

رائعة هذه الدعوة إلى السلام من فم شكسبير وإن جاءت على لسان بطل من أبطاله كان يتمنى و قرارة نفسه أن يقتل أحد المبارزين لا أن يخرج سالمين متصافيين

وداع الملكة (ايما) لولديها

ومن أروع المشاهد المؤثرة في المسرحية المشه الثاني من الفصل الرابع ، توديع الملكة (ايما لولديها الأميرين ، الفريد وادوارد (الذي أصبح في بعد أحد ملوك انكلترا) ، وهما في طريقهما إل نورماندي ، حيث الأمان من ويلات الحرب ، ليكونا في رعاية الدوق ريجارد ، شقيق الملكة ويستغرق مشهد الوداع تسعين بيتا . وفي كل مر يبتعدان عنها قليلا تطلب عودتهما إليها لتجد الوداع ، وأخيرا تقرر أن تذهب معهما إلى الميا المرفد ـ حسب تعبيرها ـ لتودعهما الوداع الأخير

يقدر الباحثون عدد المسرحيات الشكسبيرية

العربي - العدد ٣٤٦ - سبتمبر ١٩٨٧

كتاب الشهر

المفقودة بعشرين مسرحية . ولو أن المتعنتين من الاختصاصيين يصرون على أن شكسبير لم يكتب شيئا قبل سنة ١٥٩٠ ، مع أنه ذهب إلى لندن سنة ١٥٨٢ وهو في سن الثامنة عشرة . فما الذي فعل العبقري في هذه السنوات الثماني ؟ هل نبع جماح عبقريته منتظرا حلول سنة ١٨٩٠ ، والاحتفال ببلوغه السادسة والعشرين ، ليبدا بالتأليف المسرحي بأقوى أشكاله دون محاولات أولية . كمسرحية ايرون سايد التي تعد أقدم مسرحية مكتشفة لشكسبير حتى الآن ؟

الحاسب الآلي يؤكد

إن من دواعي صحة نسبة هذه المسرحية إلى شكسبير احتواءها على ٦٣٥ كلمة نادرة ، و ٧٩ لفظة فريدة ، و ٤٠٥ كلمات هي من أقدم ما عرف استعماله من الكلمات حتى الآن . وحوالي ألفي نقطة تشابه مع ما هو موجود في مسرحيات شكسبير الأخرى المعترف بها حاليا . وقد بحثت المسرحية بتقدير الحاسبات الآلية ، وتحليلها إياها ، وكان أحد الاختصاصيين في الأدب الشكسبيري قد نسبها إلى شكسبير قبل ثلاثين عاما ، لكن كان لابد من انتظار التقدم في استخدام الحاسبات الآلية لاثبات هذه الحقيقة ، وأكبر الظن أن المسرحية دونت في فترة عصر الارمادا ، في أواخر الثمانينيات من القرن السادس عشر ، ولعل مايرد فيها من عبارات التجديف والسباب والشتائم واتهام رئيس أساقفة كنتربرى بالخيانة هو الذي جعلها من المسرحيات المغضوب عليها من السلطات الحاكمة يومذاك، يوم أن كان رئيس أساقفة كنتربري (الثيودوري) رئيس لجنة الرقابة على المسرحيات .

فدخلت في عداد المسرحيات المهملة التي علاها غبار النسيان ، مما حدا بجامعي مسرحيات شكسبير الأوائل على أن يطووا كشحا عنها . والشعر في المسرحية موزون ، وقد أكثر فيه شكسبير من الالتزام بالقافية ، وكان هذا بصورة خاصة في أوائل عهده بالنظم ، حيث اعتمد على موسيقا الشعر إلى حد بعيد ، وقوام المسرحية ألفان وستون بيتا ويرجع تاريخها إلى حوالي سنة ١٥٨٨ أو ١٥٩٠ ، وبوسعي أن أستشهد بكل مقطع من مقاطعها ، لكني سأكتفي باستشهادين يقول في أولهما « الحظ أبدا يحسد الحكماء ، ويحابي البلهاء ، رافعا إياهم إلى قمة العلياء » ، وفي ثانيهما يقول « إن السلام بعد الحرب موسيقا عذبة لقلبي الراقص طربا »

وقد استقى شكسبير عناصر قصته من المؤرخ الانكليزي رافائيل هولنشيد ، المتوفى سنة ١٥٨٠ ، فضلا عن تأثره بأعمال بلوتارك ، وجرافتون ، وأوفيد ، والكتاب المقدس □

■ من مدحك بما ليس فيك من الجميل ، وهو راض عنك ، ذمك بما ليس فيك من القبح وهو ساخط عليك

(افلاطون)

من المكتبة العربية

كتاب الخيل

بقلم : الدكتور سلمان قطاية

رأس حصان
عربي أصيل

حين قدم العرب للعالم جيادهم الأصيلة قدموا معها علم الفروسية أيضا

يقول في ذلك (افريم هويه) رئيس المرابط الفرنسية في القرن الماضي « إن العرب هم الذين بدءوا تعليم الفروسية للعالم كله » ، ويقول (دنيس بوغروس) أكبر خبير بالحصان العربي في فرنسا حاليا « لقد فعل العرب بالنسبة للفروسية ما فعلوه بالنسبة للفلسفة وكافة العلوم ، فقد نقلوا إلينا التراث القديم شرقيا ويونانيا ، بعد أن أضافوا عليه نتاج حضارتهم الأصيلة ، وهذا التراث هو الذي سمح لأوروبا أن تخرج إلى النور ، بعد أن قضت فترة طويلة في ظلمات العصور الوسطى » كان من عادة الكونت (دور) أن ينصح مواطنيه الفرنسيين قائلا « على طلابنا أن يتعمقوا تماما بالمبادىء العامة للفروسية العربية ، بحيث تصبح تلك المبادىء مبادئهم »

الويل في أمراض الخيل

ومن المؤسف فعلا أن يكون اهتمام الغربيين بهذا الفرع من التراث أكثر من اهتمام العرب أنفسهم ، فكتاب « الويل في أمراض الخيل » أو كتاب « الصناعتين البيطرة والزردقة » ، أو « الناصري » من الكتب المشهورة جدا في أوروبا وبخاصة في فرنسا ، وهو من تأليف سايس مرابط الملك الناصر ملك مصر ، وهو ابن المنذر البيطار والسبب في ذلك (بيرون) ، وهو أحد الأطباء الفرنسيين الذين ساهموا في تأسيس المدرسة الطبية بأبي زعبل في مصر مع (كلوت بك) الذي استدعاه الخديوي محمد علي

الكبير، فقد اهتم (بيرون) بالعربية وبخصالها، فترجم الكتاب المذكور ترجمة أخاذة في ثلاثة أجزاء، كرس الأول للحديث عن الفروسية والفرسان العرب، فأصبح تحفة فعلا، وقد تم نشره في باريس عام ١٨٥٢ م

والمؤسف أيضا أن هذا الكتاب لم ينشر بعد بلغته الأصلية العربية !

لقد سبق لوي ميرسيه في الترجمة بيرون، إذ نشر بالفرنسية عام ١٨٢٤ ترجمة ابن هذيل الأندلسي « حلية الفرسان وشعار الشجعان »، وقد نشر هذا الكتاب بالعربية عام ١٩٥١ بشكل غير لائق، وهذا الكتاب مفقود اليوم والمؤلفات عن الجواد العربي والفروسية العربية باللغات الأوروبية لاتتوقف، ومن أشهرها كتاب (دوما) الذي راجعه الأمير عبدالقادر الجزائري نفسه، ونشر في منتصف القرن الماضي، وسوف يعاد نشره هذا العام

ولعل من أفضل ما نشر مؤخرا كتاب « الحصان العربي أول حصان نقي الدم »، تأليف (دينس بورغومي) و(البارونة دوبلوماك) عام ١٩٧٨م وفيه من المعلومات والدراسات مايجعله جديرا بالترجمة إلى العربية

فالمكتبة العربية فقيرة بالكتب العلمية الجديدة في هذا الموضوع، ولاتوجد فيها دورية متخصصة، أما هواية ركوب الخيل فقد زالت أو كادت، وظلت بين أيدي نخبة من المترفين، أو في الصحراء مع البدو الذين يتناقص عددهم مع مرور الأيام

لكل هذا كان صدور « كتاب الخيل » حدثا هاما، إذ يضيف على القائمة القصيرة من الكتب كتابا آخر ونرجو من صاحب هذه الدار أن يستمر في هذا العمل الجليل، فيصدر مالم يحقق، وبخاصة كتاب ابن منذر البيطار الذي يحققه في نفس الوقت د اسريق بجامعة حلب، ود دقاق بجامعة باريس، إلا أن للتحقيق العلمي قواعد معروفة كم أسفت أن الوقت وكثرة المشاغل والمهام قد منعت الاستاذ الجليل محمد العربي الخطابي من إجراء تحقيق دقيق حسب الأصول المتبعة، إذ وقع في أخطاء كان بإمكانه بسهولة - وهو الاستاذ العالم المحقق - أن يتلافاها. فالكتاب قد ظل يرقد على رفوف المكتبات فترات طويلة، بل قرونا عديدة، وكان بالإمكان أن ينتظر بضعة أشهر أو أعوام، لكي يصدر بحلة جيدة أعتقد أن من واجب المحقق - في مقدمته - أن يقيم الكتاب، فيبدي مافيه من أشياء أصيلة جديدة، وما فيه من أخطاء، وأن يقارنه مع ما كتب قبله، كي يأخذ الكتاب المحقق مكانته العلمية، فالقارىء العادي قد يأخذ ما جاء في الكتاب على أنه حقائق أكيدة، فيؤمن بها، ويكررها عن جهل وبلاوعي، فيساهم الكتاب في نشر الجهل أكثر من نشر العلم، وبخاصة إذا تذكرنا أن العرب أمة تقليدية، تنظر إلى الأجداد وثرواتهم نظرة احترام عميق، وتبجيل يصل إلى حد التقديس أحيانا

منتخب كتاب الاحتفال

يقع الكتاب في ٤٢ بابا

والواقع أنه مختصر أو منتخب من كتاب آخر، هو كتاب « الاحتفال » لأبي عبدالله محمد بن رضوان بن أرقم، من وجوه وادي آش وأعيانه، على قول ابن خَريّ و أعتقد أن الكتاب مثل واضح لكتب عصور الانحطاط، فهو ليس من تأليف ابن حري، ففي تلك العصور انتشرت كتابة الموجزات والمنتخبات، لأنها أسهل وأسرع وأكثر ربحاً والمقدمة مليئة بمدح السلاطين حتى التذلل، وبالكلام عن النفس، والتفاخر، والتعالي وثالثة الأثافي عدم احتوائها على الأصيل والجديد

كما يتميز الأسلوب بالتكرار الممل، والتناقض في الآراء والأحكام، والاستطراد في مواضيع لاعلاقة لها بالموضوع الأصلي

فهو مثلا يمدح السلطان أبا عبدالله نثرا وشعراً في صفحتي (١٩ - ٢٠)، ثم يبدأ بمدح نفسه، فيقول

ـــ الحصان العربي الاصيل

إن « محمدا نشأ في حجر العلم ، وغذي بلبانه ، وتبوأ روضه ، يجني فنون الحكم من أفنانه » ، ويستمر خلال حوالي صفحة في مديح عمله (٢٠ - ٢١) ، ثم ينتقل إلى مؤلف الكتاب الأصلي - « الاحتفال » - فيتحدث عنه بضعة أسطر ، لينتقل مباشرة إلى مديح ملوك بني نصر (من الصفحة ٢١ إلى الصفحة ٣٢)

يدخل ابن جُزيّ بعد ذلك ليشرح أصل الحصان ، فيسرد قصة خلقه من الريح ، ثم يعود فينقضها ، ويثبت بآراء ومستندات كثيرة أن الحصان العربي من استئناس وتربية سليمان وداود واسماعيل

ولقد اتخذ الصهاينة ذلك مستنداً للقول بأن استئناس الحصان العربي الذي يفضلون تسميته « الشرقي » قد تم في فلسطين ، وأن اليهود هم الذين استأنسوه وليس العرب ومن الذين يدعون بذلك مثلا كلود ليسبياس

ويسرد ابن جزي مجموعة من الأحاديث النبوية ، المتعلقة بالخيل وبالحض على الاعتناء بها واحترامها ويعتبر المؤرخون المنصفون أن للرسول (ﷺ) الفضل كل الفضل في دعم الاهتمام بالجواد العربي وهذا لم يأت (ابن جزي) بجديد

وبعد ذلك يدخل ذكر ألوان الخيل ، فيكرس لذلك أحد عشر بابا ، من أصل (٤٢) ، أي مايقارب الربع ! ولاأريد أن أعلق كثيرا على ما ورد ، فهو معروف ومذكور في كل الكتب ، أمثال كتاب « في فضل الخيل » للدمياطي ، وكتاب « رشحات المداد فيما يتعلق بالصافنات الجياد » للمحبي

دور الكلبي

وفي باب الاستدلال على جودة الفرس « بصفاته الظاهرة » الذي كرس له المصنف عشر صفحات (١٥٤ - ١٦٤) يتحدث عن الفراسة عند البشر في سبع صفحات ونصف ، ويترك للحصان صفحة ونصف ، وتلك من عاداته السيئة في الكتاب ، وهي الاستطراد في مواضيع أخرى ربما كان هو فيها أعلم ، أو لشطط في قلمه ، إلا أن لهذه العادة حسنة ، فهو مثلا يحدثنا عن « فطنة الكلاب » حديثا حلوا جيدا ، يناقض ما اعتاده كثيرون من رجال الدين ، وهو النهي عن مصاحبة الكلب لأنه مؤذ ينقل الأمراض ، أو لأنه نجس فهل لهذا علاقة بلقب ابن جزي ، أي « الكلبي » ؟

وفي هذا الفصل يدافع عن نظرية التوالد الذاتي ، فيقول بأن العقارب تتولد من الباذنجان ، والدود من السوس إلخ ، ثم يدخل في متاهات فوائد النحل والعسل ، ثم الهدهد وملك سليمان ، ثم الحية والثعلب ، شعرا ونثرا ، ويستمر ابن جزي في ذلك حتى يدخل في الشعوذة والسحر ، مما حرمته الشريعة الاسلامية ، ومما انتشر في عصور الانحطاط ، فيقول بأن عين الهدهد إذا علقت على الناسي تذكر ما نسيه ، وأن مخالب الهدهد إذا أحرقت وشربت المرأة رمادها بالماء لم تحمل ، إلخ

وفي الفصل الذي يليه يدخل في متاهات الأرقام ،

الخمسة والأربعة والثلاثة ، فيذكر ما قيل فيها من حكم ومواعظ وأحاديث ، ثم يدخل في حديث شغل بالي كثيراً ، لأننا اذا قرأنا ما جاء في الكتب العربية « المطبوعة » عن صفات الفرس الأصيل ضعنا فعلا أمام هذا الحشد الزاخر من الصفات والمواصفات ، بحيث يصبح من الصعب ، بل من المستحيل على المرء أن يتعرف على الحصان العربي الأصيل ، وشيء آخر وقع فيه الأستاذ الخطابي نفسه إذ يقول في شرح الصورة « فارس مغربي على صهوة جواد من عتاق الخيل العربية البربرية المعروفة في المغرب باسم باربي »

والحقيقة أن الحصان البربري نوع من أنواع الخيول ، ولا علاقة له بالحصان العربي يقول الطبيب البيطري الفرنسي « لوي كايو » منذ البداية يلفت أنظارنا في الحصان البربري غياب ذلك الانسجام والجمال الذي نجده في الحصان العربي ، بل - على العكس - تصدمنا أشكاله الخشنة ، وخطوط جسمه المتقطعة ، غير المستديرة كما هي عند الحصان العربي ، لكنه حصان قوي »

أوصاف الحصان العربي

وثمة علامات ملازمة للحصان العربي وهي قصبة الأنف المقعرة ، وابتعاد الذنب عن الجسم كما يتميز ذنب الحصان العربي بأنه يرتفع بشكل جميل ، إذ يأخذ شكل ريشة نعام ، ورأسه مخروط الشكل ، ومنخراه واسعان ، أسود اللون ، عيناه واسعتان ذواتا نظرات ذكية ، وأهدابهما طويلة سوداء (مكحلة) ، وأذناه صغيرتان ، موجهتان دوما إلى الأمام ، وجلده رقيق تشف من خلاله عروقه ، وشعر جلده قصير (الجُرُد) ، وعنق أنثاه مقوسة ، وعند الذكر مثلثة قوية عريضة القاعدة ، وبين محور الجسم الأفقي ومحور العنق زاوية منفرجة إلى الأعلى ، وحاركه ظاهر بارز ، صهوته عريضة ، كفله مكتنز ، وجبهته عريضة ، وعرفه طويل ناعم حريري ، وكذلك شعر ذنبه ، أما صفات الحصان الجميل فهي مختلفة ، قد كرس لها ابن جزي صفحات كثيرة ، فيها متناقضات ، سببها عائد إلى ذوق المتفحص ، وتفضيله صفة على أخرى وهكذا فمن يحب القوة والفحولة في الحصان يفضل الذكر القوي العضلات ، ومن يحب الخطوط الجميلة المتناسقة والجمال الصافي يفضل الأنثى ، إلخ

وثمة حكام عالميون مختارون ، هم الذين يحضرون مسابقات جمال الحصان العربي ، لأنه يعد أجمل حصان وتجري في فرنسا باريس كل عام بمناسبة « معرض الحصان » مسابقة لأجمل حصان عربي نال الفوز فيها في عام ١٩٨٥ « شريف باشا » الذي ارتفع ثمنه فوصل إلى أربعة ملايين دولار

ولقد اختصر شاعر عربي قديم جمال الحصان العربي ببيتين من الشعر فقال

وقد أغتدي قبْل ضوء الصباح
وورد القطا في الفلاة الحثاث
بصافي الثلاث ، عريض الثلاث ،
قصير الثلاث ، طويل الثلاث

وهنا أيضا يختلف المفسرون للثلاث حسب ذوقهم وعلمهم ، فصافي الثلاث العين واللون والصهيل ، أو الأديم والعين والحافر ، وعريض الثلاث الصدر والصهوة والجبهة ، أو الصدر والجبهة والمنخر ، أو الجوف ، وقصير الثلاث الرسغ ووظيف اليد والعسيب ، أو الظهر والساق والعسيب ، وطويل الثلاث العنق والخد والذراع ، أو الأذن والفخذ والسالفة

وعرف الغربيون هذا التعريف المأخوذ عن العرب فقالوا بأربعة ، فالأربعة العريضة الجبهة والصدر والكفل والأطراف

والأربعة الطويلة العنق والبطن والورك والخط العلوي

والأربعة القصيرة   الخف والرسغ والأذن والذنب

لأن الاعتماد على النظر فقط أمر يختلف ـ كما قلنا ـ باختلاف الذوق والعادة والتأثير ، إلخ

إذ أن الخيول العربية «   محتقرة من قبل بعضهم » ، كما تقول « ايرابيل جونكير دوريولا » لأن العرقية امتدت عند بعض الغربيين ، فشملت حتى الخيول العربية !

ولقد وجدت ـ حسب معلوماتي المتواضعة ـ أخطاء كثيرة من قبل الاستاذ الخطابي ، والسيد « كليمانت موليه » المستعرب الذي ترجم كتاب (الفلاحة)

أما الاستاذ الخطابي فهو يعتقد عن حق أن اللغات الاوروبية المعاصرة ـ وبخاصة الفرنسية لما لها من تأثير على المغرب ـ هي لغة العلم ، وهذا صحيح في أيامنا هذه ، أما في العصور الوسطى فقد كانت العربية هي لغة العلم والمرجع

ولقد وقع أستاذنا الخليل الخطابي في هذا الخطأ ، فوافق على ترجمة كلمة **HARA** الفرنسية بكلمة حرية العربية ، ويبدو أن هذه الكلمة معتمدة في المغرب رسميا ، إذ جاءت في الدليل الثلاثي اللغات الذي وزع أثناء مهرجان المنظمة الدولية للجواد العربي الذي انعقد في المغرب عام ١٩٨٦م

والواقع أن كلمة **HARA** مشتقة من العربية من كلمة « حرة » والسبب أن ثمة ثلاث طرق لعرض الحصان

الأوروبية   ويعرض فيها الحصان مع لجامه واقفا ، وأثناء الجري

والأميركية   يعرض فيها مع اللجام بدون سرج واقفا مشدود الرأس متوتر الأطراف

والعربية   يترك فيها الجواد حرا ، بدون لجام أو سرج ، فيركض كما يريد ، ويتفحص الفاحصون

ولقد استعملت الطرائق الثلاث أثناء المهرجان في المغرب

أما كلمة **CHANFREIN** فأصلها شنفر ، فالشفة العليا إذا انقلبت إلى أعلى سميت شنفا ، والشنفرى ثابت ابن أوس الايادي ، الملقب بالشنفرى لعظم شفتيه ، وهو صاحب لامية العرب

أما كلمة **GANACHE** فهي تحريف للكلمة العربية حنك ، إلخ

وكلمة **STOOD — BOOK** التي يترجمها الاستاذ بكلمة « سجل الجياد » والتي يكرس لها الكاتب اللبناني المرحوم يوسف ابراهيم يزبك فصلا كاملا في كتابه « الجواد العربي التحفة الكنز » وفيه يطلق صرخة مجلجلة مدوية يناشد فيها الدول العربية باعتماده ، فهو معروف عند العرب ، بل هو من ابتكارهم ، فكما كانوا يفتخرون بالحسب والنسب ، كذلك كانوا يحفظون « أنساب الخيل » عن ظهر قلب ، وعندما تحضروا ظهرت كتب كثيرة تحت هذا العنوان ، أو ماشابهه ، والحجة **PEDIGREE** من ابتكار العرب أيضا

لكن لابد أن تقوم وزارات الزراعة في البلاد العربية بمسك دفتر أنساب الخيل على غرار ما تفعله وزارة الفلاحة في المغرب ، وفي كافة بلاد العالم المتقدم

الخلاصة

إن اهتمام دور النشر الخاصة بنشر كتب التراث أمر محمود ، وجعلها كبار المثقفين يتولون القيام بذلك أمر مشكور

لكن حبذا لو أحسن اختيار الكتب ، فطبع كتاب « الصناعتين » مثلا بتحقيق علمي جيد أمر مطلوب وعلى المحققين أن يكرسوا الوقت اللازم الكافي من أجل ذلك

أرحب رغم كل شيء بهذا الكتاب أجمل ترحيب ، وأهنىء القائمين على إصداره ، وآمل أن تختفي الأخطاء والهنات في طبعات قادمة إن شاء الله □

مكتبة العربي

مختارات

الكتاب   مع غسان كنفاني
المؤلف   احمد سعدي
الناشر   دار الرشاد الحديثة - الدار البيضاء - المغرب
عدد الصفحات   ٢٥٨ من القطع الكبير
سنة النشر   ١٩٨٦

كتاب جديد عن الروائي والمناضل الفلسطيني الراحل غسان كنفاني. ويتناول هذا الكتاب الذي يحمل عنوانا فرعيا هو « بين المنفى والهوية والابداع » حياة غسان وأعماله الابداعية والنقدية، بالاضافة الى دراسة تحليلية لرواياته الأربع المكتملة، وروايتين من رواياته التي لم تكتمل كرواية « العاشق »، « وبرقوق نيسان ». وان كانت للكتاب ميزة الاستمرار في دراسة أدب غسان الذي استشهد منذ ١٥ عاما فان لصدوره في المغرب ميزة أخرى اضافية.

■ ■

الكتاب   أثر الرمزية الغربية في مسرح توفيق الحكيم
المؤلف   سعد بن دياب حمودي
الناشر   دار الحداثة - بيروت
عدد الصفحات   ٣١٥ صفحة
سنة النشر   ١٩٨٦ م

يقسم المؤلف كتابه الى أربعة فصول ومقدمة وقائمة بالمصادر والمراجع. يتناول الفصل الأول نشأة المذهب الرمزي في الغرب، ومفهوم هذا المذهب للأدب، وأثره في الأدب الحديث. ويقدم الفصل الثاني نماذج تحليلية من المسرح الرمزي (« بلياس وميليزاند » للكاتب البلجيكي موريس ميترلينك، و « البطة البرية » للكاتب النرويجي هنريك ابسن، و « طائر البحر » للكاتب الروسي انطون شيكوف). ويتناول الفصل الثالث طبيعة الرمز في مسرح توفيق الحكيم (المسرح الأسطوري أو الرمز الأسطوري، وكذلك التوليدي)، أما الفصل الرابع فيقدم نماذج تحليلية مقارنة هي
البناء الرمزي في مسرحية « بجماليون »
البناء الرمزي في مسرحية « شهرزاد »
البناء الرمزي في مسرحية « ياطالع الشجرة »

كما يعرض المؤلف الى مصادر الحكيم الأسطورية، من قصص مستمدة من القرآن الكريم، والتراث الاسلامي، والتاريخ، أو حكايات مستمدة من الأساطير الاغريقية، والفرعونية، و « الفولكلور » الشعبي.

■ ■

الكتاب   اللحظات الأخيرة - رواية
المؤلف   يوري بونداريف
ترجمة   غائب طعمة فرمان
الناشر   دار رادوغا - موسكو
عدد الصفحات   ٢١٢ من القطع المتوسط
سنة النشر   ١٩٨٧ م

يقدم لنا الروائي المعروف غائب طعمة فرمان ترجمة جديدة وجيدة لاحدى أهم روايات يوري بونداريف، الكاتب السوفيتي الشهير.

ومثل كثير من الأعمال الأدبية السوفياتية تدور

أحداث هذه الرواية خلال فترة الحرب العالمية الثانية التي اكتوت بنارها أجيال بكاملها في أوروبا . وهذا الجيل الذي يفتح وعيه على الحرب والقتل والدمار هو الجيل الذي يكتب بونداريف قصته ، ويقدمه لنا في لحظاته غير العادية ، حيث يصبح القتال ضرورة ، وتصبح الشجاعة قيمة أساسية من قيم ذلك الجيل الذي هو جيل المؤلف نفسه

■ ■

الكتاب سيناريو المعتقلات الصهيونية ـ الكتاب الأول
المؤلفان منة سمارة ، ومحمد الطاهر
الناشر دار منارات ـ عمان
عدد الصفحات ١١٥ من القطع المتوسط
سنة النشر ١٩٨٥ م

في هذا الكتاب الفريد في موضوعه يقدم المؤلفان نماذج حية من حياة الشعب الفلسطيني الذي يخوض نضالا شرسا ضد آلة قمع هائلة ، تمتلكها السلطة « الاسرائيلية »

من خلال أسئلة وأجوبة مع بعض من واجهوا هذه الآلة ترسم لنا صورة مناضل أو مناضلة بكل أبعادها الانسانية والثقافية والتاريخية ، وقبل هذا بأبعادها النفسية ، حيث يبدو هؤلاء أناسا عاديين ، رغم عظمة الأعمال التي قاموا بها

وباستعراض شخصيات الكتاب وتقديم أعمالها تتكون لدى القارىء في النهاية صورة لنضال شعب كامل ، في مواجهته المباشرة مع المحتل وآلة قمعه

■ ■

الكتاب التمريض الطبي النفسي في الكويت
المؤلفون أحمد أيوب ، ومروان سليمان المطوع ، وحوران ديب حوران
الناشر مطابع الخط ـ الكويت
عدد الصفحات ١٨٤ من القطع الكبير
سنة النشر ١٩٨٧ م

يتناول هذا الكتاب جانبا من حياتنا ، مازال الى حد كبير مجهولا ، ويلقي الضوء على فرسان مجهولين ، كرسوا أنفسهم ، وبذلوا جهدهم للتعامل مع المرضى في مستشفى الطب النفسي في الكويت

وبالاضافة الى العرض التاريخي الجيد الذي يقدمه الكتاب لتطور الاهتمام بهذه الفئة من المجتمع في الكويت منذ الثلاثينيات وحتى الآن فإنه يتناول قضايا عملية أخرى ، مثل اجراءات دخول المريض الى مستشفى الطب النفسي ، والأدوية المستخدمة في علاج بعض الحالات

كما يتضمن الكتاب تعريفا بأهم الأمراض النفسية ، وطرق علاجها ، فضلا عن معلومات أساسية حول هذا الجانب الذي لم يلق عليه حتى الآن مايستحق من ضوء

■ ■

الكتاب فلسفة التشريع الاسلامي
المؤلف مجموعة من العلماء
الناشر أكاديمية المملكة المغربية ـ الرباط
عدد الصفحات ١٩٠ صفحة من القطع المتوسط
سنة النشر ١٩٨٧ م

أصدرت أكاديمية المملكة المغربية هذا الكتاب ضمن سلسلة « الندوات » ويضم هذا الكتاب البحوث المقدمة في الندوة العلمية التي نظمتها الأكاديمية في عام ١٩٨٥ م حول موضوع فلسفة التشريع الاسلامي ، ومن ضمنها بحث رئيسي ، أعده الشيخ مكي الناصري ، عنوانه « فقه الشريعة وفلسفة التشريع الاسلامي » ، كما يضم أبحاثا حول المبادىء العامة في القانون الاداري ، وعلاقتها بالاصول في التشريع الاسلامي ، وضبط المفاهيم في مجالات الفقه والشريعة والوحي والتشريع ، وتطور التشريع المغربي والتشريع الاسلامي مقارنة بالتشريعات الأخرى ، والقانون العام والقانون الخاص ، اضافة الى أبحاث أخرى ☐

مسابقة العربي الثقافية

العدد ٣٤٦
سبتمبر ١٩٨٧

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارًا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الاجابة عن عشرة اسئلة من الأسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي . مجلة العربي - صندوق بريد ٧٤٨ - الرمز البريدي 13008 - الكويت « مسابقة العربي العدد ٣٤٦ » ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو ١٥ اكتوبر ١٩٨٧

« عالم الرياضة »

١ - الألعاب الاولمبية غالبا ما يشترك فيها كبار الرياضيين وأبطال الأرقام القياسية ترى هل يوجد بين هؤلاء الأبطال هواة ، أم أنهم كلهم محترفون ؟

٢ - لعبة تنس الطاولة لعبة محببة لكثيرين ، وتسمى بنج بونج أيضا ، وما زالت تعرف بهذا الاسم في أكثر بلاد العرب ترى في أي البلدان ظهرت هذه اللعبة أول ما ظهرت

* في الصين بدليل اسمها القديم ، وبدليل اتقان الصينيين لهذه اللعبة ؟
* في الهند ؟
* في انكلترا ؟

٣ - أكبر ستاد مكشوف في العالم يتسع لربع مليون متفرج تقريبا ، ولأربعين ألف رياضي أين يوجد هذا الستاد

* في نيويورك ؟
* في براغ عاصمة تشيكوسلوفاكيا ؟
* في لندن ؟

٤ - الكل يعرف شعلة الأولمبياد ، تلك الشعلة التي تقطع المسافات الطويلة حتى تصل إلى حيث تقام المباريات الأولمبية ، فتوضع في مكان مرتفع ، وتبقى مشتعلة حتى تنتهي المباريات ، لكن الشعلة انطفأت في واحدة فقط من المباريات الأولمبية الحديثة ، وبقيت نحو دقيقتين ترى أين حدث ذلك ومتى ؟

٥ - رياضة « الجلة » أو الكرة الحديدية (الشوت بوت) رياضة معروفة ، يمارسها كلا الجنسين من الرجال والنساء ، ويبلغ وزن « الجلة » في لعبة الرجال (٧,٢٥) كيلو غرامات فما هو وزنها في لعبة « الجلة » للنساء

* وزن « الجلة » واحد في لعبة الرجال والنساء

أرفق الحل مع هذا الكوبون

كوبون مسابقة العربي
العدد
٣٤٦

* وزن « حلة » لعبة النساء يبلغ نصف وزن « حلة » الرجال

* وزن حلة النساء هو ٤ كيلو غرامات

٦ ـ من المباريات المحببة للأمريكيين تلك التي تقام بين رعاة البقر ، وتشمل فيما تشمل ركوب الخيول البرية غير المروضة ترويضاً كافياً . ترى ما الاسم الذي تعرف به هذه المباريات ؟

* كاوبوي
* روديو
* جريهاوند

٧ ـ من المهرجانات الرياضية الكثيرة في بلاد العرب مهرجانان يلفتان النظر ، يسمى أحدهما البنتاثلون ، أي مهرجان اللعبات الخمس ، ويسمى الآخر ديكاثلون ، أي مهرجان اللعبات العشر ، لكن أحدهما خاص بالنساء ، والآخر خاص بالرجال . فأيهما هذا وأيهما ذاك ؟

٨ ـ من هو لاعب الكرة الذي سجل ١٠٠٠ هدف في غضون عشر سنوات ، أي ما بين سنة ١٩٥٨ ـ ١٩٦٩ ، علماً بأن عدد المباريات التي سجل فيها تلك الأهداف لم يتجاوز ٩٠٩ مباراة ؟

٩ ـ أكبر ستاد مسقوف في العالم يوجد في مدينة نيواورليانز في ولاية لويزيانا في الولايات المتحدة الامريكية . فما هو عدد المتفرجين الذين يتسع لهم هذا الستاد المسقوف ؟

* ٢٥٠٠٠ متفرج
* ٥٠,٠٠٠ متفرج
* ١٠٠,٠٠٠ متفرج

١٠ ـ يذكر الرياضيون بطلين اثنين من أبطال الألعاب الأولمبية ، أحدهما بافو نورمي الفنلندي ، بطل مباريات سنة ١٩٢٤ ، والثاني جيسي اونز الزنجي الأمريكي ، بطل مباريات سنة ١٩٣٦ .

وكلا البطلين عدّاء ، وقد تفوق أحدهما في المسافات القصيرة ، وتفوق الثاني في ركض المسافات الطويلة . فأيهما هذا وأيهما ذاك ؟

١١ ـ قواعد أو قوانين كوينز بري ذات شهرة كبيرة في عالم الرياضة ، وضعها الماركيز كوينز بري سنة ١٨٦٧ ، من أجل تنظيم إحدى الرياضات التالية

* المصارعة
* كرة القدم
* الملاكمة

ترى أي هذه الرياضات تحكمها قواعد كوينز بري في الوقت الحاضر؟

١٢ ـ من المعروف أن الألعاب الأولمبية الحديثة تشمل فيما تشمل ركض الماراثون . ترى هل كانت هذه الرياضة من الرياضات التي شملتها الألعاب الأولمبية القديمة « اليونانية » ؟ □

حل مسابقة العدد ٣٤٣

١ - تحدث السلف الصالح عن مجريط ، وقصدوا بها مدريد ، العاصمة الاسبانية ، وتحدثوا عن اقريطش وقصدوا بها جزيرة كريت ، أما بلاد الكرج فهي ولاية جورجيا السوفياتية ، حسب تسمية السلف الصالح

٢ - البرازيل أكبر من الهند مساحة ، إذ تبلغ مساحتها ٨,٥١١,٩٦٥ كيلو متراً مربعا ، بينما لاتزيد مساحة الهند على ٣,٢٨٧,٧٨٢ كيلو متراً مربعا ، وتنقلب النسبة إذا ذكرنا عدد السكان ، إذ لايزيد عدد سكان البرازيل على ١١٩,٠٢٤,٦٠٠ نسمة ، بينما يبلغ عدد سكان الهند ٦٨٥,١٨٥,٠٠٠ نسمة

٣ - إنها يوغوسلافيا كما لايخفى ، وإليك التفاصيل

الجمهوريات الست هي سلوفينيا / كرواتيا / صربيا / مونتنجرو / مقدونيا / بوسنيا / هرزيكوفينا

والقوميات الخمس هي قوميات الجمهوريات المذكورة باستثناء الأخيرة التي لاتعتبر قومية بالمعنى الدقيق

واللغات الأربع هي الصربية والكرواتية والسلوفينية والمقدونية

والأديان هي الكاثوليكية والارثوذكسية والاسلام

٤ - الاسم القديم لبركينا فاسو هو فولتا العليا ، والاسم الجديد لداهومي هو بنين ، والجدير بالذكر أن مساحة بركينا فاسو تبلغ ٢٧٤,٢٠٠ كم ٢ ، وعدد سكانها يقارب سبعة ملايين نسمة ، ومعنى ذلك أنها أكبر من بنين بمرتين أو أكثر ، ذلك أن مساحة بنين تبلغ ١١٢,٦٢٢ كم٢ ، وعدد سكانها ٣,٥٢٠,٠٠٠ نسمة

٥ - استقلت (نيازالد) سنة ١٩٦٤ ، فاستبدلت اسمها هذا باسم ملاوي ، وغيرت اسم بحيرتها التي كانت تسمى بحيرة نيازا طيلة قرن من الزمان فأصبحت تسمى بحيرة ملاوي

ومن طريف مايذكر أن (نيازا) اسم افريقي يعني (بحيرة) ، وقد أطلقه على البحيرة المستكشف دافيد لفنجستون سنة ١٨٥٩ حين وصلها لأول مرة .

٦ - فنزويلا هي الدولة المقصودة ، فاسم فنزويلا يعني باللغة الاسبانية فينيسيا الصغيرة ، أي البندقية الصغيرة وكان الرحالة الاسباني (الونصو دي اوخيدو) هو الذي أطلق عليها هذا الاسم ، وكان ذلك سنة ١٤٩٩ حين كان يبحر بمحاذاة الساحل الكاريبي لفنزويلا ، فرأى بيوت بعض الهنود الحمر المبنية على ركائز فوق الماء ، فذكره منظرها بالبندقية

٧ - الألوان والخطوط واحدة على كلا الوجهين ، خطوط عادية بألوان ثلاثة ، هي الأحمر فالأبيض فالأزرق ، لكن أحد الوجهين يشمل بالإضافة إلى ذلك رسما على القاطع الأبيض هو صورة لخاتم الحربية

٨ - ديوميد الكبرى جزيرة روسية ، وديوميد الصغرى جزيرة أمريكية ، وتقع الجزيرتان في مضيق برنغ والجدير بالذكر أن خط التوقيت الدولي يمر بين هاتين الجزيرتين ، بحيث يفصل بينهما يوم كامل بالرغم من أن الواحدة منها لاتبعد عن الأخرى إلا مسافة (٤) كيلومترات فقط

٩ - الدولة الاوروبية المقصودة من السؤال هي مملكة بولونيا ، فقد كانت الدولة الاوروبية الكبرى مساحة (بعد روسيا) ، والكبرى بعدد السكان (بعد

سا) ، حتى عام ١٧٧١ ، لكن الحروب مالبثت قامت بيها وبين حاراتها ، روسيا والىمسا وسيا ، طلة حيل كامل (١٧٧٢ - ١٧٩٥) ، هت تلك الحروب بانتصار هده الحارات على لدة ، واقتسام أراصيها فيما بيها

- الدولة هي بوليميا ، وقد حسرت ماحسرت النحو التالي

- سنة ١٨٧٩م - ١٨٨٣م حرب الباسيفيكي ات نتيحتها أن صمت شيلي سواحل بوليمياعلى يط الباسيفيكى بما في دلك صحراء أتكاما

- سنة ١٩٠٣ م اصطرت بوليميا للتحلي عن إحدى ماطقها العية بشحر المطاط للبرازيل

سنة ١٩٣٢م - ١٩٣٥م فقدت بوليميا في حرب شاكو مع البار احواي نحو ثلاثة أرباع إقليم شاكو الحنوبي

١١ - فانوتو هو الاسم الحديد الذي احتارته لنفسها الحزر المذكورة في عهد الاستقلال ، وقد كان اسمها السابق هو حزر الهربايد الحديدة عاصمتها هي فيلا

١٢ - تقع قرية احشة قرب بحارى في الاتحاد السوفياتي □

* * *

ائزون في مسابقة العدد ٣٤٣ يونيو ١٩٨٧

لجائزة الاولى	أحمد محمد سالم درويش / القطيف - المملكة العربية السعوديه
لجائزة الثانية	حامد أحمد محمد النار / محافظة الدقهلية - جمهورية مصر العربية
لجائزة الثالثة	برشي محمد - فرنسا

- ائزون بالجوائز التشجيعية

- المنصف السالمي/ المعهد الثانوي المختلط/ القيروان - تونس
- محمود سعيد محمد مصطفى صالح نزال/ الجهراء/المنطقة الثانية - الكويت
- مالكي احمد/ شارع علال الفاسي - مراكش - المملكة المغربية
- صلاح مدثر محمد عبدالله/ معلق العمارة - السحانة - السودان
- طاهر كاظم البكري/ كلية الهندسة - جامعة كشمير - الهند

فاطمة محمد ناصر اليريدي/ ص ب ١٠٧٥٥ - صنعاء - الجمهورية العربية اليمنية

- السعيد ربيري - فرنسا
- مفيد جمال ياسين/ عمان - الجامعة الأردنية - الأردن

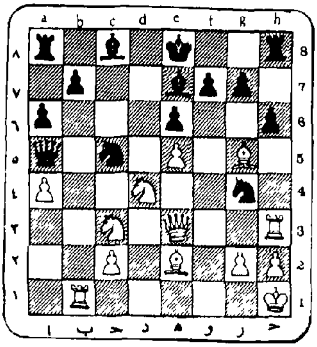

☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐

من مباريات الشطرنج الطريفة التي جرت في أواخر العام الماضي تلك المباراة التي أقامها نادي اوترحت الهولندي ، احتفالا بمرور مائة عام على تأسيسه ، فقد استضاف النادي المذكور ستة من كبار أبطال العالم في الشطرنج ، منهم البريطانيان (جون نن) و (توني مايلز) ، ليقابلا الأبطال الهولنديين في مباراة فريدة من نوعها ، تهدف إلى وضع بعض الافتتاحيات ـ محل الجدل ـ موضع الفحص والاختبار وقد اختار منظمو المباراة افتتاحيتين من افتتاحيات جناح الوزير ، تعرف إحداهما بدفاع (جرو نفيلد) ، والثانية بدفاع الوزير الهندي ، وهما الخطان الرئيسيان لتفريعة الدراجون (التنين) من الدفاع الصقلي (السيسيليان) أ هـ ٤ حـ ٥ التي يتبعها الاسود ب (هـ ٣) إلى حين الوصول إلى البيدق المسموم ، وهي تفريعة الدفاع الصقلي المفضلة لدى بطل العالم الأمريكي بوبي فيشر (١٩٧٢ ـ ١٩٧٥) الذي كان سبباً في هزيمته أمام بوريس سباسكي بطل العالم الروسي (١٩٦٩ ـ ١٩٧٢) ـ الفرنسي حالياً ـ في مباراة ريكجافيك المشهورة

وقد ألحق تسعة من البيادق المسمومة الكوارث على رءوس لاعبيها الذين هزموا في جميع الحالات مما يدعونا للتساؤل فيما إذا كان من الممكن اعتبار ذلك نجاحاً متأخرا لنظرية فيشر

☐ بيوفهيس (هولندا)	■ جون نن (انجلترا)
١ ـ هـ ٤	حـ ٥
٢ ـ ح ـ و ٣	د ٦
٣ ـ د ٤	حـ × د ٤
٤ ـ ح × د ٤	ح ـ و ٦
٥ ـ ح ـ حـ ٣	أ ٦
٦ ـ ف ـ ر ٥	هـ ٦
٧ ـ و ٤	و ـ ب ٦
٨ ـ و ـ د ٣	و × ب ٢
٩ ـ ر ـ ب ١	و ـ أ ٣

وبانتهاء هذه النقلات الاجبارية بدأت حرية الاختيار ، فاختار أربعة من اللاعبين البيض ١٠ و ٥ ، وأخذ خامس الحصان بالفيل ، غير أن الباقين تابعوا اللعب كالآتي

١٠ ـ ف ـ هـ ٢	ح (١) ـ د ٧
١١ ـ ت	و ـ جـ ٥
١٢ ـ م ـ حـ ١	ف ـ هـ ٧
١٣ ـ أ ٤	و ـ حـ ٧

الفائزون في حل مسابقة الشطرنج
العدد ٣٤٣ يونيو ١٩٨٧

الفائزون باشتراك سنة كاملة

١ محمود علي محمد ـ مقديشو / الصومال

٢ محمد عبد الله علي ـ العوالي / البحرين

٣ محمود عطيه البيومي ـ الدقهليه / ح م ع

٤ تعريد حمّاد ـ عمان / الاردن

٥ أحمد حسون ـ بغداد / العراق

الفائزون باشتراك ستة أشهر

١ علي يوسف محمود ـ حلوان / ح م ع

٢ حامد عبدولي ـ الدوحة / قطر

٣ ـ الهام السالمي ـ فاس / المغرب

٤ ـ أميرة حسن شحات ـ الاسماعيلية / ح م ع

٥ عنايه مهابي ـ الصفاة / الكويت

---

١٤ ـ ر ـ و ٣	حـ ٦
١٥ ـ ر ـ حـ ٣	ح ـ حـ ٥
١٦ ـ و ـ هـ ٣	و ـ أ ٥
١٧ ـ هـ ٥	د × هـ ٥
١٨ ـ و × هـ ٥	ح ـ ر ٤ (انظر الشكل)
١٩ ـ ف × ر ٤	ف × ر ٥
٢٠ ـ و ـ هـ ٢	ت
٢١ ـ ح ـ و ٣	ف ـ هـ ٧
٢٢ ـ ح ـ هـ ٤	ح × هـ ٤
٢٣ ـ و × هـ ٤	ر ـ د ٨
٢٤ ـ ف ـ حـ ٥	و ٥
٢٥ ـ هـ × و ٦ (بالتحاور)	ف × و ٦
٢٦ ـ ر ـ و ١	ف ـ د ٧
٢٧ ـ ح ـ د ٤	و × أ ٤
٢٨ ـ ر ـ د ٣	ر ـ و ٨
٢٩ ـ ف ـ و ٣	ر أ ـ هـ ٨
٣٠ ـ حـ ٣	و ـ حـ ٤
٣١ ـ و ـ ر ٦	ف × د ٤
٣٢ ـ حـ × د ٤	ر ـ و ٦
٣٣ ـ و ـ هـ ٤	ف ـ حـ ٦
٣٤ ـ و ـ هـ ٢	ف ـ ب ٥
٣٥ ـ ف ـ هـ ٤	و ـ حـ ٢

ويخسر الأبيض الدور لماذا يا ترى ؟

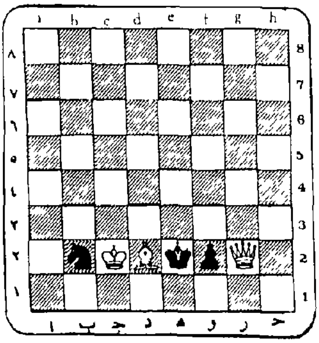

مسألة العدد ٣٤٦ سبتمبر ١٩٨٧

مات ٢

مهداة من القارىء محمد عزّام (القاهرة)

حل مسألة العدد ٣٤٤
يوليو ١٩٨٧

مفتاح الحل ح ـ هـ ٧

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

على هذه الصفحات .. ترحب "العربي"

حوار القراء ..

لصوص ظرفاء

● قرأت في العدد ٣٣٨ شهر يناير ١٩٨٧ مقالا للدكتور عبد السلام العجيلي، تحت عنوان «حيلة وحيلة» يحدثنا فيه الدكتور عبد السلام العجيلي عن السرقات التي حدثت في فرنسا العام الفائت

وتوقف عند اغرب حادثة سطو وقعت في احدى ضواحي باريس واسهب الدكتور في سرد تفاصيلها بأسلوب قصصي جذاب تعودناه في رواياته العديدة إلا أن ما استوقفني كثيرا هو بعض العبارات التي وردت في مقال - الدكتور عبد السلام العجيلي والتي تبرر للسارق فعلته لطرافة اسلوبه في السرقة وأسوق هنا عبارتين وردتا في بداية ونهاية المقال الاولى (تكاد نغفر احيانا للسارق جرمه لطرافة اسلوبه في ارتكاب هذا الجرم) الثانية (قال صاحبي معقبا على ماروينه له لصوص اذكياء لا شك في هذا، مغنمهم من الأثاث والتحف الثمينة يتناسب مع مايملكونه من وسائل في عالمهم المتقدم، ونحن هنا كذلك لانعدم لصوصا ظرفاء لهم اساليبهم الذكية التي تسوق الابتسامة الى الشفاه، ويكاد أن يغتفر لهم معها خروجهم على القانون وعلى الخلق المستقيم)

الى هنا أتوقف وأعترض على هذا التبرير، وعلى ورود هاتين العبارتين في مقال الدكتور الكبير عبد السلام العجيلي، لأن للكلمة سحرها لدى القراء وخاصة عندما تصدر عن قلم دكتور أديب له باع طويل في عالم القصة والرواية . وهذا السحر الموشى بـ (لصوص ظرفاء) و (طرافة الاسلوب - التي تكاد تدعونا لأن نغفر أحيانا للسارق جرمه)

هذه الكلمات لها مفعول السحر والترغيب لدى الشباب الطائش والتي تزيده زهوا وغرورا وانحرافا

وليسمح لي الدكتور عبد السلام العجيلي ان اسأله - متى كان اللصوص ظرفاء ؟ وهل يجتمع المكر والاحتيال والخديعة والدهاء مع الظرف ؟ والظرف يعني الكياسة واللباقة والخلق القويم !

فهل في فعلة هؤلاء اللصوص كياسة وخلق قويم حتى ينعتهم الدكتور بالظرفاء واللطفاء ؟

انها عبارات لم يقصد الدكتور عبد السلام بها وضع السم بالدسم على ما اعتقد ولكن القارىء قد يتبادر هذا الى ذهنه للوهلة الاولى ، والأهم من ذلك انه لم يمض وقت طويل حتى وجدت نفسي أطالع في صحيفة الثورة السورية العدد ٧٣٤٤ تاريخ ١١/ ٤/ ١٩٨٧ الصادرة في دمشق وعلى الصفحة السادسة قصة مشابهة لحادثة السرقة الباريسية بأسلوبها وتفاصيلها الا ان نجومها هذه المرة شبان عرب، وحصلت حوادثها بين مدينتي حلب ودمشق، ألم

ينقل الدكتور عبد السلام في مقاله نحن هنا كذلك لانعدم لصوصا ظرفاء بأساليب ذكية ويكاد أن يعتذر لهم معها خروجهم على القانون وعلى الخلق المستقيم ؟ ولم أكد أنتهي من قر هذه الحادثة حتى أصبت بالذهول لدى مطالعتي لصحيفة الوطن الكويتية العدد ٤٣٨٥ الصادرة بتاريخ ٦ مايو عام ١٩٨٧ وتحديدا على الصفحة ٢٨ الاخيرة وفيها حادثة سرقة مشابهة تحت عنوان بعيدا عن السياسة وتحت عنوان صغير / « السرقة فنون وجنون ، أيضا » . حادثة أخرى بنفس الأسلوب والتفاصيل ولكن مسرحها هذه المرة ضاحية المنار بالعاصمة التونسية وجزيرة جربة السياحية ـ ولا أدري غدا ماذا أطالع وأين ستكون الحادثة الرابعة حادثة سرقة غريبة وظريفة ، بنفس الأسلوب . بنفس التفاصيل لايسعني هنا الا ان اقول العبارة المشهورة (القانون لايحمي المغفلين) هذا صحيح ،

لكن قلم الكتاب والادباء يجب أن يكون أشد قسوة بتناوله لهذه الوقائع، وأن يبتعد عن المفردات والعبارات التي تسوغ للمجرم فعلته، وتجعله نجما ظريفا يكاد أن يعتذر له معها خروجه على القانون وعلى الخلق المستقيم

في الختام أرجو ان أكون قد وفقت في ابداء وجهة نظري وأرفق مع رسالتي هذه قصاصتين من صحيفتي الثورة السورية والوطن الكويتية وردت فيها هاتان الحادثتان

محمود هدبه
طرابلس / ليبيا

العربي

ـ ننشر وجهة نظر القارىء الكريم حول مقال الدكتور عبد السلام العجيلي ، ونشير الى أنه أرفق بمقاله المنشور هنا قصاصات من صحيفة « الثورة » السورية ومن صحيفة « الوطن » الكويتية ، وبها نفس الوقائع التي اشار اليها في تعليقه، ومع اننا لانشك قطعا في حسن نية الدكتور عبد السلام العجيلي ، وتركيزه على عنصر الطرافة في الموضوع الا ان وجهة نظر القارىء الكريم جديرة أيضا بأن تؤخذ في الاعتبار

لغة القرآن الكريم في شبه القارة الهندية

● مجلة العربي من المجلات العربية التي يعتز بها المسلمون والعرب ، ونحن في الهند نقدمها للمثقفين غير المسلمين للدلالة على تقدم الصحافة العربية في العالم العربي ، وعلى انتشار اللغة العربية وحيويتها والآراء التي يبديها أصحابها عبر صفحات هذه المجلة قد لاترضي الجميع ، ولكن شكل المجلة ومخبرها يستهويان كل ناظر ، واني قد عرفت فترة بيعت فيها مجلة العربي مقابل ثمن مضاعف

ان خدمات المجلة واسعة متنوعة لايستطيع أحد التنويه بها في سطور قليلة ، ولكن الناحية التي تهمنا هي ناحية خدمة اللغة العربية ـ لغة القرآن والسنة ـ وترشيد الجهود التي تبذل في تدريس هذه اللغة ونشرها في العالم

وقد دفعني الى هذه الكتابة المتواضعة ما قرأته في العدد (٣٤١) من العربي (ابريل ١٩٨٧) تحت عنوان (تحية من معلم بالعالم الجديد) وكذلك ما جاء بعده من وعد العربي بأنها تستمر في ترشيدها وتوجيهها، وقد تكون هذه السطور مضاعفة للثقل دون تخفيفه ، ولكن الحقيقة ان المنطقة التي نشير اليها لوحظيت فيها اللغة العربية بعناية كافية من المسئولين

العربي
ص ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

حوار القراء..

لتغير مجرى الأحداث في شبه القارة الهندية دون مبالغة

وشرح هذا الاجمال أن المسلمين بالهند (وكذا باكستان وبنغلاديش) ينظرون الى اللغة العربية نظرة الاحترام والتقديس ، ويبذلون كل غال ورخيص في سبيل نشرها والحفاظ عليها

ولاجل هذه اللغة القيمة أنشأوا عشرات المدارس الكبيرة في اقطار الهند الواسعة،وهذه المدارس أهلية أو شبه رسمية ولكنها تمتاز بعنايتها البالغة باللغة العربية تدريسا وكتابة وتكلما ، حتى ان الطلاب في مرحلة من مراحل الدراسة في هذه المدارس يقرؤون قراءة سليمة جدا ولكنهم لايستطيعون فهم كلمات التنزيل من ناحية المعنى،لانهم لم يصلوا الى مستوى فهم القرآن الكريم ان علماء المسلمين الذين تخرجوا في هذه المدارس الاسلامية ثم استكملوا دراساتهم كانت لهم مساهمة ملموسة في حركة تحرير الهند ، وفي الدفاع عن الاسلام ومبادئه وقيمه ، وفي صد هجمات المبشرين النصارى الذي هاجموا الاسلام والمسلمين بكل عنف وشراسة، أيام الاستعمار الانجليزي لشبه القارة

ولهؤلاء العلماء مؤلفات قيمة نافعة باللغة العربية أو غيرها،وهي جميعا تتناول قواعد اللغة العربية وآدابها وثقافتها وشعبها وما الى ذلك،وفي موقف الدفاع ترد على اتجاه الشعوبية والصهيونية وتبرز معالم الحضارة العربية والاسلامية التي امتد اشعاعها الى اقصى الصين في الشرق.لست هنا كي احصى محاسن المدارس الاسلامية وخريجيها ، ولكني اشرت الى بعضها تنويها بشأنها وتمهيدا لما اقترحه في سبيل دعمها ونهضتها ان هذه المدارس يجهلها كثير من المسلمين بالعالم ، ومجلة العربي الموقرة قد غطت باستطلاعها كثيرا من البلاد والمعالم الاسلامية،فلو تكرم القائمون على هذه المجلة باعطاء قليل من العناية لهذه المدارس الاسلامية لتعين ذلك حافزا لها دون شك وبما ان هذه المدارس تتبع جماعات معينة فمن الاحسن ان يتم التعريف بمدرسة واحدة فقط بين مدارس جماعة واحدة

وأملي قوي في ان هذه اللغة الغنية ستصل الى جميع الآذان ، كما ان الدين الاسلامي الحنيف قد وصل اشعاعه الى كل مكان رزقنا الله تعالى الاخلاص والتوفيق

د مقتدى حسن محمد ياسين
وكيل الجامعة السلفية / الهند

[illegible]

ـ نشكر للدكتور مقتدى حسن اهتمامه والمعلومات التي تفضل بها حول دور مدارس تعليم اللغة العربية في الهند ، ونعده بأن يكون اقتراحه حول استطلاع او التعريف بهذه المدارس ودورها محل دراسة في مجلس التحرير خلال مناقشة خطط الاستطلاعات وشكرا

هل كان العرب يصنعون الثلج ؟

● بين العربي وقارئها ثقة متينة متبادلة فلاهي تبخل عليه بالثقافة في شتى مجالاتها ، ولا هو يبخل بالاستفادة وقد لفت انتباهي من مقال بعنوان « الفصل بين الطب والفلسفة » في العدد «٣٤١» قول الدكتور عادل البكري عن الطبيب بختيشوع بن جبرائيل انه في الايام الشديدة الحر كان يجلس في

عرفة ذات طاقات ، يدخل منها هواء مبرد ، بعد مروره على مواضع فيها ثلج مكبوس ، فهل كان في ذلك العهد ثلج مصنع ، ام ان رحالات ذلك العصر كان بامكانهم حفظ الثلج من ايام الشتاء الى ايام الحر الشديد ، ام ان ماورد كان سهوا ؟

وجزاكم الله خيرا

رامز حداد

الزرقاء / الاردن

التعقيب

- حولنا هذه الرسالة الى الدكتور عادل البكري كاتب المقال المشار اليه فتفضل بالرد التالي

اشارة الى استفسار السيد رامز حداد في رسالته المرفقة حول موضوع (التبريد بالثلج) الوارد في مقالي بعنوان (الفصل بين الطب والفلسفة)

كان الثلج يستعمل في التبريد منذ العصر العباسي الاول ، ويشير الطبري في تاريخه ان اول من حمل له الثلج من الخلفاء هو المهدي وكان الرشيد يحمل له الثلج في حجه الى بيت الله وبعد ان نقلت عاصمة الخلافة العباسية الى سامراء اصبح للثلج اهمية كبيرة واصبحت له وظيفة يقال لها وظيفة (الثلاج) وهو الذي يجلب الثلج من الاماكن البعيدة ويخزنه وكانت نفقات الثلج في زمن الخليفة المقتدر (٢٩٥ هـ ٣٢٠ هـ) تبلغ آلافا من الدنانير،ويذكر أن وزيره ابن الفرات صرف أربعين ألف رطل من الثلج في أول يوم من استيزاره في وزارته الثانية وكان في ناحية قصره دار كبيرة للشراب يقدم فيها الماء المثلوج وجاء في مطالع البدور للغزولي (ج ٢ ص ٤٨) أن جميلة الموصلية بنت ناصر الدولة حجت عام ٣٦٦ هـ فسقت اهل الموسم من الحجاج السويق بالسكر والثلج

واستعمل الثلج في الطب اذ وصفه الطبيب اسحاق بن عمران المتوفي سنة ٢٧٩ هـ لمعالجة مرض السمنة (أي ضيق النفس) الذي أصيب به ابن الاغلب حسبما ذكر ابن جلجل في كتابه (طبقات الاطباء والحكماء) كما استعمل ابن سينا (كيس الثلج) على الرأس لمعالجة الحمى والصداع

وكان اقبال الناس على شراء الثلج واستعماله في دورهم وقصورهم قد دفع طبقة من الناس الى العناية بجلبه من الجبال البعيدة وكبسه وحفظه في صهاريج معزولة حتى يجيء موسم الحر ، ثم يبيعونه باسعار عالية.ويذكر القلقشندي أن الثلج كان يجلب من الشام الى مصر لتبريد الماء غير أن أحدا من المؤرخين لم يذكر ابدا أن الثلج كان يصنع كما يصنع اليوم ، إذ أن طريقة استحضاره صناعيا لم تكن معروفة آنذاك

اما القصة التي أوردتها عن استعمال ابن بختيشوع للثلج في تكييف الهواء (تبريده) فهي تدل على التطور الحضاري في ذلك العصر ، وقد ذكرها ابن أبي أصيبعه في عيون الانباء عند كلامه عن هذا الطبيب ويمكن مراجعتها في موضعها كما يمكن مراجعة مقال ماجد عبد الله الشمس وبتول درعم ضمن ابحاث الثروة القطرية الثالثة لمركز احياء التراث العلمي العربي ببغداد ففيها مايفيد في هذا المجال

د عادل البكري

الجامعة المستنصرية ـ بغدا

تعالوا نتعلم كيف نعترف بالخطأ

● لقد اثارت مقالة الدكتور يحي الجمل في عد ابريل ٨٧ م من العربي بعنوان«تعالوا نتعلم كيف نختلف» الكثير من النداءات التي يختلج بها صد كل عربي ويوجهها الى الحكام العرب أولا ، وكل عربي في موقع المسئولية ثانيا ، وكل الجماهير العربي ثالثا ومن هذه النداءات نذكر مايلي

ياعرب تعالوا نتعلم كيف نعترف بالخطأ فان الاعتراف بالخطأ أول الخطوات نحو الصواب وان الاعتراف بالخطأ والاعتذار عنه نبل وشهامة،ولا يعيب

حوار القراء..

المرء ولاينتقص من قدره أن يحيد عن الخطأ الى الصواب

ياعرب تعالوا نتعلم كيف نعصب وكيف نتاول مواقف العصب بموصوعية وكيف نحسن الى أحيا العربي ان أساء الينا وتعالوا نتعلم كيف نحرس أجهزة اعلامنا التي تنطلق بالشتائم صد بعصنا البعض اذا كنا نريد للخلافات العربية بعض الاصلاح

ياعرب تعالوا نتعلم كيف ان هناك بعض الاساسيات لايجب أن تمس مهما احتلفا مثل عدم اغلاق الحدود وعدم قطع العلاقات وعدم منع المواطنين العرب من الدخول لأي بلد عربي لزيارة أقاربهم والتواصل هل يعقل ياعرب ان تكون لمصر قلب العروبة النابض علاقات وحدود مفتوحة مع اسرائيل وليس لها ذلك مع جارتها ليبيا مثلا ؟!

ياعرب تعالوا نتعلم كيف أن قوتنا في وحدتنا وأن صعفنا في تفرقنا وأن الذي يعاني من الخلافات العربية هو المواطن العربي أولا واخيرا

ياعرب تعالوا نتعلم كيف نتغاضى عن خلافاتنا البسيطة الزائلة في سبيل أهداف أسمى باقية

ياعرب تعالوا نتعلم كيف أننا أحيانا نسيء الى أنفسنا والى شعوبنا أكثر مما يسيء لنا الآخرون مثل الاستعمار والصهيونية !!

هذه بعض النداءات او الآمال العربية لعلها تجد طريقها للنشر على صفحات حوار القراء وشكرا

محمود عبد الرءوف كامل

مدرس الاعلام بجامعة قاريونس

/ بنغازي / ليبيا

الفقهاء ومشاكل العصر

● لي تعقيب بسيط على مقال الاستاذ فهمي هويدي المنشور بالعدد ٣٤٢ مايو ١٩٨٧(استدعاء الفقه الى قلب العصر)

فلا يختلف أحد على عظمة الفقه الاسلامي ومرونته وصلاحيته مع كل بيئة،واتساعه للمشاكل المختلفة التي واجهته

فبشأن الشرط الثاني الذي أضافه د القرضاوي والمتعلق بضرورة توفر معرفة الناس والحياة في المجتهد،والبعد عن الاهواء الاقتصادية والسياسية المختلفة فكثير من العلماء الحديثين والقدماء انحازوا للاسف للحكام وللمال وللسلطة،فلم نسمع منهم رأيا في أمور الحياة اليومية التي تمر بالمسلم،وكذلك في الشئون العامة كتجارة العملة والمضاربة بالذهب وأشياء من هذا القبيل،وكذلك ماهي اصلح النظريات الاقتصادية التي تناسبنا لنأخذ بها بدل الاقتصار على الفتاوي المكررة

مع ذلك فكثير من الفقهاء انحازوا الى الفقراء من المسلمين لانهم كانوا على اقتناع تام بأن الرسالات السماوية جاءت لنصرة الحق والمظلومين ، ومن ثم فيجب على علمائنا ألا يحصروا أنفسهم في المسلمات بأن هذا حرام وذاك حلال وعليهم بأن يجتهدو لادخال الفقه الى عصرنا الحديث حتى يتبوأ المسلمون مكانتهم مرة أخرى ولايتخلفوا كما هو حا الان

هشام محمد جلال سـد

الاسكندر مصر

جمالية الخط العربي

● قرأت في العدد ٣٣٨ من مجلة العربي مقالا عن «جمالية الخط الكوفي» بقلم عبد اللطيف هاشم، وقد سعدت بما ورد في هذا المقال من معلومات وتحليل قيم لجمالية الخط الكوفي الذي يعتبر أحد اشكال الفن العربي المتميزة، وارجو بهذه المناسبة ان تدرسوا امكانية وضع باب ولو غير منتظم في الصدور عن الخط العربي بجميع اشكاله وتاريخه ومايحتوي عليه من قيم جمالية وابداعية لتعريف الجيل الجديد بهذا الفن العربي العظيم الذي يكاد يختفي، واتاحة الفرصة لامكانية تطويره من خلال جهود الفنانين العرب المحدثين وشكرا،

منتصر الديراني
المعهد الصناعي بدمشق

ـ ابتداء ترحب العربي بنشر أي مقال جيد عـ
الخط العربي، وتعد القارئ الكريم بأن يـ
اقتراحه محل اهتمام ودراسة في مجلس التحرير

ردود خاصة

● يرغب السيد / محمد الحسن محمد ص
عثمان المقيم في الشقة ٢٥ بناية مدرم شارع مد
عدن بجمهورية اليمن الديمقراطية أن ننشر
آملا أن يطلع عليه أحد أقاربه الذين انقطعت
هم منذ سنة تقريبا رغم رسائله اليهم، بعضهـ
في بيروت العربية / لبنان، وبعضهم في السود
ونأمل ياسيد / محمد أن تلتقي بأقاربك بعد
النشر

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية
تصدر عن جامعة الكويت
رئيس التحرير
الدكتور عبد الله الغنيم
صدر العدد الأول في كانون ثاني (مارس) ١٩٧٥ تصل أعدادها الى ايدي نحو ٢٠٠٫٠٠٠

مجلة علمية محكمة — يحتوي كل عدد على مجموعة من البحوث والدراسات والتقارير المتعلقة بمنطقة الخليج والجزيرة العربية بأقلام نخبة من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشئون وتقوم المجلة أيضا بإصدار مجموعة من الكتب العلمية المتصلة بالمنطقة، مع كتاب سنوي يضم نصا للوثائق والتقارير المتعلقة بشئون المنطقة خلال تلك السنة

الاشتراكات
ثمن العدد ١ فلس كويتي أو ما يعادلها في الخارج.
الاشتراك للأفراد سنويا ديناران كويتيان أو ١٥ دولارا امريكيا في الخارج (بالبريد الجوي)
الاشتراك للمؤسسات والدوائر الرسمية سنويا ١٢ دينارا كويتيا أو ٤٠ دولارا امريكيا في الخارج (بالبريد الجوي)

العنوان : جامعة الكويت ـ الشويخ ص.ب ١٧٠٧٣ هاتف ٨١٦٧٩٩-٨١٦٨٠٧-٨١٦٨٢٤
جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

سبتمبر ١٩٨٧ م

الأحزاب السياسية
في العالم الثالث

تأليف: د. أسامة الغزالي حرب

الكتاب ١١٧

٥٠٠ فلس

المراسلات: باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - ص.ب ٢٣٩٩٦ الكويت

حوليات كلية الآداب

تصدر عن كلية الآداب . جامعة الكويت

رئيس هيئة التحرير : د. عبدالمحسن مدعج المدعج

دورية علمية محكمة، تتضمن مجموعة من الرسائل التي تعالج بأصالة موضوعات وقضايا ومشكلات علمية تدخل ضمن تخصصات كلية الآداب.

- تقبل الأبحاث باللغتين العربية والانجليزية شرط ألا يقل حجم البحث عن (٤٠) صفحة مطبوعة من ثلاث نسخ.
- أن يمثل البحث اضافة جديدة الى المعرفة في ميدانه الخاص وألا يكون قد سبق نشره.

توجه المراسلات إلى : رئيس هيئة تحرير حوليات كلية الآداب ص ب ١٧٣٧٠ الخالدية - الكويت.

الثقافة العالمية

مجلة تترجم الجديد في الثقافة والعلوم المعاصرة

- تعتمد فيما تنشره على الترجمة من مختلف الدوريات العالمية.
- هدفها إقامة الصلة بين الفكر العربي وبين الأجواء المتطورة للثقافة العالمية المعاصرة.
- ميزانها الأساسي في اختيار المترجمات هو الجديد والهام.

- تصدر دورية كل شهرين عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

رئيس التحرير
أحمد مشاري العدواني

نائب رئيس التحرير
د. سليمان ابراهيم العسكري

المجلة العربية للعلوم الانسانية

فصلية محكمة
تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير

د عبد الله أحمد المهنا

[illegible]
[illegible] هاتف ٨١٧٦٨٩ ـ ٨١٥٤٥٣

المراسلات توجه إلى رئيس التحرير

ص ب ٢٦٥٨٥ الصفاة
رمز بريدي 13126 الكويت

- تلبي رغبة الاكاديميين والمثقفين من خلال نشرها للبحوث الأصيلة في شتى فروع العلوم الإنسانية باللغتين العربية والإنجليزية، إضافة الى الأبواب الأخرى، المناقشات، مراجعات الكتب، التقارير
- تحرص على حضور دائم في شتى المراكز الأكاديمية والجامعات في العالم العربي والخارج، من خلال المشاركة الفعّالة للأساتذة المختصين في تلك المراكز والجامعات
- صدر العدد الأول في يناير ١٩٨١
- تصل الى ايدي ما يزيد على عشرة آلاف قارىء.

نرفق قسيمة الاشتراك مع قسيمة الاشتراك الموجودة داخل العدد

مجلة العلوم الاجتماعية

تصدرها
جامعة
الكويت

مجلة فصلية أكاديمية تعنى بنشر الابحاث والدراسات في مختلف حقول العلوم الاجتماعية

رئيس التحرير د. فهد ثاقب الثاقب

منبر للاكاديميين عربي
توزيع اكثر من (١٠٠٠٠) نسخة

الموزع في الكويت والخارج مجلة العلوم الاجتماعية

توجه جميع المراسلات الى: رئيس التحرير
مجلة العلوم الاجتماعية. جامعة الكويت ص ب ٥٤٨٦ صفاة. 13055
صفاة الكويت ـ هاتف: ٢٥٤٩٤٢١ ـ تلكس: ٢٢٦١٦ - UNIVER الكويت
٢٥٤٩٣٨٧

البحريـن

ســاعة لربـك
وسـاعة لقلبـك

اليمن الشمالي

.. خطوات على
طريـق التنميـة

تتمر سانيو VM-D1P بضابط سرعة عاليه ١/ ١٥ ثانية
دو علو الكتروني تعطيك حركة بطيئة وإعادة
سب بسورة صورة بوضوح لتمكنك من إلتقاط
أسرع الحركات كالخطاب عبر المتوقعه والأسرع
من أن تراها العين المجردة إنها مدمجة وخفيفة (١,٢٧ كغ)
مع تعديل رقمي آلي سهلة لإستعمال تسمح لجميع أفراد
العائلة بأخذ روع التسجيلات سانيو VM-D1P احصرها
وضع الحيوية في منزلك

8 VM-D1P

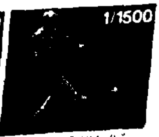

سرعة ١/ ١٥ ثانية يلتقط ضابط
سرعة على سانيو VM D1P الالكتروني
نص المقطع بدقة ووضوح

سرعة ١/ ٥ ثانية تبدو الحركات
السريعة غير واضحة بواسطة
التسجيل التقليدي

سانيو

SANYO

العدد ٣٤٧ السنة الثلاثون اكتوبر ١٩٨٧

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهرياً عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

Library

رئيس التحرير

د. محمد الرميحي

AL-ARABI

Issue No. 347 Oct. 1987 . P.O.BOX 748
Postal Code No. 13008
Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by : Ministry Of Information - State Of Kuwait.

عنوان المجلة

ص ب ٧٤٨ - الصفاة
الرمز البريدي 13008 - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس : MITA 44041KT
تليفون فكسيملي ٢٤٢٤٣٧٥
المراسلات باسم رئيس التحرير

الإعلانات يُتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الإشتراكات

ترسل الطلبات إلى : قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقاً لما يلي .
الوطن العربي ٤ د ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلساً
العراق ٢٥٠ فلساً
الاردن ٢٠٠ فلس
البحرين ٣٠٠ فلس
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلساً
مصر ٣٠ قرشاً
السودان ٢٠ قرشاً

تونس ٤٠٠ مليم
الجزائر ٤ دنانير
السعودية ٥ ريالات
اليمن الشمالي ٣ ريالات
قطر ٥ ريالات
لبنان ١٥ ليرة
سوريا ١٠ ليرات

الامارات ٥ دراهم
المغرب ٣ دراهم
ليبيا ٣٥٠ درهماً
سلطنة عمان ربع ريال
أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
فرنسا ١٥ فرنكاً
امريكا دولاران

محتويات العدد

طعام المستقبل ص ٣٥

مرض النخالة البيضاء ص ٦٥

الموسيقا العربية..... ١٠٥

■ حديث الشهر :

المليار الخامس نقمة أم نعمة ؟
ـ د. محمد الرميحي . ٨

■ انفجار ديون البرازيل وبدء عصر المواجهة بين الدائنين والمدينين
ـ د. رمزي زكي . . . ٢٢

■ خَلوة ليل (قصيدة)
ـ فاروق شوشة . ٢٨

■ صاحب قديم
ـ د. عبد السلام العجيلي ٣٠

■ طعام المستقبل
ـ إبراهيم عبدالله العلو . . ٣٥

■ للمناقشة . لأنه أرادنا مختلفين
ـ فهمي هويدي ٤١

■ لحظات من الزمن العربي . بعد أن يموت السيد !
ـ د. محمد المنسي قنديل ٤٦

■ المخاض (قصة)
ـ محمد الشارخ ٥٦

■ مرض النخالة البيضاء
ـ د. محمد عبدالله المشاري . . . ٦٥

■ طفيليات يمكن أن تعيش على كبدك
ـ د. سامي محمود علي ٩٠

■ الموسيقا العربية المعاصرة متى يتم جمعها ؟! ـ سليم سحاب ١٠٥

■ التنبؤ بالأحوال الجوية عبر الأقمار الصناعية . طاهر سكر القيسي . . ١١٠

■ فن القصة المعاصر في أمريكا اللاتينية
ـ د. حامد أبو أحمد ١١٤

■ حكاية (قصيدة)
ـ يوسف طافش ١٢٤

■ لوحات روبرتس تحط رحالها بالكويت ـ عبد الغني محمد ١٤٨

■ آخر لفافة (قصة)
ـ سعيد سالم ١٧٥

صورة [redacted]

5 OCT 1987

المعاطي
النجا

إذا أردت أن تلتقي بالدين والدنيا في آن معا وتسعد بقضاء ساعة لربك وساعة لقلبك فاذهب إلى البحرين أرض الخلود

(طالع الاستطلاع ص ٦٨)

☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐

ستطلاعات
مقابلات

البحرين : « ساعة لربك
اعة لقلبك »
- سليمان مظهر . . ٦٨
وجها لوجه : حنا مينه
- أبوالمعاطي أبوالنجا ٩٧
اليمن الشمالي : مشاريع
طريق التنمية
- صادق يلي . . . ١٣٢

اليمن الشمالي مشاريع على طريق التنمية ص ١٣٢

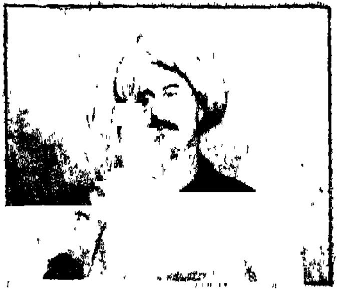

لوحات روبرتس تحط رحالها بالكويت ص ١٤٨

المراسلات باسم رئيس التحرير .. والمجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر .. والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء.

أبواب ثابتة :

■ عزيزي القاريء ٧
■ أرقام : الانسان رقم ٥ مليارات
ـ محمود المراغي ٥٤
■ منتدى العربي .
ـ قضية : الزمن والنظرية النسبية
ـ خالد مفتاح ١٢٠
ـ تعقيب : رسل الله وسنن آبائهم
ـ طارق محمد جبر ١٢٢
■ الجديد في العلم والطب
ـ إعداد : يوسف زعبلاوي . ١٢٦
■ سلامة البشرية في سلامة البيئة ١٢٩
■ الكلمات المتقاطعة . . ١٧٩
■ جمال العربية
ـ صفحة لغة : اللغة بأنظمتها لا بمعجمها .
ـ محمد خليفة التونسي ١٨٠
ـ صفحة شعر هكذا غنى الآباء :
مجلس غناء عباسي لبشار بن برد ١٨٢
■ مكتبة العربي :
ـ كتاب الشهر : أمريكا والسيطرة النفطية العالمية
ـ جمال وردة ١٨٤
ـ من المكتبة العربية : شاخت البلاغة فجاء علم الأسلوب !
ـ عبد السميع المصري ١٩٠
ـ مكتبة العربي : مختارات . . ١٩٤
■ المسابقة الثقافية ١٩٦
■ حل مسابقة العدد (٣٤٤) . . ١٩٨
■ معركة بلا سلاح (الشطرنج) ٢٠٠
■ حوار القراء ٢٠٢

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

■ العرس العماني بين بيضة الحسد ونقوش الحناء
ـ ثريا القصمي . ١٦٠
■ أسئلة الأطفال نافذة معلقة أم مفتوحة على مستقبلهم ؟
ـ كمال راحر لطيف ١٦٥
■ مساحة ود دفاع عن الانسان
ـ محمود عبدالوهاب ١٦٩
■ هو هي ١٧٠
■ طبيب الأسرة بعد الأربعين
ـ د حسن فريد أبوعرالة
١٧٢

عزيزي القارئ

كثير من الرسائل التي وصلتنا في الشهرين الماضيين انصبت على موضوعين أولهما ـ وربما أكثرهما ارتباطاً باهتمام القراء ـ ما نشرناه في العدد ٣٤٦ سبتمبر ١٩٨٧ حول التداوي بالأعشاب أو مركز الطب الإسلامي الذي احتضنته الكويت بمبادرة كريمة من إحدى أسرها وكان القراء يتساءلون عن كيفية الاستفادة من هذا الصرح العلمي الثقافي الصحي الكبير ، ونحن بدورنا نحيل الجميع للكتابة إلى المسؤولين في وزارة الصحة في الكويت

أما الموضوع الثاني فقد نشر في العدد المذكور أيضاً ، وكتبه لنا الدكتور أسامة الخالدي عن البحث العلمي وتطوره في الوطن العربي ، ولقد ذكر الكاتب في حينه التطور العلمي في الكويت ، كأحد أهم النشاطات التي يسابق بها العرب أعداءهم ، وإن كان يسرنا كل ذلك فإننا نقول ان الاستقرار هو الذي يحتضن المشروعات العلمية والصحية ويطورها وفي منطقة ابتلاها الله في السنوات الأخيرة باضطراب شديد فيما حولها فإن ذلك يجعل كل المخلصين يتوجهون إلى دعم الاستقرار وتوكيده ، كي تظل هذه الجهود العلمية معطاءة ، وغرسها مثمراً

وهذا ما نحرص عليه نحن في « العربي » ، كي نقدم من تلك الجهود بعضاً من عطاء العرب الثقافي ، ففي هذا العدد يجد القاريء موضوعات تعيد للأذهان ما حواه الماضي من عبر ودروس وتواكب الحاضر وتلقي الأضواء على بعض ما فيه ، وهي لا تغفل عن المستقبل ، بل ترصد كثيراً مما يبشر فيه ويلتمع في آفاقه من تلك الموضوعات .

ـ بدء عصر المواجهة بين الدائنين والمدينين للدكتور رمزي زكي ـ طعام المستقبل لابراهيم عبد الله العلو ـ الموسيقا العربية متى يتم جمعها ؟ لسليم سحاب ـ التنبوء بالأحوال الجوية عبر الأقمار الصناعية لطاهر سكر القيسي

وفي باب « الاستطلاعات » تنقلك « العربي » إلى قطرين عربيين ، هما البحرين والجمهورية العربية اليمنية ، حيث يتم التركيز في البحرين على « ساعة لربك وأخرى لقلبك » في حين أن التركيز في اليمن ينصب على مشاريع التنمية كتجربة تنموية عربية ينبغي الالتفات إليها

عزيزي القاريء · هذه فقط شذرات من موضوعات العدد ، ويوجد كثير غيرها مما هو مفيد وجديد وطريف

المحرر

حديث الشهر

بقلم الدكتور
محمد الرميحي

المليار الخامس نقمة أم نعمة ؟

منذ أن [illegible] في منتصف يوليو (تموز) الماضي بوصول المولود الذي أكمل - افتراضيا - المليار الخامس من البشر على هذه الأرض ، اهتمت كثير من وسائل الاعلام بتناول ما أسمته ظاهرة (الانفجار) السكاني

وحذرت تلك التقارير الصحفية - التي افتقدت الكثير من العلمية - بشكل متشائم من هذا الانفجار الذي يحمل الويل والثبور وعظائم الأمور ، خاصة للعالم الثالث ، العالم الفقير

فهل صحيح أن هناك انفجارا في عدد السكان في العالم ؟

واذا كان تزايد عدد البشر على هذه الأرض مقلقا فما هي أسباب هذا القلق ؟ وهل يتزايد السكان أكثر من اللازم في وطننا العربي ؟ وما هو العلاج ان كان ذلك صحيحا ؟

تلك أسئلة حاولت الاجابة عليها مستفيدا من مصادر علمية عديدة . ومقدما وجهة نظر ، قد لا تكون هي وجهة النظر السائدة !

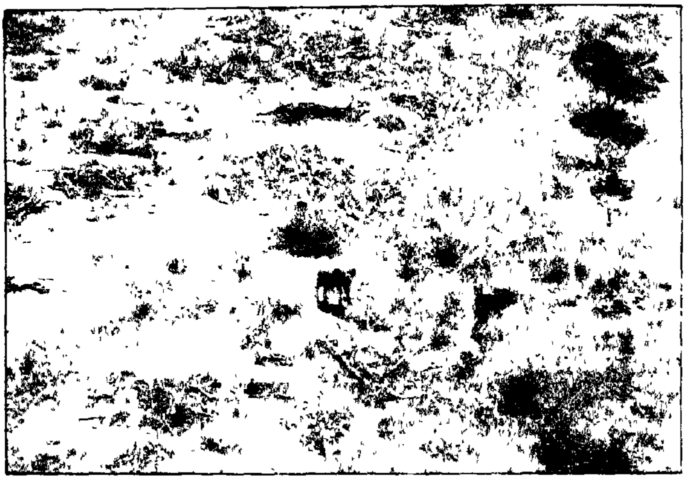

ـ التصحر مرض العصر

العدل المفقود

■ أبدأ بالقول أن الضجة التي أثيرت حول موضوع الانفجار السكاني ـ أو قل كثيرا منها ـ تبنى وجهات نظر وافتراضات ليست بالضرورة دقيقة كما أنه إذا كان ثمة قلق عالمي من تزايد سكاني ضخم فإن القلق يجب أن يوجه نحو موضوع آخر ، هو توزيع ثروات العالم بالعدل على هذا العدد من السكان ، أو على الأقل مع إهدار هذه الثروات من قبل قلة من البشر وعدد قليل من البلدان التي اصطلح على تسميتها « الغنية »

إن الضجة تلك قد تبنت اقتراحات خطيرة كثيرة ، فبعضهم يحذر من تزايد سكان الأرض ويقول

(إن الطبيعة في السابق قد تمتعت بتوازن دقيق ، فإذا زاد عدد البشر هبت رياح الأمراض المعدية وقرعت طبول الحرب لتقتل الناس) !

هذا الافتراض بنصه ـ أو بمعناه ـ قد تكرر في أكثر من مطبوع ، وخطورة هذا القول أنه يوحي بأنه إذا كانت الأمراض المعدية مسيطرا عليها في عالم اليوم . فإن المخرج الآخر هو الحرب ، وذلك افتراض بشع في حد ذاته من جهة ، ولا تقوم على صحته أية أدلة علمية ، بل إن الأدلة العلمية تثبت عكس ذلك

فالدراسات العلمية المنشورة ـ ومنها دراسة كويري رايت من جامعة شيكاغو ، ونازلي شكري من معهد ماساتشوستس للتقنية في الولايات المتحدة ـ

الأرض
تستطيـ
أن تطعـ
سكانـ
.. لكـ
كيفـ

عن الحروب الكبرى ، لا توجد فيها أية علاقة من قريب أو بعيد بين الحروب وبين تزايد عدد سكان العالم وفي دراسة مباشرة مشهورة قام بها آرثر وستنج جمع فيها بعض الأرقام حول الحروب الكبيرة - وقصرها على الحروب التي قتل فيها أكثر من ٣٠ ألف شخص - قرر أن هذه الحروب كانت ٤٥ حربا منذ بداية هذا القرن ، وكان ضحاياها ٨٦ مليونا من البشر ، ٥٠ مليونا منهم في الحرب العالمية الثانية وحدها

وعلى الرغم من هذه المأساة ، فان سكان العالم خلال تلك الحرب العالمية - الثانية - قد زادوا ٢٥ مليون نسمة !

ما هي القضية إذا ؟

أفكار قديمة وتطبيقات جديدة !

■ إن المتشائمين من تزايد عدد السكان في العالم قد رسخت في أذهانهم نظرية مالتوس * المشهورة التي ثبت عدم دقتها مرة بعد أخرى ، وكان لنجاحها في المدى القصير تأثير كبير على قناعة الناس بها بعد ذلك

تقول هذه النظرية أن عدد سكان العالم يتزايد بمتوالية هندسية ، في حين أن الغذاء يتزايد بمتوالية حسابية ولو كانت هذه النظرية صحيحة على إطلاقها منذ أن ظهرت في القرن الماضي لأكل الناس بعضهم بعضا . فالبشر يتزايدون ، ولكن مصادر الثروة تتزايد أيضا ، وما يعوق هذا التزايد من الوصول الى الجميع هو المواقف السياسية والاقتصادية والثقافية وسوء الادارة للموارد والبشر فالصحيح أن الأرض خلال الثلاثمائة ألف سنة من حياة الانسان عليها ، قد عاش عليها (٤٩) مليارا من البشر تقريبا ، أي أن حوالي ١٠ / ممن عاشوا في كل العصور يعيشون بيننا اليوم نحن الآن ٥ مليارات نسمة ، وقد استغرقت البشرية للوصول الى المليار الأول فترة طويلة من الزمن ، فقد سجل المليار الأول حوالي عام ١٨٣٠

ومنذ ذلك التاريخ أصبح الوقت قصيرا بالنسبة لتضاعف سكان الأرض ، فالمليار الثاني وصلت اليه البشرية بعد حوالي مائة سنة (عام ١٩٣٠) والمليار الثالث بعد حوالي عقدين ونصف من السنين ، أما المليار الرابع والخامس فقد وصلت اليهما البشرية بعد مرور ١٣ الى ١٤ عاما فقط !

هذه الأرقام عندما تعرض بهذا الشكل المتسرع . لا شك أنها تخيف الكثيرين ، لكن الصورة بهذا الشكل ليست متكاملة

أصوات التشاؤم التي تحذر من تزايد سكان العالم تنظر باتجاه واحد فقط !

---

* توماس روبرت مالتوس (١٧٦٦ - ١٨٣٤ م) قسيس انجليزي اهتم بدراسة الاقتصاد السياسي ، وقد أثرت خصائص المرحلة الاقتصادية التي عاصرها على أفكاره وآرائه

ففي العشرين سنة الأخيرة وجدنا أن هناك بلدانا تحث على تحديد النسل ، بل وتستخدم طرقا ووسائل قسرية ـ على أخف تعبير ـ للحد من تزايد سكانها ، فهناك ثواب لمن يحدد النسل بمولود واحد فقط في الصين ، وهناك عقاب متصاعد لمن يتعدى هذا العدد الذي وضعته الدولة ، وهناك قصص غير معلنة في هذا الاطار ، منها التعطيل الجماعي للخصوبة عند الرجال ووأد البنات وقد استطاعوا بكل تلك الطرق أن يحققوا انخفاضا في نسبة المواليد وصلت الى ثلث المتوقع

إلا أن مشكلة التنشئة الاجتماعية للطفل « الصيني » الوحيد أصبحت قضية اجتماعية خطيرة ، فهناك الآن ما يسمى لعنة ٤ ـ ٢ ـ ١ « أي أن الطفل (١) الوحيد الذي أصرت العائلة على عدم إنجاب أخ أو أخت له يعني به والداه ، وهما (٢) ، ووالدا والديه وهم جدتاه وجداه من طرف الأم والأب وعددهم (٤) »

وقد أظهرت الدراسات الأولية بأن هذا الطفل ـ ذكرا كان أو أنثى ـ قد أصبح يعاني من مشكلات نفسية وعاطفية جمة وذلك ضد طبيعة الانسان

وفي المقابل هناك بلدان اشتراكية أيضا مثل رومانيا ، تقدم تسهيلات ضريبية كبيرة للأسر كبيرة العدد ، كما أن المرأة القادرة على الحمل الممتنعة عنه توقع عليها عقوبات اقتصادية ومعنوية ، ربما بحرمانها من زيارة عيادة الأسنان أو الامتناع عن منحها إجازة قيادة سيارة

وفي ألمانيا تتدخل الدولة لزيادة النسل وفي الهند تتدخل الدولة أيضا لتحديده ، وفي الولايات المتحدة بدأت تتراجع سياسات تحديد النسل التي استمرت في ربع القرن الماضي

ولو زدنا على ذلك بالقول أن هناك أغنياء كما هو معروف في بلدان فقيرة ، وفقراء في بلدان غنية ، ففي الجنوب الشرقي من الولايات المتحدة أمراض أطفال لها علاقة مباشرة بأمراض الجوع السائدة في البلدان الفقيرة

لو عرفنا كل تلك الحقائق تكون الصورة قد قاربت على الاكتمال ، وهي أن التنمية أفضل وسيلة لضبط النسل ، والتنمية هنا بمعناها السياسي والاقتصادي تعني عدالة أوسع بين الشمال والجنوب في توزيع مصادر الثروة ، وتعني خططا جادة في العالم الثالث الذي اكتسحه الاضطراب السياسي ، وعطل من قدرته على النمو وعلى إطعام أهله

مفارقة التخلف

■ إن قضية التطور الاجتماعي هي الأهم في البلدان النامية (الفقيرة) التي يتضاعف سكانها كل ٢٥ ـ ٣٠ سنة ، والدرس التاريخي قائم ، فزيادة

مجار كانى رسوء في ستغلال ثروة ؟

السكان التي ظهرت بوضوح خلال المائة سنة الأخيرة في الدول الغنية لم تظهر تأثيرا سلبيا على نموها الاقتصادي ، وحتى الدول الفقيرة في تاريخها المعاصر قد تطورت اقتصاديا بشكل نسبي في عقد (١٩٥٠ - ١٩٧٥) على الرغم من الزيادة في عدد السكان

إن ضبط عدد السكان وإطعامهم ، يعتمد اليوم على الوضع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي لدولة معينة ، وأيضا يعتمد على مهارات الرجال والمرأة وتعليمهم ووضعها في تلك المجتمعات . ومفارقة التخلف هي أنه كلما كان الوضع الاقتصادي والاجتماعي متدنيا والقيم السائدة غير مرنة ، كلما اتجه السكان لزيادة نسبتهم . فبلاد مثل مصر على سبيل المثال لديها سكان أقل من ثلث سكان الاتحاد السوفييتي ، ولكن عليها أن تطعم (٢,٨ ، مليونين وثمانمائة ألف فم جديد زيادة على ما لديها كل عام ، بينما زيادة السكان في الاتحاد السوفيتي عادة لا تزيد عن (٢,٢) مليونين ومائتي ألف نسمة

وحتى تلك البلدان في العالم الثالث التي تسعى جاهدة لزيادة دخل سكانها فإن هذه الزيادة في مستوى المعيشة تأكلها زيادة السكان ، وعلى المستوى العالمي - كما تقول إحصاءات اليونسكو - فإنه على الرغم من الجهود الكبيرة لمحو الأمية وزيادة المتعلمين ، ظل العدد الإجمالي للأميين في تزايد

ونتيجة لتخلف هذه الأمم اخترع بعضهم حلا «ديموغرافيا» في ربع القرن الأخير ، وسموه ضبط النسل أو تخطيط الأسرة

والتجارب في هذا الإطار في السنوات الأخيرة لم تكن مشجعة ، فلقد كانت هذه الخطط دخيلة ، مفروضة من قبل ثقافة أخرى ، خائفة من هذا التطور السكاني الكبير ، في عالم يتزايد اعتماد بعضه على بعضه الآخر

فالتوقعات السكانية في نهاية القرن القادم تقول إن عدد سكان العالم سيكون عشرة مليارات وخمسمائة مليون نسمة ، منهم ما بين ثمانية وتسعة مليارات سيكونون من سكان ما يسمى العالم الثالث اليوم

أمام هذا الخوف ما كان هناك أمام قصيري النظر إلا استخدام طريق واحد هو « ضبط النسل » ، وهكذا استخدمت الرشوة في وقت والقسوة في وقت آخر لإجبار متطوعين في بعض دول العالم الثالث لقبول التطعيم الجماعي لتقليل الخصوبة عند الرجال والنساء . إلا أن التعليم ببساطة قد لعب دورا أفضل ، فهناك في ولاية (كيرالا) في جنوب الهند كانت نسب الإنجاب معقولة ، وقد تم التوصل إليها فقط عن طريق سيدات متعلمات ، اتجهن طوعا لتحديد نسلهن . وقد ظهر أيضا من الإحصاءات العالمية أن النساء المتعلمات في العالم الثالث (مهما كان مستوى التعليم) ينجبن أطفالا أقل بطفلين أو ثلاثة من أخواتهن غير المتعلمات

ودراسة أخرى أجريت في بنجلاديش وجد فيها أن النساء اللواتي لديهن سبع سنوات فأكثر من التعليم يتزايد احتمال استخدامهن لوسائل منع الحمل خمس مرات عن أخواتهن غير المتعلمات . كما وجد أن ثلث النساء فقط في الدول النامية يستخدمن نوعا من موانع الحمل في مقابل ٧٢٪ من النساء في العالم المتقدم يستخدمن هذه الطرق لأنه حل حضاري أوفر وأفضل ، إنه التعليم

من كل ذلك يمكن لنا أن نقول إن ضبط النسل وتخطيط الأسرة يمكن أن ينتشر في مجتمعات متعلمة . تسودها عدالة اقتصادية . إن قضية الانفجار السكاني قضية اجتماعية اقتصادية يمكن حلها ـ كما ذكرنا ـ بواسطة التعليم على المستوى الإقليمي ، وبإصلاحات جذرية في النظام الاقتصادي العالمي في الكرة الأرضية التي تتوجه شعوبها قسرا إلى الاعتماد المتبادل في ما بينها

العدالة على المستوى العالمى

■ إذا كانت العدالة بين البشر قضية (طوباوية) حلم بها الإنسان منذ زمن طويل ، منذ طفولته التاريخية ، سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات ، ولم يحصل عليها بعد ، إلا أنها لم تتعاظم كمطلب واضح حتى إلا بعد تعرف الإنسان على معظم المتاح له من موارد ، وقد كان ذلك في السنوات القليلة اللاحقة للحرب العظمى الأخيرة

فهناك حوالي (١,٥) مليار ونصف مليار هكتار من الأراضي الزراعية في العالم ، وهناك أكثر من ٣ مليارات هكتار من أراضي المراعي ، وهناك أيضا حوالي ٤ مليارات هكتار من أراضي الغابات والأحراش ، أي أن هناك حوالي ٨ مليارات هكتار من الأراضي قادرة على الإنتاج للإنسان ، ومعنى ذلك أن هناك أكثر من هكتار ونصف هكتار لكل فرد على سطح الكرة الأرضية من الأراضي المنتجة

« آرثر ونستنج » الذي ذكرنا بعض أرقامه في بداية هذا البحث ـ وهو خبير بيئي مشهود له ـ حاول أن يحسب قدرة الأرض على الوفاء باحتياجات البشر في مستويين ، مستوى عال من الرفاهية ، كما هو متحقق في الدول الغنية اليوم ، ومستوى معقول من المعيشة . وقد توصل هذا الخبير إلى أنه حتى يعيش الجميع في مستوى عال من الرفاهية فإنه يجب أن يكون على الأرض ما بين مليارين ونصف وثلاثة مليارات من البشر ، أما العيش بالمستوى العادي فإن الأرض يمكن أن تقيم أود ما بين (٤) مليارات و (٤,٥) مليارات من البشر

على الرغم من أن هذه الأرقام افتراضية إلا أنها متفائلة نوعا ما ، لكن

هناك مشكلات دونها زحزحة الجبال ، كي يصل الانسان إلى هذا التوزيع الافتراضي من الثروة

إن الاصلاحات أولا دولية ، وثانيا إقليميه . فالدولية بعد أن ترسخ مفهوم الدولة الحديثة ، أي أن كل ثروة الدولة في حدودها الاقليمية هي ملك لمواطنيها فقط ، وهي تحول دون تحويل أي زيادة في الانتاج الى الآخرين إلا تبرعا ومنّة ، أما الاصلاحات الاقليمية فهي أكثر تعقيدا من السابقة على الرغم من دقتها فالمطلوب هنا هو إصلاحات إدارية - ادارة الزراعة والصناعة والتوزيع - خاصة أن تحقيق تكافؤ داخلي ودولي تعوقه التعقيدات والتدخلات الخارجيه ، كما أن هناك عقبات بيئية أيضا

من العقبات البيئيه التي هي أسهل في التناول أن الانسان قد أصبح يستهلك الأرض ، فاستمرار النمو في الانتاج الزراعي جاء على حساب خصوبة الأرض ، فنحن نستنزف الأرض ، أو نأخذ غذاءنا - حسب تعبير أحد المتخصصين - من مصدر ناضب !

وما بين الحرب العالمية الثانية والوقت الحاضر ، فإن الأرض الصالحة للزراعة لكل فرد قد تناقصت بمقدار الثلث ، وفي نفس الوقت فإن المخصبات التي استخدمت قد تضاعفت خمس مرات منذ ذلك التاريخ فماذا يعني ذلك ؟

إذا أخذنا إنتاج الحبوب على سبيل المثال فالأرقام تقول لنا إن النمو في الانتاج قد زاد زيادة كبيرة ، فمنذ الحرب العالمية الثانيه حتى سنة **١٩٧٣** ، كان قدر الزيادة السنوية ٣٪ ، أي أن الانتاج قد تضاعف خلال تلك الفترة ، لكن فلاحي العالم اليوم يحققون بصعوبة زيادة لا تتجاوز ٢٪ فقط ، بينما الجفاف المتكرر في أوروبا وآسيا يضرب الفقراء بقسوة

أما الآن فإن نظام زراعة الأرض التقليدي قد اختفى بعد انتشار المخصبات الصناعية ، فالمزارعون في الغرب وفي بعض البلدان النامية قد تجاوزوا تقليد « إراحة الأرض » أو زراعتها بشكل دوري بمزروعات مختلفة مخصبة طبيعيا ، وبذلك خسرت الأرض خصوبتها إن حوالي نصف الأراضي الزراعية في العالم تستغل بطريقة سيئة الى درجة أنها تفقد - كما يقول الخبراء - حوالي ٧٪ من الطبقة العلوية من التربة (الخصبة) كل عشر سنوات ، وتذرو الرياح في آسيا وأفريقيا مليون طن من التربة سنويا ، وتزحف عليها الصحراء والتناقض هنا في أن أجراس الانذار تلك يستمع إليها في الدول الغنية وقد تلبى ، في حين أن أصوات الانذار في الدول الفقيرة تضيع بسبب اجتماعي أو ثقافي ، وبسبب عدم الاستقرار السياسي أيضا

ومع ذلك مازال لدى العالم قدرة هائلة على إطعام الأفواه الجديدة إذا أديرت مصادره بشكل أفضل ، حتى في العالم الثالث فإن بلدانا مثل كينيا

ـول
ـهـة
ـب
ـمال
ـيد"
ـال
هـب
جنوب

وتنزانيا وباكستان على الرغم من زيادة سكانها قد زادت ثروتها وانتاجها الزراعي .

إن تقارير الأمم المتحدة والبنك الدولي ، وصندوق النقد الدولي ، وبعض المؤسسات العلمية المستقلة ، تقول إن العالم يمكن أن يكون أكثر أماناً وأكثر كفاية في الغذاء إن وجد فلاحو العالم طرقاً أفضل في التنمية .

وحتى المليون الجديد الذي يولد كل خمسة أيام تقريبا يمكن أن يأتي إلى عالم أكثر عدلا إن كانت لدينا جميعا الرغبة في ذلك . وبعض الحلول أسهل مما نتصور ، وعلى سبيل المثال لماذا يبقى جزء كبير من سكان العالم الثالث مهددا بالموت بأنواع من السرطان لأن شركات التبغ تريد بيع سجائر أكثر ؟

ولماذا لا تكتشف الأمم في العالم الثالث أن جرعة من الماء والسكر والملح أفضل لعلاج اسهال الأطفال الذي يموت من جرائه مئات الآلاف من البشر يوميا . أو أن الرضاعة من ثدي الأم هي أفضل طريقة عرفها العقل الانساني لحماية الأطفال من أشكال متعددة من أمراض الطفولة ، ولماذا لا ندرك أن حقنة واحدة يمكن أن تحصن الطفل من أمراض عديدة ، أو أن الزراعة الجيدة والتخلص من الآفات أفضل كثيرا من استخدام الكيماويات التي غالبا ما يكون لها مردود سلبي على الزراعة . وما أكثر الإجابات البسيطة التي تظل بعيدة عن متناول الكثيرين في العالم الثالث نتيجة الجهل !

لو استطعنا أن نعالج كل ذلك سنجد أن توقعات « مالتوس » المتشائمة ليست بالضرورة صائبة .

تلك بعض العقبات البيئية وليس كلها .
ولكن ماذا عن العقبات الدولية ؟

مواطنو "الهامبورجر"

■ قد نقول بشكل مجمل إن إحدى مشكلات الفقر في دول الجنوب (الفقيرة) هي عدم التكافؤ في مصادر الثروة بينها وبين الأغنياء في الشمال ، لكن الأسوأ من ذلك أن هناك استنزافا لمصادر شحيحة ومهمة لفقراء الجنوب لصالح الشمال .

فالسكر والقهوة والشاي والموز من بين سلع أخرى يعتمد عليها المزارع في كثير من دول الجنوب ، بل ان بعض الدول تشكل صادراتها من هذه البضائع معظم دخلها ـ إن لم يكن كله ـ من العملة الصعبة الأجنبية . هندوراس على سبيل المثال يعتمد ٧٠٪ من دخلها الخارجي على تصدير الموز ، وبلدان أخرى تعتمد على تصدير السكر ، وأخرى على تصدير البن ، وثالثة على الشاي . في كل هذه السلع يتحكم السوق العالمي ، والرجل الأبيض

اذا
نع
راة
نيا
بادة
ة؟

تساعدة معاونين قليلين في الدول المتحدة يساهمون في تحديد سعر المنتج النهائي ، وتدفع في الغالب اسعار قليلة لهذه السلع . وحتى في البلدان التي ارادت أن تشكل احتكارا لبعض السلع مثل (اتحاد مصدري الموز) في جمهوريات أمريكا الوسطى فان هذا الاتحاد قد فشل في مواجهة التحكم الذي يفرضه العالم الغني . لان الموز متوافر ، او يمكن ان يتوافر في أماكن أخرى والتضخم في سلع المواد المصنعة يقضي على كل امل في تحقيق تجارة متوازنة ، ففي سنة ١٩٧٠ كان بيع ١١ طن من الموز في بلد مثل هندوراس او الدومينكان يمكن أن يتيح للفلاح في هذين البلدين شراء جرار حديد ، اما اليوم فان على الفلاح ان يبيع أكثر من ضعف تلك الكمية كي يحصل على جرار حديد !

وتجربة زراعة الموز في مكان اخر هو الفلبين جديرة بالرواية ، فعندما فتحت اليابان ابوابها بشكل أكثر مرونة للتجارة الخارجية في بداية السبعينيات وجدت الفلبين أن هناك تجارة رابحة لتصدير الموز فزرعت أراضي خصبة كثيرة بهذا المنتج . لكن عندما وجدت اليابان أن العرض يمكن أن يفوق الطلب وبالتالي يمكن أن تتدنى الأسعار ، حددت كمية معينة من الموز للدخول الى اسواقها ، بل واشترت من بعض مزارعي الفلبين كميات كبيرة من الموز من اجل إحراقها في مزارعها !

السكر والقهوة والشاي كمثل اللحم ، فانتشار (الهامبورجر) في الغرب هو واحد من المظاهر التي تؤكد افتتان الغربيين باللحم أيا كانت مصادره . وتفاخر احدى شركات الهامبورجر الامريكية وهي « مكدونلد » أن نصف الراشدين في الولايات المتحدة يأكلون واحدة من شطائرها على الأقل مرة في الشهر

إن فكرة وضع اللحم بين قطعتين من الخبز تبدو مثالية للمستهلك الذي يريد أكلة متكاملة سريعة ، كما تبدو كذلك للمنتج الذي يريد أن يحد من التكاليف والعمالة ، والنتيجة هي المساهمة بشكل واضح في زيادة استهلاك اللحم ، ففي الولايات المتحدة نجد أن نصف اللحم الذي يستهلك يشترى من محلات الشطائر الجاهزة (الهامبورجر) ، ويستهلك الأمريكي حوالي ١٢٠ كيلو جراما من اللحم سنويا . ولا شك أن في ذلك إهدار لمصادر الثروة ، وكذلك للصحة ، فنصف هذه البروتينات الكثيرة التي يتناولها الانسان في شطيرة يتجه الى زيادة الشحم واضطراب القلب !

لكن القضية ليست هنا فقط ، ففي كثير من بلدان العالم الثالث الفقير ـ مثل جمهوريات افريقيا الوسطى وزائير وهايتي وسيريلانكا على سبيل المثال لا الحصر ـ يحصل المواطن فيها خلال يوم كامل على أقل من نصف البروتين الذي يحصل عليه المواطن الامريكي او الغربي من وجبة (همبورجر) واحدة ، حتى

اليابانيين بدأوا بتغيير غذائهم التقليدي المكون من (الأرز والسمك) المحصص في مواد البروتينات والشحوم ، كي يستسلموا الى استهلاك اللحوم ، فقد تضاعف استهلاك اللحم للفرد الواحد في اليابان أربع مرات تقريبا بين عامي ١٩٦٠ و ١٩٨٠

إن (الهامبورجر) مسئول بشكل كبير عن إزالة الغابات في العالم الثالث ، فمع فقدان الأراضي الرخيصة لتربية الأبقار في الولايات المتحدة ، والارتفاع الضخم في الطلب على اللحوم في الغرب بشكل عام ، سعت شركات شراء اللحوم الغربية الى الخارج للبحث عن الأراضي الرخيصة ، فوجدتها في أحراش أفريقيا وأراضي أمريكا الوسطى وغاباتها وكانت النتيجة هي إزالة الغابات وإفساد التربة وإفقار الفلاحين وقد تمت بالفعل إزالة ثلثي الغابات في أمريكا الوسطى منذ سنة ١٩٥٠ ، بمعدل حوالي ٤ الاف كيلومتر في العام ، واستخدمت حقولها من أجل انتاج لحوم رخيصة ، لاشباع المستهلك الذي يقف بسيارته أمام نوافذ الخدمة الخارجية لأحد مطاعم الوجبات السريعة

إن الشغف باللحوم لا ينتهي هنا ، فثلثا الأراضي القابلة للزراعة في الولايات المتحدة لا تزرع كي تنتج للانسان ، بل تزرع نباتات لاطعام الحيوانات وفي بريطانيا فإن ٨ / فقط من الأراضي الممتازة الصالحة للزراعة تزرع بمزروعات خاصة لاستهلاك الانسان مباشرة وتترك ٩٢ / من الأراضي للماشية

تلك بعض مظاهر سوء استغلال الموارد على المستوى الدولي

.. ومظاهر أخرى ..

■ ثمة مظاهر أخرى عكسية لسوء التوزيع على المستوى الدولي ، وسوء إدارة الموارد ، فكثير من الدول الفقيرة تتبنى نظريات حا ة في التنمية ، منها استخدام آلات تقنية متطورة والفكرة تقول إنه من أجل إطعام البشر لابد من زيادة الانتاج ، وذلك صحيح ، لكن دون النظر لزيادة فرص العمالة ، فاستخدام التطور الصناعي الحديث والميكنة الزراعية المتقدمة المشتراة بعملة صعبة نادرة من الدول الغنية ينتهي بطرد المزارعين من الأرض والحلقة حتمية ، فهي تؤدي الى شراء أدوات متطورة جديدة وطرد عمال أكثر من الأرض ، ومن الصعب فهم هذه المشكلة في اطار مفهوم المستفيدين من التصدير أو الاستيراد ، ومن الصعب أيضا فهمها على مستوى سياسة الدولة دون إعطاء تشغيل اليد العاملة أولوية في التخطيط والتنفيذ إن هذه النظرية ملفقة وهي من الخرافات المنتشرة في أدبيات التنمية التي تقول إن الدول الفقيرة

عندما حلت الكوكاكولا محل الماء النظيف!

إن فعلت ما تفعله الدول الغنية أصبحت غنية

إن استخدام التقنية المتطورة قد يكون اقتصاديا للدول الغنية ، لكنه بالتأكيد ليس كذلك للدول الفقيرة ، فقد أثبتت إحدى الاحصائيات العالمية أن المزارع الصغيرة تشغل عمالا أكثر ٥ مرات من المزارع الكبيرة ، كما أنها تنتج أكثر بالنسبة للهكتار الواحد

وهجرة الفلاحين الى المدن تحت ضغوط متفاوتة معناه أن تنهار طرق الري لعدم وجود العمال الزراعيين ، وأن تهمل المسطحات الزراعية ، وبالتالي تتدهور الأرض

لقد نسي مخططو العالم الثالث المنادون بنظرية الميكنة المتقدمة اليوم تاريخ أوروبا الاقتصادي تقول إحدى الدراسات إنه حتى سنة ١٨٥٠ كان حوالي ٩٤٪ من مجموع الطاقة الموظفة في الصناعة والزراعة في الولايات المتحدة إما بشرية أو حيوانية ، وفي وسط السبعينيات من هذا القرن تضاعف عدد السكان ثلاث مرات ، وتراجعت الطاقة البشرية والحيوانية في الصناعة والزراعة الى ١٪ فقط من مجمل الطاقة ويحدث ذلك في دولة تقدمت تقنيا ، وليس من المفروض أن تحاكيها في هذا المجال دولة من العالم الثالث لتكون النتيجة على حساب زيادة بطالة القوة العاملة

فالمشروعات الكبيرة الزراعية والصناعية التي نفذت في الأرض المستعمرة سابقا أوجدت بطالة واسعة فقد كان المزارعون البيض في أفريقيا يسخرون التقنية الحديثة على حساب اليد العاملة المحلية

في زمبابوي على سبيل المثال ـ حتى الاستقلال ـ كان أصحاب المزارع البيض يملكون أقل من نصف الأرض الزراعية ، لكنهم ينتجون أكثر من ٣/٤ انتاج البلاد لكن العدد الكبير من المزارعين المواطنين اليوم ـ حتى في الأرض القبلية ضعيفة الخصوبة ـ شجعوا بسبب الاستثمار الحكومي وزيادة الأسعار على أن ينتجوا أربعة أضعاف انتاجهم السابق

إن نجاح المشروعات الزراعية الصغيرة في العالم الثالث يعتمد على ثقافة العاملين فيها ولابد من بذل مجهود قد لا يكون مرضيا أو مماثلا لما يحدث في البلدان الغنية ولكنه في النهاية يصب لصالح الوطن

وإحدى المظاهر المصاحبة لسوء التوزيع الدولي في الموارد هي استخدام الدول الغنية لأبناء الدول الفقيرة

ففي الأيام الخوالي كانت الدول الغنية تستغل الأرض والبشر في الدول الفقيرة ، بالاستيلاء على الأرض واستعباد البشر ، أما اليوم فان الاستغلال المالي هو الذي يقوم بذلك فهناك أكثر من مليون من البشر يتسربون سنويا من حدود الولايات المتحدة الجنوبية لتوفير عمالة رخيصة في المزارع الكبرى والمصانع الصغيرة ، وهناك مهاجرون من الدول الفقيرة في جنوب حوض

المتوسط يتسربون الى أوروبا لقد استطاعت الدول الغنية أن تستقطب عمالا من العالم الفقير ، وتقدم لهم رواتب ضعيفة ، لكن العائلات القانعة في البلاد الفقيرة تعتبر هذه الأموال كنزا أو على الأقل مبالغ كبيرة

لقد أصبح تصدير العمالة منذ السبعينيات (سلعة) معترفا بها ، ومتفاوضا عليها في بعض الأوقات ، وشكلت دخول العمالة المهاجرة إحدى المصادر المهمة في الدخل الخارجي من النقد الصعب للدول المصدرة تقدر بعض الاحصاءات أن المال المكتسب من العمال المهاجرين شكل بين عامي ١٩٧٠ و ١٩٨٢ حوالي ٢٢ مليار دولار لجميع الدول النامية

لكن القضية بدأت تتشعب في الآونة الأخيرة ، فهناك طرد منظم للعمال من الشمال إلى الجنوب ، بعد الاستغناء عن خدماتهم ، كما أن الدول الفقيرة ـ مهما كان دخلها من العمالة المصدرة ـ تتحمل كثيرا من الخسارة في خططها التنموية ، فهذه الدول تصدر أفضل عقولها ، وقد تصدر متعلمين ومدربين فتوفر الدول المضيفة على نفسها قيمة « فاتورة » التعليم والتدريب .

وهناك مظاهر أخرى عكسية لسوء توزيع الثروة على النطاق العالمي ، وهي أشكال الاستهلاك التي تصدرها الدول الغنية الى الفقيرة ففي الوقت الذي لا يتوفر فيه الماء الجاري الصحي النظيف للشرب في كثير من الدول الفقيرة كاد أن يكون البديل زجاجة من المياه الغازية ، ولو توفرت العزيمة الاجتماعية لوجهت الأموال التي تصرف على المياه الغازية لتوفير مصدر ماء نظيف

.. وماذا في الوطن العربي

■ كثير من الكتابات حول نمو السكان في الوطن العربي مليئة بالتشاؤم ، حتى أن بعضها يتبع الصيحة العالمية ، ويسمى ظاهرة التزايد السكاني العربي « انفجارا سكانيا »

لكن حقائق الاحصاء تقول لنا غير ذلك ، فإذا كان عدد سكان العالم الثالث يتضاعف كل ٢٥ الى ٣٠ سنة فإن سكان الوطن العربي بالتالي سيزدادون فقط بمقدار الثلث إذا استمرت نسب الخصوبة كما هى الآن ، أى من حوالى مائتي مليون نسمة الان (رقم تقديري) إلى حوالي ثلاثمائة مليون نسمة بعد عشرين سنة

أخذا بعين الاعتبار أن أغلبية السكان ستكون من الشباب في التركيبة السكانية العربية ، وإذا ظل التعليم والرعاية الصحية كما هما الآن فإن النتيجة النهائية ليست بالضرورة كما يسميها المتشائمون وكما يرونها

لكن لابد من الحديث عن « ادارة الموارد العربية » في ربع القرن

ـ أحراش العالم الثالث حولت إلى مراع لأبقار « الهامبورجر »

مواطنو "الهامبورجر" يأكلون مواطني الموز!

القادم ، وأحدها بأحد الحد . فالثروات الزراعية والمواد الخام التي تحتوي عليها التربة العربية لابد أن تستثمر استثمارا أمثل ولكن في بعض المناطق العربية مازالت مشكلات المواقف السياسية وتعقيداتها تحول دون ذلك ، فالحروب والمنازعات الاقليمية والتوترات الداخلية ، اضافة الى ما يفعله العدو الصهيوني بالاستفادة من كل ثغرة في الجدار الاقتصادي والسياسي العربي ، كل ذلك قد يفرض استمرار التخلف

إن الاستثمار الأفضل للموارد هو الاستراتيجية البديلة . فمازالت البلاد العربية تحتاج الى الاستثمار في بناء سدود صغيره في أقطار مثل سوريا واليمن والأردن والمغرب والعراق وغيرها ، أي استخدام أمثل لمصادر المياه التي هي عصب الزراعة والتجارة ـ عشية استقلال الهند وصف الزعيم نهرو السدود بأنها « المعابد الجديده للهند » ـ وهذه السدود توفر مياها ، وتضمن الطاقة لعشرات الآلاف من القرى العربية التي مازالت محرومة من عصب القرن العشرين أي الكهرباء ، وقد قال لينين ذات مرة أن« البولشفية تعني كهربة الريف رائد السوفيتيات »

فالماء والكهرباء والطرق والتعليم من بين أهم الوسائل للقيام بتنمية شاملة

كما أن التنمية تحتاج إلى ارادة سياسية تعطي الأولوية للادارة المثلى دون إهدار فقد رصدت أموال طائلة لمشروعات كثيرة في وطننا العربي ، لكنها في النهاية لم تصل إلى الجهات التي كان مؤملا أن تصل اليها ، ومازال كثير من فقراء المدن والريف العربي محرومين من الحد الأدنى للمعيشة المتحضرة

كذلك فإن استخدام منتجات العلم الحديث والاهتمام بالبحث العلمي الموجه لحل مشكلاتنا هو أحد المفاتيح الأساسية لضمان عيش كريم

لملايين العرب القادمين . إن الثورة العلمية اليوم تفوق إنجازاتها أخصب خيال ، فصناعة واحدة لم تكن معروفة إلا بعد الحرب الثانية هي صناعة الحاسوب « الكمبيوتر » التي يستثمر فيها اليوم مئات المليارات من الدولارات ، تحل مشكلات معقدة للانسانية وهي إحدى ثمار العلم

لقد علق أحد العلماء على التطور السريع في هذه الصناعة بقوله .

(لو قامت صناعة السيارات بما قامت به صناعة الحاسوب « الكمبيوتر » من تطوير سريع لأصبحت اليوم سيارة الرولزرويس تباع بدولارين ونصف ، وتسير ألفي ميل في الجالون الواحد) .

هذا التعبير يعني التطور الهائل في هذه الصناعة التي أصبحت تدخل في كل عملية زراعية أو صناعية أو خدمية تقريبا ، من تنقية حبات القهوة والرز للمزارعين إلى قيادة الطائرات

إنه الاستخدام الأفضل للعلم

أما في الوطن العربي فإن قضية العلم والبحث العلمي مازالت بعيدة عن أولويات الكثيرين منا ، فقط بلدان عربية قليلة هي التي يمكن الإشارة إليها بوضوح في إطار التقدم والبحث العلمي النسبي

لعل النشاط الانساني المتفسخ المزري الشاذ الذي يسمى « الحرب » يضطر شعوبا كثيرة لخوضها مجبرة ، ولكن ليس من العقل أن تستمر الخلافات العربية والاسلامية كي تصل إلى حروب طويلة وتفوت على الانسان العربي والمسلم فرص النمو والترقي

من المؤسف أن نشاط الحرب قد أصبح لدى الانسان وكأنه نشاط عادي طبيعي يقدر الخبراء أن هذا القرن (العشرين) حتى الآن لم تمر منه إلا سنة واحدة فقط لم يكن العالم فيها مشغولا بحرب محتدمة ، وتلك السنة هي سنة ١٩٠٩ ، أما في السنوات الباقية فالانسانية قد عانت فيها ويلات الحروب . وتقدر الاحصائيات أن هناك ١٨ مليون جندي دائم تحت السلاح في العالم ، وأن مصاريف العالم العسكرية في الثمانينيات بلغت ٦٥٠ مليار دولار ، أي أن العالم يصرف ١٣٠ دولارا سنويا لكل انسان على ظهر الأرض كمصاريف عسكرية والأكثر بشاعة من ذلك أن نصف ذلك المبلغ تصرفه القوتان العظميان في زماننا . إنه إهدار لا يفوقه إهدار أبدا !

إن الوقود الرئيسي للاسراع في تقدم العالم وإطعام أفواهه هو إيماننا بحكمة الانسان والعلم الحديث ، وثروتنا الرئيسية هي الأمل بأن لا يحطم الانسان هذه الأرض التي استخلفه الله فيها على نفسه وذويه ، وكل ما عليها وما فيها !

محمد الرميحي

انفجار

ديون البرازيل

وبدء عصر المواجهة بين الدائنين والمدينين

بقلم : الدكتور رمزي زكي

المعجزة البرازيلية ، نموذج ، كانت تروجه في السبعينيات - الأوساط الرأسمالية ، رسمية ، وغير رسمية لدول العالم الثالث ، ولكن مع بداية الثمانينيات إنفجرت قضية ديون البرازيل والتي جاوزت المائة بليون دولار ، فانكشفت اللعبة ، واستبانت الحقيقة عن واقع مؤلم يعيشه الشعب البرازيلي ، وشعوب العالم الثالث التي ترزح تحت وطأة حمل هائل من الديون ، لم تستفد منه ، وعليها أن ترهن إمكاناتها ومستقبلها لتسديده

نتيجة للتطور الدراماتيكي الذي سارت فيه ديون العالم الثالث في العقد الأخير ، فإن حجم هذه الديون قد تجاوز الآن رقم الترليون دولار (أكثر من ألف بليون دولار) وتشير الاحصائيات ، الى أن حوالى نصف هذا الرقم مستحق على مجموعة دول أمريكا اللاتينية ، بينما تحتل ديون البرازيل خمس تلك الديون المستحقة على مجموعة هذه الدول ، حيث وصلت ديونها الى ١٢٠ بليون دولار عام ١٩٨٧ وتأسيسا على هذه الحقائق ، يمثل جبل الديون البرازيلي أعلى قمة بين جبال ديون بلدان العالم الثالث

وتدفع البرازيل حاليا ما قيمته ١٠ بليون دولار

نويا لخدمة الفوائد المستحقة على هذه الديون ناهيك عما تدفعه من أقساط) كما أصبحت مبالغ دمة الديون (الفوائد + الأقساط) تلتهم حوالي ٪ من الناتج القومي الاجمالي ، وهو ما يزيد عن عدل النمو السنوي لهذا الناتج ، وتفترس تقريبا ، ٥٪ من إجمالي حصيلة صادراتها من السلع الخدمات وكان من جراء ذلك ، أن أصبحت برازيل - التي يقدر عدد سكانها بحوالي ١٣٠ مليون سمة - فريسة لغول الديون الذي راح يلتهم بشكل رس ثمار عمل شعبها ، ويقضي على كل آثار يجابية تتحقق في مجال التنمية والتصنيع ، وعلى كل مل في امكانية الارتقاء بمستوى معيشة شعبها ظرا لشراهة هذا الغول ، فان البرازيل لم يعد لديها ا تستطيع أن تقدمه باستمرار لسد جوع هذا الفك لفترس وهذا طلبت أكثر من مرة منذ بداية لثمانينيات وحتى الآن من دائنيها الدخول في فاوضات لإعادة جدولة هذه الديون أي تأجيل فعها ، مع عدم تحمل أعباء اضافية عن هذا تأجيل

سقوط المعجزة

والغريب في الأمر ، ان هذا العسر المالي الشديد لذي تواجهه الآن البرازيل بعد انفجار بركان ديونها لخارجية ، والذي يمثل أحد الآلام الشديدة للدائنين ومعظمهم من البنوك التجارية الأمريكية - يأتي بعد ن ذبلت أحلام ما كان يسمى « بالمعجزة البرازيلية » قد راحت أدبيات التنمية الغربية في عقدي لستينيات والسبعينيات تدق طبول الدعاية والمديح نموذج التنمية البرازيلي بشكل فج ، حينما كان هذا لنموذج في بداياته المبكرة يرحب بالشركات الأجنبية لمتعددة الجنسية ، ويفتح أمامها المجال واسعا لنزح نهار فياضة من الأرباح

كان نجاح هذا النموذج في تلك الأدبيات يقاس ندى ما يحققه هذه الشركات من معدلات مرتفعة للربح ، ومن مجالات استثمارية واسعة ، وليس من خلال ما يحققه للشعب البرازيلي من ارتفاع في مستوى معيشته ، أو ما يجره لاقتصادها من تحرر وإستقلال وتقدم على أن أصوات طبول الدعاية للمعجزة البرازيلية سرعان ماخفتت ، حينما دخل هذا النموذج في منطقة حصار شديد منذ أواخر العقد الماضي تحت تأثير النتائج والافرازات الحتمية لهذا النموذج واختفى مصطلح « المعجزة البرازيلية » ليحل محل هذا السيل القوي من الكتابات التي تتحدث عن أزمة الاقتصاد البرازيلي ومشكلاته الحادة فقد لجأت الشركات الأجنبية في عصر هستريا الاقراض الدولي في السبعينيات الى الاقتراض من الخارج بضمان الحكومة البرازيلية ، وبأسعار فائدة باهظة ، وصلت الى ٢١,٥٪ ، وظلت هذه الديون ، مع غيرها من الديون الأخرى التي اقترضتها الحكومة البرازيلية تتراكم عاما بعد الآخر ، الى أن وصلت الى مستواها الحرج الحالي ، وأفرزت أعباءها الشديدة ونظرا لأن نموذج التنمية البرازيلي - الذي قام أساسا بحافز خارجي (الاستثمارات الأجنبية الخاصة) - قد اعتمد على الانتاج من أجل التصدير ، ومن ثم حكم على نفسه منذ البداية بالتبعية لحالة الأسواق الخارجية ، فإنه ما أن ضرب الكساد الاقتصادي الدول الصناعية الغربية المستوردة لهذا الانتاج ، فان حصيلة الصادرات البرازيلية ، وهي المصدر الرئيسي لخدمة أعباء الديون ، سرعان ما تدهورت وأضعفت من قدرة البرازيل على الوفاء بأعباء ديونها حدث هذا في الوقت الذي استمر فيه نزح الأرباح منها بشكل وحشي من قبل الشركات المتعددة الجنسية وهو الأمر الذي أدى الى نشوء أزمات حادة في النقد الأجنبي ، وفي تمويل الواردات الضرورية ، وإلى اشتعال نيران التضخم

عجز مستمر

ومن المفارقات التي سيدهش لها القارئ، هو أنه على الرغم من أن البرازيل أصبحت تحقق دائما في السنين الأخيرة فائضا في ميزانها التجاري (زيادة الصادرات على الواردات). إلا أن هذا الفائض لا يكفي لتمويل تحويلات خدمة أرباح رؤوس الأموال الاحتكارية المستثمرة فيها ودفع أعباء فوائد ديونها الخارجية. ونتيجة لذلك، فإن حسابها الجاري في ميزان المدفوعات يحقق عجزا مستمرا، وهو الأمر الذي يستدعي المزيد من الاقتراض الخارجي، والمزيد من ثم في إرتفاع حجم الديون. وطبقا للتقديرات المبدئية عن عام ١٩٨٧، يبلغ فائض الميزان التجاري البرازيلي حوالي ٨ بليون دولار، بينما يصل حجم العجز بالحساب الجاري حوالي ٤ بليون دولار. فإذا أضفنا إلى ذلك أقساط الديون المستحقة للمنظمات الدولية. مثل صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، والبنك الأمريكي العالمي، وتقدر بحوالي ٢ بليون دولار واجبة الأداء في هذا العام، لتبين لنا، أن على البرازيل أن تقترض ما لا يقل عن ٦ بليون دولار، لتضاف إلى ديونها المتراكمة من سنوات سابقة.

ونتيجة للأعباء الشديدة التي تمخضت عن حجم الديون البرازيلي، وما واكب ذلك من آلام شديدة للبرازيل ووصولها إلى مرحلة عدم القدرة على الدفع - رغم الإنجازات الهائلة في مجال النمو والتصنيع والتصدير، فقد شاركت البرازيل مع المكسيك والأرجنتين وشيلي، في تفجير أزمة الديون المصرفية في خريف عام ١٩٨٢، حيث توقفت عن دفع الأعباء المستحقة عليها في هذا العام. هنالك دب ذعر شديد في أروقة البنوك والمؤسسات المالية الدائنة، لأن توقف هذه الدول التي تعد من كبريات الدول المدينة، عن الدفع، كان يهدد بشكل مباشر هذه البنوك والمؤسسات بالإفلاس. وكان ذلك هو بداية عصر المواجهة الحقيقية بين الدائنين في العالم الغني وبين المدينين في العالم الفقير. بيد أنه نظرا لخطورة هذه الأزمة وما كانت ستحدثه من إنهيار مصرفي عالمي. فإنه سرعان ما تحركت الولايات المتحدة وصندوق النقد الدولي والبنك الدولي،

ومعهم بنك التسويات الدولية، لمحاصرة تلك الأزمة، وذلك عن طريق الموافقة على إعادة جدولة ديون هذه الدول وتقديم المزيد من القروض لها.

ومنذ ذلك التاريخ نشأ ما يمكن أن يسمى «بالإقراض الإجباري» بمعنى أن الدائنين أصبحوا مجبرين على تقديم مقادير معينة من القروض للدول المدينة ذات الوضع الحرج، حتى لا تفلس المؤسسات والبنوك الدائنة لها.

الإذعان للشروط

لكن تقديم تلك المقادير الإضافية من القروض والموافقة على إعادة جدولة الديون القديمة، أصبح يرتبط بإذعان الدول المدينة للشروط التي يطلبها صندوق النقد الدولي، من الحكومات في مجال تخفيض الإنفاق العام الموجه لضروريات الحياة، والخدمات الاجتماعية، وتحجيم القطاع العام وبيع مؤسساته ووحداته الإنتاجية للقطاع الخاص المحلي والأجنبي، وتجميد الأجور، وزيادة الأسعار والضرائب غير المباشرة، وتقليل العمالة الحكومية، وتخفيض سعر العملة الوطنية، وتحرير التجارة والمدفوعات الخارجية من القيود إلى آخره. وكلها إجراءات ذات طابع إنكماشي، ويقع عبؤها أساسا على عاتق الفقراء ومحدودي الدخل. ولهذا سرعان ما اقترنت تلك الإجراءات بحدوث إضطرابات إجتماعية وسياسية في هذه الدول وغيرها من البلاد التي سارت على نفس الدرب.

وعبر توالي السنين وتراكم التجارب، بدأ قادة دول أمريكا اللاتينية يدركون حجم الكارثة التي ولدتها أزمة المديونية الخارجية، وما نتج عنها من

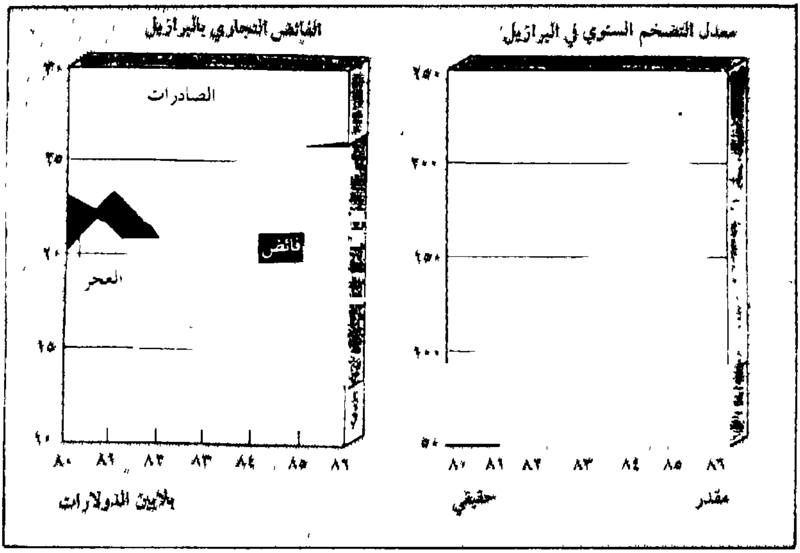

سياسات اقتصادية أجبروا على تطبيقها. فقد بات واضحاً أن عملية إعادة الجدولة ما هي إلا تأجيل ليوم الحساب، ولكن حينما يحل هذا اليوم فإن فاتورة الدفع تكون قد زادت بمقدار الفوائد الاضافية الناجمة عن تأخير السداد. كما أن «الاجراءات التصحيحية» التي إشترطها الدائنون وصندوق النقد الدولي، كانت ذات آلام شديدة من الناحية الاقتصادية والاجتماعية. فلا التضخم المحلي قد إنخفض، ولا العجز بالحساب الجاري في ميزان المدفوعات قد إنكمش، ولا الحاجة للاستدانة الخارجية قد قلت، ولا القدرة على سداد الديون قد ارتفعت، بل على العكس من ذلك، تعاصر الفشل في تحقيق تلك الأهداف بابطاء عجلات التنمية، وتردي مستويات المعيشة، وبزيادة معدلات البطالة، وبيع المصانع والأصول الانتاجية للمستثمرين والدائنين الأجانب. وكل هذه الأمور جعلت هذه الدول تقف فوق بركان ثائر. حيث أصبح إستمرار الوفاء بتسديد فوائد الديون وأقساطها أحد العوامل الجوهرية المسؤولة عن تفاقم الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في تلك البلدان.

كان من الطبيعي والحال هذه، ان يبدأ بعض رجال السياسة والفكر في طرح قضية الديون من خلال التساؤل الجاد حول حقيقة حجم هذه الديون من ناحية، وحول كيفية العلاج الجذري لها.

حقيقة حجم الديون

وفي ما يتعلق بالتساؤل الأول بدأ الشك يحوم حول حقيقة الأرقام الحالية الواجبة الدفع من قبل الدول المدينة. وأصبح هناك اعتقاد راسخ مؤداه، أن هذا التطور الفلكي الذي سجلته ديون امريكا اللاتينية، وغيرها من الدول في العقد الاخير، لايعكس في الحقيقة حجم الموارد الحقيقية التي انسابت إلى تلك الدول، بقدر مايعبر عن تأثير مجموعة من العوامل

الخارجية التي لا تستطيع هذه الدول ان تؤثر فيها فهناك جزء هام من تلك الديون يعود إلى تأثير إرتفاع أسعار الفائدة العالمية ، وإلى إرتفاع سعر الدولار عالميا ، والى تدهور شروط التبادل التجاري لهذه البلاد على النطاق العالمي ، وهناك تأثير الكساد الاقتصادي في الدول الصناعية الغربية الذي خفض من صادرات البلاد المدينة إلى البلاد الدائنة وهناك الارتفاع غير العادي الذي حدث في أسعار كثير من السلع التي تستوردها البلدان المدينة ، كالمواد الغذائية ومواد الطاقة والسلع الانتاجية

وأخيرا وليس آخرا ، هناك الستار الحديدي للحماية التجارية الذي بدأت تفرضه الدول الصناعية الرأسمالية ضد نفاذ صادرات المدينة اليها ، وهناك الفساد الذي عدته الشركات المتعددة الجنسية في هذه البلدان ، والذي أدى إلى تهريب كثير من الأموال المقترضة للخارج ، في صورة سمسرة ، وعمولات ، ورشوة وإختلاسات وهذه الأموال المهربة للخارج تعادل الآن مالا يقل عن ثلث ديون امريكا اللاتينية وهي عبارة عن أموال مودعة أو مستثمرة بأسماء أشخاص من مواطني هذه الدول في أسواق النقد الدولية فكل هذه العوامل كان لها باع طويل في إستمرار إرتفاع حجم ديون هذه البلاد وتفاقم أعبائها وتأسيسا على ذلك ، فان التسوية العادلة لمشكلة الديون تقتضي إذن إنقاص حجمها ، ومن ثم أعبائها ، بمقدار تأثير هذه العوامل

تقرير لجنة تقصي الحقائق

وربما كانت حالة البرازيل نموذجا ذا دلالة خاصة عن مدى تأثير تلك العوامل في تأزيم مشكل ديونها الخارجية فطبقا للنتائج التي توصلت إليها لجنة تقصي الحقائق التي كونها البرلمان البرازيلي للبحث في حقيقة ديون البرازيل ، يتبين أنه إذا ماروعي تأثير

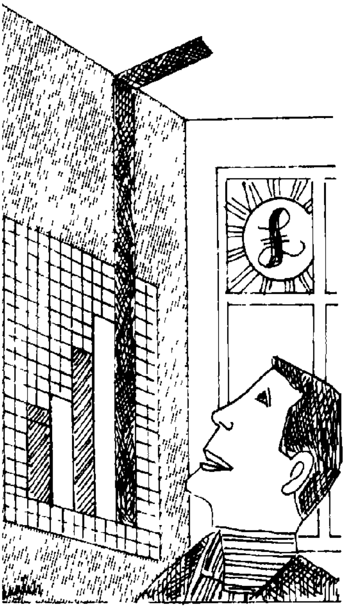

العوامل السالفة الذكر ، فان حجم الدين الح
البرازيل يصبح ٤١ بليون دولار بدلا من ١٢٠ با
دولار وكان المنطق الذي استندت اليه لجنة تق
الحقائق للوصول الى هذا الرقم كما يلي

* أنه يجب إستبعاد ماقيمته ٤٠ بليون دولار ، تت
في الكلفة المتزايدة للاقتراض التي نجمت عن الز
المستمرة في أسعار الفائدة وهي الزيادة التي تحق
من إرتفاع سعر الفائدة التفضيلي من ٦٫٢٥٪ في
١٩٧٩ الى ٢١٫٥٪ في عام ١٩٨١ و ١٩٨٢

* كما انه يتعين إستبعاد ماقيمته ١٨ بليون دولا
تتمثل في قيمة إجمالي القروض التي هربت للخارج
تدخل البلاد أصلا بعد إختلاسها ، وإيداعه
وإستثمارها لحساب بعض الافراد في البنوك وأس
النقد الخارجية

* وهناك مبلغ ٥ بليون دولار يجب أن تستقطع
حجم الدين ، وهي عبارة عن التأثير الناجم
إنخفاض سعر الدولار فيما بين عامي ٨٥ ـ ٨٦

* وهناك أيضا مبلغ ١٨ بليون دولار عبارة عن الديون التي اقترضتها الشركات المتعددة الجنسية من الخارج

إن مجموع هذه العوامل الخارجية التي لاترجع إلى طريقة أداء الاقتصاد البرازيلي تشكل ٨١ بليون دولار ، الأمر الذي يعني أنها قد ساهمت في زيادة ديون هذه الدولة بما لايقل عن ٦٦/ من اجمالي ديونها المعلنة من قبل صندوق النقد الدولي ولهذا فإن المنطق يقضي بتخفيض ديون البرازيل بنفس هذه النسبة وبناء على هذا المنطق يجمع كثير من الخبراء والباحثين في أزمة الديون الخارجية على أن تلك الأزمة يجب أن يتحمل أعباءها الدائنون والمدينون معا وفقا لمبدأ المشاركة في المسئولية وليس من الصحيح ، أو العدل أن نرجع تلك الأزمة فقط إلى أخطاء السياسات الاقتصادية الداخلية التي إرتكبتها هذه الدول في العقدين الاخيرين

كينز والحلفاء وألمانيا

وفيما يتعلق بالتساؤل حول إمكانات الخروج من تلك الأزمة فإن ذلك يذكرنا بالموقف العبقري والفذ للورد جون مانيرد كينز ، الاقتصادي البريطاني الشهير ، حول أزمة الديون والتعويضات الألمانية حيث إنتقد كينز بلا هوادة معاهدة فرساي بعد إنتهاء الحرب العالمية الأولى وهي المعاهدة التي كانت تقضي بأن تدفع المانيا المهزومة ديونا وتعويضات للحلفاء المنتصرين تقدر بحوالي ١٢٠ مليار مارك ذهبي وهي ديون وتعويضات كانت من الضخامة بحيث يستحيل على الاقتصاد الألماني المحطم الوفاء بها ولهذا طالب كينز الحلفاء بإعادة النظر لتخفيض حجم هذه الديون والتعويضات . وإعطاء الاقتصاد الألماني الفرصة الكافية لكي يعيد بناء طاقاته الانتاجية التي دمرتها الحرب ، مع تقديم بعض القروض والموارد الميسرة لألمانيا حتى تتمكن من إعادة بناء تلك الطاقات وذلك حتى يتسنى لها إستعادة قدرتها على التصدير والوفاء بهذه الالتزامات وأكدت التجربة التاريخيه لهذه الأزمة حنكة وعبقرية الرؤية الكينزية

ورغم إختلاف السياق التاريخي لأزمة مديونية العالم الثالث عن أزمة الديون والتعويضات الالمانية ، إلا أننا مع ذلك نستطيع القول بأن ثمة تشابه واضح بين الأزمتين . ذلك ان جبل الديون الشاهق لدول العالم الثالث غير قابل للتسوية بأي حال من الأحوال في ظل الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية المتردية بالبلاد المدينة مالم يتم التفاوض على تخفيض تلك الديون من ناحية ، وتسهيل إجراءات دفعها من ناحية ثانية ، ومنح تلك البلاد القروض والموارد الميسرة التي تمكنها من الاسراع بمعجلات التنمية فيها وإستعادة قدرتها على الوفاء بأعباء ديونها لكن المشكلة تتمثل في أن الدائنين حتى الآن غير مستعدين لتقديم أية تنازلات من جانبهم ، ويصممون على إعتصار البلاد المدينة لآخر مدى ممكن وهذا يبدو بشكل جلي في موقف البنوك التجارية الدائنة التي تتسلح دوما بنظرة ضيقة قصيرة الأمد ، وتسعى دائما للمحافظة على أعلى معدلات ممكنة للربح ، ولايعنيها في قليل أو كثير تأثير أزمة الديون على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للبلاد المدينة

بيد أن بعض الحكماء في الاقتصاد الرأسمالي العالمي بدأوا يدركون مدى المخاطر الحقيقية التي يمكن أن تنجم عن إستمرار هذه الأزمة في الأجل القريب ، بعد ان اعلنت بعض الدول عن عدم قدرتها او إستعدادها لمواصلة الوفاء بأعباء الديون ومن هنا يعتقد هؤلاء الحكماء ، بأن الوقت قد حان لأن يعقد مؤتمر دولي تحت رعاية منظمة الأمم المتحدة لمناقشة هذه الأزمة والتفاوض بين الأطراف المعنية بغية التوصل إلى حل ناجح ، قبل أن ينفجر البركان ويدمر المدينين والدائنين معا ، خاصة وأن عصر المواجهة الحقيقية بينهم قد بدأ □

نَجمُ ليل

شعر : فاروق شوشة

كان طريقي يحملُ خطوي ، ويقرّبني
وأنا أتلفّتُ بحثاً عنْ نورٍ يقيني ،
وأطلَّ الفجرُ ، فقلْتُ الآن وصلْتُ ،
الآن عرفْتُ ،
الآن أُروّي أشواقي وحنيني
لاقيْتُكَ عند ظلال الأفق ،
وكان الموعدُ ساعةَ تصحو الروحُ ،
تشفُّ ، وتكشفُ عنْ خلْوتها ،
عمقَ نفاذ شعاعِ بصيرتها ،
فتغادرُ طينةَ حيْرتها ،
وتُسبّحُ في فلك الملكوت
خطواتي تُسْرِعُ نحو النُّور ،
وشراعي في اللجّة منْشورٌ ،
والقلبُ الواجفُ يؤويني !

حدثني اللّيلُ عن الأسرار ،
وَعَنْ مكنون حكاياته ،
ولواعجِ نفسٍ ساهرةٍ
يسّاقطُ فيضُ النّورِ بدربي ،
ويضيءُ حناياي

تتلاصقُ نفسي في نفسي ،
ويغرّدُ طيرٌ في قلبي
يحْملني الليلُ ، ويأخُذني في بستانه
هدبي نجمةُ حبٍّ تتألّقُ ،
وشعاعةُ نُوْرٍ تتخلّقُ ،
أقطفُ منْ شجرات اللّيل
ثمراً مسكوناً بالحكمة ،
أسْبحُ في ملكوت اللّيل
حتى أتلاصق في شطآنه ،
ونداءُ الموجة يغويني

يَذْكُرُكَ القلبُ ولا ينساك
يانجْمَ اللّيل المتوحّدِ ،
لاتغلق بابك في وَجْهي ،
فأنا ملهوفٌ للقاكَ
لاتبعدْ طيفك عنْ أُفْقي ،
فأنا أنْتظرُ عطاياك
ياوجه اللّيلِ المتفرّدِ ،
ياصوت اللّيل المتردّد ،
ياحزنَ اللّيل المتجدّدِ ،

الأرضُ حدودٌ لمراياك ،
والهمس وعاءٌ لحكاياك
يانبع الرؤيا ، والالهام ،
وجناح الخلْوة ، والأوهام ،
ونداء الشوق المتبدّد ،
إنّي والعمر على بابك ،
ظمأٌ موصولٌ
والفيضُ الغامرُ يدعوني
لهوى مأمولِ
يانجماً يلتمعُ ، ويخبو ،
وشعاعاً يقربُ ، ثم يغيبُ ،
منْ أيِّ سبيلٍ تأتينا ،
وبأيِّ رداءٍ تكسونا ،
فتضيءُ عيونُ ليالينا ،
وتبدّدُ عن ليلي الخوفَا ؟
يافيض النّورِ أضيءْ دربي ،
عطّرْ دنياي ،
يهواكَ القلبُ ، وينتظركَ ،
ياسرَّ هواي

العربي ـ العدد ٣٤٧ ـ أكتوبر ١٩٨٧

صَاحبُ قديم

بقلم : الدكتور عبد السلام العجيلي

دخل عليّ منذ أيام غرفة المعاينة في عيادتي شاب حسن الهندام ، دون استئذان وكأنه رأى على وجهي علائم الاستنكار لتخطيه دور من يسبقونه في قاعة الانتظار فقال مبادراً

أرجوك لست مريضاً جئت إليك في استشارة غير طبية

قلت تفضل واجلس ماذا تريد مني ؟

قال أنا عائد من العاصمة ، والتقيت هناك بأحد أصحابك الأعزاء الصحيح أن مظهره لم يعجبني في البدء ، ولكن كلامه أثار اهتمامي

حدثني عن اختراع علمي له يحتاج إلى قليل من النفقة ليصبح ناجزاً وليدّر عليه وعلى من يشارك في نفقته الثراء والغنى لم أحمل ما سمعته منه أول الأمر محمل الجد إلا أنه استشهد بك على صحة ما يقول ،

وأخرج من جيبه قصاصات من مجلات تحوي مقالاتٍ لك تشيد فيها به وباختراعه وتدعو القادرين إلى المساهمة في إخراج هذا الاختراع إلى حيّز الوجود تستطيع أن تعدني واحداً من هؤلاء القادرين وقد حدثتني نفسي بأن أوظف بعض ما أملكه من مال في إنجاز هذا الاختراع فماذا تنصحني ؟

وسكت محدثي بينما اتسعت ابتسامتي على شفتيّ لما سمعته منه وحين استبطأ هو جوابي أضاف قائلا

ـ أظنك عرفت صاحبك هذا ، وتذكرت ما كتبته عنه وعن اختراعه

قلت ، وأنا أحس في حنجرتي الضحكة التي كادت تتحول إليها ابتسامتي الواسعة

ـ وكيف لا ؟ إنه صاحبي المنجم والشاعر ، ثم المخترع ، الخوري رينوب أو على الأصح البروفيسور البارون كريكور أوهانيان ! كتبت عنه أكثر من مرة ، ورويت شعره ، وتحدثت عنه ذات يوم في إحدى محاضراتي

وعلى الرغم من كثرة المنتظرين دورهم في الدخول إليّ وجدتني استخلص من وقتي بضع دقائق أعرّف بها هذا الشاب بذلك الصاحب القديم

وإذا لم يكن هذا الرجل، أعني البروفيسور البارون كريكور أوهانيان، الخوري ريبوت سابقاً، صديقاً قديماً فهو على الأقل معرفة قديمة عرفته في صباي حين كان يلبس ثوب الكهنوت ويتردد على بلدتي الصغيرة متفقداً فيها رعيته من أبناء طائفته الدينية وقد اضطرته أزمة عاطفية مرّت به في تلك الأيام إلى أن يتخلى عن ثوبه الكهنوتي، وإلى أن ينحو في حياته المنحى الذي تؤهله له مواهبه الفنية ومزاجه الشاعري ومظهره الأنيق الجميل راح ينشر في الصحف الأرمنية التي تصدر في لبنان وسورية مقطوعاته الشعرية الرقيقة، وينشد أشعاره في الزوايا الأرمنية في الاذاعات المختلفة، يلقيها أحياناً إلقاءً وفي أحيان أخرى ينشدها بصوته الجميل في موسيقاه العذبة وبين هذه وتلك كان صاحبنا يطلّ على المقاهي والمرابع في بيروت ودمشق وفي المصائف الجبلية بينهما، بوجهه الصبيح وقده المشيق الطويل وبرته السوداء الأنيقة، ليقرأ لزبائنها خطوطهم في قعر فناجين القهوة أو في خطوط أكفّهم وكان له من ذلاقة اللسان ومن المعرفة بجوانب النفس الانسانية ما يستحوذ به على اهتمام مستمعيه ويجعلهم يصدقون ما يتنبأ به لهم عن الثروة المنتظرة والمنصب الرفيع المرتقب، وعن فتيات شقراوات وفتيان سمر سيكنّ وسيكونون من حظ المستمعين والمستمعات بعد ثلاث إشارات من الزمن وقد تكون هذه الاشارات ثلاثة أيام أو ثلاثة شهور أو ثلاثة أعوام، أو ثلاثة قرون!

كنت ألتقي بالبارون أوهانيان في هذه الفترة من حياته في أوقات متباعدة إلا أن لقاءاتي به أصبحت أكثر تقارباً حين طعن في السن وتغيرت عليه، وعلى غيره، الدنيا، فسُدّتْ في وجهه مرابع بيروت ومصائفها الجبلية وأصبحت إقامته الدائمة في دمشق بعض من يراني معه في عاصمة بلادنا يعجب من مجالستي له ويظن بي تصديقاً لثرثراته في قراءة الحظ والتنبؤ بالمستقبل غير أن تلك الثرثرات هي آخر ما يشدني إلى هذا العجوز الذي لا يزال محتفظاً بآثار الصباحة في وجهه والاستقامة في قامته، والذي ما زالت برته السوداء محتفظة ببقايا أناقته القديمة على الرغم من لمعة قماشها ودبيب البلى في حواشيها أحاديثنا في جلساتي إليه تبدأ عادة باستعادة ذكرياته في بلدتي الصغيرة حين كان كاهناً والكلام عن صداقاته لأعمامي الذين كانوا في سنه آنذاك، وتنتهي دوماً إلى سؤالي إياه عن آخر ما نظمه من مقطوعات شعرية، وعن آخر ما سجّل في الدفتر الذي يملأ عنه من حكايات ونوادر يسميها بلهجته المتفاصحة «نكتات»

تلك المقطوعات الشعرية التي نظمها بالأرمنية ويترجمها إلى العربية بلكنة أرمنية فاضحة، نقلت منها في مرات كثيرة ما كان يعجبني فيها كتبته أو تحدثت به عنه أضرب لها مثالاً رباعياته التالية

يا حبيبي، إني أتوسل إليك
لا تتمشَّ في ضوء الشمس
أخاف على ظلك أن يقع على الأرض
فيتعفّر بالتراب
عندما دخلت بيت التنور يا حبيبي
وجدت فيه ألْف رغيف طازج
لم أر بينها واحداً أشقر مثل خدّك
ولا واحداً محروقاً مثل قلبي

* * *

ذهبت الى رب العزة أشكو إليه الجميلين
وما فعلوه بي
لم أفد شيئاً
فقد وجدته تعالى، كذلك، جميلاً!

أما « نكاته » ، أعني حكاياته ونوادره ، فكانت لمعا قصصية قصيرة يؤلفها أو يقتبسها مما يحفظ ، ويسجلها في دفتر سميك يملأ جيبه الداخلي رويت في ذات مرة ، منذ خمسة عشر عاما ، احدى تلك الحكايات في مقال لي فأثار في حينه ضجة كبيرة نظرا لتطابق تلك الحكاية مع واقع أمتنا العربية انذاك

وأحسب أني لو اعدت رواية الحكاية ذاتها اليوم لما وجدت دورية ترضى نشرها ، لصدق دلالتها على واقعنا الحاضر ولضيق المسؤولين في كثير من البلاد عن تقبل مقالة الصدق تلك

في اخر لقاء لي بالبروفيسور أوهانيان سألته إلى أين وصل في تسجيل « نكاته » ، قال لي بلغ عددها مائة وأربعين بعد الألف ! قلت اسمعني الأخيرة منها قال إنها هذه

« عاد فرعون من حربه بأربعة من خصومه الملوك أسرى ولما بلغ عاصمة بلاده حلّ عن عربته خيولها الأربعة وأسرج بدلها أولئك الملوك ليجروها به

وبينما كانت العربة تجري وفرعون يرفع سوطه يستحث به الملوك الخيول على الجري ، رأى ملك اشور ، وهو أحد تلك الأحصنة الملكية ، يدير رأسه ويلتفت إلى العربة وراءه انتهره فرعون وقال له

- لماذا تنظر اليّ هكذا ؟ ألا يعجبك ما تفعل ؟

فأجابه ملك اشور بقوله

- أنا لا أنظر اليك يا فرعون ، وإنما أتأمل في الدولاب كيف يدور بالأمس كنتُ ملكا على بلاد وشعوب ، واليوم أنا حصان على عربة ! »

* * *

هكذا ظلت أحاديث الخوري زينون ، أو البروفيسور البارون كريكور أوهانيان ، معي أعواماً كثيرة إلا أن صاحبي هذا أخذ في السنين الأخيرة يعقّب على مقطوعاته الشعرية ونوادره تعقيبات علمية أفضت في النهاية إلى حديث اختراعه العجيب الذي من أجله جاء هذا الشاب يستشيرني اليوم

بداية تعقيباته العلمية تلك كانت بأن راح يهمس لي أنه وقع في دراساته وتحرياته في المخطوطات القديمة على سرّ عظيم سيوظفه في اختراع عجيب غريب

وفي لقاءاتي التالية به صار يبشرني بأن اختراعه العجيب الغريب في طريق الانجاز ، وأن تمام انجازه يتوقف على مبلغ زهيد من المال ، عشرين ليرة أو ثلاثين ليرة فقط ، يهزّ بعدها العالم هزا ويجلب له ولشركائه في انجازه الثروة الطائلة والغنى الفاحش

كنت آنذاك أحك رأسي متظاهرا بتصديق ما يقول ، وأخرج من جيبي الليرات التي يذكرها وأنا متأكد من أنها لن تفيد شيئا في إتمام ذلك الاختراع وإنما تسد عوز صاحبي حتى تشح موارده من قراءة الأكفّ والتنبؤ بالمستقبل

وتوالت الأيام ولمّا ينجزْ ذلك الاختراع كانت اللمسة الأخيرة منه متوقفة دوما ، - حسب ما يقوله البروفيسور أوهانيان - على مبلغ مالي أصبح يتجاوز مرتبة العشرات من الليرات الى المئات ثم الألاف منها قلت له مرة حين راح يذكر ذلك لي داعيا إياي إلى المساهمة في نفقات تلك اللمسة الأخيرة

- عند هذا قف يا صديقي ولا تطمع بمساعدتي ليس لأني لا أؤمن بقيمة اختراعك ، وإنما لأنك تذكر أرقاماً تتجاوز إمكاناتي المادية

قال عندها حسنا اذا كنت لا تستطيع اعانتي بالمادة ، ساعدني معنويا

قلت ماذا تقصد ؟

قال الناس تسمع منك وتصدقك فيما تقول تحدّث للناس عن اختراعي أكتب عنه قل لهم ان الخوري زينون وضع يده على السر الذي كان مكتوباً على عصا النبي داود وخاتم النبي سليمان ، وانتقل منهما إلى سقراط وأرسطو طاليس ولقمان

الحكيم   وأنه وظّف ذلك السر في اختراع هائل يمطر الذهب كما تمطر غيوم السماء الماء   وإن هذا الاختراع لا يحتاج إلاّ إلى آلاف قليلة من الليرات تعود على من يتقدم بها بالملايين وآلاف الملايين !

ضحكت أشد وقلت   لك هذا عليّ يا بروفيسور   سأقول كل ذلك على رؤوس الأشهاد ، وبأعلى صوت

وكتبت من فوري في ذلك الحين مقالا نشرته إحدى المجلات السيارة في هذا الموضوع ، قرأه الكثيرون وتحدثوا عنه وتندروا به   وعلى الرغم من مداعبتي لصاحبي وتشكيكي في واقعية اختراعه في ما كتبته عنه ، فقد سُرّ هو بالمقال واحتفظ بالصفحات المنشور فيها في محفظته في جيبه ، إلى جانب القصاصات والأوراق التي تملأ ذلك الجيب ، مبرزا إياه إلى كل من يجالسه ويجد فيه الاستعداد لسماع الحديث عن ذلك الاختراع الجهنمي

وكان هذا الشاب واحدا من الذين أطلعهم البروفيسور أوهانيان على ذلك المقال   ويبدو أن روح الدعابة والسخرية في سطوره قد فاتته فحمل كلامي فيه على محمل الجد ، وجاء يستشيرني في المساهمة في نفقات اللمسة الأخيرة من هذا المشروع الخلاب   كان لا بد لي من أن أبصّر الشاب بالحقيقة وأبدد ما توهمه فيما كتبته   وأحسب أنه أصيب بشيء من خيبة الأمل عندما وعى كلامي   صحيح أني جنّبته خسارة ماله ، ولكني في نفس الوقت أيقظته من حلم لذيذ وبدّدت آماله الحلوة التي بناها على ما منّاه به الخوري ريبون ، كنتيجة لمساهمته في اختراعه ذاك ، من ثروة طائلة ومكاسب كبيرة

* * *

ولقد مضت فترة طويلة لم ألتق فيها بصاحبي الخوري البروفيسور والبارون   ولست أشك في أن بعض من يعرفون صلتي به سيحملون إليه هذا المقال ليعرّفوه بأني أسأت إليه ، وقطعت عليه طريق الحصول على مبلغ محترم كان من المنتظر أن يصب في بالوعة اختراعه الوهمي   وأنا واثق من أنه سيستقبلني في لقائنا القادم باللوم والعتاب ، وربما بنوبة من الغضب ، لهذا التصرف مني ، أنا صاحبه القديم ولكني واثق كذلك من أنه سيقتطع هذه الصفحات التي فيها المقال ويضمها إلى ما ينتفخ به جيبه الداخلي من كتابات أخرى لي عنه ، مستشهداً بها عند من يجلس إليه على مواهبه في نظم الشعر وتأليف النوادر وفي ابتكار الاختراعات العلمية الغريبة العجيبة الرهيبة ☐

■ من العظماء من يشعر المرء في حضرتهم بأنه صغير ، ولكن العظيم بحق هو الذي يشعر الجميع في حضرته بأنهم عظماء .

(مكسيم جوركي)

■ الذي يحدد مصيره بالفوز أو الموت قلما يواجه الموت .   **(كوديني)**

■ نظر الناس إلى داخل بيتي من الشقوق ، وعيروني ، فوجب عليّ أن أفتح لهم النوافذَ والأبوابَ ليروني كما أنا ، لا كما يتخيلون

(روسو)

العدد
القادم من

نوفمبر ١٩٨٧

استطلاعات

"بيروبيجان"
من يتذكر دولة
اليهود السوفييت ؟
سليمان الشيخ

"المولوية"
يرقصون "السيما" على
أنغام جلال الدين الرومي
سليمان مظهر

- من الانحطاط إلى النهضة / د. أحمد علبي
- تقدم العلم وتلوث البيئة / د. سمير رضوان
- بخلاء الجاحظ يراوغون القلق / د. عبد المقصود عبد الكريم
- جنون العنكبوت / عبد الرحمن حريتاني
- ساعة زرقاء / د. عبد الغفار مكاوي
- الأسنان المصابة .. بين القلع والعلاج / د. ابراهيم أبو طاحون
- جويا .. العابث الثائر / جمال قطب
- المعلم لوب .. ! / د. عبد الوهاب جومد
- الحاسب الالكتروني ومستقبل الاقتصاد العالمي / سمير شعبان
- كتاب الشهر : النبوءة السياسية / طارق الحجي
- وجهاً لوجه : منح الصلح وجهاد فاضل

واقرأ أيضاً للكتاب

د. محمد الرميحي - د. نقولا زيادة - فهمي هويدي - د. سامي عزيز
د. عبد الحميد يونس - محمود [illegible] - محمد العشري - محمد عمارة

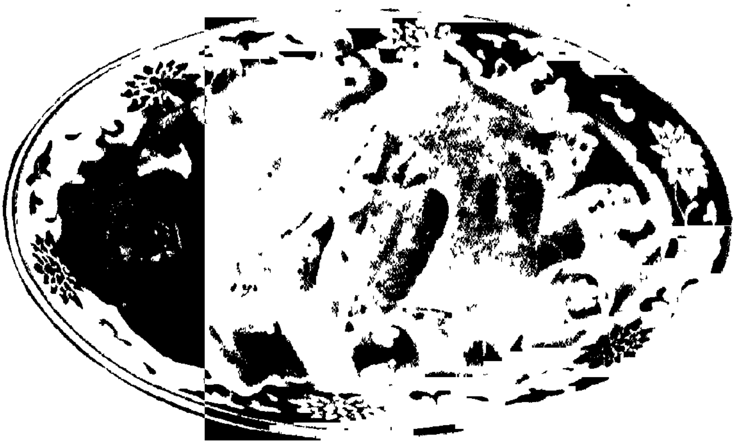

* الزراعة المائية بساتين البندورة «الطماطم» المنتجة بهذه الطريقة

الزراعة هى المصدر الأساسى للغذاء مع بعض التغيرات المستحدثة، والواجب ايجادها لتواكب التطور العلمى في باقى مجالات الحياة. وأقل التقديرات هى أن البشرية تحتاج لزيادة الانتاج الزراعى الى ثلاثة أضعاف المستوى الحالى، لتوفير الغذاء الكافي للزيادة السكانية المتوقعة خلال هذه الفترة

يتوقع خبراء التغذية نقصا في استهلاك اللحوم مع بعض الزيادة في استهلاك الاسماك والحبوب والخضار، أما استهلاك الجبن والحليب والزبدة والدجاج والبيض فسيبقى عند المستوى الحالى ولكن من المتوقع حدوث بعض التغير في طبيعة الطعام نفسه، مثلا، مع الارتفاع الدائم لكلفة انتاج اللحوم فسوف يتحول اللحم الصافي الى خليط من اللحم والبروتين النباتي (وتقوم كثير من مطاعم الجامعات في امريكا بتقديم الهمبرجر المصنع من اللحم وبروتين فول الصويا) أما الجبن التقليدى فسوف يكون متوفرا ولكن اكثر من نصف الجبن سيكون مصنعا من بروتين ودهن النبات (وهذا ايضا متوفر الان في الاسواق الامريكية) وحتى الاسماك سوف تكون مصنعة على شكل قطع بأشكال وقوالب معينة، وتكون خليطا من السمك والبروتين النباتي. أما الدواجن فلن تشهد تغيرا طفيفا ولكن انتاج الدجاجة الواحدة من البيض سيزداد. وتركز أبحاث الوراثة الحيوانية على إنتاج دجاجة بحجم أكبر وربما الى حجم يوازى حجم الديك الرومي. أما إنتاج الخضار فسوف يزداد من خلال البيوت المحمية (البلاستيكية) والزراعة المائية. أما انتاج الحبوب فسوف يشهد زيادة كبيرة من خلال السلالات المحسنة وراثيا

المحاصيل الجديدة

يوجد في العالم اكثر من ٨٠,٠٠٠ نوع من النبات الصالح للأكل ! ولكن استهلاك البشر خلال التاريخ انحصر في حوالى ٣٠٠٠ نوع فقط، وينحصر ٩٥/ من السعرات الحرارية (الكولورى) النباتية في ٣٠ نوعا من النبات فقط. ويعتبر بعض علماء النبات أن الاعتماد على نوعيات قليلة أمر خطير بعكس الاعتماد على عدد اكبر من النوعيات الذي يعتبر حاجز أمان ضد امراض النبات والكوارث الطبيعية، كما يمكن استعمال مساحات أكبر من الارض لانتاج محاصيل أكثر، ومصادر جديدة من البروتين

ومن المحاصيل الجديدة التي يتوقع أن تشهد انتشارا ملحوظا في المستقبل الفاصوليا المجنحة، وهى نبات لذيذ يحتوى على ٣٧ / من البروتين ويعتبر مصدرا رئيسيا للبروتين في غويانا الجديدة وبعض بلاد جنوب شرق آسيا

في عام ١٩٧٥ قامت اكاديمية العلوم الأمريكية باعداد تقرير عن ذلك النبات واعتبرته نباتا جديدا ذا كمية عالية من البروتين ، ومناسبا للمناطق الاستوائية . ويوجد هذا النبات الان في اكثر من ٧٠ بلدا ، ويعتقد الكثيرون أنه يمر بمرحلة مشابهة لمرحلة فول الصويا في الثلاثينيات ، عندما غزا عالم الزراعة وأصبح بسرعة فائقة المحصول الأكثر أهمية لهذا القرن ، وفي دراسة لمؤسسة العلوم القومية الامريكية تم انتقاء ٥٤ محصولا جديدا ، منها ٢٠ نباتا ذات أهمية كبرى ومن بين النباتات التي تضمنتها هذه القائمة بازلاء بيجون ويقطين بافالو ، وفاصولياء تياري ، والسميلو ، وحب الامارانت ، بالاضافة الى بعض الحوريات . وينمو يقطين بافالو بريا في الجنوب الغربي من الولايات المتحدة في الأراضي الجافة ، وتحتوي بذوره على ٣٥٪ من البروتين وتزرع على نطاق واسع في المكسيك . أما نبات الامارانت فكان نباتا أساسيا للهنود الحمر في المكسيك وامريكا الوسطى ، ولكن المحتلين الاسبان منعوا زراعته لانه كان يلعب دورا في الحياة الدينية .

ويحتوي هذا النبات على كمية من البروتين تفوق الكمية الموجودة في محاصيل الحبوب ، ويعتبر غنيا بالحمض الاميني (لايسن) ويمتاز بقدرته على تحمل الظروف البيئية الصعبة ، أما فاصولياء (المارامـا) فتحتوي على طاقة غذائية توازي طاقة الفستق وتمتاز بطعم كاللوز وتحتوي على مقدار من البروتين يوازي الكمية الموجودة في فول الصويا ، وتؤكل جذورها كنوع لذيذ من الخضار في بعض بلاد افريقيا ، ويعتقد بعض علماء النبات أنها سوف تحتل مكانا حساسا بين المحاصيل المستقبلية . وهناك ايضا نبات (الكوكويام) الذي يشابه الطماطا والذي يتوقع أن يزدهر في المناطق الاستوائية من العالم . أما الفطر (المشروم) فيعتبره العالم الصيني شانج أحد المصادر الغذائية المجهولة ، ومن خصائصه أنه غني بالبروتين والمعادن والفيتامينات بالاضافة الى الحمض الاميني (لايسين) ومن المعلوم أن بالامكان انتاج الفطر على نوعيات مختلفة من المخلفات الزراعية والصناعية .

المصادر الحيوانية

بالاضافة الى المصادر النباتية الجديدة للغذاء فان هناك عددا آخر من المصادر الحيوانية المهمة أيضا ، وتمثل الارانب احدى المصادر المقترحة ، ومن خصائص الارانب انها تتكاثر بسرعة بالاضافة الى المساحة الصغيرة نسبيا المحتاجة لتربيتها بالمقارنة مع مصادر البروتين الحيواني الاخرى . وفي الحقيقة فان الارانب تحتوي على اكبر نسبة من البروتين بين الحيوانات المنتجة للحوم ، ونسبة أقل من الدهون اذ تحتوي على ٢٠٪ من البروتين الصالح للاكل بالمقارنة مع ١٢٪ بالنسبة للبقر .

أما المياه المتجمدة المحيطة بالقطب الجنوبي

* الخور الأسود

فتعتبر مصدرا مهما لاحتوائها على البلانكتون المعروف (بالكريل) المتوفر بكثرة في تلك المناطق ، وتشير التقديرات العلمية الى ان الكميات المتوفرة من الكريل في مياه القطب الجنوبي تتراوح بين ١٨٠ الى ١٣٥٠ مليون طن ، وان الانتاج السنوي يتراوح بين ١٠٠ الى ١٦٥ مليون طن ويشير علماء البيولوجيا الى ان الكريل يحتوي على الاحماض الامينية الأساسية والفيتامينات والمعادن ، وتقوم الان بعض التجارب لتصنيع عدة انواع من الكريل ، منها اللحم الصافي والعجينة المتميزة بالاضافة الى البروتين المركز ، غير ان الامكانيات الاقتصادية والتقنية لاتزال محدودة ولكن من المتوقع تطوير تلك الامكانيات لاستغلال الكريل بشكل تجاري بحلول عام ٢٠٠٠

* البقرة التي في الأعلى هي أم كل العجول التي في الأسفل ، وقد تم استخدام ادوية الإخصاب ، ثم تم نقل البويضات الى أبقار أخرى لتحضنها

أما الاسماك فانها تمتاز بقدرتها على تحويل الغذاء الى أنسجة جسمية بفعالية أكبر من حيوانات المزرعة ونتيجة لذلك نجد أن نسبة اللحم الصافي للاكل في السمك اعلى منها في البقر والغنم أو الدجاج مع تكلفة أقل لانتاج البروتين ويتوقع العلماء أن تقوم زراعة الاسماك بتقديم كميات اضافية من السمك اللازم للغذاء في المستقبل وقد بدأت هذه الطريقة منذ الاف السنين في فصل الصيف ولكنها لم تتطور بشكل ملموس الا في الثلاثين سنة الماضية وتقوم زراعة الاسماك بتوفير ثلث السمك المستهلك في الصين وبالاضافة الى الصين فان اليابان وتايوان والمكسيك من الدول الرائدة في هذا المجال أما في امريكا فان زراعة الاسماك متركزة في الجنوب وخاصة على ضفاف نهر المسيسبي ويعتبر سمك القط (السلور) (والترويت) أهم الاسماك المنتجة في مياه البحيرات الصناعية في الوقت الحالي ، ويتوقع البعض ازديادا ملموسا في زراعة الاسماك في امريكا نظرا لتناقص الكميات المتواجدة في مياه المحيطات

الأطعمة المصنعة

يشكل الذوق الانساني العقبة الأساسية أمام خبراء تقنية الغذاء في تعاملهم مع الأطعمة المصنعة

إذ أن طعم الخضار واللحوم الطبيعية لايزال اكثر تقبلا في كافة المجتمعات ويقوم معهد ناتيك للجيش الامريكي المسئول عن تطوير مواد غذائية جديدة للجيش بدور فعال من أجل انتاج مواد غذائية مصنعة على نطاق واسع ومن بين المواد المصنعة اللحم المنتج من اللحوم المتبقية على العظام حيث يتم خلطها تحت ضغط عالي ثم اعادة تشكيلها بحيث تبدو وكأنها شرائح من اللحم الطازج وهناك عملية مشابهة تجرى على بقايا مصانع تعليب الاسماك والدواجن أما فول الصويا والذي يستخدم الان كعلف للحيوانات في اغلب الاحيان فيشكل املا كبيرا في طعام المستقبل ، حيث تتم اضافته الى لحم البقر والسمك والدجاج وأغذية أخرى وبإمكان

* الفاصولياء المجنحة Winged bean

* الارانب تشكل املا كبيراً في طعام المستقبل

مصانع الغذاء اليوم انتاج فول الصويا بأشكال مختلفة حيث يمكن اضافته الى الحلويات وطعام الاطفال الرضع ، كما يمكن اضافته الى « الهمبورجر » والسمك ويعتبر الكثير من العلماء أن الامكانيات المتوفرة لفول الصويا غير محدودة وتجد اليوم في الاسواق الامريكية العديد من المنتجات التي تمتاز بطعم مشابه تماما للحم مع أنها مصنعة بشكل تام من فول الصويا

أما الحليب فلن يحتاج الى الثلاجة في المستقبل ويوجد الان الحليب المسخن الى حرارة عالية اذ يسخن الحليب الى حرارة عالية جدا حيث تمنع تلك الحرارة نمو أية بكتريا وهذا النوع من الحليب متوفر اليوم بنكهات مختلفة كالفريز والاناناس والموز

أما بالنسبه لحيوانات المزرعة فمن المتوقع أن تزداد عمليات نقل الأجنة في الابقار بالاضافة لزيادة عدد المواليد لكل حمل

« البيولوجيا » الدقيقة

يقوم علماء « البيولوجيا » الدقيقة بأبحاث سيكون لها اثر كبير في عالم الغذاء في المستقبل ، ومن المعلوم أن هنالك بكتريا قادرة على تحويل الآزوت الجوى الى مركبات ازوتية يمكن استخدامها من قبل النباتات كما هو الحال في جذور البقوليات من خلال العقد الآزوتية ويركز أحد الانواع من الابحاث على زيادة فعالية تلك البكتريا لتركيز الآزوت الجوى ، ويؤدى ذلك بدوره الى زيادة انتاج المحاصيل من النبات ، وبالامكان القيام بذلك من خلال تعريض تجمعات تلك البكتريا الى مواد مسببة للطفرات أو تعريضها لأشعة الأيونات وفي حال نجاح تلك الابحاث فان النتائج سوف تكون ذات تأثير كبير اذ ان انتاج فول الصويا سيزداد بنسبة ١٥ / وهنالك مجال بحث آخر وهو ماهية العلاقة المشتركة بين البقوليات وتلك البكتريا ، وفي حال توصل العلماء الى فهم طبيعة تلك العلاقة فسيؤدى ذلك الى ادخال تلك الخاصية الى محاصيل الحبوب ، الامر الذي

احد البحاثة في تجاربه على نبات الامارانس

سيجعل إمكانيات إنتاج الحبوب بلا حدود. كما يقوم علماء « البيولوجيا » الدقيقة بمحاولات أخرى لايجاد مصادر جديدة للغذاء. وأحد المصادر المقترحة هي الميكروبات. إذ أن الميكروبات الوحيدة الخلية (الخميرة - والفطريات والبكتريا والاشنيات) عوامل اساسية في كثير من عمليات تصنيع الغذاء. وعلى سبيل المثال استخدام البكتريا في تخمير اللبن، والخميرة المستخدمة في تخمير الخبز.

وتستهلك تلك المواد من خلال الاطعمة (اذ اننا نأكل الخميرة مع الخبز، والعفن المستخدم لانتاج الجبنة مع الجبنة). أما استهلاك تلك الميكروبات الخلوية كطعام بحد ذاته فيبقى محدودا ما عدا الفطر وبعض انواع الاشنيات المستهلكة في اماكن معزولة في افريقيا والمكسيك. ومن خصائص الميكروبات قدرتها على مضاعفة وزنها الخلوي خلال عشرين دقيقة الى ساعتين. وتحتوي البكتريا على ٨٠٪ من البروتين بالمقارنة مع ٤٠ - ٤٥٪ من البروتين بالنسبة لفول الصويا. ويتوقع بعض العلماء استخدام تلك الخلايا كمصدر رئيسي للبروتين في المستقبل. وقد قام أحد معاهد الابحاث في بريطانيا بتطوير عملية لتنمية فطر العفن من أجل استعمال البروتين الناتج في المنتجات البديلة للحم، ولكن المشكلة الرئيسية التي واجهتهم هي الطعم واللون والتي يجب أن تحل قبل أن تصبح الميكروبات مصدرا جديدا للغذاء. احدى الطرق الممكن استخدامها هي فقس الخلايا للحصول على محتوياتها، ثم عزل وتركيز البروتين وتصنيعه في شكل ليف ثم تصنيع ذلك الليف كبديل للحم كما هو الحال في فول الصويا. ولكن التكلفة والمصاعب الموجودة الآن لاتسمح بتطوير تلك المصادر مباشرة، ولكنها تشكل بديلا في المستقبل على أية حال.

الزراعة المائية

الزراعة المائية عبارة عن تنمية الخضار في بيئة مناسبة (بيوت بلاستيكية مثلا) في محلول سماد سائل بدلا من زراعتها في التربة. وهذا يتطلب بيئة محمية وتحكما دقيقا بالحرارة والاضاءة والرطوبة ونسبة ثاني اكسيد الكربون في الجو. وهذا النوع من الزراعة يستخدم بشكل عام لانتاج الخضار بسرعة وعلى مدار السنة، بالاضافة الى انتاجها في اماكن قريبة للمدن بدلا من شحنها لمسافات بعيدة. وهذه الطريقة لاتزال قيد الدراسة لاستخدامها في الفضاء في حال تمكن البشر من اقامة مستعمرات فضائية لذا نجد من خلال هذا العرض السريع أن البدائل التي تبدو غريبة بالنسبة لنا ربما تكون شيئا عاديا بالنسبة لاحفادنا. اذ أن حاجة الانسان الى الغذاء في المستقبل ستكون في ازدياد دائم نظرا لزيادة عدد السكان. ولكن السؤال الرئيسي الذي يبقى محيرا لاذهان الكثيرين هو العدل في توزيع ذلك الغذاء، وهل سيكون بامكان كل فرد على سطح الارض الحصول على نصيبه الكافي من الغذاء؟ لاشك بأن الجواب الشافي لهذا السؤال سيكون بعيد الأجل □

المناقشة

بقلم : فهمي هويدي

لأنه أرادنا مختلفين !

« اختلاف الناس في الدين واقع بمشيئة الله تعالى . والمسلم يوقن أن مشيئة الله لا راد لها ولا معقب ، كما أنه لا يشاء الا ما فيه الخير والحكمة » هذه العبارة التي أوردها الدكتور يوسف القرضاوي في كتابه عن غير المسلمين ، تشكل احد مفاتيح فهم موقف الاسلام من الاخر ، غير المسلم ، أو الذي يعيش خارج ديار الاسلام ، وهي القضية التي أثرناها في عدد « العربي » لشهر أغسطس (آب) الماضي بعنوان « إشكالية الاخر في التفكير الإسلامي »

وقلنا إن « الآخر » صار مشكلة في الوعي الإسلامي المعاصر ، سواء كان يعيش خارج ديار الإسلام ، أو كان في دار الإسلام ، لكنه ينتمي إلى دين مغاير ، أو كان مسلما في دياره ، لكنه ينحاز إلى رأي مخالف

قلنا أيضا إن إشكالية الآخر ترجع إلى سببين جوهريين ، أحدهما وقائع التاريخ الذي كان الآخر فيها معاديا للمسلمين ، ومتربصا بهم وثانيهما تأويل النصوص الشرعية ، وتحميلها ما لا ينبغي أن تحمل به ، تأثرا بتركة التاريخ ، وبانفعالات أو ردود أفعال مراحل السلب المتعاقبة

وستظل احدى صعوبات البحث في هذا الموضوع الدقيق ممثلة في الجهد الذي ينبغي ان يبذل ، لتخليص التعاليم من تراث التاريخ ، بحيث يرد المبدأ الاسلامي إلى نصوص الاسلام ، وشريعة الله ، لا إلى ممارسات المسلمين ، وتجاربهم مع أنفسهم ، او غيرهم ، في أي مرحلة من مراحل التاريخ

وتتمثل الصعوبة الأخرى في جهد مواز ، ينبغي أن يؤدى لمحاولة وضع النصوص في إطارها الصحيح ، بحيث يكون تفسيرها أو تأويلها محكوما بمقاصد الشارع . لا بانفعالات المجتهدين ، أو اهواء المتعصبين

يتصل بموضوعنا قول منسوب إلى النبي عليه الصلاة والسلام ، يشير إلى أن « اختلاف أمتي رحمة » وهو حديث ضعيف ، بطلانه راجح ، رغم شيوعه على ألسنة كثيرين ، ومما قاله ابن حزم عن هذا الحديث أنه « لو كان الاختلاف رحمة لكان الاتفاق سخطا ، وهذا ما لا يقوله مسلم »

ورغم أننا لا ندعو إلى الاختلاف ، ولا نتمناه ، إلا أن أحدا لا يستطيع أن ينكر أن الاختلاف من طبائع الناس ، وأنه واقع بمشيئة الله تعالى . كما قال الدكتور القرضاوى بحق ، ونصوص القرآن تؤيد

هذه الحقيقة بجلاء شديد ، من هذه النصوص على سبيل المثال قوله تعالى « ولوْ شاء رَبُّك لجعَل النّاس أمّةً واحدةً ولا يزالُون مُخْتلِفِيْن إلاَّ منْ رحم ربُّك ، ولذلك خلقهُم وتمَّتْ كلمةُ ربك لأمْلأنّ جهنّم من الجنّة والناس أجْمعين » (هود ١١٨ - ١١٩)

« ولوْ شاء ربُّك لآمن منْ في الأرْض كُلُّهُمْ جميعا ، أفأنْت تُكْرهُ الناس حتّى يكونوا مؤمنين » (يونس ٩٩)

« ولوْ شاء الله لجعلكُم أمّة واحدة ، ولكنْ يُضِلُّ منْ يَشاءُ ويهدي منْ يَشاءُ ، ولتُسْألُنّ عمّا كُنْتُم تعْملُون » (النحل ٩٣)

تلتقي هذه الآيات الثلاث على المعنى الذي نحاول لفت الأنظار إليه هنا ، وخلاصته أن الله سبحانه وتعالى أرادنا أن نكون مختلفين ، لحكمة قصدها العليم الخبير ، وهو ما لا ينبغي أن يكون موضع استغرابنا ، أو إنكارنا ، فضلاً عن استفزازنا ، وإنما من مقتضى سلامة الإيمان والرضا بما قسم الله سبحانه وتعالى وقدر ، أن نقبل هذا الوضع ، ونتعامل معه على أنه حقيقة واقعة ، ونستخلص منه كل خير ممكن

ولأن الإسلام دين هداية يخاطب العقول والقلوب أولا وقبل كل شيء ، ويحترم البشر لأنهم بشر من صنع الله وخلقه ، بصرف النظر عن أعراقهم وأوطانهم وأديانهم ، لهذين السببين كان نهج الإسلام واضحا في خطاب الجميع ، وهو نهج يقوم في الأساس على أمرين ، هما الاحترام ، والاقناع

فالمسلمون ليسوا أوصياء على الآخرين ، لكنهم دعاة وهداة ، ونبيهم العظيم ليس إلا مبلغا ومبشرا « فذكِّرْ إنّما أنت مُذكِّرْ لسْت عليهم بمُسيْطر » - الغاشية (٢١ و٢٢) -(وما أرسلناك إلاّ كافّةً للناس بشيراً ونذيراً) - سبأ ٢٨ - (ادْعُ إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلْهُم بالتي هي أحْسنُ) - النحل ١٢٥ -

على هذا النسق يمضي البيان الإلهي في مواضع عديدة ، يرسم طريق التبشير ، وخطاب الناس ، وفي نفس الوقت ينبه الله سبحانه وتعالى نبيه والمسلمين إلى أن الإسلام يفتح ذراعيه لمن استجاب له ، ويحتمل التعايش مع من لم يستجب ، وهو ما تدل عليه ايات عديدة

« فإنْ تولّوْا فقُلْ حسْبي الله لا إله إلاّ هُو عليه توكّلْتُ وهُو ربُّ العرْش العظيم » (التوبة - ١٢٩)

« ادْفعْ بالتي هي أحْسنُ ، فإذا الذي بيْنك وبيْنهُ عداوةٌ كأنّهُ وليٌّ حميْمٌ » (فصلت - ٣٤)

« وأُمرْتُ لأعْدل بيْنكُم الله ربُّنا وربُّكُم لنا أعْمالُنا ولكُم أعْمالُكُم لا حُجّة بيننا وبيْنكُم الله يجْمعُ بيْننا وإليه المصيْرُ » (الشورى - ١٥)

« ولا يجْرمنّكُم شنآنُ قوم على ألاّ تعْدلُوا ، اعدلوا هُو أقْربُ للتقوى » (المائدة - ٨)

والآيات جلية في تبيان حقيقة موقف الإسلام من الآخرين ، المبني على قدر هائل من الاحترام والقبول ، أما ركيزة الإقناع التي يعتمدها الخطاب القرآني فشواهدها بغير حصر ، وتتمثل في ذلك الكم الكبير من الآيات الذي ما انفك يعرض آراء المخالفين وملاحظاتهم ، ثم يفندها ويرد عليها بالحجة والبرهان

لقد كفل الإسلام للآخرين حقهم في عدم الاقتناع به ، بعد ما قرر لهم حرية الاختيار ، وأعلن البيان الإلهي أنه « فمنْ شاء فلْيُؤْمن ، ومنْ شاء فلْيكْفُر » (الكهف - ٢٩) وأن الله سبحانه وتعالى هو الحكم بين الجميع يوم القيامة ، أما في الدنيا فإنه « لكُم دينُكُم ولي ديْن » (الكافرون - ٦)

ومما يدهش الباحث في هذا الصدد أن الآية الكريمة « لا إكْراه في الدّيْن قدْ تبيّن الرُّشْدُ من الغيّ » (البقرة - ٢٥٦) نزلت في قوم أرادوا تحويل أبنائهم قسرا من اليهودية إلى الإسلام ، إذ روى الطبري في تفسير هذه الآية أنه كان من عادة نساء قبيلة « الأوس » اللاتي كن ينجبن أولاداً قصار العمر في

الجاهلية ، أن تنذر الواحدة منهن إذا جاءها ولد أن تهوده حتى يطول عمره ، وكن يرسلن أبناءهن إلى قبيلة بني النضير اليهودية لهذا الغرض ، وعندما جاء الإسلام ، وجرى ما جرى من مؤامرات يهود بني النضير ، وأمر الرسول بإجلائهم ، كان بعض أبناء الأوس قد تهودوا ، فأراد آباؤهم أن يجبروهم على الإسلام ، والانضمام إلى معسكر الرسول ، فنزلت هذه الآية داعية إلى رفض الإكراه في الدين ، وبقي هؤلاء على اليهودية

ونقل الطبري رواية أخرى عن ابن عباس تقول ان رجلا من بني سالم بن عوف يقال له الحصين ، كان له ولدان مسيحيان وهو مسلم ، فسأل الرسول أن يرغم ولديه على اعتناق الإسلام ، بعدما أصرا على التمسك بدينهما ، فنهاه الرسول عن ذلك ، ونزل قوله تعالى « لا إكْراه في الدّيْن قدْ تبيّن الرُّشْدُ من الغيّ »

يتصل بذلك موقف الإسلام من معتنقي اليهودية والمسيحية الذي يقوم على الاعتراف بهاتين الديانتين ، واعتبار المنتمين إليها « أهل كتاب » ، حقوقهم معلقة في أعناق المسلمين ، باعتبارهم في ذمة الله ورسوله

ومن قبيل التنطع المذكور أن يقول قائل بأن أهل الكتاب في زماننا ليسوا هم المعنيين بالآيات القرآنية المختلفة ، باعتبار أن التوراة والإنجيل قد تعرضا للتحريف بصورة أو بأخرى ، وهي مقولة يرددها بعضهم ليبرروا بها دعوتهم إلى الانتقاص من حقوق الآخرين ، وذلك قول مردود بأن التحريف المفترض قد حدث قبل البعثة المحمدية ، وقبل نزول القرآن ، بدليل أن الخطاب الإلهي قد انتقد بعض تلك التحريفات الأساسية في مواضع عدة ، وحاور اليهود والنصارى في كثير من دعاواهم ، فأنكر الادعاء بأن المسيح ابن الله وأن عزيرا ابن الله ، وأدان فكرة التثليث ، وندد بموقف اليهود ومسالكهم ، ومع ذلك كله ظل يخاطبهم بحسبانهم أهل الكتاب ، لهم حقوق قضى بها الله سبحانه وتعالى ، ودعا المسلمين الى البر بهم ، ما لم يعتدوا أو لم يظلموا

وبهذا المنهج فإن الخطاب القرآني فرق بين حقوق هؤلاء في الدنيا ينبغي أن تكفل ولا تنتقص ، وحساب في الآخرة يتولاه الله سبحانه وتعالى ، ولا شأن للمسلمين به ، في هذا المعنى يذكر الدكتور يوسف القرضاوي أن المسلم « ليس مكلفا أن يحاسب الكافرين على كفرهم ، أو يعاقب الضالين على ضلالهم ، فهذا ليس له ، وليس موعده هذه الدنيا ، إنما حسابهم إلى الله في يوم الحساب ، وجزاؤهم متروك إليه في يوم الدين قال تعالى في سورة الحج « وإنْ جادلُوك فقُل الله أعْلمُ بما تعْملُون الله يحْكُمْ بيْنكم يوْم القيامة فيما كُنْتم فيْه تخْتلفُون » (الآيتان ٦٨ و٦٩) - (غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ص ٢٩)

في نفس المعنى كتب الدكتور محمد سليم العوا يقول « إن مبدأ المساواة الذي تقرره الشريعة الإسلامية (للناس كافة) ليس خاضعا لأي استثناء ، ذلك أن أساس هذا المبدأ أو علته هي وحدة الأصل الإنساني « إنّا خلقْناكُم منْ ذكرٍ وأُنْثى » ، وكلكم لآدمْ وآدمُ منْ تُراب) ، أما « التقوى » التي تشير النصوص إلى تفاضل الناس بها فلا تأثير لها على تطبيق مبدأ المساواة في حياة الناس ، ذلك أن محل التفاضل بالتقوى في الآخرة لا في الدنيا ، أمام الله لا بين الناس » (في النظام السياسي للدولة الإسلامية - ص٢٤٣)

هذه النصوص والآراء تتفق على نقطة جوهرية ، وهي أن « الآخر » له شرعيته في التصور الإسلامي ، وله احترامه ، وله حقوقه أيضا

وشرعية الآخر ليست مبنية على اعتقاده ، حقا كان أم باطلا ، ولكن تلك الشرعية مبنية على تلك الحقيقة الكلية التي قررها الإسلام من البداية ، وهي أن البشر - لمجرد أنهم بشر - لهم حقوقهم في الحصانة والكرامة والحماية

والنصوص القرانية التي تشير إلى ان الله سبحانه وتعالى قد كرم بني ادم - هكذا على الإطلاق - قوله تعالى « ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم في البر والبحر » (الاسراء - ٧٠) ، وقوله تعالى « لقد خلقنا الإنسان في احسن تقويم » (التين - ٤) ، وقوله تعالى « ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا » (الأعراف - ١١) وابلغهم انه سبحانه قد استخلف الانسان عنه في الارض بقوله تعالى « وإذ قال ربك إني جاعل في الأرض خليفة » (البقرة - ٣٠) وهذه النصوص هي الأساس الذي بنى عليه الفقهاء مختلف اجتهاداتهم التي كان اعلاء كرامة الانسان محورها ومدارها ، وقد لا نبالغ اذا قلنا ان الحفاظ على كرامة الانسان - أيا كان - هو من المقاصد الكلية للشريعة الاسلامية ، بحيث يعد المساس بهذه الكرامة انتهاكا لهذه المقاصد ، وعدوانا على حق من حقوق الله

وقد كان استاذنا الشيخ محمد عبدالله دراز موفقا غاية التوفيق حينما عبر عن هذا المعنى بقوله « كل إنسان له في الاسلام قدسية الانسان ، انه في حمى محمي ، وحرم محرم ، ولا يزال كذلك حتى يهتك هو حرمة نفسه ، وينزع بيده هذا الستر المضروب عليه ، بارتكاب جريمة ، ترفع عنه جانبا من تلك الحصانة . بهذه الكرامة يحمي الاسلام أعداءه ، كما يحمي أبناءه وأولياءه . وهذه الكرامة التي كرم الله بها الانسانية في كل فرد من افرادها ، هي الأساس الذي تقوم عليه العلاقات بين بني ادم » - (نظرات في الاسلام - ص ١٦٤)

بهذا الاحترام البالغ للانسان الاخر تعامل رسول الله ، وظل يلقي من حوله دروسا بليغة في هذا الصدد ، فقد قام النبي من محله تحية واحتراما لجثمان ميت مر أمامه وسط جنازة سائرة ، فقام من كان قاعدا معه ، ثم قيل له فيما يشبه التنبيه ولفت النظر انها جنازة يهودي ، فكان رده تعبيرا أمينا عن رؤية الاسلام ومنطقه ، إذ قال عليه السلام أليست نفسا ؟ بمعنى ، أليس هذا الميت إنسانا من خلق الله وصنعه ، له كرامته وله احترامه ؟

وعندما وجد النبي عليه السلام نسخا من التوراة بين الغنائم ، في أعقاب فتح خيبر ، امر بردها إلى اليهود ، وهم اعداؤه المتامرون عليه ، وقدر في ذلك انه من حق اليهود أن يعلموا أولادهم دينهم ، وان يرد إليهم كتبهم ، بصرف النظر عن رايه في اعتقادهم ، او عن عداوتهم له وجرائمهم في حقه

وقد وجه الله سبحانه وتعالى عتابا إلى نبيه ، لان عاطفته اتجهت نحو احد المسلمين من الانصار ، وكاد يحكم لصالحه ضد خصم له يهودي ، كان مظلوما ، فيما يذكر ابن كثير في تفسيره ، ولكن النبي اهتدى إلى الحق في اللحظة المناسبة ، وبرأ اليهودي ، ونزلت الايات (١٠٥ - ١١٣) من سورة النساء ، التي ذكر فيها الله سبحانه وتعالى بأنه قد انزل على نبيه الكتاب بالحق ليحكم بين الناس بما أراه الله ، وان لا يكون للخائنين خصيما ، وأن يستغفر الله الغفور الرحيم ، وان لا يجادل عن الذين يختانون أنفسهم ، فالله لا يحب من كان خوانا أثيما ، وأن بعض الناس يخفون بعض امورهم عن الناس والله يعلم أقوالهم واعمالهم ، وان المقترف إذا وجد في الدنيا من يجادل عنه فانه لن يجد في يوم الحساب ذلك ، ثم يبين الله لنبيه بانه لولا فضله تعالى عليه لهمت طائفة منهم أن يضلوا النبي وما هم بقادرين بفضل الله وقصة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، مع واليه على مصر عمرو ابن العاص الذي ضرب ابنه صبيا قبطيا ، فأصر عمر على أن يقتص الصبي القبطي من ابن عمرو بن العاص قائلا له اضرب ابن الأكرمين ثم وجه تعنيفه إلى واليه على مصر قائلا متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟ ؟

ومن هذا الادراك لكرامة الإنسان كانت وصية الإمام علي بن أبي طالب إلى مالك الأشتر - واليه على مصر - التي قال فيها « وأشعر قلبك الرحمة

للرعية ، والمحبة لهم ، واللطف بهم   فإنهم صنفان   إما أخ لك في الدين ، أو نظير لك في الخلق

ومن نفس المنطلق أفتى الإمام أبو حنيفة بعدم جواز الحجر على السفيه ، لأن في هذا الحجر إهدارا لآدميته ، وذهب إلى أن الضرر الذي يصيب إنسانية السفيه من جراء الحجر أكبر من الضرر الذي يترتب على سوء تصرفه في أمواله ، فإنه لا يجوز دفع ضرر بأعظم منه ، ولا يجوز بالتالي أن يحجر عليه ، لأن المساس بالمال محتمل وإن أضر ، بينما المساس بقيمة الانسان وكرامته غير مقبول وغير محتمل ، وإن أفاد

وفي هذا السياق تلفت أنظارنا فتوى هامة ، وعميقة الدلالة ، ذكرها ابن عابدين في حاشيته ، خلاصتها أنه تنازع اثنان طفلا ، وكان أحدهما مسلما والآخر ذميا ، وأدعى المسلم أن الطفل ملك له (عبد أو رقيق) ، بينما ادعى الذمي أنه ابن له ، فإنه يحكم لصالح الذمي ، لأن تنشئة الطفل على الحرية وإن كان على غير دين الاسلام أفضل من تنشئته على العبودية وإن كان على الاسلام   إذ أن حرية المرء وكرامته ترتبطان بإنسانيته ، فتسبقان دينه وتتقدمان عليه

لقد أمضى الرسول عليه الصلاة والسلام حوالي عشر سنوات في اتصال دائم بالآخرين من حوله ، يبعث إليهم بالرسائل والوفود ، رغم كل مشاعر العداء ، وممارسات الظلم التي قوبل بها ، وأيد قريش في موقفها في حلف الفضول ، حينما اجتمع نفر منها لنصرة أحد الضعفاء ، وعندما وقع مع مشركي قريش صلح الحديبية ، وسأله بعض صحابته عما وراء قراره الذي بدا فيه قدر من الاجحاف بالمسلمين ، كان رده عليه الصلاة والسلام   « والله لا تدعوني قريش إلى خطة يسألونني فيها صلة الرحم (تعظيم القربات في قول آخر) إلا أعطيتهم اياها »

وعندما هاجر من مكة إلى المدينة أصدر « الصحيفة » التي كانت بمثابة دستور لأول دولة في تاريخ الاسلام ، وفيها قرر للآخر ـ اليهود ـ أن لهم النصر والأسوة ، والأسوة في « لسان العرب » هي المساواة ، ولهذا قال عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري   آس بين الناس في وجهك ومجلسك وعدلك ، (أي أن تسوي بينهم) ، واجعل كل واحد منهم أسوة خصمه

يقرر القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى خلق الناس شعوبا وقبائل ليتعارفوا ، وتتكرر الدعوة في البيان الالهي إلى التعاون على البر والخير مع جميع خلق الله الراغبين في ذلك ، لكن القرآن يذكر منطق الاستعلاء والتوسع والغزو في علاقات الدول ، والدولة الاسلامية في مقدمتها   ونستدل على ذلك من الآيتين الكريمتين قوله تعالى   « تِلْكَ الدّارُ الآخرةُ نجْعلُها للذين لا يُرِيْدُون عُلُوّا في الأرض ولا فسادا » (القصص ـ ٨٣)

وقوله تعالى   « ولا تكُونوا كالّتي نقضت غزْلها مِنْ بعد قُوّة أنكاثا تتخذُوْن أيمانكُم دخلا بيْنكُم أنْ تكون أمّةٌ هي أرْبى مِنْ أمّة » (النحل ـ ٩٢)

ويذهب الخطاب القرآني إلى أبعد من ذلك في الآية الكريمة   « وإنْ أحدٌ مِنْ المشركين اسْتجارك فأجِرْهُ حتّى يَسْمع كلام الله ثُمّ أبْلغْهُ مأْمنهُ » (التوبة ـ ٦) وهي لا تدعو فقط الى التزام المسلم بأن يهب إلى نجدة المشرك وحمايته إذا استجار به في شدة أو ضيق ، وإنما تطالبه بأن يقف إلى جواره حتى يخرج من أزمته ، فيسمعه كلام الله ثم يعينه على أن يصل إلى بر الأمان ، معززا مكرما

هكذا يتعامل المنطق الإسلامي مع « الآخر » غير المسلم ، في غير جفاء ، أو حساسية ، أو عداوة بقي أن نواصل الحوار حول إشكالية الآخر من زاوية تأويل النصوص ، ودعاوى النسخ التي يروج لها بعضهم في زماننا ، ولذلك حديث آخر بإذن الله ☐

لحظات من الزمن العربي

بعد أن يموت
[illegible]..!

بقلم : الدكتور محمد المنسي قنديل

> « كان ـ رحمه الله ـ من محاسن الدنيا وغرائبها
> أنجب أربعة عشر ولدا ، ومات ولم يخلف في خزائنه من الفضة والذهب
> إلا سبعة وأربعين درهما ناصرية ، ودينارا واحدا ذهبيا صوريا ، ولم يخلف ملكا
> ولا عقارا ولا بستانا ، ولا قرية ، ولا مزرعة »

كان أول شيء فعله السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي عندما استيقظ من نومه في ذلك الصباح ، هو ان استدعى تابعه « قراقوش » وهتف به

ـ ابن لي قلعة في الجبل قلعة من الصخر يقف الموت عاجزا على ابوابها

كانت هذه أمنيته وهذا هاجسه منذ أن تعرض للاغتيال أكثر من ثلاث مرات بالخناجر المسمومة على أيدي الحشاشين الذين كانوا يسكنون مع النسور في أعلى قلعة « ألموت » في وسط فارس ، ومنذ أن ثار بقايا اتباع الفاطميين واجتاحوا جنوب مصر وأغرقوا القرى ولكن هذا الهاجس لم يتجسد في صورته الملحة الا بعد أن انكسر السلطان في « الرملة » ، معركته الأولى وهزيمته الأخيرة الافرنج كانوا متأهبين له وهو يعبر صحراء سيناء الموحشة بجيشه

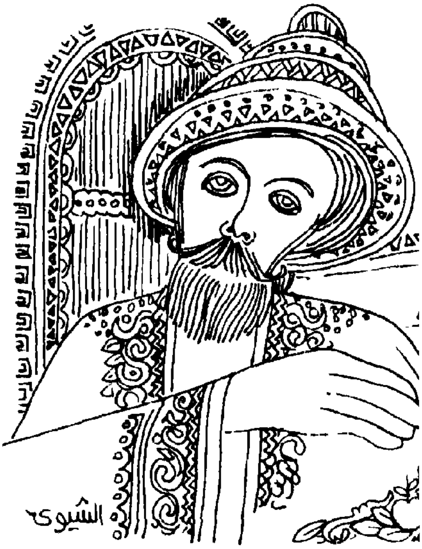

لم يتركوا له الفرصة حتى يلتقط أنفاسه ، حددوا له زمان المعركة ومكانها ، وهوت سيوفهم على جنوده المتعبين فبددتهم في غضون ساعات قليلة ، نثرتهم على وجه الصحراء كعصف مأكول ، لم يجدوا قلعة يحتمون بها ولا سورا يختبئون خلفه ، وتحولت سيناء - كالعادة - الى فخ قاتل ، فخ أحد من دمائهم سبع سنوات كاملة حتى يعاودوا عبورها والقتال من جديد   وهذه المرة كان هو الذي حدد المكان في تل بفلسطين يدعى « حطين »

قال قراقوش   يا مولاي ، أسوار القاهرة في حالة يرثى لها فأين تكون القلعة ؟

قال السلطان   اختر من الأسوار أوسطها وأكثرها مناعة ، وأطيبها هواء

وبدأ قراقوش في اختيار الموقع   علق قطعا من اللحم بطول الأسوار ، وكلف الحراس بمراقبة هذا اللحم ، متى يفسد ، ومتى يتغير لونه   وفسدت كل القطع بين يوم وليلة الا في مكان واحد لم يفسد الا بعد يومين وليلتين   وكان هذا هو الموقع الذي اختير ليكون قلعة للامان

وعلى مدى عامين تواصل العمل في القلعة ليلا ونهارا ، نقلوا الأحجار من المعابد والأهرامات القديمة ، وأخرجوا المساجين وأسرى الافرنج والعبيد والموالي ، ونفدت الأحجار فشقوا صخور المقطم   ولم يكف البناء عن الارتفاع ، ولم تكف المدينة الراقدة أمامه عن التضاؤل   امتد سور الأحجار المتجهمة امام المدينة كأنما يردعها عن اي محاولة للتفكير في مهاجمتها

من يوقف سريان الزمن ؟

ركب السلطان وأخوه الكامل وصعدا سويا فوق الدرج الحجري ، اختارا الابراج المنيعة حتى وصلا الى اعلى مكان فيها   وللمرة الأولى رأى السلطان المدينة التي يحكمها في كتلة واحدة ، نائمة تحت غلالة خفيفة من الضباب كأنها تحلم حلما غامضا ، والمآذن ترتفع مثل أذرع لا تكف عن التوسل ، وفي الغرب ينساب نهر النيل ساجيا يخفي في داخله كل غموض السنين ، كل الذين عبروا ، وحكموا

وفي الشرق ترتفع هامات النخيل وبينهما تربض الاهرامات ، كل الزمن ممتد ولانهائي ، عميق عمق السكون الغريب الذي يحيط بكل شيء   وأحس السلطان بالأسى   أدرك فجأة أن مدة حكمه وجيزة في عمر هذا الزمان السرمدي ، كان يظن أنه امتلكها حقا ، ولكن المدينة بدت في هذه اللحظة أشبه بحيوان خرافي بالغ المهابة والجلال عنّ له ان يرتاح قليلا واخفى في داخله كل نزوات المدن وأسرارها وخطاياها الصغيرة ومصادر قوتها ونقاط ضعفها

وتساءل صلاح الدين في حيرة عن أناس هذه المدينة الذين يحاربون في ضراوة ويستكينون في ذلة ويعشقون في وله ويضحكون حتى البكاء   ؟

كان قاضي الزمان « القاضي الفاضل » قد قال له ان هذه ثامن دار للحكم قد بنيت في مصر   واحدة قبل الطوفان في « إفسوس » ، وعندما جفت المياه وتشكل طين الخلق أصبحت الدار في « منف » ، ثم سارت شمالا مع جيوش الاسكندر الى الاسكندرية على شاطيء البحر ، ثم عادت مع جيوش ابن

العاص الى « الفسطاط » ، وجاء العباسيون فأقاموا « العسكر » وتجادلت العسكر فأنشأ ابن طولون « القطائع » وحمل الفاطميون أعلامهم من الغرب فكانت القاهرة دولة اثر دولة ومدينة تنزع من أنقاض مدينة ودورة الزمن لا تتوقف ولا تمهل

احس صلاح الدين انه مهما امتلك فلن يمتلك مثل هذا البلد القديم المترب المتوهج المليء بالمقابر وبشائر البعث ، هذا إن امتلكه حقا

التفت الى أخيه الكامل وهو يقول

- هذا الملك لن يدوم لأولادي

كان يعرفهم ، يعرف وجوههم الأربعة عشرة ، كانوا أضعف من أن يصمدوا قبضتهم على هذا الكائن الخرافي المستعصي عن الامتلاك وحين قال الكامل

- أدام الله عمرك يامولاي

التفت اليه ببطء وهو يقول

- ربما يكون لك ولأولادك

وصمت الكامل كانت هذه لحظة قراءة الغيب فمن يوقف سريان الزمن ؟ هبط السلطان وبدأ يجهز الجيش للسير الى الشام وخرجت القاهرة كلها تودعه كانت امامه معركة أخرى في حربه التي لا تنتهي وعندما جلس للراحة في أول الليل والتف حوله الشعراء والفقهاء سمع صوتا غريبا ، مشروخا ، أسيانا وهو يغني

تمتع من شميم عرار نجد
فما بعد العشية من عرار

ووجم السلطان ، وطلب قائل هذه الأبيات فلم يجده ، وتطاير الحاضرون ، وبدأت رحلة الحرب

كانت المدن الواقعة في الأسر تناديه ، من الكرك الى عكا ، ومن عكا الى صور وصيدا ورغم أنه امتلك أعتى حصون الافرنج ، الا انه لم يحس بالأمان كان أمانه الوحيد في تلك القلعة الغريبة على حافة المدينة الغريبة ولكن الحروب تواصلت والأيام تداخلت ، باعدت بينه وبين حلمه مسافات من الرمل والمدن الساقطة وجثث الاعداء والأصدقاء وحسابات الظفر والخسارة وعندما قرر العودة الى مصر أخيرا داهمته الحمى الصفراوية في العشية ووصف له الأطباء نوعا من نبات العرار فلم يعثر عليه وضمته الأرض وظلت قلعة الأمان بعيدة ، لم يسكنها للحظة واحدة وهو صاحب حلمها الأول

الابن الأول . يحلم بالثروة

فتح « العزيز » خزائن أبيه فلم يجد بها إلا عدة دراهم من الفضة ودينارا واحدا ذهبيا فجن جنونه

كان أول شيء فعله السلطان « العزيز » هو أنه استدعى تابع أبيه الطواشي « قراقوش » وصرخ

- أين ذهبت أموال الخزائن ؟

قال الطواشي ذهبت في جهاد الفرنج

قال السلطان واين المكوس والضرائب ؟

قال الطواشي ألغاها السلطان

قال السلطان في أسى لعن الله الفرنج فان جهادهم مكلف ، وغفر الله لأبي فقد أسرف في تدليل رعيته

وفي اليوم التالي عادت كل المكوس مضاعفة.

ولأن أيام الحرب كانت طويلة ، فقد ترك الموت بصماته فوق كل بيت وتغاضى السلطان عن فتح الخمارات وأماكن الحشيش وبيوت المزارات التي بدأت تزحف من اطراف المدينة الى أُعماق الأزقة كل ما فعل السلطان هو انه فرض عليها المزيد من الضرائب وللمرة الأولى منذ زمن بعيد حملت اواني الخمر جهارا ، وبدأت المعاصر في العمل حتى عز وجود العنب كذلك لم تتوقف طاحونة الحشيش في حارة المصامدة أما في قلعة الكبش فقد تواصل العمل في بيوت المزارات ليلا ونهارا والتزم رجال السلطان جادة الأدب فلم يتدخلوا الا لقبض المعلوم وفض المشاكل

وظلت الخزينة خاوية لا تكاد تمتلىء حتى تفرغ

ونفدت كل حيل السلطان « العزيز » حتى أنه فكر

في أن يجمع جيشا يغزو به أخاه « الأفضل » ملك دمشق . لعله يظفر منه ببعض الدنانير الذهبية ولكن الحل جاء اليه من حيث لا يتوقع

أقبل الرجل « المغربي » الى القاهرة دخل من باب الفتوح وجلس بجانب الأزهر . واشيع انه قد اجتاز كل هذه الصحراوات سيرا على قدميه . ولا احد يعرف كيف تجمع أتباعه ومريدوه بهذه السرعة وكانت اولى معجزات الولي هي اكتشاف خبيئة قديمة في أحد الجدران . جرة صغيرة مليئة ببعض الدنانير الذهبية ولكنها كانت كافية لاعتبارها معجزة حقيقية جعلت الاتباع يتزايدون والعطايا والهبات تتوالى ووصل الأمر الى اسماع السلطان الذي كان شغوفا بمتابعة كل اخبار الذهب . وأمر من حوله ان يحضروا له الولي فأحضروه وهتف به

- كيف نعرف أسرار الذهب المخبوء ؟

قال الولي أشم رائحته

قال السلطان هل تشم شيئا تركه بنو عبيد . أو بنو اخشيد . أو حتى بنو طولون

قال الولي أشم ما هو أبعد من ذلك . اكثر قيمة وأعلى قدرا وأرفع ثمنا وأكثر لمعانا وأشد اصفرارا اراه وسط الظلمة والتراب القديم يتوهج كأنه شمس مدفونة

وادرك السلطان أن السماء التي بخلت عليه طويلا قد سخت فجأة وأعطته ميراث كل الحكام السابقين وأخذ الولي المغربي من يده ونزل به من قلعة الأيوبيين . وعبر قاهرة الفاطميين . واجتاز النيل الذي رأى مواكب الجميع ولم يدم لأحد . حتى وقف به في مواجهة الاهرامات القديمة واشار الى الهرم الاكبر المغطى بالصوان وهو يهتف

- هنا ترقد الخبيئة شمس الفراعنة المتوهجة !

ولم يكن الحصول على الخبيئة بالسهولة التي يتوقعها السلطان . ولكنه لم يتراجع طلب من الولي تحديد الجهة فرسم له على الرمل رسوما غامضة . وأشار الى المكان وأمر السلطان باستدعاء كل البنائين الذين شاركوا في بناء القلعة وامرهم ان يكونوا اكثر براعة واتقانا حتى ولو استلزم الأمر هدم الهرم كله ومثلما تواصل صوت الأزاميل في عهد الأب . تواصل صوت المعاول في عهد الابن

جلس السلطان امام الهرم . وسكن الولي في القلعة . وتوالت طلباته . فتضاعف عدد العمال عند سفح الهرم وعدد الجواري في غرفته وفرغت الخزينة . ففرض المزيد من الضرائب وقال السلطان للقاضي مبررا

- كل هذا من اجل خير الرعية عندما نكتشف خبيئة الفراعنة لن اعود في حاجة الى دراهمهم الضئيلة

وتوافد الناس حتى يروا كيف يمكن ان ينقذهم أجدادهم من بؤسهم اليومي

ولكن الهرم بقي صامدا كشفت قشرة الصوان عن صفوف من الاحجار لا يمكن للمعاول أن تقدر عليها وكل حجر يسقط يكشف عن المزيد من الاحجار والسلطان يواصل الانفاق ابتلعت نفقات الحفر كل الدنانير والدراهم وكف الناس عن شرب الخمر وتدخين الحشيش لانشغالهم بأمر الخبيئة . فانخفضت الضرائب وبدأ العمال يهربون والناس ينصرفون وبحث السلطان عن المغربي ذات صباح فلم يجده الكل تخلى الا السلطان ظل مصمما على هدم الهرم ولم يعد قادرا على النوم قضى الليالي الطويلة امام الهرم يتأمله ويحلم بالانتصار عليه . تماما مثلما وقف أبوه من قبل أمام تل بفلسطين اسمه « حطين »

الابن الثاني يحلم بالقوة

كان الملك الأفضل ممتعضا منذ البداية . منذ أن دخل دمشق وهو يصيح هذا لا يكون كيف اكون الاكبر واخذ الملك الأصغر ؟!

مصادفة سخيفة تلك التي جعلته في دمشق عندما مات ابوه فأخذها وكان العزيز في مصر فأخذها

وحملته هذه القسمة يحس بالضيق الدائم لم يكف عن الحركة كان يخرج للصيد فيهتف ما أضيق الطراد ويخرج للنزهة فيهتف ما أثقل الهواء ويصعد الى قمة جبل قاسيون فيصيح ما أقل ما أخذت وما اكثر ما أخذوا كان ضيق الصدر ، ضيق النفس كان يريد العالم بكل الامتداد الذي امتلكه أبوه ذات يوم وسارت فيه جيوشه

ثم أرسل يستدعي عمه « الكامل » الذي كان حاكما على حلب ، رابضا كالصقر العجوز يرقب أولاد اخيه وهم يتخبطون كالأفراخ الزاغبة تحاول أن تستر لحمها الطري بعيدا عن المخالب كان يذكر دائما نبوءة أخيه العربية في تلك اللحظة الباردة فوق أسوار القلعة ، وأقبل على ابن اخيه الذي كان يجلس غاضبا متبرما فوق عرشه وهو يقول

- ألست الأخ الاكبر ؟ ألم أكن أستحق الملك الأكبر ؟ ألم أكن أستحق الملك كله ؟

وأومأ الكامل موافقا وهو يقول صدقت يابن اخي

وانتشى الأفضل من موافقة عمه السريعة وعاد يقول

- أليس لي الحق في أن أرجع الحق لأهله ، ملك أبي الذي ذهب الى من لا يستحقه ؟

وأومأ الكامل مرة أخرى قائلا لم تخطيء يابن اخي

ووصل الأفضل الى أهم نقطة في أسئلته أليس لي الحق في ملك مصر ؟

وقال الكامل على الفور هي لك يابن أخي فهل نرسل الرسائل أم نبعث الجيوش ؟

لم يكن هناك مجال للسؤال فبدأ الأفضل يعد الجيوش أحضر كل القواد الذين اخذوا سنة من الراحة بعد ان مات السيد وأمرهم أن يجلوا الصدأ عن السيوف القديمة دوى النفير ، واستيقظت الجياد ووقف الأفضل والكامل على الأسوار يشرفان على اعداد كل شيء ووقف امامهما امير الجيوش وكان قد حارب طويلا تحت امرة السيد ويعرف آخر امنياته

قال للملك الأفضل

- أصبح كل شيء تاما يامولاي ، والجيش الآن مستعد للسير الى عسقلان

كان حصن عسقلان هو أعتى حصون الفرنج ، ولو سقط فسوف يتهاوون كالطيور الذبيحة ولكن الأفضل رد في برود

- لن يسير الجيش الى عسقلان الجيش سائر الى مصر

ولم يفهم قائد الجيوش شيئا ادار بصره بين الأفضل والكامل ، ثم هتف في فزع هل دخل الافرنج مصر ؟

قال الأفضل بنفس البرود هذه المرة لن نحارب الافرنج

وهبط القائد الدرج وهو لا يدري أين يضع قدميه ولم تمض لحظات حتى خفتت صيحات الجند ، وكفت الخيل عن الصهيل ، وخيم على المدينة صمت قاتم

وظل الأفضل يواصل استعداداته ، أمر الحريم ان يستعدوا للانتقال ، والغلمان أن يخرجوا كل الأمتعة لاجدوى من بقاء اي شيء في دمشق مادام هناك قلعة الجبل وجاء قاضي دمشق خلفه مشايخ الجامع الأموي قال القاضي

- يا مولاي شريعة الله ، أم قابيل وهابيل ؟

قال الأفضل لو تنازل عن العرش طائعا ظفر بحياته

قالوا واذا رفض ؟ فلم يجب ولم يكن المشايخ قادرين على حملة على التراجع انسحبوا وجاء التجار في الصباح قالوا

- يزرع هذا العداء بيننا وبين تجار مصر وقد ينتهز الافرنج الفرصة ويقطعون طريق القوافل

ولم يرد السلطان عليهم وبدأ الحيش المسير دون
يحرج احد لوداعه طل الأهالي داحل بيوتهم
ـا كانت هـذه اسهل الغـروات ولكهـا اكثـرهـا
ارة والحيش يقيم ويرحل في صمت ، يمر عبر
حصون الافرنج دون ان يتعرصوا لها ودون ان
ـرص له كـانوا يـدركـون عـايتـه ويـاركـون
طوته

وصلوا الى حـدود عـرة ولم تبق الا حـطوات
ـدحلوا سيناء وكـان معـطم الحـود يعـرفـونها
حهش واحـد مهم في البكـاء وكـان الكـامـل
امتا ، لم يتكلم الا عندما سار أمير الحيوش بجانبه
أى رعدته فقال له

ـ هل أنت حائف ؟

قال القائد لا والله ولكن سوف ألقى فرسانا
ارت معهم واحتلطت دماؤهم بدمائي وتداحلت
وحهم في حروحي فكيف ألقاهم وأواحههم دون
ري او حجل ؟!

وصمت الكامل قليلا ثم قال

ـ الله عالب أمره

وعادت العيون في اليوم التالي لدحولهم سيناء ،
شيء هاديء ، واذا سارت الأمور على هدا النحو
موف يصلون الى الصالحية ويباعتون العرير داحل
ـاهرة وشعـر الأفصل بـأنه قـد طفر بـالمعركـة
دما ، وأشار للجيش أن يواصل التقدم ، ولكنه
حيء بعمه الكامل وهو يقول له في حرم

ـ تمصي وحدك انشاء الله

ولم يدرك الأفضل ماذا حدث ، ولكنه حين نطر
وحه القواد والحنود ادرك أنهم حميعا قد استدرحوه
أبعد مكان عن مملكته أطاعوه حتى أصاعوه
ن برما بملكه الضيق الخانق فأعـطوه ملك البراح
واسع

أعطى الكامل أوامره للجنود ان يرشقوه بالسهام
حـاول ان يتبعهم ثم اسـتدار الحيش عـائـدا

وأصبح الأفصل وحيـدا فجأة لم يعـد هناك من يشاركه في ملك كل هده الصحراوات

الابن الثالث . . يعجز عن الحلم .

تصارع الاحوة على رقعة الأرض حتى فقدوا كل شيء كانوا اربعـة عشرة وحـرج منهم حمسة من الملوك حمسة من السيوف رفعـوها عـلى بعصهم البعص ، كل واحد يريد توسيع رقعته على حساب الأحر فلم يكن العريـر عريـرا ، ولا الأفصل فاصلا ، ولا الطافر طافرا ولم تمص عشر سنوات على موت السيد حتى انتقل الملك بأكمله الى عمهم ، ثم الى اولاد عمهم وتحققـت النبوءة الـغـريبـة بأكملها

لم يبق من الملوك الخمسـة الا ملكا واحـدا كـان أصعفهم

كان الملك الطافر حصر ، ابن صلاح الدين شابا نحيفا ، لم يطفر بأي معركة ، وكان حفيص الصوت رغم انـه يسكن أبعد البـلاد ، وبسبب دلك نسيه الملك الكامل وهو يواصل اقتناص الممالك ، ونسيه ايصا الملك العادل ابن الكامل ، ربما نسيه الجميـع ولكنه لسوء الحط اراد أن يذكر الجميع بنفسه

دات يـوم والملك العادل حـالس في قلعتـه جـاء الـرسول من تيـماء يحمل رسـالة من ابن عم الملك المنسي تمـاما لم يكن يـطلب أكثر من السمـاح له بـالذهـاب الى الحج مسـألـة لم تكن في حـاجـة للاستئذان وكان العادل رائق المزاح واعتبر الرسالة بمثابة اعتراف صمني من آحر الاحوة بأنه لا يوجد الا سلطان شرعي واحد وان الممالك كلهـا لا يجب ان تتصرف حتى في أدق امورها الا بعد استشارته وفي لحظة من لحطات الامتنان التي لا تنتاب السلاطين الا قليلا ، سمح السلطان له بالحج ، وأن يكون عـلى رأس قافلة الحجيج التي تصم كل حجاج الشـام

فعل السلطان كل هدا بلا أي اهتمـام ، ولكن من الذي يستطيع التعامل مع حلم بلا اهتمام ؟

مرت عشر سنوات ولكن حلم السيد مازال حيا في القلوب ، كأن الناس كانوا يحاولون من خلال ذكراه أن يقاوموا مذلة المهانات اليومية وتوالي الهزائم وعندما سمعوا أن ابن صلاح الدين سوف يقودهم في موسم الحج ذلك العام زحفوا اليه فقراء ومستضعفين وبؤساء يعانون من تحكم الوالي ومن بغي الفرنجة ومن ضيعة الكرامة جاءوا من كل المدن التي تحررت في زمن الحلم وسقطت في زمن الذل . خلعوا ثيابهم القديمة ولبسوا ثياب الاحرام البيضاء ثم ساروا خلفه لعله يقودهم الى فجر جديد لم يبزغ بعد

وكان الظافر ـ الذي لم يظفر بشيء ـ مدهوشا من هذه الجموع التي تحيط به وتدفعه الى مقدمتها وترفع نداءات التلبية عاليا . فتبهر الصحراء النائمة ، وتكشف عن جروحها الدفينة وفي المساء جلس الملك خضر وهمس لاحد اصدقائه

ـ اني خائف من هذه الجموع حتى لا يظن بي الفرنجة الظنون

قال الصديق تخل عن خوفك ولن يقدر الفرنجة ولا غيرهم عليك ولم يفهم الملك

ولكن الظنون التي كان يخشاها ساورت غير الفرنجة . حمل الحمام الزاجل اخبار الجموع الزاحفة الى القاهرة ، ودخل محمد ابن السلطان العادل الى ابيه وهو يهتف

ـ فلتستعد للحرب يا ابي

ووقف السلطان مدهوشا وزادت دهشته عندما أضاف الابن

ـ انه خضر خرج يزحف في جموع غفيرة للاستيلاء على اليمن والتحصن بها قال السلطان مهونا لقد خرج للحج

ولكن الابن صاح في عصبية

ـ انه ذاهب لليمن جموع مثل هذه لا تخرج الا للغزو

واقتنع السلطان سريعا لا احد يثق في احد ، خاصة اذا كان ابن عمه كان عليه ان يقطع خط سير هذه الرحلة ايا كان هدفها ، وأصدر أوامره فخرجت العسكر سريعا عبرت النيل والصحراء وسارت سريعا حتى تسبقه في الطريق الى مكه

وعندما وصل الملك الظافر ـ الذي لم يكن له ان يظفر بأي شيء ـ الى مشارف مكة ، وجد في مواجهته صفوفا كثيفة من العسكر توقف الملك وتوقف الحجيج من خلفه وتقدم قائد العسكر وهتف به في حزم

ـ السلطان يأمرك الرجوع

قال الظافر مذهولا

ـ لم يبق بيني وبين مكة الا مسافة يسيرة

قال القائد السلطان يعرف أن مكة ليست مقصدك وثياب الاحرام هذه ليست الا حيلة للتنكر انما أنت تريد غزو اليمن والتحصن بها

وهتف الملك الظافر متضرعا

ـ والله ما قصدي اليمن واذا أردتم قيدوني واحتاطوا بي حتى أقضي المناسك وأعود الى الشام

وصاح القائد في وجهه

ـ ارجع يا مشئوم

فارتج على الملك ولم يظفر حتى بتمالك نفسه فانخرط في البكاء وأحاط به الجنود وقيدوه بالسلاسل ووقف الحجيج في ذهول وكانوا ينتظرون منه إشارة قولا لو أنه فقط أُحس بوجودهم الى جانبه ولكنه لم ير شيئا من خلال دموعه الغزيرة

هل رأى أحد منكم حلما وهو يبكي ؟

هذا هو ما حدث بعد موت السيد تحولت كل الأحلام الى دموع وكل المواقع الى أماكن للذكرى

□

يصدر في ١٥ أكتوبر ١٩٨٧

كتاب العربي

السابع عشر

خطاب إلى العقل العربي

بقلم

الدكتور فؤاد زكريا

كتاب العربي مرآة العقل العربي

العربي - العدد ٣٤٧ - أكتوبر ١٩٨٧

أرقام

بقلم : محمود المراغي

الإنسان رقم ٥ مليارات

في صباح يوم (١١) يوليو ١٩٨٧ شهدت البشرية حدثا هاما ، وذلك حين أعلنت إحدى مستشفيات مدينة زغرب اليوغوسلافية عن مولد الطفل « ماتيج جاسر » الذي أنجبته إحدى الممرضات ، وشهد الاحتفال بمولده « بيريز دي كويلار » سكرتير عام الأمم المتحدة !

« ماتيج جاسر » هو الإنسان رقم (٥) مليارات من سكان الكرة الأرضية ، وهو محظوظ لأن ولادته جاءت في بلد متوسط الدخل فيه قد بلغ (٢٠٧٠) دولارا أمريكيا ، حسب إحصاءات عام ١٩٨٥ ، وهو محظوظ لأنه انتمى إلى بلد تبلغ توقعات العمر عند الميلاد ٦٩ عاما ، أي أن مستقبلا هيئا ، صحيا ، وعمرا مديدا ينتظر هذا الطفل الذي اعتبر العالم أن مولده حدث يستحق التسجيل

لكن في نفس اللحظة ولد (١٤٩) طفلا آخر في شتى أنحاء العالم ، كما يقول صندوق الأمم المتحدة للسكان - رقم دقيق - إذ أن نساء العالم ينجبن بسرعة (١٥٠) طفلا في الدقيقة ، و(٢٢٠) ألفا في اليوم ، و(٨٠) مليونا في العام

نعم ، نحن نزيد بسرعة (٨٠) مليونا كل عام ، ووفقا لتوقعات نفس المنظمة الدولية فإن تعداد العالم سيصل إلى (٦) مليارات نسمة في نهاية القرن العشرين ، و(٨) مليارات في عام (٢٠٢٠) ، و(١٠) مليارات خلال قرن من الآن ، أي أنه خلال مائة عام سوف يزيد العالم بما يساوي أكبر رقم حققته البشرية في عشرين قرنا ذلك مع التفاؤل ، وافتراض اتجاه النمو السكاني للانخفاض

ماذا تعني تلك اللحظة التي وقف أمامها العالم ليعلن أنه يدخل عصر الأعداد الكبيرة والأخطار العظيمة ؟

هذه الخريطة غير المتوازنة :

نحن نعيش في عالم تتميز خريطته السكانية بعدم التوازن ، ويتميز مستقبله بأنه « مستقبل جنوبي » ، حيث تتركز معظم الزيادة في العالم الثالث الذي يقدم تسعة أطفال من كل عشرة أطفال جدد

والأهم أن طفلين من كل ثلاثة أطفال يولدان فيما تسميه المنظمات الدولية « الدول الأكثر فقرا » ، وهي الدول التي يقل فيها متوسط دخل الفرد عن أربعمائة دولار كل عام وفي حصر فعلي يشير البنك الدولي أن تلك المجموعة قد ضمت ٣٥ بلدا عام ١٩٨٥ ، وأن متوسط الدخل لم يزد عن (٢٨٠) دولارا في العام ، أي أن نصيب الفرد لم يصل إلى دولار واحد في اليوم !

هؤلاء هم أبناء الغد ! ووفقا للخريطة الجغرافية
ـ أكثر من نصف العالم يعيش في آسيا والباسيفيك ،
٢٠/ منه يعيشون في بلد واحد هو الصين ، فاذا
ـمت للتعداد قارة أخرى هي أفريقيا فإن العدد
ـبح قريبا من (٣,٥) ثلاثة مليارات ونصف مليار
ـمة ، ونسبة (٧٠/) من سكان العالم

وفي نفس الوقت فإن عالم الأغنياء ومرتفعي
ـدخل محدود العدد ، وهو أمريكا الشمالية
لوسطى (٤٠٠) مليون نسمة ، وأوروبا (٨٠٠)
ـيون نسمة ، وفقا لإحصاءات ١٩٨٥

ومعنى ذلك أن الفقر والثراء يتناسب تناسبا
كسيا مع عدد السكان والصحيح أن القاعدة
ـست دائما سارية المفعول ، لكن الصحيح أيضا أنها
ـي الإطار العام لموقف البشرية اليوم

هـذا المستقبل

من حقنا أن ننظر للمستقبل بقلق ، فالسؤال
ـدائم هو ماذا بعد ؟ لقد كانت السنوات
ـاصية مقدمات لمستقبل غير مشرق ، فبينما رفعت
ـض بلدان العالم الثالث شعار الثورة الخضراء ،
ـطعم الأعداد المتزايدة من الأفواه ، كان حزام
ـجوع يضرب عددا كبيرا من بلدان أفريقيا ، وكانت
ـداد الأطفال الذين يموتون بسبب سوء التغذية في
ـايد ، وكان زحف الصحراء ، وتآكل الغابات ،
انحسار اللون الأخضر ، ومشاكل المياه ، واحتلال
ـيئة ، وهجرة سكان الريف والبدو الرحل ، كان
ـل ذلك نذير سوء وجرس خطر

إن المشكلة هي ذلك التوازن بين السكان
الموارد ، فرقم (٥) مليارات ليس خطرا في حد
ـاته ، لكن الخطر أن يتزايد هؤلاء في ظل الفقر
العوز ونقص الغذاء والكساء والوقاية من الأمراض ، أي أن الخطر في عدم التوازن بين السكان والموارد والسؤال هل نحد من السكان أم نزيد من الموارد ؟ وماذا نستطيع ؟

سلك الشمال الطريقين ، فوصلت بعض بلدانه إلى ما يسمى « تثبيت عدد السكان » ، أي أن المواليد تتساوى أعدادهم مع الوفيات ، وبالتالي فإن أي زيادة في الموارد تعني تحسين مستوى المعيشة ، وفي نفس الوقت تحكمت البلدان الأكثر ثراء - في معظمها - في نسبة التزايد السكاني ، فأصبح عدد كبير منها ينمو بنسبة لا تتجاوز ١/ سنويا ، وقليل منها يصل إلى نسبة ٢/ ومن جهة أخرى فإن نمو الموارد في صالحهم ، فالإنتاج يتزايد ، والابتكار العلمي والعلوم الحديثة تساعد على موقف جديد ، يستغني فيه الإنسان عن الخامات الطبيعية التي تتناقص ، ويصنع خشبه وحديده وملابسه ومسكنه من مواد جديدة جرى تصنيعها بإمكانيات صناعية !

وعلى العكس من ذلك عالم الفقراء ، فالسكان يتزايدون بنسب عالية ، والموارد تقل ، ومتوسط الدخل السنوي يتراجع يقول تقرير اللجنة المستقلة المعنية بالقضايا الانسانية الدولية « إن الجوع بعد ذلك لن يصبح أفريقيا ، إنه قابل للانتقال إلى أماكن أخرى »

إن مولد الطفل « ماتيج جاسبر » يدق ناقوس الخطر ، فقد بدأ العالم في إنتاج ملياره البشري السادس ، ولم يعد هناك مفر من الهاوية ، إلا بالثورة على الأوضاع ، إذ لن يجدي الاعتماد على الشمال وإن كان التعاون ضروريا ، ولن يجدي الانكفاء على الذات قطريا فإمكانيات الجنوب محدودة لكن المطلوب هو تعاون إقليمي أوسع ، يستفيد من علوم العصر ، ويعترف بعلوم الإدارة والسياسة والمجتمع ، ويؤمن أن الغد مسئولية الجيل الحاضر والمطلوب أيضا ثورة فكرية تبدد ذلك الاستسلام للفقر المدقع والجوع القاتل ☐

المخاض

[illegible] في الصباح [illegible] للطبيب قال لنا : « عودوا للبيت واذا عاد المخاض بدرجة جديه اتصلوا بي » . طبعا انا لا اعرف المخاض الجدي ، وهكذا قلت للطبيب مشكلتي إنني لا اعرف ما هو المخاض الجدي ، ثم فوق ذلك ان سلمى ، وكذا كل افراد عائلتها . صبورون جدا ومن النوع الذي لا يجزع ولا يبكي ومع ذلك قال لي الطبيب « لكن العين تتكلم انظر الى عينيها اذا لم تسمع صوتها » ، ولكني لم ار دموعها الا بعد الثامنة مساء تلك الدمعات التي تترقرق على الوجنات والخدود مع ذلك الألم الجسدي والصرخات والجهش « متى الـد يا ربي ؟» كانت سلمى تتألم . تسارع وتتلوى وتصرخ بي « امسك يدي » فلقد كنت معها طول الوقت في امريكا يسألك الطبيب « هل [illegible] لأني اريد ان [illegible] لقد رفضت الاهها . كيف ؟ ذلك يصعب شرحه ، لكن الطبيب كان سعيدا جدا برافقتي والممرضات ايضا والأهم ان سلمى كانت اكثرهم سعادة ، بل لقد كانت تنادي « اين زوجي ؟» ، و « رجاء نادوا زوجي » كلما خرجت من غرفة المخاض ، مع اني لم اخرج من الرابعة والثلث الا مرة او مرتين للتشاور مع الطبيب وكانت الممرضة البيضاء السمينة الطويلة الشعر تؤشر لي بيدها « زوجتك تريدك » وقال لي الطبيب فيما بعد « لقد عملت عمل طبيب تدري [illegible] العرب في العادة ولا اقصد الاهانة لكي اعرف [illegible] يصعبون [illegible] حاتهم في مرتبة ادنى [illegible] لا تدخل في تلك [illegible] مادام هم في البيت . لكن حين [illegible] في [illegible] تلك عصبي انهم في العادة

---

* كاتب من القطر الكويتي

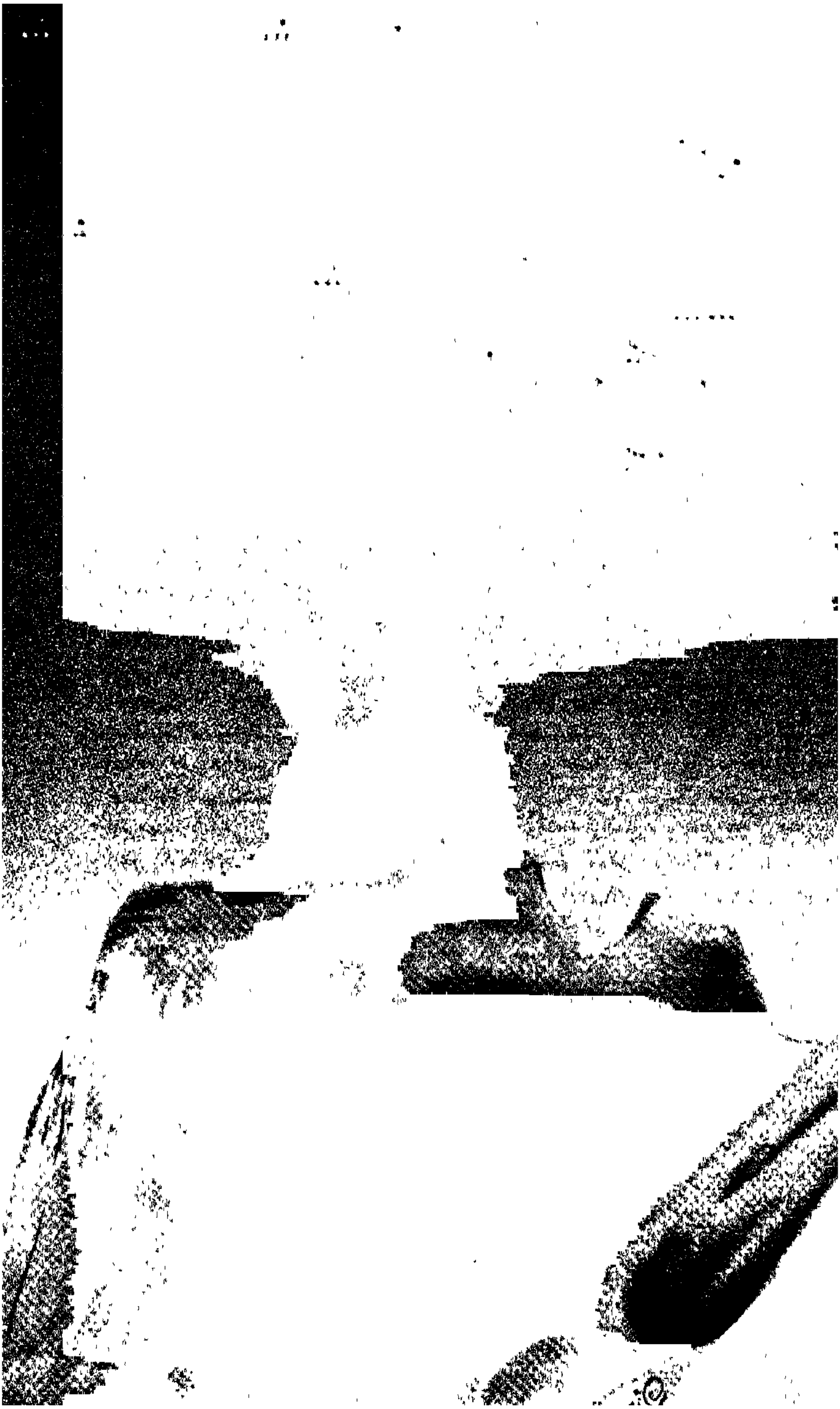

تحتفظ به في جوفها لكن الطبيب كان يريدها ان تضغط النفس الى الداخل «ما أقدر» لقد شرحت لها حين انحسرت المغصة كيف تأخذ نفسا ، وكيف تدفعه للداخل بقوة «أي مثل من يحزق للتغوط . حين يكون لديه امساك . اضغطي للداخل بقوة ادفعي بقوة» ، «ما اقدر والله ما اقدر» ولقد جربت ذلك في فترة السكون لكن ذلك لا يفيد . الطبيب يريدها أن تحزق ، حين تأتيها المغصة قالت «والله ما اقدر ، ما ادراك انت» واغرورقت عيناها «امسح ظهري أي يا ربي متى ألد ؟ امسح أسفل ظهري يا ربي يارب» وتشد على حاجز السرير الحديدي بقوة «يارب ، يارب ، يارب . قل للطبيب يعطيني مسكنا» قال الطبيب «ذلك غير ممكن اذا اعطيتها مسكنا اكثر سيكون المخاض ضعيفا ، ربما اضعف مما هو الآن . انا بحاجة الى مخاض قوي» والتفت اليها «اريدك ان تساعديني ، اريدك ان تسحبي النفس ببطء وتحفظيه في جوفك ثم تدفعيه ليساعدك على ان تحزقي بقوة»؟ سألته «ألا يوجد دواء او آلة لتقوية المخاض ؟» قال ان هناك آلة السحب لكنه لا يحبذ استعمالها ثم انه يكرهها قلت «اليست فعالة» ، قال وهو يجلس على حافة السرير «اعتقد ان الاطباء الذين يستعملونها يجدونها فعالة ، اما انا فاكرهها ، الآلة هي آخر شيء نفكر فيه ، يجب ان نعطي الطبيعة مجالها» ، ومدت سلمى يدها لي فعرفت ان المخاض عاودها ابيضت شفتاها واصفر جبينها ولوت رقبتها . «امسك يدي» وضغطت على كتفيها وهي ترفعها الى فوق «يارب ، يارب» ، وقال الطبيب «خذي نفسا» ومد يده فأنّت سلمى وهي تكاد تقفز من السرير قال الطبيب : «اعرف انك تكرهينني الان . لكن هذه هي الطريقة الوحيدة للتأكد من موضع رأس الطفل» ، والتفت الى قائلا : «كانت لدي ممرضة تعرف بمجرد اللمس الخارجي ، اما انا فلم اتمكن من ذلك ابدا» ، «واو . خالد . خالد . . امسكني . . امسكني . ربي الد بسرعة . ربي هون علي . . خالد خالد . امسك ظهري» وتعض شفتها وتترقرق دمعة كثيفة في حدقتيها . «احسن من قبل» . قال الطبيب . «لكن علينا ان ننتظر قليلا» ، وانحسرت المغصة . . «آسفة يا خالد عيوني عذبتك» سألني الطبيب ماذا تقول ، قلت تعتذر ان كانت غير متعاونة ، فالتفت نحوها «بالعكس انت طيبة لكنها الولادة الاولى ربما كانت في حالتك اصعب من المعتاد لكنها دائما ليست سهلة»

في السنة الماضية في مثل هذا الوقت كنا انا وسلمى مع الوالد في المستشفى بلندن وكان الطبيب قد قال لنا باختصار «سوف يعيش ، لكنه لن يتمتع بحياته كانت جلطة دموية ثم مضاعفات في القلب ، وكان هناك شلل في الجانب الأيسر وعدم قدرة على النطق كنت في مثل هذا الوقت تقريبا من العام الماضي اسلي الوالد وازين له دنياه قلت له «انظر الى سلمى انها حامل» لم يكن ذلك صحيحا ، كنت فقط اريد ان اشغله بشيء آخر عن مرضه فانفجر بي بصوت عال ، وبكلام غير مفهوم ، ونظرات قاسية عاتبة وحكيت لطبيبه «ألأني كذبت عليه انفجر غاضبا ؟» فهز الطبيب اصبعه نافيا «لا بالعكس هذا يفرحه لكنه خائف ان يموت قبل ان يرى ذلك فعلا انه يقول لك ماذا تنتظر ؟» ولقد كان كلما رأى بطن سلمى حين حملت يبتهج ، يضحك ، تتهلل اساريره ، ويحرك يده كما لو كان يحاول ان يحميها كان لا يرفع عينيه عنها كلما رآها لقد بكى بكاء طويلا نحيبا هادرا ، يوم انحنيت اقبل رأسه ، يوم سافرنا ، دفعني بقوة في صدري ، ووقعت على الأرض ، وامسكت يده ورحت اقبلها وابكي سلمى تعرف ان ما من شيء يعذبني مثل تركي لوالدي لقد كنت اشعر اني اخون هذا الرجل كيف اسافر واتركه ؟ كان العقل والعاقلون بالطبع يقولون أديت ما عليك نعم ؟ ماذا ؟ ممرض خاص يأتيه يوميا للبيت ، وسائق وسيارة لنقله لمستشفى التدليك ، وامرأة تسهر عليه ، ثم كل العائلة حوله والاصدقاء لكنه كان يبكي ، وكنت اعرف انه يريد ان يراني ، ويرى سلمى ويرى وليدنا ومنذ البداية كنت اقول له ان سلمى ستأتي بوليد كنت منذ الصغر أكنى «أبا وليد» كان هو يسميني (بو وليد) كان يحبني في الابتدائي حين ضربني حامد وانا عائد للبيت بكيت فأخذني بعد صلاة المغرب لأبي حامد وتحادثنا ثم صرت وحامد صاحبين ويوم وقعت من الحصان وانكسرت ساقي

وادخلوني غرفة العمليات واعطوني حقنة التخدير لم تغمض عيني الا بعد ان رأيته داخلا وسمعت صوته واحسست بيده فوق كتفي واليوم حين كلمتنا الوالدة

- بشروني عن سلمى
- طيبة
- الله عليك ؟
- والله من أحسن ما يمكن
- صحتها زينة ؟
- اي والله خذي كلميها
- مرحبا خالة كيف صحتكم انا بخير بعد بعد ان شاء الله لا تقلقون علي والله زينة خالد بخير ايضا انتم ما اخباركم عمي ما اخباره ؟

وسحبت الهاتف من سلمى -

- اخبار الوالد ؟
- على حاله
- لا تقولي هكذا لا تقولي هكذا ان شاء الله هو بخير
- بخير انشاء الله يرى ولدك
- ان شاء الله

وامس سعاد -

- خالد الو خالد من يتكلم الو
- سعاد مرحبا سعاد
- مرحبا خبرونا عنكم
- خير انت ما اخبارك ؟
- كيف سلمى ؟
- زينة
- الم تلد ؟
- لا لكن من الآن في اي لحظة
- ان شاء الله ليست تعبانة
- أبدا بالعكس صحتها من أحسن ما يمكن ليست مثلك
- عسى وانت كيف حالك ؟
- تمام وانت ؟
- كلنا « طيبين »
- والوالد
- زين فقط يريد ان يرى ابنك
- ان شاء الله صحته احسن
- نعم احسن مما رأيته آخر مرة ، في تلك المرة كان مريضا ببطنه لكنه الآن هو احسن
- هل هو احسن ؟ بذمتك ؟
- احسن انشاء الله احسن المهم سلمى تولد ويرى ابنك
- بعد ماذا لديك ؟
- لاشيء
- كيف لا شيء لماذا تتصلين اذن ؟
- ها ها والله لاشيء ، البارحة حلمت بكم وصحوت متضايقة ، ذهبت في المساء للوالدة ، لم يكن لديها اخبار لماذا لا تتصلون بها مسكينة طول النهار تبكي حين عدت لبيتي لم استطع ان استقر ، كنت افكر بكم قلت اتصل بكم أحسن
- سعاد اسفا عليك طبعا سنتصل حين تلد سلمى
- نعم ضروري ، خاصة الوالدة
- طبعا
- اين سلمى ؟
- هنا جنبي
- دعني اكلمها

ثم تلك الهواتف الأخرى

قالت سلمى « خالد الكويت »

- آلو اخ خالد

اهلا سليمان

- هل ولدت سلمى
- اليوم ان شاء الله
- ممتاز سأصلكم بعد غد اسألها هل تريد شيئا ؟

وسألتها

- لا تقول تعالوا بسرعة ستحتاج لأديبه
- أديبه منفوخة جدا بالسابع هي تحتاج لمساعدة خالد ساعدها انت

وضحك ضحكته المعهودة

فرحت سلمى اذ عرفت موعد وصوله وعائلته فسليمان صديق العمر في المدرسة ، والحي والجامعة ما اجمل ان يكون للانسان اصدقاء العمر كله قال سليمان « سأهاجر » فقالت : « لا انشاء الله اريد ان اعيش بين اهلي وجيراني » وكان

سليمان مهموما بالكرامة البشرية « لا توجد هنا كرامة للانسان » واكثر من ذلك « الا ترى يا خالد ما سيحل بنا هنا اهرب انج بجلدك » كانت سلمى ضد الفكرة وانا كذلك لكنه شجعني على العمل في امريكا حين قال « فرصة يا خالد فرصة لا تضيعها » وشجع سلمى على الولادة في امريكا عندما قال لها « احسن يكون لديكم ولد امريكي يمكن يصير كيسنجر العرب » وكانت سلمى تقول « تروحوا بعدنا وعدهم اثنان وثالث بالطريق »

كنت افكر في والدي وسلمى كذلك

وكنت في غفوة . واذكر اني نمت بسرعة وكنت اقول لسلمى « نامي نامي » وهي على ما خيل لي كانت تسند ظهرها الى السرير لكن بعد قليل ، ربما ربع ساعة ، او نصف ساعة ، قفزت من الفراش ، كانت هناك حركة في الشرفة ، وحين فتحت عيني كانت سلمى واقفة بجانب السرير وهي تحني جسدها نحو الأرض . تلعب رياضة ، او لعلها قد قرأت عن بعض الحركات التي تساعد على المخاض قلت « ماذا بك ؟» قالت « بسم الله عليك لاشيء قلت ما بالك انت ؟» « هل تلعبين رياضة؟ » فأجابت « لا عيوني اريد ان اشغل « اللمبة » الأرضية حتى لا يأتيك نور فتنزعج » قلت سلمى هل تعملين حركات لتساعدك على انزال الطفل » قالت « لا يا عيني كنت اولع النور ثم يا حبيبي » قلت « هيا نامي انت » قالت « ان شاء الله » قلت « نامي يا عيوني » قالت « معي مغص » قلت « حبيبتي هذا ليس المخاض ، لقد سألت الطبيب في الحادية عشرة والنصف قالت « لكن ماذا اعمل ؟ عندي مغص كل ثلث ساعة يمغصني بطني » قلت يتراءى لك فقط » قالت « كيف يتراءى لي عندي مغص شديد »

وحين عدنا الى البيت هذا المساء وضعنا الصور على الطاولة امامنا صورة سلمى الى اليمين وصورتي الى الشمال وصورتنا معا في الوسط كنت في الصورة اضحك وشعري يتطاير قليلا ولحيتي غير حليقة تماما كانت سلمى تحب ان تراني هكذا غير متأنق تماما وكانت تقول « مثل المثقفين » كانت الصورة مليئة حيوية وبهجة حتى صارت صورتي « الرسمية » التي اخذتها في المكتب وكبرتها قبل اسبوع تبدو سلمى شاحبة واكثر رصانة فعلا واقل حيوية بالتأكيد كانت صورة سلمى مثل بنت مدرسة عيناها الواسعتان تبحثان عن شيء ما هناك ، ربما رهبة وربما استطلاعا ، وشعرها مصفوف خلف رأسها وابتسامتها خجلة كانت تبدو كالعادة في حالات رخائها مثل وجوه الملائكة الصغار التي نشاهدها في الصور الكنسية الشعبية السلام في الجبهة وعلى الوجنتين ، والشفتان مكتنزتان تكتمان ابتسامة متحفظة قالت « خالد بطني يمغصني » قلت « نامي الان لماذا انت مستعجلة ؟ لكني كنت الاحظ قلقها طول المساء

بعد الثالثة صباحا بدا ان سلمى لم تنم اطلاقا صحوت انا في الثامنة تقريبا على اتصال الوالدة ثم تلك الاتصالات اللعينة الأخرى وفي الصباح قامت سلمى كالعادة . واعدت لي الفطور نصف بطيخة صغيرة وكأس حليب بارد مخلوط ببيض وعسل وقهوة بالحليب ودخلت الحمام لم يكن نومي مريحا اطلاقا . كانت سلمى تحسدني لأني عندما اضع رأسي على المخدة انام وفتحت (الدش) على الماء الساخن واخذت اولا حماما بخاريا قويا اما سلمى فاخذت حماما ليلة أمس قبل ان تنام وهي تقول اريد ان استحم الأن ربما هذه آخر مرة قبل الولادة « لبست ثيابي وسلمى على الفراش قالت « عيوني لن تذهب اليوم الى العمل » قلت « عندي اجتماع الساعة العاشرة » قالت « خالد يمكن يصير شيء » وكان واضحا انها لا تريدني ان اذهب ،

وكلمت السكرتيرة بعد قليل « لن اتي اليوم سآخذ زوجتي للمستشفى ، الغي موعد الغداء سأتصل بك فيما بعد » كانت سلمى قلقة تماما وقبلتني « هل الاجتماع مهم جدا اليوم ؟» قلت « خلاص اذا كان لابد من الغائه فلن أحضره » قالت « خذ الجريدة اقرأها واجلس جنبي » بعد ذلك بدأت تتلوى كان ألم المخاض يأتيها كل ربع ساعة وربما كل عشر دقائق وذهبنا للطبيب في العاشرة وحين عدنا في الثانية عشرة قلت امازحها « هيا نذهب الى محلات (ساكس) ذاك الفستان الذي تحبينه دعيني اشتريه لك اليوم ذكرى ! » ، ضحكت وقبلتني

« انت تحس » وحين دخلت الشقة رمت نفسها على المقعد وقالت « اعطني الوسادة اولا ثم العطاء » وبين نوبات ألم المحاض كانت تقول « لم اعمل لك أكلا يكفيك لـلأيام التي سأقضيها بالمستشفى سامحني عيوني » وفي الرابعة اتصل بنا الطبيب

- كيف هي الآن ؟
- طيبة وألم المحاض يأتيها كل خمس دقائق تقريبا
- هل هو شديد ؟
- انها تتألم بشدة
- هل مازال الماء يتسرب ؟
- تقول لا تدري
- اذن من الأفضل ان تأتي للمستشفى حالا اين تسكنون ؟
- الو وتر حيت
- قلب المصائح ؟
- نعم كل المصائح
- لا خوف عشرون دقيقة وتصلون المستشفى

قلت « هيا الطبيب يقول بأن نذهب إليه بالمستشفى »

« وحين نزلنا المصعد وضعت يدي حول خصرها » « اعتدلي حبيبتي »، واستقبلت [illegible] الامكان كان وجهها مصفرا وسواد [illegible] العينين العسليتين الواسعتين بدا و[illegible] كنت احمل حقيبة ملابسها وهي تنظر اليّ و[illegible] المربعات الزرقاء وانتفاخة البطن تضيف [illegible] وتكويراتها ومنحنياتها العديدة رهبة وحلاوة قالت وهي [illegible] الى نظرة المتفحص « هل انت سعيد ؟» ووضعت يدي حولها على جدار المصعد [illegible]

[illegible]

والـر .

الطفولي أ[illegible]

حتى الركبتين [illegible]

كمسوديق . قالت « [illegible]

وهل تستخفين بطنك [illegible]

[illegible] تريه

حذ[illegible]

[illegible] هي

وهي تخرج من باب العمارة ، ثم صورا أخرى وهي تدخل بوابة المستشفى وقالت لي الممرضة « انتظر في قاعة الانتظار » وعبر تلك الثواني البطيئة كان هنالك خمسة أو ستة رجال وامرأة عجوز يقفزون كلما رن الهاتف ، ورحت أطالع في كتاب « السيدات الحوامل » كيف يتكون الجنين في الشهر الأول ، والثاني ، والرابع وكيف ينزل رأسه إلى تحت ، ثم رحت استطلع الأسماء الولد ليس هناك مشكلة فقد كان الوالد يدعوني « بو وليد » منذ الصغر البنات قلت لسلمى « سوسن » ولم يعجبها الاسم اقترح صديق اسم « سما » وكانت سلمى تفكر باسم « ريم » ولم يعجبها « مي » ، ووجدت بين الاسماء « نوره » وكنت قد ذكرته لها مرة ولم تتحمس له كثيرا حين دخلت عليها في غرفة المحاض سألتني ماذا كنت تعمل ؟ وأطلعتها على قائمة الأسماء في الكتاب وسألتها رأيها في « نوره » ، قالت « رين أليس قديما ؟ لا أريد بنتنا تتعقد » ، ثم رفعت يدها عاليا « امسكني » وحين انحسر ألم المحاض قالت « خالد لا أريدك أن تذهب عني » كنت قد لبست ثياب [illegible] الخضراء وكانت سلمى تمازحني قائلة « طبيب بلا شهادة » وفي العاشرة ساورني القلق [illegible] الأمر ؟ يوم الأربعاء الماضي كلمتني [illegible] عيادة الطبيب في المستشفى وقالت [illegible] في الحادية عشرة يوم الاثنين » وطلبت من السكرتيرة الا تحجز لي موعدا صباح [illegible] شرحت لي سلمى أن الطبيب [illegible] أن [illegible] اكتمل وأن من [illegible] انجابه [illegible] وخوف [illegible] قالت [illegible] أو [illegible] بعض [illegible] بطريقة [illegible] في [illegible] والثبت [illegible] الغداء لسلمى [illegible] قالت [illegible] لماذا » ؟ [illegible] : كيف [illegible] لماذا [illegible] يقول يعين

كامل لماذا ننتظر ؟ » وكانت مصممة ، وارتفع صوتها « يوم ١٥ يتم الجنين تسعة أشهر هذه أقصى مدة لنموه بعد ذلك قد يكبر في الداخل وهذا غير صحي له ويمكن خطر لي » ، أحب سلمى حين يرتفع صوتها واثقة ، حاسمة ، تعرف ما تريد حين كنت أتعلم هنا كانوا يمازحون الوالدة « خالد أحد له إنجليزية ، الله أكبر ، عيون زرق وشعر أشقر » وحلفتني الوالدة « أدري أنهم يمزحون لكن بالله عليك هل ستتزوج إنجليزية ؟ » ويوما قال الوالد تعال نتمشى في السوق كان يسلم على أصحابه ويعرفني على بعضهم « والحمد لله أبو وليد متقدم جدا في دراسته » ثم بدأ في الحديث الجدي « إذا أردت أن تتزوج فاسأل عن الأم أولاً ثم الأب » ويوم أتيته وهو جالس في ديوان البيت وقبلت رأسه تهلل وجهه « خير خير » قلت « لقد خطبت » ، قال « من ؟ » وحين أخبرته قال وهو في منتهى السعادة « عدل ، مضبوط ، قل آمين الله يوفقك يا خالد ، الله يسعدك دائما ، لقد كنت أعرف أنك لا يمكن تتزوج غريبة » ، أما الوالدة التي كانت تنصح باستمرار « جمال الثوب أن يكون خيطه منه وفيه » ، فأخذت تبكي « أريد شيئاً واحداً منك « حاضر » قالت « أريد أن أرى ذريتك » وكانت سلمى راغبة في الانجاب وكان صديقي سليمان يقول بدون أطفال كأنك تعاشر صديقة ، لماذا تسميها زوجة إنها صديقة عشرة وقالت الممرضة حين خرجنا من غرفة الولادة « أنتم الآن عائلة » وفي لندن قالت سلمى بلهجتها الحاسمة حين تكون قد اتخذت قراراً « أنت لا تريد أطفالا أبداً ؟ » قلت وأنا أرشف القهوة في مقهى « القمر الأبيض » في باركلين مقابل الهايد بارك والسماء تنث قطرات متقطعة « قلت لك ألف مرة بلى » قالت إلى متى سننتظر » وبعد قليل تساقطت دموعها وهي ترشف القهوة « ماذا أنت ألا تشعر بأحد ألم تر والدك أمس كيف بكى ، هل تريد أن يموت الرجل قبل أن يرى ذريتك ؟ » كانت تتكلم طول الوقت إلى أن وصلنا شقتنا وما أن جلست على (الكنبة) حتى انهمرت في البكاء اتصل سليمان بعد قليل ، قلت « سأخرج » وجلست مع سليمان على الكراسي الخارجية للمقهى المقابل لشقتنا . قلت تريد أن

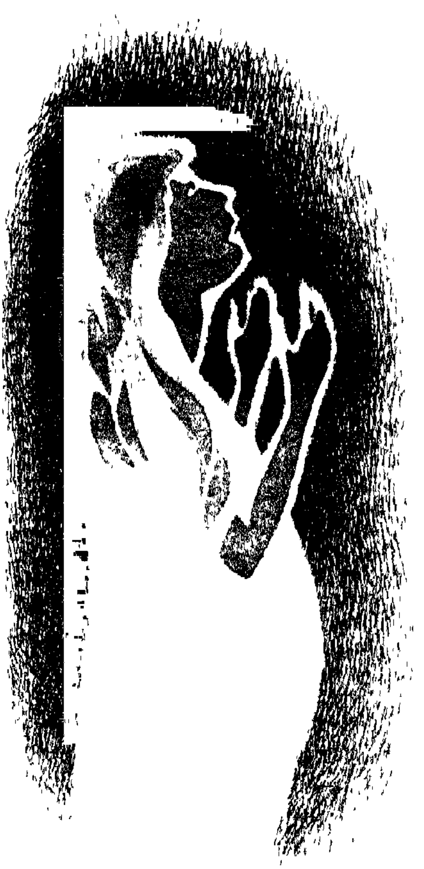

تحمل ، فضحك سليمان ضحكته المعتادة « امرأة ولا تحمل ؟ » حين عدنا أنا وسليمان من الدراسة بأمريكا كنا مصرين على أن نتزوج بسرعة « كيف نعيش بدون امرأة » وكنا نغازل ونتسكع ونتسمع أخبار البنات اليافعات اليانعات للغرام واللعب والزواج وكنا نصيد سمكا على اللسان البحري بالفحيحيل ولمحنا في الماء سمكاً كبيراً يسبح ، أفخاذ وشعور وصدور وشاهدنا البنات في الماء والأجساد الكهربية في الماء الفيروزي واشرأبت أعناقنا وشنفنا آذاننا وقلنا « هس هس » وتدافعت أكتافنا ونططنا وسألنا السائق « سيارة من هذه ؟ كانت

لمى مع أحواتها يسبحن على الساحل الحاص بإدارة لياء حيث يعمل أحوها وكانت أمها حالسة على لرمل تحدق بهن كدحاحة تحمي فراحها وقلت قال « سأتزوجها » وقلت وقال « يا ابن اىعد سها » وتروحتها ولم أقل لها « هدا حناه أبي عليّ وما تنيت على أحد » وكان سليمان يقول « أنت مجنون ؟ يف لا تريد أبناء هي تريد » ويوم رواحي هداي النقال النحيف القصير علبة سيكار طويل كانت له روحة طويلة عريصة وسبعة أبناء وقال الليلة الليلة يتحدد الفرس والفارس » وغمز بي ميه وصحكنا « سبعة سبعة كيف يصنع هدا داك » وكانت سلمى تمرح « كن حكيماً مثله » حين عدت قالت سلمى « هل عدت » ؟ قلت مم قالت « أريد أن نتعشى في مطعم الليلة حدنا » ، وبدت في أبهى زينتها وحين ركبنا سيارة لأحرة ووضعت يدي حلف ظهرها أمسكت دراعي اثلة « لن استعمل الحبوب بعد الآن » ثم شدت لى دراعي « لن استعمل الحبوب بعد الآن مهوم ؟ أحبني الآن » قلت « طيب ليب » قالت « لا أريد كلاماً لطيفاً لن ستعمل » وسحبت دراعها ورحت أقبل كمها ساعدها فاستدارت نحوي « حبيبي » ووضعت أسي لصدرها دهبنا لمطعم « حاكلين » الفرنسي ، ليستر سكوير وطلبت سلمى أكبر وجبة بادحة ، واقع ولحم عجل مشوي وسلطة روسية وجبن فواكه وقهوة ، كانت تضحك وتتحدث بشهية عج وكانت تسألني « هل تريد ولداً ؟ سأتيك ولد وليد حبيبي » بعد دلك رأيتها تقرأ عن أمهات والأطفال والحمل والولادة وتتوقف عند فتريات) ملابس الأطفال ولم تبق حيلة أو تقنية لحمل إلا واستعملتها أحيراً في ٢٠ نوفمبر وقعت لعجزة وانتظرت حوالي عشرة أيام ودهبنا إلى طبيب وقلت لعباس مدير المختبر المركزي أريدك أن لل هدا بنفسك وتخبرني بالنتيجة وجاء صوت باس مدوياً عبر الهاتف « مبروك حامل » كلمت سلمى « مبروك » كان ذاك يوم عيد في بيت الوالدة تسير بخيلاء والوالد يضحك جلست أغني له « يا أبو وليد مني غدا الشوق يلاه يا أبو وليد » ، والوالد يهز رأسه مع النغم ثم تأوه آهة طويلة وصك أسنانه ورفع عينية للسماء وهز يده ، وحين قلت لسلمى ما رأيك لقد عرضوا عليّ « أن أعمل في أمريكا ؟ » قالت « أقبل يا خالد يقولون الولادة « في أمريكا أحسن » ، وبكت الوالدة وقالت أنا ضامنة عمري ، تذهبون وتتركوني مع هدا الرجل الذي طول النهار ينظر ويتعقب حطوات سلمى ، حين تعثرت سلمى قبل إسبوع كاد يقفز من مكانه ، إسألها بالله عليك كيف قفز والدك لقد غضب عليها وأخد يهز يده في وجهها » وأخد بطن سلمى يكبر قليلا قليلا وعبرت ملابسها إلى ملابس الحمل وأخدت تمشى الهوينا وفي الشهر التاسع كان هناك البرنامج اليومي نتعشى في السابعة والنصف ونخرج نتمشى لكي نساعد على نزول الجنين

على شاطىء البوتوماك وندور حول مركز دي ي للفنون ، ونتوقف فوق الجسور الصغيرة في طريقنا إلى جورج تاون وندخل السينما ونعود مشياً إلى شارع م ، وشارع بنسلفانيا وندور حول بعض مباني جامعة جورج واشنطن وشارع فرجينيا ونعبر الشارع إلى مباني الووترغيت قالت سلمى وهي تعتصر من الألم « إنها عينك دائما تقول لكل الناس أني لم أتأثر إطلاقا أثناء الحمل » قلت « أبداً مخاضك طبيعي » قالت « لا أصدق لقد أخبرتني شيخة أنها حين دخلت غرفة المخاض أعطوها مخدر موضعي ولم تشعر بالألم إطلاقا » كنت أنظر إلى آلة نبض الجنين وقالت الممرضة هل تريدون سماع صوت قلبه ؟ وفتحت زر التسميع « بم بم بم بم » وشرحت لي « هذا النور يعطي إشارة القلب ، وهذا العداد يبين عدد النبضات بالدقيقة ، وهذا الشريط يسجل النبضات على شريط من الورق حتى يتمكن الطبيب من قراءته لو حدث خطر OK! » قلت « OK » قالت « حسنا أيها الأب إذا زادت النبضات عن ١٨٠ أو نقصت عن ١٢٠ أخبرنا في المكتب » وأشارت على جرس قرب السرير

ومرة هتفت ممرضة « أوه ! ولد ! سيكون عندك ولد » نظرت إليها مندهشاً صحيح ؟ فنظرت إلى بدهشة « هل تريد ولداً ؟ » قلت « نعم » وقالت وهي تهز رأسها « سيكون عندك ولد » قلت « كيف

عرفت ؟ قالت « اذا كانت النصات اقل من ١٤٠ باستمرار فالنتيجة ولد » سألت « متأكدة ؟ » فاجابت « طيب أنا عادة ١٠٠ / صح » في عرفة العمليات كنت مثل الآخرين ، فيما عدا سلمى ، نرتدي عطاء للرأس ومنتصف الوجه ، وأجلس بجانب رأس سلمى أحدثها بأي شيء وأحياناً كنت أشعر أن موضوع الحديث قد ضاع فقد كانت جوارحنا في الجانب الآخر

ودخل الطبيب ونظر إلى سلمى وقال « أنها فتاة حلوة » ثم قال بصوت عال وهو يجلس على كرسي في الناحية الأخرى وحوله مساعديه « لن يكون وقتا طويلا » وسلمى تبتسم لي وتحاول أن تتابعني وتهمهم بين الحين والحين « يا الله » وكانت سلمى تحدق أحيانا في القماش . قلت « حبيبتي دعيهم ، ألم نتفق على أن نمضي الوقت معا وننسى ما يعمل الطبيب » كنت في الواقع أحمي قلقي ، قالت « نعم عمري لكنهم يسحبون » قلت « ما عليك » ثم أردفت قائلا « على فكرة حين نعود سنتوقف في لندن ، هذه المرة لن تذهبي إلى السوق كيف تخرجين مع طفلك ؟ » وعقدت جبينها « يا الله إنهم يسحبون » كنت مرهوبا وصرخ الطبيب « لقد مسكته » وصرخ مساعده « شعره كثيف » وعقبت الممرضة ضاحكة « مثل أبيه » قال الطبيب « صحيح ليس مثل طبيه ؟ » قلت لسلمى وهي تهمهم وأنا أبحث عن كلام « أنا خائف على سليمان كيف سيعيش هنا وهم يكرهون العرب » قالت وهي تنظر باتجاه الطبيب « لا تخاف عليه يقول إنه إنساني المسكينة أدبية رابطيها أولادها عشرين مرة قالت لي سليمان كلامه صحيح لا أمان ولا كرامة للانسان عندنا لكن مالك غير أنفك ولو كان أعوج » وزعق الطبيب « هذا هو هذا هو » ورفعت سلمى رأسها قليلا وأدرت رأسي أيضاً ورفع الطبيب الوليد عالياً « أنت ولد طبعا ماذا تريدون أن أسحب لعربي بنت ؟ سوف يقتلني » كان الوليد ملطخا بالدماء والطبيب يشده على صدره ويعلقه من يديه مثل أرنب مسلوخ « هل سمعت صوته ؟ » قالت سلمى بسرعة « لا » قال أوه إني أتكلم كثيراً » وضرب الوليد على ظهره فارتفع صوته « واو واو واو » خدرت ساقاي والركبتان . كان جسمي خفيفاً وانعدمت الجاذبية كما لو كانت في الفضاء وسلمى أغمضت عينيها « الحمد لله الحمد لله » نظرت إلى « حبيبي » وقبلتها كان خداها يتوردان وهي تتابع بعينيها الوليد بيد الممرضة أين الوجه الشاحب ، والشفتان البيضاوتان ، كيف عاد الوجه متوردا والخدان ! قالت عيوني لا بد أن تتصل هاتفيا بالبيت » ، وأغمضت عينيها وهمهمت « يا ربي تطول عمر عمي حتى يرى وليدا » ، وبدأ الطبيب يخيط الجرح رفعنا السرير إلى غرفة النقاهة وقبلت سلمى ثانية وخرجت وشددت على يد الطبيب « شكراً دكتور » ونظر الي فهززت يده ثانية « شكرا دكتور » قال « انت أب ممتاز وأنا أحب ذلك » ورفعت الهاتف « ألو المكالمات الخارجية الكويت

- الو الو أين أمي أمي بسرعة الو

- يه وليد وصل وليد وعرفت في البكاء

يه لماذا تبكين وليد وصل وليد هو وسلمى بخير يه خلاص لا تبكين هو بخير وامه بخير خلاص يكفي يه

- مشكور يا ولدي الله يحفظك الله يمد بعمرك الله يعزك الله يسرك مثلما سررتني يا خالد يا ولد عبد الله يا ولد شريفه ، طول النهار والليل وأنا أفكر فيكم الله يعلم لا أفكر إلا فيكم الحمد لله الحمد لله والشكر له ، الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث فيهما رجالا كثيرا ونساء الله يبشرك يا خالد بالخير ، الله لا يسمعك إلا الخير ، الله لا يريك إلا الخير ، الله القادر على كل شيء « كن فيكون » الحمد لله الذي خلقنا في أحسن تقويم وأجهشت بالبكاء

- أين الوالد يمه خلاص أين الوالد ! وزاد نشيجها □

مرض النخالة البيضاء

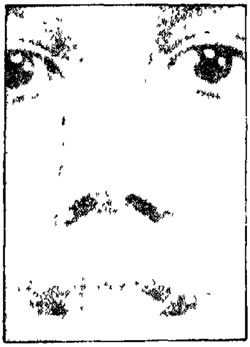
مرض نخالة البيضاء في الوجه

بقلم . الدكتور محمد عبدالله المشاري

ليس كل بياض جمالا ! ذلك مايسيء به مرض النخالة البيضاء ، فهو حين يصيب ذوي البشرة السمراء ـ ممن يودون لو كانوا بيضا ـ يصبح شائنة ، وليس أدعى لفساد اللون من أن تشوبه الشوائب !

تبلغ نسبة الاصابة بمرض النخالة البيضا ٢١٪ من إجمالي المترددين على عيادات مراض الجلدية في الكويت ، وقد وردت هذه سبة في دراسة اشتركت فيها مع آخرين ، فمن هذه دراسة قد تبين أن ٩١٪ من الحالات تظهر قبل بلوغ العشرين ، وأن ٦٣٪ من هذه الحالات كانت أطفال دون سن البلوغ ، هذا وتبلغ نسبة إصابة كويتيين بمرض النخالة البيضاء ٣٨٪ ، بينما نسبة ابة غير الكويتيين ٦٢٪

وأود أن أنوه بأنه في دراسة لأحد الباحثين في هورية مصر العربية قد تبين بأن ٤٠٪ من الأطفال ن سن البلوغ مصابون بمرض النخالة البيضاء ، رداد هذه النسبة عند الاطفال ذوي البشرة السمراء لسوداء ، وذلك لسهولة تمييز منطقة الاصابة من لد الطبيعي

الأسباب

إن مرض النخالة البيضاء مجهول السبب ، لكن هناك نظريات كثيرة تتحدث في هذا الصدد ، منها نظرية تبرز دور البكتيريا كسبب لظهور هذا المرض ، حيث تبين بعد زراعة عينة من الجلد المصاب وجود البكتيريا العقدية ، ويرى بعض الباحثين أن لهذه البكتيريا دوراً في ظهوره

وهناك نظرية أخرى ترى أن للشمس دوراً بارزاً في ظهور هذا المرض ، وذلك بسبب ظهور الاصابة في الوجه ، ويبرر ذلك بوجود نوع من الحساسية من الشمس وهناك تفسير آخر ، وهو عدم قدرة الأشعة فوق البنفسجية من الوصول إلى خلايا الصباغ وذلك نظرا لسماكة الطبقه الكيراتينية العليا من الجلد ، مما يؤدي الى ضعف الصباغ أو عدم تكونه ، وغالباً يلاحظ وجود نزح مائي في مكان الاصابة ، مما يعوق

انتقال الصباغ من خلايا الصباغ إلى خلايا البشرة ، مما يؤدي إلى ظهور البقع البيضاء

وهناك أيضاً نظرية أخرى تتحدث عن دور الفطريات في ظهور مرض النخالة البيضاء ، حيث اكتشف بعض الباحثين وجود بعض أنواع من الفطريات في مكان الاصابة

وفي دراسة أخرى وجد أن ٥٦٪ من مرضى النخالة البيضاء مصابون كذلك بديدان في الأمعاء ، وأن أكثر هذه الديدان انتشارا هي دودة الاسكارس والانكلستوما ، ووجد أيضاً أن كثيرا من المرضى مصابون بسوء التغذية ونقص الفيتامينات وهناك من يدعي بأن هذا المرض ما هو إلا أحد مظاهر أكزيما الأطفال الاستشرائية ، وذلك بسبب وجود إصابة سابقة بمرض الأكزيما في عائلة مريض النخالة البيضاء

وتكثر الاصابة بهذا المرض عند الأطفال دون سن البلوغ ، لكن قد تظهر في بعض الأحيان عند الكبار ، فمن دراسة لأحد الباحثين تبين أن ٩٠ / من الحالات تظهر قبل البلوغ

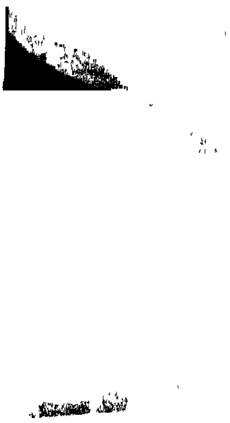

مرض النخالة البيضاء على الذراع والساعد

بقي أن نعرف أن الأطفال ـ ذكوراً وإناثاً ـ معرضون للاصابة بهذا المرض ، لكن وجد أن نسبة الاصابة تكون أكبر عند الذكور ، وتفسير ذلك هو كثرة التعرض للشمس ، وقد ذكرنا في البداية أن للشمس دوراً في ظهور أعراض المرض

ومن دراسة لأحد الباحثين تبين بأن المرض يكثر بين الأطفال السود ، وذوي البشرة السمراء ، نتيجة لعدم تكوين الصباغ ، ولذلك تتلون منطقة الاصابة باللون الفاتح المختلف عن لون الجلد المحيط بالمنطقة المصابة ، وهذا مما يجعل منطقة الاصابة واضحة عند ذوي البشرة السوداء

وقد تبين أن هذا المرض يزداد في فصل الربيع وبداية الصيف لكن هذا لا ينفي أن يظهر المرض في أي فصل من فصول السنة . وحول هذا الموضوع هناك اختلاف في وجهات النظر ، فبعض الباحثين لاحظ أن الحالة تزداد سوءاً في الصيف بينما وجد آخرون أن الحالة تسوء في الشتاء ومن هذا نستطيع أن نقول إن مرض النخالة البيضاء قد يظهر في أي فصل من فصول السنة ، لكن الحالة قد تزداد سوءاً عند التعرض للشمس فترات طويلة

أعراض المرض

تظهر أعراض المرض على هيئة بقع بيضاء دائرية او بيضاوية ، أو قد تأخذ شكلا غير محدد ، وحجم الاصابة يتراوح ما بين عدة مليمترات إلى بضع سنتيمترات ، ومنطقة الاصابة قد تكون واحدة أو متعددة ونرى أن أعراض المرض تختلف ، حيـ يعتمد ذلك على عمر الاصابة ولون الجلد المصاب فنلاحظ أن الاصابة الحديثة بلون وردي ، أو فاتح بينما نرى أن أطراف المنطقة المصابة غير اللون مع وجود قشور رقيقة لاصقة

ومن الملاحظ أن الاصابة سطحية ، وبعد عدة أسابيع نجد أن اللون الأحمر يختفي تدريجـ يبدو مكان الاصابة أبيض اللون gmented مع Hy

وجود قشور رقيقة ، وغالباً ما تكون الاصابة محددة الأطراف وواضحة خصوصا عند الأطفال ذوي البشرة السمراء أوالسوداء وغالباً تكون منطقة الاصابة جافة

أما نقص الصباغ الذي يؤدي إلى ظهور منطقة الاصابة بلون أبيض فله عدة أسباب ، منها التعرض الطويل لأشعة الشمس ، وجفاف الجلد الناتج عن كثرة استعمال الصابون ، والتعرض للتيارات الباردة وهناك من يرى أن وجود القشور الرقيقة في منطقة الاصابة هو الذي يؤدي إلى عدم وصول الأشعة فوق البنفسجية إلى الخلايا الصبغية الموجودة في منطقة الاصابة ، مما يؤدي إلى نقص الصباغ أو عدم تكوينها ومن ثم ظهور منطقة الإصابة باللون الابيض

ويلاحظ بأن هذا المرض غير مصاحب بأي أعراض ، لكن قد تصاحب الحالة حكة أو حرقة بسيطة وهذا أمر نادر

أما عن مكان الاصابة فنجد أن ٧٥ / من الحالات تظهر في الوجه ، خصوصا حول الفم والأنف والخد ، والذقن ، والجبهة وأن ١٥ / من الحالات تظهر الاصابة في الرقبة والذراع والكتف لاسيما عند السيدات ، وأن ١٠ / من الحالات تظهر الاصابة في عدة أماكن من الجسم كالجذع والأليتين ، وفروة الرأس والفخذ ، والظهر ، وأنه في حالات نادرة قد تكون الاصابة متعددة وكثيرة حيث تغطي معظم أجزاء الجسم

ويلاحظ بأن الاصابة قد تستمر عدة سنوات ، لكنها قد تنحسر أو قد تختفي حتى دون علاج وذلك عند سن البلوغ ، ويفسر ذلك بزيادة إفراز الغدد الدهنية ، ففي هذه المرحلة من العمر ترتفع نسبة هرمون الاندروجين ، وهو الهرمون المذكر الذي يؤدي إلى زيادة في حجم الغدد الدهنية وإفرازها

العلاج

لا يوجد علاج حاسم وسريع لمرض النخالة البيضاء ، لأن سبب المرض مجهول ، والعلاج المستعمل علاج للأعراض ، فمعظم الأدوية التي تستعمل تؤدي إلى تحسن الحالة ، لكن بعد مرور عدة أسابيع قد يعود المرض من جديد هناك دراسات وأبحاث عديدة للكشف عن العلاج الناجع ، لكن مع هذا لا يوجد إلى الآن علاج مثالي لهذا المرض ، والأدوية التي تستعمل في العلاج تحتوي على مواد مرطبة للجلد ، وقد تستعمل بعض مشتقات الكورتيزون ، أو حامض السليسليك والكبريت للعلاج،وقد يعطى المريض بعض الأدوية التي تحتوي على الفيتامينات ، مع الأخذ بعين الاعتبار نسبة كمية ونوعية الطعام ، حيث أن سوء التغذية قد يساعد على تدهور الحالة ، وينصح المريض بعدم التعرض للشمس

بعض الباحثين يرون أن الحالة قد تتحسن باستعمال المراهم الموضعية التي تحتوي على مركبات الزنك ، والزئبق ، بينما يرى آخرون أن استعمال الأدوية الموضعية التي تحتوي على المضادات الحيوية قد يساعد في تحسن بعض الحالات □

■ إن ابني لايستطيع أن يحل محلي ، وأنا نفسي لا أستطيع أن استبدل مكاني ، إني مخلوق الظروف !.
(نابليون)

البين...

ساعة لربك
وساعة قلبك

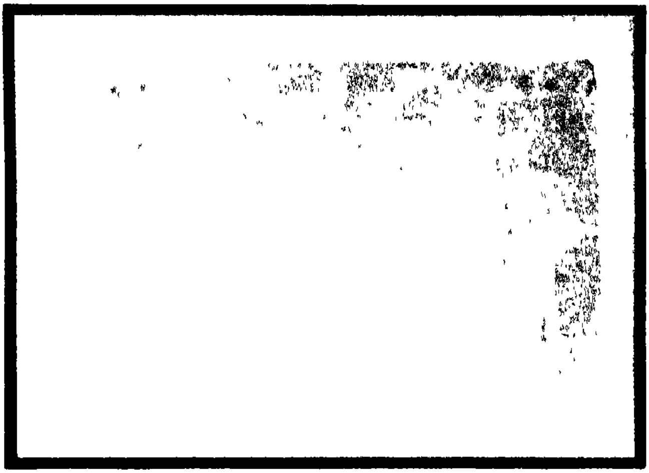

إذا أردت أن تلتقي بالذين [illegible] في [illegible] وتستقبل [illegible]
[illegible] وترحيب الأحبة [illegible] [illegible] أبناء [illegible]
[illegible] من آفاق رحيمة مع آيات الله [illegible] الروح [illegible]
النفس وتربح العصر [illegible] في أحياء [illegible]
[illegible] الغفران

حين تطل من الطائرة وتدور بعينيك لتشهد جزر الأرخبيل المتناثرة ، وقلبها الكبير في جزيرة البحرين وحين تتابع الجسر الكبير الممتد ليربطها بالأرض الأم ستجد نفسك وقد عدت بذاكرتك الى الوراء لأكثر من خمسة عشر قرناً ، حين انطلق العلاء بن الحضرمي في المحرم من العام السابع الهجري من الساحل الشرقي لشبه الجزيرة ، في أول عبور إسلامي على صفحة مياه الخليج لينزل على سواحل البحرين كان العلاء يحمل كتاب رسول الله ﷺ الى المنذر بن ساوي أمير البحرين يدعوه الى الاسلام ويقول « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله الى المنذر بن ساوي سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك الى الاسلام فاسلم تسلم ، يجعل الله لك ما تحت يدك واعلم أن ديني سيظهر الى منتهى الخف والحافر »

ستذكر تلك الرسالة الشريفة وتتابع الصحابي الجليل وهو يعبر مياه الخليج مرة أخرى - حيث أقيم الجسر الآن - حاملاً الرسالة النبوية الثانية الى ابن ساوي الذي أسلم وحسن إسلامه وقد أعطت الرسالة لسفير النبي صلاحية التفقيه في أمور الدين واتخاذ القرارات المرتبطة بالجزية والتعامل اليومي بين أهل البحرين الذين أخذوا يدخلون في دين الله أفواجاً وكانت تلك أولى خطوات إقامة أول مسجد لله في أرض خارج شبه الجزيرة العربية ، يعتقد أنه على الساحة التي بني عليها بعد ذلك مسجد الخميس في البحرين ، حيث ارتفع من فوقها نداء الاسلام ، وانطلق صوت العلاء بن الحضرمي يتلو على أهل البحرين آيات الله البينات

على هذه الأرض الطيبة كان أول لقائنا مع المنطلق القرآني الشريف مع « بيت القرآن »

مرتكز حضاري

« بيت القرآن » ليس متحفاً للآثار ، ولا معرضاً للمخطوطات ، ولا مركزاً للثقافة والتراث ، ولا داراً لنفائس الكتاب الكريم ، ولا مدرسة للتحفيظ والترتيل ، ولا ملتقى لعلوم الدين والتفسير ، ولا مجمعاً لفنون الطباعة والخط والزخرفة والتذهيب

إنما هو كل ذلك معاً صرح عمراني فني ، ومزار ديني تاريخي ، ومرتكز حضاري إسلامي

ولقيام هذا الصرح في البحرين قصة نبدأ متابعتها في المتحف الوطني بالكويت فقد استقبلت دار الآثار الاسلامية مجموعة من النفائس القرآنية من مقتنيات بيت القرآن التي لم تكن قد عرضت بعد ، فكان أول عرضها في هذه الدار على مدى شهر كامل في القاعة الكبرى تحت اسم « معرض نفائس المخطوطات القرآنية لبيت القرآن » كانت المقتنيات تضم مائة مخطوط نادر تمثل العصور الاسلامية المختلفة ابتداء من العصر الأول الهجري ، ومن مختلف أقطار العالم الاسلامي كان واضحاً عند استعراضنا للمخطوطات أنها تمثل حركة التطور الفني الرمزي والتاريخي لمراحل الخط العربي المستخدم في كتابة القرآن الكريم ، وبراعة الفنان المسلم في استخدام هذا الخط بأنواعه كان المعرض فرصة للتعريف ببيت القرآن كمركز اسلامي ثقافي عالمي يشيد في البحرين ، من تبرعات أهل الخير والبر في الأقطار العربية والاسلامية كما كان فرصة للتعرف على جزء مما يضمه « متحف الحياة » في هذا المشروع الاسلامي الكبير ، باعتبار أن بيت القرآن يضم متحفاً قرآنياً متكاملا يسمى « متحف الحياة » لارتباطه بحياة الانسان المسلم

ذلك هو ما عبرت عنه مديرة دار الآثار الاسلامية الشيخة حصة صباح السالم وهي تقول « لا شك أنه مما يبعث على الاعتزاز أن نتلقى هذه المجموعة القيمة من المصاحف الكريمة من بيت القرآن بهدف عرضها وجعلها في متناول الباحثين والدارسين في علوم القرآن الشريف وعلوم اللغة العربية وان استضافة نفائس كريمة من المخطوطات الدينية من هذه المقتنيات لعرضها بين جنبات دار الآثار الاسلامية بالكويت ليزيدنا تشريفاً وتكريماً واعتزازاً ، وذلك لاختياره موقعاً تعرض فيه هذه المخطوطات الشريفة للمرة الأولى وقبل عرضها في بيت القرآن نفسه »

وإذن فلتكن زيارة لبيت القرآن كمركز إسلامي عالمي رائد يشيد في منطقة متميزة على ضفاف الخليج العربي

في بيت القرآن :

وننطلق الى المنامة عاصمة البحرين لؤلؤة الخليج ، وفي منطقة القلب منها ، نقف أمام « بيت

القرآن » .

البناء عبارة عن صرح معماري خرساني شاهق ، أقيم على مساحة واسعة من الأرض أمر بتخصيصها أمير دولة البحرين في موقع ممتاز في أجمل بقعة بالمنطقة الدبلوماسية حيث الوزارات والفنادق والسفارات على الواجهة الخارجية إفريز بارز بعرض البناء ، زين بآيات من كتاب الله ، محفورة بالخط الكوفي في وحدة فنية رائعة ، أساسها البساطة والزخرفة الجمالية الهادفة ، تظهر كلوحات جدارية تكشف عن أسلوب معماري فريد متميز ، قوامه الآيات القرآنية الكريمة التي تتحدث عن ليلة النزول وأول ما أنزل ، بالإضافة إلى آيات شاملة عبرت عن جلال القرآن ومكانته ، واستكملت بأسماء الله الحسنى

متحف الحياة .

المدخل الرئيسي مفتوح على بهو واسع هو القاعة الرئيسية تتوسطها نافورة رائعة ، وإلى يسار القاعة أقيم مسجد ذو جدران دائرية تحيط بالصحن بغير أعمدة ، تعلوه قبة بلورية من الزجاج المعشق الملون غير القابل للكسر ، هذه القبة هي أكبر قبة من ذلك النوع في مساجد الشرق ، يتوسطها لفظ الجلالة ، وحول إفريز القبة الداخلي كتبت الآية الكريمة « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر »

القبة الرئيسية للبهو « خرسانية » تطل عليها مشربيات خشبية حيث توجد عشرون فتحة رباعية الشكل مغطاة بالبللور الملون لتعكس النور حسب الزخرفة الإسلامية ، تتخللها ست لوحات كبيرة لرؤساء مجلس التعاون الخليجي الذين أسهموا في التبرع لبيت القرآن

الفكرة من وراء ذلك التعريف هي أن هذا البيت قد شارك في بنائه كل أهل الخير بما فيهم الرؤساء ، ولهذا فقد وضعت لوحة ضخمة على يسار المدخل الرئيسي سجلت عليها أسماء المتبرعين لإقامة هذا الصرح أما الذين تبرعوا باسم فاعل خير أو فاعلة خير فقد سجل عددهم في آخر القائمة لتأكيد دورهم في المشروع ، بصرف النظر عن أسمائهم إذ آثروا ألا يذكروها عند تبرعهم

عند الواجهة المقابلة للمسجد تبدأ قاعات « متحف الحياة »

التسمية جديدة ، لكنها تعبر عن ارتباط المتحف بحياة الإنسان والصلة الوثيقة بأعظم كتاب عرفته البشرية

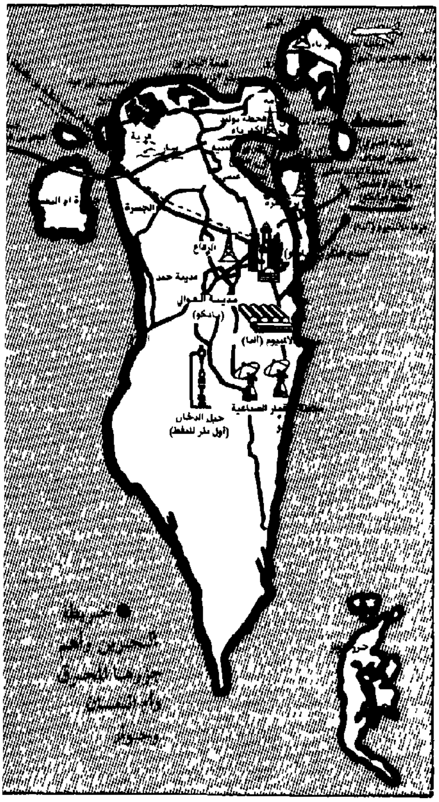

● خريطة البحرين وأهم جزرها المحرق وأم النعسان وحوار

متحف الحياة حيث تعرض نفائس القرآن الكريم يضم ثماني قاعات واسعة كبيرة ، متصلة بممرات مائلة صممت بحيث ينتقل الزائر من قاعة لأخرى بيسر وسهولة واستمرارية دون انقطاع وإذا كانت الصورة النهائية لما يعرض في هذه القاعات لم تستكمل بعد ـ حيث مازال التنفيذ مستمراً حتى تاريخ الافتتاح الرسمي في ديسمبر القادم ـ فلا بد لاستكمال معالم الصورة التي سيكون عليها متحف الحياة أن تمتزج أمام أبصارنا الصورتان الحاضرة والمستقبلية ، وهما تتلاحقان وتتداخلان مع كل خطوة نخطوها بين القاعات الثماني

ونقف وسط القاعة الأولى متأملين ما حولنا إنها مخصصة للعرض الدوري لما سيتلقاه بيت القرآن على

[illegible]

فترات متتابعة من مقتنيات المتاحف العالمية من نفائس المخطوطات القرآنية وفق خطة عرض تحقق الاستمرارية. هنا يمكن التعرف على المخطوطات النادرة المتواجدة في مكتبات ومتاحف العالم، ويستطيع الباحث والدارس الذي يصعب عليه الانتقال إليها في أماكنها المختلفة بأنحاء العالم، أن يطلع عليها ويدرسها في بيت القرآن على ضفاف الخليج العربي.

وننتقل الى القاعة الثانية. هنا تعرض نماذج عديدة من المخطوطات القرآنية بأحجام ومقاسات متباينة. القاعة بمحتوياتها تعطي فكرة شاملة لمخطوطات القرآن الكريم من البلاد الاسلامية الشاسعة من الهند والشرق الآسيوي الى موريتانيا في المغرب الأفريقي والأندلس الاسلامية. فهي تضم نماذج من مختلف العصور التاريخية بالاضافة الى بعض المصاحف النادرة وبعض المصاحف التي خطت بأقلام المشاهير بالاضافة الى بعض الصفحات التي يعود تاريخها الى القرن الأول الهجري، وتبدو بعض المصاحف الصغيرة المثمنة الأضلاع ولا تتعدى مساحة صفحتها سنتمترين، كما أن بعضها كتب على شريط ملفوف من الورق عرضه عشرة سنتيمترات وطول المصحف كله ٢٥٠ سم.

القاعة الثالثة لمتحف الحياة خصصت لتاريخ القرآن منذ عهد الرسول والخلفاء الراشدين، هنا نجد معلومات مبسطة عن تاريخ نزول القرآن وأسماء كتاب الوحي الأربعة والأربعين منهم الخلفاء الأربعة والزبير بن العوام وخالد بن سعيد بن العاص ويزيد ومعاوية ابني أبي سفيان وزيد بن ثابت وعمرو بن العاص، ومن بين المعلومات المعروضة، كيف تم الجمع الأول للقرآن في عهد الرسول، فنعرف أن النبي كان يجمع نفراً من الصحابة لكتابة وتدوين ما أنزل عليه من الآيات، ثم يدل كتاب الوحي لوضعها في موضعها الصحيح من سور القرآن. ونعرف أن القرآن لم يجمع في مصحف موحد متكامل حسبما هو عليه الآن، وإنما بقي محفوظا في القلوب ومسجلاً على مواد الكتابة المعروفة آنذاك كسعف النخل واللخاف من الحجر الرقيق وعظام الأكتاف والأضلاع والرقاع وقطع الأديم.

وتتحدث المعلومات عن الجمع الثاني في عهد الخليفة الصديق أبي بكر، بعد استشهاد عدد من حفظة القرآن في حروب الردة، ثم الجمع الثالث في عهد الخليفة عثمان بن عفان وأسماء الذين شاركوا من الصحابة في تدوينه، حيث عهد الى زيد بن ثابت ومعه عبد الله بن الزبير وسعد بن العاص وعبد الرحمن الحارث بن هشام للقيام بجمع القرآن مستعينين بالصحف التي احتفظت بها أم المؤمنين حفصة بنت عمر.

هنا نتتبع كيف أن عثمان بن عفان اختار زيد بن ثابت لأنه كان من كتاب الوحي، وشهد القراءة الأخيرة وكتبها وقرأها على النبي سنة وفاته، وعرف ترتيب الآيات والسور في القرآن وكتب الصحف للخليفة الصديق. وكان عثمان يراجع ما يكتب أولا بأول. وبعد الانتهاء من النسخ التي طوبقت بعضها ببعض أمر عثمان بإجماع الأمة أن تحرق جميع المخطوطات والصحف التي كانت لدى الصحابة، ولم يبق إلا على الصحف التي أعادها إلى زوج النبي حفصة، ثم أرسلت نسخة واحدة من المصحف بخط زيد بن ثابت الى كل مصر من الأمصار الاسلامية.

تطوير الخط القرآني

يرتبط بتاريخ القرآن ما يعرض في القاعة الرابعة من متحف الحياة. فهنا نجد المخطوطات التي كتبت على الرق من المدينة المنورة ومن العراق وشمال أفريقيا والأندلس، وهي كلها توضح تطور الخط القرآني واستعمال النقاط الدالة على الاعراب. كما تعرض صفحات نادرة من الورق المستعمل لأول مرة لكتابة القرآن عليها.

سيلاحظ الزائر المراحل العديدة التي مرت بها كتابة المصحف الشريف، وأهمها تطوير الخط العربي وتجويده. كما يجد أن المواد التي استعملت في كتابة القرآن قد تغيرت وتطورت في الأبجدية والهجاء، وأدخل التنقيط لفك إعجام الأحرف العربية، كما أدخل الإعراب النحوي على كلمات القرآن الكريم من أجل تسهيل عملية القراءة السليمة والنطق الصحيح بالنسبة للمسلمين الأعاجم الذين دخلوا الاسلام وكانوا يحتاجون الى أن يرتلوه بلغة سليمة. ومن المراحل المهمة التي مرت بها كتابة القرآن إدخال

التحلية الجمالية حيث تفنن في صناعتها الخطاطون المسلمون عبر الزمان

من ملاحظة المخطوطات والزخرفة الجمالية في المصحف كما تتبعناها في القاعة الخامسة مع الدكتور عبد اللطيف كانو ، الذي بذل جهداً رائداً في جمعها من مختلف أنحاء العالم وجعلها نواة لبيت القرآن ، نعرف أن مصاحف عثمان كانت عادية بسيطة لم تدخل عليها الصنعة المجودة ولا الفن المطور ، وإنما كتبت بمداد أسود بغير ألوان ولا زخرفة ولا إعجام ، وقد استعمل الخط المدني البسيط المجرد في كتابتها على صفحات من الورق المصقول ، وكتبت الآيات الكريمة على وجهي الصفحة ، كما تركت الحواشي الفراغية من أطراف الصفحة خالية

ومن استعراض المصاحف في القرن الأول الهجري نجد أنها كتبت بأنواع عديدة من الخط الكوفي وباللون الأسود ، ثم أدخلت عليها نقاط الإعجام بالألوان المختلفة منها الأحمر والأصفر والأخضر وكانت الزخرفة الجمالية محدودة في المصاحف العادية ، وقد استعملت الدوائر والمربعات الصغيرة بزخارف جمالية منوعة وبألوان مختلفة للفصل بين الآيات ، كما استعملت المستطيلات الزخرفية البسيطة بالألوان والتذهيب في بداية السور ، وأدخلت بعض الدوائر الصغيرة المكررة أو المستطيلات المحلاة في آخر سطر من السور لملء الفراغ بين آخر كلمة من السطر والهامش قبل بدء السورة الجديدة وكذلك أدخلت بعض الأشكال الهندسية البسيطة في حواشي الهامش لبعض المصاحف المرتبطة بهذه الفترة

المصاحف المملوكية :

على أن أجمل ما شاهدناه من مخطوطات ومصاحف العصر العباسي ، هو تلك الزخرفة الجمالية التي زخرت بها الصفحات والأغلفة فقد برز التزويق الذهبي الذي زينت به صفحات من القرآن الكريم ،

كما بدت جمالية التنسيق في الكتابة والحواشي والاخراج المبدع الميسر للصفحات القرآنية والتجليد المتميز الفاخر وتبدو الصفحات الأولى والأخيرة من المصاحف مزينة بأنواع مختلفة من الألوان الزاهية الجميلة ، كما ظهرت التحلية الذهبية والزخارف في الهامش أحياناً على شكل دوائر أو مشتركة مع النصوص الكتابية وجودت المصاحف بفواصل مزخرفة للآيات وفواتح السور ، كما أدخلت الزخارف الملونة على أطراف الكتابة في الحواشي

ومن العناصر الأساسية في هذه الزخرفة استعمال الوحدات الهندسية المكونة من الدوائر المتجانسة والمتجاورة والخطوط المتكسرة والمتشابكة بالاضافة الى الأشكال الهندسية المكونة من المثلثات والمربعات والمخمسات والمسدسات كما استعملت النجوم المختلفة والأشكال والزخارف النباتية

من أبرز المصاحف التي تعرض في قاعة الزخارف الجمالية مصاحف مملوكية مكتوبة بخط النسخ الكبير الواضح ذي الزخرفة الفنية والهندسية والوحدات النباتية والأشكال الزخرفية ملونة بالألوان الزرقاء المنسجمة مع الألوان الأخرى المموهة بالذهب كما شهدنا مصاحف مكتوبة كلها بماء الذهب ، بينما تتكون مصاحف أخرى من أسطر مختلفة الألوان ، تبدأ الصفحة بسطر كتب باللون الأزرق يليه سطر كتب بماء الذهب ويليهما سطر كتب باللون الأحمر ثم تكرر العملية الثلاثية من الأسطر الى أن تنتهي الصفحة بعض صفحات المخطوطات المملوكية تبدأ وتنتهي بخط كبير جداً ثم تكتب بقية أسطر الصفحة بالخط المعتاد

وننتقل الى القاعة السادسة فنجدها محجوزة لعرض تراجم مختلفة لمعاني القرآن الكريم باللغات الأجنبية ، وتحتوي على أول تراجم لمعاني القرآن إلى بعض اللغات الأوروبية أما القاعة السابعة فمخصصة لعرض نماذج مختلفة للقرآن الكريم المطبوع بعد أن أدخلت آلات الطباعة في البلاد الاسلامية وتاريخ الطباعة المرتبطة بالقرآن الكريم وهنا توجد نماذج توضح تطور أسلوب طباعته ابتداء من الكتابة باليد والطباعة بالحجر حتى الطباعة بأحدث الأساليب التقنية

أما القاعة الثامنة فعبارة عن قاعة جامعة شاملة لأدوات الكتابة المستعملة في كتابة القرآن الكريم على مر العصور . كما تعرض نماذج لمواد مختلفة كتبت عليها الآيات القرآنية ، بالاضافة الى لوحات من الفنون التشكيلية الحديثة المرتبطة بتشكيل متناسق معبر من الآيات القرآنية الكريمة

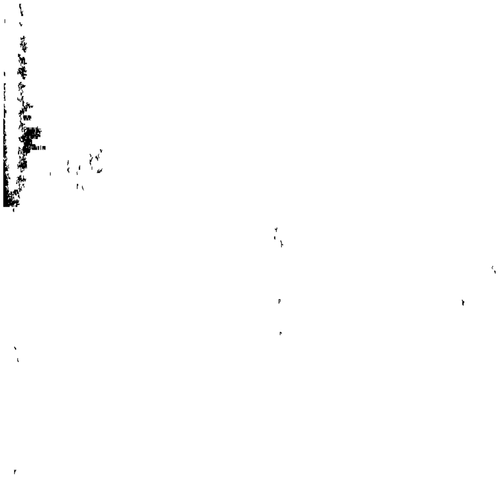

● مصحف نادر من الحجم الصغير مزخرف بالحلية الجمالية بالألوان المذهبة (أعلى) والصورة السفلى مركز أحمد الفاتح والمسجد الكبير المرتكز الثاني للمثلث الحضاري

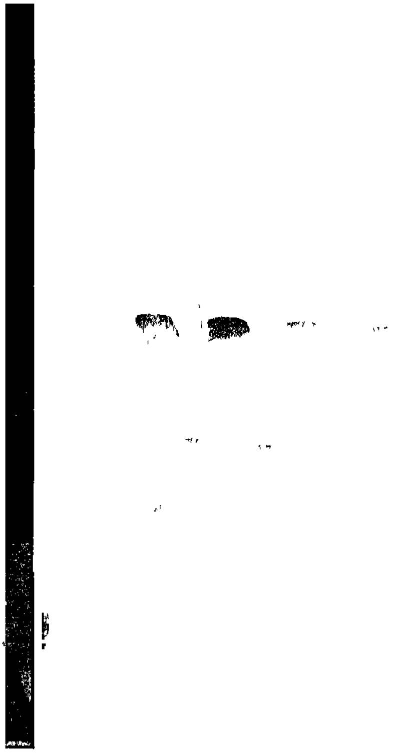

● البهو الكبير لبيت القرآن في مرحلة التشييد الاخيرة بقاعته الرئيسية التي تتوسطها نافورة ، وتبدو شرفات الطابقين الثاني والثالث حيث تتواصل قاعات متحف الحياة (الصورة اليمنى أعلى) والى يسارها الدكتور كانو ومئذنة المسجد التى شيدت على نمط مئذنة مسجد الخميس أما الصورة التى الى اليمين فهي لمدخل جسر الملك فهد حيث شريان الحياة الجديد بين البحرين والسعودية

حول المعروضات التي سيشهدها الزائر في القاعات الثلاث الأخيرة يقول الدكتور كاسو وهو يستعرضها معنا -

« منذ إدخال فن التذهيب والزخرفة الجمالية فإن الصفحتين الأولى والثانية كانتا تخرجان في أجمل ثوب من زخرفة وفن وجمال أما بدايات السور فتكون عادة داخل مستطيل محلي بأشكال هندسية رائعة ويترك فراغ في وسط هذا المستطيل ليكتب فيه اسم السورة بخط مختلف عن خط الكتابة المستعملة في المصحف وفي حالات كثيرة من المصاحف نرى أواخر الصفحات محلاة ومذهبة ومزينة بالألوان والأشكال الهندسية وترون هنا بعض المصاحف الهندية والفارسية وقد أدخلت الزخرفة الجمالية على الصفحتين اللتين تحتويان على بداية سورة الإسراء كما أن بعض الزخارف مرتبطة في بعض المصاحف بالأجزاء الثلاثين ، فكل جزء منها محلى بأجمل أنواع الزخرفة في حواشي كل جزء »

مبنى بيت القرآن لا يقتصر على المسجد والبهو الكبير وقاعات الحياة فحسب فحين نصعد الى الطابق الأعلى نجد أننا أمام مؤسسة علمية دينية ثقافية جمعت بين الدين والعلم والثقافة في مؤسسة واحدة ، شيدت لتكون ملتقى للدارسين والباحثين حتى تتوافر السبل والوسائل للبحث والاطلاع والمعرفة

ففي هذا الطابق الأعلى نجد أنفسنا في قاعة المكتبة الاسلامية الجامعة ، وحولها فصول مدرسة لتحفيظ القرآن ، وقاعة للمؤتمرات والمحاضرات

المكتبة يحفظ بها حوالي أربعين ألف مجلد بالاضافة الى الوثائق والمراجع الدينية ، وهي بثلاث لغات العربية والانجليزية والفرنسية

وأما المدرسة فستقام فيها حلقات المواعظ والارشاد للمسلمين في البلاد ، لتعريفهم بأمور الدنيا والدين وفق الأسس الاسلامية الصحيحة ، بالاضافة الى تحفيظ القرآن وتعليم الكبار والأطفال الصغار ترتيل القرآن وتجويده

وأما قاعة المؤتمرات والمحاضرات فسيدعى لالقاء المحاضرات فيها والمشاركة في ندواتها والاسهام في مؤتمراتها ، أصحاب الفكر والرأي والعلم من مختلف أنحاء الوطن العربي والعالم الاسلامي وتطل على المبنى كله مئذنة المسجد ، وقد أقيمت على هيئة منارتي مسجد الخميس ، تأكيداً لأصالة البحرين وعراقتها في عالم الاسلام وهو بعض ما قصد من إنشاء بيت القرآن

تبرعات وأمل في المزيد

ولكن لماذا بيت القرآن ، وما هي الفكرة وراء إنشائه ؟

ونسمع الاجابة

اهتم المسلمون على مختلف العصور بالمصحف الشريف ، وكانت طريقة كتابته وزخرفته وتجليده تدل على روعة ما أبدعه الفنانون المسلمون وما حققوه من إبحار في فنون الزخرفة الجمالية والخط العربي من بين هذه الابحارات مصاحف كتبت بخطوط مجودة وجلدت بدقة وإبداع ، حقق بعضها الرقم القياسي في كبر الحجم ، وبعضها في صغره هذه الكنوز الأثرية التي تجمعت عبر القرون وكتبت بخط أعظم الخطاطين وزخرفت بأزهى ما يمكن إبداعه من ألوان الزخرفة ، كانت عرضة لعوامل الزمن وسوء الحفظ ورداءة التخزين ، وتآكل بعضها وبليت صفحاتها وبهتت طباعتها ، كما تناثر ما بقي منها بين متاحف العالم ودور الفنون وبعض البيوتات القديمة والمكتبات الخاصة ، ومن أجل الحفاظ عليها وإحياء مخطوطاتها وجمعها وحصرها ، كان لا بد من إعداد المكان اللائق المناسب القريب من الناس لعرض هذه المصاحف التي حاولنا تتبعها في أماكن تواجدها واستطعنا أن نقتني الكثير منها

من هنا كان مشروع إنشاء بيت القرآن ليكون متحفاً لعرض نفائس المخطوطات القرآنية وقاعدة للبحث والدراسة وهو في ذلك يختلف شكلاً ومضموناً عن دور الحكمة ومراكز العلم والتجمعات الحضارية المماثلة ، لمعاصرته الحضارية الحديثة ومتطلباتها وإفرازاتها العلمية ، مع محافظته فكراً وروحاً على نتاج المجتمعات الاسلامية بمختلف عصورها

ونسأل عن التكاليف ، وقيمة التبرعات ، ونسمع الجواب

بيت القرآن مشروع أهلي خيري يقوم تنفيذه على التبرعات من أهل الخير والبر والهيئات والمؤسسات في الأقطار العربية والاسلامية التكاليف الاجمالية

بلغت حوالي ثلاثة ملايين وخمسمائة ألف دينار بحريني ، ما زال متبقياً منها ربع مليون دينار لاستكمال المرحلة الأخيرة من الانشاءات وأجهزة العرض ، بعد أن أصبح البيت حقيقة واقعة يقوم على إدارته مجلس أمناء يضم عدداً من الشخصيات الاسلامية المعروفة ويجري افتتاح بيت القرآن رسمياً في ديسمبر من العام الحالي

من أجل استكمال جمع المبالغ المتبقية أصدرت اللجنة التنفيذية شهادات ذهبية تقدم للمتبرع بمبلغ ألف دينار ، وأخرى فضية للمتبرع بخمسمائة دينار ، وتقديرية لمن يتبرع بمائتين وخمسين ديناراً

وليس أروع من أن نقرأ بعض نماذج الرسائل التي تحمل تبرعات أخرى مهما قلت قيمتها ، من بين هذه النماذج رسالة من طالبة في الصف الثالث الابتدائي بالبحرين تقول فيها «أنا طفلة أبلغ من العمر ثماني سنوات ، أتبرع بهذا المبلغ من مصروفي وأرجو أن تقبلوه مني رغم معرفتي أنه أقل من القليل» ونموذج آخر من بنات مدرسة في سلطنة عمان يقول «يسرنا أن نقدم هذا المبلغ البسيط مشاركة منا في بناء بيت القرآن ، حتى ولو كان اسهامنا يكفي لحجر واحد أو حجرين» ونموذج ثالث من فنانة تشكيلية من القاهرة «أتشرف بأن أهدي بيت القرآن لوحة من أعمالي تكون رمزاً لعظمة حضارتنا الاسلامية ، وإني على استعداد لإقامة معرض كامل لأعمالي في هذا المشروع العظيم يخصص إيراده لبيت القرآن»

أما النموذج الرابع فهي رسالة تقول «أتقدم اليكم برسالتي هذه نيابة عن ابنتي البالغة من العمر أربع سنوات ، فقد كانت تسمع حديثي مع والدتها عن بيت القرآن ، فقامت وأحضرت كل ما كان مدخراً في حصالتها وأعطته لي لاهدائه للمشروع»

مثلث حضاري .

العلاقة بين الدين والدنيا وثيقة لا انفصام لها ، وحياة الانسان على هذه الأرض دين ودنيا ساعة منها لربه وساعة لقلبه

وهنا في البحرين لن تجد صعوبة في مواصلة الحياة ديناً ودنيا تسبح في آفاق روحانية رحبة ، تماماً كما تنعم بمتعة النفس وإشراقة الحياة لهذا لم نحس غرابة ونحن ننتقل في جولتنا من بيت القرآن لنغوص في معالم السياحة بين حنايا جنة دلمون !

بدأنا طريقنا من رأس المثلث الحضاري في بيت القرآن الى المرتكزين الآخرين حيث مركز أحمد الفاتح والمتحف الوطني الكبير . فالرؤوس الثلاثة تجمع بين الأصالة والمعاصرة ، وتشكل وجهاً مشرقاً تطل منه البحرين بحضارتها وتاريخها وتطلعاتها ومستقبلها ، وإذا كان بيت القرآن مرتكزاً رائداً بفكرته الحضارية المتقدمة ، فعلى رأس المرتكز الثاني يقع مركز أحمد الفاتح في منطقة الجفير على مساحة تبلغ حوالي ٢٠ ألف متر مربع المركز يضم مسجد الدولة الكبير الذي يستوعب حوالي سبعة آلاف من المصلين رجالا ونساء ، وهو تحفة معمارية على النمط التقليدي استخدمت في إنشائه كل وسائل التقنية الحديثة ، كما يضم بين أنحائه معهداً دينياً ومكتبة إسلامية جامعة وسكناً داخلياً للدارسين وعدداً كبيرا من قاعات الدرس

أما المركز الثالث فيقوم عليه المتحف الوطني الجديد الذي يتم افتتاحه في أواخر هذا العام وقد روعي في تصميمه أن يكون داراً حضارية على مستوى متميز من التقدم العلمي والفني والثقافي ، ليصبح منارة للتاريخ والآثار على أحدث طراز وهو يتكون من قاعات عديدة لعرض ما تزخر به البحرين من آثار ومعالم ووثائق ومستندات تاريخية منذ التاريخ الدلموني الى الحضارة الاسلامية وتم تجهيز المتحف لعرض نماذج متعددة للمراكب الشراعية في بحيرة أعدت خصيصاً لهذا العرض ، بالاضافة الى إبراز الفنون والتقاليد في الماضي والحاضر ليتعرف أبناء البحرين وزوارها على معالم الحياة الاجتماعية وكيف تجري مسيرة الانسان على هذه الأرض الطيبة في حياة كل يوم

وننطلق مع دنيا الناس بين مجالي البحرين في بدايات عصر ما بعد الجسر

وهل أروع من عصر تحققت معه وحدة حقيقية تنفيذية إيجابية راسخة توثق الصلة بين قطرين عربيين ؟ أليس هذا ما فعله جسر الملك فهد الذي أقام طريقاً برياً صلباً بين جزيرة البحرين وأرض السعودية الأم ، والذي يحتفل بعد شهرين بعيد ميلاده الأول ؟

● مقـومـا
السياحه العائلية متعد
الحـوابـب ، والمـا
التـرفيهـة متشـرة
الحدائق حصرة و
وحمال ومعالم تار
اـرها مـارتـا مسح
الحـميس ومحـمي
العريس حيث رعا
الحيوانات النادرة ا
كـادت تـــدثـر م
الصحـراء واصـحـ
ـعــاں مــں حـ
الانقراص

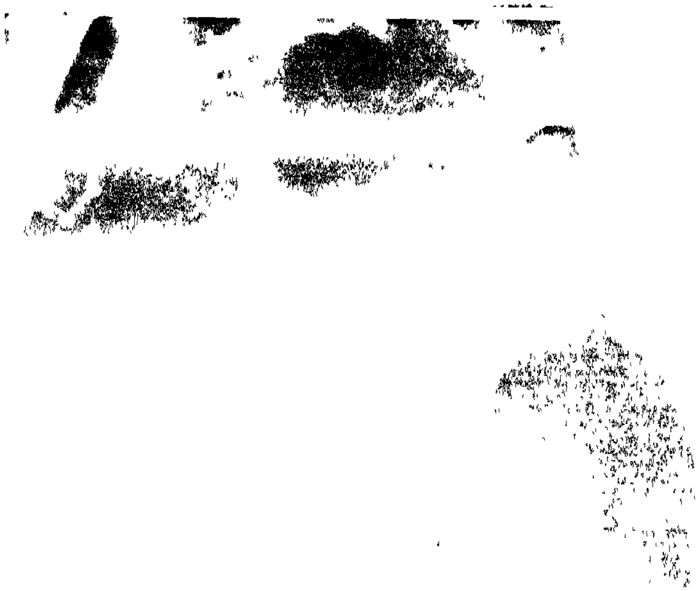

الحديث عن الجسر وقيامه وأهدافه ليس جديدا[1] ، لكن المهم الآن هو أن جسر الأمل والحياة الممتد مسافة ٢٥كم استطاع أن يتعدى أكثر التوقعات تفاؤلا للدعم الاقتصادي والتنمية الاجتماعية الى جانب العمل على ازدهار الحركة السياحية في البحرين وبمنطق الأرقام نجد أن أكثر من أربعة ملايين شخص قد زاروا البحرين على مدى عشرة شهور منذ أول ديسمبر الماضي مع تشغيل الجسر ، بما في ذلك أفواج السياح من دول مجلس التعاون ، ويكفي أن نشير الى بعض الأمثلة من إحصائيات إدارة الهجرة والجوازات في البحرين فقد سجل شهر يناير أعلى نسبة عبور إذ بلغ عدد العابرين من الاتجاهين ٥٤١١٦٦ شخصا وبلغ عدد السعوديين والكويتيين والبحرينيين الذين عبروا الجسر خلال شهور يناير وفبراير ومارس وابريل ١٫٧٤٠٢٢٣ شخصا ، كما بلغ عددهم في ابريل وحده ٤٢١٨٤٢ شخصاً وهكذا كان للجسر أثر كبير فيما تحقق من دعم تصب روافده في مصب الناتج المحلي والدخل القومي ، بالاضافة الى تعزيز مكانة البحرين حضاريا ، وتوثيق الصلات بينها وبين باقي دول مجلس التعاون ، بل بينها وبين دول العالم برا ، كل ذلك يضاف الى ما حققه الجسر من تنشيط الحركة السياحية والتعرف على معالم البحرين وتاريخها بين الماضي والحاضر

وزير الاعلام والسياحة العائلية

قبل أن ندور بين المعالم السياحية ونتعرف على مشروعاتها المستقبلية نلتقي وزير الاعلام السيد طارق المؤيد ، ونسمع منه الكثير

تتجه اهتماماتنا في الحقيقة الى تنمية السياحة الخليجية ، لأننا نعرف أن أكبر ما تملكه البحرين هو محبة أبناء الخليج ، وقد لاحظنا بصفة خاصة بعد افتتاح الجسر أن هذا النوع من السياحة يتجه في الاتجاه الصحيح ، وهو السياحة العائلية ، وهو ما كنا نطمح اليه منذ بدأنا التفكير في التنشيط السياحي لقد أثبتت الأيام أن الكثيرين ممن يأتون الى البحرين يجدون أن ترافقهم عائلاتهم وأطفالهم ليتمتعوا بالمرافق السياحية التي أقيمت ، سواء لأهالي البحرين أو للقادمين من أبناء الخليج ، ومنها الحدائق العامة وملاعب الأطفال والحدائق الترفيهية ونحن نرحب بذلك لأننا نعتقد بأن السياحة لها مردود سياسي على المدى البعيد ، فهي تقرب بين أبناء المنطقة وتزيد تلاحمهم وتقوي رغبتهم في المحافظة على المكتسبات الأمنية والاقتصادية والاجتماعية

سعينا كذلك للسياحة العائلية ينطلق من اهتمامنا بمجلس التعاون الخليجي ، فهو قوة سياسية وإرادة جماهيرية ، وتلاحم الدول يسبقه دائما تلاحم الشعوب وحين يأتي الخليجي للزيارة أو السياحة ويجد الترحيب الكبير والاستعداد الصدقي الجيد ، ويتمتع بالأمن والاطمئنان ، ولا يجد أي معوقات أو منغصات تتعلق بالعادات والتقاليد الخليجية ، فلا شك أن ذلك سيكون عاملا مشجعا على مزيد من التلاحم بين أبناء المنطقة

إننا نتمنى أن تكون هناك مشاريع سياحية مشتركة بين البحرين والرأسمال العربي والخليجي ولدينا عدد من الطلبات لانشاء بعض المرافق السياحية تدرسها إدارة السياحة ، وهي كلها تستهدف استمرار تدفق إخواننا أبناء الخليج للبحرين في العطلات الرسمية والأعياد القومية ونجري دراسة أخرى لاقرار أسعار مخفضة خلال تلك الأعياد

وإذا كان لنا انتقاد فإنه لشركات الطيران التي لم تواكب الرغبة الشعبية والقيادية من أجل مزيد من التلاحم ، فأسعار التذاكر ما زالت مرتفعة وعدد الرحلات لا يتناسب مع الرغبة في زيادة عدد الزائرين ، ونعتقد أن تفكير الشركات من منطلق تجاري بحت لم يكن موفقاً ، لأن الأيام أثبتت بعد افتتاح الجسر أن هناك رغبة كبيرة في زيارة البحرين ، على سبيل المثال من المنطقة الشرقية في السعودية ومن الكويت ، وتجاوزت الأرقام عشرات الآلاف وفي الأعياد الرسمية أصبحنا نتكلم عن عشرين و ٣٠ ألفاً ، جاء الى البحرين في عيد الفطر حوالي ٦٠ ألف زائر ، هذه الأعداد كان يمكن الوصول الى أضعافها لو تدنت الأسعار وخصصت ترتيبات خاصة وأنا أعتقد باستمرار أنه إذا زادت الرحلات الجوية وقلت الأسعار فسيزداد عدد الركاب بما يعوض شركات الطيران

---

[1] راجع عدد العربي ٣٣٧ ديسمبر ١٩٨٦ استطلاع « البحرين بين أصالة الأمس واشراقة الغد »

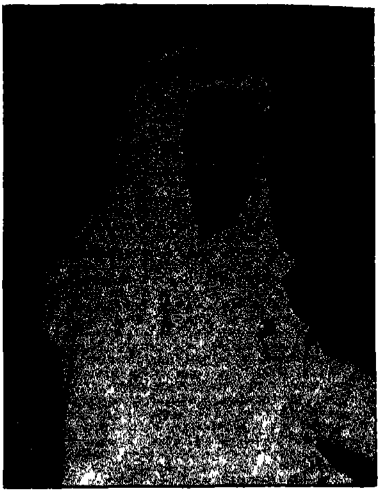

وزير الاعلام السيد طارق عبد الرحمن المؤيد

إننا نعمل للتوسع في مرافق التنشيط السياحي ، وإن كنا في الواقع نقيمها لأبناء البحرين أولا وعلى سبيل المثال فحين يفتتح المتحف الوطني قريبا فسوف يكون أكبر مرفق سياحي لأبناء الخليج الذين يهمهم أن يتعرفوا على التراث والتاريخ والحضارة في منطقتهم كذلك بالنسبة لمركز التراث فأبناء الخليج يزورونه لأنه من صميم المجتمع الخليجي ومن صميم العادات والتقاليد والربط بين الماضي والحاضر وهو نفس الشيء بالنسبة لترميم القلاع والآثار الأخرى مثل مسجد الخميس ، ولأن المرافق السياحية تعتمد أساساً على تشجيع أبناء الخليج فإننا نشجع أبناءنا على العمل في هذا المجال

ومركز التدريب الفندقي نسعى من خلاله الى أن تتحول جميع المرافق السياحية إلى مرافق تديرها أياد بحرينية ، حيث أقيم المركز نتيجة لانتشار صناعة الفندقة ، وقيام عدد كبير من الفنادق في البحرين ، وحاجة هذه الكمية الى أعداد متزايدة من العاملين المتدربين تدريباً أكاديمياً وعلمياً على صناعة الفندقة .

بالاضافة الى ذلك فإننا نسعى الى أن تكون السياحة نفسها هدفاً ثقافياً واجتماعياً مثلما يكون لها هدف ومردود مادي إن ما نسعى اليه هو استمرار عطاء المحبة بين أبناء البحرين وإخوانهم في المملكة والكويت وكل أقطار الخليج من خلال السياحة العائلية في هذا البلد المضياف

إنجازات سياحية

في كثير من الأحيان يستغرب بعضهم الحديث عن السياحة في البحرين ، ويقولون أنها لا تملك من مقومات السياحة إلا قلعتي عراد والبحرين

وقد نسي هؤلاء ـ وهو ما شهدناه بالفعل وأكده لنا أيضاً الشيخ راشد الخليفة مدير إدارة السياحة ـ أن مقومات السياحة متعددة في كثير من الجوانب التي يمكن تطويرها واستثمارها وتنويعها وليس شرطاً وجود عشرات القلاع والمتاحف والأماكن الأثرية ، لكن الشرط هو أن تكون هناك عقول تتعمق وتستكشف وتستنهض وترصد إمكانيات البحرين السياحية وتستغلها من خلال مشاريع وأنظمة سياحية تصب روافدها في مصب الناتج المحلي والدخل القومي مادياً ، وتبرز مكانة البحرين وتعززها حضارياً بعد اتصال هذا البلد بباقي دول مجلس التعاون وباقي دول العالم براً عبر جسر الملك فهد

وقد كان من الانجازات السياحية إنشاء المجلس الأعلى للسياحة سنة ١٩٨٥ برئاسة وزير الاعلام ، فكان من الركائز الأساسية للاهتمام بالسياحة وتطويرها من خلال رسم السياسات ووضع الخطوط العامة التي تنهض عليها ، وقد تم بالفعل تنفيذ مجموعة من الانجازات مثل تحديد أسعار الفنادق وإنهاء حرب الأسعار والضوابط التي اتخذت لتأجير الشقق المفروشة كما أن شركة المشاريع السياحية تواصل نشاطها لوضع الخطط التي تضمن التمويل اللازم عبر استقطاب المستثمرين لإقامة مشاريع سياحية ، وتقوم بتطوير المرافق المختلفة وزيادة الخدمات والمرافق المتاحة عملاً على تشجيع السياحة وتقديم أفضل الخدمات

وهناك مشاريع سياحية عملاقة مثل مشروع ساحل السنابس الذي خطط له ليكون قريباً من المدينة . شاطيء السنابس يتسع بعد إنجازه لأكثر من ٣٥٠٠ شخص بخدماته المختلفة ، وسيكون هناك شاطيء خاص للسياح الأجانب بينما الشاطيء الرئيسي سيكون للخليجيين والعرب حفاظاً على التقاليد والعادات وعلى التراث الفكرة هنا أن الخليجيين الذين يتفقون معنا في العادات والتقاليد

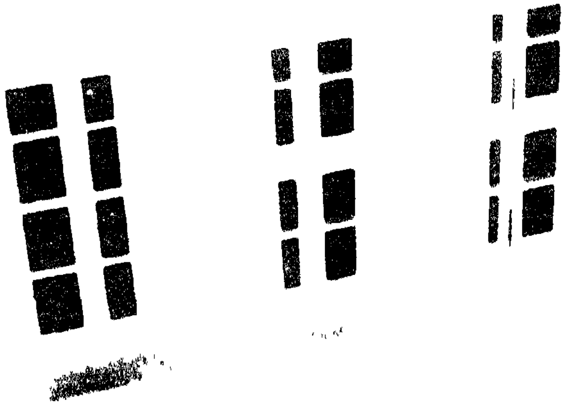

المكان الذي يرتاحون فيه ، أما الاحباب فلهم
كانهم الذي يتمتعون فيه وقد بدأ العمل فيه
، وخلال عام من الآن سيكون شاطيء
ن كامل التجهير والاعداد

اب هدا فقد تم تخطيط المنطقة كلها لإقامة
فيهية وخدمات أخرى تخدم السياحة ، من بين
لخدمات مشروع لتحويل ميناء المنامة القديم
كز سياحي بإنشاء بعض المطاعم المتخصصة ،
ن هناك سوق تباع فيه الصناعات التقليدية
عادة من هدا المرفأ الذي كان يستخدم للسفن
ات التي كانت تنقل الركاب بين البحرين
لىء السعودي ، وبعد إنشاء الجسر وتعطل
العاملين على هده السفن ، رؤى أن يعطوا
ي هدا الموقع الجميل ويمنحوا حياما كفرصة
، فيكون هناك رحلات بحرية للسياح
ر ، والاستمتاع بالبحر وسعر عادي جدا
تاع بالرحلات والأكلات البحرية

ك مشروع اخر لإحياء عمليات صيد اللؤلؤ ،
ستوضع في مياه الخليج المقابل لهده المنطقة
، وينزل الهواة لصيد اللؤلؤ كما كان يحدث في
م الفكرة من دلك أن تكون غوصا حيا
اعا لمن يجيدون الغوص لكنهم بالطبع
دمون الوسائل الحديثة ، وسيكون هناك
يصنع الأشياء التقليدية كالخبز ودهن العود
ب والحلوى المشهورة في البحرين يضاف الى
إنشاء مطاعم بحرية متخصصة على طول
يء الممتد على شارع الملك فيصل بوسط
، كما يتم الاعداد لتنظيم جولات يومية منتظمة
وبرية وقد بدأت إدارة السياحة في عمل
، لتوجيه السياح وزوار الأماكن السياحية
ة الأثرية المختلفة ، كما تصدر إدارة السياحة
مجلة سياحية جديدة تتحدث عن الأماكن
ية والخدمات السياحية المختلفة

لاع وآثار :

، من أبرز ما يتجه اليه الاهتمام هو العمل بكل
ميم القلاع والبيوت الأثرية على سبيل المثال

لجنة فنية وعلمية تصل الى البحرين خلال هدا
(أكتوبر) من هيئة الآثار المصرية برئاسة مدير

عام الترميم المعماري لتحديد المواصفات الأثرية وكميات الأعمال المطلوبة لإعادة بناء وترميم قلعة البحرين التاريخية ولن تقتصر أعمال اللجنة على الترميم فقط بل ستقوم أيضا بإجراء حفائر وأبحاث داخل وخارج أرض القلعة للتعرف على الثقافات والحضارات التي مرت بالبحرين

لكن مادا عن هده القلعة الأثرية التي يقصدها كل من يزور البحرين والتي جعلناها بداية لتحركنا لمشاهدة معالمها السياحية القديمة والجديدة ؟

قلعة البحرين تقع في الطرف الشمالي من الجزيرة على بعد ثلاثة أميال من مدينة المنامة ، وقد بنيت على أنقاض قلعة إسلامية من القرن السادس عشر بواسطة البرتغاليين عند احتلالهم البحرين ، وقد أقيمت على هضبة من الأرض تغطي مساحة أربعين هكتارا تقريبا وتطل الى مبنى القلعة الضخم بأبراجها الكبيرة والخندق الذي يحيط بها من جميع الجهات ، ويعرف أن المنقبين عثروا تحتها على آثار تكشف عن سبعة مستويات حضارية ، وبقايا مدن ازدهرت فيها حضارة دلمون قبل الاف السنين إحدى هده المدن التي تقع تحت القلعة تتكون من بيوت صغيرة دمرها الملك سرجون الأكادي وقام بإحراقها عام ٢٣٠٠ ق م أما المدن الأخرى فتلقى الضوء على تاريخ البحرين القديم في العصور التالية وتشمخ القلعة فوق الهضبة مطلة على البحر في منطقة مفتوحة وقد تناثرت الحدائق والبساتين الممتدة على الساحل يمينا ويسارا

على أن قلعة البحرين ليست الأثر الكبير الوحيد في هده المنطقة فغير بعيد منها نقف عند لوحة مكتوب عليها « معبد بربار » المعبد بني على ثلاث مراحل استغرقت حوالي ألف سنة ، أما عمره فيصل الى حوالي خمسة آلاف سنة ومازال توجد فيه بقايا مذبحين لنحر القرابين التي تقدم للآلهة وهما مبنيان من الحجارة على شكل دائري وفوق درج منحوت نصل الى المعبد العلوي الذي ينحدر حتى يصل الى النبع المقدس الذي ما زالت المياه تملؤه حتى اليوم وقد عثر بين أطلال المعبد على أدوات نحاسية وأسلحة ومشبك دهبي للشعر ورأس ثور من النحاس وكميات كبيرة من الفخار موجودة كلها الآن في المتحف الوطني

قلعة عراد .

أكثر القلاع الأثرية أهمية الآن هي قلعة عراد التي تقع بين شبه جزيرة المحرق ومدينة المحرق وتشرف على مضيقها بناء هذه القلعة تاريخي قديم ، غير أن الهيكل الذي يقوم الآن والذي جرى ترميمه ليبدو في صورته الحالية يعود بناؤه الى العمانيين الذين شيدوه أثناء الاحتلال العماني القصير حوالي عام ١٨٠٠م

وفي لقائنا مع الدكتورة الشيخة هيا آل خليفة الوكيل المساعد لوزارة الاعلام لشئون الآثار والتي قامت بالتنقيبات الأثرية الأخيرة لقلعة عراد قالت لنا « ان القلعة لم تكن في الأصل قلعة عمانية ولكن العمانيين أقاموها داخل جدران قلعة برتغالية محكمة التشييد ذات جدران وحصون وزوايا تفصل بينها مسافة تحتوي على بعض المباني التي زالت اليوم وكان البرتغاليون قد أقاموها على بقايا حصن بناه سكان الجزيرة حوالي ١٥٣٠م لحماية جزيرتهم ومياههم وسفن الصيد والتجارة التي كانت مصدر رزقهم ويبدو أنها عندما أقيمت كان ذلك على أرض جزيرة صغيرة قرب جزيرة المحرق ، ولكنها أصبحت الآن جزءاً من هذه الجزيرة بعد أعمال الرديم التي ردمت الخليج الضيق الذي كان يفصلها

الحديث مع الدكتورة هيا حول آثار البحرين وقلاعها دار معها حين التقيناها في مبنى المتحف الوطني القديم ، حيث شاهدنا بعض المعروضات التي عثر عليها من خلال عمليات التنقيب التي أسهمت فيها بجهد كبير ، وتشتمل على سكاكين ومكاشط يعود تاريخها الى ما قبل ٤٠ ألف سنة أي أواسط العصر الحجري وكل ما بالمتحف من معروضات أثرية يلقي أضواء تكشف المراحل الثقافية من تاريخ دلمون وهو الاسم الذي عرفت به البحرين في العصور القديمة فهناك أختام فخارية تمثل بعض الحيوانات وأختام من الحجر الصابوني وأزاميل نحاسية ورؤوس رماح تمثل مراحل تاريخية اصطلح على تسميتها بدلمون القديمة (٢٦٠٠ ـ ١٢٠٠ ق م) وآثار تمثل دلمون الوسطى (١٩٠٠ ـ ١٢٠٠ ق م) وآثار تمثل دلمون الأخيرة (١٢٠٠ ـ ٥٠٠ ق م) وديلموس (٣٣٠ ق.م) ثم بعد ظهور الاسلام (٦٢٢م) وتظهر تلك الآثار أنماطاً متباينة من حياة شعوب كثيرة وأحداث تاريخية شهدتها هذه الجزيرة ، ويتضح من تلك الآثار أن البحرين كانت منذ القدم مركزاً تجارياً هاماً وحلقة اتصال وتفاعل بين حضارات وادي السند وبلاد الرافدين

بيوت أثرية

الآثار القديمة المعروفة في التاريخ ليست هي كل شيء فهناك آثار حديثة تجتذب انتباه الراغبين في السياحة الخليجية العائلية في البحرين وخاصة في المحرق التي ما زالت تحتفظ بطابعها البحريني الأصيل في العمارة

تعال بنا نزور بيت الشيخ عيسى بن علي آل خليفة ، الجد الأكبر لأمير البحرين الحالي ، ويرجع تاريخه الى أواخر القرن الثامن عشر ، وهو نموذج أصيل من نماذج العمارة البحرينية

أبرز ما في البيت برج هوائي مرتفع يفتح من الداخل عن طريق نوافذ خشبية ليدخل الهواء الى الحجرة ، كما يمتاز بأقواس فريدة على شكل حدوة حصان وسلة وسيف مع وجود زخارف شريطية ذات وحدات متناظرة وبخاصة غرف الطابق الثاني والمبنى يتكون من ثلاثة أحواش كل حوش ينفصل عن الآخر بمرافق البيت ، ويتكون الطابق الأول من عشر غرف أما الطابق العلوي فمن ست غرف

غير بعيد من بيت الشيخ عيسى ندخل بيتاً آخر من أبرز المعالم الأثرية في المحرق إنه « بيت سيادي » أحد أشهر تجار اللؤلؤ والذي بناه لعائلته ويشتهر بمجلسه الرائع وشكله الخاص المميز ودواوينه ودهليز وحوش صغير وسطح يحيط بباد كير صغير ومن بين الغرف التي يحتويها غرفة كبيرة لها طابع خاص من ناحية الجمال والتلوين والزخرفة وقد بني البيت من دورين وبه ثلاثة أقسام مميزة ، قسم به حجرة نوم كبيرة وقسم مخصص للحريم والثالث مخصص للرجال أسقف الغرف تبدو عليها ملامح الزخارف المميزة لا سيما غرفة الضيوف الواقعة على اليمين من المدخل بسقفها الجميل ذي الدعامات الأفقية المطلية بألوان زاهية ، والزخرفة المنقوشة ع الأبواب . أما الغرف العلوية فقد غلفت جدر

ـوافذ حشبية يوحد في أعلاها نصف دائرة من لرحاج الملون

هذا المنزل الأثري أعاد متحف الحرين ترميمه عام ١٩٧٤ للحفاظ على طابعه الشعبي

ركز التراث

الحفاظ على الطابع الشعبي الحريبي يجد اهتماما كبيرا يدل عليه مركز التراث الدي بروره في المامة ، والدي أقيم في المبى القديم للمحاكم القاعات شتمل على عروض العوص واستحراج اللؤلؤ واستحدام الصقور في الصيد ، كما تعرض نمادح محتارة من الآلات الموسيقية التقليدية ، والآلات لبسيطة التي يستحدمها البحار ، وأنواع من الطبول والدفوف ، كما تعرض نمادح من الأشغال اليدوية من شحار النحيل بالإضافة الى رسوم ولوحات زيتية محلية وصور فوتوعرافية تاريخية تواكب تاريخ تطور لبحرين عبر الأزمان

هنا نحد نمادح من الأبواب البحرينية القديمة عليها نقوش ورحارف تمثل الفن الشعبي الأصيل ، كما عرض نمادح من السفن البحرينية وسفن العوص ونمادح للعواصين والسيوب أثناء عملية العوص مع عرض للملابس والأدوات المحتلفة التي يستحدمها لعيص في عمله

في بعض قاعات المركز في الطابق العلوي تعرض لأرياء القديمة والملابس التي ترتديها النساء والفتيات والأرياء التي يرتديها الرجال في مختلف المناسبات كما تعرض نمادح لغرفة العروس (الفرشة) وما تحتوي عليه من مرايا على الحائط وسرير قديم وصندوق الملابس وعير دلك من لوازم العروس

ولعل مسجد الخميس من أبرز المعالم الأثرية في لمامة فعلى طريق العوالي نلتقي بأحد أشهر معالم لبحرين الاسلامية وهو مسجد الخميس إنه أقدم ناء إسلامي ، ليس في البحرين وحدها بل في جميع قطار الخليج العربي . وتكمن أهمية هدا المسجد في ـة بنائه من الأعمدة الثقيلة والأحجار الكبيرة ـحوتة وشكل مئذنتيه التوأمتين اللتين أدخلت ـهما الترميمات والتجديدات والروايات المحلية ـر أن المسجد بني أيام الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز عام ٦٩٢ ميلادية ، وإن كان بعضهم يقول أنه أقيم في نفس المكان الدي أقام فيه العلاء الحضرمي أول مسجد للصلاة في البحرين على أن المئذنتين الشهيرتين اللتين تميزان هدا المسجد بنيتا في القرن الرابع عشر ، أما الآثار المتبقية من المسجد فهو الشكل الجديد الدي بني في القرن التاسع عشر ، وإن كان حجر القبلة القائم حتى الآن هو بالتأكيد من بقايا المبنى القديم مند إقامته .

محمية العرين

ونتحفف من وطأة الآثار القديمة لنشهد بعض المعالم السياحية الحديثة التي يتجه إليها السياح وبخاصة من العائلات نحن الآن في « محمية العرين »

إنها ليست مجرد حديقة حيوانات كما يتبادر الى الدهن من اسمها لكنها بالاضافة الى دلك مركز للبحث العلمي والدراسة ، كما أنها مكان رعاية للحيوانات النادرة التي كادت تندثر من الصحراء وأصبحت تعاني من خطر الانقراض

الحديقة المفتوحة مصممة للزيارة والنزهة والمشاهدة لمن يودون معرفة الحياة الحيوانية في الأقطار العربية وعيرهم ، إد يمكنهم مشاهدة الحيوانات البرية مثل الظباء والعزلان والحمر الوحشية وعيرها ، وتنتشر في أرجاء الحديقة مظلات نموذجية صنعت من سعف النخيل وتضم حوالي ٤٠٠ حيوان من فصائل مختلفة وحوالي ١٠ آلاف من الطيور متعددة الأنواع

أما الجزء الثاني من المحمية ويسمح بزيارته بتصريح خاص فهو يضم الحيوانات النادرة التي تحتاج لرعاية خاصة حتى تتناسل وتتكاثر ، وكان المحرك الفعال وراء جهود إنشائها ما لوحظ من أن معظم الحيوانات التي عاشت في منطقة الشرق الأوسط من تركيا شمالاً حتى اليمن جنوباً تكاد تكون في حكم المنقرضة ، بسبب التآكل المستمر في البيئة وما يطلق عليه اسم « التصحر » وزحف المباني على الأرض الزراعية والعابات التي عاشت فيها هده الحيوانات بالاضافة الى الصيد الدي أدى الى إبادة قطعان كاملة من المها والظباء والريم من الغزلان

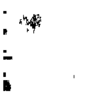

● عين عذارى .. أشهر المعالم السياحية بالبحرين

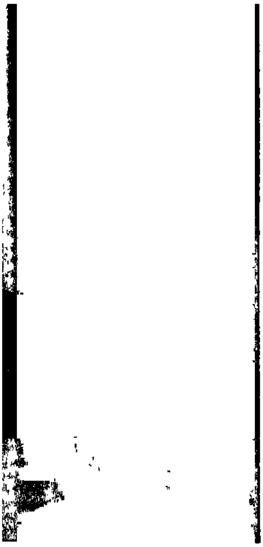

● قلعة عراد من الخارج

العربية الأصيلة . وتضم المحمية الآن من ذلك النوع المها العربي والأكداس والماعز الجبلي والغزال العربي والنعام والحباري .

عين عـــــذارى

هل سمعت عن عين عذارى .. أشهر معالم البحرين السياحية ؟

يقولون أنه كان هناك في قديم الزمان فتاة رائعة هي أجمل عذارى البحرين .. وذات صباح خرجت تستروح النسيم الندي ، فإذا بالأرض تنشق أمامها عن فارس جميل الطلعة اقترب منها وهو يتودد إليها ، وراح يلقي على مسامعها أرق عبارات الغرام ، وحين صدته أعلن لها أنه إنما جاء ليتخذها لنفسه زوجة ، وسخرت الفتاة منه وهي تقول كيف تتزوجني وأنا مخطوبة لفتى أحبه وأهواه ولن أقبل عنه بديلا ؟ ولكن الفارس الذي لم يصدقها طلب منها أن تضرب الأرض بقدميها ، فإذا تفجرت المياه تحت أقدامها تأكد من صدقها ورحل عنها ، أما إذا لم تتفجر المياه تحت أقدامها فهي إذن كاذبة وسيتخذها لنفسه بالقوة .. ودقت العذراء الأرض بقدمها ، فاذا بالأرض تتفجر ويندفع منها الماء في غزارة ليغطي سطح المكان وليستمر تفجره فلا يتوقف أبدا .. ومنذ ذلك الحين سميت العين .. عين عذارى !

ونقف على جانب حوض السباحة الذي يقوم فوق عين عذارى ونتابع السابحين فيه ، ونطل الى ما حولنا .. بحيرة من المياه الطبيعية العذبة تحيط بها حدائق ترفيهية تتغذى بمياهها الباردة .. والعين من أكبر العيون التي تنتشر في البحرين ، وهي عبارة عن ينبوع من الماء العذب ينبثق من أسفل البحيرة وتمتد منه قنوات المياه الجارية لمسافات بعيدة تتيح انتشار الخضرة في كل مكان .. ورغم أن النخيل يبدو وافرا غير بعيد من محيطها إلا ان المشهد الجميل تخترقه صورة تبعث على الأسف .. وأشجار النخيل الأشد قربا من العين تبدو جافة خربة تثير الحسرة ، سيقان قائمة في الهواء عارية من السعف كأنها أعمدة من الخشب الجاف ليس لها رأس أخضر على الاطلاق .

ويهمس في أذننا من يقول « عندنا مثل يقول لا تكن مثل عين عذارى .. تسقي البعيد وتحرم القريب ! »

ومع ذلك ، فقد تحولت المنطقة المحيطة بعين عذارى الآن الى حديقة عامة متسعة رائعة تظللها الأشجار وتنتشر فيها الورود والرياحين .. وأنشئت في وسطها حديقة خاصة للعائلات والأطفال نصبت فيها الألعاب المسلية التي يقبل عليها الصغار .

يقول مرافقنا : لقد كانت البحرين عامرة بالعيون التي لا تقل غنى عن عين عذارى .. وقبل سنوات قال أمين الريحاني في كتابه « ملوك العرب » بعد أن زار

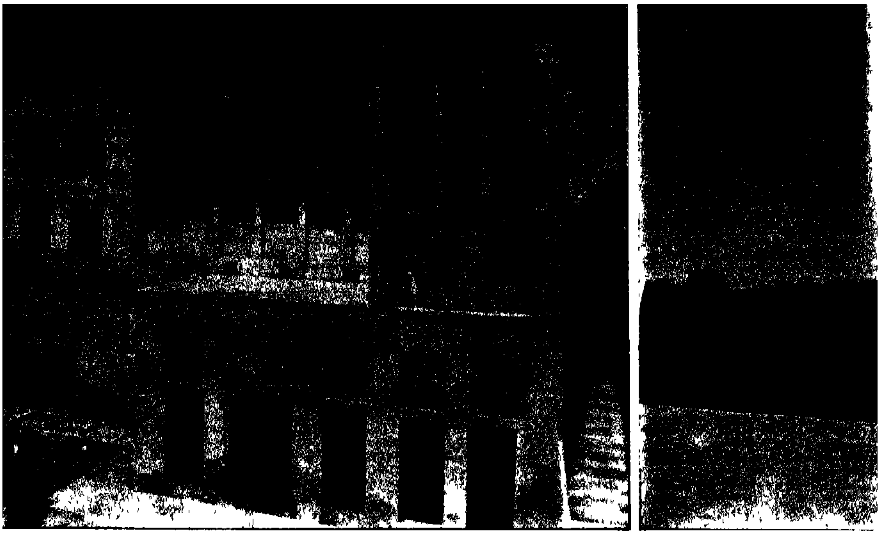

● أبراج الهواء في بيت الشيخ عيسى بن علي

المنطقة » أن في البحرين نحو خمسة وعشرين نبعا مشهورا يبعد بعضها عشرين باعا عن البر ويعلوها البحر من ثلاثة الى سبعة أبواع مياه عذبة تحت المياه المالحة تفور من الأرض على الدوام ، وتلك التي تقرب من الساحل تظهر للعيان فيستقي منها أهل المكان ، وأغرب من كل ذلك أن تلك المياه تجيء الى البحر من مرتفعات نجد ومن وراء الدهناء وحتى في مياه البحر كان البحارة كما يقول الرحالة يملأون جرارهم من عيون البحر العذبة وهم يغوصون على اللؤلؤ دون حاجة للعودة الى البر للحصول على الماء العذب »

ويضيف الريحاني أن عيون البحرين كانت أكثر من ذلك بكثير ، ولكن يقال أن عبد الملك بن مروان الأموي لما رأى من أهل الجزيرة تمردا على خلفاء بني أمية أمر بردم العيون ليقل زرعهم وأموالهم فيفتقروا ويخضعوا للأمراء !

ومع ذلك فما زالت الحدائق والخضرة والماء العذب علامة من علامات الجمال والحياة في البحرين

إن منتزهات عذارى واحدة فقط من مجموعة من المنتزهات والحدائق التي ترتبط بالسياحة العائلية وهي متنفس لكل أفراد الأسر لقضاء أوقات ممتعة ، حديقة الأندلس واحدة من هذه الحدائق في وسط المنامة ، وهي الى جانب الخضرة والماء ترتبط بالمعارض السنوية التي تقام في البلاد من أبرز هذه المعارض المعرض الخيري السنوي الذي تعرض فيه الجمعيات النسائية والهلال الأحمر البحريني إنتاجهما من أعمال العضوات والجماعات ذات النشاط الحرفي

وهناك حديقة السلمانية وهي تكاد تكون معرضا لرسوم الأطفال حيث يزخر سورها بما يرسمونه ويبدعونه من لوحات ، وتتناثر في الحديقة مختلف الألعاب التي تلقى إقبالا بالغا من الأطفال والأسر

وغير بعيد منها يلتقي بالحديقة المائية حيث لمسات رائعة من الجمال في كل مكان لعل أبرزها تلك البركة المائية التي تنتشر على صفحتها القوارب الصغيرة كما خصص جزء منها للطيور المائية السابحة ومن حولها المقاعد المظللة المتناثرة وسط الأزهار والأشجار

البحرين في الحقيقة واحة للراحة يقصدها أبناء الخليج للاستظلال براحتها الاجتماعية والتمتع بمائها وخضرتها وآثارها وليس غريبا أن تأتي الى البحرين فتجدها وقد فتحت ذراعيها لك فذلك جزء من دورها التاريخي والاجتماعي منذ آلاف السنين ولطالما كانت خاصة البحارة وصديقة المسافرين حين كانت تشتد بهم أعباء المسافات ، وهو نفس الدور الذي ما تزال تلعبه حتى اليوم □

طفيليات يمكن أن تعيش على كبدك

بقلم : الدكتور سامي محمود علي

قال الشاعر العربي : أولادنا أكبادنا ، تمشي على الأرض ، وجعل الأبناء بمنزلة الكبد الذي إذا حفظه المرء وابتعد به عن كل ما يضر به في صغره كشرب الكحوليات والمخدرات ، فإنه يجده قوياً عفياً في كبره ، قادراً على تحمل اختلالات الشيخوخة ومصاعبها

الكبد غدة كبيرة ، لها لون أحمر قانٍ ، تزن حوالي ٣ أرطال ، وهي توجد أعلى البطن بجهة اليمين ، وتتكون من فصين ، أحدهما الأيمن ، وهو الكبير ، والآخر الأيسر ، والكبد ليست كأي غدة أخرى في الجسم ، بل هي معمل كامل ، يؤدي من الوظائف ما يجعلنا نقف مبهورين أمام عظمة الخالق سبحانه وتعالى ، وإن فشل الكبد عن تأدية وظائفها يعني النهاية المؤكدة للشخص

تتحسس طريقنا إلى ذلك العضو الذي ترتبط حياتنا به فنرى أنه بعد إزاحة طبقات الجلد والعضلات والغشاء الذي يحيط بالكبد يمكن أن نلمح كائنات حية ، يمكن أن تصيب الكبد ، وتتطفل عليها ، وقد تتخذ منها موطنا وسكنا ، وهي في هذا تلبي نداء التطفل بكل أمانة ، فالكبد عضو غني بالدماء ، غني بالمواد الغذائية الذائبة في خلاياه ، وهو دون شك مرتع خصيب لمخلوقات ، تتفاوت في أحجامها ، منها كائنات دقيقة ، لا ترى إلا بالمجهر ، ومنها ديدان كاملة ، تبلغ عدة سنتيمترات

طفيليات بالكبد

هذه الطفيليات لن تعدم الوسيلة في إصابة الكبد ، فكل الطرق تصل إليه ، والطفيلي أو بويضاته يمكن أن يصل إلى الكبد عن طريق الوريد البابي ، مثل طفيل البلهارسيا ، أو عن طريق

الشريان الكبدي ، مثل طفيل الايكيبوكوكس ، وقد يخترق الطفيلي الغشاء البريتوني الذي يحيط بأعضاء البطن وأنسجته حتى يصل إلى الكبد ، مثل طفيل الفاشيولا ، ويمكن للطفيلي أيضا أن يتخذ الطريق الصاعد إلى الكبد مرورا بالقناة المرارية ، مثل ديدان الاسكارس

السباحة خارج الأمعاء

هناك عدة أنواع من الأميبا ، وهي في معظمها غير ضارة ، بصحة الأنسان ، بيد أن النوع الضار يسمى أنتاميبا هستولتيكا ، فهذا النوع من الانتاميبا يسبب مرض الدوسنتريا الأميبية التي تبلغ نسبة الاصابة بها بين سكان العالم ما يقرب من ٥٠ / وهذا المرض معروف منذ أيام قدماء المصريين حيث وصفوا أعراضه وطرق علاجه منذ آلاف السنين ، لكن اكتشافه حديثا يرجع إلى العالم « لامل » الذي وجده في براز طفل سنة ١٨٥٩ ، ثم تلاه العالم الروسي « لوس » فوصف الطفيل وصفا دقيقا

والانتاميبا كائن مجهري الحجم دقيق ، يبلغ قطره (٢٠ ـ ٤٠) ميكرون ، (والميكرون جزء من ألف جزء من المليليمتر) ، ويتركب جسم الطفيل من خلية واحدة ، تقوم بكل وظائف الحياة ، من تكاثر وغذاء وإخراج ، والغريب أن الطفيلي قد يعيش حياة هادئة تماما ، يغلب عليها تبادل المنفعة ، فيتغذى على البكتريا والمواد الغذائية الموجودة بكثرة في الأمعاء الغليظة ، لكنه ـ لسبب غير معروف بالتحديد ـ يأخذ في مهاجمة الغشاء المخاطي للأمعاء الغليظة ـ ويلتصق بها ، ثم يفرز خمائر تسمى « سيتوليسين » ، فيذيب بها جدار الأمعاء ، مسبباً قروحاً تسيل منها الدماء ، وهنا تظهر العدوى ، وقد يسبح الطفيل في الوريد البابي حتى يصل إلى الكبد ، أو يسبح في الدورة العامة للدم ، فيصل إلى الرئة أو المخ ، مسببا حدوث أنواع من الدمامل

الخراج الكبدي

إن أخطر أشكال المرض هو إصابة الكبد ، فعندما يصل الطفيلي إلى الكبد يسبب له التهاباً ، ثم يأخذ في إذابة النسيج الكبدي بمكان الاصابة ليتكون الخراج الكبدي ، وقد يصل حجم هذا الخراج إلى حجم تفاحة كبيرة ، وغالبا ما يصيب الفص الأيمن من الكبد ، وتحت الحجاب الحاجز مباشرة ، وعندما يصاب الشخص بالخراج الكبدي تتضخم الكبد ويكون ملمسها أكثر صلابة ، كما يكون موضع الكبد من البطن مصحوبا بألم عند الضغط عليه ، ويشعر المريض بالحمى ، ولعل أخطر المضاعفات التي تحدث نتيجة لهذا الخراج هو انفجاره ، فإذا حدث هذا الانفجار في التجويف البريتوني للبطن سبب التهابا قد يودي بحياة المريض ، كما أن الصديد الذي ينبثق من الخراج في حالة انفجاره قد يصل إلى الغشاء البلوري المغلف للرئة فيسبب التهابه ، أو قد يخترق الرئة نفسها مسبباً حدوث خراج ، وفي بعض الأحوال النادرة يصل الصديد إلى غشاء التامور المحيط بالقلب فيسبب له التهابا

والعدوى بطفيل الانتاميبا عدوى تتصف بالغدر ، فإن العلاج ـ غالبا ـ لا يكون سهلا ، لأن الانتاميبا تبدو كأنها كلما عولجت بعقار طبي خسرت المعركة ، لكن فلولها انسحبت من الميدان في ثنايا القروح التي يحدثها المرض في جدار الأمعاء الغليظة حيث تنكمش وتكمن لأجل ، ثم تنشط مرة أخرى ، وتبدأ في هجومها من جديد ، لذلك يفضل دائما في علاج هذا الطفيل استخدام أكثر من سلاح واحد أو دواء ، كما يجب على المريض التدرع بالصبر وطول البال ، كذلك يجب عليه خلال فترة العلاج الامتناع عن تناول الألبان والدهنيات والبيض والخضراوات غير المطبوخة

الاسكارس دراكيولا الامعاء

يطلق العامة على هذه الدودة ثعبان البطن ، وتنتمي الدودة إلى ما يسمى الديدان الخيطية ،

ويصل طول الدودة الكاملة من ١٠ - ٢٠ سم تقريبا ، ولعله من المثير أن للأنثى من هذه الديدان جهازين تناسليين (مبيضين) ، يحملان ما يقرب من ٢٥ مليون بويضة في دورة حياة واحدة ، أي أن متوسط إنتاج الأنثى اليومي يبلغ ٢٠ ألف بويضة ، كل بويضة تحتوي على مقدار من المح (الزلال) يتكون من غذاء المريض المهضوم ، والدودة بالطبع تنتقي من غذاء المريض أفضله ، ولعل ذلك يرينا كم هو الضرر الذي تسببه دودة الاسكارس للانسان

ولدودة الاسكارس خاصية الانسياب من خلال الفتحات - قد يكون ذلك بدافع الفضول - التي تلقاها في طريقها ، لذلك فهي قد تنساب خلال القناة الصفراوية ، أو القناة البنكرياسية ، فتسبب انسدادها ، فيصاب المريض بمرض الصفراء ، وقد تموت الدودة داخل إحدى القناتين فتتحوصل ، وتتحول إلى حصاة مرارية ، ويمكن أن تسبب التهابا في المرارة ، أو خراجا داخل الكبد ، إذا تمكنت من المرور خلال القناة لتصيب الكبد نفسه ، كما أن يرقات الدودة أو بويضاتها يمكن أن تتجمع داخل الكبد مكونة ورما حبيباً

وقد استخدم الاطباء لعلاج الاسكارس « سترات البيبارازين » ، يتناولها المريض مدة يومين متتاليين ، بيد أن أدوية حديثة ظهرت مؤخرا لها قدرة فعالة في القضاء على الديدان ، لكن المهم هنا ليس العلاج ، بل الوقاية ، والوقاية تعني نظافة الطعام واليدين وعادة ينصح بغسل الخضراوات التي تؤكل نيئة بالصابون والماء حتى يتم التخلص من البويضات اللاصقة

- كيس يحتوي - بعد فتحه - على سوائل ويرقات عديدة لطفيل الايكوكوكس وقد استخرج من كبد مريض بالطفيل

الملاريا زائر الليل

عرف العرب الملاريا ، وأطلقوا عليها اسم « الرعداء » ، نتيجة للرعدة التي تصيب مريض الملاريا ، وارتعاش جسمه كله في تشنجات مستمرة ، إلا أن المرض عرف قبل ذلك بقرون سحيقة ، فقد وصف « أبو قراط » المرض ، وذكر أنواعه ، وكان ذلك في القرن الخامس قبل الميلاد ، إلا أن ابو قراط ذكر أن شرب مياه المستنقعات هو السبب في العدوى ، ثم قيل بعد ذلك أن الأبخرة المتصاعدة من المستنقعات هي السبب في العدوى ، ومن هنا جاء اسم المرض ، فالملاريا كلمة رومانية الاصل ، مكونة من مقطعين « مال » بمعنى فاسد أو رديء ، و « اريا » بمعنى هواء ، فالملاريا عند هؤلاء القدماء كانت تعني استنشاق هواء فاسد واستمر المرض معروفا بهذه التسمية الخطأ حتى يومنا هذا

والحقيقة أن هناك علاقة بين الاصابة بالملاريا ووجود المستنقعات وبرك المياه الآسنة ، لكن ليس ذلك بسبب استنشاق هواء أو غيره ، بل إن نوعا معينا من البعوض يسمى بعوضة « الانوفيل » هي القادرة على نقل طفيل الملاريا إلى الانسان عن طريق وخزها لجسمه

بعوض الأنوفيل - كما قلنا - هو الذي ينقل طفيل الملاريا المعروف باسم البلازموديوم ، وأنثاه هي التي تنقل الطفيلي لا الذكر ، وتبدأ العدوى ليلا والشخص في حالة سكون تام ، كأن يكون نائما ، أو مستلقيا ، وهنا تغرز أنثى البعوض خرطومها في جلده ، فيسيل من خرطومها لعاب ، به مادة مهيجة ، إضافة إلى آلاف من طفيلي الملاريا ،

وبعد تهيج الجلد مكان اللدغة واحتقانه تمتص البعوضة قطرات من الدم ، وعندما تدخل الطفيليات مع اللدغة تتجه مباشرة إلى الكبد ، لتصله بعد حوالي نصف ساعة ، وعندئذ تسمى سوروريت ، وفي الكبد تتكاثر ويتغير شكلها ، وبعد أيام تهاجر الطفيليات من الكبد ، وتسير مع دورة الدم ، وتأخذ في مهاجمة كريات الدم الحمراء ، لتتغذى على المادة الحمراء بالكريات التي تعرف باسم الهيموجلوبين ، وعندما تنفجر كريات الدم الحمراء فإن الطفيل يفرز مواد سامة ، تسمى « هيموزين » ، وهذه المواد هي التي تسبب الحمى التي تنتاب المريض ، وقد يكمن طفيلي الملاريا داخل خلايا الكبد ، أو قد يتطور إلى خلايا جنسية مستديرة الشكل ، تسبح في الدم ، وعندما تصل هذه الخلايا الجنسية إلى معدة أنثى البعوض مع لدغة أخرى تصبح قادرة على إحداث العدوى

وفي الغالب فإن أعراض المرض التي تمر ثلاثة أطوار هي البرودة الشديدة ، وارتعاش كل الجسم رغم أن حرارة المريض تصل إلى ٤٠ درجة مئوية ، ثم طور السخونة واحمرار الجلد ، وأخيرا طور العرق الغزير الذي يشعر المريض بعده بأنه سليم معافي ، ثم تعاوده الأعراض نفسها بعد ثلاثة أو أربعة أيام ، أو بعد عدد غير محدد من الأيام

نقول أن أعراض الملاريا لا تظهر إلا بعد مهاجمة كريات الدم الحمراء التي تجعل المريض في حالة إنهاك وضعف شديد ، كما أنه يعاني من أنيميا شديدة

وقد استخدم الانسان لحاء شجرة « السكونا » لعلاج الملاريا ، وكانت مادة « الكينين » المستخرجة من لحاء تلك الشجرة هي المادة القادرة على اختفاء أطوار المرض وأخيرا ظهرت عقاقير جديدة ، منها الاتبرين والكاموكين وغيرها ، بيد أن الوقاية هي خير الوسائل لحماية الانسان من عدوى المرض ، وليس أبسط من إغلاق النوافذ ليلا في الأماكن التي يكثر فيها البعوض والمستنقعات

البلهارسيا عدو لدود

ديدان البلهارسيا مفلطحة ، صغيرة الحجم ، طولها (١٠ ـ ٢٠) ميلليمتراً ، وعرضها من ربع ملليمتر إلى ملليميتر واحد ، والذكر منها يحمل أنثاه في قناة طويلة تسمى قناة الاحتضان وقت التزاوج ، ثم يسبح بها عكس مجرى الدم ، حتى يصل بها إلى الأوعية الدموية المؤدية إلى المثانة ، أو الى المستقيم ، تبعا لنوع كل منها ، وهناك يترك الذكر أنثاه ، لتواصل الرحلة بمفردها إلى الشعيرات الدقيقة جداً لتضع البيض ، وهي تضعه بيضة بعد أخرى ، حتى تمتلىء الشعيرة الدموية ، فتنتقل إلى شعيرة أخرى وهكذا ، وبعد وضع البيض المزود بشوكة في طرفه ، أو أحد جانبيه ، تبدأ معاناة المريض ، فالبيض عن طريق هذه الشوكة يمزق الشعيرات الدموية ، ليسقط في المثانة أو المستقيم ، ثم يخرج إلى خارج الجسم مع البول أو البراز مصحوبا بقليل من الدم

وبعد نزول البويضة لابد من ماء لكي تفقس فيه ، وتخرج يرقة تسمى « ميراسيديوم » ، تسبح في الماء باحثة عن العائل الوسيط ، وهو نوع من القواقع البحرية ، وداخل تلك القواقع تتحور اليرقة ليخرج منها طور جديد يسمى سركاريا ، والقوقعة الواحدة تعطي ما يقرب من ٢٥٠ ألف سركاريا ، وعندما يغتسل إنسان في الماء أو يغسل فيه شيئا فإن السركاريا تخترق جلده ، وتسبح مع الدم لتصل إلى الكبد ، وبعد عدة أسابيع تصبح دودة كاملة وفي الواقع أن خطر البلهارسيا لا يأتي من الدودة الناضجة بقدر ما يأتي من البويضات التي يمكنها أن تصل إلى أي عضو في الجسم ، مسببة الأورام والخراريج والتليف ، إلا أنها تفضل الكبد عما سواها لتجعلها مأوى لها وسكناً ، منه تنفث سمومها إلى أجزاء كثيرة في الجسم .

•

وعندما تغزو البلهارسيا الكبد فإنها تعكسر في خلاياها ، وتبدأ الكبد في التضخم ، ويصبح ملمسها صلبا ، ثم تأخذ ـ في مرحلة لاحقة ـ بالانكماش والتليف ، وفي نفس الوقت يتضخم الطحال ، ويرتفع ضغط الدم البابي ، وأخيرا تتمزق الأوعية الدموية في الجزء الأسفل من المريء فيتقيأ المريض دما

« الفاشيولا » ومن الكبد ما قتل

تعتبر الماشية والاغنام هي العائل الوسيط لهذا الطفيل ، وقد يصاب الانسان بالعدوى إذا تناول خضراوات أو فواكه ملوثة بالميتاسركريا ، وهي الطور المعدي من المرض وتتجه الميتاسركريا مباشرة إلى الكبد ، فتصلها في مدة تتراوح بين خمسة أيام إلى عشرة ، وفي الكبد تتخذ العدوى شكل تليف لبعض الخلايا مع تضخم للكبد أو بدونه ، كما ترتفع حرارة المصاب ، ويشعر بألم في أعلى البطن في الجنب الأيمن ، مع إسهال وقيء ، ونقصان في الوزن ، وتختفي الأعراض بعد حوالي شهرين أو ثلاثة أشهر ، وقد يختفي المرض عدة سنوات ثم يظهر فجأة ، دون مقدمات ، فتظهر على الشخص أعراض الالتهاب المراري ولعل سبب ذلك أن الطفيل يتحوصل داخل الكبد فترات طويلة ، تصل إلى عشرة سنوات ، ومن الغريب أن المريض قد يشفى دون أي علاج ، ومن السهل تشخيص المرض بالعثور على بويضات الطفيل في براز المصاب

بقيت كلمة ، إن أول أسباب العدوى بالمرض تأتي من تناول أكباد المواشي والأغنام المصابة دون طهيها جيداً أو التأكد من خلوها من بويضات الطفيل ، فالكبد الملوث قد يصيب كبد الشخص من حيث لا يدري أن السم في الدسم

« الايكنوكوكس » شبح يعود من الماضي

غالباً يكون الأطفال أكثر عرضة للاصابة بهذا الطفيل ، وبعد الاصابة تختفي أعراض المرض تماما ، فلا تظهر أي مظاهر للعدوى ، حتى يصل الشخص

إلى سن مابين العشرين والأربعين من عمره ، وهنا تظهر الأعراض ، وكأن الطفيل كان في سبات عميق ، استيقظ منه قبل فوات الأوان وهناك نوعان من الطفيل ، أحدهما يسمى الايكنوكوكس الحبيبي ، ويصل طول هذا الطفيل إلى ٦ ميلليمترات وتنقسم الدودة إلى ثلاثة أقسام ، وهي توجد في الكلاب والقطط ، بيد أن الأنسان والغنم والماشية والخيل هي العائل الوسيط ، أما النوع الثاني فيسمى ايكنوكوكس عديد الخلايا ويبلغ طول دودته ٣,٥ ميلليمترات ، وتنقسم إلى خمسة أقسام ، وتعيش هذه الدودة في القطط والكلاب والثعالب ، أما عائلها الوسيط فهو القوارض كالفئران ، ونادراً مايكون الانسان عائلا وسيطا لها

وعندما تصل بويضة هذا الطفيل إلى المعدة والأمعاء الرفيعة فإن يرقته تتحور من البويضة ، وتخترق جدار الأمعاء ، لكي تصل إلى الكبد أو الرئة عن طريق الأوردة الدموية والليمفاوية ، وبعد أربعة أسابيع من الاصابة يتحوصل الطفيل ، ليصل حجمه إلى ثلث ميللمتر ، وبعد ثمانية أسابيع يتحول إلى كيس يسمى هايديت يمتلىء بالسوائل وبيرقات أخرى للطفيل قد يصل عددها إلى ٤٠٠,٠٠٠ يرقة ، ثم تأخذ هذه الأكياس في النمو ، وعلى مدى سنوات طوال ، حتى يمتلىء بعدة ليترات من السوائل ، ولا يعوقها عن النمو إلا وجود أعضاء أو أنسجة ضاغطة ، وتكثر إصابة الكبد في الفص الأيمن والرئة (٩٠/) ، كما يمكن أن يصاب القلب والمخ (١٠/) ، وعندما تضغط هذه الاكياس الممتلئة بالسوائل فإنها تسبب الأعراض التي يشكو منها المصاب غالبا مثل الصفراء اذاكان الضغط على القناة الصفراوية ، أو ارتفاع ضغط الدم البابي إذا كان الضغط على أوردة الكبد الكبيرة ، كما قد تتحول هذه الأكياس إلى خراريج بفعل التهابها بالجراثيم ، إضافة إلى ذلك قد تتضخم الكبد ، ويشعر المريض بالحمى واستسقاء البطن والهزال المستمر ، وأخيرا تظهر أعراض الفشل الكبدي ، ولعل هذه الأعراض هي التي يشكو منها المريض في المراحل المتأخرة

وصفات شعبية للعلاج

قال أبو قراط منذ زمن بعيد « الطبيعة وحدها تشفي » ، ونحن نقول إن هذه الكلمة تنطوي على يقين لا يشوبه شك ، وعندما نبحث في الطبيعة حولنا فإننا نجد نباتات بسيطة قادرة على التخلص من هذه الطفيليات والديدان المدمرة ، وإن الوصفات الشعبية التي نذكرها لن تضر إذا تناولها إنسان لا يشكو بالفعل من أي أعراض ، بل قد تكون شافية لمرض لايزال يلوح في الأفق ولم يكشر عن أنيابه بعد ، وهذه الوصفات الشعبية هي

تنقع شرائح من البصل الغض في قليل من الماء طيلة الليل ، ويصفى في الصباح ، ويعطى للشخص بعد تحليته بعسل النحل ، ويستمر على ذلك يومياً إلى أن يتم طرد الديدان ، والتخلص من الطفيليات ، كما يستخدم البصل كذلك لعمل حقن شرجية للغرض نفسه ، وذلك بغلي نصف بصلة متوسطة الحجم مدة ثلاث دقائق في ليتر ما ، وتصفيته بعد ذلك لحقنه فاتراً في الشرج

يقتل الثوم الديدان ويطهر الأمعاء ، ولهذا الغرض يعطى الشخص المصاب فنجان حليب غلي فيه بضع فصوص من الثوم ، ويلي ذلك حقنه شرجية دافئة بغلي الثوم في الحليب ، ويكون ذلك بغلي ثلاثة فصوص فقط من الثوم في ثلاثة أرباع الليتر من الحليب ، ثم تصفيته ، وحقنه ببطء ساخنا في الشرج

تؤخذ أوقية من زيت الزيتون ، وأوقية من عصير الليمون ، وأوقية من عسل النحل ، وتخلط خلطاً جيدا ، ويعطى منها للطفل - خاصة - ثلاثة ملاعق متفرقة أثناء النهار لكن هذا لايمنع من مراجعة الطبيب للوقوف على الحالة واجراء الفحوصات اللازمة ومن ثم البحث عن العلاج المناسب □

الصقر و رولكس
الدقة والأناقة

منذ حضارة بلاد ما بين النهرين، كانت رياضة الصقور، ولا تزال حتى يومنا هذا، رياضة النبلاء.

الصقر طائر قوي، أنيق وسريع الحركة، يُروّض ويُعلّم خصيصًا فنّ الصيد. هذا الترويض والتعليم يتمّ على يدي أخصائيّين لمدّة طويلة تدوم أكثر من ثلاثين يومًا. العناية عينها هي التي بها تصنع كل ساعة رولكس.

حتى اليوم لا تزال رولكس تصنع من قطعة معدن واحدة وتُنحت يدويًا، سواء من الذهب الخالص أو الفولاذ أو الاثنين معًا

كل ساعة تمرّ إفراديًا بمجموعة تجارب قاسية قبل أن تعطى شهادة الكرونومتر السويسريّة الرسميّة

جمال رولكس غنيّ عن التعريف وقيمتها تدوم وتدوم لسنوات وسنوات طويلة جدًا.

مجموعة ساعات رولكس رائعة ومتكاملة لترضي أصحاب الذوق الرفيع

رولكس والصقر رمز الدقة والأناقة.

ROLEX

رولكس

ساعة تريدور داي - ديت من الذهب الابيض والاحمر والاصفر مرة

وجهاً لوجه

حنا مينه ◙ أبوالمعاطى أبوالنجا

■ البحر عندي ليس خلفية طبيعية ظلالية أو تزيينية . ■ [illegible] كتبت عن الحياة كنت أمينا عن [illegible] ■ لست كاتب جنس ، لكنني أكتب عن البحر ، والجنس ملازم للبحر مثل مائه وزبده . ■ [illegible] والتقليد واللهاث [illegible] الاختيارات المسبقة ■ تجديدي يعطي إسهامه المتعدد فوق أرضية واقعية .

حين التقينا الكاتب الروائي الكبير الأستاذ حنا مينه بمكتبه بوزارة الثقافة بدمشق ، أبدى رغبته في أن تكون أسئلة هذا اللقاء مكتوبة ، ليقدم عنها أجوبة مكتوبة كذلك ، حرصا على الدقة ، ولما أوضحنا له طبيعة هذا الباب في اعتماده على الحوار رغبة في إمكانية استنباط أسئلة جديدة من الجواب وافق على أن نبدأ بأسئلة مكتوبة يعقب إجابته المكتوبة عنها حوار آخر

تركنا له الأسئلة ، واتفقنا على موعد للقاء ثان ، وحين عدنا في الموعد وجدنا أن الكاتب الكبير قد ألم به طارىء صحي ألزمه الفراش ، لكنه رغم ذلك غالب الظرف الصحي وجاء الى مكتبه في الموعد ، مبديا استعدادا كريما لمواصلة الحوار ، فدار بيننا حوار استغرق أكثر من ساعة وبطبيعة الحال فقد كان من الضروري لإعداد هذا الحوار للنشر في المساحة المحددة لهذا الباب أن تكون هناك عمليات دمج بين المادة المكتوبة والمادة المسجلة ، واختصار واختيار كذلك لاعتبارات كثيرة ، وهذه العمليات كلها تخضع أيضا لاجتهاد معد هذه الحوار ، ونأمل أن يكون هذا الاجتهاد في حدود الدقة والأمانة التي نتطلع إليها جميعا

البحر هو ذاتي

* هل يمكن في البداية أن تحدثنا عن مغزى اختيارك لعالم البحار ، بعواصفها وموانيها وسفنها ، وعالم البحارة بأسفارهم ووحدتهم وحنينهم للأرض في العديد من أعمالك الروائية ، حتى لتكاد تصف بأنك روائي البحر في الأدب العربي الحديث ؟

- إني فعلا وبغير تواضع روائي البحر في الأدب العربي الحديث أقول بغير تواضع ، وبغير غرور أيضا ، لأن الصفتين كلتاهما من صفات « البورجوازية » التي تموه الأشياء ولاتسميها بأسمائها ولا أعرف قبلي ، وكذلك بعدي ، من تصدى لعالم البحر ، بهدوئه وطمأنينته ورقته وصخبه وعربدته وقلقه واعتكاره ، وثورته

وقد اخترت البحر لأن عالمه هو هذا العالم الغريب ، المتقلب بين وداعة وشراسة ، بين صحو وغيم ، فكأن كف القدر هي التي تصنع أعاجيبه وغرائبه ، وتعطي للطبيعة ما يجعلها تتمثل فيه تمثلا يتراوح بين العقل والجنون ، حتى يظهر الكون فيها مسحورا ، بكل ما للسحر من قوة آسرة ، متمردة ، لا تخضع لمقياس أو قانون مما تواضع عليه البشر في الحياة على اليابسة

والمغزى في هذا الاختيار هو الشوق الى ارتياد المجهول ، ومعانقة الشهادة على اسمه ، ثم اكتشاف هذا المجهول بكل أبعاده وخصائصه ، وإبراز الانسان هذا الكائن الجبار مروض الطبيعة الذي تجرأ وحده على البحر وروضه ، وطارد العواصف على صفحته وفي أعماقه ، وواجه الخطر بصدره العاري ، وعنفوانه المصهور من شجاعة خارقة ، بعضها تهور ، وبعضها جنون

لقد عرف العربي الصحراء وخبر وعورتها ، واندياحها أو انغلاقها ، وتاه ركبه في رمالها ، وشارف الأفق في الغروب ، ولعق السراب على ظمأ ، وانطلق قديما على صهوة جواد ، أو خب ماشيا بين الكثبان ، ثم عرف بعد البداوة الحضارة ، بكل ما فيها من ترف وخشونة ، ومن قيظ وفيء ، وقصر وكوخ ، وعالم مبسوط منشور ، ومعاش لم يبق فيه حتى ولا في غاباته ما هو مجهول ، يضعه على حافة

خطر ، لكن الانسان العربي وهو على تخوم البحر لم يعرف البحر ، ولا تقحم أهواله ، ولم تنعكس إلا نادرا ، وتشكل ومضى رؤى هذا المدى المائي المترامي في خياله وظل أدبنا العربي في عوالم اليابسة ، وكان لابد من أديب يخترق القاعدة ، ليصبح استثناء في مغامرته المائية ، حين قيض له أن يعايش البحر ، ويعانيه ، ويعانقه ، فكان هذا الأديب أنا ، وكان في أدبنا العربي لأول مرة ما يسمى بأدب البحر ، بعد أن سبقنا اليه الأدب العالمي منذ مئات السنين

قيل لغوركي كيف تعرفت الى علم الاقتصاد ، فأجابهم انظروا ، انه منقوش على ظهري

كان غوركي حينذاك يشتغل حمالا على شواطىء الفولغا العظيم تسألني لماذا أغرمت بالبحر والبحارة والسفن والموانىء ، فأجيبك أن البحر هو ذاتي ، فقد تشردت في موانئه ، وغامرت في أسفاره ، وخبرت ما في المرافىء من دنىء بعضها للطهارة وبعضها للدناءة

وتسكعت في طرقات هذه المرافىء ، وعاشرت بحارتها وحماليها وعمالها ولصوصها ، وعشوت خماراتها ، وأزقتها ، وقاسيت الجوع ، وتلذذت بالشبع ، وسرت على الرمال ، وتسلقت الصخور ، وجمعت الأصداف ، وكنت في كل ذلك كحديدة ألقيت في نار ، فانصهرت ، وتشكلت على نحو ما أراد لها الحداد أن تتشكل ، أي صرت ذات البحر ، وصار البحر ذاتي ، وعن هذه الذات عبرت في أدبي ، دون ورع أو خجل ، أو تمويه،ودون تردد ، أو خشية أو مخادعة ، فكان كل شيء في هذا الأدب واضحا كحقيقة ، مستقيما كطلقة ، عاريا كآدم وحواء عندما أكلا تفاحة الخير والشر ، ومع كل ما كتبت عن البحر فأنا ماأزال من كتابه في المقدمة ، وسيأتي غيري فيكتب متونه وهوامشه ، وعندئذ يجاري أدبنا الأدب العالمي الذي تجاوز اليابسة الى الماء ، وقدم روائي البحر من « موبي ديك » الى « الشيخ والبحر » وغيرهما كثير

إن البحر عندي ليس خلفية طبيعية طلالية أو تزيينية ، كما يقول الناقد عبد الرزاق عيد ، بل هو عامل روائي ، تتطور فاعليته الروائية بتطور حركة الزمن وفاعليتها ، وبتطور الشخصية الروائية وفاعليتها أيضا

مفاتيح الرؤية

* قدمت الدكتورة نجاح العطار في دراستها المنشورة في مقدمة روايتك « بقايا صور » مفتاحا مهما لفهم أدبك سمته جدلية « الخوف والجرأة » ، وقدمت أمثلة عديدة لمستويات الخوف والجراة ، وتفاعلاتهما ضمن الشخصية الواحدة ، أو بين عدد من الشخصيات في الرواية الواحدة ، ومع نفاذ هذه الملاحظة ودقتها ، إلا أنني أحب أن أضيف أنها ليست الجدلية الوحيده التي تنتظم رواياتك أو تفسرها ، فهناك أيضا جدلية الحاضر والمستقبل ، وجدلية الطبيعة والعقل ، والصراع الطبقي الذي تكشف الروايات عن تخومه في الريف والمدينة ، والبر والبحر فهل تود أن تعلق على هذا الرأي ؟

□ـ الناقدة الدكتورة نجاح العطار وضعت يدها على أحد مفاتيح الرؤية في بناء الشخصية الروائية في أعمالي ، حين كشفت عن جدلية « الخوف والجرأة » ، ووضعت في الضوء على نحو مدهش الحياة الداخلية للشخصيات وقبل ذلك وضعت يدها على مفتاح آخر هو « الطروسية وعالم حنا مينه الروائي » ، ثم تابعت البحث عن مفتاح ثالث في دراسة بعنوان « روائي واقعي رومانتيكي » ، وما أريد قوله هو أنك في السؤال الذي تطرحه تضع يدك أيضا على أكثر من مفتاح ، بإشارتك الى أكثر من حركة جدلية في رواياتي مادامت وحدة الأضداد ، أو المتناقضات هي الحركة الجدلية للحياة ، في إيجابها وسلبها

إن جدلية الحاضر والمستقبل التي أشرت اليها

تعطي الناقد والدارس امكانية فهم الواقعية في رواياتي ، ذلك أن هناك كما هو معروف عدة واقعيات ، مثل الواقعية الطبيعية عند زولا ، والواقعية النقدية عند بوشكين وتشيخوف وغيرهما ، والواقعية الجديدة كما في الأدب التقدمي عموما ، وبخاصة الحديث منه ، واذا كانت الواقعية الاشتراكية قد اقترنت باسم مكسيم غوركي فهذا يعود الى أنه قد اكتشف البعد الثالث للواقعية ، وهو بعد المستقبل ، بعد أن كانت الواقعية أو الواقعيات السابقة تقوم على بعدين ، هما الماضي والحاضر

الواقعية الاشتراكية

وقد اختلف النقاد زمنا حول ما إذا كان أدب الواقعية الاشتراكية يمكن أن يكتب خارج البلدان الاشتراكية ، وجرى الآن ما يشبه الاجماع ، على أن أدب الواقعية الاشتراكية قد كتب ، في روسيا نفسها ، قبل أن تصبح اشتراكية ، مادام هذا الأدب يتضمن البعد الثالث ، وهو المستقبل وفي حال كهذه فإنه يمكن أن نطلق على أدب ما - يتوفر فيه بعد الواقعية المستقبلي - صفة الأدب الواقعي الاشتراكي ، وقد قلت في أكثر من حديث أن رواياتي تقدم شهادتها على أن أدب الواقعية الاشتراكية قد ولد ونما في الأدب العربي الحديث ، وهو الى نمو وتعاظم من خلال أعمال أدبية كثيرة ، أذكر منها بعض روايات نجيب محفوظ وبخاصة الثلاثية وبعض روايات عبد الرحمن منيف ، ويوسف القعيد ، وجمال الغيطاني ، وغيرهم ، أما بالنسبة لرواياتي فانها تنهض منذ البدء على أساس هذه المدرسة التي تتسع ، وتضم في ذاتها مدارس كثيرة ، كالواقعية والرومانتيكية ، والرمزية ، وحتى السوريالية ، وهذا هو السبب في أن أكثر كتاب السوريالية قد تحولوا الى الواقعية الاشتراكية ، مثل الشاعرين بول الوار ولويس اوراغون وغيرهما

جدلية العقل والطبيعة

* أرجو أن تأذن لي بشيء من التوضيح لما سميته « جدلية العقل والطبيعة » في السؤال السابق ، والتي أرى أنها ظهرت بوضوح في « ثلاثية حكاية بحار » . فاذا كانت رواياتك الأولى قد ركزت على مخاوف الانسان في صراعه ضد قوى خارجية ، كالاستعمار في « المصابيح الزرق » أو قوى الطبيعة في « الشراع والعاصفة » ، أو قوى اجتماعية أو مخاوف ذاتية كما في « الثلج يأتي من النافذة » أو « الشمس في يوم غائم » ، فان « ثلاثية حكاية بحار » تنطوي على عديد من ألوان هذا الصراع ، في اطار جدل أشمل ، وهو ما سميته جدل العقل والطبيعة ، فقد لاحظت أن شخصية « سعيد حزوم » (وهي الشخصية المحورية في الثلاثية التي تتجسد فيها قوى الطبيعة بكل فطريتها ، وعفوانها وتلقائيتها) تتجاوز طوال رحلة حياتها ، وتتفاعل مع نوعين من الشخصيات ، شخصيات تنتمي الى مملكة العقل (بغض النظر عن « ايديولوجيتها ») ، مثل قاسم العبد ، وسيد الاسكندراني ، وجيمس الميكانيكي وشخصيات تنتمي الى مملكة الطبيعة ، بما فيها من عنف العاطفة وغناها ، وجنون المغامرة ، مثل الكابتن ارتورا ، وعمر دندي ، ووليد ناهض تقول شخصية سعيد حزوم « إني أفضل ارتورا المجنون على جيمس الميكانيكي ، ووليد ناهض المريض على أي سليم خارج هذا المستشفى ، فهؤلاء يجعلون الحياة ملونة » لقد بدا لي في اطار هذه الرؤية أن هدف رحلة شخصية سعيد حزوم في بحثها عن الأب الذي لم يتحقق هو هدف الانسان في سعيه المستحيل أو الصعب من أجل الوصول الى حالة انسان يكتسب أروع ما في مملكة العقل ، دون أن يفقد ما يملكه بالفعل من مملكة الطبيعة من عنفوان المشاعر ، وبراءة التلقائية ، وجنون المغامرة ، وفي حلمه أن يكون قادرا على تحقيق العدالة والحرية ، دون أن يفقد القدرة على

ـانية رؤية عروس البحر التي نصفها إنسان ـصفها سمكة، والتي تؤكد شخصية جيمس ـحايكي أنه لا وجود لها»

ـود التعليق على هذه الرؤية لثلاثية حكاية

ـني مسرور إذ أراك كناقد، تسلط أضواء على مسائل حساسة جدا في رواياتي، ويمكنني في مجال التعليق أن أقول إن الحياة تقوم بشكل جدلي، والكاتب مهما تكن المدرسة التي ينتمي إليها يعود أولا وأخيرا إلى الواقع، فحتى في حالة إنكار الواقع هناك واقع، لأن هناك موقفا في نتيجة التحليل، فأصحاب عدم المواقف لهم مواقف، وعدم اعترافهم بهذا لا يغير من الأمر شيئا. وهنا أقول إن ملاحظة هذه الجدلية في الأساس مسلم به، إنما تتنوع هذه الجدلية بتنوع المواقف والمواقع، فالدكتورة نجاح قد كشفت عدة جدليات، وفي سؤالك أشرت إلى عدة جدليات أخرى خطيرة، وهذا شيء مهم يجعلني سعيدا، لأنني عندما كتبت عن الحياة كنت أمينا للصيرورة الاجتماعية والتاريخ التي تنطوي على جدليات كثيرة مستمرة، لكني أريد أن أوضح هنا أن وجود هذه الجدليات في رواياتي لم يكن مقصودا، ـحين أكتب لا ألاحظ أنني أتناول وحدة المتناقضات، إنما أعبر من خلال ذاتي ومن خلال المفهوم التاريخي الذي تشكل في هذه الذات، فأصدر عن هذا التشكل في الذات الإبداعية صدورا واعيا، ـكنه غير متعمد، فهو ينتسب إلى الوعي وإلى العفوية ـي وقت واحد، وأعتقد أن في رواياتي جوانب ـازالت خفية ويمكن أن يكتشفها الدارس، وفي ـالحقيقة أنني أجد دائما من يبهرني باكتشاف نقاط جديدة، لم أكن قد لاحظتها في أعمالي، إن الروائي حين يكتب يتناول حدثا، وكل حدث في الحقيقة ـنطوي على «إيديولوجية» قديمة، وبعضاً في ـإيديولوجية جديدة ولهذا فليست هناك إيديولوجية ـقية. وفي رواياتي ألاحظ أنه ليست هناك حقيقة لا يداخلها شك، وليست هناك غاية لا يشوبها شائب من عدم الغائية أيضا. هناك وعي، لكن هناك أيضا في داخل هذا الوعي عفوية أحيانا، والإنسان الصادق هو الذي ينطوي على هذه الثنائية، ويصدر عنها، دون أن يحاول قسرا أن ينفي الجانب الآخر، ودون أن يخاف هذا الصراع الناجم عن هذه الثنائية. فشخصية زكريا المارسيني في رواية «الياطر» قد تجاورت في داخلها هذه الثنائية. الشراسة والطيبة. فهي شخصية نصفها إنسان ونصفها وحش

تعليق

إذا أذنت لي فإنني أضيف هنا أن شخصية زكريا المارسيني [illegible] أيضا جدلية العقل [illegible] الذي كانت تتحكم فيه نزواته و[illegible] وعربدته، والذي كان يمارس الصيد للصيد، فيصيد السمكة ليعيدها إلى الماء، والذي تغلب على الحوت في المرة الأولى بروح التحدي والمغالبة، فهو بعد أن أحب شكيبة، وروضته قليلا، وبعد أن عاش بعمق الشعور بالوحدة في الغابة، عاد إلى المدينة، ليصطاد الحوت الذي روع الأهالي في الميناء بدافعية جديدة، وبإحساس جديد بالانتماء للوطن وللجماعة، وهذا تطور باتجاه نضج العقل، دون تضحية بعنفوان الطبيعة وبكارة المشاعر!

لست كاتب جنس

* في دراسة عن ثلاثية حكاية بحار «للناقد فاروق عبد القادر» في مجلة الهلال يدين الناقد النظرة إلى المرأة داخل الرواية، ويرى فيها «تعهيرا» للمرأة، كما يفسر تشابك العلاقات الحسية بين الأب والابن وكاترين في ضوء المفهوم الفرويدي للجنس، كما يرى - وأنا معه في هذا الرأي - أن هناك مبالغات في استعراض المواقف الحسية، لا تتطلبها الضرورة الفنية، فهل من تعليق على هذا الرأي؟

ـ لو كان هذا الرأي مساقا من خلال تحليل نقدي، مبني على تشريح الحدث، ومردودا حتى الى فرويد أو غيره من علماء النفس، لما كان لي أي تعليق، فمن عادتي أن أكتب، وأدع ما تبقى للقراء والنقاد، يرون فيه رأيهم، مع احترامي لهذا الرأي، إذا تناول الرواية، من خلال النص تناولا فيه نقد حقيقي، وموضوعي، مهما كان قاسيا أو مخالفا لرأيي، أما إذا كان النقد جملة كلمات، تنتسب الى الشتيمة أكثر مما تنتسب الى الرأي، وترمي الى مجرد الانتقاص فانني أبتسم باشفاق، لأنه نقد محابي، لا شيء فيه يفيدني أو يفيد القراء

وقد قرأت ما كتبه « فاروق عبد القادر » الذي سبق له أن استخف برواية « الياطر » عند صدورها، فلم تحل « استخفافيته دون مرور هذه الرواية كأثر فني، حاز على اعجاب شبه اجماعي، ومازال موضع اطراء القراء وحفاوة النقاد، ومنهم الناقد الكبير الاستاذ علي الراعي في مجلة « العربي » نفسها. وقد كان موقفي من « نقد » فاروق عبد القادر » هو الاهمال، لأنه لا جديد فيه، ولا شيء فيه يمت الى الموضوعية، فهو كما يخيل إليّ لم يفهم « الياطر »، كما لم يفهم ثلاثية « حكاية بحار »، بسبب عدم معرفته بالبحر، وتسطح تناوله الذي لا يعدو أن يكون تعليقا سريعا محابيا للحقيقة خاليا من المنهجية

أعود الى السؤال لأوضح مسألة هامة، هي أنني لست كاتب جنس، ولست في وارد الاثارة، لكنني أكتب عن البحر، والجنس ملازم للبحر مثل مائه وزبده، وقد تكلم الطرطوسي في « الشراع والعاصفة » مع بحارته فقال لهم: اسمعوا، للبحار في كل مرفأ امرأة وخمارة، وهذا بمثابة قانون بحري، ذلك أن البحار لا يمكن ان يكون قديسا، ولا رجلا عاديا، ونساء المرافيء لسن قديسات، ولسن نساء عاديات، وقد سبق لي في الجواب على السؤال الأول أن قلت انني قد عرفت البحر، وكتبت عنه بأمانة، ومن هذه الأمانة أن أرسم الشخصيات بكل عريها وقبحها ودناءتها، وكذلك بكل شجاعتها، واندفاعها وجرأتها، وجمالها، وشهامتها، وتعاطيها، مع التحدي الذي هو جزء من طبيعة العمل في المرفأ والبحر

لقد حاولت في رواياتي أن أنصف المرأة، فكانت صورتها دائما للبهاء وللجمال. وإن كنت قد تحدثت عن المومسات، فقد تحدثت عن جانب لم يتحدث عنه سواي بمثل هذه الصراحة، وبمثل هذه الجرأة لأنه من الضروري أن نكسر هذا الحاجز الذي يحول بيننا وبين أن نتكلم في الجنس، فالجنس الآن يعلم للطلاب في المدارس. فلماذا نخشى في أدبنا أن نتناول هذا الجانب كما ينبغي. وتراثنا الشعري مليء بالوصف الفني للسلوك الحسي، وأمامك قصائد امرؤ القيس، وكتب الجاحظ، والأغاني. فكيف نخشى الآن أن نتناول هذا الجانب؟!

شخصيات متشابهة

* هناك فكرة تقول: ان الكاتب يكتب في حياته كلها رواية واحدة، ثم تكون بقية أعماله تنويعات على الخطوط الأساسية في هذه الرواية. لقد دارت برأسي هذه الفكرة حين لاحظت أن العديد من الشخصيات ذات الطابع الواقعي التي وردت في ثلاثية « بقايا صور »، و« المستنقع »، و« القطاف »، وهي نوع من السيرة الذاتية، توشك أن تكون هي المادة الخام لبعض شخصيات ثلاثيه « حكاية بحار »، ذات الطابع الملحمي، الأسطوري، الواقعي أيضا. هل ترى أن هذه الملاحظة تحمل شيئا من الصحة؟ واذا كانت كذلك فكيف تم تطوير شخصيات السيرة الذاتية؟ وما هي الأسباب التي دعتك الى ذلك؟

ـ الى حد ما هذا الاستنتاج بشكل عام صحيح، لكنه يختلف في التفصيلات، وهي هنا جوهرية الأشخاص الذين لقيتهم في حياتي، وعرفتهم نماذج

متعددة ومتنوعة ، غنية وفقيرة ، شجاعة وجبانة

وسيكون من الطبيعي فيما بعد حين أتناول الحياة من حولي كنطف لأشكلها في شخصياتي الروائية أن تتداخل المعرفة والخبرة الذاتية الماضية مع التشكل الثقافي المكتسب ، ومن هنا يمكن أن يكون هناك بعض التشابه ، وبسبب أن ثلاثية السيرة الذاتية وثلاثية حكاية بحار تقومان على ظروف متشابهة ، سواء في عهد الاقطاع أو عهود رجال الصناعة ، فالأب في ثلاثية « بقايا صور » يعاني من جور الاقطاع ، وصالح حزوم (الأب) في « حكاية بحار » يعاني من ظلم أصحاب المراكب ، ومستودعات المصانع ، ومدراء السكك الحديدية وفي مواجهة هذه الجور والظلم تتشابه ردود فعل الأب هنا والأب هناك ، وكذلك نجد في الثلاثيتين شخصيات متشابهة مثل فايز الشعلة وقاسم العبد ، فهما مناضلان يبشران بأفكار وطنية واجتماعية ، ويلاقيان مصيرا متقاربا

ومن جهة أخرى ثمة شبه بين حياة الأب في ثلاثية « بقايا صور » وحياة سعيد حزوم (الابن) في ثلاثية « حكاية بحار » ، فكلاهما شبق رخو أمام المرأة ، مدمن على الخمر ، يتقلب في مراحه وحياته ، ويترحل من مكان الى مكان ، دون عمل ثابت ، ودون استقرار مريح ، لأنهما يحملان في نفسيهما جموحا وحبا للسمر والمغامرة

ولكن رغم هذا التشابه فان الشخصيات تختلف ، فشخصيات « حكاية بحار » ذات طابع ملحمي أسطوري ، لأنها شخصيات تعيش في البحر حياتها ، بينما عاشت شخصيات ثلاثية « بقايا صور » مشاكل البر في الحقول والمصانع ، فكانت لها السمات والملامح الواقعية

أشرت الى التشابه بين شخصية الأب في ثلاثية سيرة الحياة والابن « سعيد حزوم » في ثلاثية « حكاية بحار » ، فهل كان تصوير شخصية سعيد حزوم نفس مثالب الأب في ثلاثية السيرة الذاتية هو نوع من عقاب الابن (الكاتب) لنفسه من جراء شعور خفي بالذنب لقسوته الشديدة في تصوير شخصية الأب في واقع الحياة ؟

لا أظن أنني صورت شخصية سعيد حزوم بهذه الكيفية كنوع من العقاب بدافع الشعور الخفي بالذنب

مشكلة سعيد حزوم أنه جاء ليخلف أباه كمناضل وبحار ، لكنه جاء في عصر تعقدت فيه مشكلة النضال ، وتعقدت مشكلة التحرر الوطني ، ووصل التعقد والتمزق الى كل الناس ، وحتى التقى سعيد حزوم البحار بوليد ناهض المثقف ، نتيجة هذا التعقد في مستشفى واحد للأمراض النفسية

التجديد في الشكل الروائي

* ثمة ملاحظة نقدية تقول ان كل رواياتك كتبت في اطار تقاليد المدرسة الواقعية في الرواية ، وأنك لم تخض مغامرة التجديد في الشكل الروائي ، فهل لديك من تعليق ؟

ـ الملاحظة في شقها الأول صحيحة ، أعني اني كتبت كل رواياتي منطلقا من الواقعية كما بينت في الاجابة على السؤال السابق ، غير أنني على أرضية هذه الواقعية قد جددت في الشكل الروائي ، في غير إسراف ، وغير تعلق بالصرعات الروائية ، ودون محاولة للتقليد ، بحيث أضع مقدما تخطيطا لرواية اللارواية ، كما هو الحال عند آلان روب غرييه واناتولي ساروت أو غيرهما ، أو تخطيطا لرواية أقلد فيها أسلوب ماركيز صاحب « مئة عام من العزلة » أو غيره

اني أرفض التجديد القائم على الصرعات والتقليد واللهاث وراء الابتكارات الشكلية ، وأعي دوري الروائي جيدا ، وفي اطاره أجدد ، وأضرب مثلا على تجديدي رواية « الياطر » المبنية كلها على « المونولوج » الداخلي ، فوق أرضية واقعية ، وروايتي « الشمس في يوم غائم » المبنية على الرمز

والأسطورة ، فوق أرضية واقعية أيضا . وكذلك روايتي « مأساة ديمتريو » المؤسسة على كسر الزمن الروائي فوق أرضية واقعية أيضا ومن هنا فإن تحديدي يعطي إسهامه المتعدد ، بالاستناد الى الواقعية ، وهذا كاف بالنسبة لي

استطرادات لالزوم لها

* ثمة ملاحظة أخرى تقول انه كان من الممكن أن تقدم بعض رواياتك الطويلة نسبيا في حجم أقل لو أنك تحررت من تقاليد المدرسة الواقعية ، وأن العديد من المواقف لا تضيف جديدا الى دلالات الرواية ، بل تكرر هذه الدلالات دون ضرورة

- اني أتقبل هذه الملاحظة ، وأقر بصحتها لو أنني خرجت أو تعمدت الخروج على الواقعية ، لكن كبار الواقعيين مثل تولستوي ، وديكنز ، ودستويفسكي وغيرهم ، تنطوي أعمالهم على استطرادات [illegible] لأول وهلة بألا لزوم لها ، وأنها لا تقدم دلالات جديدة ، غير أن الرواية ككل كانت تتطلب [illegible] الصغيرة ، وهذا ما نجده في رواياتي ، وهـ [illegible] من المعمار الروائي ، ويحافظ في الوقت نفسه على الايقاع والتشويق ، فهذان العنصران هما اللذان يجعلان من الرواية رواية ومن القصة قصة ، ويحملان في نفس الوقت المتعة والقدرة على التوصيل

* هل تضع رواية « الربيع والخريف » في اطار سيرتك الذاتية ، فتكون الجزء الرابع من رباعية سيرتك الذاتية ؟ وهل تعتقد أن الحب المستحيل في « الربيع والخريف ،» هو نفس الحب الذي حاول التحقق في « مأساة ديمتريو » ؟

- « الربيع والخريف » لا علاقة لها بسيرتي الذاتية ، انها قصة عربي يعيش في الغربة ، وينغمس في أخلاقياتها ، حتى يكاد يضيع ، ثم تأتي هزة حرب حزيران فيستفيق على واقعين فاجعين ، واقع الوطن العربي ، وواقعه الشخصي ، فيقرر العودة الى الوطن رغم ما ينتظره من سجن فيه

والحب في هذه الرواية يمارس من الناحية الجسدية ، لكنه يستحيل من ناحية الارتباط الزواجي ، لأن كرم المجاهدي كان يشغله هاجسان ، هاجس العودة ، وهاجس « جنية القمر » ، أو المرأة التي يعده بها المجهول ، ومن هنا فالافتراق بينه وبين الحب في « مأساة ديمتريو » الذي لا يتحقق بسبب الفروقات والظروف الاجتماعية و « ديمتريو » كان فنانا ، وقد أحب ، لكنه أنكر حبه ، أو قاومه ، ووجده غير ممكن ، بينما واقع الحياة قد قرر أن هذا الحب ممكن ، وألا داعي لمقاومته ، ونكرانه ، وهكذا تتشكل المأساة الناشئة عن محاولة يائسة فاشلة في إبطال قانون الطبيعة ، حين يكون قانونا فوق الارادة البشرية □

■ يقولون لي : إذا رأيت عبدا نائما فلا توقظه ، لئلا يحلم بالحرية ،
وأقول لهم : إذا رأيت عبدا نائما أيقظته ، وحدثته عن الحرية

(جبران خليل جبران)

■ كلّما أنْبَتَ الزّمانُ قَنَاةً ركّبَ المرْءُ في القناةِ سِنانَا **(شعر المتنبي)**

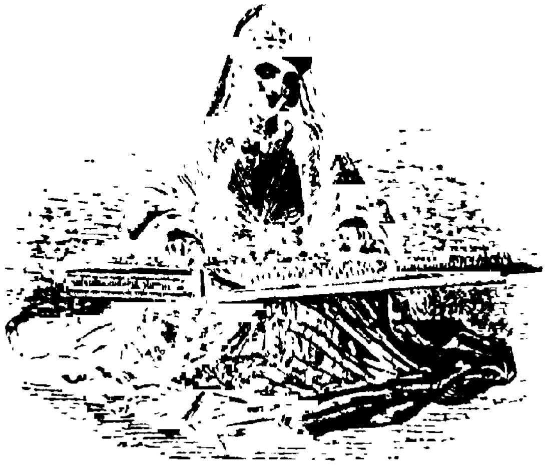

متى يتم جمعه ؟!

بقلم : سليم سحاب

منذ أمد قريب نسبيا بدأ العرب المعاصرون عبر النشاطات المبعثرة للمؤسسات الثقافية العامة والخاصة ، وعبر مخاض الوعي العربي الحضاري المعاصر الذي تعبر عنه أقلام المثقفين العرب هنا وهناك بكثير من الحماس والاندفاع ، وبقليل من الثمار التأسيسية الخلاقة حتى االآن . . .

بدأ العرب المعاصرون يعون أنهم لا يضعون اليد على تراثهم الموسيقى القديم الذي تشير كل الشواهد التاريخية إلى عظمته المؤكدة إلا من خلال الأبحاث التاريخية النظرية ، مثل مؤلفات الفارابي ، والكندي ، وابن سينا ، والأرموي ، وغيرهم ، ومن خلال كتب التاريخ الحضاري الجامعة ، مثل « كتاب الأغاني » بشكل خاص .

وبما أن فترات ازدهار الموسيقا العربية في صدر الاسلام ، ثم في العصر العباسي ، ثم في الأندلس ، لم تكن تعرف آلات التسجيل ولا التدوين الموسيقي الدقيق (بالنوطة) ، فإن اطلاعنا على هذا التراث الموسيقي العظيم الذي تأسست على جناحه الأندلسي كل بدايات النهضة الموسيقية في أوروبا ـ بشهادة كل الكتب الرصينة التي تؤرخ لأصول الموسيقا

أوروبية ـ لايتجاوز الوصف وصف مجالس لوسيقا والغناء ، ووصف بعض الألحان ، ومواضع لأصابع على العود عند العرف وقد بذلت أكثر من اولة لترجمة هذا الوصف إلى موسيقا حقيقية ، قابلة لعزف والاستماع ، إلا أن كل هذه المحاولات (على حرأتها) لم تعط ثمارا حقيقية حتى الآن رمن أهم هذه المحاولات كتاب « كشف رموز كتاب الأغاني »

من هنا يمكن القول أن تراثنا الموسيقي القديم العظيم لم يصلنا منه إلا وصفه النظري في بطون الكتب ، وشذرات يسيرة مما تبقى منه بالنقل الشفهي من جيل إلى حيل ، في بعض المواد الموسيقية التراثية ، سواء منها ما وصلنا بشكل أناشيد وتواشيح دينية ، أو بشكل تراث غنائي شعبي ، لكن حتى هذه الشذرات قليلة حدا ، ومبعثرة حدا ، وتفتقر حتى الآن إلى التحقيق العلمي الدقيق الذي يجمعها ، ويصنفها ، ويحدد مدى صحة علاقتها بأصولها التاريخية ونسبة ذلك ، لأن تناقل الألحان شفاهة من حيل إلى حيل من شأنه بعد مرور عشرات السنين بل مئات السنين أن يبتعد باللحن عن نغماته الأصلية ، ولا يحتفظ منه إلا بروحه العامة

المشكلة الكبرى

هذه إذن مشكلة أساسية أولى في مجال جمع تراثنا الموسيقي ، وحفظه ، وتدوينه ولكنها المشكلة الصغرى ، وأنا أقصد بهذا الكلام مقدمة للحديث عن المشكلة الكبرى ، وهي أنه إدا كان تراثنا الموسيقي القديم قد ضاع من أيدينا ، لأنه غير مسجل ، وغير مدون بالنوطة الموسيقية ، فإن تراثنا الموسيقي الحديث ، أي مجموع ما ألفه العرب من موسيقا وأغان في القرنين الأخيرين ـ وهو ثروة ثقافية هائلة ، محورها الأساسي ما أنتج في مصر في القرنين التاسع عشر والعشرين ، وتراث الموشحات المنتشرة بين حلب ومصر والمغرب العربي ـ معرض للتسرب من أيدينا ، ولضياع كثير من معالمه الأساسية مع مرور الزمن ، إدا استمر هدا التراث على وضعه الحالي من الاهمال في جمعه ، وفرزه ، وتصيفه ، وتدوينه « بالنوطة » والتسجيلات الصوتية ، تدوينا علميا ، يثبت تاريخ كل عمل ، واسم مؤلف كلماته وملحنه ومغنيه

ولو أردنا أن نرسم صورة موجزة دقيقة للوضع الحالي للتراث العربي المعاصر لأمكننا تحديد هذه الصورة بالعناصر التالية

١ ـ التسجيلات الكاملة لهذا التراث غير موجودة في أي مكتبة موسيقية عربية ، بل هو مبعثر في عدة مكتبات ، أهمها إذاعة القاهرة ، وإذاعة دمشق ، وإذاعة بيروت .

أما ما هو متداول من هدا التراث على اسطوانات وأشرطة فهو أولا لايغطي إلا نصف القرن الأخير ، وهو مسجل على أساس تجاري ، بمعنى أنه انتقائي ، يحتفظ بأشياء ، ويهمل أشياء ، ثم ان تسجيلاته ـ في عدد كبير منها ـ مشوهة بالاختصار الذي تقتضيه متطلبات التجميع التجاري لأكبر عدد ممكن من الأعمال على شريط واحد ، أو بالتطويل ـ بإعادة تسجيل نفس القطعة عدة مرات على نفس الشريط ـ للأغراض التجارية نفسها ، إضافة إلى افتقار هذه المصنفات المسجلة ـ اسطوانات أو أشرطة ـ إلى المعلومات الأساسية حول كل عمل ، كاسم المؤلف

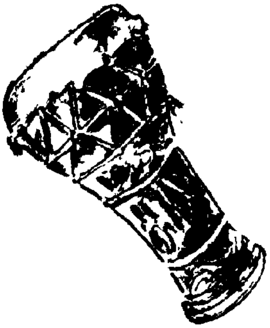

سم الملحن ، واسم المغني ، وتاريخ العمل ،
ماصيل عن العمل نفسه . كمقامه وشكله
سيقي إلخ

٢ ـ أما من ناحية التدوين بالنوطة الموسيقية فمن
كد أن هذا النقص يكاد يشمل كل التراث العربي
اصر ، المحضرم والوسيط والحديث فمن
روفات أغاني محمد عبد الوهاب مثلا ، وهو أشهر
وسيقي عربي معاصر ، مازال على قيد الحياة
وسعنا الحصول على بعضها مسجلا ، لكن ليس
سعنا الحصول على تدوين موسيقي كامل وسليم
ي منها ، كما أننا لو حاولنا الحصول على مصنف
ريخي كامل لأعمال محمد عبد الوهاب (مثلا) فلن
د شيئا من هذا ، حتى في بيت عبدالوهاب نفسه ،
في أي مكتبة عربية وإذا كان الأمر هذا يحدث
سيقي ومغن مشهور مثل محمد عبد الوهاب ، وهو
رال على قيد الحياة ، فعلينا أن نتخيل مدى انتشار
أساة بالنسبة للملحنين والمغنين الآخرين ، ممن هم
ل شأنا وشهرة ، أو ممن قد رحلوا والمأساة تبلغ
داها الكامل طبعا مع عباقرة الموسيقا العربية في
قرن التاسع عشر ، وأوائل القرن العشرين ، مثل
بده الحامولي ، ومحمد عثمان ، وكامل الخلعي ،
داوود حسني وسيد درويش ، وغيرهم

٣ ـ حتى في معاهدنا الموسيقية ما زلنا حتى الآن
نملك تصنيفا تاريخيا نهائيا محققا بالوسائل العلمية
راثنا المعاصر فموشح « لما بدا يتثنى » الذي قد
كون أشهر الموشحات العربية ، ينسب إلى أكثر من
لحن ، وأحيانا ينسب إلى التراث العام ، ولو
اولنا الحصول على مصنف كامل لأعمال عبده
لحامولي مثلا ، أو محمد عثمان ـ في الغرب يمكن
لحصول على مصنف كامل لأعمال موزار أو بتهوفن
و أي موسيقي آخر ـ لما وجدت شيئا من هذا
لقبيل ، حتى في المعاهد الموسيقية في القاهرة

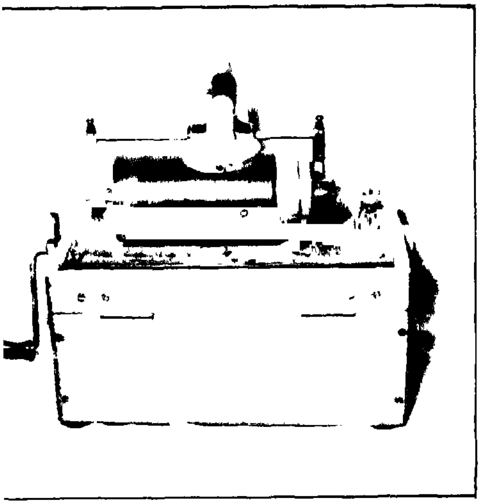

الفونوغراف جهاز استماع استخدم في أوائل القرن العشرين

أساليب انتقائية

٤ ـ هناك محاولات فردية تبذل لتدوين أجزاء من هذا التراث بالنوطة الموسيقية ، لكن هذا التدوين يحمل ثغرات هائلة ، تجعله يقصر كثيرا عن الغرض المطلوب .

أ ـ إن معظم التدوين المطبوع الموجود بين أيدي المهتمين قد تم بلا أي منهج ، وبأسلوب انتقائي محض ، وبروح ـ في الغالب ـ تجارية ، لدرجة أن كثيراً من هذه النماذج مليئة بالأخطاء الفاحشة أحيانا ، وتفتقر إلى كثير من الشروط حتى يمكن تحويلها إلى مراجع جدية للمادة الموسيقية المتعلقة بها .

ب ـ إن بعض هذه التدوينات الجادة (تدوين نوبات المالوف في تونس ، ومحاولة جمع تراث القرن التاسع عشر في مصر ، ومجهود الشيخ علي الدرويش في حلب ، وسليم الحلو في لبنان في جمع الموشحات وتدوينها ، إلى جانب المؤلف الضخم للفنان اللبناني نخلة القطريب الذي يحتوي على كمية ضخمة من

الموشحات ، إلى جانب دراسة بالغة الأهمية في السكك المقامية للموسيقى العربية) ، أقول إن بعض هذه التدوينات الجادة قد تم بطريقة تقريبية ، حيث تم تدوين الهيكل العام للحن نتيجة لانتهاج التطبيق الحرفي للأسلوب الاوروبي في التدوين) فاذا تم عزف اللحن وفقا لهذا التدوين جاء مشوها ، خاليا من الانعطافات والزخارف العربية الموجودة فيه أصلا ، والتي تعتبر أهم ما يميز الموسيقا العربية عن الموسيقا الأوروبية ، بالاضافة إلى أن المجهود الذي بذله سليم الحلو قد توقف بوفاته ، كما أنه في حوزة ابن الشيخ علي الدرويش ، الموسيقي الحلبي المعروف نديم الدرويش ، مجموعة ضخمة من الموشحات لم تنشر بعد لأسباب مالية أيضا وكذلك هي الحال في دراسة نحلة القطريب ، فيما اقتصر مجهود اللجنة الموسيقية العليا للحفاظ على التراث في مصر على أربعة مجلدات طبعت معظمها في الستينيات ، ثم توقف صدورها نهائيا ، واختفت من الأسواق حتى في مصر

النقل الشفهي

خلاصة هذه المشكلة بكل تفرعاتها وتفاصيلها التي تعرضنا لها عرضا سريعا هي أننا نملك تراثا موسيقيا معاصرا ضخما ، دون أي مجهود لجمعه وفرزه وتصنيفه ، ناهيك عن دراسته واستخراج القواعد النظرية منه ، كما فعل الغرب بموسيقاه ، لاسيما في القرون الثلاثة الماضية ، مما يضيف إلى كل نواقص دراسة الموسيقا العربية في بلادنا نقصا هائلا ، وهو كونها بغير مراجع حتى أن فرقة تراثية عربية كبيرة - كفرقة عبد الحليم نويرة - كانت وما زالت تعتمد على حفظ التراث بالنقل الشفهي ، وكذلك فعل الأستاذ توفيق الباشا في لبنان عندما جمع الموشحات من الحانات والمسارح الغنائية الأمر الذي يفسر أحد أسباب العقد التي تدفع طلاب الموسيقا عندنا إلى الارتماء بسهولة في أحضان الموسيقا الاوروبية ، والوقوع في عقدة النقص تجاهها ، لأنها - بالاضافة إلى مادتها الفنية الغنية - معروضة أمام أي طالب موسيقا بأسهل وسائل التدوين العلمي الجاد وأدقها وأرقاها ، فيترسب في ذهن طالب الموسيقا العربي بأن موسيقاه « متخلفة » في مقابل الموسيقا الاوروبية المتقدمة

اقتراحات عملية

إن الخوض في أي اقتراح عملي لسد كل هذه الثغرات منوط أولا وأخيرا بتصور الجهد الذي سيبذل في هذا المجال ، والامكانات المالية التي ستوضع في خدمته ، فمثل هذا العمل يمكن أن يحتاج إلى جهد من الاقطار العربية مجتمعة بكل طاقاتها في هذا المجال (موسيقيا وماليا) ، لأن أي انطلاق نحو سد الثغرات بأسلوب علمي وتاريخي وتأسيسي لابد أن يبدأ بتشكيل فرق كاملة ، تقوم بجمع المادة الموسيقية أولا ، ثم تصنيفها ، ثم الانطلاق لتسجيلها على أشرطة واسطوانات ، وتدوينها بالنوطة الموسيقية ، وهذا العمل قد يحتاج إلى عقدين من الزمن أو أكثر ، إذا انطلق العمل بزخم كامل وبغير انقطاع

ومع ذلك ، واعتقادا منا بأن الجهود المتناثرة قد بذلت هنا وهناك واختصرت كثيراً من الجهد المطلوب

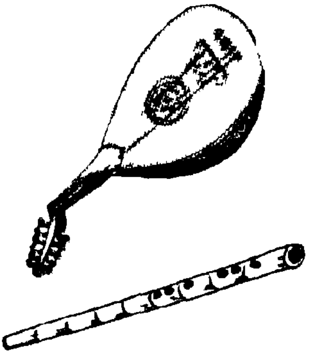

، إن كان ذلك قد تم بغير تنسيق حتى الآن بين شتى الاقطار العربية ، فإننا نقدم اقتراحا محدداً ، يمكن أن يكون بداية منهجية ، تتسع دائرتها كلما سمحت الامكانات والطموحات ، على أن يكون العنوان العام للاقتراح هو جمع ما تيسر من التراث وطبعه ، لكن بأسلوب منهجي دقيق صارم ، بحيث يظل النقص فقط في مدى اتساع تغطية ما سينشر (لأن هذه النعرة تحتاج كما قلنا إلى عمل مؤسسي ، بالغ الضخامة ، طويل النفس ، هائل الامكانات المادية والبشرية) ، على أن يكون ما يصدر (على ضيق رقعته) مرجعا منهجيا لايرقى إليه أي شك علمي أو فني ، فيصبح مرجعا نهائيا للمادة الموسيقية التي يشملها

ويمكن لعملية الجمع أن تتم وفق واحد من هذه الأساليب المنهجية

أ ـ الجمع والتدوين وفقا للتسلسل الزمني العام

ب ـ الجمع والتدوين وفقا لأعمال الفنان الواحد (مع مراعاة التسلسل الزمني في أعماله)

ج ـ الجمع والتدوين وفقا لنوع المادة الموسيقية والغنائية نفسها (كالموشحات ، والأدوار ، والطقاطيق ، والقصائد ، والمعروفات ، إلخ)

ونظرا للصعوبات التي يمكن أن تعترض هذه المناهج فاننا نتبنى أسلوباً أكثر يسراً ، لالشيء إلا لمراعاة الظروف العملية ، وهو أسلوب الجمع والتدوين وفقا للفنان الواحد ، ذلك أنه يمكن البدء بمجموعة من الفنانين الذين يجمعون بين القيمة الفنية الكبيرة وبين سهولة التحقق من أعمالهم كاملة ، وهؤلاء كثيرون حتى أن الانكباب على جمع أعمالهم وتدوينها سيشغل العاملين في هذا المشروع فترة طويلة ، وبخاصة إذا كانت دائرة المشتغلين في المشروع ضيقة ، على أمل أن يكون هذا العمل كلما اقترب من الحواجز الصعبة ، نجح في تحريك الهمم والحوافز ، لانتقاله إلى عمل مؤسسي على المستوى العربي عموما ، ذلك أن العمل بمنهاج التسلسل الزمني العام أو الشكل الموسيقي ـ موشحات ، وأدوار ، وقصائد ، إلخ ـ سيضطر العاملين في المشروع قطعا إلى توسيع دائرة التنقيب التأسيسي ـ قبل التدوين والنشر ـ مما نعتقد أنه يسبب صعوبات مالية وعملية إضافية لأي مشروع من هذا النوع ، إضافة إلى اعتقادنا بأن الجمع وفقا لاسم الفنان قد يدعم المشروع بفعالية أكبر في مجال التسويق التجاري ، لأنه سيعتمد ـ لاسيما في البداية ، وهي طويلة ـ على الأسماء اللامعة ، مثل محمد عبدالوهاب ، وسيد درويش ، ومحمد القصبجي ، ورياض السنباطي ، وزكريا أحمد ، وغيرهم

طريقة التنفيذ

إذا اعتمدنا هذا الأسلوب فإن تنفيذه يمكن أن يتم وفقا للشكل التالي

أ ـ جمع مادة الفنان الذي سيبدأ المشروع به كاملة

ب ـ فرز هذه المادة وفقا لتسلسلها الزمني ، ووفقا لشكلها ، أو نوعها الموسيقي ، أو الغنائي

ج ـ تقسيم هذه الأعمال على مجلدات تصدر تباعا ، بحيث يحمل النوطة الكاملة للعمل الفني ، مع تحليل مركز للشكل الموسيقي المتبع فيه ، وطريقة العزف ، والتوزيع ، مع تحديد مؤكد لتاريخه

أما إذا كان الاختيار سيقع على أحد المنهجين الآخرين اللذين لكل منهما أفضلياته ومزاياه الكثيرة ـ وقد يعكسان على المشروع مزيدا من الهيبة العلمية ـ فيمكن تطبيق التفاصيل نفسها بالتسلسل نفسه الجمع فالفرز ، فالتدوين فالنشر

مع ملاحظة نهائية أساسية وهي أن يتم التدوين بمنطق الحرص العام على المحافظة على روح المقطوعة المدونة كاملة ، بحيث تخرج عند تأديتها ، وفقا للنوطة المدونة ، مطابقة تماما لروح المقطوعة كما سجلها صاحبها وكما عزفها ، في الروح والتفاصيل ، مهما كلف ذلك من جهد إضافي □

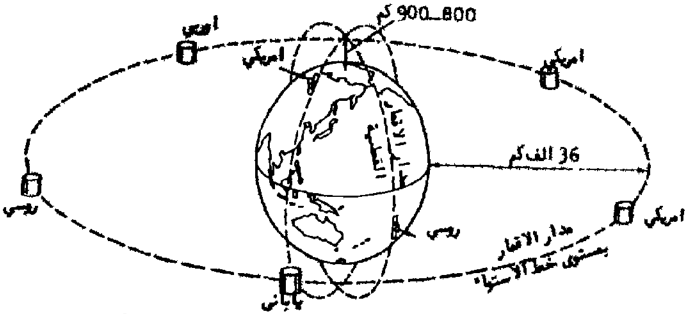

الكرة الارضية معطاة بأقمار الانواء الجوية

التنبؤ بالأحوال الجوية عبر الأقمار الصناعية

بقلم : طاهر سكر القيسي

التنبؤ بالأحوال الجوية ودراسة الطبيعة إضافة إلى الاتصالات ، هي السمات الاساسية التي أفرزتها علوم الفضاء لخدمة البشرية . آلاف التقارير الجوية ترسلها الأقمار كل يوم إلى الأرض .

فكيف يتم ذلك ؟ وأي تنظيم ينسقه ؟

ليس حديداً أن يهتم الانسان بالمناخ أو الطبيعة ، فالفصول الأربعة وأجواؤها معروفة له منذ الأزل ، يحددها ويتوقعها ، فيكيف نفسه مع كل منها ، كذلك الحالة الجوية لأيام قريبة منه لم يهملها ، نظرة فاحصة منه للنجوم في الليل ، ومحاولة استقراء الفضاء القريب منه ، تساعده على التنبؤ ، كيف سيكون الطقس غدا ، إلا أن الأمر لم يبق على هذه البدائية الآن في خضم هذا التطور الهائل ، فالأقمار الصناعية أخذت على عاتقها هذه المسؤولية

يعتمد نظام التنبؤ بالأحوال الجوية على ثلاث شبكات رئيسية ، تشكل وحدة متكاملة شبكة من الأقمار الصناعية إحداها تدور في مدارات قطبية ، والأخرى تدور في مدارات استوائية ، وشبكة جمع المعلومات والبيانات ، ثم شبكة للاستلام أو المحطات المستفيدة

شبكة جمع البيانات

تقوم تجمع البيانات والمعلومات المصاحبة للتغيرات الجوية التي تحدث قريبا من سطح الأرض ، وعلى ارتفاعات معينة ، كحركة التيارات المائية ، وحرارة سطوح المياه ، وبعض متغيرات الرياح كالسرعة والاتجاه ، وتساقط الأمطار ، وانعكاس الشعاع الشمسي من الأرض الى القمر ، وغير ذلك ، ويوافي القمر بكل هذه البيانات أولا بأول ، إضافة لما يسجله هو وعناصر هذه الشبكة منتشرة في مواقع مختلفة من الكرة الأرضية ، تحمل على متنها معدات وأجهزة تسجيل لذلك ، منها مناطيد محلقة على ارتفاعات معينة ، وطائرات وبواخر تجارية ، وطوافات عائمة على سطوح البحار والمحيطات ، وطائرات تقوم بإلقاء مظلات خاصة لهذا الغرض ، ومحطات مائية ، إضافة إلى المحطات الأرضية الثابتة وجميع عناصر هذه الشبكة مهما كان اتجاه حركتها تقع باستمرار ضمن المجال الجوي لرصد الأقمار . فمثلا برنامج (اسدار) الأمريكي له أجهزة علمية خاصة بالطبيعة والمناخ ، موضوعة على عشرين طائرة ضخمة من نوع (جامبو ٧٤٧) ، تقوم بتسجيل ثمانية تقارير كل ساعة عن الحالة الجوية ، وترسلها إلى القمر الذي تقع ضمن مجال تغطيته ، لينقلها بدوره إلى محطات الدراسة والتحليل الأرضية ، ويصل في اليوم الواحد ما بين ٤٠٠ ـ ٥٠٠ تقرير من كل قمر

شبكة الأقمار

يملكها كيان شبه دولي ، هدفه دراسة الطبيعة والمناخ ، ومعرفة بعض من أسرار الغلاف الجوي ، فما يزال تفسير بعض الظواهر الطقسية والمناخية مبهما ، ومن جانب آخر ما تزال أيضا المناطق القارية ومناطق نصف الكرة الجنوبي دون دراسة ، ومعلوماتها المناخية فقيرة إلى حد ما ، ولما كانت تلعب دورا مهما في مناخ نصف الكرة الشمالي وطقسه أصبح شمولها بهذه الشبكة ضروريا وحتى الثمانينيات كانت هذه الشبكة مؤلفة من تسعة أقمار أربعة منها في مدارات قطبية ، تدور حول الأرض من قطب إلى قطب ، مساهمة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ، إلا أن عددها قد تقلص أخيرا إلى قمرين ، أحدهما أمريكي والآخر سوفيتي ، أما الأقمار الخمسة الأخرى ففي مدارات أستوائية ، بمستوى خط الاستواء ، وهي العنصر الفعال في هذه الشبكة حتى عام ١٩٨٤م ، كان لأمريكا ثلاثة منها ، وواحد لليابان وآخر لوكالة الفضاء الأوروبية ، (أيسا) إلا أنه ـ فيما بعد ـ أستبدل القمر الأمريكي الذي كان يغطي منطقة المحيط الهندي بآخر سوفيتي ، والنظام الذي تعمل على أساسه هذه الأقمار يكاد يكون متشابها ، وعلى الرغم من الاختلاف النسبي في برنامج كل قمر إلا أن النتائج واحدة ، فالقمر الأوروبي المسمى (ميتوسات) يمكن اعتباره نموذجاً للأقمار الأخرى

القمر الأوروبي ميتوسات

واحد من سلسلة أولها بدأ العمل بعد ساعات من إطلاقه في ٢٢ نوفمبر ١٩٧٧ ، ثم أطلق ميتوسات (٢) ليحل محل الأول في يونيو ١٩٨١ ، وأطلق الثالث في وقت مبكر من هذا العام ليحل محل الثاني ، على أن تبقى هذه السلسلة من الأقمار في الخدمة حتى عام ١٩٩٥م على أدنى تقدير بعد تعزيزها بثلاثة أقمار جديدة أخرى ، الأول منها سيطلق في سبتمبر ١٩٨٧ ، ويلحقه الثاني في أواخر عام ١٩٨٨م ، ثم يتبعها الثالث في نهاية عام ١٩٩٠م

ويستفيد من خدمات هذه السلسلة عدد كبير من الدول إضافة إلى نادي ميتوسات المكون من ١٦ دولة أوروبية يدور القمر دورة كاملة حول الأرض كل ٢٤ ساعة ، وهو نفس زمن دوران الأرض حول نفسها ، أي أن له نفس السرعة والزاوية ، فيبدو للراصد على الأرض كأن القمر ثابت ، وهذا

التساوي في السرعة يمكن القمر من ملاحقة الأرض ومتابعتها ومراقبتها باستمرار من مداره الذي يرتفع ٣٦ ألف كم على خط الاستواء ، ويزن القمر ٣٢٠ كغم ، منها ٣٩ كغم من الوقود ، وعمره بحدود ٥ سنوات ، وأهم الأجهزة التي يحملها جهاز تحليل ثلاث قنوات ، إحداها للأشعة تحت الحمراء ، وقناة بخار الماء ، وأخرى للأشعة المرئية ، ويؤدي القمر مهمات متنوعة ، فهو أولا يقوم بإعادة وعكس كل ما يستلمه من محطات الرصد إلى أجزاء متفرقة من الكرة الأرضية عبر شبكة الاستلام ، وذلك لإعطائها فكرة عما يحدث هنا وهناك من تقلبات جوية ، وتزويد الأرض بالبيانات التي سجلتها قنواته لتوزع على المستفيدين بالإضافة إلى سبعة مراكز مختلفة للأنواء الجوية ، ثلاثة منها في الولايات المتحدة ، واثنان في ألمانيا ، وواحد في فرنسا وآخر في اليابان، ومن خلال هذه المراكز تسلك البيانات المناخية طريقها إلى أكثر من ١٠٠ محطة أخرى في مناطق متفرقة من العالم ، أما عملية تصوير الأرض فهي المهمة الثالثة للقمر الذي يعطي صورة للأرض ، واضحة المعالم ، كل نصف ساعة تقريبا ويقدر عدد الصور المرسلة إلى الأرض عن الأرض في اليوم الواحد بثلاثين صورة من كل قمر ، والصورة الواحدة تعطي ما مساحته ١٦٠×١٦٠ كم مربعا ، وباللونين الأبيض والأسود ودرجاتهما ، وقناة الأشعة تحت الحمراء تقوم بقياس وتسجيل الاشعاع الحراري المنبعث والمنعكس من الأرض ، فاللون المظلم يمثل مناطق دافئة كاليابسة والمحيطات ، والغيوم المنخفضة ، أما اللون المضيء من نفس القناة فيمثل مناطق باردة غالباً ما تكون مغطاة بغيوم شاهقة ، ويعين ارتفاعها عند مرور الأشعة من خلالها في طريقها إلى قناة القمر ، أما قناة بخار الماء فتقوم بقياس كمية الاشعاع الحراري المنبعث أساسا من بخار الماء في الجو ، وعند طبقة «التروبوسفير» على الأخص ، بالتالي يتم تحديد نسبة الرطوبة ، فالمناطق المظلمة بالنسبة لهذه القناة توضح أقاليم ذات إشعاع حراري عال نسبيا ، أي رطو منخفضة ، في حين أن الأقاليم المضيئة ذات اشعاع أقل ورطوبة عالية ، وقناة الأشعة المرئية تصور ما يمكنها مشاهدته من الأرض اليابسة والماء ، وتجمع الصور المرسلة في القمر فتنتظم بترتيب تسلسلها والتقاطها ، مبينا فيها السواحل كمنطلق لتحليلها ودراستها ، لتعطي صورة كبيرة متكاملة متجانسة واضحة للمنطقة المصورة ، ومنها يتم تحديد سرعة الرياح واتجاه حركتها ، وكذلك الغيوم التي تظهر جلية في الصورة المتكاملة التي سرعان ما تنقل على شرائط مغناطيسية لاستخدامات أخرى متنوعة في الزراعة ، وعلم المحيطات ، وعلم المياه ، وغيرها ، والنسخ الملونة من الصور في غاية الجمال ، ففي قاعة الاستقبال الخارجية لمركز بحوث الفضاء التابع (لأيسا) بهولندا ، يمكن للزائر أن يمتع نظره بصور حية متواصلة ملونة للأرض ، يرسلها القمر (ميتوسات) بين فترة وأخرى ، من خلال جهاز تلفاز كبير ، موضوع في أحد أركان القاعة

شبكة الاستلام

بعض عناصرها يستلم المعلومات مباشرة من القمر الذي تزود بها من مصادر جمع البيانات . وغالبا ما تكون الأساطيل الجوية والبحرية عناصر مستلمة ومستفيدة من هذه الخدمة المباشرة لأهميته القصوى في ملاحتها ، بينما تشكل المحطات الثابت المحلية منها والرئيسية العنصر الأساسي في هذ الشكة ، فتقوم باستلام البيانات التي سجلتها قنوات القمر والصور المرسلة منه ، فتنجز عملية ترجمتها إل واقع ، ومن ثم تفسيرها قبل توزيعها إلى نقا أخرى ، ويمكن اعتبار جامعة دوندي في أسكتلندة وجامعة وسكونسن ، ومختبر الطبيعة والمناخ و باريس ، ومركز عمليات الفضاء الأوروبي بألمانيا ومركز الطبيعة والمناخ في اليابان ، أهم تلك النقاط

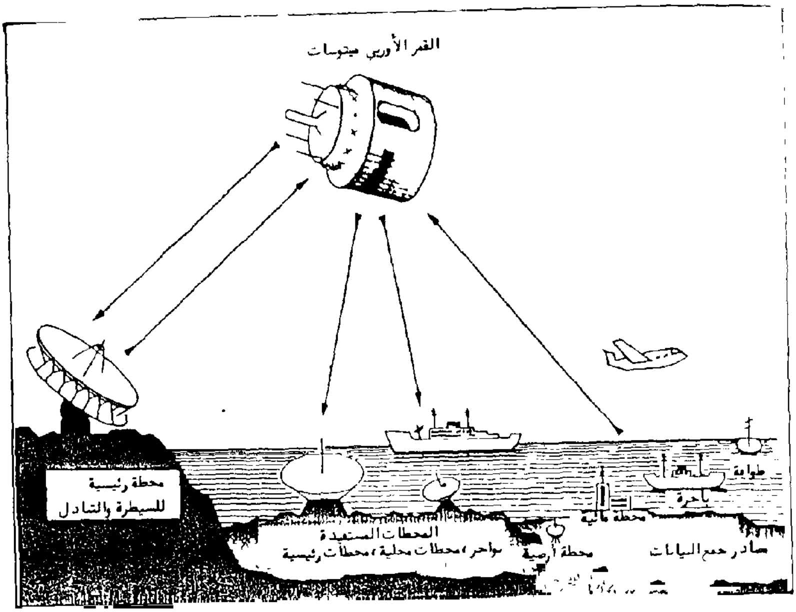
القمر الأوربي ميتوسات
محطة رئيسية للسيطرة والتبادل
طوافة
باخرة
محطة مائية
المحطات المستفيدة
بواخر ، محطات محلية ، محطات رئيسية
محطة أرضية
مصادر جمع البيانات

نظام شبكات الأنواء الجوية يمثل ميتوسات كنموذج للأقمار الأخرى

الخلاصة

إضافة إلى وسائل الاعلام ، من صحافة وتلفاز ومذياع تواجهنا كل يوم نشرات جوية.

كل شبكة من الشبكات الثلاث تكمل الأخرى ، لتكون نظاما متكاملا ، إذ أن عملية الصور تتم بعد مقارنتها ومطابقتها مع بياناتها المسجلة من مصادر جمع البيانات ، فوجود صورة وتوفر معلومات عنها يمكن من تحليلها بسهولة ، فالصورة الواحدة الكبيرة الشاملة التي تغطي ـ مثلا ـ المنطقة المحصورة بين الساحل الغربي الأمريكي والبنغال لاتدرك تفاصيلها إلابالتحليل بعد تكامل المعلومات وموقع القمر ، وارتفاع مداره وسرعتي دورانه حول الأرض وحول نفسه من العوامل المهمة في نجاح مهمته ، ويبدو أن النفط والمنازعات والحروب والسياسية والعنف في آسيا كل ذلك لم يعد له تأثير كاف على العالم ، فمراكز التحليل والدراسة تولي اهتماما كبيرا لمنطقة المحيط الهندي لوجود تيارات الرياح الموسمية هناك وهي التي تغطي أجزاء كبيرة من آسيا ، فتؤثر إلى حد كبير في أجزاء أخرى من العالم ! فهل هناك ترابط ؟! □

●

■ إن العبد الحقيقي هو ذلك الذي لايستطيع أن يصرح بآرائه .

(يوربيديس)

كيف يصبح الأدب عالمياً؟

فن القصة المعاصر في أمريكا اللاتينية

بقلم . الدكتور حامد أبو أحمد

« يبدو أن كل ما يدهشنا لسنوات طويلة مقبلة سيأتي من أمريكا اللاتينية ، هذه القارة المتفجرة الساحة الملتهبة عن ملامح فن القصة الذي ينتسب الى هذه القارة ، والذي يغزو العالم كله ، يقدم هذا المقال رؤية جديدة وتحليلا نقديا »

تعرض فن القصة في أمريكا اللاتينية خلال الأربعين عاما الأخيرة لعملية تغيير عميقة وحاسمة ، حولته بصورة جذرية من فن اقليمي محلي الى فن باهر ، يجذب أنظار القراء والنقاد في شتى بقاع العالم ، وقد بدأ هذا التغيير الكبير في عقد الاربعينيات من هذا القرن ، ومن ثم فان النقاد في أمريكا اللاتينية يعتبرون هذا العقد بمثابة الخط الفاصل بين القصة ذات الطابع التقليدي التي كانت سائدة من قبل في هذه القارة ، وبين القصة الجديدة ذات التقنيات الثورية والتجريبية التي ما زلنا نشهد آثارها حتى الآن .

كان عقد الاربعينيات اذن هو الذي شهد بداية هذه الحركة التي استهدفت القيام بعملية تجديد شاملة ، في بناء النوع الأدبي المعروف بفن القصة ، وفي أسلوبه بعامة ومثلما يبدأ كل جديد برفض الأساليب القديمة فقد بدأت الحركة التجديدية في أمريكا اللاتينية برفض الأساليب والتقنيات المستهلكة ، التي كانت متمثلة في التيار الاجتماعي ، أو الواقعي الذي يعبر عن الواقع بطريقة سطحية ، اقليمية ، تاريخية ، سياسية متصلة بالعادات ، أكثر من اتصالها بالقيم الانسانية الحقيقية ، أو متمثلة في القصص ذات الاتجاه النفسي ، أو تلك التي كانت معروفة في « الفانتازيا » (شطحات الخيال أو الوهم) كان الرفض موجها لوحة النظر القديمة .

والجدير بالذكر أن هذه الحركة التجديدية في أمريكا اللاتينية قد تواكبت مع حركة التجديد العالمية في فن القصة ، أو ماسمي القصة الجديدة التي كان من أبرز أعلامها في القارة الأوروبية ميشيل بوتور ، وألن روب جرييه ، وناتالي ساروت لكن ثمة فارقا كبيرا بين الحركة التجديدية (في ذلك الوقت)

ن أوروبا والحركة التجديدية في أمريكا اللاتينية ، وهو أن الأولى كانت حركة شكلية صارمة ، بينما ظل البعد الاجتماعي - ومازال - ساطعا في أعمال قصاصي أمريكا اللاتينية

وأبرز ممثلي هذه الحركة التجديدية في الأربعينيات هم خورخي لويس بورخيس ، وأليخو كارستير ، وماريشال ، ويانيس ، وميجيل أنخل أستورياس ولعل الأخير هو أبرز هذه المجموعة ، فقد كانت قصته المشهورة « سيدي الرئيس » تحمل تجديدا أسلوبيا جذريا في المفهوم ، وفي العرض القصصي ، ثم كانت قصته « رجال من الذرة » التي نشرت عام ١٩٤٩ تمثل التغيير والتجديد ، ولذلك تحدث النقاد في العدد الذي خصص لهذا الكاتب من « مجلة أمريكا اللاتينية » (عدد ٦٧ ، يناير - أبريل ١٩٦٩) وقالوا بأن ميجيل أنخل أستورياس هو الخط الفاصل في الفن القصصي في هذه القارة وأصبح الناس يتحدثون عن القصة قبله ، والقصة بعده

اتجاهات التجديد

حاول بعض النقاد رصد ظواهر التجديد عن طريق تقسيم الكتاب الى أجيال ، فالناقد المكسيكي خوسية لويس مارتينث في مقال له عام ١٩٦٩ قسمهم الى خمسة أجيال ، في اطار زمني يقل قليلا عن خمسين عاما ، والقصاص الناقد البيرواني ماريو فارجاس أيوسا في مقال له بالانجليزية ظهر في ملحق التايمز الأدبي في لندن عام ١٩٦٨ قسمهم الى جيلين جيل الرواد ، وجيل الكتاب الحاليين ، بينما رأى بعض النقاد في السبعينيات أن كتاب القصة منذ ميجيل أنخل أستورياس حتى وقتهم يمثلون جيلا واحدا ، يتفرع الى فروع متعددة ورأى الناقد رود ريجيث مونيجال أن يتخلى عن عملية التقسيم الى أجيال ، وجنح الى وضع عمليات التجديد في محور رئيسي مركزي ، تدور حوله مجموعة من الاتجاهات ، وهذا التقسيم حظي بتأييد جمهرة النقاد ، ومن ثم أصبح الاتجاه السائد هو تقسيم الحركات التجديدية الى أربعة اتجاهات رئيسية هي ١ - الواقعية الاجتماعية ٢ - الواقعية النفسية ٣ - الواقعية السحرية ٤ - الواقعية البنائية

أما الواقعية الاجتماعية فتعد الامتداد الطبيعي للواقعية السابقة ، مع الاختلافات العميقة التي جاءت بها عمليات التجديد ، مثل عمق الفكرة ، وثورية اللغة ، وتأنق الأسلوب والنماذج المفضلة عند كتاب أمريكا اللاتينية كانت - ومازالت - من الفرنسيين مثل اميل زولا ، ودي بلزاك ، ومن الاسبان كلارين وجالدوس وأبرز ممثلي الاتجاه الجديد من الأجيال المختلفة منذ الاربعينيات حتى الان هم خوسية ماريا أرجيداس ، وكارولوس فوينتيس ، وماريو فارجاس ايوسا

أما الاتجاهات الثلاثة الأخرى فقد كانت - ومازالت - نماذجها المفضلة من كتاب القصة العالميين هي فلوبير ، ودستويفسكي ، وكافكا ، ومارسيل بروست ، والدوس هيكسلي ، وجيمس جويس ، وفرجينيا وولف ، وجان بول سارتر ، وألبير كامي ، وأندريه جيد ، ومالرو ، وهيمنجواي ، وفوكنر ، وناتالي ساروت ، وميشيل بوتور ، وكلودسيمون ، وألن روب جرييه وهؤلاء هم كتاب القصة العالميون الذين أحدثوا ثورات وتغييرات متعاقبة وبارزة في هذا الفن من فنون الكتابة الذي أصبح يشكل العمود الفقري للانواع الأدبية في عصرنا الحاضر

ويتميز الاتجاه النفسي بخصائص عالمية معروفة ، هي استخدام تقنيات مرتبطة بالحلم ، والتعبير عن اللاشعور ، وتيار الوعي ، والخيال الجامح ، واستبطان الذات وقد استطاع كتاب أمريكا اللاتينية أن يطوروا هذا الاتجاه ، وأن يصبغوه بصبغة واقعية ، تتجاوز التعبير عن تيار الوعي في حد ذاته الى التعبير عن القضايا الملحة في المجتمع ، في اطار تقنيات هذا الاتجاه ومن أبرز من مثلوا هذا الاتجاه من قصاصي بلدان أمريكا اللاتينية أدولفو

بيوكاساريس، وخوسيه روبن رميرو وبدورو برادو، وادوارد باريوس، والأرجنتيني المشهور خورخي لويس بورخيس صاحب كتاب «الألف» الذي كان مجمع ثقافات متباينة، وصاحب معارف واسعة، منها الثقافة العربية. وقد استطاع قلمه المبدع أن يمزج بين كل هذه المعارف، في أسلوب رائع شيق، واكتسب بذلك شهرة عالمية، لا تقل عن شهرة أعظم كتاب القارة الأوروبية. وهناك كتاب آخرون ينتسبون لهذا الاتجاه منهم كتاب مشهورون مثل خوان كارلوس أونيتي، وخوسية دونوسو، وارنستو ساباتو.

واقعية اللاعقل

ومن أبرز اتجاهات فن القصة الأخيرة في أمريكا اللاتينية اتجاه «الواقعية السحرية» التي اشتهرت عالميا على يد الكاتب الكولومبي جابرييل جارثيا ماركيز، وهناك آخرون قد برزوا أيضا في هذا الاتجاه، وحازوا شهرة عالمية، مثل ميخيل آنخل أستورياس المذكور، صاحب قصة «سيدي الرئيس»، وخوان رولف، وأليخو كاربنتير، وخوليو كورتاثار. وهذا الاتجاه يمزج بين الواقع والسحر، أو الوقائع الغريبة التي تخرق نواميس الطبيعة. يقول جارثيا ماركيز في المحادثات التي أجراها معه صديقه بلينيو ميدوسا ونشرت عام ١٩٨٢: «لقد بدأ اهتمامي بفن القصة ذات ليلة كنت أقرأ فيها قصة «المسخ» METAMORFOSIS لكافكا، فقرأت في أولها هذه الجملة «عندما استيقظ جريجور سامسا ذات صباح، بعد حلم مقلق، وجد نفسه في سريره قد تحول الى حشرة هائلة» عندئذ أغلقت الكتاب مرتعدا، قائلا في نفسي: «ياللهول، هل يمكن أن يحدث هذا، وفي اليوم التالي مباشرة كتبت أول قصة لي». وقد ذكر جارثيا ماكير في هذه الأحاديث، وفي أحاديث أخرى كثيرة أنه تأثر بـ «حواديت» جدته التي كانت تحكي له أشياء شديدة الغرابة، دون أن تتأثر أو تهتز، وكأنها تحكي عن أمور طبيعية جدا وعادية، كما ذكر أيضا أنه تأثر بقصص «ألف ليلة وليلة»، وعندما سئل لماذا اختار الواقعية السحرية بالذات أجاب بأن الواقع في أمريكا اللاتينية يموج بأشياء غريبة، لايصدقها عقل، وضرب مثالا لذلك بما جاء في مخطوطات رحالة أمريكي، هو أوب دي جراف الذي قام في نهايات القرن الماضي برحلة لمنطقة الأمازون، شاهد فيها - مما شاهد - مجرى مائيا تعلي مياهه، ومكانا يؤدي فيه صوت الانسان الى حدوث وابل من المياه، كما أشار ماركيز الى الحادثة التي وقعت في احدى المناطق الجنوبية النائية في الأرجنتين. عندما حملت الرياح الى البحر «سيركا» برمته، وفي اليوم التالي عثر الصيادون في شباكهم على جثث الأسود والزرافات.. الخ. لكن جارثيا ماركيز بالرغم من تعبيره في قصصه عن هذا الاتجاه السحري يعود فيؤكد في المحادثات المذكورة أن قصصه ليس فيها سطر واحد غير قائم على أساس من الواقع. وهكذا استطاع جارثيا ماركيز وخوليو كورتاثار وممثلو هذا الاتجاه الآخرون أن يمزجوا بين الواقع والسحر في أسلوب جديد، لفت أنظار العالم اليهم، حتى غدوا أشهر الكتاب العالميين خلال العقود الأخيرة.

وقبل أن نتناول الاتجاه الرابع، وهو «الواقعية البنائية»، نحب أن نؤكد على أن الكاتب الواحد من هؤلاء يمكن أن تكون له مساهمات في أكثر من اتجاه، ومن ثم فاننا سوف نجد خوليو كورتاثار وجارثيا ماركيز وماريو فارجاس أيوسا أيضا من أبرز ممثلي الاتجاه الأخير الذي يتميز بأنه أكثر ثورية وانطلاقا في تقنياته وتجديداته، وهناك أسماء أخرى برزت في هذا الاتجاه، مثل أوجستو روا باستوس، وكارلوس مارتينيث مورينو، وجيرمو كابريرا انفانتي، ونستور ساشر، وسواهم.

واتجاه «الواقعية البنائية» أكثر جرأة في تجديداته، ويعتمد اعتمادا كبيرا على

« التجريب » ، حتى اذا أحدثت التجربة شكلها الخاص ، ووصلت الى نضجها المطلوب ، وأصالتها المستهدفة ، استقرت كشكل جديد ، وأصبح لها تأثير واضح في الساحة الثقافية ، ويبنى هذا الاتجاه على أساس الاتجاهات السابقة التي مثلت علامات بارزة للتطور في هذا الفن منذ الاربعينيات حتى الآن ، ويحاول هذا الاتجاه رصد الواقع من أي منظور ، ومن أي جانب ، سواء من الداخل أم من الخارج ، ومن المنظور المستقيم أو المعكوس ، كل هذا في لغة جديدة ، وأساليب متطورة وتقنيات مختلفة ، ويحاول الكتاب تسليط رؤيتهم للواقع من وجهات نظر متباينة وجديدة ، مثل الوضع اللغوي للقاص ، وجوانب الشخصية ، وترتيب الأحداث ، ويستعينون على ذلك بالأدوات الجديدة التي خولها لهم ذلك التطور المذهل في علوم اللغة الذي حدث في أوروبا وأمريكا خلال العشرين عاما الأخيرة ، ولا يحاول كتاب هذا النوع تقديم الواقع في صورته البسيطة المتسلسلة ، أو يتبعون الترتيب المنطقي للحكاية ، وانما يقدمون الواقع عن طريق الضربات العنيفة ببعض النقاط الرئيسية والرمزية لهذا الواقع نفسه ، مع تداخل عناصر أخرى متعددة للزمان والمكان وتيار الوعي

تجليات الواقعية البنائية

لقد رصد النقاد في أمريكا اللاتينية مجموعة من الأشكال ، تظهر فيها تجليات هذا الاتجاه الذي أصبح يمثل التيار الرئيسي لفن القصة في هذه القارة خلال السنوات الأخيرة ، ومن أهم الأشكال الجديدة مايلي

١ ـ التعبير عن القبح ويتمثل في استخدام الكلمات ، والجمل العادية الشائعة على ألسنة العامة ، تلك التي يأنف منها الحس البرجوازي المتأنق وقد دخلت هذه الكلمات والتعبيرات العادية في نسيج الأسلوب القصصي ، بهدف جمالي جديد ، يستهدف غرس رؤية جديدة للواقع وللانسان وللعالم ويكاد يشبه هذا الاتجاه ماعرف في الأدب العالمي في نهايات القرن الماضي باسم الطبيعية التي كان أبرز ممثليها في فرنسا الكاتب الشهير اميل زولا ، وهذا الاتجاه يعكس الطبيعة الانسانية بحالتها الواقعية التي تبرز في تصرفات الانسان العارية من أي ترويق أو تنميق ، وان كان هذا الاتجاه الآن في أمريكا اللاتينية يختلف عن الاتجاه السابق كثيرا ، من جهة الأسلوب والفنية « التكنيك » واللغة ، وما الى ذلك مما تحدثنا عنه فيما سلف وقد لقي هذا الاتجاه هجوما عنيفا من جانب عدد كبير من النقاد الذين وصموه بالقبح والابتذال ، لكن المدافعين عنه يقولون ان هؤلاء لم يدركوا القوة التعبيرية الكامنة فيه ، لاظهار بعد جديد من ابعاد الواقع

٢ ـ ومن الاتجاهات التجريبية الحالية الاتجاه الذي يتعامل مع اللغة الحية وكأنه في معمل ، ويرى هؤلاء أن اللغة هي المادة الأولى للعمل ، وهي لحمته وسداه ، وفيها يتركز كل الخطاب الادبي ، ورسالة القص وهدفه انهم يعملون من أجل اعادة ابداع الكلمة كهدف في حد ذاته وليس بصفتها وسيلة أو أداة للعمل الأدبي ، وهذا الموقف يتفق تماما مع كثير من أسس علم الأسلوب الجديد ، كما أن هؤلاء يقفون في وضع متوار مع مدارس التصوير المعاصرة التي تجعل من اللون في حد ذاته هدفا وغاية للعمل الفني . ويمثل هذا الاتجاه عدد كبير من الكتاب الحاليين ، من أبرزهم ماريو فارجاس أيوسا ، وخوسيه اميليو باتشيكو ، و كثيرون غيرهما

٣ ـ وثمة اتجاه آخر أسطوري ، ينطلق من « الواقعية السحرية » ، ويقوم على الفهم العميق للواقع المتعالي ، فالأشياء الراهنة تتجلى من داخلها كي تكشف للانسان عن معناها الكامن فيها أما ظاهرها الحسي فيكشف عن معنى كوني وانساني عميق ، ومهمة العمل الأدبي هي ابداع هذا العمق ، ليس عن طريق اضفاء الصفة البشرية على الأشياء والموضوعات والطبيعة نفسها فقط ، وانما

تصفي هذه الصفة على معى الشيء نفسه أو الموصوع أو الطبيعة أيصا وفي هذا النوع لايحاول القاص اللحوء الى الصور المجارية ، كهدف من أهداف تحميل النص ، وانما يتغلغل داحل الحوهر المتعالي ، لما سوف يصبح موصوعا لصورة أدبية ويستحدم الكاتب في هذا النوع من القص كل الامكانيات اللعوية التي تتيحها له لغة ثرية ومتطورة ، مثل اللغة الاسبانية .

٤ - وهناك اتجاه آحر ، كتابه أكثر تأثرا بالاتجاه الذي عرف « بالقصة الجديدة » ، أو « اللاقصة » ، وهؤلاء تأثروا مباشرة برواد هذا الاتجاه في فرنسا ، مثل ميشيل بوتور ، وناتالي ساروت ، وألن روب جرييه ، لكنهم أضافوا اليه حصيلة معارفهم عن اتجاهات أخرى من هذا النوع ، انتشرت على امتداد النصف الأول من القرن العشرين ، مثل قصة « أوليس » لجيمس جويس ، وقصص كافكا ، وفوكنر ، وهكسلي ، ودوبلين وان كانوا - كما أشرنا من قبل - لم يتخلوا عن الواقع ، وعلى الأخص الواقع الاجتماعي ، بحيث أصبح لهم موقف وجودي واضح ازاء الأزمات الوطنية والاجتماعية في بلادهم المتخلفة ، وازاء الأزمة التي تجتاح النظام العالمي برمته

٥ - على أن أكثر هذه الاتجاهات البنائية تمردا يتمثل في ريادة التعبير عن اللامنطق ، والتجريد الظاهري للواقع ، وان كان ذلك يتم انطلاقا من أهداف سامية ، تبحث عن مخارج جديدة لمشكلات الانسان في أمريكا اللاتينية ، وبهذا نجد هذا النوع على الرغم من تجريديته اكثر التصاقا بمشاكل المجتمع ، وفيه قدرة التعبير عنها بطرق جديدة

٥ - وهناك اتجاهات أخرى عبثية وسوريالية . فضلا عما يسمى حاليا « القصة القصيرة » أو « الحكاية القصيرة » MINI CUENTO أو MINI NOVELA ، وهي ليست القصة القصيرة التي نعرفها بشروطها وانماطها ، وانما هي حكايات من نوع جديد ، تحاول أن تؤصل اتجاهات جديدة في فن القص

خصائص عامة

وتشترك كل الاتجاهات البنائية السابقة في خصائص عامة ، تنم عن ثراء أسلوبي لدى كتاب القصة المعاصرين في أمريكا اللاتينية ، أبرزها تداخل مستويات متعددة من القص ، كالتداخل الجغرافي ، وتعارض مستويات الزمان والمكان والذهن ، وبسط الأشياء على مساحات أوسع مما هي عليه ، والتساوي بين الكاتب والقارئ حتى يصبح القارئ كأنه هو المؤلف أو البطل ، والتلاعب الصرفي والنحوي انطلاقا من أهداف جمالية « ايديولوجية » ، والتفكيك البنائي للنسيج القصصي ، والوقف المؤقت لعنصر الزمن ، والمزج بين الحسي والأسطوري ، وتصوير العالم بلسان كلب أو شيء ، واستخدام « السيناريو » السينمائي أو مايسمى عيون آلة التصوير « الكاميرا » ، وجماعية الرؤية أو جماعية وجهة النظر ، واستخدام عناصر صوتية وموسيقية وحوارية بهدف لغوي ، والكلمة بصفتها قيمة في حد ذاتها ، وحضور الأشخاص والأحداث المتعاقبة داخل عنصر الزمان ، واعطاء أهمية للاشياء نفسها أكثر من الشخصيات ، مثلما يحدث في « اللاقصة » ، وقبول الجوانب الأسطورية والسحرية على أنها ضمن مستوى الواقع المكاني والزماني ، وظهور أصوات متعددة في بؤرة العمل القصصي ، واستخدام أدوات السينما والاذاعة والتلفزة مثل « الفلاش باك » والكلوزأب » ، وما الى ذلك ، ووضع كلمات من لغات مختلفة في جملة واحدة ، وخلق كلمات جديدة بالقياس على كلمات أخرى ، وحذف علامات الترقيم مثل الفاصلة والنقطة ، وتجريد « المونولوج » الداخلي ، ووضعه في صيغة تداخل غير مترابطة كل هذه الخصائص - وغيرها كثير - حاول كتاب أمريكا اللاتينية خلال

الأربعين عاما الأخيرة أن يدخلوها على فن القص العالمي ، متأثرين في ذلك باتجاهات سبقتهم ، لكنهم استطاعوا أن يختموها بخاتم أصالتهم ، والنابع من واقع بلدانهم التي تكافح من أجل الوصول الى مستوى متقدم في عالم اليوم ، ومن ثم فان كتاب أمريكا اللاتينية قد استطاعوا أن يركزوا اهتماماتهم على بؤرة واحدة ، وهي التعبير عن الواقع الأصيل للانسان المعاصر في بلادهم . وعن كينونته ، وحالته ، وحقيقته ، ومصيره

وتتضح هذه الحقيقة اذا قرأنا انتاج الأجيال المتعاقبة من الأربعينيات حتى الآن ، فمن قصة (سيدي الرئيس) لميجيل آنخل أستورياس الى (بدرو بارمو) لخوان رولف ، ومن (رايويلا) لخوليو كورتاثار الى (مائة عام من العزلة) لجابرييل ماركيز ، ومن (عن الأبطال والقبور) لارنستو ساباتو الى (محادثة في الكاتدرائية) لماريو فارجاس أيوسا ، ومن (تغيير الجلد) لكارلوس فوينتيس الى (قابيل) لادوارد كالديرون ، نجد أن الروح الكامنة في كل هذه القصص ، وفي غيرها ، هي البحث عن الحقيقة الأمريكية داخل الانسان الأمريكي نفسه ، (أعني أمريكا اللاتينية) ، والبحث عن الواقع المتعالي الذي أعطى لهذا الفن طابعه العالمي الخالد ولعل خير تعبير عن صلة كتاب أمريكا اللاتينية بالواقع هو ما جاء في محادثات جابرييل ماركيز آنفة الذكر ، عندما قال :

« ان أفضل أنواع القصص هو مايكون تعبيرا شعريا عن الواقع » وعندما طلب منه أن يوضح هذه المسألة بتفصيل أكثر قال « نعم ، اني أعتقد أن القصة تمثل تصوراً للواقع ، إنها نوع من ألغاز العالم ، والواقع الذي يبسط في قصة يختلف عن واقع الحياة ، وان كان يستند اليه ، على نحو مايحدث في الأحلام »

وهكذا فرض كتاب أمريكا اللاتينية خلال النصف الثاني من القرن العشرين ثورة أسلوبية جديدة في فن القصة ، مثلما فرض شعراؤها ـ وعلى رأسهم روبن داريو ـ في أواخر القرن الماضي ثورة مماثلة في فن الشعر وقد أوضح ماريو فارجاس أيوسا في مقال له بالانجليزية نشر عام ١٩٧٠ بعنوان (القصة المعاصرة في امريكا اللاتينية) أن تأثيرات الكتاب بدأت تظهر في انتاج كتاب أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية وفي كل أنحاء العالم ، وقد أوضح فارجاس أيوسا في هذا المقال أيضا الأسباب التي أدت الى نضوج هذا الفن في بلادهم ، وعزاها الى عملية التغيير الضخمة التي حدثت له ، والتي تمثلت ـ حسب رأيه ـ في أربع عمليات تغيير رئيسية هي

١ ـ تغيير في محور الموضوع ، حيث انتقل من تناول الطبيعة الى تناول الانسان نفسه ، أي العودة الى انسانية الفن ، على عكس بعض النزعات التي سادت من قبل ، وكانت تدعو الى تجريده .

٢ ـ التوسع في مفهوم الواقع ، حيث أخذ يمتد ليشمل بؤر إلهام جديدة ، مثل الحلم ، والاسطورة

٣ ـ نقل بؤرة الاهتمام من الجانب الريفي الى الجانب الحضري ، بحيث تقدمت المشكلة الاجتماعية لتحتل الصفوف الأولى ، وتوضع وجها لوجه أمام الظالمين الذين يعيشون في المدن ، وضحاياهم

٤ ـ الوعي الجمالي بالبناء الفني للعمل الروائي على أساس التجريب اللغوي المستمر

بكل هذه الجهود ، وبالجهود التي مازالت تبذل حتى الآن ، بلغ الفن القصصي في أمريكا اللاتينية مرتبة سامية من الابداع والاتقان والجودة ، حتى أصبح مثلا يحتذى ، ونموذجا رائعا يعلمنا كيف يمكن أن يتحول الأدب من عمل اقليمي محلي الى عمل عالمي باهر ، يلفت الأنظار ، ويؤثر تأثيرا عميقا في كل آداب العالم □

منتدى العربي

قضية

الزمن.. والنظرية النسبية

بقلم . خالد مفتاح

في الدراسة الميكانيكية والكونية بحسب قوانين نيوتن يفترض أن الزمن مطلق ، ومعنى ذلك ببساطة هو انتشار الضوء خطيا فالضوء هو الوسيلة الفيزيائية لرؤية مكان الأشياء ودراسة حركتها وسرعتها أي ميكانيكيتها ومقابل ذلك نقول ان سرعة الضوء لانهائية

والحقيقة التي أثبتتها التجارب الدقيقة المتعددة - حتى الآن - أن سرعة الضوء مهما كانت عالية فهي محدودة ، ولها كمية ثابتة في الفراغ مهما كانت سرعة المصدر الذي أطلق الضوء نفسه

وينص مبدأ النسبية بالمعنى المقيد على صلاحية كل مجموعات الرصد التصورية في وصف وصياغة القوانين الطبيعية بنفس الكفاءة ، وتعطى نفس الصيغة الرياضية - ومجموعات الرصد التصورية هنا هي كل الاحداثيات الساكنه أو التي تسير بسرعة منتظمه بالنسبة لبعضها مالم يؤثر عليها مؤثر خارجي - قوة خارجية - واذا اعتبرنا الحقيقة التجريبية القائله بثبات سرعة الضوء في الفراغ امراً مسلماً به ، ومع مبدأ النسبية السابق عرضه يتشكل هيكل النظرية النسبية الخاصة وتبنى عليه كل حساباتها

نسبة الزمن

ما معنى هذه الحسابات بالنسبة للزمن ؟ سنأخذ مثالا سهلا فاذا افترضنا انطفاء نجمين بعيدين عنا في الفضاء وأن هذين النجمين بعيدان عنا بنفس المسافة على اليمين واليسار أي أن الارض في موقع متوسط بالنسبة لهما ، ثم اعيدت اضاءتهما فان الضوء سيصل الينا من كلا النجمين بعد فترة زمنية واحدة لان المسافة واحدة ، وسنرى اضاءة النجمين في (وقت واحد) بالنسبة لنا - وذلك مع اهمال تأثير

حركة الارض ، أو باعتبارها ساكنة في مكانها ـ ولكن بالنسبة لمشاهد احد النجمين فان الضوء المنبعث من النجم الآخر سيصله بعد فترة زمنية هي ضعف الفترة الزمنية التي يستغرقها للوصول الى الارض لان المسافة هي الضعف ايضا وبذلك يرى هذا المشاهد اضاءة النجم الآخر بعد اضاءة نجمه هو فما رأيناه نحن وقد تم في وقت واحد بالنسبة لنا ، لن يراه هذا المشاهد على النجم البعيد الا كحدثين وقعا في (زمنين مختلفين)

والمعنى من ذلك انه لن يرى الا ماضي النجم لبعيد عنه ، وكلما زادت المسافة بينهما كلما زاد فرق لزمن ، ولن يستطيع المشاهد الا مشاهدة الماضي لأبعد زمنا ، ولذلك يقال ان كل مجموعة رصد ، تأخذ زمنها معها » ويفقد الزمن المطلق معناه لايمكن الخروج اطلاقا من هذا النطاق فلا يمكن حال رؤية حاضر النجم البعيد في نفس اللحظة التي شاهد فيها حاضره هو ، لانه لاتوجد أي وسيلة سرع من الضوء لارسال أي اشارة أو معلومة عن هذا الحاضر وهذا نفهم نسبية معنى كلمات الماضي الحاضر وحتى المستقبل ، لان ماسنراه بعد عشر سنوات يحدث على نجم بعيد هو في الواقع ما يحدث الآن) فوقه ولكن لانستطيع أن ندري عنه أي شيء

شكال الساعة

اذا ضبطت ساعتان متماثلتان واحدة على الارض الثانية داخل صاروخ ثم انطلق الصاروخ بعيدا عن لارض وعاد اليها ، فان الصاروخ يكتسب أولا عجلة تزايد ثم يسير بسرعة منتظمة ، ثم يغير اتجاهه اتجاه الارض ويسير بسرعة منتظمة ثم يسير بعجلة اقص حتى يحط عليها بأقل قدر من الاصطدام ، اذا اهملنا تأثير عجلة التزايد وعجلة التناقص الدوران ، فان حسابات النظرية النسبية الخاصة أي فترة التى يسير فيها الصاروخ بسرعة منتظمة ستؤدى الى ان تشير الساعة التى على الصاروخ الى زمن اقل من الساعة التى على الارض وبفرق مقداره الزمن الذي قيس على سطح الارض مقسوما على اثنين ومضروبا في خارج قسمة مربع سرعة الصاروخ على مربع سرعة الضوء

والعرض السابق بحسب النظرية النسبية الخاصة ، فاذا ما ادخلنا فترات الحركة بعجلة ، وهى التى يأخذها مفهوم النظرية النسبية العامة في الحسبان فسوف يكون هناك الزمن المقاس بكلا الساعتين وقد تشير الساعة التى في الصاروخ الى زمن اقل للرحلة ، وقد تشير بالعكس الى زمن اكبر

وقد درجت الكتابات العلمية التبسيطية ، على اعتبار هذا الفرق في الزمن فرقا فيزيائيا والمفهوم النهائى من ذلك ان روادا للفضاء انطلقوا بمثل هذا الصاروخ وعادوا للارض سيكونون اكثر شبابا ولم يمض من عمرهم ـ مثلا ـ الا اربع سنوات بالقياس الى خمس سنوات من عمرنا نحن ـ وهذا هو احد الاراء في المسألة بالفعل

حقيقة المسألة

لقد وصف اينشتين نفسه حقيقة المسالة باعتبارها « نتيجة غريبة » لحساباته

وتعالج هذه المسألة علميا باعتبارها « اشكالا وهميا » أو تناقضا ظاهريا » ولن يحسم هذه المسألة الا التجربة العلمية ويمكن تصميم تجارب تناسب هذا الفرض مع تعديل مناسب فلا يكون مطلوبا ان يغادر رواد كوكبنا لفترة زمنية طويلة وبسرعة عالية جدا مما يخرج عن نطاق أي تكنولوجيا معروفة

وستؤدى نتائج التجربة الى واحد من ثلاثة احتمالات لارابع لها فاما ان يشاهد حقيقة توفير للزمن تتفق مع الحسابات المذكورة ، وبذلك سيتغير كلياً مفهومنا عن الزمن حتى عن الزمن النسبى واما ألا تؤيد التجربة أي تسويه في الزمن وعند ذلك لابد من ادخال اعتبارات جديدة لم تكن مأخوذة

في الحسبان فيؤدى ذلك اما الى تعديل في النظرية النسبية أو الى بروز نظرية حديدة تعالج الموقف برمته بطريقه حديدة

على ان ما يمكن أن يؤدى الى (الاحتفاظ بالزمن) أو ابقاء الزمن فهو ليس السرعة ، لان تأثير العجلة يمكن ان يتلاشى اثرها وانما العجلة أو المجال الحادي مما يدخل في نطاق حسابات النظرية النسبية العامة ومع ذلك فيمكن في حالات كثيرة اثبات فرق زمن (توفير زمن) اذا احذنا في الاعتبار الحسابات النسبية العامة

التأخير الظاهري للساعات

سنوضح هذا التأخير الظاهرى ، وهو الذي ينطبق على النظرية النسبية الخاصة ، فان الفترة الزمنية بين حدثين وقعا من حالة سكون بالنـ لراصد تتضمن زيادة بالنسبة لراصد متحر بالنسبة للحدثين وتكون الفترة الزمنية كما يقيـ راصد متحرك ، مساوية للفترة الزمنية التى يقيـ راصد ساكن مقسومة على الجذر التربيعى لواحـ مطروحا منه خارج قسمة مربع السرعة النسبية ـ الراصد المتحرك والراصد الساكن على مربع سر الضوء

ولكن هذا الفرق ظاهري ، ودليل ذلك ا انعكاسي ، فان الفترة الزمنية التي يقيسها الـراص المتحرك لحدثين وقعا من سكون بالنسبة له تعاني ه الأخرى من نفس التأثير وتزداد بالنسبة للراصـ الاول □

منتدى العربي

تعقيب

رُسُل الله وَسُنن آبائهم ..

لا يفوتني أن أبدي إعجابي بما تحمله هذه المجلة المباركة من تعريف حق بالإسلام ، للوصول بالانسان العربي والمسلم الى معرفة الدين ، وليظهره الله على الدين كله بإذنه

فها هو الدكتور / محمد أحمد خلف يقول « إن العقل البشري لا يمكن أن يضع دينا ، والذي يملكه العقل البشري هو أن يفسر هذا الدين ، ويبينه للناس ، حسب تفاعله معه ، واستجابته له »

وهذا يعني أن مفهوم العقل البشري عن الـد لا يغنينا بحال من الأحوال عن التماس الهدى م الدين مباشرة ، أي مما أنزل إلينا من ربنا لنتدبره وهذا يعني أيضا أن ما يسمى بالتراث الإسلامي هو إلا نتيجة تفاعل عقول من سبقونا مع هذا الهد الذي أنزل إلينا من ربنا ، وليس لنا أن نركن ونـ لرؤية ما يقال لنا بأنه رؤية السلف الصالح ، قبل يكون لنا علم بأنه الحق ، وهذا يقضي أساسا

نعرف ما أنزل إلينا من ربنا لنتبعه مباشرة

ولنا في القرآن الكريم خير موعظة ، فعندما كان يقول فرعون لقومه بأن موسى يريد أن يظهر في الأرض الفساد ، ويبدل دينكم ، ثم إن حجة الكفار كانت بأنهم لم يسمعوا بما جاء به رسلهم ، وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا ، أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون

إن علينا ونحن أمة إسلامية معاصرة إن أردنا إتباع دين الله الحق أن نتعرف على ما أنزل إلينا من ربنا ، أشياء ما أنزل الله بها من سلطان ، وليس لنا بها علم ، ونحن لا نشعر ، مصداقا لقول الله تعالى (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون) ، ومن يريد أن يتخذ رسولنا أسوة حسنة عليه أن يتذكر أن رسولنا قد أمر بأن يتبع ما أوحي إليه من ربه فقط ، إذ ليس له في الأمر شيء ، وما كان الله ليشرك في حكمه أحدا

فما الذي أوحي إلى الرسول من ربه ؟ تلك هي القضية الملحة التي ينبغي على الآمرين بالقسط من الناس أن يبينوها للناس كافة إن كانوا يريدون الدعوة الى الدين الحق

أما ربط هدى الله بعصر من العصور مهما طال عليه العهد ، أو بكتب غير ما أنزل الله من كتاب فلن يتمكن هذا العصر ، ولن تتمكن تلك الكتب ، مهما كثرت ، أن تحيط بنور الله ، وتحتويه ، فنور الله وسع السموات والأرض ، وهو وحده الهادي الى سواء السبيل فما بالنا لا نفقه حديثا ، ونحن نقرأ قول الله سبحانه وتعالى (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم أجرا عظيما) ؟!

إن المأزق الذي نحن فيه ليس في دين الله ، لكن في عجزنا عن فهمه الفهم الحق

واتباعنا لما أنزل إلينا من ربنا لا يعني اتباع آراء من سبقونا وإدراكهم له ، بل هو أن يهدينا الله لمستجدات الحياة التي لم تكن من قبل موجودة ، فنحقق بذلك سنة تطور الحياة الانسانية ، على أسس سليمة ، يؤمن بها كل من عمل لإدراك السبيل الى الهدى

فالذي جعل الذين كفروا من أصحاب السعير خوفهم من استعمال عقولهم وسمعهم وبصرهم ، واكتفاؤهم بما وجدوا عليه آباءهم من دين ومن سبيل

ورسولنا عليه الصلاة والسلام بشر لا يعلم الغيب ، وما أرسل إلا لقوم أحياء . أما هدي الله فهو الدائم ، وقد بلغ الرسول الرسالة بقوله « وهذا كتاب مبارك فاتبعوه واتقوا » أما الذين يريدون أن يوقفوا مسيرة الحياة فأولئك هم المعتدون

وأولئك هم الذين يصدون عن سبيل الله من آمن به ، ويبغونها عوجا برفضهم كل شيء حديث ، يهدينا به الله من خلال هداه الذي أمرنا أن نتمسك به ونتبعه من بعد أن نعلمه علم اليقين ، وإلا فهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟ ثم علينا نحن المسلمين أن نفرق بين ما هو وحي من الله ، قد أمر الله رسوله والذين آمنوا أن يتمسكوا به وهو كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وبين ما هو رأي بشر بهذا الوحي ، إذ ليس على أي بشر هدى الناس برأيه بهذا الوحي ، بل عليه أن يبين للناس ما أوحي إليهم من ربهم ، فيهدي به من يشاء وما كان لنا أن ننقذ من في النار ، وتلك هي الحرية التي أمر بها الإسلام ، لتنال كل نفس جزاء وفاقا ، وما دمنا نؤمن باليوم الآخر والكتاب والنبيين والملائكة فلن يضرنا من ضل إذا اهتدينا ، ما دمنا نؤمن أنهم سينالون جزاءهم الأوفى ، وما علينا إلا البلاغ ، وربك بصير بالعباد □

طارق محمد جبر

الجزء الثاني من الحوار مع الدكتور عدنان تكريتي حول تعريب التعليم الجامعي في العدد القادم

حكاية

شعر : يوسف طافش

كان الفارسُ يرفع صارية القلبِ
على أمواج الشهوة ،
كانَ .. وكانَ
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] تحت الأرض [illegible]
والرحلة ماتزالُ في أولها

*

سَقَطَ الفارسُ عَنْ ظَهرِ « الشُقْراءِ » ،
فعضَّتْ سترتَهُ ،
حملته إلى أوَّلِ دارٍ عند سفوحِ القريةِ ،
إنَّ عواءَ ذئابٍ
يصدحِ في الغاباتِ ،
صهيلُ الخوفِ من (الشقراءِ)
تُردِّدهُ الوديانُ ،
ورفسٌ كالزلزالِ على الأبوابِ .

*

الجديد في العلم والطب

اعداد : يوسف زعبلاوي

صندوق روبك السحري

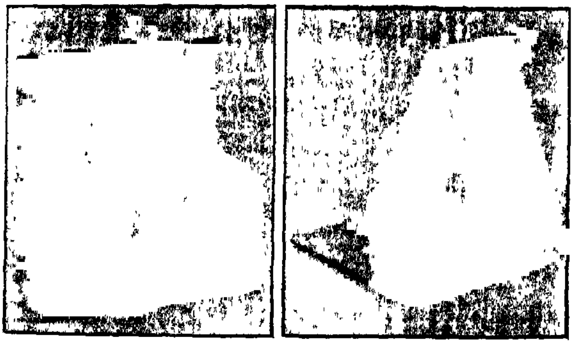

صدوق روبك السحري في وصعه العادى دي الشكل المستطيل وفي وصع آخر في شكل مثلث

● هل تذكر مكعب روبك ؟ تلك اللعبة التي شاعت في شتى بلاد العالم ، والتي كانت على درجة من البساطة جعلت كل إنسان يراها واثقا بأنه يستطيع إعادة ترتيب المربعات التي يتكون منها ذلك المكعب وفق ألوانها المختلفة ، حتى إذا بدأ المحاولة تبخرت الثقة ، لاريب أنها كانت لعبة موفقة مربحة ، أخذت مكانها اللائق بها في متحف نيويورك للفن الحديث ، وضمنت لمبتكرها البروفسور المجري روبك (٤٣ سنة) مكانا مرموقا بين أصحاب الملايين في العالم .

لاعجب إذن إن أقدم البروفسور على ابتكار لعبة أخرى سماها (سحر روبك) كان ذلك قبل بضعة شهور ، والمفروض أن يكون المصنع الصيني التابع لشركة (Matchbox International) قد استكمل تسجيل براءة الاختراع في الاربعين دولة التي قررت تسجيلها فيها ، وأن تكون قد بدأت تسويق اللعبة الجديدة ، أما حرص المصنع الصيني على تسجيل الاختراع فسببه ماعرف عن السرقات أو المبيعات غير الشرعية التي تعرض لها مكعب روبك ، فقد فاقت مبيعاته الشرعية (١٠٠ مليون مكعب) ، وذلك بسبب إغفال تسجيل الاختراع في عدد كاف من الدول .

والظاهر أن لعبة سحر روبك لعبة سحرية بالفعل ، وهي عبارة عن صندوق

مستطيل الشكل ، يسهل تحريك جدرانه بحيث يصبح شكله مربعا أو مثلثا وغير ذلك ، حتى يتمكن اللاعب من استكمال حلقات قوس قزح الملونة التي طبعت على جدران الصندوق ، علما بأن هذه الجدران مكونة من مربعات (٢ × ٢ بوصة) يسهل تحريكها

وتنوي الشركة الصينية ومقرها في كانتون بيع الصندوق السحري بمبلغ ١٠,- دولارات ، وتتوقع أن تصل مبيعاتها منه بضع مئات من الملايين

ويعجب المرء للبروفسور روبك ، ولفلسفته في الحياة ، فهو يقول « لاشيء في هذه الحياة يضاهي اللعب أهمية ! »

* * *

أسلوب جديد في معالجة الجلطة

● نجح الأطباء في مستشفى ستانفورد ومستشفى سيكويا في كاليفورنيا في تطوير أسلوب جديد للقضاء على الجلطات الدموية التي كثيرا ما تسبب السكتات والنوبات القلبية ، فتؤدي أحيانا إلى الوفاة

والأسلوب الجديد آلي لا جراحي ولا كيماوي ، قوامه مثقاب صغير ، يمكن بواسطته كشط المادة الشمعية الصفراء التي تتراكم على باطن جدران الأوردة ويسمى هذا الأسلوب الجديد (ATHEROCTOMY) ، وقد تكللت تجاربه بالنجاح بنسبة ١٠٠٪ ، ويتميز أسلوب المثقاب هذا بالبساطة وسهولة الأداء بالنسبة للطبيب والمريض سواء بسواء

* * *

الجروح المستعصية والسبيل إلى التآمها

● من المعروف أن الجروح التي يتعرض لها مرضى السكري وأصحاب الكلى المزروعة وكذلك الذين يعانون من أمراض الأوعية المختلفة يمكن أن تكون جروحا مستعصية ، يتعذر التآمها بسرعة ، هذا إذا لم تصبح تلك الجروح غنغرينية تستوجب بتر العضو المجروح

والظاهر أن تلك الجروح الخطيرة قد أصبح في الامكان شفاؤها بطريقة بسيطة للغاية ، وفي مدة قصيرة ، فقد تسنى لمركز معالجة الجروح في جامعة منسوتا الامريكية العثور على تلك الطريقة ، وتطويرها ، والقيام بتجربتها على نطاق واسع ، إذ بلغ عدد المجروحين الذين عولجوا بها ٦٠٠ جريح ، وقد التأمت جراح ٨٧٪ منهم التآما تاما ، وذلك في مدة قصيرة نسبيا ، بلغت أقصاها (١٠) أسابيع

أما الطريقة فقوامها لويحات الدم ، دم الجريح نفسه والخطوة الأولى هي عزل اللويحات من الدم الذي يسحب من جسم الجريح مباشرة ، ويكون عزلها بطرق بيوكيميائية لاتخفى على الأطباء ، والخطوة الثانية والأخيرة هي وضع تلك اللويحات على الجريح ، فلا تلبث أن تفرز مايعرف

بعوامل النمو الموضعي ، ولاتلبث إفرازاتها تلك أن تعمل على التحام الجلد ، فضلا عن التحام الأنسجة أيضا

والجدير بالذكر أن مركز الجروح المذكور [illegible] تطوير مستحضر موحد لمعالجة الجروح بلويحات الدم ، وذلك بقصد إتاحته على نطاق واسع ، بحيث يصبح في متناول الجميع ، ويجنب الأطباء والمستشفيات عملية عزل اللويحات ولايخفى أن المشكلة التي تعترض السبيل في هذا الصدد هي مشكلة فصائل الدم المختلفة ، وحاجة الجريح إلى لويحات تنتمي إلى نفس فصيلة دمه ، ويبدو أن علماء جامعة منسوتا قد وجدوا الحل لهذه المشكلة باعتماد فصائل الدم المختلفة لعزل وإنتاج اللويحات الموحدة التي تضمن تضميد الجروح والتئامها ، مهما كانت فصيلتها

* * *

أسباب القروح المعوية

● عقدت جمعية « أوباكان للميكروبيولوجي » اجتماعا هاما في أطلانطا ، عاصمة ولاية جورجيا مؤخرا (شهر مارس الماضي) ، واستمعت إلى تقارير مختلفة ، وضعها الباحثون المتخصصون عما أجروه من أبحاث ، وعما توصلوا إليه من نتائج عالج أحد هذه التقارير آفات الجهاز الهضمي ، وبخاصة الامساك المزمن والقروح المعوية ، وأشار إلى إمكانية الشفاء من هذه الآفات ، وقد اكتشفوا سببها ، وهو بكتريا (Campylobacter) التي اكتشفوها في أجسام الأفراد الذين يعانون من الآفات الهضمية السالفة الذكر يقول الدكتور جورج بك « المرجح أن هذه البكتيريا هي التي تسبب الالتهابات التي تصيب الجهاز الهضمي ، وبطانة المعدة بالتحديد »

* * *

لقاح جديد فعال لمرض قديم

● نجح الأطباء الفرنسيون - أطباء معهد باستور وغيرهم - في (الايقاع) باحدى الطفيليات ، وهي طفيليات (Schistosomiasis) التي تسبب المرض الذي يعرف باسمها لأكثر من (٢٠٠) مليون نسمة في العالم ، فقد تعذر استعمال الطفيل المذكور من أجل التلقيح ، كما تعذرت الاستفادة من جهاز المناعة لمقاومة هذا المرض ، وتبين للباحثين أن هذا الطفيل يعمل ببطء شديد ، لذلك عمد الأطباء إلى تخليق بروتين هام من بروتينات هذا الطفيل ، وذلك بواسطة بكتيريا المختبرات ، ثم عمدوا إلى تلقيح المرضى بذلك البروتين - وقد نشر الأطباء الباحثون نتائج بحثهم هذا في أحد أعداد مجلة ناتشر العلمية المعروفة الصادر في شهر مارس الماضي

سلامة البشرية

وعاد الأوركس الى موطنه

هدا خر هام من أحبار البيئة وهو من الأحبارالتى تبعث على الارتياح والتفاؤل وهي قليلة إن لم نقل نادرة دلك أن مواصيع البيه وأحبارها ما رالت في أعلبها تبعث على القلق والتشاؤم ، كما هو معروف أصف الى دلك أن الحبر الدى نحن بصدده يدور حول طبى (الاوركس) وهو ذو قرنين ويستوطن ارصا عربية ، هي منطقة الحدود بين سلطنة عمان واليمن ، كما يستوطن ساحل افريقيا الشرقى المواحه لشبه الحريرة العربية والاوركس من بقر الوحش وقد أحاطه الاعريق القدماء بمريد من اهتمامهم حتى نسجوا الاساطير حوله

أما الحبر فقد رواه بالتفصيل الميجور ايان حريموود في المؤتمر الذي عقد في لندن ، ودلك لسماع قصة النحاح الكبرى وهي قصة انقاد الاوركس من الانقراض المحتم ، وقد اتفق ان كان راوى هذه القصة ـ الميجور ايان ـ هو نفسه بطلها

بدأت القصة قبل ٢٥ عاما حين اكتشف المهتمون بحماية البيئة أن ظبي الاوركس يتناقص بسرعة كبيرة ، وأنه بات معرضا للانقراض ، وترتب على دلك قيام تعاون بين الحكومة العمانية وبين عدد من الهيئات الدولية من أجل انقاد الظبي المحبب ، فجمعت الاموال بالملايين وبدأت عملية الانقاذ التي سموها « عملية اوركس » وتم الاتفاق مع الميجور ايان جريموود وكان يعمل في الحيش الهندى ـ بقوة الحدود ـ ثم التحق بحديقة الحيوان في كينيا ، وتولى الاشراف على قسم حيوانات الصيد فيها حين عهد اليه بعملية اوركس

طبي الأوركس يعود الى موطنه

قال الميجور ايان فيها قال : « كانت الخطة ترمى

الى العثور على ١٠ ـ ١٢ ظبيا ولكننا لم نعثر الا على اربعة فأمسكنا بثلاثة منها أخذناها الى حديقة في لندن حيث بلغ تعداد قطيع الاوركس الاسير نحوا من (٣٠٠) أو يزيد كانت البداية في الظبية الانثى التي اهداها الى الحديقة امير الكويت الراحل الشيخ عبدالله السالم ، رحمه الله ، وظباء الاوركس الاربعة التي قدمها الى حديقة لندن الملك سعود

وواصل الميحور حديثه الى المشتركين في مؤتمر لندن الدولي ، فقال « وخطوتنا الخطوة الثانية وكانت في (٣٠) ظبيا أطلقناها في موطن الاوركس العربي الصحراء وراحت هذه الظباء تتزاوج وتتكاثر حتى بلغ تعدادها ٢٠٠ ظبي ، وأصبحت بذلك في مأمن من الانقراض الى حد كبير »

وتجدر الاشارة الى أن جلالة السلطان قابوس يولي شؤون البيئة عامة ، وعملية اوركس بخاصة كبير اهتمامه ، وله مستشار خاص بحماية البيئة ، وهو من الخبراء المتخصصين

امريكا بلد المتناقضات

● يعجب المرء للحياة في أمريكا ، ويعجب أكثر ما يعجب للتناقضات التي تتمثل فيها عامة ، وفيما يتصل بالبيئة بصفة خاصة ، فالولايات المتحدة مصدر رئيسي من مصادر التلوث والأمطار الحمضية في العالم ، وهي في الوقت نفسه في طليعة الدول من حيث المساعي الى النظافة والحماية ، على أن المساعي المذكورة ليست كلها حكومية ، بل إنها في الغالب أهلية تقوم بها جمعيات خيرية تعتمد على التبرعات الطوعية ، ولا يهمها دخل أو ربح بل يهمها حماية البيئة وانقاذها مما تتعرض له من تلف أو خطر

وتحتل جمعية حماية الطبيعة في مدينة آرلنجتون مكانة مرموقة بين جمعيات البيئة في الولايات المتحدة جميعها ، فهي تتميز بالعمل في صمت ، بعيدا عن الدعاية والاضواء ، وتتميز بروح المسالمة ، وتجنب التصدى والمجابهة التى اشتهرت بها أكثر الجمعيات البيئية الاخرى ، هذا بالرغم من أنها اكبر مؤسسة أهلية بيئية في امريكا ، ولعلها أغنى تلك المؤسسات أيضا

فقد بلغت مساحة الأراضي التي اشترتها بالمال من أجل حمايتها بيئيا أكثر من ٢,٥ مليون فدان ، وبلغ عدد فصائل الحيوان والنبات التي أصبحت في مأمن من الانقراض الذي كان يتهددها قبل شراء تلك الاراضي أكثر من (١٠٠٠) فصيلة ، وبلغت أرصدة الجمعية (٤٥٧) مليون دولار في سنة ١٩٨٥ ، وهي التي لم تجاوز ٩٧ مليون دولار سنة ١٩٧٥

وتقوم الجمعية حاليا بجمع التبرعات بحيث يصبح رصيدها ١٠٠٠ مليون دولار قبل عام ١٩٩٥ ، هذا بالرغم من أن الجمعية لم تبدأ نشاطها الا سنة ١٩٥٣ علما بأن بوادر ظهورها تعود الى سنة ١٩١٧

ومن طريف ما يذكر عن هذه الجمعية الصفقتان اللتان عقدتهما مؤخرا ، وقد سلكت في الاولى سبيل المنافسة ، وفي الثانية سبيل التعاون مع الشركات الاستثمارية ، التي غالبا ما تتعارض أعمالها وأهدافها وصالح البيئة

أما الصفقة الاولى فكانت قطعة ارض مساحتها ٦٤٠٠٠ فدان تمتد على ساحل فلوريدا المطل على الخليج ، فهي اذن صالحة للمشاريع الانشائية الاستثمارية ولكنها في الوقت نفسه جديرة بالحماية والبقاء على حالتها البدائية الخام ، فهي القطعة الوحيدة على الساحل الشرقي كله التى لم تصل اليها

تان ـ العليا تعطي فكرة عن الصفقة الأولى ، بين قطع الأرض المستصلحة ، وبمحاداتها قطع لمحمية ، وهي التي تمخضت عنها الصفقة الثانية

حتى الان مشاريع التنمية والاعمال الانشائية وهي الموطن الرئيسي لبعض فصائل الحيوان المهددة بالانقراض وأهمها التماسيح والسلاحف الخضراء والنسور الصلعاء ، وبدأت المنافسة بين الجمعية التي نتحدث عنها وبين شركات الاستثمار القوية الغنية ، حتى نجحت الجمعية حيث فشلت هذه الشركات ، فاشترت الارض في شهر ديسمبر الماضي (١٩٨٦) بمبلغ (٢٠) مليون دولار

وأما الصفقة الثانية فغريبة حقا ، فقد سعت شركات الاستثمار الى شراء اراض ممتدة ، بمساحة واسعة جدا تقع في كاليفورنيا وتبلغ قيمتها ١٩٠٠٠ مليون دولار وكادت الصفقة أن تتم لولا جماعات بيئية امريكية مختلفة تدخلت في الامر لصالح البيئة ، وحالت دون انجاز الصفقة ، واتضح لجمعية (ناتشر كونسرانسى) ألا مبرر لذلك التعطيل ، وان حماية الفصائل المهددة ممكن بشراء قطعة صغيرة من تلك الارض ، لا تزيد مساحتها على (١٣٠٠٠) فدان ولا تزيد قيمتها على (٢٥) مليون دولار ، وما أسرع ما اقدمت على شراء تلك القطعة تاركة لشركات الاستثمار بقية الارض التى تبلغ مساحتها عشرات الالاف من الفدادين والمضي في تنفيذ مشاريعها عليها

انتقال التلوث بالهواء

ؤكد التقرير الذي وصعته مؤخرا جماعات ئية معروفة في الولايات المتحدة أن التلوث ذي تعرضت له البحيرات الكبرى في المدة ، والذي أدى الى تسمم مياهها لم يصل الى حيرات بواسطة الأمطار الحمضية ، وإنما الريح

ملت الريح الى مياه تلك البحيرات من المواد كيماوية ومعدنية ـ ما تجمع على سطحها ، م في النهاية داخل الأسماك والكائنات الحية التي تعيش في تلك البحيرات ، والتي يستطيب الناس أكل كثير منها ، وتشمل تلك السموم فيما تشمل مادة (د . د ت) ومادة (P. C. B.) وقد حظرت الولايات المتحدة انتاجهما منذ زمن وقد تبين للباحثين أن الريح نقلت تلك السموم الى بلدان مختلفة من أمريكا الجنوبية ، وهم يضعون اللوم في ذلك على كندا ، وعلى المصانع التي لا تلتزم بالقوانين في الولايات المتحدة الأمريكية ☐

اليمن الشمالي

مشاريع على طريق التنمية

استطلاع : صادق يلي
تصوير : سليمان حيدر

قديما كان اليمن موطن أبي زيد الهلالي ، ومملكة بلقيس ، وبه سد مأرب القديم ، وكان إلى عهد قريب هو اليمن السعيد .

لكن التخلف ـ بفعل عوامل خارجية وداخلية ـ حط على ربوعه ، فأوقف مسيرة تطوره عند لحظة زمنية بعيدة ، والجيل الحالي من أبنائه يحاول بالتخطيط والعمل الجاد العبور إلى قلب العصر بمنجزاته .

فما هي الطموحات ، والانجازات ، والمشاكل لدى الانسان اليمني في القطاع الشمالي من اليمن السعيد ، في رحلته لتجديد الحياة ـ بالتنمية ـ على أرضه ؟

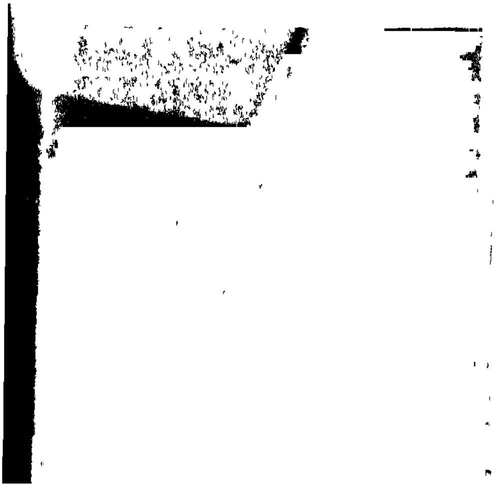

[redacted]

في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، ونتيجة لتعاظم دور حركات التحرر الوطني في العالم حصلت معظم دول العالم الثالث ـ أو ما يطلق عليه اسم الدول النامية ـ على استقلالها ، وبررت قيادات جديدة ، تتحمل مسئولية الحكم فيها ، وأصبحت القضية الرئيسية التي تشغل بال شعوب العالم الثالث ، هي البحث عن أسرع الوسائل وأنجحها وسبل رفع مستوى معيشتها من هنا برزت قضية التنمية بوصمها الأداة ، أو الوسيلة التي تستطيع بها هذه الدول أن تواحه مظاهر التحلف وعوامله التي فرضت عليها قرونا عديدة ، مستلهمة تجارب الدول المتقدمة على اختلاف نماذجها ولقد أصبح معيار نجاح هذه القيادات الجديدة أو فشلها هو قدرتها على رفع مستوى معيشة شعوبها ، في ظل ثورة من التطلعات ، والتوقعات ، لحياة أفضل ، بعد أن طال أمد حرمانها

والتنمية لا تحتاج إلى شعارات ترفع لالهاب حماس الجماهير ، لكنها تحتاج إلى حد أدنى من الموارد ، وإلى دراسات علمية متأنية ، تحدد أفضل الوسائل والسبل لاستخدامها

ولقد تعددت محاولات المفكرين لتحديد معنى التنمية ، فذهب بعض المفكرين الاقتصاديين إلى أن التنمية هي عملية الاستغلال السليم الرشيد للموارد المتاحة ، بهدف إقامة مجتمع حضاري ، متقدم ، تتوفر فيه الحاجات الأساسية للمعيشة ، والعدالة في التوزيع ، ويتوفر فيه الأمن ، واحترام الكرامة الانسانية لأبنائه ، وإمكانيات الارتقاء المادي والفكري للانسان ، من خلال خطة شاملة ، أو خطط جزئية ، قطاعية ، أو زمنية

الدول النامية والتنمية :

يعرف الدكتور عمر محيي الدين مدير الدائرة الاقتصادية في بنك الكويت الصناعي التنمية قائلا التنمية الاقتصادية هي الزيادة المستمرة في مقدرة المجتمع الانتاجية ، أي قدرته على إنتاج السلع ، والخدمات ، فكلما زادت مقدرة المجتمع الانتاجي بمعدل أعلى من معدل زيادة سكانه ، كلما ارتفع نصيب الفرد من السلع والخدمات ، وبالتالي ارتفع مستوى معيشته ، فالزيادة في المقدرة الانتاجية تؤدي إلى رفع مستوى المعيشة، وزيادة المقدرة الانتاجية للمجتمع من ناحية الزيادة في قوى الانتاج المادية ، ورفع كفاءتها ، وحسن استغلالها ، وزيادة المقدرة الانتاجية لقوى الانتاج البشرية ، وذلك عن طريق زيادة مهاراتها ومعارفها وقدراتها من نواح أخرى

ومع أن مشكلة الفقر والتخلف من أهم المشاكل التي تحاول التنمية الاقتصادية معالجتها والتغلب عليها ، إلا أن الاهتمام من جانب الدول المتقدمة الصناعية والمؤسسات الدولية ودور البحث العلمي لم يظهر إلا منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ، ومرد هذا الاهتمام يرجع إلى عدة عوامل ، منها تداعي الهيكل الاستعماري القديم ، وحصول عديد من الدول على استقلالها ، وظهور مجموعة الدول المستقلة حديثا ، بالاضافة إلى زيادة حدة الصراع بين العملاقين الكبيرين ، الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية ، ومحاولة كل منهما التأثير في موقف الدول المستقلة حديثا تجاه هذا الصراع »

أما الدكتورة مرفت بدوي الخبيرة الاقتصادية في الصندوق العربي للتنمية فتذهب إلى القول « بأن التنمية تستلزم تحولا جذريا في شتى جوانب البنيان الاقتصادي والاجتماعي القائم ، التي تشمل تغييرات في مجال الانتاج ، والاستهلاك ، وإجراء التحسينات على توزيع الدخل ، وعلى أوضاع العمالة ، وهذا التحول يستهدف العمل على بناء اقتصاد وطني ذي قاعدة إنتاجية متنوعة ، وترابطات قطاعية قادرة على توفير المستخدمات اللازمة للانتاج ، وتوسيع أسواق تصريفه » .

من هنا نلاحظ أن التنمية عملية صعبة ، شاملة ، تتناول كل جوانب الحياة المختلفة ، اقتصادية كانت أم اجتماعية ، أم ثقافية ، أم سياسية

والجمهورية العربية اليمنية هي احدى الدول النامية التي انتهجت أسلوب التنمية المتكاملة ، باعتباره أفضل الأساليب للنهوض باليمن ، ومواكبة الركب الحضاري الذي يشهده عالمنا اليوم ، لذلك كان من البديهي أن تخصص الحكومة اليمنية للتنمية وزيرا ، وجهازا مركزيا للتخطيط ، يقوم بمتابعة الخطط التنموية التي تطرحها الدولة وتعميمها

في أول لقاء لنا مع الاستاذ فتحي سالم ، وكيل الجهاز المركزي للتخطيط ، سألناه أن يعطينا المامة عن مشاريع اليمن التنموية ، فقدم لنا تقريرا ، أو بالأحرى مجلدا ضخما ، يضم مئات المشاريع التنموية التي يقوم الجهاز المركزي للتخطيط بمتابعتها ، وتقييم الخطة الخمسية الثانية التي من المقرر أن ينتهي العمل بها هذا العام وبنظرة سريعة لهذا التقرير نجد أن مشاريع اليمن الانمائية قد تناولت كافة القطاعات ، من زراعة وصناعة وتعدين ونقل ومواصلات

ويتحدث إلينا قائلا « لا تستغرب أخي من ضخامة هذا التقرير ، فإن الطموحات والآمال التي نتوخاها من خطط التنمية كبيرة ، وقد حرم شعبنا سنين طويلة من كافة المظاهر الايجابية لتطورات العصر الحديث التي جرت في البلدان المتقدمة ، إننا نريد أن نحقق معدلات نمو مرتفعة على مستوى الاقتصاد القومي بأجمله ، ونريد أن نرفع نصيب الفرد من الدخل القومي ، ونحسن مستوى معيشة المواطن اليمني ، ونريد أن نعمم التعليم على كافة أفراد المجتمع ، ونقضي على الأمية ، ونحسن المستوى الصحي ، ونكافح الأمراض ، ونشيد الطرق ، ونضيء المدن والقرى ، ونوفر مياه الشرب النقية لكل مواطن ، ونريد ونريد مع أن امكاناتنا ومواردنا المالية وقوانا المؤهلة محدودة ، إلى جانب المعوقات والمشاكل التي تواجه عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية في بلادنا ، لكن بلادنا قد خطت خلال فترة وجيزة خطوات موفقة ملموسة في دفع عجلة التنمية إلى الأمام »

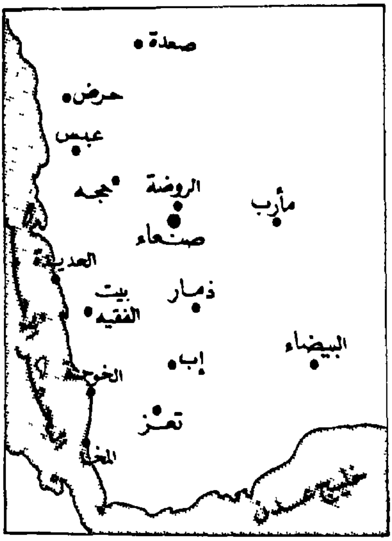

خريطة توضح أهم المدن في اليمن

لما كان تدبير الموارد المالية لتمويل المشروعات الانمائية من اهم مقومات نجاحها ، فالتقرير الصادر عن الصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي بعنوان « العمليات التمويلية ـ خلاصة تجميعية » يوضح لنا أن مؤسسات التنمية العربية القطرية والقومية قد قدمت للجمهورية العربية اليمنية حتى ٣١/١٢/١٩٨٥ مبلغ ١١٧٢,٧٥ مليون دولار ، لتمويل ٨٣ عملية تمويلية ، تمثل ٥,٣ بالمائة من إجمالي العمليات التمويلية لهذه المؤسسات مجتمعة ، وتعتبر هذه النسبة أعلى النسب التي قدمتها مؤسسات التنمية العربية للبلدان المستفيدة من هذه العمليات ، التي تغطي مائة بلد نام في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، كما أن هذه النسبة التي حصلت عليها اليمن لا تضاهيها إلا النسبة التي حصل عليها الأردن (٦,٤ بالمائة) ، والمغرب (٥,٥ بالمائة) ، هذا بالاضافة إلى القروض التي تقدمها الدول الأجنبية والبنك الدولي وغيرها من المؤسسات المالية الدولية ، أو التي تمول ذاتيا وحكوميا ، والتي لم تتوفر عنها إحصاءات دقيقة تمكننا من تحديدها

مستشفى الكويت العام
KUWAIT GENERAL HOSPITAL

● مستشفى الكويت العام في مدينة صنعاء من المشاريع الصحية قامت الكويت بانجازه وادارته والاشراف عليه من جميع النواحي والى اليسار كلية الشرطة والعلوم العسكرية من المشاريع التنموية العديدة التي قامت الكويت بانجازها والى اسفل إحدى الطرق الحديثة التي تربط مدينة صنعاء (العاصمة) بمدينة تعز المدينة الثانية في اليمن

الأولوية للزراعة :

تعد الزراعة في اليمن أحد أهم القطاعات الاقتصادية التي تساهم مساهمة واضحة في الدخل القومي ، إذ يعمل في هذا القطاع حوالي ٧٠٪ من إجمالي القوى العاملة ، لذلك اهتم المسئولون بهذا القطاع ، وأعطوه الاهتمام الكافي في خطط التنمية وأولوياتها

يقول الدكتور حسين عبدالله العمري وزير الزراعة والثروة السمكية في الجمهورية العربية اليمنية بهذا الصدد « لقد اتجهت سياسة الوزارة وخططها منذ أن أدخل أسلوب التخطيط الاقتصادي في بلادنا الى العمل على تنشيط القطاع الزراعي ، من خلال تحريك جميع الفعاليات المتعلقة بالتنمية الزراعية على المستوى الوطني ، وتزويد هذا القطاع بالبنية الأساسية اللازمة ، لزيادة الانتاجية إلى أفضل مستوى ممكن في المجالات النباتية والحيوانية والسمكية ، إضافة إلى تنمية المجتمع الريفي الزراعي ، وزيادة دخول العاملين فيه ، كل ذلك من أجل تعزيز أمننا الغذائي الذي نعتبره جزءا لا يتجزأ من الأمن الغذائي العربي ، وتوفير المواد الخام اللازمة للصناعات الزراعية »

وباستعراضنا للتقرير الصادر عن الجهاز المركزي للتخطيط في اليمن نجد أن مشاريع قطاع الزراعة تحتل مكان الصدارة في الخطط الخمسية المزمع تنفيذها في السنوات القادمة ، فهناك نحو ٤٠ مشروعا زراعيا مختلفا ، هي الآن قيد التنفيذ ، وهي مشاريع زراعية متنوعة ، تغطي أنحاء اليمن كافة

يقول الدكتور العمري « في ما يخص مشروعاتنا الزراعية فإن هناك مشروعات للقطاع الخاص والقطاع التعاوني والقطاع المختلط ، معظمها ذو جدوى اقتصادية عالية

ويستدل على ذلك من استمرار دخول القطاع الخاص في إقامة مشروعات زراعية مختلفة ، أصبحت تغطي معظم مناطق البلاد ، أما مشاريعنا في القطاع العام فهي مشاريع خدمية يقوم بعضها بدور رائد في الانتاج ، مع التركيز على تقديم الخدمات الارشادية المختلفة ، وخدمات الاقراض الزراعي عبر « بنك التسليف » ، كما نعمل أيضا على توفير بعض المدخلات ، مثل توفير الشتلات المختلفة ، والبذور المحسنة ، وغير ذلك ، كما أننا في بعض مشروعاتنا نعمل على إيجاد البنية الأساسية التي لم تكن متوفرة في الماضي ، مثل إنشاء الطرق الريفية ، وإقامة مشاريع مياه الشرب ، وإنشاء الجمعيات الزراعية والمراكز الارشادية »

وحول مشاريع الري والمياه التي تحتل قسما بارزا في الخطتين الخمسيتين الثانية والثالثة اللتين أقرهما المسؤولون في اليمن قال الدكتور العمري إن اهتمامنا بمشاريع الري يتركز على زيادة الرقعة المروية ، مع التركيز على التوسع الرأسي ، وترشيد استخدام المياه ، وذلك بإقامة السدود ، وإدخال طرق الري الحديثة الملائمة ، ثم القيام بالدراسات اللازمة للموارد المائية في مناطق البلاد كافة ، والعمل على الحد من عمليات استنزاف الموارد المائية ، وبخاصة الحفر العشوائي الذي يسبب في كثير من الأحيان هدر ثروتنا المائية

وقد جاء تدشين المرحلة الأولى لسد مأرب العظيم في أكتوبر الماضي ، تتويجا للجهود في هذا الاتجاه

إن كثيرا من هذه المشاريع الزراعية قد أثبتت جدواها من خلال ما حققته من نجاح في تحقيق الاكتفاء من إنتاج الخضراوات والفواكه والدواجن ، كما أنه من المتوقع أن يزداد إنتاج الأسماك واللحوم والبيض وعدد من المحاصيل ذات الجدوى الاقتصادية خلال السنوات المقبلة ، كما أن هذه المشاريع قد وفرت بالاضافة إلى الانتاج الزراعي المباشر كثيرا من الخدمات الزراعية المختلفة ، مثل المنشآت الزراعية ، وخدمات التدريب ، فضلا عن دورها المهم في إدخال وسائل الانتاج وأساليب التقنية الزراعية الملائمة لظروف البلاد وواقعها »

تعز - اب

كانت أولى مشاريع التنمية الزراعية التي أولتها اليمن عناية خاصة ضمن خططها التنموية هو مشروع (تعز - اب) الذي يقع في منطقة المرتفعات الجنوبية للبلاد ، وهذه المنطقة تمتاز بالكثافة السكانية العالية ، وتوفر الأيدي العاملة بالزراعة ، وتمتعها بمعدل عال من الأمطار

بدأ المشروع بداية متواضعة عام ١٩٦٣ ، واقتصر نشاطه في الاشراف على مزارع الدولة في محافظتي تعز واب إلى جانب تقديم الخدمات الزراعية الأولية ، كتأجير الآليات الزراعية ، وتوزيع الأسمدة ومع مرور الوقت اتسع نشاط هذا المشروع ، وتطور من تقديم الخدمات الرراعية والارشادية للمزارعين إلى إعداد الدراسات لتحسين إنتاجية المحاصيل ، وتدريب (الكوادر) المحلية

وبعد ذلك بسنتين تأسست محطة للبحوث الزراعية في المشروع ، بالاضافة إلى تقديمها خدمات إرشادية في ١٤ منطقة ، وامتد نشاطها فشمل البيئات الرراعية المختلفة في البلاد ، من خلال محطات قطرية ، تكونت فيها جميعا هيئة للبحوث الزراعية ، تزود القطاع الزراعي في البلاد بالتوصيات الفنية التي تساهم في زيادة الانتاج الزراعي ، وخفض تكلفة الانتاج وقد تم تأسيس مشروع (الميكنة) الزراعية ضمن الاتفاقات الثنائية بين حكومة اليمن والمملكة المتحدة ، حيث تم اختيار أنسب الآلات الزراعية الملائمة للبيئة اليمنية ، وتدريب (الكوادر) المحلية من فنيين ومرشدين زراعيين على أعمال صيانة هذه الآلات وإصلاحها ، بالاضافة إلى تدريب المزارعين من خلال جهاز الارشاد الزراعي على تشغيلها وصيانتها ، ثم أنشىء قسم لاكثار البذور المختلفة للمحاصيل الحقلية ، ملحقا بمحطة البحوث الزراعية ، بهدف توفير بذور المحاصيل الحقلية المحسنة ، كالقمح والشعير والذرة الشامية والرفيعة والدخن للمزارعين في الأقاليم الزراعية بأسعار رمزية ، كما أضيف لهذا القسم شعبة لمكافحة الآفات الحشرية والمرضية ، ومكافحة آفات الحبوب المخزونة ، لتقليل التالف منها ، إلى حانب المساهمة في تصميم وسائل تخزين محسنة للمزارعين ، وتلى ذلك افتتاح معهد آب الزراعي بهدف إعداد (الكوادر) من الفنيين الزراعيين المؤهلين علميا للمساهمة في مسيرة التنمية الزراعية بمجالاتها المختلفة .

سد مأرب عروس المشاريع :

ويعد سد مأرب الحديد الذي تم تدشينه في أكتوبر الماضي عروس المشاريع التنموية في اليمن ، وهو يحمل اسم السد القديم الذي ما تزال آثاره التي تمتع بها شعب اليمن ماثلة في وحدان الأجيال المتتالية عبر العصور

والسد الحديد يقع على بعد ١١ كيلومترا غرب مدينة مأرب ، كما يبعد نحو ثلاثة كيلومترات عن موقع السد القديم ، حيث ما تزال أطلاله باقية على شكل كتل من الصخر ، وبعض الأعمدة ، ويتكون بناء السد الجديد من حائط طوله ٧٦٢ مترا ، وارتفاعه ٢٩ مترا ، ويلحق بالسد الرئيسي أربعة سدود تحويلية موزعة على طول الوادي ، تتفرع منها قنوات أخرى لسقي الأراضي الرراعية ، أما مجموع أطوال هذه القنوات فيبلغ ٦٠ كيلومترا ، إضافة إلى قنوات أخرى تستخدم في أعمال الصيانة ، كما تبلغ مساحة تساقط الامطار التي سيقوم السد بتخزينها نحو تسعة آلاف كيلو متر مربع ، وتصل طاقة تصريف المياه إلى الوادي الى ٤٠٠ مليون متر مكعب وتصل طاقة السد التخزينية إلى ٣٩٠ مليون متر مكعب ، أما مساحة البحيرة التي سيخلفها السد فتبلغ ٤٠٥ كيلو مترات

المردود الاقتصادي :

أما عن المردود الاقتصادي والاجتماعي لمشروع سد مأرب فيقول الدكتور حسين العمري وزير

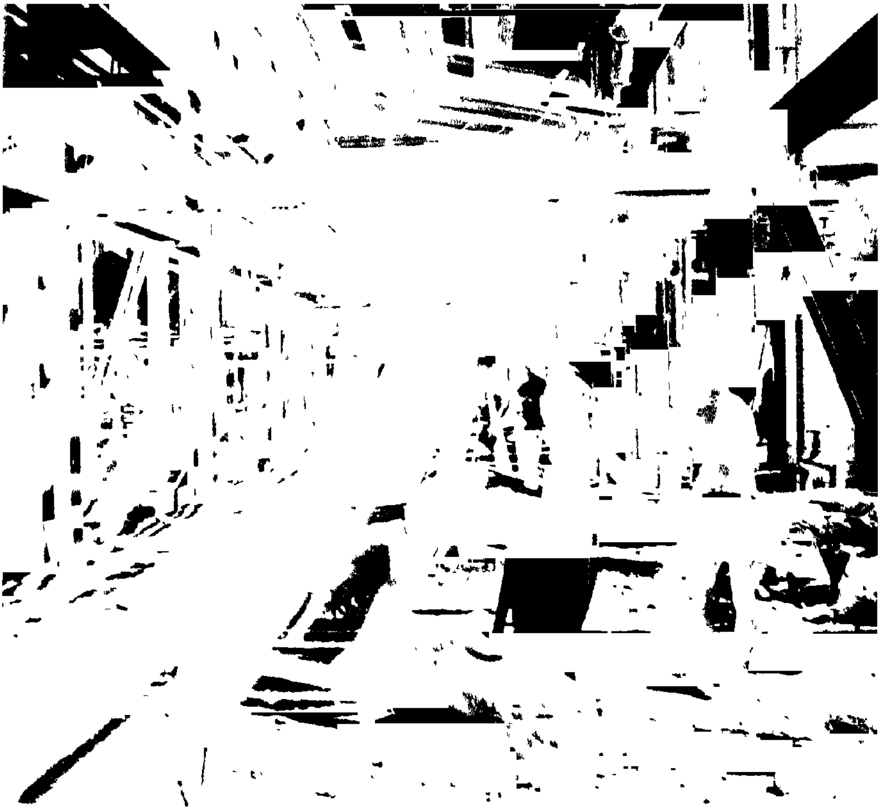

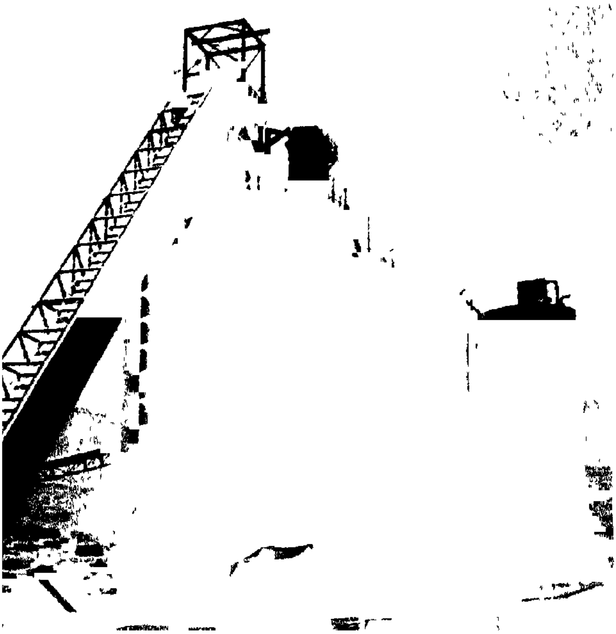

● محطة القوى الكهربائية في المخا قرب مدينة تعز تمد أجزاء كبيرة من الجمهورية العربية اليمنية بالطاقة الكهربائية والى اليسار مصنع اسمنت عمران احدى قنوات التنمية الصناعية في اليمن

● يعطي انتاج مصنعي اسمنت عمران وباجل نحو ٧٠ بالمائة من احتياجات اليمن من مادة الاسمنت والى اليسار غرفة التحكم في محطة القوى الكهربائية في المخا والى اليمين كلية الطب والعلوم الصحية من المشاريع التنموية الرائدة في مجال الطب وصحة الانسان اليمني

الزراعة والثروة السمكية : « الفوائد كثيرة ، أولا سيروي السد ما يقرب من سبعة آلاف هكتار ريا منتظما ، وسوف تزيد المساحة إلى ١٠ آلاف هكتار أخرى بعد اكتمال المشروع ، بالاضافة إلى أنه سيزيد من المياه الجوفية ويغنيها ، كما ستنشأ منطقة سياحية رائعة في المنطقة الواقعة عند السد ، تضم بعض المطاعم والفنادق ومتحفا تاريخيا ، وحدائق للأطفال ، تمتد بطول المنطقة ، حتى تصل إلى منطقة السد القديم ، حيث سيتم إنشاء منطقة سياحية ثانية ولا شك أن مدينة مأرب ستتسع ، وينشأ بها نمط جديد من العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، كما أنها منطقة واعدة مما يمكن أن يغطي احتياجاتنا من الحبوب ، ويساعد في حل قضية الأمن الغذائي »

ثم يضيف قائلا : « سد مأرب مشروع عظيم ، يشكل نقطة تحول في بلادنا ، فمن المعروف أن في اليمن من الأراضي الزراعية ما يصل إلى نحو ١٩,٥ مليون هكتار ، إلا أن المستغل منها لا يزيد عن ١,٥ مليون هكتار فقط ، وأن ما يعيق التنمية الزراعية بشكل واسع هو مشكلة المياه ، لأن بلادنا تعتمد بصورة أساسية على الأمطار

إن لدينا آمالاً عريضة ، فنحن نسعى لتشجيع بعض الشركات الهولندية واليوغسلافية والألمانية على تبني مشاريع زراعة الحبوب في منطقة الهجرة الحمراء ، وفي مناطق أخرى ، ونأمل في الوقت القريب أن يحدث لدينا الاكتفاء من الحبوب ، وقد وصل إنتاجنا في هذا العام إلى ٣٥٠ ألف طن من الحبوب ، وهذا يشكل على الأقل ٥٠٪ من حجم الاستيراد من الخارج

ومن المعروف أن تكلفة السد تبلغ ٩٠ مليون دولار ، قدمت كمنحة من الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الامارات العربية المتحدة ، مؤكدا بها الحرص القومي في إرساء الدعامات الأساسية لتقدم الأمة العربية ، واستعادة مكانتها الحضارية .

مصنع الغزل والنسيج :

من المشاريع التي تعتز بها اليمن مصنع الغزل والنسيج في مدينة صنعاء ، وقد بدأ المشروع بداية متواضعة عام ١٩٦٧ ، بوردية عمل واحدة ، وبإنتاج الأقمشة الشعبية التي يستخدمها الانسان اليمني في حياته اليومية ، حيث وصل الانتاج إلى ستة آلاف ياردة يوميا ، وبعد إدخال الآلات الحديثة ، والتوسعات الجديدة للمصنع ارتفع الانتاج إلى ٤٠ ألف ياردة يوميا ، مقسمة على ثلاثة ورديات عمل ، وتستهلك هذه المنسوجات احتياجات الشعب من ملايات وستاير وفوط ، واحتياجات القوات المسلحة من ملابس عسكرية ، وكذلك ملايات طلبة المدارس ، واحتياجات وزارة الصحة ، وبعض مرافق الدولة الأخرى

ومع زيادة الجهود لتطوير الانتاج والوصول به إلى مستوى عال من الجودة بدأ المصنع يتجاوب مع احتياجات المستهلك اليمني ، بظروفه البيئية المتباينة ، فأنتج منسوجات تناسب المستهلك الذي يقطن الجبال ببردها القارس ، أو ذلك الذي يسكن المناطق التي يشتد فيها القيظ ، وترتفع فيها درجة الحرارة وفي شهر مارس الماضي تم تدشين المشروع الثالث لصناعة النسيج في اليمن ، ويتكون من ٥٥ ماكينة بدون مكوك ، من إنتاج شركة سوفيتية متخصصة بصناعة مكائن الغزل والنسيج ، وهي مكائن متطورة ، تواكب أحدث ما وصلت اليه التقنية الحديثة في عالم الغزل والنسيج ، وما يجدر ذكره أن مصنع الغزل والنسيج كان أول باب فتح للمرأة اليمنية للعمل على قدم المساواة مع الرجل

وفي لقاء لنا مع السيد أحمد الرحومي رئيس مؤسسة الغزل والنسيج حدثنا عن انتاج المصنع والجوانب الايجابية والسلبية ثم الخطط المستقبلية للانتاج ، فقال : « لقد افتتحنا منذ أيام خطا جديدا للانتاج ، وسوف يبلغ انتاجنا نحو ثلاثة ملايين و ٦٠٠ ألف ياردة سنويا ، من أنواع مختلفة من

المنسوحات ، ويمكننا أن نصل بانتاجنا إلى نحو مائة ألف ياردة في الشهر إذا عدلنا بعض الأصناف ، لأن طبيعة النسيج تختلف عن طبيعة بعض الصناعات الأخرى ، فكلما زادت كثافة القماش كانت النسبة اقل ، وكلما خفت نسبة القماش كانت نسبة انتاج القماش أعلى ، ونحن الآن نصنع بعض الأقمشة المهمة لنا ، خاصة الكاكي للجيش ، بعض الملابس الثقيلة ، وهذه الأصناف تغطي الاحتياج المحلي

ويضيف قائلا « إن أهم ما أود أن أنوه عنه أن مؤسستنا تستطيع تصنيع نحو ٩٠ أو ٩٥ بالمائة من قطع غيار الآلات والمعدات ، ولا يخفي أن هذا الانجاز هو أحد الدعائم التي تؤدي إلى استمرارية العمل ، علما بأن مصنعنا وآلاتنا متنوعة الجنسية ، إذا صح هذا التعبير ، فنحن نستورد آلاتنا من الصين ، ومن ألمانيا ، ومن الاتحاد السوفيتي ، وغيرها من دول اوروبا، حتى لا تؤدي التقلبات السياسية إلى أي عطل أو خلل في الانتاج ، وهناك ١٤ معملا نطلق عليها معامل رديفة ، وهي معامل الخياطة ، بعضها يتبع مؤسستنا ، وبعضها نساهم فيه جزئيا ، ومنها ماهو تابع للقطاع الخاص ، وهي تسع معامل ، نقوم بتغطيتها بالأقمشة التي ينتجها مصنعنا بشكل دائم منتظم ، فنحن نحدد الأصناف التي تنتجها هذه المصانع للأسواق المحلية أما عن خططنا المستقبلية فقد وقعنا اتفاقية مع إحدى الشركات الاوروبية المتخصصة بانتاج الخيام والجعب ، للبدء في تصنيع هذه المستلزمات التي تحتاجها قواتنا المسلحة ، وبعض ، مراكز الشباب ، كما أن هناك برنامجاً ندرسه الآن لانتاج قماش « الجينز » مع شركة ايطالية متخصصة في هذا النوع من الأقمشة

اسمنت عمران :

ومن الركائز الهامة ذات الجدوى الاقتصادية الجيدة التي تصب في مجرى التنمية مصنع اسمنت عمران الذي تم افتتاحه عام ١٩٨٢ ، ضمن مشاريع الخطة الخمسية الثانية في اليمن ، بطاقة إنتاجية تبلغ حوالي ٥٠٠ ألف طن من الاسمنت « السائب » في السنة ، ويعمل في هذا المصنع أكثر من خمسمائة عمل فني ، ومهندس ، بالاضافة إلى الجهاز الادراي ، على ثلاث ورديات متناوبة ويغطي مصنع عمران نحو ٤٠٪ من حاجة البلاد من الاسمنت ، وإنتاجه بالاضافة إلى ما ينتجه مصنع اسمنت باجل يغطي حوالي ٧٠٪ من حاجة البلاد من الاسمنت

وهناك دراسات قائمة للتوسعة خلال السنوات القادمة ، حيث من المؤمل أن تصل انتاجية هذا المصنع ، الى مليون طن سنويا ، والمصنع يدار بعمالة أبناء اليمن وخبرتهم ، أما الخبرة الاجنبية الفنية فهي في أضيق الحدود

مشاريع الكويت :

تعد الكويت بلا فخر من أولى البلدان التي ساهمت في عملية التنمية في اليمن ، انطلاقا من واجبها القومي في مد يد المساعدة لشقيقاتها العربيات يقول الاستاذ عبدالقادر الجبيل مدير مكتب دولة الكويت في صنعاء . « لقد قامت الكويت ممثلة في الهيئة العامة لجنوب الجزيرة والخليج العربي التابع لوزارة الخارجية الكويتية منذ عام ١٩٦٣ حتى عام ١٩٨٦ ببناء ١٦ مدرسة ابتدائية للبنين ، و ٣٠ مدرسة ابتدائية إعدادية للبنين ، و ١٢ مدرسة إعدادية ثانوية ، غطت معظم مدن الجمهورية العربية اليمنية وقراها ، أما بالنسبة لجامعة صنعاء فقد قامت الكويت ببناء معظم كليات الجامعة والمباني الخاصة بإدارتها والخدمات الأخرى مثل مكتبة الجامعة ، وعمارات سكنية لأساتذة الكليات ، بالاضافة إلى قاعات للاحتفالات والمحاضرات العامة ، أما المشاريع التي تخص الخدمات الصحية فهي كثيرة متنوعة ، منها ١٢ مستوصفا موزعة على المدن والقرى المختلفة في البلاد ، وكذلك ثلاث مستشفيات ، وهي المستشفى العسكري في مدينة صنعاء ، وآخر في مدينة الحديدة ، ثم مستشفى الكويت العام في صنعاء الذي

● أعطت حكومة الجمهورية العربية اليمنية الاولوية للمشاريع الزراعية في خططها التنموية والزراعة أهم ركائز الدخل القومي لليمن (وفي الأعلى) مصنع الغزل والنسيج في مدينة صنعاء والى اليسار مشروع (تعز - اب) أولى مشاريع التنمية الزراعية في اليمن

يتسع لمائتين وخمسين سريراً ، ويشتمل على أقسام للامراض الباطنية ، وأمراض النساء والولادة والأطفال ، والأنف والأذن والحنجرة ، وأقسام الأسنان ، والعيون ، والأمراض الجلدية ، والجراحة ، والتحاليل ، ثم التخدير ، والأشعة ، بالاضافة إلى هيئة طبية وتمريضية وإدارته تتكون من ٤٨ طبيبا و ١٢٥ ممرضة ، إلى جانب الصيادلة والفنيين والاداريين ، وتقوم الهيئة العامة للجنوب والخليج العربي بالنهوض بأعبائه ، سواء من الجوانب الادارية أو المالية ، كما قامت الهيئة ببناء مشاريع متنوعة أخرى ، مباكلية للشرطة في مدينة صنعاء ، وقاعتان للمحاضرات والاحتفالات ، وكذلك مبنى لمصلحة الطيران المدني

وهناك مشروع كلية الطب والعلوم الصحية الذي وعد صاحب السمو أمير الكويت بإنشائه عند زيارته لليمن ، ويعد من أكبر المشاريع التي تقوم الهيئة العامة بمتابعة إنشائه ، وتقدر المساحة الاجمالية لمباني الكلية بما يعادل ٣٦٢٠٥ أمتار مربعة ، ويحمل بعض سمات الطابع اليمني المميز في البناء ، وهو مقسم إلى سبعة أجزاء متشابكة متصلة ببعضها بعضا ، تم وضعها على ثلاثة مناسيب ، لتناسب طبيعة الموقع المتدرج ، وقد تم وصل الأقسام السبعة بسلالم عند تغير المناسيب ، لتربط كل جزء بالآخر ، أما التكلفة الاجمالية لهذا المشروع فتبلغ ٣٥,٧٧٠,٠٠٠ دولار أمريكي ، ومن المتوقع أن يتم إنجازه في ابريل عام ١٩٨٨

جامعة صنعاء :

ولما كانت اليمن قد انتهجت أسلوب التنمية الشاملة في خططها التنموية بمجالاتها المختلفة لذا كان الاهتمام بالجامعة ، كأحد القطاعات الهامة التي تغذي العملية التنموية بقطاعاتها المختلفة « بالكوادر » البشرية المؤهلة ، ويساهم خريجوها في كافة مجالات التنمية . إن جامعة صنعاء التي مر على افتتاحها خمسة عشر عاما ، والتي تتألف من تسع كليات هي : كلية الشريعة والقانون ، وكلية الآداب ، وكلية التربية ، وكلية التجارة والاقتصاد ، وكلية الطب والعلوم الصحية ، وكلية الهندسة ، وكلية الزراعة ، ومركز اللغات والدراسات العليا ، لا تخطط فقط لتطوير برامجها ومناهجها كما يقول الدكتور عبدالعزيز المقالح مدير الجامعة ، بل تحاول أن توجه هذه المناهج وهذا التخطيط ليساير برامج الدولة ، ويوفر احتياجاتها من« الكوادر » اليمنية المؤهلة ، لا سيما في قطاعات التعليم والصحة والهندسة والزراعة التي تمثل حجر الزاوية في نهضة اليمن الحديثة ، ومن هذا المنطلق فتحت كليات الطب والهندسة والزراعة استكمالا لكليات الجامعة النظرية ، كي تساهم في حل المشاكل المعقدة التي تواجه احتياجات التنمية »

ويضيف الدكتور عبدالعزيز المقالح قائلا « إذا كان تأهيل « الكوادر » اليمنية والعربية مسؤولية أساسية للجامعات العربية فإن جامعتنا تضع كافة إمكاناتها في خدمة المجتمع ، سواء كان ذلك في دراسات أو أبحاث ، تحاول الجامعة من خلالها التعرض لقضايا المجتمع ، والاسهام في إيجاد الحلول المناسبة لها إنني أنادي بإنشاء مركز متخصص للعلوم والتقنية ، يقوم بربط الجامعة بكافة الجهات التي ترغب في الاستشارة ، أو تطوير برامج الادارة ، وتطويع التقنية

ويوضح لنا التقرير الذي أصدرته الجامعة بمناسبة مرور ١٥ عاما على إنشائها التزايد الكبير في أعداد الطلبة والطالبات ، حيث وصل العدد الى نحو ١٥ ألف طالب وطالبة ، موزعين على كليات الجامعة المختلفة ، علما بأن أعدادالطلبة لم تتجاوز ثلاثة آلاف طالب منذ افتتاح الجامعة حتى عام ١٩٨٤ م

تنمية الانسان :

وعن التنمية الثقافية يحدثنا الدكتور المقالح قائلا . « إن الحديث عن التنمية في جانبها الثقافي لا يقل أهمية عن التنمية في المجالات الأخرى ، بل هو من أهم

أنواعها ، لأنه يتعلق بتنمية الانسان ، صانع كل التنميات ، وفي تقديري أن بلادنا في السنوات الأخيرة قد قطعت مرحلة كبيرة في سبيل بناء الانسان ، وإعداد « الكوادر » القادرة على تطوير البلد والنهوض بالتنمية الشاملة ، ففي مجال التعليم العام قفزت الأعداد من مئات الألوف إلى مليون وثلاثمائة ألف طالب وطالبة ، وفي الجامعة قفز العدد في السنوات الاخيرة من ثلاثة آلاف طالب إلى خمسة عشر ألف طالب ، والقفزة ليست في الكم وإنما في الكيف أيضا ، وهناك ما يشبه التطور الشامل في مجال التعليم وفي بناء المؤسسات العلمية ، وهذا الأمر في حد ذاته يؤكد أن بلادنا تمضي في حركة تنموية جادة ، وأنها لا تقف عند المجال الاقتصادي والاجتماعي ، وإنما تمضي إلى المجال الثقافي ، وتسعى إلى خلق الانسان القادر على صنع التنمية الحقيقية وحمايتها أيضا

ويضيف قائلا « وإذا كانت تنمية الثقافة ماتزال تخطو خطواتها الأولى في البداية ، فإن الأثر الذي ستتركه في الأيام المقبلة يمكن أن تلمسه من الآن ، وهو في نفس الوقت يؤكد أن التنمية تسير جنبا إلى جنب في مختلف المرافق ، وتسعى إلى تجاوز كل المعوقات

مشاريع . . . مشاريع :

إننا لا نستطيع في هذا التحقيق المحدود أن نتناول جميع المشاريع التنموية في الجمهورية العربية اليمنية ، لأنها عديدة ، فهناك العشرات من المشاريع الجديرة بالتنويه عنها ، وهي مشاريع متنوعة ، تخدم قطاعات كبيرة ، منها مشاريع الطرق البرية التي تربط بين مدن الجمهورية ، ومحطات القوى الكهربائية العملاقة في منطقة المخا ، ومشاريع المواصلات والنقل ، وشبكات المواصلات السلكية واللاسلكية ، ثم مشاريع الاسكان المتعددة ، وغيرها من المشاريع .

معوقات التنمية :

إن التنمية بقطاعاتها المختلفة ، وخططها ، تواجه بالكثير من المعوقات والسلبيات أثناء تنفيذها ، ومنها ضعف البناء الاداري المؤسس ، وضعف الهياكل الأساسية . يحدثنا الاستاذ فتحي سالم وكيل الجهاز المركزي للتخطيط عن هذه المعوقات والسلبيات فيقول « أولى هذه المشاكل هي مشكلة التمويل ، فقد كانت خطط التنمية تعتمد على المصادر الخارجية في التمويل حيث كنا معتمدين في خطتنا الأولى ، والثانية أن التمويل خارجي لأي مشروع من مشاريع التنمية بنحو ٦٠ بالمائة من اجمالي التكلفة ، ويتحمل التمويل المحلي ٤٠ بالمائة ، إلا أن ارتفاع الأسعار المحلية لكثير من المواد الأولية ، وكذلك معدلات التضخم العالمية والمحلية قد أدت الى زيادة الفترة المقررة لانجاز بعض مشاريعنا التنموية

بالاضافة إلى المشاكل التي تواجه منطقتنا العربية مثل الحرب العراقية الايرانية ، واحتلال اسرائيل لأجزاء من وطننا العربي تشكل بصورة وأخرى إحدى العوائق للتنمية ، كما أن انخفاض سعر النفط ، وانخفاض إنتاجه قد أدى أيضا إلى إطالة أمد بعض مشاريعنا ، وبالاضافة إلى ذلك هناك أشياء لم نكن نتوقعها ، مثل الزلزال الذي حدث في ذمار عام ١٩٨٢ أثناء تنفيذها للخطة التنموية الثانية ، حيث كلف الدولة مبالغ طائلة لاعادة إعمار ذمار

مما أدى بالمسؤولين إلى استقطاع جزء كبير من المبالغ المخصصة لمشاريع التنمية لاعادة الاعمار لهذه المنطقة ، كما أن هناك مشاكل ناجمة عن التأخير في إرسال التمويل واختلاف الممولين في شروطهم بالاضافة إلى العوامل الادارية الموجودة لدينا ، وهذا مما أدى إلى وجود بعض المعوقات في طريقة مشاريعنا التنموية ، ومع ذلك خطت بلادنا خلال فترة وجيزة خطوات موفقة وملموسة كان لها اكبر الاثر في دفع عجلة التنمية الى الامام . □

لوحات روبرتس تحط رحالها بالكويت

بقلم :

عبدالغني محمد عبدالله

التاريخ لوطننا العربي يجب أن يمر عبر ماكتب بأقلامنا ، على الرغم مما قد يعتوره من خطأ ، اذ علينا تصحيحه . وبأقلام غيرنا رغم ماقد ينتابه من شطط ، ثم علينا تقويمه حتى لا يكون هذا التاريخ ناقصا . ويجب أيضا أن نقرأه بوعي ، فذلك يوقظ في خيالنا حياة الأجداد ، فتسهل المقارنة وتجنب الخطأ . هذا فضلا عن متعة الأنبهار أمام عظمة الأنتاج الفني لأولئك الرجال العظماء الذين وقفوا يوما فوق أرضنا الطيبة ، ينقلون حاضرها الذي صار ماضيا وتاريخا . أما أخطاؤهم فنحن أقدر على التجاوز عنها .

جانب من معرض ديفيد روبرتس

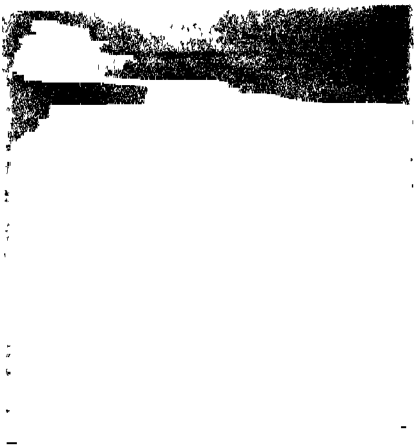

في الصحراء

الصعود إلى جبال سيناء

حدثان كانا وراء البحث عن « ديفيد روبرتس » ، الفنان ، وأين كان ، وإلى أين ذهب ، وماذا قدم ، وماهي حكايته ، وخصائصه ؟

أولهما تلك التظاهرة الفنية التي قدمها لنا الأستاذ طارق السيد رجب بالكويت ، ممثلة في معرض لوحات الفنان ديفيد روبرتس ، خلال شهر كانون الأول « ديسمبر » الماضي ، بمتحفه الكائن بضاحية الجابرية ، وهو متحف يضم ذلك التراث الفني ، الاسلامي في غالبيته الذي صار واحدا من معالم الكويت الحديثة ، بالاضافة إلى متحف الكويت الوطني ودار الآثار الاسلامية

وطارق رجب نفسه ذواقة باحاسيسه ، مفعم بحب الفن ، وتشجيع القائمين عليه ، جامع لجديده وتليده ، على الرغم من بذل الوقت والجهد والمال كويتي ناجح ، أضاف بجهده الخاص ذلك الطابع الخيالي الفني المتمثل في جمعه للرائع من الفنون ، والخالد من التراث حسب قول خبير آثار مصري ، زار متحفه منذ فترة .

كان عرض لوحات ديفيد روبرتس في متحفه مناسبة يجب الوقوف عندها ، قبل تجاوزها وتقديمها للقاريء لحما ودما

ثاني الحدثين هو صدور كتاب « مصر في عيون الغرباء ـ من الرحالة والفنانين والأدباء ـ القرن ١٩ » في مجلدين للدكتور ثروت عكاشة ـ عن الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة قدم فيه المؤلف ثروة ثقافية وفنية بالغة الثراء لم تختص بمصر وحدها ، بل شملت غيرها من خلال تناول زيارة هؤلاء الغرباء ، فصارت الفائدة أعم ، والاستفادة للمتخصصين أشمل .

لوحات روبرتس في مجلدي الدكتور عكاشة ليست كاملة ، بل لقد اختار منها أهمها ومتحف طارق رجب عرض اللوحات دون تفاصيل قد تركها لقراءتنا الفنية ، فكانت هناك ضرورة للربط بين الصورة والمادة العلمية والفنية ويمكن القول بأن القمم قد تلاقت بين تظاهرة طارق رجب الفنية ، وموسوعة عكاشة العلمية

نعم عبر المكان في الكويت ومصر ، وفي زمن واحد تقريبا أمكن الخروج بهذا التصور عن ديفيد روبرتس الذي أصبح قمة ثالثة التقت معهما عبر الزمان وعبر المكان .

« الكلاسيكية »

مع بداية عصر النهضة ، وبداية تبدل الأوضاع في جميع الميادين ، في العلوم ، والآداب ، حدث تغير فني عظيم ، وتطور إنساني في مجال الفن ، حوله من فن ديني إلى فن يخدم الدنيا والدين ، مرتديا لباسا « كلاسيكيا » إحياء لمذهب فني كان سائدا عند اليونان والرومان ، وانفسح المجال أمام الروائع الفنية الخالدة ، نتيجة موهبة أولئك الرجال العظماء ، مثل دافنشي وأنجلو وروفائيل ، وغيرهم من القمم الفنية الذين قادوا الحركة الفنية من عصر مظلم إلى عصر مضيء وضاح

ومع تطور الحركة الفنية ، ومرور الأيام ، وازدهار « الكلاسيكية » ، وبلوغها القمة بدأت في الانحسار ، وبدأت « الرومانسية » في الظهور ، وتلاها ظهور الواقعية في الفن ، إلا أنه مع مرور الوقت عاد الانسان إلى تذوق « الكلاسيكية » مرة أخرى بسبب فخامتها ، ومشاهدها الأخاذة ، وروائحها العبقة ، ولتمثيلها للطبيعة على النحو المثالي الحسن وهذا الارتداد إلى « الكلاسيكية » عند الرأي العام قد دعا الفنان إلى العودة إليها ، وقد وجد « الكلاسيكية » ، في أفخم صورها متواجدة في الشرق وسحره وعطره ، وأطلاله وفيافيه ، وحول معابده ، وخلال طرقه ومنحنياتها ، وتحت ظلال

حاره ، وبجوار حيطانه الاسطورية ، ووسط ذلك يه في صحاريه ، أو في مبانيه القديمة ، أو وارها ، أو مع المجتمعين حولها وهي أوضاع عد لها عين الرائي الحديث المفعمة بكل الشوق ؤية ذلك العالم الخيالي الفسيح التي أضناها النظر المكائن والآلات والكتل الخرسانية . كان صمت الذي يغلف العالم الخيالي في الشرق ترتاح له ن الرائي بعد أن قاست الكثير من الصخب الصوت النشار

نزوح إلى الشرق

بدأ النزوح إلى الشرق فنيا وأدبيا وعلميا ، بعيدا ن أوروبا ، وبدأت مواطن الخيال والجمال تجتذب يها عديداً من الفنانين والمفكرين والأدباء والكتاب التجار والمغامرين والرحالة وأصحاب المشروعات الراغبين في الثراء ، وبخاصة خلال القرن التاسع شر ، وقد ساعدهم على اتخاذ قرار النزوح إلى لشرق تلك الرغبة العارمة في الهجرة من بلدانهم لاوروبية إلى مناطق جديدة ، ذات تاريخ قديم ، مشاهد مثيرة للخيال ، محركة للوجدان ، تجدد في فوس هؤلاء الفنانين تلك « الكلاسيكية » ، في رض بكر بعيدة عن الحقد والكراهية ، والغضب ، التلوث كانت حتى ذلك الوقت تحمل في شوارعها حواريها طابعا حيا للماضي ، وكيف كان ، إضافة لى أن بلدانهم كانت تمنعهم من المغامرة داخل راضيها . وأي مغامرة تكون وسط ذلك الزحام تلك المداخن والآلات ، ووسط التروس المعجلات التي أوجدتها الثورة الصناعية ؟ !

وكأي فكرة جديدة بدأ الأمر يدغدغ شعورهم ، يتبلور في أذهان المفكرين والأدباء والفنانين في دروبا ، فهاجروا إلى الشرق بخيالهم أولا ، وانطلقوا يتصورون ذلك العالم البسيط الخيالي كان أول المتخيلين « فردريك شليجل » ثم « جيته » . وتطور الأمر بعد ذلك ، فارتحل عديد منهم بأجسادهم إلى الشرق ، واهتموا في أول الأمر بنواحي الجمال ، وخلدوا ذلك في أشعارهم ورسومهم ، واندمجوا مع الشرق خيالا وجمالا

وممن جاءوا إلى الشرق ـ وإلى مصر على الأخص ـ كان رجال الحملة الفرنسية ، بعد سقوط نابليون ، مما جعلهم يخافون على أنفسهم من أنداد نابليون ، وبخاصة بعد مؤتمر فينا عام ١٨١٥ ، جاءوا يعرضون خدماتهم على حكام الشرق ، حيث أقاموا ، واعتنقوا الاسلام ، وتأثروا بنفس العادات والتقاليد ، وارتدوا نفس الملابس

ديفيد روبرتس صورة شخصية

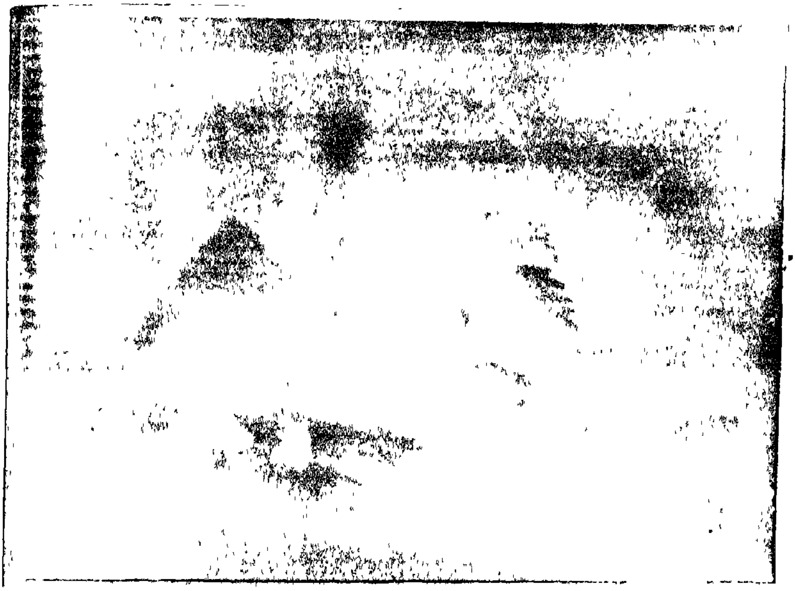

أهرامات الجيزة

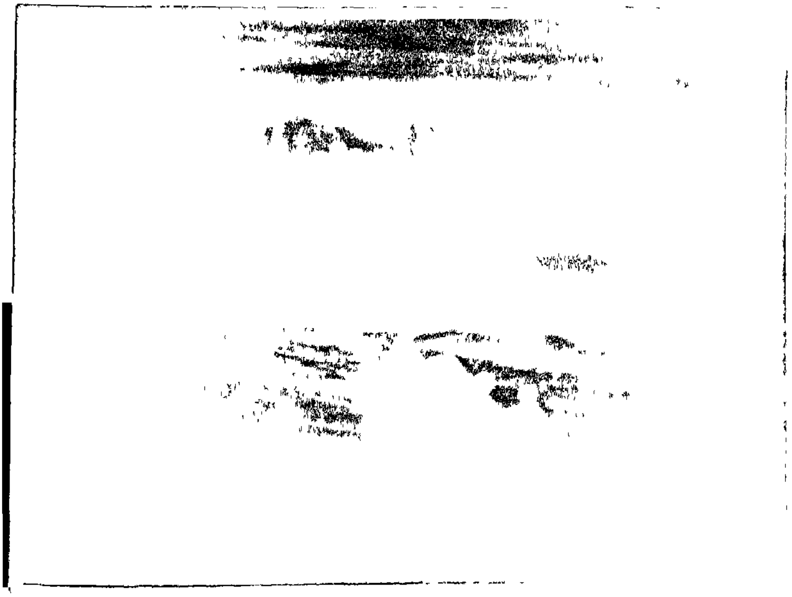

فاولد

مخيم

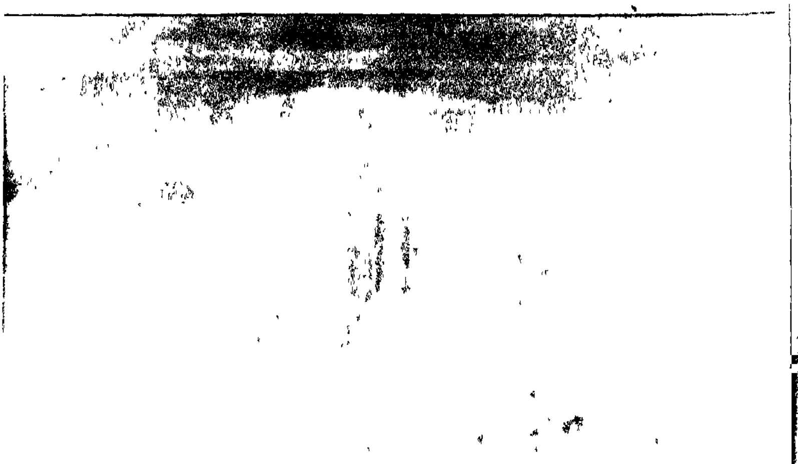

فوق الأطلال

ويوجز لنا الدكتور ثروت عكاشة أسباب مجيئهم في أن الشرق قد أصبح بعد حملة نابليون على مصر موطنا للثراء الفاحش ، ومكانا للحرية ، ومهبطا للسحر والغموض ، ومرتعا للمغامرة والمتع وإشباع الشهوات ، أو للتخفيف من الرومانسية جاءوا فامتلأت نفوسهم بذخيرة أدبية ، واستحالوا وجدانيا من الأبهام إلى الوضوح .

رواد الاستشراق الفني نقلوا السائح الغربي إلى تلك البلاد البعيدة عنه ، بواسطة رسومهم عن الشرق عبر الزمان والمكان ، فاشتم هؤلاء السياح دون انتقال لروائح الشرق العبقة ، وسحر مناظره الخلابة ، وهدوء حياته وصفائها وهدوء سكانه وصفائهم ، وهو نفس المعنى الحديث الذي انطلقت وراءه الشركات السياحية ، لتنقل حفيد نفس السائح إلى تلك الجهات بجسده وخياله معا في العصر الحاضر

مولد فنان

ديفيد روبرتس فنان اسكتلندي ذائع الصيت ، وهو أحد « الرسامين » المشهورين ، خاصة خلال العصرين الجريجوري والفيكتوري البريطانيين ، وهو أيضا أحد الفنانين الذي استهواهم الشرق فارتحلوا إليه . فنان « كلاسيكي » كبير الأثر والتأثير ، « مستشرق فني » إذا جازت هذه التسمية ، وذلك بسبب الثراء الفني (كما وكيفا) الذي خلفه وراءه والاعجاب بانتاجه على مر السنين قد أدى إلى التهافت على شراء مجموعته الفنية ، وبلغ هذا التهافت مداه إلى أن بلغ سعر المجلد الواحد الذي يضم مجموعته الفنية (٢٥٠ لوحة ، ويقال ٢٤٨ لوحة) خمسة وعشرين ألف جنيه استرليني ، وبلغ سعر اللوحة الواحدة من بعض لوحاته عشرة آلاف جنيه استرليني . استمرت شهرته بالانتشار بين أوساط الفنانين كمدرسة فنية رائعة ، سواء في العالم الغربي على وجه العموم ، أو العالم العربي على وجه الخصوص ، وأكثر من ذلك في انجلترا ، وذلك على الرغم من وفاته منذ ما يقرب من ١١٧ عاما .

ولد ديفيد روبرتس في عام ١٧٩٦ في مدينة أدنبره ، وكان والده يعمل في صناعة الأحذية وظهر نبوغه الفني في شبابه ، وبهر الناس بموهبته المتفجرة ، وبخاصة في رسم التصميمات المعمارية وقد ولد وعاش في عصر الثورات الحادة ١٧٨٩ ، ١٨٣٠ ، ١٨٤٨ . ومع نظريات كارل ماركس وفرويد ، وابداعات شارلز ديكنز ، وهي أمور أعادت العقل إلى الواقعية في الأدب والفن ، وقد كان روبرتس متأثرا بذلك كله

بدأ حياة الترحال ومعه أصدقاؤه ، « مولر » و « وليم لير » و « دافيد ويلكي » ، في وقت كانت الدولة العثمانية قد أزاحت كل العقبات المعوقة للرحالة ، هذا ويمكن النظر إلى رحلات روبرتس من زاوية الاحتراف وليس الهواية .

إلى اسبانيا والشرق

بدأت رحلاته إلى اسبانيا عام ١٨٣٠ ، وهو نفس العام الذي قامت به ثورة بفرنسا . وشملت رحلاته طنجة على الجانب الافريقي ، والوطن العربي ، حيث طاف بمصر ، ووصل الى أقصى ما استطاع الوصول اليه عند الشلال الثاني ، راكبا سفينة تحمل العلم الانجليزي في نهر النيل ، مسجلا كل ما تراه عينه بفرشاته ، مدونا يومياته التي عن طريقها استطعنا أن نتعرف على انطباعاته عن مصر في ذلك الوقت ، وأثر ذلك على أعماله الفنية بها .

وزار بعد ذلك فلسطين والشام ولبنان مسلحا بأدوات الرسم ، بالفرشاة والأصباغ ، فرسم كنسية

روبرتس بالملابس العربية ـ من تصوير روبرت سكوت

القيامة ، ورسم بعض المعالم في بانياس وصفد ورأس الناقورة وبيت لحم ونابلس ، وقد أبدع في رسم شوارع القاهرة ، ومبانيها ومساجدها وعمائرها ، كما أبدع في تصوير سيناء ـ أرض التيه ـ حيث صورها لنا بجبالها ووهادها وألوانها وقسوتها ولينها ، وخيالها وذكرياتها ، وكلها مناطق لم ترها العامة ، فكانت ذخيرة حية لكل من رآها ، ليلتهب خياله ، ويذهب بعيدا إلى بلاد السحر والخيال في الشرق ، بعيدا عن تلك المجتمعات القاسية ولغة المال ، يذهب إليها بخياله مادام لم يستطع الذهاب إليها بجسده .

روبرتس الانجليزي أهدى كتابه إلى ملك فرنسا « لويس فيليب » وهو أمر قابلته ملكة الانجليز « فيكتوريا » برغبة ملكية في رؤية ذلك الانتاج ، ومن ثم عرض هذا الانتاج الفني في لندن وباقي بلاد الانجليز تقريبا ، وحتى يمكن تخليد ذلك الانتاج اتفق روبرتس مع صاحب مطبعة بلجيكي اسمه « لويس هاف » على إعداد ألواح « زنكوغرافية » لمعظم رسومه ، ثم نشرت على حلقات مما عاد عليه بثروة طائلة وشهرة واسعة ، وأعيد نشر هذا الانتاج في فترة (١٨٤٢ ـ ١٨٤٩) في مجلدات ستة ، بعنوان أسطوري « الأرض المقدسة ـ سوريا ـ أيدوم ـ شبه الجزيرة العربية ـ مصر ـ النوبة » وهي أسماء أكثر المناطق سحرا عند أهل أوروبا حينذاك

وله أيضا مجلد عن مدينة القاهرة التي بفضل رسوم روبرتس أخذت بعدا جديدا بعد طول نسيان خاصة عند الاوروبيين وقد حرص الهواة إضافة إلى البيوت الفنية والمتاحف أن يحصلوا على أعمال روبرتس .

وفي الشرق ـ في مدينة بيروت ـ أعيد طبع أعمال روبرتس حيث لاقت نجاحا عظيما ، وحققت شهرة واسعة

نحن ننظر الى روبرتس حينما جاء إلى الشرق بعد الانحسار الرومانسي ، راغبا في تأمل تلك المساحات النائية الواسعة ، وتائها في فيافيها ، وباحثا عن الأمل تلو الأمل . نراه وهو في صحراء سيناء ، ذلك المكان البعيد النائي ـ في ذلك الوقت ـ القاسي ، القليل السكان ـ أرض التيه ـ ، ونراه خاشعا أمام الجبل المدكوك منذ أن وقف أمامه موسى عليه السلام ، وتجلى الله سبحانه وتعالى للجبل ، فصار دكا وخر موسى صعقا لقد صور لنا روبرتس حال هذا الجبل ، وصور لنا الأديرة والكنائس والمساجد ، ورسم لنا الرهبة والأهوال التي لاقاها في سبيل أمله اللامتهي الذي يبحث عنه وسط ذلك التيه .

ديفيد الفنان

اشتهر روبرتس بمقدرة كبيرة في تصوير ارتفاعات المباني وتقدير نسبها ، واستلهام المثير من مناظر بسيطة فجاءت رسومه خاصة في مصر رومانسية الطابع ، بدليل ذلك الحزن الواضح في انتاجه الفني عن أطلال معبدي الأقصر ودندرة ، إضافة إلى تحسره على ضياع الانسان ، واندثار أعظم ماخلفته العبقرية

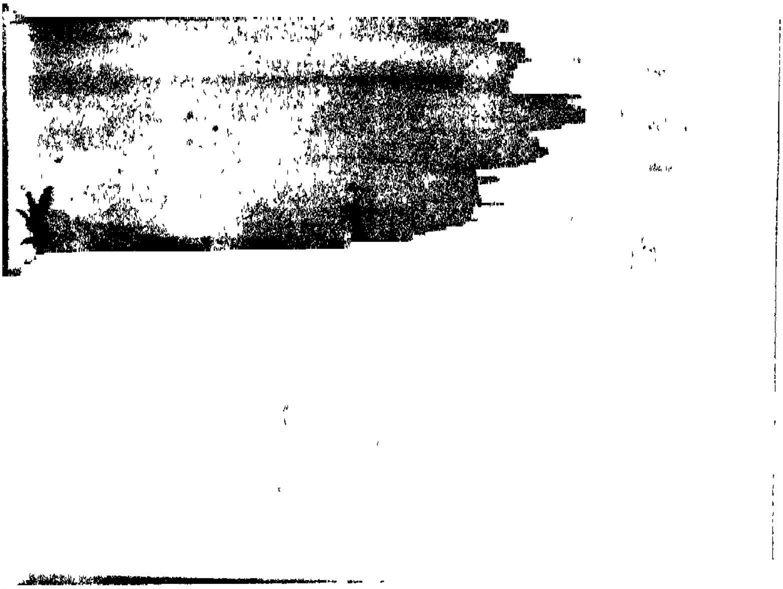

ذكرى اقتراب ريح السموم

البشرية من آثار على حد قول الدكتور ثروت عكاشة

ولقد أبدع في الوصف الطبوغرافي « الديوراما » بدأ حياته الفنية في تصوير المناظر المسرحية الا أنه في الشرق عشق رسم المساجد والبيوت والشوارع ، فصورها في بطء وتؤدة ، فجاءت دقيقة معبرة ، وبرز فيها فنه وموهبته ، وبخاصة في توزيع الكتل ، وباحساسه المرهف في توزيع النسب داخل الصورة ، وبراعته في إخضاع الجزء للكل ، فهو شديد الاهتمام بتكامل الوحدة المعمارية ولو استدعى ذلك التضحية بكل التفاصيل الشاعرية أو بعضها

وقد تميزت أعماله بتوزيع الضوء والظل بشكل درامي عند رسمه للعمائر المصرية ، ويتضح ذلك في لوحة البهو الخارجي لمعبد ادفو ، كما تتميز بدوام انطلاقه وراء أي تأثير درامي أو شاعري ، وأبرز الأمثلة على ذلك كان في لوحته المعروفة باسم « ذكرى الصحراء عند اقتراب ريح السموم » ، وهي اللوحة التي تصور « أبا الهول » والهرم عندما تعانقها الشمس ، وهي اللوحة التي انفعل معها الروائي الشهير شارلز ديكنز ، إلا أن الرسام وليم هولمان تدخل لدى ديكنز وقلل من شأن اللوحة على أساس ابتعاد روبرتس عن العقيدة المصرية القديمة بجعله أبا الهول في الاتجاه الخاطيء ، حيث ان « أبا الهول » قد بني أساسا ليواجه الشمس ، إلا أن ذلك لم يثن ديكنز عن الاستمرار في الانبهار باللوحة ، واصفا إياها بأنها ومضة شاعرية وقد أهداها له روبرتس

كان لروبرتس العديد من العجالات التي رسمها في سرعة ، لكنها كانت تكفي بتفاصيلها لابداع لوحته فيما بعد داخل مرسمه في بطء وتؤدة وإبداع □

« الكرنك » من الغرب

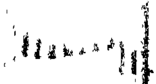

المساجد

صدر العدد الجديد
من مجلتك :
" اكتوبر ١٩٨٧ "

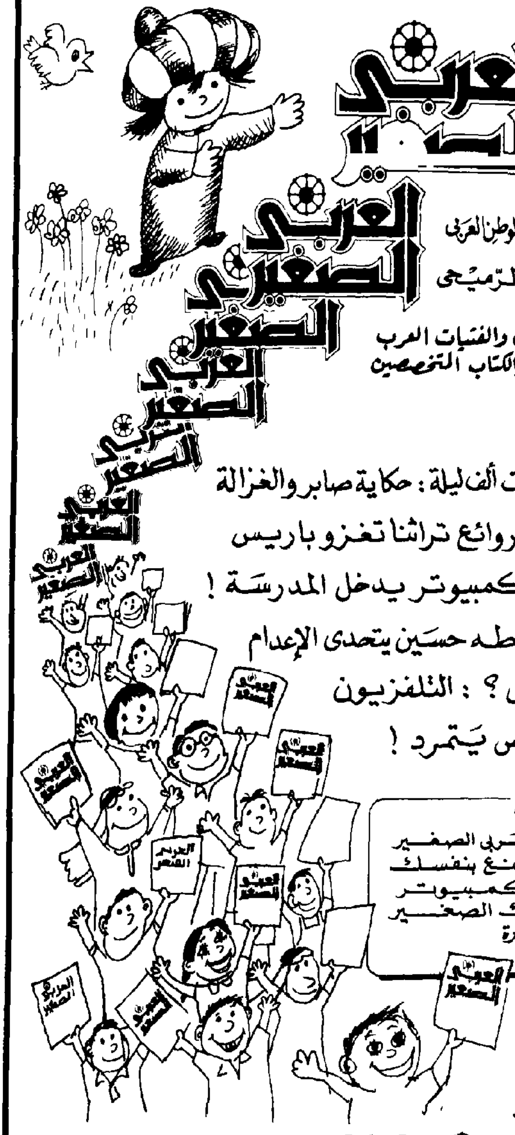
العربي الصغير
العربي الصغير
الصغير
العربي الصغير
العربي الصغير
العربي الصغير
العربي الصغير

مجلة الفتيان والفتيات في الوطن العربي

رئيس التحرير : د. محمد الرميحي

يشترك في تحريره مع الفتيان والفتيات العرب
نخبة من كبار الفنانين والكتاب المتخصصين

اقرأ في هذا العدد :

- ❁ من حكايات ألف ليلة : حكاية صابر والغزالة
- ❁ من التراث العربي : روائع تراثنا تغزو باريس
- ❁ استطلاع : الكمبيوتر يدخل المدرسة !
- ❁ المسلسل التاريخي : طه حسين يتحدى الإعدام
- ❁ كيف يعمل ؟ : التلفزيون
- ❁ قصة : الباص يتمرد !

[illegible]

- ▮ دائرة معارف العربي الصغير
- ▮ اسلاميات ▮ إصنع بنفسك
- ▮ صفحة الكمبيوتر
- ▮ صفحات لأخيك الصغير وأختك الصغيرة

٦٤ صفحة بالألوان

❁ نتيجة مسابقة العدد التاسع عشر
ومسابقة جديدة و ٥٠ جائزة

ا ييـت ر

العربى

مجلة الأسرة والمجتمع

■ الملبس العُمانى بين بيضة الحسد ونقوش الحناء

■ أسئلة الأطفال نافذة مغلقة أم مفتوحة على مستقبلهم؟

عادات وتقاليد عربية

العرُس العماني

بين بيضة الحسد ونقوش الحناء

استطلاع : ثريا البقصمي

« عندما تقرع الطبول وتدق الصنجات ، وترتفع الخناجر بالزغاريد والغناء يكون ذلك تعبيرا عن مظهر من مظاهر الفرح البشرى والعرس اعلان شرعي عن بداية علاقة انسانية جديدة ، الفرح فيها متجدد ، متنوع ، فيها استمرار حياة كل الشعوب . في عمان قضينا ليلة فرح ، روايتها متعة ، وتفاصيلها بهجة ، وما فيها من مظاهر العادات والتقاليد يدعونا أن نحكيها لكم »

عُمان بقعة رائعة في وطننا العربي ، تنضح بالسحر ، وتعيش جو الأسطورة ، فالألوان المبهجة ، والزخارف المطرزة ، وبريق الحلى الذهبية تتحد في تكوين لون مبهج ، يخطف الأبصار ، والعمانيون مولعون بزينة الملبس ، فكيف تكون الحال إذا كان في الأمر مناسبة سعيدة « كالعرس » ؟ عندئذ يتحول المكان الى « كرنفال » ، يتفنن المشاركون فيه بإظهار أساليب الزينة المحتلفة ، وككل الأعراس في منطقة الخليج العربي تقام حفلة الزفاف دون اختلاط بين الرجال والنساء ، فهناك حفلة للرجال ، وأحرى للنساء ، تقامان في نفس الوقت ، يتخللها الغناء والرقص على أنغام فرق (السوقطري) ، و (الشرح) ، و (الدان دان) ، و (الليوة)

فترة الخطوبة

في حفل العرس التقينا بمجموعة من السيدات العمانيات المسنات اللواتي وجدن متعة في سرد تفاصيل الخطوبة واحتفالاتها التي تسبق حفل الزفاف ، وتعتبر فترة الخطوبة في عمان ـ كما في كل

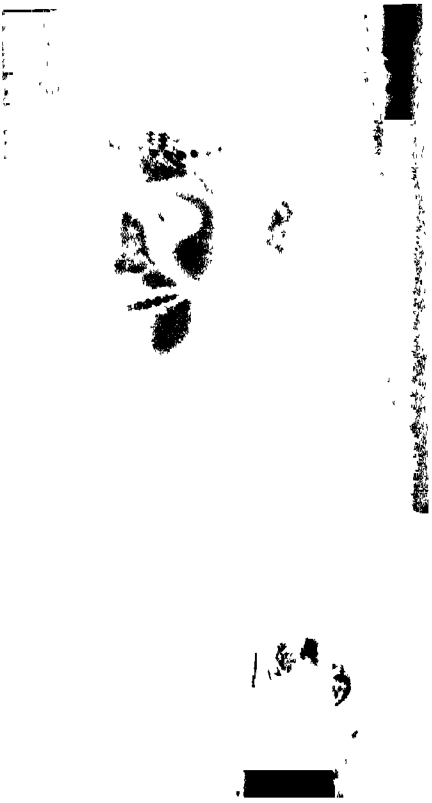

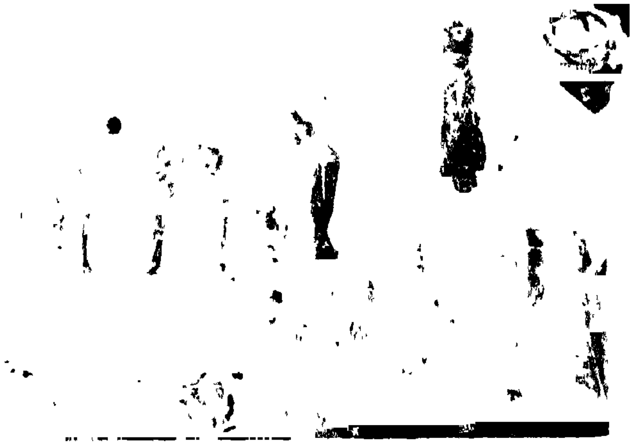

- عروس عمانية في أبهى زينتها ، وجمال عربي أصيل (الى اليمين أعلى)
- مراسيم ليلة الحنة ، وبهجة اللون والزخرف (الى أعلى)
- رقصة حملة الزفاف ، يشارك فيها الرجال والنساء ، ويرقصون على أنغام « الليوة » (الى اليمين)

بلاد العالم ـ هي الفترة الحاسمة في حياة أي فتاة كانت تخطب الفتاة في الماضي عندما تبلغ سن الثانية عشرة ، والزواج يتفق عليه بين الوالدين ، أما « العريس » فهو في الغالب من أبناء العمومة

ويزخر التراث العماني بالحث على زواج الأقارب وتفضيله ، كما هو الحال في الوطن العربي ، والمثل الشعبي في عمان يقول « إن من يتزوج من امرأة غريبة مثل من يشرب من ابريق لا يعرف ما فيه ، أما الذي يتزوج من ابنة عمه فهو كمن يشرب من ابريق يرى ما فيه ويعرفه » وقد يكون « العريس » محظوظا فيرى عروسه قبل الزفاف ، أو تكون فرصته الأولى للتعرف على زوجة المستقبل ورؤيتها بعد إتمام مراسيم حفل الزفاف

يعتبر دفع المهر من أهم مراحل الشروع في اتمام الزواج ، وفي الماضي كان أهل « العروس » يغالون في تحديد مقدار المهور ، لكن الحكومة حددت مبلغا رمزيا للمهر ، فجعلته لا يزيد على ثلاثمائة ريال عماني ، بينما كان في الماضي يصل الى ١٥٠٠ ريال ، وبجانب المهر تقدم الهدايا العينية للعروس ، مثل الأقمشة الفاخرة ، والمأكولات كأكياس الرز ، والتمور ، والسكر ، وحبوب القهوة ، وتعرض هذه الهدايا في غرفة الاستقبال ببيت العروس ، لكي يطلع عليها الضيوف ، ويقدم بعضهم جزءا من المهر على شكل حلي ذهبية ويقوم أهل العريس بنحر الذبائح في ليلة العرس ، وهذا أيضا يدخل ضمن الهدايا المقدمة للعروس ، لكن من أطرف هدايا العرس العماني « فراش العروسين » الذي يقوم بتقديمه خال « العروس » ، ويشترط فيه أن يكون من الديباج الفاخر المبطن بالحرير النفيس

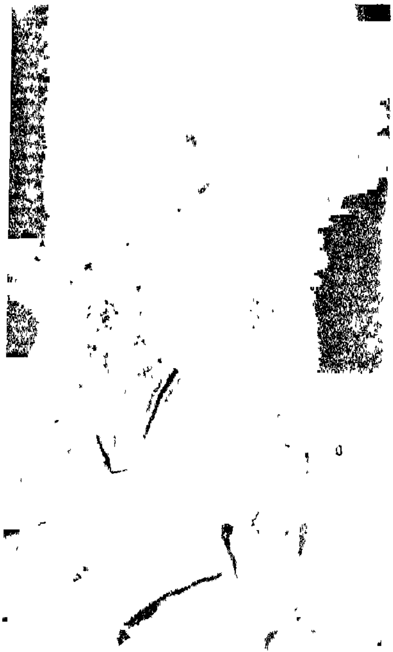

ـ ليلة الحناء من أجمل مراسيم العرس العماني ، يدهن جسد العروس بخليط مسحوق الكركم واللوز والرز

ليلة الحناء

تعتبر ليلة الحناء من أجمل مراسيم العرس العماني ، وتقام غالبا قبل حفل الزفاف بيومين أو ثلاثة ، ونبات « الحناء » الشهير باستعمالاته كصبغ لشعر الرأس ، ويستعمل في عمان كما في كثير من أقطار الوطن العربي لصبغ الجلد وهناك صبغة أخرى تصنع من شجر « الشوران » ، إذ تطحن

ـ « عريس » عماني يرتدي الملابس العمانية ، ويتقلد خنجرا رمزا للرجولة والشهامة

زهورها فتصنع منها عجينة ، ثم تنقش بها اليدين نقوشا على أشكال الزهور والنباتات المختلفة ، وتحمى العروس وهي متشحة بوشاح أخضر اللون ، وهي داخل « كوشة مغلقة » تسمى « الجملة » ومن داخل هذه « الكوشة » تخرج يديها وقدميها فقط لتقوم احدى النساء الخبيرات بعملية الخضاب والطريف أن مراسيم مشابهة تقام في نفس الليلة في بيت العريس ، حيث يتم خضاب العريس كنوع من الاعتقاد بأن الحناء تجلب الخير والسعادة ويسبق ليلة الحناء ليلة « الملكة » أي ليلة « عقد القران » ، وفيها يقوم العريس بمسح رأس العروس ثلاث مرات بظاهر يده ، وهو يقرأ بعض آيات القرآن الكريم ، ويفعل ذلك في حضور جمع من النساء وأهل العروس

تحجز العروس قبل حفل الزفاف بأسبوع ، ولا يراها فيها الناس ، للاعتقاد بأن رؤية الناس لها ستساهم في سرقة زينتها ويدهن جسد العروس بخليط ـ أعد منزليا ـ مكون من مسحوق الكركم واللوز والرز المطحون ، وبعض العائلات الميسورة تضيف إليه مسحوق الصندل ، وهذا المسحوق يساعد على نعومة البشرة ، وتسمى هذه العملية بعملية « الجلي »

زفة العروس

إن اللون الأخضر رمز للإخصاب وللخير ، ولهذا تلبس العروس العمانية ملابس خضراء اللون ، تشير فيها الى رغبتها لإنجاب العديد من الأطفال لإسعاد زوجها ، ويتكون زي العروس من « الدراعة » المطرزة « بالزري » أي بالخيوط الذهبية ، ويكون طول الثوب بمستوى الركبة ، ويحيط به إطار من الخيوط الذهبية « الزري » عريض ، وتحت الثوب تلبس سروالا ، ينتهي بحواش مطرزة ، وغالبا ما تقوم العروس بتطريز ثيابها ، وتعتبر مقدرة الفتاة على إجادة فن التطريز من أهم مواصفات زوجة المستقبل ، وترتدي العروس على رأسها وشاحا تتدلى من أطرافه النقود المعدنية ، أما الحلى الذهبية التى تغرم بها المرأة العمانية فهي تتدلى من عنقها وأذنيها وهناك حلقات ذهبية توضع في الأنف ، تتصل بسلسلة طويلة تشبك في شعر

الرأس وتسمى « بالعوص » ، وتحلى أصابع القدم بخواتم ذهبية مختلفة

بيضة الحسد

وتبلغ الاحتفالات ذروتها عندما يؤخذ العروسان الى بيت الزوجية ، وقبل الدخول الى حجرة الزوج تكسر بيضة على إبهام العروس والعريس ، ثم يغسل الابهامان بماء الورد ، وترش حوائط المنزل وزواياه بماء الورد أيضا ، وهذه مراسيم تجرى لمنع الحسد ، وطرد الأرواح الشريرة من البيت ويبدأ التقارب بين زوجي المستقبل عندما يقومان بالشرب من كوب حليب دافيء ، وهو رمز للخير المقتسم بينهما ، وفي بعض المناطق العمانية يقرأ الزوج الفاتحة ، ويصلي ركعتين شكرا لله ويكون العريس في أبهى زينته متقلدا سيفا يرمز للرجولة ، وخنجرا من الخناجر الشهيرة ، المطوق بشال من الصوف ، ويقوم أهل العريس بذبح الخرفان ، وتقديم الأضاحي فرحا بقدوم « الكنة » العزيزة ، ويتم كل ذلك مصحوبا بالرقص والغناء ، وحفلة العرس تمتد أفراحها ثلاثة أيام أخرى بعد يوم العرس ، حيث تقوم العروس برحلة « مكوكية » بين بيت أهلها وبيت الزوجية ، ففي صبيحة اليوم الثالث للزواج يأتي أهل العريس لأخذ العروس لزيارة منزلهم وللتعرف عليهم ، ثم ما أن ينتصف النهار حتى يشتاق أهل العروس لابنتهم ، فيقومون باصطحابها الى المنزل الذي ترعرعت فيه ، وعاشت فيه صباها وطفولتها ، وعند المساء يعود أهل العريس لأخذ عروسهم الغالية ، والمزامير والطبول الصنجات تشارك بأنغامها المتناسقة في عمليات الأخذ والرد بين البيتين ، وجمهرة غفيرة من الضيوف تشارك العروس في رحلتها « المكوكية »

وعند آخر محطة تشعل أعواد البخور ، وكما يقول المثل الشعبي « بعد العود ما فيه قعود » وإشعال أعواد البخور بمثابة اعلان عن انتهاء مراسيم احتفالات العرس العماني ، لتبدأ الحياة بكل وقائعها وأحلامها □

■ ليس في الدنيا فرح يعدل فرح الأم ، عندما يحالف ابنها التوفيق . (ريتشتند)

■ المرأة كالأقمشة ، لايحسن اختيارها إلا على ضوء الشموع (دوره)

■ إن ابني لايستطيع أن يحل محلي ، وأنا نفسي لا أستطيع أن استبدل مكاني ، إني مخلوق الظروف (نابليون)

■ من الرجال من يخلقون أذنابا ، ومن العبث أن تجعلهم رءوساً . (تيلر)

نابليون

أسئلة الأطفال

نافذة مغلقة أم مفتوحة على مستقبلهم ؟

بقلم : كمال زاخر لطيف*

أيهما يعبر أكثر عن درجة ذكاء الطفل ، ومدى نموه العقلي . هل هو مايرد به من إجابات صحيحة على أسئلة الكبار ؟ أم مايطرحه من أسئلة واستفسارات ، يطلب بها إجابات من الكبار ؟

اعتاد الكبار من آباء ومعلمين على أن يسعدوا بإجابات الأطفال التي تدل - من وجهة نظرهم - على أن أطفالهم قد كسبوا القدر اللازم من المعرفة بالحقائق والمعلومات ، ولكنهم تعودوا في نفس الوقت على عدم الاهتمام بأسئلتهم ، أو تحاورها ، أو على الأقل الإجابة عليها اجابات متسرعة غير متأنية ، دون التأمل فيها ، أو التعرف على عناصرها الفكرية وأصولها العقلية

وقد وضع أصحاب اختبارات الذكاء شروطا ومعايير ينبغي أن تتحرى في طلبها مثل هذه الاختبارات ، لكنهم جميعا أصروا على أن الوسيلة المثلى لتقدير مستوى الطفل العقلي هو قدرته على ايجاد اجابة نموذجية ، وأحيانا قدرته على التوصل الى الإجابة المطلوبة نفسها

لهذا السبب أهمل الكبار أسئلة الصغار.

ان اهمال أسئلة الصغار ، والتبرم منها أحيانا ليس

---

* موجه عام سابق للتربية وعلم النفس بمصر

بسبب عدم معرفة أهميتها وجهل دورها النفسي والتربوي فحسب ، لكنه يكون لأسباب أخرى ، لعل أهمها -

١ ـ شعور الكبير بغرابة سؤال الصغير ، أو تفاهته أو عدم جديته ، مما يجعله لايهتم به ، أو يعيره التفاتا

فيقع الكبار بذلك في مطب تجاوز حقوق الصغار في التفكير بطرائقهم الخاصة التي تتميز بالبساطة ، والوضوح ، والمنطق العقلي البحت أحيانا ، والمنطق الواقعي البحت أحيانا أخرى ، وهذا التجاوز يمثل شكلا من أشكال « الديكتاتورية » العقلية التي يتمسك بها الكبار ناسين أو متناسين أن الطفل يطلق سؤاله البسيط الساذج عن رغبة صادقة في المعرفة ، أو اكتشاف العالم الذي يحيط به بدافع من مثيرات خارجية في مواقف معينة ، فضلا عن الهدف النفسي العاجل لسؤاله ، وهو إعادة التوازن النفسي الذي يفقده في موقف ما

٢ ـ ادراك الكبار صعوبة السؤال الذي يطرحه الطفل حين يكون السؤال متصلا بجانب من جوانب المحرمات الاجتماعية أو الأخلاقية ضمن اطار ثقافي معين ، لايسمح بتناوله الا في سن معينة

وحيرة الكبار أو عجزهم ازاء مثل هذه الأسئلة التي يلقيها الصغار هما مشكلتا الكبار ، ومن هنا وجب على الكبار أن يعدوا أنفسهم الاعداد الجدي الذي يساهم في الاجابة السليمة عن مثل هذه الأسئلة ، حتى لايسقطوا في الامتحان ، ويظهروا بالمظهر الذي لايتوقعه منهم الصغار

٣ ـ أحيانا تشكل كثرة أسئلة الأطفال ، وتلاحقها ، أو عدم انتظار الاجابة عنها سببا آخر من أسباب الاهمال الذي يبدو من الكبار

ولو أدرك الكبار أهمية أسئلة الأطفال من الناحية النفسية لكان لهم موقف اخر ، وهو التشجيع حتى يستمر الأطفال في طرح أسئلتهم وكأنهم يفكرون بصوت مسموع

٤ ـ وكذلك فان من بين الأسباب التي تجعل الكبار لايعيرون أسئلة الأطفال القدر الواجب من الالتفات والاهتمام أن بعض هذه الأسئلة يأتي بصورة ضمنية ولايأتي بشكل مباشر

قيمة تربوية

الا أنه على الرغم مما تلقاه أسئلة الأطفال من اهمال في حياتهم اليومية فان الدراسات « الأكاديمية » بصفة عامة قد أولتها اهتماما كبيرا منذ فترة طويلة ، ويمكننا أن نجد بحوثا ودراسات تنشرها المجلات العلمية بين حين وآخر ، غير أن هذه الدراسات لم تجد طريقها الى التطبيق العلمي في حياة الأطفال ، سواء في البيت أو في المدرسة ، وبقيت هذه الأسئلة كقيمة تعليمية وتربوية مهدورة ، وليس أدل على ذلك من أن العاملين في الحقل التعليمي يلاحظون أن أسئلة الأطفال تتضاءل كما وكيفا كلما تقدموا في السن ، فاذا ما التحقوا بالمدرسة ألفيناهم يتسابقون الى الاجابة على أسئلة مدرسيهم التي لاتتوقف طيلة الدراسة ، ولايفكرون كثيرا في أن يسألوهم أسئلة قد تخطر ببالهم أو تعن لهم أثناء الشرح ، ولعلهم نسوا أو تناسوا أن حق الأطفال أن يفكروا بالطريقة التي تروق لهم ، لا بالطريقة التي تروق للكبار

أسئلة الأطفال صيغها ووظائفها

نستطيع أن نميز بين نوعين من الأسئلة النوع الأول عقلي (لغوي) ، والنوع الثاني نفسي

وفي النوع الأول (العقلي) يحاول الطفل أن يستخبر عن شيء ، أو أن يخبر عنه ، وهي تبدأ عادة بلماذا ، أو كيف ، أو ما ، أو الهمزة ، الخ

أما النوع النفسي فعبر عنه الطفل بسؤال يأتي في شكل خبر يلقيه الى السامع ، لكنه في حقيقته سؤال يريد أن يتعرف على اجابته ، كأن يقول طفل « بابا سيحضر لي لعبة » ، وهو يقصد « هل سيحضر لي بابا معه لعبة ؟ » ومن الضروري أن نؤكد حقيقة أساسية ونحن بصدد تحليل أسئلة الأطفال بقصد تفهم دورها في تنمية ذكائهم وقدراتهم العقلية ، وهي أن للاسئلة دلالة موقفية قاطعة ، فنحن لانستطيع أن نقدر قيمة السؤال أو أن نفهمه ونحدد معناه الا من خلال الموقف المعين الذي دفع الطفل الى السؤال ، فليس للسؤال قيمة في ذاته ، لكنه يستمد قيمته ودلالته وأهميته من طبيعة الموقف الذي يحيط به وظروفه

ولأسئلة الأطفال ثلاث وظائف تكوينية هامة هي

١ ـ تحقيق التوازن النفسي لدى الطفل
٢ ـ التفكير الاستنباطي ، للتعرف على البيئة المحيطة به
٣ ـ التعرف على القيم الخلقية والسلوكية التي تقع داخل الإطار الثقافي والاجتماعي الذي يعيش فيه الطفل

موقف الوالدين من أسئلة الأطفال

يعتمد الأطفال في مرحلة ماقبل المدرسة الابتدائية اعتمادا على الوالدين ، وعلى الأم بوجه خاص ، فعن طريقهما يتعرفون على كثير من الحقائق والمعارف والمعلومات ، وهم بهذا يحملونهما مسئولية أساسية نحو نموهم العقلي ونموهم الاجتماعي ، ، كما يحملونهما المسئولية نحو نموهم الجسمي والصحي

ونود أن نخلص من عرضنا هذا الى بعض المبادىء الاساسية التي ينبغي على الآباء والأمهات مراعاتها

ولنبدأ بأهم هذه المبادىء ، وهو مبدأ عدم الاهتمام بأسئلة الأطفال

فالوالدان اللذان يصغيان لأسئلة أحد أطفالهما يشعرانه بمشاركته همومه ، وباحترامها وتقديرها ، وهذه المشاركة تعيد الى الطفل ـ في موقف التساؤل نفسه ـ توازنه النفسي ، واطمئنانه ، وسرعان مانلمس نبرة الثقة بالنفس ، والدقة في طرح السؤال ، والتتابع المنطقي في مسار الحوار ، والتوقف عنه في الوقت المناسب له ، والاكتفاء بالقدر اللازم منه

أما ثاني هذه المبادىء فيتمثل في مبدأ الصدق في الاجابة ، ونعني بالصدق في الاجابة أن يتحرى الآباء والأمهات الدقة في الحقائق العلمية التي يقدمونها لأطفالهم من خلال مفردات لغوية معروفة ومألوفة لهم ، وتبسيط هذه المعلومات في إطارها العلمي الصحيح ، والمحافظة على إطار المفردات التي تعود عليها الأطفال ولا بأس من اضافة المفردات الجديدة ، لكن بحساب

من المألوف عادة ـ أن يسأل الأطفال أسئلة تدور حول مسائل جنسية فليس من الغريب أو الشاذ أن يبحث الكائن الحي العاقل عن أسباب حياته ،

ومقوماتها ، بل العكس هو الغريب والشاذ ، وقد أصبحت الآن هذه الأسئلة شائعة ، ومألوفة ، وبسبب ماتردده أجهزة الاعلام كالتلفاز والأذاعة وغيرهما وصدق الاجابة على هذه الأسئلة في اطار المفردات اللغوية المقبولة المألوفة لدى الأطفال ـ كما سبق أن ذكرنا ـ يعني في نهاية الأمر تحقق حالة الاستقرار والتوازن النفسي والأمن

ويأتي بعد ذلك ثالث المبادىء اللازمة ، وهو مبدأ معالجة الدوافع الخاصة للأطفال ، أي تلك الدوافع الناشئة من سياق الموقف الذي يعيشون فيه ، فالطفل الذي يشعر بالقلق والانزعاج من جراء مولد طفل جديد في الأسرة فيسأل من أين يأتي الأطفال ؟ لايمكن أن تحل مشكلته بمجرد الاجابة العلمية ، لكنه في حاجة الى معالجة الدافع الحقيقي الذي دفعه الى طرح هذا السؤال ، والاهتمام به اهتماما خاصا

موقف المدرسين والمدرسات في المدرسة

من الملاحظ بصفة عامة أن الأطفال يفقدون اهتمامهم بالأسئلة التي يطرحونها على مدرسيهم ومدرساتهم بمرور سنوات الدراسة ، ويركزون اهتماماتهم حول الاجابات التي يتدربون عليها ، استجلابا لرضا مدرسيهم ، فالحياة المدرسية الآن بصفة عامة تعتمد على مسلمة غريبة ، هي أن السؤال حق موقوف على المدرس أو المدرسة ، وأن الاجابة واجب مقصور على التلميذ ، سواء كان صغيرا أو كبيرا ولايمكن أن يكون الأمر على عكس ذلك !

وحين يطرح هذا الموضوع على بساط البحث والمناقشة في اجتماعات المعلمين ولقاءاتهم في برامج التدريب سرعان مايتصايحون متعللين بالمناهج المقررة التي لاتسمح بالأسئلة الخارجة عنها ، وبأن الوقت والحصص المحددة لاتفسح المجال لمثل هذه الأسئلة

ان الأمر هنا يصبح أسلوبا مباشرا لتدمير عقل الطفل ، والوقوف في طريق نموه كإنسان يتعايش مع مكونات مجتمع معين كيف يمكن لنا أن نتوقع اكتشاف الطفل لذاته ، وفهمه لمجتمعه ، والشعور بالانتماء اليه دون أن نفتح له القلب والعقل بالأجابة على كل مايدور في خلده من تساؤلات ؟

ان التقليل من مبدأ حق الطفل في أن يسأل عن كل مايعن له اثناء الدرس يعني في نهاية الأمر إلغاء حق الطفل في النمو ، ووضعه تحت تأثير أسلوب غير « ديموقراطي » في التعليم

نود أن نوجز أخيرا بعض السمات الأساسية لهذا التغيير اللازم فيما يلي

١ ـ ضرورة أن يكون للمناهج بصفة عامة طابعها المحلي ، بالاضافة الى أهدافها العامة الشاملة
٢ ـ حق التلاميذ في اختيار مواد معينة من ضمن مجموعات نوعية من المواد الدراسية
٣ ـ تعديل النظم الادارية التقليدية الموجودة حاليا في شكل حصص وجداول دراسية صارمة المواعيد

٤ ـ تدريب المدرسين والمدرسات في مراحل التعليم المبكرة على الاهتمام بأسئلة الأطفال ، وطرق الاجابة عليها ، وتشجيع الأطفال على طرحها دون خوف ، أو تحسب شديد
٥ ـ الاقلاع عن طرق الامتحانات والاختبارات السائدة الآن ، لاسيما في سنوات الطفولة المدرسية المبكرة ، واستبدالها بأساليب حديثة ، تقوم على احترام حركة النمو ، كنشاط طبيعي نلمسه حين يلعب الأطفال منفردين أو غيرهم ، وحين يرسمون بالقلم أو الفرشاة مع غيرهم ، وحين يعلقون على أحداث أو وقائع معينة □

دفاع عن الإنسان

أعارني صديق شريط « فيديو » مسجلا عن التلفاز البريطاني ، مادته تعرض لقوافل الخدمة التطوعية التي بدأت تنتشر في أوروبا الآن وعلى مدى ساعة ونصف ـ مدة الشريط ـ استمتعت ودهشت من هذا العمل الانساني الرائع ، وبداية قبل أن أشاهد البرنامج تناقشت مع صديقي الذي يعمل في مجال الاعلام أيضا ، وقلت له انني لست في حالة انبهار دائمة بكل ما يأتي من الغرب ، وأنني أفهم ، وأعرف كيف تعد كثير من المواد الاعلامية ، لكي تخدم أهدافا سياسية ، وأن الاعلام في الغرب لاينفصل عن « ماكينته » السياسية مهما ظهر لنا بأن هذا الاعلام حرا ومحايدا وموضوعيا ، فهو في حقيقته ليس حرا ، إذ أنه يخضع لسيطرة الاعلان والتمويل والقوى الاجتماعية الأكثر تأثيرا ، وليس محايدا عندما يتعلق الأمر بمصالح الغرب

وكانت مادة الشريط مفاجأة ، فالمتطوعون طلاب وموظفون وشباب وكبار سن ، نساء ورجال ، يذهبون الى أماكن أكثر فقرا ، وأشد تخلفا ، في افريقيا ، ومدة التطوع عامان كاملان ، وفي ظروف معيشية مختلفة تماما عن المجتمع الاوروبي.يعيش هذا الفريق ، ويعمل في كل المجالات بيديه ، في حفر الآبار ، وشق الترع ، وتربية الحيوان ، وتعليم الأطفال ، والتمريض وشهادات الفريق في بداية الرحلة تمتلئ باحساسهم تجاه خدمة مجتمع انساني متخلف ، وعند نهاية الرحلة يتحدثون جميعا عن احساسهم بالعار والخجل ، لأن أوروبا هي التي نهبت هذه البلدان ، وتركتها تعيش وراء التاريخ ورغم أن كل دوافع الفريق في البداية ليست واحدة،وبعضهم كان شديد الصدق عندما تحدث ، وان همومه الذاتية كانت هي الدافع الى التطوع ، الا أن النجاح الحقيقي كان لهذه المؤسسة التي تعاملت وتفاعلت بوعي مع الظروف الذاتية المختلفة لكل فرد ، وحولتها الى طاقة توجه لخدمة إنسانية عامة

وعلى مدى الشريط تنتقل آلة التصوير (الكاميرا) مع الأفراد في الأكواخ الافريقية ، وفي الغابات والمستنقعات ، لتنقل صوراً حية لعمل هؤلاء المتطوعين.وتذكرت تيارات مماثلة ومؤسسات مشابهة لهذه المؤسسات التطوعية التي تعمل في أوروبا بوعي صادق ، واحساس انساني عارم بكل مشكلات المجتمع الانساني والأخطار التي تهدده ومقابل ذلك تذكرت حملات الشاي والندوات التي تقيمها المؤسسات المشابهة في وطننا العربي ، والتي يكثر فيها الكلام ويقل الفعل ، ألم يحن الوقت لكي تظهر في مجتمعنا العربي مؤسسات مدنية تدافع عن الانسان ، وتساعده على الحياة ، وتتسع رؤيتها لكل البشر دون أن تغرق نفسها في شهوات السياسة ، وصراعات المناصب الفخرية ؟! □

محمود عبد الوهاب

هو..

● أسلمت أمري لله بعد عشر سوات حاولت فيها أن أغير منه ، وأعدل من طريقته ، لقد اتبعت كل الطرق الممكنة ، كالنقاش ، والمشاحرة ، والاقناع ، والصراح ، حتى لجأت الى الاستعطاف كحل أحير ، لكن كل هدا لم يثمر ، بل راحت كل محاولاتي أدراج الرياح

في سوات حطبتنا التي لم تطل كت أزهو به على أزواج شقيقاتي وأقاربي - كانت رياراته لنا تحمل في ثناياها دوما فرحاً ما ، كان يدحل البيت محملا بالهدايا لكل فرد في العائلة ، أو للبيت كله ، أو لي ، وعندما يوافق والدي - رحمه الله - على أن نحرح معا يصر على أن يدعو معنا كل من تسمح له طروفه من أشقائي وشقيقاتي ، وندهب الى مسرح أو سينما أو مطعم كانت المناسبات مواسم إظهار لكرمه ، كان يقدم الهدايا في أعياد الميلاد ، ودكرى الرواح سحاء حقيقي وبعد زواحنا بعام أو أقل تغير السلوك تماما ، وصار يقول

لماذا هدا وليس داك الأرحص والأقل ثمنا ؟! حتى استحدامنا للثياب كان شديد التدقيق فيها لمادا ارتدي هدا الفستان وثمنه مرتفع في عير مناسبة تستحق ؟ وظست أنه يمر بضائقة مالية ، ويريد أن يضغط الانفاق ، وأنه يخطط لشيء ، ويريد أن يدخر له مالا ، لكن مرور الشهور التي تراكمت لتصبح أعواماً أكد لي أنه عاشق للمال ، شديد البحل ، لاينفق المال لغير ضرورة بعد أن أنجبنا أولادنا الثلاثة صار تقتيره أشد ، فالملابس يتم تداولها بين الاطفال ، فالأصغر يرتدي ثياب الأكبر بعد تعديلها ، بل لقد اشترى الأكواب والأطباق المصنوعة من البلاستيك ، حشية أن يكسر الأطقم الصينية ، والملابس لاتستحدم الا في المناسبات

لديه بدلتان ولدي أربع فساتين ، وللحقيقة فان أثمانها غالية لكنني لا أرتديها الا في مناسبة ريارة ، أو لاستقبال ضيوف ، أما ماعدا دلك فله ثياب رحيصة ، « لروم الاستحدام اليومي » كما يسميها ودحلت في محاورات معه ، ونقاشات وحناقات ، ولعنت المال ، وقلت له

اني لا اعرف للمال الا وظيفة واحدة ، وهي أنه يسعدنا ، وييسر علينا الحياة ، وأنه حرام أن نملك مالا ولانستمتع به ، وكل مايجهد نفسه من أجله ويضيق علينا في سبيله يتحول الى تراكم في رصيده في البنك ، لايسمن ولايغني من جوع واحتياج واتهمني بالمظهرية والرغبة في الاستعراض والتبذير والسفه فقلت ألا يهمه أن يرانا الناس والأهل والأصدقاء ونحن نعيش في بحبوحة ؟! فرد صارخا سيضحكون لك ، لكن لو حدث في مستقبل الايام واحتجت لهم سيضحكون عليك

هي

هي..

خوف الزمن

● عجيب أمر هؤلاء السـاء ، لايملكن أي قدرة للنطر الى الأمـام ، ولا يبصرن الا تحت أقـدامهن ، وعـلى الـرعم مـن أن الله قـد منحهن قدرا هائلا من الاستعداد للتضحية الا أنهن لايمارسن هدا الاستعداد ، الا حـلال عـلاقـات الأمومة ، أما في ما عدا دلك فتتملكهن الأثرة والمتع الوقتية

بينا حلاف لايمكن أن ينتهي الا ادا اقتنع طرف بصدق صحة سلوك الطرف الآحر أحاول حاهدا أن أشرح لها تصـرفاتي وأسـرها ، لكنهـا لاتسمع ولاتصدق ولاتعير أفكاري اهتماما

أقـول لها كنت تقبلين بـاسرافي عنـدمـا كنت حطيبك ، وهو اسراف بلا تبعات ، فأنا وحيـد في هـده الـدنيـا ، وعـير مسئـول عن أحـد ، وأهـلي لاينتطرون مني مساعدة ما ، والحمد لله ، وفي هده الحالة إن أنفقت مدحراتي كلها أو لم أنفقها ، فـلا حوف ولامسئولية ، فما الصرر ادن من أن نستمتع - أنا وهي ، ومن نحب - بالمال وما يحققه من رعد ورفاهية ؟ لكن الأمـر أصبح مختلفـا عندمـا صرت مسئـولا عنها ، وعن أسـرة وبيت وأطفـال ، فهي لاتعمـل ، وحتى لو كـانت تعمل فنحن لانملك الا عائد عملنـا ، وأمامنـا مستقبل لا أحـد يأمن لـه ، فأمامنا أطفال يحتاحون الى تعليم وتأمين مستقبل ، وأمامنا سن قـادم ، تضعف فيه صحتنـا ونمرض ، ويومئذ سنحتاج الى تكاليف علاج ، وأمامنا مرحلة شيحوحة قد لايفي معاشنا فيها بحاجتنا ، والعاقل من ادحر من يسره لعسره

لكنها لاترى في طريقتي هده الا وصمة البحل ، وسبة التقتير أقول لها لوكنت بحيلا لحرمت أسرتي بعض الاصناف من الطعام ، لكي أطعمهم أشهى مايحبون ، بيد أني لا أقبل أن تلقي باقي الطعام لمجرد أنه ظل في البيت يومين وأكسوهم العالي والنفيس الا أن حسن الاستحـدام أمر صـروري ، فليس منطقيا أن أطـل مرتـديا ثيـابي الغاليـة فقط صباحـا ومساء ، سواء كنت داهبا للعمل أو للسوق أو حتى للبقال

ولو كنت بحيلا لحـرمت نفسي من التدحين ، وحـرمتهـا هي وأولادهـا من الاشتـراك في النـادي الخاص بالموطفين أمثالي ، ومن استقبال الضيوف ، لكنني أقول ان كل شيء بقدر - هناك أمور لاحرص فيها ، مثل الطعام أو العلاج ، لكن المطلوب فيها هو قدر من التوطيف الأمثل

تقول ان المال قد وجد لاسعادنا ، وأنه يجب أن ننفق عن سعـة ، لكي يفـرح لنـا النـاس والأهـل والأصدقاء ، وأشرح لها قائلا ان المبـاهاة هـذه لن تسعد أحدا ، وأنهم سيضحكون اليوم من سفهنا ، وغدا سيضحكون من حاجتنا

هـو

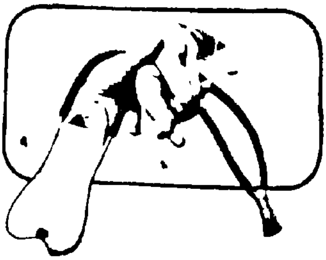

الأسرة

بابا

الدكتور حسن فريد أبو غزالة

قضايا منزلية

بعد الأربعين

عندما شبهوا العمر بالقطار لم يفتهم أن للعمر محطات ، شأنه شأن القطار ، ولا بد له من التوقف عندها

ربما اختلفوا على بعض هذه المحطات ، واتفقوا على بعضها الآخر

فمحطة المراهقة على سبيل المثال حيث يهبط الانسان من عربة الطفولة والجهالة واللامسؤولية ليقعد في عربة الرجولة والادراك والمسؤولية تلقى إجماعا واتفاقا لا خلاف عليه

غير أن محطة من المحطات قد تفوت أحدنا دون إدراك أو وعي لمدى أهميتها أو خطورتها ، ودون أن ندرك أنه كان الأجدر بنا أن نتوقف لنلقى أنفسنا ، ونلقي نظرة إلى الوراء على سنوات الصبا والشباب ، ونظرة أخرى إلى الأمام على سنوات الرجوله والرشاد والنضوج ، إنها محطة سن الأربعين

ليس هناك حد فاصل ظاهر للانسان بين عهد وعهد ، أو بين حال وحال ، لكنهم اتفقوا أن عمر الأربعين هو الحد الفاصل بين عهد الشباب بكل مميزاته الجسدية ، من انطلاق وحيويه وطاقة ، وعهد الرجوله المتميز بالحكمة والاتزان الفكري وبدايا التخلخل الجسدي

إن الذين يتمسكون بعد الأربعين في نمط حياتهم بمقاييس ما قبل الأربعين يجنحون إلى الخطأ ويعايشون وهما كبيرا

فما بعد الأربعين له مطالب وعليه التزامات ، لا بد أن نراعيها ، حتى تستقيم الحياة ، فإذا لم نفهم منطق الحياة فإننا سندفع ثمنا باهظا من المعاناة ، قد لا نقوى عليه

قبل الأربعين يحمل الانسان صورة اللاوعي بالمسئولية ، وصورة اللاإدارك بالواجبات ، ثم يكتشف نفسه بعد الأربعين مكبلا بالمسئوليات والمطالب ، بينما تتلاحق سنوات العمر ومن ه تبدأ رحلة المعاناة مع القلق ، وهو مرض هذا العص الذي تتمثل فيه أمراض القلب وارتفاع ضغط الد

والقرحة المضمية ومرض البول السكري

ومن هنا لا بد من تقييم جسدي شامل ، فالغافل عن ضغط دمه لا ينتظر من ارتفاع ضغط الدم أن يوقظه من سباته ، لأن ارتفاع ضغط الدم مرض أخرس صامت ، لا يكشف عن وجهه ، وإنما تكشفه الصدفة فقط

لقد اعتبروا سن الأربعين حدا فاصلا بين نوعين من أنواع مرض السكر ، والنوع الحميد منهما والأخف وطأة هو الذي يكشف القناع عن وجهه بعد سن الأربعين ولا ننتظر من مرض السكر أن يكشف القناع عن نفسه بنفسه ، لأنه في بداية أمره مرض بلا ملامح واضحة ، ولا سبيل لكشف ستره إلا بالتحليل المخبري للدم والبول ، ومن هنا كان لزاما إجراء تحليل شامل لمثل هذه الأمراض الصامتة في مطلع رحلة الأربعين وما يليها

والسنوات التالية للأربعين من العمر تحمل لنا مخاطر الاصابة بأمراض القلب وهذا هو ما تؤكده الاحصائيات الطبية ، من كان يريد النجاة بنفسه من هذا المصير كان أولى به أن يهرب مبكرا ، منذ أيام الصبا ، حيث تبدأ تراكمات العوامل التي تتصيد القلب والأوعية الدموية ، وهي تراكمات الشحوم والكلوليسترول والتدخين غير أن الفرصة ما تزال مواتية لايقاف هذه العوامل عن تدمير الجسم قبل فوات الأوان عند محطة الأربعين

فالكلوليسترول تحمله لنا الدهنيات الحيوانية ، كما تحمله لنا لحوم الأعضاء ، وكما يحمله البيض ومن هنا وجب أن يتوقف كل من هم في بداية رحلة ما بعد الأربعين عن التهام البيض في وجباتهم اليومية ، ويكتفون ببيضة أو بيضتين على الأكثر كل أسبوع

والتدخين الذي بدأ مع سنوات الطيش مغلفا بأوهام الرجولة والمتعة ما زالت الفرصة سانحة للأقلاع عنه مع سنوات الحكمة والتعقل ، بعد نزع الغلاف الوهمي الذي يحمل لنا في طياته أمراض السرطان ونوبات القلب

إن منطق النمو يؤكد أن الانسان يشيخ يوما بعد يوم منذ لحظة ولادته ، وبهذا فإن الجسم عند سن الأربعين قد شاخ كثيرا

وأطباء العيون يتحدثون عن شيخوخة العين ، ويقصدون بها ضعفا يصيب عدسة العين ، ويعجزها عن التأقلم مع بعد المنظور أو قربه من الناظر ، فالعدسة غالباً ما تتحدب عند النظر إلى القريب ، ثم ترتخي عند النظر إلى البعيد وفي الأربعين وما بعدها تبدأ معالم هذه الشيخوخة تتضح ، حتى أن أغلب من تجاوزوا سن الأربعين يشكون من (زغللة) عند القراءة ، وعدم وضوح الرؤية لما هو قريب ، مما يتطلب نظارة طبية ، تعين على القراءة ، وعلى النظر لكل ما هو قريب

وإذا ما تقدم العمر قليلا تبدأ حلقة بيضاء في الظهور ، تسمى حلقة الشيخوخة ، تحيط بالجزء الملون من مقلة العين ، إلى ما يعرف باسم القرحية ، وتكون واضحة في سن الخمسين وما بعدها

هذه بعض ملامح شيخوخة العين ، أما شيخوخة الشعر التي تتضح معالمها جيدا عند سن الأربعين وما بعدها فتتمثل في إحدى صورتين ، هما الشيب أو الصلع ، والوراثة تلعب دورا فيهما ، ولا حيلة في دفعهما ، لهذا فلا منحد لانسان تجاوز الأربعين عندما يشكو من بياض شعره أو من سقوطه ، فهذا الأمران طبيعيان في نظر الطب

هناك أمران مهمان في حياة الانسان بعد الأربعين ، هما الطعام والحركة ، لأنه لا بد أن يتناسبا مع قدرات الجسم ، وحاجاته ، والذين يتوهمون أن مفهوم الرجولة هي عضلات مفتولة وقوة سوف

يفقدون ذلك بعد سن الأربعين

وهنا يبدءون في البحث عن تعويض ما ضاع بمزيد من الطعام، أو بأنواع معينة منه، كما يبحثون عن التعويض بالرياضة العنيفة، وهذان دربان يقودان إلى المعاناة والضرر والأذى للجسم

لأن عضلات جسم الانسان بعد الأربعين لا تستقيم بالرياضة العنيفة التي اعتادها أيام الشباب ولا تصلح بها، بل هو في حاجة إلى رياضة خفيفة، تنشط الدورة الدموية، وتساعد على ليونة الجسم، ولعل أفضلها هو المشي، ولهذا كان اعتزال الرياضيين قبيل سن الأربعين منطقيا، أما الطعام فلا بد فيه من مراعاة أمور محددة في عرف الطب، وهي

أولا الاقلال ما أمكن من ملح الطعام

ثانيا البعد عن الدهون الحيوانية

ثالثا الاقلال من البيض ولحوم الأعضاء (كالقلب والكبد والمخ) واللحوم الدهنية

رابعا · الاكثار من الفواكه والخضروات الطازجة

خامسا تحاشي الأطعمة المعلبة لما فيها من تركيز عال جدا للأملاح أو السكريات ومن الطبيعي أن ترتبط بقضية الطعام قضية زيادة الوزن عن الحد، غير أن هذا لا يجب أن يدعو إلى القلق كثيرا لمن بلغوا الأربعين، فقد ثبت أن كبار السن يميلون إلى السمنة، ومن الظلم محاسبتهم محاسبة الصغار، غير أن هذا ليس مبررا للبدانة المفرطة، فهي أمر قاتل في هذه المرحلة الحرجة من العمر

إن تنظيم أوقات العمل والراحة والنوم أمر ضروري لمن بلغوا الأربعين، فقد ولت سنوات الطيش والفوضى واللامبالاة التي قد تحتملها أجسام الشباب

إن الذين لا يحسنون معايشة العمر سوف يتركهم العمر على أحد أرصفة محطاته فحذار □

بريد طبيب الأسرة

ردود سريعة :

● السيد / ع م م - عمان - الأردن

- من الأفضل استشارة اختصاصي في الدم، لتشخيص حالتك بدقة، ووصف العلاج اللازم، فرسالتك خالية من أي تفصيل، يعين على التشخيص الدقيق

● الأخ / ع ح . م - الظهران ·

- من الطبيعي أن تزداد ضربات القلب عند بدء ممارسة الرياضة، وأن يشعر الانسان بالتعب، وربما الألم أيضا، لكن هذا سيزول مع المران، وطول الممارسة، ننصحك بعدم الاجهاد، والتوقف عند بدء الشعور بأي ألم أو اضطراب، كما يجب ممارسة الرياضة بالتدريج، وعدم التمادي في ممارستها الى حد الأرهاق

● السيد ادوار السبع - حمص

- السمنة هي نتيجة قلة الحركة، مع افراط في الطعام، لهذا ننصح بالحركة والنشاط، والاقلال ما أمكن من السكريات والنشويات

أما الوراثة فان النظريات الحديثة تنفي دورها، وانما هي عادة الافراط في الطعام التي تورث في الأسرة، لهذا ننصح بالابتعاد عن المرطبات والفواكه السكرية والحلويات والأرز والبطاطس والمعكرونة والخبز وما اليه

آخر لفافة

قصة قصيرة بقلم : سعيد سالم

على الرغم من نفوري الشديد من الخزعبلات ، وتفسير الأمور في غيبة حقائق العلم ، فقد تعجبت حينما طلت صورة « حسن عينو » تطاردني في تعاقب مستمر ، وبكثافة تكرار غريبة ، فجأة ودون سابق طبيعي يدعو إلى ذلك فقد مضت أعوام خمسة على رحيله النهائي ، والحق أني كنت قد نسيته بنفس الطريقة التي أعتقد أنه كان سينساني بها لو سبقته إلى الرحيل

ولأني رجل دنيوي ذو مزاج روحاني خاص ، فما من فعل أو موقف أو حدث يمر بي دون أن أنسبه إلى إرادة الخالق ، حتى الحسابات الهندسية المعقدة التي أرتزق من التعامل معها أرى الله فيها ، وفي عقلي القادر على التصدي لها وحين يعتريني هاجس - مهما بلغ عمق وقعه - فإنني أشعر أن هناك قوة خفية تستوعبني ، تحيط بي من خلف وأمام ويمين ويسار أرهبها وأحبها ، لكني أظل أقاومها حتى أجاوز أزمتي ، فأحمد الله ، وأعود إلى احترامي للعقل ويقيني بسيادته

بهذا المنطق حاولت أن أتعامل مع ظاهرة حسن عينو المماحكة ، لكني فشلت مثلما فشل منطقي ، وتبين لي أن من آيات الجنون أن ينتابني طموح في استكناه سر من أسرار الروح الأبدية

عامل رقيق الحال يبدو في السبعين ، وإن لم يتجاوز الخمسين ، حاضر البديهة ، واسع الثقافة ، يجيد التحدث بالانجليزية كنت رئيسه الأعلى في العمل ، وكان يرقب صراعاتي الوحشية مع كبار لصوص المؤسسة التي نعمل بها ، دون أن أدري به

عقب انتصار كاسح غير منتظر حققته يوماً على خصومي فوجئت به يزورني بمنزلي وبيده لفافة كبيرة من الحلوى ، لم أسأله كيف اهتدى إلى عنواني ، ولماذا قرر زيارتي دون استئذان ، بل إنني أشفقت على حاله بشدة ، فالجنيهات التي أنفقها لشراء هذه الحلوى كان أبناؤه أولى بها مني ، فضلاً عن أني لم أعوّد أحداً من عمالي على التردد على منزلي ، لا من باب الكبر والتعالي ، وإنما لاجتناب سوء المظنة .

وأنا أرقب معالم وجهه الباسم الحزين كنت أستعيد مواقفه المتميزة في محيط عمله مع الزملاء والرؤساء والمرءوسين ، وشدة ثقته بنفسه ، واعتزازه باتقان حرفته كان يسمي الأشياء بمسمياتها ولا يخجل من ذلك كثيرون كانوا يتربصون به ، رغبة في إيذائه وبتر خطورته،وعلى الرغم من هذا فقد ظل حسن عينو شخصية غامضة ، تتباين من حولها الآراء ، من نقيض إلى نقيض فمن قائل أنه معتوه لا قيمة له ، إلى قائل أنه خبيث يستند إلى قوة خفية

تدعمه ، إلى قائل أنه رجل طيب من أولياء الله الذين لا يعرفون كيف يتعاملون مع هذا العصر

وتساءلت كيف لم أفكر من قبل في الاقتراب من هذا الرجل ؟

ويبدو أنه أدرك بذكائه الفطري ما أعانيه من حيرة في أمر زيارته المفاجئة ، فأراد أن يحسم المسألة ، فقال بصوته الأجش الخافت

ـ جئت أهنئك بصلابتك أمام الجبابرة

تأملت في سر اهتمامه الفائق بقضية قد تتضاءل أهميتها تماماً بالقياس إلى همومه الحياتية الملحة كرجل لا يكاد يجد أكثر من قوت يومه

ـ من هم هؤلاء الجبابرة يا عم حسن ؟

تجاهل محاولتي المكشوفة للتعالي عليه ، متأبيا أن يستنكر استحقاقي بذكائه

ـ إنها المرة الأولى في تاريخ المؤسسة ، وإنها لبشرى بخير قادم

استبعدت فكرة المداهنة ، فالرجل لم يسألني طلبا واحداً من قبل ، كما أن تلك الصفات ليست من شيمته ، إذن فهو إعجاب حقيقي شخصي ، وإكبار لقدرتي على تحدي عتاة اللصوص من ذوي الخبرات الأصيلة في عالم الانحراف

ـ لست أدري كيف أشكرك يا عم حسن

ـ لكني أخاف عليك منهم ، فانتصارك مرحلي ، أسألني أنا عنهم

كان واضحاً أن إشفاقه علي قد فاق إشفاقي عليه ، لكن لماذا ؟

ـ إني أحبك كما لم أحب أحداً في هذه المؤسسة ، واسمح لي أن أرى أولادك

لم يكن أمامي إلا أن أستسلم لحب هذا الرجل فأحببته صار ما بيننا رباط وجداني متين ، في غير حاجة إلى البحث عن مبرراته ، فرأيت في هذا الرجل أبي الذي لم أره لم يكن يؤرقني في علاقتي به سوى عبء مسئولية حبه الشديد لي ، وهو الطرف الضعيف بحاله ، القوي بشيء أجهله ، وأنا الطرف الذي تصيبه العاطفة الصادقة بالخوف والهلع ، بقدر ما يمنحه العقل من طمأنينة وثقة

أحببته زوجتي وأحبه أبنائي وكثيراً ما كان يسهر معهم في غيابي ، يداعب طفلي الصغير ، ويشتري بعض الحاجيات للمنزل ، وابتسامته الحزينة المحببة لا تفارق وجهه ، ولفافات الحلوى لا تفارق يده كان من المستحيل أن أدفع له أثمان هداياه ، وكان من الصعب إيجاد وسيلة لتعويضه عنها ويوم رجوته أن يكف عن شراء الحلوى أقسم لي أنه يحصل عليها من محل شقيقه الحلواني بلا مقابل

لم يلحظ أحد في المؤسسة أنه ـ رغم انصرافه إلى عمله ـ قد تحول إلى حارس جهمي لشخصي ، لا يراه أحد ولا يفلت خصم من رقابته

فكرت مرارا أن أرد زياراته المتكررة لأسرتي ولو بزيارة واحدة لأسرته ، لكني خشيت أمرين أولهما أن يكلف نفسه مالا طاقة لها به ، وثانيهما أن يؤلمه إطلاعي على حال بيته المتواضع ، فهو يقيم مع زوجته وأبنائه الخمسة في شقة صغيرة من غرفتين ، لهذا لم أزره في بيته على الاطلاق ، كما أنه لم يشر من قريب أو بعيد إلى رغبته في ذلك

إني اليوم أشك في صدق هذه المبررات ، فتراكم الزمن يعري أكاذيب كثيرة ، وادعاءات واهية كانت تحتمي بظلاله ، ومن المؤكد أن اهتمامي بحسن كان أقل بكثير من اهتمامه بي ، وإلا فلماذا لم أزره ، ولماذا نسيته ؟

يبكي يردد على الدوام

ـ يا رب يا رب يا رب

أربت على كتفه وأنا أضغط بعنف على منابع الدمع في عيني

ـ لا تخف يا عم حسن ، قريباً سيمن الله عليك بالشفاء

ـ يا رب يا رب يا رب

حول بارز ظهر في عينيه ، ولفافة من الشاش الأبيض محكمة حول رأسه شارد على الدوام ، ولم

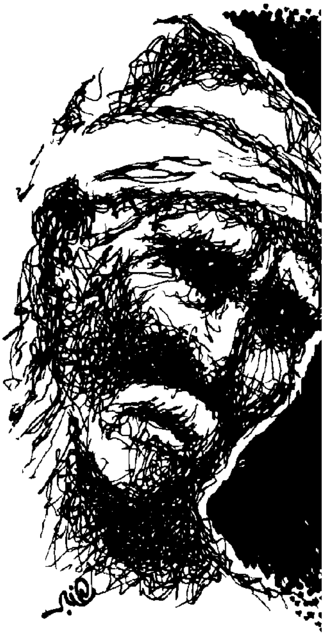

ا على التركيز
لون مي أن أسوي معاشي يا رب
يحدث هذا يا عم حسن ، فنحن لا نستعي
ـ الذهبية ، ستبقى بيننا إن شاء الله
، مجموعة من الأوراق ، أصول وصور ،
مهتريء ، والآخر ممزق من المحال قراءته
ـرطة واستجواب نيابة ، ووقائع الحادث ،
، الشهود ، وارتجاج في المخ ، والعربة
ـة ، واصطدام الرأس بحافة الرصيف
قف بجانبك حتى تحصل على حقك من هذا

لا تتعب نفسك يا رب ربنا
بأصبعه إلى السماء)
الى الأيام فيصبح الشاذ من الأمور مألوفاً ،
الساخن بارداً ، ويفتر الحماس لبعض
، ويسود الاعتياد عليها ، ويحصل حسن على

إجازات مرضية متعاقبة ، ويختفي شهرا وراء شهر ، وكلما ظهر يشتعل حماسي للبحث عن الجاني الهارب ، ثم لا أفعل شيئاً ، أو لا أستطيع وأخيراً استغنت المؤسسة عن خدمته بناء على شهادة طبية أفادت بعجزه الكلي عن العمل

لم أكن أدري أنني قد ارتكبت جرماً محطاً حين شغلتني أموري اليومية عن هذا الرجل ، حتى أنني نسيته تماماً ، ولم يعد ذكر اسمه أمامي يثير في نفسي أكثر من شعور عابر بالحزن والألم ، يعقبه شرود غامض ، لا أعي بالغوص في سره ، ثم لا ألبث أن أعاود النسيان ، وأذوب في همومي الخاصة ، إلى أن جاء مساء شتوي عاصف ، انكمش فيه الناس في بيوتهم ، التماساً للدفء ، وأصبح من المحال عليهم نزول الشارع مهما عظمت الأسباب

كنت أعالج المدفأة الكهربائية من عطب بسيط أصابها ، وكان الأولاد نائمين ، عدا طفلي الأصغر ، وكانت الساعة تقترب من منتصف الليل حين خيل إلي أن جرس الباب يرن على استحياء نظرت إلى زوجتي ، فوجدتها تبادلني نفس النظرة المتسائلة ، لكن أحداً منا لم يجرؤ على الظن بأن هناك زائراً يقف خلف الباب

عدنا إلى انشغالنا بالمدفأة ، وإذا بحقيقة جلية تؤكد رنين الجرس ، فقمت مسرعاً أفتح الباب ، وخطوات قلبي تسبقني إليه في وجيب سريع

لم أر في حياتي كياناً إنسانياً مهلهلاً بمثل ما رأيت في تلك اللحظة ، كان غارقاً في بلل المطر ، يقاوم بابتسامته الكسيفة ارتعاشة قوية ، تعصف بجسده المهزوم ، وعيناه الشاردتان تنظران إلى لا شيء ، وفي يده لفافة الحلوى

ما من قدرة خارقة على النفاذ إلى نفوس البشر تستطيع أن تفسر ما رأيته في عيني عم حسن وسواء أكانت رؤيتي نابعة من داخلي أم كانت هي الرؤية الحقيقية المطلقة ، فمن المستحيل أن أصف فيها معاني الحب أو العتاب أو الإشفاق أو الألم أو الاستنكار أو

التسامح فحسب ، بل إنني أبخسها الحق لو قلت إنها كانت نظرة تحمل في طياتها الشديدة العمق كل المعاني الإنسانية النبيلة

في لمح البصر سارعت باصطحابه إلى غرفة مكتبي الدافئة ، حيث أحضرت له زوجتي بعضاً من ملابسي المنزلية ، وقد أصابها الهلع على مصير الرجل ، وانهمرت دموعها في صمت

- لماذا يا عم حسن ؟ لماذا تنزل في هذا الجو القاتل ؟

يشير بيده إلى السماء ، ثم يربت على كتفي ، ويبتسم ، ويداعب الصغير ، ويقدم له الحلوى

غير معقول أن تطاق هذه الحياة المعلقة بأعجب الأسرار شلني الذهول عن التفكير حين رفض عم حسن المبيت معنا بالمنزل ، بعد أن جففنا له ملابسه ، وشرب معنا الشاي ، ودب الدفء في أوصاله المتقصفة أصر بشدة على العودة إلى بيته ، وكدت أصيح في وجهه آمرا أن يبقى على الرغم من أنفه لولا أن ألقى بنفسه على وجهي يقبلني بحرقة مذهلة ، وقد امتزج ما سال من فمه وأنفه من لعاب ساخن على وجهي

لم يكن هناك مفر من النزول معه إلى الجحيم الذي ينتظرنا خارج المنزل ، حتى لا يموت شريداً في الطريق ارتديت أثقل ملابسي ، وقد تجاوز الوقت منتصف الليل بساعتين أو أكثر ، وأكرمنا الله بعربة أجرة مرت أمامنا بمجرد أن عبرنا الشارع الرئيسي ، فاستوقفت السائق ، وأعطيته ضعف ما يستحق من أجر راجياً أن يدخله بنفسه إلى منزله ، ويسلمه إلى أسرته

لست أدري كيف عادت بي قدماي الى منزلي لو لم تكن سيارتي معطلة لما ترددت في توصيله بنفسي الى منزله ، وسارعت إلى الأغطية الكثيفة ، ألتحف بها ، وامتنعت عن الكلام تماماً ، وأدركت زوجتي حدة معاناتي ، فالتزمت الصمت هي أيضاً ، ثم نامت ، وبقيت ساهراً حتى الصباح راغباً عن النوم عاجزاً عنه

خمسة أعوام راحت ، وراح معها بعض من العمر ، وقليل من الأمنيات ، وكثير من الفرح ، وتسربلت أيامها بأكفان النسيان ، وفجأة يعود حسن عينو بشحمه ولحمه متمثلاً أمامي في لحظة وقوفه على باب شقتي غارقاً في مياه المطر فتشت في ثنايا ذهني ، فلم أعثر على تبرير منطقي لعودته المفاجئة ، وراجعت ظروفي الحياتية القريبة ، فلم أجد صلة واحدة تربط بينها وبين تاريخ علاقتي به ، كأن أرى حادثاً في الطريق يذكرني بحادثته ، أو ألتقي بزميل له يحدثني عنه ، أو أرى شخصاً شبيهاً به لم يحدث شيء من هذا ، فلا سبب لما حدث ، ولا جدوى من البحث عن سبب ووجدت نفسي في الطريق إلى بيته ، أسأل عنه في المقاهي والحوانيت ، حتى عثرت عليه

قبل أن أطرق بابه تحسست حافظة نقودي المتخمة بالأوراق النقدية الكبيرة ، وأعطيت لنفسي الحق في تعويضه عن اللفافات التي أحضرها ، وعن الليالي التي أمضاها بصحبة أسرتي ، وعن حراسته المستترة لشخصي من غدر الخصوم ، لكني لم أجرؤ على التفكير في تعويضه عن حبه لي بتلك القصاصات الورقية الخضراء ، مهما كثر عددها

فكرت في أرملته ، وفي أولاده اليتامى من المؤكد أنه حدثهم عني بحب شديد ، وليته لم يفعل ذلك فكيف أواجههم الآن بعد مضي تلك السنين ؟ إن نظرة عاتبة من زوجته كفيلة بهزيمتي ، وإهدار احترامي لذاتي حتى لو لم تكن نظرتها عاتبة فإنني سأراها كذلك وطرقت الباب

●●●

مات حسن عينو ليلة زيارته المشهودة لي حاملاً معه آخر لفافة من الحلوى ، فبعد أن سلمه السائق لزوجته ، أخذ يقبل أبناءه مردداً يا رب يا رب وفي الصباح كان صامتاً وعلى فمه ابتسامة حزينة □

الكلمات المتقاطعة

يهدف هذا اللغز الى تسليتك وامتاعك بالاضافة إلى إثراء معلوماتك وربطك بتراثك الفكري والحضاري عن طريق البحث الجاد المثمر في المعاجم والموسوعات وغيرها من المراجع الهامة والمطلوب منك الاجابة على اسئلة هذه اللغز ومقارنتها بالحل الصحيح الذي سينشر في العدد القادم

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١										
٢			■							
٣							■			
٤		■	■	■						
٥			■			■	■	■	■	
٦		■		■						
٧				■						
٨										
٩								■		
١٠	■									

كلمات أفقية

١ - راهب فرنسي حرّض على الحروب الصليبية

٢ - تصيرية ، طبيب يوناني أثّر في الطب العربي

٣ - ميناء ليبي على البحر الابيض المتوسط ، سوف مبعثرة

٤ - فيلسوف ألماني وصاحب مذهب التشاؤم

٥ - ألحّ في السؤال ، للتحذير

٦ - والده ، صانع العسل مبعثرة

٧ - نظام ، مرشد

٨ - مدينة تركية تقوم على نهر دجلة ، شتَم

٩ - فوضوي وغير ملتزم

١٠ - مدينة يابانية مكونة

كلمات رأسية

١ - مضيق بين البحر الاحمر وخليج عدن

٢ - تراب مجبول بالماء ، واحات في صحراء مصر العربية

٣ - خداع مردود ، من أماكن التسلية والترويح

٤ - جمع هاجس معكوسة ، حرير مبتورة

٥ - بارا مبعثرة ، موارب مبعثرة

٦ - الليمان مبتورة ، شبك مقلوبة

٧ - غير ناضج . ضمير منفصل ، الواحدة منها درة

٨ - الانسان مبعثرة ، بحر

٩ - مسرحي وشاعر يوناني قديم

١٠ - منها العادي ومنها العشري ، ميدان الصراع

حل مسابقة العدد ٣٤٦ - سبتمبر ١٩٨٧

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١	ا	ب	ت	ا	ر	ك	ت	ى	ك	ا
٢	ن	■	أ	ح	ف	و	ر	■	م	ل
٣	ن	م	ر	■	■	ت	■	ـ	ب	أ
٤	ب	و	ن	ا	ب	د	ب	■	ا	م
٥	ط	ن	ب	ل	■	■	أ	هـ	ل	ا
٦	د	ا	■	هـ	ص	ن	م	■	ا	ر
٧	ط	ا	■						■	

لغة

بقلم : محمد خليفة التونسي

تتقارب اللغات وتتباعد بحسب انتمائها لأسرة لغوية خاصة ، أو انتمائها لأسرة لغوية أخرى ، وأهم الأسر اللغوية ثقافيا وحضاريا ، قديما وحديثا ، اسرتان الاسرة العروبية (السامية) والأسرة الآرية (الهندأوروبية)

ومن الأسرة العروبية لغتنا العربية والأكادية والأشورية والآرامية (السريانية) والكنعانية والعبرية والفونية (الفينيقية) والأوجرتية والحبشية.

كما أن من الأسرة الآرية - اللغات السنسكريتية والبهلوية والفارسية والكردية واليونانية واللاتينية (ومن فروعها الايطالية والفرنسية والاسبانية) والالمانية والانجليزية

وما من لغة حية (أو كانت حية) الا تبادلت كثيرا من الكلمات أخذا وعطاء مع اللغة أو اللغات المعاصرة لها حيث اختلط أهل احداهما مع أهل الأخرى سلما أو حربا ، والأغلب أن يكثر أخذ اللغة التي هي أقل أو أدنى ثقافة وان كان أهلها هم الغالبون حربيا ، ومن أمثلة ذلك ما أخذته اللاتينية (لغة الرومان) عن اللغة الاغريقية (اليونانية) بعد استيلاء الرومان على بلاد الاغريق ، وكذلك أخذت اللغة التركية العثمانية عن اللغة العربية بعد أن استولى العثمانيون على بلاد العرب ، وكان الأتراك على اختلاف شعوبهم قد بدءوا هذا الاقتباس عن العربية قبل ذلك ، منذ بدأ المسلمون يستولون على بعض المناطق التركية وجاراتها شرقا وشمالا

ويكثر اقتباس اللغة المتأخرة عن اللغة المتقدمة ثقافة وحضارة لأنها أكثر احتياجا الى تتميم معارفها ، ولكن مهما تبلغ أي لغة من اتساع المعارف وتقدم غيرها ثقافة وحضارة فانها لاتستغني عن استعارة كلمات من لغة أو لغات أخرى تخالطها مهما يكن حظها من التخلف والأمية كما فعل أهل اللغات الأوروبية الحديثة في أخذهم كثيرا من كلمات اللغات حتى لغات الشعوب البدائية في أمريكا وأفريقية وآسيا

ومهما يكثر عدد الكلمات التي تستعيرها لغة من غيرها حتى يبلغ مئات بل آلافا - فستبقى اللغة المستعيرة متميزة من غيرها بما لها من خواص في قواعدها وفقا لأعراف أهلها ، وهذه الخواص ماثلة في أنظمتها التي تنفرد بها ، وتشمل نظامها الصوتي ، ونظامها الصرفي ، ونظامها النحوي ، وأساليبها

بيانية ، ولا بد مع ذلك من مراعاة المقام وما ينبغي ه من كلام ، وقد أحسن البلاغيون عندنا حين قالوا لكل مقام مقال » .

والنظام الصوتي لأي لغة يتمثل أولا في أصواتها ونبراتها وهي في جملتها خاصةٌ بها وان شاركتها غيرها في بعض الأصوات ـ ولا بد من ذلك ـ فأجهزة النطق البشرية تتماثل في الاستعداد والنشأة ، ثم تتناقص الأصوات فيها مع تقدم الانسان في العمر ، لاكتفائه بما يسمع من أصوات حوله في بيئته ، وهي لاتزيد على قدر معين والاصوات في جميع اللغات تختلف من حيث مخارجها في جهاز النطق ، ثم ان الاصوات المتفقة في مخرج واحد تختلف من حيث صفاتها بين مجهور ومهموس،وشديد ورخو ، ثم هناك الصحيح والمعتل ، وكل أولئك يدرسه علم الصوتيات

وبحسب اختلاف الاصوات يختلف تقييدها في الكتابة ، أي ما نسميه « الحروف » وان كانت حروف أي لغة لاتكفي وحدها لتحديد أصواتها ولا بد في نطقها السليم من السماع مع الكتابة ، ومن ذلك عندنا مثلا اختلاف نطق اللام في كلمة « الله » بعد كسر مثل « بالله » عن نطقها بعد فتح مثل (والله) أو ضم مثل « كتاب الله » وقد تستعين اللغة في هذا السبيل باضافة حروف الى حروفها أو بتغيير صور حروفها

ومن الأصوات (الحروف) تتألف الكلمات المستقلة ، وهذا ما يؤلف النظام الصرفي للغة ، ويبحث فيه « علم الصرف » وأول ذلك تقسيم الكلمة أقساما بين اسم وفعل وحرف (اداة) وبعض اللغات تقسمها أسماء وصفات وضمائر وظروفا وأفعالا وأدوات بالاضافة الى خصائص أخرى يبحثها علم الصرف

والنظام النحوي ماثل في العلاقات بين الكلمات ووظائفها في الجملة أو الجمل وما يراعى في سياقها وقرائنها لتحديد معاني الكلام ، وذلك يقتضي معرفة معنى كل كلمة واستعمالها ووضعها في المكان المناسب لها وفق المعنى المقصود ، لان مخالفة هذا الترتيب قد تفسد الفكرة أو تؤدي غير المقصود ، واللغات تختلف في كل ذلك أو تتقارب في بعضه

ثم لكل لغة مع أنظمتها الخاصة ـ أساليبها البيانية في أداء المعاني المختلفة ، واستعمال الالفاظ في معانيها الحقيقية والمجازية

وليس يضير أي لغة أن تكثر فيها الكلمات المستعارة من غيرها ولو بلغت آلافا مادامت تجري وفق أنظمتها بل يضيرها أن تتأثر قواعدها أو انظمتها ولا سيما الصرفية والنحوية ، فتغيرها عن أصولها ولو كان هذا التغيير قليلا أو ضعيفا

ولعل أثبت ما في أي لغة أدواتها وضمائرها الشخصية والاشارية والموصولة وأسماء الاعداد فيها

أكتب هذا وأمامي عدة كتب بالفارسية التي لاأعرفها ، وقد كانت الفارسية ولم تزل تكتب بحروفنا العربية ـ مع اضافة حروف خاصة بها ـ وأتأمل سطورها من شعر ونثر ، فاذا الكلمات العربية في بعض جملها غالبة وربما تكون كل كلماتها في الجمل القصيرة عربية خالصة ، ولكن معناها العام مبهم ، لأنها تجري على النظام النحوي الفارسي لا النحوي العربي ، وهما مختلفان ، وبعض الكلمات قد تغيرت معانيها وفي الفارسية مئات ومئات من الكلمات العربية نقرؤها في جملها فلا نفهم معنى الجملة لجهلنا بنظامها النحوي ، أو نفهمها ظنا ومن ذلك « وزارت أمور خارجه » و « وزارت صناعتي » و « لطفا استعمال دخانيات ممنوع است»ومعنى العبارة الأولى « وزارة الأمور الخارجية » ومعنى الثانية « وزارة الصناعة » ومعنى الثالثة « لطفا التدخين ممنوع » وكل ذلك لم يضر الفارسية بل زادها ثراء

ويمكن أن يقال مثل ذلك أو قريب منه في اللغات التي استعارت من لغتنا حتى حروفها

ومن المحال أن يختلط أهل لغة مع أهل لغة غيرها دون استعارة واعارة متبادلة ولذلك لانشارك بعض علمائنا في خوفهم على لغتنا من استعارة الكلمات الاجنبية مادامت تسير وفق انظمتها لاسيما الصرفية والنحوية ☐

ش
ع
ر

جمال العربية

هكذا غنى الآباء

مجلس غناء عبّاسي

لبشّار بن بُرد

بشار بن برد ، ويلقب أبا معاذ ، فارسي الاصل ، ولكنه ولد ونشأ في البصرة في بيئة عربية فصيحة (بني عقيل) واختلف الى الأعراب حول البصرة ، فأخذ عنهم فصاحتهم ، وتعلم الشعر ثم نبغ فيه نبوغا لم يعهد في شاعر عربي قبله ، وهو أول شاعر كبير في العربية ، وكان امام الشعراء في زمانه ، وديوانه اكبر من دواوين الشعراء السابقين وأكثر تنوعا ، حافل بجياد القصائد الطوال والمقطوعات في شتى الموضوعات ، وكان قد ولد أعمى ، وأصيب بالجدري فصار قبيح المنظر ، وكان ضخم الجثة ، ولكنه كان شديد الذكاء جريء الفكر ، وكانت البصرة في أيامه حافلة بمجالس اللغة والادب والشعر وعلوم الدين فتردد عليها ، وانغمس فيها وأخذ كثيرا عنها ، حتى صار من أثقف أهل عصره ، وشارك في خلافاته الدينية والسياسية مما عاد عليه بالكراهية والاضطهاد ، وقد قتل ظلما بتهمة الزندقة ، وكانت قتلته شنيعة سنة ١٦٦ في عهد المهدي العباسي بعد حياة امتدت نحو تسعين سنة

وقد اكثر من شعر الغزل حتى فاق فيه عمر بن ابي ربيعة أشهر الغزليين ، ونساء غزله من الجواري والمغنيات في طبقته الفقيرة ، في حين أن نساء غزل عمر من بنات الاشراف والرؤساء من طبقته ، وكان شعره الغزلي شائعا في البصرة يرويه النساء والرجال

وهذه القصيدة التي اخترناها هنا يصف بها مجلس غناء حضره في بيت أحد اشراف العباسيين ، وقد اقترحت عليه المغنية وصفه ، وطلبت منه أن لايذكر في القصيدة اسمها ولا اسم سيدها ، وهي تدل على أنها كانت تحفظ بعض شعره الغزلي ، اذ تغنت اولا بشعر للشاعر جرير ، ثم تغنت بشعر لبشار على وزنه

وقافيته وكانت مجالس الغناء والطرب منتشرة في كل الامصار العربية ، حتى امصار الحجاز يومئذ كان ديوان بشار مفقودا ، حتى عثر على نحو نصفه الاستاذ العلامة التونسي المرحوم محمد الطاهر بن عاشور (شيخ جامع الزيتونة الاعظم في تونس) فنشره في مصر في ثلاثة أجزاء والحق به رابعا ضم كل ما لبشار في المصادر الادبية من قصائد ومقطوعات ، وهذه القصيدة من الملحقات

وذاتِ دل كأن البدرَ صورتها   باتت تغنّي عميدَ القلب سكرانا[1]
(ان العيون التي في طرفها حور   قتلننا ثم لم يحيين قتلانا)[2]
فقلت « أحسنت يا سُؤْ لي ، ويا أملي   فأسمعيني جزاك الله إحسانا »
(ياحبذا جبلُ الريان من جبلٍ   وحبذا ساكنُ الريان من كانا)[3]
قالت « فهلا فدتك النفس احسنَ من   هذا لمن كان صبَّ القلب حيرانا »[4]
(ياقوم أذني لبعض الحي عاشقةٌ   والأذن تعشق قبل العين أحيانا [5]
قالوا « بمن لاترى تهذى(؟) » فقلت لهم   الأذنُ كالعين تُؤتي القلبَ ماكانا[6]
هل من دواءٍ لمشغوف بجاريةٍ   يلقى بلُقيانها ، رَوْحا وريحانا)[7]
فقلت . « احسنت ، أنتِ الشمسُ طالعةً   أضرمت في القلب والأحشاء نيرانا
فأسمعيني صوتا مطربا هزجا   يزيد صبّا محبا فيك أشجانا[8]
(ياليتني كنتُ تفاحا مفلجةً   أو كنتُ من قضُب الريحان ريحانا[9]
حتى اذا وجدت ريحي فأعجبها   ونحنُ في خَلْوةٍ مُثِّلْتُ إنسانا)[10]
فحرّكت عودها ثم انثنت طربا   تشدو به ثم لاتخفيه كتمانا
(اصبحت أطوع خلق الله كلهم   لاكثر الخلق لي في الحب عصيانا)
فقلت · اطربتِنا ، يازينَ مجلسِنا   فهات ، إنك بالاحسان أولانا
لو كنت أعلم أن الحب يقتلني   أعددت لي قبل أن القاك اكفانا
فغنت الشَّرب صوتا مؤنِقا رَمَلا   يُذْكي السرورَ ويبكي العين ألوانا[11]
(لايقتل الله من دامت مودّته   والله يقتل أهل الغدر أحيانا)

---

١ ـ ذات دل صاحبة دلال ـ العميد من علله العشق
٢ ـ الحور شدة سواد العين في شدة بياضها والمراد النساء
٣ ـ البيتان الثاني والرابع متضمنان من شعر جرير ـ والريان جبل شاهق بالحجاز
٤ ـ اي هل أسمعك خيرا من هذا الشعر ، فهي تترلف إليه لتسمعه من شعره هو
٥ ـ هذا البيت من شعر بشار ويلاحظ أنه اعمى ، فهو يشير الى ان الاذن قد تعشق قبل العين
٦ ـ اي هل تهذي بها وانت لاتراها ، فيجيب ان الأذن تؤدي ماتؤديه العين
٧ ـ الروح الراحة
٨ ـ الهزج نوع من الالحان منه سريع ومنه بطيء ، والاشجان الاحزان
٩ ـ مفلجة · مقسمة ـ والقضب الاعواد ، وكانوا يعطرون ويزينون مجالس الغناء والشراب بماله ريح طيبة
١٠ ـ مثلت ، صرت انسانا
١١ ـ مونقا انيقا . والرمل . نوع من الالحان · والشرب = الشاربين

مكتبة العربي

كتاب الشهر

أمريكا والسيطرة النفطية العالمية

THE UNITED STATES AND THE CONTROL OF WORLD OIL

بقلم : اد شافير / عرض وتحليل : جمال وردة

مع انتهاء حقبة النفط سيسدل ستار على الدور الامريكي الامبريالي في لعبة السيطرة العالمية . . ورغم اننا لا نضمن عدم استملاك امريكا للطاقة البديلة ، الا أن هذه البدائل وبالتأكيد لن تكون أحادية الهوية ، وحكرا على أمريكا فقط !!

تكاد الأزمة الاقتصادية التي عايشها العالم في السبعينيات عقب أزمة النفط أن تكون صورة طبق الأصل لما تنبأ به ماركس وانجلز في « المانيفستو الشيوعي » فلقد هزت هذه الأزمة المجتمع الصناعي الغربي من أركانه وخرج العالم وقتها وكأنه ينهي فترة من عصر النفط الرخيص والمتوافر الى عهد جديد مغاير

لقد أجبرت هذه الفترة الخانقة المجتمعات الصناعية على اجراء الكثير من التعديلات الصارمة والقاسية على مخططاتها ، وكانت هذه التعديلات ذات شقين مادي واجتماعي ، فقد شمل الجانب المادى إيجاد الوسائل الأكثر فاعلية ، لتقليل الاستهلاك النفطي ، بينما كان من المفروض أ يبحث الجانب الاجتماعي التحولات الشاملة ف

أسلوب التوزيع الجديد ، للدخل العالمي ، والتغيرات المصاحبة له في ميزان القوى العالمية .

وبنظرة فاحصة على التعديلين ، نستنتج أن الجانب الاجتماعي هو الأكثر صعوبة ، فالجانب المادي يبدو نسبيا أكثر سهولة ، فالعلم والتقنية كفيلان بايجاد الطرق المناسبة للحد من الاستهلاك ، كما يستطيعان كذلك ايجاد المصادر البديلة للنفط ، ولكنهما سيعجزان عن ايجاد الحلول المناسبة للتغيرات والأزمات الاجتماعية التي ستصاحب نهاية الحقبة النفطية .

تحدي الهيمنة الأمريكية

ورغم أن عمالقة علم الاقتصاد من أمثال آدم سميث ، وكارل ماركس قد اعترفوا بهذه العلاقة الجدلية بين التقدم الصناعي والتغير الإجتماعي ، الا أن الاقتصاديين المحدثين قد تجاهلوا هذه الحقيقة ، ولا عجب بعد ذلك ان جاءت تحليلاتهم لأزمة السبعينيات مشابهة لما قالوه قبل ذلك عن أزمة الثلاثينيات .

ان أي تغير يحدث في القوة الاقتصادية ، يعني بالضرورة تغيرا مشابها في القوى السياسية ، ويمكن تطبيق هذه المقولة محليا وعالميا ، فالنمو الكبير في صناعة النفط في الولايات المتحدة أوجد بالمقابل شركات عالمية كبرى بدأت تبحث عن أسواق جديدة لانتاجها المتزايد الذي جاوز الكثير من الحاجات المحلية ، الأمر الذي دفع هذه الشركات للبحث عن منابع نفط جديدة خارج حدود أمريكا . وهذا التوجه الامبريالي الجديد كان من الممكن الا يكتب له النجاح ، لولا التدخلات الرسمية والسياسية لحكومات الولايات المتحدة نفسها ، فبعد أزمة السبعينيات بدأت أمريكا تشعر ولأول مرة بجدية الموقف وحراجته ، فقد برزت على السطح عوامل جديدة بدأت تشكل تحديا سافرا للهيمنة الأمريكية على الطاقة ، منها العجز الأمريكي للسيطرة التامة على بلدان الأوبيك ، ومنها أيضا ظهور بلدان كالمكسيك وكندا بدأت العمل من أجل تحرير نفطها من الهيمنة الأمريكية .

ان سياسة التوسع هذه تكاد تكون ميزة أمريكية منذ عام ١٧٧٦ ، ولا عجب اذا قلنا أن الثورة الأمريكية كانت في الحقيقة ثورة على النظام الاقتصادي الأوروبي الاحتكاري الذي نشأ عقب تفسخ الاقطاع ، وذلك من أجل نظام أمريكي جديد أكثر دناميكية .

ففي عام ١٧٨٣ عام توقيع معاهدة السلام ، كانت مساحة الولايات المتحدة لا تتجاوز ٢/٣ مليون ميل مربع ، ولكن خلال سنوات ارتفع هذا الرقم الى ثلاثة ملايين ميل مربع ، ان هذا التوسع الجديد لم يكن سلميا طبعا ، فقد خاضت الولايات المتحدة سلسلة من الحروب الشاملة من أجل ذلك ، لقد خاضت حرب ١٨١٢ والحرب المكسيكية والحرب الأهلية ، بخلاف حروبها الصغيرة ضد الهنود الحمر ، لقد كانت الحرب الأهلية عبارة عن زحف رأسمالي شمالي نحو الجنوب ، كما أن الحرب المكسيكية أتاحت للولايات المتحدة فرصة اكتساح

[illegible] والتوسع إلى ما يعرف بـ « ديبلوماسية الدولار » وقد شرح هذه الفلسفة الرئيس الأمريكي « تافت » عام ١٩١٢ قائلا : « إنها سياسة استبدال الرصاصة بالدولار - وهي سياسة قائمة على زيادة فاعلية التجارة الأمريكية ، بدعم ومساندة الحكومة الأمريكية » وهكذا بدأت الاستثمارات الأميركية في أوروبا وكندا في المجالين الصناعي والتقني ، ومع بداية عام ١٩١٤ بدأت هذه المؤسسات الأمريكية الخارجية تلعب دورا مهما في الاقتصاد العالمي ككل ، وليس في

[illegible]

كما أن [illegible] الأمريكية [illegible] الأمر الذي خفف من أصابات [illegible] ، ومع نهاية الحرب خرجت أمريكا وهي الأقوى صناعة وسلاحا واقتصادا ، وقد أعطاها هذا التفوق فرصة لفرض ما يسمى بالسلام الأمريكي على العالم ، وبالفعل فقد أصبح العالم أشبه بمنطقة نفوذ جديدة للولايات المتحدة ، باستثناء دول الكتلة الشرقية والصين الشعبية .

وبدأت أمريكا بممارسة هذا الدور الامبريالي الجديد ، وأصبح لها وجود عسكري في حوالي ٦٤

[illegible]

الأوروبية للتعاون قتصادي وهي أحدى الوكالات المتفرعة عن شروع « مارشال » ، وأهم ما جاء في هذا التقرير حقيقة أن أوروبا لاتملك قطرة واحدة من هذا النفط ، وكل انتاجها يعتمد على استيراد هذه طاقة من الخارج ، وما يعني ذلك من هدر لعملتها صعبة ، قد أوصى التقرير بضرورة تطوير وانماء سادر بديلة للطاقة تكون أقل تكلفة ،، وقد أبدى قرير حماسا منقطع النظير ، لضرورة الاستفادة من

[illegible]

الأميركي ، ثم هناك استعادة القوة الاقتصادية لأوروبا واليابان التي حطمتها الحرب الثقنية وبدأت السلع الأوروبية واليابانية تغزو العالم ، وتنافس المتوجات الأمريكية ، وقد سبب ذلك هبوطا ملحوظا في ميزان الصادرات الأمريكية ، وهبوطا حادا في الميزان التجاري يقابله من ناحية أخرى ارتفاع وعجز في ميزان المدفوعات الأميركية لدرجة أصبحت فيها أمريكا عاجزة عن تمويل بعض المشاريع العسكرية ، وبعض الاستثمارات

الخارجية ، وللخروج من هذا المأزق اضطر الرئيس « نيكسون » لفك الارتباط بين الذهب والدولار ، وبيع احتياط الذهب لديها الى البنوك المركزية العالمية الاعضاء في صندوق النقد الدولي .

كما أن سياسة الحرب الباردة لعبت دورا كبيرا في هذا المضمار ، وهي السياسة التي جاءت نتائجها بعكس ما خطط لها ، فقد أثرت هذه السياسة على ميزان الصادرات والتضخم المالي ، وأبطأت من أساليب التحسين النوعي للمنتجات الامريكية ، وذلك لانشغال أمريكا بالمشاريع العسكرية ، وغزو الفضاء على حساب التنافس التجاري العالمي ، يضاف الى ذلك ظهور دول الأوبيك كشركاء منافسين لأمريكا في السوق النفطية العالمية ، وبذلك انتقل الثقل التجاري عالميا من أمريكا الى البلدان النفطية نفسها ، وبدأت أمريكا تشعر بالبساط يسحب من تحت أقدامها تدريجيا ، ودفاعا عن ذلك طالبت بتشكيل « كارتل » للمستهلكين ، حفاظا على وحدة الاسعار ومنعا للصفقات المنفردة ، ولهذا السبب رفضت أمريكا الاقتراح الفرنسي بعقد اجتماع للدول المنتجة للطاقة والدول المستهلكة لها ، وطالبت أمريكا بضرورة عقد اجتماع مسبق للدول المستهلكة للتنسيق قبل حوارها مع الدول النفطية ، ولكن فرنسا رفضت الانضمام لهذا (الكارتل) وذلك لتكون بعيدة عن السياسة الامريكية .

حرب ضد الأوبك

ومع نهاية عام ١٩٧٤ كان هناك اعتقاد شائع بأن الاسعار النفطية ستهبط وذلك لعدة عوامل أهمها تخفيض كميات الاستيراد لدول الطاقة العالمية والكساد التجاري الذي أصاب العالم آنذاك عقب هذه الثورة في الأسعار النفطية ، وزيادة كميات البترول التي أصبحت تمتلكها دول النفط نفسها بعد اتفاقيات التأميم ، وأخيرا عجز دول الأوبيك عن الالتزام بخطة بترولية تعاونية واحدة ، وبالفعل فقد قررت البلدان الصناعية تخفيف استيرادها بمعدل «٢ مليون» برميل يوميا ، وزادت هذه النسبة التخفيضية في السنوات اللاحقة ، ونتيجة لهذه السياسة فقد أصبح هناك فائض بترولي كبير ، وهكذا اضطرت دول الأوبيك في نهاية عام ١٩٧٤ ، وحسب أقوال « كيسنجر » الى فقدان ربع طاقتها الانتاجية ، ومن أجل استعادة أمريكا لسيطرتها القديمة على مصادر الطاقة ، بدأت بشن حرب لا هوادة فيها ضد منظمة الأوبيك والبلدان النفطية الأخرى ، لقد كان من أهم أهداف أمريكا القضاء على الأوبيك ، أو على الأقل اضعافها ، باعتبارها المنافس الخطير في السوق العالمية ، وقد بدأت ذلك بخلق فائض نفطي عالمي ، وذلك يمكن تحقيقه بمساعدة الدول النفطية غير المنضمة الى الأوبيك ، وبتقليص نسبة المشتريات من هذه الدول ، وقد ذكر « هنري كيسنجر » مرة « أن من أهداف سياسة الطاقة الأمريكية ايجاد مصادر بديلة ، وبأقصى سرعة ممكنة » لأن هذا البديل سيلعب دورا مهما في تخفيض أسعار النفط ، وبما أن الرد المتوقع من دول الأوبيك هو تقليص الانتاج للحفاظ على أسعاره العالمية ، الا أن هذه الدول لن تستطيع الصمود طويلا ، حيث تشكل العائدات النفطية المصدر الوحيد للدخل القومي فيها ، وبناء على ذلك ستضطر لبيع نفطها مهما كانت الاسعار لتغطية تمويل مشاريعها الانمائية والاقتصادية ، كما هو الحال في الجزائر وايران وفنزويلا ، وكلما نقصت مبيعات هذه الدول تعرضت الخطة الانمائية للخطر ،

لذا فان قسوة هذا المأزق ستؤدي الى انهيار منظمة أوبيك ولجوء اعضائها الى بيع انتاجهم فرادى ون خطة تنسيق موحدة ، وهذا يعني مزيدا من فكك هذه المنظمة ، وبالمقابل خطوة جديدة ستعادة أمريكا السيطرة ومن جديد على مصادر طاقة العالمية .

ريكا والنفط المكسيكي

لاشك أن أمريكا تعتبر النفط المكسيكي جزء مهم استراتيجيتها العامة للطاقة ، ولكن هل ستنجح ريكا بالسيطرة على هذا المصدر القريب؟ ان ورجوازية المكسيكية كنظيرتها الكندية تريد أن تغل نفطها لأغراضها الخاصة ، وهم لذلك نمون من أسعار نفطهم ، ولكن كيف سيكون سراع الأمريكي مع هذين الجارين ؟ أن السنوات ادمة كفيلة بالكشف عن ذلك كما أن هناك منطقة راع جديدة ومحتملة في جنوب شرق آسيا فقد طت الصين بعض الامتيازات للشركات الامريكية نقيب عن النفط في بحر الصين الجنوبي ، وهي كات أويل ستاندارد وآركو وموبيل وتكساكو ، بري التنقيب أيضا حول جزيرة « هانينان » وهي طقة تطالب بها فيتنام ، والسؤال الآن ماذا ستفعل حال اكتشاف النفط في هذه المنطقة ؟ ان ذلك ي بداية صراع جديد بين فيتنام والصين ، كن امكانية التورط الامريكي مستبعدة ايضا سوصا ان الصين نفسها ستحاول بعد ذلك ان تغل هذه الاكتشافات لأغراضها الخاصة التي كون متناقضة تماما مع المصالح الأمريكية ، كما أن ه الدول النفطية لن توافق على سياسة الفائض نطي ، لأن هذه السياسة في النهاية في غير الحهم ، وكما حصل تماما مع دول الأوبيك ، ندها ستلجأ أمريكا لضرب هذه الدول بعضها ض

ويبقى على حلبة الصراع المنافس الثالث أو الدول الصناعيةوالصراع مع هذه الدول صراع علمي وسباق منهك للحصول على التقنية الجديدة ، ورغم أن التوقعات لنهاية حقبة النفط قد تبدو مبالغا فيها ، الا أن ذلك لاينفي حقيقة أن كميات هذه الطاقة أصبحت محدودة ، وأن الانطلاق نحو عصر غير نفطي قد يبدو وشيكا ، وأن الدولة التي تستطيع استملاك هذا المصدر البديل سوف تتقلد حتما زعامة العالم

ان الحرب المعلنة على الأوبيك كانت من أجل خلق فائض نفطي بعيد عن سيطرة المنظمة ، كما أن خلق فائض مشابه عن طريق البلدان النفطية الأخرى قد يستغرق وقتا طويلا ، لذلك لجأت أمريكا الى سياسة التقشف الاستهلاكي ، وكذلك المجتمعات الصناعية الأخرى ، وذلك عن طريق اكتشاف وسائل علمية جديدة لتقليل استهلاك الوقود ، ثم تخفيض مماثل في خطة التنمية والخدمات ، وهذا يعني كسادا عالميا جديدا ، ومن أخطار هذه السياسة أن هذا الكساد العالمي قد يؤدي الى المواجهات العسكرية ، فالبحث عن مصدر بديل يعني تطورا تقنيا يتطلب بدوره تمويلا اضافيا هائلا على حساب سياسة الاستهلاك القومي ، وكأن تلك ترجمة رأسمالية للسياسة الستالينية للتصنيع السريع وهذا ما يفسر سياسة البرامج التقشفية الشديدة التي بدأت في المجتمعات الصناعية العالمية منذ أواسط السبعينيات .

من الصعب التكهن الآن كم ستطول هذه الحرب الجديدة ، ولكن نستطيع أن نستنتج مدى التقهقر والتراجع للمستوى المعيشي لهذه المجتمعات ، أن نموا متصاعدا في البطالة سيصاحب هذه الحرب ، بالاضافة الى القلاقل العمالية والاجتماعية ، وعدم الاستقرار السياسي ، وزيادة حدة التوتر بين بلدان العالم ، ومن يضمن وقتها عدم تحويل هذه المبالغ الى وجهة غير اقتصادية لتدخل فورا الى باب الصناعات الحربية ؟ □

من المكتبة العربية

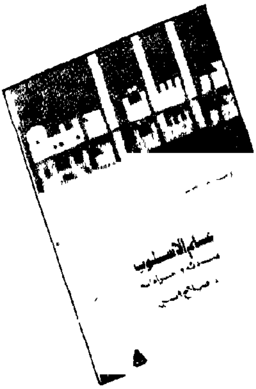

شاخت البلاغة فجاء الأسلوب!

تأليف . الدكتور صلاح فضل

عرض عبد السميع المصري

مع بداية القرن العشرين لم يعد هناك من يتحدث عن البلاغة إلا بصيغة الماضي ، وقد بدأ الحديث عن الأسلوب يأخذ الأهمية الكبرى في تقييم الأعمال الأدبية ، لكن علم الأسلوب أقدم من ذلك بكثير فما المقصود بعلم الأسلوب ؟

ومتى بدأ ؟ وما هي تأثيراته على الحركة النقدية الأدبية ؟

يقسم المؤلف كتابه الى أربعة أبواب ، بعد المقدمة التي جاء فيها أن « علم الأسلوب هو من العلوم الانسانية الشابة ، ودوره كوريث شرعي للبلاغة العجوز التي أدركها سن اليأس ، وحكم عليها تطور الفنون والآداب الحديثة بالعقم

وعلم الأسلوب يرجع الى أبوين فتيين ، هما علم اللغة الحديث من جانب ، وعلم الجمال الذي أدى مهمة الأبوة الأولى من جانب آخر ، وإن كان كلاهما لم يستقر حتى الآن بشكل حاسم على رقعة الدراسات العربية ، كي يؤدي الى ولادة علم أسلوب عربي أصيل ، لكن هذا لا يعفينا من مهمة استكشاف مجالات هذا العلم ، واستيضاح مناهجه ، وتحليل مبادئه بمفهومها التاريخي كبدايات لنشأته ونموه من ناحية ، وبمفهومها النظري كأسس ومقولات ، تعتمد عليها الدراسات التطبيقية ، وتستمد منها صلابتها وتماسكها ، وصدق نتائجها من ناحية أخرى ، ثم التعرض لمجموعة من الاجراءات التحليلية ، والقضايا الأسلوبية التي تدرس كيفية

وضع المنهج موضع التنفيذ ، طبقا لإطار نظري متبلور ، وخطة علمية محكمة

وإذا كانت مادة العلم وهي الأساليب نفسها مما تزخر به لغتنا الثرية ، وتجود به ملكات أدبائنا القوية المطبوعة التي استطاعت أن تتصدى لعصرها ، وتتشرب روحه ، وتجرب أنماطه ، وترود مجالات إبداعه ، فإن قصور الدراسة المنهجية لأعمالهم ، وعجزها عن تقنين المبادئ ، وتأصيل الأساليب ، إنما يرجع الى محاولة الاكتفاء بالوعي الفطري الساذج ، والاطمئنان الى انفصام البلاغة التقليدية عن الحياة ، والاشفاق من ورود منابع العلم لدى أقوام اخرين ، والوقوف على أسرارها ، مع أن هذا التلاقح العلمي من أهم الضرورات الحيوية التي تعد من دلائل النضج والتقدم

وإنا لا يمكن أن ندعو الى النسخ والتقليد ، أو نقلهما في قضايا تتعلق بالذوق الجمالي ، أو بالخصائص المميزة لكل لغة من اللغات ، أو فن من الفنون ، بل إن علينا في كل مرة نتصدى فيها للبحث والتحليل أن نتقن ممارستنا ، ونبدع تطبيقنا ونبتكر حلولنا

وبعد هذه السلسلة من الاتهامات للبلاغة العربية العجوز ، واتهامها بالانفصام عن الحياة ، يبدأ المؤلف في الباب الأول من كتابه (المبادئ والاتجاهات المبكرة) بالحديث عن نشأة علم الأسلوب ، في عالم اللغات الأوروبية الذي يفتنا دائما فيقول « إن نشأة هذا العلم تعود الى أوائل العقد الأول من هذا القرن ، وارتبطت بالتطور الذي لحق بالدراسات اللغوية في القرن الماضي »

مولد علم الأسلوب

إن التحديد الدقيق لمولد علم الأسلوب يتمثل فيما أعلنه العالم الفرنسي جوستاف كويرتنج عام ١٨٨٦م ، ومعنى هذا أن العلماء قد حددوا منذ قرابة قرن من الزمان مجالات علم الأسلوب الحديث بحثا عن التعبير المتميز ، وأوجزوها في سبعة أبواب هي أسلوب العمل الأدبي ، وأسلوب المؤلف ، وأسلوب مدرسة معينة أو عصر خاص أو جنس أدبي محدد ، أو الأسلوب الأدبي من خلال الأسلوب الفني ، أو من خلال الأسلوب الثقافي العام في عصر معين

بيد أن هذا الحصر المجمل لا يفيدنا جديا في التعرف الكامل على مجالات علم الأسلوب ، وطبيعة تطوره ، وجملة مبادئه وتصوراته ، مما يقتضي العرض التفصيلي لأهم الاتجاهات التي أسهمت في تكوين علم الأسلوب ، وأبرز الأفكار التي حددت مساره ، ورسمت مصيره

ثم يأخذ بعد ذلك في عرض الاتجاهات التي ظهرت في دراسة علم الأسلوب ، فيقدم لنا أولا المدرسة الفرنسية التي تهتم بتقنية التعبير اللغوي ، وقطب هذه المدرسة هو شارل بالي (١٨٦٥ ـ ١٩٤٧م) ، مؤسس علم الأسلوب ، وقد نشر عام ١٩٠٢م كتابه الأول (بحث في علم الأسلوب الفرنسي) ، ثم أتبعه بعدة دراسات أخرى مطولة ، نظرية وتطبيقية ، أسس بها علم أسلوب التعبير الذي يعرفه على النحو التالي هو العلم الذي يدرس وقائع التعبير من واقع الحساسية الشعورية من خلال اللغة ، وواقع اللغة عبر هذه الحساسية ، لأن مهمة علم الأسلوب الرئيسية ـ في تقديري ـ تتمثل في البحث عن الأنماط التعبيرية التي تترجم في فترة معينة حركات فكر المتحدثين وشعورهم باللغة ، ودراسة التأثيرات العضوية الناجمة عن هذه الأنماط لدى السامعين والقراء

فعلم الأسلوب عند بالي ليس بحثا في قسم معين من اللغة ، بل في اللغة بأكملها بملاحظة من زاوية خاصة

ثم يقدم لنا المؤلف بعد ذلك المدرسة الألمانية في علم الأسلوب التي تتميز بالمثالية ، ومن هذه المدرسة فوسلير الذي يولي علم الأسلوب أهمية كبرى ، باعتباره العلم الوحيد الجدير بأن يقدم شروحا

حقيقية للظواهر التي يصفها علم اللغة ، والتي يعتبرها معادلة للتعبير الروحي

في نهاية العقد الثالث من هذا القرن كانت المشكلة القائمة هي كيفية إدماج العناصر الأسلوبية في بنية العمل الأدبي الشاملة ، أو بعبارة أخرى اكتشاف العلاقة وتقديمها بين الأبنية الأسلوبية الصغرى ، والأبنية التركيبية الكبرى في وحدتها الجمالية ، وهذا ما حاول القيام به مجموعة من أقطاب النقد الموضوعي الذي يعتمد على وصف الأسلوب ، والابتعاد قدر الطاقة عن الوقوف عند حد نقد القيم الانسانية المتضمنة في العمل الأدبي ، لما في ذلك من طابع ذاتي ، لا يتكيء على الجسم اللغوي للعمل الأدبي

ومن النقاد الايطاليين والاسبان نجد أن أمادو ألونسو الاسباني يرى « أن علم الأسلوب يهدف الى المعرفة الحميمة للعمل الأدبي ، ولمبدعه عن طريق أسلوبه » ، لأنه يقدر أن كل خاصية لغوية في الأسلوب تطابق خاصية نفسية لدى الفنان

أما في الباب الثاني من الكتاب الذي أفرده « للإطار النظري لعلم الأسلوب » فقد قدم له بحديث عن مفهوم الأسلوب ، ونقل لنا عن ابن منظور قوله في لسان العرب « يقال للسطر من النخيل وكل طريق ممتد أسلوب فالأسلوب الطريق والوجه والمذهب ، يقال أنتم في أسلوب سوء ويجمع أساليب والأسلوب الطريق تأخذ فيه والأسلوب الفن يقال أخذ فلان في أساليب من القول أي في أفانين منه »

اسهامات ابن خلدون وغيره

أما ابن خلدون فيقول في مقدمته عن الأسلوب « إنه عبارة عن المنوال الذي ينسج فيه التراكيب أو القالب الذي يفرغ ، ولا يرجع الى الكلام باعتبار إفادته أصل المعنى الذي هو وظيفة الاعراب أي النحو ، ولا باعتباره إفادته كمال المعنى من خواص التركيب الذي هو وظيفة البلاغة والبيان ، ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب فيه ، الذي هو وظيفة العروض ، وإنما يرجع الى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية ، باعتبار انطباقها على تركيب خاص وتلك الصورة التي ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها ويعيدها في الخيال كالقالب والمنوال ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الاعراب والبيان فيرصها فيه رصا ، كما يفعل البناء في القالب ، والنساج في المنوال ، حتى يتسع القالب بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام ، ويقع على الصورة الصحيحة ، باعتبار ملكة اللسان العربي فيه ، فان لكل فن من الكلام اساليب تختص فيه وتوجد فيه على انحاء مختلفة

ومن الواضح ان هذا المفهوم التركيبي الدقيق للأسلوب إنما هو اصطلاحي لا لغوي ، ويسبق بقرون دخول الأسلوب في المصطلح النقدي الأوروبي ، فقد استخدم في النقد الألماني منذ أوائل القرن التاسع عشر في معجم جريم ، وورد لأول مرة في اللغة الانجليزية كمصطلح عام ١٨٤٦م طبقا لقاموس اوكسفورد ، ودخل القاموس الفرنسي لأول مرة كمصطلح عام ١٨٧٢م

أما الكونت بوفون فيقول عن الأسلوب « إن المعارف والوقائع والاكتشافات تتلاشى بسهولة ، وقد تنتقل من شخص لآخر ، ويكتسبها من هم أدنى مهارة ، فهذه الأشياء تقوم خارج الانسان ، أما الأسلوب فهو الانسان نفسه ، فالأسلوب إذن لا يمكن أن يزول ، ولا ينتقل ، ولا يتغير »

لكن المؤلف عندما أراد تحديد علم الأسلوب عاد إلى مقولة المدرسة الفرنسية القائلة بأن علم الأسلوب هو « دراسة طريقة التعبير عن الفكر من خلال اللغة » ، وهذا تعريف مبسط مقبول في جملته ، لكنه يثير عددا من المشاكل ، أهمها مفهوم كل من الفكر واللغة الذي يوشك أن يتسع تدريجيا حتى يشمل جميع وجوه النشاط الانساني في الحياة عبر التاريخ

ثم ينتقل بنا بعد ذلك ليوضح لنا « دور علم اللغة

في نشأة علم الأسلوب ، ودعمه ، ومده بمقولاته ، والصلة الحميمة بينهما التي قد تتشكل أحيانا في جداول كاملة من التوافقات والتخالفات »

ثم علاقة علم الأسلوب بعلوم البلاغة ، فيطلق الشكل البلاغي ، على الصيغة الكلامية التي تتسم بحيوية أشد من اللغة العادية ، وتهدف إلى جعل الفكرة محسوسة عن طريق المجاز ، كما تلفت النظر بدقتها وأصالتها » ، وترتفع بمستوى الأسلوب

لكنه ينتهي بعد حديث طويل إلى هذه النتيجة

« وعندما شب علم الأسلوب أصبح هو البلاغة الجديدة في دورها المزدوج كعلم للتعبير ونقد للأساليب الفردية »

أما الباب الثالث من الكتاب فقد جعله المؤلف للحديث عن « مستويات البحث وإجراءاته » ، واستهله بأهداف البحث الأسلوبي ومناهجه ، فقال « تقوم الأهداف العامة للبحث الأسلوبي على أساس نظرية علم اللغة التطبيقي ، مما يدعو للاهتمام بالوسائل المنهجية المشتركة بينهما ، ويصبح على البحث الأسلوبي أن يعني في المقام الأول بتحديد موضوعه ، والهدف الأخير الذي ينشده ، إذ يمكن تطبيق إجراءات التحليل الأسلوبي بطرق مختلفة .

المفهوم الوظيفي للأسلوب

أما المفهوم الوظيفي للأسلوب فيعترف المؤلف هنا بأنه « يعتمد على فكرة قديمة تتصوره ابتداء كعملية اختيار واعية لعناصر لغوية معينة ، وتوظيفها عن قصد لاحداث تأثير خاص هو التأثير الأسلوبي »

لكنه ينتهي في هذا الباب إلى معادلات رياضية ، يرى تطبيقها على أساليب اللغة كما يطبقها المهندس في رسمه لمخطط ما ، أو المحاسب في حساباته المركبة وهكذا يرى أن تتحول دراسة الأسلوب إلى الحاسب الآلي بدلا من التذوق الانساني

ولا ننكر أن المؤلف قد حذر من عواقب هذا المنهج الاحصائي الذي يعتز به لسبب مؤقت ، هو أن « معظم باحثي الأسلوب لا يجيدون التقنية الاحصائية ، بل ينفرون عادة منها ، مما يجدر معه أن لا نحملهم على مشقته دون ضرورة »

فهي ضرورة مرحلية في رأيه ، حتى يتعلم النقاد هذه المعادلات الرياضية

ورغم ذلك فإنه يختتم هذا الباب بقوله « ونخطيء السبيل إن قصرنا البحث الأسلوبي على مجموعة من الاجراءات التجريبية ، وظننا أنها تلغي ما قبلها من محاولات مخلصة لابراز معالمه ، بل إنها قد لا تؤدي في نهاية الأمر إلى تأكيد لمحة نقدية حدسية ، لمعت في ذهن باحث متوقد الحس » . فإذا كانت هذه هي النتيجة فهل كانت تستحق كل هذا العناء الذي حملنا عليه في كتابه ؟ وهل خرجنا بجديد حقا من دائرة علوم البلاغة المحصور في البيان والمعاني والبديع ؟ لا سيما أن الباب الأخير من الكتاب وهو « دائرة الخواص الأسلوبية » قد بدأه بالحديث عن المجاز والاستعارة وعلاقتهما بالدراسات الأسلوبية

وهو يرى أن « مشكلة الصورة الأدبية هي امتداد عضوي للحديث عن المجاز ، فلا يمكن أن يكون ثمة حد فاصل بين المجاز والصورة ، إذ أن الموضوع واحد في كلتا الحالتين ، والاختلاف الوحيد بينهما يكمن في زاوية الرصد ، والمصطلح الفني فحسب ، وتتميز الصورة في جميع الأحوال بصبغتها التشكيلية ، وبتعدد وظائفها ، وكثرة علاقاتها ، مما يجعلها من أقدر الوسائل على تقديم الرؤية الشخصية ، والمزاج المتفرد للكاتب ، وعندئذ يصبح دورها حاسما في تحديد الأسلوب »

وخير ما نختتم به هذا الحديث ما قاله الدكتور صلاح عن كتابه في تواضع العلماء

حسب هذه الدراسة أن تكون امتدادا لجهود الرواد الأوائل في فن القول والأسلوب في أفقنا العربي ، وأن تلقي حزمة ولو يسيرة من الضوء على تطور الدراسات الأسلوبية الحديثة □

مكتبة العربي

مختـــارات

الكتاب عصر البنيوية ـ من ليفي شتراوس الى فوكو
المؤلفة اديث كيرزويل
ترجمة د جابر عصفور
الناشر دار آفاق للطباعة والنشر ـ بغداد
عدد الصفحات ٢٦٠ من القطع الكبير
سنة النشر ١٩٨٥م

عندما نشر هذا الكتاب مترجما منذ عامين لم تكن البنيوية تيارا يشمل علوم اللغة و « الانثروبولوجيا » والفلسفة والتاريخ الاجتماعي والنقد الأدبي قد بدأت بفقدان بريقها الذي اكتسبته في وطننا العربي في وقت متأخر على أي حال

ومع ذلك فالكتاب له فضيلة الشمول والتبسيط الذي يجعل منه كتابا تعليميا على الرغم من بعض الثغرات الموجودة فيه التي نبه المترجم القارىء اليها ، وهي تتلخص أساسا في كون الكتاب « أمريكي » النزعة ، لايخلو من توجيه « ايديولوجي » من جانب المؤلفة للقارىء ، مما يفقد هذا الكتاب المهم بعضا من رصانته

■■

الكتاب واكتشفت عالما جديدا ـ دفاتر أوزبكية
ترجمة دار رادوغا للطباعة والنشر
الناشر دار رادوغا للطباعة والنشر ـ موسكو
عدد الصفحات ١٩٨ من القطع الكبير
سنة النشر ١٩٨٦م

تضم هذه « الدفاتر الأوزبكية » مجموعة من القطع الأدبية الشعبية « والكلاسيكية » في جمهورية أوزبكستان السوفيتية

وتتضمن هذه القطع بعض الأمثال الشعبية والقصائد الغنائية والنصوص التي تتضمن وصفا لمدن أوزبكستان بأشجارها وأبنيتها

كما تضم هذه الدفاتر أعمال أهم شعراء اوزبكستان الكلاسيكيين وأدبائها مثل علي شيرانوائي ، صاحب ملحمة « ليلي والمجنون » ، القريبة من قصة قيس وليلى ، وملحمة النامتيس الشهيرة في الأدب الاوزبكي

■■

الكتاب الفلسطينيون ـ التهجير القسري والرعاية الاجتماعية
المؤلف خليل السواحري
الناشر دار الكرمل ـ عمان
عدد الصفحات ١٠٦ من القطع المتوسط
سنة النشر ١٩٨٦م

تتابع هذه الدراسة حركة الشعب الفلسطيني في ظل ممارسات تسير في اتجاهين متعاكسين ، يتمثل النوع الأول منها في حركة التهجير القسري التي يتعرض لها الشعب الفلسطيني على أيدي سلطات الاحتلال « الاسرائيلية » التي تأخذ أشكالا قمعية مختلفة ، والنوع الثاني هو تلك الأشكال من الرعاية الاجتماعية التي تقدم للفلسطينيين في الداخل ، سواء

من خلال جمعيات أو منظمات فلسطينية أو عربية أو دولية وتبرز هذه الدراسة حقيقة مأساوية، تتلخص في أن أشكال التهجير القسري تزداد، بينما تتناقص باستمرار موارد برامج الرعاية الاجتماعية التي أنشئت أصلا لمواجهة عمليات التهجير القسري

■ ■

الكتاب سبتة ومليلية حتى لا ننسى
المؤلفان محمد المعروري، وجعفر بن عجيبة
الناشر شركة الهلال العربية للطباعة والنشر - الرباط
عدد الصفحات ٢٥٠ صفحة
سنة النشر ١٩٨٧م

في غمار المعركة التي يخوضها الشعب المغربي لاسترجاع المدينتين السليبتين - سبتة ومليلية - تظهر هذه الدراسة الشاملة في أربعة أبواب، عالج المؤلفان في الباب الأول مسألة الموقع الجغرافي للمدينتين، مع لمحة عن تاريخهما منذ الفتح العربي، مرورا بالاحتلال البرتغالي، ثم الاحتلال الاسباني لثغور المغرب الشمالية، ويحدد الكتاب عدد سكان سبتة بـ ٧٢ ألف ساكن، منهم ٢٨ ألف مغربي، حصل ألف مغربي منهم على الجنسية الاسبانية، كما يوجد فيها ٢٥٠٠ من اليهود الاسبان، و ٥٠٠ من اليهود الأجانب، وأكثر من ألف هندي بالاضافة الى عدد كبير من الجنود الاسبان، يقارب مجموع سكان المدينتين، أما الباب الثاني فيحتوي تعريفا بمدينة مليلية وتاريخها، وقد تأسست عام ٩٢ للهجرة، وقد استعمرها الاسبان عام ١٤٩٧ م ويتناول الباب الثالث وضع جزر الشواطئ المغربية التي مازالت تحتلها اسبانيا، وهي جزر ملوية، والجعفريات الثلاث، وجزيرة النكور، وجزيرة بادس، وجزيرة البوران، وجزيرة الثورة ويبحث الباب الرابع تطور الصراع الدبلوماسي منذ عام ١٩٤٧، وهو تاريخ المطالبة باستقلال المغرب، ومن أجل استعادة المدينتين والجزر السليبة

■ ■

الكتاب النوابة
المؤلف د عبد الهادي عبد الرحمن
الناشر المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر
عدد الصفحات ١٢٥ صفحة
سنة النشر ١٩٨٧م

يحاول د عبد الهادي عبد الرحمن في روايته - النوابة - أن يضع بين يدي القارئ الجزائري صورة عن مرحلة مهمة من تاريخ مصر، وهو يرصد ظاهرة الهجرة من الريف الى المدينة، ويحلل الأوضاع الطبيعية والاجتماعية التي تدفع الريفيين الى ترك قراهم، والبحث عن مصدر للعيش في المدينة

وصورة المهاجر كما يعكسها د عبد الرحمن في هذه الرواية هي صورة الانسان المندهش الذي يقف مذهولا أمام متناقضات المدينة، ويعيش فترة طويلة تحت صدمة انهيار القيم الأخلاقية الدوية، فيشعر بالاحباط والقرف، ويعجز عن الاندماج في المجتمع الجديد، لكنه يعود فينسجم مع بيئته الجديدة بعد فترة، ويفهم كل ماجري حوله بعمق و

حة الأدوية التي تحدد

■ لماذا نخاف الموت إذا كنا على حق ؟ خير للمرء اعدادها وفق معادلاتها ☐
فكرته، من أن يعمر طول الدهر خائنا له

مسابقة العربي الثقافية

العـــدد ٣٤٧

اكتوبر ١٩٨٧

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارًا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية
قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الاجابة عن عشرة اسئلة من الأسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي مجلة العربي ـ صندوق بريد ٧٤٨ ـ الرمز البريدي **13008** ـ الكويت مسابقة العربي العدد ٣٤٧ وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو ١٥ نوفمبر ١٩٨٧

١ ـ يروى عن أحد أطباء السلف الصالح من العلماء أنه خرج من الحمام عاريا ، يطلب ورقا وريشة وحبرا ، ليبدأ كتابه عن النبض ، حتى اذا فرغ رجع ثانية الى الحمام وكأن شيئا لم يكن فمن هو هذا العالم الطبيب ؟

* ابن النفيس * البيروني * ابن الهيثم

٢ ـ من هو أول طبيب ظهر في الاسلام ؟

* الكندي * ثابت بن قرة * الحارث بن كلدة

٣ ـ ان الهدية التي قدمها امبراطور القسطنطينية الى عبد الرحمن الثالث حاكم الاندلس ، وذلك بقصد استمالته والتحالف معه ، لم تكن الا كتابا من كتب الطب اليوناني القديمة ترى من مؤلف ذلك الكتاب ؟

* ابقراط * جاليوس * ديوسقوريدس

٤ ـ تراثنا الطبي يشمل كتبا كثيرة كما هو معروف ، الا أن أحد هذه الكتب يحتل مكانا بارزا بينها ، فهو يضم مليون كلمة ، ويقع في خمسة مجلدات ضخمة فما اسم هذا الكتاب ، وما اسم مؤلفه ؟

٥ ـ الرازي أحد عمالقة الطب في الاسلام ، ألف ١٨٤ كتابا ، منها ٥٦ كتابا في الطب ترى ما اسم أشهر كتبه الطبية هذه ، وما هو عدد أجزائه ؟

* الحاوي * كتاب المنصور * كتاب الجدري والحصبة

٦ ـ لقد ظهرت الصيدلية الأولى في التاريخ في بغداد في القرن الثامن الميلادي ترى في عهد أي الخلفاء ظهرت ؟

٧ ـ ضياء الدين بن البيطار أحد كبار أطباء السلف الصالح وعلمائهم،اشتهر بكتابه (الجامع

أرفق الحل مع هذا الكوبون

الكتاب واكتشف
ترجمة دار رادوعا للطباعة
الناشر دار رادوعا للطباعة وال
عدد الصفحات ١٩٨ من القطع الك
سنة النشر ١٩٨٦م

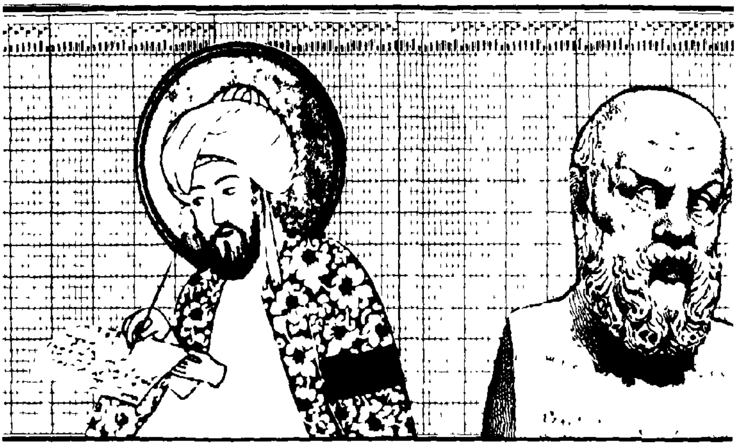

ابقراط

ابن سينا

لأدوية المفردة) الذي تحدث فيه بتفصيل عن
١٤ عقار . فأين ولد ابن البيطار ، وأين
؟

ذهب الأطباء اليونان وعلى رأسهم ابقراط الى
يح الجروح ظاهرة صحية سوية ، لايجوز
ف الجروح من قيحها . ترى هل أقرهم ابن
على ذلك ؟

م أقرهم عليه كما أقرهم على معظم المواضيع
ظريات الطبية الأخرى
لا لم يقرهم عليه ، بل عارضهم ،
دهم

كتب أطباء السلف الصالح في الاسعافات
ية ، ولعل أشهر كتبهم في هذا المجال هو
(غنية اللبيب عند غيبة الطبيب)
مؤلف هذا الكتاب ؟

* علي بن ربان الطبري * ابن الهيثم * شمس الدين الاكفاني

١٠ ـ من هو أعظم جراحي السلف الصالح ؟

* الرازي * ابن سينا * أبو القاسم الزهراوي

١١ ـ يروى عن أحد قدامى الأطباء المسلمين أنه نجح في معالجة والي بخارى ، حيث فشل كبار أطباء عصره ـ وكان ذلك الطبيب فتى لم يتجاوز السادسة عشرة من عمره . فمن هو هذا الطبيب ؟

* الرازي * الطبري * ابن سينا

١٢ ـ الأقرباذين مصطلح يتردد كثيرا في تراثنا الطبي . فماذا يعني هذا المصطلح ؟

* انه اسم طبيب فارسي شهير
* انه اسم طبيب هندي شهير
* يعني المصطلح لائحة الأدوية التي تحدد خصائصها ، وطرق اعدادها وفق معادلاتها □

حل مسابقة العدد ٣٤٤

١ ـ يسير الصوت عبر الماء بسرعة تفوق سرعة سيره عبر الهواء بخمس مرات أو تزيد ، وقل مثل ذلك في المسافة التي يقطعها ، لذلك كان صوت التفجير الذي قطع مسافة ٤٠٠٠ ـ ٥٠٠٠ كيلو متر هو الصوت الذي انتقل عبر ماء البحر وتجدر الاشارة هنا الى تجربة أجراها علماء جامعة كولمبيا في نيويورك سنة ١٩٦٠ ، فقد استطاعت أجهزتهم الدقيقة تسجيل صوت التفجير الذي أحدثوه في مياه البحر عند استراليا ، فاستطاعت تسجيله في برمودا بعد مضي ساعتين وأربعة وعشرين دقيقة ، والمسافة بين استراليا وبرمودا تعادل نصف محيط الكرة الأرضية تقريبا !

٢ ـ التلسكوب لايكبر النجوم ، لكنه يزيدها بريقا ووضوحا ، فنحن لانرى من نجوم السماء سوى بصيص النور ، والنور لايمكن تكبيره ، لكن يمكن مضاعفة بريقه ولمعانه

٣ ـ الامبراطور شارلمان هو الذي اعتبر كل من يهبط الى الأرض على متن طبق من الأطباق الطائرة مجرما ، يستحق العقاب

٤ ـ أصدر لنكولن اعلانه بتحرير العبيد سنة ١٨٦٣ ، أي ابان الحرب الأهلية التي طال أمدها نحو ٤ سنوات (١٨٦١ ـ ١٨٦٥) ، لكن الرق بقي قائما في كثير من الولايات بعد صدور ذلك الاعلان ، على أن الاجراء الذي وضع حدا للرق في الولايات المتحدة الامريكية كان بالقانون الدستوري (أو بالتعديل رقم ١٣) الذي أصدره الكونجرس سنة ١٨٦٥ ، والذي يعود الفضل في اصداره الى الرئيس لنكولن الذي سمي اثر ذلك محرر العبيد

٥ ـ نكازاكي هي المدينة اليابانية التي ضربت بالقنبلة الذرية الثانية في ٩/٨/ ١٩٤٥ ، وقد أعلنت اليابان استعدادها لمفاوضات السلام في ١٠/٨/ ١٩٤٥ ، أي عقب قنبلة نكازاكي مباشرة

٦ ـ درجة الصفر المطلق لاتوجد في القطب الشمالي أو القطب الجنوبي أو في سيبيريا ، أو في أي مكان آخر على سطح الكرة الأرضية ، فهي بمثابة الدرجة (النظرية) الدنيا التي اصطلح عليها العلماء ـ ومما يذكر أن هؤلاء العلماء قد تمكنوا من احداث درجة برودة قريبة من درجة الصفر المطلق ، وذلك في المختبرات

٧ ـ رياضة الجودو هي المصارعة اليابانية التي اقتبسوها عن الجوجتسو في الدفاع عن النفس دون سلاح وهي فن صيني قديم ، ويعتبر جيجورو صاحب الفضل في تطوير الجودو سنة ١٨٨٢

يوليو ١٩٨٧

٨ ـ سويسرا هي هلفسيا ، كما تدل على ذلك طوابعها البريدية

٩ ـ بلغ وزن دروع الفارس في أوروبا في القرون الوسطى ٢٢,٦ كيلوغراما على وجه التحديد

١٠ ـ يذهب كثير من المؤرخين الى أن نيرون هو الذي أحرق روما سنة ٦٤م ، وذلك بقصد الاستمتاع برؤيتها وهي تحترق ، لكن بعض المؤرخين ينفون ذلك

١١ ـ الأناكوندا ثعبان ضخم ، قد يبلغ طوله ١١ مترا ، ويعيش هذا الثعبان العملاق في الأنهار والمستنقعات في أمريكا الجنوبية

١٢ ـ المد والجزر هو السبب ، وقد فوجيء به يوليوس قيصر ، واضطر لقضاء بعض الوقت لاصلاح سفنه قبل العودة الى روما □

* * *

الفائزون في مسابقة العدد ٣٤٤ يوليو ١٩٨٧

الجائزة الأولى كمال السويلمي آسفي/ الحريفات ـ زنقة كمال ـ المملكة المغربية
الجائزة الثانية نصرة أنور علي مشالي/ بورسعيد ـ جمهورية مصر العربية
الجائزة الثالثة غازي جميل الكحلوني/ كلية الحقوق ـ جامعة دمشق ـ الجمهورية العربية السورية

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ **نجاة سلام/** الدار البيضاء ـ المملكة المغربية
٢ ـ **المنجي الوعلاني/** شارع أكتوبر/ الحي العسكري ـ الجمهورية التونسية
٣ ـ **ماجدة عز الدين صالح/** ود مدني ـ السودان
٤ ـ **مراد عاطف علاء الدين أبو در/** عمان ـ الأردن
٥ ـ **أحمد يونس ملا سعيد/** الرهة ـ الكويت
٦ ـ **نجاح ابراهيم محمد همام/** الاسماعيلية ـ جمهورية مصر العربية
٧ ـ **نايفة ابراهيم منصور/** شاغور/ دمشق ـ الجمهورية العربية السورية
٨ ـ **نديم حامض/** الكلية الجامعية للعلوم والآداب والتربية ـ دولة البحرين

معركة بالسلاح

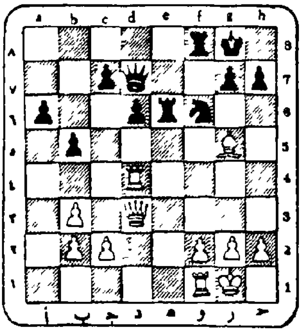

☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐

من أبرز الأنشطة الشطرنجية المقامة في العاصمة المغربية المباراة التي نظمتها المطقة الخامسة التابعة للجامعة الملكية المغربية للشطرنج ، في مطلع شهر ابريل من العام الحالي ، والتي أطلقت عليها اسم دوريّ الأساتذة ، لاقتصارها على كبار اللاعبين المغربيين ، الحاصلين على لقب أستاذ ، وقد أُقيمت المباراة تكريماً للاعب المغربي الكبير الأستاذ المختار القادري ، بطل المغرب لعام ١٩٦٩ ، وواضع حجر الأساس للنادي الفاسي للشطرنج عام ١٩٥٨ .

بدأ الأستاذ المختار القادري نشاطه الشطرنجي الرّسْمي مع بداية الأربعينيات من هذا القرن ، فقابل عدداً كبيراً من كبار الأساتذة الدوليين الذين أقرّوا له بالأستاذية ، والتّمرّس في فنون اللعب ، كما شارك في جميع البطولات الشطرنجية والدولية ، منذ عام ١٩٦٥ حتى عام ١٩٧٧ عندما أقعده المرض ، وحال بينه وبين متابعة نشاطه الشطرنجي وقد كان عضواً أساسياً في فريق بلاده ، في عدد كبير من الألمبيادات ، منها أولمبياد عام ١٩٦٦ في كوبا ، و ١٩٦٨ في سويسرا ، و ١٩٧٠ في ألمانيا ، و ١٩٧٢ في يوغسلافيا ، و ١٩٧٦ في القطر الشقيق ليبيا

وقد اشترك في دوري الأساتذة الذي نحن بصدده ثمانية من الأساتذة ، منهم الأستاذ الدولي محمد مبارك ريان ، بطل المغرب لعامي ٨٢ و ٨٥ ، و الأستاذ الدولي قاسم ريّان ، والأستاذ الوطني مصطفى البقالي ، بطل المغرب في ١٩٦٥م ، ١٩٦٦ ، ١٩٧٣م ، والأستاذ الوطني أحمد سيس ،

والدور التالي الذي اخترناه لكم من هذا الدوري من الأدوار المميزة لبطل المغرب الحالي السيد عبد الحميط العمري

☐ خالد الشرقي	■ عبد الحميط العمري
٢٢) ب ٤	و - و ٧
٢٣) ر - حـ ٤	حـ ٦
٢٤) ف - هـ ٣	جـ ٦
٢٥) حـ ٤	د ٥
٢٦) ب ٣	ر (و) - هـ ٨
٢٧) حـ ٣	ر - هـ ٤
٢٨) ر × هـ ٤	ر × هـ ٤
٢٩) حـ × د ٥	و × د ٥
٣٠) و - حـ ٢	ر × ب ٥
٣١) ر - د ١	و - هـ ٤

الفائزون في حل مسابقة الشطرنج

العدد ٣٤٤

يوليو ١٩٨٧

الفائزون باشتراك سنة كاملة

١ ـ عميفة عبداللطيف أبـو عيسى/ اربد ـ الاردن

٢ ـ د رنـدا عبدالـرحمن حسن/ القاهرة ـ مصر

٣ ـ مصـطفى الحمعـة/ الـدرعيـة ـ سوريا

٤ ـ عبدالحميد طيب أحمـد/ محافـطة الأنبار ـ العراق

٥ ـ رؤوف رابح/ المطويه ـ توس

المائزون باشتراك ستة أشهر

١ ـ اسماعيل أحمـد محمد النعـاس/ الخمس ـ ليبيا

٢ ـ عكرمة خليل بكر نور/ حولي ـ الكويت

٣ ـ ابن حقي محرز/ تطوان ـ المغرب

٤ ـ شـريف محمود عبـدالمطلب/ السويس ـ مصر

٥ ـ علي محمد الشعيبي/ الرياض ـ السعودية

مصطراً لتمادي كش مات

٣٢) ر د ٨ +	م - حـ ٧
٣٣) و - د ١	ح - د ٥
٣٤) ف - حـ ٥	ح - حـ ٣
٣٥) و د ٦	ر × ب ٣

محققاً كسبا ماديّا ملحوظاً

٣٦) و ب ٨	ح - هـ ٢ +
٣٧) م - حـ ٢	و - و ٤ +
٣٨) و × و ٤ (مصطراً)	ح × و ٤
٣٩) ر - أ ٨	ح - د ٣
٤٠) ف - و ٨	حـ ٥
٤١) ر × أ ٦	حـ ٤
٤٢) ر - أ ٧	جـ ٣

غير عابىء بالتهديد الأجوف

٤٣) ر × ر ٧ +	م - حـ ٨
٤٤) ر - حـ ٧	ب ٤
٤٥) ف × حـ ٦	ح - هـ ١
٤٦) ر - هـ ٧	ر - ب ١
٤٧) ر - حـ ٧	حـ ٢
٤٨) ف - د ٢	ب ٣

ولا يجد الأبيص بدأ من الاعتراف بالهزيمة

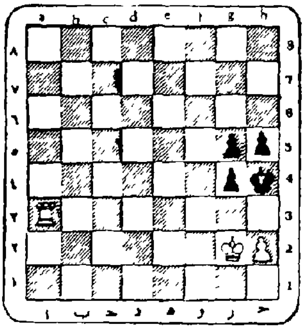

مسألة العدد ٣٤٧ عدد أكتوبر ٨٧

مات ٤

إهـداء القـاريء محمـد المـرزوقي
(أبـو ظبي)

حل مسألة العدد ٣٤٥
أغسطس ٨٧

١) ف - ز ٥ +	حـ × ز ٥
٢) و × ر ٥ +	م × و ٧
٣) ر - هـ ٧ +	م - ر ٨
٤) و × ر ٧ كش مات	

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

على هذه الصفحات .. ترحب "العربي"

حوار القراء ..

« عتاب من كاتب » في جزء من رسالة .

الأخ الكريم الاستاذ الدكتور محمد الرميحي
رئيس تحرير مجلة « العربي » الغراء ،

تحية أخوية طيبة ، وبعد

لم تسمح لي الظروف من قبل ، أن أكاتبكم وأبدي ملاحظاتي حول المقابلة التي جرت بيني وبين الكاتب الاستاذ أبو النجا ، ولا سيما حول الجزء المتعلق بحياتي ، والتي نشرتها « العربي » بتاريخ فبراير ١٩٨٧ / عدد ٣٣٩

ان الاستاذ أبو النجا الذي أحترمه وأحترم كتاباته ، والذي أجاد كل الاجادة في « ريبورتاجه » عن الجزائر ، قد فهم عني فيها خاطئا ما أثرته أمامه من ذكريات حول دراستي وحياتي

فلم أقل « وصادف في هذا الوقت أن كانت هناك مسابقة في فرنسا لتكوين مخرجين اذاعيين للعمل في الاذاعة الجزائرية فدخلت المسابقة ، وحصلت على منحة لدراسة الاخراج الاذاعي

(ص ١٣٠)

ان قولا مثل هذا يضع الاستعمار الفرنسي في الوضع الذي لا يستحقه ! فأنا لم أحصل على منحة ، ولا كانت مشاركتي في المسابقة من أجل العمل في الاذاعة الجزائرية التي كانت حينئذ في يد الاحتلال الفرنسي

صحيح ، شاركت في المسابقة ، ونجحت ، ودرست الاخراج الاذاعي ، لكني لم أحصل على منحة ، فلم تكن فرنسا تمنح المنح للجزائريين !

ان أبو النجا لم يفرق بين عهدين ، عن حسن نية ، ثم أنه فيما يتعلق بدراستي لم يشر حتى الاشارة الى قسنطينة ثم تونس اللتين درست بهما الى نهاية التعليم العالي !

عبد الحميد بن هدوقة
الجزائر

العربي

- يسرنا أن ننشر هذا الجزء من رسالة الكاتب الكبير عبد الحميد بن هدوقة ، والذي يوضح فيه بعض المعلومات عن حياته التي وردت في المقابلة معه في باب « وجها لوجه » بطريقة فيها شيء من اللبس ، واننا نقبل عتاب الكاتب الكبير ونشير الى أنه يحدث أحيانا أن نضطر الى إجراء بعض الاختصارات في اللحظات الاخيرة لملائمة المساحة المحددة للباب ، ولعله في نشر هذا الجزء من الرسالة ما يحقق التوضيح اللازم ، مع شكرنا للكاتب الكبير لمعاودته الكتابة القصصية لقراء العربي

بنشـــر ملاحظــات وتعليقــات قرائها الأعزاء على ما ينشــر فيها من آراء وتحقيقات

أطفال الأنابيب

قرأت في عدد مارس سنة ١٩٨٧ عن سؤال لمواطن عربي سوري من « ادلب » ، يسأل عن عمليات أطفال الأنابيب ، وأين تتم ؟ وقد جاء في ردكم عليه أنها متوافرة في البلدان الأوروبية . وإنه ليسعدني أن أخبركم بأننا نقوم بهذه العملية في مستشفى الخالدي بعمان ، بالأردن ، وبإشراف الدكتور زيد الكيلاني مع فريق مساعد من الأطباء

ويتم حاليا التوسع في ذلك بإنجاز المركز الأردني للعقم ، وبإشراف الدكتور زيد نفسه

كما أن هناك عدداً من الحالات الناجحة التي سيعلن عنها فور حصول الولادة ، بعد أشهر قليلة ، حيث سيتم تصويرها تلفزيا

وقد ترجم الدكتور زيد كتابا حول الحمل ، حيث يتطرق إلى كل التفاصيل المتصلة بهذه العملية ، وهو من تأليف الدكتور (غوردن بورن)

طبيب بمستشفى الخالدي

في السموات والأرض

● طلعت علينا مجلة العربي - كما عودتنا دائما - بموضوعين علميين شيقين ، نشرا في عددها رقم ٣٣٩ لشهر فبراير ١٩٨٧ ، أحدهما في علم الفلك بعنوان « رحلة إلى حافة الكون » والآخر في علم الجيولوجيا والمعادن بعنوان « الكوارتز كنز في باطن الأرض »

وقد قرأت هذين المقالين ، وأول شيء لفت نظري ، وأثار انتباهي هو الصور (الفوتوغرافية) التي أخذت ، وظهرت على صفحات المجلة ، بشكل جعلني أشعر وكأنني أركب سفينة فضاء ، فأرى تلك المجرات ، وعناقيدها ، ودواليها ، والكازارات ، رأي العين ، ونفس الشيء يقال عن حلى الكوارتز والبلورات الصخرية والأوبال وغير ذلك ، مما هو في باطن الأرض ، هذا إلى جانب جودة الحقائق العلمية المطرزة بالأرقام الكبيرة وربطها بالتراث الفكري والحضاري القديم والحديث ، في أسلوب سلس ، يشجع على الاطلاع والمعرفة ، مع ربط ذلك بالمستقبل ، وما سيكون فيه - إن شاء الله - من اكتشافات علمية جديدة

وبناء على ماتقدم فانني أتوجه بتحيتي وإعجابي وتقديري وشكري لكاتبي هذين الموضوعين الرائعين ، الأستاذ سمير صلاح الدين شعبان ، والأستاذ رءوف وصفي ، على ما أمتعانا به من معلومات ثرية ، نابعة من بحار علمية صافية ، ومن أسلوب سهل الاستيعاب ، وأناشد مجلة « العربي » الاكثار من هذه الموضوعات العلمية ، وموافاتنا بها ، خاصة في مجالي الفلك والجيولوجيا ، والاهتمام بكل ما هو جديد في عالم الاكتشافات .

أشرف فوزي دياب

ج . م . ع - دمياط مصر

البيان في أسباب نزول القرآن

ورد في العدد ٣٣٧ ، ديسمبر سنة ١٩٨٦ ، من مجلة « العربي » ، في باب « البيان في أسباب نزول القرآن » ، للاستاذ حسين أحمد أمين ، بأن الله سبحانه وتعالى قد نقض العهد في النساء ، ثم تلا « يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات »

حوار القراء..

العربي
ص ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

وأود بهذا الخصوص أن أعلق بما يلي

كيف يتصور من الله تعالى العالم بما سيكون أن ينقض عهدا ، أو من رسوله ﷺ الذي أصر على قبول بنود صلح الحديبية حين راجعه عمر رضي الله عنه قائلا « أنا عبد الله ، ورسوله ، لن أخالف أمره ، ولن يضيعني » السيرة لابن هشام ٢/ ٣١٧

فالأولى أن يقال كما قال ابن القيم ، رحمه الله تعالى

« لم يقع الشرط إلا على الرجال خاصة ، وأراد المشركون أن يعمموه في الرجال والنساء ، فأبى الله ذلك » زاد المعاد / ٢/ ١٢٧

وفي الصحيح أن الآية : « يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات » وقد نزلت يوم الحديبية ، على رسول الله ، ﷺ ، حين صالحهم ذكره ابن كثير في تفسير ٤/ ٥٣١

فأخذا برواية البخاري وهي أصح الروايات فإن عقد الصلح لم يشمل إلا الرجال ، ولم يتناول النساء ، فلما جاءت النساء مهاجرات إلى رسول الله ، وهو بأسفل الحديبية ، أنزل الله الآية الكريمة « يا أيها الذين آمنوا إلخ »

إذن فلا نقض من الله تعالى لعهد ، ولا فسخ من رسول الله ﷺ ، والله ولي التوفيق

عبد الرحمن اسحق
دمشق

القتلة البيض

قرأت في العدد الممتاز رقم ٣٣٨ ، يناير سنة ١٩٨٧ ، المقال الذي كتبه الدكتور محمد نبهان سويلم بعنوان « القتلة البيض » ، وقد أعجبت كثيرا بهذا المقال ، لما يتضمنه من مادة علمية طبية ، فضلا عن بحث الآثار الاجتماعية لإدمان هذا النوع من المخدرات ، لكن استوقفتني ناحية ، تتعلق بأصول هذه المواد ، فعندما عادت بي الذاكرة إلى أيام الدراسة تذكرت أن الأستاذ البلغاري « الدكتور دروميف » قد أشار في بحث له يدور حول الموضوع نفسه أن كلمة « OPIUM» اللاتينية ، وهي الأصل الذي تفرعت عنه كلمة « القتلة البيض » من مورفين وكودين إلخ » مأخوذة من الكلمة العربية « أفيون » ، ولا شك أن ورود عبارة مثل هذه في كتاب جامعي ، يدرس في جامعة (صوفيا) لهو أكبر اعتراف بأن العرب قديما قد خبروا هذا العقار المهم قبل غيرهم ، وعن طريقهم انتقل إلى أوروبا وقد أسهب الدكتور سويلم في استعمالات شعوب كثيرة لهذا العقار ، بل وأثنى على بعضها لجهود بعض أفرادها في تطوير العلوم ، ولم يورد كلمة واحدة عن العرب فهل يجوز لنا نحن العرب ألا نسلط الضوء على دورنا في تطوير العلوم ، في مقال ينشر في مجلة تحمل اسم « العربي » ، بينما يظهره الآخرون ، في كتاب جامعي ، وليس لهم في ذلك مصلحة ، سوى إثبات وقائع تاريخية ، كأمانة علمية ؟ ! بقي لي أن أشير ـ أيضا ـ إلى أنه ورد في المقال أن « المورفين » سمي بذلك نسبة إلى إله الأحلام « ارفيوس » ، بينما ورد في الكتاب الجامعي المذكور أنه « مورفيوس » ، وفي اعتقادي أن هذا الاسم الأخير هو الصواب ، ولو لم يكن كذلك لكان أجدى به أن يطلق كلمة « أورفين »

د/ مدحت عطية
سوريا / بانياس

نشكر للقاريء الكريم متابعته ، وإذ ننشر تعقيبه نود أن نشير إلى أنه قد أرفق بهذا التعقيب صورة من بحث الدكتور « دروميف » باللغة البلغارية الذي أشار إليه في كلمته

· حاضر اللغة العربية في تركيا

● نفذت جامعة اليرموك بالمملكة الأردنية ـ شكر الله لها ـ اتفاقية بين الحكومة الأردنية والحكومة التركية ، تمثلت في إرسال سبعة من أعضاء هيئة التدريس ، ممن يحملون درجة الدكتوراة ، لتدريس العربية لمدة سنة ونصف في أربع جامعات تركية ، هي جامعة الشرق الأوسط ، وجامعة أنقرة ، وجامعة تبه ، وجميعها في أنقرة ، وجامعة بوغازجي في استانبول ، وهي خطوة من خطوات عديدة ، يمكن العمل معها على تحقيق حضور أكثر للغة العربية في تركيا ، بشكل بارز ومتميز ، ونتيجة لجهود عديدة ـ إن كانت غير كافية ـ قامت بها بعض المؤسسات في بعض البلدان العربية أصبحت العربية كغيرها من اللغات الأجنبية الأخرى ذات القيمة الخاصة في تلك البلاد ، ومن مظاهر ذلك مثلا اتخاذ قرار تبناه مجلس التعليم العالي ، ينص على جعل العربية كغيرها من اللغات الأجنبية (الانجليزية والالمانية ، والفرنسية ، والاسبانية ، واليابانية ،) يمكن لمن يتقنها ـ إضافة إلى اللغة الأصيلة ـ أن يمنح رتبة علمية راقية ، ومنها إصدار جريدة ، تعنى بشؤون تركيا باللغة العربية ، وتوزع على الجهات ذات العلاقة ، أما في المجال التعليمي فهناك خمسمائة مدرسة موزعة على أنحاء تركيا ، تدرس اللغة العربية ، معظمها ذات طابع ديني ، وأهمها ما يسمى بمدارس « الأئمة والخطباء » ، أما في الجامعات التركية ـ وعددها ثلاث وعشرون جامعة ـ فإن معظمها تطرح مساقات للغة العربية بمستويات ثلاثة ، يدرسها الطالب مادة حرة ، بيد أن كليات الالهيات (الشريعة عندنا) تدرس قواعد العربية وآدابها من نحو وصرف ، وأدب قديم وحديث ، وبلاغة ، في جميع السنوات ، بل إن السنة الأولى تعد سنة مهمة للطالب ، اذ يدرس العربية بصورة مكثفة ، ولا بد له من النجاح في مواد العربية كشرط لينتقل إلى السنة الثانية ، ومن هذه الكليات كلية إلهيات جامعة أنقرة ، وكلية إلهيات جامعة مرمرة في استانبول ، وكلية إلهيات جامعة سلجوق في قونية ، عاصمة السلاجقة قديما

كما توجد أقسام للعربية في بعض الجامعات تمنح شهادات عالية ، مثل جامعة أنقرة ، وهي أعرق جامعة في تركيا ، وجامعة استانبول ، وجامعة مرمرة ، وتمنح هذه الجامعات شهادة الدكتوراة في اللغة العربية وقد كتب بعض خريجيها أبحاثا أصيلة عن « حماسة » أبي تمام ، وعن « الجرجاني لغويا » وعن كتاب «قانون الأدب» للزمخشري ، غير أن اللغة التركية تنافس العربية في التدريس في تلك الأقسام ، لكن قسم اللغة العربية الذي يستحق تشجيعا كبيرا هو القسم الناشيء التابع لجامعة غازي في أنقرة ، وهو قسم افتتح حديثا ، ولغة التدريس فيه هي العربية ، وقد كان لي شرف التدريس فيه محاضرا ، غير متفرغ ، وقد لمست بطلابه ذكاء حادا ، ورغبة وكيدة في تعلم العربية ، وتنم أسئلتهم عن عمق كبير ، مثل ما الفرق بين السخاء والجود ؟ وما الفرق بين الفهم والادراك ؟

أما على المستوى الشعبي فهناك رغبة وكيدة أيضا في تعلم العربية ، وهناك احترام وتقدير لها ، ويعود ذلك لأمرين ، أولها دفين أصيل ، يتمثل في أن العربية هي لغة القرآن الكريم ، وأن معرفتها ضرورية لمعرفة أمور الدين ، ولهذا نالت العربية نوعا من التقديس ، لم تنل مثله في بعض البلدان العربية ، فقد ذكر لي أحدهم أن الناس في إحدى المدن التركية

حوار القراء..

كانوا يلتقطون أي ورقة كتب عليها بالعربية ، ويقبلونها ، ويضعونها في مكان بعيد عن أرجل الناس ، وكان ذلك قبل بضع سنين فقط وثانيهما اقتصادي ، يتمثل في التسلح بالعربية ، لتسهيل أمور التجارة والسياحة ، ومن هنا فالسائر في شوارع استانبول يدهش لكثرة مايسمعه من الباعة وهم ينادون بالعربية ، ويرى كثيرا من المحال وقد كتب على لوحاتها جملا بالعربية

إن جميع ماسبق يدعو جميع المؤسسات العلمية والثقافية ، وحتى الأفراد إلى الاسهام بشكل جدي من أجل عهد ذهبي للعربية في تلك البلاد ، ومن أوجه المساهمة إهداء الكتب والدوريات والأجهزة والخطط والمناهج إلى الجامعات ، ومنها تقديم المنح للطلاب الأتراك لتعلم العربية في جميع المستويات ، واستضافة أساتذة أقسام اللغة العربية وطلابها مدة من الزمن ، ليحتكوا بأهل العربية الفصحاء فقط ، والشعب التركي من أطيب الشعوب ، فالخاصة والعامة يكرمون الضيف ، ويساعدون الغريب ، ويلتزمون بالوفاء بدرجة كبيرة

الدكتور محيمر صالح
جامعة اليرموك ـ الأردن

العربي

ـ إننا إذ ننشر هذه الرسالة الهامة بما تحمله من معلومات ، ذات دلالة عن واقع اللغة العربية في تركيا ، فإننا نأمل أن تلقى الدعوة التي تحملها هذه الرسالة كل ما تستحقه من اهتمام في الأقطار العربية ، والمؤسسات العلمية والثقافية ، ذات العلاقة فيها ، والأفراد الذين يملكون القدرة والفاعلية لدعم هذه الاتجاهات الجديدة نحو اللغة العربية في تركيا ، ونشكر للقارىء الكريم تفضله بإلقاء الضوء على هذا الواقع الجديد

المسامية هل هي ملازمة للصخور النارية ؟

● منذ تعلمت القراءة وأنا أتابع مجلة العربي ، بل إني أجدها مرجعا في كثير من البحوث والدراسات ، ومن خلال حرصي على صحة المعلومات التي ترد بها ودقتها فإني أود التنويه الى خطأ وقع فيه الاستاذ رءوف وصفي في مقاله (الكوارتز كنز في باطن الأرض) في العدد ٣٣٩ فبراير ١٩٨٧ ، ففي صفحة ١٢٢ ، وخلال تعريف الكاتب بالصخور النارية ذكر الآتي : « وتتميز الصخور النارية بشدة صلابتها ، وبأنها عديمة المسام » وأريد القول أن صفة المسامية أو انعدامها ليست مميزة للصخور النارية ، فهناك من هذه الصخور ما هو مسامي ، بل وعالي المسامية ، لدرجة تجعلها تشابه الاسفنج في الشكل ، وعلى سبيل المثال لا الحصر هناك صخر يسمى **Pumice** ،وهناك أيضا نوع من البازلت يسمى **Vesiculao Basalt** ، وهما من الصخور النارية المسامية الشائعة في الطبيعة ، ولهذه المسام أهمية كبيرة في الصخور النارية ، فهي قد تحتوي على رواسب وتراكمات معدنية اقتصادية ، وهذه المسام ناتجة عن خروج الغازات الموجودة أصلا في هذه الصخور المنصهرة ، أو نتيجة للعمليات الكيميائية أثناء تبريدها ، وتصلبها وتحولها إلى صخور صلبة

هذا للتوضيح ، والله الموفق

نجيب الهادي الديب

العجيلات ـ ليبيا

٤ ميزات للقروض الشخصية لدى بنك الكويت الوطني

١٠ أضعاف الراتب

انا نمنحك الفرصة الآن للحصول على قرض شخصي يعادل عشرة أضعاف راتبك الشهري

٣٦ شهرًا

مُدة كافية يمكنك خلالها تسديد القرض بكل سهولة.

٢٠٠ دينار كويتي

الحد الأدنى للراتب الشهري الذي يؤهلك للحصول على القرض.

سعر فائدة منخفض

٣٥
عامًا في خدمتكم

بنك الكويت الوطني ش.م.ك
بنك تعرفه وتثق به منذ عام ١٩٥٢

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

أكتوبر ١٩٨٧ م

التاريخ النقدي للتخلّف

تأليف

الدكتور رمزي زكي

٥٠٠
فلس

الكتاب ١١٨

المراسلات: باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - ص.ب ٢٣٩٩٦ الكويت

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
د. بدر جاسم اليعقوب

- مجلة علمية فصلية محكمة تصدر ٤ مرات في السنة
- تعنى بشئون منطقة الخليج والجزيرة العربية السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية والعلمية
- صدر العدد الاول في يناير ١٩٧٥
- تقوم المجلة باصدار ما يأتي

ا) مجموعة من المنشورات المتخصصة عن منطقة الخليج والجزيرة العربية
ب) مجموعة من الاصدارات الخاصة والمتعلقة بمنطقة الخليج والجزيرة العربية
جـ) سلسلة كتب وثائق الخليج والجزيرة العربية

- عقد الندوات التي تهم المنطقة او المساهمة فيها واصدارها في كتب
- يغطي توزيعها ما يزيد على ٣٠ دولة في جميع انحاء العالم
- الاشتراك السنوي بالمجلة

ا) داخل الكويت ٣ د.ك للافراد - ١٢ د.ك للمؤسسات
ب) الدول العربية ٣,٥٠٠ د.ك للافراد ، ١٢ د.ك للمؤسسات
جـ) الدول الاجنبية ١٥ دولارا للافراد ٤ دولارا للمؤسسات

المقر جامعة الكويت - الشويخ
هاتف ٤٨١٦٨٧
٤٨١٦٧٩٩
٤٨١٦٨٢٤
٤٨١٤٢٩٥

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير على العنوان الآتي
ص ب ١٧٠٧٣ - الخالدية - الكويت - الرمز البريدي 72451

الثقافة العالمية

مجلة تترجم الجديد في الثقافة والعلوم المعاصرة

- تعتمد فيما تنشره على الترجمة من مختلف الدوريات العالمية.
- هدفها إقامة الصلة بين الفكر العربي وبين الأجواء المتطورة للثقافة العالمية المعاصرة.
- ميزانها الأساسي في إختيار المترجمات هو الجديد والهام.

- تصدر دورية كل شهرين عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

رئيس التحرير
أحمد مشاري العدواني

نائب رئيس التحرير
د. سليمان ابراهيم العسكري

المجلة العربية للعلوم الانسانية

فصلية محكمة
تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير

د عبد الله أحمد المهنا

المقر كلية الآداب مبنى قسم اللغة الإنجليزية
الشويخ هاتف ٨١٧٦٨٩ - ٨١٥٤٥٣

المراسلات توجه إلى رئيس التحرير

ص ب ٢٦٥٨٥ الصفاة
رمز بريدي 13126 الكويت

- ● تلبي رغبة الاكاديميين والمثقفين من خلال نشرها للبحوث الأصيلة في شتى فروع العلوم الإنسانية باللغتين العربية والإنجليزية، إضافة الى الأبواب الأخرى، المناقشات، مراجعات الكتب، التقارير.
- ● تحرص على حضور دائم في شتى المراكز الأكاديمية والجامعات في العالم العربي والخارج، من خلال المشاركة الفعّالة للأساتذة المختصين في تلك المراكز والجامعات
- ● صدر العدد الأول في يناير ١٩٨١
- ● تصل الى أيدي ما يزيد على عشرة آلاف قارىء

ترفق قيمة الاشتراك مع قسيمة الاشتراك الموجودة داخل العدد

مجلة العلوم الاجتماعية

تصدرها
جامعة
الكويت

مجلة فصلية أكاديمية تعنى بنشر الابحاث والدراسات
في مختلف حقول العلوم الاجتماعية
رئيس التحرير د. فهد ثاقب الثاقب

منبر بارز للأكاديميين العرب
توزع أكثر من (١٠٠٠٠) نسخة
الموزع في الكويت والخارج مجلة العلوم الاجتماعية

توجه جميع المراسلات الى : رئيس التحرير
مجلة العلوم الاجتماعية - جامعة الكويت ص ب ٥٤٨٦ صفاة 13055
صفاة الكويت - هاتف : ٢٥٤٩٤٢١ - تلكس : ٢٢٦١٦ - KUNIVER
٢٥٤٩٣٨٧ الكويت

[illegible]

Dr. Husain Library
Jamia
J. M. I. New Delhi

ربيع الأول ١٤٠٨هـ - نوفمبر (تشرين ثان) ١٩٨٧م

العربي

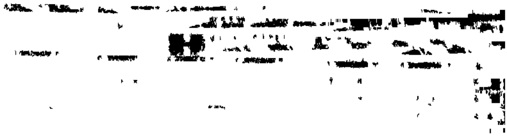

العـــربي
أول مطبوعة عربية تدخـــل بيـــروبيجـــان

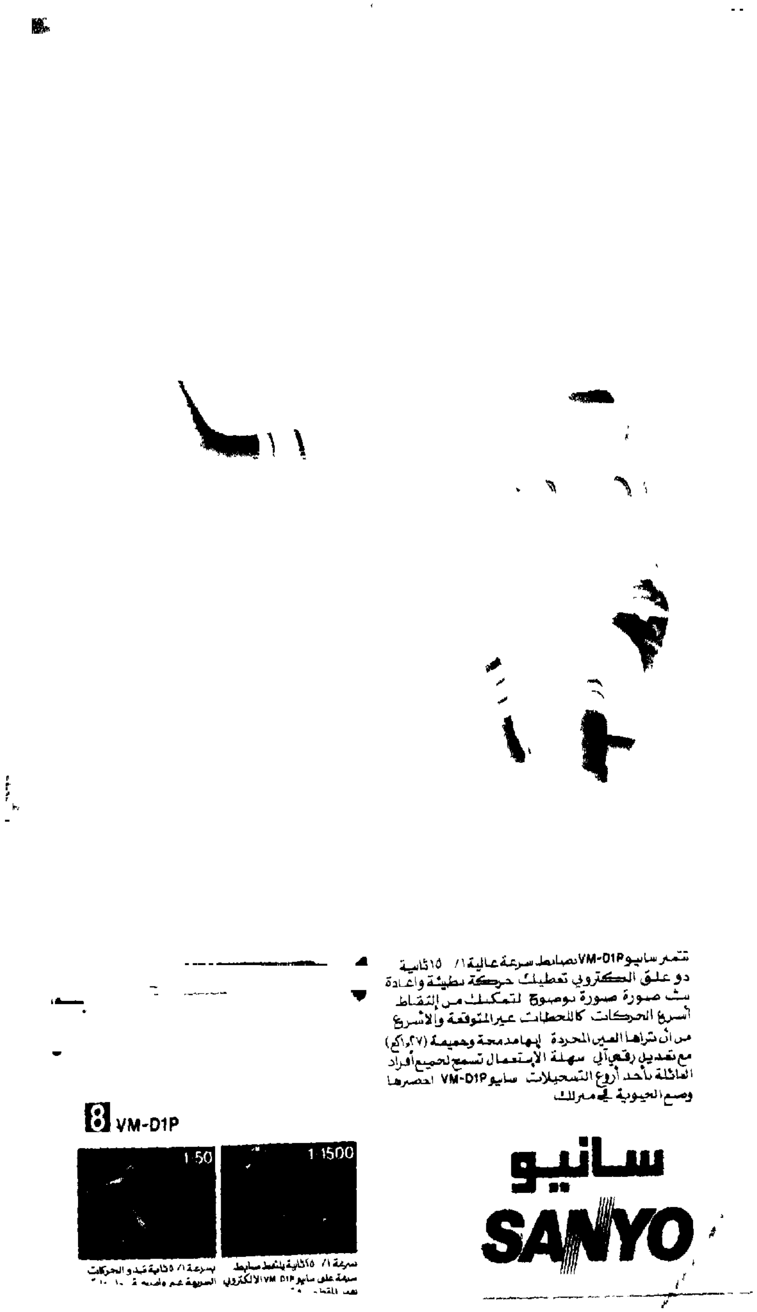

تتميز سانيو VM-D1P بضابط سرعة عالية ١/ ١٥ ثانية
دو غلق الكتروني تعطيك حركة بطيئة واعادة
بث صورة بوضوح لتمكنك من إلتقاط
أسرع الحركات كاللحظات غير المتوقعة والأسرع
من أن تراها العين المجردة إنها مدمجة وخفيفة (٢٧،١كغ)
مع تعديل رقمي آلي سهلة الإستعمال تسمح لجميع أفراد
العائلة بأخذ أروع التسجيلات سانيو VM-D1P احضرها
وضع الحيوية في منزلك

8 VM-D1P

1/50 بسرعة ١/ ٥٠ ثانية تبدو الحركات السريعة غير واضحة [illegible]

1/1500 بسرعة ١/ ١٥٠٠ ثانية بالضغط ضابط سرعة على سانيو VM-D1P الالكتروني [illegible]

سانيو
SANYO

العدد ٣٤٨ السنة الثلاثون نوفمبر ١٩٨٧

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهرياً عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

عنوان المجلة
ص ب ٧٤٨ - الصفاة
الرمز البريدى 13008 - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس. MITR 44041KT
تليفون فكسيملى ٢٤٢٤٣٧٥
المراسلات باسم رئيس التحرير

AL-ARABI
Issue No.348 Nov. 1987. P.O.BOX 748
Postal Code No. 13008
Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by : Ministry Of Information - State Of Kuwait.

الإعلانات يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الإشتراكات ترسل الطلبات إلى. قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أوشيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقاً لما يلي.
الوطن العربي ٤ د ك - باقي دول العالم ٦ د ك

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلساً	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلساً	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٣٥٠ درهماً
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع ريال
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلساً	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أوحيه استرليني
مصر ٣٠ قرشاً	لبنان ١٥ ليرة	فرنسا ١٥ فرنكاً
السودان ٢٠ قرشاً	سوريا ١٠ ليرات	امريكا [illegible] دولاران

محتويات العدد

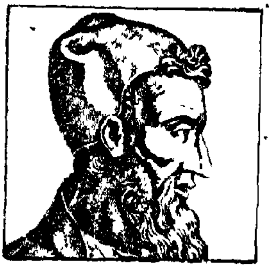

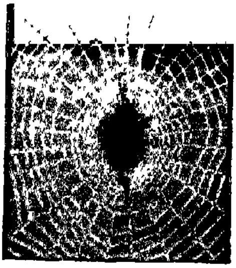

جالينوس أشهر أطباء التاريخ ص ٥٤ الأسنان المصابة ص ٦٤ جنون العنكبوت ! ص ٩٠

■ حديث الشهر :
بعد اربعين عاما من الأستقلال، هل تبقي الهند محافظة على كيانها ؟!
ـ د . محمد الرميحي ٨
■ من الانحطاط إلى النهضة
ـ د . أحمد عُلبي ١٨
■ ندوة لا نظير لها في الوطن العربي !
ـ فتحي رضوان ٢٣
■ تقدم العلم وتلوث البيئة
ـ د . سمير رضوان ٢٦
■ أصل البلاء (قصيدة)
ـ زكي قنصل ٣٢
■ بخلاء الجاحظ يراوغون القلق !
ـ د . عبد المقصود عبد الكريم .. ٣٥
■ للمناقشة : إشكالية « الأخر » في التفكير الاسلامي : آيات السيف !
ـ فهمي هويدي ٤٠
■ ساعة زرقاء
ـ د . عبد الغفار مكاوي ٤٥
■ الرغبة في الكلام (قصة)
ـ محمد سمارة ٥٠
■ جالينوس أشهر أطباء التاريخ
ـ د . حسن فريد أبو عرالة . ٥٤
■ التراث القومي تسجيل لمعالم حضارتنا القومية
ـ د عبد الحميد يونس ٥٨
■ الأسنان المصابة بين القلع والعلاج !
ـ د . ابراهيم أبو طاحون ٦٤
■ جنون العنكبوت !
ـ عبد الرحمن حريتاني ٩٠
■ الحاسوب ومستقبل الاقتصاد العالمي
ـ سمير صلاح الدين شعبان ... ١٠٤
■ بين نهرين يمشي (قصيدة)
ـ أحمد فضل شبلول ١١٦
■ اليوم الذي دفنا فيه السلاح (قصة مترجمة)
ـ محمد العشيري ١١٨
■ مواقف إنسانية : المعلم « لوب »
ـ د . عبد الوهاب حومد ١٢٣
■ « جويا » العابث الثائر بين رسم الحسان وفظائع الحرب
ـ جمال قطب ١٥٢

منح الصلح

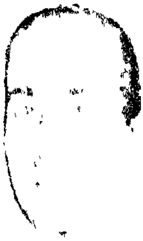

جهاد فاصل

استطلاعات ومقابلات

- بيروبيجان من يتذكر دولة اليهود السوفييت ؟
- سليمان الشيخ ٦٨
- وجها لوجه . منح الصلح
- جهاد فاصل . ٩٧
- « المولوية » يرقصون « السيما » على أنغام جلال الدين الرومي
- سليمان مطهر . ١٣٢

صورة الغلاف

« بيروبيجان » المقاطعة ذات الحكم الذاتي في الاتحاد السوفيتي هي أول دولة لليهود في العصر الحديث

(طالع الاستطلاع ص ٦٨)

☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐

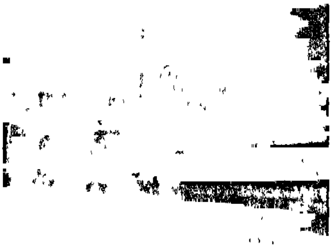

« المولوية » يرقصون « السيما » ص ١٣٢

« جويا » العابث الثائر ص ١٥٢

المراسلات
باسم رئيس
التحرير
والمجلة غير
ملزمة باعادة
[illegible]
[illegible]
والمقالات
[illegible]
[illegible]
آراء

أبواب ثابتة :

■ عزيزي القاريء ٧
■ أرقام : حرب المعونات
- محمود المراعي ٦٢
■ منتدى العربي :
- قضية . تعريب التعليم الجامعي
- أبو المعاطي أبو النجا ١١٠
■ الجديد في العلم والطب
- إعداد يوسف زعبلاوي . . . ١٢٧
■ سلامة البشرية في سلامة البيئة ١٣٠
■ جمال العربية :
- صفحة لغة : بين نحو الدلالة ونحو الأعراب
- محمد خليفة التونسي . . . ١٨٠
- صفحة شعر : هكذا غنى الآباء : معابثات غزلية لعمر بن ابي ربيعة ١٨٢
■ الكلمات المتقاطعة ١٨٤
■ مكتبة العربي :
- كتاب الشهر : « النبوءة والسياسة »
- طارق الحجي ١٨٥
- من المكتبة العربية : أحسن التقاسيم « للمقدسي »
- د . نيقولا زيادة ١٩٠
- مكتبة العربي :
مختارات ١٩٤
■ مسابقة العربي الثقافية ١٩٦
■ حل مسابقة العدد (٣٤٥) . . ١٩٨
■ معركة بلا سلاح (الشطرنج) ٢٠٠
■ حوار القراء ٢٠٣

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

■ ليلة عُرس سودانية
- مارك الصادق ١٦٢
■ شعرك المفقود هل يعود مرة أحرى ؟
- د سامي عرير ١٦٨
■ هو هي ١٧٤
■ طيب الأسرة حمّى الأرانب
- د حسن فريد أبوعرالة ١٧٦
■ مساحة ود لم يعد في القلب مكان
- محمود عبد الوهاب ١٧٩

عزيزي القارئ

رسالة هامة تلقتها العربي في بريد هذا الشهر من باحث عربي تقطر ألماً وحسرة ، هو أحد أساتذة التقنية العرب توصل الى فتح تطبيقي جديد في مجال « المحركات الاساسية » وهو ابتكار كان يمكن ان يستفيد منه الاستاذ الكريم شخصيا ولكنه فضل تأجيل نشر ابتكاره حتى يظل سرا الى أن يطبق ويجرب وينفذ ويسجل باسم (العرب) بدلا من أن يسبقنا آخرون في تطبيقه . وهنا بدأت أزمة هذا الاستاذ العربي . فقد دار بالخطوط العريضة لاختراعه على الشركات التي من المفترض فيها أنها مهتمة ، وكاتب بعض المؤسسات العربية العلمية ، فكان أفضل جواب حصل عليه هو الصمت ! لقد شرح لنا هذا المخترع العربي باختصار ما توصل اليه . وهو مصرّ على أن يطبقه ويجربه على أرضه العربية . ونحن بدورنا نحتفظ باسم هذا المخترع وعنوانه ، لعل بعض المؤسسات العلمية العربية تهتم بالموضوع ، حتى لا يصل به المطاف في النهاية الى أن يقدم اختراعه الى المؤسسات الأجنبية المختصة ! مع أننا نحن العرب ما زلنا ندب حظنا في كل ساعة على تأخرنا في مجال البحث العلمي

عزيزي القارئ

وعن البحث العلمي تقدم لك العربي في هذا العدد موضوعا يلقي الاضواء على التقدم العلمي ومدى تأثيره على تلوث البيئة ، فبقدر ما يتقدم العلم ويتطور بقدر ما يكون ذلك في بعض وجوهه على حساب البيئة ومكوناتها

وفي ميدان العلم أيضا ننقل لك موضوعا يربط بين الحاسوب الالكتروني ومستقبل الاقتصاد العالمي ، من خلال مفهوم جديد لمواجهة تهديد لقمة العيش والقوت اليومي على ضوء القفزات الخيالية في الاسعار والتزايد المستمر في البطالة . كما نقدم لك أيضا . تفصيلات دقيقة عن العنكبوت ، بنظرة جديدة للعلماء تبرز آراء علمية متطورة تختلف عما يتصوره العامة من أن وجود هذه الحشرة بكثرة في مكان دليل على انعدام الحياة فيه

وفي الاستطلاعات فقد حققت « العربي » في هذا العدد الذي بين يديك سبقا تنفرد به على كل المطبوعات العربية ، فقد كانت العربي هي المطبوعة العربية الاولى التي تدخل الى مقاطعة « بيروبيجان اليهودية » في الشرق الاقصى السوفيتي

وتدخل العربي أيضاً الى قلب الاناضول حيث تقدم لك استطلاعا عن « المولوية » والطريقة الصوفية التي ابتدعها جلال الدين الرومي « ورقصة السيما » التي اشتهرت بها

وفي العدد موضوعات أخرى . جديدة ومفيدة نأمل أن تمثل زادا ثقافيا للمختص ولقارئنا العادي ايضا

المحــــرر

العربي ـ العدد ٣٤٨ ـ نوفمبر ١٩٨٧

حديث الشهر

بقلم الدكتور
محمد الرميحي

بعد أربعين عاما من الاستقلال

هل هي مفارقة أن تكون الهند قد كسبت استقلالها بحركة سلمية قاده غاندي ، لأنها لم تكن تستطيع أن توقف العنف لو تفجر ؟

فبعد ما يقارب الأربعين سنة من الاستقلال ، وأربعة أعوام على اغتيال رئيسة الوزراء الهندية السابقة أنديرا غاندي ، ما زالت نار الخلاف والاقتتال الطائفي هي العلامة المميزة للأخبار القادمة من الهند هذه الأيام . وأحسب أنها ستكون كذلك فترة أخرى .

الهند قريبة منا نحن العرب ، وما يحدث هناك يؤثر علينا أيضا ، ولكن ليس ذلك فقط هو الدافع الى اهتمامنا اليوم بالهند .

فموضوع الهند يطرح لدينا ـ نحن العرب ـ وكذلك لدى إخواننا في العالم الثالث أسئلة عميقة ، لها علاقة ببناء الدولة الحديثة .

فمشكلات الهند التي تعرضها للانفجار من الداخل ، وتعرض وحدت للخطر ، تقرع جرس إنذار لابد من الانتباه له .

فهاهي الهند رمز المسالمة التي قادها غاندي ذات يوم كي يقول للحلفاء إنه يجب أن لا يردوا على هتلر إلا بدعوات السلام ! هذا الرمز الذي ألف بين فئات مختلفة ومتناقضة من البشر يكاد يسقط اليوم تحت ضربات العنف ، والعنف المضاد .

ويثور سؤال لابد من النظر فيه ، وهو : هل ما يحدث في الهند في السنوات القلائل الأخيرة يطرح فشلا متوقعا لفكرة الدولة العلمانية تحت طائل المطالبة بالدولة الدينية أو المذهبية ، أو فشل بناء الدولة القانونية الحديثة تحت سيادة المذهب أو الطائفة ؟

إن قضية الهند تطرح كل ذلك وأكثر منه ، تطرح قضية الأقليات في العالم الثالث وحقوقها ، وكيف تطبق في أنظمة تحاول أن تأخذ بالنظام الديمقراطي الغربي ، وتطرح أيضا احتمالات مسار التطور الاجتماعي والسياسي في كثير من دول العالم الثالث التي تتشابه ظروفها السكانية مع ظروف الهند . لقد وقعت دولة كالهند وهي في طريقها الى التطور بين شقي رحى : أحدهما الوعاظ المتعصبون ، والآخر السياسيون المجردون من المبادىء !

لم يكن اغتيال انديرا غاندي منذ أربع سنوات هو الاغتيال السياسي الأول ، لا في الهند ولا في العالم الثالث ، إنما الأسباب التي أدت الى الاغتيال هي التي يهمني عرضها ، وهي تتلخص في قضية مطروحة على امتداد الساحة الدولية وهي : إذا شجع الحاكم التطرف ـ بأي شكل من أشكاله ـ فإن سلاح التطرف هذا ـ الديني أو السياسي أو العرقي ـ سوف يرتد إليه شخصيا ، وعلى وطنه ككل . وذلك ما حدث في الهند .

هناك مجموعة كبيرة من الأسباب التي تجعل الهند ـ الدولة ـ تواجه ما تواجهه اليوم من اضطراب شديد ، وتجعل الكثيرين يتحسرون على دعوات الآباء المؤسسين ، غاندي ونهرو وزعماء الاستقلال الذين حلموا بدولة موحدة بعد خروج البريطانيين .

هذه الأسباب ثابتة في تكوين الدولة الهندية الحديثة ، فالهند بلاد تقطنها عناصر متباينة ومتغايرة حتى أن الباحث عن تعريف عام لتركيبها السكاني يجد نفسه أمام مشكلة تصعب على الحل فهناك الهندوس والمسلمون والسيخ والمسيحيون والبوذيون وديانات أخرى عديدة ، وهناك الانقسام الطبقي التقليدي والتاريخي ، خاصة بين طوائف الهندوس ، وهناك فوق ذلك مشكلات الفقر والجوع والفيضانات والجفاف .

إلا أن ترتيب هذه المشاكل ـ بعد أربعين عاما من الاستقلال ـ يأتي في

قمته التطرف الديني لدى السيخ من جهة ، ولدى الهندوس من جهة أخرى ، تلك النار التي تصطلي بها الهند اليوم والتي يبدو للكثيرين أن ليس لها حلول قريبة ، بل هي على العكس من ذلك تهدد بالاطاحة بالمثل الهندي الذي كان كثيرون في العالم الثالث ينظرون إليه بإعجاب

السـيـخ :

□ الديانة السيخية واحدة من أحدث الديانات في العالم . فقد ظهرت الى الوجود في القرن الخامس عشر الميلادي ، على يد « ناناك » الذى سعى الى استحداث ديانة جديدة زعم أنها تصل بين الاسلام والهندوسية ، وتعمل على تلافي الفجوة بينهما ، ولم يكن ذاك التفكير ممكنا إلا في الهند حيث أقبل الناس على الاسلام طوعا مع إمكانية أن يحتفظوا بدياناتهم الاخرى إن أرادوا ، إلا أن المصالح الدنيوية لعبت دورها وأججت الصراع بين الهندوس والمسلمين مما جعل شيئا من التصور السيخي ممكنا في ذلك الوقت ويمكن تلخيص مذهب السيخ في أنه يهدف الى تطهير عقائد الهندوس ، ومن ثم اتسمت تعاليم صاحب المذهب الأول (ناناك) بالسلمية ، فقد أنكر قيود الطبقات السائدة في الهند والمعتقدات الخرافية ، ودعا الى المساواة بين الناس جميعا ، وقال إن الصلاة والحج بالجسم دون القلب لاتسمو بروح الانسان لأن روح العبادة في الجوهر لافي الصورة ، والاخلاص يدركه المرء الا اذا أحب الله حبا خالصا وعمل في الدنيا عملا صالحا والسيخية تتمسك بالتوحيد وتنكر الأصنام وربها هو رب الخلق جميعا ، (والجورو) معلم العقيدة أو المرشد أو الإمام مبجل لأن رأفة الله بالانسان لاتتجلى الا بتوسل (الجورو) ووساطته .

والمهم في الامر أن السيخية ظلت شريعة سلام وتسامح حتى تحولت بفعل صراع الآخرين معها ـ خاصة الهندوس ـ الى شريعة تقوم على الحرب .

وقد خلف المرشد الاول للسيخ (ناناك) تسعة من المرشدين تباعا ، وبوصول المرشد العاشر (جوبند سنج) بعد مائتي سنة من الدعوة ، كان السيخ قد أصبحوا طائفة ، واكتسوا سمعة الشدة في القتال والحرب نتيجة دخولهم في صراعات عديدة مع الطوائف الأخرى ، التي كانت تنظر الى الديانة السيخية نظرة عدم الاعتراف

وحتى يحتفظ السيخ بهويتهم المميزة ويفرقوا بينهم وبين الآخرين ، فرض على كل منهم ان يلبس سوارا من الفولاذ حول معصمه وأن لايحلق شعره مدى الحياة ، وأن يلبس عمامة من هنا جاء منظرهم المميز . . رجال ذو لحى

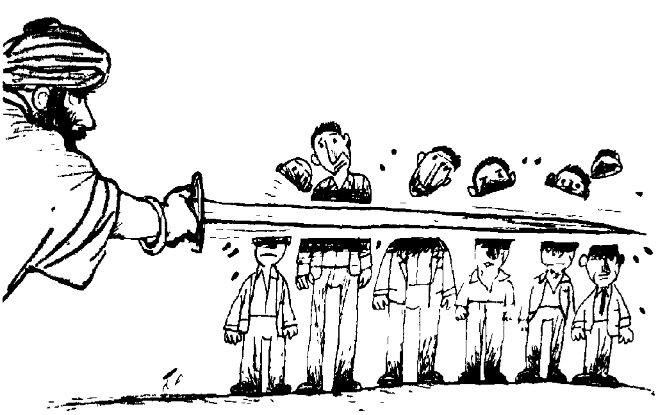

طويلة ومعممون يحمون شعورهم الطويلة ويربطونها على شكل عقد تحت عمائمهم

والسيخ اليوم ليسوا طائفة واحدة ، فهم فرق كثيرة ، شأنهم شأن المذاهب الأخرى ، ويعتقد بأنهم اليوم خمس طوائف ، أما أعظم مقاماتهم وأكثرها تقديسا فهو المعبد الذهبي في أمرتسار

أرض الأنهار الخمسة :

☐ وقد توصلت قوة السيخ كطائفة الى ذروتها بعد قرن واحد من موت المرشد (جوبند سنج) ، وكانت الامبراطورية المغولية المسلمة في طور الانحدار مع ظهور القوة البريطانية في الهند وتوسعها ، وصعد المهراجا (رانجيت سنج) الى مكان الصدارة في هذه الفترة ، وحكم في مملكة شملت اغلب مناطق الهند الشمالية ، وتاخمت مملكته حدود افغانستان غربا والتبت شرقا (شمال الهند يضم كشمير وباكستان الحالية) ، ولكن بعد وفاته بعشر سنين سقطت تلك المملكة بنفس السرعة التي ازدهرت بها ، لقد تدخل البريطانيون وهزموا السيخ بعد معارك عنيفة وأسقطوا مملكتهم .

الا أن بسالة السيخ وشجاعتهم في الحرب لم تخف على عيون الحكم البريطاني في الهند فعمد على اجتذابهم وضمهم إلى الجيش الذي يأتمر بأمر البريطانيين . لقد أدخل البريطانيون السيخ في الادارة البريطانية في الهند وأعطوهم امتيازات تفوق نسبة عددهم الى نسبة عدد السكان وقد اثمرت هذه السياسة ، فعندما حدث العصيان الكبير ضد البريطانيين في الهند في منتصف

القرن الماضي (١٨٥٦م) بقي السيخ على ولائهم ، فزاد البريطانيون من المكافأة بإعطائهم مساحات واسعة من الأرض أقاموا فيها حكما ذاتيا نجحوا في ادارته ، وكانت معظم تلك الاراضي في منطقة البنجاب (أرض الأنهار الخمسة) الارض المروية الصالحة للزراعة . وفي الحربين العالميتين الاولى والثانية استخدم البريطانيون السيخ محاربين في جبهات عديدة فزاد عدد الجنود السيخ في الجيش الهندي البريطاني الى درجة انه قدر ان هناك حوالى ٣٠٪ من الجنود السيخ في الجيش الهندي البريطاني عشية استقلال الهند سنة ١٩٤٧ ، مع ان نسبة تعدادهم لاتزيد عن ١,٥٪ من مجموع الشعب الهندي .

شهر العسل الذي التقى فيه السيخ مع البريطانيين ، بدأت مظاهر انقضائه تظهر بعد الحرب العالمية الاولى عندما اخذ السيخ يساهمون بشكل متزايد في الحركة الوطنية الهندية لنيل الاستقلال بقيادة المهاتما غاندي . وفي عام ١٩١٩ في (أمرتسار) وداخل قلعة تدعى (جاليان والا باغ) أمر البريجادير البريطاني (ريجنالدداير) جنوده بإطلاق النار على حشد أعزل من الجمهور الهندي بحجة تحديهم أوامر كانت قد صدرت تمنع التجمعات التي تزيد عن بضعة اشخاص ، وعندما توقف اطلاق النار كان هناك على ارض القلعة حوالى ٤٠٠ جثة لمن قتلوا برصاص الجنود البريطانيين ، وكان معظمهم من السيخ . (ومما يذكر ان هذا البريجادير قد قتله احد السيخ بعد سنوات في بريطانيا) .

الا ان مذبحة (أمرتسار) اطلقت فيها بعد صرخة التجمع المدوية التي لمت شمل نواة الوطنية الهندية وقادتها بعد ذلك الى الاستقلال

مذبحة (أمرتسار) تلك ايضا يذكرها السيخ اليوم مقارنة بما حدث لمعبدهم في (امر تسار) الذي اجتاحته القوات الهندية في يونيو ١٩٨٤ وقتل فيه عدد كبير من ابناء الطائفة على رأسهم (جارنيل سنج بهندران والا) الذي يعتبره السيخ في مرتبة القديس

إيجابيات وسلبيات مابعد الاستقلال :

□ حمل استقلال الهند عام ١٩٤٧ ايجابيات وسلبيات لطائفة السيخ ، هذا الاستقلال الذي لعب فيه السيخ دورا مهما أتاح لهم الاستمرار في الحصول على مميزات في الادارة والجيش . اما سلبياته فقد تمثلت في موضوعين : الاول هو ان بلادهم (البنجاب) قد توزعت بين الدولتين الوليدتين (الهند وباكستان) ، وكان على مئات الالوف منهم ان ينتقلوا من مكان الى آخر ، كما

الانجليز أغرقوا «أرض الأنهار الخمسة» بالدم فبدأ الانفجار

ن النظام الديمقراطي الذي جاء به الاستقلال قلل من امتيازاتهم التقليدية ، بقلتهم النسبية تعني اصواتا أقل

غذىّ هذان العاملان حركة السيخ فظهرت أصوات متطرفة تقول : «لقد حصل المسلمون على باكستان ، وحصل الهندوس على الهند ، ولم يحصل السيخ على شيء »

وبدأ السيخ يتحركون في البداية سياسيا للمطالبة بالوطن المنشود وكانت هذه المطالبة بوطن هو (بنجابي سابا) وهو شعار يحمل في معناه المطالبة بإقامة ولاية للناطقين باللغة البنجابية ، وكان ذلك تمشيا مع الاتجاه السياسي السائد في الهند وهو تقسيم البلاد الى ولايات تضم كل واحدة منها اصحاب اللغة المشتركة الواحدة واذعنت الحكومة المركزية بعد تباطؤ شديد الى هذا الطلب ولكنه لم يأت كما توقع السيخ ، فقد قسمت الحكومة المركزية البنجاب الى ولايتين : (هاريانا) و (البنجاب) ، وفي البنجاب الجديدة كان تعداد السيخ حوالي تسعة ملايين نسمة يشكلون ٥٢٪ من السكان تقريبا ، أما بقية افراد الطائفة وعددهم أربعة ملايين فقد كانوا موزعين في بقية انحاء الهند .

وبدلا من ان يكون لإنشاء ولاية (بنجابي سابا) أثر مهدىء على الطائفة السيخية ، فقد كان - كحل وسط - هو الباب الذي دخلت منه جميع الشرور كما يقال - فقد بدأ حزب (اكالى دال) وهو حزب السيخ السياسي الذى تأسس في العشرين من هذا القرن يشق طريقه بقوة مندفعا الى المقدمة في المنطقة ، وتغلب في الانتخابات التي جرت في الثلث الأخير من السبعينيات على فرع حزب المؤتمر الهندي المحلي الذي تترأس انديرا غاندي زعامته على المستوى القومي - وتولى حزب (اكالى دال) الحكم المحلى بين ٧٧ - ١٩٨٠ . ذلك مما أزعج الحكومة المركزية وأرادت أن تقاوم التيار .

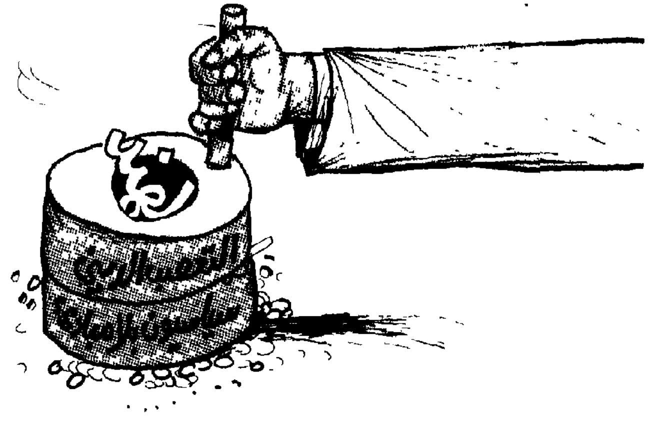

أنديرا غاندي والخطأ المميت :

☐ هذا الصراع السياسي لم تتم ادارته ـ كما يرى معظم المحللين اليوم ـ بشكل عقلاني من قبل الزعامة الهندية ـ خاصة انديرا غاندي ـ فقد كانت ترمي الى شق صفوف السيخ بأي ثمن وشق حزب (اكالي دال) واضعافه .

وهنا وقعت انديرا غاندي في الخطأ المميت ، الذي وقع فيه حكام آخرون بشكل أو بآخر في العالم الثالث إبان السبعينيات والثمانينيات لقد شجعت انديرا غاندي أحد الوعاظ السيخ الذي يتمتع بقدرة خارقة وشخصية جذابة خاصة بين أفراد طائفته الذين يقيمون في الارياف من انصاف المتعلمين والجهلة ، هذا الواعظ والزعيم الديني هو (جارنيل سنج بهندران والا) .

وكما يحدث في كثير من الأوقات فقد انقلب السحر على الساحر ، فالتدبير الذي اتخذه حزب المؤتمر بتشجيعه للواعظ الجديد الذي لم يكن في نظرهم سوى ألعوبة سياسية ، أصبح بعد سنوات قلائل كمارد مصباح علاء الدين الذي أطلق من قمقمه ، فلم يستطع لا حزب المؤتمر من جهة ولا حزب (اكالي دال) من جهة اخرى السيطرة على هذا الواعظ الذي حمس العامة من السيخ هذه المرة ، ليس من أجل ولاية في داخل التنظيم الهندي الاتحادي ، ولكن من أجل وطن قومي للسيخ يطلق عليه اسم (خالستان) (ارض الأطهار) . وبدأ هذا الداعية السيخي يمزج في دعواه بين العودة الى الديانة السيخية الخالصة وتحقيق دولة للسيخ ، واستخدم كل قدراته الدينية في ذاك الطريق الى درجة أن خصومه أطلقوا عليه لقب (الراهب المجنون) .

لقد تركت كلماته الحماسية أثرها على جماهير السيخ ، وبدأ الآلاف المؤلفة منهم يتجمعون كل يوم لسماع خطبه ومواعظه ، ثم من هناك بدأ يحضهم على استخدام (العنف) ضد خصومهم وخصوم الدولة المطلوبة ، مجددا في كل ذلك تاريخ السيخ في المقاومة وفي العنف .

وفي الأشهر القليلة التي سبقت اغتياله في المعبد الذهبي في يونيو ١٩٨٤ قام المتطرفون السيخ الذين يأتمرون بأمره ويعتبرونه قديسا بقتل المئات من الناس في البنجاب وما حولها ، وتحولت البنجاب الى ارض تسودها الفوضى والاضطراب .

والملاحظ انه في تلك الفترة من العنف كان الكثير من القتلى من طائفة السيخ الذين كانوا اما معارضين لدعوة هذا المتطرف ، أو مؤيدين للحكومة الهندية ، ثم تحولت اعمال الارهاب الى الهندوس .

وعندما تبينت الحكومة الهندية خطورة المارد الذي أطلقته فتحت باب المفاوضات من جديد مع حزب (اكالي دال) ومع (المعتدلين) من السيخ وعندما قاربت تلك المفاوضات على الانتهاء بإعطاء السيخ بعض الحقوق تراجعت انديرا غاندي عما سبق ان وافقت عليه لأسباب يقول خصومها ان لها علاقة بكسب أصوات الناخبين من الهندوس .

القومية
السيخية

وأتيحت الفرصة (لجارنيل بهندران والا) ليؤكد دعوته في العودة الى العنف باعتبارها السبيل الوحيد لتحقيق مطالب السيخ ولم يكد يمضي وقت طويل حتى حصل هو واتباعه على أسلحة جديدة واستحكموا في المعبد الذهبي هذه المرة مع مجموعة كبيرة من كبار الضباط الذين عملوا في الجيش الهندي ثم خرجوا لسبب أو لآخر . وعلى رأسهم الجنرال (شاهبج سنج) وهو أحد القادة الهنود السيخ الذين ساعدوا في انفصال بنجلادش عن باكستان عام ١٩٧١ ثم جرت محاكمته امام محكمة عسكرية وطرد من الجيش بتهمة الفساد ، مع كل هؤلاء قادة من المعتدلين السيخ وقد أخذوا كرهائن ، وعلى رأسهم زعماء حزب (اكالى دال) .

ووصلت المأساة الى قمتها عندما قررت الحكومة المركزية وانديرا غاندي اجتياح المعبد بالقوة في عملية أطلق عليها اسم (النجم الازرق) واستغرق تنفيذها ثلاثة أيام ، تمكنت بعدها قوات الحكومة من الاستيلاء على المعبد وقتل في العملية اكثر من ألف شخص على رأسهم (جارنيل بهندران والا) الذي أصبح بالنسبة للسيخ ، فضلا عن كونه قديسا ، بطلا وشهيدا .

هذه العملية أججت العداوة بين السيخ والهندوس ، وبعد حوالي أربعة أشهر من اجتياح المعبد الذهبي ، وفي ٣١ اكتوبر ١٩٨٤ اغتيلت انديرا غاندي من قبل أحد حراسها السيخ وهي عائدة من لقائها اليومي مع الفقراء الذين يؤمون بيتها من كل أنحاء الهند لتستمع الى شكواهم .

□ الخوف على الهوية القومية والانتماء الطائفي وراء عمليات السيخ الأخيرة :

باغتيال انديرا غاندي اندفعت أعمال عنف معادية للسيخ قام بها متطرفون هندوس خلفت آلاف الضحايا واعترفت الحكومة الهندية نفسها بأن حوالي ثلاثة آلاف من السيخ لقوا حتفهم نتيجة لأعمال العنف في عموم أنحاء الهند .

وأصبحت دورة العنف والعنف المضاد سمة من سمات الحياة السياسية الهندية حتى يومنا هذا

الدولة والطائفة :

□ تطرح المشكلة الهندية سؤالا ليس خاصا بالهند وحدها

ففي الدول الحديثة في العالم الثالث التي لم يكتمل نمو بنائها السياسي مازالت الطائفية المذهبية والعرقية تفعل فعلها ، ولقد كانت الهند احدى الدول الاستثنائية التي يضرب بها المثل حتى وقت متأخر كلما احتد النقاش حول أي هيكل من بناء الدولة هو الأسلم في اطار التكوين الحديث للدولة المعاصرة في العالم الثالث

الا أن ما حدث ويحدث هناك يعيد طرح التساؤل من جديد .

ويتساءل الكثيرون من علماء السياسة والاجتماع

لماذا يشعر السيخ بأنهم محرومون من حقوقهم أو أنهم يعاملون معاملة غير عادلة بصرف النظر عن أي اعتبار آخر ؟ فالطائفة السيخية في الهند تعتبر من الطوائف الثرية والناجحة في اعمالها ، فلهم الفضل الاكبر في نجاح « الثورة الخضراء » في الهند ، اذ أن ٦٥٪ من احتياطي الهند من الحبوب تنتجه مزارع يمتلكها السيخ ، كما يحتل كثير من رجالهم مراكز رفيعة في القطاع الصناعي والزراعي والخدمي والحكومي في الهند تزيد كثيرا عن النسبة العددية التي يمثلونها بالنسبة لمجموع السكان ، والأهم من ذلك كله أنهم ـ كما يقول كاتب هندي مرموق ـ « كانوا محط إعجاب الشعب الهندي بسبب مشاريعهم ومؤسساتهم التجارية الناجحة »

لو تعمقنا في الأمور لوجدنا ان السيخ ربما يعانون من خوف فقدان الهوية القومية ، وهو شعور لايجدي الثراء ولا النجاح في التغلب عليه . انهم جالية صغيرة (١٣ مليونا) في بلاد يربو عدد سكانها على (٧٠٠) مليون نسمة ويبدو أنهم يخشون اليوم الذي يبتلعهم فيه الهندوس ويهضمونهم .

والمفارقة الكبرى هنا ان زعماء السيخ المتطرفين وجدوا ان الدعوة الدنيوية لدى السيخ تنتشر نتيجة التعليم والثقافة ، وبدأت افواج من السيخ تتخلى عن المظاهر الخارجية التي تظهر انتماءهم الطائفي (عدم قص الشعر واطلاق اللحى ولبس العمامة) لأنهم وجدوا ان مثل هذه المظاهر غير مناسبة ولا مكان لها في عالم اليوم . زعماء السيخ الدينيون خشوا أن يؤدي هذا الخروج

دورة العنف والعنف المضاد أصبحت سمة لحياة في الهند

على التقاليد الى استمرار فقدان هؤلاء السيخ لانتمائهم الطائفي ، وربما بعد جيل او جيلين يتحول هؤلاء السيخ المُحدثون ربما الى هندوس . . من هذا المطلق الفكري يمكن تفسير الدعوة المغرقة في التعصب الى التمسك بالمظاهر والرموز . والتمسك بوطن قومي . . وربما دولة مستقلة .

وليس الأمر خارجا عن المنطق العلمي ، فبعد شهر من اجتياح الجيش الهندي للمعبد الذهبي وقبل ثلاثة اشهر من اغتيال انديرا غاندي ، كتب (راؤ ول سنج) ـ وهو كاتب سيخي مستنير في مجلة الجمهورية الجديدة الامريكية ـ كتب يقول : « مع ان الاجراءات الصارمة التي اتخذها الجيش قد أفلحت حتى الآن في كبت هذه المشاعر (مشاعر السيخ المتطرفة) لكنها سوف تعود الى الظهور بشكل اكثر قوة ونشاطا . فإراقة الدماء التي جرت في المعبد الذهبي تصلح لتكون رمزا قويا لاستعداد السيخ للاستشهاد في سبيل قضيتهم . . وقد تكون هذه الحادثة أكبر تحد يواجه السيدة انديرا غاندي في الأشهر المقبلة . »

وبعد أشهر قليلة قتلت السيدة انديرا غاندي فهل كان الكاتب متنبئا ؟

والسؤال الكبير : كيف يمكن حل قضية السيخ في الهند أو حل مشكلات الأقليات والتراتب الطبقي ؟ وكذلك كيف يمكن حل مشكلة المسلمين التي بدأت تتصاعد في تلك البلاد في الآونة الأخيرة ؟

والجواب ليس سهلا ، فهو يكمن في حل التناقض بين بناء الدولة الحديثة واعتبار الناس سواسية كمواطنين يحكم القانون بينهم وبين الولاءات الجانبية العرقية أو الطائفية أوالمذهبية .

إلا أن مايمكن الإشارة إليه كبداية ، أن يبتعد أهل السياسة عن تشجيع أشكال التعصب وتأجيجها ، فحتى لو كان ذلك يحقق لهم أهدافا سياسية آنية فسرعان ما ينقلب هذا التعصب وبالا على الوطن والمواطن ، ويفقد العقل قدرته على التحكم في الأمور . □

محمد الرميحي

العربي - العدد ٣٤٨ - نوفمبر ١٩٨٧

من الانحطاط إلى النهضة

بقلم : الدكتور أحمد عُلبي

متى بدأ عصر النهضة ، ومتى انتهى عصر الانحطاط ؟ هل هناك حدود فاصلة دقيقة ؟ ومتى بدأت محاولات الاتصال بالحضارة الحديثة ، وأين ؟ يحاول هذا المقال أن يجيب عن هذه الأسئلة ، وأسئلة أخرى مماثلة

ندعو الأدب العربي الحديث أدب النهضة ، أو عصر الانبعاث ، لأنه واكب نهضة تجلّت في مناحٍ مختلفة من الحياة العربية ، سياسية واجتماعية وثقافية ، وقد تفتّحت هذه النهضة إثر انحطاط مديد ، مُعْرق في الزمن ، إذ أن عصر الانحطاط يؤرّخ له الدارسون بأنه يبتدىء بسقوط بغداد ، على يد هولاكو الذي استباحها ، واستباح العلم في كتبها التي كانت تمنع دِجلة من تدفقه ، وكان ذلك سنة ١٢٥٨م وانتهى هذا العصر سنة ١٧٩٨م ، وهو تاريخ الحملة الفرنسية على مصر والتاريخان ليسا في الواقع إلا على نحو تقريبي ، لأن الانحطاط لا يداهم الأمة دفعة واحدة ، كالصاعقة ، كما أن الانبعاث لا يسري في أوصالها بين ليلة وضحاها

نظرة في مصطلح « الانحطاط » :

إن مصطلح « الانحطاط » نفسه يحتاج إلى تأمّل وتدبّر ، فكيف يكون في حالة انحطاط فكري عصر تميّز بالتأليف الموسوعي ؟ والموسوعية علامة لافتة على الاختمار ، وعلى الغوص ، ولمّ شمل المعرفة ، وهذا أمر لا يتأتى والدنيا ظلام يخيم على الصدور والعقول إن « الانسيكلوبيديين » العرب - إن جازت التسمية - هم أبناء هذه المرحلة ، وعنوان تألقها أليس ابن منظور (ت ١٣١١) هو واضع أهم دائرة معارف لغوية عرفتها العربية ، ونعني بها « لسان العرب » ؟ ، أليس القلْقشندي (ت ١٤١٨) الذي تولّى ديوان الإنشاء في زمن المماليك ، هو مؤلف « صبح الأعشى في صناعة الإنشا » ، تلك الموسوعة النفيسة في الكتابة وتاريخها وما تعاقب عليها من تطورات ؟ وابن خلْدون (ت ١٤٠٦) ، هذا المنظّر السياسي اللامع ، صاحب العقل اللمّاح ، هل « المقدَّمة » التي تركها لنا تدل على انحطاط وانهيار ، أم على يقظة عقلية وإبداع وتفلسف ؟

لا تُعْوِزنا الأسماء الدالّة ، فهناك ابن خِلّكان (ت ١٢٨٢) ، واضع « وَفيات الأعيان » في التراجم ، وقد احتوى على ثمانمائة وخمس وستين ترجمة ، توحي

فيها الدقة والعلم. وهناك ابن فضل الله العُمري (ت ١٣٤٨)، في مؤلّفه الجغرافي الضخم «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار»، يجول بنا في رحاب دار الإسلام بدوا وحضرا. وهناك أخيرا ـ على سبيل المثال ـ جلال الدين السُيوطي (ت ١٥٠٥)، وقد بلغ من نبوغه ودُربته على التأليف أنه شرع في التصنيف وهو في السابعة عشرة، فأورثنا بحرا من المؤلفات انتهى تعْدادها إلى المئات. فكيف يجوز، بعد هذا كله، أن نسمَ، في تواريخنا الأدبية، هذا العصر قاطبة، بالانحطاط من غير تمييز؟

ثم إن عصرا واحدا، مهما كان نصيبه، لا يمتد خمسة قرون ونصف قرن تقريبا (١٢٥٨ ـ ١٧٩٨)، وتبقى حاله كما هي على امتداد المرحلة كلها. ثم هذا العصر العباسي الزاهر (٧٥٠ ـ ١٢٥٨) قد قسمه مؤرخو الأدب إلى أعصر أربعة، امتد كل واحد من الثلاثة الأُول نحو قرن من الزمن، في حين أن العصر العباسي الرابع امتد نحو قرنين. فلماذا ضغطوا عصر الانحطاط على هذا الشكل المغلق المطلق؟ ومن الناحية السياسية إذا كان مآل الخلافة السقوط في بغداد، فإن أختا لها زاهية، مشعة بالنَفَس الحضاري، قامت على ضفاف النيل، وتوالى على هذا المسرح الجديد الفاطميون والأيوبيون والمماليك، بيد أن الأقطار العربية عموماً قد خضعت لسيطرة العثمانيين، إثر سقوط القُسْطنطينية سنة ١٤٥٣، وهي سيطرة غريبة عن روح الأمة. وقد امتد إخضاع العثمانيين لهذه البلاد قرونا عدة، مما ترك أثره العميق على حركة التطور الاجتماعي. وتخطت عدوى الجهالة الدولة العليّة إلى مستعمراتها، وها هو «فولني» يزور مصر، في أواخر القرن الثامن عشر، فتأخذه الدهشة من تخلّف الحِرف اليدوية فيها، فيقول: «الجهل عام في هذه البلاد، كحال سائر تركيا، وهو يطال الطبقات كلها، ويتجلى في العوامل الأدبية والطبيعية كافة، وفي الفنون الجميلة»

أسبقيّة لبنان في النهضة

وهذا الوضع الاجتماعي البائس، المتقدم الذكر، كان يرزح تحته لبنان وسوريا أيضاً، إلا أنه أُتيح لهما أن يتقدما على مصر قرابة قرنين من الزمن، وذلك في خطوات تمهيدية، أفضت بهما إلى تلمّس أنوار العالم الجديد، المتمثل بأوروبا الناهضة. إن التاريخ الحديث يتمحور حول الغرب، سواء في صراع سياسي معه أو في احتكاك ثقافي، إيجابيا كان هذا الاحتكاك أم سلبيا. مع العلم أن مصطلح الغرب لم يعد مقصورا في أيامنا على أوروبا وحدها، إنما يشمل أميركا، وربما اليابان أيضا مع أنها مشرقيّة جغرافيا. وإذا كان اتصال الشرق بالغرب قد اتّسم بالطابع العسكري، إبان الحروب الصليبية، عندما كانت الإقطاعية تهيمن على أوروبا، فإنّ الاتصال الثاني قد تم وأوروبا قد خلعت عن كاهلها القرون الوسطى، وارتدت حلة النهضة التي يدعونها «الرُنسانس»، وكانت قد شرعت بارتدائها منذ القرن الخامس عشر. لكن الشرق كان في عزلة سياسية، يتمرّغ في حمأة الجهل والتخلف، في حين أن أوروبا كانت صاعدة نحو النظام «البورجوازي»، تسعى إلى امتلاك سر العصر، وهو الصناعة. وكان اتصال لبنان بأوروبا عبْر إيطاليا أولا، إذ إن الأمير المعني فخر الدين الثاني (١٥٧٢ ـ ١٦٣٥) نزل «توسكانا» مضطراً، بعد اضطراب أمره مع الدولة العثمانية، ثم استعان بعدها بأمراء «توسكانا» وبالإفرنج. ونشّط سُبُل التجارة معهم، وشيّد لهم الدُور الرحبة، وكان للمرسلين خير مشجّع لارتياد لبنان، وقد استقدم من إيطاليا مزارعين، ليكونوا عوناً للبنانيين على تعلّم أساليبهم في الزراعة، فإذا بالكرسي «البابوي» يُعنى بهذه البلاد أيّما عناية، فينخرط اليسوعيون بإنشاء المدارس، ثم يتّم في روما نفسها تأسيس المدرسة المارونية في سنة ١٥٨٤، وهي التي

خرّجت الكثيرين من الأعلام الأوائل الممهّدين للنهضة عندنا

الأعلام الممهّدون للنهضة

من هؤلاء الأعلام الذين كانوا ثمرة الاتصال اللبناني السوري بالغرب - وكان اللبنانيون منهم - في الأغلب - خرّيجي المدرسة المارونية في روما، أو تلقوا العلم هناك - نأتي على ذكر بضعة أسماء، توضيحا لهذا التواصل العلمي المتبادل، فهناك الكاهن جبرائيل الصهيوني الإهدني (ت ١٦٤٨) الذي ترجم إلى اللاتينية «نُزْهة المشتاق في ذكر الأمصار والآفاق» للشريف الإدريسي، وكان من مدرّسي اللغات الشرقية في كلّيّة باريس وهناك البطريرك مكاريوس بن الزّعيم (ت ١٦٧٢) الحلبي الأرثوذكسي، وقد تميز بالكتاب الذي تركه حول رحلته الفريدة في عهدها، وقد كانت رحلته إلى الآستانة فبلغاريا وروسيا، وكتابه الكبير هذا وثيقة، لأنه حافل بالأوصاف الدقيقة المطوّلة لتلك البلاد التي حلّ فيها، ولهذا تُرجم كتابه إلى الإنكليزية والروسية ونُشر بها، بينما ظلّت نسخته العربية - وهي الأصل - طيَّ النسيان، ولم تُطبع وهناك إبراهيم الحاقلاني (ت ١٦٦٤)، وهو من ناحية جُبَيْل، درس في روما، وعمل كاتباً في خدمة الأمير فخر الدين المعني، وعمل في التعليم في باريس، حيث أطلق عليه الكردينال ريشيليو لقب «ترْجُمان البَلاط» إذ ترجم له بعض الكتب العربية ولا ننسى المطران جرمانوس فرحات (ت ١٧٣٢)، ربيب حلب الذي قصد إسبانيا وحصل منها على مخطوطات تتصل بآثار الغرب، وهو الذي أنشأ في حلب المكتبة المارونية النفيسة بمخطوطاتها وقد ألف كتباً كثيرة، كما عرّب مؤلفات كثيرة وصححها، وقد زادت على المائة، ومن أبرزها معجمه في اللغة «أحكام باب الإعراب عن لغة الأعراب» ونذكر أخيراً يوسف السِّمْعاني (ت ١٧٦٨)، من حصْرون على مقربة من أرز لبنان الذي أتقن لغات كثيرة، وتعلّم في روما وعاش فيها، وهو واضع فهْرست الكتب الشرقية المخطوطة في مكتبة الفاتيكان التي غدا حافظا أول لها، كما وضع كتاب «المكتبة الشرقية» حول المخطوطات العربية والسُّريانية الكثيرة التي جمعها خلال جولته الواسعة في رحاب الشرق وقد كتب معظم مصنفاته باللغة اللاتينية

وهكذا نلاحظ أن رجال الدين المسيحي في لبنان وسوريا، أو الذين ترعرعوا في كنفهم، كانوا روّاد هذا الاتصال العلمي بالغرب، وقد مشوْا على خطاه، فإذا بهم يقتبسون عنه أسلوب تنظيم المدارس «الإكليريكية» والمدنيّة، كما يأخذون عنه وسائل التقدم العلمي، كالطباعة وغيرها، مما سنُلم به لاحقاً، على أنه ينبغي لنا ألا نبالغ كثيراً في صدد أسبقية لبنان وسوريا على مصر في ميدان الاتصال بالغرب، وما ترتب على هذا الاحتكاك من تقدم في الذهنية، أو نضج في النظرة «العقلانية»، بدليل أن «فولني» الذي قام بزيارة إلى هنا وهناك، قال في وصفهما «إن الجهل سائد في سوريا ومصر وسائر تركيا انقضى عصر الخلفاء، وليس من العرب أو التُرك الآن علماء في الرياضيات أو الفلك أو الموسيقا أو الطب وفي دير مار يوحنا (بالشوير) طائفة من الرهبان، لهم اتصال برومية، ولا يقلّون جهلاً عن سواهم وإذا قيل لهم إن الأرض تدور عدّوا القول كفراً، لأنه يخالف الكتاب المقدس» ثم إن الاحتكاك بالغرب، لكي يكون خصبا فاعلاً، فهو يحتاج إلى مشروع يتجسّد فيه ويندمج، وهذا ما لم يتوافر في لبنان حينذاك، في حين أن محمد علي - عندما جاء إلى السلطة - قد بنى في ضوء التفاعل مع الغرب دولة حديثة على النيل

الحملة الفرنسية على مصر

اعتبر كثيرون أن دويّ مدافع بونابرت، خلال

الحملة الفرنسية على مصر، قد أيقظ الشرق من سباته العميق. ولم تكن هذه غاية القائد الشهير، وإنما كانت بُغْيته قطع طريق الهند على الإنكليز، كما كانت تداعب خيال بونابرت صورة متلألئة عن الشرق، هي على الأرجح صورة مستمدة من ألف ليلة وليلة، ذلك الأثر الجميل الذي أشاع إعجاباً ممزوجاً بالدهشة في فرنسا، وذلك لدُنْ ترجمته بشكل مقتبس في مطلع القرن الثامن عشر على يد أنطوان غالان ولم يجد الجيش الفرنسي الغازي مقاومة شرسة، لأن المماليك ـ حكام مصر الفعليين ـ كانوا في خُلْف وتمزّق وتهرّؤ، يناوىء بعضهم بعضاً، ويتآمر فريق على آخر، وكانت لهم مشيخة البلد، فما أن يضعوا شيخاً للبلد منهم حتى يُسقطوه أو يفتكوا به ويُطلعوا آخر مكانه ولم تكن توحدهم عصبية جامعة، فالحاكم عليهم هو مَنْ يستبيح دماء الآخرين، إذ النظام الوراثي في اعتلاء السلطة لم يكن شائعاً بينهم، إلا في النّدْرة، وكانوا خليطاً من التُرك والشّركس والكُرْج، ويتحكمون عَنْوة بمقدرات مصر وخيراتها

ولم تعش الحملة الفرنسية طويلاً في أرض الكنانة، فاستمرت ثلاث سنوات فقط، واضطرت إلى الجلاء عن وادي النيل وكانت مقاومة الشعب المصري لها قوية، بخلاف وقفة حكامه اللاهين، المختلسين للشعب الذين يثقلون كاهله بالضرائب ومن إيجابيات الحملة أنها أيقظت في الجماهير الشعور القومي، وبصّرتهم بحقوقهم المهضومة، غير أن الحملة لم تهز المجتمع المصري قومياً فقط، وإنما كان لها أن تهزه عقلياً فقد جاء بونابرت مصر وغزاها عسكرياً، وثقافياً، تطلعاً منه إلى استمالة العقول لوضع الأسس لمشروعه الشرقي وقد اصطحب معه بعثة علمية جليلة، ضمّت مائة وستة وأربعين من رجال العلم، ومن المتخصصين بفنون الصناعة والهندسة والآثار وغير ذلك من العلوم المتقدمة، فمسح هؤلاء مصر على نحو علمي فريد شامل، وتمخّض عملهم الرائع عن كتاب ضخم، يقع في تسعة مجلدات، وقد تمّ طبعه بعدها في فرنسا بعنوان «وصف مصر» (١٨٠٩ ـ ١٨٢٥)، فأصبح نافذة عريضة أطلّت منها أوروبا على مصر الحديثة لتتعرف على أحوالها

الدهشة أمام الغرب

وعلى الرغم من أن المرحلة الزمنية للحملة الفرنسية كانت [illegible] في مصر. فلقد طرحت أمام أعين المصريين، بمحافلها الاجتماعية التي كانت تضم الرجال والنساء، الصورة الأوروبية للحياة، في حين أن المرأة المصرية كانت مُقْعَدة وراء الجدران، وهي محجّبة، لا تبصر زحمة المجتمع إلا من خلال فُتح الأبواب وخصاص النوافذ وكان من جملة ما أقامه الفرنسيون في القاهرة مسرحاً للتمثيل، كما أنشأوا مدرستين لتعليم أبنائهم، وذلك على النمط الأوروبي الذي يختلف كثيراً عما كان عندنا من كتاتيب وهكذا نلاحظ أن الحملة قد أقامت مجتمع صغيراً لها، تردد عليه بعض المصريين من النخبة الدينية والمثقفة، لا سيّما إذا عرفنا أن بونابرت اختار من علماء الأزهر أعضاء الديوان الخصوصي الذي أنشأه ثم إن الحملة اصطحبت معها مطبعة، ذات حروف عربية، وهي الأولى التي عرفتها مصر وقد تم بواسطة هذه المطبعة إصدار المنشورات والأوامر كذلك أصدر الفرنسيون صحيفة رسمية عسكرية، سموها «التنبيه»، وقد أشرف عليه اسماعيل الخشّاب، وحوت أيضاً الأحكام الصادرة عن ديوان القضاء وهي ـ على نحو ما ـ أول جريدة عربية خاصة وقد نشروا، بفضل هذه المطبعة، كتاب هجاء بالعربية والتركية والفارسية وكان هذا العمل الطباعي كله جديداً على المصريين كم اهتمت الحملة بإصدار صحيفتين بالفرنسية، هما «لوكورييه ديجيبت» (بريد مصر)، و «لا ديكاد اجبسيان» (العُشارة المصرية) ولا بدّ أن هاتين

الصحيفتين قد نبهتا المصريين إلى فن الصحافة غير المألوف لديهم كانت الصحيفة الأولى لسان حال الحملة ، في حين أن الصحيفة الثانية عبّرت عن المجمع العلمي الذي كان أيضا من منجزات الحملة ، وهذا المجمع قد أراده الفرنسيون على غرار مجمعهم العلمي في باريس ، وكان يطمح إلى تطوير الأبحاث المتعلقة بمصر ، وإلى دمج الثقافتين العربية والشرقية ، لذا كان شعاره « التقدم والاتحاد » وقد رمّموا بعض بيوت الأمراء لتنشيط الثقافة ، وجعلوا من أحدها مكتبة عامة ذات دوام ، وكانت عامرة بالكتب الثمينة المجلوبة من أوروبا أو المأخوذة من المساجد وبيوت المماليك وكانوا يرغّبون أهل البلد في ارتيادها ، ويرحّبون بهم إذا ما وفدوا عليها ، ويطلعونهم على ما شاءوا من الكتب ، خصوصا المصوّرة منها

كانت الحملة عالمة بأحوال المصريين المتخلفة ، لذا كانت حريصة على إدهاشهم ، مستفيدة من جهلهم بحقائق العلوم وقد جعلت لكل علم دارا ، واهتمت بالكيمياء ، فخصّتها بمعمل كبير للتقطير والأعمال المختبرية وكان الفرنسيون يقومون بالتجارب الكيماوية أمام الأهالي ، فيثيرون في نفوسهم العجب إنه السحر العلمي أمام التخلف « القروسطي » ولسنا في مجال تعْداد كل ما نهضت به الحملة من أعمال ، على أننا نذكر ، في ختام هذه الإلمامة ، أنها أقامت المصانع للورق والأقمشة وغيرها من الحاجيات ، كما ابتنت في حارة « الناصرية » مرصدا فلكيا ودُورا للنقش والرسم وهذه الآثار الحضارية جميعا كانت مظاهر جديدة فتّانة أعين عشّاها التأخر ، وعكف فوقها الجهل وقد أحس المصريون - من النخبة المتعلمة - بالبون الشاسع بين ما هم عليه من استكانة وضعف ، وما تبدّى فيه الفرنسيون من مظاهر التقدم والاستنارة ، لذا كان لهم في الحملة آيات لقوم يتفكّرون وكانت مصر الدَهشة ، المستيقظة قوميا ، الباحثة عن تاريخها ، بحاجة إلى حاكم ينقلها من وهْدة الانحطاط العثماني إلى مشارف العصر والتحديث الغربي ، فكان لها في محمد علي ، وقد تسلّم السلطة سنة ١٨٠٥ بتأييد من المصريين ، هذا الحاكم المستنير الطموح الذكي الأريب إن محمد علي هو المؤسس الحقيقي لمصر الحديثة □

عمادة الأدب

● سئل الأستاذ توفيق الحكيم عن رأيه في لقب عمادة الأدب ، وماذا تعني هذه الكلمة بالنسبة للأديب ؟ فأجاب قائلا قولوا لي أولا هل يوجد عميد للأدب في أمريكا أو في روسيا ، أو في انجلترا أو في فرنسا ؟ وهل يعرفون في تلك البلاد مثل هذه الألقاب في محيط الأدب ؟ لماذا نحن إذن في الشرق العربي نفكر دائما في العمادة والزعامة والرياسة ، حتى في هذه البيئة الحرة التي هي بيئة الأدب والفكر ؟

إني أدرك أن هناك اتجاهات ومدارس ومذاهب لها من يمثلها ، لكن تنصيب شخص واحد لزعامة الأدب بأكمله شيء غير مقبول اليوم في الآداب العظيمة المتحضرة . وقد آن الأوان أن نتخلص - في بلادنا - من هذه المخلفات العتيقة . وتذكروا أن هذا أيضا هو رأي طه حسين الذي سبق أن أبدى اعتراضه على هذه الألقاب في أكثر من مناسبة

توفيق الحكيم

ندوة لا نظير لها في الوطن العربي !

بقلم : فتحي رضوان

لعبت القاهرة دوراً مشهوداً في عالم الثقافة والفكر . وما أكثر ما شهدت من ندوات شارك فيها عدد من أقطاب الأدب والثقافة الذين عرفهم الوطن العربي في مختلف أقطاره ، ولو جمعت أحاديثهم في هذه الندوات لملأت عشرات المجلدات

كانت في القاهرة إبان العقدين الثاني والثالث من القرن العشرين ، وما بعد ذلك بقليل ، ندوات تتناثر في مقاهي القاهرة ذات الصيت البعيد ، وكان لكل ندوة قطب ، يتحلق حوله المريدون والمعجبون ، يستطيبون حديثه ، ويسعدون بعلمه ، ويتنافسون في إذاعة نكاته ومداعباته ، مبينين للناس ما فيها من المحار ، والبديهة الحاضرة ، والقدرة الفائقة ، في السخرية بالأشياء والأشخاص

وقد برزت هذه الندوات ثلاثة منها واحدة اتخذت بار الأنجلو مكانا الى جوار « البنك الأهلي » مصرف الحكومة الأول ، وكانت الثانية في بار « اللواء » في الناحية المقابلة لجريدة الأهرام ، والثالثة في قهوة متاتيا التي كان يجلس فيها ، السيد جمال الدين الأفغاني ، وقد قيل يوما عنه انه كان في هذه المقهى ، يتناول عطوسه بيمينه ، ويوزع بذور الثورة بيساره

ولكن كانت الى جانب هذه الندوات ذات الشهرة البعيدة ، ندوة لا يسمع بها أحد ولا يتحدث عنها كاتب ولا أديب ، على الرغم من أنها كانت تحوي العديد من الأدباء والخطباء . وأهل الثقافة وأصحاب الذوق الرفيع في الدعابة المستحبة والفكاهة اللاذعة

رواد الندوات

أما الندوة الأولى ، وهي ندوة الأنجلو ، فكان لها قطب ، فلما لحق بالرفيق الأعلى حل محله أديب في مثل براعته في السخرية وتصوير الأشخاص ، كان القطب الأول حافظ ابراهيم شاعر النيل ، ويجالسه كل من الشيخ عبدالعزيز البشري ، كاتب الصور القلمية التي اشتهرت بلقب « المرآة » ، وخليل مطران شاعر القطرين ، وفكري أباظة باشا رئيس تحرير المصور ، وكان يختلف عليها أحيانا كاتب كان معروفا في دوائر الأدباء وكتاب الصحف ، واسمه أحمد فؤاد ، ولأنه كان يصدر جريدة اسمها الصاعقة

لصق هذا الاسم به فأصبح لقبا له وأصبح ينادى بأحمد فؤاد الصاعقة ، وكان أحمد فؤاد الصاعقة قد اتهم في قضية صحفية خطيرة ، شاركه فيها نقيب الاشراف محمد توفيق البكري ومصطفى لطفي المنفلوطي

أما الندوة الثانية التي كانت تعقد في بار (اللواء) ، فقد كان مقرها مقهى إسمه بار (اللواء) استعار اسمه من اسم جريدة مصطفى كامل باشا مؤسس ورئيس الحزب الوطني ، أقدم الأحزاب المصرية ، وأغناها بالأعوان والمناصرين ، ولأن بار اللواء ، كان في الجانب من الشارع الذي تقوم فيه بناية جريدة الأهرام ، فقد كان أكثر رواد هذه الندوة محررو الأهرام وعلى رأسهم رئيسها ، وكان هذا الرئيس أول الأمر الكاتب داود بك بركات ، فلما لحق بالرفيق الأعلى حل محله أنطون باشا الجميل ، الذي كان رئيساً للجنة المالية بوزارة المالية في مصر ثم عاد الى الصحافة ، وأقول عاد لأنه أصدر مجلة اسمها (الزهور) كانت من أولى المجلات الأدبية العربية ثم أغلقت أبوابها وكان يجالس أنطون الجميل ، الشيخ التفتازاني شيخ مشايخ الصوفية ، وكان محسوبا من الأدباء لأنه لا يترك ندواتهم ، ولا يكف عن التردد على غرف رؤساء التحرير في صحفهم ، فكان يزور خليل ثابت في (المقطم) ومحمد حسين هيكل في (السياسة) وداود بركات ثم أنطون الجميل في الأهرام ، فلما أصدر محمد توفيق دياب جريدة الجهاد الوفدية ، وانحازت فترة لحزب الوفد ، كان مكتب رئيس تحريرها من الأماكن التي يرتادها علية القوم ، ومتسقطو الأخبار ، والراغبون في الشهرة ، والحريصون على غشيان دوائر أصحاب النفوذ والسلطة

أما الندوة الثالثة فقد كان قطبها ، قطبا بالفعل ، فقد انعقد لواؤها لزعيم تونسي هو الاستاذ عبدالعزيز الثعالبي ، وقد جاهد عبدالعزيز الثعالبي الفرنسيين في تونس ، واعتقلوه مرارا وحكموا عليه بمدد طويلة من الحبس ، ولم يكن في تونس من يناظره في اجتماع الشعب على مبايعته ، ولا في قدرته في تنظيم الصفوف ، ووضع الخطط لمقاتلة الاستعمار وكان عالما وفقيها ، بيد أنه كان ضخم الجثة بطيء الحركة ، وان كانت حيويته قد عوضت عليه هذا البطء في الحركة جلس الثعالبي في قهوة متاتيا كما جلس فيها الأفغاني من قبل ، ولكن لا أظنه كان يحرض على الثورة كما فعل الأفغاني ، وان كانت صلاته بالمجاهدين في تونس لم تنقطع ، واستقباله لهم في قهوة متاتيا بالقاهرة لم يفتر ، ولكن الأمور تغيرت في تونس ، وظهرت طلائع من الشبان استفادوا من خلو الميدان من الثعالبي ، فتأثروا بالزعامة . فلما عاد الثعالبي الى وطنه استقبلته الحركة الوطنية الجديدة استقبال الفاتحين ، ولكنها سدت عليه أبواب العمل السياسي ، فناضل لفك القيود التي فرضها عليه الجيل الجديد فلم ينجح فأخلد للسكون حتى توفاه الله

هذه هي الندوات الثلاث التي كانت مراكز للفكر والثقافة ، صحيح أن الكثير مما كان يقال فيها أقرب الى إزجاء الفراغ ، والتباري في الدعابة القارصة ، إلا أنه كان فيها جد غير قليل ، وأدب يروى شعره ونثره ، ووقائع لتاريخ على البديهة وبغير تحضير ، الا أنه كان ممتعا ومنشطا للقريحة ، وراويا تاريخ الأيام التي سلفت بكل حلوها ومرها

ندوة المترو

ولكن كانت هناك الندوة التي أريد أن أحدثك عنها ، والتي لم يسبقني أحد بذكر شيء عنها ، لم تكن في مقهى ، وانما كانت في قطار سريع عظيم السرعة ، عرف في القاهرة (بالمترو) وهو نوع من الترام السريع يشق الطريق بين واحة مصر الجديدة (وهي واحة بحق) تقع في شمال شرق القاهرة عمرها الجنرال « امبان البلجيكي » الذي أقام مترو

بروكسل عاصمة بلاده وعرف بالمشروعات الضخمة ، ولم يكن (المترو) الا وسيلة ، ليعمر مصر الجديدة التي نسقها على أسلوب جديد ، فخرجت تحفة في تخطيط المدن ، وكان الأجانب يحرصون على زيارتها فتعجبهم في كل شيء فيثنون عليها أجمل الثناء ، كان هذا القطار السريع الذي يقطع المسافة بين واحة مصر الجديدة والقاهرة في عشر دقائق ، وكان فيه من جمال مصر الجديدة وأناقتها شيء غير قليل ، فكان قطارا يمتع فيه السفر وتحلو فيه الرحلة ، وكان أدباء مصر وأدباء العرب الذين يقيمون في مصر التماسا للراحة أو انتجاعاً للصحة ، يؤثرون السكن في مصر الجديدة ، ومن هنا كان القطار ملتقى أئمة الفكر وحملة القلم ، والفنانين ، يحيي بعضهم بعضا أول الأمر ، بايماءة سريعة ، ثم لا تلبث الصلات أن تتوشج ، فيخاطب بعضهم بعضا ، ويتحولون شيئا فشيئا الى أصدقاء ، فاذا اجتمع عدد منهم راحوا يقلبون الحديث على وجوهه ، وبعض ما يقولونه يتطاير حتى يصل الى اسماع الركاب ، فينعمون بالحديث الطيب من أساطينه ، وتنتشي نفوسهم ، وينزلون من القطار بعد أن تزودوا بزاد لم يطمعوا فيه ولم يسعوا اليه

كان من يركبون المترو زعماء فكر مثل عباس العقاد ، وأستاذ جامعة صاحب مكانة عريضة مثل الدكتور أحمد أمين ، وشاعر وناثر لا يزال يشاغب الكبار ، ويحمل عليهم حملات تكلفه في الحياة الكثير ، فيتحمل بالصبر ولا يهون ، ونعني به الدكتور زكي مبارك صاحب النثر الفني وكان هناك شعراء من الطبقة الثانية يتقدمهم عبدالرحمن صدقي ، وابراهيم ناجي ، وكاتب مسرحي من السابقين في ريادة الكتابة للمسرح ، نعني به ابراهيم رمزي صاحب المسرحية الذائعة الصيت (دخول الحمام مش زي خروجه) ومسرحيات تاريخية منها شجرة الدر ، وكتب مرموقة في السيرة النبوية مثل كتاب (باب القمر) وكان من الفنانين ضمن هؤلاء الأفذاذ رياض السنباطي الملحن الذائع الصيت ، وخطاط كانت خطوطه طرازا من الرسم العربي التجريدي هو نجيب هواويني ، وكان يقيم في شارع بمصر الجديدة اسمه شارع (العجم) فأهدى اليه عباس العقاد أحد دواوينه فقال الى (شاعر العرب في شارع العجم) وكان من الممثلين أحمد علام الذي كان القاؤه الشعر والنثر لونا من الطرب ، كما كان بينهم عباس فارس الذي كان يردد الأوراد في جلسته غائباً عن الناس ، وكان من الكتاب من لم يظفر بالشهرة التي يستحقها ومن هؤلاء حبيب جلال وكيل مجلس الدولة الذي تخصص في رسم صور قلمية لرواد المحاكم ، فأتقن التصوير ، ثم ألف كتابا عن الثورة الفرنسية فكان تاريخاً كتب بقلم الأديب وكان من ركاب المترو وأعضاء الندوة لفترة محمد صبري الشهير بالسربوني الذي ترك مكتبة ضخمة في تاريخ مصر الحديث بالفرنسية والذي اعتنى قبل وفاته بشوقيات شوقي المجهولة فكانت عملا عظيما ، وأثرا باقيا ، كما أخرج دراسات في شعر الجاهلية وأصحاب المعلقات ، فكانت عملا تتقطع دونه رقاب المقلدين

كانت هذه الندوة تعج بأصحاب هذه الأسماء ، والركاب لا يدرون أن معهم في القطار أعلام الوطن ، وقادة الفكر ، وأصحاب أعظم الأسماء وكان هؤلاء على الرغم من علو مكانتهم يدخلون القطار ويخرجون في بساطة ، لا يشمخون بأنوفهم ، ولا يكاد القطار يتحرك حتى يروحوا في حديث أو نقاش لو سجل لملأ صفحات المجلدات ☐

● ان الامة المستعدة بروحها وعقليتها لاتستطيع أن تكون حرة بملابسها وعاداتها (جبران)

تقدّم العلم وتلوث البيئة

بقلم : الدكتور سمير رضوان

زماننا يركض بساقين، أحدهما العلم، وثانيهما التلوث، وللتقدم العلمي إبهاره الذي قد يصرف الأنظار - ولو إلى حين - عن التلوث المصاحب له كظله، والعارف ببواطن الأمور يضع يده على قلبه إشفاقا من كل إنجاز علمي جديد، فهو يدرك أن هناك جانبا مظلما لهذا الإنجاز غالبا

كنت قد اخترت لهذه المقالة عنوانا آخر، هو «تقدث العلم وتلوم البيئة»، لكنني نحيته حتى لا أتهم بالإبهام أو الإغراب، ومن قبل أن يسارع غيور على العربية إلى قواميس اللغة لاستجلاء حقيقة الأمر حول لفظي «تقدث» و «تلوم» أسارع إلى الاقرار بأن هذين اللفظين لم يرد لهما ذكر في أي قاموس من قواميس العربية، وبأنني قد «نحتهما» من لفظي «تقدم» و «تلوث»، واستخدمتهما في هذه المقالة للمرة الأولى. ولاشك أن هذين اللفظين المنحوتين يحملان قدرا من الدعابة اللفظية، على أنهما يحملان أيضا نصيبا كبيرا من الجدية، وقد أحببت أن أمزج لغويا بنحتي لهما بين التقدم والتلوث، فلا يذكر أحدهما إلا وصاحبه معه، معبرا بذلك عن واقع طرأ على حياة الانسان، فكلما تقدم العلم خطوة جاراه التلوث في ذلك، وكأنهما ساقا عدّاء واحد، وهذا هو المعنى الذي أسعى لإيصاله إلى القاريء بهذه المقالة. وليس في استطاعتي، ولا هو في استطاعة فرد غيري - على ما أظن - حصر خطا التقدم العلمي التي خطاها الانسان، ومراوحتها بكل ما صاحبها من آثار سلبية، ذلك لأن العلم الحديث قد تشعبت فروعه، ودقت تخصصاته، حتى أصبحت أضخم من أن يحتويها عقل فرد واحد وأعظم، وأحسب أن في ذلك عذرا مقبولا لي لدى القاريء عندما يلاحظ أنني قصرت استشهادي في هذه المقالة على أمثلة من مجال دراساتي في «علم الميكروبات»، فهذا أمر طبيعي، وأظنه مقبولا، كما أنوه بأن ما سأقدمه هنا لن يزيد

عن أمثلة قليلة ، لا تدخل في باب الحصر لما أعرض له بحال

العلم بين الماضي والحاضر والمستقبل

التصق بزماننا اسم « عصر العلم » ، وهو كذلك ، لكن ثمة حقيقة لابد من إبرازها ، وهي أن عصر العلم بكل منجزاته المبهرة لم يزل بعد في طفولته المبكرة ، فكل هذا الكم الهائل من المعارف العلمية ، وتطبيقاتها ، قد توفرت للانسان خلال ما لا يزيد عن قرن واحد فقط من الزمان ، وللقارىء بعد ذلك أن يتصور ما سوف يؤول إليه حجم المعرفة العلمية بعد مرور قرن آخر ، ثم قرون عديدة

سوف تصبح معارف اليوم ساذجة مقارنة بعلوم المستقبل ، مثلما أصبح علم الماضي موصوفا بالسذاجة والخرافة مقارنة بمعارف اليوم ، وإن كان التقدم العلمي في زماننا قد ارتبط بكل هذا القدر الذي نلمسه جميعا من مشاكل التلوث فلنا أن نتصور مقدار المشاكل التي سوف يجلبها للبشرية تقدمها العلمي في المستقبل ، ولا يحسب أحد أن العلم والبحث العلمي كانا حكرا على عصر من العصور ، فليس يساورنا شك بأن الانسان قد شغل بالعلم منذ خلقه الله ، وسوف يظل شغله الشاغل حتى قيام الساعة ، وعلم الماضي ـ قبل ما يسمى عصر النهضة العلمية ـ كان مشوبا بقدر من الخرافات والأخطاء ، على سبيل المثال لم يعرف الانسان أن فساد الأطعمة التخمرات الكحولية والأمراض المعدية بسبب يكروبات إلا في الزمن الحديث ، ولانسان الماضي دره ، إذ لم يكن هناك أجهزة تكبر الأشياء تكبيرا ائلا كي يرى بها هذه الأحياء ، ومن هنا كان لابد أن روج التفسيرات الخرافية لظواهر طبيعية كان نسان يشاهدها ولا يعرف لها سببا ، فعزاها إلى أرواح والجان وغيرها ، ومن هنا جاءت مثلا تسمية خمور بالمشروبات الروحية ويطلق العامة على

هكذا ارتبط التقدم العلمي وارتياد الفضاء بمشكلات التلوث

الكحول اسم « سبيرتو » وهو تعريب « لكلمة روح في اللغات القديمة » التي اشتقت منها كلمة روح بالانجليزية ، وهناك أسماء لبعض الأمراض تبدو فيها آثار هذه الاعتقادات الخرافية ، نذكر منها على سبيل المثال مرض « الانفلونزا » ، وهو اسم مشابه للكلمة الانجليزية التي تعني « تأثيرا » ، وذلك اعتقادا بأن هذا المرض كان بسبب تأثير الأرواح وكان عجز الباحث القديم عن رؤية الكائنات الدقيقة الحجم سببا مباشرا في ميله إلى الايمان بنظرية « التولد الذاتي للأحياء » ، وتقول هذه النظرية إن الكائنات الحية يمكن لها أن تنشأ ذاتيا في أي وقت ، من مادة عضوية ميتة ، ولقد اعتمد أتباع هذه النظرية في الماضي على ظواهر بسيطة ، لاحظوا من خلالها مثلا « تولد

الديدان والحشرات من مواد عضوية محفوظة في أوعية مغلقة بإحكام ونعلم اليوم أن هذه الأحياء لا تنشأ إلا من بيض دقيق لا يرى إلا بالمجهر ولقد شارك علماء العرب غيرهم بنصيب في الدراسات التي كانت نتائجها تؤيد صحة هذه النظرية ، ونذكر على سبيل المثال أن جابر بن حيان قد وصف في أحد كتبه نشأة أنواع من الذباب من لحم ثور ميت في حظيرة بابها مغلق بإحكام ، ومن الطريف أن آثار هذه النظرية ما زالت تتجلى في معتقدات العامة البسطاء ، فيشيع مثلا في الريف المصري القول الدارج « دود المش منه فيه » ، أي أن الديدان تنشأ من مادة المش نفسها ونخلص من ذلك إلى أن العلم كان في الماضي ضعيف العود ، وبنفس القدر كانت مشاكل التلوث لا تكاد تذكر

علماء الماضي عرفوا الأسلوب العلمي

عناصر الأسلوب العلمي الحديث الذي أدى الى انفجار بركان المعرفة هي نتيجة تخطيط التجربة المختبرية واستقراء النتائج وتحليلها منطقيا ، وقد يظن أن هذا الأسلوب لم يكن متبعا قبل عصر النهضة العلمية ، إلا أن هذا الاعتقاد خاطىء ، وللتدليل على ذلك أستأذن القارىء في أن أعود به مرة أخرى إلى نظرية (التولد الذاتي) ، كي أوجز جانبا من الجدل الذي كان يدور حولها ، والذي يذكرنا بالمساجلات الشعرية بين جرير والفرزدق ، فقد كان أول من تجرأ على نظرية (التولد الذاتي) هو الباحث ريدي عام ١٦٦٨ م ، حين أشار إلى أن نشأة الديدان من اللحم مرجعها الذباب الذي يحط عليه ، وهنا تصدى له نيدهام سنة ١٧٤٥م ، ليثبت من خلال تجارب عديدة أن هذه النظرية صحيحة ، فقد عرّض حساء اللحم للغليان في وعاء ، وأغلقه بإحكام ، وتركه يبرد ، وعندما فحص الحساء بعد أيام تأكد له تولد كائنات حية فيه ، وقد كان الاعتقاد السائد في ذلك الوقت بأن الغلي يقضي على جميع صور الحياة ، وهو اعتقاد لا يتفق مع المعارف الحديثة

وتصدى سبالانزاني سنة ١٧٧٦م لنيدهام بسلسلة من التجارب ، تدحض آراءه ، وقد فرق فيها بين نوعين من الكائنات الحية الناشئة في الحساء ، كائنات كبيرة الحجم نسبيا ، تتحمل الغليان لكنها تموت إذا طالت فترة الغليان إلى أكثر من ٤٥ دقيقة ، ولا تنشأ في الحساء بعد ذلك أي أحياء على الاطلاق وطالت المساجلات بين نيدهام المؤيد وسبالانزاني المعارض وشارك فيها علماء آخرون حتى قطع باستير الشك باليقين في أواخر القرن الماضي ، وقضى تماما على نظرية (التولد الذاتي) وأهم ما يعنينا هو أن ندلل على أن الأسلوب المعتمد على التجربة المختبرية كان متبعا في الماضي ، ثم أن هناك من المعارف العلمية ما توفر للانسان في الماضي السحيق ، إليك مثلا أسرار التحنيط عند قدماء المصريين ، وعملياتهم الجراحية الطبية المعجزة ، ومعارفهم في مجالات الهندسة المعمارية وخلط الأصباغ وتثبيتها ، وغير ذلك كثير ، وهذه المعارف لا تكتسب إلا من خلال الأسلوب العلمي بمعناه الحديث

التلوث إفراز التقدم العلمي

التلوث هو بمثابة الافرازات الكريهة للعلم أثناء تقدمه ، والمعركة الكبرى التي يتحتم على العلم أن يخوضها هي معركة الحد من آثار التلوث قدر المستطاع ، ولقد قلب العلماء بالفعل للتلوث ظهر المجن ، إلا أن أعقد ما في هذه المعركة هو أن التقدم العلمي لا يتوقف عند حد أبدا ، ولا يفتأ يفرز مشاكل تلوثية جديدة مع معظم الخطوات التي يخطوها إلى الأمام ، فبينما ينشغل الباحثون بمشكلة تظهر مشاكل أخرى ، ويستحيل حصر هذه المشاكل في مقالة واحدة ، حتى لو كانت فرعا واحدا من فروع العلوم ، واكتفاؤنا بالتعرض لمثال واحد - لاشك - يغني عن أمثلة أخرى كثيرة ، وسوف نأخذ هذا المثال من مجال لا يخطر على بال أحد أن يكون

نيه مصحوبا بمشاكل التلوث المعقدة ، وأقصد التسميد الزراعي

لتقدم الزراعي قد أفرز تلوثا

حت الزراعة الحديثة تعتمد اعتمادا كبيرا على . ، من أجل زيادة غلة الأرض ، وباستثناء الأرز الشاسعة في آسيا لا تكاد توجد زراعة رض اليوم الا وتلجأ الى التسميد بغزارة ، دم الأسمدة ـ كما هو معروف ـ كي توفر المحاصيل العناصر الغذائية الضرورية ، باتات المحاصيل من التربة ـ غالبا ـ عناصر موجودة في أملاح معدنية ، والهدف من . هو تعويض العناصر التي تشح في التربة ر ، ومن العناصر التي تمتص منها النباتات يرا نسبيا عنصر النيتروجين ، وذلك لأن هذا يدخل في تركيب مواد موجودة بوفرة في خلايا ، ، مثل البروتينات والأحماض النووية ، ، أما معظم العناصر الأخرى ـ كالحديد سيوم وغيرها ـ فتركيزها في التربة يفوق ار المقادير القليلة التي تحتاجها النباتات منها في

من أجل ذلك نسمع دائما عن الأسمدة جينية ، لكننا لا نسمع عن الأسمدة الحديدية بونية بالرغم من أن عنصر الكربون هو أعلى ر ـ على الاطلاق ـ تركيزا في خلايا النباتات ، ت الخضراء تحصل على ما يكفيها من هذا على صورة ثاني اكسيد الكربون المتوفر في ولا تمتصه من التربة أبدا نعود مرة أخرى ر النيتروجين ، لنشير إلى السبب في استمرار لهذا العنصر في التربة ، وهو أن النباتات تمتص يرا منه ، وتختزنه على صورة بروتينات في وثمارها وسوقها وقبل أن يكتشف الانسان كان النبات يموت في المكان الذي ينمو فيه ، بذوره وشق أعضائه المحتوية على المواد جينية على التربة مرة أخرى ، فيرتفع ما تحتويه من النيتروجين ، وتتوفر بذلك حاجات الأجيال الجديدة من النباتات للنيتروجين ، أما بعد اكتشاف الزراعة وتطويرها فقد أصبح الانسان يتدخل تدخلا حاسما في هذه الدورة ، فهو يحصد البذور والأعضاء الأخرى كهدف منطقي لعملية الزراعة ، ولهذا أخذ محتوى التربة من المواد النيتروجينية يقل بالتدريج ، وهذا ما حدا بالانسان إلى استخدام الأسمدة النيتروجينية في الزراعة ، التي لم يكن استخدامها مقترنا بالتقدم العلمي ومقتصرا على عصره ، ان الانسان القديم قد اكتشف فوائد التسميد في مراحل مبكرة ، بعد أن عرف الزراعة ، لكن الأسمدة التي كانت تستخدم في ذلك الوقت بكميات محدودة لم تكن سوى مخلفات الحيوان والانسان وهذه تحتوي على النيتروجين على صورة مركبات عضوية ، وتدلنا المعارف الحديثة على أن المركبات النيتروجينية العضوية تتحلل في التربة ببطء شديد وتتحول إلى أملاح نيتروجينية صالحة لغذاء النباتات ، وهذا التحلل البطيء يجعلها مثالية ، إذ لا يتوفر للنباتات في أي لحظة إلا كميات محدودة متوازنة من الأملاح النيتروجينية ، أما المخصبات النيتروجينية غير العضوية التي استحدثها التقدم الزراعي فهي توفر للنباتات مباشرة ، فتمتص منها أكثر من حاجتها ، مما يتسبب في نوع من التلوث ، سوف نتناوله بالشرح بعد قليل ، وتجدر الاشارة هنا إلى أن ميكروبات التربة لو تركت وشأنها دون تدخل من الانسان لاستطاعت أن تصحح الخلل في الميزان النيتروجيني في التربة ، دون حاجة إلى إضافة أسمدة غير عضوية ، فالتربة تحتوي على أعداد كثيرة من البكتريا التي تستطيع امتصاص غاز النيتروجين من الجو ، وتحويله في التربة إلى مواد نيتروجينية عضوية ، وهذه تتحلل بفعل ميكروبات أخرى ، فتتحول بصورة متوازنة إلى أملاح نيتروجينية صالحة لغذاء النباتات والدليل على ذلك هو أن حقول الأرز في اليابان والصين ما زالت تؤتي غلتها منذ

عشرات القرون إلى اليوم ، دون أن يستخدم الزراع أي أسمدة نيتروجينية ، فالاعتماد على البكتريا الخضراء المزرقة المتوفرة في مياه الحقول يعوض ما يمتصه النبات من مواد نيتروجينية ، خلال تحويل غاز النيتروجين إلى مواد نيتروجينية عضوية

ومن المفارقات العجيبة أن البحوث الحديثة قد أثبتت أن إضافة الأسمدة النيتروجينية غير العضوية إلى التربة تحدث حالة من الترهل للبكتريا التي تثبت النيتروجين الغازي ، إذ أنها تفضل استخدام الأملاح المضافة ، لتغطية حاجتها من النيتروجين ، ولا تلجأ أبدا ـ تحت هذه الظروف ـ إلى النيتروجين الغازي

التلوث بالنترات

وعلى الرغم مما ذكرنا فمن الممكن علميا قبول مبدأ إضافة أسمدة نيتروجينية للتربة ، من أجل زيادة المحاصيل ، لكن مع تحفظ أساسي ، وهو ضرورة أن تكون كميات هذه الأسمدة محسوبة بدقة ، بحيث لا تزيد عن حاجة النبات أبدا ، وإلا تحولت الزيادة إلى تلوث ، كما هو واقع الحال الآن يسعى الباحثون بدأب لكي يتوصلوا إلى طريقة لتحقيق ذلك ، وإلى أن يتوصل العلم إلى تلك الطريقة يتحتم على البشرية أن تتعرض إلى آثار التلوث الناجم عن سوء استخدام الأسمدة النيتروجينية ، وهو نوع من التلوث ، عمره لا يزيد على كوكسا عن عقود قليلة من السنين ، وندعو الله ألا يطول أكثر من ذلك ، فآثاره المكتشفة حديثا التى ما زالت إلى اليوم هينة سوف تصبح « كابوسا » ، مخيفا لو لم يقض العلم على التلوث وهو ما يزال في مهده

وينشأ هذا النوع من التلوث الذي أطلقوا عليه اسم « التلوث بالنترات » على النحو التالي فعندما تستقبل التربة الزراعية سمادا نيتروجينيا تنشط شتى ميكروبات التربة ، وتتضافر جهودها ، لكي تحول جميع المواد النيتروجينية إلى أملاح نترات ، فهذه الأملاح هي الصورة المثلى للنيتروجين ، كما تمتص معظم نباتات المحاصيل ، ونتبين من ذلك أن إنتا النترات في التربة الزراعية بصفة مستمرة أمر لازم لخصوبتها ، لكن كما يقولون « ما زاد عن حده انقلب إلى ضده » ، وقد أدى التسميد العشوائي إلى تراكم كميات كبيرة من النترات في الأراضي الزراعية ، تفوق كثيرا حاجة النباتات وقبل أن نتعرض لما ينجم عن ذلك من آثار سلبية ينبغي أن نشير إلى أن شق النترات يحمل شحنة سالبة ، بعكس شق النشادر مثلا الذي يحمل شحنات موجبة ، وحبيبات التربة الدقيقة كالطمي ، تحمل شحنات سالبة ، ويعني ذلك أن المواد النيتروجينية ما دامت موجودة في صورة أملاح النشادر فلحبيبات التربة القدرة على احتذاها والامساك بها بقوة ، أما إذا تحولت هذه الأملاح إلى نترات فإنها تتنافر مع حبيبات التربة ، أي أنها تصبح حرة طليقة في مياه التربة ، وتؤدي هذه الحالة إلى امتصاص النباتات لمقادير أكبر من النترات ، كلما زادت تركيزاتها في التربة ، كما أن قدرا من هذه النترات تحمله مياه التربة دون عائق ليصل في النهاية إلى المياه الجوفية ، إذا كانت حركة مياه التربة رأسية أو إلى مياه الأنهار والبحيرات إذا كانت حركتها أفقية ولاشك أن سؤالا قد خطر ببالك الآن ما الذي يخشى من ارتفاع مستوى النترات في النباتات ، وفي المياه العذبة ؟ والاجابة على ذلك كما وضحتها البحوث الحديثة تقول إن منظمة الصحة العالمية قد اشترطت ألا يزيد تركيز النترات في مياه الشرب عن عشرة أجزاء في المليون الواحد ، لكي تكون آمنة وصحية ، فإن زاد عن هذا القدر فالماء ملوث بالنترات ، يحظر شربه .

تمثل مياه الأنهار والبحيرات الملوثة بالنترات وسط مثاليا لنمو الطحالب وحيدة الخلية ، وكثير م الأعشاب الضارة التي تنمو نتيجة لذلك بغزارة في مجاري الأنهار ، فتعوق حركة الماء ، وملاح القوارب الصغيرة ، وعندما تموت هذه الأعشا

ل تنمو عليها البكتريا ، فتتهدد بذلك الثروة
كية تهديدا خطيرا ، أما الطحالب ـ وحيدة
ـ فوجودها في الماء بأعداد كبيرة يؤثر على
ية المياه للشرب ، فهي تعوق عملية تنقية المياه
طات الخاصة بالتنقية ، وتضفي طعما كريها على
أما إذا شرب الانسان أو الحيوان ماء ملوثا
ت ، أو أكل خضراوات ملوثة بها فالأخطار
وأدهى ، إذ يتعرض شق النترات إلى عملية
زال في الجهاز الهضمي من خلال أنشطة
وبات التي تستوطن هذا الجهاز ، ويتحول هذا
إلى شق النتريت الذي يمتصه الدم ، وهناك
هذا الشق مع هيموجلوبين الدم ، فيعوق
على نقل الاوكسجين في الجهاز الدوري ،
ا معناه الاصابة بمرض يعرف باسم
وموجلوبينيميا » ، وهو مرض قد يؤدي إلى
الماشية ، وموت الرضع من البشر الذين تقل
هم عن ستة أشهر   ولا يقتصر خطر التلوث
ات على ما ذكرنا ، بل ما زال هناك ما هو أدهى
ر ، فوجود أملاح النترات بوفرة في التربة يؤدي
شيط أنواع من البكتريا التي تختزل هذه النترات
ق النيتريت الذي قد يتفاعل مع مواد تسمى
ات الثانوية التي تنتجها ميكروبات أخرى في
ة ، ومنها ما ينشأ من تحلل بعض المبيدات
ية ، وينتج عن تفاعل شق النيتريت مع
ات الثانوية مادة تعرف باسم « النيتروزامين »
د ثبت أنها مادة مسببة للسرطان ، كما أنها تحدث
ا في انقسام الخلية ، مما ينجم عنه تشويه الأجنة
رحام   ووجود مثل هذه المواد في التربة يعني أن
لها للانسان أمر وارد من خلال النباتات التي
وهي ملوثة بهذه المواد

زال هناك في جعبة الأخطار الناجمة عن التلوث
ت ما هو أعتى وأدهى ، فهناك في التربة أنواع
بكتريا اللاهوائية التي تستطيع احتزال شق
ات إلى شق النيتريت ، ثم إلى أكاسيد

النيتروجين الغازية ، مثل أول أكسيد النيتروجين ، وأكسيد النيترور ، وهذه تتصاعد إلى أعلى تاركة التربة متجهة إلى الجو ، فإذا بلغت طبقات الجو العليا فإنها تتفاعل مع غاز الأوزون ، فتحوله إلى الأكسجين ، أي أن هذه الأكاسيد النيتروجينية تؤدي إلى تآكل طبقة الأوزون ، وهو تآكل ما زال إلى يومنا هذا بطيئا للغاية ، لكن خطر ازدياد معدلاته قائم ، ما دامت أساليب التسميد العشوائي متبعة في الزراعة   وطبقة الأوزون تغلف الكرة الأرضية على ارتفاع في الفضاء يبلغ في متوسطه ٢٥ كيلومترا عن سطح البحر ، ولها القدرة الفائقة على امتصاص الأشعة الكونية التي لو بلغت سطح الأرض لأهلكت الحياة الراقية برمتها   هذه هي بعض الآثار السلبية التي اكتشفها العلم الحديث للتلوث بالنترات ، وما خفي كان أعظم

حتى لا يفتننا التقدم العلمي

ما ذكرناه كان إحدى صور التلوث المصاحب لخطوة واحدة في مسيرة البحوث الزراعية ، ولا يغيب عن فطنة القارىء أن هناك صورا لا حصر لها للتلوث المصاحب للتقدم في شتى العلوم الأخرى ، ونحن كبشر غالبا ما تبهرنا الجوانب البراقة للتقدم العلمي ، فلا نذكر سواها ، لكننا إذا تجاوزنا السطح ، وأمعنا النظر في الجوهر هالنا ما نرى ، ويرسخ في أذهاننا اقتناع بضرورة التريث والحذر قبل التدخل في نظام الكون تدخلا حاسما ، ويزداد هذا الاقتناع رسوخا لدينا كلما ازداد تعمقنا في العلم ، وأحسب أن أقل البشر انبهارا بإنجازات العلم الحديثة هم العلماء أنفسهم ، فهم يعلمون أكثر من غيرهم أن كل خطوة جبارة من خطا التقدم التي ينبهر بها خلق الله قد تمهد بصورة أو بأخرى إلى خطوة تلوث جبارة أيضا لم تكن في الحسبان ، ومن كان في ريب مما نقول فليسأل جده   هل كنتم تسمعون فيما مضى بشيء اسمه التلوث بالنترات ؟□

«خماسيات شعرية»

أصل البلاء

شعر : زكي قنصل

قَالُوا تَقارَبَتِ القلوبُ وَزالَ ما   بَيْنَ الوَرَى مِنْ فِتْنَةٍ وَخِلافِ
قلت الشُّعُوبُ مِنَ الفَسادِ بَرِيئَةٌ   لاَيَغْدِرُ الحافي الشَّريفُ بِحَافِ
أصْلُ البلاءِ هُمُ الذين تَحَكَّمُوا   بالناسِ ، وَارْتَفَعُوا على الأكْتافِ
نَامَتْ عَنِ الباغي العيونُ فَصَفَّقَتْ   أطماعُهُ بقوادمٍ وخوافِ
كالذئبِ يَسْتَشْري فَيَفْتِكُ حين لا   يَخْشَى عَصَا الرَّاعي بِسِرْبِ خِرافِ

- ٢ -

إني وَإنْ خَانَ الصَّديقُ مَوَدّتي   ثَبْتٌ عَلَى عهدِ الصديقِ الغادرِ
أغضي جُفوني عَنْ مَسَاوِئِه وَلا   أَلقَاهُ إلّا بِابْتِسامَةِ عَاذِرِ
أنَا مِثْلُه في ضَعْفِهِ وعِثَارِهِ   فَعَلامَ أرْمُقُهُ بِطَرْفٍ شَازِرِ ؟
دُنْيَاكَ لُجٌّ لايُسْبَرُ قَرارُهُ   فَاسْلَمْ بنفسِكَ أو تَخُضْهُ وَخَاطِرِ
مَنْ يَرْجُ مَحْضَ الخيرِ مِنْ أصحابِهِ   لَمْ تَخْبُ جَذْوَةُ غَيْظِهِ المُتَطايِرِ

- ٣ -

[illegible] قلتُ [illegible] حولي   أنَا أنْتَقِدُ الأعْمالَ لا الأسماءْ
[illegible] لَسْتُ أُعطي غيرَ ما   أبدي ، فكيفَ تَظُنُّني حِرْباءْ
[illegible] الطبيبُ حَوْلَ المريضِ   وَقَلْبُهُ يبكي عليه [illegible]
[illegible] المروءةَ في النفوسِ فضيلةٌ   والبعضُ يدّعي [illegible] ورياءْ
[illegible] صَراحَةُ شاتِمٍ   مِمَّنْ يَسوقُ [illegible] إطراءْ

- ٤ -

عَرَّضْتَ نَفْسَكَ للمهانةِ فانْبَرَى — ذئبٌ يحومُ على حِماكَ وثعلبُ
لَيْسَ الذي سَرَقَ الحديقةَ مُذنِبًا — إنَّ الذي «سَابَ» الحديقةَ مُذنِبُ
جالدْتُ عَنْ عِرْضي فأدْبرَ والِغٌ — ما أخيبَ الكفَّ التي لاتغضبُ
لايفْهَمُ الأوْباشُ من لُسْنِ الوَرَى — إلاّ يداً تُمْلي وَسَوْطاً يكتُبُ

- ٥ -

لاتعجبنَّ إذا تبايَنَ مَوْقِفي — وَتناقضتْ في ساعةٍ آرائي
الحيرةُ الخرْساءُ تنْهَشُ أضلعي — ماحيلتي بالحيرةِ الخرساءِ ؟
دَجَتِ الطريقُ ولادليل ، فكيف لا — يكبو بجاريةِ القنوطِ رجائي ؟
مَنْ كانَ في وضحِ الظهيرةِ تائهاً — هَلْ يهتدي في الليلةِ الليلاءِ ؟
ياصاحبي شبهاتٌ تُحيرُ مقلةً — تُعمي رؤاهُ بحيرةٍ عمياءِ

- ٦ -

[illegible] — [illegible]
[illegible] — [illegible]
[illegible] — [illegible]
[illegible] — [illegible]
[illegible] — [illegible]

اقرأ في
العدد
القادم من

ديسمبر ١٩٨٧

استطلاعات

البرتغال..
مملكة الشمس
الغاربة

محمود عبد الوهاب

فيودوروف..
وابتكارات جديدة
في طب العيون

سليمان الشيخ

- العلمانية بين الدين والدولة والحياة / د. عبد العزيز كامل
- ملامح الاستراتيجية العربية للتحكم بالعقل العربي / رفعت سيد أحمد
- رشيد رضا وقضية المرأة فى العالم الاسلامي / د. رضوان السيد
- الليزر.. هل يبحث عن مشكلة ؟ / د. مهدي رحمة الله
- الموت المفاجىء ! / د. أنيس فهمي
- زفاف ابنة الباشا ! / د. محمد المنسي قنديل
- لماذا يتخلى المثقف العربي عن دوره السياسي ؟ / توفيق أبو بكر
- ربع قرن على رحيل الأديب الفرنسي سلين / د. زينب عبد العزيز
- المضامين العلمية والفنية فى المخطوطات العربية / محمود شكري الجبوري
- كتاب الشهر : الشعر الإنجليزي المعاصر / عرض خالد عباس
- وجهاً لوجه : د. أسامه الخولي و علي عتمان

واقرأ أيضاً للكتاب

د. محمد الرميحي - د. عبد اللطيف كانو - د. غسان حتاحت - محسن خضر
حامد عبد الكريم مجاهد - د. محمد نبهان سويلم - د. محمود الربيعي - حافظ إبراهيم

بخلاء الجاحظ

يراوغون القلق

اعداد : الدكتور عبد المقصود عبد الكريم

يبرز الجاحظ بكتبه الباقية من انتاجه الغزير كقمة سامقة في تاريخ الأدب العربي ، ودائما ما تكشف القراءة المتجددة لكتبه عن أفكار جديدة نابضة بالحياة ، كأنها بنت زمننا الحاضر وهذه قراءة لكتابه « البخلاء » ، ولبعض شخصياته الفريدة .

في يوم ما ، في سنة تقع بين عامي ١٥٩ و ١٦٣هـ ، ولد طفل أسمر ناتيء الجبهة ، بارز العينين ، كأنها بطن حوت مبقور ولد هذا الطفل لأسرة معمورة ، كانت تسكن أحد الأحياء الفقيرة في البصرة ومات أبوه وهو طفل ، فتعهدته أمه ، وراح في صباه يرتزق من بيع السمك والخبز على ضفاف نهر سيحان في البصرة وكان مقدرا لهذا الطفل أن يحث خطاه الى الشهرة ، وأن يصبح واحدا من أبرز أعلام الأدب في التاريخ وقد أظهر نبوغا مبكرا ، وولعا شديدا بالكتب ، واختار أن يقضي حياته التي استغرقت فترات حكم اثني عشر خليفة عباسياً بين الكتب ، كما اختار أن تكون نهايته بالكتب ، فقد حدث أن تحامل على نفسه في مرضه الأخير ـ وكان مصابا بالشلل والنقرس ، نصفه مصاب بالفالج ، ونصفه الآخر بالنقرس ـ الى غرفة كتب وجلس يبحث في خزائن المعرفة حتى انهالت الكتب فوقه وقضت عليه في الحال (عام ٢٥٥هـ = ٨٦٨م) ، فأصبح شهيد المعرفة على مستوى الحقيقة لا المجاز

كان عمرو بن بحر ، المعروف بالجاحظ ، المكنى بأبي عثمان ينتمي الى بني كنانة بن خزيمة قال عنه أبو هفان « لم ار قط ولا سمعت من أحب الكتب

والعلوم أكثر من الجاحظ ، فإنه لم يقع بيده كتاب إلا استوفى قراءته كائنا ما كان، حتى أنه كـان يكتري دكـاكين الـورافين ، ويبيت فيهـا للنـطر » ومن طريف ما يروى عن ولع الحاحط بالكتب مند طفولته أنه طلب من أمه طعاما فجاءت تحمل طبقا فوقه أوراق وكراسات ، ولما سألها « ما هدا يا أماه » ؟ قالت « هدا الدى تجيء به كل يوم »

ويدكر للجاحظ بين مائة وسبعين ، وثلاثمـائة وستين مصنفاً « ولا يعلم أحد من الرواة ، وأهـل العلم ، أكثر كتبا منه » (المسعودي) ، وقد عبثت الأيام بمعظم هده المصنفات ، فلم يصلنا إلا القليل منهـا ، مثـل كتـاب الحيـوان ، والبيـان والتبيين ، والبخلاء ، ورسالـة التربيـع والتـدويـر وكتب الحاحط في رأى المسعودى « تجلو صدأ الأدهان ، وتكشف واضح البرهان ، لأنه نطمها أحسن نظم ، ورصفها أحسن رصف ، وكساها من كلامه أجزل لفط ، وكـان إدا تخوف ملل القـارىء ، وسآمـة السامع ، خرج من جد الى هزل ، ومن حكمة بليغة الى نادرة طريفة »

كتاب البخلاء

يعد كتاب (البحلاء) من أهم مصنفات الحاحط التي وصلتنا وفي مقدمة الكتاب يحدد الحاحط موضوعه على النحو التالي

« دكـرتُ مـلح « الحزامي » ، واحـتـجـاج « الكندي » ، ورسالة « سهل بن هارون » ، وكلام « ابن غزوان » ، وخطبة «الحارثي» وكل ما حضرني من أعاجيبهم وأعاجيب غيرهم،ولم سموا البخـل إصلاحا ، والشح اقتصادا ، ولم حاموا على المنع ، ونسبوه الى الحزم ، ولم نصبـوا للمواسـاة وقرنـوها بالتضييع ، ولم جعلوا الجود سرفا ، والأثرة جهلا ، ولم زهـدوا في الحمد ، وقـل احتفالهم بـالذم ، ولم استضعفوا من هش للذكـر وارتـاح للبـدل ، ولم حكموا بالقوة لمن لا يميل الى ثناء ، ولا ينحرف عن هجاء ، ولم احتجوا لشظف العيش على لينه ، ولمرّه على حلوه ، ولم عملوا في الغنى عمل الخائف من زوال الغنى »

إن الكتاب يتناول نوادر البخلاء ، وأخبارهم ، ووصاياهم ، وقدرتهم على الاحتجاج لبخلهم ، وقد اتخـذوا البخل منهجـا لحيـاتهم ، بعـد أن غمـرتهم المتغيـرات الاجتمـاعيـة والاقتصـاديـة في العصـر العباسي وقد اجتهـد الجاحط في تصـوير فلسفـة البخلاء ، وقدرتهم على تبرير سلوكهم الذي يعتبر نقيصة اجتماعية ، في مجتمع يحتل الكرم فيه مكانـة بارزة وقد استطاع الجاحظ أن يتغلغل في نفوس بخلائه ، وأن يبرز « تمويـه البخيل وتـدليسه عـلى نفسه »

الوسائل الدفاعية للنفس

يمتلك الجسم الآدمي جهـار منـاعـة يحميـه من غـزوات الأجسام الغـريبة ، وبـالمثل تمتلك النفس البشرية وسائلها الخاصة ، للدفاع عن نفسها ضـد العلل النفسية والانهيار ، عن طريق عمليات تتم على مستوى اللاوعي ، وتهـدف الى حمايـة الانسان من القلق ومن هـده العمليات أو « الميكـانيزمـات » الدفاعية قدرة النفس البشرية على التبريـر ، وعلى (عقلنة) العيوب ، وهي الوسيلة التي اتبعها بخلاء الجاحط في الاحتجاج لبخلهم

إننا نولد كأطفال لا حول لنا ولا قوة ، ونعتمـد على عالمنا ليشبع حاجاتنا ، وبالتالي فإن هدا الاشباع يتأثر بالآخرين وحيث اننـا كائنـات اجتماعيـة ، بالضرورة ، فإننا لا نستطيع أن نشبع هده الحاجات دون الـنـظر الى الـظروف ، والاعـتـبـارات الاجتمـاعيـة ونحن كبشـر لا نتعـامـل فقط مـع الأخطار الخارجية ، لكننا نتعامل أيضا مع الأخطار التي تنبت في دواخلنا ، والتي يمكن أن توقع بنا تحت طائلة الاحساس بالعار والدنب والقلق والوسائل الدفاعية التي تمتلكها النفس البشرية تمكننا بشكل غير مباشر من إشباع رغباتنـا التى قد تتعـارض مع قيم

المجتمع ، دون الوقوع تحت سيطرة القلق النفسي

وعلى الرغم من أن هذه الوسائل الدفاعية لا ترى ، فإن التعبير عنها يمكن ملاحظته في أفكارنا ، ومشاعرنا ، وسلوكنا ، وحتى في أحلامنا والانسان الراشد يستخدم ، في حالته الطبيعية ، عددا متنوعا من الوسائل الدفاعية ، ومنها القدرة على التبرير

يصف الجاحظ في كتاب البخلاء قدرتهم على تبرير بخلهم ، و (عقلنته) ، والاحتجاج له ، متبعين في ذلك تفكيرا شديد المنطقية ، يجنبهم الوقوع أسرى لعذاب النفس ، عن طريق عزل الأفكار عن المشاعر التي تصاحبها في المعتاد وعلى سبيل المثال عندما يمتنع مقتدر عن إطعام أحد الجوعى ، فلابد أن يشعر ببعض الذنب ، لكن البخيل يتمكن من الفرار من هذا الذنب بقدرته على تسويغ فعله وفي كتاب الجاحظ يستخدم البخلاء وسائل عديدة للتعبير عن قدرتهم على (عقلنة) البخل وتسويغه ، واعتباره سلوكا حكيما ، وسوف نحاول هنا رصد بعض هذه الوسائل

خوف الفقر

إن الكرم ، عند البخيل ، وسيلة لتبديد الثروة ، وجلب الفقر ولأن الفقر ، بالضرورة ، شيء رديء ، وصيف قبيح ، فلابد أن يحرص الانسان على ماله خوفا من الفقر « إن للغنى سكرا ، وإن للمال نزوة ، فمن لم يحفظ الغنى من سكر الغنى فقد أضاعه ، ومن لم يربط المال بخوف الفقر ، فقد أهمله (رسالة سهل بن هارون) ويحتج سهل بقول زيد بن جبلة « ليس أحد أفقر من غني أمن الفقر ، وسكر الغنى أشد من سكر الخمر »

ويمتد الأمر بالبخيل الى الخوف من الجود بالقليل ، لأنه يقرب الى الفقر ، ويبعد عن الغنى ،

وبذلك تكون دعوة الإخوان للطعام تقريباً من الفقر ، وتهديدا له . يحكي الجاحظ أن أحد البخلاء كان لا يفارق منزل إخوانه ، وكانوا كرماء معه ، ولم يشكوا أنه سيدعوهم مرة ، فلما طال تغافله ، وعرضوا له بذلك ، فتغافل ، وصرحوا له ، فلما امتنع قالوا « اجعلها دعوة ليس لها أخت » فلما بلغ منه ومنهم المجهود ، اتخذ لهم طعاما خفيفا ، لا ثمن له ، ولا مؤونة فيه . فلما أكلوا وغسلوا أيديهم أقبل عليهم ، فقال « أسألكم بالذي لا شيء أعظم منه ، أنا الساعة أيسر وأغنى أم قبل أن تأكلوا طعامي ؟ » قالوا « ما نشك أنك حين كنت والطعام في ملكك أغنى وأيسر » قال « فأنا الساعة أقرب الى الفقر ، أم تلك الساعة ؟ » قالوا « بل أنت أقرب الى الفقر » قال « فمن يلومني على دعوة قوم قربوني من الفقر ، وباعدوني من الغنى ، وكلما دعوتهم أكثر ، كنت من الفقر أقرب ، ومن الغنى أبعد ؟ »

ومن نفس المنطلق لا يخرج البخيل من ماله درهما ، حتى يرى مكانه خيرا منه ، وهو لا يعتز بكثرة ماله ، فإنه لو أخذ منه ولم يرد عليه ، لذهب عن آخره .

ومن البديهي أن يقدم البخيل المال على كل شيء ، حتى على العلم ، وبذلك يستطيع تبرير حرصه الشديد على المال ـ صنمه المقدس الذي يتعبد في محرابه ليل نهار ـ لكن كيف يحتج البخيل لتقديم منزلة المال على العلم ؟ يرى البخيل « أن بالمال يعاش العالم ، وبه تقوم النفوس ، قبل أن تعرف فضيلة العلم ، وأن الأصل أحق بالتفضيل من الفرع » وإذا سألته كيف يقدم المال وقد قيل لرئيس الحكماء ومقدم الأدباء « العلماء أفضل أم الأغنياء ؟ » قال « بل العلماء » قيل « فما بال العلماء يأتون أبواب الأغنياء أكثر مما يأتي الأغنياء أبواب العلماء » ؟ قال لمعرفة العلماء بفضل الغنى ، ولجهل الأغنياء بفضل العلم ، لكن البخيل له رأي آخر ، فحال العالم والغنى هي الفاصلة بينهما ، وكيف يستوي شيء ترى حاجة الجميع اليه ، وشيء يغني بعضهم فيه عن بعض ؟

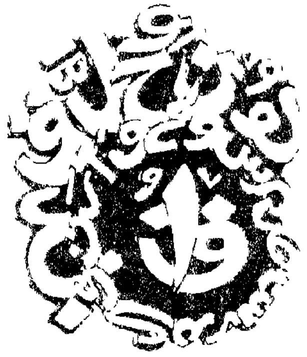

من نوادر البخلاء

كان شيخ خراساني لا يأكل إلا مالابد منه ، ولا يشرب إلا مالابد منه ، غير أنه كان في غداة كل جمعة يحمل معه طعامه ، ويمضي وحده ، حتى يدخل بعض بساتين الكرخ ، حيث يجلس تحت شجرة . وبينما هو في يوم من أيامه يأكل في بعض المواضع ، إذ مر به رجل ، فسلم عليه ، فرد السلام ، ثم قال « هلم عافاك الله » ، فلما نظر الخراساني الى الرجل ، وقد انثنى راجعا ، قال له « مكانك ، فإن العجلة من عمل الشيطان » ، فوقف الرجل ، فأقبل عليه الخراساني ، وقال « تريد ماذا ؟ قال « أريد أن أتغدى » قال الخراساني « ولم ذاك ؟ وكيف طمعت في هذا ؟ ومن أباح لك مالي » ؟ قال الرجل « أو ليس قد دعوتني » ؟ قال « ويلك ، لو ظننت أنك هكذا أحمق ما رددت عليك السلام ، الحكم فيما نحن فيه أن تكون إذا كنت أنا الجالس وأنت المار ، أن تبدأ أنت فتسلم ، فأقول أنا حينئذ مجيبا لك « وعليكم السلام » ، فإن كنت لا آكل شيئا ، سكت أنا ، وسكت أنت ، ومضيت أنت ، وقعدت أنا على حالي . وإن كنت آكل فهاهنا وحا

آخر ، وهو أن أبدأ أنا ، فأقول هلم ، وتجيب أنت فتقول « هنيئا » ، فيكون كلام بكلام ، فأما كلام بفعال ، وقول بأكل ، فهذا ليس من الانصاف »

وكان بعض البخلاء ينفي عن نفسه صفة البخل . فقد كان أبو يعقوب الذقنان يبرر عدم بخله بأنه يأكل اللحم يوميا ، منذ ملك المال لنقرأ كيف كان يتم ذلك إذا كان يوم الجمعة اشترى لحم بقر بدرهم ، واشترى بصلا بدانق (سدس درهم) ، وباذنجان بدانق ، وقرعة بدانق ، فإذا كان أيام الجزر فجزرا بدانق ، وطبخه كله سكباجا ، فأكل وعياله يومئذ خبزهم بشيء من رأس القدر ، وما يتقطع في القدر من البصل والباذنجان والجزر والقرع والشحم واللحم ، فإذا كان يوم السبت ثردوا (جعلوه ثريدا) خبزهم في المرق . فإذا كان يوم الأحد أكلوا البصل ، فإذا كان يوم الاثنين أكلوا الجزر ، فإذا كان يوم الثلاثاء أكلوا القرع . فإذا كان يوم الأربعاء أكلوا الباذنجان ، فإذا كان يوم الخميس أكلوا اللحم » ولهذا كان يقول مافاتني اللحم منذ ملكت المال »

يقول الأستاذ أحمد أمين في مقدمة كتاب « البخلاء » « لقد كان أكثر الأدب قبل الجاحظ أدبا لا موضوع له ، فاستطاع الجاحظ أن يجعل للأدب موضوعا ، وجعل موضوعه كل شيء في الحياة ، حتى اللص ، والجارية والتاجر ، والنبيذ ، والمعلم ، وقد كتب في كل ذلك ، وكتب في البخيل وكانت كتابته فيه أكثر مرحا ، وأكثر تفننا ، وأكثر إبداعا لقد كان الجاحظ أديبا ، يمتلك القدرة على التغلغل في أعماق النفس البشرية ، في حالتها الطبيعية ، وفي حالة شذوذها ، وهكذا استطاع أن يعري نفس البخيل ونحن حين نتناول موضوعا كهذا لا نبغي بأي حال من الأحوال أن نسبغ صفة عالم النفس على الجاحظ ، لأنه لم يكن عالم نفس ، لكنه ذو عبقرية أدبية فريدة ، كما أن إسباغ هذه الصفة عليه لن ترفع من قدره ، لكننا نبغي التأكيد على الصلة الوطيدة بين علم النفس والأدب ، فحين يمتلك الأديب القدرة على التغلغل في النفس البشرية ، وعلى الوصف الدقيق ، فلابد أن يقدم مادة ، يمكن أن تفيد عالم النفس ولعل الصلة بين علم النفس والأدب ، هي الصلة الوطيدة بين مختلف أشكال المعرفة البشرية ، ولعل هذه الصلة هي ما جعلت«اينشتين»يؤكد أن الفكر العلمي ينطوي دائما على عنصر شعري ، وأنه تعلم من«دستوفسكي»أكثر مما تعلم من «نيوتن»

●

* لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله الا ضربهم الله بالذل
(أبو بكر الصديق)

* إن الخير أعظم من السعادة ، وهو يشملها ويحتويها ، ولكنها لا تشمله ولا تحتويه
(عباس العقاد)

* الوفاء · من أخلاق الملائكة والجحود من طبيعة البشر !
(الشاعر ابراهيم ناجى)

* النور يملأ الدنيا فيخرج فيها العابد والفاسق . هذا الى حضرة الله ، وهذا الى حظيرة الشيطان

(عبدالعزيز البشري)

العربي ـ العدد ٣٤٨ ـ نوفمبر ٨٧

المناقشة

بقلم : فهمي هويدي

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

اشكالية الآخر في التفكير الاسلامي

آيَات السَّيْف !

ثمت لغم زرعه البعض في عرض الطريق الذي يصل بين المسلمين والآخرين ، اسمه آية السيف !

وآية السيف هذه هي تلك التي يتصور هؤلاء البعض أنها تنهي علاقة الود ، وحسن الحوار ، والتعاهد بين المسلمين وغيرهم ، وتعلن الحرب على الجميع ، حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وهي بالموقف المستجد الذي تقرره ، تنسخ كل ما سبقها من آيات تحث على تلك المعاني التي أشرنا اليها ، من ود وتعايش وتعاهد ، وجنوح الى السلم وايثار له وتعد مسألة آية السيف شاهدا قويا على ما قلناه في صدد الحديث الذي بدأناه عن اشكالية الآخر في التفكير الاسلامي ، من حيث أنها تثبت كيف أن تأويل النصوص أسهم بدور لاينكر في صنع تلك « الإشكالية » ، وتلغيم علاقة المسلمين بغيرهم .

ونحن عندما ندقق في أقوال بعض المفسرين والمهتمين بأمر الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم نكتشف أنه ليس هناك اتفاق على آية بذاتها ، ولكن هناك أكثر من آية وصفت بذلك الوصف . وهي آيات ثلاث على وجه التحديد ، ويجمع بينها أنها وردت في سورة « التوبة » التي تعرف أحيانا بأنها سورة « براءة » ، وهناك من يقول بأن السورة كلها محملة بالمعنى الذي يشيرون اليه

والآيات الثلاث التي تضمنتها سورة « التوبة » هي

« فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الحُرُمُ فاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهم واحْصُرُوهُم وَاقْعُدُوا لَهُم كُلَّ مَرْصَدٍ » (من الآية ٥)

« قَاتِلُوا الذين لايُؤْمِنُونَ باللهِ ولا باليَوْمِ الآخِرِ وَلايُحَرِّمُون مَا حَرَّمَ الله وَرَسُولُهُ ولاَيَدِينُوْنَ دِيْنَ الحَق مِنَ الذينَ أُوتُوا الِكتَابَ حَتّىَ يُعْطُوا الجِزْيَةَعَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُون » (٢٩)

« وَقَاتِلُوا المُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّة وَاعْلَمُوا أَنَّ الله مع المتقين » (من الآية ٣٦) والأستاذ سيد قطب أبرز المعاصرين القائلين بأن سورة « براءة » في مجملها تشكل منعطفا حاسما في طريق علاقة المسلمين بغيرهم فضلا عن أنه يعتبر أن أكثر آياتها تعبيرا عن ذلك المنعطف ، وتجسيدا له ، هي الآية (٢٩) التي تقول « قَاتِلُوا الذين لاَيُؤْمِنُونَ بالله »

وفي تفسير « الظلال » ـ جـ ١٠ ص ١٥٦٤ ـ يبسط الأستاذ رأيه على النحو التالي :

* يقدم سورة « التوبة » التي هي في أواخر مانزل من القرآن الكريم ، باعتبار أنها تضمنت أحكاما نهائية في العلاقات بين الأمة المسلمة وسائر الأمم في الأرض ، وجاءت تلك الأحكام على رأس أمور

ى تدور حول تصنيف وطبيعة المجتمع المسلم ، وفي التقديم عينه يقول . إن السورة بهذا بار ذات أهمية خاصة في بيان طبيعة المنهج ي للاسلام ومراحله وخطواته ، حين تراجع كام النهائية التي تضمنتها ، مع الأحكام المرحلية حاءت في السور قبلها وهذه المراحعة تكشف سدى مرونة ذلك المنهج وعن مدى حسمه ـ

يرى بعد ذلك أن السورة تتضمن عدة ع ، الآيات الثماني والعشرون الأوليات منها نت « تحديدا للعلاقات النهائية بين المعسكر لامي والمشركين عامة في شبه الجزيرة ية أما المقطع الثاني « فقد تضمن تحديدا قات النهائية كذلك بين المحتمع المسلم وأهل ـ عامة وعن انحراف أهل الكتاب عن دين صحيح عقيدة وسلوكا مما يجعلهم في اعتبار لام ليسوا على دين الله الذي نزله لهم والدي به ا أهل كتاب ويعتبر أن هذا المقطع يبدأ بالآية لتي أشرنا اليها قبل قليل

في السياق،استشهد بما أورده الامام ابن القيم في المعاد » حول ترتيب هديه ﷺ مع الكفار قين ، حيث ذكر أن سورة (التوبة) أمرت بأن يقاتل أعداءه من أهل الكتاب ، حتى يعطوا ة أو يدحلوا في الاسلام وأمرته بجهاد الكفار قين والغلظة عليهم فجاهد الكفار بالسيف ان ، والمنافقين بالحجة واللسان وأمرته ءة من عهود الكفار ونبذ عهودهم اليهم » ر أمر الكفار معه بعد نزول « براءة » على ثلاثة محاربون له وأهل عهد وأهل ذمة ثم آلت أهل العهد والصلح الى الاسلام ، فصاروا معه ين محاربون وأهل ذمة ، والمحاربون له ن منه فصار أهل الأرض معه ثلاثة أقسام مؤمن به ، ومسالم له آمن ، وخائف ـ »

دما أشار الى أن الأحكام التي تضمنتها سورة بة » تعدل الأحكام المرحلية السابقة في السور زلت قبلها قال ان تلك الأحكام المرحلية ، منسوخة ، بحيث لايجوز العمل بها في أي من ظروف الأمة المسلمة بعد نزول الأحكام الأخيرة ذلك أن الحركة والواقع الذي تواجهه في شتى الظروف والأمكنة والأزمنة هي أن تحدد ـ عن طريق الاجتهاد المطلق ـ أي الأحكام هو أنسب للأخد به في ظل تلك الظروف

* في حتام تقويمه للسورة ، يهاحم الأستاد سيد قطب الذين يتمسكون بتلك « الأحكام المرحلية » ويعتبرونها من المواقف الثابتة للاسلام في العلاقة مع الآحرين وفي هذا الصدد يقول ان المهرومين في هذا الزمان يحاولون أن يجدوا في النصوص المرحلية مهربا من الحقيقة التي يقوم عليها الانطلاق الاسلامي في الأرض لتحرير الناس كافة من عبادة العباد ، وردهم حميعا الى عبادة الله وحده ، وتحطيم الطواغيت والأنظمة والقوى التي تقهرهم على عبادة عير الله والحضوع لسلطان عير سلطانه ، والتحاكم الى شرع عير شرعه

ويصيف ، أن هؤلاء المهزومين ، يقولون مثلا ان الله سبحانه وتعالى يقول « وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى الله » الأنفال (٦١) ، ويقول « لاَيَنْهَاكُم الله عَنِ الدين لم يُقَاتِلُوكُم في الدِّيْنِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِنْ دِيَارِكُم أَنْ تَبَرُّوهُم وَتُقْسِطُوا إليهم » المتحنة (٨) ، ويقول « وَقَاتِلُوا في سَبِيلِ الله الدين يُقَاتِلُونكُم وَلاتَعْتَدُوا إنَّ الله لاَيُحِبُّ الْمُعْتَدِيْن » البقرة (١٩٠) ، ويقول عن أهل الكتاب « قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَاب تَعَالَوْا الى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُم ألاَّ نَعْبُدَ إلا الله وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَيَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ الله فإِنْ تَوَلَّوْا فَقُوْلُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُون » آل عمران (٦٤)

ثم يقول الأستاذ قطب ان المهزومين يستندون الى أمثال تلك الآيات ليخلصوا منها الى أن الاسلام لايقاتل الا الذين يقاتلون أهل دار الاسلام في داخل حدود هذه الدار ، أو الذين يهددونها من الخارج ومعى ذلك في تصورهم المهزوم أن لاعلاقة للاسلام اذن بسائر البشر في أنحاء الأرض ، ولاعليه ان يعبدوا ما يعبدون من دون الله وهو سوء ظن بالاسلام وسوء ظن بالله سبحانه » (ج ١٠ ص ١ ١٥٨)

وهنا يكرر أن تلك نصوص مرحلية تواجه واقعا

معينا اذا تكرر في حياة الأمة الاسلامية فانها تطبق ولكن ليس معنى ذلك أن تلك النصوص هي موقف الاسلام النهائي والثابت ، بمعنى أن مختلف نصوص المسالمة والحرب الدفاعية ورفض العدوان ماهي الا « تاكتيك » اسلامي مؤقت ، بينما الاستراتيجية هي تلك التي أنزلت في سورة « التوبة » ومن قبلها سورة « الأنفال » التي تناولت قضية الجهاد وعالج الاستاذ قطب في تفسيرها ما أسماه « المنهج الالهي في الجهاد المطلق »

يمضي الاستاذ سيد قطب في تفسير آيات سورة « التوبة » من منطلقه هذا ، ويخص الآية (٢٩) التي تدعو الى قتال أساسا من أهل الكتاب حددت مواصفاتهم باهتمام ملحوظ فيذكر أن الآية « وماتلاها » عامة في لفظها ومدلولها وهي تعني كل أهل الكتاب في الجزيرة العربية وفي خارجها ويقول ان الأحكام التي يتضمنها هذا المقطع تحتوي تعديلات أساسية في القواعد التي كانت تقوم عليها العلاقات من قبل بين المجتمع المسلم وأهل الكتاب ، وبخاصة النصارى منهم

والتعديل البارز في هذه الأحكام الجديدة هو الأمر بقتال أهل الكتاب المنحرفين عن دين الله ، حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون فلم تعد تقبل منهم عهود موادعة ومهادنة الا على هذا الأساس
أساس اعطاء الجزية وفي هذه الحالة تتقرر لهم حقوق الذمي المعاهد ، ويقوم السلام بينهم وبين المسلمين

« انهم لايكرهون على اعتناق الاسلام عقيدة ، فالقاعدة الاسلامية المحكمة هي لا اكراه في الدين . ولكنهم لايتركون على دينهم الا اذا أعطوا الجزية وقام بينهم وبين المجتمع المسلم عهد على هذا الأساس

« وهذا التعديل الأخير في قواعد التعامل بين المجتمع المسلم وأهل الكتاب لايفهم على طبيعته الا بالفقه المستنير لطبيعة العلاقات الحتمية بين منهج الله ومناهج الجاهلية من ناحية ، ثم لطبيعة المنهج الحركي الاسلامي ، ومراحله المتعددة ، ووسائله المتجددة ، المكافئة للواقع البشري المتغير من الناحية الأخرى .

« وطبيعة العلاقة الحتمية بين منهج الله ومناهج الجاهلية هي عدم امكان التعايش الا في ظل أوضاع خاصة وشروط خاصة ، قاعدتها ألا تقوم في وجه الاعلان العام الذي يتضمنه الاسلام لتحرير الانسان بعبادة الله وحده والخروج من عبادة البشر للبشر ، أية عقبات مادية من قوة الدولة ، ومن نظام الحكم ، ومن أوضاع المجتمع على ظهر الأرض ! ذلك أن منهج الله يريد أن يسيطر ، ليخرج الناس من عبادة العباد الى عبادة الله وحده » - انتهى

يتفرد الاستاذ قطب بين أعلام المعاصرين بموقفه هذا ، بينما يخالفه أبرز فقهاء مصر في القرن الأخير . من محمد عبده ورشيد رضا ، الى الشيخ محمد الغزالي ، مرورا بالشيوخ الخضري وشلتوت وعبد الوهاب خلاف ودراز ولولا المكانة الخاصة والبارزة التي يحتلها مفكرنا الكبير ، ولولا تأثيره على قطاعات عريضة من الاسلاميين ، لعُدّ كلامه في هذه النقطة شذوذا لاينبغي الانشغال به فضلا عن مناقشته.

فالشيخ رشيد رضا صاحب « المنار » يشير الى أن آية السيف تتراوح بين الآية الخامسة من سورة « التوبة » الداعية الى قتال المشركين بعد انتهاء الأشهر الحرم ، والآية (٣٦) التي تدعو الى قتال المشركين كافة كما يقاتلون المسلمين كافة.ويلتقي مع الاستاذ قطب في كونها غير ناسخة لغيرها من الآيات ويستشهد بما قاله السيوطي من أن أيا من الآيتين ليس ناسخا لغيرها من الآيات التي تتناول علاقة المسلمين بالمشركين ولكن كل منها تقرر حكما يسري في ظرف معين

غير أن الشيخ رشيد رضا انحاز الى الرأي القائل بأن الدعوة الى مقاتلة المشركين هي رد على مبادأة المشركين بالقتال وأن المقصود بالآيتين مشركو جزيرة العرب وليس كل مشركي الأرض

في تعليقه على الآية (٢٩) الخاصة بأهل الكتاب فان صاحب المنار وشيخه الامام محمد عبده يذهبان الى أنها لاتمثل ذلك المنعطف الحاد الذي عبر عنه الاستاذ سيد قطب من حيث أنها نزلت في قتال أهل الكتاب ، وأن نزولها جاء تمهيدا للكلام في غزوة تبوك مع الروم من أهل الكتاب بالشام والخروج اليها في زمن العسرة والقيظ « فضلا عن أن المقصود بها ليس كل أهل الكتاب ، ولكنْ فريق منهم له شروط أربعة معينة ، ذكرتها الآية الكريمة

هنا يذكر الشيخ رشيد نقلا عن الامام محمد عبده « أن القتال الواجب في الاسلام ، انما شرع للدفاع عن الحق وأهله ، وحماية الدعوة ونشرها ، ولذلك اشترط فيه أن يقدم عليه الدعوة الى الاسلام »

ويعقب على الآية قائلا انها تعني قاتلوا - هذا الفريق من أهل الكتاب - عند وجود مايقتضي وجوب القتال ، كالاعتداء عليكم أو على بلادكم ، أو اضطهادكم وفتنتكم عن دينكم ، أو تهديد أمنكم وسلامتكم ، كما فعل الروم ، فكان سببا لغزوة تبوك » - (تفسير المنار جـ ١٠ ص ٢٥٥)

بهذا المفهوم ، لاتمثل الآية الكريمة تلك النقلة الواسعة في مسار الدعوة الاسلامية التي استخلصها منها الاستاذ سيد قطب ولاتعد تعبيرا عن موقف جديد ، كما أنها لاتعكس تعديلا في موقف الاسلام من أهل الكتاب انما هي استمرار للموقف الثابت في تلك الآيات التي وصفها أستاذنا الجليل ، كما وصفها آخرون سبقوه ، بأنها مرحلية ، تعالج ظروف الاستضعاف التي تمر بها الدعوة

ان الأمر بقتال أهل الكتاب على النحو الذي أشارت اليه الآية الكريمة ، لايطوي صفحة ولايبدأ صفحة جديدة ، ولكنه توجيه الهي متصل الحلقات بما سبقه من توجيهات ، واجب التطبيق اذا ما توفرت شروطه ، وأهمها أن يشكل هذا الفريق من أهل الكتاب عدوانا أو خطرا على مجتمع المسلمين وعقيدتهم ، لايكون هناك سبيل الى رده الا بالقتال

وربما كان أقوى بيان في هذا الموضوع ، هو ماتضمنه الكتاب الذي صدر مؤخرا في الجزائر ، للشيخ محمد الغزالي ، بعنوان « جهاد الدعوة بين عجز الداخل وكيد الخارج » ويشكل تفنيد دعاوى القائلين بآية أو آيات السيف محورا أساسيا في ذلك الكتاب بل اننا نستشعر من مقدمة المؤلف للكتاب أن الرد على منطق هؤلاء هو دافعه الأساسي لإخراجه

فنحن نلمس منذ السطور الأولى للكتاب رفضا قاطعا وحاسما للشيخ الغزالي لأمور ثلاثة

فكرة أن حروب الاسلام هجومية وليست دفاعية - وأن الأحكام التي نزلت في شأن أهل الكتاب قبل سورة « التوبة » مرحلية أو منسوخة - وأن آيات سورة « التوبة » تحدد موقفا جديدا أو تشكل موقفا مستجدا للاسلام من أهل الكتاب

في هذا المعنى يقول من علماء الدين وقراء الكتاب العزيز ، من لم يتذوق أدب الحوار الطويل مع المخالفين ، فتجاوز الآيات التي أربت على المائة ، وزعم أن الاسلام قام من البداية باستعمال العصا الغليظة في التعامل مع خصومه ، وأنه اذا كان قد هادنهم يوما فلضرورات موقوتة ! ثم شرع يجتاحهم بعد ذلك دون هوادة

ثم يضيف قرأت لنفر منهم كلاما طويلا في أن الاسلام دين هجومي ، يضع خططه للحرب لا للسلم ، وشعرت بتحريف الكلم عن موضعه من ناحية ، وبتناول الوقائع دون أدنى وعي بملابساتها من ناحية أخرى (ص ١٩)

واشارة الشيخ الغزالي مقصود بها - كما ذكر - الشيخ تقي الدين النبهاني مؤسس حزب التحرير الاسلامي الذي كتب يقول « ان قول الرسول عليه الصلاة والسلام وفعله يدل دلالة واضحة على ان الجهاد هو بدء الكفار بالقتال لإعلاء كلمة الله ولنشر الاسلام » .

وهو يوضح موقفه قال ان فن الدعوة يحتاج الى ألوف من الأذكياء الاتقياء ، يأخذون طريقهم الى الأفئدة والعقول بلباقة ورفق فاذا اعترض السيف هؤلاء برز من جانبنا سيف يناوشه ويعيده الى غمده ، ويترك الحكم للمنطق والأدب ، لا لغرائز السباع

وأضاف أن الاضطراب الفكري انتقل الى نصوص الكتاب والسنة ، فاذا تيار الفوضى يلغي باسم النسخ نحو ١٢٠ آية قرآنية ويعوج بمفهوم آيات أخرى ويحرج الاسلام للناس في صورة دميمة (ص ٢٤)

ومن الملاحظات المهمة التي يبديها الشيخ الغزالي في هذا الصدد قوله ان « مبدأ المعاملة بالمثل كان من وراء أحكام فقهية وصفت بأنها شرعية والواقع أنها لم تقم اعتمادا على نص ، وانما قامت على القصاص مما ينزل بالمسلمين » - ص ٨٧

وهو في هذه الملاحظة يبرز أهمية التاريخ في صياغة موقف الفقهاء والدعاة ، وفي التأثير على الاجتهادات المتعلقة بموقف المسلمين من الآخرين ، وهي اجتهادات نبعت من انفعال بما تعرض له المسلمون من عنت واضطهاد ، دون أن تكون مستندة

ضرورة الى نصوص شرعية ، ولاملتزمة بمقاصد
ريعة ، وبعض اجتهادات ابن القيم الجوزية في
به « أحكام أهل الذمة » شاهد على مانقول ،
سوصا ماتعلق منها بحتم رقاب أهل الذمة وتميز
رهم وثيابهم ونعالهم

ينفي الشيخ محمد الغزالي بشدة أن ثمة شيئا
يقيا في القرآن الكريم يمكن أن يطلق عليه آية
يف . ويبدي تعجبه من اطلاق هذه التسمية في
مل بعنوان « مايسمونه آية السيف » وهو يركز في
ث الفصل على سورة « التوبة » التي هي موضوع
دل - وعنها يقول ان ناسا من المفسرين عفا الله
هم - لم يعيشوا في جو السورة ، ولم يدركوا مواقع
زول ، ولم يربطوا الحكم بحكمته ، زعموا أن
ه السورة ألغت كل ماسبقها من آيات الدعوة
لمسالمة ، وأنها أحلت العنف مكان اللطف ،
لاكراه مكان الحرية وهذا القول الجزاف نسخت
ة آية نزلت من قبل في أسلوب الدعوة »

ويضيف سمعت من يحتج بالآية « وقاتلوا
شركين كافة » ، فقلت له ألا تكملها ؟ أليس
دها . « كما يقاتلونكم كافة » ؟ فأين في الآية
عوة الى الهجوم وإعمال السيف في الناس ؟

ثم يقول يشيع بين المفسرين أن آية السيف
سخت ما جاء قبلها وعند التحقيق لا يوجد
يسمى آية السيف ، وانما هناك جملة من الآيات في
املة خصوم الاسلام ، أو في مقاتلتهم أحيانا ،
سباب لايختلف المشرعون قديما وحديثا على
جاهتها ، وعلى أنها لاتنافي الحرية الدينية في أرقى
جتمعات ! (ص ١٠١)

وهو يمضي مع السورة من بدايتها ، خاصة
واضع التي تعرضت فيها للمشركين وأهل
كتاب بالنسبة للمشركين فانه يلفت النظر الى أن
ب البراءة من عهودهم والدعوة الى قتالهم ليس
ونهم مشركين ، لكن كونهم معتدين وناكثين
هودهم ، وهؤلاء على وجه الخصوص من نزل
يهم قوله تعالى « فإذا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الحُرُم فاقْتُلُوا
شركين حيث وجدْتُموهم » (التوبة - ٥) ، ويعقب
ى الآية قائلا : يأتي عقل مفسر فيقول ان المقصود
ذه الآية كل كافر على وجه الأرض ، أساء أم
سن ، وفى أم غدر ، ظلم أو أنصف ثم يطلق

على الآية المحددة آية السيف ! ويلغي بها مائة آية في العرض الهادىء والجدال الحسن والوعظ البليغ !

ويستطرد قائلا ثم تظهر في عصرنا الأسود طوائف من الشباب الأغرار ، تحمل العصي ، وتزعم أن الاسلام دين هجوم ، وتريد أن تقاتل رواد الفضاء !

وهنا يتساءل أكذلك يخدم دين قوامه العقل ، وأساسه النظر الذكي والمنطق الرزين الرتيب ؟ (ص ١٠٣)

أما في شأن أهل الكتاب - وعلى الأخص الآية ٢٩ من سورة التوبة - فإن الشيخ العزالي ينطلق في فهمها من نفس منطلق الشيخين محمد عبده ورشيد رضا ، من حيث أنها تدعو الى قتال فئة من أهل الكتاب ، وليس كل أهل الكتاب،اعتدوا على المسلمين أو ظاهروا المعتدين (ص ١٩٨)

ولكي يعزز رأيه فان الشيخ الغزالي خصص فصلا بعنوان « تأويلات الجاهلين » ، عرض فيه لآيات التعامل مع الآخرين من غير المسلمين كافة ، التي قال البعض انها نسخت ، وقال آخرون انها مرحلية ولاتعبر عن موقف الاسلام الثابت من الغير ، وقد حصرها شيخنا في ١٢٠ آية موزعة على ٤٨ سورة في القرآن الكريم

لقد استعرض الآيات واحدة واحدة ، ونفى عنها النسخ أو المرحلية ، مثبتا أن الأصل في الدعوة هو المسالمة والتعاون على البر وخطاب العقل والضمير ، والدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وبعد ذلك فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، بنص القرآن الكريم ، وحساب الجميع على الله سبحانه ، يوم يلقونه أما القتال والسيف ، فهو في منهج الرسالة سبيل الى رد العدوان وصد الفتنة ، وليس أسلوبا في التبليغ والدعوة

والكتاب بهذا المفهوم ، خطوة مهمة باتجاه تصحيح العلاقة مع الآخر ، بعد التشويه الذي أصاب بعض جسور تلك العلاقة ، في تأويل النصوص ودعاوى نسخها أو مرحلية العمل بها . وهو تصحيح مطلوب بالحاح لفض اشكالية الآخر في التفكير الاسلامي ، وان كان للاشكالية جوانب أخرى مازالت جديرة بالمناقشة □

ساعة زرقاء

للشاعر : جوتفريد بن
بقلم : الدكتور عبدالغفار مكاوى

هل يستطيع الشاعر أن يلوذ بمركب القصيدة ليشدو بأغنيته النشوى فوق الطوفان ؟ هل يمكنه أن يجد النجاة في الفن والشكل الناجح بعد ان عزت عليه النجاة في العالم المخيف، وتأكد من أن الشعر لايغير الواقع ولا ينفع المجتمع ؟ أم تراه ينتهى بتجربته الشعرية الساحرة المثيرة الى طريق مسدود ، ويخدع نفسه عن الأزمة الحقيقية بأزمة شكلية فيهرب من العدم الى عدم آخر ؟

ساعة زرقاء ، مظلمة شاحبة مرت كالطيف لتنضم الى أطياف صمت ينمو وينتشر ويفكر مع نفسه ، يفكر في صمته ووحدته مع الورود الأخيرة التى تركتها محبوبة غابت ، محبوبة أبيض شعرها ، وأصبحت كالثلج المنهار ، وابيضت أعضاؤها ، وصارت كالورود المتشحة ببياض الموت ، لم يبق منها الا بهجة الحمرة على الفم ، والارجوان والأزاهير التى تتدفق عليها من نبع الأسلاف الاحلام انقضت ، والساعة الزرقاء مرت كما تمر الساعات بلا عودة ، والحبيب المتوحد مع يأسه ومرارة ذكرياته يسأل المحبوبة التى صارت ملك انسان آخر لم حملت الي الورود الأخيرة ؟ يسألها عن معنى هو وأنا وأنت ، عن كلمات قالاها لنفسيهما أو للغير ، وأصبحت كالعدم ، كل ماعاناه قد انتهى ، وكل ماجربه قد فقد معناه ، وجاءت الساعة الزرقاء ، فتبدد الوهم وكذبت الأسطورة وانهار العالم ، ولم يتبق فيه الا الأنقاض والخراب ، ويغلق رتاج الباب ، وينفرد مع الصمت بين الجدران الصامتة ، ويمد بصره الى فضاء لانهائى بعيد ، فضاء عال وفي زرقة السماء ، ثم يمده الى

ماحوله ، فلايجد الا وحدته مع الغرفة الناصعة الأليمة
أخطو في الساعة الزرقاء المظلمة
ها هو ذا المدخل الزجاج ينغلق
وفي الحجرة تبدو الآن حُمرة على دم
ووعاء ورود أخيرة ـ
أنت !
كلانا يعلم أن تلك الكلمات
التي كثيرا ماقلناها للغير وحملناها اليه ،
هي بيننا الآن كالعدم ، وليس لها من مكان
هذا هو كل شيء ، وهو كذلك الملمح الأخير
نما الصمت بيسا وانتشر
وأخذ يملأ المكان ويفكر مع نفسه
لم يأمل في شيء ولم يتعذب بشيء ـ
في الساعة الزرقاء
ووعاء الورود المتأخرة ـ
أنت
رأسك تبدد ـ ابيض ويريد الآن أن يحمي نفسه
بينما تتجمع البهجة كلها على فمك
والأرجوان والأزاهير
التي تتدفق عليك من نبع الأسلاف
ماأشد بياضك ! تبدين كأنك ستنهارين
كأنك ثلج خالص ! وقد تجردت من كل الأزهار
أعضاؤك وردات في بياض الموت ـ
المرجان فوق الشفاه وحدها .
ثقيل وكبير كالجراح
ما أشد شحوبك ، تتكلمين عن شيء ما ،
عن سعادة السقوط والاخطار
في ساعة زرقاء ، مظلمة زرقاء ،
وعندما مرت ، لم يدر أحد أنها كانت
أسألك ، وأنت ملك انسان آخر
لم حملت الى الورود الأخيرة ؟
تقولين   الأحلام تنقضي ، والساعات تمر ،
مامعنى هذا كله   هو وأنا وأنت ؟
كل مايبدأ ، يريد كذلك أن ينتهي من جديد
كل مانجرب ـ من ذا الذي يعلم على وجه التحديد ،
الزجاج ينغلق ، ونصمت بين هذه الجدران ،
وهنالك الفضاء البعيد ، عال وفي زرقة السماء

أجواء شاحبة

هل يمكننا أن نصف القصيدة التي قرأناها بأنها قصيدة حب ؟ الا نفتقد فيها ماألفناه في قصائد الحب التقليدية من العواطف الدافئة ، والكلمات الشجية ، والتشبيهات والأوصاف التي يطلقها المحب العاشق في حمى تعاسته أو سعادته ؟ ألا تفتقر كذلك الى مانسميه الوحدة العضوية للقصيدة ، اذ نستبدل بها شذرات متقطعة من الصور الخاطفة ، والعبارات المرقة ، والكلمات المقتصدة الحيية ، كأنها الرموز أو الشفرات المجردة ؟ ألا تعكس في النهاية صورة عالم منهار ، عالم لايسكنه الا العدم أو الصمت ، عالم سفلي اذا شئت ،   يهبط اليه الشاعر هبوط المغني الأسطوري أورفيوس ليستنقذ حبيبته « أوريريديكه » من ظلمات « هاديس » بقوة اللحن وعذوبة الغناء ؟ أم أن الشاعر الحديث يناجي حبيبته الغائبة من عالمه الواقعي الذي أصبح في ظلام عالم الموتى كما رسمته أساطير الاغريق ؟

لنؤجل الاجابة عن هذه الأسئلة التي تضعنا في قلب الشعر الأوروبي المعاصر بكل غرائبه واشكالاته ، حتى نتعرف على شاعرنا « جوتفريد بن » الذي يذكر في سياق واحد مع أشهر أعلامه المجددين ابتداء من بودلير ، ورامبو ومالارميه وفاليري الى لوركا والوار وأنجارتي والبرتي واليوت وباوند ، بجانب تأثيره الضخم على حركة الشعر والنقد الجديد لدى الجيل المعاصر من مواطنيه

شاعر مجدد

ولد جوتفريد بن في شهر مايو من سنة ١٨٨٦ في بلدة مانسفيلد ، ومات في شهر يوليو سنة ١٩٥٦ في

مدينة برلين التى قضى فيها معظم حياته ، درس علم اللغة واللاهوت في جامعة ماربورج ، ثم تحول الى دراسة الطب في جامعة برلين ، وظل طوال حياته يمارس مهنة الطب التى ألهمته عددا كبيرا من عيون قصائده المبكرة ، التى تصدم القارىء بفظاعتها وبشاعة صورها ، اذ ترد عقل الانسان وروحه الى الجسد ، وترد الجسد الى مجموعة من الأعراض والأمراض والأورام والقروح والجروح ، وكأنما خلا الانسان من كل معنى أو مضمون وترك نهبا لعالم عدمي ينهشه العفن والتحلل والفساد ولابد أن تجاربه التى مر بها في أثناء الحربين العالميتين قد زادت من احساسه بالعدمية ، اذ خاضها كطبيب عسكرى مختص بالأمراض الجلدية والتناسلية ، ولعله لم يستطع أن يتخلص من نظرته العدمية الا في انتاجه المتأخر ، عندما واجهها بقوة الابداع والخلق والايمان ، بأن الشكل الفنى الكامل هو الحقيقة الوحيدة المطلقة التى يمكن أن يلوذ بها الشاعر في وحدته ويأسه

يبدو أن النزعة العدمية التى سادت شعر « بن » في مرحلته التعبيرية الأولى قد بدأت منذ صباه « انتزع مني الموت في فترة مبكرة كل مارتبط به شاب ، كلمني ذلك الدم والدموع ، غير أني أصبحت بعد ذلك وحيدا » وقد تأثر في بداية حياته بنيتشه (١٨٤٤ ـ ١٩٠٠) ، بل ربما حاول أن يتقمص شخصيته وينطق بلسانه فالفيلسوف المشهور الذي كان أشبه بالطائر الذي يسبق العاصفة ، وينبىء عن الكارثة ، قد واجه عدمية عصره وزلزله بكلمته المخيفة،وأعلن أن الانسان الذي يعايشه ـ انسان العقل والمنطق والعلم والكتب والثقافة ـ انسان منقرض لامحالة ، ولابد أن يحل محله انسان أعلى جديد ، يؤكد ارادة الحياة والقوة ، ويجددها بالخلق والمغامرة والشجاعة ، ويضع قيما جديدة تبارك الارض والحياة بدلا عن القيم المهارة يقول عنه « بن » ، لقد حطم نيتشه كل شيء في سبيل هدف واحد أن يجعل الحطام يتوهج بالشر بصرف النظر عن كل خطر ممكن ، أو أي نتي ممكنة فكان وجوده في شروعه المشبوب الى التع عن نفسه، الى التشكيل والصياغة، الى ان يتوه ويعشى الابصار »

أعراض باقية

لم تقدم الحياة لـ « بن » كما لم تقدم لنيتشه غير صـ التحلل والفساد ، وانهيار القيم التقليدية ، وتد الحقيقة باسم العلم والعقل والتقدم ، واللهاث و المعرفة الموسوعية الزائفة اختفى الانسـ الحقيقى ، فلم يعد له وجود ولم يعد لوجوده مـ

اذا كان العالم قد استحال الى ركام وأنقاض ، و كان الانسان الحقيقى قد اختفى من الوجود ، أفرغ من كل مضمون ، واذا كان الاتصال بالحق المتعالية قد أصبح مستحيلا في هذا العماء الشامل فلم يعد أمام الشاعر الا أن يواجه العدم ، ويعـ ويشخص أعراضه ويتعذب به ، لم يعد أمامه الا يصور تاج الخليقة في صورة حرير مذبوح ، أو صورة خليط مضطرب لو انتزعت منه الأسنا والغدد ، والأمعاء ، والرحم ، لما تبقى منه الا شـ ممزق الأشلاء عندئذ يصبح الكلام عن الانـ وكأنه الكائن الأسمى مجرد ثرثرة لا غناء فيها ، تصبح الايديولوجيات أو النظم الفكرية التى تصو على هذه الصورة مجرد تعمية عن الحقيقة القاسية ا تقول اننا لسنا كائنات سامية ، ولسنا بالجنس الذ يتطلع للخروج من الظلام الى النور

ويتدخل علم الطبيب المختص بالأمراض الجلد والتناسلية في رسم هذه الصورة البشعة للانسـ فيولد شعر يوصف بشعر الجثث والأمعاء ، ويزد بصور الأمراض والأوجاع والندوب والأورام ، يمتلىء بمصطلحات طبية وعلمية متخصصة ، بجا كلمات مستمدة من لغة الشارع ولهجة العوام، كـ ذلك في أسلوب تهكمي مرير ، بارد وقاس وحاد كأنه مكتوب بمبضع الجراح

ولو قرأنا بعض قصائده التي كتبها في هذه المرحلة التعبيرية الصارخة ، لتصورنا العالم معرض أمراض وآلام ، وصدمتنا اللغة الباردة المغلفة بالتهكم المرير ، من شذوذ الوجود البشري وتحلله ، ولأحسسنا مع ذلك بأنها لا تخلو من عاطفة غنائية حالمة بوجود آخر يشيع فيه الصفاء والنقاء « الرومانتيكي » ، على الرغم من مقاومة الشعراء المعاصرين لكل عاطفة أو لغة رومانتيكية ! لنقرأ معا هاتين القصيدتين اللتين تعبران عن العدمية المطلقة ، والقصيدة الأولى تحمل هذا العنوان الدال رجل وامرأة يمران في عنبر السرطان

الرجل هنا على هذا الصف أرحام عفنة
على هذا الصف صدور مهترئة
سرير كريه الرائحة بجوار سرير
الممرضات يتغيرن كل ساعة
تعالي ، ارفعي هذا الغطاء بهدوء
انظري هذه الكومة من الدهون والسوائل العفنة
كانت يوما في نظر رجل شيئا ذا بال
وكانت أيضا تسمى نشوة ووطنا
تعالي ، تأملي هذه الندبة على الصدر
هل تحسين المسبحة وحباتها الناعمه ؟
تحسسيها على مهل اللحم طري ولايؤلم
هذه تنزف كما ينزف ثلاثون جسدا
مامن أحد لديه كل هذا الدم
وهذه لقد استطاعوا أن يخرجوا طفلا
من بطنها المصاب بالسرطان
إنهم يوصونهم بالنوم ليلا ونهارا
يقولون لكل قادم جديد
بالنوم يسترد الانسان صحته .
وفي أيام الآحاد يوقظونهم قليلا لاستقبال الزائرين
يسمحون لهم بطعام قليل
الظهور جريحة الذباب كما ترين
في بعض الأحيان تغسلهم الممرضات .
كما تغسل الأرائك

الواقع . . والعدم

واقعية لاشك فيها ، تكاد أن تقترب من النزعة الطبيعية المسرفة ، فالشاعر العظيم في رأي « بن » هو دائما واقعي عظيم ، انه مشحون بألوان مختلفة من الواقع وهو أرضي جدا ، ولكنه لايغلق أبوابه دون الأسرار الخفية والرؤى الملائكية ، وانما يوزعها بحذر شديد على أرضية واقعية صلبة ، هل نصدق كلام الشاعر وهو يصور لنا الواقع مزقا مهشمة ، لايجمعها معنى ولايتبين فيها أصل ولاهدف ؟ أليس هذا الواقع هو العدم والفراغ بعينه ؟

حقا لقد كساه بزجاج عقلي بارد ، وهذا يشف عن عالم كل مافيه حطام وشظايا ، فهل وجد المعنى أو القانون الكامن وراء العماء ؟ هل توصل الى حقيقة عالية خلف القناع القاتم أو فوق الهاوية المظلمة ؟

لنؤجل الاجابة عن هذه الأسئلة الى أن نقرأ له قصيدة فلسفية من أهم قصائده ، والقصيدة بعنوان « أنا ضائعة » وتعد نموذجا للبنية في الشعر الحديث الذي اقتحم عالم الرياضيات والعلم الوضعي ، وطعم لغته بمصطلحات فنية ، كان يظن أنها غير شعرية على الاطلاق ، ولكنه طوعها لعالمه وأدمجها في ألحانه الغنائية المفعمة بالشجى والسحر -

أنا ضائعة ، تفجرت من الغلاف الهوائي ،
الأيام تمضي بلا ليل ولاصباح
السنوات تتوقف بلا ثلج ولاثمر
اللانهائية مهددة وخفية
العالم مهرب
أين تنتهي ، أين تقيم ، أين تمتد أفلاكك ،
نظرة الوحوش . النجوم أمعاء حيوانات
موت الأدغال كأنه أصل الوجود والخلق
بشر ، مجازر شعوب ، حقول كروم
تهوي الى حلوق الوحوش
العالم فتنة الفكر ، والمكان والأزمان .
ومانسجت البشرية وما أبدعت

ليس الا دالة اللانهاية
الأسطورة كذبت
من أين ، الى أين ـ لا ليل ، لاصباح
لاتهليل ولا حداد
تود أن تقترض شعارا
لكن ممن ؟
آه لما انعطفوا جميعا الى مركز واحد
ولم يفكر المفكرون الا في الله
وتوزعوا بين الرعاة والحمل
عندما طهرهم الدم المنسكب من الكأس
والجميع اندفقوا من الجرح الواحد
كسروا الرغيف الذي تذوقه كل من شاء
آه أيتها اللحظة البعيدة القاهرة الممتلئة
التى عانقت الأنا الضائعة ذات يوم

المعنى واللامعنى

قصيدة تليق بشاعر وحيد يعيش في عصر العلم والتقنية ، والمدن الكبيرة المزدحمة بالفراغ والعدم ! وهى غنية بمصطلحات العلم الغريبة الدقيقة

غير أن التأمل الهادىء للقصيدة يكشف عن معنى يبحث عنه الشاعر وراء اللامعنى ، ويدل على حنين رومانتيكى أو صوفى ، الى أعماق وجود أو زمان أسطورى ، لم يفلح في كتمانه على الرغم من نزعته الشكلية والعقلانية المعادية لكل عاطفة رومانتيكية

انها باختصار حقيقة الخلق والابداع ، هى الفن الذي يمكن الانسان من تأكيد ذاته أمام العدم ويضمن له النجاة من الهاوية التى لانجاة منها في نهاية المطاف فالعدم في رأيه يتطلب الشكل ، ومن واجب الفن ـ وسط الانهيار الشامل للمعانى ـ أن يجعل من نفسه معنى ويجرب نفسه كمعنى ، وعليه أن يصوغ من هذه التجربة أسلوبا جديدا ، واذا كان القدر قد حكم على الشاعر بأن يولد وسط الوجود الغامض الملتبس ، وأن يدخل في هاوية الفردية التى تحف بها ظلال الموت المفزعة ، فان وضع الشاعر وواجبه تجاه العالم يفرضان عليه أن ينظمه ويصفيه بصياغته له ، وبذلك يرفعه فوق الواقعية الوحشية للطبيعة ، ويوحد فيه نظاما يتسم بالتقنين ، ومن ثم لايكون الفن مجرد زينة أو زخرف مضاف الى الحياة ، وانما يكون « النغم التى يطلقها الشاعر فوق الهاوية » وهكذا تنتصر القصيدة على العدمية ، ويتكثف العدم في الكلمة الشعرية والشكل المكتمل «ليصبح لحظة تأكيد للذات الشاعرة» وانتصاراً للحياة المبدعة : « ان نظامنا هو العقل ، وقانونه هو التعبير والتشكيل ، والأسلوب »

ولو عدنا أخيرا الى لقصيدة التى بدأنا بها الحديث ، وهى الساعة الزرقاء لوجدنا أن النزعة الشكلية التى ارتبطت باسم « جوتفريد بن » لم تكن نزعة جمالية صرفة على طريقة الرمزيين

فالشكل المعزول أو الشكل في ذاته لاوجود له في رأيه ، انه في نظره هو وجود الشاعر وهدفه ، وهو « مهمته الوجودية ـ ان صح هذا التعبير ـ وسط الوجود الخالى من المعنى والأصل والهدف ، هذا الشكل لاينفصل عن الايقاع ، لأن الايقاع هو العنصر الأساسى فيه ، وهو كذلك جزء من المحاولة الفنية ـ بل من المحاولة التى تكاد أن تكون دينية ـ للانتقال بالجمال الى الانسان ، أو لإضفاء الصيغة الانسانية على الجميل ، ولو تذكرنا قصيدة الساعة الزرقاء لوجدناها تحقق هذا الهدف الأخير ، فالشجن المتغلغل فيها قد تحول الى ايقاع وكلمات ، امتزج فيها العذاب بالموسيقا ، والعاطفة مع العقل ، والشكل الدقيق مع الحنين الأسيان ، الى حب مستحيل ، أو زمان اسطورى ضائع ، والكلمات نفسها ـ وهى كلمات مقتصدة كتوم ـ قد تحولت الى شفرات أو رموز تشير الى وجود يتمناه القلب ، وأسرار عزيزة على النفس ، وبعيدة عن اليدين ، وتجربة وحدة مفتقدة مع الذات والعالم ـ وهى تجربة يطمح الشاعر الى تحقيقها في القصيدة ، لأن الذات ماتزال ضائعة في العالم ، ولأن العالم مايزال هو العدم والحطام □

قصة

الرغبة في [illegible]

بقلم : محمد سمارة

■ لم يكن في مقدور المريض الراقد في سريره أن يرى الفتاة الجالسة في أعلى الغرفة المجاورة ، إلا أنه استطاع بحركة صغيرة من جسده أن يرى لمحات في [illegible] من فتحة [illegible] تشبه الخيمة ، وهو [illegible] الصمت والرائحة الخانقة [illegible] إلى جانب [illegible] المريح [illegible] حيث يتحول إلى [illegible] لولبية [illegible].

[illegible] وكان المكان بالأمس [illegible] التفت صوتها من الزوار باتجاه الممر الاسمنتي المريض ، لاحظت [illegible] الفاورات الحجرية وأزهار الربيع ، لكن أشجار اليوكاليبتوس ظلت شاخصة كالأعمدة .

وحين أقبلت الفتاة ، اخترقت صف الأزهار ، واستطاع المريض أن يميز قامتها القصيرة ، وحركتها المرتبكة على الممر الاسمنتي .

قالت وهي تقترب :

أنا آسفة ، أنا آسفة ، تأخرت عليك .

نهض المريض مصافحا ، فجلست إلى جانبه لاهثة : لكنك لم تتأخري كثيرا . نظرت في ساعتها : عشر دقائق ، عشر فقط ، كيف صحتك الآن ؟

-: كما ترين .

رمقت وجهه الشاحب واستكانة نظراته الخاوية ، ولم تقل شيئا ، ووضعت إلى جانبها لفافة لم يرها المريض وهي تحملها ، تمعن في وجهها البيضوي [illegible] ، وأشار إلى اللفافة .

-: ما هذه ؟

-: برتقال وبعض [illegible] ومجلة وجوارب [illegible] كيف [illegible] الآن ؟

ابتسمت [illegible] : [illegible] ذكرت [illegible] الآن .

حاولت أن تخفي [illegible] اللفافة [illegible] ، واستطاعت [illegible] التي [illegible] في مناسبة كهذه .

-: هل صحتك في تحسن

-: لا أعرف . يقولون إن المرض في بدايته .

لاحظت الفتاة أن الجزء الأمامي من الحديقة قد امتلأ بالزوار ، وأن بعضهم قد افترش « البطانيات » ، وأخرج القدور . ابتسمت وأشارت إلى مجموعة نساء .

-: ما هذا ؟ هل هم يقيمون عرسا هنا ؟

-: ربما يحتفلون بخروج أحدهم . في الأسبوع الثالث خرج أربعة مرضى دفعة واحدة ، أحدهم ترك لي رسالة يقول فيها : أنا واثق أننا سنلتقي في

مكان ما ، على رصيف شارع ، أو على ضفاف نهر ، أو في موضع ما من الغابة ، وينظر في وجهي المعفر بالتراب ، ويقول ضاحكا : هل أصدق ما أرى ؟

قالت الفتاة : هل كان صديقك ؟

- : طبعا . كان المسكين سيء الحظ بشكل مدهش . تصوري طلب أكثر من فتاة للزواج ، وكان طلبه يرفض في كل مرة ، حتى بلغ مجموع طلباته خمسة ، وأخيرا قرر أن يراسل المجلات التي تنشر طلبات الزواج .

ضحكت الفتاة حتى دمعت عيناها ، ولما هدأت تذكرت هل كان لائقا أن تضحك من موضوع كهذا ؟

أشارت الى الأرض : هل نجلس ؟ أعني هل العشب ... إنه جاف ، ويبدو مغسولا كالثوب .

- : آه ، ذلك مطر الأسبوع الفائت .

- : هل تمطر هنا كثيرا ؟

- : ما الذي تقصده ؟ صحيح أن المطر [illegible] بعض الشيء ، لكن الأمطار التي تسقط هنا [illegible] التي تسقط [illegible]

[illegible]

[illegible] : هل [illegible] جيدا ؟ أعني هل الأشياء كانت هنا ؟

- : طبعا

- : أعني لا شيء عليك ، أقول إن الريف [illegible] لا [illegible] هذه الأيام ، وإلا جاءتك بالمطرة .

حاول الرجل جاهدا أن يبتسم ، والتفتت الفتاة الى جانبها بشكل مائل ، [illegible] في هيئة دائرة . لقد أدركت أنها تبدو أجمل من المرة التي رآها فيها قبل أن يذهب للمستشفى . قال :

- : ماذا كنت مريضة ؟ أعني مريضة [illegible] بعيد ؟

- : إنني لم أعتد أن أراك هنا . ثم هل كنت تتوقع أن أتبع إليك [illegible] الماضي ؟

ارتبك الرجل [illegible] وشعر أنه على [illegible] وأصبح شعرها الذي انعكست عليه أشعة الشمس فيها كالأسلاك الذهبية ، ولاحظت [illegible] إليه .

- : هل أحببت [illegible] ؟ [illegible] الرغبة ، [illegible] [illegible]

لكنها لاتناسب امرأة فوق الخمسين دات شعر أبيض

ابتسمت الفتاة وأسعدها أن يبتسم المريض دون تكلف وراقبت مجموعة أطفال يتقافزون بين النافورات الحجرية والأزهار

قالت مكان رائع

ـ طبعا ، لكني أستيقظ على صياء الشمس ، وصخب الردهات كالميت ،

ـ لماذا ؟ هل يعاودك ألم الصدر كثيرا ؟

ـ أحيانا ، لكن تلك الحبوب الصمراء تجعل صدري كالطبل الأجوف

ـ لماذا ؟

ـ عندما أسعل أشعر بوحر في صدري ، وأشعر أنه فارغ الا من الهواء ، بعد آحر مرة أصابني نفس الشعور، سألت الطبيب فقال دلك أمر طبيعي لمن في حالتك

تريث برهة ثم قال لكنني أشعر بالاحتناق كما لو كنت في بئر

ـ اصبر

ـ لقد صبرت ، وأنا أختنق ، فماذا أنتظر بعد ؟

ـ يقول فؤاد إن بعض المرضى يتعلمون ـ لطول رقادهم ـ حرفة ، ويعرفون كيف يقتلون الوقت انتبه فالمرضى كالسجناء

تقطب وجه الفتاة ، وتمنت لو لم تعلن هذا الرأي ، وفكرت أنه يجب عليها مراقبة كلماتها بدقة تأملت المياه وهي تندفع في ساقية صغيرة تجاه الأزهار والاشجار المخضوضرة ، وخطر لها أن تعد الأشجار الكبيرة حولها قالت

في المرة الماضية لم يسمحوا لي بالزيارة ، قالوا انني تأخرت نصف ساعة فقال أما زلت تنامين متأخرة ؟

قالت كلا ، انه زحام الطريق

قال لكنك تسهرين عادة ، ولا تنامين إلا بعد انتهاء برامج التلفاز .

قالت كان ذلك قبل شهور

قال والكلمات المتقاطعة ؟ أما زلت تصرين على حل آحر مربع فيها ، ولا تتركينها حتى لو كلفك دلك أسبوعا من التفكير ؟

تضاحكت الفتاة كاشفة عن أسنان بيضاء منضودة ، ولمس كتفها في محاولة لقول شيء ، لكن ذاكرته انغلقت فجأة ، وظل صامتا ، ولمس كتفها ثانية ، واكتشف أن حداءها ليس هو الدي اشتراه لها في أول لقاء قال هل أصلحت التلفاز ؟ أعني هل انتهى منه صاحب « الورشة » ؟

قالت كلا قال إنه لايساوي شيئا ، فاشتريت آحر جديدا يقول فؤاد إنه سيقدم حسب الاتفاق ، هدية الزواج ثلاجة وقبل أسبوع بعث رسالة من البصرة ، يسألني فيها عنك ، إنه لايعلم أنك هنا ، وطلب مني أن أهديك هده الصورة

فتحت حقيبتها التي تركتها باهمال الى جانبها ، وأخرجت صورة ، ما أن رآها حتى شهق بالدهشة

ـ يا إلهي ، أهذا الرجل العسكري فؤاد حقا ؟ ما هده الشوارب الكثة الضاحكة ؟

كتب يقول إن الجبهة قد منحته فرصة للتأمل وإعادة التفكير فيما كتبه في مذكراته

ـ أما زال يكتب المذكرات ؟

ـ أوه ، باصرار عجيب ، وهو يملك الآن أكثر من ثلاثة مجلدات ضخمة لقد قرأت بعضها فهالني أنه يملك أسلوبا للكتابة ، أعني الكتابة الأدبية ، وقد أخذت بعضها ونشرتها في النشرة الجدارية لدائرتنا ، لكنه قال إياك إن تكشفي أسراري ثانية

ما الدي يعنيه بالأسرار ؟

ـ يقول إنه ينتظر نضوج الحالة تماما ، حتى لايجدوا لديه ثغرة عندما يصبح شهيرا وقد أضاف معاتبا لماذا لاتكفين عن قراءة أفكاري ؟

ـ فعلا ، لماذا تصرين على قراءة أفكاره ؟

ـ إنه أخي

ابتسم المريض كاشفا عن أسنان أكلتها السجاير ،

الفتاة
ت مدمنا على التدخين ؟
لا ، سيجارة واحدة في اليوم ، لم يعد يعنيني
دخانها ، وتأمل حلقاتها كالشعراء ، ولكن
برين على قراءة مذكراته ؟
ه ، لقد اشترى أخيرا خزانة ومفتاحا وانتهى
ن

عت يدها ، وأبعدت خصلة من شعرها سطت
وفكرت في مدى دقة ما ستقول ،
ن يشملني الصمت ، وأكون الى جانب النافذة
ة أجد نفسي مدفوعة برغبة حمية لقراءة
ه ينتابني إحساس وأنا أقرأ عباراته الباهرة
كهف مشحون بالرهبة والترقب ، وإذ يصيبني
تنفتح طاقة بيضاء في الجانب الآخر ، صدقني
كتاباته ما يشحن صدري بالرغبة في أن أكون

زال يعشق الرسم ؟
ه ، لقد أصبح رسام الكتيبة بحق
ن تذكرين ؟ كان يرسم وهو صغير ، ويملأ
ع والحيطان والأبواب ، فاضطرت أمك إلى
بالحلوى ليكف عن ذلك أولا ، ثم اضطرت
رب أخيرا ليرتدع
حكت الفتاة ، ولمست كتف المريض برفق
، أما زلت تذكر ؟ كنت حينئذ تأتي إلينا
، وما أن تجلس على الكرسي حتى تختلق
ر للخروج لماذا ؟
ر وجه المريض ، وعجبت الفتاة أن يظل
كفتاة قالت
ستكتب له رسالة ؟
بعا ، وسأعلق صورته العسكرية على جذع
وارفة أو بين الزهور حيث تنساب المياه بسحر
ن ، سأخبره أنه بعد حديثك عنه قد فجر في
ينبوعا من الرغبة الساخنة لأن أغادر سريري ،
هذه الأسوار

في بعض الليالي أظل راقدا ، أتأمل كلمات المريض الذي غادرني قبل أيام ، وأقول لماذا كان واثقا أن صدفة ما ستجمعنا على رصيف شارع أو على ضفة نهر أو في موضع ما في الجبهة هل يعني أن العالم صغير كما يقولون ، ! أم أنه كان شاعرا ؟

وأحيانا تحتقني اللهفة إلى تلك الصدفة ، وأقول متى يطرق بابي وألتقي بصديقي الذي زرع في صدري إحساسا كالنار ، في البصرة ، في بنجوين ، في العمارة حيث يمحي الدوي والتوحش والصمت المريب شعورا بالديمومة والحياة ؟ وفؤاد ، يا الفؤاد الرائع ، إنه يكتب كلماته بأظفار البندقية ، فتخرج الكلمات كالجمر ، أما أنا فلطالما حفرت بأظافري بحثا عن الكلمة ، فتخرج حروفا عنيدة ، بل لقد صارت الكلمات ضاحكة باكية ، بناء بلا هيكل هل تصدقين ذلك ؟

توقف المريض عن الحديث ، وسعل سعالا خافتا ، وما لبثت النوبة أن اشتدت، فجحظت عيناه ، وذعرت الفتاة ، وأسندته بكتفها مربتة على ظهره ، وبعد لحظة هدأ كل شيء ، فقالت الفتاة لماذا أجهدت نفسك ؟

- حمت اللغط في الحديقة

وأخذ بعض الزوار يغادرون ، ونظرت الفتاة ساعة يدها فألفتها الرابعة ، وعجبت أن تمضي ساعتان بهذه السرعة ، ورمقت وجه المريض كالمعتذرة ، فأدرك الأخير ما تقصد ، فنهض ، ومد يده مصافحا ، ونهضت الفتاة خجلة هل أجلب لك شيئا في زيارتي القادمة ؟

- لا ، لاتخبريه أني هنا ، لاأريده أن يكون مشغول الفكر

ومد يده وصافحها ثانية ، وابتعدت الفتاة ، وسمع المريض وقع خطواتها هادئة على الممر الاسمنتي ، وتأملها طويلا قبل أن تجتاز البوابة الخارجية ، وكانت الشمس تختفي خلف شجرة قرب غرفته ، وشعر كم هو مؤلم أن يكون معزولا .□

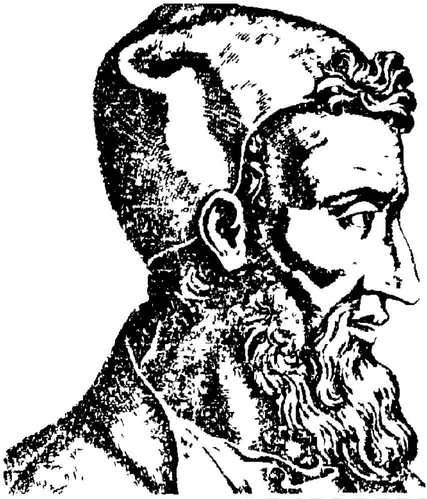

جالينوس

أشهر أطباء التاريخ

بقلم : الدكتور حسن فريد أبوغزالة

من هو جالينوس الذي سيطر على الفكر الطبي وعلى عقول الأطباء من أهل زمانه ومن جاء بعدهم ، الى الحد الذي اضمحل معه البحث العلمي ، وتخلف الاجتهاد الطبي عبر العصور الوسطى ، حتى ان الكنيسة ومحاكم التفتيش كانتا بالمرصاد لمن يجاهر بمخالفته ؟

يقول ابن أبي أصيبعة الطبيب المؤرخ العربي في كتابه المسمى (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) عن الطبيب جالينوس ، الذي عاش في منتصف القرن الثاني للميلاد -

« ان الذي قد علم من حال جالينوس واشتهرت به المعرفة عند الخاص والعام في كثير من الأمم ، أنه كان خاتم الأطباء الكبار المعلمين ، وأنه ليس يدانيه أحد في صناعة الطب ، فضلا عن أن يساويه ، وذلك لأنه عندما ظهر وجد صناعة الطب قد كثرت فيها أقوال الأطباء السفسطائيين ، وامحت محاسنها ، فانتدب لذلك ، وأبطل آراء أولئك ، وأيد وشيد كلام أبقراط ، وأراءه وآراء التابعين له ، ونصر ذلك بحسب امكانه ، وصنف في ذلك كتبا كثيرة ، كشف فيها عن مكنون هذه الصناعة ، وأفصح عن حقائقها ، ونصر القول الحق منها ، ولم يجيء بعده من الأطباء الا من هو دون منزلته ، ومتعلم عنه »

ليس بين من كتب عن جالينوس وأرخ له من كان أبلغ وصفا مما تقدم في عرض موقع جالينوس في الفكر الطبي ، الذي ساد القرون الوسطى ، فكان المدرسة التي سار على هديها وتعاليمها أطباء القرون

طى ، وفي طليعتهم أطباء العرب ، الذين
مهم الرئيس ابن سينا وأبو بكر الرازي
م
ى كان عصر النهضة الحديثة والانفتاح
ي ، ذلك أن زعامة حاليوس ، التي سادت
ثلاثة عشر قرنا من الزمان ، بحيث لم يجرؤ معها
على مناقضته أو الاعتراض على آرائه
ياته   هذه الزعامة أحدثت تضعضع
ع حتى آل أمرها الى الانهيار
ال « ريو لان » أحد قادة العلم في القرن
س عشر -
اذا شوهد اختلاف بين وصف لحالينوس وبين
الطبيعة وحقيقتها ، فانه لا مفر من التسليم
وث خطأ في الطبيعة نفسها لا في آراء
وس »

ان والمكان

د كلوديوس حاليوس في بلدة تسمى برحاموم
ية ، وهي من أعمال آسيا الصغرى ، تعرف
اسم برحام وتقع شمالي أزمير ، وذلك عام
بعد مولد السيد المسيح عليه السلام
رحاموم ، التي يحلو للبعض أن يسميها
ون ، بينما أطلق عليها العرب القدامى اسم
وش ، كانت مدينة جميلة ، بل ربما كانت أجمل
الاغريق ، كما قيل عنها ، اذ كانت تقع في
يطل على بحر إيجه
لد حاليوس لأب احترف الهندسة ، وقد
ربيته وتهيئته لدراسة الفلسفة ، واليك ما يقوله
س عن نفسه وعن أسرته
ن أبي لم يزل يؤدبني بما يُحسنه من علم الهندسة
ات والرياضيات ، مما يؤدب به الأحداث ،
نتهى بي العمر الى خمس عشرة سنة ، وبعدها
ي الى تعلم المنطق ، وقصد بي الى تعلم الفلسفة
ا ، ولكنه رأى في منامه رؤيا دفعته الى تعليمي
، فدفعني اليه ، حتى أتممت سن السابعة
عشرة »

وعلى ما يبدو فان حالينوس كان معجبا محبا لأبيه كارها لأمه ، لهذا قال في موضع آخر -

« كان أبي هادئا ومحبا وشريفا ، بينما كانت والدتي سيئة الخلق ، تعضّ الخدم »

وهكذا مضى حالينوس في تعلم الطب ، فتنقّل بين البلاد بدءا بأزمير ، حيث تلقى العلم على يد طبيب مشهور في ذلك الزمان يدعونه بيلوس **Pelops**، ثم توجه بعدها الى بلاد اليونان ، ومن ثم الى فينيقيا وفلسطين وجزيرة كريت وقبرص ، حتى انتهى الى مدينة الاسكندرية

وفي جامعة الاسكندرية درس حاليوس التشريح ، حيث درج الأطباء على تشريح أجسام القرود (قردة باربري بالتحديد) وعلى التسليم بأن كل ما يصدق على أجسام القرود يصدق أيضا على أجسام البشر   ولطالما ارتكبوا الأخطاء الفادحة تبعا لالتزامهم هذه القاعدة   ولعل تعذر تشريح الأجسام أو الجثث البشرية في تلك الأيام كان العامل الرئيسي الذي حال بين حاليوس وبين التشريح وحال دون اتقانه

لم يمكث حاليوس مدة أكثر من خمس سنين في مدينة الاسكندرية ، لعدم قناعته بالدراسة هناك ، أو كما قال في أحد كتبه -

« ان فن الطب كان يُدرسه الجهلة لجماهير من الصبية الصغار ، لم يبلغوا الرابعة عشرة من عمرهم ، وهم لم يقتربوا من مريض قط ، وانما كان عن طريق المحاضرات النظرية »

جراح المصارعين !

عاد حاليوس بعدها الى بلده برحاموم ، ليمارس مهمة جراح المصارعين الرسمي ، حيث نجح نجاحا منقطع النظير ، فذهب بعدها الى روما ، حيث ذاع صيته واشتهر ، لدرجة أن عينه الامبراطور الروماني ماركوس أوريليوس طبيبا خاصا ، ولكن حالينوس الذي حظي بتقدير الاباطرة واحترامهم   لم يحظ

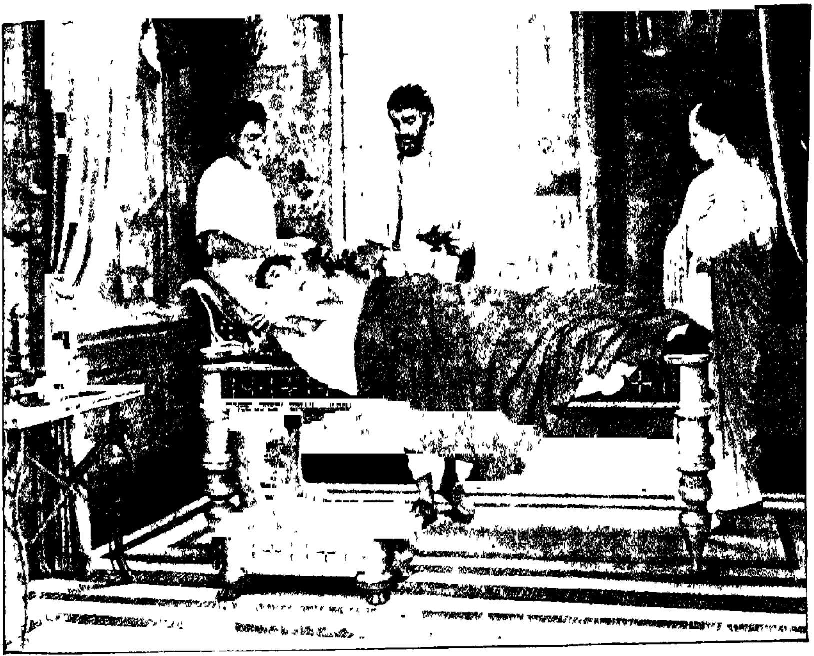

الكشف على مريض

مثل ذلك من زملائه الاطباء فقد تعالى عليهم وتطاول في الكلام ووجه الى بعضهم من النعوت والصفات ما لا مجال لذكره هنا حتى كرهوه وثاروا عليه وتآمروا على قتله الأمر الذي دفعه الى الهرب من روما والعودة الى بلده برجاموم حيث عاش بقية حياته

ان اسم جالينوس هو النطق العربي لهذا الطبيب المتميز ، بالرغم من أنه في أوروبا يعرف باسم جالين Galen، حيث ان حرف السين في اللغة اليونانية يقابل حركة التنوين في اللغة العربية ، معنى جالين في لغة اليونان هو الهادىء أو الساكن ، ولكن بعضهم يترجمها الى معنى الفاضل أو المحترم ، وهناك من الأوروبيين من يقول إن معنى جالين هو الأشهر أو الأهم

لقد تميز جالينوس بذكاء خارق ، ونباهة فائقة ، وقوة ملاحظة شديدة ، وطلاقة لسان جذابة . وتحلى بولعه المفرط بالقراءة والمطالعة وتعلقه الشديد بالتأليف والكتابة حتى قيل انه ألف ٤٠٠ مجلد (لم يصلنا منها سوى ثلاثة وثمانين مجلدا فقط)

على أي حال فقد تبنى جالينوس نظريات أبقراط الطبية (أبو الأطباء) وفصل في شرحها ، كما أخذ من أفلاطون وأرسطو ، وكان أهم ما آمن به هو نظرية الاخلاط الأربعة ، التي ورثها عن أبقراط ، ثم نقلها عنه أطباء العرب والمسلمين وكل أطباء القرون الوسطى ، وهي نظرية تنادي بأن الانسان مكون من أربعة عناصر ، هي الماء والهواء والتراب والنار ، وعليه فالناس ينقسمون الى أربعة أمزجة ، هي السوداوي والبلغمي والدموي والصفراوي ، ولهذا أيضا كان هناك أربع صفات ، هي الحار والبارد والجاف والرطب ، ومن هنا كانت نشأة الأمراض من اختلاف الأخلاط ، وغلبة أحدها على الآخر

أنواع الروح

ومن فلسفات حالينوس أن روح الانسان ثلاثية هي

الروح الحيوانية ومركزها المخ ، وهي سر المخ ، وتسرى عبر الأعصاب ، والروح الكونية ومركزها القلب ، وهي سر العاطفة وتدخل مع النفس ، والروح الطبيعية ومركرها الكبد ، وهي سر النمو وتدحل مع الطعام

ان سر سطوة آراء حالينوس على الفكر الطبي أنه كان عائياً ، أي بمعى أن كل شيء حلقه الله إما خلقه لعاية أو حكمة حاصة ، وهدا ما صادف هوى ورصا لدى الفكر الديي المتعصب ، الذي ساد الكنيسة في العصور الوسطى ، ومں هنا كان تبنّيها لآرائه ، واعتبار أي محالفة لها كمرا وإلحادا وهرطقة

عير أن بعص الأحطاء العلمية التي شاعت في القرون الوسطى والتي كشمت عها الأبحاث العلمية الحديثة ، قد طهرت أيصاي تعاليم حاليوس وأدت الى تخلّف علم الطب قرونا عديدة من تلك الأحطاء أن أوردة الدم تنشأ في الكبد ثم تتورع على الأطراف ، ومها أن الأعصاب ما هي الا أنابيب حوفاء لنقل الروح الحيوانية ، ولكنها بعد الموت تتصلب وتنسد ، ومها أن رحم المرأة له قرنان الأيمں مهما لتكوين الذكور ، والأيسر لتكوين الاناث ، ومها أن وطيفة الرأس انما هي حمل العينين فقط ، أما باقي الأعضاء فيمكن لها أن تكون في أي موضع آخر

ولعلنا لا نلوم جالينوس على هذه الأخطاء بقدر ما نلومه على نزعته الاستعراضية وميله الى الاستعلاء والأنانية ، وقد كانت أشد وطأة مں أحطائه العلمية

تعاليه !

فقد كان يعتبر نفسه حاتم الأطباء ، كما لم يتورع عن توجيه النقد الى استاذه أبقراط الذي قال عنه يوما -

« ان أبقراط كان أول من اهتدى الى الطريق المستقيم ، ولكنه لم يسر عليها الا حطوات يسيرة ، ثم تعثر ، ولم يلمّ بالنقاط الهامة ، ولم يسلم من الغموض »

ثم عرج على الفيلسوف آرسطو ، المعلم الأول ، فقال عنه -

« لقد رعمت يا ارسطو أن الأعصاب تنبث من القلب ، فلماذا اكتفيت بهذا القول ، دون أن تبين لنا كيف تتشعب فيه »

ومهما يكں من أمر فقد تحلّى حالينوس بالروح العلمية واعتمد على التجربة والمشاهدة الأمر الذي كفل له زعامة الأطباء ، لدرحة أن وصفه الأطباء المسلمون بلقب أب الأطباء

لا عجب اذں أن تفوق على سائر زملائه في التشخيص فلطالما اعتمد الفراسة ودقة الملاحظة في فحوصه السريرية حتى تسى له أن يكتشف من أعراض العلة ما حفى على عيره فأصاب في تشحيص الأمراض حيث أخفق الآخرون

ومن التجارب العملية التي تؤثر عں جالينوس تلك التي أحراها لاثبات أن وطيفة الكلى الرئيسية صنع البول فقط ربط حاليوس الحالبين فانتفحت الكليتان بالبول وتورمتا

وثمة تحربة ثانية قطع فيها بعص أعصاب الرقبة فحل الشلل بالكتف تماما كما أكد قبل التجربة

وتذكر تحربة ثالثة عبث فيها جالينوس بالعصب الحنجرى الراجع فحفت الصوت ثم تلاشى وانعدم كذلك عمد الى قطع بعض أعصاب القلب فأدى دلك الى توقف دلك القلب

والجدير بالذكر ان حالينوس أثبت فيما أثبت في تجاربه العلمية ، ان الأعصاب انما تأتي من المخ ، لا من القلب ، كما اعتقد جمهور الأطباء والعلماء في أيامه □

التراث القومي

تسجيل لمعالم حضارتنا القومية

بقلم : الدكتور عبدالحميد يونس

إذا كان الإنسان قد أصبح في هذا العصر يعنى بالتراث الحضاري ، على أساس عالمي ، فإن ذلك لم يحل بينه وبين التركيز على حضارة قومه ، لكي يسجّل مقوماتها ،ويتبين مكانتها من حضارات الشعوب والقوميات الأخرى

ظهرت دعوات ومحاولات مختلفة لتسجيل معالم حضارتنا القومية ، ولكننا شغلنا في مجال التسجيل والتأريخ بما بين الأقطار العربية من حدود سياسية وشبه سياسية   ولقد آن الأوان لكي نحقق

المسار الحضاري الطويل الذي قام به العرب في تأصيل حضارة الإنسانية على اختلاف حدودها الجغرافية في هذا الكوكب ، والذي يستوعب جهد الإنسانية منذ بدأت إلى يومنا ، وجعل المعنيين برصد التطور يلتفتون إلى اتساع النظرة ، بحيث تستوعب جانبا من الكون

كل دارس منصف لما أضافه العرب إلى التراث العالمي لابد ان يشيد بفضل الفلاسفة والعلماء والأدباء والفنانين الذين حفروا أسماءهم في ذاكرة التاريخ ، وهذا مما يحفز على وجوب المبادرة الى تحقيق التُعرف على هذا التراث القومي ، وتسجيل محصلته ، ونشره ، ليس بين العرب فحسب ، بل بين القوميات والشعوب الأخرى

الهوية وتصحيح الأحكام

لهذه الدعوة وظيفتان أساسيتان ، الأولى أن نعي هويتنا القومية ، بمقوماتها الحضارية ، والثانية أن نصحح بعض الأحكام التي صدرت عن بعض المستشرقين ، ومن سار على منهجهم ، في الاستعلاء على الطاقة الحضارية للأمة العربية العريقة الكبيرة وكلنا قد واجهنا تلك الأحكام التي تخرج عن الواقع التاريخي ، والتي تصدر عن موجات المناظرة العنصرية الاستعمارية

وعندما بدأت في مرحلة الشباب مع بعض الزملاء ترجمة « دائرة المعارف الإسلامية » أدركت انحراف لفيف من المستشرقين عن تسجيل الحقائق التاريخية والعلمية ، وذلك لكي ينتقصوا من قدر العرب في الفكر والإبداع ، وقد وجدنا النهج نفسه في كثير من المصنفات التي عرضت لأعلام العرب المبرزين ، في مختلف مناهج الحياة ، ورأينا من الواجب أن نطلب إلى علمائنا المتخصصين في الدراسات العربية أن

صححوا تلك الأحكام ، بفصول متخصصة ، أو تعليقات ، تجعل باستطاعة الدارس أن يوازن بين الانحراف عن الصحة وبين الحقيقة المستخلصة من الوثائق والروايات الصحيحة التي يعتمد عليها في الحكم على الطاقة الحضارية للأمة العربية والتراث القومي الذي لا يحدده الموقع الجغرافي فقط ، لأن هذا الموقع يمتاز بتبادل التأثر والتأثير في العالم ، ذلك لأن هناك بحارا تعد من المنافذ الحضارية للوطن العربي ، هي البحر الأبيض المتوسط في الشمال العربي من الجزيرة العربية ، والبحر الأحمر في غربها ، والمحيط الهندي في جنوبها ، والخليج العربي في شرقها ولقد استوعب الفتح الاسلامي العراق وفارس وبلاد الشام ومصر وشمال افريقيا ، واستقر فترة طويلة من الزمن في أسبانيا ، ونفذ إلى جنوب فرنسا ومن أهم مقومات التراث القومي العربي غلبة اللسان العربي على هذه البقعة التي ما تزال لها مكانتها وتأثيرها في المجالات الحضارية من عقيدة وأدب وفن وعلم

واللغة بصفة عامة هي القوام الاساسي للحياة وللحضارة ، ولذلك نهضت اللغة العربية بوظائفها الحضارية ، حتى حققت مزاياها في التراث الإنساني ، ونحن في هذا العصر قد أصبحنا نستطيع أن نعتمد في أحكامنا العلمية على المقالات والأحاديث التي تتوسل باللغة الحية الناطقة جاء على لسان الدكتور محمود فهمي حجازي في هذا المجال « ظلت اللغة العربية ، على مدى عدة قرون ، أهم لغات الحضارة الانسانية لقد استقرت العربية في عصر ازدهار الحضارة الإسلامية ، لغة للعلم والثقافة في منطقة واسعة من العالم ، كانت اللغة العربية تستخدم في الحياة اليومية في العديد من الدول والأقاليم التي كونت الوطن العربي ، لكن استخدام اللغة العربية تجاوز هذه الأقطار والأقاليم ، فكانت تستخدم لغة للعلم والتأليف وللتعاون الدولي في منطقة أوسع لقد ظهرت بالعربية مؤلفات كثيرة في شبه القارة الهندية ، وفي المناطق التي تقع الآن في إيران وأفغانستان وجنوب الاتحاد السوفيتي وتركيا ، إلى جانب ما ألف بالعربية في القارة الأفريقية ، فاللغة العربية كانت أهم لغات الحضارة الإنسانية على مدى عدة قرون »

عالمية التراث القومي

إن هذه الحقيقة تثبت عالمية التراث القومي الذي جعل اللسان العربي بمثابة منارة ، تنشر ضياءها على أفق أوسع مدى بكثير من حدود الوطن العربي الكبير ، والدارسون المنصفون لهذه الحقيقة يكشفون عن تأثير هذه اللغة في عدد من لغات الدول والشعوب في اسيا وأفريقيا وأوروبا ، وليس هناك شاهد أوضح من تأثير اللغة العربية في أسبانيا التي مزجت اللسان الاسباني باللغة العربية ، إذ برزت الحضارة الأندلسية فترة غير قصيرة بفضل الفتح العربي ولسنا نتناسى المفردات والأسماء الكثيرة التي مايزال لها الطابع العربي في أحاديث الاسبان وآدابهم وما من زائر أو سائح لاسبانيا لا يلتفت إلى هذه الملامح العربية في لغة الاسبان ولم يعد الشعب الاسباني يخفي هذه الحقيقة الآن .

وعندما نتوقف لكي نتبين أثر الأدب العربي في الآداب الأوروبية ، فإننا نجد قدرا من الخروج على الواقع ، إذا نحن أخذنا الأحكام المشهورة عند معظم المستشرقين ، التي تدعي بأن أدب العرب إنما هو أدب « رومانتيكي » في جوهره ، مع أن التراث الأدبي العربي يتجاوز هذا الحكم الضيق ، ذلك لأن فن القول فيه يحقق كثيراً من الحوافز المختلفة عند الأديب العربي ، شاعرا كان أو ناثرا ، ثم إن قيام العرب بتعريب روائع عالمية ، فارسية أو يونانية ، لايمكن أن يغفلها المؤرخ ، فما بالك بقوة ظاهرة التأثر والتأثير بين الأدب العربي والآداب الأخرى ، وهناك شواهد متعددة ، تدل على احتفال العرب بالروائع العالمية كنا نختلف في شبابنا حول أصل الرائعة العالمية المشهورة « كليلة ودمنة » لابن المقفع ، وهي

نموذج يكاد يكون متفردا في فن الحكاية ، وذلك عندما نهض أحد العربيين بترجمة كتاب « البانجاتنترا » أو الأسمار الخمسة من اللغة السنسكريتية إلى اللغة الانجليزية ، وقمت بنقله الى العربية ، لا باعتباره رائعة أدبية فحسب ، لكن باعتباره في نظري من أصول « كليلة ودمنة » ، وما يزال الموضوع محلا للدراسة المقارنة بين آداب الشعوب

ولما أخذنا نطبق المنهج الواقعي في الكشف عن التراث الأدبي واجهتنا روائع لم يلتفت إليها الدارسون الذين ركزوا اهتمامهم على تعبير الأدب عن مشاعر الفرد وأصبحنا نعترف بأن الوجدان الجماعي قد حقق وجوده عما نسميه الآن الأدب الشعبي ، وهو ما يبرز الشخصية الجماعية ، وما يصور الملامح القومية ، وشواهد هذا الأدب هي التي صححت النظرة القاصرة ، وأثبتت وجود الملحمة في الأدب العربي ، وهو ما نجده في السير الشعبية التي مايزال الشعب يردد بعضها

التبادل الابداعي

من أهم مقومات هذا الأدب الشعبي أنه يشخص أيضا ظاهرة التبادل الإبداعي بين الشعوب ، وليس هناك ما يقطع بالحيوية التي تصدر عن التأثر من « الليالي العربية » ، وهي الحكايات التي عرفت بهذا الاسم في العالم ، وبخاصة في أوروبا ، عندما ترجمت عن أصلها العربي ، وهي حكايات « ألف ليلة وليلة » وقد اهتم بهذه الليالي الباحثون في الشرق والغرب ، وتداولها الناس في كل مكان ، واقتبسوا منها قصصا وروايات ومسرحيات و« أوبراوات » ، واستلهموا منها قطعا موسيقية رائعة

وللعرب فضل ، لا يمكن أن ينساه المشتغلون بالعلم ، حتى في عصرنا الحديث ، وهذا الفضل يتصل بما أضافوه إلى علم الجغرافيا وقد استعمل هذا المصطلح لأول مرة في رسائل إخوان الصفا ، لكنه فسر أيضا في هذه الرسائل بأنه « صورة الأرض » ، وظل هذا المعنى شائعا في العصور الوسطى ، ولم يصبح لهذا المصطلح المعنى الذي نعرفه اليوم إلا في أزمنة حديثة يقول الدكتور جمال الفندي في مقالة « الجغرافيا عند المسلمين بدائرة المعارف الإسلامية » « يمكن أن نعد القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ذروة التقدم الذي بلغته الجغرافيا العربية ، ذلك أنه ماوافى هذا العهد حتى كانت المعرفة الجغرافية عند العرب ، سواء كانت مستقاة من الإغريق وغيرهم ، أو كانت قد نمت بمعرفة العرب بفضل أبحاثهم وملاحظاتهم أو رحلاتهم ، قد بلغت مستوى رفيعا جدا من التقدم ، زد على ذلك أن الكتب الجغرافية كانت قد غدت لها مكانة خاصة في المكتبة العربية ، كما كانت الأساليب والمناهج المختلفة في عرض المادة الجغرافية قد تقدمت وانضبطت » ، واستعمل العلماء والرحالة من العرب المنهج المعجمي ، لكي يستطيع كل امريء أن يحصل على مايريد من معلومات عن البلدان والأماكن ، فوضع ياقوت الحموي كتاباً يعد من المراجع الهامة التي تجمع بين المعرفة والمتعة ، وهو كتاب « معجم البلدان » الذي أصبح نموذجا يحتذي في الجمع والتصنيف ولعل أكثر ما يشوق الدارس التجربة التي يقوم بها الذين يصفون الظواهر الطبيعية بصفة عامة ، والمدن بصفة خاصة ، واتخذت كتب الرحلات مكانها الممتاز بين الوصف الموضوعي وبين التجربة الحية وما يزال كتاب « ابن بطوطة » المعروف باسم « تحفة النظار » من أهم الكتب العربية وأمتعها ، وهو يقدم للقاريء العربي وصفا لبلاد الهند وجنوبي شرق آسيا ، وغير ذلك من بلاد آسيا وشمال أفريقية ، والأوصاف التي يقدمها ، على الرغم مما يكتنفها من تجاوز للواقع ، أحيانا ماتزال من الوثائق التي تحكى مزاج العصر وطاقة الفكر في ذلك العهد

تراث عالمي

إن تراثنا القومي عالمي ، لأنه يجمع في محصلته إبداع الشعب العربي في مجالات الآداب والفنون والعلوم ، ولأنه في نفس الوقت قد تمثل عناصر من إبداع الشعوب الأخرى التي استطاعت أن تترك بصماتها الحضارية على مراحل مختلفة من التاريخ

وإذا كان الإنسان يجمع في سلوكه ما استطاع أن يحصله من التجارب والخبرات والأفكار ، فإنه يصدر في نفس الوقت عن ذخيرة المسار الحضاري في بيئته ، فيما يتدفق فيها من ثمرات العلاقات الإنسانية على اختلاف الأوطان والأجناس والأسئلة المطروحة على المواطن في الوطن العربي هي كيف يستطيع أن يعرف مقومات حضارته ، وأن يكشف عن مصادرها وتنوع عناصرها ؟ وهل يكتفي برعاية الآثار وعرضها ؟ وهل يحتفل باجتذاب السائحين الى شواهدها ومتاحفها ؟ إن الأمر أكبر من هذا بكثير ، لأن الحاضر في عالمنا له قسمات تميز هويتنا القومية بما لها من عراقة وتاريخ إنساني متواصل

والقوامون على السياحة يُعنون ـ في المقام الأول ـ باجتذاب الأجانب لكي يتعرفوا على المناظر الطبيعية الخاصة الجذابة ، لكي يُتاح لهم أن يشاهدوا الآثار الكثيرة المنوعة التي خلفها الأجداد على مدى التاريخ الطويل ، وهي ذخيرة تنطق بالإبداع والتطور ، إلى جانب التنوع في العمارة والنحت والحرف والصناعات ، ويعنى الذين يعرضون الفنون الزمنية التقليدية والشعبية بالتركيز ـ في كثير من الأحيان ـ على المثير منها ، وهو ما جعل الأجانب يتصورون أن هذه الفنون هي التي تصور ملامح العرب على مدى العصور

إن هناك جهوداً كثيرة للتعاون الثقافي في الوطن العربي الكبير ، ومع ذلك فإن الثقافة يجب أن تأخذ مكانها الذي تستحقه من الحياة الإنسانية ، وألا نقصرها على مجال الخدمات في توجيه الحياة ، ذلك لأن الثقافة هي القوام الانساني ، أو بتعبير أصح هي القوام الحضاري والكتاب العربي هو أهم وسيلة للمحافظة على هذه الثقافة ، وعلى تبادلها بين الأفراد والجماعات ، والكتاب ليس مجرد تدوين وطباعة للكلمات والفقرات ، لكنه يقدم الشواهد المرئية التي تحكي المنظر الطبيعي حكايتها للفنون التشكيلية والزمنية فلقد أصبح الكتاب يتوسل باللون ، لكي يقترب إلى أقصى حد من الواقع وتعد دور الكتب أهم وسيلة لتوثيق المسار الحضاري للشعوب ، ومن هنا كان من الضروري أن نضع التركيز على إنشاء دار كتب عربية قومية ، تشارك فيها جميع الأقطار العربية ، وتتفرع منها دور كتب أخرى في مختلف العواصم والمعاهد العربية

ومن حسن الحظ أننا نعيش في هذه المرحلة التي استطاعت أن تسجل الصوت والصورة معا ، وهو ما يقدم الوثيقة الحية التي تدل على تجسيم الثقافة ولابد أن نتخذ منهجا يساير هذا التقدم ، بحيث نستطيع أن نكمل المحافظة على تراثنا القومي ، وألا يظل مجرد آثار بالمصطلح التقليدي إن تراثنا الحضاري يجب أن يحكي الكلمة الناطقة والصورة المتحركة ، والصوت الذي له دلالته ، والإيقاع الذي يسهم في التعبير ، والذي يتحقق في الفنون الزمنية ، ولابد من التأكيد على أن هذا التراث يستوعب الشخصية الوطنية والقومية ، بحيث نساير ما استطاعت العلوم الإنسانية أن تكشف عنه ، وهو ما نسميه اليوم بالمأثور الشعبي أو « الفولكلور » فقد جعلنا اهتمامنا بالآثار ننشيء المتاحف ، فلماذا لا نسير على المنهج نفسه ؟ فننشيء المتاحف الخاصة بالمأثورات الشعبية ، مع النظرة القومية التي تعترف بأن هذه المتاحف إنما هي تفاصيل لأمارات شخصيتنا وقسماتها ، بل وبصماتها □

بقلم محمود المراعي

حرب المعونات

هذه حرب من نوع خاص، سلاحها المال المتدفق من الشمال إلى الجنوب في معظم الأحوال، الذي يأتي بالمجان في بعض الأحيان، وبأقسى الشروط في أحيان أخرى

وهي حرب ذات تاريخ، دخلها الشرق والغرب، وكانت ساحتها الجنوب الممتد من أمريكا اللاتينية إلى أفريقيا وآسيا

نقول إنها «حرب» لأنها مجال صراع شديد، وإن حملت كل عبارات الود، و التعاون والتضامن، والانسانية أما أطراف الصراع فهم رءوس المثلث العالمي غرب وشرق وعالم ثالث، كل طرف يريد أن يحصل على مايناسبه في معركة المعونات

قديم الحرب وجديدها

بعد الحرب العالمية الثانية عرفت أوروبا مشروعا ضخما للمعونات، لعبت فيه الولايات المتحدة الدور الأول، وهو مشروع «مارشال»، لكن ذلك المشروع قد أخذ طابع التعاون بين أبناء المعسكر الواحد، بعكس ماجاء بعد ذلك من تعاون بين دول متقدمة ودول متخلفة، أو دول ذات تاريخ استعماري ودول كانت مستعمرة وأصبحت حديثة الاستقلال

وربما كانت الخمسينيات والستينيات نقطة تحول، فالدول الصغرى تستقل واحدة بعد الأخرى، ومعركة التنمية وبناء الاقتصاد تفرض نفسها، والأكثر قدرة هي الدول الصناعية في الشرق والغرب

في وقت لاحق قالت الأمم المتحدة إن هناك نسبة عادلة ينبغي أن يخصصها الأغنياء لعون الفقراء، وحددت هذه النسبة بمقدار (١/) من الناتج القومي، لكن هذه النسبة ـ باستثناء ما قدمته دول الأوبك في بعض السنوات ـ لم تتحقق قط وتقول آخر إحصاءات للبنك الدولي إنه بين الدول الصناعية المتقدمة المنضمة لما يسمى منظمة التعاون والتنمية لم يقترب من الهدف عام ١٩٨٥ سوى بلد واحد هو هولندا، وتلتها في الأهمية فرنسا ثم كندا و جاء في ذيل القائمة الولايات المتحدة الأمريكية التي قدمت الحجم الأكبر (٤ , ٩) مليارات من الدولارات، لكن بالقياس لناتجها القومي الضخم فإنها لم تقدم سوى ربع النسبة التي حددتها الأمم المتحدة وكانت الحصيلة النهائية أن دول المنظمة المذكورة قدمت (٤ , ٢٩) مليار دولار معونات خلال عام ١٩٨٥، وذلك في مقابل (٣,٥) مليارات من الدولارات قدمتها دول «الأوبك» التي هبطت معوناتها للعالم الثالث بسبب تراجع أسعار النفط، حيث سجلت في فترة الرواج (١٩٨٠) على سبيل المثال رقما كبيرا في المعونات، بلغ نحو عشرة مليارات من الدولارات

لكن، لأن الصراع والتنافس على أسواق وقلوب

وعقول في العالم الثالث يتم بين الشرق والغرب في الأساس فإن المقارنة تتم عادة بين هذين المعسكرين وهاهو احصاء أخير لمنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية يقول إن مساعدات الاتحادالسوفييتي قد عاودت الارتفاع ، وأن السياسةالسوفييتية الجديدة سوف تدفع بهذا الاتجاه ، بعد أن دفع السوفييت للعالم الثالث (٣,٧) مليارات من الدولارات مساعدات في عام ١٩٨٦ ، وهو ما يعادل ثلث الهدف الذي حددته الأمم المتحدة

لكن ما هي أسرار تلك اللعبة التي يسميها بعضهم تعاونا دوليا ، ويسميها آخرون أدوات التبعية والخضوع ؟

حقيقة واحدة وزوايا رؤية متعددة

الحقيقة واحدة أموال تتدفق من الشمال إلى الجنوب في معظم الأحوال ، تحمل اسم معونات ، وتنقسم إلى نوعين منح بلا مقابل ، وقروض ذات شروط ميسرة في أسعار الفائدة وأجل السداد الذي يمتد الآن في كثير من الحالات إلى القرن الواحد والعشرين

هي تدفقات تساعد على التنمية ، أو تسد ثغرة الاستهلاك ، أو تدفع بعجلة الحرب وتزيد الترسانة العسكرية وأيا كان الغرض فإن كل طرف ينظر إليها من زاوية محددة

يقول الفقراء إن عالمنا الثالث قد تعرض لاستغلال طويل ، وقد حان الوقت أن يدفع العالم المتقدم بعض « دينه القديم » ، وأنه لامفر أمام دول فقيرة محدودة الموارد إلا أن تستورد جرعات مالية ، ومعونات تقنية ، وخبرة ، ومعدات عسكرية ، وكل ذلك بالمجان أو بالتقسيط

وعلى الجانب الآخر يقول المجتمع الدولي إنه تعاون ضروري ، فمصير البشرية واحد ، وانهيار أجزاء من العالم يؤثر على بقية أنحاء العالم ، وفي التفاصيل يسفر الساسة والاقتصاديون عن وجوههم ، فيقولون وهل يمكن أن يستمر سوق العالم الثالث مستهلكا لما نقدمه دون أن يستمر العون ؟ إن المعونات ضرورة لكي تنتقل سلع أوروبا وأمريكا الى العالم الثالث ، ولكي يظل ذلك الأخير قادرا على الشراء والتعامل إن قدرا من النمو ضروري لتحقيق قدر من التعاون ، وتكوين « طلب » لما هو معروض في الشمال

وفي التفاصيل أيضا تسفر بعض الدول عن أهدافها بشكل أوضح ، فها هي بعض الوثائق الأمريكية تتحدث صراحة عن أن هدف المعونات هو تحقيق أهداف السياسة الأمريكية ، وتتحدد هذه الأهداف بالتفصيل ، وتوضع على مائدة المفاوضات السرية ، وتحدث المساومات معونات مقابل قواعد ، أو تسهيلات ، أو قبول باتجاه نحو الاقتصاد الحر ، أو قبول بأوضاع سياسية مثل وجود كيان صهيوني في الشرق الأوسط

هنا يثير العالم قضية التعاون الكفء ، والتبعية ، ويتحدثون عن شروط للاتفاقيات ، تحد من سيادة الدولة المدينة أو التي تتلقى العون ، بل ويتحدثون عن المعادلة المطلوبة التي أصبح العالم الثالث بموجبها يدفع من الأقساط والفوائد أكثر مما يأخذ من منح وقروض كل عام !

وهنا يعرض المعسكر الآخر ـ الاشتراكي ـ بضاعته ، فيقول

إنها سهلة الشروط ، ولا تحمل أي جانب سياسي مباشر ، لكن ـ وبالطبع ـ فإنها تتجه لدول تربطها صداقة ومصلحة بالدول المانحة ، وفي الحساب الختامي يأتي حجم معونات الشرق أقل كثيرا مما يقدمه الغرب بإمكانياته الكبيرة

وتستمر اللعبة كم ؟ ومتى ؟ ومن أين ؟ وبأي شروط ؟ وتحدد الأسئلة نوع العلاقة ، وإن كانت لاتحدد جدواها ، فتلك قضية يحسمها حسن أو سوء استخدام المعونات من جانب الطرف الآخر العالم الثالث □

الأسنان المصابة بين القلع والعلاج !

بقلم : الدكتور : ابراهيم أبو طاحون

« مهمة طبيب الأسنان في حالة اصابتها بالورم أو الألم لا تكمن بقلعها ، بل بمعالجتها وحفظها في الفم ، تماما كما يقوم طبيب العيون بمعالجة عين المريض والاحتفاظ بها بدلا من قلعها » . هذه هي خلاصة ما يذهب اليه الكاتب ، لكن كيف ؟ ولماذا ؟

اعتاد بعض أطباء الأسنان من قبل قلع تلك الأسنان التي مات فيها « اللب » وما يصطلح العامة على تسميته جوازا « بالعصب » وتلك التي يظهر حتى مجرد التهاب بسيط فيها ، وكان الدافع لذلك سيادة النظرية التي تعتبر مثل هذه الأسنان بؤر تلوث ، وتحميلها مسئولية الاصابة بكثير من الأمراض العامة أما الآن وبعد اعادة النظر في هذا التوجه ، فبامكان الطبيب أن يبقي بعد علاج مناسب كل تلك الأسنان التي كان يحكم عليها قديما بالقلع

ويظن بعضهم خطأ بأن بقاء السن يرتبط ببقاء لبها حيا ، وهو ظن خاطىء كذلك ، لأن الأسنان المعالجة بشكل جيد ، يمكنها أن تعيش نفس فترة الأسنان التي تحتفظ بلبها حيا ، مع فارق مرونتها في الحالة الأولى ، الأمر الذي يجعلها عرضة للكسر بسهولة ، وهو مع ذلك عيب يمكن مواجهته بتركيب التيجان المختلفة ، وتحتفظ السن المعالجة بارتباطها العضوي مع الأنسجة المحيطة بها ، واستمرار ولادة مادة الملاط المحيطة بجذرها ، ولاننا نسمع الكثير عن لب السن ولا نعرف عنه سوى القليل ، لذا فإننا سنقوم

رحلة تعريفية به منذ ولادته

رحلة العصب أو اللب

يبدأ تكوين الشكل الأولي للب خلال الأسبوع الثامن للجنين ، أما صورته الطبيعية المكتملة فتظهر على شكل نسيج رخو غني بالمواد المائعة ، وشبكة واسعة من الأوعية والأعصاب ، ويعتمد اللب في حمايته على القشرة الصلبة للعاج ، حيث يصبح حساسا جداً في حالة حذفها

وخلال ثوان من تعرضه للجو يتغير مظهر النسيج وحجمه ، حيث ان المادة المائعة تتبخر ، وهذا يعني أن اللب لا يمكن أن يعيش بصحة إلا محميا من خلال السن ، وكثمن هذه الحماية يشارك معها في تعايش مغلق

ويقوم اللب بأداء وظائف متعددة ، مثل تكوين العاج ، والتغذية ، ونقل الألم والتهيجات المختلفة ، ودفاع السن واللب

ويسكن اللب التجويف اللبي للسن ، ولا يتجاوز حجمه في أوسع قياس (في قاطع مركزي علوي) ٤ , ٠ ملم ، وفي خلال هذه الأبعاد الضيقة جداً ، تستلقي شبكة واسعة من الأوعية التي تدخل السن عن طريق شق في طرف الجذر السفلي ، حيث يبقى الكثير منها خاملا ، أو ينهار تحت ظروف طبيعية

وحيوية اللب ترتبط بدورته الدموية ولا علاقة لها بآلية احساسه (أي بوجود أعصاب فيه) كما يظن الكثيرون خطأ وهكذا فقدراته محدودة ودورته فريدة بحكم كونه محصورا داخل قشرة صلبة من العاج

ومع تقدم العمر تترك السنون آثار خطاها واضحة عليه ، حيث يتعرض للهرم الطبيعي ، وتشيخ خلاياه ، حاله حال كافة أنسجة الجسم الأخرى ، بينما يزداد خناق العاج عليه بسبب ترسيبه المتواصل

أما من الناحية المرضية فيتعرض اللب للإصابة بفعل عوامل مختلفة ميكروبية ، وآلية ، وكيميائية ، وكهربية .

فما هو - باختصار شديد - هذا العلاج الذي نتحدث عنه ، ونطالب به بديلاً للقلع السهل ؟

Endodontic Therapy كلمة يونانية تتألف من مقطعين ، وتعني « علاج داخل السن » وهو ما نصطلح عليه بالعربية بعلاج القنوات الجذرية ، ويشمل هذا العلاج الداخلي للسن سلسلة من العمليات المتعاقبة التي تجري في داخلها ، بهدف حفظها في موقعها في الفك ، وتتعلق هذه العمليات بفتح السن وتجهيز التجويف الداخلي - القنوات الجذرية - ثم تعقيمها ، كي يلي ذلك حشوها المحكم بشكل يمنع اتصال التجويف اللبي للسن بالأنسجة المحيطة بالجذر

ألم الأسنان

ألم الأسنان عملية معقدة ، أرضيتها لب الأسنان والأنسجة المحيطة بها ، ويتميز بالشدة والحدة والانعكاس على مناطق الوجه الأخرى ، مما يشكل صعوبة كبيرة في طريق تحديد السن المسئولة عن الألم ، لكن لماذا نحس بألم الأسنان ؟ وكيف ؟

محاولات كثيرة جرت لدراسة ألم الأسنان ، كانت تنطلق جميعها من أساس « هستولوجي » ، مستندة الى دراسة عدد هذه الأعصاب ، ومكان دخولها ، والتغيرات التي تتم في نسيجها ، والاجابة على سؤال « لماذا نتألم ؟ » ، لكنها بقيت جميعها غير مقنعة حتى سنة ١٩٦٥ ، حيث جرت أول دراسة للنبضات العصبية للب حي ، أكدت احتواءه على نوعين من الأعصاب ، وتلا ذلك سلسلة من التجارب اهتمت كذلك بالحساسية الزائدة للعاج التي تزداد في نقطة اتحاده مع الميناء .

الى جانب ذلك تمت دراسة تغيرات الضغط والحرارة داخل اللب ، وتأثير بعض الأدوية والمواد المهيجة المختلفة عليه ، وكان الاستنتاج أن ألم الأسنان ظاهرة مركبة لا ترتبط بالمحيط ، بل بالجهاز

العصبى المركزى ، وفي أغلب الأحيان فالأعصاب التى تتعلق بذلك هى تلك الموجودة داخل اللب ، بينما تقوم في أحيان أخرى الأعصاب الموجودة في محيط السن بتعميم الألم الذى يصعب تمييزه

وللوقاية من ذلك يستلزم الفحص الدقيق للأسنان ، وتقديم العلاج المناسب لها ويمكن ان يظهر ألم الأسنان في حالات بعض الأمراض ، منها

(١) اصابات القلب وتبرز أهمية الألم في هذه الحالة بأنه أشبه بجرس انذار مبكر في أنياب الفكين العلوى والسفلى وضواحكهما

ويتميز هذا الألم بارتباطه بالجزء الأيسر من الفكين ، ثم امتداده نحو الأعلى . وعلى الرغم من ذلك فمن الممكن أن يكون الألم الحاد محصورا في منطقة الناب العلوى ، أو احدى الضواحك قبل ظهور تخثر الشرايين التاجية

(٢) ألم الأسنان النفسى من المعروف أن نفسية الفرد تتدخل في مسيرة العلاج المقدم في كافة أنواع المرض ، وحين نقول ألم الأسنان النفسى ، نعنى بذلك الألم النفسى الذى ينعكس على أسنان لا يظهر أى خلل عضوى بها

ويستلزم تشخيص هذا الألم الحرص الدقيق خلال فحص المريض ، ويتميز بعدم انحصاره بشكل ثابت في منطقة معينة ، بل امتداده ليشمل كافة مناطق الفم ، ويسعى هؤلاء المرضى عادة للتحايل على الطبيب المعالج ، ويفضل تقديمهم للطبيب النفسى

الخراج أو دمل الأسنان

يعيش في تجويف الفم أكثر من ٣٠ صنفا من أصناف البكتريا المختلفة التى يمكنها استعمار اللب عند توفر الظروف المناسبة .

ويرد اللب على الغزو الميكروبى بالتهابه وامتداد الالتهاب للأنسجة المحيطة بطرف الجذر بسبب العلاقة التشريحية والحيوية الوثيقة بينهما ، ويشترط قبل تكون الدمل أن يسبقه موت اللب ، حيث يبدأ تجمع القيح من تحلل نسيجه الميت ، وبقايا الخلايا الدفاعية والميكروبية التى تموت خلال الهجوم

وفي المرحلة الحادة للورم تظهر الأعراض مثل الأرق ، والحرارة التى قد تصل الى ٣٩ ـ ٤٠م والمصحوبة أحيانا بالقشعريرة الى جانب الصداع وظهور مادة بيضاء على اللسان

وفي مرحلة الالتهاب الحاد يسعى الطبيب المعالج لتصريف القيح بكل طريقة ممكنة وذلك

(١) من خلال فتح السن والتصريف عبر القنوات الجذرية ، مع ترك السن مفتوحة بضعة أيام لمواصلة التصريف ، مكتفيا بوضع قطعة قطن صغيرة رخوة تسمح بمواصلة التصريف ، وتمنع في نفس الوقت ـ باغلاق السن ـ من دخول بقايا الأطعمة إليها

ومع بدء تصريف القيح يبدأ شعور المريض بالارتياح ، وتتوقف مسيرة الورم الذى يبدأ بالتراجع ، وبالامكان أيضا مساعدة عملية التصريف باستخدام المحاليل الدافئة ، ويفضل البابونج ، والقيام بالمضمضة والغرغرة ، والضغط الخفيف على منطقة الورم

(٢) وإذا عجزنا عن التصريف من خلال هذا الطريق ، أو إن كان الورم قد وصل مرحلة متقدمة ، فالمحاولات التى يبذلها الطبيب تتجه لتصريف القيح من خلال المخاط الملتهب ـ (الأنسجة الرقيقة) الى جانب ذلك فعلى المريض خلال المرحلة الحادة أن يلزم الفراش ، أو أن يبقى على الأقل مرتاحا مع تغذية خفيفة، ويفضل أن تكون من السوائل

استخدام الأسبرين

كثيرا ما يلجأ المرضى الذين يعانون من الألم أو الورم الى وضع مسحوق الأسبرين على تلك المناطق ، وهو تصرف خاطىء ، حيث ان الأسبرين وكافة المسكنات القريبة منه لا تنشط بطريقة استخدامها الموضعى ، وهى بالتالى لا تقدم أية فائدة باستخدامها بهذا الشكل ، وتسبب على العكس من ذلك حروقا موضعية في الأنسجة الرقيقة .

... الأهم في طب الأسنان بشكل عام هو أن نقرر ... نعطي المريض المضادات الحيوية أم لا ، ... نوع تلك التي سنعطيها ، ورغم اختلاف ... ات النظر حول هذا الموضوع ، الا ان ... ات الحيوية في حالة ما تمكننا من التوصل ... والتصريف

... ذلك فإن المضادات الحيوية مثل (البنسلين) ... على الكائنات الصغيرة ، لكنها لا تبعدها . ... تبعد القيح عن منطقة الاصابة ، وهكذا فالتصرف الأساسي الذي يجب ان يشغل بال الطبيب المعالج في هذه الحالة هو أن « لا شيء يعوض الفتح والتصريف الجراحي »

وعملية الفتح غدا أنها لم تعد مؤلمة بعد استخدام الأدوات المناسبة ، فهي لا تستغرق أكثر من ثوان أو دقائق معدودة فقط لانجازها ، مع ضمان نتيجة أفضل للمريض .

زيارة الطبيب

حينما يقوم الطبيب بمعالجة الأسنان ، واستخدام الأدوية والمواد المختلفة على العاج المتعرّي ، فهو يسبب في كل مرة اضطرابا في لب الأسنان ، قد يكون بسيطا أحيانا ، ويفوق قدرة اللب على الاستجابة الطبيعية أحيانا أخرى

وبينما يعطي التسوس - بسبب تطوره البطيء - الفرصة للُّب لتحزين آليته الدفاعية فان العمليات التي يقوم بها الطبيب في فم المريض تأتي بنتائج مباشرة لا تعطيه الفرصة لتحريك آليته للدفاع عن نفسه

فالحرارة الناتجة عن الحفر بسرعة أقل من ٢٠,٠٠٠ لفة في الدقيقة ، اذا لم تتعادل بوسائل تبريدية ، مثل الماء المنبعث من جهاز الحفر ، فإن آثارا سيئة يمكن أن تصيب الأسنان والأدوية المستعملة تؤثر أيضا في هذا المجال .

ويجب أن يوضع بعين الاعتبار ، حين انتقاء مواد الحشو ، بأنها تستعمل على أرضية مادة بروتوبلازمية حية . وبالتالي يتوجب أن تكون مقبولة حيويا وغير متحجة مثل الضغط أو الحرارة

وتنحصر المشكلة المعدنية التي تتعامل معها الأطباء في حشوات الأسنان الخلفية ، فهي كيميائيا لا تعتبر من المواد الضارة للب ، ومن أكثر مواد الحشو أمانا ، بشرط عزل اللُّب عن التهيجات الحرارية بالمواد العازلة المختلفة

إعادة زراعة أسنان الأطفال

قد يكسر الأطفال بعض أسنانهم ، أثناء اللعب . فما واجب الوالدين في هذه الحالة ؟

المهمة الأولى هي نقل الطفل على وجه السرعة مع سنه لأقرب طبيب أسنان لاعادة تثبيتها - زرعها - في مكانها ، ويمكن نقل السن هذه بإحدى الطرق التالية .

١ - تثبيتها العفوي في موقعها في فم الطفل

٢ - أن تحتفظ الأم بالسن في فمها حتى وصولها للطبيب مع الطفل

٣ - حفظها في كوب من الحليب أثناء نقلها!

واعادة زراعة سن الطفل تعتمد على عمره ، فإذا كان مقاربا لموعد طلوع الثوابت ، فهناك خطر التأثير عليها ، وبالتالي فإن الجهد ينصب على اعادة زرع أسنان الأطفال الصغار التي يمكن تثبيتها فترة طويلة

وتتوقف فترة حياة الأسنان المزروعة هذه على زمن بقائها خارج الفم

كذلك فقد يقوم الطبيب بالقلع المتعمد لأحد الأسنان للقيام بمعالجتها ، فتحها أو تعقيمها ثم حشوها ، كي يعيدها لموقعها في حالة عدم تمكنه من القيام بكل هذه المراحل داخل فم المريض لأسباب تشريحية أو غيرها

والنجاح الأكبر يظل من نصيب « الزرع المغلق » أو الزرع داخل السن الذي يهدف عادة لتدعيم تماسكها وثباتها □

العربي
عيونك
على العالم

من يتذكر دولة اليهود السوفييت ؟

استطلاع : سليمان الشيخ
تصوير : طالب الحسيني

بيروبيجان جمع لاسمي نهرين في منطقة الشرق الأقصى السوفييتي (بيراوبيجان) ، وهو في نفس الوقت اسم لمقاطعة يهودية ، ذات حكم ذاتي أيضا ! نعم مقاطعة يهودية . . هكذا هو اسمها رسميا .

فما هي ظروف نشوء هذه المقاطعة ؟ وكيف وصل اليهود إليها ، مع أنها تبعد حوالي تسعة آلاف كيلومتر عن موسكو ؟ وكيف تعاون السوفييت والأمريكان نعم اليهود الأمريكان على قيامها ؟

قبل سنة ١٩٢٨م لم يكن في المنطقة مدينة أو مقاطعة اسمها « بيروبيجان » ، بل كان يوجد مكان المدينة التي عرفت بهذا الاسم محطة صغيرة للقطارات المتجهة إلى الشرق الأقصى السوفيتي (المقصود بذلك المنطقة التي تقع شرق سيبيريا وصولا إلى الحدود الصينية واليابانية والمحيط الهادىء)

كان اسمها من قبل « توخونكايا » ، وقد اختلف الرواة حول معنى الاسم ، بعضهم فضل الركون إلى معنى الكلمة اللفظي ، فالكلمة معناها بالروسية المكان الهادىء ، واعتقدوا أن معنى اسم المحطة جاء من الهدوء ، في حين أن آخرين تساءلوا أي هدوء هذا ؟

كانت المنطقة وما زالت منطقة أعاصير وغابات ومستنقعات وبعوض ونمور وحيوانات أخرى مفترسة فمن أين لها بالهدوء ؟

الشاعر المعروف آرون فيرجيليس الذي أمضى فترة صباه في بيروبيجان من سنة ١٩٣٠م إلى سنة ١٩٤١ ، وهو يشغل الآن رئيس تحرير مجلة « الوطن السوفيتي » التي تصدر شهريا في موسكو باللغة اليديشية ـ لغة يهودية تمتزج فيها الألمانية بالعبرية القديمة وبلغات محلية أوروبية أخرى ـ قال لنا عندما التقيناه في موسكو · عندما وصلت إلى المنطقة سنة ١٩٣٠ مع والديّ وجدنا بيتا محفورا ، كأنه كهف ، يسكنه صائد حيوانات مفترسة اسمه تيخون ، وباعتقادي أن اسم المحطة « تيخونكايا » قد جاء من اسم الرجل وليس من معنى الهدوء

ليكن ما يكون في أصل الاسم ، فالمهم أن محطة تيخونكايا التي تحولت إلى قرية ، أصبحت بعد سنة ١٩٣٠ تعرف باسم بيروبيجان ، بل وتحولت إلى عاصمة مقاطعة ، حسب الاعلان الصادر عن مجلس السوفييت الأعلى في ٧/ ٥/ ١٩٣٤م ، بعد أن كانت دائرة قومية ، اعتبارا من ٢٨ مارس سنة ١٩٢٨ حسب المرسوم الصادر عن اللجنة المركزية السوفيتية

مقاطعة بيروبيجان الآن تعتبر جزءا من إقليم « خباروفسك » الذي يمثل ٤/١ مساحة الشرق الأقصى السوفيتي

مساحة هذه المقاطعة ٣٦ ألف كيلو متر مربع ، كما قال لنا السيد ليونيد شكولينك ، رئيس تحرير صحيفة نجمة بيروبيجان التي تصدر يوميا باليديشية ، ويقطنها حوالي ٢١٥ ألف نسمة منهم حوالي (١٧) ألف نسمة من اليهود

يقطن حوالى ١٤ ألف نسمة منهم في العاصمة بيروبيجان وقد ذكر لنا السيد ناعوم سارا شيفسكي رئيس بلدية مدينة بيروبيجان أن عدد سكان العاصمة قد وصل إلى ٨٣ ألف نسمة

يتضح من الأرقام السابقة أن مساحة المقاطعة تساوي مساحة فلسطين ولبنان ، وأن عدد سكانها قليل ، وعدد اليهود بينهم لايمثل أغلبية

وأعترف بأن عدد اليهود في المقاطعة التي سميت باسمهم كان مفاجأة لي ، وسأقوم بتوضيح ذلك في فقرات لاحقة

المقاطعة والدائرة

جاء في المادة ٨٦ من الفصل الحادي عشر من دستور اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية ـ القانون الأساسي ـ مايلي

« تدخل المقاطعة ذات الحكم الذاتي ضمن الجمهورية المتحدة أو الاقليم (بيروبيجان مقاطعة

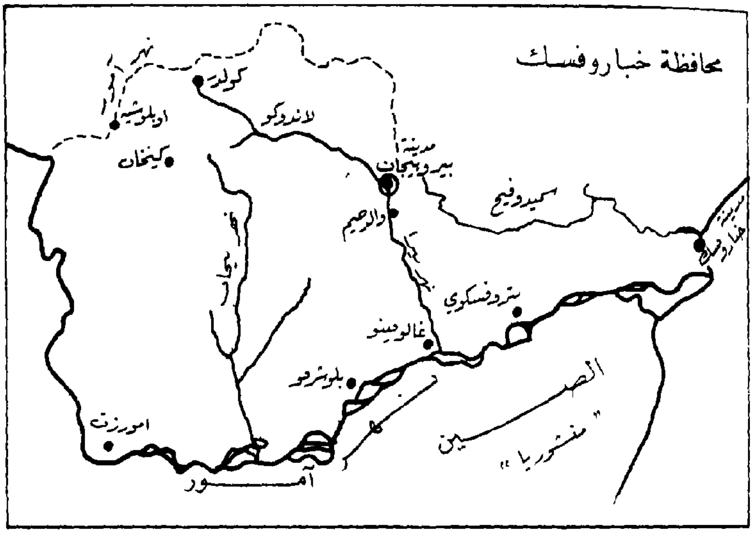

● حريطة بيروبيحان لاحط حدودها الدولية المهمة

صمن إقليم حباروفسك) يتخذ "السوفييت" الأعلى في الحمهورية المتحدة قانون دات الحكم الذاتي باقتراح من "سوفييت" نواب الشعب في المقاطعة دات الحكم الذاتي ، وحاء في المادة ٨٨ « تدحل الدائرة دات الحكم الذاتي صمن الاقليم أو المقاطعة يقر «السوفييت» الأعلى في الحمهورية المتحدة قانون الدوائر ذات الحكم الذاتي »

وقد حاء في كتاب « بيروبيجان التحربة السوفيتية لانشاء وطن قومي يهودي» لنجدة فتحي صفوة ما يلي حول المقاطعة والدائرة

« المقاطعة دات الحكم الذاتي ، هي عبارة عن وحدة إدارية اعتيادية ، ولكنها تتمتع بشيء من الكيان الذاتي ، والمفروض أنها تمثل كيانا إقليميا مستقلا ، لمنطقة معينة ، تحتوي على سكان من قومية واحدة ، لايكفي عددهم لتأليف جمهورية خاصة »

أما الدائرة القومية . فهي من الناحية العملية تؤلف جزءا من التقسيمات الادارية الاعتيادية ، ولا تكاد تتمتع بأي حكم ذاتي ، وقد أسست الدوائر القومية في المناطق النائية »

لماذا بيروبيجان ؟

مصى على تأسيس المقاطعة حوالي ٦٠ سنة فما هي الدوافع التي حتمت اتخاذ هذه الخطوة التي تتعارض مع الدستور السوفييتي ، ولا تتوافق مع الطروحات النظرية الماركسية حول التكوينات والكيانات القومية ؟!

لاشك أن هناك أسبابا تفوق في إلحاحها العملي كل محاذير تحاور الدستور ، وحرق الطروحات النظرية فما هي الأسباب ، والمراحل ؟

في حوار غير مباشر قال لنا الحنرال ديميد دراغونسكي ، رئيس اللجنة العليا لمكافحة الصهيونية ، الحائز على لقب بطل الاتحادالسوفييتي ما يلي بعد ثورة اكتوبر ، سنة ١٩١٧ نالت جميع الأمم في الاتحاد السوفييتي المساواة ونفس الحقوق ، وأصبح يحق لليهود بأن يعيشوا في المكان الدي يختارونه ، عكس ما كان زمن القيصرية التي كانت قوانينها تحدد إقامة اليهود في مناطق معينة ، عليهم ألا يغادروها ، وكان يمنع عليهم العمل في المصانع والحقول وهكذا توزع اليهود في أماكن عديدة ،

● مؤسسات ومصانع في بيروبيجان ـ أعلى ـ محطة قطارات «توحكايا» التي تحولت الى بيروبيجان ـ أسفل

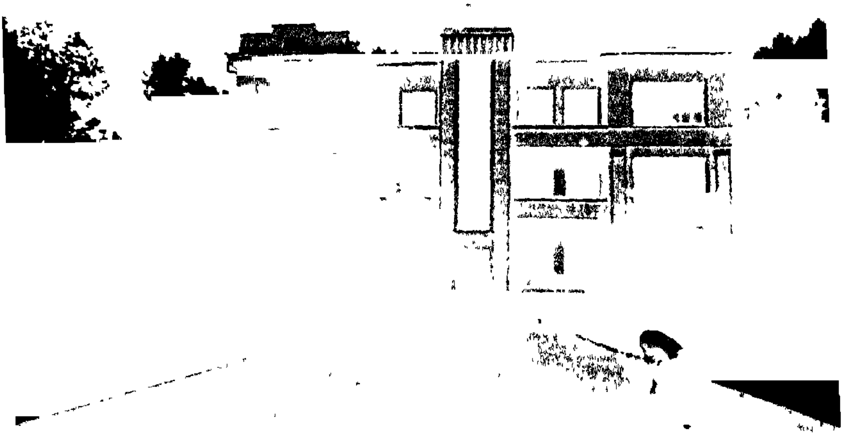

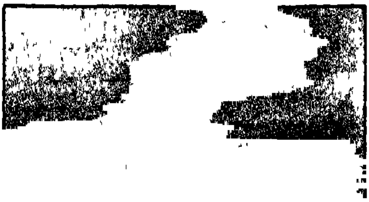

● دار البلدية مازالت بين أشجار غابة - أعلى - نصب الشهداء في ساحة المجد - يمين - داخل مكتبة « السلام عليكم » - يسار -

موا مع الآخرين بعد قيام الثورة لكن قسما يهود فضلوا العيش في تجمع خاص بهم ، حابت لهم الحكومة السوفييتية . وتم إنشاء ة بيروبيجان

ن ليهود أقلية بينها ؟

اجاب الجنرال أي سوفيتي حر في اختيار ن الذي يود أن يعيش فيه

لكن الأدبيات السوفيتية تفيد بأن « بيروبيجان » لحل الاشتراكي مقابل الحل الصهيوني ؟

جاب الجنرال لكننا لانستطيع إجبار اليهود أو ليهود على الانتقال من هذا المكان إلى غيره

ل التاريخ

ماذا يقول التاريخ في هذا المجال ؟

في كتاب «الماركسية والمسألة الوطنية » لستالين «أن هي جامعة أناس ثابتة ، تألفت تاريخيا ، ات على أساس اللغة والأرض والحياة الاقتصادية صائص النفسية التي تتجلى في جامعة الثقافة : كذا ينسف ستالين الادعاءات الخاصة بوجود يهودية

ما لينين فإنه كتب في صحيفة « الايسكرا » سنة ١٩ ما يلي

الفكرة القومية اليهودية رجعية كليا ، لا عندما و لها دعاتها الصرحاء الصهاينة ، لكنها كذلك ما تنطلق من شفاه هؤلاء الذين يحاولون أن نوها بأفكار الديمقراطية الاجتماعية

إن فكرة القومية اليهودية ضد مصالح البروليتاريا ودية ، لأنها تروج في صفوفها مباشرة أو بشكل مباشر روحا معادية للتمثل ، إنها روح الغيتو »

فلماذا طرح مشروع بيروبيجان الذي يناقض ثل الذي نادى به لينين ؟!

نوات الصعبة

إضافة الى تردي المستوى الاقتصادي لبعض اليهود ن كانوا يعيشون في مناطق التوطين الواقعة على ود بين بولندا وروسيا القيصرية ، أو في المناطق خلية الروسية ، فإن اضطرابات بل ومذابح كبت بحق اليهود ، كرد فعل من قبل بعض كرانيين ، - على سبيل المثال - من جراء الاستغلال ودي لهم ، وتناقض مصالحهم ، في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين كما الغزو الألماني للأراضي الروسية ظلم العديد المجاور للكثير من شعوب روسيا القيصرية ، ومن بينهم اليهود مما دفع الكثير من اليهود للهجرة المناطق الداخلية ، وقد وصل بعضهم إلى أواسط آسيا أو منطقة سيبيريا ، وجبال القفقاس ومنطقة القرم ، أو حتى الهجرة إلى خارج روسيا خاصة إلى الولايات المتحدة الاميركية التي وصلها منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية الحرب العالمية الأولى وما تلاها ، حوالي مليون يهودي روسي

وبقيام الثورة على القيصرية سنة ١٩١٧ فقد ورثت مشكلة اليهود ، خاصة أن الكثيرين منهم قد أصبحوا دون أعمال بعد أن سيطرت الدولة على القطاع التجاري والمصرفي اللذين كانا محل عمل لكثير من اليهود ، إضافة الى أعمال هامشية أخرى

نتيجة لهذه الأسباب وغيرها ، فإن الدولة السوفيتية الجديدة اتبعت خطة ، تقوم على محاولة تحويل الكثير من اليهود للعمل في المصانع والمزارع ، وتشجيع اندماجهم الطوعي ، إذ أن ستالين قد أعلن في المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي سنة ١٩٢٠ «أن الحزب يؤمن برسوخ الأمم واللغات القومية ، ونبذ سياسة التمثل والدمج القومي نبذا تاما ، بوصفها سياسة معادية للشعب ، ومعادية للثورة » والقصد هنا الدّمج والتمثّل القسريين

ومع ذلك فإن مشكلة اليهود بقيت قائمة ، خاصة أن النظام الجديد قد واجه محاولات الأنظمة الأخرى لتقويضه بالقوة ، كما أن أعداء الثورة من الروس ممن سموا بالروس البيض ألفوا كتائب عسكرية ، وبدءوا حربهم ضد الثورة أيضا ، نتج عن ذلك تحطيم الكثير من البنى الاقتصادية والصناعية ، والكثير من الموارد والثروات ، وأهمها البشر ، مما أورث مجاعات وآلاما كثيرة ، وأورث إرباكا في مجمل خطط الدولة وقد تلقت الدولة مساعدات خارجية ، منها مساعدات من بعض المنظمات الأميركية لمواجهة الأزمة وإجراءات اقتصادية جديدة تم اتخاذها ، كما تم اتخاذ إجراءات على صعيد التخفيف من الكثافة السكانية في المناطق المركزية ، تمثلت في استصلاح أراضي الأرياف والمناطق النائية ، وتهجير بعض سكان المدن إليها

● بيروبيجان [illegible] دولة اليهود لسوفييت

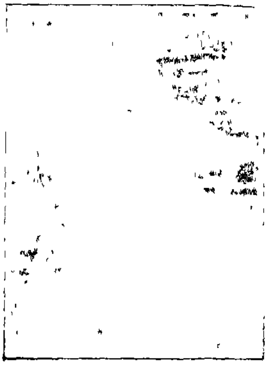
● رئيس البلدية ساعوم ساراشيفسكي

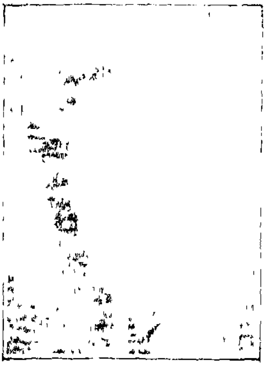
● ليونيد شكولنيك رئيس تحرير صحيفة نجمة بيروبيجان

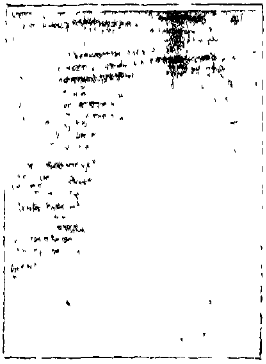
● ريفا فيشكينا الفلاحة التي لم تتقاعد

وضمن هذه الموجة الجديدة من التنظيمات ، وجدت منظمات سوفييتية لتوطين اليهود ، تعاونت مع منظمات أمريكية لتحقيق هذا الغرض ، خاصة في جنوب أوكرانيا ، وفي شبه جزيرة القرم ، وغيرهما، إلا أن تجربة توطين اليهود في هذه المناطق فشلت بفعل مقاومة بعض السكان المحليين ، نظرا لاستغلال الحركة الصهيونية والحركة الدينية اليهودية ، ونشاطهما بين المستوطنين اليهود في تلك المناطق ، وبالتالي تخوف السلطات السوفييتية من وجود كثافة يهودية في منطقة استراتيجية ، خاصة أن نذر الحرب العالمية الثانية قد أخذت تلوح

في تلك الفترة تم التفكير في بيروبيجان ، بل وأرسلت بعثة استقصائية إليها سنة ١٩٢٧ ، فما الذي حتم اتخاذ هذه الخطوة ؟

أسباب وعوامل

لقد بقي قطاع واسع من بين اليهود دون استيعاب ضمن إطار المؤسسات العمالية والفلاحية السوفيتية وبحمل النظام الاقتصادي الجديد ، وكان تأهيلهم يحتاج إلى وقت وجهود ، ولذلك فإن السلطة سعت إلى تشجيع بعضهم للهجرة إلى بيروبيجان

يقول نجدة فتحي صفوة في كتابه « بيروبيجان »

« وجدت السلطات السوفييتية بأن المشروع سيعيد حياة اليهود في الاتحاد السوفيتي إلى الوضع الطبيعي ، ويجعل اليهود « أمة » أو قومية ما حدود إقليمية . فإذا منح اليهود هذا الاقليم - بيروبيجان - واستطاعوا أن ينشئوا عليه كيانا خاصا بهم ، يكون مركزا قوميا وثقافيا لهم ، فإنهم يصبحون « أمة » بصورة « أوتوماتيكية »

ويضيف المؤلف

وكان هذا الحل - في رأي السلطات السوفيتية - سيؤدي أيضا إلى تحويل اليهود من طبقة إلى أخرى من طبقة بورجوازية ، تعيش على الأعمال غير الانتاجية ، إلى طبقة عاملة منتجة

كما هدف المشروع إلى كسب عطف اليهود في جميع أنحاء العالم ، وإحباط دعايات العناصر اليهودية المعادية للسوفييت في الخارج ، والحصول على التأييد المعنوي والمادي لليهود في الخارج ، وفي الولايات المتحدة الأمريكية بصورة خاصة . وهناك اعتبارات استراتيجية حتمت اتخاذ هذه الخطوة ، فقد كانت الحكومة السوفيتية غير مرتاحة لوجود منطقة خالية من السكان تقريبا ، مجاورة لمنشوريا - الصينية - المزدحمة بالسكان

- ويضيف المؤلف . ومع تدهور الوضع الدولي ، خاصة بعد الغزو الياباني لمنشوريا سنة ١٩٣١ ، أخذت الاعتبارات الاستراتيجية لمناطق الشرق الأقصى السوفيتي تظهر بصورة مضاعفة »

إذن فإن إقامة كيان يهودي في منطقة الشرق الأقصى السوفييتي كان يستجيب إلى هدفين عمليين

● الفرقة التتارية بأغانيها وأزيائها ورقصاتها - أعلى - ساحة مسرح بيروبيجان - الى اليمين - تدريبات على مسرحية النجوم المتحولة - يسار

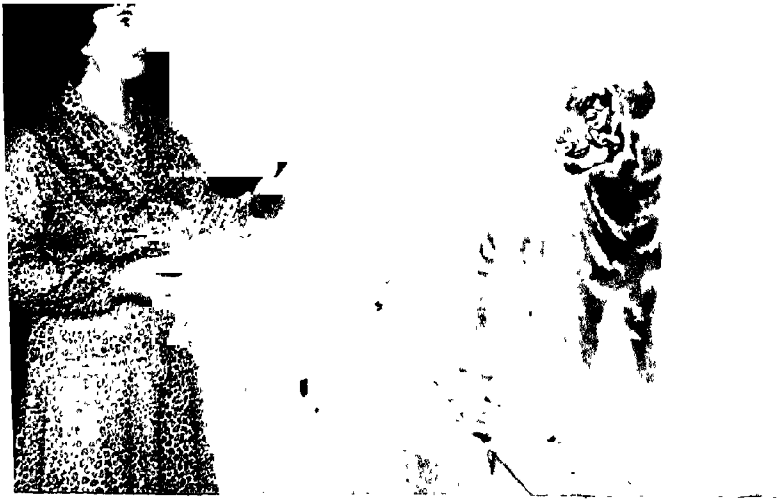

● متحف بيرويجان حيث كانت الصور ومازالت على مشارف المدن والقرى - أعلى - فرقة الموسيقا داخل المسرح اليهودي - أسفل

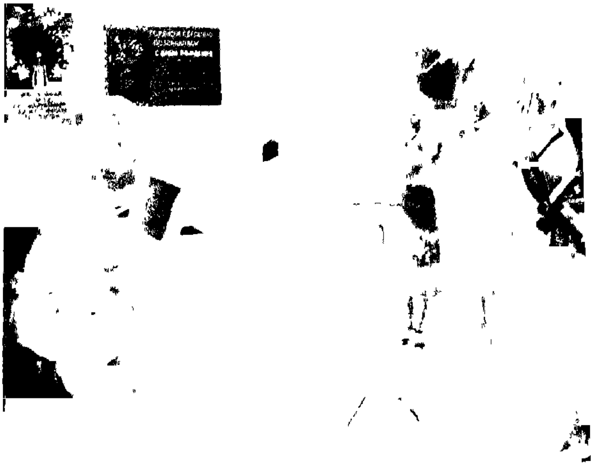

أساسيين أولهما · محاولة إيجاد حل للمشكلة اليهودية ، ليس ليهود الاتحاد السوفييتي فقط ، بل ليهود العالم أيضا ، إذ أن باب الهجرة إلى بيروبيجان فتح أمام يهود العالم ، وفعلا فإن عائلات عديدة من الأرجنتين وانكلترا والمانيا وغيرها وصلت إلى بيروبيجان ، وبعضها مازال إلى الآن (الأبناء والأحفاد) كما ذكر لنا أكثر من مصدر في بيروبيجان أثناء زيارتنا لها

ثانيهما إعمار منطقة حدود خالية من السكان في مواجهة بلدين كبيرين ، يعانيان من تخمة في عدد السكان (الصين واليابان)

وعلى الرغم من اهتمام السلطة السوفييتية العليا بالمشروع ، وتكثيف الدعايات الاعلامية داخل الاتحادالسوفييتي وخارجه ، بغرض تشجيع الهجرة إلى المقاطعة ، إلا أن النتائج لم تكن متوافقة مع حجم الآمال والطموحات ، خاصة بالنسبة لقيام كيان « قومي » يهودي اشتراكي ، يمثل نقيضا للكيان « القومي الصهيوني »

الواقع له صور

في الرابع من شهر أغسطس ـ آب ـ من هذا العام وصلنا مدينة بيروبيجان ، ظهر ذلك اليوم ، بعد أن استغرقت الرحلة من مدينة خباروفسك بالقطار السريع حوالى ساعتين ونصف ، كان يحف بالطريق على الجانبين بين المدينتين أحراش وغابات كثيفة ، وأنهار عديدة ، ومزارع وأراضٍ خضراء مليئة بالمزروعات والأعشاب والحشائش الشمس في ذلك النهار كانت تحتجب وتظهر بين فينة وأخرى ، وغيوم سوداء وأخرى بيضاء تغطي وجه السماء ، ونثيث مطر يتساقط بين حين وآخر ها هي محطة القطارات في المدينة ، إنها نفس المحطة التي كان اسمها « توخنكايا » ذات يوم

سكرتيرة رئيس البلدية ليلى ، ورئيس تحرير صحيفة نجمة بيروبيجان التي تصدر باليديشية ، ليونيد شكولنيك ، كانا بانتظارنا

برنامجنا كان محتشدا ومكثفا حاولنا بشتى الطرق تمديد زيارتنا لبيروبيجان أثناء وجودنا في خباروفسك ، ومناقشتنا للبرنامج ، إلا أن كل جهودنا باءت بالفشل ، فلقد تم تحديد الزيارة اعتبارا من بعد ظهر يوم ٨/٤ حتى مساء يوم ١٩٨٧/٨/٥ ، ولم تجد كل محاولاتنا مع زميلنا مراسل نوفوستي في خباروفسك لتمديد الزيارة أو تغيير المواعيد

اذن علينا استغلال كل دقيقة من وقتنا

وضعنا حقائبنا في الفندق ، وانطلقنا بالسيارة ، نتابع ، ونسأل ، ونستقصي ، ونستفسر آلة التصوير تلتقط صورا ، والذاكرة تسجل صورا ، والعين وكل الحواس أيضا والقلم كان يعجز أحيانا عن متابعة تسجيل الصور ، ليتم تحويلها إلى مخزون الذاكرة وشاشتها

هنا الساحة المركزية ، وتمثال القائد لينين

هنا ساحة الشهداء ، وأسماؤهم محفورة على النصب

تم تسجيل أسماء (١٧) ألفاً ، منهم حوالي ٧ آلاف يهودي ، قضوا في الحرب العالمية الثانية ضد الغزو النازي ، كما ذكر زميلنا شكولنيك هذا شارع الكاتب اليهودي السلام عليكم ، وهذه هي المكتبة التي أطلق اسمه عليها ، وذاك شارع لينين ، وهذا هو نهر بيرا أسماء الكثير من الأماكن مكتوبة بالروسية واليديشية سألت بيرا أم بيرو ؟

فأجاب زميلنا القضية هي في تصريف الكلمات ، والأفعال في اللغة الروسية

وأضاف إن بيرا باليديشية تلفظ بيري

هكذا هو الأمر بين لغة وأخرى

تلة محتشدة بالأشجار ، تشرف على النهر والمدينة ، يعتليها هوائي ، قال زميلنا إنه الهوائي الخاص بتلفاز بيروبيجان والتلة ترتفع حوالي ٣٥٠ مترا عن سطح الأرض

التقطنا الأنفاس قليلا ثم انهالت المعلومات من زميلنا شكولنيك تصدر جريدتان في بيروبيجان الأولى تصدر باللغة الروسية ، واسمها نجمة بيروبيجان ، وهي يومية ، يطبع منها ٣٠ ألف نسخة ، وعدد هيئة التحرير فيها يصل إلى ٤٥ محررا

أما الثانية فهي تحمل نفس الاسم ، لكنها تصدر باليديشية ، ويطبع منها ١٥ ألف نسخة يوميا ، وهيئة تحريرها منفصلة عن الأولى يصل عددها إلى ٥٠ فردا .

والجريدة التي تصدر بالروسية لا توزع إلا في بيروبيجان ، في حين أن التي تصدر باليديشية توزع في مناطق أخرى غير منطقتنا واشتراكاتنا تتوزع على ٢٧٤ مدينة في الاتحاد السوفييتي، و ١٦ بلدا في العالم ، منها الولايات المتحدة الاميركية ، والمانيا ، وانكلترا ، وتشيكوسلوفاكيا ، وفرنسا ، والارجنتين ، و « اسرائيل » ، وغيرها

معدل درجة الحرارة في الصيف يصل إلى حوالي ٢٥ درجة ، ومعدلها في الشتاء حوالي ٢٥ تحت الصفر ، مع هطول ثلوج

المقاطعة تقع بين نهري بيرا وبيجان وهما رافدان لنهر امور الذي يمثل الحدود الدولية مع الصين ، ويحيط بالمقاطعة مسافة مقدارها حوالي ٥٥٠ كيلومترا ، من الجنوب ، والجنوب الغربي

لا نستعمل العبرية ـ المقصود العبرية القديمة ـ إلا في الصلاة ، والكنيس في المدينة لا يؤمه إلا أقلية نادرة ، واللغة المتداولة هي لغة يديشية

فاليديشية مستعملة في المدارس ، ويختار الطالب اللغة الروسية أو اليديشية لغة أساسية لتلقي التعليم بعض الطلبة اليهود اختاروا الروسية لغة أساسية ، وبعض الطلبة من قوميات أخرى تسكن المقاطعة يختارون اليديشية لغة أساسية ، لتكون لغة تعليمهم .

صغيرة لكن ذات حيلة !

نعم الروس هم الأكثرية في المقاطعة ، وعددهم يتجاوز ٦٥٪ من السكان ، ويليهم اليهود ، ثم الأوكرانيون والبيلوروسيون والمولدافيون وغيرهم

يبلغ طول نهر بيرا ٢٣٠ كيلومترا ، وهو ينبع من جبال هينغان ، والمقاطعة محاطة بجبال وتلال عديدة ، وفيها حوالي ٢٠٠ نهر ، كبير وصغير ، وحوالي $\frac{1}{2}$ مساحتها يتكون من غابات ، ويسود فيها المناخ القاري ، المتناقض ، فحتى غاباتها تجمع بين الدب القطبي ونمر المناطق الدافئة ، وأشجارها مزيج من أشجار المناطق الباردة والدافئة ، وكذلك طيورها وحيواناتها

سألت : هل ما زال البعوض يهاجم السكان ، ويزاحمهم في حياتهم ؟

أجاب زميلنا شكولنيك . أعتقد أنه موجود في مناطق المستنقعات

عندما زرنا نادي الشطرنج في المدينة فإن مديره ـ فايتسلاف تشيسنكوف ـ همس في أذني وهو يذكر المعلومات عن النادي « مدينة بيروبيجان مدينة صغيرة ، لكنها ذات حيلة ، لأنها تقف على مستنقع ، لكنها لا تغرق فيه »

إذن لقصة البعوض أصول معروفة ، ولذلك فإن المدينة التي لم يتوائم مع أجوائها بعض المهاجرين قد وصفوها بأنها مليئة بالبعوض ، وها هو المثل السائد يرد على ذلك ويشهر سلاحه المضاد

ومن ضمن ما همس به مدير النادي قوله إنه جاء إلى المدينة منذ خمسينيات هذا القرن ، حيث كان يعيش في مدينة لينينغراد

وأنه لم يهاجر أحد من يهود بيروبيجان إلى الولايات المتحدة الأمريكية أو « اسرائيل » أو غيرها من البلدان منذ ٥٠ سنة ، وأن حل هجرة بعض سكان المقاطعة كان إلى مناطق داخل الاتحادالسوفييتي نفسه

ـ والنادي ؟

ـ آه النادي هو أحد أشهر نوادي الشطرنج في العالم وقد تجد من بين كل اثنين من سكان المدينة لاعب شطرنج ، إنه يطور القدرات العقلية للأفراد

يستوعب النادي ٧٠ طاولة في قسم الراشدين ، و ٣٠ طاولة في قسم الأطفال والفتيان .

وقد زارنا ٢٦ ألف زائر في العام الماضي من كبار العمر وصغاره وبعض مدرسي الشطرنج يذهبون إلى قرى المقاطعة لتعليم الناس أصول اللعبة وعادة ما يتجمع الرواد بعد انتهاء ساعات العمل

ومن نادي الشطرنج انتقلنا إلى متحف المدينة : ايرينا بانكرادوفا المفتشة العلمية في المتحف أفاضت بالشرح عن وضع اليهود قبل الثورة ، وأنه كان غير مسموح لهم بالاشتغال بالزراعة والصناعة ، ولما قامت الثورة فإن الكثير منهم اشتغلوا بالصناعة والزراعة إذ أن أول معمل نسيج أنشيء في المقاطعة كان سنة ١٩٣٢ م وتم تأسيس عدة كولخوزات ـ مزارع تعاونية ـ منذ الأيام الأولى للاستيطان في المقاطعة

وقالت أيضا كانت الحياة صعبة في الأيام

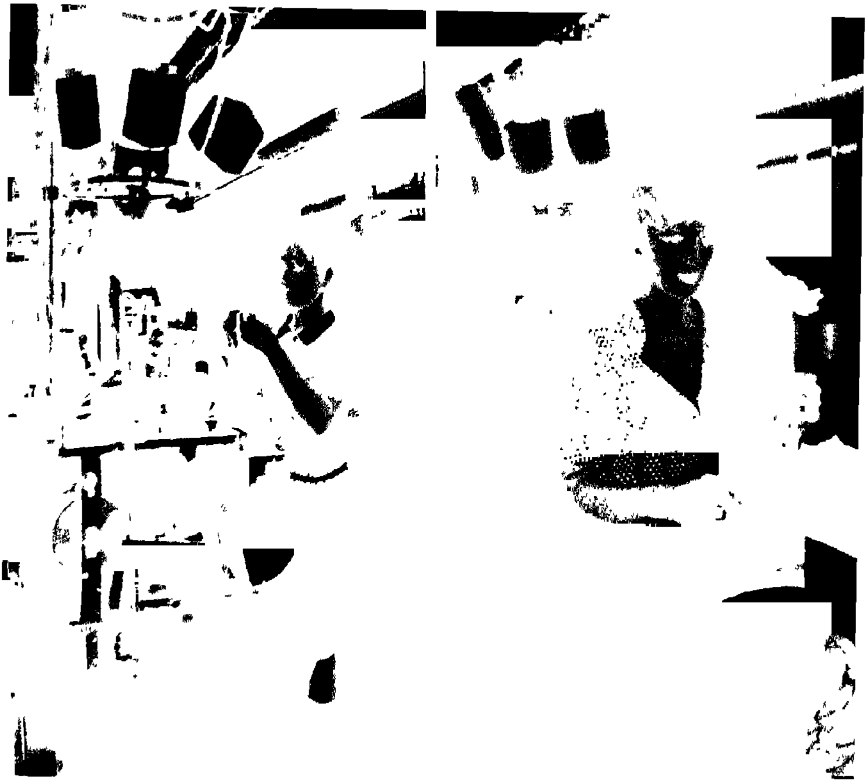

● ثلاث مراحل من إنتاج الجوارب

● محطة الحافلات في قرية ـ ولدحيم ـ أعلى ـ نضج الخيار ، فحان وقت القطاف في قرية ولدحيم ـ الى اليمين ـ المحصول معروض للبيع في سوق الحصار . بمدينة بيروبيجان ـ يسار

الأولى ، فالحيوانات تهاجم الناس ، والرياح [illegible] البيوت ، والطقس متقلب ، لكن الناس تعودوا على الكثير من المصاعب ، [illegible] الطاقة

هكذا كان الرواد الأول ، وهذه بيوتهم الأولى ، هكذا كانت المنطقة البدائية ، وهذا هو الملبس الأول ، وتلك هي الزراعة الأولى ، [illegible] في الملابس والطبيعة

لقد أورثونا منطقة رائعة ، والفضل يعود إلى تضحياتهم

في دار البلدية

وانتقلنا من متحف المدينة إلى دار البلدية ، والتقينا فيها رئيس البلدية ناعوم سبارا شيمسكي ، وقد اتضح أنه صديق رميلا شكوليك ، بل كان وإياه في مدرسة واحدة ، وهو من مواليد سنة ١٩٤٥ ، تكلم ناعوم عن المقاطعة ثم المدينة التي تصل مساحتها إلى ١٥ ألف هكتار ، فذكر أنه يوجد حوالي ٥٠ مصنعا في المقاطعة ، أكبرها مصنع الحاصدات الذي يعمل فيه ثلاثة آلاف عامل وعاملة ، وذكر الكثير من الصناعات التي تنتجها المقاطعة ، ثم ذكر هموم المدينة ومشروعاتها ، ومنها مشكلة السكن ، ومحاولة التغلب على الطلبات الكثيرة في هذا المجال ، ثم ذكر أنه يوجد حوالي ١٢ ألف طالب في المرحلة الثانوية ، وأنه سيتم بناء أول معهد للتعليم العالي للمعلمين والمعلمات ، ليتخرج منه ١٥٠ معلما سنويا

ثم تكلم عن اللغة اليديشية والروسية ، وحرية الطالب في اختيار أيهما ليتلقى العلم بها ، ثم عرج على الحياة الاجتماعية والزواج المختلط بين أفراد من شعوب وقوميات مختلفة في المقاطعة ، وأكد أن حوالي ٨٠٪ من الزيجات زيجات مختلطة ، ثم أكد على أن سكان الريف في المقاطعة أكثر من سكان المدن ، لأنه لا يوجد في المقاطعة إلا مدينتان ، هما بيروبيجان وأوبلوشيه ، والأخيرة عدد سكانها لا يتجاوز الثلاثين ألفا

وذكر ما يوجد في المدينة من مسارح ، فذكر أنه يوجد بها مسرح روسي ، وآخر يهودي ، وفرق للهواة ، ونوادٍ للثقافة ، إلخ

وأكد أن المسرح اليهودي لا يكرس أعماله لكتاب يكتبون باليديشية فقط ، بل يقدم أعمالاً باللغة الروسية أيضاً ، ولكتاب آخرين

وذكر أن عدد اليهود يقل تدريجياً بين السكان ، واعتبر ذلك من سمات التطور الطبيعي ، حيث الزواج والاختلاط والتمثل

وذكر رميلا شكوليك أن اليهود [illegible] « قومية » حسب مشروع مقاطعة بيروبيجان

علقت : إن الأمر كان هكذا عند إنشاء المشروع ، لكن أين هم اليهود الآن ؟ [illegible] جاءت الأقلية منهم إلى المقاطعة [illegible] اسمهم ، لكنهم ليسوا أكثرية فيها ، وإذا ما عدنا إلى الطروحات الماركسية ، فإن شروط تكوين أمة في بيروبيجان لم يصبح حقيقة واقعة بعد. علق رميلا شكوليك : ما أعرفه أن اليهود أمة وقومية منذ زمن طويل

علقت : أين هي الأرض والاقتصاد والمصالح المشتركة والثقافة واللغة عند اليهود حسب الأدبيات الماركسية

علق رميلا : بل توجد حياة ثقافية مشتركة ومعروفة

قلت : بعض المظاهر الثقافية مشتركة هذا صحيح ، لكنها من نوع المظاهر الثقافية المشتركة بين أتباع أي ديانة من ديانات العالم ، كالمسلمين والمسيحيين وغيرهم

انقطع النقاش ، وتابع السيد ناعوم حديثه عن مشاكل الماء والكهرباء ، وزيادة عدد المدارس ، وعدم تأثير المصانع على نقاء الطبيعة ، إلى درجة أنهم أحياناً يشربون الماء من نهر « بيرا » دون تصفية وتنقية ، إنه ما يزال صافيا رائقاً صحيا ، هكذا أكد لنا

تتار في بيروبيجان

من دار البلدية انتقلنا إلى دار الموسيقا ، حيث كانت إحدى الفرق من جمهورية تتاريا ذات الحكم الذاتي تقدم عرضا في تلك الليلة ، لموسيقاها ورقصاتها الشعبية بأزيائها المميزة ، لتتوجه بعد ذلك إلى اليابان ، وقد ذكر السيد ميخائيل كيزر مدير دار الموسيقا ، بأن الكثير من الفرق المسرحية وفرق الباليه وفرق الموسيقا وغيرها في معظم جمهوريات الاتحاد السوفييتي تتوزع في الصيف على مناطق ومدن

○ بيروبيجان من يتذكر دولة اليهود السوفيت !

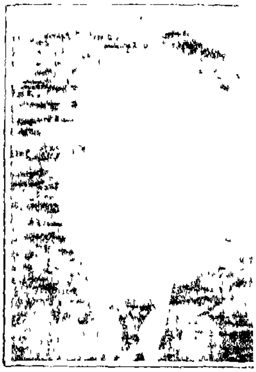
○ رئيس سوفييت المقاطعة مارك
كيوفمان

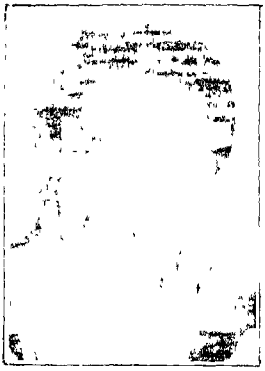
○ المخرج فلاديمير
سيملاسكي

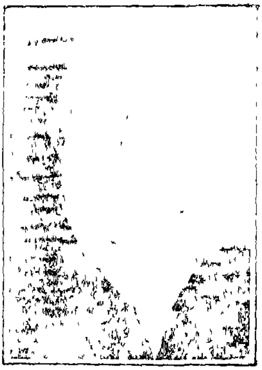
○ المدرس ايزاك
بريشكولنك

حرى ، حسب الدعوات والترتيبات التي تكون قد نجدتها من قبل ، لذلك فإن فرقنا المحلية غير موجودة لأن في المدينة ، لقد توجهت إلى مدن أخرى

وذكر أنه تم إنجاز دار الموسيقا سنة ١٩٨٤ في لذكرى الخمسين لانشاء المقاطعة ، وهي من خمسة دوار . تتسع قاعة العرض الرئيسية فيها لسبعمائة كرسي ، وتحتوي على ١٨٦ «استوديو» صغيراً، وأكد أنه وجد في المدينة معهد لتدريس الموسيقا ، ومدة لدراسة فيه خمس سنوات يتابع المتخرج دراسته مدها في معهد عالٍ

السلالم والبلاط المستعمل داخل المبنى من المرمر ذكرت في هذه اللحظة قصة الملكة بلقيس مع النبي سليمان ، عندما رفعت ثوبها كي لا يتلوث بالماء ، ع أنها كانت تسير على بلاط المرمر فقد كان البلاط لمع ، وحتى أجزاء من السقف كانت من المرمر للماع ، والقاعة كانت مليئة بالمشاهدين ، صفوف ن الجنود جاءوا بانتظام ، واتخذوا أماكنهم بهدوء ، الناس من شتى الأعمار كانوا يتابعون عرض الفرقة لتارية باهتمام تتكون الفرقة من ٨٠ فردا غنت شعارا عديدة ، منها أشعار لشاعر تتاريا المشهور عبدالله توكاي

وقدمت عروضا شيقة من الرقصات الشعبية لتارية ، ممزوجة بمواقف ومقاطع فكاهية

ثم انتقلنا من دار الموسيقا إلى دار المسرح ليهودي ، كان الهواة يتدربون فيه على مسرحية اسمها « النجوم المتجولة » ، وقد استندت المسرحية على مقاطع من رسائل الكاتب اليهودي المعروف « السلام عليكم » ، هكذا قال لنا مخرج المسرحية الشاب فلاديمير سيملاسكي

وأضاف إن فحوى المسرحية يتركز على إبراز الصعوبات التي يواجهها المهاجر من وطنه ، وحلم العودة الذي يراوده في كل لحظة

إنها تركز على رحيل فنان كبير هاجر إلى أميركا ، حالماً بأن يكتسب فيها المجد البراق والأموال ، لكنه يبقى دون سعادة حقيقية ، لأنه فقد جذوره مع الوطن ، ولأنه أصبح كشجرة دون جذور

يقول « السلام عليكم » في نهاية المسرحية - أنا مثل أبطال مسرحيتي ، ذهبت إلى أمريكا (توفي هناك عام ١٩١٦ وهو من مواليد سنة ١٨٥٩ م) ولم أجد فيها ما كنت أنتظره فهلا يأخذني أحد من هنا ويعيدني إلى بلادي ، ويدفنني في تراب المدينة التي أحببت « كييف » سجلت الكلمات التي قالها المخرج حول هذه المسرحية وغيرها من الأمور الفنية ، وأبقيت إعجابي بما قال في جوانح نفسي التي ربما فضحتها تعابير وجهي وعيني

لقد كان على تماس مع الواقع الذي يؤكد على ضرورة التمسك بالوطن ، وعدم الهجرة منه ، لأن جذور تربة الوطن ليست كجذور نباتات الزينة !

في نفس المبنى استمعنا إلى فرقة هواة موسيقية ، تعزف على آلات الكمان ، عزفت عدة مقطوعات

ОНОМУ
БАЯНИСТУ

● الحاصدة بعد أن تم إنجاز جميع مراحل صناعتها ـ أعلى ـ مرحلة من مراحل إنتاج الحاصدة ـ أسفل يمين أدوات الموسيقا في مكتبة من مكتبات بيروبيجان ـ يسار

وأغانٍ يهودية وروسية وغيرها ، بعضها كان يتعلق في بيروبيجان نفسها

للصناعة نصيب

إذا كانت الغابات تمثل ١/٣ مساحة بيروبيجان ، وهذا يعني شهرتها بالخشب ، وبعض الأنواع الثمينة منه ، فإنها أيضا تحتوي على ثروة معدنية غنية ، منها الفحم والحديد والزئبق والنحاس ، والصفيح وغيرها من المواد

ولذلك فإن قيام صناعة في المنطقة هو من الأمور العادية والطبيعية ، وتتوزع الصناعة على صناعات ثقيلة كالحاصدات ، وخفيفة كالصناعات الغذائية والملابس وغيرها

وتوجد مصانع لتعليب الأسماك النهرية ، مثل سمك السلمون الذي يستخرج منه الكافيار الأحمر ، ويوجد مصنع لانتاج الأسمنت ، يتجاوز إنتاجه مليون طن في السنة

وقد زرنا في اليوم التالي لوصولنا المدينة (١٩٨٧/٨/٥) مصنعا للجوارب ، وهو متخصص بإنتاج الجوارب (حوالي ٣٣ مليون زوج) لجميع الأعمار والأجناس » ، والتريكو (حوالي ١٢ مليون زوج سنويا)

هكذا قال لنا السيد ريبوفي دودكين مدير المصنع ، وأضاف بأنه قد تم تأسيس المصنع سنة ١٩٦٦ ، ويعمل فيه ٢٥٠٠ عاملة وعامل ، ويصل عدد النساء فيه إلى حوالي ألفي عاملة ، ويقوم المصنع بتوفير السكن للعاملين والعاملات ، وقد بنى ٤ روضات للأطفال ، ووفر خدمات أخرى كثيرة للعاملين ، والآلات الموجودة في المصنع مصنوعة في الاتحاد السوفيتي ، وبعضها مصنوع في تشيكوسلوفاكيا والمانيا الديموقراطية وبعض دول أوروبا الغربية

والعاملون من شتى القوميات التي تسكن المقاطعة (٢٠ قومية تقريبا) ، وهناك حوالي ١٠٠ عامل وعاملة فيتنامية سيعملون في المصنع لاكتساب الخبرة مدة أربع سنوات

القطن هو المادة الأساسية للصناعة ، وأغلبه من الاتحاد السوفييتي ، وبعضه مستورد من بلدان عديدة ، منها مصر وغيرها من الأقطار العربية

يتم استهلاك الانتاج في المقاطعة وغيرها من مناطق الاتحاد السوفييتي

تتبع المصنع مدرسة تقنية متوسطة المستوى ، لتدريب العاملين وإعادة تدريبهم ، ومعظم العاملين متخرج من معاهد فنية صناعية ، وجميع العاملين حاصلون على الشهادة الثانوية

المعدل الوسطي للأجور حوالي ٢٥٠ روبلاً شهريا

يوجد قسم فني يتابع التطورات الحاصلة في هذه الصناعة ، ويطورها ، ويستجيب لرغبات الجمهور ، ويتولى رفع مستوى العاملين بالتدريب

الحزبيون من بين العاملات والعمال يصلون إلى حوالي ١٠ ٪ ، ومثلهم في منظمات الشباب

سألت المدير هل بدأتم العمل حسب الاجراءات الاقتصادية الجديدة ، أي حسب الربح والخسارة ؟

نعم لقد بدأنا بذلك ، وهذا الأمر لا يمثل لنا أي مشكلة ، لأننا كنا وما زلنا نربح

دلسيلماش

دلسيلماش هو المصنع الشهير في بيروبيجان ، بل وفي منطقة الشرق الأقصى كلها ، إنه يصنع الآلات المختصة بالزراعة ، خاصة حاصدات الأرز والذرة وميزة الحاصدة البيروبيجانية - إن صح التعبير - هي أنها ذات جنازير يمكنها العمل في أصعب الأراضي ، بل إنها يمكن أن تعمل بالأراضي المغمورة بالماء في المناطق كثيفة الرطوبة ؟

هكذا قال لنا مدير المصنع سيمون بالاك ، بحضور ميخائيل غومون خبير الاقتصاد ، ونائبة سكرتير الحزب في المصنع آنا كوبريفا ، وسكرتيرة منظمة الشباب في المصنع فالنتينا شنابيفا

وأضاف أنشيء المصنع سنة ١٩٣٨ م ، ويعمل فيه الآن ٣٠٠٠ آلاف عامل وعاملة ، ويبلغ عدد العاملات ٧٥٠ ، ومعدل إنتاج المصنع هو ١٥ حاصدة في اليوم وخامات الصناعة كلها متوافرة في الاتحاد السوفيتي ، ومعظم مراحل الانتاج تتم في المصنع نفسه ، وقليل منها يصنع في مصانع أخرى ، والآلات المستعملة في الصناعة مزودة بحاسبات ألكترونية متطورة ، والعمال متخرجون في مدارس صناعية ، ومدربون تدريبا مناسبا ، وهناك تدريب

دوري إجباري لملاحقة التطورات في هذا المجال ، وتوجد مدرسة تقنية تابعة للمصنع

طبعا يقوم المصنع بتوفير البيوت للعاملين فيه ، ويوجد مستشفى تابع للمصنع ، ومعسكر لأبناء العاملين ، يرتادونه في عطلهم ، وروضات للأطفال ، وعيادة للتأهيل المهني ، واستراحة ، وغيرها من المرافق

نعم صعوبة العمل تحدد الراتب أحيانا ، فالعامل الذي يعمل أمام النار يتقاضى راتبا أعلى من راتب المهندس والمعدل الوسطي للرواتب هو حوالي ٣٠٠ روبل

إضافة إلى تصدير الحاصدات والآلات الأخرى إلى مناطق معينة في الاتحاد السوفييتي كسيبيريا وكازاخستان وجمهوريات البلطيق فإن الانتاج يصدر أيضا إلى بعض دول أوروبا الاشتراكية ، كبلغاريا وهنغاريا ، وتصدر إلى بلدان أخرى ككوبا والمكسيك ، والعراق وفيتنام ولاوس وموزامبيق وكوستاريكا وغيرها من البلدان

ولا توجد تفرقة طبعا بين معاشات الرجال والنساء

- نعم نوزع أرباحا على العاملين في نهاية كل عام ، ونحقق أرباحا دائما ، وسنعتمد على خطة الربح والخسارة الاقتصادية الجديدة اعتبارا من بداية العام الجديد

نسبة الحزبيين تصل إلى ١٣/ بين العاملين والعاملات

كما أن أعضاء منظمة الشباب في المصنع تصل إلى نفس النسبة ١٣/

وسألت ما هو تأثير قرارات الحد من الادمان على الخمرة على العاملين في المصنع ؟

- لقد قلت نسبة المدمنين على الخمرة ، ومن يأتي مخمورا إلى العمل فإنه يشهر به ، ويتم الاعلان عن ذلك على بوابة المصنع . وكما ترى فإنه تم تسجيل أسماء ثلاثة أشخاص فقط في الشهر الماضي

بيت في غابة

اسم القرية ولدجيم ، ومعناه بيت في غابة ، وهي تبعد حوالي ١٢ كيلومترا عن مدينة بيروبيجان ، والقرية فعلا محاطة بالغابات ، بل إن الغابة متداخلة في جميع أنحائها والمدن والقرى السوفييتية التي زرتها في السنوات الأربع الماضية تتداخل مع الغابة . لذلك فإن اسم « مدن في غابات » هو الاسم المناسب لتلك المدن

وفي حدود قرية ولدجيم يوجد كولخوز « وصية ايليتش » ، أي وصية لينين ، وهي عبارة عن مزرعة تعاونية كبيرة ، تم تأسيسها سنة ١٩٢٩

قال لنا السيد بوريس راك رئيس السوفييت المحلي في « التعاونية » ، وهو ابن أحد الرواد الذين جاءوا مع بداية تكوين المقاطعة . -

عدد العاملين في المزرعة يصل إلى ٨٥٠ عاملا ، منهم حوالي ٣٣/ من اليهود مساحة المزرعة تصل إلى حوالي ٧,٥٠٠ هكتار ، منها ٤,٥٠٠ صالحة للزراعة ، وتختص المزرعة بتربية الأبقار والدواجن وزراعة الخضراوات ، وتصل الأرباح السنوية إلى حوالي ٥ ملايين روبل

عدد المواشي في المزرعة حوالي ٤٠٠٠ رأس ، منها ١٥٠٠ بقرة حلوب ونبيع سنويا للدولة حوالي ثلاثة آلاف طن من الحليب ، وسبعة آلاف ونصف طن من الخضراوات ، وألف وخمسمائة طن من البطاطا ، ومواد أخرى زراعية والمعدل الوسطى لأجرة العامل يصل إلى ٢٠٠ روبل ، ويتم توزيع أرباح قد تصل إلى ألفي روبل في نهاية موسم الزراعة على العامل الواحد ، إضافة إلى معاشه الشهري

- طبعا المزرعة توفر جميع الخدمات للعاملين فيها من ناحية السكن والتعليم والعلاج وغير ذلك من خدمات اجتماعية وثقافية ؟

- نعم ، إننا نعمل على أساس الربح والخسارة ، وكما ذكرت لك فإننا نربح منذ زمن طويل

- الفرق بين الكولخوز والسوفخوز أن الأول مزرعة تعاونية ، يديرها العاملون فيها ، في حين أن السوفخوز مزرعة تدار من قبل الدولة .

- نعم الحياة الثقافية عندنا مزدهرة ، ففي المزرعة ناديان ثقافيان ، ومدرسة موسيقية ، وأخرى رياضية ، ومكتبتان ، فيهما حوالي ٧٥ الف مجلد

وكتاب ، و ٣ قاعات رياضية ، ومتحف حاص بالكولخوز

أثناء عودتنا إلى مدينة بيروبيجان كان العمال والعاملات قد بدءوا بقطف الخيار ، فانطلق زميلي المصور لتصوير هدا المشهد ، وبعد ذلك زرنا روضة للأطفال ، تابعة للمصنع المختص بصناعة الحوارب ، وقصرا للطلائع

الصهيونية وفلسطين

لا يمكن أن نصل إلى بيروبيجان ، دولة اليهود السوفييتية ، دون أن نسأل عن الصهيونية ، ومشروعها لاستعمار فلسطين واحتلالها

لدلك فإن هذا السؤال تكرر عندما زرنا مزرعة ولدحيم وإحدى العائلات التي تقطن فيها ، والسيد كيوفمان رئيس سوفييت المقاطعة ، وأثناء لقائنا بمحرري صحيفة نحمة بيروبيجان

السيد ايراك بريشكولنك ، مدرس اليديشية في كولخوروصية لينين في قرية ولدحيم قال ·

أنا من مواليد سنة ١٩٢٠ ، حئت إلى هنا سنة ١٩٣٧ مدرسا لليديشية ، وهأنا مازلت هنا ، أحلت على التقاعد رسميا مد سبع سنوات ، لكنني مازلت أعلم اليديشية   عندما سألته عن الصهيونية صحك باستهزاء ، وقال   الصهيونية قرينة للفاشية ، لأن الفاشيست كانوا يقتلون اليهود ، والصهاينة يمصون في نفس الطريق ، ويقتلون العرب !

- وفلسطين والفلسطينيون ؟

نحن نؤيدهم ، ونقف بجانبهم لاقامة دولتهم الخاصة ، وتطبيق قرارات الأمم المتحدة في هدا المجال ، ونيابة عن سكان قريتنا من اليهود فإني أقول بأننا في الاتحاد السوفييتي كنا وما زلنا أصدقاء للعرب

السيد مارك كيوفمان رئيس سوفييت مقاطعة بيروبيجان قال

لا يربطنا أي شيء « باسرائيل » أو بالصهيونية ، وإننا ندين سياسة « اسرائيل » المعادية للعرب ، ومع دلك فإننا غير معادين للسكان الإسرائيليين   إن حط الحزب والدولة في الاتحاد السوفييتي يناديان بإقامة دولتين في فلسطين ، فلسطينية عربية ، ودولة يهودية غير معتدية ، دولة سلام   وللفلسطينيين حق إقامة دولتهم على أراضيهم ، ورفع الاصطهاد عنهم وأنهى السيد كيوفمان حديثه بقوله

هل تصدق إنني دعيت إلى الولايات المتحدة الأمريكية في العام الماضي من قبل مجلة أمريكية اسمها « حويش افيرز » لكنني لم أمنح تأشيرة دخول!! أما السيدة ريفافيشينكينا الفلاحة في كولخوز لينين التي أحيلت على التقاعد منذ عام ١٩٨٣ ، وجاءت إلى بيروبيجان مذ سنة ١٩٤٧ فقالت

نحن نحب السلام ونكره الصهاينة ، لأنهم لايريدون السلام ، ونحن نعرف معنى الحرب والاحتلال وويلاتهما تماما ، وقد رأينا كثيرا من الآلام ، وفقدنا الكثير من الأقارب والأحباب - لدلك فإننا مع السلام ، وإعطاء الحقوق العادلة للفلسطينيين

السيد اوليغ ستيبيس رئيس القسم الاقتصادي في صحيفة نجمة بيروبيجان التي تصدر باليديشية علق قائلا

الصهيونية من أسوأ الحركات ، وهي ليست معادية للعرب فقط ، بل إنها معادية لليهود أيضا ، إنها تريد جمع اليهود في بلد واحد ، وخلع اليهود الكادحين من البلدان التي يعيشون فيها منذ آلاف السنين ، ثم زرع العداء بين اليهود والآخرين   إنهم يضطهدون العرب ويوترون المنطقة كلها   إننا نتضامن مع الكادحين العرب والاسرائيليين الذين يناضلون صد الصهيونية ونقف معهم بقوة ، وإن الصهيونية تعبر عن مصالح الطبقات الكبرى اليهودية

حوار حول أسئلة صعبة

إن تسمية المنطقة باسم المقاطعة اليهودية ذات الحكم الذاتي يشير إلى طموح إقامة كيان ودولة ، إلا أن عدد اليهود فيها يشير إلى محدودية هذا النجاح ، وحول هذا الأمر تحاورنا مع بعض قيادات المقاطعة

السيد مارك كيوفمان رئيس«سوفيتيات» وممثل المقاطعة في المجلس الأعلى لسوفييت»روسيا الاتحادية

تمريات راقصة في بيت
ثقافة بيروبيحان

أطفال يوقعون إحدى
موسيقا أعابيهم في الروصه

قال   لقد جئت إلى هذه المقاطعة منذ سنة ١٩٥٩ ، وتدرجت في عملي كمهندس بعد تخرجي ، حتى وصلت إلى رئيس «سوفييت» المقاطعة منذ سنتين ، وحول قلة اليهود في المقاطعة قال

إن الإنسان حر في اختيار مكان سكناه ، وطبعا لانستطيع إجبار من لايرغب في المجيء إلى هنا

لكن المقاطعة أنشئت باسم اليهود ، وبذلت جهود وأموال لتهجيرهم إلى هنا

إننا لانبذل جهودا خاصة لتهجير اليهود إلى المقاطعة في الوقت الحالي أما من قبل فإن قلة عدد السكان هي الحافز على بذل الأموال والجهود لتهجير الناس إلى المقاطعة ، وعندما كثر العدد أصبحنا لانستقبل إلا المهاجرين العاديين الذين يصلون إلى حوالي ٤ آلاف نسمة في السنة منذ عشر سنوات

ـ أليس من الضروري أن يكونوا يهودا ؟

لاطبعا ، إننا نستقبل احتياجات المنطقة من شتى الكفاءات ، ومن شتى جمهوريات الاتحاد السوفييتي وشعوبه

ـ لكن المقاطعة تحمل اسم اليهود ؟

صحيح إن اليهود لايمثلون أغلبية بين السكان ، ولا نسبتهم العددية هي النسبة الأولى ، ومع ذلك فإننا لانستطيع إجبار أحد على المجيء إن لم يكن يرغب في ذلك ، لقد كان اليهود لايعملون في الزراعة والصناعة قبل الثورة ، لكنهم بعدها تساووا مع الآخرين في شتى مجالات الحياة ، فبعضهم عم
في الزراعة والصناعة وغيرها   ويوجد في المقاطه
مزارع ومصانع يعمل فيها الكثير من اليهود

إني أتساءل عن قلة العدد ؟

ربما لم يهاجر اليهود إلى هذه المقاطعة بسب
ركونهم للعيش في المناطق المركزية ، وفي المد
الرئيسية ، وربما لأنهم تعودوا على العيش في أماك
معينة ، فوجدوا صعوبة للانتقال إلى أماكن لم يعتادو
عليها

السيد سيمون فيسنكي ، والسيد
ريفافيشنيكينا زرناهما في بيتهما في مزرعة وصية لينير
التي تبعد عن مدينة بيروبيجان حوالي ١٢ كيلومترا

قال لنا الرجل : لقد كنت ضابطا في الجيش
وجئت إلى الشرق الأقصى أثناء الحرب العالمي
الثانية ، وتعرفت على الكثير من مناطقه ، وعندم
انتهت الحرب عدت إلى أذربيجان ، حيث كن
أعيش ، أما زوجتي فهي من بلاد القرم

تدخلت المرأة في الحديث ، فقالت   لقد جئ
للمنطقة منذ سنة ١٩٤٧م مع ٤٠ عائلة هاجرت م
بلاد القرم إلى هنا

ـ هل جئتم بدافع قومي على أساس أن المقاطعة هم
مقاطعة لليهود ؟

• ضحكت المرأة الستينية الحائزة على وسام العل
الأحمر في العمل ، وعلقت ·

داخل نادي الشطرنج ،
الأطفال لهم نصيبهم أيضا

أنا وروجي حزبيان ، والبلاد السوفيتية جميعها بلادنا ، ونحن لم نأت إلى هنا بسبب أننا يهود ، فنحن ماديون ، والدين لايؤدي دورا في حياتنا ، لقد جئنا إلى هنا لأننا قرأنا في تلك الفترة إعلانات عن حاجة الشرق الأقصى إلى أيد عاملة ، فقررنا المجيء ، لأننا نعرف المنطقة ، وقد عشنا فيها أثناء الحرب

ـ والحافز القومي ، أي وجود مقاطعة تحمل اسم اليهود في المنطقة ؟

• نحن هنا في الوطن السوفييتي، وطننا ، وقد أحببنا هذه المنطقة ، لذلك فإننا نعيش هنا ، ولا يوجد أي دوافع أخرى

في لقائنا مع رئيس تحرير ومحرري صحيفة نجمة بيروبيجان التي تصدر باليديشية ، طرحنا عليهم السؤال المتعلق بقلة عدد السكان اليهود في المقاطعة مع أنها تحمل اسمهم .

قالوا : إن اليهود يسكنون في جميع أنحاء الاتحاد السوفيتي ، وهم أحرار بالسكنى في هذه المنطقة أو تلك

ـ ألا توجد حوافز للتجمع من أجل بعث ثقافة يهودية مشتركة وعادات وتقاليد ولغة مشتركة ؟

قال السيد ليونيد شكولنيك رئيس التحرير

• إن ذلك متوفر إلى حد ما في جمهوريات ومناطق أخرى ، وهناك دروس باللغة اليديشية في بعض المناطق ، وهناك مسرح هواة في لينينغراد على سبيل المثال ، وهناك مطبخ وأزياء ، إلخ .

ـ ولكنها ليست تماما كما هي هنا في بيروبيجان ؟!

• قد يكون ذلك ، لكن قضية العيش في هذا المكان أو ذاك تتداخل فيها أسباب عديدة ، اقتصادية واجتماعية وثقافية ، وغير ذلك

أرض الميعاد

عندما كانت السيارة تقلنا نحو محطة القطارات كي نغادر بيروبيجان سألت السائق اسحاق ايجل ، لماذا لاتهاجر من هنا ؟

إن الصهاينة حسب دعاياتهم يعدونك ببيت وسيارة وفتاة جميلة ، ويعدونك بأرض الميعاد أيضا

قهقه اسحاق ، وبانت ملامح السخرية على تقاطيع وجهه وقال لماذا أهاجر ؟ هنا وطني ، وهنا ولدت سنة ١٩٣٨ ، وجاء أبي إلى هنا سنة ١٩٢٩ ، ومات ودفن هنا ، ونصف أهلي هنا ، لماذا أهاجر ؟

إن هذه الأرض هي أرض الميعاد بالنسبة لي ، وأعتقد أنني أعيش أفضل بكثير ممن يعيشون في « اسرائيل » ، إنني أملك سيارة خاصة ، وبيتا خاصا ، وكل ما أحتاجه موجود عندي . فلماذا أهاجر ؟

في تلك اللحظة تذكرت ما قالته الفلاحة ريفا « خائن من يهاجر ويترك وطنه » □

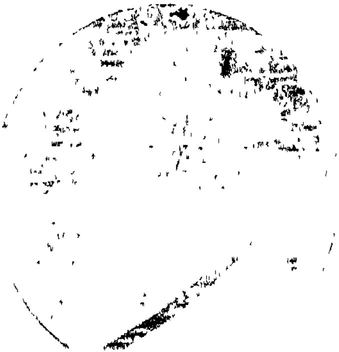

جنون العنكبوت

اعداد . عبدالرحمن حريتاني

يشعر الإنسان بالضيق إذا ما أبصر نسيج عنكبوت بزاوية أو ركن في بيته ، والشعراء بل والعامة يعتبرون وجود العنكبوت بكثرة في مكان دليلا على انعدام الحياة ، لكن العلماء لهم رأي مختلف وهذه رحلة عَالِم عقاقير في دراسته للعنكبوت .

في ضوء ذلك الصباح الباكر ، وقعت في حبائل الشرك فريسة ممكنة ، علقت بخيوط النسيج الدبقة ، ولم تستطع فكاكا ، ونزل العنكبوت الصغير من مكمنه ، ليقترب من الضحية التي تناضل للخلاص وإنقاذ حياتها ، فلسعها بشوكته السامة ، وأنهى حركات تخبطها ، ثم دار دورات قصيرة حول الفريسة ، ولفها بخيوط حريرية ، وجعلها كمومياء بشكل حبة فاصولياء ، ثم تسلق وإياها إلى قمة النسيج الذي أتلفته المعركة القصيرة ، لكن لم تكن هذه مشكلة عند العناكب قط ، فغدا باكرا سوف تبني أنثى العنكبوت نسيجا جديدا في البداية سوف تفكك هذا النسيج الممزق ، ثم تمد خيوطا كأضلاع للتثبيت ، ثم تدور وكل ما فيها يتحرك ، عاملة بجهد مضن لا يهدأ ، وفي وقت مقداره من (٢٠ - ٣٠) دقيقة من الصباح الباكر ينتهي نسج العنكبوت بآلية بارعة معجزة ، يفوق وصفها الخيال

ة عالم مع العناكب

عالم الاختصاصي في علم العقاقير ن وت) واحد من القلة من الناس الذين أ ا العناكب ، فهذه الحيوانات ليست محبوبة من ر على الرغم من أن نفعها أكثر من ضررها ، اهتمامه بها وشغفه قد دفعاه لأن يعيش معها ستمرارية مدى حياة كاملة ، ولم يترك اختبارا أو تجربة أو كشفا لعلم حديث إلا وجربه عليها طوال هذه السنين ، بهدف كشف السر في آلية تنفيذ العملية البارعة التي تؤدي بها العنكبوت عملها ، لتنسج هذا التصميم الفذ الذي عجز عن مثله العلم البشري بكل تقنياته ، وبهدف الاستفادة من تأثيرات العقاقير على العناكب أيضا وذلك لصالح الإنسان . يقول العالم (وت) لو أنك حقنت إحدى العناكب بنقطة من عقار الهلوسة (LSD) أو بقليل من (المسكالين) فسترى أن نسيج العنكبوت الذي ظل مئات الملايين من السنين على الأرض بتركيبه الهندسي التصميمي الرائع المعجز قد تبدلت هيكليته وتغير . لكن كيف يحدث ذلك ؟ وكيف تؤثر هذه العقاقير وشبيهاتها على أصول أساسيات العملية المتقنة البارعة التي ظلت تؤدى على الأرض ملايين من السنين ؟ والنسيج العنكبوتي المتغير في تركيبه والذي نراه على هذه الصفحات قد تبدل بتأثير هذه العقاقير على أدمغة العناكب ، وجميعها من تصوير العالم (وِت) نفسه

« المسكالين » من عقاقير « الهلوسة » مثل عقار LSD) ، يستخلص من نوع من نبات الككتوس) - الصبير - بعد تجفيفه ، وهو من عائلة لين الشوكي الذي ينبت في الأراضي القاحلة الجافة المكسيك ، وهو واحد من أغرب العقاقير في جموعة « الفارماكولجية » ، وعقار الهلوسة هذا ؤثر على المراكز العليا في الدماغ بفاعلية أشد من اعلية الأفيون والهيروين (ثنائي استيل ورفين) ، وكمية جزئية منه تؤدي بمتعاطيها إلى اضطرابات عقلية خطيرة . يقول العالم (وت) لقد جربت تأثير عقار « الهلوسة » على نفسي أنا ومجموعة علماء وذلك قبل أن نجربها على العناكب

وأدركنا أن متعاطي هذه العقاقير يحس بشعور غريب بالبهجة والنشوة المحلقة الرائعة . ويغيب عن هذا العالم ، ويشعر بفقده وجوده . وبعض العلماء الذين جربوها على أنفسهم وذكروا القليل مما حدث معهم قالوا إنهم انفصلوا عن واقعهم تماما . وعاشوا في حالات ضبابية تراءت لهم كحقائق

العناكب وعقاقير « الهلوسة »

لكن كيف كان تأثير هذه العقاقير على العناكب ؟ يقول العالم (وت) إن العناكب خلال بنائها لنسيجها قد تفاعلت مع جميع العقاقير التي تؤثر في عقول البشر . فالحشيش جعلها تنسج نسيجا بشكل لولبي عوضا عن النسيج البيضوي العادي ، وعقار « الأمفيتامين » جعل نسيجها أصغر ، و « الكافايين » بعثر النموذج المرتب في تناسق الخيوط ، و « السكوبولامين » أرغم العناكب على عمل خطوط متعرجة بدلا من عمل الدوائر المعروفة ، والكثير جدا من عقار « الفاليوم » أدى بها إلى أن تتخلى عن حياكة النسيج ، بل إنها استسلمت لحالة سبات شبيه بالموت

لقد جرب العالم (وِت) كل وافد جديد من أنواع العقاقير في هذا الزمن الذي ازدهرت فيه صناعة العقاقير وراجت ، تلك العقاقير المنشطة ، ومضادات الاكتئاب ، والمسكنات والمهدئات ، وعقاقير « الهلوسة » ، ووضع لكل نسيج حاكته عنكبوت في حالة « هلوسة » إشارة تميزه ، حتى أصبح غير الخبير ما يستطيع بعد تمرين بسيط أن يعرف من شكل النسيج الذي ينظر إليه أنه قد نسج بتأثير « فاليوم » أو « هيروين » أو غيره من عقاقير « الهلوسة » . وكان أمل العالم (وِت) الكبير وبغيته الهادفة من هذه التجارب أن يجد للعناكب ممارسات

مهمة ، وأعمالا حيوية تهم بني البشر . والاستخدام الأهم والأمثل لنتائج تجاربه كانت يجب أن يتم ـ حسب رأيه ـ في مختبرات شركات الأدوية الواسعة ، فالعناكب تستطيع أن تفيد في مجالات تصنيع الأدوية والعقاقير كافة ، خاصة في تجارب سمّية العقاقير الجديدة ، ووضع جرعات التصنيف ، ولاختبار مجموعات واسعة من العقاقير المختلفة وتأثيراتها الجانبية الضارة بالانسان . يقول العالم (وت) لايهم إن ماتت عنكبوت أو اثنتان في هذه التجارب على الرغم من أني أحبها ولا أتمنى هلاكها »

نسيج العنكبوت

العنكبوت تشريحيا ليست حشرة ، وخيوط العنكبوت تخرج من أحشائها ، وهي مرنة اكثر من النايلون ، ومتينة اقوى من الفولاذ ، لا تبلى ولا تتهرأ ، ولا تتعفن ولا تفسد ، ولا تنفذ منها الأشعة أو الماء أو الغبار ، ولا يوجد نسيج خيوط من صنع الانسان بهذه المواصفات أو الاستخدامات . داخل الغدد التي يتم فيها صنع خيوط الليف المعجزة تكون مادة الخيوط سائلة ، وتنساب من الغدد خلال أقنية ضيقة طويلة ، حيث يتبدل قوامها من السيولة إلى الصلابة ، ولا أحد يعرف حتى الآن بأي وسيلة يتم ذلك ، وتنسحب الخيوط بقوامها الصلب من المغازل (الأعضاء الناسجة للخيوط) الواقعة في مؤخرة جسم العنكبوت . ونوع من الخيوط يشكل الاطار الخارجي وأنصاف الأقطار التي تشبه البرمق (شعاع الدولاب) للنسيج ، والخيوط الأخرى تستخدمها العنكبوت لتشكل شبكة النسيج التي تكون معراة

وإنه مما يدعو للعجب والاستغراب أن التجارب أثبتت أن العناكب تعلم مقدار كمية مادة الخيوط الموجودة في غددها ، وتبرمج خططها وفقا لمخزونها ، وما ستنتجه، وعندما تنتهي العنكبوت من بناء نسيجها تكون غددها فارغة تماما ، ولم يحدث ـ ولا مرة ـ أن فوجئت عنكبوت بفراغ مخزونها من مادة

نسيج عنكبوت الحدائق الذهبي
في الأشجار [illegible]

[illegible]

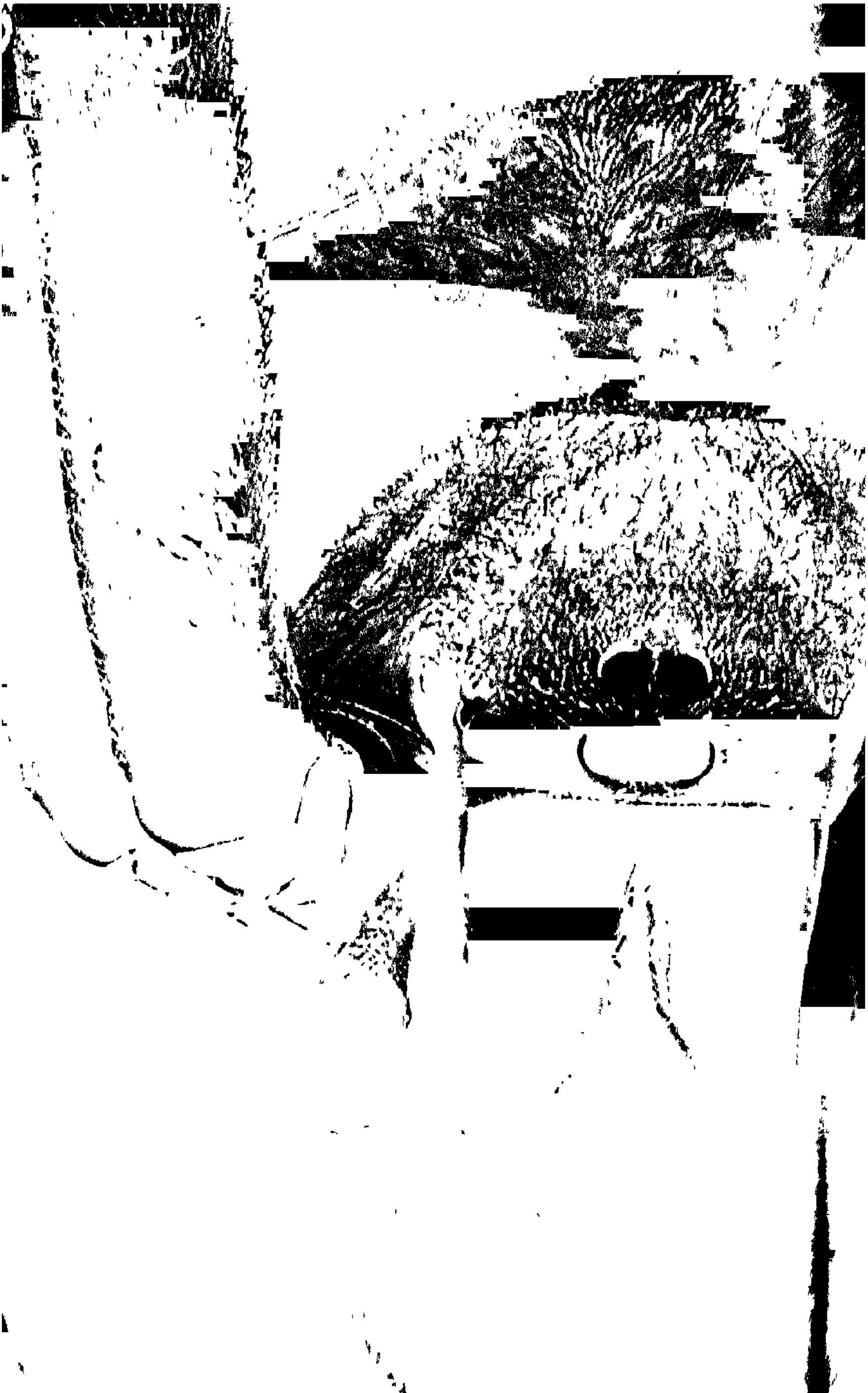

الخيوط ، وتوقفت عن بناء نسيجها ، ولم تكمله لهذا السبب تقدير موزون محسوب مقدر ، لمخلوق صغير مدرك ، يقيم به الحجة على بني البشر وأحيانا عندما ترى عنكبوتا قد نسجت نسيجا أصغر مما اعتاد يراعها صنعه فاعلم أن هذا ليس كسلا أو عجزا منها ، وإنما هي قد قدرت مخزونها من الخيوط ، وأجرت حساباتها الدقيقة التي تعجز عنها أجهزة الحاسوب الحديثة المتطورة ، ونسجت نسيجا لروميا صغيرا ، بقدر ما تكفيها مؤونة ذخيرة الغدد الناسجة لم ينقصها مقدار خيط قط ، ولم يزد عندها مقدار خيط قط فتتحسر عليه وتقول ياليتني كبّرت نسيجي « حكمة بالغة فهل من مدّكر »

عندما تبني العنكبوت نسيجا لا تتوقف أبدا ، بل تعمل بحركات سريعة ماهرة من البداية إلى النهاية ، وعادة يكون النسيج الأول للعناكب اليافعة صغيرا ، لكنه مثالي مكتمل الصنعة والاتقان ، ولا تجرب العناكب نفسها أو تتمرن على بناء النسيج ، بل إنها تبنيه هكذا بالفطرة ، وكأنه رسم راسم ، ولعله فعل تنبيهي غريزي فطري

« لكل عنكبوت نموذج فردي متميز »

من خلال الملاحظات التجريبية العديدة أثبت العالم (وت) وزملاؤه العلماء أنه لا يبني عنكبوتان نسيجين متماثلين ، ومع ذلك فإن هناك فروقا واختلافات طفيفة بينهما ، تتحدى ضبط العين المجردة ، وكشف التحليل بالحاسوب لهذا النسيج ، إن لكل عنكبوت نموذجا فرديا متميزا

وأثبت التحليل بالحاسوب أيضا أن نسيج أهل النسب والقرابة من العناكب متشابه جدا أكثر من نسيج الغرباء (غير الأقرباء) ، ويقول أيضا لو أن هذا النسيج كان من صنع الانسان لقلنا بأن الطفل يقلد أبويه أو أقاربه الذين رآهم ، لكن العناكب لم ير الواحد منها الآخر . فالعنكبوت الأنثى تموت بُعَيْد أن تضع بيوضها ، والعنكبوت الذكر يحبك النسيج ثم

صورة أكثر من رائعة لمغازل العنكبوت وهي في العمل وشاهد الخيوط المنبثقة من فتحاتها بكل وضوح

يتوقف عن البناء ، ويتوقف عن الأكل ، ويتوقف نموه ، ويصبح بعد هذه التوقفات بنصف حجم أثناه ، أما كيف يعيش بقية أيام حياته الأخيرة فهذا من باب التخمين لأكثر العلماء . وبعد تفقيس البيوض وخروج العناكب منها تبدأ في غزل النسيج بعد عدة أسابيع من تفقيسها ، وتعمل كل عنكبوت بمفردها ، ولا ترى الواحدة منها الأخرى ، ولا ترى عملها ، فكيف إذن يحدث ما يحدث ، ويتشابه نسيج الأقارب ؟ يقول (وت) لعلها هذه المرة سمات سلوكية وراثية مكتسبة

استخدامات لنسيج العنكبوت

الدافع الغريزي لبناء النسيج عند العناكب يكون قويا جدا ، ذلك أنها وهي في المختبرات تحيك النسيج يوميا ، حتى لو اقتصر غذاؤها على فراشة كل ٢٤ ساعة ، والذي أظهرته التجارب أن العناكب لا تستجيب للاهتزازات التي تحدثها الحشرات الواقعة في حبائل شباكها إذا ما قدم لها الطعام من القيّمين عليها ، وهذا دليل جديد على أن وظيفة النسيج

ليست إمساك الفرائس كما يظن معظم الناس ، فوراء النسيج المحاك ببراعة أمور تحيلية عجيبة ، فمن بعض استخداماته الكثيرة التمويه والدفاع الذاتي ، وفي بعض الأنواع للتحكم في درجات الحرارة والرطوبة ، كما يستخدم عند بعضها للطيران مساعدة الرياح ، كما يستحدم لبناء غرف عوص وبيوت حضانة وحجر تراوج

والعلماء الذين احتجزوا العناكب في أنابيب زحاحية - منذ كانت بيوضا - مدى حياتها لاحظوا أنها حالما يطلقونها من الأسر تبدأ ببناء النسيج ، وأن دلك النسيج يكون طبيعيا في كل شيء ، عدا الحجم الدي يصغر قليلا ، وقد قام العالم (وِت) بعمل تفريغ صناعي لمادة الخيوط التي في الغدد ، وذلك بعد أن وصل الخيوط الممتدة من الغددإلى محرك صغير ، يلفها بعيدا ، وقد لاحظ أن العناكب انصرفت عن بناء النسيج عندما لاحظت أن غددها فارغة ، وعندما جرب هذه التقنية على العناكب المرباة في الأنابيب الخارجية ، وقام بسحب الخيوط من غددها على يومين متتاليين ، ثم أطلقها ، لاحظ أن هذه العناكب قد استطاعت خلال فترة قصيرة أن تملك خيوطا كثيرة ، وتبني نسيجا كبيرا ، وعندما وضع ثقلا من الرصاص على ظهور بعضها وجد أن خيوط النسيج صارت أثخن ، وعندما وضع عوائق أمامها وجد أنها استطاعت أن تتغلب على هذه المشكلة ، وتبني نسيجها بوسائل أخرى ، وعندما بتر من بعضها قائمة أو قائمتين وجد أنها لم تتأثر ، بل ظلت تبني النسيج

جراحات ليزرية

يقول العالم (وِت) إن الكثير من العناكب تفقد قائمة أو قائمتين عندما تهاجمها الطيور ، وعلى الرغم س ذلك تظل تبني النسيج ومنذ سنوات عندما ـدأت تقنية الليزر تظهر، استطاع أن يقنع أحد صدقائه من علماء الفيزياء - وكان من أوائل من رعوا باستخدام شعاع الليزر - بإجراء جراحات زرية على العناكب ، وذلك بهدف أن يكتشف بدقة أي المناطق العصبية توجه عمليات بناء النسيج ، وتهيمن عليها

والذي ثبت من هذه الجراحات الليزرية أن للعناكب دماغا ضخما قياسا على حجومها ، أو بالأحرى أن لديها تراكما وتكديسا مكونا من مئات آلاف الخلايا العصبية الكبيرة جدا ، تتجمع في كتلة ضخمة في منطقة الصدر الرأسي ، وهي المنطقة الأمامية من الجسم التي تتكون من اندماج الرأس والصدر في العناكب والقشريات

العناكب في الفضاء

تجربه واحدة كان يحلم بإجرائها العالم (وِت) على العناكب ، وهي تبني النسيج في حالة (انعدام الجاذبية) ، أي في مرحلة انعدام الوزن في الفضاء ، وسمحت ادارة الفضاء الاميركية (ناسا) له بإرسال نوع من العناكب على متن مركبة الفضاء الأمريكية (سكاي لاب) التي ظلت في الفضاء حوالي شهر ، وقد تكيفت العناكب مع حالة انعدام الجاذبية داخل المركبة في الفضاء خلال أيام ، وبنت النسيج الذي كان فيه تماثل غير واضح في شكله البيضوي ، وكانت الخيوط أرق بنسبة مقدارها حوالي (٢٠ /) ، وربما كان سبب هذا الادراك الحسي عند العناكب لحالة انعدام الجاذبية التي تعوم فيها ، وبعد أسابيع من مكوثها في الفضاء صارت العناكب تحيك نسيجا شاذا ، غير منتظم التركيب ، ربما بسبب المعاناة وأخيرا ماتت العناكب من العطش والجوع على الرغم من أن رواد الفضاء قد حاولوا تغذيتها بوضع فتات اللحم في النسيج ، لكنها كانت ترفض التغذي بها ، وعلى الرغم من أن تلك العناكب كانت يافعة إلا أن نسيجها الأخير الذي بنته قبل موتها كان كأنه نسيج عناكب كبيرة معمرة ، يقول العالم (وِت) لقد كانت تجربة رائعة ، أظهرت أن باستطاعة العناكب أن تبني نسيجها في أية ظروف ، حتى ولو كانت في حالة انعدام الوزن في الفضاء. ربما كان هذا الاكتشاف المثير الممتع هو الأعظم ☐

رولكس كالجواد العربي الأصيل رفيقة در

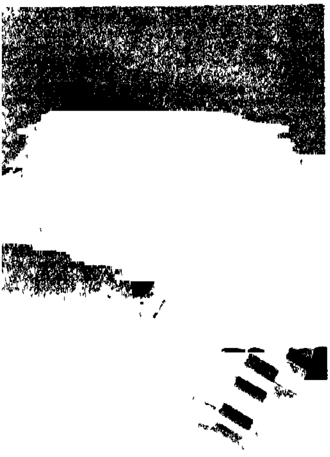

الأصالة، صفة الجواد العربي، التي تميّزه عن سواه من الجياد الأخرى، كونه وفي لصاحبه حتى في أحلك الظروف والأحوال، وقوّته وقدرته على تحمّل المشقات والصّعاب لا تضاهى أينما كان. أضف إلى ذلك جمال الشكل والقيمة الأكيدة طوال مدّة حياته.

هذه الصّفات ذاتها هي التي تميّز ساعة رولكس عن سواها. فهيَ أصيلة حقًا لأنها لا زالت تصنّع وتجمّع يدويًا، وهي مصنوعة من الذهب الخالص، أو الفولاذ أو الاثنين معًا، وتمرّ بكافة الاختبارات للتأكد من دقتها وقدرة تحملها قبل أن تعطى شهادة الكرونومتر السويسريّة الرسميّة.

أما جمال الشكل، فمجموعة رولكس المتنوّعة والكبيرة جدًا صُنعت لترضي أصحاب الذوق الرفيع.

رولكس كالجواد العربي، رمز الأصالة الحقّة.

ROLEX

رولكس

ساعة رولكس داي - ديت من الذهب الأصفر عيار ١٨ قيراطاً مرصّعة

وجهاً لوجه

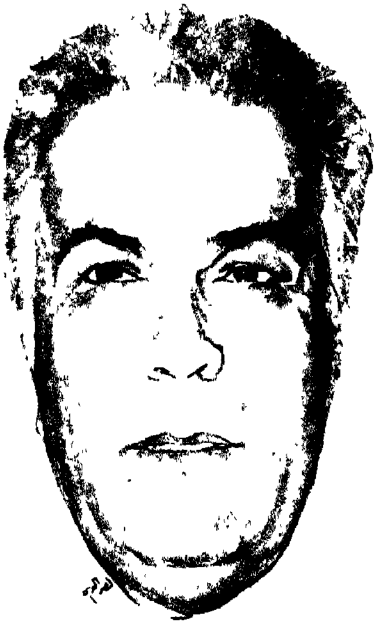

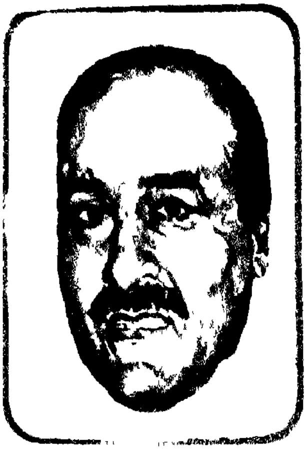

منح الصلح و جهاد فاضل

■ الطرح الاقليمي لم يستطع أن يحل مشاكل الأقطار العربية ■ الفكر القومي لم يستطع أن يؤاخي بشكل صحيح ودائم ،النزوع الديموقراطي في الأمة العربية ■ جاءت العروبة لتمد المنطقة بمدد جديد للتعاضد والتضامن والوحدة بعد اتجاه الدولة العثمانية نحو العجز . ■ التوفيق بين القيم التراثيـــة والصراع مع تحديات العصر هو الذي أطلق العروبة .

■ مصر بلا شك أم العرب ، ولكن من قال ان الأم وحدها تكفي كقيادة ؟

> لمنح الصلح خصوصية نابعة من تعدد الروافد التي جعلت منه سياسيًا ومفكراً عربياً ، فقد نشأ في بيت سياسي قديم ، شُغل بالقضية العربية والقضية اللبنانية وفيما يسمى « المسألة الشرقية » ، أي تفاعل العالم الاسلامي مع الأقليات الدينية والعنصرية المستندة إلى الغرب وقد قال مرة انه عندما دخل الى قاعة الدراسة في الجامعة الامريكية لتلقي محاضرات في مادة تاريخ الشرق الادنى الحديث فوجئ بأن المادة الدراسية هي نفسها موضوع احاديث العائلة وما تتشارك فيه افرادها في احاديثهم

تخرج سنة ١٩٥٣ من جامعة بيروت الاميركية الحافلة في تلك المرحلة بالنشاط السياسي الذي كان مشاركا فيه ، ثم انتقل إلى باريس مدة سنتين للدراسة ، ورجع من هناك في أوج العصر القومي العربي ، وكان المثقفون العربيون حينئذ مفتونين بالنهوض العربي ، على عكس ماهم عليه الآن ، وكان يسمع منهم قولهم حضارتنا شاخت والدور الآن للشرق ، وخصوصا للعرب

شارك منح الصلح في مرحلة صعود الأحزاب والمؤسسات القومية والانقلابات العسكرية الواعدة بالوحدة العربية وتحرير فلسطين ، فكان سوريا عراقيا مصريا جزائريا مغربيا يمنيا كويتيا ، لكن جذوره في البيت السياسي الذي خرج منه وفي مناخ لبنان الخاص كانت تجعل منه شخصا قادرا على رؤية اللعبة من داخلها وخارجها في نفس الوقت وكان يعرف أن الماضي لم يكن سيئا إلى الدرجة التي يصفه بها الانقلابيون ، وأن المستقبل ربما لن يكون زاهيا إلى الحد الذي يتصورون وكانت نزاهته ومكانته في عالم الفكر ، وعروبته العملية تسمح له أن يقول من الحقائق أكثر مما هو مسموح به للكثيرين في هذا العصر الذي نعيش فيه

وقد كتب وحاضر ، وكتب بيانات تأسيسية للأحزاب ، والحركات ، ومقالات بتوقيع ، وبغير توقيع ، تشهد له بالحياة الفكرية الغنية ، ومن هذه الكتابات « الاسلام وحركة التحرر العربي » و « مصير العروبة » ، و « الانعزالية الجديدة في لبنان » ، و « المارونية السياسية » وهو باختصار سياسي ، ومفكر قومي ، يعرف بلاده جيدا ، ويعرف بصورة خاصة أسرار صنع القرار السياسي فيها ، لذلك كان لعمله السياسي وفكره رنة خاصة

مأزق الفكر القومي العربي

● ومع المفكر اللبناني العربي كان هذا الحوار الذي بدأته « العربي » بالسؤال التالي كيف تنظرون إلى حاضر الفكر القومي العربي ؟ وأين أصبحت الدعوة لبناء دولة عربية واحدة حديثة ومتقدمة ؟

- بعد أن مرت مرحلة كان فيها التفاؤل والثقة بالنفس يلونان الحديث عن الفكر القومي ، نجد أنفسنا الآن في فترة ، يغلب فيها التشاؤم والاحباط

اللذان يطبعان حاليا كل حديث عن الفكر القومي والقومية العربية ، ذلك أنه قد تعاقب على الساحة القومية عدد كبير من الهزائم والنكسات التي ضربت الأمل بهذا الفكر ، ومع أن وضع الفكر القومي قد تحسن حاليا ، إلا أن هذا التحسن لم يخرجنا من التراجع الذي مايزال مخيما على الفكر العربي في هذه الناحية ، ذلك أن سبب هذا التحسن كان سلبيا ، أي أنه أتى نتيجة فشل الطرحين اللذين جاءا ليرثا الفكر القومي ، وهما الطرح الاقليمي ، والطرح الديني المتطرف ، وهذان الطرحان قد وصلا إلى باب مسدود ، فالطرح الاقليمي لم يستطع أن يحل مشاكل الأقطار العربية ، وإن كان قد بدا في زمن معين أنه يحمل مفتاح هذا الحل ، لكن الاقليمية قد فشلت في أن تجد الحلول على الصعيد السياسي ، والعسكري ، والاقتصادي ، أما الطرح الديني المتطرف فقد فَقَد بريقه الثوري الذي اتشح به في فترة من الفترات ، وتحول إلى اتجاه بين عدة اتجاهات ، وهو الآن يصارع بوسائل تعتمدها الاتجاهات السياسية والفكرية العادية ، كقوة المال أو السلطة أو العمل العسكري أو ما أشبه ذلك

ولم يستطع الطرح الاقليمي ولا الطرح الديني المتطرف أن يسدا الفراغ الذي نتج عن انحسار المد القومي في الوطن العربي ، إلا أن الوضع حاليا مايزال في وضع التحسن النسبي

الآن أمام القيادات الفكرية وأمام المستنيرين سؤولية تاريخية ، هي أن تكون انطلاقة الفكر لقومي الجديدة متصفة بالصفات التي تجنبها الهزائم النكسات وردود الفعل التي وقعت فيها الانطلاقة أولى

الحلم القومي كان في الماضي ، وكان هناك الوعي ومي لكنني أشك أنه كان هناك العقل القومي منى الصحيح ، لهذا علينا هذه المرة أن نعتمد وبة مختلفة في نواح كثيرة عن العروبة التي كانت في سابق ، والتي بلغت ذروتها في السعة في الخمسينيات وأوائل الستينيات ، وعلينا أن نعترف أولا أننا كنا ننظر إلى عوامل الوحدة في المجتمع العربي ، ولم نكن ننظر إلى عوامل التفرقة ، فالوطن العربي قد كان باستمرار ساحة للصراع بين عوامل الوحدة والجمع ، وعوامل التجزئة والتفريق ، والفكر الاستعماري الغربي كان يرى الواقع العربي كما هو ، وكان يركز على هذه العوامل ، والفكر الماركسي كان أيضا يرى الصورة بشكل أفضل مما كان يراها القوميون ، إذ كان بحكم منطلقاته يلتفت إلى التناقضات ، والفروق ، ونقاط الاختلاف ، بينما كان الفكر القومي يرى وجوه التشابه في الأوضاع العربية ، لذلك بإمكاننا القول أن الفكر القومي كان متخلفا من هذه الناحية بالنسبة إلى الفكرين الآخرين

ثانيا ان المؤسسات التي قامت بغاية وحدوية كانت أضعف بكثير من الضرورات الوحدوية والظروف المناسبة ، فقد كان هناك باستمرار ظروف موضوعية مواتية وظروف ذاتية ناقصة ، وقد عجزنا عن بناء المؤسسات التي تجسد المصلحة القومية ، والتي تكون في مستوى مهمتها ، وأوجدنا مؤسسات تحمل الشعارات القومية ، وتنجح في مواضيع عديدة ، لكنها كانت دائما تفشل في الناحية القومية ، حتى تلك التي نجحت في تولي السلطة لم تنجح في بناء العلاقات القومية داخل الأمة العربية ، وداخل الوطن العربي

والاعتراف الثالث هو أن الفكر القومي لم يستطع أن يؤاخي بشكل صحيح ودائم النزوع الديموقراطي في الأمة ، فكثيرا ما كنا نجد التيار القومي غير ديموقراطي في التعامل مع غيره ، وكثيرا ما كنا نجد الشعارات القومية توضع في مواقع سلطة ، ماتزال تفتقر إلى مواصفات كثيرة ليصح نعتها بالديمقراطية

هذه الاعترافات الثلاثة ضرورية لكي يكون الانسان صادقا مع نفسه ، لمواجهة حالة استئناف المد القومي المطلوب ولكي لا نكرر الأخطاء السابقة .

على أنه لابد من القول ـ في باب تحديد المفاهيم ـ أن الكلام عن الفكر القومي هو كلام عام غير محدد ، فهناك وعي قومي ، وهناك شعور قومي ، لكن لا يوجد فكر قومي ، يحمل صفة إطلاقية معينة ، لأن للفكر القومي مدارس عديدة ، وليس مدرسة واحدة ، فهناك فكر قومي علماني ، وفكر قومي يربط القومية العربية بالاسلام ، وفكر قومي يضع الاشتراكية في صلب أهدافه ، بل في صلب معناه ، وفكر قومي لا يرى شمول المفهوم القومي لهذا الجانب ، ويعتبره جانبا اقتصاديا بحتا

إذن هناك مدارس عديدة في الفكر القومي ، وإن كان هناك شعور قومي أو وعي قومي وعندما أقول أن هناك نكسة في الفكر القومي أقصد أن كل هذه المدارس منتكسة في الوقت الحاضر ، وأقصد النواحي المشتركة فيما بينها كلها

الاخفاقات مسئولية من . ؟

● كثيرا ما يقال أن العروبيين قد أخفقوا في معالجة قضيتين رئيسيتين وهما العلاقة مع الاسلام ، والتعامل مع موضوع الأقليات ، فإلام ترد أسباب هذا الإخفاق ؟

ـ هناك حاليا ما يسمى بالصحوة الاسلامية ، والمقصود بها يقظة العمل في السياسة ، تحت شعار الاسلام ، وهناك أيضا حركة للأقليات ، أو للشعور بالفروق الاجتماعية ، والدينية ، والمذهبية هناك ظاهرتان بارزتان ، هما ظاهرة إسلامية وظاهرة الأقليات ، والقول بأن الفكر القومي قد حمل جانبا من المسؤولية في بروزهما فيه بعض الحق ، لكن هاتين الظاهرتين سرعان ما انكشفتا كحلين مفترضين ، وهذا الانكشاف فيهما قد أعاد الناس إلى الطريق القومي لكن بشكل غير مكتمل حتى الآن

وإذا كانت الطروحات القومية في مأزق فإن الطروحات الأخرى في انهيار كامل ، وحقهما بورثة الطريق القومي غير مقبول عند الطلائع العربية ، والجماهير العربية بشكل عام ، بل وعند كل مسير في الوطن العربي

لقد سبق أن قلت إن الاتجاه القومي كان بشكل عام ذا حساسية إزاء كل ما يفرق الأمة ، أو ما يعني أن الأمة ما هي إلا أجزاء متعددة ، وهذه الحساسية بمعنى من المعاني مرضية ، لأنها تتصور أن المعرفة الموضوعية للمشاكل اعتراف بها ، ثم تكريس لها ، تماما كما هو الحال عند بعض المواطنين العرب الذين يرفضون معرفة الأوضاع في « اسرائيل » مثلا ، لأنهم يخشون أن يكون في هذه المعرفة معنى الاعتراف

والفكر القومي العربي بشكل عام قد اعتبر معرفة مشاكل الأقليات ، ومشاكل التجزئة ، وعوامل التفريق في الوطن العربي من اختصاص الأعداء ، وأن العدو هو الذي يهتم بمعرفة هذه الأشياء ، أما أنا فيجب ألا أهتم بذلك وبهذا المعنى يصح القول بأن الفكر القومي لم يحسن معالجة موضوع الأقليات ، كما أن محنة الديمقراطية الشاملة في الوطن العربي قد أطلقت النزعات الخاصة بالأقليات وشجعتها ، ولونتها بألوان الضحايا فعززتها ، وجمعت حولها المؤمنين والمقاتلين في سبيلها

وهناك ظرف يتعلق بولادة الفكر القومي أصلاً ، وهذا الظرف قد جعل الفكر القومي يظهر بأنه غير متآخ مع الاسلام فالفكر القومي الحديث قد ولد في مواجهة الدولة العثمانية التي كانت دولة الخلافة ، وكان على القومية العربية أن تواجه الخلافة العثمانية في أول مواجهة لها بعد ولادتها في العصر الحديث ، والقومية العربية قد حاربت الدولة العثمانية قبل أن تحارب الانكليز أو الفرنسيين أو غيرهم ، فاتخذت عند بعض الناس هذا اللون ، وجاءت جماعات من أصحاب المصالح ، وفسرت ظاهرة المواجهة هذ بأنها دليل على أن العروبة قد أتت لمحاربة الخلا

الاسلامية ، بينما أن هده العروبة ـ حسب الواقع ـ قد حاءت لتجمع وتوحد تحت راية العروبة أحراء واسعة من العالم الاسلامي مهددة بالتمكك التام ، فالدولة العثمانية قد وحدت في فترة ، ثم اتجهت نحو العحر والتفكك ، وظهر عدم قابليتها لمواحهة العرب ، وهنا حاءت العروبة لتحمل راية التوحيد ، وتشكل موحة ثانية في التراث التوحيدي ، وليس كما قيل بأن العروبة حاءت لتقوض دولة الاسلام ، بل على العكس حاءت لتمد المطقة بمدد حديد للتعاصد والتصامن والوحدة ، بعد عجر الدولة العثمانية

هدا هو التفسير الكاذب للمواحهة التي حدثت بين العروبة والاسلام

أريد أن أقول أيضا إن القومية العربية قد نشأت فكرة أول ما نشأت في منطقة الهلال الخصيب ، ولما كان الهلال الحصيب منطقة يكثر فيها التعدد المدهبي والعنصري والديي بشكل مختلف تماما عما هو عليه الحال في الأقطار العربية الأحرى ، ولأن المؤامرة الاستعمارية المعروفة ـ بسايكس ـ بيكو ـ أرادت أن تقسم هده المنطقة على الأخص،كان من الطبيعي أن تأتي القومية العربية بأهدافها التوحيدية بمثابة رد على مؤامرة (سايكس ـ بيكو) التجزيئية،ونحي الدين كعامل في القومية لأنه في هذه المنطقة على الأحص توحد أديان غير الاسلام وعناصر من غير العرب ، ومداهب كثيرة ، فاضطرت القومية العربية أمام تحدي معاهدة (سايكس ـ بيكو) التي جزأت الهلال حصيب أن تركز على عناصر معينة من عناصر جيد القومي ، دون عناصر ، فنشأ في الهلال صيب نوع من التفكير القومي العربي الذي يعطي سلام أقل مما يعطيه للمفهوم القومي في الوطن ي كافة ، لذلك ظلت الفكرة القومية ـ كما نودي ي الهلال الخصيب ـ غير كاملة الجاذبية بالنسبة اهير الأمة العربية جميعهم ، فالجماهير العربية لم ن بالخط القومي تعلقا عاطفيا قويا إلا عندما انتقلت راية القومية من الهلال الحصيب إلى مصر أ الرئيس عبدالناصر ، ولما كانت الحماهير المصرية تعاني نفس المشاكل التي تعانيها حماهير الهلا الخصيب برر في مصر نوع من القومية ، وحد ا العربي عروبته وإسلامه في نفس الوقت ، فأعط عقله وقلبه معا والقومية العربية كما نادى بها رو الهلال الحصيب لم تكن حدابة للمعرب ، أو للحر العربية ، بل اقتصرت شعبيتها في منطقة الهلا الحصيب ، أما القومية بالشكل الدي نودي به مصر فقد كانت في تركيبها مشابهة للتركيب المو في معظم الأقطار العربية ، مما حعلها تدحل الصـ الشعبي العربي بشكل أكثر وأوسع

العقلانية ، والعاطفية ، والقومية

● يرى بعض الباحثين أن فكـ القومية التي طرحت في مطقة الهلا الحصيب قد توحت العقلاية ، في حـ حاطبت في مناطق أحرى من الوط العربي ـ ومنها مصر ـ المشاعر وليـ سواها فهل تعتقد أن هدا الرأي محله ؟

ـ كانت ساحة المجيمة القومية هي الهـ الخصيب في الدرجة الأولى وليس في مصر ، وبق مصر سليمة من ناحية تماسكها الوطني قياسا بما ط في الهلال الخصيب ، فالمدرسة القومية في الهـ الخصيب لم تكن أقدر من الناصرية على مواج عوامل التفكيك في المجتمعات وموضوع الأقليا هو موضوع فشل للقومية العربية على الأعم ، و في منطقة الهلال الخصيب على الأخص ، لذلك يمكننا القول أنه هنا كان النجاح ، وهناك كـ الفشل ، أو أن الفكرة القومية في الهلال الخصيـ كانت أكمل من الفكرة القومية في مناطق أخرى • الوطن العربي لقد كانت أمام ضرورة أخرى

وكان عليها أن تواجه معركة في وجه الدولة العثمانية ، ثم معركة ثانية في مجتمع متفسخ ، أو كثير المذاهب ، وكثير الطوائف ، مما جعلها تصطبغ بلون معين ، هو اللون الذي لم يستهو الجماهير العربية بالشكل الذي يجعل منها قوة تأثير وتحريك

● كيف تُقيّم علاقة الفكر القومي العربي بالفكر العربي على الأعم ؟

ـ مع الصلح الفكر القومي ، أو ما يسمى بالعروبة الحديثة ، نشأ أصلا وكأنه يوفق أو يجمع من جهة،ما بين قيم التراث التي يمثلها الاسلام وتحدي المعاصرة ، والوجود في عالم اليوم

والتوفيق بين القيم التراثية ، والصراع مع تحديات العصر هو الذي أطلق العروبة ، فالعروبة أصلا هي جمع ما بين التراث وقيمه من جهة ، وقوة العالم الحديث والغرب الحضاري من جهة ثانية ، والعروبة تحارب التسلط السياسي ، والاقتصادي ، والعسكري الغربي ، لكنها تقبل العناصر الحضارية والقوة الحضارية التي ينطوي عليها علم الغرب ، وتقدمه ، وصناعته

من صميم قيم الغرب وقيم العصر مبدأ الصراع ، والذين يقاومون التسلط الغربي السياسي، والاقتصادي والعسكري والثقافي ينتمون خلال مقاومتهم نفسها إلى جوهر هذا الغرب الذي هو جوهر الصراع ، وحق الشعوب في الحفاظ على ذاتها ، وشخصيتها ، وحقوقها

لا يجوز أن ينظر إلى الغرب على أنه المعاهدات والاتفاقات الاستعمارية ، فالغرب هو حقوق الانسان أيضا ، والغرب هو حق الانسان في مقاومة الغزو ، لذلك يصبح المقاومون لهذا الغرب ـ أحيانا ـ أشبه به من الذين يقبلونه بكل ما يحمل من إيجابيات وسلبيات وليس من الغريب بالمعنى الحضاري أن يوجد من يستسلم للغرب السياسي والعسكري والاقتصادى ، لأن جوهر حضارة الغرب والشيء الأساسي الذي قدمه للانسانية هو حق الانسان في ـ يرفض حتى الموت مالا يمثل حقوقه وإنسانيته

مصر ودورها بين محورين

● كتبت كثيرا عن عروبة مصر ، وعن دورها المهم في المشروع الحضاري العربي الجديد فأي دور تراه لمصر في مستقبل الأمة العربية ؟

ـ مصر ليست عربية فقط ، بل إن مصر نصف العرب ، والأقوال كثيرة معروفة في تبيان المكان المركزي لمصر في الوطن العربي ، لكن هذا لا يمنع من أنه كانت هناك باستمرار قصة مفتوحة حول العلاقات بين مصر والأقطار العربية ، فمصر كانت أحيانا تغالي في فهم مكانها بين الأقطار العربية ، بحيث كانت تنفرد بالقرار عن سائر العرب ، وهذا الانفراد قد عرف في كل العهود ، ولم يقتصر على عهد مصري دون عهد آخر ، ففي جميع العهود قد انفردت أحيانا بالقرار ، وكان هذا الانفراد يخلق مضاعفات ، كما أن جهات عربية أخرى كانت تحرص على إبعاد مصر ، وهذه الجهات كانت تلقى ـ غالبا ـ مؤازرة من جماعات كثيرة ذات مصلحة في إبعاد مصر عن دورها ، فضلا عن مؤازرة الدول العربية بشكل عام ، وأصحاب المصالح في الأقطار العربية من الدول الأجنبية والمعروف أن اسرائيل ـ كمشروع سياسي ـ قد لقي دعم الاستعمار لأنه يقيم حاجزا بين مصر وأقطار المشرق العربي ، فوجود اسرائيل في حد ذاته ما هو إلا تعبير عن درجة حرص الاستعمار على إبعاد مصر عن المشرق العربي ومعروفة من الناحية التاريخية تلك الرسائل الأولى المتبادلة بين يهود ، ورؤساء حكومة ، ووزراء في بريطانيا التي تتحدث عن ضرورة إنشاء دولة حاجزة بين مصر والمشرق العربي يعني « اسرائيل » لكن كما أن هناك أشياء مصطنعة فهناك واقع يجب أن

يلاحظه»وهو أنه دائما كان يتشكل في الوطن العربي نوع من التجمع الطبيعي محوران   محور مصري ، ومحور صد مصر   المحور الأول كان يتشكل من مصر والمنجذبين إليها تحت تأثير تفوقها الحضاري والثقافي والبشري ، وتوسط موقعها في الوطن العربي ، والثاني كان يتشكل من المتخوفين من مصر ، ويضم قوى ودولاً أخرى   في كل مراحل التاريخ العربي المعاصر كان هناك هذان المحوران .

إن تاريخ السياسة العربية العملي هو هذا إلى حد بعيد ، أي الذين هم مع مصر والذين هم ضدها ، وقد كان هذان المحوران يتحاطبان ويتجاوران وينسقان في فترة من حلال الجامعة العربية ، لكن في غياب الجامعة العربية الآن لم يعد هناك جهة تعمل على التنسيق

ثم إن مصر مع كونها قائدة للعرب ، إلا أن التجارب دلت على أنه كان دائما ينقصها شيء ما

مصر هي بلا شك أم العرب ، لكن من قال أن الأم وحدها تكفي كقيادة ؟ لذلك بحسب تعبير طريف لأحدهم يقول فيه   نعرف أم العرب ، وهي مصر ، لكن من أبوهم ؟ وهذا السؤال هو من جهة يأس من هذه الحالة القائمة الآن في الوطن العربي ، المليئة بما ييئس ، لكنه من جهة ثانية شك في محله بأن تشكل مصر وحدها قيادة كاملة للأمة العربية   لو عدنا قليلا إلى التاريخ لوجدنا أنه كان دائما يلتقي عنصران ـ عنصر من داخل مصر ، وعنصر من خارجها ـ ويتحدان معاً ، وكأنها حالة زواج ، ليتشكل من الاثنين القيادة الكاملة المفتقدة في الأمة العربية

كان يأتي دائماً شيء من خارج مصر ، ويخرج من مصر شيء ، ويتلاقى الشيئان لتشكيل قيادة وأحيانا يكون هذا الآتي من الخارج هو الاسلام ، وأحيانا يكون هو الفكر العربي بالمعنى الحديث النظري ، وأحيانا يكون حزب عربي أو رمز عربي ، ويكوّن هذا اللقاء القيادة المطلوبة

إعادة النظر ضرورة

● كيف تنظر إلى واقع المقاطعة الحالي بين العرب ومصر ؟

ـ المقاطعة هكذا وبدون تفاصيل ، وبدون برامج ، وبدون تحديد نقاط تبدو كأنها مقاطعة للشعب المصري ، وليس لنظام حكم أو لاتجاه وأحيانا تكون العقوبات السياسية والاقتصادية من هذا النوع خطيرة ، لأنها ضارة بالـمُعَاقِب وبالـمُعَاقَبْ أيضا   وتستحق مصر الثناء على كل مساعدة تؤديها لجهة عربية ، كما أن على العرب أن يساعدوا الشعب المصري فيما يواجهه من مشاكل ، لأن هذه المشاكل ـ إلى حد بعيد ـ مشاكل مشتركة ، آتية من قيام مصر بواجبها في الأقطار العربية ولذلك فأنا من أنصار أن يجتمع العرب في مؤتمر قمة ، ليبحثوا من جديد العلاقة مع مصر ، لأن استمرار العلاقة بالشكل الذي هو عليه الآن ، ينقلها من كونها موقفا في قضية معينة ، إلى مقاطعة موجهة لشعب مصر ، وأن الأقطار العربية مستغنية عن طاقات عربية كبيرة ، وعازلة لا لمصر وحدها بل للطرفين   فلذلك لابد من بحث هذا الموضوع في لقاءات قمة   لكن هذا لا يعني بشكل من الأشكال تبني قرار مصري في السياسة قد اتخذته مصر منفردة وبعيدة عن العرب ☐

● الدين لايتراجعون عن أفكارهم أبدا ، يحبون أفكارهم أكثر مما يحبون الحقائق
(غوبرت)

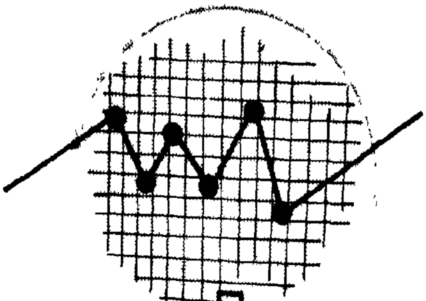

الحاسوب ومستقبل الاقتصاد العالمى

بقلم : سمير صلاح الدين شعبان

لعل أهم ما يثير قلق البشرية عموما ، وسكان دول العالم الثالث بما فيهم الأقطار العربية والاسلامية على الأخص ، هو تهديد لقمة العيش والقوت اليومي ، من جراء القفزات الخيالية المتوالية للأسعار ، والتزايد المستمر في البطالة . فهل يلبي الحاسوب رغبة البشر في التنبؤ بمستقبل الاقتصاد العالمي ؟

لو ألقى المرء على الاقتصاد العالمي نظرة « شمولية » لتبين على الفور أنه يمثل جملة متشابكة ، متداخلة ، شديدة التعقيد ، تحتضن عددا لا يحصى من التحولات ، منها على سبيل المثال

* نشاطات ألوف الشركات الكبيرة والصغيرة ، إضافة الى ملايين الحرفيين

* استخراج المواد الخام ، وعمليات نقلها وتسويقها

* درجة توافر السيولة النقدية والسلع النادرة

* كيفية توزيع العدد الذي لا يحصى من السلع وتقلبات احتياجات مليارات البشر

للوهلة الأولى يوحي هذا العدد الهائل من التحولات التي تتبادل التأثير فيما بينها باستحالة حصرها ودراستها مجتمعة من قبل إنسان واحد ، مهما بلغت شدة ذكائه ، لكن من المتفق عليه بين الباحثين التقنيين والاقتصاديين أن غموض جملة الاقتصاد العالمي ليس مرده الى الجهل بكل عامل متحول على حدة ، بل الى عجزنا عن التعرف المباشر على « التأثير المتبادل » بين هذه العناصر ، وتغير بعضها بمرور الزمن هذا السلوك هو الذي يضفي على جملة

محركات كهربائية في شركة تدير المخارط في مدينة [illegible] في ١٩١١

لا تختلف بصورة جوهرية عن تلك المستخدمة في ايامنا هذه

الاقتصاد العالمي سمة السلوك الحركي أو « الديناميكي ».

فكيف السبيل الى دراسته ، وهو لا يكف عن تبديل وجوهه ؟

نظرية الجمل

أول إنسان حاول تقديم جواب شاف عن هذا التساؤل ـ حسب علمي ـ هو الأستاذ (جاي فورستر) من كلية « سكون » لإدارة الأعمال التابعة لمعهد ماساشوستس للتقنية (MIT) الشهير في « كمبريدج » الأمريكية. يجمع فورستر بين الخبرة الاقتصادية و « نظرية الجمل » وقد قام خلال العقدين الماضيين بتطوير طريقة خاصة تسمح بتحليل الجمل المتداخلة شديدة التعقيد وسلوكها ، أطلق عليها اسم « ديناميكية الجمل ».

تم في البدء تسخير هذه الطريقة في وضع نموذج لاحدى « الشركات » الأمريكية الكبرى في الحاسوب ، واصدار الأمر اليه بالتنبؤ بمستقبل الشركة بعد فترة معينة من الزمن. وقد أدى ذلك الى الكشف عن العوامل السلبية الخافية على ادارة الشركة.

وشجع نجاح هذه الطريقة الشركات التجارية على توسيع الوحدة المدروسة. ففي المرحلة التالية تمت دراسة سلوك « مدينة » كاملة ، ونجحت الطريقة بشكل منقطع النظير ، والى حد سمح بتطويرها لدراسة « الاقتصاد العالمي » ككل مترابط ، خلال فترات طويلة من الزمن ، وأطلق عليها اسم « ديناميكية العالم ».

النموذج القومي الأمريكي :

بعد نجاح دراسة المدن انتقل فورستر الى دراسة جملة أوسع ، هي اقتصاد الولايات المتحدة الأمريكية ، فوضع ما يسمى « النموذج القومي الأمريكي » ، هذا النموذج عبارة عن برامج

حاسوب « يحاكي » جميع العمليات الاقتصادية المهمة في المجتمع الأمريكي ، المرتبط بشكل وثيق مع اقتصاد الدول الصناعية الكبرى ، ويجمع هذا النموذج سائر العوامل التي قد تؤثر في الحياة الاقتصادية والتقنية ، ويجعلها تتبادل التأثير فيما بينها بصورة « تحاكي الواقع الى حد بعيد »

وأخيرا آن الأوان لقطف ثمار السنين الطويلة من الجهد المضني في إعداد برنامج النموذج القومي الأمريكي ، فأصدر فورستر الأمر للحاسوب برسم صورة مستقبل الاقتصاد الأمريكي ، لكنه ذهل حينما شاهد النتيجة ، إنها « سلسلة متوالية من مراحل الازدهار الذي يعقبه الانهيار ، تستغرق كل منها حوالي خمسين سنة »

وحينما ينتهي نموذج المحاكاة الى مثل هذه النتيجة ، غير المتوقعة، فإن أول ما يتبادر الى ذهن أي مبرمج عاقل هو مراجعة نفسه هل قمت بوضع نموذج مطابق للواقع فعلا ؟ ألا توحي النتيجة غير المتوقعة باعتماد البرامج على فرضيات لا أساس لها من الصحة ؟

اضطر فورستر الى تدقيق برنامجه خطوة خطوة ، وتأكد من صحة كل شيء ، ومع هذا بقيت النتيجة على حالها دون تغيير أو تبديل ، حينئذ شعر فورستر ومساعدوه بأن برنامج الحاسوب هذا يقدم لنا أو فلنقل يكشف لنا تصورات جديدة عن العالم الخارجي الحقيقي ، وفي هذه الحالة ـ على الأخص ـ سلوك « الاقتصاد العالمي ككل »

قام فورستر بتحليل أسباب توالي الازدهار والركود مرة كل خمسين سنة التي سنطلق عليها اسم « الدورات التقنية » ، حسب نتائج برنامجه

وأعاد ذلك مرارا وتكرارا ، فلم يعثر على أي خطأ ، وتوصل الى الاقتناع بأن جميع الفرضيات التي سلم بها أثناء وضع البرنامج باقية ضمن حدود المعقول ، وبأنها مقاربة للواقع

كان التوصل الى « الدورات التقنية » بمساعدة الحاسوب مفاجأة كبرى لفورستر ، جعلته يبحث مع مساعديه في المراجع العلمية عن مؤلف وحيد ـ على الأقل ـ يؤيد هذه الفكرة « المتطرفة »

وبالفعل انكب فورستر ومساعدوه على التنقيب في المراجع العلمية ، فوجدوا فيها الكثير من التعارض وحتى قبل الانتهاء من دراسة المراجع بفترة وجيزة لم يعثروا على أي « نظرية متكاملة » ، لتفسير مسيرة الاقتصاد العالمي بشكل يقسمه الى دورات ، تستغرق كل منها قرابة خمسين سنة ، وتعيد نفسها مرارا وتكرارا دون كلل أو ملل

وأخيرا تبين فورستر أن عالم الاقتصاد السوفياتي « كوندراتييف » كان قد درس في عشرينيات القرن الحالي الاقتصاد العالمي في مراحله الأخيرة ، وقسمه الى « موجات طويلة » ، تستغرق كل منها قرابة خمسين سنة وبقي التساؤل لماذا ؟

الموجات الطويلة لماذا ؟

بدأت معظم الكشوف العلمية بالمشاهدة ، وانتهت بوضع التفسير ، وهنا « شاهد » فورستر نتائج الحاسوب من جهة ، ونتائج تحليل كوندراتييف الاحصائية من جهة أخرى ، فشعر بضرورة وضع « تفسير » للموجات الطويلة في عالم التقنية والاقتصاد ، يحدد القوة المؤثرة في هذه الموجات

أعرب فورستر عن اعتقاده بأن النموذج القومي الأمريكي يقدم وحده « نظرية » متكاملة ، تفسر الدورات التقنية الاقتصادية هذه وحسب هذه النظرية فإن المسؤول الرئيسي عن نشوء كل موجة جديدة هو النمو المتطرف ، أو فلنقل التضخم في القطاع المالي »

تعتمد نظرية فورستر على تحكم كمية رأس المال المتاحة في سوق النقد الدولية في استقرار الاقتصاد العالمي ، وقد لخصها في عدد شباط (فبراير) من مجلة « صورة العلم الألمانية » على النحو التالي :

« يقوم القطاع المالي أثناء فترة الازدهار بطرح كمية من رأس المال ، أكبر بكثير من تلك الضرورية

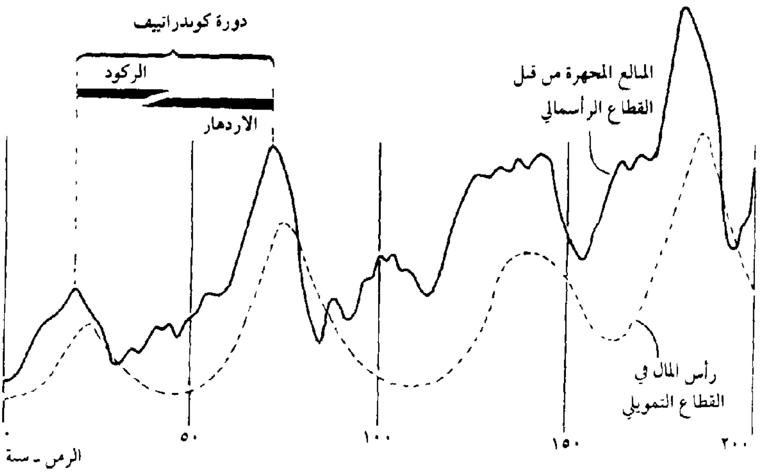

رسم الحاسوب مسار كل من انتاج رأس المال ورأس المال الموضوع قيد التداول اثناء التطور الاقتصادي خلال ٢٠٠ سنة ويمكن تمييز اربع قمم (ازدهار) يليها (ركود) مفاجيء مرة كل حوالي ٥٠ سنة

للحفاظ على التوازن الاقتصادي فترة طويلة من الزمن . هذا التنامي المتطرف يؤدي بالنتيجة الى الركود الاقتصادي ، ويتم أثناء فترة الركود الاقتصادي والتخلص من الاستثمارات المالية ورءوس الأموال الفائضة عن الحد الضروري لاقامة التوازن السليم ، بشكل يسمح بفترة ازدهار جديدة »

آفاق المستقبل

يتنبأ فورستر استنادا الى توقعات الحاسوب بأن العقدين القادمين سيشهدان الخطر الأكبر ، ليس على الاقتصاد العالمي فحسب ، بل كذلك على المجتمع البشري ككل ، نتيجة الانهيارات الكثيرة التي يتوقع حدوثها في هذه الحقبة التي سيتخطى تأثيرها حدود الحياة الاقتصادية الى الظروف الاجتماعية أيضا ، ويرى أن هذه العوامل التي تهدد جذور النظام العالمي السائد ستكون أشد وطأة من التهديدات العسكرية .

فالضغط المتزايد قد يقود الى تجارب اجتماعية جديدة ، سواء رضينا بذلك أم أبينا ، ويحذر فورستر من أن العجز عن إجراء « التغييرات الاجتماعية » الكفيلة بوضع أساس معقول لمجتمع المستقبل ، قد يجعل المجتمع الغربي يعيش مخاطر أكبر بكثير من تلك التي تعرض لها بعد ثلاثينيات القرن الحالي .

يختلف فورستر عن العديد من علماء الاقتصاد والتقنية « الخبريين » الذين يتركون الانسان مستسلما « لآلة » الاقتصاد والتقنية ، ودوراته الحتمية ، ويرى فورستر أن الناس نسوا - على ما يبدو - أن استثمار رأس المال لا يمثل « هدفا » بحد ذاته ، بل « وسيلة » فقط لتحسين الظروف المعاشية للانسان ، وتحسين « نوعية الحياة »

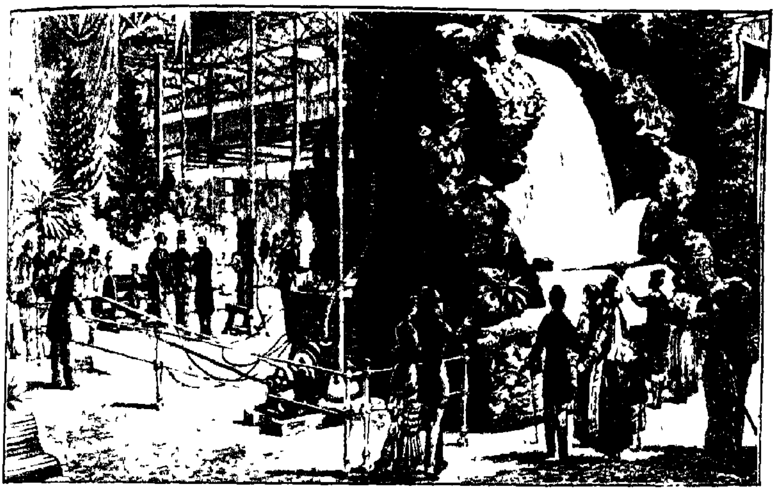

اكتشاف الكهرباء حدث [illegible] في ١٨٨٢م تعرف الناس الى الكهرباء في المعرض الحاوي على شلال « يدفعه » الكهرباء

ويشير الى أن المجتمعات الصناعية أظهرت براعة فائقة في تسخير العمليات التقنية، واستغلالها، لكنها لم تحرز الا تقدما متواضعا في مجال فهم السلوك الاجتماعي للبشر، واستيعاب قوانين الحل الاقتصادية المعقدة، ولا بد لهذا الأمر أن يتغير، ويجب أن يتغير!

والحل؟ اللجوء الى « ديناميكية الحمل » التي تقدر على تقديم خدمات جليلة في هذا المضمار، لأنها قادرة من حيث المبدأ على التعرف على ردود الفعل المتبادلة بين القطاعات المختلفة، الاجتماعية، والتقنية والاقتصادية، من زاوية جديدة تماما، وتحت أنوار لم تكن. وفي الختام يعرب فورستر عن تفاؤله بإمكانية النجاح في تحقيق « الابتكارات الاجتماعية والقانونية والسياسية »، للخروج من الأزمات الاقتصادية المتكررة، بعد الاقتناع بضرورتها أولا، ومن ثم يسعى عدد متزايد من البشر لتطوير مستقبل يفهمونه، ويرتاحون اليه

وبعد:

شجع نجاح « ديناميكية الحمل » في إمداد الحاسوب بالبرامج القادرة على التنبؤ بمستقبل شركة، ثم مدينة، ثم دولة هي الولايات المتحدة الأمريكية، على تطبيق نفس المبدأ على العالم ككل، وتم بذلك وضع المرتكزات الأساسية لتقرير نادي روما الذي أثار ضجة عالمية كبرى وحمل اسم « حدود النمو »

فورستر نفسه هو الذي وضع النموذج والبرنامج الالكتروني « العالم ٣ » الذي بين عند وضعه في الحاسوب أن المثابرة على ما يسمى « النمو الأسي **Exponential Growth** » - تضاعف الانتاج مرة كل سبع سنين مثلا - ستؤدي الى استنزاف خيرات الأرض وثرواتها، وقد تؤدي الى الكارثة وعليه طالب مؤلفو « حدود النمو » بكبح وتيرة التنمية العالية، وخفضها الى الحد المقبول، وكأنهم يقصدون من « حدود النمو » منع استمرار الماضي في المستقبل، وهي عين الظاهرة التي اعتمدها فورستر بمساعدة حاسوبه في التنبؤ بمستقبل الاقتصاد العالمي

كلنا يعيش الآن « مستقبلا » مغايرا لذلك الذي تنبأ به تقرير « حدود النمو » في بواكير السبعينيات

أخفق نموذج « العالم ٣ » لأنه اضطر الى التسليم « بسرمدية » الأوضاع السائدة وقت إعداده ، وعلى رأسها النمو الأسي

وهذا مشابه من حيث المبدأ « للنموذج القومي الأمريكي » الذي قاد فورستر الى الدورات التقنية التي تنشأ عن ظاهرة « رأس المال يدمر نفسه » لأنه اضطر الى التسليم « بسرمدية » الأوضاع السائدة وقت إعداده ، وعلى رأسها نظام الفائدة ضمن المنظومة الرأسمالية التي يتركز جل اهتمامها على تحقيق أكبر قدر ممكن من الأرباح ولو على حساب نهب ثروات شعوب بكاملها

تحت وطأة هذه الأوضاع تكررت الأزمة الاقتصادية الخانقة في دول الغرب الرأسمالية ثلاث مرات ، ونعيش نحن في الرابعة ، ويبدو أن التاريخ ليس لديه ما يمنع من تكرار نفسه مرة بعد أخرى ، طالما بقيت « أصول اللعبة » ثابتة لا تتغير اختزال الانسان الى آلة شرهة للربح

ان تفاؤل فورستر بالابتكارات الاجتماعية والقانونية والسياسية للخروج من الازمات الاقتصادية المتكررة بمساعدة ديناميكية الجمل لا يمس جوهر المشكلة وهذا يذكرنا بمراهنة الدكتور الفرنسي الكسيس كاريل في كتابه « الانسان ذلك المجهول على « علم الانسان » للخروج من الأزمة المستعصية للحضارة المادية الغربية التي أقيم صرحها مع الجهل المطبق بالانسان ، وهو الذي يفترض ان يكون الهدف النهائي للحضارة الانسانية وكلاهما « قفزة في قفص » الحضارة المادية التي اختزلت البشر الى « آلات إنسانية » والتاريخ يؤكد أن عمليات « الرتوش » لا تغير الجوهر في شيء

هذا « القفص » يملي المسلمات المعتمدة أثناء وضع البرامج الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للحاسوب فهذا « القفص » هو منظار الماديين الى العالم من حولهم إلا أن « المبهورين » من سكان العالم الثالث ـ والصناعي على حد سواء ـ بهذه الآلة التي « تحكي » لهم المستقبل ، يثقون ثقة عمياء بالنتائج والنبوءات التي تقذفها ، الى حد دفع بعض علماء الغرب أنفسهم الى اتهام مواطنيهم بالنظر الى الحاسوب وكأنه « النبي الجديد » !

ربما ينسى هؤلاء ـ أو أنهم يتناسون ـ الضجة الكبرى التي أثارها تقرير نادي روما الأول « حدود النمو » لقد بهر الناس في سائر دول العالم حينذاك باستخدام الحاسوب في التنبؤ بمستقبل اقتصاد العالم « ككل » وتشاء الأقدار أن يكون جاي فورستر عينه هو الذي وضع البرنامج للحاسوب ، المسمى « العالم ٣ » معتمدا على فرضية غاية في الحساسية (استمرار الماضي في المستقبل) لا سيما في مجال النمو الأسي (مضاعفة الاستهلاك للمواد الأولية وللانتاج مرة بعد انقضاء عدد محدد من السنين) وبالنتيجة عرض الحاسوب المستقبل الحالك وحذر من مغبة الاصرار على معدلات التنمية العالية ، وطالب التقرير بمنع امتداد الماضي في المستقبل واستثارة عزيمة الجنس البشري في تسخير « الحرية البشرية » في الجنوح الى الحد من وتائر التنمية فماذا كانت النتيجة ؟

تمخض تقرير نادي روما الأول هذا عن نشاط علمي وجماهيري ملموس ، بلغ حد رفع شعار « التنمية صفر » ولم تكد تمضي على نشر التقرير عشر سنين حتى شهد الواقع بعدم مصداقية المسلمة الأساسية التي انطلق منها مبرمج الحاسوب وأفرز انقطاع النمو الأسي العديد من نماذج العالم البديلة التي تعتمد بدورها على الحاسوب ، لكنها ترفض منطلقات تقرير « حدود النمو »

إن هذه الأمثلة تظهر لنا بجلاء أن « الحاسوب » ليس هو « النبي الجديد » لهذا العصر ، بل هو أقرب ما يكون الى « العبد المأمور » الذي ينفذ التعليمات الصادرة اليه بحذافيرها ، دون أن يكون له الحق أو المقدرة على مناقشة الفرضيات التي اعتمد عليها « سيده » في صياغة برنامجه □

قضية

التعليم الجامعي

أجرى الحوار: أبو المعاطي أبو النجا

حول قضية تعريب التعليم الجامعي يشارك الدكتور عدنان تكريتي أستاذ الجرثومات والطفيليات بكلية الطب بجامعة دمشق بآرائه حول القضية التي سبق للعربي أن بدأت مناقشتها في عدد شهر سبتمبر الماضي

* قدم لنا الدكتور عادل العوا في حوارنا معه لمحة عامة عن بدايات حركة التعريب في الجامعة السورية في العصر الحديث ، هل بود أن تضيف شيئا الى حديثه عن هذا الجانب بخاصة فيما يتصل بتدريس الطب باللغة العربية ؟

- الطب يدرس باللغة العربية في جامعة دمشق منذ نهاية الحرب العالمية الاولى ، الاتراك أسسوا في دمشق مدرسة طبية وكانت آنذاك تدرس باللغة التركية ، ثم في العهد الفيصلي انقلب التدريس فورا من اللغة التركية الى اللغة العربية ، وخلال الاحتلال الفرنسي كان التدريس دوما باللغة العربية ، بعد ذلك تأسست كلية الطب في حلب ثم كلية الطب في اللاذقية فسارتا على نهج كلية الطب في دمشق ، ولم يدرس الطب في أي من هذه الكليات باللغة الفرنسية قط ، وحينما أسست بقية الكليات العلمية مثل كليات الهندسة والعلوم والزراعة كانت كلها تدرس العلوم باللغة العربية

برنامج تدريس اللغة الأجنبية في الجامعة

* مفهوم طبعا أن تدريس العلوم ومنها الطب باللغة العربية في جامعة دمشق في مرحلة البكالوريوس وفي مرحلتي الماجستير والدكتوراة يوجد الى جواره برنامج لتدريس لغة أجنبية ثانية أو ثالثة لتمكين الطالب من مراجعة المصادر الأجنبية في اللغة

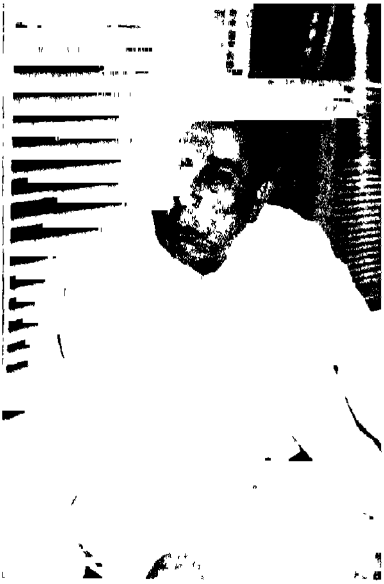

الدكتور عدنان تكريتي

الأجنبية في مجال تخصصه ، بعد أن توضحوا لنا طبيعة هذه البرامج ، ومدى قدرتها على تمكين الطالب من هذه اللغة الأجنبية ؟

ـ في كل الكليات النظرية والعملية توجد دروس منذ السنة الأولى وحتى الأخيرة بلغة أجنبية حية يختارها الطالب ، الإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية . في السنة الأولى والثانية تدرس اللغة من حيث هي لغة مع شيء بسيط من المفردات التخصصية . في السنة الثالثة والرابعة يدرس الطالب أربع ساعات على الأقل في الأسبوع في مادة تخصصه باللغة الأجنبية التي اختارها ويقدم فيها فحصا

في مرحلة الماجستير يبدأ بسنة اسمها دبلوم الدراسات العليا ، هذا الدبلوم عبارة عن مراجعة متعمقة للمواد التخصصية ، وربع هذا التدريس (ربعه حرفيا) باللغة الأجنبية، بعد الدبلوم ، يوجد عندنا مركز في حرم الجامعة لتعليم اللغات الأجنبية على مستوى الماجستير ، بعد هذا لا يمكن للطالب أن يسجل لدرجة الدكتوراة إلا بعد أن يختار فحصا متخصصا في اللغة الأجنبية التي يتقنها ، حتى يتم التأكد من ضماناته الجامعية التي من أهمها ، أن عنده الأداة التي تمكنه من الاطلاع على ما يجري في الثقافة العالمية في مجال تخصصه

* هذه الخطة التي أشرتم إليها ، هل ترفدها جهود منظمة لمتابعة المصطلحات العلمية الجديدة في مختلف التخصصات ، على الأقل نود أن توضح لنا هذه الجهود في مجال وضع المصطلحات الطبية ؟

ـ هذه الجهود متواصلة في الوطن العربي ، هناك الجمعيات العلمية ، والجامعات ، والمجامع اللغوية في القاهرة وعمان ودمشق والعراق والمغرب العربي ، وهناك مركز التعريب في الرباط التابع للجامعة العربية ، وأضرب مثلا لهذه الجهود في مجال الطب ، لقد صدرت حتى الآن عدة معاجم طبية في دمشق وعبر دمشق ، وآخر معجم صدر ونحن نعتمد عليه اسمه « المعجم الطبي الموحد » وهو باللغة الانجليزية والعربية والفرنسية ، وهذا المعجم صدر من مجلس وزراء الصحة العرب ، ومنظمة الصحة العالمية واتحاد الأطباء العرب ، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وهو معجم طبي مختص ، ونعتقد أنه سيصدر عما قريب طبعة جديدة من هذا المعجم بالفرنسية والعربية والانجليزية مع الزيادة وبعض التصحيح ، نحن لا ننسى فضل المجامع اللغوية ، فهي كلها تعمل باستمرار لتوفير المصطلحات الطبية التي يحتاجها الأساتذة والطلاب على السواء ، هناك أيضا معجم « ماكلوي » وهو معجم عام في الطب والهندسة ترجمته مجموعة من العلماء باشراف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

قضية التنسيق من جديد

* كل هذا يثير مجددا قضية التنسيق بين الجهات المختلفة في قضايا التعريب ووضع المصطلحات العلمية ويتصل بذات القضية مشكلة التمويل ،

بالتنسيق يمكن أن يتيح فرصا أفضل لحل جزء من مشكلة التمويل بالاضافة الى توفير الجهود،وقد تفضل الدكتور عادل العوا برأيه في هذه المسالة هل نحب أن تعلق على هذه المسألة ؟

- بالنسبة للمصطلحات الطبية ، كانت هناك مرحلة تعددت فيها المصطلحات الطبية للكلمة الواحدة ، مما أدى الى بعض البلبلة ، بعد ذلك تألفت لجنة دائمة أعضاؤها من جميع الأقطار العربية من مشرقها الى مغربها تتبع مجلس وزراء الصحة العرب ، اتحاد الأطباء العرب ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ومهمة هذه اللجنة توحيد المصطلح الطبي وقد أدى عمل هذه اللجنة فعلا خطوات جيدة في سبيل توحيد هذا المصطلح

أيضا بالنسبة لعمل المجامع اللغوية فهناك تنسيق بينها من خلال المؤتمرات السنوية التي تعقدها ، وأحيانا تنسق هذه المجامع مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، أقول أحيانا

يوجد الآن في الكويت مركز من أجل الوثائق والتعريب الطبي يتبع مجلس وزراء الصحة العرب ، ورئيسه وزير الصحة في الكويت الدكتور العوضي ، ومن جملة أعمالنا في هذا المركز تعريب الكتب الطبية،ونحن في هذا الاطار نتبنى المصطلحات الطبية التي تقرها المجامع اللغوية ، ونسهم في وضع المصطلح ، طرق وضع المصطلح معروفة وجميع العاملين في الحقل متمرسون فيها ، هناك ثلاث طرق لوضع المصطلح ، هناك المصطلح الذي استعمله الأطباء العرب القدامى كابن سينا وغيره مثل قلب ، عضد ، كبد الخ وهذه نستعملها كما هي

وهناك نهج الاشتقاق ، مثلما استخدم كلمة « قصور الدُّرَق » لاعبر عن أن هناك قصورا في وظيفة الغدة الدرقية ، أي أنها لا تقوم بوظيفتها كاملة ، وهناك نهج التعريب حين آخذ كلمة أجنبية لها مدلول دقيق جدا ، بنصها وأضعها في وزن عربي مثل « الديال » أو « الديلزة » بدلا من أن أقول « غسل الكلية » وأيضا كلمة « هرمون » فا نستخدمها كما هي ونخضعها للصيغ العربية المعرو فنقول هرمون أو هرمونا أو هرمونات . الخ

مستوى الخريج

* أرجو أن تسمح لي بسؤال ذي طابع عملي ، هل حدث نوع من التقويم لمعرفة مستوى خريجي برامج تدريس الطب باللغة العربية بالقياس مع زملائهم ممن يدرسون الطب باللغة الانجليزية ؟

- أجيبك بشيء حي ، المقارنة قد تبدو عاطفية ، لكن الفحوص والاختبارات مسألة رياضية وعملية ، أقسام الدراسات العليا في جامعات العالم تجري فحوصا ومسابقات لمن يريدون الالتحاق بها ، وأقول لك صادقا بأن نسبة كبيرة من الذين درسوا العلوم والطب في كلياتنا باللغة العربية ويتقدمون لمثل هذه الفحوص ، لا أريد أن أفاخر وأقول أنهم يتفوقون على الذين درسوا الطب في المرحلة الجامعية الاولى باللغة الانجليزية ، وأكبر دليل على ذلك وجود أعداد كبيرة من الذين تخصصوا في الولايات المتحدة ، انجلترا ، فرنسا ، ألمانيا ، أو البلاد الشرقية ، روسيا وغيرها ، كل هؤلاء قسم كبير منهم عاد الى دمشق ويعمل بنجاح في مهنته وقسم آخر لا يزال يعمل في الخارج وقد تبوءوا مراكز عالية مع أن دراستهم الأساسية هنا كانت باللغة العربية

الهوة بيننا وبينهم . . . في العلوم الانسانية والتطبيقية

* في حوارنا مع الدكتور عادل العوا تحدثنا عن الهوة التي تفصل بين حركة البحث العلمي في وطننا العربي وفي العالم المتقدم ، وكانت له وجهة نظر حول طريقة اجتياز هذه الهوة ، وأن هناك نوعا من الفرق بين العلوم الانسانية وبين العلوم البحتة والتجريبية

بالنسبة لهذه الهوة نود أن نعرف رأيك في هذه العلمية ؟

ـ نستطيع أن نقسم العلوم من هذه الجهة الى قسمين   قسم ثابت كالفيزياء والكيمياء والرياضة ، وهذه عندنا مثلما هي عند غيرنا ، وعلينا أن نجتاز الهوة بيننا وبينهم بكل الجهود الممكنة التي من أهمها تنمية حركة البحث العلمي عندنا ، والصناعة المتطورة وتعريب المصطلحات   الخ

وفي العلوم الطبية يوجد قسم ثابت وقسم متحرك   المرض مرض ، لكن هناك دراسة محلية تقول ان هذا العرض من هذا المرض هو أشد ظهورا في تلك البلاد عنه في غيرها ، على سبيل المثال « الحمى التيفية » كمرض موجود في حوض البحر الأبيض المتوسط ، وفي كثير من البلدان وأعراضه معروفة ، وفحصه معروف ، وتشخيصه معروف ، ولكن نحن نجري بين ذراري هذه الجرثومة أبحاثا لكي نعرف هل هذا النوع من الجرثومة الموجود في بلادنا هو نفس النوع الموجود في انجلترا أو فرنسا ، وبنفس النسب   الخ

مثل هذه الدراسات والأبحاث تحدث عندنا الان بعد أن تأسست الدراسات العليا ، وأمكننا أن نلقي بالضوء على بعض النواحي من المرض أكثر من نواح أخرى ، في مصر مثلا يهتمون بالبلهارسيا ولهم فيها دراسات لا توجد في بلاد أخرى ليست فيها بلهارسيا ، كثير من المؤلفات الطبية التي نقدمها الان نجد فيها تأكيدات محلية واحصاءات محلية ، وهذا ما يمكن أن يمثل خصوصية لنا

اللغة القومية ... مجال الابداع ..

ومشكلة توفير المصطلح لم تعد مشكلة

* هل ترى أن دراسة العلوم باللغة العربية ، يمكن أن توفر فرصا أفضل للابداع في المجالات العلمية مثلما هو الحال في الاداب والفنون؟ وبالتالي في تأصيل حركة البحث العلمي عندنا

ـ فرص الابداع في مجال اللغة القومية أفضل سواء في مجال العلوم البحتة أو العلوم الانسانية أو الآداب والفنون ، حينما تقرأ فكرة بلغتك القومية ، وتقرأ نفس الفكرة بلغة أجنبية ففي أي الحالتين تتمثلها أكثر وتهضمها أكثر   ؟ بالقطع الفكرة المعروضة بلغتك القومية ولو كانت فكرة علمية ، اللغة ليست مصطلحاً ولفظا فقط ، اللغة أيضا طريقة تفكير ، طريقة التفكير العلمي حين تكون باللغة العربية تختلف عنها في اللغة الأجنبية ، الطالب الذي يتلقى علومه بالعربية يتمثلها أكثر ، ويفكر فيها أفضل ، ويبدع بها كذلك بشكل أفضل ، طبعا نحن نتكلم عن الطالب الذي لديه استعداد للابداع ، ففي كل الجامعات في كل الدنيا طلبة عاديون يتخرجون في الجامعة ويعملون في شتى مجالات التنمية في تخصصاتهم المختلفة ، وقلة هي التي تواصل الدراسات العليا في مجال التخصص ، وصفوة من هذه القلة تبدع ابداعا متميزا

دعني أذكر لك مثالا : اليابان تعلم العلوم باللغة اليابانية الطب والهندسة والكيمياء   الخ ، وبعض البلاد الشرقية مثل باكستان تعلم العلوم باللغة الانجليزية وأنا أسألك ماهي نسبة العلماء المبدعين بين اليابان وبين باكستان التي تعلم بالانجليزية ، في أي البلدين نجد علماء وباحثين أكثر ؟

ـ طبعا في اليابان لكن أود هنا أن أشير الى أنه ليس التدريس باللغة القومية وحده في اليابان هو السبب بل من أهم الأسباب وجود حركة بحث علمي متقدمة ومرتبطة باقتصاد قومي وصناعة متطورة جدا وتوجه سياسي يربط بين كل هذه العناصر ويوجهها وجهة تخدم التقدم والابداع العلمي ، وفي اسرائيل يمكن أن نقول نفس الشيء عن احياء اللغة العبرية واستخدامها كلغة لتدريس العلوم انما حقق نجاحا لارتباطه بحركة بحث علمي متطورة .

ـ طبعا لا خلاف حول ضرورة الاستناد الى حركة بحث علمي متقدم ، لكن اذا أضفنا الى ذلك أن هذا البحث يجري باللغة القومية يكون التقدم أفضل وفرص الابداع أكثر تحققا

ان تدريس العلوم باللغة القومية هو الأساس في كل جامعات العالم ، ومشكلة توفير المصطلح لم تعد مشكلة ، اللغة التركية غير معروفة بالدرجة التي تعرف بها اللغة العربية ومع ذلك ففي تركيا تدرس كل العلوم باللغة التركية ، من يتكلم البلغارية غير البلغار ، ومن يتكلم الهنغارية غير المجر ، ومع ذلك فكل هذه البلاد تدرس العلوم بلغتها القومية

كتبت مرة مقالا حول هذا الموضوع قلت فيه ان الجامعات التي تدرس العلوم باللغة القومية تسير قدما تاركة وراءها أصحاب المؤتمرات وأصحاب القرارات والمناقشات لماذا ؟ لأنه لا يكفي أن نتخذ القرار ، بل يجب أن نضـ موضع التنفيذ ، كيف نعرف اذا كان القرار صحيـ أم خاطئا ؟ ونحن هنا في سوريا وضعنا هـ الفكرة فكرة تدريس العلوم باللغة العربية عل الاختبار منذ عام ١٩١٩ حتى الآن ، ولو كانت غير صالحة لبدا لنا ذلك

هناك ٥ آلاف طبيب سوري يعملون في الولايات المتحدة الامريكية في جراحة القلب وفي العين وفي الدماغ وفي التخدير وفي مختلف الفروع ، وحيـ أقول هذا الكلام أقوله من واقع تجربة عمرها طويل ، وأحب أن أذكر لك أنني درست الطب في مرحلة البكالوريوس في فرنسا ، وتخصصت في النمسا ، فأنا استطيع أن أرى وأن أقارن بموضوعية كاملة ، وليس فيما أقوله تعصبا لنظام تخرجت فيه □

« الأيس كريم »
اسم حارت المجامع في تعريبه

من الغريب أن « الأيس كريم » أكثر انتشارا في البلاد الباردة منه في البلاد الحارة ، فقد بلغ *معدل استهلاكه في الاتحاد السوفيتي* ٦٢٤ *قطعة للفرد الواحد سنويا* ، وفي فرنسا ارتفع ذلك المعدل إلى ٨٣٢ قطعة ، وتأتي كندا في المرتبة الثالثة ، تليها بريطانيا ، وهي تستهلك سنويا ما يعادل ١٠٠ مليون قطعة ، أما إيطاليا ـ موطنه الأصلي ـ فلم يعد يحسب له حساب في العدد

و (الأيس كريم) لفظ انجليزي ، حارت المجامع العربية في تعريبه ، وعجزت ، فكفت عن ذلك ، أو لعلها ترفعت عنه ، ولم ترد النزول إلى مستوى الحديث عن الأطعمة اليومية ، لهذا شاع هذا الاسم وذاع ، ففي المشرق العربي شمالا يسمونه « البوظة » ، والبوظة لفظ فارسي ، معناه الجليد ، وفي مصر يسمونه « الجيلاتي » ، وهو لفظ إيطالي معناه الجليد أيضا ، وأحيانا يسمونه « الدندرمة » ، ومعناها بالتركية مما يقارب هذا المعنى ، وفي المغرب العربي يسمونه (جلاس) ، وهو لفظ فرنسي يعني الجليد

كتاب العربي

السابع عشر

خطاب إلى العقل العربي

بقلم

الدكتور فؤاد زكريا

كتاب العربي مرآة العقل العربي

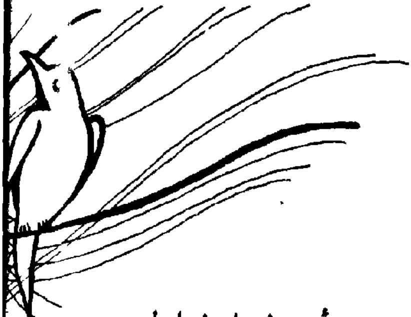

بين نهرين يمشن

شعر : أحمد فضل شبلول

هناكَ

على ساحةِ الروحِ
حطّتْ طيورُ الربيعِ ،
وَفَتَّتْ زهورُ البنفسجِ ،
ورفَّتْ بيَ العطرِ
[illegible] [illegible] صغيرٍ
[illegible] [illegible] رحيقِ الحرائقِ
[illegible] [illegible] ،
[illegible] [illegible] لمرِ الأحبةِ
ومضتْ [illegible] الصباحِ ،
[illegible] الطريقِ ،
[illegible] [illegible] خلفَ [illegible]
هناكَ
رأيتُ أبي
[illegible] [illegible] ،
[illegible] [illegible] الأغنياتِ ،
[illegible] [illegible]

رأيتُ أبي .
ولكنه لم يشاهدْ خطايَ إليهِ ،
وكانتْ تُباعِدُ بيني وبينَ حنانِ يديهِ
طيورُ الظنونِ ،
وزحمُ الصحاري ،
[illegible] ،
ولكنه [illegible] [illegible] الى [illegible]
رأيتُ [illegible] الجريحِ
[illegible] من [illegible] الظلمِ ،
[illegible] [illegible] الطريقِ
[illegible] السؤالِ
[illegible] المودةِ ،
[illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] الأرض [illegible] ؟
[illegible] [illegible] [illegible] ؟
رأيتُ أبي
[illegible]

مِنَ العودِ والريحِ والأسئلةِ ،
فأطْعَمْتُها مِنْ رحيقِ الشروقِ ،
وأسقيْتُها مِنْ مياهِ القلوبِ
التي كُنْتَ تسقى .
فَهَلْ أغضَبَتْكَ رياحُ الحصادِ ؟
وَهَلْ أسْلَمَتْكَ السواقي
إلى كُلِّ هذا الخصامِ ؟

رَأيْتُ أبي
لاينامُ
وفي كمِّهِ زهرةٌ مِنْ وئامٍ ،
فَنادَيْتُهُ ، ولكنه كان يمضي بعيدا
إلى نهرِهِ ،
والأغاني تَمتَدُّ قربَ المساءِ ،
فكنتُ أعودُ إلى شاطئي ،
لعلَّ المحارَ يجيءُ بوشوشةٍ
من عندِ أبي

قصة قصيرة
من أمريكا
اللاتينية *

اليوم الذي دفنا فيه السلاح

للكاتب الكولومبي : بلينيو . أ . ميندوثا *
ترجمة : محمد العشيري

قاتلنا أربع سنين ، نعم ياسيدى ، أربع سنين ونحن والعسكر نتبادل النار. ولولا الموتى ، ولولا الموت الذي كان يمر بين وقت وآخر لقلت كنا في حفلة كبرى . كنت أقول لرعاعي: تعودوا على الفكرة ، سوف تموتون ، إنكم ميتون ، لا تستغربوا عندما يسكتونكم برصاصة. في البداية كان عددنا قليلا ، وكنا نمشي حفاة ، وبأسلحة لاتكفي ، مسدسات وبنادق ، متسللين عبر طرق لايمر منها إلا أبناء الجن. بعيدا عن معامل السكر والممرات الرئيسية ، حيث كان الجيش. كنا نعلق « الاماكات » (1) في « نبابيت » المزارع المهجورة ، ونضطر إلى قطع رءوس الديوك ، وشنق كلاب الأرياف ، لكي لايفضحنا أي صوت. بعد ذلك نشطت الحفلة ، وأرسلت الحكومة جيوشا أخرى ووصلت إلى المكان المقصود. هذه محرقة المزارع وبعد دورة عام طويل لم نعد عشرات ، بل أصبحنا آلافا ، وكان السهل كله ، من « اراوكا » إلى « سان مارتين » يحرق الرعاع العسكر ولم تنفعهم كل وسائلهم ، ولم تفدهم الطائرات ولا القنابل .

يالتلك السنين ! مازلت أتذكر أوقات الفجر تلك وسط الثوار والقهوة المرة والنسيم وهو يهب على الغابات عندما تنطفيء النجوم الأخيرة. مازلت أتذكر النار والأحاديث في الليل ، من « اماكة » إلى « اماكة » حينما كانت تشتد المطاردة كنا نزداد أخوة ، ويزداد صدقنا ونحن ننادي بعضنا بعضا « كاماريطا ». لم أعرف لماذا بدأنا نسمي بعضنا بعضا هكذا « كاماريطا » مع السلامة ، « كاماريطا » ماذا جرى ؟ « كاماريطا » كان ذلك يكفي. ياله من زمن ! كانت الثورة في متناولنا. وقد أخذوها منا ، واستبدلوا بها انقلابا عسكريا ، رعاع ، مساكين

---

* عن كتاب DIEZ NARRADORES COLOMBIENOS EDITORIAL BRUGURA, BARCELONA, 1977
الصفحات من ٩٣ الى ٩٩

* بلينيو ابوليبيو ميندوثا اديب وصحافي ولد في تونخا بكولومبيا عام ١٩٣٢ من اعماله الحائط (قصص ١٩٧٤) ، وسنوات مرار (رواية ١٩٧٩)

(1) اماكة / سرير يعلق

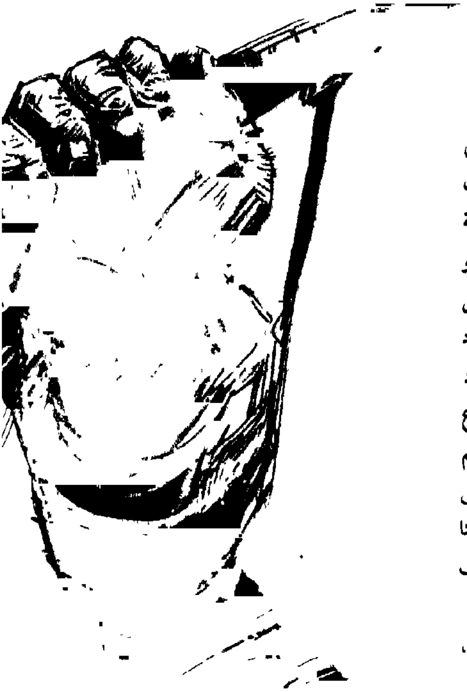

أتذكر اليوم الذي دفنا فيه السلاح ، وكأنه أمس كانت الطائرات في النهار السابق قد رمت على المعسكر رزم جرائد ، وطوفان منشورات بدل القنابل كانت الجرائد تتكلم عن نهاية «الدكتاتورية» ، وعن السلم ، وعن العفو الشامل ، وعن الاستسلام السلمي للثوار في السهل كله ، ولم يكن ذلك كذبا ، كانت هناك صور «غواد الوبي» .«وألوماو»«والأخوين غاليندو» ، «والأسود ميغيل سواريث»في طليعة أرتالهم المكونة من الرعاع المصطفة اصطفافا جيدا ، وهم يسلمون سلاحهم للجيش سلم عفو كلمتان وسقطوا كلهم على وجوههم ماذا كان باستطاعتنا نحن أن نفعل ؟ كنا «كوماندو» الثوار الذين يقومون بعملياته في أقرب رقعة من الحدود ، كنا «الكوماندو» الأبعد الأخير اعتقدنا لحظة أننا نستطيع مواصلة القتال ، ولكن ،

لا ، لوكنا فعلنا ذلك لسحقونا   رأينا ذلك بوضوح لما وصل ناقلو الأخبار وهم يحكون بأن الحو في المدن والقرى جو عيد ، فالرايات في كل مكان ، والنشيد الوطني ، والناس يبدلون بسلاحهم أكياس ملح وسكر ، أحيانا أقل من دلك ، وأحيانا يسلمون أسلحتهم مقابل خطاب أو بويقة رهور تسلمها لهم طفلة من أطفال مدرسة   لهذا قررنا نحن إنهاء الحفلة بطريقة أحرى ، قررنا أن ندفن السلاح ، ونتفرق نهائيا   أتذكر أننا بكرنا لنجمع « الأماكات » والمتاع قبل أن نسرج البهائم   لقد أمرت بأن تسقط أعواد النار ، وأن يلقى التراب على الرماد ، وأن لايبقى أي أثر للمعسكر   ولما جاء وقت تفرقنا ناديت رحالي ، كنت أراهم ساكتين حشنين   لقد عشنا معا وقتا طويلا في نفس النزهة

كثيرون كانوا قد وصلوا إلى السهل منذ البداية قبل أربع سنين ، وقصدهم أن يملتوا بجلودهم جائعين ، حائفين ، عامرين بالقمل   ولكي يعيشوا اضطروا إلى أن يكونوا اذكياء ياسيد ، فالذي لايصير ذكيا يموت   وتعلموا أن يتحركوا في جماعات عبر السهل كله ، وتعلموا أن يمكثوا يوما هنا ويوما هناك ، وأن يتسللوا عبر الغابات مثل الهنود ، وأن ينصبوا فخاخا ليصيدوا العسكر كما تصاد الأيائل

أما الآن   فقد رأوني أخرج إليهم بهذه الحكاية الحزينة ، فلقد انتهت الحملة ، وليتركوا السلاح ، وليرجع كل واحد إلى طريق بلا رفيق إلا حصانه وملابسه   كانوا على حق في تملصهم لكي لا ينسوا بسرعة ماتعودوا عليه   وقررت أن أبلغهم بأوامري الأخيرة بمثابة وداع   اخلعوا كل شيء عسكري ، لاأريد جودا ، ولا قلانس ، ولا مناديل حمراء في الأعناق ، ولا أريد أقنعة

ولم يعجبهم أن آمر بونطيريبا - وهو نائبي - بجمع السلاح،كانوا يتبادلون النظرات بقلق، وتجرأ أحدهم وسألني متكلما عن الجميع   ماذا تنوي أ تفعل بالأسلحة ؟ ، وهنا أحسست أنهم عصو بالسؤال الذي كان يخرج من عيونهم

قلت لهم سأدفنها

فسألوني   أين ؟

قلت   في مكان مأمون   لنقل إنه سر عسكري

وقال بونطيريبا   سيكون كنزاً للرعاع وواصل جمع البنادق،وضعها على قطعة قماش مشمع   ولم يضحك أحد ، بل استمروا في تبادل النظرات وكل واحد منهم يلمح شكوكا في وجه الآخر

قلت لهم   نعم ، إنه كنز للرعاع ، ولن يمر وقت طويل قبل أن ترجع الاسلحة إلى أيدينا فالأمر الذي يجري الآن ما هو غير استراحة

قال أحدهم   لكن السهل كبير « ياكولونيل »

قلت   مهما كان كبيرا ، لا يمكن أن تنطلق طلقة في اراوكا الا تسمع في سان مارتين   ولن يكون السهل كبيرا إذا قرروا أن يخدونا

وخيم صمت سمعنا أثناءه في مكان ما قرب النهر صياح طيور « عوتشاراكه »(٢)

ولأضع حدا لذاك الحوار قلت - على طريقة الثوار بلا وداع -   هيا   وأخذوا ينسحبون من الدائرة ، ويحملون الاكياس على اكتافهم كرها ، وببطء ، كأن الأمر يؤلمهم   وهكذا انتهى كل شيء

ساعدني بونطيريبا على حمل الأسلحة إلى ضفة النهر   لقد كان من الرعاع الجيدين ، كان صغيرا وداهية مثل قط وفيه شيء آخر يذكرني بالقط كذلك ، وهو عيناه الصفراوان اللتان لا تكادان تظهران تحت « صمبريرته » اللبدية   كان الأخير والوحيد الذي بقي حيا من أربعة إخوة نزلوا من الجبال إلى السهل عندما وصلت الشرطة إلى بوياكا مدمرة قرى ومدناً ليبرالية

كان يقول لي   لا أحد يريد أن يرجع إلى المزارع

---

(٢) عوتشاراكة / طائر أميركي

و مري ليحيي رأسه للنير ، يتفرقون وهم لايعرفون إلى أين ان الأدغال تحدث بونطيريبا الآن ، بعد أن انتهت الحرب ، وهو يريد الذهاب إلى بيتشادا وحتى أنا لم أكن أعرف بالتحديد إلى أين سأذهب ، لأستقر ، وأستريح

قلت له ربما أذهب إلى فنزويلا ، ففنزويلا موجودة هناك ، قريبة ، في الضفة الأخرى للنهر

كان الزورق مهيأ ، ومحركه مركبا عليه ، ومقدمته على الرمال وكان مانولو ماندوبال ينتظرنا سطل وثلاثة « مرافش » وكيس جير كان كل شيء معدا للدفن عندما جئنا ببقية الأسلحة ، وبدأ بالعد عشر بنادق و F.A ، ورشاش طومسون ، وضعناها في قعر الزورق ملفوفة في قماش مشمع

بعد أن انحدرنا مع النهر وجدنا بقعة ، بدت لنا مناسبة مازلت أستطيع أن أميزها بفضل التينة الكبيرة التي ترتفع في تل فوق الأوراق الساقطة للضفة ، قبالة التينة ، في الشاطيء المقابل يوجد جرف أصفر فحصت « الخدامة » بعناية ، وبعد ذلك اضطررنا إلى فتح طريق لنصل إلى أسفل الشجرة أخذ بونطيريبا ، بعد أن أخذ حفنة تراب وفحصها ، وقال لنا هو تراب يابس وبعيد بعدا كافيا عن مستوى الماء ولم يكن هناك خطر فيضانات كان مانولو قد بقي ينصت إلى صياح طائر « العواكا مايوات »[3] في الغابة ثم قال « هذا مكان مسحور »

حفرنا على بعد خمس خطوات من التينة ، حتى نبعد الحفرة من عروقها ، وعملنا مدة ساعة أولا نظفنا الأرض بساطور ، ثم أخذنا نحفر على طريقة حفاري القبور ، نغرز « المرافش » بمساعدة ضغط لأحذية ، لأن الأرض قد صلبها الصيف على ما دو ، حتى صار عمق الحفرة مترا ونصف متر ، ندئذ أدخلنا فيها السطل الذي كان قد أعد بمادة البينداري ، وصببنا الجير داخله ، ثم وضعنا فيه الأسلحة أخيرا سددنا السطل بعناية ، وغطيناه بأربعين سنتيمترا من التراب المدكوك جيدا

لما أنهينا العمل ، كان يوجد أكثر من شبرين من الشمس خارج السهل أتذكر أن مونولو قال لي وهو يمسح صدره من العرق بنفس قميصه الذي كان قد علقه في غصن شجرة « كولونيل ، هذا هو وقت تأدية صلاة ربانية على هذه الثورة التي لفظت آخر أنفاسها الآن لم يكن مانولو يكف عن السخرية قط كان طفل ثراء « ولد عائلة » ، انضم إلى الثوار مدفوعا « بشيطنته » عندما احتللنا مزرعة المحور بيكطوريا امايا « عمته » ، كان قد تخاصم هو وخطيبته ، أظن ذلك ، وكان يكتب شعرا إن وجوده بين الثوار كان بالنسبة إليه حفلة لهو عظيمة ، ومن أجل أن تستمر الحفلة ذهب معي إلى فنزويلا

مشى بنا الزورق النهار كله يخيل إلي أني مازلت أرى أجراف الضفة ، ولمعان الشمس في مياه النهر كان الفصل صيفا ، وعشب السهل كان أصفر ، وكنا أحيانا نلتقي مراكب صاعدة « الميطا » بحملها المعتاد من الملح وبراميل البنزين ، وكان البحارة يحيوننا عند مرورهم نمت بعد أن جعلني صوت المحرك في دوامة أتذكر أني حلمت حلما غريبا ، حلمت أن رجالي قد قبض عليهم الجيش ، وأنهم ذاهبون في مركب وأيديهم مربوطة وراءهم ، وعند مرورهم قرب الزورق يشكون قائلين لي كولونيل ، يعطوننا طاسات نبيذ ، ثم يكسرون عظامنا »

ولما أفقت كانت الضفاف قد ابتعدت والشمس في جهة « كولومبيا » كانت حمراء تبدو كأنها حريق ، وفي جهة فنزويلا كانت توجد صخور هائلة ، مشتعلة كالجمر ، وكان التيار يصطدم بها رافعا أمواجا ، وكانت تهب ريح قوية جدا ، ومن خلال

---

[3] عواكامايو / طائر أمريكي يشبه الببغاء

الرائحة أدركت أننا قد وصلنا إلى « الاورينوكو » وأكد لي ذلك بونطيريبا صارخا وهو جالس خلف مقبض المحرك ، وتحدث مانولو وهو ينظر إلى سرب من الببغاوات يطير نحو الضفة الكولومبية وقال لي ودع أهل بلدك أخيرا لمحنا أضواء المصانع الكهربائية لمرسى بابيث ، في الضفة الفنزويلية ، لامعة بين صخور وأسقف زنك كانت أكبر مدينة رأيتها منذ أن بدأت الحرب ، وفكرت أن في إمكاني أن أنعم لأول مرة بعد زمن طويل بحمام ساخن ، وآكل ثلاث مرات في اليوم وأشرب كأس ماء مثلج هذه الأشياء تجري للانسان لما يجيء من الأرياف بعد زمن طويل هنالك

رسونا على رصيف رملي ، على بعد مائة متر من الديار الأولى ، ورفض بونطيريبا أن يبقى معنا في فنزويلا ، وتركنا على الرمال ، واتجه نحو الضفة الأخرى ، مازلت أرى قميصه الأبيض « وصمبريرته » اللبدية وهو يبتعد في ظلمة النهر أظن أنه لم يصل قط إلى بيتشادا ، لقد قتلوه في بار في بيبا بيثينثيو بطلقة رصاص ، كما قتلوا غوادالوبي ، والأسود سواريث ، كلهم قد قتلهم الجيش واحدا واحدا ، ما أسهل أن تكسر غصنا منفردا ، لكن الذين انتبهوا إلى الخدعة رجعوا إلى الأرياف ، واضطروا إلى البقاء دائما تحت لافتة قطاع الطرق ، وماتوا بتلك اللافتة على قبورهم كذلك ، لكن تلك قصة أخرى

بقيت أنا في فنزويلا ، ورجع مانولو الذي لم يكن رجل مناف إلى داره وحل محل أبيه بعد موته ، وهو اليوم مربي ماشية غني ، ذو جسم غليظ ، وله ولد ، المدرسة الحربية ، التي لا أثر فيها للرعاع الذين كان هو واحدا منهم أما أنا فقد انصرمت أعوامي دون أن أعرف متى فعلت ذلك ، لقد مارست كل الأعمال ، عملت في كاراكاس في بويرطو كابيو ، وفتشت عن الماس في غوايانا أيضا

أحيانا وأنا أعمل في بار أو في محطة بنزين ، أو أسوق شاحنة كنت ألتقي أحد الرعاع القدامى ، أحد رعاعي ، فنشرب جعة ونحن نتحدث عن الثورة ، ونشرب نخب الأخرى الآتية ، ولكن لا ، اليوم أرى هذا العدد الهائل من الفتيان يتكلمون عن فيديل ، وعن التشي ، ورغبة في إعلان الثورة ، والاسراع إلى الأرياف أدرك أن الأوان قد فات بالنسبة لنا ، لانستطيع أن نفعل شيئا ، فالقطار قد تركنا ، وهو الآن يصفر بعيدا ، أنظر شعري ولقد صار رماديا ، وبطني غلظ ، وفي الشهر الفائت اضطررت إلى شراء نظارة لأقرأ الجريدة ، وهأنا هنا في هذه المدينة أبيع المشروبات الروحية كأي حارس خمور في الليل ، ولما تشتد الحرارة ، ويصعب النوم في الغرفة أخرج الكرسي إلى الشارع ، وتمر بذهني أشياء كثيرة ، وأسأل نفسي أحيانا عجبا ياإيميليو جانطوس ، ماذا جرى لك ؟ متى انقلبت أعوامك أفواجا من يديك ؟ منذ أيام الحرب لم يبق حيا حياة حقيقية سوى ذكرى اليوم الذي دفنا فيه السلاح والأسوأ هو أن الأسلحة مازالت موجودة هنالك تنتظرنا تحت التينة الكبيرة ، أتمنى أن ألتقي الفتيان الذين لدغهم اليوم الزنبور نفسه الذي لدغني وأتمنى أن أقودهم إلى ذلك المكان البعيد ، إلى نهر ميطا ، حيث تركنا الكنز مدفونا قبل سنين عديدة عشر بنادق و F . A . ، ورشاش طومبسون ، ستكون مفيدة جدا كبداية ، وأتمنى أن أقول لهم خذوا يا أولاد ، واتبعونا ، فالآن الحفلة حفلتكم □

مواقف إنسانية

المعلم «لوب»

بقلم : الدكتور عبد الوهاب حومد

كل الذين كانوا طلابا في جامعة « السوربون » بباريس أثناء الحرب العالمية الثانية ، يعرفون المعلم « لوب » ، فقد كـان معسكرا بخيله ورجله ، بـين مريديـه وأنصاره من طـلاب الحقوق ، نـظرا لأنهم أوثق صلة « بالسيـاسة الدولية » من طلاب الكليات الأخرى .

فما الذي كان يقوله ويهحس به ؟

كان ينقل « مقر قيادته » من مقهى الى مقهى في الحي الخامس « اللاتيني » ، يجالس هذه حلقة من الفرنسيين ، حتى اذا اطمأن الى بيعتهم نتقل الى حلقة من الأوروبيين ، يحاورهم في وحدة روبـا ، لكنه لم يكن يغمط « الحلقة العربيـة » تفوقها أيضا ، فقد كانت محببة الى قلبه ، أثيرة في نسه ، كما كان هو محببا الى قلوبنا أثيرا في نفوسنا قد كنا جيران أوروبا ـ في نـظره ـ ولا محيص عن سج خيوط للتعاون معنا ،

وكنا نحترم أسلوبـه السياسي ، لاعتـرافـه بنـا أمـة ، واحدة مـوحـدة ، ذات حضـارة تليـدة ، بسبب من ثقافته الفلسفية كان شديد التعلق بابن لدون ، ومقدمته التي كـان ينعتها بـأنها أروع ما نجته عبقرية بشر على مر الأزمان .

علمنا

كان المعلم يطرق أبواب السبعينيات من عمره ، نع اللون ، مربوع القامة ، وكان يقص شاربه على طريقة هتلر الذي كان يحتل آنذاك جميع أوروبا تقريبا وبعض أجزاء من افريقيـة ، وكان من المعقـول أن تعلل ضآلة جسمه بثقل السنين على كـاهله ، أو بما تعد به بطاقات الإعاشة الرسمية من أمان نحلم بها شهـرا بـأيـامـه الثـلاثـين ، حتى اذا حـان مـوعـد « القطاف » حصلنا على قبضة من هواء ، نغالب بها حاجات جسد ، تألف النحول فألفه

كـان « معلمنـا » لايملك الا بـدلتـين اثنتـين ، احداهما رمادية للفصول الدائفة ، وأخرى سـوداء يجملها بقبعة « برنيطة » من لونها مستديرة الشكل ، للفصـول المطرة . . تـوقيـا مما ينهمر من السـماء السخية

وأحلى ما كان يحببه الى قلوبنـا تلك الأمواج من الطيبة والسـذاجة ، تنطلق من عينيه الغائمتين عبـر عدستين سميكتين ، يدل لون إطارهما الكالح على أنهما تعودان في عمرهما المديد الى اليوم الذي بدأ فيه تدريس الفلسفة في احدى ثانويات باريس الكبرى ،

وكان هذا في تلك الأيام منصبا مرموقا ، لا يظفر به الا من نال شهادة عليا ، وتفوق على أقرانه من المتبارين الكثيرين

الكفاح السياسي

وحين صدر القرار بإحالته على التقاعد رفض أن يصبح «مُتْ قاعداً» ، وباشر « كفاحه السياسي » ، وكان يحب تعبير « الكفاح السياسي » ، تأثرا بكتاب هتلر يحمل هذه التسمية ، كان يتخذه برنامجا لعمله المشئوم الذي أغرق به أوروبافي مستنقع من الدماء والدمار ، ثم انقلب عليه وعلى موطنه ، كما ينقلب السحر على الساحر ، غير أن كفاح المعلم كان نضالا « كلاميا » ، منطلقا من مشاعر الحب والرحمة

وكان يحققه في ذاته وفي أنصاره بجولة أسبوعية ، يتحرك فيها موكبه من تقاطع « سان ميشيل » مع « سان جيرمان » ، مارا بالمقاهي التي يتردد عليها طلاب الحقوق ، حتى اذا ما وصل الى المنعطف الذي ينتصب فيه صرح « البانتيون » وقف وقفة الجنرال غورو على قبر صلاح الدين ، وحوله يتحلق أنصاره الذين لا يزيدون عن عشرة الا نادرا ، ولم يبلغوا عشرين وولى وجهه قبل البناء الرائع ، حيث تتجاور رفات عظماء فرنسا في قبورهم

هناك يحلو له أن يشرح مبادئه وسط هتاف وتصفيق حاديين ، يدفعان الدم من أطراف جسده البارد الى وجنتيه المتغضنتين ، فتستعيدان لونهما الذي كان لهما يوم اقترن بالسيدة « لوب » يبدو أن فكرة غامضة مستقرة في « لاشعوره » ـ كما يحلو لفرويد أن يقول ـ توسوس له بأن مرقده الأخير ، حين تنطفىء شعلة حياته المؤثرة ، سوف يكون الى جوار أقرانه من عظماء العلم والسياسة تحت تلك القبة الشامخة

ليس غريبا أن تكون أشد المؤمنين تعصبا له زوجته الصارمة ، فلم يحدث قط أن تخلفت عن مسيرة من مسيراته « التاريخية » ، وكان كل من ينظر اليه وهو يترقب مباركتها على أقواله بلهفة ، يشعر بدالتها الكبرى عليه ، ويقتنع بأنهما تقاسما قسمة رصانيـ (أي بطريق المهايأة كما يعبر رجال القانون) هو تستقل بإدارة شئون الأسرة بمالها وما عليها ، والمعلم نفسه أحد هذه الشئون ، وهو يستقل بتدبير أمور الكون ويخطط السياسة العليا لمستقبل وطنه والدول الأوروبية في انطلاقتها الى وحدتها التي يراها دانية القطوف في يوم قريب

وكانت مبادىء هذه السياسة العليا راسخة ، لم يطرأ عليها تعديل أو تحوير ، خلال السنوات السبع العجاف التي « تتلمذنا » خلالها على صاحبها ، فقد كان يعلنها على الدنيا قبل أن يتبناها رئيس الوزراء « بيير لافال » ، لتقوده الى ساحة الاعدام يوم تحررت بلاده ، وقد ظل وفيا لها بعد أن التفت الفيالق الألمانية حول خط « ماجينو » الشهير ، تاركة وراءها قلاعه الفولاذية تلفظ أنفاسها صبرا ، دون أن تتاح لها مناسبة لاطلاق قذيفة واحدة على الغازي المستميت

لقد استمر يبشر بها بعد أن أصبح بلده منطقتين ، محتلة يعيش هو فيها ، وحرة تتمتع بحريتها كما يتمتع العصفور بحرية القفص ، ولم يبدل شيئا من فلسفته ، حين انسحبت القوات الالمانية من باريس انسحابها الهادىء المعروف ، حتى لا تتأذى معالمها الحضارية ، وكان في استطاعتها أن تتركها أثرا بعد عين

بقيت العقيدة « اللوبية » منتصبة كالطود ، لا تميل حيث يميل متخطفو الغنائم ، ولا تنحني كما ينحني القصب تحت ضغط الأعاصير سلام بين الأمم الأوروبية لا تتصافح فيه باليمنى ، لتستطيع اليسرى الطعن بخنجرها في الظهر في لحظة غدر ، وتعاون وثيق في الاقتصاد وفي الثقافة لتنشئة أجيال تحسن التفاهم على يومها وشئون غدها ، ثم إقامة اتحاد ، ليس كذلك الاتحاد الذي حاوله نابليون ففشل فيه ، ولا هو اتحاد بسمارك أو هتلر ، إنما هو اتحاد المصالح والمصير المشترك الذي يدير شئونه مجلس رئاسي واحد ، ويكون الى جانبه مجلس تمثيلي

أعإ ، تذوب فيه القوميات (وهي فعلا قوميات) ، ونمر فيه الخلافات اللاهوتية ، وتنطفىء فيه ألسنة لهيب الحروب التي ظلت مستعرة قرونا وأجيالا دون جدوى

موقفه منا

وللأمانة التاريخية فقد ظل المعلم وفيا « لأصدقائه العرب » وفي إحدى المسيرات استبد به حماس مذهل ، فأقطعنا مالم نكن نحلم به ، قال لنا يا جيراننا العرب ، أنتم أبناء أمة مجيدة واحدة خالدة ، لقد حفظتم المدنية الاغريقية ، وتوجتموها بمدنيتكم المشرقة ، فمن حقكم أن تتحرروا ، وتقيموا وحدتكم قبالتنا على الشاطىء الآخر من البحر المتوسط بيننا ، فنحن وأنتم أبناء هذا البحر الحنون ، هو أبونا الذي يحمينا ، وهو أمنا التي ترضعنا ، وليس العداء الصليبي الذي سفك دماءكم ودماءنا إلا من فعل الكواسر التي تعيش على الفتك ، تحت راية تحمل زورا وبهتانا شعار القبر المقدس

ويكاد المرء أن يصاب بالدهشة حين يتذكر أن هذه « الفلسفة » كانت تقال في الأربعينيات من هذا القرن ، ففي تلك الأوقات كانت جميع الاقطار العربية على ضفاف المتوسط تتلوى تحت سنابك خيل المستعمرين ، وكان أسهل على عربي مشرقي أن يرقى أسباب السماء بسلم ، من الحصول على تأشيرة دخول الى بلد عربي مغربي ، من قنصلية فرنسية ، أو ايطالية

وعلى الرغم من الأجواء الجادة لمسيرات المعلم فلم تكن تخلو من مناسبات حلوة،فقد اعلن في جنبات ا ـي عن لقاء ، يتم في مقهى أنيق بين المعلم وبين ـلي عهد اسبانيا » ، يوم لم يكن للاسبان ملك ولا ـ عهد ، وكان كتاب الاعتماد الذي يحمله الأمير رعوم رقا من جلد غزال أصلي ، يحمل كتابة حيحة بأحرف لاتينية ، وخاتم الملك ومباركة من ـ بابا » . بلع المعلم المقلب اللطيف ، فأعد خطابا ترحيبيا رائعا

شروط الزعماء

وفي الوقت المحدد هلت طلعته في مقدمة موكبه ، وكانت « المعلمة » ممسكة بذراعه ، والانفعال اخذ منها كل ماخذ ، وحين أقبل الأمير وعلى ذراعه ذراع « الانفانت » شقيقته الشابة الأنيقة ـ وقف الجمهور تحية واحتراما ، واستمع الى النشيدين الفرنسي والاسباني ، ثم خطا « الزعيمان » ، كل في اتجاه الآخر ، وتصافحا ، وعلى الفور أخرج المضيف الفرنسي من جيبه خطابه الترحيبي ، وتلاه في قلق واضطراب شديدين ، وقد ضمنه موجز « بيانه السياسي » ، ووقف ينتظر موافقة الضيف المفاوض على انهاء الحرب ونشر اعلام السلام ، ولم يخيب الضيف آمال المعلم ، فأعلن عن موافقته ، باسم ملوك أوروبا ورؤسائها على نظريات المضيف ، دون تحفظ ، الا أنه اشترط لاتمام المعاهدة أن يوافق « لوب » على زواجه من الأميرة أخته ، لكي يجد بيته مبررا شرعيا لدعم « الصهر » الى منصب رئاسة الدولة المنتظرة وخيم على المقهى جو ترقب ، بلغت فيه القلوب الحناجر ، ولم يتأخر الجواب ، فقد أفصح المعلم عن قراره في هذا الشرط بصوت متهدج ، بأنه لشرف عظيم له أن يصاهر بيتا ملكيا عريقا ، من أجل غاية سامية ، هي إرساء دعائم الوحدة الأوروبية ، لكني يا مولاي ، وقد عشت مع مدام « لوب » نصف قرن من الزمان ، قاسمتني خلاله العزاء أكثر مما ذاقت السراء ، فإني لا أجد من الوفاء أو الشهامة أن أتخلى عنها ، وأرجو أن تعملوا على إسقاط هذا « الشرط » وكان موقفا إنسانيا لاينسى فعلا .

وعبرت مدام « لوب » عن شعورها بالعرفان لزوجها بالقاء نفسها على صدره ودمعها ينساب بين تجاعيد وجهها ، وكذلك لم يفتل الجزع « الأميرة »

بسبب رفض المعلم الاقتران بها على أنقاض السيدة المتسلطة ، فتخلت عن وقارها وراحت تصفق مع المصفقين

مصير النبوءات

واليوم ، وبعد خمس وأربعين سنة ، تعود هذه الذكرى إلى نفسي ، فقد وقعت في يدي صورة للمعلم ، غير مرور الزمان ألوانها ، فرحت أتمعن في صروف الدهر ، وفي أحلام الحالمين من أصحاب « الرسالات » لقد جرت مياه كثيرة تحت الجسور ، وانقذفت في البحار

وتغيرت حال أوروبا وأكثر بقاع العالم ـ وتغيرت حالنا نحن أيضا ، فقد تحققت نبوءة « لوب » ، هذا الحالم « السيكوباتي » العاقل المجنون ، فيما يخص الجانب الأوروبي ، فقامت وحدة بين الدول الأوروبية ، حقيقة لامجازا ولاتأويلا ، فأصبح لها مجلس نواب منتخب ، وزالت بينها الحواجز الاقتصادية والحدود القديمة التي كانت تمز على عقبان الجو ، وتداعت الاعتبارات الادارية والجمركية ، وأصبح الأوروبي يتنقل بين دول « الجماعة الأوروبية » ، بأسهل مما ننتقل نحن بين بيوتنا ومق أعمالنا ، وكل ذي عينين بصيرتين يرى تشكل ق عالمية ثالثة ، تستطيع بثرائها وتقدمها التق وحضارتها ، وعدد سكانها ، أن تقف ندا مهابا ب الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي لكن نبوءة المعلم خابت فينا ، فقد ظفرت بلادنا باستقلال سياسي ـ وتلك نعمة عظمى ـ لكن الزمن عادانا ، أو عادينا أنفسنا على الأصح ، واستهوانا أن يكون لكل منا نشيد وشعار وعلم ، ولم نعد نتذكر تلك اليتيمة التي كانت تدعى ذات يوم بالوحدة العربية ، إلا في مناسبات جنائزية ، وتشرذمنا ، وتنابزنا بالألقاب ، حتى تخطفتنا بواشق الليل ، وطمع فينا من لا يستطيع أن يدفع عن نفسه ، وفي كل صباح نشهد تجذرا أشد عنادا للاقليمية ، حتى صح فينا قول الشاعر القديم

ونفرقوا شيعا فكل قبيلة
فيها أمير المؤمنين ومنبر

ومن وراء حجب الغيب أستمطر شآبيب رحمة الله على روح ذلك المعلم « الخالد » الذي أحسن ظنه فينا ، فأثبتنا له أننا لسنا على مستوى مبادئه ، وكان حريا بنا أن نتجاوزهارعا لأنه كان معتوها ، ونحن عقلاء □

●

علامات المتقين

● يصف الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه المتقين بقوله فمن علامة أحدهم أنك ترى له قوة في دين ، وحزما في لين ، وإيمانا في يقين ، وطلبا في حلال ، ونشاطا في هدى ، وتحرجا في طمع ، قرة عينه فيما لا يزول ، وزهادته فيما لا يبقى ، الخير منه مأمول ، والشر منه مأمون ، يعفو عمن ظلمه ، ويعطي من حرمه ، ويصل من قطعه ، بعيدا فحشه ، غائبا منكره ، حاضرا معروفه ، مقبلا خيره ، مدبرا شره ، في الزلازل وقور ، وفي المكاره صبور ، وفي الرخاء شكور ، لا يحيف على من يبغض ، ولا يأثم فيمن يحب ، يعترف بالحق قبل أن يشهد عليه ، ولا ينابز بالألقاب ، ولا يضار بالجار ، ولا يشمت بالمصائب ، ولا يدخل في الباطل ، ولا يخرج من الحق ، ليس تباعده بكبر وعظمة ، ولا دنوه بمكر وخدعة

الجديد في العلم والطب

اعداد : يوسف زعبلاوي

آلام الحمل والوضع ، وعلاجها بإفرازاتها

من المعروف أن الآلام التي ترافق الحمل والوضع يتعذر على الرجال تقديرها ، ومن المعروف أيضا أن العلاج الذي يستطيع أن يسكن تلك الآلام كان ومازال موضع بحث علمي متواصل في عدة جهات

الظاهر أن مركز علم الصحة في جامعة نيويورك في بروكلين قد اهتدى إلى العلاج المطلوب ، بل قل عثر عليه ، والغريب أنه وحده مقترنا بالآلام التي يراد تسكينها ، مصداقا لقول الشاعر « وداوني بالتي كانت هي الداء »

ذلك أن الحمل يكون مصحوبا بإفرازات داخلية مسكنة للآلام كالمورفين ، يفرزها العمود الفقري في جسم الحامل بصورة طبيعية ، وذلك من أجل الحد من الآلام التي تنتاب الحامل ، لاسيما عند الوضع ، والغريب أن الافرازات المذكورة تتزايد في فترة الحمل ، أسبوعا بعد أسبوع ، حتى تبلغ أقصاها حين الولادة، وقد دلت التجارب على أن فاعلية الافرازات ، من حيث وقف الألم ، تتراوح بين ٣٠ ـ ٥٠ ٪

يقول البروفسور حنترز أحد المشرفين على التجارب والدراسات التي أجراها مركز نيويورك السالف الذكر « نستطيع الآن تحديد التركيب الكيماوي للافرازات ، ونستطيع تصنيعها ، وإنتاج بديل كيماوي لها ، كما نستطيع تحديد موقع تلك الافرازات من العمود الفقري »

ولايخفى أن فاعلية المستحضر المرتقب لن تقتصر على حالات الحمل والولادة ، فهو فعال للقضاء على الآلام التي يتعرض لها الانسان هذا على الأقل هو مايؤكده المشرفون على تطوير المستحضر

* * *

للروبوط عيون ترى

● يبدو أن طغيان الرجل الآلي على الرجل البشري آت لا محالة ! فمازال العلماء يتسابقون في تدارك النواقص (الانسانية) في الروبوط حتى استكملوا صنع روبوط يسمع ، وآخر يشم ، وثالث يرى بعينين ، ورابع يجمع بين الحواس الخمس جميعا وكأنه من أبناء آدم !!

وحسبنا الوقوف قليلا عند الروبوط الذي طورته مؤخرا جامعة جينزفيل في فلوريدا ، لندرك مدى التقدم الذي أحرزه العلم في هذا المجال ، ولكي

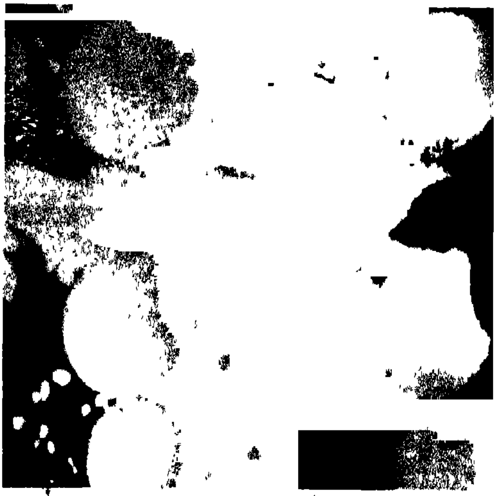

كادت الصورتان أن تكونا متطابقتين [illegible]
العيون البشرية والثانية تمثل [illegible]

يلتقي بهذا الروبوط فعليك الذهاب الى إحدى مزارع البرتقال (البيارات) في فلوريدا لا الى مختبرات الجامعة المذكورة ، ولو تجولنا في مزرعة البرتقال المعنية لوجدنا رجلا آليا ذا عشر أذرع ، وقد جهز ذراعه هذا بمصباح وآلة تصوير الكترونية ، ويمتد هذا الذراع داخل الشجرة وبين أغصانها ، فيرسل الصورة الى أجهزة الحاسوب « الكمبيوتر » في الروبوط ، وفي لحظات تمتد أذرع الروبوط الأخرى فتلتقط البرتقالات الناضجة ولا تلمس البرتقالات غير الناضجة والحاسوب « الكمبيوتر » هو الذي يحدد الثمار الناضجة من غير الناضجة ، ثم يترك التمييز بين هذه وتلك عمليا لأعين الروبوط المبصرة ، إذ أن له عيونا تبصر كعيون الانسان ، كما تدل على ذلك الصورتان المرافقتان لهذا الكلام ، واحداهما تمثل أربع برتقالات كما تراها عين الانسان والأخرى تمثلها حسبما تراها عين الروبوط ، ويواصل الرجل الآلي قطف البرتقال بسرعة (٥٠) برتقالة في الدقيقة الواحدة حتى يفرغ من عمله

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

انجاز هام لطبيب روسي

يظن البعض أن المنجزات الطبية الحديثة تكاد تكون وقفا على الولايات المتحدة الأمريكية ، وهذا غير صحيح

فالكثير من هذه المنجزات يتم احرازه في اليابان وفي دول أوروبا الغربية والشرقية ، وبخاصة الاتحاد السوفياتي

ففي موسكو عدة أكاديميات منها أكاديمية العلوم الطبية التي تشمل مركزا لأبحاث السرطان يتولى ادارته الدكتور فلاديمير ميتين ، وقد ركز أبحاثه في المدة الأخيرة على سرطان العظام **Osteosarcome** وهو ورم عظمي لحمي يصيب الحيوان فضلا عن الانسان ، وسعى الى تطوير أسلوب لعلاج هذا المرض الذي يودي بحياة الكثير من الناس نظرا لسرعة انتشار خلاياه وبدأ الدكتور فلاديمير أبحاثه وتجاربه على الكلاب ، حتى اذا أصاب من النجاح ما أصاب انصرف عن الحيوان واتجه الى اجراء تجاربه على الانسان

وكان الأسلوب العلاجي الذي جربه العالم الطبيب الروسي هو أسلوب البتر بتر الساق المصابة بالسرطان ،

وما أسرع ما أثبت هذا الاسلوب فشله فقد عاد السرطان الى الظهور والانتشار في أعضاء أخرى من الجسم ، وذلك في أكثر الحالات إن لم نقل كلها

وجرب بعد ذلك العقاقير ، ولكن هذه لم تقض على السرطان نهائيا الا نادرا علما بأنها كبحت انتشاره ، وحدت من حجمه في بعض الأحيان ، فالعقاقير لاتقضي على خلايا السرطان بالذات ولا تقضي عليها كلها ، بل تواصل الأورام انتشارها بعد العلاج ، وبسرعة تفوق أحيانا سرعتها قبل العلاج

وعمد الدكتور فلاديمير بعد ذلك الى معالجة الكلاب بأسلوبه العلاجي الجديد الذي يجمع فيه بين الجراحة والزرع والعلاج بالأشعة ، فقد انتزع العظمة السرطانية من ساق الكلب المريض ، فعمل على تبريد هذه العظمة وتجليدها ، ثم عرضها للأشعة بجرعات محددة ، فصمم بذلك قتل الخلايا السرطانية في العظمة دون قتل نشاطها الحيوي

وأقدم الطبيب الجراح بعد ذلك على زرع النخاع **Marrow** في تلك العظمة وذلك بقصد تعزيز مناعة جسم الحيوان ، ثم أعاد العظمة الى مكانها في ساق الكلب الذي شفي تماما من سرطان العظام الذي طالما عانى منه

ومما يذكر أن اصابة هذا الكلب كانت اصابة طبيعية لم يكن للدكتور فلاديمير أي دخل في احداثها ، فالكلاب معرضة للاصابات بالسرطان كالانسان ولا يحول دون ظهور تلك الأورام دائما الا قصر عمر الكلاب ، فهي غالبا ما تموت قبل استفحال تلك الأورام

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

علاج ناجع للصلع

● تحدثنا عن عقاقير وأساليب لمعالجة الصلع في أعداد كثيرة سابقة ولعل مستحضر الميوكسوديل ، ذلك العقار الذي طوروه وصنعوه لمعالجة ارتفاع ضغط الدم ، والذي اكتشفوا فاعليته في معالجة الصلع بالصدفة وتحدثنا عنه مفصلا في حينه ، لعل هذا العقار هو أجدر تلك العقاقير بالاهتمام والتقدير ذلك أن وكالة الغذاء والدواء في واشنطن رخصت مؤخرا بيع المنيوكسوديل السائل بقصد معالجة الصلع وذلك بالاسم التجاري روجين

تقول الشركة ان في استطاعة هذا العقار أن يساعد الرجل الأصلع على استرداد شعر رأسه على أن الشعر المسترد لايكون كثيفا أو نصف كثيف الا في حوالي نصف الرجال الذين يستعملونه (٤٨٪ منهم بالتحديد) □

هذا هو الدكتور روبرت ستري أحد كبار المسؤولين في وكالة الغذاء والدواء ، وهو الذي ترأس اللجنة التي نظرت في طلب ترخيص عقار الصلع (الروجين) وأقرته

سلامة البشرية في سلامة البيئة

السوكيدو

إن كان للبيئة ألعار حقا ، فحشرة (سوكيدو) هي احدى تلك الألعار لاريب ، فهي أطول الحشرات المعروفة عمرا ، إد تعمر ١٧ سنة ، ولا تلغ الحشرات الأحرى من العمر إلا سنة أو بعض سنة في المتوسط ، لكن العريب في حشرة (السوكيدو) هده أنها تقضي عمرها كله تقريبا تحت سطح الأرص ، ثم تصعد الى الهواء الطلق لدى بلوعها السابعة عشرة ، ودلك بقصد التراوج ، ووصع البيض ، ومفارقة الحياة عقب دلك مباشرة وهي تفعل دلك في أواحر فصل الربيع ،وتقضي على سطح الأرض بضعة أسابيع حتى يسدل الستار على حياتها في أوائل شهر يوليو

على أن لحشرة (السوكيدو) موطنا واحدا عرفه العلماء حتى الأن ، هو الساحل الشرقي للولايات المتحدة الأمريكية ، فهي تستوطن نيويورك وواشنطن وفيلادلفيا وبلتيمور ، وتظهر في ولايات أحرى تلي ولايات الساحل الى الغرب ، وبخاصة حورجيا والليئوى ، وهي تبلغ بوصتين طولا ، وكثير من الناس لا يميزون بينها وبين الجراد ، هذا على الرغم من أنها ملونة بألوان زاهية ، ولا تسبب للمزروعات ضررا كما يفعل الجراد ، إلا أنها تستطيع أن تكون مصدر ضجة كبيرة ، والضجة عنصر تلويث في مجال البيئة كما هو معروف ، ذلك أن طنين جالية واحدة من هذه الحشرة يقدر بحوالى ١٠٠ ديسبل ، أي ما يعادل ضجيج المنشار الدائري تقريبا

السوكيدو ليست حراداً ولكنها حشرة على كل حال حشرة عجيبة ومدهشة

ومن طريف ما يذكر عن (السوكيدو) أنها تتسلل من باطن الأرض الى سطحها بعد غروب الشمس ،

سلق أول شيء عمودي تجده في طريقها، شجرا ان أم أعمدة هاتف أم غير ذلك، ويعقب ذلك الغزل، فالتزاوج، فوضع البيض بالمئات ويفقس هذا البيض بعد مضي تسعة أسابيع، فتخرج منه الولائد الميكروسكوبية

وتسقط هذه الولائد على الأرض فتمضي في حفر مواطن دائمة لها تحت سطحها وقد يبلغ عمق هذه الثقوب قدمين نقول مواطن دائمة لأن حشرة (السوكيدو) تعيش فيها، وتأكل وتشرب طيلة ١٧ عاما، ومعنى هذا أن هذه الحشرة التي ظهرت على ساحل أمريكا الشرقي في أواخر الربيع الماضي، والتي وضعت بيضها في غضون شهر يوليو ستختفي ولائدها التي خرجت من بيضها تحت سطح الأرض، ولا تظهر ثانية إلا سنة (٢٠٠٤) على وجه التحديد

ويربط العلماء بين تحركات حشرة (السوكيدو) وبين حرارة التربة التي تعيش فيها، فهي تخرج الى السطح حالما تبلغ التربة درجة حرارة مقدارها (٦٨ - ٧٠) فهرانهيت، لكنهم لا يعلمون أكثر من ذلك، ولا يرغبون في أن يعلموا، فهم يجدون متعة في أن تظل هذه الحشرة لغزا من ألغاز البيئة

بشارة سارة لعشاق الحمامات الشمسية

● نجح الباحثون في (سان دياجو) في تطوير عقار يحول دون إصابة عشاق الحمامات الشمسية بسرطان الجلد والعقار المذكور عبارة عن مسحوق، قوامه ذرات اسفنجية، توضع ذراته على الجسم، بل قل على المادة الزيتية التي يطلى بها الجسم، والتي تعرف باسم (Sunscreen)، مرة واحدة في اليوم، ويستمر أثره ١٢ ساعة كاملة، فيقي الجسم من الاصابة بسرطان الجلد

ويذكر الدكتور البرت كليجمان أحد الباحثين المعنيين في جامعة بنسلفانيا أن للعقار الجديد فائدة أخرى، فهو يساعد على التخلص من المادة الزيتية التي يضاف إليها، والتي تسبب الكثير من المضايقة للذين يطلون أجسامهم بها علما بأن العقار المذكور عبارة عن مسحوق، يصمد أمام الماء فلا يزيله

دواجن حسب الطلب

● نجح الباحثون التابعون لوكالة الزراعة في واشنطن في تطبيق أساليب الهندسة البيولوجية على الدجاج، بحيث سيصبح في الامكان عما قريب انتاج الدجاج بصنوف مختلفة، وفق أذواق المستهلكين المختلفة، كأن يتخيروا دجاجا ذا مناعة ضد الأمراض، أو دجاجا ذا بيض كبير، أو دجاجا تزيد فيه نسبة اللحم الأحمر على اللحم الأبيض، وهكذا

ويبدو أن هذه التجارب العامة قد اقتربت من نهايتها، وأن عهد الدجاج حسب الطلب آت عما قريب

"المولوية"

"السيما"

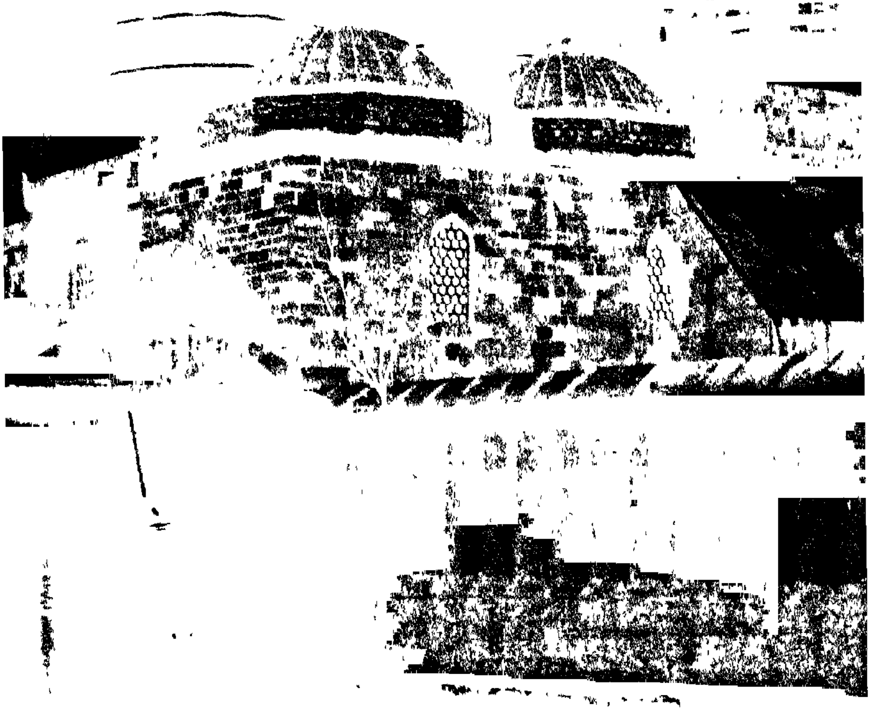

استطلاع سلیمان مطہر/تصویر سلیمان حیدر

الدراويش يرقصون . . . !

ويتدافع الناس . . رجالا ونساء وأطفالا . . على الطريق الى الساحة الكبرى في « قونية الاناضولية » القابعة وسط اسيا الصغرى . . ليشهدوا « المولوية » يرقصون ويدورون في عباءاتهم البيضاء الفضفاضة وطرابيشهم الاسطوانية الحمراء . . ويهترون في استغراق وروحانية على ترنيمات الناي . . وألحان « حضرت مولانا » حلال الدين الرومي . . مبتدع رقصة « السيما » . . رمز الطريقة الصوفية التي اختارها سبيلا في حياته العملية . . وجعلها مزيجا من الفلسفة والشعر والحكمة . . من أجل مجد الانسان . . !

في قونية - قلب الأناضول الحضاري وعاصمة الروم السلاجقة - كان لقاؤنا مع الفيلسوف الصوفي « مولانا حلال الدين الرومي » الذي أفاء ضريحه على المدينة طوال ثمانمائة عام قيمة قدسية كمركز ديني كبير ، وجعلها مزارا للمريدين المتغنين بالمثالية والروحية في عالم مادي جامد هو في أشد الحاجة إلى عودة الروح

ففي نهاية الطريق الرئيسي للمدينة المقدسة ، والممتد من مسجد السلطان علاء الدين وتَلِّته - حيث يحكي الحجر على جانبيه قصة أروع عمائر السلاجقة التي تقف شامخة شاهدة على حضارة تمتد جذورها في عمق التاريخ - تشد البصر قبة خضراء على شكل برج أسطواني مخروطي ذي أضلاع يتجه الى السماء كمثل رأس مسلة مدببة ، تحيط بها مآذن مستديرة ذات رؤوس مخروطية وشرفة واحدة ، تنتهي في أعلاها بما يشبه قلم الرصاص المسنون !

إنها قبة ضريح الشاعر الصوفي حلال الدين الرومي ، الذي يسمونه « مولانا »، ومركز دراويش الطريقة المولوية على مدى ثمانية قرون ، حيث (تسكن) أجساد خمسة وستين من مشايخ الطائفة ، والذي تحول بعد ١٩٢٤ الى متحف يضم آثار الطريقة الصوفية المولوية . . من مصاحف وكتب وآلات موسيقية وسجاجيد وملابس وأوان ومزاهر وزخارف ، تحكي قصة رائعة لا تكاد تنساها القلوب والأبصار ، وحيث تابعنا رقصة « السيما » رمز الحب الالهي والتي اشتهرت بها الطريقة الصوفية المولوية

رقصة المولوية

هل سمعت عن رقصة « السيما » !! ؟

في البداية نعرف أن الصوفية قد أقبلوا على الغناء ولم يشترطوا الا حسن النية وشرف القصد ، ولكن الطريقة المولوية تفردت بإجادة العزف على الآلات الموسيقية باختلاف أنواعها أثناء مجالس الذكر ، وخاصة استخدام « الناي »

فما البال إذن بغناء المولوية ورقصهم المسمى بالسيما ؟ لقد وقفنا نشهد احتفالهم السنوي الذي يقيمونه بقاعة الرقص الرئيسية في « تكية مولانا » بين الأول والسابع عشر من ديسمبر تاريخ وفاة - أو ما يسمونه سكون - شيخهم الرومي وارتفاعه ليتحد مع الاله ! تعال معنا نشاهد رقصة المولوية التي ابتدعها جلال الدين الرومي وما تزال مستمرة منذ القرن الثالث عشر حتى الآن ، برغم قرار أتاتورك عام ١٩٢٦ بإلغاء الطرق الصوفية وتحويل تكاياها الى متاحف أثرية

الحلقة تضم حوالي ٢٥ من الراقصين الذين يمثلون دراويش المولوية ، يرتدي كل منهم عباءة فوق رداء أبيض طويل ، ويحيط نصفه الأسفل (تنورة) بيضاء مفتوحة من الأمام . . وفوق رؤوسهم يضعون

طرابيش اسطوانية طويلة تسمى (السيك) ، أما قيادات الدراويش فيحيطون رؤوسهم من حول الطربوش بعمامة تسمى (دستار) أرض القاعة مفروشة ببساط أحمر يتصدرها أمام المحراب مقعد يجلس عليه الشيخ رئيس الطريقة المولوية أما اللون الأحمر فيمثل لون السماء عند غروب الشمس ذكرى لشمس الدين التبريزي وغروب شمس مولانا يوم سكونه الابدي !

وفي مواجهة المحراب يجلس عازفو الفرقة الموسيقية يتصدرهم نافخ الناي والضارب على الطبلة والعازف على الربابة واللاعب على آلة القانون والنافخ في آلة الطنبور وتنقسم ساحة الرقص إلى قسمين يقسمها خط رمزي يمثل خط الاستواء في منتصف الكرة الأرضية وهو خط محرم على الدراويش الراقصين أن يسيروا فوقه إذ يمثل الصراط المستقيم في الطريق الى الحقيقة الالهية

ينقسم الاحتفال قسمين القسم الأول يبدأ بأداء الصلاة ثم قراءة من أشعار « المثنوي » يليها غناء تواشيح تقليدية ، تنصت لها الجموع في خشوع كبير بعد ذلك تعطى أربع من دقات الطبول إشارة البدء

يقدم العارف على القانون بصحبة النافخ في الناي لونا من التقاسيم يقف بعدها الراقصون يتقدمهم قائدهم ، ويبدأون السير خطوة خطوة في دورة ثلاثية حول القاعة ، ثم يتوقفون في تشكيل دائري بينما يتصدر شيخهم القاعة لينحني الراقصون أمامه في تحية وتسليم ودعوات ثلاث مرات متتالية ، ثم يستأذنون بعد أن يقبلوا يده اليمنى ، فيمنحهم بركته ، ويعودون الى حلقتهم الدائرية وقد رفعوا أذرعتهم وضموها الى صدورهم ، بينما الأكف تستند على الأكتاف ، والرؤوس منحنية الى الامام . وعلى نغمات الموسيقا وترنيمات الناي التي تعزفها فرقة الانشاد على الآلات التقليدية الوترية والهوائية ، يبدأ الجميع يدورون حول أنفسهم ببطء وتهبط أكفهم على الأكتاف ثم تمتد أذرعتهم أفقيا حتى آخر امتدادها بالتدريج وخلال الحركة الدائرية تبدأ اليد اليمنى ترتفع مع تحرك الجذع الى أعلى ، بينما تنخفض اليد اليسرى الى الجانب الآخر مع حركة الكتف ونفهم من مرافقنا أن هذا الوضع يعني أن كل شيء في الكون في حركة دائمة ، وأنه يتلاقى مرة أخرى ، وأن اليد اليمنى حين ترتفع نحو السماء فهي تأخذ البركة من الله لتمنح العطاء والخير والبر للناس مع انخفاض اليد اليسرى نحو الأرض وفي بعض الأحيان تمتد الذراع اليمنى كلها بينما تكون اليسرى مضمومة الى الصدر أمام القلب

ويدور الدرويش خلال ذلك بجسمه دورة ذاتية خلال دورانه مع الحلقة ، وهو يستند على أصابع إحدى قدميه وهي ثابتة على الأرض بينما القدم الأخرى تدور مع دوران الجسم ويخفض الدراويش أنظارهم أو يغلقون عيونهم خلال الأداء ، بينما تنحني الرأس ناحية الكتف وإذ تتدرج سرعة الحركة الدائرية تدور أرديتهم وتمرد (تنوراتها) من تحت الوسط لتصبح في دورانها كأنها مظلة مفتوحة ، بينما الدرويش قائد الحلقة يضم رداءه الأبيض الى جسمه دون أن يتحرك مع الراقصين ويعطي القائد إشارة النهاية ، فتخف الحركة بالتدريج ليتوقف الراقصون في وقت واحد

وبشكل عام تكون هناك فترات توقف خلال الأداء بين كل دورة وأخرى وهي دورات تمثل في عددها تعاقب الفصول بينما الرقصات نفسها تمثل الحركة الكونية الفلكية لدوران الأرض حول محورها ودورانها حول الشمس . ولهذا يرتكز الدراويش على أصابع أقدامهم وهم يترنمون بذكر الله ترانيم كأنها تسبيح الملائكة والمخلوقات بحمد الله .

الحب الالهي

يقول لنا مرافقنا « جونير أوزكان » مدير الثقافة والسياحة في قونية · كان مولانا يقول « إن رقصة السيما هي جوهر الروح لاكتشاف الحب الالهي

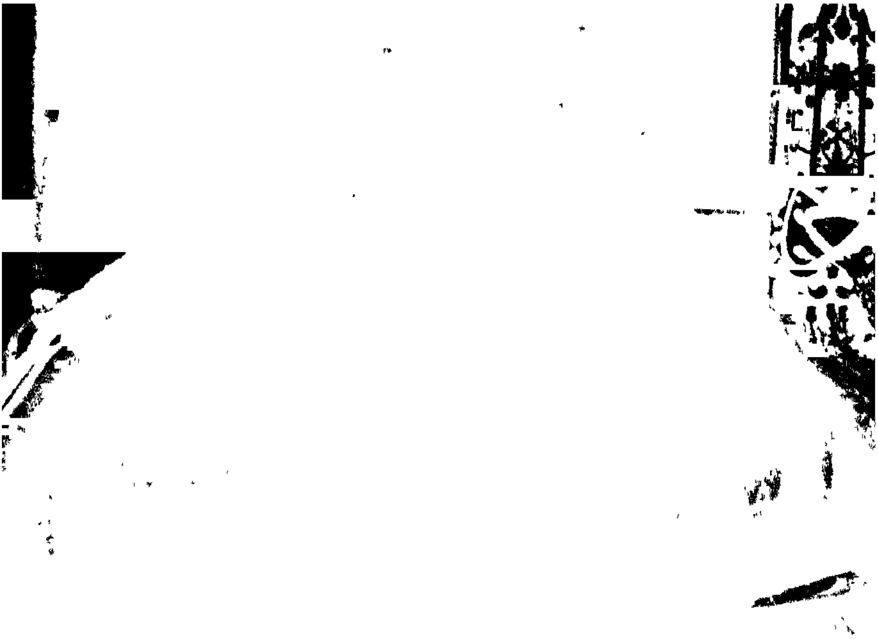

● قبر «مولانا» جلال الدين الرومي وقد كسي بغطاء أخضر موشى بأسلاك ذهبية زنتها ٣٢ كيلوجراما من الذهب الخالص ، وإلى جواره قبر أبيه ، بينما (إلى أسفل) قاعة «حضرة الأبرار» التي تضم خمسة وستين قبرا لأقربائه ألبست شواهدها بالعمائم الصفراء ، (وإلى أقصى اليسار) الدراويش المولوية [illegible] «السماع»

والاحساس برجفة الصدمة وإزاحة الستار الحاجب للوصول الى حضرة الله » وحتى في عصر مولانا كانت السيما نظاما روحيا تقصد الى التحام الفكر المولوي باللامحدود ، وتقود الى علاقة متحركة بين الانسان ورب العالمين ولم تكن مواعيد رقصة المولوية محددة كما تجري في الوقت الحاضر فقد كانت هذه المواعيد مطلقة تؤدى في أي وقت وفي أي مكان حسبما تجتذب الانسان الرغبة في انطلاقة الروح وبدون حاجة الى أصوات الموسيقا أو أنغام الناي

بل إن المصادر تحكي أن جلال الدين كان يسير ذات يوم أمام دكان أحد الصاغة عندما هبطت عليه نفحة الحب الالهي ، فإذا به يدور على نفسه في رقصة انضم إليه فيها الصائغ وكانت هذه هي نقطة البداية « للسيما المولوية » !

ولعل الحس الفني لدى جلال الدين كان وراء إحاطته العرف على بعض الآلات الموسيقية وإدخاله الموسيقا والرقص والغناء في مجالس الصوفية المولوية حتى شعره اقترن بالموسيقا ، فكثيرا ما كان ينظم شعره في مجالس السماع وكثيرا ما ألقاه مقترنا بالانشاد والأنغام وقد تجلى أثر هذا الاحساس الموسيقي في شعره حتى استطاع أن ينظم غزليات ديوانه على أوزان عديدة بلغت خمسة وخمسين وزنا وقد استطاع أن يجعل الأوزان المهجورة بمقدرته الفنية جميلة الوقع سائغة النغم كما استطاع أن يوفر الموسيقا لشعره بوسائل عديدة وكان في بعض الأحيان يختتم الأبيات بمقاطع صوتية قد لا يكون لها معنى ولكن لها وقعها الجميل في السمع وكان يعتبر أن الموسيقا والرقص هما إحساس الجسم والروح ، حتى قال « إن حس الدنيا سلم هذا العالم ، وأما حس الدين فهو سلم السماء . » هذا الحس تشعر به حينما تأتيك الرغبة في رقصة الحب الالهي عندما تتمزق نفسك وتنطلق مع مشاعرك الروحية فالرجال يرقصون ويدورون وهم في ساحة القتال ، إن دماءهم ترقص وتدور في داخلهم ، وعندما يدعون أنفسهم للانطلاق فإنهم يصفقون بأيديهم ، وعندما يتركون وراءهم شوائب النفس فإنهم يرقصون ، وتتحرك موسيقاهم الداخلية وتجيش كل عواطفهم وتزيد على صفحات الموج الذي يفور من الأعماق »

مهاجر من الشرق

ونتطلع بعيوننا ونحن نقترب من المزار الذي يحج اليه الأهلون تبجيلا واحتراما وتقديسا ، ونستمع الى مرافقنا العلامة محمد أمين أوعلو وهو يحكي قصة حياة الشاعر الصوفي الكبير رغم كل ما شاب بعض الفرق الصوفية مع مسيرة التاريخ من شوائب كادت تخرج بها عن الطريق القويم للاسلام

لم يكن قد فتح عينيه بعد على الحياة ، حين انطلق أبوه هاربا من وجه السلطان ، بعد أن تعرض لأحقاد غذاها الحسد الذي نبع في أعماق عدد من العلماء ، استطاعوا أن يغيروا صدره صدر محمد تاكيش خوارزمشاه سلطان بلخ ، من أعمال أفغانستان

في ذلك الوقت من عام ١٢١٢ م (٦٠٦ هـ) كانت جيوش المغول قد بدأت تجتاح المنطقة وتقترب من أسوار بلخ ، وهي في طريقها عبر المدن والحقول تشعل النار في كل شيء ومع ذلك الاجتياح لم يعد هناك أمان في كل بلاد خراسان ، وبدأت هجرة السكان الهاربين من وجه المغول تتجه الى أراضي الروم والأناضول

وغادر « بهاء الدين ولد » بلخ مبتعدا ، ليس بسبب أحقاد الخوارزميين فقط ولكن هربا أيضا من المغول الغزاة ففي صباح يوم جمعة حمل كتبه وأمتعته القليلة ، وكون قافلة صغيرة ، وأخذ معه ابنه جلال الدين وولده الأكبر محمد علاء الدين وزوجته « مؤمنة خاتون » وعددا قليلا من الاتباع

وبدأ الرحلة الطويلة الشاقة في الطريق الى الأناضول في الأراضي التركية

* الفرقة الموسيقية وعازفو الناي يصاحبون رقصة السما المولوية

بداية الطريق

انطلق الشيخ الجليل بقافلته الصغيرة الى حدود دولة الروم السلاجقة الذين كانوا يحكمون الأناضول ، حيث واصل مسيرته حتى بلغ « لارند » غير بعيد من مدينة قيصرية ولم يمكث العلامة الفقيه بها الا قليلا لينتقل منها الى قونية بدعوة من السلطان السلجوقي « علاء الدين كيقباد » الذي احتفى به وبالغ في إكرامه وبايعه ، وأنشأ له مدرسة يقيم فيها ويمارس إلقاء دروسه وكان جلال الدين الصغير ينضم الى العاكفين على دروس أبيه يتلقى العلم ويقرأ ليل نهار من أجل مزيد من المعرفة

مكث الشيخ بهاء الدين سنتين في قونية لينتقل بعدها الى ربه ، وليخلفه ولده النابغة جلال الدين ، الذي بنى له الأمير « بدر الدين كهرتاش » أستاذ السلطان مدرسة عرفت بمدرسة « خداوند كار » أوقف عليها أوقافا واسعة وولاه رئاستها . واستمر جلال الدين في التدريس والوعظ والارشاد على نمط والده الجليل ، حتى جاء ذات يوم درويش من مريدي أبيه القدامى في بلخ هو برهان الدين الترمذي الذي كان قد اعتكف طويلا في الجبال متصوفا بعيدا عن ملاذ الدنيا ، وحين بلغه نبأ موت صاحبه جاء ليلتقى بولده جلال الدين وقد وجد من واجبه أن يأخذ بيده وظل جلال الدين يتلقى العلم على يد أستاده برهان الدين لمدة تسع سنوات وذات ليلة بينما هو جالس بين يديه قال له لقد تلقيت من التدريب والتعلم ما فيه الكفاية فالآن تمضى لتفتح عيون الناس على الحقيقة ، وتهدى أرواحهم لمعرفة الله ، وتحمل إليهم رسالة الحب الالهي »

واستمر جلال الدين يواصل مهمته دون ان يمنعه ذلك من التوسع في الدراسات والتبحر في العلوم ، والسفر بين الحين والآخر الى حلب ودمشق ليشارك في مجالس العلماء الذين أقروا له بالنبوغ وسعة الاطلاع بينهم الشيخ محيي الدين بن عربي وسعد الدين الحموي وصدر الدين القونوي

وبقي جلال الدين مقيما في قونية لا يفارقها إلا ليعود إليها وهناك تجمع حوله عدد من التلاميذ والمريدين ، وانضم إليهم عدد من العلماء والاشراف الذين هاجروا من بلادهم في فتنة التتار وانقطع العلامة الشيخ الى التدريس وتحرير الفتاوي ، وأصبحت مدرسته عامرة يدرس فيها أكثر من أربعمائة طالب علم . واستمر يمارس الوعظ كعالم وفقيه حتى حدثت له حادثة قلبت تيار حياته

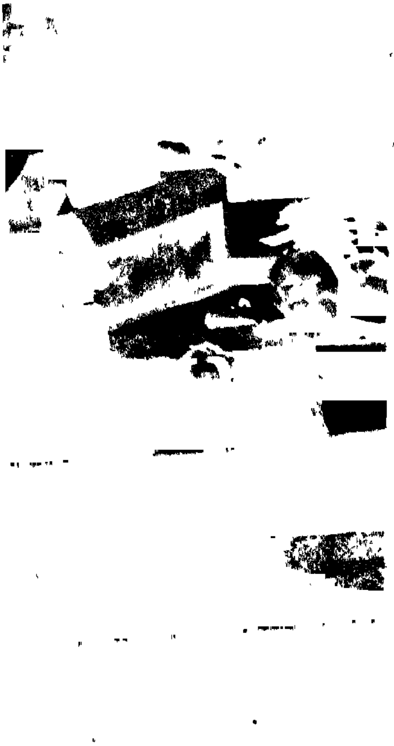

● العلامة الف
والمرمم الشيخ المخ
أمام المدخل الخا
للضريح (الصف
المقابلة) وتبدو
أعلى) لوحة لجلال ا
الرومي والى يسار
احدى الزائرات
انتظار فتح الباب
(والى أسفل) مش
عام لمدينة « قون
المقدسة .

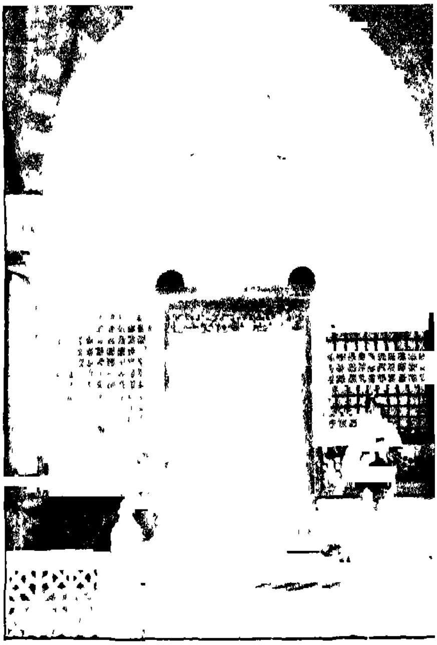

● «يا حضرت مولانا» هي أول ما تلتقي به عند دخولك الى مقر ضريح جلال الدين الرومي ويقول لك الشيخ البخاري «لا دخول الا بعد قراءة الفاتحة»

والمحاهه ، وفتحت قريحته وأشعلت مواهبه ، وكانت سبب شهرته وتأثيره وخلوده كصوفي فنان شاعر وحكيم أخلاقي وفيلسوف انساني

كيف حدث كل هذا ؟ وما هو سر التحول الذي جعل من جلال الدين شاعرا صوفيا نزاعا إلى التأمل الروحي العميق .

ذلك هو ما كان علينا أن نسمع تفاصيله من الفنان التركي مصطفى اسماعيل البخاري الذي لقيناه عند مدخل (المتحف الضريح) الذي تعلوه لوحة كبيرة خضراء تملؤها كلمتان «يا حضرت مولانا»

وأبى دليلنا أن يحكي التفاصيل إلا بعد أن يأخذنا الى داخل الضريح حيث ترتبط الأحداث عما سنراه عند وقوفنا أمام قبور جلال الدين الرومي ومريديه وأقربائه وشيوخ طريقته الذين دفنوا داخل الضريح الذي كان عبارة عن تكية أقيمت وسط حديقة للزهور منحها السلطان علاء الدين الى والد مولانا واستوطنها حيث مات فيها عام ١٢٧٣ وأقاموا عليها ضريحه الضريح مشيد على ستة أعمدة من طراز رجل الفيل ومسقوف بقبة هرمية الشكل معطاة بالبلاط الخزفي الأخضر بينما التكية كلها مسقوفة بالقباب وتضم المسجد وقاعة الدراويش التي أنشئت زمن السلطان سليمان القانوني والمخصصة لاقامة حلقات الذكر وشعائر المولوية كما تضم التكية غرف الدراويش التي بناها السلطان مراد الثالث

تحت القبة الخضراء

كان علينا أن ننتظر ونؤجل الاستماع الى بقية القصة ، وأن ندلف من بوابة الدراويش التي يقبع عند جانبيها عدد من الزوار والتابعين والحجاج القادمين للتبرك بالمزار ، ممن لا يزال في أعماقهم تبجيل واحترام وتكريم وإيمان بشيخهم الصوفي الجليل

قال لنا الشيخ البخاري . لا دخول إلا بعد قراءة الفاتحة

وفعلنا ثم دخلنا إلى الغرفة الأولى ، ووجدنا أنفسنا داخل مكتبة عامرة بالكتب والمخطوطات أما جدرانها فتغطيها لوحات وأعمال وآيات مكتوبة بخطوط أبرز الخطاطين من فيهم السلطان محمود الثاني الذي كتب بخط يده «سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» الى جانب الآية الكريمة «إن أكرمكم عند الله أتقاكم»

ونجتاز المكتبة من خلال باب أقيم كله من الفضة ، تغطيه نقوش مموهة بالذهب هدية من السلطان سليمان القانوني ، ونجد أنفسنا وسط القاعة الرئيسية التي تسمى «حضرة الأبرار» هنا يقوم ضريح «مولانا» فوق درج مرتفع عن الأرض بحوالي متر ، والى جواره قبر أبيه ومعلمه الأول في منزلة أعلى منه قليلا .

قبر جلال الدين يكسوه غطاء أمر بصنعه السلطان عبدالحميد ، وهو من نسيج أخضر موشى بأسلاك

هبية تبلغ زنتها وحدها ٣٢ كيلوجراما من الذهب الخالص كما تحيط به مجموعات من الهدايا الذهبية والقناديل الفضية الضخمة والمزهريات المهداة الى قبره خلال السنين

ويرتفع صوت الناي يملأ المكان ويبعث في النفس مسحة من الهدوء والراحة والسكينة

الى الغرب من القبر الأخضر وقرب رأس « مولانا » تقوم قبور زوجته « كيرا خاتون » وابنته « ملك خاتون » ثم مجموعة أخرى من قبور أقربائه ممن تولوا قيادة الطريقة بعده يبلغ تعدادها خمسة وستين قبرا ، حيث ألبست عمائم صفراء على رؤوس شواهد الأضرحة التي تضم رجالا ، بينما قبور النساء بلا عمائم أو شواهد ونطل الى الجدران فنجدها كلها مغطاة بلوحات كتبت عليها آيات من القرآن الكريم بخط أشهر الخطاطين الذين أهدوها الى الضريح وأبرز اصحاب هذه القبور هم حسام الدين شلبي صاحبه ومريده الذي تولى مشيخة الطريقة بعد وفاته ، وولده سلطان ولد الذي تولى تجديد وتنظيم أفكار المولوية ، والذي أقام المبنى الشامل للضريح وجعله مركزا للطريقة المولوية ، وأعادة تصنيف كتب والده ودواوين شعره

التحول الكبير

ويتوقف بنا دليلنا وهو يشير الى ضريح تغطيه كسوة خضراء مزركشة في ركن القاعة ، علقت امامه لوحة تحمل اسم « شمس الدين التبريزي »

ويقول الدليل . الآن نكمل بقية القصة ، ونتحدث عن سر التحول الكبير في حياة « مولانا » . . والذي كان وراءه ذلك الصوفي الكبير المدفون في هذا الضريح .

ففي مساء يوم ٢٥ أكتوبر عام ١٢٤٤ م (٦٤٢ هـ) بينما كان مولانا يسير راكبا بغلته في موكب من التلاميذ والعلماء والناس حوله يسألونه ويستفتونه . . تقدم رجل عجوز أخذ بعنان البغلة وأوقفها وسط الطريق .

وكان الرجل درويشا صوفيا اسمه « شمس الدين التبريزي » ، لم يكن أحد قد رآه من قبل في قونية وراح الشيخ يلقي أسئلته على الشيخ جلال الدين ودار حوار تتبعه الناس باستغراب كبير

سأل شمس ما المقصود من الرياضيات والعلوم ؟ أجاب جلال الدين الاطلاع على آداب الشرع

قال شمس لا بل الوصول الى العلوم أما سمعت قول الحكيم ان العلم اذا لم يجردك من نفسك فالجهل خير منه ؟

وأخذت الحيرة جلال الدين بينما عاد شمس يسأله

ـ فماذا ترى في الحب ؟

قال جلال الدين ان الحب يحول المر حلوا والتراب تبرا ، والكدر صفاء ، والألم شفاء ، والسجن روضة ، والسقم نعمة ، والقهر رحمة ، وهو الذي يلين الحديد ويذيب الحجر ، ويبعث الميت وينفخ فيه الحياة

وابتسم شمس وهو يقول

ـ أما علمت ان جميع المرضى يتمنون البرء من سقمهم الا ان مرضى الحب يستزيدون المرض ، ويحبون ان يضاعف في ألمهم وحنينهم ، فالحب علة ولكنها علة تخلص من كل علة ، فإذا أصيب بها إنسان لم يصب بمرض آخر قط فهو صحة الروح ، بل روح الصحة ، يتمنى أصحاب النعيم أن يشتروها بنعيمهم ورخائهم

وأعجب جلال الدين بما يقوله الدرويش الذي عاد يسأله ·

ـ فهل تعرف الفرق بين الحب . والدهاء ؟

قال جلال الدين · الحب تراث أبينا آدم أما الدهاء فهو بضاعة الشيطان .

هز الدرويش رأسه وهو يقول .

ـ الداهية الحكيم يعتمد على نفسه وعقله أما المحب فهو يرضى بالتفويض والتسليم إن العقل

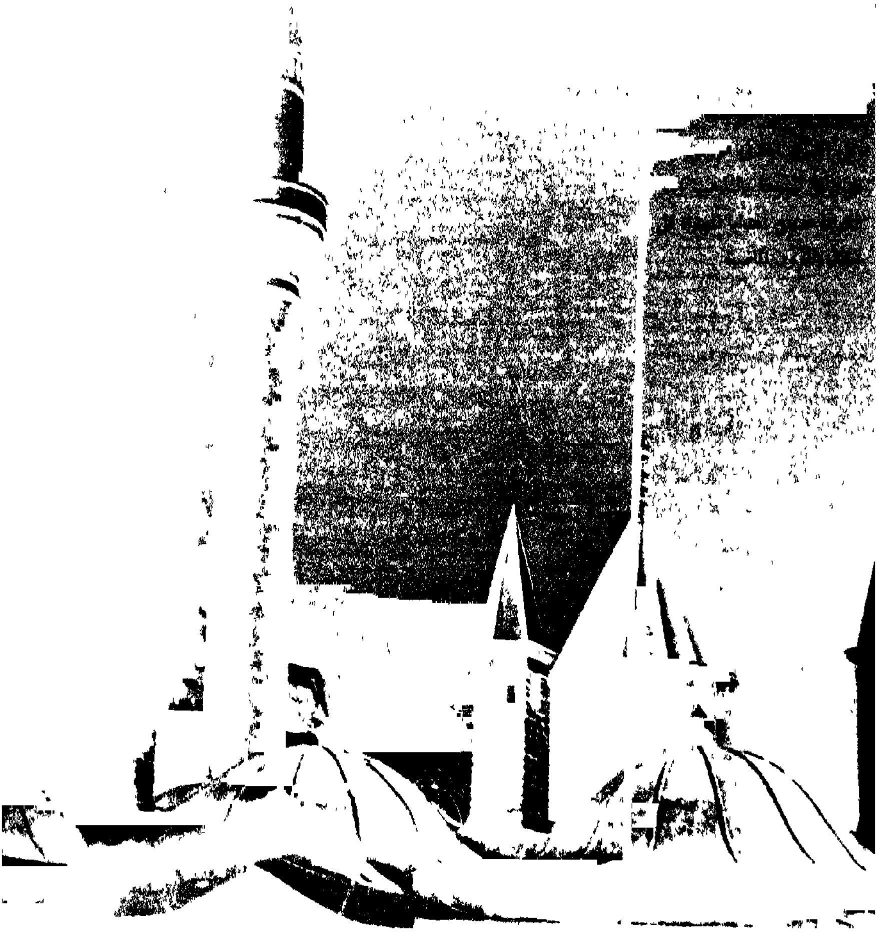

سباحة قد يصل بها الانسان الى الشاطيء ، وقد يغرق ، وأما الحب فسفينة نوح لاخوف على ركابها من الغرق ولكن أتعرف إلى من يوجه هذا الحب الذي هو نور الحياة وقيمة الانسان ؟

قال جلال الدين إن الحب خالد لايجدر الا بالخالد إنه لايجدر بمن كتب عليه الفناء والأفول إنه حق الحي الذي لايموت الذي يفيض الحياة على كل موجود

وأجاب الدرويش صدقت إن حكاية الحب لاتنتهي وتفنى الدنيا ولا تنقضي عجائبه لأن الدنيا لها نهاية وغاية ، والحب وصف من لايفني ولا يموت

وينزل حلال الدين من فوق بغلته ويحتضن الدرويش ثم يمضي به الى غرفته ، حيث أغلق عليهما بابها واعتكفا معا ستة اشهر

ولايدري أحد سر الأحاديث التي دارت بينهما ، ولكن حلال الدين لم يكد يخرج حتى كان قد امتلأ بروح جديدة ، وانكشف له عالم جديد من الحقائق والآفاق . وفي ذلك قال حلال الدين « ان شمس التبريزي هو الذي أراني طريق الحقيقة وهو الذي أدين له في ايماني ويقيني »

« عين الشمس »

خضع حلال الدين لشيخه الجديد خضوعا كاملا ، وانصرف إليه انصرافا تاما ، واشتُغِل به عن تلاميذه ومريديه فكبر ذلك عليهم ، وحقدوا على الدخيل الذي صرف عنهم أستاذهم وقالوا لقد قضينا أعمارنا في خدمة أستاذنا وشاهدنا كراماته ، ومن خلالنا طار ذكره في الآفاق ، ثم يجيء رجل غريب مجهول ويقطعه عنا ويستولي عليه ، فلا يكون لنا سبيل إلى رؤيته ولقائه ، لا شك أن هذا الرجل ساحر أو داهية

واشتدت عداوة المريدين لشمس الدين وعزموا على إبعاده عن قونية ليخلو لهم وجه أستاذهم وتحمل شمس الدين كراهيتهم له في صبر وحلم ، فلما تجاوز الأمر الحد وخاف الشر والفتنة ، خرج من قونيه مستخفيا وحزن حلال الدين لغيبة أستاذه ، واعتزل جميع تلاميذه ومريديه ، فحرموا بذلك من الاستفادة من شيخهم الجليل

بقى جلال الدين منقطعا عن الناس حتى فاجأته رسالة من دمشق بتوقيع شمس الدين فطابت نفسه وأقبل على من لم يسهم في إيذائه وإقصائه وكتب الى شمس الدين رسائل حنين يقول في احداها

ايها النور في الفؤاد تعال
غاية الوجد والمراد تعال
أيها السابق الذي سبقت
منك مصدوقة الوداد تعال
أنت كالشمس إذ دنت وتناءت
ياقريبا على البعاد تعال !

وهدأت ثائرة الناس ، وعرف جلال الدين أنهم أقلعوا عن عداوة أستاذه وإيذائه ، فارسل إليه ابنه سلطان ولد ينثر تحت قدميه هداياه ويطلب منه العفو عمن آذاه وأن يعود الى قونية وهكذا حدث رجع شمس مرة أخرى وطالت مجالسه مع حلال الدين الذي ازداد أحلالا له واتحادا معه ولكن لم يمض طويل وقت حتى ثارت الفتنة من جديد وكان لابد لشمس أن يختفي وقيل في تفسير ذلك الاختفاء أن تلاميذ الرومي قد قتلوه

وخرج جلال الدين الى الشام باحثا عن أستاذه ، وهو لايدري ما حدث له وحين وصل الى دمشق أشعل قلوب أهلها حبا له وإيمانا بفتاويه وفي هذه الفترة نظم ديوانا كاملا سماه « ديوان شمس تبريز » ذكرى لصديقه وموجهه الروحي وإذ لم يجد أي أثر لأستاذه سكنت نفسه وقال « لافرق بيني وبين شمس الدين إن كان هو شمسا فأنا ذرة وإن كان هو بحرا فأنا قطرة . . ونور الذرة من الشمس ، وحياة القطرة من البحر »

رجع جلال الدين الى قونية مقتنعا أنه « عين

ـمس » ومنذ تلك اللحظة راح ينظم كل معرفته وحكمته شعرا ضمنه كتابه الذي اعتبروه كتابا مقدسا وهو « المثنوي » كما نذر نفسه للحب الالهي ، وأنشأ طريقته الصوفية التي عرفت فيها بعد بالطريقة المولوية واشتهرت برقصة « السيما »

كل العقائد حق

يقول لنا مرافقنا

لا يستطيع أن يفهم المولوية إلا من يمكنه أن يتمثل كيف تحول الناس في هذه المناطق الى الاسلام فقد كان الشعب يضم فئات متباينة من الوثنيين والنصارى واليهود ، وكان على جلال الدين الرومي أن يجتذبهم الى الاسلام بأفكاره وشروحه وتفاسيره لمسائل الشريعة الاسلامية وما جاء في القرآن الكريم وكان لا بد له في سبيل ذلك أن يجامل النصارى والحاخامات اليهود والوثنيين وأن يعطيهم الأمثلة الرائعة التي تجتذبهم الى الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة وبتقريب الأفكار الاسلامية الى الأذهان

كانت الأناضول وآسيا الصغرى كلها تحت الحكم المسيحي البيزنطي ، حتى كانت معركة « ملاذ كرد » التي انتصر فيها السلاجقة ، وتوالت بعدها هزائم الدولة البيزنطية ، وبدأ معها انتشار الاسلام على أيدي الأتراك السلاجقة ولأجل أن يستقر الدين الاسلامي كان عليهم أن يدخلوا بفلسفات متفاوتة في الوقت الذي كان للكنائس النصرانية تأثيرها القوي على سكان هذه المناطق لذلك فعندما جاء الأتراك أنشئوا قرب كل كنيسة « تكية » فتباينت طرقها بين « البكتاشية » التي كانت في الأصل إسلامية ثم انحرفت عن مسارها مثلما انحرفت أشياء كثيرة فيما بعد كان « البكتاشيون » و « المولويون » يدورون بأشعارهم لينشروا الدين الاسلامي في القرى والمدن ويجتذبوا النصارى الذين بدأوا يتجاوبون مع الأفكار الاسلامية والأخوة والمساواة التي يقوم عليها الدين الجديد .

وكانت فلسفة الرومي تقوم على ما كان يعلنه للجميع « كن ما تكون وسواء كنت مسيحيا أو وثنيا أو يهوديا فبابنا مفتوح لك ليس بابنا باب القنوط وإنما هو باب الايمان »

وكان يقول « لو كفرت مائة مرة وأردت أن ترجع الى الله فتعال فبابنا مفتوح فالله سبحانه من صفاته العفو التواب »

كان جلال الدين الرومي فيلسوفا صوفيا مسلما وكان مذهبه يدعو الى التسامح المطلق والحجج والبراهين الايجابية والخير والمحبة والموعظة من خلال الحب

وبالنسبة له ولمريديه كانت كل العقائد حقا وبنفس نظرة الرعاية التي يرى بها المسلمين فإنه يرعى بنفس النظرة المسيحيين واليهود وكانت تعاليمه السلمية توجه الى كل الناس مهما كانت أجناسهم وألوانهم وعقائدهم . وكان يقول « إن شغلي هو المحبة . وبيت الحبيب مفتوح للجميع » هذه الأفكار كلها كانت ذات عون كبير في دعوة أصحاب العقائد الأخرى لدخول الاسلام ومن هنا لقي جلال الدين حبا كبيرا من المسلمين ومن أصحاب الديانات الأخرى على السواء وقيل أنه لما خرجت جنازته ازدحم عليها أهل البلد ازدحاما كبيرا وشيعها أتباع كل ديانة وهم يبكون وكان اليهود والنصارى يتلون التوراة والانجيل في الجنازة ، وبلغ ذلك حاكم المدينة فقال لقساوستهم ورهبانهم مالكم ولهذا الأمر وإنها لجنازة عالم مسلم ؟ فقالوا « به عرفنا حقيقة الأنبياء السابقين . وفيه رأينا مسيرة الأولياء الكاملين »

المثنوي

ما تزال نغمات الناي التي تبعث الهدوء في النفس تملأ آذاننا ونحن ما نزال داخل تكية جلال الدين وضريحه الذي تحول الى متحف يضم كل آثار الطريقة المولوية . . وقد أضيفت اليه اضافات جديدة .

ونتنقل بين القاعات التي تضم إحداها الآلات

● الطريق الى قونية عبر « مداخن الجن » . (أعلى) . واحدى اللوحات التي تحكي لقاء جلال الدين مع مريديه في صفحة من كتاب عن تاريخ حياته باللغة التركية (الى اليمين) وتبدو فخامة الزخرفة والثريات المتدلية من سقف القاعة الكبرى (الى اليسار)

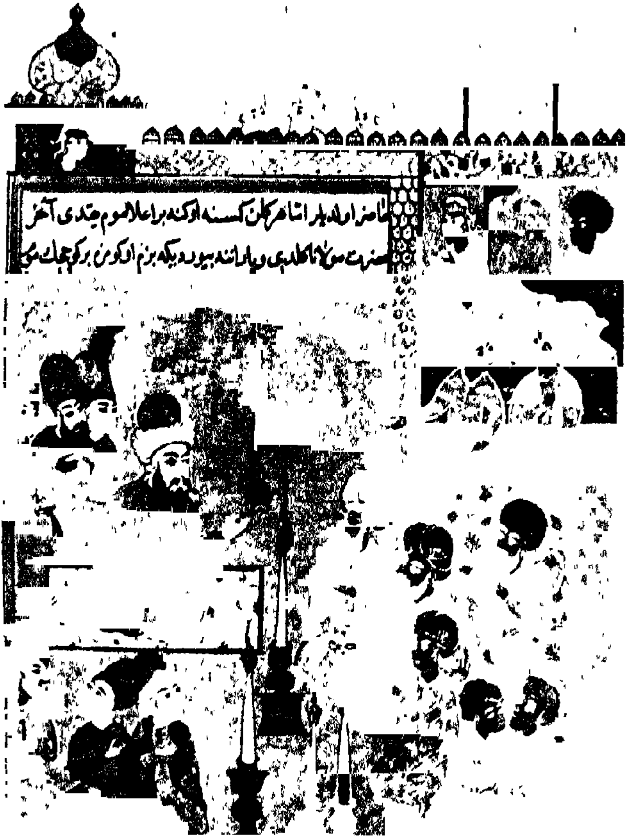

الموسيقية التي كانت مستخدمة خلال العصور السلجوقية في الأناضول ، والتي كان يستخدمها المريدون والعازفون المولوية بينما هناك قاعة أخرى مخصصة لعرض ملابس مولانا جلال الدين من العباءات المصنوعة من القطن وبعضها من الحرير أما العمامة فهي بنية اللون يحيط بها شال ملفوف رمادي اللون أو أخضره وفي القاعة أيضا تعرض عباءة لشمس التبريزي وأخرى لسلطان ولد ابن جلال الدين مصنوعة من الأطلس الحريري الأخضر

ثم ندخل قاعة تعرض فيها الآثار المكتوبة لجلال الدين الرومي وأعماله الشعرية

ونقف طويلا أمام الكتاب الأصلي المنسوخ بخط اليد المزخرف برسوم مذهبة « للمثنوى »

ويترجم لنا مرافقنا صفحة الكتاب المفتوحة من وراء الغطاء الزجاجي وهي تحكي حكاية تقول

« رأيت بالأمس شيخا يدور حول المدينة وقد حمل مشعلا ، كأنه يبحث عن شيء فقلت له يا سيدي تبحث عن ماذا ؟ قال قد مللت معاشرة السباع والدواب وضقت بها ذرعا وخرجت أبحث عن إنسان عملاق وأسد مغوار بعد أن ضاق صدري من هؤلاء الكسالى والأقزام الذين أجدهم حولي فقلت له · ان الذي تبحث عنه ليس يسير المنال . وقد بحثت عنه طويلا فلم أجده فقال انني مغرم بالبحث عمن لا يوجد بسهولة ولا يعثر عليه في الطرقات »

ونتابع أفكار الرومي من خلال حكاياته وأشعاره التي ترجمها وشرحها الدكتور محمد عبدالسلام كفافي في كتابه « مثنوى جلال الدين الرومي »

اذا أردنا أن نقسم شعر جلال الدين على أساس مضمونه ، وجدنا أنه ينقسم الى قسمين متميزين ، الأول منهما شعر وجداني فلسفي يتناول معاني الصوفية من حديث عن المحبة الالهية والوجد والنفس الانسانية وأصلها الالهي وحنينها الى ذلك الأصل الذي انفصلت عنه ، ولمحات في وحدة الوجود ولا يكاد يمس الحياة المادية الا ليبين تفاهتها واتضاعها إذا قيست بحياة الروح وما تنطوي عليه من المباهج وما تضمره للانسان من سعادة أبدية قوامها الكمال والخلود

* جانب من الراقصين والعازفين المولويه اثناء اداء رقصة السما

أما القسم الثاني من شعره فشعر إنساني أخلاقي تناول في جانب كبير منه الانسان . ويبين أهميته في هذا الكون ورسم المثل العليا للحياة الانسانية في هذا العالم وهو في هذا اللون من الشعر معلم أكثر منه فيلسوف ، يترك الرمز في كثير من الأحوال ويستخدم القصص والأمثال لبيان الآراء التي يدعو اليها

تراث جلال الدين الشعري ينقسم الى ثلاثة أقسام تضمها كتب هي الديوان الذي سمي بديوان تبريز ، والرباعيات ، والمثنوى .

أما الديوان فيشتمل في أكثره على غزليات صوفية يبلغ عددها نحو ٣٥٠٠ غزلية نظمت في بحور عديدة ، كما يضم أيضا قطعا تركية وعربية ويونانية وقصائد فارسية . ويبلغ عدد أبياته نحو ٤٣ ألف بيت .

● المولوية « يرقصون السيما »

ما الرباعيات فينسب إليه منها ١٦٥٩ رباعية عدد أبياتها ٣٣١٨

اما الأثر الثالث فهو المثنوى وكلمة المثنوى تعني ذلك النظم الذي يعرف بالمزدوج في العربية ، ويعتمد في التقفية على توحيد القافية بين شطري كل بيت من أبيات المنظومة فكل بيت من الأبيات تكون له قافيته المستقلة وبهذا تتحرر المنظومة من القافية الموحدة وهذا التعدد في القوافي هو الذي مكنه من الانطلاق بشعره الى أبعد مدى

وينقسم الكتاب الى ستة مجلدات تضم نحو ٢٥ ألف بيت ولا تتصل تسمية الكتاب بموضوعه وانما بشكل قوافيه

الوجود والانسان والحياة

موضوع المثنوى هو الوجود كله بصفة عامة ، والانسان والحياة بصفة خاصة وكل جزء من الأجزاء الستة يشتمل على أكثر من أربعة آلاف بيت والمثنوى كله قائم على مجموعة من القصص ولكن رواية القصص لا تقصد لذاتها وإنما هي لبيان مقاصد فلسفية أو لأهداف تعليمية فهو يبدأ القصة ، فلا يكاد يروي أولى وقائعها حتى يستطرد منها الى التحدث في حكمة هذه الواقعة ، فيذكر الآيات القرآنية ويفسرها ، وقد يذكر الأحاديث النبوية ويظل يبني عليها الأراء والحكم ثم يعود بعد ذلك الى القصة ليستأنف روايتها ، ويظل يعالجها على هذا النحو حتى ينتهي منها وقد وجد أن الشاعر عالج في المثنوى ١٢٨١ موضعا ولكن طريقة المعالجة قد خلت من الترتيب الدقيق فهو ينتقل من موضوع الى موضوع ومن مقصد الى مقصد دون منهج محدد يتبعه في ذلك الانتقال

كنه في كل ذلك شاعر أصيل نلمس عنده حساس الصادق والعاطفة الجياشة والعقل المعلم نفس الصافية التي تستطيع أن تبث الصفاء في س الآخرين وتصحبها معها في رفق وأناة في ب التأمل العميق تعينها على تحقيق حياة أسمى والطموح إلى غايات أعلى وأرحب

والحق ان جلال الدين لم يكن فيلسوفا فحسب ، وإنما كان حكيما عمليا لقد تقبل الحياة وتفاعل معها وعدها واقعا لا شك فيه وأوجب العمل فيها وهو يقول

« ان الدنيا تتجدد في كل لحظة ونحن لا نحس بتجددها ، وهي باقية على هيئتها الظاهرة والعمر وإن بدا مستمرا في الجسد ، فإنه يتجدد في كل لحظة كما يتجدد ماء النهر »

جهاد لا بطالة

نقول

يتصور البعض ان الصوفيين يميلون الى التعطل والرهبانية والتوكل السلبي الذي لجأ اليه بعضهم في السنين الأخيرة حين تحولوا بالصوفية الى أمور كادت تبعدهم عن حقائق الدين في أوامره ونواهيه مما أساء الى صورة الصوفية التي كانت تتميز بها في القديم من طهارة ورهد الا أن الرومي في صوفيته غير ذلك تماما انه يحارب البطالة ويدعو دعوة قوية الى الكدح والجهاد والأخذ بأسباب المعاش.من أمثلة ذلك ما يقوله على لسان الأسد في احدى قصص المثنوى .

« ان الله وهب الانسان الاعضاء والجوارح ، والمواهب والطاقات ، فدل ذلك على أنه يريد منه السعي والجهاد . كما لو أن سيدا منح عبده فأسا أو معولا ، فالظاهر أنه يريد منه أن يحفر الأرض ويشق صخرة سواء نطق بذلك أم لم ينطق كذلك قال الله لما أعطانا هذه الأيدي العاملة والسواعد القوية والأقدام السائرة أو الطاقات الفتية ، فانه يريد منا بداهة أن نشتغل ونستخدم قوانا ، ونكدح في الحياة ونجاهد فيها ، ونكسب رزقنا بقوة اليمين وعرق الجبين . فالتوكل الصحيح أن لا نقصر في جهدنا ثم نعتمد في نتيجة السعي على الله تعالى . فالسعي شكر لنعمة القدرة والتبطل كفران لهذه النعمة . والله يقول . « لئن شكرتم لأزيدنكم ، ولئن كفرتم إن عذابي لشديد » □

من روائع
الإبداع العالمي

جويا..

العابث الثائر..

بين رسم الحسان وفظائع الحرب

بقلم جمال قطب

[illegible]

[illegible] وآخر العمال التي

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] ١٨٠٨

[illegible]

[illegible]

عندما تتضح معالم الشخصية الفنية ، وتتبلور نزعاتها وطابعها المميز في نهاية المشوار الطويل لمسيرة هذا الفنان أو ذاك ، تكون هي محصلة العديد من التجارب والتأثيرات والممارسات الجادة التي واكبت مراحل العمل الابداعي في رحلة الحياة كالنحلة عندما تجتذبها الزهور من كل نوع ولون ، ترتشف رحيقها ، ثم تفرزه عسلا صافيا من صنعها ، لا أثر فيه لزهرة بعينها دون أخرى

وهكذا كانت حياة الفنان الاسباني الشهير فرانشسكوجويا ،وهكذا كانت سيرته الخصبة التي احتلت أسمى مكان ، وأرفع منزلة في تاريخ الفن العالمي ، ولقد زخرت بأسباب المعاناة والقلق والعواصف الدرامية الصاخبة ، بقدر ما اكتنفها من عوامل الطيش والعبث والشهرة ، والسرف والترف والبذخ ولذلك رأينا فنه يخاطب التناقض والمحن بأبعاده الانسانية المتضاربة ، كما يخاطب البصائر والوجدان بإحساس وشاعرية مرهفة الا أن أهم مايميز ابداعاته الخالدة تلك المواقف الصريحة الواضحة ازاء مجتمعه وانفعالاته وأهدافه ، مهما تنوعت وتناقضت الأمور والأحداث من حوله ظل جويا مرتبطا بوطنه بأوثق الروابط والمشاعر ، حتى تحت رماح الغزاة الفرنسيين الذين حاربهم بفنه ولوحاته المدوية الصارخة ، وهو يتربع على عرش الابداع في قصر الحكم الذي اغتصبه (جوزيف بونابرت) شقيق نابليون ، من فرديناند ملك اسبانيا الشرعي ، بعد أن اجتاحت القوات الفرنسية العاصمة (مدريد) في هجمة أوروبية شرسة

كان جويا (١٧٤٦ ـ ١٨٢٨) ابن فلاح بسيط ، نشأ في قرية جبلية فقيرة بمقاطعة (أراجون) ، وكان كجميع صبيان القرية يكدح في الحقل منذ شروق الشمس حتى مغربها ، ولكنه ولد فنانا منذ نعومة أظفاره لاتقع أعين أهل القرية عليه الا وقد أمسك بين أنامله الرقيقة قلما أو حجرا يخط به رسومه على أي سطح أمامه وكبرت هوايته مع سنوات عمره ، حتى أن رجال الدين وعمدة البلدة كلفـ بزخرفة الستارة الرئيسية لكنيسة القرية ، وهو لم ير في الثامنة عشرة من عمره

ومن الغريب أن جويا قد زار مسقط رأسه بعد ذلك بستين عاما ، وبعد أن عمت شهرته آفاق الدنيا ، ووجد أن هذه الستارة لم تبرح مكانها ، وقد أصبحت معلما هاما من معالم القرية

ومع بداية سن المراهقة وشبابه المبكر ، أرسله أثرياء البلدة الى مدينة (سرقسطة) ليتتلمذ على يد أحد الفنانين المرموقين من رسامي البلاد ومنذ ذلك الحين بدأت مرحلته العابثة الماجنة كما بدأت طموحاته وتطلعاته نحو القصر الملكي في مدريد

كان يرسم بالنهار ويعربد بالليل ، ويصارع الثيران في أيام الآحاد والأعياد ، ويغني ويرقص ، ويستهوي الغانيات ، ويهوى الشجار والمبارزة وكان لابد أن يودي به هذا العبث وحياة الاستهتار الى الجريمة ، ثم الى الفرار واستقر به المقام في العاصمة التي طالما حلم بها في تطلعاته وطموحاته الجامحة وكانت شهرته في فنه وفي مغامراته قد ذاعت وانتشرت ، فانهالت عليه العروض في المصانع الملكية لتصميم وزخرفة الطنافس والتحف والحلي للقصور والبيوت الحاكمة وأظهر جويا نبوغا جعله محط الأنظار من الأفراد والنبلاء ومن خلال تلك العلاقات الرفيعة توثقت عرى الصداقة بينه وبين شقيق الملك شارل الثالث

وكانت سمعته المشينة من جراء شططه ومجونه ، قد فاقت شهرته كفنان موهوب لايبارى فلم يرض الملك عن جويا ، ورفض كل وساطات رجالات القصر لتعيينه رساما للبلاط بل وأنذر شقيقه وولي العهد بأن يبتعد عن صداقة هذا الفنان العربيد ومن الغريب أن سوء سمعته هذه ، لم ترده الا تألقا في عيون قومه من الأسبان ، فكانت سيدات المجتمع يرتمين عند أقدامه ليرسمهن ، كما تسابق النبلاء الى مرسمه علهم يحظون بصورة لوجوههـ

ر ابداعه الملهم ! ومات نارل الثالث ، وتولى شقيقه (صديق جويا) العرش تحت اسم شارل الرابع ، فبادر الى تعيين رفيق معامراته وصديقه الفنان النابغة رساما للبلاط الملكي حيث دأت مرحلة حديدة مفعمة بالمشاعر والأحداث في حياة حويا وبلغ الدروة في فنه ، كما بلغ القمة في لتحليق من القاع بين السلاطة والتهور والفجور !

وتألق العابث في أجواء الفساد :

وكانت اسبانيا في دلك الوقت (أواحر القرن لثامن عشر) تعيش عصر الفساد والانحلال ، وقد عاشر حويا شتى طبقاتها شعبها الدي طحنه لفقر ، وشبابها المحروم ، وفتياتها الصائعات ، هاهو ذا يخالط أفراد البلاط الاسباني وحاشيته لأرستقراطية الذين يعيشون خلف الأستار والأسوار لمحصنة ، وتترسب في دهن الفنان ووحدانه قسوة لواقع وأطياف المستتر ، صورة قاتمة مهينة تثير لاشمئزاز واليأس والسخرية ! وهنا تأتي مرحلة لنضوج الفكري عند الفنان لاستيعاب هده المؤثرات لمتناقضة ، فيرسم لوحاته الملكية وكأنها هجاء لاذع لتفسخ الأرستقراطي والرذيلة المقنعة خلف الأسوار لعالية والدروع العاتية !

وكما يقال نقيض الشيء منجذب اليه ! بقدر ماكان يقسو الرسام في هجائه وسخريته من سادته بقدر ماكانوا يغدقون عليه ، ويبذلون له لعطاء والتكريم ولاسيما السيدات منهم ، كمن حاول أن يرشو رفيقه لانه عرف سره وعلم بخباياه نقائصه لعله يسكته أو يأمن جانبه أو يروضه اذا ستطاع !

واستبد الغضب بالفنان ، ولعلها صحوة الضمير عودة الوعي أو حلاء الواقع المرير ، وكان لابد له متنفس يصيب فيه فيض شجونه ، وجام سخريته مجتمعه ، وحتى على نفسه كذلك ، فعكف جويا مجموعة لوحات حفرها على النحاس ، تعرف باسم (النزوات) أو (لوس كابريكوس) كانت من أروع وأصدق ما رسمه فنان عالمي عبر قرون التاريخ ، حسد فيها انحلال المجتمع الاسباني ، مجتمع العبث والمتناقضات والتمزق والشهوات ! وكانت النزعة المأساوية في تلك المجموعة من اللوحات تنطق بالواقع المؤلم ، وتنضح بالمرارة والكآبة والمشاهد لأعمال جويا في مراحله السابقة ، في ايام اللهو والطيش والمغامرات المستهترة ، ويرى ابداعاته الحالمة التي تتغنى بفتنة النساء وأجواء المتعة والحياة المترفة ، يكتشف الصحوة المفاجئة لضمير الفنان ، وشفافية وجدانه ، كما يلاحظ جليا تلك الفجوة السحيقة التي تفصل بين مراحله الاولى والتزامه الضميري في نزعاته

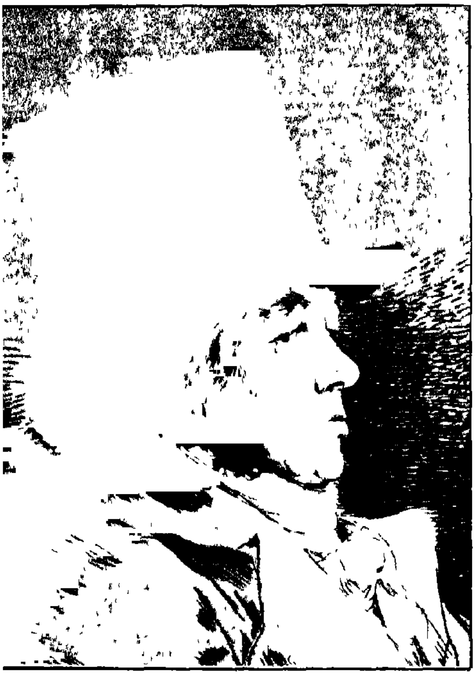

حويا صورة رسمها لنفسه (ويعتبر حويا على رأس قائمة الفنانين العالميين الدين رسموا أنفسهم في لوحاتهم)

القادمة ، ويؤكد ذلك ، ماحدث لـوطنه في أعـوام التحول المصيري ، بدءا من عام ١٨٠٨

فظائع الحرب . . والتحول الفكري

وكما يقول النقاد والباحثون عن فن جويا وآثاره في تاريخ الابداع انه كان ملحمة من الصراعات النفسية والفكرية المستعرة ، كما أنه قد سبق عصره في لوحاته السيريالية قبل أن تظهر السيريالية بأكثر من مائة عام ، وسبق الرومانتيكية المأساوية التي ظهرت في فرنسا وبشر بها (جرو) ، وقادها (جيريكو) ثم (ديلاكروا) ، بنحو ربع قرن من الزمان !

في عـام ١٨٠٨ رسم جويـا أشهر لـوحاتـه على الاطلاق ، وهي اللوحات التي رسمها في مجموعـة رائعة ، ولأول مرة في تاريخ الابداع العالمي ، ننظر الى لوحات الحرب فنشعر بشعور مأساوي مقرر ، وبجو كريه رهيب ينفرنا من بشاعة القتل وسفـك الدماء ! بعكس ما كان متبعا من الفنانين على مدى القـرون السـابقـة ، حيث رأينـا في لـوحـاتهم عن الحروب تمجيدا للمحاربين ، وأطيـافا من الفخـار والبطولة تتوج هاماتهم ، وتضفي هالـة من الاكبار والشاعرية !

ففي ذلك العام ، اقتحم الفرنسيون أرض الوطن في هجوم وحشي ، وعززوه بهجوم شرس آخر لقمع ثـورة الشعب الاسبـاني عقب تنصيب (جـوزيف بونابرت) شقيق نابليون على عرش البلاد ، ودارت المجازر الرهيبة بين الغزاة وأهل البلاد ، واستيقظت روح المقاومة والانتماء وحب الوطن في نفس الفنان ، وكانت وسيلته هي لوحاتـه المعبرة التي تقـطر أسى وواقعية درامية مفجعة ! فأخـرج مجموعتـه الاولى « كوارث الحرب » ، ومـالبث أن أتبعها بمجمـوعة أخرى عرفت باسم « فظائع الحرب » والزائر لمتحف (البـرادو) بمـدريـد يقف مشـدوهـا امام هـذه اللوحـات ، وينتابه شعور غـريب من الاحساس بالحقد على الغزاة ، وكراهية الاستبداد والتسلط ، والاشمئزاز من العنف والقتل وسفك الدماء ، فهذه الجثث المتراكمة التي صـورها جـويا في تـراجيديـة مـأساويـة تصارع المـوت تحت الأقـدام الـوحشيـة المدججة بالسلاح ، وهذه الروح النضالية المستعرة التي تقاوم بامكاناتها القليلة الواهنة بالأيدي المعروقة والأجسـاد العاريـة انها انطلاقـة الحياة بـأقـدام راسخة متشبثة بأرض الوطن تنطلق من عقالها فورة أخيرة وسط ركـام الظلم وظـلام القهر ، ا غريزة البقاء ، تستعر هائجة في أتون حلبات التسل وأشباح الموت وصرخات الـرعب ورائحة الترا والدماء والدمار !

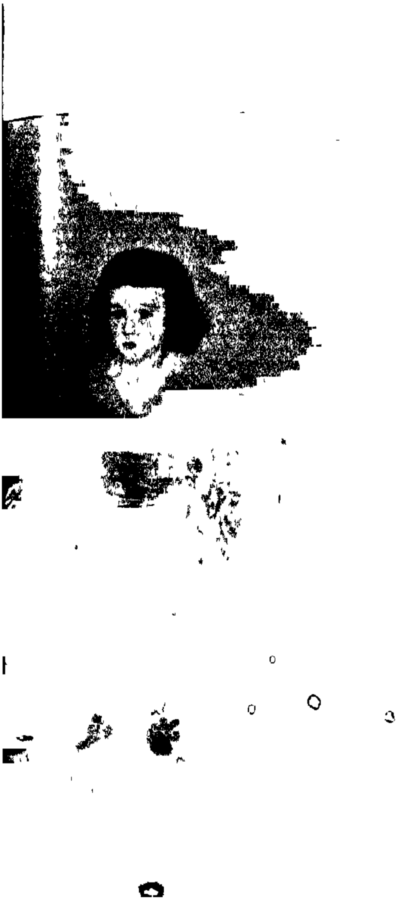

الطفل الملكي ، لوحة شـاعريـة رقيقة رسمهـا جويـا في مرحلته الرومانسية الاولى

وكان من الطبيعي أن تنطوي على أكبر قدر من قيمة الفنية وصدق المضمون والأداء ، كما أنها تمثل وضح صورة من العداء للفرنسيين ، وبالرغم من ذلك وهذا هو السر الغامض في حياة جويا ـ فقد ظل الفنان محتفظا بمكانته كرسام للبلاط ، وفي نفس وظيفته داخل القصر الملكي تحت حكم الفرنسيين ! وحتى بعد أن جاء نابليون بنفسه على رأس الجيش لقمع المقاومة الاسبانية والتنكيل بالمقاومين ، ولايقتنع عاقل بأن الفرنسيين قد أبقوا على جويا في مكانه حبا للفن وهم أول من اصطلى بنيران لوحاته المستعرة الصارخة المدوية ، وأصبح الشعب الاسباني في حيرة من أمر فنانه الكبير ولم يهتد الى سبب أو تبرير لما حدث وصار لدى الناس بكافة طوائفهم ونزعاتهم قناعة كاملة بخيانة جويا والسير في ركاب الغزاة الفرنسيين ، وانتظروا حتى تنقشع غمامة الهجمة الشرسة من سماء مدريد ، ودارت عجلة الزمان ، وسقط نابليون ، وتم جلاء الغزاة عن الأراضي الاسبانية ، وتولى « فرديناند السابع » حكم البلاد وجاء وقت القصاص ، وتوقع الجميع أن يثأر الملك من الفنان الخائن

واستدعى فرديناند جويا ، وحلت لحظة المواجهة الحاسمة ، وتسمرت أنظار الحاشية على شفاه الملك وقسماته الغاضبة وبعد لحظات صمت رهيبة ، قال فرديناند موجها حديثه الى الفنان الذي أطرق في يأس واستكانة « انك تستحق النفي ، بل الشنق ، ولكنك جويا فنان اسبانيا الكبير ، ومن أجل ذلك ، سأنسى كل مافات » !

ولاشك أن فرديناند قد استعاد في مخيلته تلك اللوحات العبقرية التي أبدعها جويا في ايام المقاومة والاحتلال ، وكانت بمثابة الشعلة التي ألهبت روح الصمود والصلابة والكفاح ، ووجد فيها الشفاعة للفنان العظيم ، فغفر له زلة أو هفوة ربما ألمت به بعريته في لحظات ضعف أو يأس يعتري البشر عادة المسيرة الشاقة المرهقة !

غير أن جويا كان قد برم بحياة القصر في مدريد ، فرحل الى اشبيلية وقضى بها عدة سنوات شغل نفسه فيها بزخرفة كاتدرائيتها الشهيرة ، ثم عاد مرة أخرى الى العاصمة ، منطويا على نفسه ، معتكفا في بيته ، يرسم على جدرانه آخر افرازاته العبقرية وزفراته الحزينة صورا ذات طابع متشائم ومالبث أن وهنت صحته وضعف بصره ، وسئم الفنان الحياة في بيته ، وفي اسبانيا كلها فرحل ـ وهو في سن الثامنة والسبعين ـ الى باريس

وأخذ يتنقل بين المدن الفرنسية ، وهو يحس بأنه يعيش آخر أيامه ، وانتهى به المطاف في مدينة (بوردو) ، حيث لقي حتفه وقد بلغ الثالثة والثمانين من عمره

وهكذا طويت صفحة مهيبة من صفحات الابداع العالمي الرفيع بعد أن انطبعت عليها بصمات أحد الأفذاذ من عباقرة التاريخ العظام بكل ما انطوت عليه من صنوف الفكر والعطاء والتألق □

حياة جويا والهاماتها في عالم السينما المعاصرة

من حياة فناننا فرانشيسكو جويا ، وما تزخر به من خصوبة الالهامات والعطاء ، تسابقت شركات الانتاج السينمائي في العشرين سنة الماضية الى انتاج الافلام الروائية الطويلة عن جوانب مثيرة من مسيرة الفنان الابداعية ومغامراته العابثة وكان من أهمها ثلاثة أفلام عالمية كبيرة هي حسب ترتيب انتاجها

* الفيلم الامريكي (مايا العارية)
* والفيلم الاسباني (جويا)
* والفيلم الالماني السوفياتي المشترك (جويا الطريق الشاق الى المعرفة)

* وكان الفيلم الامريكي ذا طابع تجاري كان التركيز فيه على طابع الاثارة التي تحكي

(ماجا) او (مايا) واحدة من أشهر لوحاته وكم أثير حول صاحبة الصورة من حكايات ومغامرات مع الفنان الكبير

علاقة جويا بدوقة ألبا ، تلك الفاتنة التي رسمها جويا عدة مرات ، وكان بينهما غرام جارف تحدث عنه كثير من الروائيين والمؤرخين في عصره ، ويحكي الفيلم كيف كان جويا يترك العاصمة (مدريد) وهي تغلي ثائرة في وجه الغزاة الفرنسيين أيام الاحتلال ، ويذهب الى (مايا) في مخدعها وفي زيارته الأخيرة لها كانت محمومة ذبل جمالها تحت وطأة المرض ، وقامت لتتزين استعدادا للقائه وهي تتحامل على نفسها ، وما أن وصل الى فراشها حتى لفظت أنفاسها الأخيرة بين ذراعيه

* أما الفيلم الاسباني فكانت تدور حوادثه عن علاقة جويا بالدوقة الفاتنة ، ولكنه يتغلغل في حياة الشعب وكفاحه ويستعرض باسهاب جو العاصمة الثائرة ، وفي الجانب الآخر تتلصص الكاميرا لتخترق الجدران وتظهر حياة المجون والتمزق والانحلال الذي عاشته اسبانيا في تلك الفترة التحولية الخطيرة وتموت الدوقة الحسناء ، وتشير أصابع الاتهام الى الملكة وتحملها مسؤولية موتها المفاجىء بدافع الغيرة والمؤامرات النسائية التي تدور بين أروقة القصر الملكي وتتحول حياة جويا بعد موت حبيبته الى بؤس وضياع وينتهي الاحتلال الفرنسي لاسبانيا ويحاكم جويا بتهمة الخيانة وصداقته للفرنسيين الغزاة وتنتهي المحاكمة بالبراءة ، ولكنه يخشى على حياته من انتقام البلاط ، فيترك اسبانيا كلها ويهاجر الى فرنسا الى أن يموت في مدينة بوردو بعيدا عن وطنه

* بينما نجد أن الفيلم الالماني السوفياتي المشترك (جويا الطريق الشاق الى المعرفة) يفسر المعرفة بأنها مسؤولية الفنان تجاه شعبه وتجاه عصره الذي يعيشه وهو عن قصة الروائي الالماني الشهير (ليون فاختفانجر) ، ولم يركز الفيلم على العلاقة الغرامية بين جويا والدوقة كما في الروايتين السابقتين ، ولكنه يمثل الحوار الدائم بين سلطة البلاط وحيوية الشعب وكفاحه وحركة الفن الثوري الذي يؤازر القضايا الوطنية والتحول الحضاري □

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

- ليلة عرس سودانية
- شعرك المفقود.. هل يعود مرة أخرى؟

ليلة عرس سودانية

بقلم : مبارك الصادق *

« يظل الزواج فرحا حقيقيا ، وترتبط به طقوس وعادات هي نتاج ثقافة المجتمع وتقاليده ، وعن فرحة الزواج وأحداثه في السودان نطوف بمعالم الطقوس ، ومظاهر الفرح ، ومباهج الزواج هذا الحلم الرائع والفرح المتجدد » .

عبر تفاعلات كثيرة ، طويلة هادئة تشكل المجتمع السوداني المعاصر ، بقبائله المختلفة وثقافته المتعددة في تمايزها وتمازجها

تبدأ صلة العرب بالسودان منذ أزمان سحيقة ، قبل ظهور الاسلام ، فقد عبر عديد من العرب البحر الأحمر على الرغم من صعوبة الملاحة ، طلبا للكلأ أو التجارة ، وبدأت تتوالى الموجات العربية ، فاختلطوا بالسكان المحليين ، ونشروا الاسلام بعد ظهوره ، فشاعت الثقافة العربية ، وتداخل العرب مع المجتمع المحلي

وعبر تفاعلات الثقافة العربية وتداخل العرب مع المجتمع المحلي ، وعبر تفاعلات اجتماعية وتاريخية تبلور شكل المجتمع السوداني المعاصر بانتمائه العربي ، وثقافته الاجتماعية التي ساهم انتماؤه العربي في اعادة تشكيلها وصياغتها في سنين طويلة

ولأن الزواج حدث شديد الخصوصية والعمومية في آن واحد فهو يحمل في مظاهره جذور الثقافة الاجتماعية المتوارثة ، وملامح من تأثر المجتمع بالخارج ، ليصبح في النهاية بهذا المزج حدثا اجتماعيا متفردا

---

* كاتب وأديب من القطر السوداني

- رقص وفرح وإبتسامات على الوجوه في ليلة العمر

وعلى الرغم من غلبة الاسلام والعروبة فانه ما زالت هناك ثمة أقليات تحتفظ بطابعها الخاص ، وبثقافتها الذاتية ، مثل القبائل في جنوب السودان ، والقبائل النيلية الدينكا والنوير والشلك وكذلك القبائل الاستوائية وقبائل الانقسنا

إن البيئة الاجتماعية لكل المجتمعات قلما تكون متجانسة ، لاسيما في مجتمعات مثل مجتمعات الثقافات المختلفة ، كالسودان مثلا

وسط السودان :

تمثل المنطقة الوسطى من السودان مركز الثقل الحضاري ، لتعرضها لأكبر قدر من النفوذ العربي ، بسبب كثافة استقرار الجماعات العربية التي هاجرت الى السودان ، مما أدى الى تشكيل هذه المنطقة وانصهارها تماما ، مكونة بذلك الذاتية السودانية الهجين

« عندما نقول المنطقة الوسطى فإننا نعني المنطقة التي تبدأ من الخرطوم وتمتد الى منطقة الجزيرة الواقعة بين النيلين الأزرق والأبيض ، وحتى سهول البطانة شرقا ، والأطراف الشمالية لكردفان

إن الثقافات السائدة في هذه الرقعة ليست منغلقة تماما ، فهي منفتحة ومتناغمة مع الثقافات الأخرى في المناطق المجاورة ، مما يؤدي الى تواجدها بشكل أو بآخر ، على أن هذه الرقعة التي حددناها تكاد تمثل

التطابق والتوافق الكلي مع التحفظ للاختلاف الذي يمكن أن ينشأ لسبب أو لآخر

اختيار العروس :

بانتشار التعليم ، ودخول المرأة الى ميادين العمل، وتقهقر المجتمع التقليدي، أصبحت الفتاة موجودة مع الشاب في الجامعة ، وفي مواقع العمل المختلفة ، ولهذا فليس هنالك صعوبة في المشاهدة والمعرفة ، وبالتالي في الاختيار

وعندما يختار الشاب فتاته ـ عادة ـ يتشاور مع أسرته ، لاقرار ذلك الإختيار ، ومتى ما كانت هنالك قناعة ومباركة من الاسرة فان والد الشاب يذهب ليطلب يد الفتاة من أبيها بصفة رسمية ، وغالبا ما يطلب والد الفتاة مهلة حتى يتسنى له مشاورة كافة الأطراف المعنية ، وما لم يكن هناك ثمة اعتراض فإن والد الفتاة يخطر والد الشاب بالموافقة ، لاتمام مراسم الخطوبة الرسمية ، أو الزواج الفوري إن أرادوا ذلك

الخطوبة :

تتم إجراءات الخطوبة بحضور العريس وأسرته من النساء الى جانب أصدقاء العريس ، وتقدم الهدايا الى العروس ، وهي ما تعارف عليه باسم (قولة خير) أي الموافقة ، وتتكون الهدايا من الثياب والفساتين والأحذية وأدوات الزينة والعطور والحلوى ، وفي حفل مصغر يقوم العريس بإلباس العروس خاتما من الذهب ، يعرف (بالدبلة) ، يلبسه لها في بنصر يدها اليسرى ، وتقوم هي بعد ذلك بإلباسه الخاتم بنفس الطريقة ، وسط زغاريد الأهل ، والعطر العابق ، والفرح الطاغي ، فيما تجتمع النساء كبيرات السن من الأسرتين لیجرين المفاوضات لتحديد زمان العرس والتفاهم في المستلزمات

ـ على الوجوه يمرح الفرح بالحياء

المهر :

في بعض الريفات يحدد المهر وتوابعه بعد محادثات بين الأطراف المعنية ، غير أنه في الغالب يترك حجم المهر ومقداره لتقدير العريس وأسرته ، وحتى وقت قريب كان المهر يبدأ بألف جنيه الى ثلاثة آلاف ، إلا أن المتغيرات الجوهرية التي حدثت في خارطة العلاقات الاجتماعية ، والتحولات التي تمت في

سية الاقتصادية ، ونشوء حركة جديدة مع نمو
ررور المشاريع التنموية التي أدت الى تزايد حركة
سياب المال في أيدي مجموعة من المهنيين
الحرفيين ، والعمال المهرة ، قد أدت الى قفزات في
مض الشرائح الاجتماعية إلى أعلى السلم ، هذا
صلا عن الهجرات الكبيرة التي قام بها الشباب الى
أقطار العربية النفطية التي أدت إلى تدفق الأموال في
لدى هؤلاء الشباب بشكل كبير وفي وقت قصير ، مما
رر بعض الممارسات العريبة ، وذلك كله قد أدى
ل تظاهر تفاخري سادج ، وصرف بذخي كاذب ،
دفع الشباب في سبيل إشباع نزعة (المحفحة) إلى
ع مهور مبالغ فيها

الشيلة) :

« الشيلة » هي الأشياء المصاحبة للمهر ، وتتكون
ن الثياب ، والفساتين ، والأحذية ، والعطور ،
لحلي الذهبية ، والمأكولات ، من دقيق ، وأرز ،
ريت ، وخراف ، وما الى ذلك وقد انعكس ما قلناه
ن المهر على حجم « الشيلة » كذلك ، فتضخمت ،
رهلت ، حتى أصبح تعداد الأشياء يحسب بالدستة
دلا من القطعة ، وأصبحت الأسر لاترحب الا
لزوج المغترب العائد من أقطار الخليج العربي !

إن الشعور بالحرمان والاحساس بالدونية الناتج
ن العوز والحاجة ، والاغتناء السريع الذي حدث
ئة من الطبقة الدنيا ، وهي في الغالب فئة لم تتح لها
ظروف فرصا لتلقي العلم ، قد أدى ذلك كله إلى
، تمارس تلك الفئات تصرفات استهلاكية
سحكة ، تفتقر الى الروية والحنكة ، مما تسبب في
راز ظاهرة سلبية أخرى ، هي عزوف الشباب عن
واج وعجزهم عنه ، بسبب عدم المقدرة على القيام
لك التكاليف الباهظة ، حيث ان حلم الفتيات قد قد أصبح يتجسد في الشباب المغترب الذي ينفق ويدفع دونما حساب

بطاقة الدعوة :

بعد أن يدفع العريس المهر ويرسل كل مستلزمات « الشيلة » إلى أهل العروس ، يقيم حفلا لاستقبال الأهل والاصدقاء والمعارف ، لتقبل التهاني ، ولمشاركته الفرح بهذه المناسبة ، وتختلف طبيعة هذا الحفل حسب الظروف الاجتماعية ، والأحوال الاقتصادية ، والواقع المحلي ، فإما أن يكون ذلك الحفل حفل مرطبات ، تقدم فيه المشروبات الباردة والفواكه والحلوى ، وإما أن يكون حفل عشاء ، تقدم فيه اللحوم والمأكولات

ومن عادات المجتمع السوداني التكافل الاجتماعي في كل المناسبات ، سواء كان ذلك في الأعراس أو المآتم أو ختان الأطفال ، فإن الأهل والمعارف والأصدقاء يساهمون بالمال مع صاحب المناسبة

لذا فإن المدعوين يقومون بدفع إسهاماتهم من المبالغ النقدية التي تقل أو تكثر حسب طبيعة العلاقة بين المدعو والعريس أو أسرة العريس ، الا أن بعض الأسر الكبيرة درجت على ألا تأخذ هذه المساهمة ، وكذلك بعض الشباب من المغتربين الذين تعللوا بعدم تواجدهم المستمر ، مما يعني اخفاقهم بالتالي في الاسهام مع الآخرين

ولقد تعارف الناس على اصطلاح ينبيء عن قبول العريس بالمساهمة أو عدم قبوله بها ، وذلك من خلال صيغة بطاقة الدعوة نفسها التي تحدد المناسبة وزمانها ومكانها ، فمتى ما كتب في نهاية تلك البطاقة (وشكرا) . فإن هذا يعني ـ ضمنيا ـ أن لامجال بقبول المساهمة ، أما اذا كانت نهاية البطاقة (ودامت

الأفراح) ، أو (ولكم عقبى المسرات) فإن ذلك يعني أن لامانع من المساهمة والمشاركة

عقد الزواج :

بعد الاتفاق على موعد العقد يتولى والد العروس أو ولي أمرها دعوة أهله ومعارفه ومن يريد دعوتهم للمشاركة بحضور عقد الزواج ، ويحضر وفد صغير من أهل العريس ، وبعد حضور المأذون ، وتقديم المرطبات ، تبدأ اجراءات العقد بسؤال الفتاة عن موافقتها ، وإثبات وكيل العروس ، وتحديد مبلغ (الصداق) ، وما اذا كان مقبوضا كله أو بعضه

ومن ثم يتم العقد ، وحال اتمامه تدوي طلقات البنادق ، فتعقبها زغاريد النساء اشهارا لذلك ، في حالة عدم وجود بنادق يتم الاشهار من خلال صيحات بالحناجر معروفة ، يطلقها بعض من المتخصصين ، تعرف باسم « الرواري » أو « الكواريك) !!

تجهيز العروس

قبل فترة من العرس - تطول أو تقصر حسب الظروف - تكون العروس في حالة (حبس) ، لاتخرج ولا تظهر في أي مجتمع من المجتمعات ، وتكون في تلك الفترة محل العناية والرعاية من أسرتها ، ولا تؤدي أي عمل ، بل تخلد الى الراحة ، والى الطعام الخاص ، حتى تبدو في حالة طيبة عند الزواج ، وكذلك تعد لها زينة خاصة ، يطلق عليها اسم « الكابريت » ، حيث تخضب يديها بالحناء ، وكذلك قدميها ، كما يعد لها حماما ناريا بدخان الطلح ، تجلس عليه ساعات طوالا حتى يعرق جسدها ، ويتخلل الدخان مسام جسدها ، وبعد ذلك يدلك جسدها بعجينة مركبة ، هي (الدلكة) ، وتعطر بعطور مركبة معدة شكل خاص ، هي (ريحة العرس) ، وهي عبارة عن خلطة شاملة ، من عطور جافة ومحلب وأشياء أخرى ، وإجمالا فإن العروس تبدو في يوم زفافها مجلوة مضوأة ، حتى يذهل من كان يعرفها قبل ذلك

عادة يتم الزفاف في نفس يوم العقد ، وفي حالات أخرى يتم في وقت لاحق ، حيث يحضر العريس في رهط من أصدقائه ، وبعد حفل الزفاف يأخذ العريس عروسه ، ويذهب بها إما الى منزل الزوجية المعد ، وإما الى (شهر العسل) ، كما درج بعض الشباب الحديث

صلة القربى

المجتمع السوداني التقليدي يفضل - بصفة دائمة - نظام الزواج من الداخل ، حيث تكون الافضلية في الزواج من ابنة العم أو العمة أو الخال أو الخالة وهكذا ، على أن المستجدات والمتغيرات التي نتجت عن العلم والتعلم ، وكذلك عن التطور الاقتصادي قد أضعفت هيمنة هذه الأفكار التي كانت تعتمد على فلسفة « غطي ماعونك » ، وأصبحت هنالك حرية كاملة في الاختيار

طقوس بعض القبائل :

إن المهر عند قبائل جنوب السودان - لاسيما القبائل النيلية - دائما يتكون من مجموعة كبيرة من الأبقار ، يدفعها العريس لأسرة العروسة ، وهذه الأبقار ترد في حالة الطلاق أو موت العريس !!

كذلك من الطبيعي أن تقوم العروس بالهرب من منزل الزوجية مع أي شاب من الشباب ، وتختفي

معه ، وهذا دلالة على كونها امرأة مطلوبة ومرغوبا بها !! وبعثور زوجها عليها يعيدها الى منزل الزوجية ثانية ، وهو عارف لقدرها

كما أنه في حالة وفاة الأب فإن الابن يرث زوجات والده !!

هذه بطبيعة الحال بعض عادات القبائل الوثنية ، أما من يدينون منهم بالاسلام فإنهم يلتزمون بالتعاليم الاسلامية

أما قبائل النوبة بجنوب كردفان فالمهر يدفع كذلك من الأبقار الى جانب المال أيضا ، وفي فترة الخطبة يبقى الخطيب بمنزل أسرة خطيبته ، وذلك ليتسنى له معرفة خطيبته ، والتعرف على سلوكها وأخلاقها ، كما أنه يضع نفسه تحت تصرف أهلها ، ليؤدي لهم كل ما يطلبون منه من عمل ، أي أنه يعد نفسه ابنهم المطيع ، وأنه قد أصبح أحد أفراد الأسرة ، فلا غرو إذا من أن يقوم بكل الاعمال المتصلة بالزراعة أو الرعي ، أو المساعدة في بناء المنزل ، أو بأي عمل آخر فيما تقوم الخطيبة برعاية شئونه ، من غسل للملابس ، وماإلى ذلك

وكما ذكرنا فإن المهر عند النوبة يدفع الى جانب المال بالبقر والأغنام ، وهنالك بعض الزيجات يتم الزواج فيها عن طريق (البرسو) ، وهو أن يدفع العريس جزءا من المهر ، على أن يمهل في دفع الباقي حتى تنجب عروسه بنات ، وينشأن ويتزوجن ، فيدفع من مهرهن متأخر (البرسو)!

أما في غرب السودان فعلى الرغم من أن طقوس الزواج تتم بشكل عادي ، خطوبة فمهر فعقد فزفاف ، بعد أن يكون العريس قد أولم ودعا كل أصحابه ، إلا أن العريس ـ أو الرجل هناك بشكل عام ـ يتميز بسلطة كبيرة ، فله مطلق السيادة ، اذ هو الآمر الناهي ، وهو المعتبر المبجل ، وليس له أن يشغل نفسه بالعمل ، أو أن يكد أو يشقى ، ولذا فان دفة العمل تديرها المرأة ، وهي المشرفة على كل صغيرة وكبيرة في شئون الأسرة ، وبعد أيام قليلة من الزواج تمارس العروس حياتها العادية ، مثلها مثل الأخريات ، اذ تبدأ باعداد الشاي ، ثم اعداد الافطار للرعاة ، ومن ثم تبدأ في خض اللبن لاستخراج الزبد ، ثم تعمل على جلب الماء ونشله من البئر بواسطة الدلاء ، وبعد ذلك تقوم للفرع لجلب حطب الوقود ، ثم طحن الحبوب ، وإعداد الغذاء ، وغسل الملابس والأواني ، وهكذا تفعل الزوجة كل ذلك والزوج يلعب (السيجة) تحت ظلال الشجر أو يستلقي على قفاه مرتاحا !!

السيرة :

عادة تصحب العرس ابتهاجات وأفراح وأغان ، تختلف من منطقة الى أخرى ، على أن أشهر الأغاني الطقسية التي تمارس هي ما يعرف (بالسيرة) ، وهي مسيرة العريس من دارهم الى دار العروس ، حيث يشيع بالفرح وأغاني (الفال) ، متمنين أن يغلبها العريس بالمال ، وتغلبه بالعيال !□

شعرك المفقود
هل يعود مرة أخرى ؟

بقلم : الدكتور سامي عزيز

لا ينتهي اهتمام البشر - رجالا ونساء - بشعرهم ، بدءا من علاج التساقط والتقصف وانتهاء بحالات الصلع ، ففي عام واحد بلغ مجموع ما أنفقه الشعب الأمريكي مثلا على علاج الشعر ٥ بلايين دولار ، أي ما يزيد على ميزانية حرب النجوم . ومنذ أعوام قلائل ثار اهتمام ملايين البشر بعقار جديد ، تمّ اكتشافه لعلاج الشعر فما هي القصة والحقيقة والأسباب ؟

في مارس سنة ١٩٨٣ أعلن المركز الطبي التابع لمستشفى واشنطن عن حاجته الى متطوعين ، لتجريب عقار « المينوكسيديل » الجديد ، هذا العقار له خاصية تعويض الشعر المتساقط وإطالة الشعر وتحسين مواصفاته

ذكر المستشار الطبي لشركة « أبجون » - الشركة المصنعة للعقار الجديد - أن ما يقرب من ٢٤٠٠ متطوع قد تم اختيارهم لهذا الغرض وتشير النتائج الى أن هذا العقار الجديد قد نجح في علاج ٧٥/ من الحالات ، إلا أن كمية الشعر التي نمت باستخدام هذا العقار لم تكن بنفس الدرجة والجودة ففي ٢٥/ من الحالات كانت كمية الشعر الجديدة محدودة ، وأقل غزارة ، وفي ١٨/ من الحالات اختفت المشكلة تماما ، وبدا الشعر الجديد كأنه متمم لباقي شعر فروة الرأس

مادة « المينوكسيديل » ليست من المواد حديثة العهد ، إذ أن شركة « أبجون » نفسها سبق أن أخرجتها في صورة أقراص لعلاج ضغط الدم

المرتفع . وبذلك فإن بعض الأطباء يعمدون الى استخدام مادة « الميوكسيديل » موضعيا في بعض حالات الصلع ، على الرغم من عدم موافقة الوكالة الأمريكية للغذاء والدواء على استخدامها بالمفهوم العام حتى الآن ، لكن المناقشة الدائرة الآن عن درجة تركيز هذه المادة في الدهان الموضعي التي قد تتفاوت دون شك ـ من وصفة الى أخرى ، نظرا لأن النسبة المناسبة للعلاج الموضعي مازالت من الأسرار التي تحتفظ بها شركة « أبجون » حتى تتم الموافقة على تسويق الدهان الجديد .

حربنا ضد الصلع

الانسان في حربه ضد الصلع (التوزيع الطبيعي للشعر عند الرجال) قد سجل العديد من الاجتهادات منذ القدم ، وعبر العصور المختلفة استخدام آلاف المواد التي قد تبدو عجيبة وغير مستحبة لاستعادة ولو بعض شعيراته المفقودة فكانت وصفات كالسائل المنوي للثور ، ومخلفات البهائم ، وأحيانا دهن الحمار ، وسلطة المايونيز ، وزيت الزيتون ، وعصير الثوم ، وغيرها من المواد المقبولة وغير المقبولة . لكنها جميعا مع الأسف لم تنجح في حل مشكلته مع الصلع ، تلك المشكلة التي تكلف الشعب الأمريكي وحده أكثر من ٢٠٠ مليون دولار سنويا ، فما بالك بما ينفقه لحل هذه المشكلة على مستوى العالم !

أما تجار أدوية الصلع ومدعو علاجه الذين حققوا أرباحا خيالية ـ دون شك ـ من وراء ذلك ، فكثيرا ما كانوا على مر العصور عرضة للمساءلة القانونية ، وأحيانا للعقاب ، ففي أواخر سنة ١٨٨٠ مثلا تم القبض على أحد مدعي علاج الصلع بمدينة (دوس مونيس) ، بعد أن باع دهانا لأحد قضاة المدينة ،

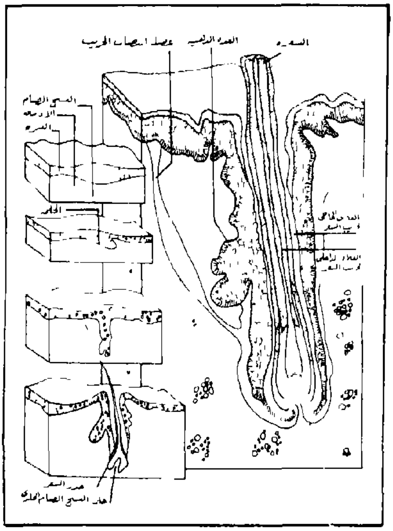

حطوات نمو الشعر والتركيب التشريحي للشعرة . المعروف أن تكوّن الشعر في الجنين يبدأ في الشهر الثالث لوجوده داخل الرحم

وأوهمه بأنه سيعيد اليه شعره إذا ما استخدمه عدة أسابيع ، لكن العلاج ذا الرائحة الكريهة لم يفد شيء ، وتبين للقاضي فيما بعد أنه استخدم خليطا من الحبر وروث بعض الحيوانات . والعجيب أن التاجر لم ينكر ذلك ، بل أوضح الأمور قائلا : « إن شعر فروة الرأس يشبه محاصيل التربة ، من هنا كان لابد من تسميدها ليمو الشعر » . والواقع أن هذه الرواية ليست أول الروايات ، ولا أعجبها ، إذ على مر العصور ومنذ القدم استخدم الرجل والمرأة على السواء العديد من الخلطات والتركيبات المختلفة ، ليعيدا شعر رأسيهما ، ويعوضا ما سقط منهما . ففي مصر القديمة مثلا تحدثنا البردية الطبية «ايبرس» عن خلطة لعلاج الصلع ، تتكون من دهن الأسد والوسيد قشدة والتمساح والأوز والوعل والحية

والماعز ، ووصفة أخرى تقول إن مخلب الكلب والتمر ودهن الحمار عند خلطها معا ووضعها يوميا على فروة الرأس تعيد الشعر المتساقط

أما الطبيب الإغريقي أبقراط (أبو الطب) فاستخدم لعلاج الصلع مرهما به مواد حريفة ، كمزيج الخشخاش وروح الورد والخمر وزيت الزيتون وأثناء القرن الرابع قبل الميلاد أعلن أرسطو أن حدوث الصلع يرجع الى زيادة في النشاط الحسي وعلى الرغم من أن الفيلسوف الإغريقي - الأصلع - لم يحدد بالضبط السبب الحقيقي لحدوث الصلع ، إلا أنه أشار ولو بطريقة غير مباشرة الى هرمونات الذكورة المعروفة الآن بتأثيرها المباشر على نمو الشعر وسقوطه

في وقت من الأوقات اعتقد الناس أن الرجولة والنشاط والقوة عند الرجل ترتبط بالشعر يحدثنا العهد القديم عن « شمشون » الذي فقد قوته وجبروته عندما خدعته « دليلة » حبيبته وقصت شعره الطويل أثناء نومه ، فكانت نهايته بذهاب شعره وحتى الآن مازال القضاة الانجليز يرتدون الشعر الأبيض المستعار « باروكة » في المحاكم والاجتماعات الرسمية ، كرمز للقوة والكيان القانوني الذي يمثلونه

لماذا يحدث الصلع ؟

في سنة ١٩٦٥ أعلن الدكتور « أ « جيمس » أستاذ التشريح بجامعة هوارد الأمريكية أن حدوث الصلع يرتبط بارتفاع معدلات الذكاء ، وادعى أن نمو المخ في هذه الفئة من الرجال يفوق المعدلات الطبيعية ، مما يؤثر على نمو شعر فروة الرأس في بعض المناطق ، ويعجل بتساقطه ، إلا أن هذه النظرية سرعان ما سقطت ، نظرا لضعف دليلها ، وعدم استنادها على أي برهان علمي

والثابت علميا الآن أن الصلع عند الرجال أحد الصفات الثانوية التي تميز الذكور (مثل ضخامة الصوت ، وبروز العضلات ، وظهور الشارب واللحية وغيرها) ولحدوث الصلع يلزم توافر العاملين الآتيين

(١) توافر العامل الوراثي لحدوث الصلع مثل وجود الصلع في الخال أو العم

(٢) توافر هرمونات الذكورة حتى يتم تنفيذ العامل الوراثي ، فحدوث الصلع مؤشر من مؤشرات الذكورة مثله كمثل بروز الثديين عند الاناث

ويهمنا هنا أن نذكر حقيقة علمية ، قد تبدو لبعضنا غير مقبولة ، إذ أن الصلع جائز الحدوث في الأنثى ، كما يحدث في الذكور (تساقط الشعر المرتبط بهرمونات الذكورة) ، والصلع في الأنثى يرتبط أيضا بالأسباب الوراثية والهرمونية (هرمون الذكورة) ، مثله في ذلك مثل الصلع عند الرجال تماما ، إلا أن الصلع في الإناث يحدث بطريقة تدريجية ، ويكون أقل انتشارا منه في الرجال ، وغالبا ما يصيب المنطقة الأمامية من فروة الرأس ، كما لا يتأثر خط الشعر الأمامي في رأس المرأة (في رأس الرجل يؤدي الصلع الى تغير خط الشعر الأمامي ، ليصبح مماثلا لحرف « M » باللغة الانجليزية) وقد يصاحب ذلك بعض العلامات التي تشير الى زيادة هرمونات الذكورة ، مثل ظهور الشعر في الوجه والجسم ، وضمور الثديين ، واضطرابات الدورة الدموية وفي هذه الحالات يلزم فحص بعض الهرمونات ، للتأكد من عدم اضطراب بعض الغدد الصماء كالغدة النخامية والمبيضين والغدة « الفوق كلوية »

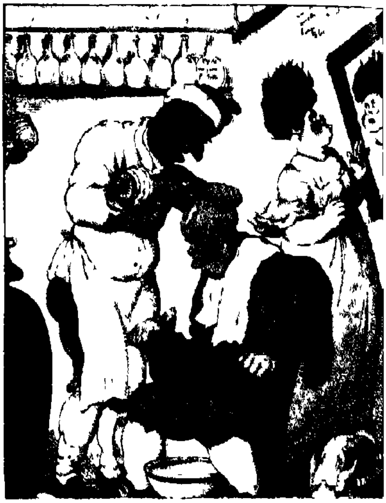

لوحة توماس رولاندسون التي ترجع الى سنة ١٨١١ وهي بعنوان « ريت ماكرسون » الزيت الذي اشتهر في ذلك الوقت باعادة شعر فروة الرأس

تساقط الشعر له أسباب

في هذه الحالات يصل عدد الشعرات المتساقطة الى المئات يوميا . أما أهم الأسباب التي تؤدي الى ذلك فهي :-

(١) الضغوط النفسية الشديدة والقلق . وأبسط مثال لذلك تساقط شعر الجنود والمقاتلين العائدين من المعارك الحربية . يؤكد الدكتور « جوليا بيري » استاذ الأمراض الجلدية بجامعة « بادوا » بايطاليا أن ٨٧٪ من مرضى تساقط الشعر يعانون من ضغوط سية شديدة ، خاصة خلال الستة شهور التي تسبق اقط الشعر

٢) استخدام العقاقير المضادة للسرطان ، أو ص للمواد المشعة ، وتناول بعض العقاقير مثل الزرنيخ ، أو مضادات البيتا ، أو مركبات الذهب ، أو الكولشيسين

(٣) النقص الشديد في تناول البروتينات فترات طويلة ، كما هو الحال في المجاعات

(٤) بعض الأمراض المزمنة كالزهري ، والرئة الحمراء ، وهبوط الكبد والكليتين ، والاصابة بالسرطان

(٥) إصابة فروة الرأس ببعض الفطريات أو الفيروسات ، أو نتيجة تعرضها لبعض المواد الكيماوية

(٦) نقص إفراز هرمون « الثيروكسين » في الجسم . ومن هنا كانت أهمية تقدير نسبة هذا الهرمون في حالة كل سيدة تعاني من تساقط شعرها

(٧) بعد العمليات الجراحية الكبرى ، وبعد الولادة في السيدات

(٨) بعض العادات السيئة قد تؤدي الى تساقط الشعر ، مثل شد الشعر وجذبه بقسوة للخلف ، وكثرة استخدام مجفف الشعر ، وسوء استخدام الصبغات ومشابك الشعر وبكرات لف الشعر وغيرها . وبطبيعة الحال يعتمد مقدار الضرر الناتج عن هذه العوامل على مدة تعرض الشعر لها

(٩) بعض الأمراض التي تتميز بارتفاع درجة الحرارة قد تتسبب في تساقط الشعر . وتجدر الاشارة هنا الى أن هذه الحالات غالبا ما تتحسن دون أية عقاقير بعد اختفاء الحمى

شعرك في أرقام

تحتوي فروة الرأس على ما يقرب من ١٠٠,٠٠٠ بصيلة شعر في المتوسط ، أو ١٠٠٠ بصيلة لكل بوصة مربعة من فروة الرأس . وفي حالة (الشقر)

قد تصل الى ١٤٠,٠٠٠ بصيلة ، لكن الشعر الأشقر عموما يكون أخف وأرق من الشعر الأسود ، ويصل العدد الى ١١٠,٠٠٠ بصيلة في السود أو الزنوج ، أما في الشعر الأحمر فيبلغ نحو ٩٠,٠٠٠ بصيلة

ويختلف معدل نمو الشعر باختلاف الجنس ، والوضع الهرموني ، والطقس ، لكنه في المتوسط يصل الى ٣٧، مم في اليوم ، أي حوالي (١) سم في الشهر ، أي ثلاثة أمثال معدل نمو الظفر ومعدل نمو الشعر يكون أسرع لدى المرأة عن الرجل ، كما أن نمو شعر قمة الرأس يفوق في معدلاته الشعر الموجود على المنطقة الصدغية وعموما ينمو الشعر بدرجة أكبر في الصيف عن الشتاء كما أن حصلة شعر يمكنها أن تحيا مدة ثلاثة أسابيع بعيدا عن فروة الرأس إذا ما وضعت جذورها في محلول ملحي وبغض النظر عن الجنس فإن معدل نمو الشعر يصل الى أقصاه في سن ٥٠ الى ٧٠ سنة على الرغم من أن عدد بصيلات الشعر قد يكون أقل مما كان عليه في السن الأصغر ولا توجد حدود لطول الشعر ، فربما يصل طوله الى قدمين أو ثلاث أقدام ، وربما أطول من ذلك يؤكد الدكتور (ديتوف) العالم الانجليزي أن شعر المرأة السمراء إذا وصلنا بعضه ببعض سيبلغ طولا يتراوح بين ٧٠ ـ ٨٠ كيلومترا ، أما الشقراء فإن شعرها يصل الى ١١٠ كيلومترات كما أن شعر السمراء أكثر مقاومة للشد والضغط من الشقراء

هذا العلاج قد يصلح

على الرغم من أن الصلع ليس له علاج مؤكد إلا أن بعض الوسائل العلاجية المتوافرة حاليا قد تفيد في بعض الحالات

(١) يقول الدكتور « نارين » أستاذ الأمراض الجلدية يمكن في حالات الصلع استخدام هرمون « البروجستيرون » موضعيا ، كما أن هذا العلاج يصلح لعلاج الصلع عند السيدات ، خاصة أثناء فترة اليأس ، فهذه الطريقة أكثر أمانا ، وأقل مضاعفات ، مقارنة باستخدام هرمون « الاستروجين » ويؤكد الدكتور « نارين » أن سرعة استخدام هذا الهرمون مع بداية تساقط الشعر يحد من تفاقم المشكلة ، ويمنع استمرارها ، إلا أن استخدام هرمون « البروجستيرون » للرجال لا يخلو من المضاعفات الجانبية ، إذ أن هرمون « البروجستيرون » قد يؤدي الى ظهور بعض علامات الأنوثة ، مثله في ذلك مثل هرمون « الاستروجين »

(٢) يمكن استخدام العديد من العقاقير ذات التأثير المضاد لهرمون الذكورة ، مثل الاستروجين ، أو « التاجمت » (يستخدم أساسا في علاج قرحة المعدة) ، أو عقار « الاسبيرونولاكتون » (يستخدم أساسا كمدر للبول)

(٣) كما يمكن استخدام بعض البدائل كالشعر المستعار (الباروكة) مثلا ، إلا أن هذه الوسيلة تحتاج الى عناية خاصة ، كما أن استخدامها فترات طويلة غير مستحب ، نظرا للحرارة التي تسببها ، وربما بعض الصداع وعدم الارتياح ، لكن للضرورة أحكام

(٤) زرع الشعر بالطريق الجراحي ، حيث يتم زرع أقراص صغيرة من الجلد ، دائرية المقطع ، يصل قطرها الى ٤ ملليمترات ، وبها نحو ١٢ ـ ١٥

شعرة ، وهذه الأقراص يتم زرعها في المكان المناسب ، وبجوار بعضها بعضا ، ويتوقف عدد هذه الأقراص على حجم المنطقة المفتقرة للشعر ، لكن في أغلب الأحيان يتراوح عددها بين ١٠ - ٦٠ قرصا والشعر الأصلي الموجود بهذه الأقراص غالبا ما يسقط خلال أسبوعين بعد زراعته . لكن الشعر الدائم يبدأ في النمو مرة أخرى بعد أسبوعين تقريبا ، عندما تجد الشعيرات الدموية طريقها الى هذه الأقراص ، فتقوم بتغذيتها ، وحث الشعر الجديد على النمو

« المينوكسيديل » في الميزان

شركة (ابجون) المنتجة لعقار (المينوكسيديل) - موضوع حديثنا في هذا المقال - من الشركات الأمريكية العريقة التي أنتجت مئات العقاقير المعروفة عالميا خلال المائة سنة الماضية ، والجدير بالذكر أنه في سنة ١٩٧٩ وافقت الوكالة الأمريكية للغذاء والدواء على تسويق حبوب (لونيتين) المستخدمة في علاج ارتفاع ضغط الدم المحتوية على مادة (المينوكسيديل) ، ذات التأثير الموسع للأوعية الدموية ، لكن نظرا للعديد من المضاعفات الجانبية التي تصاحب استخدام حبوب لونيتين (كالشعور بالدوار والدوخة والألم والغثيان وزيادة عدد ضربات القلب وصعوبة التنفس) ظل استخدامها محدودا في هذا المجال

لكن كيف يؤثر عقار (المينوكسيديل) على نمو الشعر ؟ وما هي ميكانيكية فعاليته في هذا المجال الجديد ؟

الواقع أن الأبحاث العلمية التي أجريت على حيوانات التجارب لم تتوصل حتى الآن الى حقيقة فعالية عقار « المينوكسيديل » وكيفية تأثيره على نمو الشعر إلا أن بعض النظريات قد وضعت في هذا الشأن

(١) يُحدث عقار (المينوكسيديل) توسيعا للأوعية الدموية التي تمد فروة الرأس بالدم ، مما يزيد كمية الدم التي تصل الى بصيلة الشعر لكن لماذا تفتقر الأدوية الأخرى الموسعة للأوعية الدموية للقدرة على زيادة نمو الشعر ؟

(٢) ربما يُحدث عقار (المينوكسيديل) تأثيرا مباشرا على بصيلة الشعر

(٣) ربما لعقار (المينوكسيديل) تأثير معاكس لهرمونات الذكورة على بصيلة الشعر

لكن ما هي عيوب عقار (المينوكسيديل) ؟

الواقع أن عقار (المينوكسيديل) له بعض العيوب التي يلزم أخذها بعين الاعتبار من الآن

أولا لا يمكن التنبؤ بفعاليته ، ولذا يلزم تجربته أولا ، ثم التأكد من قدرته

ثانيا إنه مرتفع الثمن ، إذ أن استخدامه يكلف ما بين ٨٠٠ الى ١٢٠٠ دولار أمريكي سنويا ، ويجب استخدامه مدى الحياة

ثالثا تؤكد التجارب الأولية أنه يفيد في علاج الصلع مبكر الحدوث الذي لم يمض على حدوثه فترة طويلة ، وهو أكثر فعالية في صلع مؤخرة الرأس عن صلع المنطقة الأمامية

وعلى الرغم من العيوب السابق ذكرها إلا أن عقار (المينوكسيديل) يعتبر من أنسب الحلول المتوافرة حاليا لمشكلة الصلع وتساقط الشعر ومن يدري ، ربما استطعنا في المستقبل القريب تطوير الأساليب الأخرى ، والاستفادة منها الى أقصى حد □

هـ ـ ـان

عداي وهواي لايتهيان ، ودموعي لاتريد أن تحف ، وعقلي أصابه الشلل ، ولا أعرف كيف أتخد قرارا ، أو أي الأفعال أسلك

كان بيي وبيه نقاش ، ومع تصاعد الحديث واحتلاف وجهات النطر رادت حدتنا ، وكلما اردادت الحدة عاب العقل ، وافتقدنا المطق ، وألقى العناد بطلاله على الحديث ومع العناد يولد العصب ، وعند العصب يفقد الانسان كل قدرته على التحكم في ألفاطه وردود الفعل لديه

لقد تربيت في بيت كان أبي ادا تملكه العصب اعترلنا فترة تطول حسب حجم عصبه ومداه ، وأحيانا يعادر البيت ساعة أو ساعتين ، وكان يقول لنا عند العصب لاتعاتب ولاتحاسب ولاتعاقب ولانقاش ، ولدلك لم أشهد من عصب الرجال الا صوتا يعلو ، وسرعان ما يلزم أبي نفسه بالصمت ، ويعترل أو يعادر

لكني في دلك اليوم ـ والمحمور في دمي وأعصابي ـ فوحئت أن الغصب انفجر بلفظة سباب مست أهلي ، فانفجر رد فعل لدي في صياح هستيري ، ولم أدر الا ويد تصفعني وركلة ، وانطلق لساني صراخا ، ومع صراخي تطاولت يده أكثر ، و و وطبق طار في الهواء ، وحداء أصاب يدي و (وسقطت في بئر عطن كريه من الاهانة ، ودوامة من المهانة والمقت و وعثيان جعلني أتقيأ كل ما في معدتي ، وأحدت أتقيأ وأتقيأ

في الأيام التالية طلل الصمت المطلق حياتنا ، مع احساس بشرخ داخلي يترايد ، وعقلي عير قادر على التفكير ، ومئات من الأسئلة لا أعرف لها حوابا

هل سنفصل ؟ وهل بقي شيء لنا ؟ وهل طل بيننا ما يمكن أن يتجاور بنا ما حدث ؟ وهل أستطيع أن أعفر ؟ وادا عفرت هل أستطيع أن أنسى ؟ وادا نسيت فما الضمان بأن لايتكرر هدا مرة ثانية ؟ وكيف أرفع عيني اليه ؟ وكيف أنظر الى وجهه ؟ وكيف أترك اليد التي صفعتني تربت على ؟ وكيف يضمنا فراش واحد ؟ ونأكل طعاما معا ؟ ومادا أفعل ؟ هل أترك البيت أياما وأنتظر أن يصالحني ؟ ام أخاصمه أياما لا أحادثه كي يشعر بعطم جرمه ؟ أصاب عقلي الشلل ، ولا أعرف أي قرار أتخد ، ولا أي فعل أسلك ، وسقطت في دوامة عطنة من الهوان والحزن والأسى

هيَ

هي..

..غضبة

الغضب أوله جنون وآخره ندم ، وتجلدني سياط الندم فيسرف داخلي ، ويتمزق ، وإحساس طاغ بأني حيوان بهيمي كنا نتناقش ذات مساء ، ولأن كل طرف منا تمسك برأيه ، وألح في الدفاع عن وجهة نظره عن حق أو باطل فقد صار النقاش حادا ، أورث غيظا ، والغيظ فرّخ غضبا ، وكأن شيطانا قد تملك روحي ، فانفجر غيظي وغضبي في أبشع صورة يمكن أن ينفجر فيها غضب ، وكلما اشتد صراخها ازداد غيظي ، وتناثر غضبي ، وحطم كل مابقي من آدميتي ، وجعلها أشلاء مرت ساعة لم أدر كيف دار الزمن فيها ، ولا كيف تحولت المشاعر ، ولا كيف انفجر الغضب فصار جنونا دمويا مدمرا ، ثم فجأة ينتهي الى فيض من الندم والشفقة عليها وهي تتقيأ وتتألم ، والدمع يبلل وجهها ، وتنتفض كفرخ مذعور ذبحت أمه أمامه

لم أقو على أن أطيب خاطرها ، فلم تواتني المقدرة بأن أعتذر ، لأن أي اعتذار لايمكن أن يعادل جرم ما فعلت ، ولاتوجد كلمات ولا أفعال تصحح ما اقترفت ـ كانت لحظة شيطانية ، فقدت فيها العقل والادراك والوعي والارادة وتعديت فيها أكثر من عداها ، وهي لا يمكن أن تتصور الاحساس المر بكراهيتي لنفسي ، واحتقاري لذاتي ، وحربي على كل الأشياء الرائعة والانسانية التي هدمتها في لحظة جنون

لكن عزائي أني في أعمق مشاعري أحمل لها ودا وحبا واحتراما ان هذا الجنون كان ساعة في عمر علاقة ، تقابلها ساعات أخرى كثيرة رائعة جميلة حنونة ، ان مابينا يستحق أن نتحمل كثيرا من أجله ، وأن نحاول مرة أخرى أن ننسج ونبني ، فان الخبرات الانسانية تراكم من الصواب والخطأ ولعلنا قد عرفنا أفدح وأمر ما في تجربة زواج ، وعلينا أن نتجاوزها بالمغفرة والحنان ، لكي لانعود مرة أخرى ابدا الى هذا الجنون ، وليغفر كل منا لنفسه أولا ، ثم ليغفر للآخر ، ثم لنبدأ من جديد بالتراحم ، لكن كيف تكون الخطوة الأولى ؟ وهل تقبل هي ؟ وهل تقدر ؟ وهل ترضى ؟ انها حتى الآن ملتزمة بالصمت ، ومهما كان رد فعلها فأنا لا ألومها ، فأنا أستحق أكثر ، لكني أتعذب مثلها بالندم وكراهية النفس أريد أن أبكي وأصرخ ، أريد مغفرتك فهل تفعلين ؟

هو

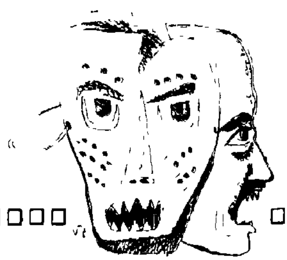

العربي - العدد ٣٤٨ - نوفمبر ١٩٨٧

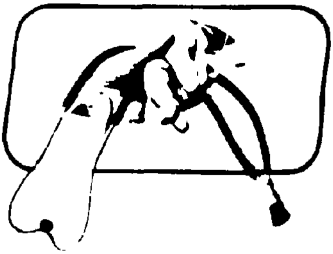

الأسرة

ــ !!! !

دكتور حسن فريد أبو غزالة

قضايا منزلية

حمى الأرانب

مرض حديث العهد عند الأطباء ، إذ يعود اكتشافه إلى عام ١٩١٢ ، عندما اكتشف طبيب أمريكي اسمه شارل تشابين ميكروبا في القوارض التي تعيش في أحراش كاليفورنيا ، قريب الشبه بميكروب الطاعون ، وسماه ميكروب توليرنز ، واشتق له اسما من كلمة تولير ومعناها الأحراش

وعقب اكتشاف الدكتور تشابين للميكروب الذي ثبت انتشاره بين عدد كبير من الحيوانات حتى وصل إلى الانسان في كثير من بلدان العالم ، وأهمها أميركا الشمالية ، والقارة الأوروبية ، والاتحاد السوفيتي ، واليابان ، أطلق عليه طبيب أميركي يدعونه ادوارد فرانسيس اسم « مرض تو لاريميا » نسبة إلى أرض الأحراش أو نسبة إلى كلمة « تولير » .

لهذا يجوز أن يقال عنه انه مرض الأحراش ، غير أنه يعرف عالميا باسم « حمى الأرانب » ، لأن تسعين بالمائة من العدوى التي تصل إلى الإنسان من الأرانب البرية التي يصطادها ويسلخ جلدها ويأكلها .

وعلى أي حال فالميكروب صغير ويمت بصلة قرابة إلى ميكروب الطاعون ، ويتوطن في أجسام الحيوانات البرية والقوارض والأرانب والخيول والغزلان ، والحشرات كالذباب الماص للدماء والبعوض والقراد

كشف طبيب ياباني يدعى (أوهارا) في عام ١٩٣٠ هذا الميكروب وأطلق عليه اسما يابانيا هو (باتوبيو) ، لهذا فاليابانيون يسمون حمى الأرانب أو التولاريميا باسم مرض أوهارا

أحد ضحايا هذا المرض الإنسان ، لكنه لا ينقله إلى إنسان آخر ، كما أن نسبة الوفاة فيه منخفضة ، أو ربما نادرة إذا ما عولج في الوقت المناسب

غالبا يصل هذا الميكروب إلى جسم ضحيته من البشر عن طريق واحد من الأساليب التالية

(١) عبر الجلد أثناء سلخ الأرانب المريضة ، أو حين طهيها ، أو أكلها قبل النضج الكام

(٢) لدغة حشرة ماصة للدم كالد ب الماص للدماء أو البراغيث أو القمل أو القراد ا ما اختلط

لحيوانات البرية المصابة
(٣) شرب الماء الملوث ، حيث ان القوارض
سابة إذا ما وردت الماء قد تموت هناك ، وتلوث
اه ، يعيش فيها الميكروب مدة طويلة
عير أن المصدر الأساسي لعدوى الانسان هو كما
الأرانب البرية

ولأن الميكروب صغير جدا اختلط الأمر على
شبيه ، فظنه بعضهم من أشكال المكورات ، فيما
آخرون من أشكال العصيات لكنه على أي حال
روب عنيد ، مقاوم ، معمر ، وقد يعيش مدة
ل إلى شهور أو سنوات

لما كانت له قدرة على أن يعشش داخل الخلية
و جسم الإنسان فهو قلما يتواجد في الدم ، ومن
ه يؤدي إلى مناعة أبدية عقب العدوى الأولى ،
بعث معه إمكانية العدوى مرة ثانية
لدة حصانة المرض وهي المدة التي تمضي بين غزو
روب للجسم وظهور الأعراض على ضحيته ،
رح بين يوم واحد فقط وعشرة أيام ، والصور
صية للمرض متفاوتة مختلفة ، تتفق وطريق
دوى ، لهذا فقد نجد من المرض صورا شتى

ا - التولاريميا الجلدية وتأتي من لسع حشرة
انة ، تؤدي الى ظهور حوصلة في موضع اللسعة
ي الى تقرح يندمل بعد ذلك ويتحول إلى ندبة .
ويصاحب هذا تضخم في العقد اللمفاوية التي
ي إليها منطقة اللسع ، مع ألم ، وربما تقرح
ا ، ثم ... تنتاب المريض مع قشعريرة وشعور
جهاد وال...

٢ - التول... البصرية حيث تصاب العين إذا
ن دخول ... روب عبر ملتحمة العين ، كان
ابر الميكر ... ت مع الغبار في الهواء ، وفي هذه

الحال غالبا ما تصاب عين واحدة ، دون العين الأخرى ، ويعاني المريض من الحكة والادماع وزغللة الضوء والألم ، كما تتورم الجفون ، وتتراكم الإفرازات ، بل قد تتقرح العين وتعمى

ويحدث تضخم وألم في العقد اللمفاوية للرأس والرقبة

٣ ـ التولاريميا الهضمية ، وتحدث إذا ما التهم الانسان لحم حيوان مصاب ، أو شرب ماء ملوثا ، وتظهر الأعراض على هيئة تقرحات والتهابات في الحلق ومؤخرة الفم

ويحدث ألم في البطن وإسهال وقيء ، ويصاحب ذلك تضخم في العقد اللمفاوية لمنطقة الاصابة أيضا

٤ ـ التولاريميا التيفوئيدية وهي صورة من مرض *التولاريميا ، تشبه صورة مرض التيفوئيد ، أو التسمم الدموي ، وتعزى هذه الصورة إلى دخول الميكروب عن طريق الاستنشاق*

وهذه الصورة المرضية شديدة الوقع ، تفاجيء الضحية على هيئة حمى شديدة ، مع قشعريرة وألم عام شديد في العضلات ، وألم أكثر شدة في المفاصل ، يصاحبها عرق غزير

٥ ـ التولاريميا الرئوية وهي أيضا تحدث نتيجة استنشاق الميكروب ، ومظاهرها على هيئة ضيق في التنفس ، وغثيان ، وألم في الصدر ، مع حمى وقشعريرة ، مما يجعل مظاهرها تختلط مع مظاهر الالتهاب الرئوي .

ومن الطبيعي أن تتضخم العقد اللمفاوية في منطقة الصدر وما حوله ، وربما تتقرح .

قد تكون حمى الأرانب مسالمة ، محدودة الضحايا ، إلا أنها واسعة الانتشار أكثر مما نتوهم ، إذ يقدر أن ٢٣ بالمائة من سكان السويد مصابون بهذه

الحمى ، لكن دون شكوى ، لأن عدواهم خفيفة لا تخلف أعراضا واضحة مميزة

غير أن بعض صور حمى الأرانب قد تكون شديدة قاتلة ، كما هو الحال مع الصورة الرئوية التي يتجاوز ضحاياها ٦٠٪ ، كما يتجاوز ضحايا الصور التيفوئيدية ٢٠٪ تقريبا

بيد أن العلاج ممكن لحمى الأرانب ، لكنها حمى طويلة الأمد ، ومضنية ، والأولى الوقاية منها وذلك بالبعد عن الحيوانات البرية بصفة عامة ، لأن عدوى التولاريميا تصيب أغلب الحيوانات البرية وليست مقصورة على الأرانب كما توهم الأطباء فيما مضى ، بل قد تنقلها الحشرات العديدة من ذباب وقمل وبراغيث وقراد ، كما أن هناك احتمال تلوث المياه ، مما يحدث ، ومما يموت فيها من حيوانات ، أو يتساقط فيها من حشرات □

ردود سريعة

* السيد محمود حسن عيد / عمان / الأردن

ان رأي الدكتور ولهام يستند الى تجربة شخصية ، لاتستند الى دليل علمي ثابت ، ولم تؤكدها الأوساط العلمية المتخصصة ، الأمر الذي لايصح معه أن يعتمد عليها بصورة حقيقية مطلقة لاتقبل الجدل

أما سرطان الدم فسؤالك فيه غير محدد المعالم ، وبالتالي فان الاجابة عليه تحتاج تخصيص صفحات عديدة لامكان لها في باب طبيب الأسرة ، وربما استطعنا أن نجيبك عليه تفصيلا في مقال مستقل

* السيد / كمال الدين محمود / مصر

ـ التهاب البروستاتا قد ينشأ عن نوع من الميكروبات المحددة ، كالميكروبات التي تسبب مرض الزهري مثلا ، أو من ميكروبات غير محددة الهوية أما التضخم دون التهاب فالأغلب أن يحدث عند كبار السن والعلاج في هذه الحال يعتمد على اكتشاف السبب ، واستزراع الميكروبات ، والكشف عن حساسيتها للمضادات الحيوية ، اذ أن بعضها قد يكتسب مناعة ضد بعض العقاقير ، فلا تفيد في العلاج الا العقاقير التي لم تكتسب الميكروبات مناعة ضدها

* السيد حسن سليم / محافظة ادلب / سوريا

ـ القشرة دون أي مضاعفات ليست مرضا دائما ، بل قد تكون نتيجة افراز غزير للدهنيات من الغدد الدهنية ، تخرج الى سطح الجلد ، فتجف ، وتصبح على هيئة قشور

وهذه من الأمور التي يتفاوت فيها الناس ، فيما بين جلد جاف الى جلد دهني ولاحيلة لك الا بكثرة الاستحمام ، واستشارة طبيب اختصاصي في الأمراض الجلدية ، ليصف أفضل ما يناسبك من صابون أو (شامبو)

ونصيحتنا لك أن تبدأ باستعمال السيتافلون كخطوة أولى للخلاص من القشرة مؤقتا ، الى أن تهتدي الى (شامبو) مناسب

* السيد / الصادق عوض حسن / السودان

ـ نحن نشاركك التساؤل عن كيفية معرفة الانسان العادي لضعف ضربات قلبه مادام غير طبيب !

وردا على سؤالك حول الشاي نقول بأنه يحوي مادتين رئيسيتين هما الكافيين ـ مادة منبهة ـ وحامض التنيك أو العفص ـ مادة قابضة ـ كثرتها تسبب الامساك لهذا ننصح الاعتدال في شربه دون افراط

مساحة ود

لم يعد في القلب مكان

يلملم العام أيامه الباقية ، ليمر عام قاس شديد القسوة ،حرين كالعلقم مؤلم كالطعنة مبك كاليتم

كان عاما الذي مضت منه عشرة أشهر حافلا في أحداثه العامة راحرا تمريد من التدهور وعلى مستواه الخاص كان سحيا في إيلاما وعداباتنا

بعد ستين يوما سيرحل العام ولن يكون معنا فيه أصدقاء ورفاق لقد احتطفهم الموت عدرا أو اعتالتهم الرصاصات كراهة

عن الأحة الدين رحلوا أكتب عن نبيل السلمي وناحي العلي الاثنان الأكثر تمايرا وتطورا ووعيا بين رسامي الكاريكاتير العرب ، والاثنان الأكثر حدة وتكثيفا للفكرة السياسية في الكاريكاتير والاثنان اللدان ملآ حياتنا دفئا وثراء بفنهما الرفيع ، وانسانيتهما النادرة وطفولتهما النقية ثم ملأ حياتنا حزنا وأسى ولوعة لفقدهما

في فجر ليلة صيف رحل نبيل السلمي وهو مستغرق في نومه كطفل وكما كان طيبا رقيقا في حياته ، رحل كطيف وتعدب القلب وفاض بالحزن واللوعة وفي أمسية صيف طالت رصاصات الكراهية ناجي العلي وكما كان في رسوماته صارخاً رافضا كانت إصابته ثم موته صرخة إدانة لهذا العنف العربي وهذا القتل العربي ولهذه الرصاصات المصوبة إلى الجبهة الخطأ

ويطاردنا الموت ليختطف الذين نحبهم الذين حلمنا معا وسمرنا معا واتفقنا معا واختلفنا معا ويختفي من عالمنا هؤلاء الذين أحاطونا بدفئهم الانساني وصداقتهم الحميمة ليصبح عدابنا مضعفين نحن الذين ارتبطنا بهم بعلاقات انسانية فنحن ـ كالقراء ـ نفتقد زواياهم ونحنّ لها وكبشر نتعذب بفقد الأصدقاء الذين حملتنا معاً الأحلام والأيام

يلملم العام أيامه حرين كالعلقم مؤلم كالطعنة
ويا أيها الموت العادر كفى ، فلم يعد في القلب مكان يتسع لحزن جديد
فعدابنا بفقد الصديقين ندي طريّ موجع
وبكاؤنا كبكاء اليتيم ساخن مستمر □

محمود عبدالوهاب

العربي - العدد ٣٤٨ - نوفمبر ١٩٨٧

جمال العربية

بقلم : محمد خليفة التونسي

بين نحو الدلالة ونحو الإعراب

لكل لغة (أو لهجة) أنظمتها الصوتية والصرفية والنحوية المميزة لها وان شاركتها غيرها في بعض التفاصيل ، ولا غنى لمن يريد ان يتعلم أى لغة من تعلم هذه الأنظمة الثلاثة الى جانب تعلم معجمها ، مالم يكن قد نشأ عليها وتمرس بها حتى صارت سليقة له ، أى عادة راسخة المعالم في فكره ولسانه

والانسان الناضج السليم مخارج النطق لا يخطىء في لغته التى نشأ عليها حتى تمكن منها وتمكنت منه . وان كان يتصرف مع قواعدها على أكثر من وجه بحسب ما يخالجه من المعانى تبعا لاختلاف مقام الكلام ، بحيث يؤدى ما في ذهنه من هذه المعانى على الصورة الكلامية الدقيقة الواضحة كما تتراءى له ، وهو في هذا التصرف لا يخل بالدستور العام للغته أو منطقها وروحها السارية فيها ، أو يزعزع من أركانها الأساسية ، ولكنه مع حاجته الى التصرف في بعض جوانبها - مضطر الى ان يسك كلمات وتراكيب جديدة ، أو يضمّن ألفاظها القديمة معانى وصورا جديدة ، وهذه المستحدثات من الكلمات والتراكيب هى مظاهر تطور اللغة أو نموها وتوسعها أو مرونتها.

وهذا الاختلاف بين الجديد والقديم هو ما يسميه اللغويون الغربيون « كسر البناء » وكسر البناء شائع في صرف كل لغة ونحوها ، وهذه الظاهرة اللغوية هى ما يسميه نحاتنا « الشذوذ » وهذه كلمة مقبولة وافية الاداء لمعناها ، وهو الخروج عن المألوف أو الشائع ، ولكنها أخذت عند علمائنا ثم جماهيرنا محاكاة لهم - صورة كريهة مقيتة وكسر البناء أو هذا الخلاف عند الغربيين من العلماء ونوابغ اللغويين لا يأخذ هذه الصورة ، ولذلك يلقى عندهم القبول بل التقدير ، لما فيه من تنمية اللغة ، وإمدادها بالقوالب التى تساعدها على اداء وظائفها في التعبير ، كما ان هذا الخلاف عندهم بين المألوف وغير المألوف في مفردات اللغة وتراكيبها أشبه ما يكون مما يحدث بين من يستعمل يمناه في التناول - وهذا هو الشائع أو الغالب في الناس - وبين من يستعمل يسراه أو يستعمل يسراه ويمناه معا ، وكلا هذين قليل أو نادر ، ولا عيب فيه ولا قصور ، مع قلته أو ندرته أو شذوذه أو اختلافه عن الاستعمال العام

ومواد أى لغة وأنظمتها تتمثل في نصوصها المأثورة المتجددة

ثم يأتى الباحثون فيها فيسجلون ملاحظاتهم على معجمها ، وعلى أنظمتها الصوتية والصرفية والنحوية ، ولكل واحد من هذه المجالات اللغوية الأربعة وجهته ومنهجه ، وله علماؤه ونصوص اللغة هى الأصل ، وهى قائمة قبل البحث في اسرارها ، وهذا البحث أو البحوث في مجالاتها المختلفة هى مجموع ملاحظات تتكون منها علومها ،

رد ه العلوم تصيب وتخطىء ، ولكل مجتهد حظه ن الاصابة والخطأ بمقدار ما له من قدرة على النظر دقه والتوسع في مجاله ، ثم التوفيق فيه ، سواء في علوم اللغة أو غيرها من العلوم ، وإن كان لابد لعالم للغة من بعض القدرة على تذوق آدابها،مثله في هذه لكفاية مثل الباحثين في سائر الفنون ، لأن آداب للغة أو نصوصها الأدبية هي مظهر ما فيها من قوة لنحوية

ونحو كل لغة أو أجروميتها انما يبحث في تراكيبها و تواليفها أو جملها فيبين علاقة كل كلمة بجاراتها لمذكورة وغير المذكورة ، ووظيفتها التي تدل عليها حين تتألف مع غيرها في جملة ، كما يبين علاقة كل ملة بجاراتها ان كانت لها علاقة بغيرها في أي بارة   تستوي في ذلك اللغات ذوات الاعراب اللغات الخالية منه ، وإن كان الاعراب في اللغات لمعربة عونا على بيان وظيفة الكلمة المعربة لأن لاعراب من القرائن النحوية الدالة وليس كلها كل لغة لها نحو دلالة لوجود القرائن بين مفرداتها في لكلام ، وقد يكون لها كذلك نحو اعراب كلغتنا لعربية أو لا يكون لها اعراب كما في معظم اللغات في لهجاتنا الدارجة

وللغتنا نحوها ، وعلم النحو فيها ـ كما انتهى الينا المطولات والمختصرات وكما شاع بيننا حتى تسلط لى أفكارنا وحجر عليها ـ كان ولم يزل يعد من أعقد شاكلها الكبرى ، وإن أجمع الأسباب لهذه المشاكل لمعقدة هو انه نحو اعراب ، وليس «نحو دلالة» أو و قليل الحظ من نحو الدلالة » وكان على النحاة ن يدرسوا ـ كبعض أوائلهم ـ نحو الاعراب بجانب حو الدلالة ، لأن الاعراب جانب من الدلالة ، وقد طن الى هذا من قالوا منهم « ان الاعراب فرع عنى » وهكذا سار بعض روادهم حين بدءوا علم حو فمضوا يتحسسون أو يتلمسون في تراكيب كلام العربي الفصيح وفي مقدمته القرآن الكريم لاقات الكلمات والحمل بعضها ببعض فيه ، لالات هذه العلاقات مع ما يترتب على بعضها من اعراب بعض الكلمات رفعا أو نصبا أو جرما أو جرا ، أو هذا ما نجده عند الخليل في الكتاب لسيبويه والفراء في كتابه « معاني القرآن » ولكن خلف من بعدهم خلف لم يتمسكوا بهذا المنهج السليم في اتمام قواعد النحو وتصحيحها ، بل تمسكوا جاهدين بالفرع ، وهو الاعراب وأهملوا الأصل وهو المعنى المستفاد من العلاقات ودلالاتها ، أو هم لم يلتفتوا إليه إلا على هامش الاعراب،ولذلك كانت كل عنايتهم أو جلها متجهة الى ما يسمونها الكلمات المعربة وما يطرأ عليها خلال التركيبات المختلفة من رفع ونصب وجر وجزم فقسموا أبواب النحو بين ما يرفع وما ينصب وما يجر وما يجزم ، وتوهموا ان لهذه الآثار الاعرابية عوامل لفظية أو معنوية أدت اليها كما تؤدي الأسباب الطبيعية الى نتائجها حتما ، ومن هنا توهموا نظرية العامل أو العوامل في الاعراب ، ليعللوا بها ظواهره التي تطرأ عليها ، كأن هذه العوامل ذات قدرة ذاتية على اداء ما اسندوا اليها من عمل ، وقد ادى بهم الابتداء بهذا الوهم الكبير في المنهج الى اوهام وراء أوهام ليس لها أي صلة بالدراسة اللغوية ، فجمعوا المرفوعات وعواملها عندهم معا في أبواب متلاحقة ، وكذلك فعلوا بالمنصوبات والمجرورات والمجزومات ، مع اختلاف المعاني بين ما جمعوه معا واتفاقها بين ما فرقوه   ولو انهم وجهوا عنايتهم الى « نحو الدلالة » لحصروا مهمتهم في الجملة وطرق تركيب الكلمات فيها بحسب معناها الشامل وكيف يتبدل وضع الكلمات فيها تقديما أو تأخيرا أو ذكرا أو حذفا ، وفقا لهذا المعنى الشامل ، ولاهتموا كذلك بالكلمات أو الأدوات التي تدل على هذه المعاني الشاملة من نفي أو استفهام أو توكيدأو شرط

ولهذا احتاج « علم النحو » الاعرابي عندنا الى علم آخر يستدرك مافاته ويتجه به الى نحو الدلالة وهو علم المعاني ولابد من خلط العلمين لنقيم بذلك نحو الاعراب على أساس أصلح وأيسر وهذا ما سنحاول تجلية جوانب منه في صفحات تالية بتوفيق الله ☐

هكذا غنى الآباء

معابثات غزلية

لعمر بن أبي ربيعة

أبو الخطاب عمر (بن عبد الله) بن أبي ربيعة المخزومي ـ نسبة الى مخزوم أحد جدوده الأعلين ـ وكان بنو مخزوم من أقوى بطون قريش في مكة قبيل ظهور الاسلام وعقيبه ولد عمر في المدينة ويقال انه ولد يوم قتل عمر بن الخطاب ، ونشأ في بيت عز وثراء وترف ، إذ كان أبوه من أشراف بني مخزوم وأثريائها ، كما كانت أمه عطارة ثرية ، وقد مكنته عيشته المترفة من التفرغ للذاته كان جميل الصورة فاخر البزة ، حسن الحديث ، كثير الدعابة مولعا بمجالس اللهو ، وبالتحدث الى النساء ، والتشبيب بهن ، وله معهن قصص كثيرة حفلت بها سيرته ، كما حفلت بها قصائده ، مع التصريح بأسمائهن أكثر من التلميح ، وكانت بيئته وعصره ـ سياسيا واجتماعيا واقتصاديا ـ عونا له على نزعاته الغزلية

ومن يقرأ سيرته وديوانه يجد أن النساء اللواتي شبب بهن في شعره كنّ من أعلى طبقة في المجتمع ، أي من طبقته ، ولم يشبب بغيرهن وكان ينتظر مواسم الحج ، فيخرج في زينته ليتلقى مواكبهن ، ويحاول التعرض لهن في الطريق ، أو في مناسك الحج حيث يسفرن حين يأتينها ، ليتمتع برؤيتهن وكلامهن ، فان تمكن من ذلك نوّه به في شعره ، وإذ فاته ذلك اختلق مثل هذا اللقاء ونوه به ، ولذلك نجد ديوانه حافلا بأسماء كثيرات من هؤلاء الشريفات من بنات العلية ، وكانت منهن من تشجعه على التنويه بها في شعره ، وتأخذ عليه اهماله أمرها إذا سكت عنها سواء لقيته أو لم تلقه

ويدل تأمل شعره وسيرته على دسيسة أنثوية في طبيعته ، ينبيء عنها تدليله لنفسه واشاراته الى تدليل صواحبه له ، وربما كان ذلك مما قرَّب بينه وبينهن ، وكان له أخ صالح حاول تغيير مسلكه ولكنه فشل كما كان له ابن صالح (جوان) يغضب لذكر اسمه في أي معرض مما كان أبوه يصبح ويمسي فيه وقد أعفت عمر نعمته وبذخه عن قصد سراة عصره ومدحهم طمعا في الجائزة كغيره من الشعراء يومئذ كما قعد به حب الترف والغزل عن التطوع للغزو الثغور ثم ضاق بمعابثاته الخليفة الصالح عمر ـ

عبدالعزيز ، فنفاه الى جزيرة « دهْلك » جنوبي البحر لأحمر ، حتى مات هناك سنة ٩٣ هـ

واذا ميزنا بين صنوف التشبيب قلنا انها ثلاثة (أولها) وأخلصها النسيب (وهو شعر الحب) كما في شعر مجنون ليلى وقيس بن ذريح ، و (ثانيها) شعر الغزل الذي يتنقل فيه الشاعر بصوته بين عدة نساء في وقت واحد ، و (ثالثها) شعر التصابي الذي يتظاهر فيه الشاعر بالصبوة الى امرأة معروفة أو مجهولة ، وشعر عمر من النوع الثاني ، وهو مقصور على نساء طبقته ، وقد طبع ديوانه مرات

قال لي صاحبي ليعلم ما بي   « أتحبُّ القتول أختَ الرَّباب ؟ »(١)
قلتُ وجْدي بها كوجْدك بالعذْ   ب اذا ما مُنعْت طعم الشراب(٢)
مَنْ رسولي الى « الثريّا » بأني   ضقت ذرعا بهجرها ؟ والكتاب(٣)
أزهقتْ أمُّ نوفل اذ دعتها   مُهجتي ، ما لقاتلي من متاب(٤)
حين قالتْ لها « أجيبي » فقالت   « من دعاني ؟ » قالت « أبو الخطاب »
فأجابت عند الدعاء كما لبَّـ   ـى رجالٌ يرجون حسن الثواب(٥)
أبرزُوها مثل المهاة تهادى   بين خمس كواعب أتراب(٦)
وهي مكنونةٌ تحيَّر منها   في أديم الخدَّيْن ماءُ الشباب(٧)
دميةٌ عند راهب ذي اجتهادٍ   صوَّروها في جانب المحراب(٨)
ثم قالوا « تُحبها ؟ » قلت بهراً   عدد النجم والحصا والتراب(٩)
حين شب القتول والجيد منها !   حسنُ لونٍ يرفُّ كالزِّرياب(١٠)
أذكرتْني من بهجةِ الشمس لما   طلعتْ من دُجُنةٍ وسحاب(١١)
فارْجحنت في حسنِ خلْق عميمٍ   تتهادى في مشيها كالحُباب(١٢)
غصبَتْني مجَّاجةُ المسك عقْلي   فسلُوها ماذا أحلَّ اغتصابي(١٣)
قلَّدُوها من القَرَنْفُل والدُّرِّ   سِخابًا ، واهًا لهُ من سِخاب(١٤)

---

١ ـ القتول   القاتلة
٢ ـ وجدك بالعذب   شوقك الى الماء العذب
٣ ـ الثريا بنت علي   احدى الشريفات   ضقت ذرعا بهجرها   صرت لا أحتمله   والكتاب   أقسم بالقرآن
٤ ـ أزهقت   مهجتي   أهلكت روحي
٥ ـ رجال يرجون   حجاج يطلبون الجزاء الجميل
٦ ـ المهاة   البقرة الوحشية ـ تهادى   تتمايل في مشيها ـ الكاعب   الفتاة الناهدة ، والجمع كواعب ـ أتراب المولودون معا والمفرد ترب
٧ ـ مكنونة   مستورة مصونة ـ تحير في أديم الخدين   تردد في بياضهما
٨ ـ دمية   صورة جميلة ـ راهب   منقطع للعبادة
٩ ـ بهرا   حبا شديدا
١٠ ـ شب القتول   حسن لون زادها جمالا ـ الجيد   العنق ـ الزرياب   الذهب
١١ ـ الدجنة   الظلام
١٢ ـ ارجحنت   مالت واهتزت ـ عميم   كامل ـ الحباب   الثعبان
١٣ ـ مجاجة المسك   يدفق منها ريحه
١٤ ـ السخاب   عقد من قرنفل ودرر

الكلمات المتقاطعة

يهدف هذا اللغز الى تسليتك وامتاعك بالاضافة إلى إثراء معلوماتك وربطك بتراثك الفكري والحضاري عن طريق البحث الجاد المثمر في المعاجم والموسوعات وغيرها من المراجع الهامة

والمطلوب منك الاجابة على أسئلة هذه اللغز ومقارنتها بالحل الصحيح الذي سينشر في العدد القادم

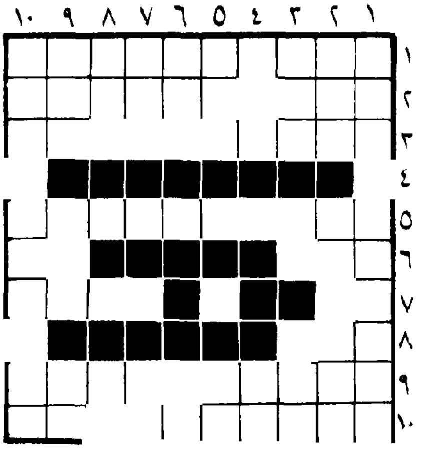

كلمات أفقية

١ فاتح عربي أطلق اسمه على معلم جغرافي هام
٢ دَجل ، منسوب لمدينة تشتهر ببرتقالها
٣ أولادك وأولاد أولادك ، استغاث
٤ فيلسوف عربي وفّق بين الفلسفة الاسلامية واليونانية
٥ زاه مبعثرة ، مدينة على ضفاف دجلة
٦ ثنى ، أوعاد
٧ صعوبة في النطق ، غش وخداع
٨ طاف لصيانة أرواح الناس ، قاطنات الدير
٩ وحدة عملة ، مصغر نهر
١٠ مصلح ديني فارسي قديم ، بين الحلو والحامض

كلمات رأسية

١ قارب بدائي غير مجوّف ، مؤسّس الأزهر
٢ طبيب مسلم وصاحب كتاب الحاوي ، حائط يحيط بمدينة
٣ من صفات الرجل ، والدة مقلوبة
٤ امتنع عمّا يشين ، دَخْل
٥ رسام ونحات اسباني شهير ، مقياس للطول
٦ إن مقلوبة ، زاهدة وشاعرة عربية
٧ أهدى (العروس مثلاً) ، أداة تفضيل ، تزوّج
٨ حرف نداء ، « برشامة » مبعثرة
٩ - نوايا مبعثرة ، غير منفذ للماء
١٠ جمع دية ، بقية ، من الحبوب

حل مسابقة العدد ٣٤٧ اكتوبر ١٩٨٧

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١	ب	ط	ر	س	ا	ل	ن	ا	س	ك
٢	ا	ى		ح	ا	ل	ي	ن	و	س
٣	ب	ن	ع	ا	ر	ى		س	ف	و
٤	ا		ش	و	ب	ن	ه	ا	و	ر
٥	ل	ج		ه		ا	ي	ا	ك	
٦	م		م		ا	م		ن	ل	ح
٧	ن	س	ى	■	ر		د	ل	ي	ل
٨	د	ى	ا	ر	ب	ك	ر		س	ب
٩	ب	و	ه	ى	م	ى	■	ى		ة

مكتبة العربي

كتاب الشهر

تأليف: غريس هالسل/ عرض وتلخيص: طارق [illegible]

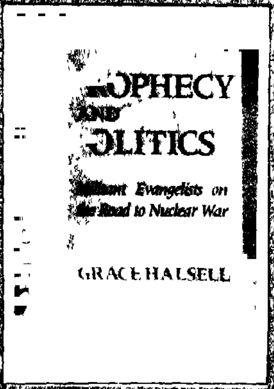

OPHECY
AND
OLITICS

Militant Evangelists on the Road to Nuclear War

GRACE HALSELL

النبوءة والسياسة

« عريس هالسل » كاتبة وصحفية من ولاية تكساس الأمريكية ، تقيم حاليا في مدينة واشطن ، عاصمة الولايات المتحدة

عملت مراسلة صحفية أثناء الحرب الكورية ، ثم الحرب الفيتنامية ، كما عملت في البيت الأبيض كاتبة لخطب الرئيس « لندون حسون » لها عشرة كتب مميزة ، منها كتب تعالج مشكلة السود في المجتمع الأمريكي عندما أرادت أن تكتب عن حياة السود الأمريكيين في الولايات المتحدة ومعاناتهم ، ولتكون واقعية وموضوعية استعملت عقاقير حولت بها لون بشرتها فأصبحت سوداء ، لكي تتمكن من أن تعيش حياة الانسان الأسود الذي يعاني من مختلف أشكال الفقر والاضطهاد

بدأ اهتمامها بقضية الشرق الأوسط بعد حرب سنة ١٩٦٧ ، فأخذت تتابع تطورات هذه القضية وأثار انتباهها التيار المسيحي المتطرف الذي اكتسح الولايات المتحدة الأمريكية، المؤيد للصهيونية تأييدا أعمى ، منذ نشوب تلك الحرب التي خسرها العرب ، والتي كان من أهم نتائجها وقوع مدينة القدس في قبضة الصهيونية وفي مقدمة المنظمات المتطرفة التي تمثل « اليمين المسيحي الجديد » تأتي المنظمات التبشيرية « البروتستانتية » اليمينية التي يطلق عليها وعلى زعمائها تعبير Tv Evangilists، لاعتمادها على التلفزة في نشر دعوتها وأفكارها المتطرفة

التعرف عن قرب

حتى تتعرف الكاتبة على هذا التيار السياسي الخطير الذي اتخذ المسيحية قناعاً ، للتأثير على عقول الناس ، وإثارة عواطفهم لصالح الصهيونية ، ولمناصرة الكيان الصهيوني ، وحتى تتمكن من كشف حقيقة هذه المنظمات وفضحها قامت السيدة« هالسل » بالمشاركة في عدة نشاطات تدعو لها هذه المنظمات ، ومن ضمنها رحلات إلى الأراضي المقدسة ، كما شاركت في المؤتمر المسيحي الصهيوني الأول الذي عقد عام ١٩٨٥م في مدينة « بارل » السويسرية ، بمناسبة مرور ٨٨ سنة على المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في نفس المدينة ، برئاسة الصهيوني « هرترل » كما قامت الكاتبة بمتابعة ورصد ما تبثه هذه المنظمات المتطرفة من برامج مؤيدة للحركة الصهيونية على شاشة التلفاز التي يشاهدها أكثر من ٦٠ مليون مشاهد في الولايات المتحدة ، والتي قد تجد طريقها إلى بلاد أخرى كثيرة ، وهدف تلك البرامج هو إثبات حق اليهود الصهاينة باحتلال فلسطين ، وقتل سكانها ، تمهيدا لمجيء المسيح المنتظر الذي فيه خلاص للمسيحيين واليهود ، حسب تفسير هذه المنظمات لنصوص معينة من التوراة والانجيل

والمحور الذي ترتكز عليه حملاتهم وبرامجهم الاعلامية المسعورة نبوءة مستمدة من التوراة ، يرددونها على أسماع الناس ، ويعملون من أجل تحقيقها ، تقول هذه النبوءة إن حربا نووية ـ يسمونها Arma geddon ـ تدمر العالم بأكمله ستقوم بين السوفييت وأصدقائهم العرب من جهة واليهود والمسيحيين من جهة أخرى ، ويكون النصر فيها لليهود وأعوانهم ، حيث تتم إبادة السوفييت والعرب إبادة تامة ، ولهذا تدعو هذه المنظمات لتكديس الأسلحة النووية بكميات كبيرة في الولايات المتحدة

« واسرائيل » .

من أهم النشاطات التي تقوم بها هذه المنظمات الخطرة تنظيم رحلات جماعية إلى البلاد المقدسة ، وبخاصة مدينة القدس ، لا لأنها مدينة مقدسة عند المسيحيين ، بل لأنها مدينة يهودية ، ولأنها عاصمة مملكة « اسرائيل » الكبرى . ويشارك بهذه الرحلات المربحة أعداد كبيرة من أنصار هذه المنظمات ، مدفوعين بالحماس الحار للحركة الصهيونية التي تتمثل بالكيان الصهيوني في فلسطين .

ويعتبر هذا النوع من النشاط أحد الموارد الاقتصادية الهامة الذي يجلب ملايين الدولارات للكيان الصهيوني ، بالاضافة إلى التبرعات المستمرة التي تجمعها هذه المنظمات من أتباعها لمساندة الوجود الصهيوني في فلسطين ، ولاحتلال مزيد من الأراضي العربية ، ولاقامة المستوطنات الصهيونية في مختلف أنحاء فلسطين .

« مجدو » مرة أخرى !

قامت السيدة « هالسل » برحلتين من هذه الرحلات الجماعية إلى الأراضي المقدسة ، لكي يتسنى لها أن تتعرف عن كثب على هذا النشاط الشيطاني المنسق الذي يندفع له كثير من الأمريكيين ، المتحمسين لتحقيق هذه النبوءة التي تدعو الى حرب عالمية نووية مدمرة ، والتي سيكون موقع المعركة الكبرى فيها بالقرب من « مجدو » في فلسطين المحتلة وهي من أولى المناطق التي تحظى باهتمامهم خلال زيارتهم « الدينية » .

وحتى تتمكن السيدة « هالسل » من جمع المعلومات الضرورية ، لتكمل بها مادة كتابها ، بالاضافة إلى اطلاعها على مصادر متعددة ، كالكتب التي ينشرها دعاة هذه النبوءة الشريرة ، والتي تجد رواجا منقطع النظير عند ملايين من القراء ، قامت بمقابلة عدد كثير من الشخصيات التي تعمل في هذه المنظمات أو خارجها ، لكي تقدم إلى القارىء كتابا ، قوي الحجة ، يفضح مخططات هذه الجماعات التي تدعي أنها دينية (مسيحية) ، وتعمل على استغلال كل ما يمكنها لدعم الوجود الصهيوني في فلسطين .

المرعب والمخيف

بينما يعالج كتاب الدكتورة ريجينا الشريف « الصهيونية غير اليهودية »* تاريخ الصهيونية المسيحية في الفكر العربي عبر العصور ، ويكشف عن تغلغلها في صميم العقلية العربية في الماضي ، لاسيما عند الطوائف البروتستانتية ، تتعرض السيدة « هالسل » في كتابها الجديد « النبوءة والسياسة » إلى هذه النزعة القوية عند العرب في الوقت الحاضر ، وبذلك يكون الكتابان متممين بعضهما بعضاً .

من أولى الحقائق التي تكشفها لنا مؤلفة هذا الكتاب المهم تأثر الرئيس رونالد ريغان بهذه الأفكار المؤيدة للصهيونية ، بالاضافة إلى عدد كبير من أصدقائه ومساعديه والعاملين في الحكومة الأمريكية ، بل إن ريغان يفخر دائما أنه يحمل هذه الأفكار ، ويؤمن بها منذ طفولته .

وتبين السيدة هالسل في كتابها بأن هذه الأفكار قد أصبحت في عهد الرئيس رونالد ريغان بالاضافة إلى المنظمات المتطرفة هي التي تحدد سياسة الحكومة الأمريكية في العالم ، وبخاصة تجاه الاتحاد السوفيتي والشرق الأوسط ، فلدى الولايات المتحدة الآن ٦٧٠ قاعدة نووية في ٤٠ دولة ، فيها ١٤٥٩٩ رأساً نووياً ، منها ٣٣٩٦ في المانيا الغربية ، و ١٢٦٨ في بريطانيا ، و ٥٤٩ في ايطاليا ، و ١٦٤ في اليونان ، و ١٥١ في كوريا الجنوبية ، و ٨١ في هولندا ، و ٢٥ في بلجيكا . وما برنامج حرب النجوم الذي تصر عليه إدارة الرئيس ريغان إلا وليد هذه النزعة العدوانية المتطرفة التي تدعو لها تلك النبوءة ، ومن

---

* من منشورات سلسلة عالم المعرفة التي يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت

كتاب الشهر

أجل هذه السياسة لا تبخل أميركا بالمال والسلاح على « اسرائيل » وشعبها « المظلوم »

وتؤكد السيدة « هالسل » أن لهذه النبوءة ونظرية معركة « مجدو » أنصاراً كثيرين ، قد يصل عددهم إلى ٤٠ مليون نسمة في الولايات المتحدة وتتلخص هذه النبوءة الصهيونية التي ملكت عقول ملايين من السذج والمخدوعين الى أن الحرب العالمية النووية قادمة لا محالة ، وستقوم في « مجدو » في فلسطين ، وسيحل الدمار بالبشرية جمعاء ، لكن « المسيح المخلص » سيعود وينقذهم مع اليهود « شعب الله المختار » ، ثم يقيم مملكة في القدس مدة ألف سنة ، يليها الخلود السرمدي ، لكن لن تتحقق هذه النبوءة إلا إذا احتل اليهود جميع الأراضي العربية ، وهذا ما تدعو له المنظمات البروتستانتية التبشيرية اليمينية المتطرفة

إنها تدعو إلى ضرورة قيام حرب نووية ، تشمل العالم بأكمله ، وبأقرب فرصة ممكنة ، لكي تتحقق أهم نبوءة في عقيدتهم الشيطانية إن أتباع هذه المنظمات يصرون على قتل جميع الشعوب ، وبخاصة العرب والروس ، ويدعون بأنها مشيئة الله ، كما يصرون على ضرورة نسف الحرم الشريف في القدس وإقامة الهيكل اليهودي مكانه ، بالاضافة إلى إصرارهم الرافض لأي دعوة للسلام بين الشعوب ، إذ أنهم يعتبرون أي محاولة لاحلال السلام لاسيما بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي أو بين العرب واليهود بمثابة عقبة تمنع تحقيق تلك النبوءة التي ينتظرونها بفارغ الصبر

تذكر المؤلفة أسماء كبار المروجين لهذه الأفكار المتطرفة ، مثل بات روبرتسون الذي يملك مؤسسات كبيرة لنشر هذه المعتقدات الجهمية ، يعمل فيها ١٣٠٠ شخص ، أهمها مركز إعلامي في فرجينيا ، أقيم بتكلفة مقدارها ٢٢ مليون دولار ، على أرض مساحتها شاسعة وتضم هذه المؤسسات جمعية تسمى (نادي السبعمائة) ، وثلاث محطات تلفازية ، ومحطة إذاعية ، وقناة بث تلفازية ومحطة تلفازية في جنوب لبنان ، وشبكة بث إذاعي تصل إلى أكثر من ٦٠ دولة ، بالاضافة إلى جامعة ، وتنظيم عالمي لجمع التبرعات ، و جماعة ضغط سياسية « لوبي » ضمن المؤسسة الحكومية الأمريكية إن لهذا الشخص من القوة ما يدفعه للتفكير بترشيح نفسه لانتخابات الرئاسة في الولايات المتحدة ، إذ أن عدد الذين يتابعون برامجه التلفازية والاذاعية يبلغ ٢٤ مليون شخص ، ويقدر العائد السنوي لمؤسساته بمائتي مليون دولار

وتستمر المؤلفة بذكر أسماء كبار زعماء هذه المنظمات المتطرفة ، حتى تصل إلى ذكر جيري فالويل الذي يعتبر اليوم من أهم أنصار الصهيونية في الغرب ، والذي يرأس جماعة تسمى « الأغلبية الأخلاقية » ، وقد أنشأ حديثاً مؤسسة تسمى « اتحاد الحرية الفدرالي » لتسهيل نمو منظمته اليمينية المتطرفة ، وهو يملك شبكة تلفازية ، تصل برامجها إلى أكثر من خمسة ملايين ونصف مليون أسرة ، ينشر بها الأفكار الصهيونية المتطرفة ، مع التركيز على نبوءة الحرب النووية ، ومعركة « مجدو » القادمة ، وعودة المسيح المنتظر ، والدعوة لدعم الكيان الصهيوني ، وتصنيع أكبر كمية ممكنة من الأسلحة النووية ، لابادة العرب والسوفييت ، والمعروف عن جيري فالويل أنه من كبار أنصار حكومة جنوب أفريقيا العنصرية

ولقد تابعت السيدة هالسل برامج جيري فالويل التلفازية منذ عام ١٩٨٠ التي يبثها كل يوم أحد وفي سنة ١٩٨٣ قررت المؤلفة أن تقوم برحلة إلى الأراضي المقدسة، ضمن الرحلات التي تنظمها هذه الجماعة، تحت رعاية جيري فالويل نفسه، حيث يقاد المشاركون بهذه الرحلات من تل أبيب إلى « مجدو » بالقرب من حيفا، ليتسنى لهم أن يتخيلوا كيف سيتم دمار العالم من الشرح الوافي الذي لا يبخل به المرشد « السياحي » الصهيوني

وتروي المؤلفة قصة من قصص كثيرة، توضح كيف يتعمد اليهود الصهاينة تجاهل وجود الفلسطينيين في فلسطين، فأثناء رحلتهم بالناقلة مع مرشدهم السياحي الصهيوني من بحيرة طبرية إلى القدس ـ وهي رحلة تستغرق ساعتين ونصف ـ يقترح عليهم « المرشد » أن يسترخوا في مقاعدهم، ويغمضوا عيونهم، ويخلدوا للنوم، لأنه ـ حسب قوله ـ ليس هناك اي شيء في الطريق له أهمية »، فيستجيب له الجميع وقد لاحظت الكاتبة أنهم يمرون بمنطقة الضفة الغربية المأهولة بالفلسطينيين، وفهمت مغزى كلام « المرشد »، وعندما همست بأذن زميلتها الجالسة بجوارها وأخبرتها أنهم الآن يمرون بأراضي الفلسطينيين استغربت منها قائلة « أي فلسطينيين، أليس الجميع يهوداً هنا ؟ »

مؤتمر صهيوني مسيحي

ثم تتحدث السيدة هالسل عن المؤتمر المسيحي الصهيوني الذي حضرته في سويسرا سنة ١٩٨٥، والذي شارك فيه ٥٨٩ شخصاً من ٢٧ دولة، وتوضح كيف أن جميع الخطب التي ألقتها الوفود المشاركة كانت تدعو للحرب والعنف والدمار، ولا أحد وقف ليدعو للسلام بين شعوب العالم، ثم تورد أهم توصيات هذا المؤتمر الصهيوني، وهي

ـ أن يهاجر جميع يهود العالم إلى الكيان الصهيوني
ـ ضم أراضي الضفة الغربية وقطاع غزة إلى الكيان الصهيوني
ـ اتخاذ القدس عاصمة للكيان الصهيوني.
ـ منع بيع السلاح وتصديره من دول الغرب إلى الأقطار العربية

وقد لاحظت السيدة هالسل أنه بينما يدعي المشاركون في المؤتمر أنهم رجال دين إلا أنهم كرسوا ٩٩٪ من وقتهم في المؤتمر لموضوعات سياسية لكنها لم تستغرب ذلك، لأنها كانت تدرك أن هؤلاء هم في الحقيقة صهاينة على الرغم من مسيحيتهم

ثم تورد السيدة هالسل مثالا من مقال كتبه جيري فالويل، يدعو فيه الكيان الصهيوني لاحتلال المزيد من الأراضي في العراق وسوريا وتركيا والمملكة العربية السعودية ومصر والسودان، وجميع أراضي لبنان والأردن والكويت، كما يضيف قائلا « إن الرب قد بارك أمريكا، لأننا ساعده في حماية ما هو عزيز عنده، أي (اسرائيل) »

وفي فصل آخر تجري مقابلة مع الدكتور « اسرائيل شاحاك » الذي يخاف على الدويلة الصهيونية من الكرم الأمريكي، والذي يصوره كعملية حقن مخدر باستمرار في جسم مدمن مخدرات، وتخبر المؤلفة أن مجموع الأموال التي دفعتها الولايات المتحدة للكيان الصهيوني في سنة ١٩٨٥ قد بلغ خمسة بلايين دولار، وهو المبلغ الرسمي الذي جاء من الضرائب التي تحمل عبئها الشعب الأمريكي، وقد حسبها فوجد أنها تساوي ١٤ مليون دولار، تدفعها أمريكا « لاسرائيل » يوميا

وفي نهاية كتابها تؤكد المؤلفة أن هذه الحركات المتطرفة إنما هي حركات سياسة إرهابية، بعيدة جدا عن الدين، يمتد خطرها ليشمل البشرية جمعاء، وأن أتباع هذه الطوائف يدعون إلى دمار العالم، بينما دين المسيح الحقيقي دين تسامح ومحبة وسلام، يدعو إلى تكريم الانسان وليس إلى قتل الملايين بحرب نووية مدمرة □

من المكتبة العربية

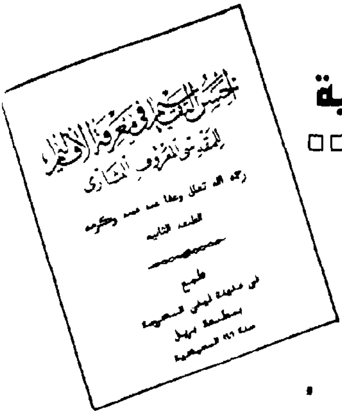
أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم
للمقدسي المعروف بالبشاري

أحسن التقاسيم "المقدسي"

عرض : الدكتور نيقولا زيادة

حين كتب المقدسي هذا الكتاب في القرن العاشر الميلادي لم يكن هناك ما يعرف اليوم بعلم الاقتصاد . لذا يقدم لنا الكاتب قراءة اقتصادية في هذا الكتاب

يمكن اعتبار القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، من حيث الكتابة الجغرافية عند العرب ، عصر الجغرافيين البلدانيين وثمة أربعة منهم ، البلخي (توفي ٣٢٢/ ٩٣٤) والاصطخري (كتب بين ٣١٨ و٣٢١/ ٩٣٠ و ٩٢٢) وابن حوقل (توفي اواسط القرن الرابع هـ / العاشر م) والمقدسي (توفي بعد ٣٧٨هـ / ٩٨٨م) وقد كان هؤلاء أهل سفر ، ومن ثم فان معرفتهم كانت نتيجة القراءة والاطلاع والتعرف الى الامور عن كثب

والمقدسي ، الذي نريد أن نتعرف الى الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في القرن الرابع هـ / العاشر م من خلال ما أورده في كتابه أحسن التقاسيم ، هو من مواليد مدينة القدس (ويقال إنه ولد في الرملة من أعمال فلسطين) في سنة ٣٣٥هـ/ ٩٤٦م وكان جده لأبيه بناء معروفا وهو الذي بنى ميناء عكا لابن طولون حاكم مصر ولعل هذا هو سبب عنايته بوصف الأبنية في كتابه

واسم المؤلف ، على ما ورد ، هو شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد بن ابي بكر البناء الشامي المقدسي البشاري ، ولكنه شُهر باللقبين الأخيرين فقط واسم كتابه هو أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم وقد طبع في ليدن في عام ١٩٠٦ بتحقيق

دو ويه (وكل ما في السوق من هدا الكتاب هو إما الطبعة الأصلية ، وهي بطبيعة الحال نادرة ، أو أنه صور من تلك الطبعة)

وقد زار المقدسي أصقاع العالم الاسلامي باستثناء الأندلس والسند وسحستان ، وانتهى من تأليف كتابه سنة ٣٧٥هـ وهو بشيراز والمؤلف منظم في عرضه لمادته ، مرتب في تخطيطه لكتابه ، واضح الاسلوب ، وكان يتعمد السجع أحيانا ، لكنه سجع طبيعي لا تكلف فيه

وقد وقف المقدسي من سابقيه في هدا الموضوع ـ أي جغرافية البلاد الاسلامية ـ موقف الناقد الشديد ، فهو يرى مثلا ، أن العلماء من قبل لم يكتبوا في الموضوع إلا على الاخلال

أما تخطيطه لكتابه فيبدو في تنظيم الكتاب من حيث مواضيعه ففيه ذكر الاقاليم الاسلامية ، ووصف تضاريسها ، ومدنها ، وتجارتها ، وصناعتها ، وعاداتها ، وما الى دلك ثم هو يحدد مصطلحاته تحديدا دقيقا من حيث معنى القصبة والمدينة ، ومن حيث المسافات والمراحل ومن أطرف أبواب الكتاب « باب اختصرناه للفقهاء » ، حتى يوفر عليهم الجهد في قراءة الكتاب بأجمعه ويروي المقدسي أخبار ما عاين من الاسباب في تأليف كتابه ، وهي أخبار طريفة لكن ليس هنا موضعها

طبيعة الاقليم

يصف المقدسي « اقليم الشام » طبيعيا بقوله

« ووضع هذا الاقليم ظريف وهو أربعة صفوف فالصف الاول يلي بحر الروم وهو السهل رمال منعقدة ممتزجة يقع فيه من البلدان رملة وجميع مدن السواحل والصف الثاني ل مشجر ذو قرى وعيون ومزارع يقع فيه البلدان بيت جبريل وايليا (بيت المقدس) املس واللجون (تل المتسلم) وقدس والبقاع طاكية والصف الثالث الاغوار ذات قرى وانهار ونخيل ومزارع ونيل يقع فيه من البلدان ويلة (ايلة) وتبوك (تابوك ليست من اقليم الشام) وصغر (زغر) واريحاء وبيسان وطبرية وبانياس والصف الرابع سيف البادية وهي جبال عالية باردة ، معتدلة مع البادية ، ذات قرى وعيون واشجار يقع فيه من البلدان مآب (مؤاب) وعمان وادرعات ودمشق وحمص وتدمر وحلب »

يشير المقدسي الى أن اقليم الشام يقع على بحر الروم ، وانه يتصل ببحر الصين ، ودلك عن طريق البحر الأحمر عبر مدينة ويلة (ايلة)

يتحدث المقدسي لماما عن مناخ الشام فيقول انه اقليم متوسط الهواء الا وسطه من والشراة الى الحولة فانه بلد الحر والنيل والموز والنخيل ، ويضيف وأشد هدا الاقليم بردا بعلبك وما حولها ويروي مثلا شاميا وهو أنه « قيل للبرد أين نطلبك ، فقال بالبلقاء ، قيل له فان لم نجدك ، قال بعلبك بيتي »

ويدكرنا المقدسي ان كل ما علا من اقليم الشام نحو الروم كان اكثر انهارا وثمارا وأبرد هواء ، وما سفل منه فانه أفضل وأطيب وألذ ثمارا وأكثر نخيلا ويتنبه المؤلف الى ان اقليم الشام ليس فيه نهر يسافر فيه ، انما يعبر

كان الجغرافيون يخلطون ، احيانا كثيرة ، بين المدن والبلدان والقصبات اما المقدسي فقد وضع لنفسه تعريفا التزمه فهو يقول

« وأما نحن فجعلنا المصر كل بلد حله السلطان الأعظم وجمعت اليه الدواوين وقلدت منه الاعمال ، واضيف اليه مدن الاقليم مثل دمشق وربما كان للمصر او للقصبة نواح ولا بد لكل اقليم من كور ثم لا بد لكل كورة من قصبة ثم لكل قصبة من مدن »

ويشبه المقدسي الأمصار بالملوك ، والقصبات ، اي عواصم الكور (جمع كورة) بالحجّاب ، والمدن بالجند والقرى « بالرجالة » وفي رأيه ان دمشق هي المكان الوحيد في اقليم الشام الذي يصح ان يسمى

مصرا ، وذلك بحكم ما كانت عليه في الماضي (اي في ايام الامويين) اما بالنسبة الى ايامه ، فلم تكن اكثر من عاصمة لكورة فقط

مكونات الاقليم

واقليم الشام ، كما قسمه المقدسي ، يتكون من ست كور هي قنسرين وقصبتها حلب ، وحمص وقصبتها حمص نفسها ، ودمشق وقصبتها المدينة نفسها ، وفلسطين وقصبتها الرملة ، والاردن وقصبتها طبرية ، والشراة وقصبتها صغر

والذي نراه هو أن المقدسي ، الذي كان يعرف أن بلاد الشام في ايامه لم يكن فيها تقسيم اداري واضح ، بسبب انقسامها الى دويلات تتحارب فيما بينها ، اعتبر في تقسيمه اياها كورا اتجاه منطقة معينة نحو مركز تجاري او اقتصادي او قبلي ، واحتفظ بفكرة الأجناد القديمة ، الا انه اعتبر ايضا ان كلمة جند لم تعد صالحة وهذا التقسيم - على كل حال - ليس ذي اهمية عندما نحاول ان نتقصى المعلومات الاقتصادية التي نعثر عليها في احسن التقاسيم

موارد اقليم الشام

يجمل المقدسي ما يرتفع من بلاد الشام وأجزائها من تجارات وغيرها بقوله

« والتجارات به (اقليم الشام) مفيدة يرتفع من فلسطين الزيت والقطين والزبيب والخرنوب والموالح والصابون والفوط ، ومن بيت المقدس الجبن وثياب القطن وزبيب العينوني والدوري غاية والتفاح غاية والمرايا وقدور القناديل والابر ، ومن اريحاء نيل غاية ، ومن صغر وبيسان النيل والتمور ، ومن عمان الحبوب والخرفان والعسل ، ومن طبرية شقاق المطارح « والكاغد وبر » ، ومن قدس ثياب المنيرة والبلعيسية والحبال ، ومن صور السكر والخرز والزجاج المخروط والمعمولات ، ومن مآب (مؤاب) قلوب اللوز ، ومن بيسان الرز ، ومن دمشق المعصور والبلعيسي وديباج ودهن بنفسج د والصغريات « والكاغد » والجوز والقط والزبيب ، ومن حلب القطن والثياب والاشن والمغرة ، ومن بعلبك الملابن ولا نظير لقط وزيت الانفاق (؟) وجوارى وميازر الرملة ولا لمعنقة ومسابح بيت المقدس »

ويشير في مكان آخر الى وجود معدن الحديد في جبال بيروت ، والمغرة الجيدة بحلب ، وبفلسطين مقاطع حجارة بيض ومعدن للرخام وبالاغوار معدن كبريت ويرتفع من البحيرة المقلوبة ملح منثور

على انه عندما يتحدث عن المدن وما يتبعها او يلحق بها ، يقدم لنا الكثير من التفصيل ، الذي يدلنا على المكان بالذات لا على مركز تجميع المصنوعات والغلات الزراعية وغيرها

فالمقدسي ينصح طالب النعمة بالخيارة والرخص والفواكه باللجوء إلى دمشق وقيسارية في بلاد الشام ويكثر من التغني بالخبز الحوارى في الرملة ويمتدح كروم بصرى (اسكي شام) ويقول ان اكثر اسواق دمشق مغطاة ، وفيها سوق على طول البلد مكشوفة وتكثر بدمشق الثمار ولو انه يشير الى ان ثمارها تفهة

ويشير الى موضع الوراقين في أروقة المسجد الجامع (الاموي) والوراقون ، كما هو معروف ، هم باعة الكتب يومها ويقول عن بعلبك انها ذات مزارع وهي معدن الاعناب وحوران معدن القموح والحبوب ، والحولة معدن الاقطان والارهار وبحيرة طبرية كثيرة الاسماك (وبهذه المناسبة فانه حري بنا أن نذكر أن السمك المملح كان ينقل من بحيرة طبرية الى تدمر في القرن الثاني الميلادي وجبل عاملة (جبل عامل) فيه قرى نفيسة وأعناب واثمار وزيتون ، والمطر يسقي زروعهم وبيسان كثيرة النخيل وكابل مدينة ع الساحل (قرب عكا) بها مزارع الاقصاب و-

سح السكر الفائق وعكا في حامعها عانة ريتون وم بسرحه وريادة وحـرى (حليل الـرحمن في حوب فلسطين) كثيرة القرى والكـروم والاعناب والتفاح وعسقلان كثيرة الفواكـه ومعدن الحميـر وفرها فائق وغرة كبيرة على حادة مصر ويـافة (يافا) صعيرة الا انها حرانة فلسطين وقيسـارية احـل بلد على بحـر الروم وهي حسـنة الفواكـه ونـابلس كثيـرة الـريتـون واريحـا معـدن النيـل والنحيـل وعمـان معـدن الحبـوب والاعنـام وصعر ، (حبوي البحر الميت) مها المتحر المربح ، وويلة فرصة فلسطين وحرانة الحجار

ويؤكد المقدسي على التحارة البحرية عن طريق بحر الروم من يافة (يافا) وقيسارية ، وعلى اهمية ويلة (ايلة) للبحر الاحمر وبحر الصين وعلى اهمية الزقاق (البري) الذي يقـود الى تيماء وهـذا هو وادي سرحان

وحدير بالذكر ان حعرافيي القـرن الرابـع هـ/ العاشر م الآحرين يؤيدون ، على وحه العموم ، ما نقله المقدسي عن الحياة الاقتصادية في دلك الوقت

المدن وتوابعها

يورد المقدسي أسماء أربعة وستين مركزا في اقليم الشام ، وهي التي يسميها مدنا ، منهـا واحدة فقط اعتبرها مصرا بحكم ما كانت عليه في سابق عهدها ، وهي دمشق ولكنه عدّها في ايامه قصبة مثلها مثل القصبـات الاحرى ، وهي حلب وحمص وطبـريـة والـرملة وصغر (زعـر) وقد كـانت تتبـع هـذه القصات مدن احرى لكن المقدسي لا يعين نوع نعية تماما أو درجتها ويضاف الى هذه المدن قرى نواح وهناك تعبير آخر هو الرستـاق والكلمة ساها ، قاموسيا ، مجموع القرى لكن المقدسي ستعملها في معنى آحر هو ـ فيما نعتقد ـ المنطقة التي د المدينة الكبيرة والقصبـة ، بحاجتهـا من نتاج الزراعة حاصة ، كما انها كانت تعتمد على القصبة او المـدينة في الحصـول عـلى مـا تحتاجـه هي من مصنوعات والرساتيق التي يذكرها المقدسي هي

لدمشق الغوطة وحوران والبثنية والجولان والبقاع والحولة وجبل عاملة رستاق قدس ، وجبل جرش رستاق أذرعات ، وبيت جبريل رستاقها الداروم ، عـلى الساحـل ، والبلقاء رستـاق عمـان ، واريحـا رستاقها الغور

ويورد المقدسي أسماء رباطات في كورة فلسطين يقع فيها فداء الأسرى الذين يقعون بيد الروم هي غـزة وميماس (غـزة) وعسقلان ومـاحـور ازدود (اشدود) وماحور يبنا ويـافا وارسـوف وحرى بالذكر أن افتداء الاسرى كان أمرا يتقرب به الناس الى الله

ولنعد الى تلك التي يسميها المقدسي مدنا وهي كما ذكرنا اربع وستـون مدينـة وأما الجغـرافيون الآخرون فيختلفون عنه في عدد ما يحسبونه مدنا ، هذا مع العلم بـأن هؤلاء لم يحددوا المعنى المقصـود بالمدينة على نحو ما حدده المقدسي فنحن نجد ان ابن خرداذ به يورد ، (٣٥) مكانا ، واليعقوبي يورد (٣٠) مكانا ، وابن رسته يذكـر (٢٠) مكانـا ، والاصطخري يعين (٢٥) مكانا ، وابن حوقل يورد (٣١) مكانا

كانت هذه محاولة تقديم دراسة حول اقليم واحد (اقليم الشام) مستخلصة من كتاب واحد (أحسن التقاسيم) القصد منها تبين ما يمكن ان نحصل عليه من معلومـات اقتصـاديـة من الكتب الجغـرافيـة العربية والحق يقال ان هذه الكتب الجغرافية هي مصـدر مهم لدراسـة المجتمع العـربي ـ اقتصـاديـا وسياسيا والذي ارجوه هو ان ألفت الباحثين الى الغـوص على هـذه الكنوز في مـظانها ، كي تصبح دراساتنا مبنية على جهودنا ومخططة علميا ☐

مكتبة العربي

مختارات

الكتاب تاريخية الفكر العربي الاسلامي
المؤلف محمد أركون
ترجمة هاشم صالح
الناشر مركز الانماء القومي - بيروت
عدد الصفحات ٣٠٠ من القطع الكبير
سنة النشر ١٩٨٦

أول ترجمة لكتاب كامل للمفكر المغربي محمد أركون الذي كتب أهم أعماله باللغة الفرنسية ، يذكر الناشر أن هذا الكتاب سيكون فاتحة ترجمة كتب أركون الأخرى الى العربية ، سيكون ذلك باشرافه شخصيا كما هو الأمر في هذا الكتاب

ويشير أركون في مقدمته الى صعوبة الترجمة الى العربية ويعزو ذلك الى اختلاف المفاهيم الواحدة في كل من اللغتين العربية والفرنسية ، بالاضافة الى حساسية الموضوعات التي يخوض فيها المؤلف ، والتي تتمحور حول إعادة قراءة الفكر الاسلامي باستخدام الأدوات المعرفية العصرية والحديثة

■■

الكتاب الشابي - ترجمة حياته وترجمة أشعاره
المؤلف عامر غديرة
الناشر الشركة التونسية لفنون الرسم والنشر والصحافة - تونس
عدد الصفحات ٢٥٠ صفحة
سنة النشر ١٩٨٧

يقدم عامر غديرة أستاذ الأدب العربي في جامعة ليون الفرنسية ترجمة دقيقة موضوعية لحياة شاعر تونس أبي القاسم الشابي وقيمة هذا الكتاب أنه تخطى الرؤية الحكائية التي عرض من خلالها الدارسون سيرة الشابي ، فصوروه على أنه مجرد عليل بائس ، بينما يتوقف غديرة عند أهم المحطات في حياته ، بحلوها ومرها ، مثل زواجه ، وصداقاته ، ومطالعاته ، ثم يحلل انعكاسات ذلك كله على أشعاره ، ومن ثم فقد توصل المؤلف الى كشف الكثير من مناطق العتمة في آثار الشاعر ، خاصة المؤثرات العربية في شعره ، وأثر المدرسة الرومنطيقية بشكل أخص، وإن كان الشابي لا يحسن اللغة الفرنسية ولا يقرأ الا باللغة العربية

وينزل غديرة الشابي في إطاره التاريخي ، ويقدم لوحة دقيقة عن حقبة العشرينيات والثلاثينيات ، وملامح من أدب معاصري الشابي من الشعراء والكتاب ، ويترجم في القسم الفرنسي من الكتاب بعض أشعاره الى لغة فولتير

■■

الكتاب مدخل الى كافافي ، فار انتراكيس ، ريتسوس
المؤلف بيين
ترجمة سعاد فركوح
الناشر دار منارات للنشر - عمان - الأردن
عدد الصفحات ١٤٦ من القطع المتوسط
سنة النشر ١٩٨٥

في هذا « المدخل » يقدم الناقد بيتر بيين دراسة أدب ثلاثة من أبرز الشعراء اليونانيين المعاصرين الشاعر قسطنطين كافافيس الذي عاش الاسكندرية ، ونيكوس قازنتزاكيس الروائ

اليوناني الكبير القادم من جزيرة كريت ، ويانيس ريتسوس أحد أعظم شعراء هذا القرن

وفي هذا الكتاب الصغير الحجم مقاربة لموضوعه يقوم الكاتب بمهمتين معا ، فهو يقدم دراسة تتميز بالبساطة لحياة هؤلاء الأدباء وإبداعاتهم ، وتتميز بالتكثيف والتركيز في نفس الوقت ، مما يجعله كتابا مهما للقارىء العادي ، وللمثقف أيضا

■■

الكتاب الحوّات والقصر ـ رواية
المؤلف الطاهر وطار
الناشر دار الهلال ـ القاهرة
عدد الصفحات ١٣٨ من القطع المتوسط
سنة النشر ١٩٧٨

طبعة جديدة لرواية الطاهر وطار الشهيرة التي تدور حول علي الحوّات ، صائد السمك الذي تمكن من اصطياد أجمل سمكة قادمة من أعماق البحار

في هذه الرواية تتضافر لغة الطاهر وطار الجريئة الرشيقة مع أجواء الرواية التي يمتزج فيها السحر والخيال بالواقع وبالنفس الانسانية ، ليشكل رواية جيدة تضاف الى التراث الروائي للمؤلف

■■

الكتاب ذكريات نقعة ابن خميس
المؤلف فاضل خلف
الناشر مطابع الرسالة ـ الكويت
عدد الصفحات ١٥٩ من القطع الكبير
سنة النشر ١٩٨٧ م

الكتاب الذي حمل عنوانا فرعيا هو « صوت البحر » يروي مؤلفه ذكريات طفولته التي قضاها على الشواطىء الكويتية في أيام الثلاثينيات العابرة ، ويتابع هذه الذكريات شابا وكهلا في بيروت وتونس وبريطانيا

ومع أن الكتاب ذاتي جداً ويروي الذكريات التي تحمل طابع العمومية عن شواطىء الكويت القديمة الا أن تلك الذكريات تعيد الى الأذهان بعضا من حياة تلك الفترة ، السفن وساقاتها والأطفال ومغامراتهم الأولى مع البحر ، وعبق الحياة الذي ولّى ولن يعود

■■

الكتاب دهاليز الزمن الممتد
المؤلف أبو بكر العيادي
الناشر دار الرياح الأربع ـ تونس
عدد الصفحات ١٢٦ صفحة
سنة النشر ١٩٨٦ م

يقدم القاصي التونسي المعروف أبو بكر العيادي في هذه المجموعة القصصية ١٦ قصة قصيرة ، كتبها في فترات مختلفة ، وهي تعكس جوانب البيئة التونسية في المدينة والقرية على السواء ، يصوغ المؤلف لوحات واقعية من حياة الناس في أسلوب ناعم ، عارضا عدة نماذج اجتماعية ، مثل تاجر القرية ، والعمدة ، وزبائن المقاهي ، و « عبدالخالق » الذي سيق الى السجن بلا تهمة ، والمسؤول المتعالي على الناس أما القصة التي منحت عنوانها للمجموعة فهي تتحدث عن تجربة مناضل ، شارك في محاربة الاستعمار ، لكنه لم يستمتع بثمار تضحياته ، وقطفها سواه وتتناول قصة « الأمل المشنوق » علاقة رجل بامرأة ، قررا الافتراق ، ومأساة الابن الذي أنجبه الرجل من ابنة عمه التي تزوجها بضغط من والديه ، واضطر الى الابتعاد عن حبيبته الأولى

وأبو بكر العيادي يكرس بهذه المجموعة مكانته المميزة بين القصاصين التونسيين ، فهو صاحب عطاء غزير ، سواء في مجال الكتابة القصصية أو في مجال ترجمة عيون القصص العالمي الى اللغة العربية ☐

العربي ـ العدد ٣٤٨ ـ نوفمبر ١٩٨٧

مسابقة العربي الثقافية

العـــدد ٣٤٨
نوفـــمبر ١٩٨٧

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارًا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الاجابة عن عشرة اسئلة من الأسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي ـ صندوق بريد ٧٤٨ ـ الرمز البريدي 13008 ـ الكويت . . « مسابقة العربي العدد ٣٤٨ » ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو ١٥ ديسمبر ١٩٨٧ .

أرفق الحل مع هذا الكوبون

كوبون مسابقة العربي
العـــدد
٣٤٨

١ ـ من الشاعر العباسي صاحب الأبيات الآتية

أَتَاكَ الرَّبِيعُ الطَّلْقُ يَخْتَالُ ضاحِكاً
مِنَ الحُسْنِ حَتَّى كَادَ أَنْ يَتَكَلَّما
وَقَدْ نَبَّهَ النَّيْرُوزُ فِي غَسَقِ الدُّجَى
أَوَائِلَ وَرْدٍ كُنَّ بِالأَمْسِ نُوَّما
يُفَتِّقُهَا بَرْدُ النَّدَى ، فَكَأَنَّهُ
يَبُثُّ حَدِيثاً كَانَ قَبْلُ مُكَتَّما
وَمِنْ شَجَرٍ رَدَّ الرَّبِيعُ لِبَاسَهُ
عَلَيْهِ ، كَمَا نَشَّرْتَ وَشْياً مُنَمْنَما

٢ ـ أي الألياف النسيجية التالية كانت الأولى التي عرفها الانسان في تاريخه ؟

* القطن * الخيش * الكتان

٣ ـ أي شجر اليابسة يزرع نفسه بنفسه ، وينقل زراعته بنفسه من شواطيء الى شواطيء أخرى بعيدة ، وذلك بواسطة البحر ؟ فهو ينمو على الشواطيء وتتساقط ثماره في البحر عند نضوجها ، وتظل عائمة طيلة شهور حتى تقذفها أمواج البحر الى شواطيء أخرى بعيدة أو قريبة ، فتستقر تلك الثمار على رمال الشواطيء ، وتزرع نفسها لتصبح أشجارا جديدة

٤ ـ خوص النخيل وسعوفه أيهما ورقة في نظر علم النبات ؟

٥ ـ بعض النباتات نأكل أزهارها ، وبعضها نأكل

جذورها ، وبعضها الثالث نأكل أوراقها ، نريد مثلا واحدا على كل فئة

٦ ـ شجرة الجاك فروت اشتهرت بثمرتها العملاقة فهي تزن بالمتوسط (٢٥) كيلوجراماً فأين تنمو هذه الشجرة ؟

٧ ـ شجرة بروسيموم يوتيلي شجرة متميزة حقا ، فهي تفرز لبنا يشبه لبن البقر لونا وطعما ، فأين تنمو هذه الشجرة ؟

٨ ـ الأسبرين دواء الصداع والروماتيزم المعروف ، استخرج أول ما استخرج من نبات شأنه في ذلك كعقار الكينا ، ترى ما اسم الشجرة التي استخرج منها الأسبرين ؟

٩ ـ أي الشجرتين أضخم شجرة البيان أم شجرة السيكويا ، علما بأن الأولى تنمو في الهند وسريلانكا والثانية تنمو في كاليفورنيا ؟

١٠ ـ ما هي شجرة البونساي ؟

* شجرة قزمة تنمو في الأنابيب ، وفي اليابان بالذات
* شجرة عملاقة تنمو في اليابان
* الشجرة الوحيدة التي تنمو في القطب الجنوبي

١١ ـ نخيل البلح معروف ولعله يمثل الثروة الثانية في عالمنا العربي ، ترى ما الفرق بين سعوف النخيل وجريده ؟

١٢ ـ شربنا على ذكر الحبيب مدامة
سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

من هو قائل هذا البيت

* أبو نواس
* عمر بن أبي ربيعة
* أبو الحفص الفارضي

مسابقة العدد ٣٤٥

١ ـ مؤلف كتاب الجامع في الأدوية المفردة هو ضياء الدين ابن البيطار (١١٩٧ ـ ١٢٤٨م) وكان من مواليد ملقا، ارتحل عن الأندلس الى المشرق، واستقر في دمشق حيث كانت وفاته وابن البيطار هو بلا ريب أعظم علماء النبات ـ في عصره ـ المسلمين وغير المسلمين

٢ ـ نباتات بلا جذور الأعشاب البحرية

نباتات بلا أوراق . الأعشاب البحرية أيضا، والفطر

٣ ـ زهور التفاح هي التي تشبه أزهار الورد وهذا الشبه قائم بين زهور عائلة الورد كلها وان اختلفت كثيرا في أمور أخرى كثيرة ونعرف عائلة الورد هذه باسم روزاسي، وهي كبيرة، وتنتمي اليها فاكهة التوت والكمثرى وغيرها

٤ ـ نبات رافليسيا ينمو في أحراج آسيا، وزهرة النبات العملاقة هي كل ما فيه، فهو بلا ساق وبلا أوراق

٥ ـ السبب هو المرض الفطري الذي أصاب محصول البطاطس في ايرلندة، فقضى على ذلك المحصول بكامله، ذلك أن زراعة البطاطس قامت آنذاك على غرس الثمار لا البذور، ومن ثم كانت الكارثة المفجعة، وحلت المجاعة الشاملة التي أودت بحياة الملايين، وحملت الكثيرين على الهجرة الى العالم الجديد ـ أمريكا

٦ ـ شجرة الكنكونا أو السنشونا هي الشجرة التي استخلص منها عقار الكينا الناجع في معالجة الملاريا، وقد أطلقوا على الشجرة اسمها نسبة الى المركيزة كنكونا زوجة نائب الملك في البيرو آنذاك، اذ أصابت حمى الملاريا المركيزة وكادت أن تقضي عليها لولا لحاء الشجرة المذكورة الذي عالجوها به وكان ذلك سنة ١٦٣٠

٧ ـ عشبة ست الحسن سموها بهذا الاسم نظرا لاقبال النساء في الماضي على استعمال عصارتها لتوسيع العين وتجميلها، فهي تحتوي على مادة (الاتروبين) الطبية التي يستعملها أطباء العيون حاليا من أجل توسيع العيون، عدا عن ذلك فالعشبة سامة كثيرة السموم، على أن أحد عناصرها الفعالة يستعمل في صنع (لزقات) الظهر، فهو يساعد على ترخية العضلات المتقلصة

٨ ـ كمثرى الأفوكاتو هي الفاكهة التي تتميز بفوائدها الغذائية، ولو ذكرنا أنها تتميز أيضا بأنها سهلة الهضم لأدركنا قيمة هذه الفاكهة غذاء للاطفال

٩ ـ القمح سنة ٨٠٠٠ ق م تقريبا
في حارمو بالعراق واريحا بفلسطين
الذرة سنة ٥٠٠٠ ق م تقريبا
في المكسيك
الشعير سنة ٤٠٠٠ ق م تقريبا
في مصر القديمة
الارز سنة ٣٠٠٠ ق م تقريبا

في الهند ومنها انتقل الأرز الى الصين واليابان وغيرها

١٠ ـ كثير من الخمور البيضاء تصنع من أعناب حمراء ، ذلك أن اللون الأحمر ليس في عصارة العنب بالذات بقدر ما هو في قشرته

١١ ـ سر الخليج الوضاء في بورتوريكو إنما هو في النباتات الفطرية التي تنمو فيه ، فهي نباتات مضيئة ، وفي الامكان رؤية ضوئها من بعد ١٥ مترا والنباتات المذكورة صنوف من البلانكتون

١٢ ـ أمير الأندلس المقصود هو عبدالرحمن الثالث ، وقد تقبل الهدية شاكرا ، وطلب من امبراطور القسطنطينية أن يوفد له من قد يساعد على ترجمة الكتاب الى العربية ، فأرسل له الراهب نيقولاوس الذي وصل الى قرطبة سنة ٩٥١م ، والجدير بالذكر أن كتاب ديوستوريدس كان مترجما الى العربية في تلك الأثناء ، وقد اشتهرت ترجمته في المشرق ، دون أن يعرف في مغرب العالم الاسلامي على ما يبدو

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

الفائزون في مسابقة العدد ٣٤٥ اغسطس ١٩٨٧

الجائزة الاولى صالحة أحمد سالم / اليمن
الجائزة الثانية محمد عمار عبد الحميد / السعودية
الجائزة الثالثة ثائرة العبد الباري / العراق

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ د علاء الدين عبد الفتاح غنيم / مصر
٢ ـ زكي زهير صادق / الكويت
٣ ـ غريب الناصر / الاردن
٤ ـ ريتا جوزيف أشجيان / لبنان
ـ بيور عبد القادر / المغرب
ـ حسن أحمد الزحيلي / سوريا
ـ علاء الدين بيانوني / الامارات
ـ محمد فال بن الطالب النافع / موريتانيا

معركة بالسلاح

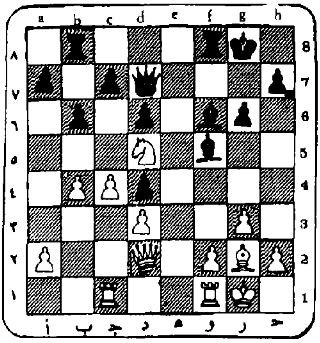

كانت المباراة الدولية التي أقامتها مؤسسة الخدمات المصرفية في بروكسل، العاصمة البلجيكية، من كبرى مباريات العام الحالي ، وقد بلغت نفقات هذه المباراة قرابة ربع مليون من الجنيهات أو أكثر ، وحددت جائزتها الكبرى البالغة ثلاثين ألف جنيه كبار أبطال العالم ، وبينهم كاسباروف ، وكاربوف ، وكورشنوي ، والبريطاني الشاب نايجل شورت وكان من أبرز ما تمخضت عنه هذه المباراة تراجع الأخير عن مكانته ، فقد كان الرابع بين أبطال العالم ، ثم أصبح في المرتبة الثامنة أو التاسعة ، مما قضى على آمال البريطانيين في المنافسة على بطولة العالم ، فقد كان نايجل شورت (٢١ سنة) أملهم الأبيض الكبير في الوصول إلى عرش الشطرنج بعد انتصاراته الساحقة التي حققها في وجك وريكجافيك بحصوله على المركز الأول فيهما ، بالإضافة إلى النتيجة المشرفة التي حققها في مباراته التلفازية ذات الأدوار الستة السريعة أمام بطل العالم جاري كاسباروف ، المقامة في العاصمة البريطانية في أواخر شهر فبراير من هذا العام (٢ ـ ٤)

غير أن مباراة بروكسل الأخيرة حطمت موازين البريطانيين ، وآمالهم بالقضاء على الاحتكار الثنائي (كاسباروف ـ كاربوف) لبطولة العالم ، فقد مني نايجل شورت بهزيمة نكراء أمام جميع خصومه من كبار أبطال العالم وصغارهم على السواء ، بمن فيهم من سبق له أن هزمهم أربع مرات في مباريات التصفية قبل النهائية وقد أثار هذا التراجع المأساوي الشكوك حول أحقيته بلقب ولي العهد الأوروبي لعرش الشطرنج ، مما عزز آمال منافسه الهولندي جان تيمان بالفوز بهذا اللقب

ومن الجدير بالذكر أن المباراة على بطولة العالم للشطرنج ستنعقد بين كاسباروف وكاربوف في أواخر العام الحالي ، بعد فوز الأخير فوزاً ساحقاً على مواطنه سوكولوف ، ثالث أبطال العالم في مدينة ليبارس الاسبانية (٧,٥ ـ ٣,٥)

أما الدور الذي اخترناه لكم من مباراة بروكسل فهو من أهم أدوارها إذ يعتبر مثالاً جيدا على حسن استغلال الضعف الناجم عن التحريك الخاطئ للبيادق التي تشكل درعاً واقياً للملك المحصّن ، وهذا الدور من الطابق الانجليزي

☐ ليوبوجفك (يوغسلافيا)	■ ميلدرز (بلجيكا)
١) حـ ٤	و ٥
٢) ح - حـ ٣	ح - و ٦
٣) ز ٣	ز ٦
٤) ف - ز ٢	ف - ز ٧
٥) د ٣	د ٦
٦) هـ ٤	ح - حـ ٦

الفائزون في حل مسابقة الشطرنج

العدد ٣٤٥
أغسطس ٨٧

الفائزون باشتراك سنة كاملة

١ ـ د عبد الله نبهان ـ المحر / بودابست
٢ ـ الروسي عبد الحميد ـ طحة / المغرب
٣ ـ محمد نذير مامو ـ دمشق / سوريا
٤ ـ رؤية سراء ـ صفاقس / تونس
٥ ـ علي أحمد الحام ـ الرياض / السعودية

الفائزون باشتراك ستة أشهر

١ ـ حمد سالم حارب ـ الحفنة / عمان
٢ ـ حلال عبد السميع عبد العرير ـ الحيرة / ج م ع
٣ ـ مارن مشوح ـ دمشق / سوريا
٤ ـ وسام حوشانة ـ الصاحية / الكويت
٥ ـ عبد القادر عبد الكريم التميمي ـ أندونيسيا

٧) ح ر ـ هـ ٢	ت
٨) ت	هـ ٥
٩) ح ـ د ٥	ف ـ هـ ٦
١٠) ف ـ ر ٥	و ـ د ٧
١١) و ـ د ٢	ر أ ـ ب ٨ ؟

نقلة رديئة ر ـ و ٧ أفضل بكثير

١٢) ر أ ـ حـ ١	ب ٦
١٣) ب ٤	ح ـ د ٤
١٤) ح × د ٤	هـ × د ٤
١٥) ف × و ٦	ف × و ٦
١٦) هـ × و ٥	ف × و ٥ ؟

الأخذ بالبيدق هو الرد الصحيح (الشكل)

١٧) ح × و ٦ +	ر × و ٦
١٨) و ـ و ٤	ر ب ـ و ٨
١٩) و × د ٤	حـ ٥
٢٠) ب × حـ ٥	ب × حـ ٥
٢١) و ـ حـ ٣	ف ـ حـ ٣
٢٢) ف ـ د ٥ +	م ـ حـ ٨
٢٣) ر و ـ هـ ١	و ـ ز ٧
٢) ر ـ حـ ٢	حـ ٥
٢) ر ٢ ـ هـ ٢	ر ٣ ـ و ٧
٢) و ـ حـ ١	ف ـ ر ٤
٢) ر ـ هـ ٧ ! ! هائلة	يستسلم

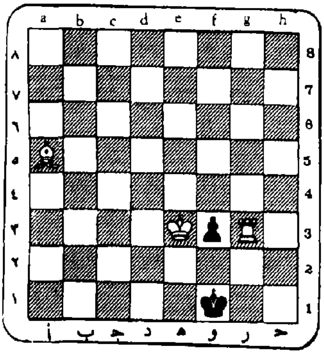

مسألة العدد ٣٤٨ نوفمبر ١٩٨٧

مات ٣

مهداة من القاريء محمد النسعة (الأردن)

حل مسألة العدد ٣٤٦

سبتمبر ١٩٨٧

مفتاح الحل و ـ حـ ٣

العربي - العدد ٣٤٨ - نوفمبر ١٩٨٧

على هذه الصفحات .. ترحب "العـَر "

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

حوار القراء..

استطلاع عن الأكراد كيف ؟

● أبدي لكم صراحة اعجابي بالاستطلاعات المصورة التي تقوم بها مجلتنا « العربي » ، حيث تعرفنا هذه المجلة بجوانب مختلفة من حياة الأمم والشعوب

وسؤالي هو ما هي الاعتبارات التي تلعب دورها في اختيار هذه الراوية أو تلك في أي استطلاع تقومون به ؟ لقد قمتم باستطلاعات مصورة في بعض الجمهوريات السوفيتية ، والبرازيل ، ومدينتي هيروشيما ونجازاكي ، وقمتم باستطلاعات الى أصغر بقعة في العالم ، مثل « أدغال صباح » و « سرواك » ، لكني لا أفهم لماذا تجاهلتم حتى الآن شعبا يبلغ سكانه الملايين ، موزعا في مناطق مختلفة من العالم ، انه الشعب الكردي الذي تبلغ نسبته في تركيا ٦٥/ من السكان ، وفي ايران والعراق وسورية يوجد منه عدة آلاف نسمة ، وأعداد لابأس بها في مصر العربية والأردن وفلسطين ، وحتى في الساحل الصومالي

لماذا تجاهلتم مثل هذا الشعب ؟ لماذا لم تعرفونا بمثل هذا الشعب ؟ وماهي الأسباب التي وراء ذلك ؟

فارس شاكر
سوريا / الحسكة

العربي

الاعتبارات التي تلعب دورها في اختيار رواية الاستطلاع ، أو اختيار بلد بعينه عديدة ، يصعب حصرها هنا ، لكن أهمها أن يكون هناك جديد في البلد الذي يتم استطلاعه ، أو أن تكون هناك مناسبة أو حدث يشدان الانتباه ، أو قضايا ذات أهمية قديمة أو طارئة

فضلا عن أن هناك أولوية لالقاء الضوء على شئون العالم الاسلامي والوطن العربي وشعوبهما ، والتعريف بالشعوب الاسلامية والأمة العربية ، أما بالنسبة للشعب الكردي فليس هناك تجاهل له أو لغيره ، وخطابك نفسه يحمل التفسير لما تظنه تجاهلا ، فمن ناحية عملية بحتة لايمكن عمل استطلاع واحد حول الشعب الكردي في جميع البلاد التي أشرت اليها ، لكن الحديث عنه يتم في اطار الاستطلاع عن البلد الذي يوجد فيه الأكراد ، وحين يجيء دور الحديث عن التركيبة السكانية في هذا البلد أو ذاك ، وقد حدث هذا كثيرا بالنسبة للاكراد ولغيرهم ، أما الحديث عن الشعب الكردي في ك البلاد التي أشرت اليها ، ونشأته ، وظروف انتشا فيها ، ودوره ، فهذا يمكن أن يكون موضوع درا يقوم بها أحد المتخصصين ، ترحب « العربي » بنشر ما دامت ملائمة للنشر .

القراء يواصلون مناقشة قضية التعريب

● نشرت مجلة العربي في العدد ٣٤٢ في زاوية حوار القراء بعنوان «قضية التعريب الوجه الآخر» وأود هنا أن أرد على المخاوف التي أثارها بعض القراء من الاتجاه الى التعريب ، من واقع تجربتي كطالب عربي ، يدرس الطب في جامعات يوغسلافية

أولا لا أساس للصحة بالنسبة للمخاوف بشأن تدريس الطب باللغة العربية ، وأن ذلك قد يؤدي الى تخلف الطلاب والدارسين عن متابعة الجديد في ميدان الطب باللغات الأجنبية ، وأوضح هنا كيف يواجهون في يوغسلافيا مثل هذه المخاوف ، فعندما يتم اكتشاف علمي جديد في مجال ما ، فانه يتم تقديم طبعة جديدة من الكتاب الذي يدخل في مادته هذا الاكتشاف الجديد ، أي أن جوهر المسألة هو مدى نشاط حركة الترجمة والمتابعة للجديد في العلم وتنظيم ذلك ، ومثال ذلك كتاب «الفيزيولوجيا البشرية» ، حيث ندرس الآن الطبعة الثامنة منه وتضم أحدث المبتكرات العلمية في ميدان هذا العلم .

ثانيا مسألة الاختلافات في وضع بعض المصطلحات العلمية على الرغم مما قد تحدثه من ارتباك ، فأضرارها أقل خطرا من أضرار تدريس العلم بلغة أجنبية ، ، قد لايجيدها الطالب اجادة كاملة ، وبخاصة في المرحلة الجامعية الأولى ، فهنا في يوغسلافيا توجد ست جمهوريات ، وقد تختلف المصطلحات بين جمهورية وأخرى ، بل قد يختلف المنهج نفسه ، ولايوجد ضرر في ذلك ، أما الضرر الناشئ عن تدريس الطب أو غيره من العلوم بلغة أجنبية فمن المناسب أن نستمع هنا الى رأي الدكتور محمد توفيق الرحاوي أستاذ التشريح بطب القاهرة ، يقول في مقدمة ترجمته لأطلس سوبوتا التشريحي «انه كان من معارضي تدريس الطب باللغة العربية ، لكن بعد ممارسته لتعليم الطب ، لمس صعوبة بالغة أثناء العملية التعليمية في محاولة نقل المعلومات لطلابه ، فالمحاضر يفكر باللغة العربية ، ثم يترجم فكره الى اللغة الانجليزية ، والطالب يتلقى باللغة الانجليزية ، ثم يعيد ترجمة ما تلقاه من حيث لايشعر الى اللغة العربية وهذا كله مما يثقل العملية التعليمية»

محمد فارس عحوب
يوغسلافيا

العربي

- نشر هذا الجزء من رسالة مطولة للقارئ الكريم تدل على اهتمام القراء بمناقشة ومتابعة هذه القضية القومية الهامة ، وحين تنشر هذه الرسالة في شهر نوفمبر ستكون مجلة العربي قد نشرت في شهر سبتمبر الحلقة الأولى من الحوار الذي أجرته في جامعة دمشق حول قضية التعريب في الجامعة السورية ونشر في هذا العدد الحلقة الثانية آملين أن تسهم هذه المناقشات في القاء المزيد من الضوء على هذه القضية الخطيرة ، وفي اتخاذ موقف قومي موحد حيالها

جديد عن الالمنيوم

● قرأت مانشر في العدد ٣٤١ شهر ابريل بعنوان «الالمنيوم أعجوبة معادن القرن العشرين» للاستاذ محمد علي النقي ، ولأهمية هذا الموضوع واعجابي به ، أود أن أضيف بعض الفوائد التي قد تفيد القارئ .

العربي
ص ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

حوار القراء..

« ان أول مصنع للالمنيوم في العالم قد أنشىء في بلدة حلاسير في فرنسا،وان الذي أنشأه يدعى سانت كلير ديفيل »

« ان أول مصنع لانتاج الالمنيوم بالتحليل الكهربائي في أوروبا قد تم بناؤه في مدينة » يهاورن « في سويسرا »

« ان معدن الالمنيوم يأتي بعد الاكسجين والسيلكون من حيث توفره في القشرة الأرضية »

« ان جزيرة » جامايكا « تعتبر المورد الرئيسي للبوكسيت في العالم ، فيها احتياطي هائل من هذه المادة الأساسية اللازمة لتحضير الألمنيوم ، اد تقدر نسبة البوكسيت في أرض هده الجزيرة مما مقداره ٩٩/ »

المهندس محمد قره يوسف
سوريا / اللاذقية
الشركة العامة لصناعة الالمنيوم

أين العلماء في باب « وجها لوجه » ؟

● مجلة العربي في طليعة المجلات الثقافية في الوطن العربي ، يقرأها القارىء العادي والمتخصص في أي مجال ، ويجد فيها الجميع بغيتهم ما أريد أن أعلق عليه هو باب « وجها لوجه » الرائع ، لأنه يحتوي على خلاصة أفكار الكبار ، وخلاصة تجاربهم في الحياة ، يقدمونها مباشرة للقارىء ، في كلمات محددة ، والذي أقترحه حول هذا الباب هو ضرورة التنوع في الشخصيات التي يقدمها ، فالذي لاحظته أن هذه الباب يركز بدرجة كبيرة على الأدباء في مجالات الشعر والقصة والرواية ، وقليلا مايتعدى هذه المجالات نود أن يأخذ العلماء والفنانون نصيبهم في هذا الباب ، ولكم جزيل الشكر

مصطفى المحمد الخليل
سوريا / حماة

العربي

- نشكر للقارىء الكريم اهتمامه ، ونقره على أهمية ملاحظته ، وهي بالفعل موضع اعتبارنا ، ونأمل أن نجد قريبا ما نتطلع اليه جميعا في هذا الباب من توازن بين العلم والأدب والفن ، واذا كانت الأغلبية في هذا الباب للأدب وما تزال كذلك ، فلعل هذا انعكاس لواقعنا الذي لاتملك فيه الحركة العلمية الحديثة تاريخا طويلا مثل الحركة الأدبية

حول حقيقة اليهودي

شابيتاي تسيبي

● في عدد ديسمبر ١٩٨٦ من مجلة العربي تحدث الدكتور عبد الوهاب محمد المسيري في مقال « حقيقة الأرقام اليهوديّة في العالم » وكان المقال جيدا ، ومفيدا ، ولا أعتقد أني في موقف يسمح لي بالحكم على المقال ، الا أني لاحظت غموضا يستدعي التوضيح حول اسم اليهودي الدجال شبتاي تسمي ، وأعتقد أن أسمه شابيتاي تسيمي ، وهذه قصة حياته فقد اضطرب كل اليهود في العالم كله لظهور داعية يسمى شابيتاي تسيبي ، وهو ابن تاجر من أزمير ، يدعى (مردكاي) ، عم أنه هو المسيح المنتظر ، وكانت فكرة المسيح المنتظر ذائعة عندئذ في المجتمع اليهودي

وكانت الأوساط اليهودية الرجعية تؤمن بقرب ظهور هذا المسيح، ولذلك صادفت دعوة شابيتاي تأييدا كبيرا بين يهود فلسطين ومصر وشرق أوروبا، بل لقد أيدها كثير من اليهود «المتنورين» وأصحاب الأموال، لأعراض سياسية ومالية، وكان شابيتاي متمكنا من تعاليم «الكابالا» عليما بأسرارها ونظرياتها الروحية، بارعا في ضروب الشعوذة

وقيل انه كان يأتي ببعض الخوارق، وأن جلده كان ينضح مسكا، وكان يكثر من الاستحمام في البحر، ويعيش في حالة ذهول مستمر، وقد انقسم اليهود ازاء مزاعم شابيتاي الذي انتحل لنفسه لقب (ملك ملوك الأرض) الى قسمين، خصوم وأنصار، فأما الخصوم فهم الأحبار والدعاة، وكان هؤلاء يناصبونه العداء، ويكثرون من لعنه والحملة عليه، أما أولئك الذين استهوتهم دعوته، وآمنوا بمزاعمه وتعاليمه، فقد انقلبوا عليه، حينما سخط منه السلطان، وطلب اليه أن يثبت دعواه، بأن يستقبل السهام المسمومة بصدره، فارتد عن اليهودية فجأة، وزعم أنه اعتنق الاسلام، بيد انه استمر يتقلب في مزاعمه وتعاليمه ازاء المسلمين واليهود طورا بعد طور، فيتظاهر أمام كل فريق بأنه من دينه وحزبه، وبتلك الوسيلة استطاع أن يغنم مؤازرة نفر من اليهود والمسلمين معا، غير أن الأحبار اليهود قد خشوا من دعوته على تعاليم اليهودية، فسعوا به الى السلطان حتى أمر باعتقاله، وسجنه في احدى قلاع بلغراد، وهناك توفي في سنة ١٦٧٦

جمال أحمد العيسى
سوريا / دير الزور

زكاة الجواهر كيف يتم حسابها ؟

• كيف يتم حساب زكاة الجواهر المملوكة للمسلم في كل عام ؟

سناء آل حراب
سوريا / حمص

الجواب

- جاءنا هذا السؤال ضمن رسالة طويلة، تتضمن أسئلة أخرى عن زكاة الأموال العادية، وعن زكاة فوائد العملة الأجنبية المدخرة في البنوك العربية الخ

وقد حولنا الرسالة الى جهة اختصاص، فوافتنا بالاجابة التالية حول السؤال الأول، وننشرها هنا، الى أن تصلنا بقية الاجابات على بقية الأسئلة

أحب أن أنبه أولا الى أن الجوهر قد يعني الأُحجار الكريمة، والجوهر النفيس الذي تتخذ منه فصوص الحلي ونحوها، وبعض البيئات العربية تتوسع في دلالته، فيعني الذهب والفضة، فتقول لصانع الحلي «صائغ»، وأحيانا تقول «جواهرجي»

وزكاة الذهب والفضة والجواهر فيها أمور كثيرة، واني ذاكر أكثرها شيوعا، فاذا كان الذهب والفضة في شكل مال نام كالدنانير والدراهم والسبائك غير المضروبة فلا خلاف بين العلماء على أن فيه الزكاة

واذا كان في شكل حلي مباح فبعض العلماء يعفيه من الزكاة، وبعضهم قال فيه الزكاة، واني أوثر قول القائل «من ملك مصوغا من الذهب أو الفضة نظر في أمره، فان كان للاقتناء والاكتناز - ذخيرة للزمن - وجبت فيه الزكاة، لأنه مُرصد للنماء، فهو كغير المصوغ من السبائك والنقود المضروبة.

واذا كان معدا للانتفاع والاستعمال الشخصي نظرنا في نوع هذا الاستعمال، فان كان محرما كأواني الذهب والفضة والتحف والتماثيل وجبت فيه الزكاة، وان كان الحلي معدا لاستعمال مباح كحلي النساء - في غير سرف - وخاتم الفضة للرجال لم تجب فيه الزكاة، لأنه مال غير نام، وماوجبت فيه الزكاة من الحلي أو الآنية أو التحف يزكى فيخرج ربع العشر (٢,٥ بالمئة) كل حول، وهو بشرط أن يكون نصابا، أو يكمل بمال عنده نصاب، وهو ٨٥ جراما من الذهب، أو ٥٩٥ جراما من الفضة، وتعامل

حوار القراء..

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

الحلي من اللآلئ والجواهر للنساء معاملة الذهب والفضة ، فإن كانت في حدود المعقول قومت وأخرجت زكاتها

وإذا أردت المزيد فعليك بكتاب فقه الزكاة للدكتور يوسف القرضاوي ، أو الفقه على المذاهب الأربعة ، أو أي كتاب فقه معتمد

مقترحات من القراء باستطلاعات جديدة

● اقتراح من القارئ محمد الحصري من حلب ـ سوريا ـ باستطلاع مدينة حلب الشهباء ، وزيارة قلعتها الشهيرة ، وغيرها من المعالم القديمة والحديثة في المدينة العتيدة التي تعتبر العاصمة الثانية لسوريا

● اقتراح من الأخ عبد الهادي شهاب حمود بجامعة دمشق باستطلاع الجزء المحرر من منطقة الجولان في سوريا ، يقول القارئ عبد الهادي « وما حثني على الكتابة إليكم هو أنني أسكن في المدينة الجامعية بدمشق مع طلبة من المغرب العربي ، وقد اكتشفت أنهم لايعلمون أن هناك في سوريا منطقة محتلة اسمها الجولان »

● اقتراح من القارئة جمالات من المملكة العربية السعودية باستطلاع أوضاع وأحوال المسلمين الاجتماعية والسياسية في يوغسلافيا

ـ نشكر لكل الإخوة القراء اهتمامهم ، ونعدهم بأن تؤخذ كل هذه المقترحات بعين الاعتبار حين مناقشة خطة الاستطلاعات في مجلس التحرير

حوليات كلية الآداب

تصدر عن كلية الآداب . جامعة الكويت

رئيس هيئة التحرير : د. عبد المحسن مدعج المدعج

دورية علمية محكمة ، تتضمن مجموعة من الرسائل التي تعالج بأصالة موضوعات وقضايا ومشكلات علمية تدخل ضمن تخصصات كلية الآداب.

- تقبل الأبحاث باللغتين العربية والانجليزية شرط ألا يقل حجم البحث عن (٤٠) صفحة مطبوعة من ثلاث نسخ .
- أن يمثل البحث إضافة جديدة إلى المعرفة في ميدانه الخاص وألا يكون قد سبق نشره .

توجه المراسلات إلى : رئيس هيئة تحرير حوليات كلية الآداب ص.ب ٢٣٥٥٨ الصفاة - الكويت

فرصة استثمارية جديدة
في عالم الوطني

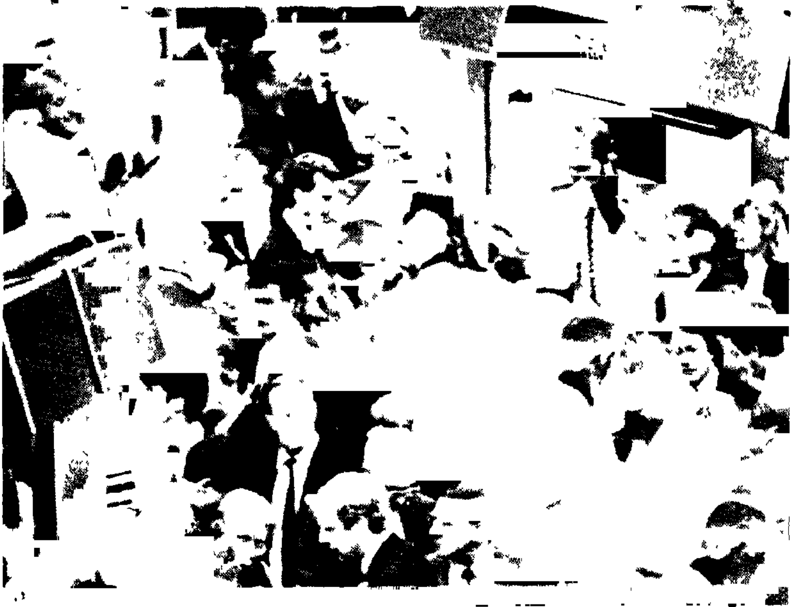

صندوق الوطني للاستثمار
«أسهم دولية»

تستطيع الآن استثمار مبالغ تبدأ من ١٠،٠٠٠ دولار أمريكي في صندوق استثماري يتضمن أسهم شركات رائدة يجري تداولها في أهم الأسواق المالية العالمية وتدار بواسطة شركة بنك الكويت الوطني لإدارة الاستثمارات في لندن

اتصل بمدير فرعك أو بمسئول حساباتك الشخصية

أو بدائرة الخدمات المصرفية الشخصية على هاتف رقم: ٢٤٤٨٣٥٩

أو بخدمة الوطني الممتازة على هاتف رقم: ٢٤٣٥١٤٦/ ٢٤٦٣٧٥٢

للحصول على كافة المعلومات عن هذه الخدمة الاستثمارية الجديدة

عالم الوطني يقدم لك الفرص الاستثمارية المختلفة.

بنك الكويت الوطني ش.م.ك
بنك تعرفه وتثق به منذ عام ١٩٥٢

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ دولة الكوي

نوفمبر ١٩٨٧ م

قصيدة وصورة

تأليف

د. عبدالغفار مكاوي

٥٠٠
فلس

الكتاب ١١٩

المراسلات: باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ ص.ب ٢٣٩٩٦ الكو

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير

د. بدر جاسم اليعقوب

- مجلة علمية فصلية محكمة تصدر ٤ مرات في السنة
- تعنى بشئون منطقة الخليج والجزيرة العربية السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية، والعلمية
- صدر العدد الاول في يناير ١٩٧٥
- تقوم المجلة باصدار ما يأتي
  - أ) مجموعة من المنشورات المتخصصة عن منطقة الخليج والجزيرة العربية
  - ب) مجموعة من الاصدارات الخاصة والمتعلقة بمنطقة الخليج والجزيرة العربية
  - حـ) سلسلة كتب وثائق الخليج والجزيرة العربية
- عقد الندوات التي تهم المنطقة او المساهمة فيها واصدارها في كتب
- يغطي توزيعها ما يزيد على ٣٠ دولة في جميع انحاء العالم
- الاشتراك السنوي بالمجلة
  - أ) داخل الكويت ٢ د.ك للافراد ـ ١٢ د.ك للمؤسسات
  - ب) الدول العربية ٢,٥٠٠ د.ك للافراد ١٢, د.ك للمؤسسات
  - حـ) الدول الاجنبية ١٥ دولارا للافراد ٤ دولارا للمؤسسات

المقر جامعة الكويت - الشويخ

هاتف: ٤٨١٦٨٠٧
٤٨١٦٧٩٩
٤٨١٦٨٩٤
٤٨١٤٢٩٥

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير على العنوان الآتي.
ص ب ١٧٧٣٠ - الخالدية - الكويت - الرمز البريدي 72451

التقافة العالمية

مجلة تترجم الجديد في الثقافة والعلوم المعاصرة

- تعتمد فيما تنشره على الترجمة من مختلف الدوريات العالمية.
- هدفها إقامة الصلة بين الفكر العربي وبين الأجواء المتطورة للثقافة العالمية المعاصرة.
- ميزانها الأساسي في اختيار المترجمات هو الجديد والهام.

- تصدر دورية كل شهرين عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

رئيس التحرير
أحمد مشاري العدواني

نائب رئيس التحرير
د. سليمان إبراهيم العسكري

المجلة العربية للعلوم الإنسانية

فصلية محكمة
تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير

د. عبد الله أحمد المهنا

[illegible] كلية الآداب - مبنى قسم اللغة الإنجليزية
الشويخ - هاتف ٨١٧٦٨٩ - ٨١٥٤[illegible]

المراسلات توجه إلى رئيس التحرير

ص ب ٢٦٥٨٥ الصفاة
رمز بريدي 13126 الكويت

- تلبي رغبة الأكاديميين والمثقفين من خلال نشرها للبحوث الأصيلة في شتى فروع العلوم الإنسانية باللغتين العربية والإنجليزية، إضافة الى الأبواب الأخرى، المناقشات، مراجعات الكتب، التقارير
- تحرص على حضور دائم في شتى المراكز الأكاديمية والجامعات في العالم العربي والخارج، من خلال المشاركة الفعّالة للأساتذة المختصين في تلك المراكز والجامعات
- صدر العدد الأول في يناير ١٩٨١
- تصل الى أيدي ما يزيد على عشرة آلاف قارىء.

ترفق قيمة الاشتراك مع قسيمة الاشتراك الموجودة داخل العدد.

مجلة العلوم الاجتماعية

تصدرها
جامعة
الكويت

مجلة فصلية أكاديمية تعنى بنشر الأبحاث والدراسات
في مختلف حقول العلوم الاجتماعية
رئيس التحرير د. فهد ثاقب الثاقب

منبر بارز للأكاديميين العرب
توزع أكثر من (١٠٠٠٠) نسخة
التوزيع في الكويت والخارج مجلة العلوم الاجتماعية

توجه جميع المراسلات الى . رئيس التحرير
مجلة العلوم الاجتماعية - جامعة الكويت ص ب ٥٤٨٦ صفاة - 13055
صفاة الكويت - هاتف: ٢٥٤٩٤٢١ - ٢٥٤٩٣٨٧ - تلكس: ٢٢٦١٦ - KUNIVER الكويت

ربيع الآخر ١٤٠٨هـ - ديسمبر (كانون اول) ١٩٨٧م

Dr. Zakir Husain Library
Jamia Nagar
J. M. I. New Delhi

زفاف ابنة الب

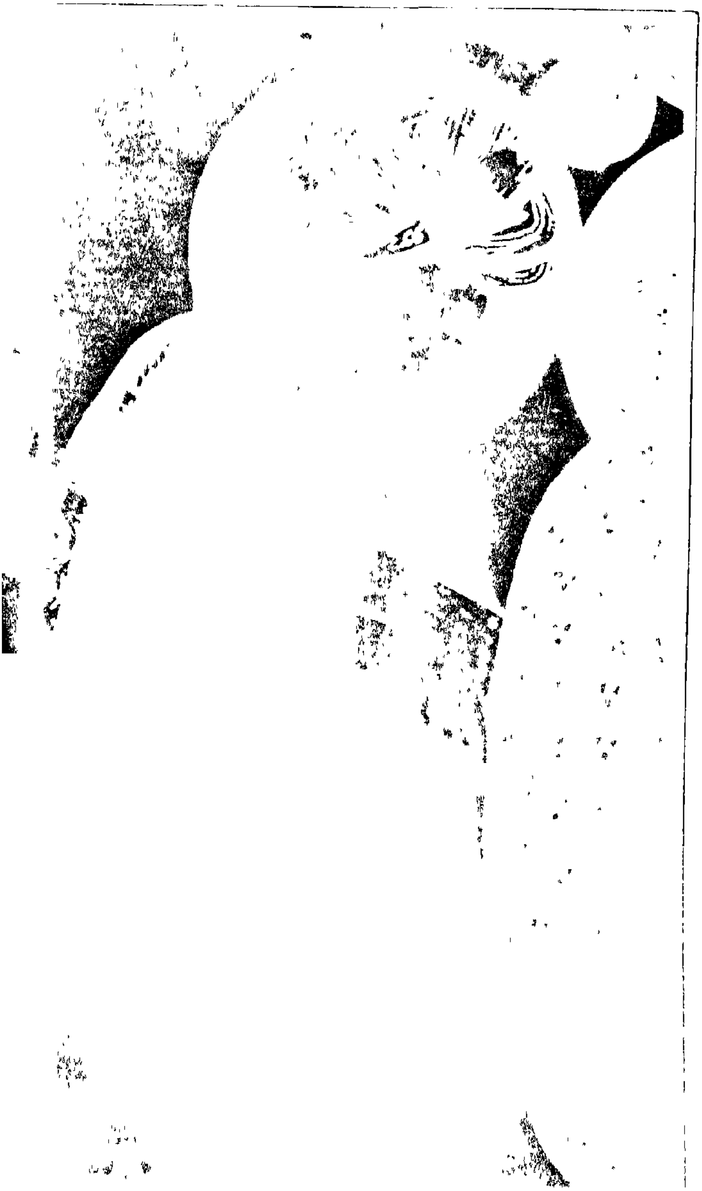

كارات
يدة
طبّ
يون

تـ ال..
الشمس
ـية..!

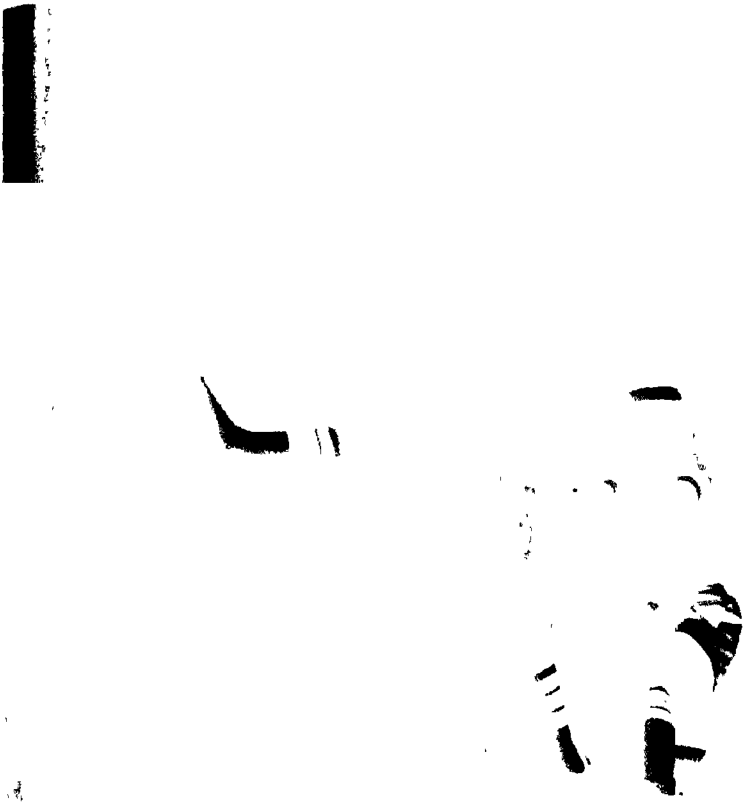

تمتاز سانيو VM-D1P بضابط سرعة عالية ١/١٥٠٠ ثانية
ذو غالق إلكتروني يعطيك حركة بطيئة وإعادة
بث صورة بوضوح لتمكينك من إلتقاط
أسرع الحركات كالحطاب عن المتوقعة والأسرع
من أن تراها العين المجردة. إنها مدمجة وخفيفة (٢٧,١كغ)
مع تعديل رقمي آلي سهلة الإستعمال تسمح لجميع أفراد
العائلة بأخذ أروع التسجيلات. سانيو VM-D1P احضرها
وضع الحيوية في منزلك

سانيو
SANYO

8 VM-D1P

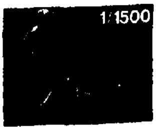

سرعة ١/١٥٠٠ ثانية بضابط سرعة على سانيو VM D1P الالكتروني نفس المقطع بدقة ووضوح

سرعة ١/٥٠ ثانية تبدو الحركات السريعة غير واضحة بواسطة التسجيل التقليدي

Dr. Zakir Delhi

العدد ٣٤٩ السنة الثلاثون ديسمبر ١٩٨٧

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهريًا عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

AL-ARABI

Issue No. 349 Dec. 1987. P.O.BOX 748
Postal Code No. 13008
Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

عنوان المجلة
ص ب ٧٤٨ - الصفاة
الرمز البريدي 13008 - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس: MITR 44041KT
تليفون فكسيملي ٢٤٢٤٣٧٥
المراسلات باسم رئيس التحرير

الإعلانات يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الإشتراكات

ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص. ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقًا لما يلي:
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلسًا	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلسًا	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٢٥٠ درهمًا
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع ريال
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلسًا	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٢٠ قرشًا	لبنان ١٥ ليرة	فرنسا ١٥ فرنكًا
السودان ٢٠ قرشًا	سوريا ١٠ ليرات	امريكا دولاران

محتويات العدد

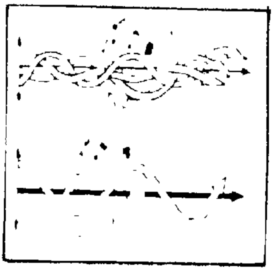

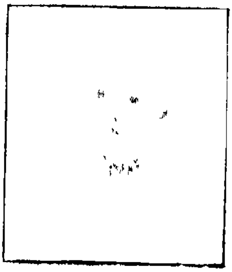

«الليزر» حل يبحث عن مشكلة ص٣٥ العلم وحواس الأطفال ص ١٣٤ الطاقة من الفضاء ص١٥٠

■ حديث الشهر النظام العربي والمستقبل
ـ د محمد الرميحي ٨

■ العلمانية بين الدين والدولة والحياة
ـ د عبدالعزيز كامل ١٨

■ احتلال العقل ، ملامح الاستراتيجية الغربية للتحكم في العقل العربي
ـ رفعت سيد أحمد ٢٤

■ الشاعر والديوان (قصيدة)
ـ محمد التهامي ٢٨

■ أدب المذكرات ـ فتحي رضوان ٣٠

■ « الليزر » حل يبحث عن مشكلة
ـ د عبدالمهدي رحمة الله ٣٥

■ للمناقشة · الاختلاف الذي لابد منه!
ـ فهمي هويدي ٤٠

■ زفاف ابنة الباشا
ـ د محمد المنسي قنديل ٤٥

■ رشيد رضا وقضية المرأة في العالم الإسلامي منذ نصف قرن
ـ د . رضوان السيد ٥٤

■ انهيار الحضارة الصناعية
ـ حافظ أحمد أمين ٥٩

■ الموت المفاجئ
ـ أنيس فهمي ٦٢

■ المضامين العلمية والفنية في المخطوطات العربية
ـ محمود شكر الخوري ٨٨

■ سلين الأديب الفرنسي وربع قرن على رحيله ـ د زينب عبدالعزيز ١٠٤

■ العشق ، هو العاشق (قصيدة)
ـ مجاهد عبدالمنعم مجاهد ١٠٨

■ حدود العالم (قصة)
ـ محسن خضر ١١٠

■ لماذا يتخلى المثقف العربي عن دوره السياسي ؟ ـ توفيق أبوبكر ١١٣

■ شارات المجد المنطفئة
ـ د محمود الربيعي ١١٦

■ حكايات طبية ـ د . غسان حتاحت ١٣٢

■ العلم وحواس الأطفال الرضع
ـ د . محمد نبهان سويلم ٣٤

■ آفاق المستقبل · الطاقة من الفضاء
ـ رؤوف وصفي ٥٠

■ فهرس سنة ١٩٨٧م
ـ إعداد صلاح صادق ٩١

د أسامة
الحولي

علي ابراهيم
عثمان

استطلاعات ومقابلات

■ البرتغال مملكة الشمس الغاربة
ـ محمود عبدالوهاب ٦٨
■ وجها لوجه · د. أسامة الحولي
ـ علي ابراهيم عثمان ٩٧
■ فيودوروف وابتكارات جديدة في طب العيون
ـ سليمان الشيخ .. ١٤٢

صورة الغلاف

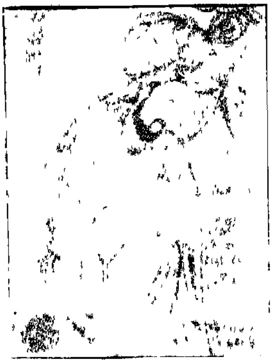

حول المصادر العلمية والفنية في المخطوطات العربية لوحة للكاتب العارف في افكاره باسطار الالهام من كتاب (رسائل اخوان الصفا) ١٢٨٧م [طالع ص٨٨]

فيودوروف وابتكارات في طب العيون ص ١٤٢

البرتغال مملكة الشمس الغاربة ص٦٨

المراسلات باسم رئيس التحرير والمجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

أبواب ثابتة

■ عزيزي القارئ ٧
■ القوافل ٣٣
■ أرقام : ثقب في الهواء
- محمود المراغي ٥٢
■ منتدى العربي :
- قضية . دور الأرقام العربية في الحضارة الإنسانية
- د . عبد اللطيف كانو ١٢١
- تعقيب : الجنس الثالث بين الأنوثة والذكورة
- د . يحيى زكريا جاد ١٢٦
■ الجديد في العلم والطب
إعداد : يوسف زعبلاوي .. ١٢٨
■ سلامة البشرية في سلامة البيئة ١٣٠
■ جمال العربية :
- صفحة لغة : نائب الفاعل هل ينبغي حذفه من كتب النحو ؟
- محمد خليفة التونسي ١٦٦
- صفحة شعر : مأساة سيدة قتل أخوها زوجها ١٦٨
■ مكتبة العربي :
- كتاب الشهر : الشعر الإنجليزي المعاصر - خالد عباس ١٧١
- من المكتبة العربية : بحث في نشأة الرمزية الصوفية
- د . مصطفى رجب ١٧٦
- مكتبة العربي (مختارات) ١٨٠
■ مسابقة العربي الثقافية ١٨٢
■ حل مسابقة العدد (٣٤٦) ١٨٤
■ معركة بلا سلاح (الشطرنج) ١٨٦
■ جوائز القراء ١٨٨

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

■ الخلافات الزوجية الحياة بعد العاصفة !
- ريم الكيلاني ١٥٦
■ مساحة ود منطق الفخ!
- محمود عبدالوهاب ١٦١
■ هو هي ١٦٢
■ طبيب الأسرة قضايا منزلية الطفل الباكي
- د حسن فريد أبوغزالة ١٦٤

عزيزي القارئ

مع نهاية عام يمضي وعلى أبواب عام جديد ، تقدم لك « العربي » في هذا العدد نخبة من الموضوعات تتناول قضايا الساعة ، فالدكتور عبد العزيز كامل ، وهو الرجل ذو الباع الطويل في الثقافة العربية والاسلامية ، يتناول موضوعا كثر الحديث حوله وانقسمت الآراء تجاهه ، ولكن الكاتب هنا يتناوله تناولا هادئا وواضحا ، فما هي العلمانية حسب وجهة نظره ؟

في مجال العلوم يكتب لك الدكتور عبد المهدي رحمة الله عن « الليزر » الذي شاع استعماله في الكثير من المجالات العسكرية والطبية وغيرها ، لكن كما يقول الكاتب « الليزر » حل يبحث عن مشكلة ! فما هي المشكلة ؟

ويكتب الدكتور أنيس فهمي عن حالة من الحالات التي تزايدت في عصرنا ، وأخذت تقلق الانسان فيه تتمثل « بالموت المفاجىء » فكيف يحصل ذلك ؟ ولماذا ؟

كما يشاركنا في هذا العدد رفعت سيد أحمد في موضوع يحتاج الى قراءة متأنية ، وهي كيف يحاول الآخرون احتلال عقلنا ؟ أما الدكتور رضوان السيد فيتعرض لموضوع مازال بعضنا يخوض فيه ويجادل حوله ، هو موضوع المرأة ، وكيف نظر اليها داعية ومصلح اجتماعي هو رشيد رضا

وتأخذك العربي في مجال الاستطلاعات لأول مرة الى البرتغال ـ البلاد التي اكتشف أهلها أمريكا وحاولوا السيطرة على العالم ـ فكيف هي الآن بعد أن ذهب المجد القديم ، وذهب سالازار أيضا ؟

وفي طب العيون نعرض عليك قضية لصيقة بالسباق العلمي بين الشرق والغرب فما هي ابتكارات السوفييت في طب العيون ؟

وفي مجال الأدب نعرض لك كتابا عن الشعر الانجليزي المعاصر بأجياله وخواصه ومراحله . ويشارك أيضا مجموعة من الكتاب في كتابة موضوعات أخرى علمية وثقافية متنوعة

هكذا بعناية تختار أسرة « العربي » موضوعات الاعداد التي تقدمها لك ، لأنها تريد أن تضيف الى معرفتك واطلاعك الجديد والمفيد

أما عدد العام الجديد الذي سيصدر في مطلع سنة ١٩٨٨ فإنه والاعداد اللاحقة له تحمل لك تطورا في التحرير ، أعددنا عدته منذ فترة ، سواء كان ذلك في اختيار الموضوعات أو في طريقة الاخراج وتقديم المادة

والعربي بك ـ عزيزي القارىء ـ تشد عضدها ، وإليك تتوجه ، وكل عام وأنتم بخير .

المحرر

العربي - العدد ٣٤٩ - ديسمبر ١٩٨٧ م

حديث الشهر

بقلم الدكتور
محمد الرميحي

النظام العربي
[illegible] ..

ثلاث ظواهر تعالج « الموضوع العربي » تعاقبت في الأشهر الثلاثة المنصرمة ، وكلها تبحث - من مداخل مختلفة - عن حلول ومخارج للوضع العربي الذي بلغ حد التأزم حتى أصبح معضلة .

أول الظواهر الثلاث من حيث الأسبقية الزمنية ، ملتقى علمي دراسي سُمّي بالمؤتمر الاستراتيجي الأول ، عقد في رحاب الجامعة الأردنية في منتصف سبتمبر الماضي ، ونظمه مركز الدراسات الاستراتيجية بالجامعة الأردنية ومركز الدراسات الاستراتيجية بمؤسسة الاهرام ، وقد قدمت في هذا الملتقى مجموعة دراسات قيمة حول الوضع الاستراتيجي العربي ومنحاه الخطير في السنوات القليلة الأخيرة

وثاني هذه الظواهر ، ملتقى علمي آخر عقد في تونس في شهر أكتوبر الماضي ، وحضره أيضا مجموعة من المهتمين بالشأن العربي والقضية العربية

وقدمت فيه دراسات علمية متعمقة ، وكان تحت عنوان « مستقبل الأمة العربية . . التحديات والخيارات » وقد أعد لهذا الملتقى مركز دراسات الوحدة العربية ومقره بيروت ، وعمل في المشروع لسنوات عديدة نخبة من الدارسين العرب كان همهم استشراف البدائل المستقبلية لهذه الأمة .

أما ثالث هذه الظواهر فسياسي ، حيث تنادى قادة العرب الى مؤتمرهم يعقد في عمان ، انتظرناه طويلا ـ خمسة أعوام على وجه التحديد ـ حتى يعقد لتدارس ما يمكن الخروج به من حد أدنى عربيا ، ويلاقي هذا التأزم المعضل في الوطن العربي ، ويدرس طرق وقف الهجمة الضارية على هذه الأمة

جوهر الأزمة المعضلة :

■ الظواهر الثلاث بجانبيها العلمي البحثي والسياسي ، تنطلق من قاعدة واحدة ، هذه القاعدة التي يشعر بها كل عربي صاحب بصر وبصيرة دون استثناء ، هي أن النظام العربي برمته تحت التهديد ، وأن الأرض تميد تحت أقدام الجميع ، البعض عن ذلك غافل ، أو في سبات عميق ، والبعض يعتقد أن التهديد لا يعنيه في هذه المرحلة على الأقل

ولكن الحقيقة ـ إن نظرنا من مصلحة عربية شاملة ـ أنه لا أحد محصن من هذا التهديد ، وإذا كان التهديد بعيدا اليوم عن البعض ، فإنه سيكون في بؤرة التهديد غدا ، لأن المستهدف هو الأمة العربية ، كمفهوم حضاري وكأمل شعبي مرتجى

ولست أعني بالتهديد هنا ، الذاتي أو المرحلي ، أو حتى القُطري ، التهديد كما أتصوره هو للنظام العربي ككل . أي أن نكون عربا أولا نكون ، أن نستطيع أن نتحرك على المسرح الدولي معبرين عن مصالحنا القومية ، أو نكون تابعين فرادى لهذه القوة الدولية أو الأقليمية أو كليهما ، أن نحافظ على أرضنا العربية أو نفقدها جزءا جزءا للطامحين من حولنا ، أن تكون لنا ارادة تعبر عن مصالحنا أم تسلب تلك الارادة ، أن نستطيع أن نتحكم في تناقضاتنا فرعية من أجل مواجهة التحديات الرئيسية أم تغلب علينا الأثرة والأنانية ضحي للتحدي الرئيسي ، من أجل حل تناقض فرعي له مردود مؤقت ؟

جوهر الأزمة المعضل ـ على المستوى الاستراتيجي ـ أن هناك تناقضا بين صالح القومية العربية الكبرى ، وبين الاجتهادات القطرية في أولويات شاكل ، وفي الطرق والمسالك التي يجب اتباعها لحل تلك المشاكل .

فالأزمة اذن ذات مستويات ثلاثة

النظام العربي برمته يعيش تحت التهديد

المستوى الاول

أن العرب ـ معظم العرب على الأقل ـ يعتقدون بأنهم ينتمون الى وطن عربي سكانيا وحضاريا واجتماعيا في رقعة جغرافية من الأرض متقاربة ، لها مصالح حيوية ، ولها أعداء ينظرون الى تجمعها على أنه خطر داهم ضد مصالحهم .

المستوى الثاني

أن الأقطار العربية المكونة لهذه الرقعة الجغرافية تنظر الى المشكلات التي تواجهها الامة بأولويات تختلف ـ بشكل جذري أو نسبي ـ من قطر الى آخر

المستوى الثالث

أن ذلك الاختلاف الجذري أو النسبي في الأولويات يزيده تصعيدا اختلاف آخر في الطرق والسبل التي يجب أن تتخذ لملاقاة تلك التحديات أو في طرق حلها .

ولم تكن الأزمة المعضل في تاريخنا الحديث جديدة ، ولكن الجديد فيها ـ على الاقل من الخمس الى السبع سنوات الماضية ـ هو عدم الوصول الى حد أدنى متفق عليه ، ووضع أوزان نسبية للأولويات واحتمالات تطورها ، ومن ثم مواجهة هذه التطورات جماعيا .

وأي قراءة مستنيرة للماضي القريب سوف توصلنا الى صيغة ثابتة هي أن تقاربنا كعرب ـ حتى على الحد الأدنى ـ تنقذنا جميعا من الوقوع فرادى تحت رحمة هذا الخصم أو ذاك . وكلما تفرقنا تعرضنا أكثر وأكثر للاختراق

وتلك هي دروس التاريخ من الماضي القريب

ولنذكر بعضا منها بشيء من الايجاز .

حضروا بماسته وعقدوا بمدمه ! [illegible]

■ النظام العربي بمعناه السياسي والاستراتيجي هو مفهوم حديث ، استعرناه من علم الجغرافيا السياسية الحديثة الذي أطلق مفهوم « النظام الاقليمي » على المنظومات الاقليمية المتجانسة التي تخضع علاقاتها وتفاعلاتها لقواعد وقوانين منظمة ، بينها وبين نفسها ، وبينها وبين الآخرين ، وكان لكتاب الاستراتيجيين العرب أن يصيغوا بعض المفاهيم الأخرى كي يتحدثوا ع

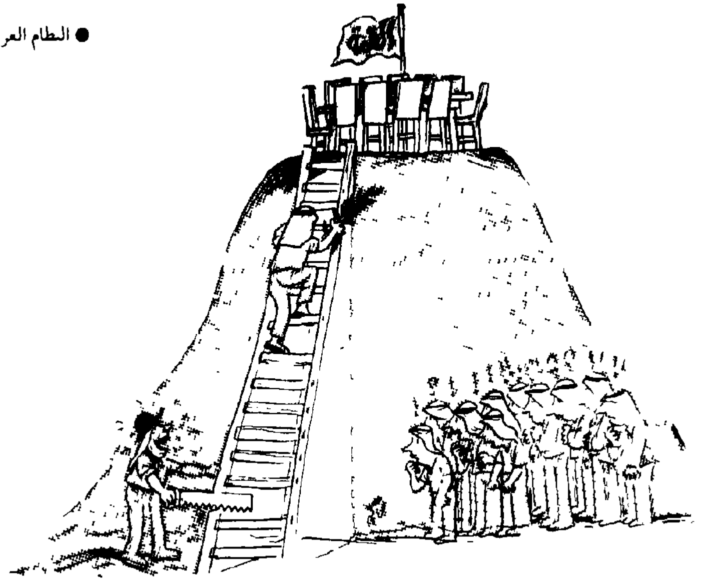

« نظام عربي » فقد أضافوا الى تلك المفاهيم العامة السابقة للنظام الإقليمي ، التجانس الثقافي الفريد والعمق التاريخي والحضاري والمصالح التي تميز النظام الاقليمي العربي

إلا أن ما أضافه الكتاب والاستراتيجيون العرب من مفاهيم على النظام الاقليمي كي يوصف ـ بالنظام العربي ـ أقول لعل ما أضافوا اليه هو أحد مكونات التعويق في أن يلعب النظام العربي دوره في التطور التاريخي ، فالمشاعر والأماني والتوقعات أقوى من الحساب المصلحي البارد ، وعندما تتفق مجموعة من الدول متقاربة جغرافيا لوضع قوانين وقواعد فيما بينها لإدارة سياستها الاقليمية ، هذه القوانين والقواعد المحسوبة تحقق للجمع الداخل كأطراف في النظام مصالح معينة ، وتعلى الولاء للسلطة الاقليمية شيئا فشيئا ، وتقلص السيادة الجزئية شيئا فشيئا .

وهناك أمثلة كثيرة ـ دول البنلكوس ، السوق الأوروبية المشتركة ـ الكوميكون ، دول النوردك (الشمال الأوربي) وأمثلة أخرى عديدة ولكن هذا الحساب البارد المصلحي ـ إن صح التعبير ـ تزيده حرارة التفاعل العربي ، فلا تترك للقواعد والقوانين المتفق عليها أن تأخذ طريقها لاتمام التفاعل المرجو .

فالبعض يعتقد ـ حسب هذا الترتيب السابق ـ أن العربة قد وضعت أمام الحصان ، وليس هناك طريق لإصلاح الوضع إلا بجر الحصان ولو قسرا لوضعه أمام العربة !!

ـاذا ـجـه ـضنا إلى ـتسهال ـفض.. ـدلاً من ـتيعاب ـشكلة ـلعمل ـلى ـلها ؟

وتلك إحدى معضلات العمل العربي اليوم كيف يتعامل م نفسه ؟ ! فهو بين واقع إقليمي وبين أمل وحدوي شامل ، حائر ومتناقض بل وفي بعض الأوقات متصارع

والحلول الوسطى إما ضعيفة أو غير فاعلة ، ومسيرة العرب السياسـ السلمية في إخراج نظام إقليمي عربي يرتضونه هو البحث الدائم عن تلك الحلقات الوسطى بين الواقع المعاش والأمل المرجو ، وفي طريق هذا البحـ يحتدم الصراع ، وفي بعض الأوقات يخرج عن القواعد المحسوبة فتتعرض الأمة كلها للخطر

ولنعد الى التاريخ القريب لنرى حركة الواقع وهي تؤكد هذا الاتجاه فبعد أن انتهت الحرب العالمية الأولى بانتصار الحلفاء ، وضعت الأقطار العربـ ـ في معظمها ـ تحت حكم الانتداب البريطاني أو الفرنسي وإلى حد أقل الايطالي والاسباني

وفيما بين الحربين قامت حركات وطنية عديدة تطالب باستقلال قطري ، ثم جاءت الحرب العالمية الثانية فانقسم العرب فريقين فريق مع الحلفاء وتوقع منهم مكاسب قطرية في الأساس وقومية بعد ذلك ، وتحرك هذا الفريق من العرب بمشاريع وحدوية فدرالية خاصة في إقليم سوريا الكبرى أما الفريق الآخر فقد رأى ضرورة فتح الحوار مع دول المحور لعلهم يصدرون تصريح يؤيد آمال العرب في الاستقلال الفريق الثاني حظي بتصريح هو تصريح ٢٣ أكتوبر ١٩٤٠ ، الذي تضمن اعتراف ألمانيا وايطاليا باستقلال (البلاد) العربية واهتمامها وعطفها على ما يقوم به العرب من جهود في سبيل تحقيق استقلالهم ولكن الحرب لم تنته سنة ١٩٤٠ ولا هي انتهت بانتصار دول المحور

الفريق الأول الذي بحجت مراهنته على الحلفاء بانتصارهم ، كان في ذهنه كثير من التشويش تجاه الاستقلال القطري ، أما التوجه الوحدوي فقد كان لدى المنادين به (تصورات) مختلفة تضيق وتتسع حسب وجهات نظر مقدمي المشروع من القادة العرب آنذاك

ولم يكن الحلفاء من جهة ، ولا قادة الدول العربية المستقلة من جهـ أخرى فيما بعد الحرب العالمية الثانية ، قادرين أو راغبين في ايجاد اتحاد عـ قادر على العيش ، ولعل من سخرية القدر أن تنشر منذ فترة وثيقة حـ بريطانية عبارة عن ملخص لاجتماع بين وزراء بريطانيين أربعة للخار والمستعمرات والهند والشرق الأوسط في ١٩٤١/٩/٢٦ يرأسه وزير الخار

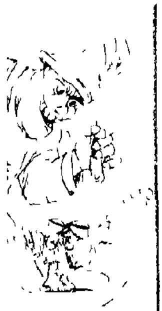

بريطاني آنذاك ، تقول تلك الوثيقة من بعض ما تقول (إن للاتحاد العربي جاذبية عظيمة وفوائد كثيرة ، الا أنهم اعتبروه غير قابل للتنفيذ ، نظرا للصعاب الكثيرة التي تعترضه وأهمها الخلافات العربية .)

وقد نمت فكرة تعاون عربي مشترك باتجاه السنوات الأخيرة للحرب العالمية الثانية ، تحركت فيها كل من بغداد والقاهرة ودمشق والرياض لاجراء مشاورات تمهيدية للبحث عن صيغة مرضية

في الوقت الذي كانت فيه معظم أقطار الوطن العربي الأخرى تحت الاحتلال المباشر ، وتعددت صيغ اقتراحات ذلك التعاون العربي من اتحاد فدرالي الى اتحاد كونفدرالي بدول عربية وحدود جغرافية مختلفة ، وأخيرا دعا رئيس وزراء مصر مصطفى النحاس في ١٩٤٤/٧/١٢ ، الحكومات العربية التي شاركت في سلسلة المشاورات لارسال مندوبيها للاشتراك في (اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربي العام) التي ستتولى صياغة مشروع لتحقيق الوحدة العربية .

واجتمعت اللجنة يوم ٢٥ ابريل ١٩٤٤ في الاسكندرية بحضور مندوبين عن ثمانية أقطار عربية هي مصر وسوريا ولبنان والعراق والأردن والسعودية واليمن وعرب فلسطين (ثمانية) وعقدوا (ثماني) جلسات متوالية ، واستبعد المجتمعون مجموعة من البدائل المطروحة ، ثم اتفق على تشكيل مؤسسة عربية تسمى (جامعة الدول العربية) تضم الدول العربية المستقلة التي تقبل الانضمام اليها ، وخلال عام من العمل ظهر ميثاق جامعة الدول العربية في ٢١ ابريل ١٩٤٥

كيف يُمكن التوفيق بَين المصالح القوميّة والاجتهادات والتوجهات القطرية؟

وبذلك ولد أول تشكيل إقليمي عربي متفق عليه ينظم العلاقة بين ول العربية المستقلة في ذاك الوقت ، انضمت اليه الدول العربية الأخرى ما بعد ذلك ، وأول ما يلفت النظر هنا ظهور تعاون عربي في مرحلة وسط المأمول (الوحدة العربية) والواقع (القطرية العربية)

نلاحظ هنا أن الجامعة هي جامعة (الدول العربية) في الوقت الذي ص فيه معظم الدساتير للأقطار العربية على أن « الدولة هي جزء من الأمة ربية » ، كما ينص كذلك كثير من دساتير الأحزاب العربية في مختلف ديارها

على أن « الأمة العربية أمة واحدة ذات كيان واحد » !

وقد اعتبر البعض أن ميثاق الجامعة هو حد أدنى يمكن البناء عليه وتطويره ، كما رأى آخرون أنها بداية متواضعة ، ورأى فريق ثالث أنها أداة معطلة لمسيرة الوحدة من هنا جاءت المحاولات المتكررة لتعديل ميثاق الجامعة العربية الا أن المؤسسة بحد ذاتها استطاعت في أوقات الصعود القومي أن تكون مسرحا لكثير من الانجازات العربية ، كما أنها في أوقات التردي تعجز عن الحفاظ على الحد الأدنى المبتغى ، فالقضية اذًا ليست نصوصا وهياكل قانونية تقيد أطراف النظام العربي بسلوك إقليمي ودولي معين ، كما أن هذه النصوص من جانب آخر لا تقف حجر عثرة اذا أصبح لدى الأقطار المكونة لها ارادة سياسية فالمشكلة اذًا كما قلنا سالفا ، ليست شكل الجهاز ، ولكن كيف يتعامل النظام العربي مع نفسه . فالقواعد لم تستقر . .

.. والقمة العربية .

■ مؤتمرات القمة العربية هي هيكل آخر من هياكل التعاون في إطار النظام العربي ، فبعد أن ضعفت أجهزة الجامعة نتيجة المشاحنات والاختلاف في الاجتهادات السياسية والاجتماعية ، تبلور الموقف للبحث عن صيغة حد أدنى مشتركة لملاقاة الأخطار الخارجية المحدقة ، وتبين حجم الاحتياج لجماعية المواجهة ونقلها من المواجهة بالاستنكار والعزلة الى المواجهة بالتحدي والعمل الجماعي .

الا أن قراءة متأنية لأسباب مؤتمرات القمة العربية ونتائجها التي مضى على انقضاء أولها ثلاث وعشرون سنة وعقدت حوالي ثلاثة عشر اجتماعـ للقمة . . هذه القراءة توصلنا الى ملاحظات أربع هي :

الملاحظة الأولى : أن هذه المؤتمرات عقدت من أجل مواجهة أو حل قضايا طرأت في الأشهر القليلة السابقة لعقد المؤتمر . على سبيل المثال تحويل مجرى نهر الأردن في المؤتمر الأول ، ومؤتمر اللاءات الثلاث في الخرطو (الرابع) أغسطس ١٩٦٧ . أي أن هذه المؤتمرات لم تبن على نتائج سابقة ولا كانت تمهيدا لخطوات قادمة .

الملاحظة الثانية : ان معظم مؤتمرات القمة ـ وخاصة التي عقدت بعد حرب ١٩٦٧ ـ كثيرا ما قاطعتها دولة عربية أو أكثر لأسباب مختلفة ، ول ظاهرة المقاطعة تكررت وتكاد تصبح القاعدة التي تتسم بها هذه المؤتمرات

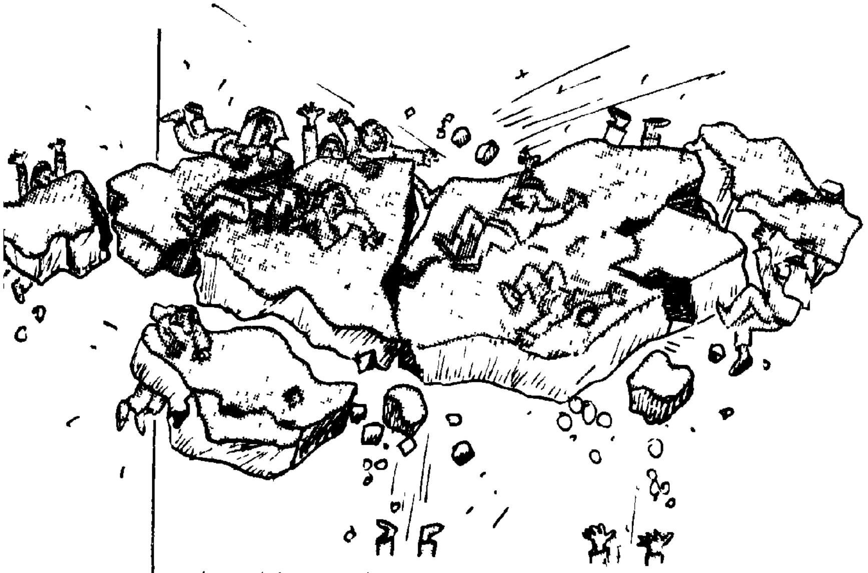

وفي بعض الأوقات يخفض التمثيل ، فلا يصبح القرار ذا ثقل سياسي مطموح له . وفي حالة المقاطعة الواسعة لا يصدر بيان ختامي (كما حدث في مؤتمر القمة الخامس في الرباط ديسمبر ١٩٧٩) .

الملاحظة الثالثة : أن فترات انعقاد مؤتمرات القمة منذ بدأت كانت تعقد في المتوسط كل عامين مرة ، وفي بعض الأوقات مرتين في العام ، عدا الفترة من ديسمبر ١٩٦٩ « القمة الخامسة » ونوفمبر ١٩٧٣ « القمة السادسة » اذ امتدت هذه الفترة الى ثلاث سنوات ونصف ، وبين القمة قبل الأخيرة ، (أغسطس ١٩٨٢) والأخيرة (عمان نوفمبر ١٩٨٧) امتدت الفترة إلى أكثر قليلا من خمس سنوات ، وإن تخللتها قمة غير عادية في الدار البيضاء (أغسطس ١٩٨٥) لبحث حرب المخيمات فقط ، في فترات الانقطاع هذه تتصاعد المشكلات العربية العربية من جهة ، والعربية الخارجية من جهة أخرى .

الملاحظة الرابعة : أن أحد مكونات القرارات في القمة العربية هو اتخاذ موقف (جماعي) مؤيد أو معارض لقرار كان قد اتخذ قطريا ، أي أن بعض الاطراف في النظام العربي تتخذ قرارا فرديا في موضع ما ، وتطالب الآخرين تأييده ، أو يجتمع الآخرون للتأثير في ذلك القرار .

من هذه الملاحظات نستطيع أن نصل الى نفس الخلاصة التي واجهت مسيرة الجامعة العربية وهي : كيف يتعامل النظام العربي مع نفسه ؟

من مسيرة الجامعة العربية ، ومسيرة مؤتمرات القمة والمحاولا
المتكررة للوحدة والانفصال والتعاون والاختلاف ، نستطيع أن نقول إن أ
التحديات والمخاطر التي يتعرض لها النظام العربي وبالتالي الأمن العربي
اختلال العلاقات العربية ، الأمر الذي يؤدي الى غياب إرادة عربية واحدة
أو غياب حركة موحدة من دولة أو عدة دول لها ثقل بشري وسياسي لفرص
أدنى من التنسيق

ولعل ما أدى الى تفاقم المشكلة في السنوات العشر الأخيرة هو خرو
مصر من جهة ، وانشغال العراق من جهة أخرى ، مما أضعف بشدة امكا
تحقيق حد أدنى من الاجماع العربي ولعل جذور ذلك تكمن في الخلاف بـ
أعضاء النظام العربي حول الاستراتيجيات أو السياسات الواجب اتباعها
مواجهة التهديد الاسرائيلي من الجار الدخيل (اسرائيل) ، وبعد ذل
الخلاف بين أعضاء النظام العربي في مواجهة مخاطر الحرب العراقية الايرانية
من الجار (الأصيل) ، ولا شك أن هذا الخلاف ـ أو الخلافات التا
الأخرى ـ يجد بعض التفسير لأسبابه من اختلاف الأهمية النسبية التي تضع
الأطراف المشتركة في النظام العربي لكل منها

ومـاذا عـن المسـتقبـل ؟

■ لعل الرأي العاقل والمتزن يتجه بعد دراسة ما سبق ، للعمل على الوصو
الى حقائق تبدو ثابتة ، منها .

أولا أن الهجمة على الوطن العربي ـ سواء من الجيران (دخيل
أصيل) أو من الخارج ، تستهدف إضعاف هذا النظام وتطويعه ، وك
الشواهد تقول إن الأعداء يتعاونون بكل الطرق وبمعايير نسبية مختلفة تختل
باختلاف المصالح ، ولكن مبدأ التعاون بينهم قائم سواء كان ذلك في تشاد
أو في جنوب السودان أو في الخليج أو في لبنان أو على دول الطوق العر

حاداة (اسرائيل) أو على الشعب الفلسطيني   فالتهديد قائم ومتصل ومتشابك .

ثانيا   ان النظام العربي قد اضطر للالتجاء إلى (المجتمع الدولي) على ما فيه من تناقض مصالح ، كي يحصل على حد أدنى أو يحاول الحصول عليه ، فالحديث في القضية الأولى الأم (فلسطين) حديث عن مؤتمر دولي ، والحديث عن القضية الأخرى (الحرب العراقية الإيرانية) حديث عن « تطبيق قرار مجلس الأمن » . والغائب في الحالين هو الارادة العربية الموحدة !

ثالثا   تحت دهشة (الأمن المحاصر) شَكَّ كثير من الأطراف العربية في بعضها البعض ، وتحولت المعارك الفكرية والاعلامية الى استسهال الرفض بدلا من استيعاب المشكلة ومحاولة الخروج بحلول عملية لها

وإذا كان لتجارب الآخرين معنى لدينا ، فلننظر الى أوروبا من القرن السابع عشر الى القرن التاسع عشر ، لقد كانت مركزا للكون ، وكانت قوتها العسكرية والسياسية والاقتصادية تسمح لها بأن تفرض نفسها على العالم ، إلا أن التنافس بين الأشخاص والشهوات والأنانية وعدم التسامح والمفاهيم السياسية الضيقة أولجها في حروب دموية كانت قمتها حربين عالميتين قتل فيهما الملايين من البشر ، الى أن أبدلت المعارك العسكرية بتعاون اقتصادي

وإذا عدنا الى وطننا العربي فلنذكر بإحدى مقولات الوثيقة التي أشرت اليها في مطلع هذا الحديث وهي (مستقبل الأمة العربية   التحديات والخيارات)   تقول احدى الفقرات (يذكرنا التاريخ العربي بأنه لم يكن هناك ديمومة لما يمكن أن يسمى (حالة وحدة) أو (حالة تجزئة) ، كلتا الحالتين ما هي الا لحظتان تاريخيتان مؤقتتان ، وكل منهما حمل في أحشائه البذور الحبيسة للحالة الأخرى) .

وفهمي لهذا الكلام أن دفع الخطر الموجه ضد مكونات النظام العربي - مهما اختلفنا على أوزانه النسبية - هو مهمة عربية تفوق اختلافنا في تقييمه ، وخطر خطر سواء كان صغيرا أو كبيرا ، وأن رجال السياسة وأبطال العالم الذين خلدهم التاريخ ليسوا أولئك الغزاة الذين اشتهروا بالعنف ، وإنما أولئك الحكام الذين تمتعوا ببعد النظر ، وعرفوا كيف يلمون شمل شعوبهم و[illegible] يثرونها .

محمد الرميحي

تقارب
ينقذ
من الوقو
تحت
رحم
الأعداء
وتفرقت
يعرّض
للاخترا

العربي ـ العدد ٣٤٩ ـ ديسمبر ١٩٨٧ م

العلمانية

بين الدين والدولة والحياة

بقلم : الدكتور عبدالعزيز كامل

العلمانية ، كأي مفهوم واسع الانتشار ، تتعدد فيه التعاريف ، وإن كانت تدور حول محور أساسي هو العناية بأمور الدنيا ، فكرا وعملا ، عناية قد تصل إلى إنكار كل ما عداها ، وقد تعترف به اعترافا جزئيا وتتعايش معه .

لنعد إلى قاموس اكسفورد لنقرأ فيه بعض التعاريف عن العلمانية كمذهب ، تمييزا لها عن الدينية

١ ـ أن تكون الأخلاقيات لصالح البشر في هذه الحياة ، مع استبعاد أي اعتبارات تأتي من الايمان بالله او حياة أخرى

٢ ـ أن يقوم التعليم على أساس علماني بحت (أي دنيوي لا علاقة له بالدين)

٣ ـ هي الارتباط بالحياة وقضاياها وتميز ذلك عن الكنيسة والدين

٤ ـ العلمانية هي اللادين

٥ ـ هي غير المقدس

٦ ـ وأحيانا يقصد بها غير المتعلم .

وذكر القاموس تواريخ هذه التعريفات ، كما تحدث عن « علمنة الكنيسة » ويقصد بها توجيه ممتلكاتها من الخدمة الدينية إلى الخدمة المدنية . وفرّق بين رجال الكنيسة « الدينيين » ، وهم المتفرغون لخدمتها ، و « العلمانيين » الذين يعيشون بين الناس ويخالطونهم . فكأن في الكنيسة دينيا وعلمانيا

ويمتد التمييز ليشمل آفاق المعرفة فالعلمانيون هم الأدباء والمفكرون والفنانون غير المعنيين بالشئون الكنسية

ويمتد أيضا إلى المؤسسات والمباني فالمنشآت العلمانية هي القصور والمتاحف ودور الأوبرا ، تمييزا لها عن الأبنية الدينية كالكنائس

من أجل ذلك كان من « المنهجي » الاتفاق ـ بين المتحاورين ـ على « المفهوم المقصود » من العلمانية ، وما مجاله وأبعاده . ولهذا القول تفصيل يحسن معه أن نرجع إلى جذور في العلاقة بين الدين والدولة والحياة وبين العلمانية أو « شئون الدنيا »

ولنبدأ باليهودية :

وحين نرجع إلى العهد القديم ، بدءا بأسفاره الخمسة التي تحمل اسم التوراة أو توراة موسى (وهي التكوين والخروج واللاويين والعدد

والثنية) ، والأسفار اللاحقة ، بدءا من يشوع إلى القضاة والملوك والأحبار والأنبياء اللاحقين وإلى كتب تفسيرها (التلمود بقسميه المشناة والجمارة أي صورة الشريعة وملحقها) ، ترى تعددا في مواقف اليهود منها

هذه الأصول والشروح كثيرة التفاصيل في أمور الدين والحياة اليومية والرعوية والزراعية والعلاقات الاجتماعية والاقتصادية هي أشبه ما تكون بمحيط مائج من الأحداث والأحكام والنصوص الأدبية وهي في هذا لا تفصل بين الدين والدنيا

من اليهود من يقف عند قبول الأسفار الخمسة الأولى ، ومنهم من يقبل العهد القديم كله (على خلاف في عدد الأسفار المعتمدة) ومنهم من يجعل للتلمود وأقوال الشراح الهيمنة على نصوص التوراة ويبدو من هذا أنه حين تضيق دائرة النصوص ، تتسع معها دوائر الدنيا أو « العلمانية » ، وإن كان الأغلب عندهم هو الترابط الوثيق بين النصوص والحياة اليومية

أما المسيحية :

فكان لها موقف آخر

كان في اليهودية ملوك أنبياء ، أو أنبياء ملوك

وجاء المسيح عليه السلام يتحدث عن مملكة السماء ، وأن الانسان لا يستطيع أن يخدم سيدين في وقت واحد الدين والدنيا والحواريون الذين اتبعوه تركوا أعمالهم وفرغوا له

وأراد اليهود أن يختبروه في أمر العلاقة بين الدين والدولة ، وقد مارس اليهود تَوَحُّدهما من قبل ، ومارسوا السلطان الدنيوي باسم الدين ، فأرسلوا إليه من يسأله :

« يا معلم ، أيجوز تعطي جزية لقيصر أم لا ؟
علم يسوع خبثهم وقال لماذا تجربونني
امون ؟ اعطوا ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله فلما
معوا تعجبوا وتركوه ومضوا . (انجيل متى
٢ ١٥ - ٢٢)

وهذا النص صريح الدلالة على ازدواج السلطة في المجتمع الدين والدولة فهذا الفصل أو التمييز ليس طارئا على الفكر المسيحي ، بل هو من صميم تكوينه ، الذي يصل أحيانا إلى التناقض بين خدمة السيدين وهي صورة تختلف عما كان في اليهودية وعما سنراه في الاسلام .

ولقد مرت المسيحية أول أمرها في مرحلة استضعاف كانت فيها تحت سيطرة دولة لا تؤمن بها ولا ترضى بوجودها وهذا موقف الدولتين الرومانية والبيزنطية في عهودهما الوثنية وخضع المسيحيون لسلطان الدولة ، وتحملوا كل الأذى والتضحيات ببطولة وإيمان ثم جاءت مرحلة القوة والظهور عندما آمنت الدولة بالمسيحية وأحدث قوة الكنيسة في الريادة ، ونفوذها في الامتداد وتوسعت في امتلاك الأرض وجمع الأموال بل وتكوين الجيوش ومنازعة الحكام ، والسيطرة على الحكم حين يستطيعون ، وشهدت أوروبا هذه الملاحم ، وظلت كنائس الشرق على وفاء للمبدأ الانجيلي « ما لقيصر لقيصر وما لله لله »

وحدث الضغط على هذا الامتداد الكنسي من جبهتين جبهة داخلية يمثلها الاصلاح الديني وقيام البروتستانتية في اوروبا وبخاصة في القطاع الشمالي والأوسط (في المانيا على يد لوثر وفي سويسرا على يد كلفن) وارتبط هذا الاصلاح بنمو الرأسمالية والتصنيع وقيام الدول القومية التي عاونت كنائسها المحلية على بناء شخصيتها ، وجبهة خارجية تمثلها رغبة الحكام في التحرر من نفوذ الكنيسة البابوية

وكان الاتجاه العلماني مستفيدا من هذا كله بتقليص مساحة « المقدس » واحتلال مواقع في ساحته وحل عندهم الفكر العقلاني والعلمي محل الايمان الكنسي القديم

وزاد من مكانة هذا الاتجاه الجديد ما كسبه « الانسان » من كشوف العلم ، وما ابتكره من أدوات السيطرة على مكونات البيئة الطبيعية .

وعندما أرادت الكنيسة أن تواجه الزحف

العقلاني لم يجد أصحابه (وهم الحكام والعلماء) إلا أن يحاصروا الكنيسة في مواقعها لتدع للعلمانية النفوذ والمجال الأوسع

وتمضي المؤلفات التي تؤرخ لأوروبا منذ عصر النهضة في تعداد كشوف الانسان وأبطال الكفاح ضد الغموض العلمي

أعظم حادث

ويذكر « بيتر برك » أن الفرق الكبير بين النظرة في القرن السادس عشر والقرن العشرين يمكن أن نلخصها في هذين الاقتباسين فلقد وصف فرانسسكو لوبير (١٥٥٢) كشف أمريكا بأنه أعظم حادث منذ بدء الخليقة وفي عام (١٩٦٩) عندما هبط أول إنسان على القمر قال ريتشارد نيكسون الرئيس الأسبق للولايات المتحدة إن هذا هو الاسبوع الأعظم في تاريخ العالم منذ بدء الخليقة

كما يذكر أن تعبير العلمانية بمفهومه الحديث يرجع استخدامه إلى القرن التاسع عشر ، ولا يلتفت الناس كثيرا إلى التطور الطويل الذي مر فيه التعبير وأنه ليس من اليسير تحديد الخط الأساسي في اتجاه العلمانية ولكن يمكن ذكر عوامل منفصل بعضها عن بعض ، وصياغتها في منظومة فكرية هذه العوامل هي

١ ـ تدهور سلطان الكنيسة

٢ ـ زيادة قوة « الآخر » ونعني به غير رجال الكنيسة

٣ ـ تراجع مكانة « المقدس »

٤ ـ حلول الأخلاقيات الأكثر مادية محل القيم الروحية (ص ٢٩٣ ـ ٢٩٤)

فالعلمانية هي الجزء الآخر النامي المقابل لتراجع الكنيسة أو الدين في حياة الغرب

ولك أن تطبق هذه العوامل على آفاق الحياة الغربية الفكرية والمادية التاريخ الدين الكتب السماوية كل ذلك يدرسونه مع تنحية القداسة عنه هذا هو النهج العلماني عندهم لمن شاء أن يتبعه وهم كثيرون ، ومنهم بعض أبناء الاسلام

وإن التاريخ يتداوله الاستمرار والتغير ، و التغير يزداد سرعة مع تطور الحياة وتوالي الكشو العلمية وفي التغير شمول لايدع جانبا من حوا الحياة دون أن يطرقه ومن هنا وجد الدين نفسه في حاجة إلى التجدد عندهم والتقدم إلى مواقع الخدمة في الحياة ، تخفيفا لآلامها ، وعونا هو من الصور الجديدة لدور الكنيسة

وصفوة القول أنه مع الزحف العلماني في الغرب ، إلا أن الكنيسة تحاول أن توثق روابطها بالمجتمع والحياة وذلك بتجديد وتنويع أساليبها مستفيدة من معطيات العلم الحديث ، والميدان متسع أمام أكثر من اتجاه ، وهو يزداد اتساعا مع سير الحياة

في المجتمعات الاسلامية

إن مفهوم « الدين » في الاسلام يجمع بين الشمول الزماني والمكاني والموضوعي الذي يمثله قول الله تعالى مخاطبا رسوله صلى الله عليه وسلم « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلّاَ رَحْمَة للعالمين » (الأنبياء ١٠٧) وهو الفطرة في قوله تعالى « فأقِمْ وَجْهَكَ للدِّين حنيفًا فِطْرة اللّه التي فطرَ النَّاس عليْها » (الروم ٣٠)

وإن منهج القرآن في ذكر الأحكام هو « تفصيل مالا يتغير ، وإجمال ما يتغير » وهذا (كما يقول الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر في كتابه الاسلام عقيدة وشريعة ص ٤٨٩ وما بعدها) من ضرورة خلود الشريعة ودوامها فليس من المعقول أن تعرض شريعة جاءت على أساس من الخلود والبقاء والعموم ـ لتفصيل أحكام الجزئيات التي تقع في حاضرها ومستقبلها فإنها مع كثرتها الناشئة من كثرة التعامل وألوانه ، متجددة بتجدد الزمن وصور الحياة فلا مناص إذاً من هذا الاجمال والاكتفاء بالقواعد العامة والمقاصد التي تنشدها للعالم وبإزاء هذا حثت على الاجتهاد واستنباط الأحكام الجزئية التي تعرض حوادثها من قواعدها الكلية ومقاصدها

الزعامة . وقد مهد النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من بعده طريق الاستنباط لمن جاء بعدهم من أئمة المسلمين وعلمائهم ، وبهذا اتضح مقدار سعة هذه الشريعة وتناولها لكل ما يجد في الحياة ، وأنها بحق صالحة لتنظيم جميع الشئون ، اجتماعية أو فردية إلى يوم الدين وقد درس الشيخ شلتوت بعد هذا مكانة السنة في التشريع وبين أن السنة أقسام منها ما هو تشريع وما هو غير تشريع (ص ٤٤٩ ـ ٥٠٥) وميز بين التشريع العام والخاص ما صدر عن الرسول على وجه التبليغ بصفته رسولا ، وما صدر عنه بوصف الامامة ، وماصدر عنه بوصف القضاء

أما ما ورد عنه وسبيله الحاجة البشرية كالطعام والشراب ، وما سبيله التجارب كالزراعة والطب ، وما سبيله التدبير الانساني في الظروف الخاصة كتوزيع الجيوش ، فليس شرعا يتعلق به طلب الفعل والترك ، وإنما هو من الشئون البشرية التي ليس مسلك الرسول عليه الصلاة والسلام فيها تشريعا ولا مصدر تشريع (ص ٤٤٩ ـ ٥٠٠)

فعلماء المسلمين متفقون أن الكتاب والسنة مصدران تستنبط منهما الأحكام الشرعية ويأتي من بعدهما الاجماع والقياس ، وهما محل اتفاق جمهور المسلمين (وإن خالفت عنهما بعض الفرق) أما المختلف فيه فهو الاستحسان والاستصحاب والمصلحة المرسلة والعرف وقول الصحابي وشرع من قبلنا

وفي حديثنا هذا سنقف عند حدود المصادر الأربعة المتفق عليها

وإلى ما سبق قوله عن الكتاب والسنة ، فقد درس علماؤنا الاجماع والقياس كما درسوا الأدلة الأخرى والرسول عليه الصلاة والسلام أمر بلزوم جماعة المسلمين ، فلم يكن للزوم جماعتهم معنى ، إلا لزوم قول جماعتهم وأما القياس فحين لا يكون ثمة نص من كتاب ولا سنة ولا إجماع والاجتهاد في هذا راجع إلى الكتاب والسنة

الاسلام والعلمانية والتجديد

نصل الآن إلى مفترق طرق

١ ـ من أول الأمر لقي الاسلام أمورا هي من الدين فتناولها بأحكامه ، ولقي أمورا هي من اجتهادات البشر فتركها لاجتهادهم ، ودعا إلى الالتزام بمكارم الأخلاق ، وعدم التعارض مع ما هو مقبول في الدين بالضرورة

العبادات هي العادات وهي من ثوابت الاسلام مع مرونة في التطبيق تقتضيها ظروف الصحة والمرض ، والاقامة والسفر ، والقدرة والضعف

والمعاملات أكثر إجمالا وأقل تفصيلا ، لما في طبيعتها من تغير والجسر بينها وبين أصول الاسلام مفتوح ذو اتجاهين ، والحوار بينهما دائم

كذلك نظم الحكم والاقتصاد أكثر إجمالا وأقل تفصيلا والاسلام يكتفي فيها بالمبادىء أكثر من وضع النظم

وتأتي بعد هذا الأنشطة العلمية في آفاقها المختلفة المتفتحة ، وهذه يدعو إليها الاسلام ويثيب القائمين بأمرها ومرة أخرى نقول يحدد لها مستواها الأخلاقي وعدم اصطدامها مع نص صريح من الكتاب والسنة ، وهي أمور تقتضي حوارا مشتركا ومن أبرز موضوعاتها هندسة الوراثة

ولقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى مفهوم التجديد في حديثه الشريف

« إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها » (رواه أبو داود عن أبي هريرة) والتجديد إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة وهذا الاحياء يقتضي التعامل مع العصر دون انطواء عنه ولا ذوبان فيه وفي هذا الضوء نستطيع أن ندرك كيف تعامل الاسلام مع الحضارات الأخرى في عهود ازدهاره ، وكيف استقبل تراثها ترجمة وحفظا وإضافة بروح إنسانية كما ندرك أبعاد مسئولياتنا المعاصرة

مفهوم العلمنة

أما العلمانية أو العلمنة فينبغي - كما سبق القول - الاتفاق على مفهومها فإن تكن التوسع في « الأمور الدنيوية » وبحوثها ، فهذا مما يدعو إليه الاسلام ولا تعارض فيه بين الدين والدنيا فالسعي في الأرض واستكشاف صفحات تاريخها وآفاق معرفتها مما يدعو إليه صريح القرآن « هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور » (الملك ١٥ » ويقول تعالى مخاطبا رسوله وهو خطاب إلى كل انسان « وقل رب زدني علما » (طه ١١٤)

وإن تكن العلمنة صراعا بين الدين والعقل فلنحدد المقصود من الدين ومن العقل . ذلك لأن الاسلام يخاطب العقل والمكلفون به هم العقلاء ولقد جاء العقل ومشتقاته في القرآن تسعا وأربعين مرة ، هي له تكريم وجاء العلم ومشتقاته أكثر من سبعمائة وخمسين مرة تضاف إلى المفاهيم القريبة منه كالفكر واللب والسمع والبصر

والمناهج التي اتبعها المسلمون في المحافظة على القرآن الكريم كتابة له من عهد النبي وحفظا في الصدور إلى أن جمع عثمان رضي الله عنه المسلمين على المصحف الجامع وما قام به جيل الصحابة والتابعين وتابعيهم وعلماء الحديث من تحقيق الأسانيد والمتون جهود لا نجد لها نظيرا في أي حضارة أخرى ، وهي جهود عقلانية أخلاقية تجمع بين عمق العلم وسمو الاخلاص وأمامي الآن كتاب د محمد اركون « تاريخية الفكر العربي الاسلامي » (منشورات مركز الانماء القومي بيروت ١٩٨٦) وعنوان الفصل الثامن « الاسلام والعلمنة » ص ٢٧٥ - ٣٠٠ فلنقرأ معا نقولا من بعض اتجاهات العلمنة المعاصرة يقول إن الموضوع يندرج ضمن إطار واسع كنا قد أسميناه الاسلاميات التطبيقية . وهو ليس مفهوما جداليا يناقض الاسلاميات الكلاسيكية (الاستشراق) ا العلمنة تبقى مسألة حاضرة وملحة فيما يخص العا العربي والاسلامي بشكل عام وذلك من أجل تشكيل الدولة بالمعنى الحديث لكلمة الدولة ، كل القادة المسلمين يتمنون تطبيقها في مجتمعاتهم ولذلك فهم يحاولون إدخال الأفكار الحديثة إلى مجتمعات لا تزال عتيقة البنى والهياكل في معظمها (ص٢٧٦) ، إن مهمة الاسلاميات التطبيقية هي ان تؤسس الاطار النظري والفكري الذي يتيح مواجهة كل الصعوبات والمشاكل المعاشة حتى الآن بشكل تجريبي واقعي ومحسوس ولكن غير منظّر لها (ص٣٧٧) ومن هذا التعميم ينتقل إلى التخصيص والتطبيق

وبعد أن درس مثالي تركيا ولبنان درس موضوع الخلافة وفيها يذكر بكل صراحة ووضوح

« ينبغي أن نتجنب خطأ شائعا ومنتشرا جدا في الأدبيات الاستشراقية وعند المسلمين على السواء والذي يقول بأن الاسلام لم يعرف أبدا في تاريخه التفريق بين الزمني والروحي هذه فكرة ثابتة منغرسة في نفوس المستشرقين وعند الجمهور الغربي ككل إذا لم نتخلص فورا من هذه النظرية ، فإني أقول لكم بصراحة ان لقاءنا هذا لن يكون له أي معنى (ص٢٨٠)

وعرض بعد هذا ما أسماه تجربة مكة والمدينة ويقصد بها العهد النبوي من تاريخ الاسلام ثم أعطى تقييما لعهد الخلافة الراشدة بقوله « كان المؤرخون السابقون والفقهاء الثيولوجيون قد نسجوا حكاية مسلسلة للأحداث التي جرت منذ وفاة النبي مؤكدين على شرعية الخليفة الذي كان عليه أن يتحمل مسئوليات النبي . وهذا هو الاعتقاد السائد الذي فرض نفسه في حين أننا نجد تاريخيا أن الخلافة بعد ٦٦١م كانت قد اكتسبت سلطتها فعليا وبالقوة على أرض الواقع وليس قانونيا أو شرعيا (ص ٢٨١ - ٢٨٢)

ثم دعا إلى دراسة العصبيات القبلية ودورها في الوصول إلى السلطة وذلك بعد قوله « إن كل الكتابات الأرثوذكسية تعطي صورة نموذجية ومثالية عن الخلفاء الأربعة الأول إنها لا تقدم إطلاقا أي تحليل سوسيولوجي تاريخي للأحداث (ص ٢٨٢) لنلاحظ هنا أن الاستشراق التقليدي لم يبرز أبدا إلى دائرة الضوء هذا المفهوم (مفهوم ايديولوجيا التبرير) المضاد للشرعية الحقيقية التي لم يتح لها الوجود أبدا (ص ٢٨٣)

جمع القرآن الكريم

ثم لننظر ما يقول عن القرآن الكريم وكيفية جمعه وإعادة قراءته

« راح الخليفة الثالث عثمان (أحد أعضاء العائلة المعادية لعائلة النبي) يتخذ قرارا نهائيا بتجميع مختلف الأجزاء المكتوبة سابقا والشهادات الشفهية التي أمكن التقاطها من أفواه الصحابة الأول أدى هذا التجميع عام ٦٥٦م الى تشكيل نص متكامل فرض نهائيا بصفته المصحف الحقيقي لكل كلام الله كما كان قد أوحى إلى محمد رفض الخلفاء اللاحقون كل الشهادات الأخرى التي تريد تأكيد نفسها (مصداقيتها) مما أدى إلى استحالة أي تعديل ممكن للنص المشكل في ظل عثمان (ص ٢٨٨)

ثم دعا إلى مراجعة نقدية للنص القرآني وإعادة كتابة قصة تشكل هذا النص بشكل جديد كليا أي نقد القصة الرسمية للتشكيل التي رسخها التراث المنقول جذريا هذا يتطلب منا الرجوع إلى كل الوثائق التاريخية التي أتيح لها أن تصلنا سواء كانت ذات أصل شيعي أم خارجي أم سني . هكذا نتجنب كل حذف تبولوجي لطرف ضد آخر المهم عندئذ هو التأكد من صحة الوثائق المستخدمة . بعدها نواجه ليس فقط مسألة إعادة قراءة هذه الوثائق وإنما أيضا محاولة البحث عن وثائق أخرى ممكنة الوجود كوثائق البحر الميت التي اكتشفت مؤخرا (ص ٢٩٠ ، ٢٩١) .

أما عن النواحي التطبيقية في الشريعة فقد ذكر عن القرآن والحديث النبوي والاجماع والقياس « ان هذه المبادىء الأربعة غير قابلة للتطبيق » (ص ٢٩٧) ونقد تطبيقها واحدا بعد الآخر (ص ٢٩٧ ، ٢٩٨)

بناء للغد أم هدم للماضي ؟

أراني في حدود المساحة المتاحة مضطرا إلى الوقوف فهما علمنة تراجع النص القرآني ، والحديث النبوي ، والخلافة الراشدة وأصول الفقه والتشريع وتصرح باستحالة التطبيق ، وتضيق أو تتلاشى معها مساحة « المقدس »

ومن قبلها رأينا تجديدا ، ومن قبله - ومعه - اجتهادا يدعو إليه الاسلام ، كما رأينا التطور التاريخي للعلاقة بين الدين والدولة في العالمين الغربي والاسلامي ، ورأينا الفجوة الحضارية التي علينا أن نعبرها فهل يكون العبور بأن تتجه الجهود إلى بناء الغد ؟ أم إلى هدم الماضي والوصول بالمراجعة حتى إلى نص القرآن الكريم ليصنع « بعض علمائنا » نصا قرآنيا جديدا ؟!

من الممكن أن نستفيد من مناهج العلوم الحديثة ، وهذا واجب ومسئولية ، وأن نكون على صلة بها وحوار معها ، ولكن هذا لا يعني - بحال - أن ندخل بكل مقدساتنا معامل هذه العلوم فكاً وتركيبا ، وأن نهدر جهود أجيال من العلماء ، تعرضت أعمالهم للجرح والتعديل واستطاعت أن تؤكد مصداقيتها عبر الأجيال

وإذا كان كل جيل باسم « العلمنة » يبدأ بالشك وإعادة التقييم لكل ما سبق بذله من جهد ، فمتى وكيف يكون البناء ؟ بناء الفرد والمجتمع والحضارة معا ؟

ولعلنا نصل إلى كلمة سواء تتجه بها الجهود الى الاضافة واستكمال ما نحتاج إليه في مجتمعاتنا المتخلفة ، بدلا من هدم ما بقي لدينا من ركائز لم تكن في حياتنا إلا داعية إلى الخير والتقدم □

احتلال العقل

ملامح الاستراتيجية الغربية للتحكم في العقل العربي

بقلم : رفعت سيد أحمد *

ينطلق الكاتب من فكرة يعتبرها مسلمة ، مفادها أن « احتلال العقل أشق بمراحل من احتلال الأرض » ، ويناقش هذه الفكرة في ضوء النشاط الأوروبي والأمريكي و« الاسرائيلي » لإكمال هذا الاحتلال الذي يتخفى وراء أقنعة عديدة .

عاصر وطننا العربي وعالمنا الاسلامي ، بامتداد المائتي عام الأخيرة من تطورهما الحضاري ، شتى صور الاستبداد التي مورست ضدهما من جميع الاتجاهات ، أحيانا من داخلهما ، وفي أغلب الأحيان من خارجهما ، من بلاد ما وراء البحار ، بلاد الغرب الأوروبي ، والأمريكي ، لكن المؤرخ المحايد يلحظ تجاه تاريخ « الاستبداد الغربي » أنه قد ظل حتى نهاية الحرب العالمية الثانية تغلب على آليات حركته وأساليبها السمة العسكرية الاقتصادية وما أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها ، حتى دخل « الاستبداد الغربي » مرحلة جديدة ـ نسبيا ـ عما سبقها ، وهي المرحلة التي تعمدت الولوج إلى العقل العربي المسلم أولا ، قبل التسلل إلى الارض والاقتصاد ثانيا ، انطلاقا من مسلمة أساسية ، مفادها أن « احتلال العقل أشق بمراحل من احتلال الأرض » فالذي يملك هذه الأرض بإمكانه أن يُقاتل حتى يحصل على أرضه ، أو يموت دونها ، أما اذا ما أمتلك عقله (الذي يرسم له *خطط القتال) سهلت السيطرة عليه*

من هنا ، وتحديدا بمنتصف هذا القرن ، بدأت الاستراتيجية الغربية (الأوروبية الامريكية على وجه الخصوص) تخطط لعملية تحكم واسعة النطاق في العقل السياسي والثقافي العربي ، مستخدمة خبرتها الطويلة في استعمار العالم ، وأحدث وسائل السيطرة التقنية ، والسياسية والثقافية ، وما يسمى بالبحوث الميدانية المشتركة بين علماء البحث العلمي ومؤسساته العربية ذات الصلة الوطيدة بأجهزة المخابرات وصناعة القرار السياسي العربي « والاسرائيلي » ، وبين بعض العلماء العرب ومؤسسات البحث السياسية والاجتماعية ، وأتت هذه (الحالة) لتمثل واحدة من أنجح وسائل الاستراتيجية الغربية خلال الثلاثين عاما الماضية من تاريخنا ، للتحكم والسيطرة والتغلغل في العقل العربي ، داخل كل قطر على حدة ، ووفق خطة مبرمجة ومتعددة الأدوار والأدوات

فماذا حدث على وجه اليقين ؟ وهل لـ[illegible] نماذج *محددة لهذا المخطط الغربي طويل المدى ، [illegible]دواته وأهدافه ؟ وإلى أين تتجه خطاه ؟*

---

* باحث في المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ـ القاهرة

لماذا يحتلون العقل ؟

يأتي احتلال العقل العربي امتداداً مباشراً لما سمي « وظيفة العلم ، والعلماء » في الاستراتيجية الغربية ، وإعداداً لمرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية ، حين أصبح « العلم » - داخل الدولة الغربية وخارجها - أداة للاستثمار والاشباع ، تماما كالسلعة ، فلقد وجد العلم هناك أساسا لخدمة الأهداف السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، للمجتمعات الصناعية المتقدمة ، فهو يمثل عائداً نفعيا ولنتأمل ما يقرره « فريتز مشلوب » من أن أنشطة المعلومات والمعرفة أسهمت في عام ١٩٥٨ بما يعادل ٢٩/ من معدل الانتاج القومي لهذه السنة ، ويرى أن نسبة الزيادة السنوية لمعدل إسهام هذه الأنشطة تعادل مرتين ونصف مرة معدل نمو مكونات الانتاج القومي الأخرى

أي أن المقولات العربية التي تصدر إلينا من قبيل « العلم للعلم » ، و « العلم للانسان » ، مقولات لا معنى لها ، وليست سوى غطاء يخفي تحته العديد من الأهداف السياسية والاقتصادية وتتضح هذه الحقيقة أكثر إذا ما علمنا أن جملة ما أنفقته - مثلا - وزارة الدفاع الامريكية على البحوث العلمية المختلفة في عام واحد هو عام ١٩٨١ قد بلغ ١٧ بليون دولار ، أي حوالي ١٠/ من ميزانية الدفاع الكلية في ذلك العام التي بلغت ١٦٠ بليون دولار ، ل إن مخصصات البحث العلمي للبنتاجون ارتفعت تقدار ٢٠/ خلال عام واحد هو عام ٨٠/ ١٩٨١ وأم عامنا هذا (١٩٨٧) وصلت إلى حوالي ٣٠/ ل إن وكالة المخابرات الأمريكية كانت حلف شاء العديد من الجامعات في دول العالم الث واستمرارها مثل كلية مكومبي الدولية ل راه ، وبعض جامعات اكوادور وارجواي ، رالمك ، والجامعة الامريكية بأنقرة وبيروت والفا

عندما نعلم ذلك ، فإن الهدف من احتلال العقول ، ومحاولات الغزو الفكري والثقافي إجمالا تتشابك ، وتتداخل مع الأهداف التوسعية والاستعمارية القديمة والحديثة التي تمثلها الشركات متعددة الجنسية ، ويصبح البحث العلمي ، والعلم ، والمشتغلون به ، مجرد أدوات طيعة للسيطرة ، داخل تلك الأوطان وخارجها

* وتذكر بعض الدراسات أن وكالة المخابرات الامريكية - مثلا - يعمل بها ١٦٥٠٠ موظف ، وأن حجم ميزانيتها ٧٥٠ مليون دولار ، بالاضافة للمعونات المنتظمة للشركات الاحتكارية ، مثل فورد وموتورز وروكفلر ، وأن جزءا من هذا الهيكل الوظيفي والمالي يخصص للبحوث السيكولوجية والسيكوبيولوجية والاجتماعية في أنحاء العالم ، وعلى الأخص الوطن العربي والعالم الثالث ، وذلك يتم من خلال تمويل منظمات وجمعيات علمية عالمية ، مثل الجمعية النفسية الأمريكية ، وجمعية علوم بيئة الانسان ، وشخصيات علمية بارزة يذكر أحد العلماء البارزين الذين مولت المخابرات الامريكية أبحاثهم ب - ف - سيكنر - أنه قد تم تمويل كتابه (الحرية والشرف) بخمسة ملايين دولار ويذكر هذا العالم « أن تمويل المخابرات الامريكية للدراسات والبحوث العلمية يعنى أساسا تطوير تكتيكاتها المختلفة التي تمكنها من الاضطلاع بدورها كأداة لتحقيق التوسع الامريكي »

الصحافة واحتلال العقل

لأن لاحتلال العقل في العالم أجمع أدواته المختلفة ، فإن « الصحافة » تأتي في مقدمتها جنبا إلى جنب مع البحوث الممولة والمشتركة ، ولقد فجر هذا الجانب ضبط « نيكولاس دانيلوف » مراسل مجلة (يو ، اس ، نيوز أند وورلد ريبورت) في موسكو متلبسا بالتجسس لصالح المخابرات الأمريكية

وفي ظل غياب السياسات القومية الواعية تجاه موجات الغزو الثقافي وأدواتها الكثيرة ، يسهل

ـ ولاشك ـ وقوع الاحتلال العقلي ، ففي بلد مثل مصر ـ على سبيل المثال ـ كان بها خلال عامي ٨٦ و ١٩٨٧ « ٤٠ الف باحث » من الحاصلين على درجة الماجستير والدكتوراة في التخصصات والفروع العلمية المختلفة ولا يجدون فرصة عمل . في دولة كهذه ، وفي حالة مثل تلك ، من المتوقع أن يذهب هذا الجيش من الباحثين ، أو على الأقل نسبة منه إلى تلك الجهات التي تستطيع توظيفه ، وتقديم الدعم المادي له ، وما أكثرها داخل مصر ، وهي جهات في أغلبها تخدم عن وعي وباستراتيجية بعيدة المدى خطط احتلال العقل في مصر وبلدان الشرق إجمالا

احتلال ركائز العقل

في سبيل السيطرة على العقل العربي ، وعقل العالم الثالث ، استخدمت الاستراتيجية الأوروبية والامريكية ركائز هامة للانطلاق خلال الثلاثين عاما الماضية ، وللتغلغل النشط في أحشاء مجتمعاتنا يمكننا حصر أهمها

ـ مؤسسة فورد فونديشن وهي تعمل في المنطقة منذ عام ١٩٥٢

ـ مؤسسة روكفلر وهي تعمل منذ الحرب العالمية الثانية

ـ مؤسسة راند وهي قديمة نسبيا إلا أن نشاطها برز في السبعينيات من هذا القرن في مجال الدراسات الاسلامية والفلسطينية

ـ مجلس أبحاث العلوم الاجتماعية ولجنة الشرق الأدنى والأوسط المنبثقة عن المجلس وهو يعمل في المنطقة منذ منتصف الستينيات

ـ جماعة أبحاث الشرق الأوسط وهي تقوم منذ عام ١٩٦٦ بالتخطيط والتنسيق بين وحدات شبكة الأبحاث الامريكية .

ـ جامعة جورج تاون التي قامت فقط في نوفمبر ١٩٨٥ وكنموذج لنشاطها قامت بعمل مسح شامل في ١٢ قرية مصرية ، بالاشتراك مع كلية الآداب بجامعة الزقازيق .

ـ وكالة التنمية الامريكية ، ويذكر أنها رصدت خلال عامي ٨١ و ١٩٨٢ للبحوث المشتركة بين مصر واسرائيل في مجال البحوث الميدانية الزراعية مبلغ ١٥ مليون دولار فقط ، وأنها مولت مشروع ترابط الجامعات المصرية خلال عامي ٨٤ و ١٩٨٥ بمبلغ ٢٨ مليون دولار ، بغرض تمويل البحوث الاجتماعية والسياسية بمصر !!

ـ مركز هارفارد للشئون الدولية ، ومركز برنستون للدراسات الدولية ، ومركز شيكاغو لدراسة السياسة الخارجية والعسكرية ، ومعهد بيركلي للدراسات الدولية وجميعها ترتبط عمليا وماليا بوكالة المخابرات الأمريكية .

ـ مؤسسة فريد رش إيبرت ، وفريد رش نومس الألمانيتان اللتان تربطهما وشائج قوية ببعض مراكز البحوث في مصر ودول المشرق العربي

ـ المركز الاكاديمي « الاسرائيلي » بالقاهرة ، وهو يقوم بدور خطير في مجال اختراق العقل المصري والعربي ، وسوف نورد فيما بعد بعضا من أهم أعماله ، بالاضافة لأجهزة السفارة الاسرائيلية ورجالها

● وهذه المجموعة من المؤسسات الاوروبية والامريكية والاسرائيلية تنسج ـ مجتمعة ـ شبكة عميقة التأثير ، وهي تنسق فيما بينها على أعلى درجة من الترابط والدقة ، منذ ما يزيد على الثلاثين عاما على الأقل ، وإن كان نشاطها قد ازداد في أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات تقوم بعملية مزدوجة ، فتقدم المعلومات (السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية) لصانع القرار الأوروبي أو الامريكي أو « الاسرائيلي » ، هذا من ناحية ! ومن ناحية أخرى تقوم بمحاولة زرع مفاهيم وقيم فكرية واجتماعية جديدة داخل الأرض العربية ، وفي أحشاء عقلها ، وذلك من خلال سياسة ما يسمى بالبحوث العلمية المشتركة التي تهدف الى استبدال القيم الأصيلة في العقل الجماعي

لعربي والمسلم ، بقيم ومفاهيم غربية ، وفق خطط طويلة الأجل ، متعددة الأدوات ، ولعل في ستعراض عينات من أبحاث تلك الشبكة - الخطرة - ا يقدم دليلا حيا على صدق ما نقول

اذج من أبحاث الاحتلال

من أهم المؤسسات في وطننا العربي وأخطرها للك المركز الذي انشأته « اسرائيل » بالقاهرة عام ١٩٨١ - ونحن هنا ننبه الباحثين العرب آملين أن صل صرختنا هذه إليهم لمحاصرة نشاط هذا المركز - راسمه « المركز الاكاديمي الاسرائيلي » ، فالمركز - كما سبق القول أنشيء عام ١٩٨٢ ، عقب اتفاقات كامب ديفيد ، وتولى رئاسته كلا من « شيمون شامير » ، ثم « جبرائيل واربورج » وهما من الباحثين اليهود الذين تدربوا على أيدي الموساد ، ونظرة سريعة على الأبحاث السياسية والثقافية الاجتماعية التي قام بها المركز منذ إنشائه حتى اليوم رر لنا بوضوح عمق الخطر الذي يمثله كأداة متقدمة للموساد الاسرائيلي » تجاه العقل المصري العربي ، فهو مثلا يبحث في الأصول العرقية لمجتمع المصري ، وفي كيفية تفتيت مصر طائفيا ، في الوحدة الثقافية والعقائدية بين اليهودية الاسلام ، وفي الشعر العربي الحديث ، وقضايا لتعليم والزراعة والميكنة الزراعية واستصلاح لأراضي ، وفي توزيع الدخل ، وحياة البدو البربر ، وكيفية السيطرة عليهم ، وفي تأثير السلام لى العقل العربي ، وغيرها من الأبحاث المهمة .

قامت « اسرائيل » أيضا ببعض الأبحاث المهمة في صر ، من خلال المركز الثقافي الامريكي بواسطة يهودي الأمريكي الشهير « ليونارد بايندر » ، وهي حاث حول (رؤى الصراع العربي الصهيوني) ، لجماعات الاسلامية في مصر ، وبحث عن بدو سى مطروح

أما الولايات المتحدة فلقد قامت من خلال سساتها السابقة بالعديد من الأبحاث المهمة والندوات الأكثر أهمية ، نذكر منها على سبيل المثال - أبحاث قام بها البروفيسور (ناداف سفرات) ، المسئول عن مركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة هارفارد ، يهودي الديانة ، مصري الأصل ، حول (السعودية كمجتمع متفجر) ، « والاسلام والسياسة في العالم المعاصر » ، وأنه قد حصل على ١٤٥ ألف دولار مقابل الندوة البحثية الأخيرة ، أخذها « عدا ونقدا » من وكالة المخابرات الأمريكية ، وتسبب كشف النقاب عنها في فضيحة مدوية في الأوساط العلمية الغربية والعالمية .

* ومن الأبحاث الأخرى المهمة التي قامت بها المؤسسات الأمريكية في الوطن العربي (الصراع بين التيارات العلمانية والتيارات السلفية - التغير الاحتماعي في بلدان الشرق الأوسط - النظرية السياسية الاسلامية - العلاقات المدنية العسكرية في الوطن العربي - القومية الفلسطينية - التنبؤ بحركات التمرد في المنطقة العربية - المؤثرات في الأقليات بالوطن العربي - المهام السياسية للصفوة العسكرية العربية - مسار المنطقة العربية ومدى تأثرها بالتغيرات - المثقفون والوطن العربي الحديث - موقف المثقفين العرب في الصراع مع « اسرائيل » - المجتمع والبناء السياسي في الوطن العربي - آفاق العلاقات بين مصر و « اسرائيل » والأقطار العربية الأخرى - الفكر السياسي للعمال المصريين - دراسة عرقية لبدو النوبة في مصر - الحشود المصرية على الحدود الليبية ، واستطلاع رأي الطلبة بالجامعة الأمريكية بالقاهرة - ظهور الاسلام كعنصر من عناصر الصراع العربي « الاسرائيلي » - الشيوعيون والشيعة - تطور النظام التعليمي في مصر - تطور الناصرية - النساء في المجتمعات الاسلامية)

* هذه هي أبحاثهم ترى ، لماذا يهتمون بهذه الجوانب على الأخص ؟! ولماذا يتغلغلون في أحشاء المجتمع العربي إذا لم يكن هدفهم أبعد من مجرد الاحتكاك العلمي البريء ، والتعاون الثقافي ؟ □

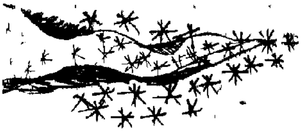

الشاعر والديوان

شعر : محمد التهامي

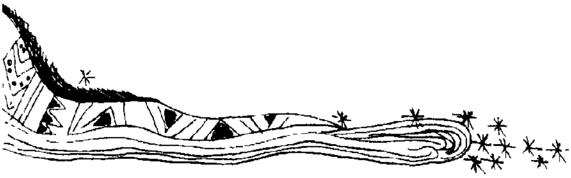

صَهَرَتْهُ أنْفَاسُ الحَيَاةْ   لَهَباً تَمَلْمَلَ في الشُّفَاهْ
وَأَضَاءَ نُورُ لَهِيبه   لِتَرَى الخَلاَئِقُ مايَرَاهْ
فَلَقَدْ تَقَحَّمَ عَالَمَاً   ما ارتَادَهُ بَشَرٌ سِواهْ
فَوْقَ انطلاقاتِ الظُّنُو   نِ عَوَالِمٌ شُدَّتْ خُطَاهْ
قَدْ أُرْهِفَتْ آذَانُهُ   فيها ، وَغَاصَتْ مُقْلَتَاهْ
لَمْ يَبْقَ للكونِ الكبـ   ـيرِ أَمَامَه سِرٌّ طَواهْ
وَأَتَى يُحَدِّثُنَا ، وَقَدْ   لَذَعَتْ مَشَاعِرَنَا لُغَاهْ
نارٌ مُقَدَّسَةٌ لدى   الشُّعَرَاءِ ، أَذْكَاهَا الإلَهْ
للشَّاعِرين حياتُهُم   ولغيرِهم مِنَّا حَيَاهْ

* * *

الطائِرُ الهَيْمَانُ ألقى   فَوْقَ عَالِمِنَا عَصَاهْ
أَشْوَاقُهُ الحَرَّى أضَا   ءَتْ في مَجَاهِلِهِ دُجَاهْ
مُتَوَهِّجُ الرَّغَبَاتِ في   أعْمَاقِهِ لَهَبٌ كَوَاهْ
يَقْتَادُه حِلْمٌ ، يَرَا   ه أَمَامَه ، أوْ لاَ يَرَاه

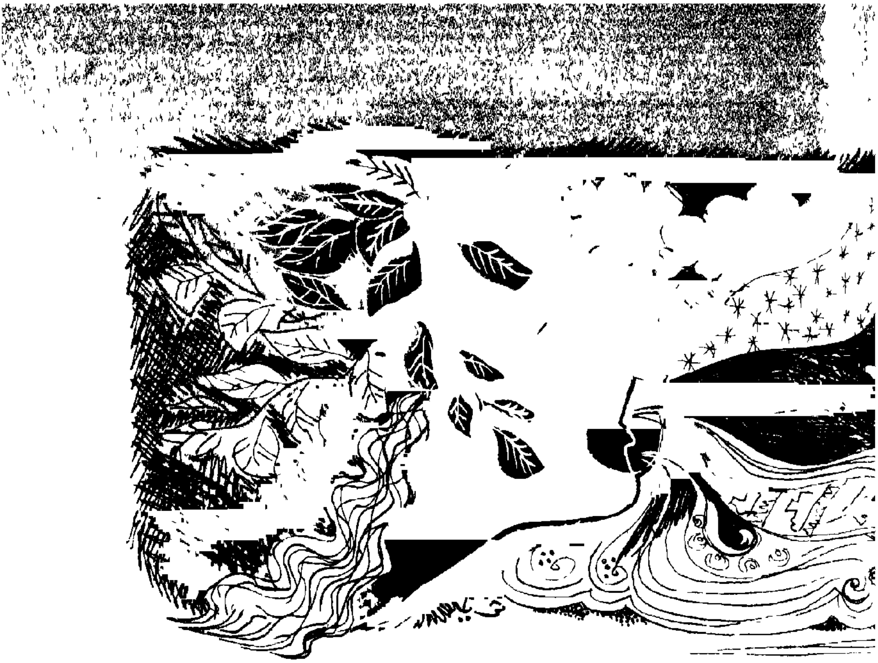

يَشْتَدُّ خَلْفَ المستحيـ   ـلِ ، وقَدْ تَنَاءَى مُبْتَغَاهْ
لكِنَّه نَادَى ، وَكَا   دَ يُفزِّعُ الموْتَى نِدَاهْ
وَأذَابَ شَمْعَةَ عُمْرِهِ   لِتُضِيءَ في الدنيا رُؤَاهْ
فَلَعَلَّ مَنْ يَقْوَى يسـ   ـيرُ فَيَبْلُغَ الَمسْعَى مَدَاهْ

* * *

وَارْتَدَّ مَبْهُورَ المشا   عِرِ بالذي صَنَعَتْ يَدَاهْ
مُتَوَهِّماً : أنْ يَمْلأ الـ   دُّنْيا ، ويُمْتِعَها صَدَاهْ
فَإِذا بِهِ وَكَأنَّ لا   عقلٌ ولا قلبٌ وعَاهْ
فَطَّى عليه الناشرو   نَ ، ولاَذَ بالصَّمْتِ الرُّوَاهْ
حَبَسُوهُ لَمْ تَسْمَعْ بِهِ   أذنٌ وَلَا نَطَقَتْ شِفَاهْ
وَالفَنُّ - مَهْمَا كَانَ - مَحْمُولٌ بِأنْفَاسِ الدُّعَاهْ
فَالماسُ وَهْوَ الَماسُ ، من   في قَاعِ مَنْجَمِهِ رَآهْ
وَالِمسْكُ إنْ تَحْبِسْهُ ،كيف   يُعَطِّرُ الدُّنْيَا شَذَاهْ

أدب المذكرات

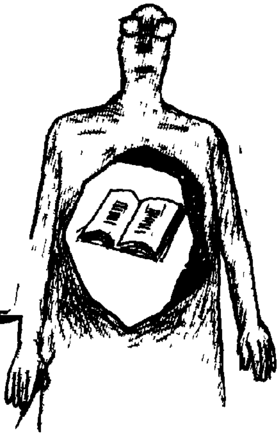

بقلم : فتحي رضوان

يقف كتاب « الاعترافات » لجان جاك روسو الكاتب السويسري أصلا ، الفرنسي بالاقامة والحياة الأدبية ، على رأس قائمة كتب قد تعد بالمئات ، أو بعدد قليل من الألوف ، تتحدث عن خبايا نفس مؤلفيها وخفايا دنياهم ودقائق حياتهم .

بقي كتاب اعترافات روسو سيد هذا الطراز من الكتب ، ربما لشهرته الذائعة ، ولدوره الكبير في التحضير لثورة ١٧٨٩ ، ولصراحة أسلوبه ، وحلاوة لفظه ، ولشجاعته الفائقة في تعرية نفسه أمام الناس قاطبة ، لكن الذين جاءوا من بعده ، وإن لم يبلغوا مبلغه من الجرأة فقد أثروا الانسانية بما كتبوه عن دخائل دنياهم ، إذ أزاحوا الفواصل بين حياة العظماء من أهل الفكر وسائر الناس ، فثبت لدى الناس أن الانسان هو الانسان ولو كان الفرد من البشر يبدو في هالات من المجد والعظمة تلقي في الروع أنه ليس من طين وقد عانى الأدب العربي من نقص في هذه الناحية في أصل من رفع الأستار عن عالمه الخاص وقد يكون الامام الغزالي في كتابه المنقذ من الضلال هو أكثر الجميع جرأة وشجاعة ، وقد لانجد من يماثله أو يباريه

وأدب الاعتراف شعبة من الأدب ، تجتمع فيها من الصفات والخصائص ما يرتفع به إلى مستوى عال ومقام رفيع ، ففيها روح القصة ، وفيها مذاق التحليل النفسي ، وفيها غرابة المصارحة المتسمة بالجرأة وبالرغبة في إرتياد المناطق المجهولة وقد خلا أدبنا من آثار هذا الضرب المثير ربما تكون النفس الشرقية قد جبلت على إخفاء ما ستره الله

المذكرات الخاصة للأدباء والساسة

وقريب من هذه الشعبة من الأدب ، المذكرات الخاصة ، على الرغم من البون الشاسع بين المذكرات التي هي في الأغلب الأعم دفاع عن النفس ، وتزكية لها ، وتبرير لأخطائها ، ورد نقائصها إلى فضائل ومناقب ، فالضعف يستحيل إلى إنكار للذات ، والجبن يصبح تسامحا يقابل الاساءة بالمغفرة ، والتقلب بين المذاهب والمبادىء يعتبر حرصا على الصالح العام حيث يكون بغض النظر عن قو

الفكر التقليدية وقواعد السلوك الموروثة

ولكن المذكرات مع ذلك يتسرب إليها شيء من الاعتراف من حيث لا يدري كاتبها ، فهي حديث عن النفس ، يؤدي إلى الدخول في دهاليز الذات التي كثيرا ما تكون من الخفايا التي يحرص الانسان على إسدال الستائر عليها

وقد شهد النصف الأول من القرن العشرين ظهور عدد غير قليل من مذكرات الأدباء والساسة

وقد كانت في الأغلب الأعم فتحا في الأدب وإن لم تكن الأدب المحض فقد كانت فتحا في الأدب السياسي لأن الذين كتبوها عرفوا بالتمكن من فنون القول وكان بعضهم أقرب إلى الادباء منهم إلى رجال الحكم

وقد كان أول من كتب في هذا السبيل الأستاذ عبدالرحمن شكري فتحدث عن خوفه من المجتمع ، ولكن الحق ههذا الأثر الجميل ما أصاب صاحب الاعترافات نفسه من أفول نجمه ، وجحود فضله ، فقد بقيت الاعترافات نسيا منسيا لا يذكر ولا يشار إليه مع أنه في القمة من حيث جودة العبارة وعمق التحليل وإبداعه في سرغور النفس والشجاعة بالاعتراف الصادق عن نواحي الضعف

أما المذكرات التي أمتعت قراء العربية في النصف الأول من القرن العشرين فهي لأحمد لطفي السيد باشا صاحب جريدة « الجريدة » التي كانت لسان حال حزب الأمة الذي قيل إن اللورد كرومر المعتمد البريطاني هو الذي سعى إلى تأسيسه ليضم شمل الباشوات الذين أثروا بفضل هذا الاحتلال ثم تصدروا الأمة برعاية خاصة منه

ولأحمد لطفي السيد صديق حميم لا يكاد يفارقه هو عبدالعزيز فهمي باشا فقد كانا زميلي الدراسة الثانوية والعليا ، ورفيقي حياة عامة ، يتقاسمان فكرا سياسيا واحدا ويتجهان في الحياة اتجاها واحدا ، سماته العزلة عن الشعب والترفع عن الحياة العامة التي يباشر النشاط فيها عامة الناس والميل إلى الاحتماء بالسلطة وإن ظهرا زاهدين في هذه السلطة مترفعين عنها والعجيب في الأمر أن هذين الاعترافين الغريبين الجريئين لم يثيرا إهانة ضده ، فقد مرت الاعترافات بهدوء ونوقشت مناقشة علمية ، ولم ينل عبدالعزيز فهمي من ورائها نقمة أو غضبا ولو جرؤ أحد سواه على الدعوة إلى ما دعا إليه عبدالعزيز فهمي أو شيء من قبيله لغلت مراجل الغضب عليه ولناله سوء كبير ولكن لأمر ما لم يحفل بدعوته كثيرون

العقاد وحياة قلم

أما كاتب المذكرات الثالثة والرابعة فهو الكاتب الكبير الشاعر عباس محمود العقاد ، فقد وضع كتابين أحدهما بعنوان « حياة قلم » والثاني بعنوان « أنا » وكلاهما عبارة عن قصة حياته ، وإن كان كتاب « حياة قلم » قد اقتصر على سرد وقائع نشاطه كصحفي وككاتب وكلا الكتابين مكمل للآخر ، وقد كتبهما بأسلوبه الرصين ولكنه لم يفتح باب حياته الداخلية للقراء ، فقد حافظ على رصانته ووقاره وكان أعظم ما باح به من ظلم السلطة العسكرية البريطانية به فقد رشحه السكرتير الشرقي للسفارة البريطانية ليكون خليفة الشيخ علي يوسف في رئاسة تحرير جريدة « المؤيد » ، واستقبله بالفعل رونالد ستورس السكرتير الشرقي لدار الحماية في مكتبه بدار الحماية ولكنه استصغر سنه على المنصب المرشح له فعدل عن الترشيح

أما المذكرات التالية فقد كانت قصة حياة أحمد أمين عميد كلية الآداب وقد قص في هذه المذكرات التي عنوانها « حياتي » قصته منذ الطفولة ، وروى تجاربه في التعليم في الأزهر ، وتحدث عن والده بحب وإشفاق لما عاناه في تربية أولاده فقد نكب بوفاة ابنه الأكبر ، ووصف الحي الفقير الذي نشأ فيه وصفا خلاقا خاليا من المرارة ولكنه أبرز ما في حياة أهل الحي من شظف وضيق بروح صافية خالية من

الحقد

ثم وصف تجاربه في الأزهر ورسم صورة لهذا المعهد الضيق جملة وتفصيلا

ثم انتقل إلى الأماكن التي عمل فيها قاضيا في القاهرة وفي إحدى الواحات ولما قامت الثورة كان له دور في مظاهرات الطلبة بوصفه أول الطلبة

وكان شديد التعلق بناظر مدرسة القضاء الشرعي التي أهلته الدراسة فيها ليكون قاضيا في محكمة الأزبكية ولكنه لم يتعلق بمهنة القضاء، وفضل عليها مهنة التعليم وقد تأثر تأثرا شديدا بشخصين، ناظر مدرسة القضاء الشرعي عاطف بك بركات الذي هو ابن أخت الزعيم سعد زغلول، وقد بلغ من حبه لهذا الناظر أنه لم يستطع أن يتعامل مع الناظر الجديد حين نقل عاطف بركات من مدرسة القضاء الشرعي وحل محله ناظر سواه

وقد ضم كتابه وصف حالته حينما فقد بصره بفعل المياه البيضاء حتى أجريت له عملية جراحية وعاد له نور البصر الذي فقده ولعل كتاب « حياتي » الذي قص فيه قصة حياته أول كتاب ينبىء بأنه أديب يتمتع بملكة الأدباء وقد كان العقاد يستنكر عليه هذه الملكة ويعده من العلماء حتى وضع كتابه هذا، فلما قدم للناس كتاب « حياتي » ورآه فياضا بالعاطفة والصور الانسانية الجميلة أقر له بأنه أديب كبير

والحق أن هذا الكتاب من كتب الذكريات أو المذكرات يعتبر عملا أدبيا جديرا بالتصدير

أما كتب المذكرات الباقية فواحد منها بقلم اسماعيل صدقي باشا الذي كان وزيرا من وزراء الداخلية أقوياء الشكيمة الذين اشتهروا بالقدرة على مواجهة غضب الشعب بأعصاب باردة وقدرة في قمع هياج الشعب الغاضب وقد كان كتابه عن ذكرياته على النقيض مما عرف عن طبعه الشديد لطيفا يعين على القراءة للوصول معه إلى ختام الكتاب

وقد وضع أحد أعضاء حزب الوفد الذي انتقل إلى الحزب المعارض للوفد الأكثر ميلا للملك فؤاد وهو حزب الأحرار الدستوريين الذي ضم صفو البلد من الأغنياء والمفكرين هو محمد علوبة باش الذي كان محاميا في أسيوط وهي عاصمة الصعيد وكانت موطن عدد كبير من المحامين الذين تخصصو في قضايا الجنايات الكبرى قد وضع كتابا روى فيه ذكرياته ابتداء من المدرسة الابتدائية وصور الحياة الاجتماعية لأعيان مصر الأغنياء الذين أقاموا في الصعيد بعيدا عن القاهرة

ولما كان علوبة باشا من خصوم سعد زغلول زعيم ثورة ١٩١٩، فقد روى قصة هذا الخلاف الشهير بغير عنف ولا مجاملة، فكان كتابه وثيقة من وثائق تاريخ ما بعد ثورة ١٩١٩، إلى جانب الصور الاجتماعية التي رسمها للحياة في القاهرة، وفي الصعيد هذه هي كتب الذكريات التي صورت الحياة المصرية

ولكن الأمر الذي يدعو للأسف الشديد أن كبار الساسة والأدباء لم يألفوا كتابة « يوميات » يسجلون فيها أحداث حياتهم ووقائع تاريخ أمتهم أولاً بأول، والأحداث حية وانطباعات السادة الكبار تنبض بالحياة ولو فعل هؤلاء هذا واهتموا به لكان تاريخنا واضح المعالم ولأغنته الانفعالات الشخصية المباشرة عقب كل حادث قبل أن تبهت الصورة وتتداخل الوقائع

وهذه الظاهرة واضحة تماما في الغرب في أكثر اليوميات التي تركتها هذه الشخصيات الكثيرة التي صاغت الحياة وشاركت في خلق صورتها

وكان أول من كتب ميثاقا نبيلا لهذه اليوميات المؤرخ المصري الكبير عبدالرحمن الجبرتي التي لا تزال الصور التي أبدعها إلى اليوم كمن يشير إلى صو لم يمض عنها الزمن منذ لحظات

ولكن الزمن لم يمن علينا بجبرتي آخر منذ سـ ١٧٩٨ وبعد الحملة الفرنسية بقيادة نابليون وثورات القاهرة ضد هذه الحملة، والانتفاضة ضـ والى تركيا وتولية محمد علي بعده الملك في مصر

أقوال

■ إن التاريخ لا يرحم الأمم المتهاونة أمام خيارات المصير ، فإما أن نرتفع إلى مستوى تحديات المسؤولية التاريخية ، ونحفظ لأمتنا أمنها وبقاءها ، وإما أن نتهاون ، ليهددنا الضياع جميعا ، ويفتك بنا المجهول

من خطاب الشيخ صباح الأحمد
نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية الكويتي
في اجتماع وزراء الخارجية العرب في تونس

■ إذا كانت القوانين التي ارتضيناها في الأساس لتنظيم العلاقات في ما بيننا هي قوانين عادلة ، فلماذا لا نترك كل شيء يسير سيره الطبيعي ؟

الشيخ نواف الأحمد
وزير الداخلية الكويتي

■ سوء استعمال الكتب يقتل العلم

جان جاك روسو

■ كيف تريدون أن لا تكتشف الأم بسهولة كل أسرار ابنتها ، وقد كانت عندها نفس الأسرار عندما كانت في مثل سن ابنتها ؟ !

موريس عيرسون

■ الشيخوخة دائما محافظة وهذه هي تعاستها الأساسية

مكسيم غوركي

■ الشيخوخة هي الجنازة الوحيدة التي يمشي فيها الفقيد على قدميه

غادة السمان

■ ليس لكل انسان سوى وطن واحد

سايمون كوحان
يهودي عائد من « اسرائيل » الى الاتحاد السوفيتي

■ التخطيط للثقافة كزراعة الزيتون ، يقوم بها جيل لصالح جيل ، ولا يأكل من ثمر زرعه فيها إلا كل طويل عمر

د. حسام الخطيب

اقرأ في
العدد
القادم من

العربي

عدد ممتاز
يناير ١٩٨٨

هدية
أعظم الإنجازات العلمية
في القرن العشرين

استطلاعات

مالطة
لسان عربي
وقلب أوروبي

صلاح حزين

مدينة صناعية
واعدة
في قطر

صادق يلي

● الاقتصاد العالمي ... والمستقبل	د. رمزي زكي
● "البريليوم" معدن العصر	د. محمد أبو بكر
● "الكمبيوتر" والحاجة الماسة الى نحو عربي جديد	د. نبيل علي
● الجوانب الاجتماعية للمعرفة العلمية	د. ادريس سالم الحسن
● طرائف في السرقات الأدبية !	د. وديعة طه النجم
● الحروب الصليبية ضد المغرب العربي	عبد الكريم غلاب
● خصومة أدبية فريدة	عبد الرزاق البصير
● في متحف "بيكاسو" بباريس	أحمد داود
● التنويم المغناطيسي في الطب النفسي	د. محمد المخزنجي
● كتاب : "ساطع الحصري.. رائد المنحى العلماني"	عرض: جمال وردة

● وجهاً لوجه : د. ياسين عبد الغفار ونجاح عمر

واقرأ أيضاً للكتاب

د. محمد الرميحي ـ د. أحمد كمال أبو المجد ـ د. محمد زيادة ـ خالد سعود الزيد
جمال أبو غزالة ـ شوقي بغدادي ـ د. محمد علي الفرا ـ أبو المعاطي أبو النجا

الليزر

حل يبحث عن مشـ ـ ـلة !

بقلم : الدكتور مهدي رحمة الله*

في مـايو ١٩٦٠ أعلن للعـالم ولأول مرة نبـأ اكتشاف مصـدر جديـد للضوء ، فأحدث هذا الاكتشاف تغييرات مهمة في حياتنا اليومية وفي مجرى التطور العلمي عموماً ، وما يزال كذلك ، فما هو هذا المصدر ؟ ولماذا كان اهتمام كافة الأوساط العلمية خلال العقود الثلاثة الماضية ؟

المعروف أن الاكتشافات العلمية ـ وإن لعبت فيها الصدفة أحيانـا دورًا ـ عبارة عن جهـد متواصل ، وتراكم للمعلومات في جانبين ، نظري وتجريبي ، وهذا هو الحال بالنسبة لاكتشاف المصدر الضوئي الجديد « الليزر » ، فقبل أن يعلن « مايمن » اكتشافه للعالم بنحو ستين عاما كان العـالم المعروف « ماكس بلانك » قد طور نظرية الكم باعلانه أن امتصاص الذرات أو الجزيئات المادية أو انبعاثها لا يتم بشكل « متصل » ، إنما على شكل « كمات » من الطاقة ، سميت الفوتونات .

جاء الفيزيـائي الدانيمـاركي « بور » بعـد ذلك (١٩١) ليعلن نظريته المعروفة بالتركيب الذري الـ جاءت تطويرا لنظرية « رذرفورد » التي سبقته بعـ ، حيث افترض أن الذرة مكونة من نـواة ، محاطة بعدد من الالكترونات في مدارات دائـرية ، وعندما تكتسب الذرة طاقة من مصدر خارجي فإن الكترونا أو أكثر ينتقل من مداره المستقر الى مـدار أعـلى غير مستقـر ، ولكي تعـود الـذرة الى حـالـة الاستقـرار (وهو الـوضع الـطبيعي) فانها تفقـد ـ تلقائيا ـ الطاقة الزائدة على شكل فوتونات أو ضوء ، وهـذا النوع من الانبعـاث المشع هـو « الانبعـاث التلقائي » .

وفي عام ١٩١٧ أعلن انيشتاين للعالم أن الانبعاث التلقـائي ليس هو الانبعـاث الوحيـد الذي يحـدث للذرات المهيجة ، بل يمكن أن تفقد بعض الذرات طاقتها عن طريق « الانبعاث المحفز » الذي يتطلب شروطا خاصة لتوليده ، وهذا النوع من الانبعاث هو الشرط الضروري لتوليد الليزر

---

* ـاذ مساعد بقسم الفيزياء ـ كلية العلوم ـ جامعة بغداد

أشعة الميزر

هذا ما كان في الجانب النظري ، أما في الجانب التطبيقي فقد كان المخاض طويلا حتى نجح العلماء ـ تاونس وجوردن وزيجر ـ عام ١٩٥١م في معهد ماساتشوستس التقني (في كامبرج MIT في الولايات المتحدة) في توليد الانبعاث المحفز في غاز الأمونيا على شكل أشعة في المنطقة المايكروية من الطيف الكهرومغناطيسي ، وسموها الميزر ، وهي كلمة تتكون من الأحرف الأولى من هذه العبارة Microwave Amplification by Stimulated Emission of Radiation التي تعني تضخيم الموجات المايكروية بواسطة الانبعاث المحفز للأشعة ، واذا كان هؤلاء العلماء قد ناقشوا أهمية توليد هذا التضخيم عام ١٩٥١ فان كلاً من باسوف وبروخوروف من معهد ليبدوف في موسكو من جهة وويبر من جهة أخرى قد نشروا مقترحات محددة لتوليد مثل هذا التضخيم في فترة ١٩٥٣ ـ ١٩٥٥ . وفي عام ١٩٦٤ منحت جائزة نوبل مشاركة بين العالم الأمريكي تاونس والعالمين السوفيتيين بروخوروف وباسوف للأعمال الأساسية التي أنجزوها في هذا الميدان

كان اكتشاف الميزر قد فتح الطريق الى امكانية توليد انبعاث محفز آخر ، بأطوال موجيّة أخرى ، وهذا ما كان فعلا ، حيث نجح العالم (مايمن) في مختبرات هيوز بالولايات المتحدة في الحصول على انبعاث في منطقة الضوء المرئي ، ولذلك سمي هذا الانبعاث في البداية الميزر البصري ، لكنه استبدل ـ لاحقا ـ باسم الليزر ، وهو كلمة تتكون من الأحرف الأولى للعبارة الانكليزية المماثلة لعبارة الميزر ، بعد استبدال كلمة Microwave بكلمة Light التي تعني الضوء ، وكان هذا أول ليزر أمكن توليده في التاريخ ، فقد استخدم قضيب من بلورة الياقوت الأحمر ، ثم صقل وجهيها وطلاؤهما ، ويحيط بهذه البلورة مصباح ومضي حلزوني ، كما يحيط المنظومة سطح عاكس جيد ، لزيادة كفاءة الضخ (شكل ١) ، وهكذا تولد ضوء أحمر براق ، أثار في العالم ضجة كبرى ، أثبتت الأيام أن لها ما يبررها .

البناء العكسي

كيف يحصل الفعل الليزري ؟ وما هي الشروط المطلوبة لتوليده ؟

يشترط أولا لتوليده أن تزيد عدد ذرات المستوى العلوي (ذو الطاقة الأعلى) على عدد ذرات المستوى السفلي ، وتسمى هذه الحالة البناء العكسي ، وهي حالة غير طبيعية ، لا تحدث تحت ظروف التوازن الحراري ، فكيف يمكن إحداث ذلك ؟ في البداية تكون درات المادة غالبا متجمعة في المستوى السفلي ، وبعد ضخ هذه المادة بمصدر مناسب يحتوي على الترددات المناسبة للامتصاص ترتفع الذرات الى المستوى العلوي (٣) ، وتنتقل هذه بصورة سريعة الى مستوى طاقته أقل من سابقه (٢) (انظر شكل ٢) ، ويتم ذلك بعملية انتقال غير مرئية ، ثم تنتقل الالكترونات أو الذرات الى المستوى السفلي ، باعثة فوتون الانتقال الأخير المسؤول عن عملية الليزر

يبقى الآن دور عمل المرنان ، وهو الوسط الذي ينتقل فيه ويتضخم ، ويشترط لعمل الليزر توازي مرآتي مرنانه بشكل عمودي على المحور الوهمي المار من مركزيهما

إن حصول الانعكاسات المتتالية بواسطة المرايا داخل الوسط الفعال لليزر، يتسبب في تضخيم الاشعاع المحفز عن طريق توافق طور موجاته ، وبالتالي يمكن الحصول على الليزر ، وإن إزاحة إحدى المرآتين أو كلتيهما يسبب هبوط قدرة الليزر ، وربما استحالة الحصول على حزمة الليزر .

لقد كان ما قام به (مايمن) عملا رائعا حقا ، ذلك أن موضوع توسيع تقنية الميزر ليشمل منطقة الضوء المرئي قد نوقش بصورة مطولة ، وأثبت عدم فاعليته ، كما أن استخدام الياقوت لهذا الغرض قد

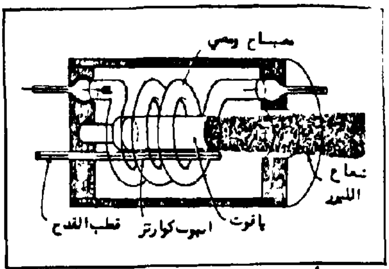

صورة لأول جهاز ليزر في العالم صممه « مايمان » في مختبرات شركة هيوز للطائرات (١٩٦٠)

واجه كثيرا من الصعوبات النظرية والتقنية

واذا كان اكتشاف الليزر « عمليا » قد تأخر أكثر من أربعة عقود من الزمن عن توقعات اينشتاين النظرية، فان تطورات الليزر من عام ١٩٦٠ كانت سريعة جدا ، بل لقد أصبحنا دون انقطاع نشهد تطبيقات جديدة بشكل يتعذر علينا حتى متابعته والاطلاع على تفاصيله ففي نهاية عام ١٩٦٠ أمكن توليد ليزر باعث للأشعة تحت الحمراء ، (طول موجته بين المايكروية والضوء)، باستخدام بلورات فلوريد الكالسيوم المطعمة باليورانيوم ، على يد العالمين سوروكن وستيفنسون ، كما تم في نفس الفترة بناء أول جهاز ليزر غازي يستخدم خليطاً من الهيليوم والنيون في مختبرات شركة (بل - تلفون) بأيدي ثلاثة علماء هم علي جافان وبنيت ومريوث ، وكان جافان قد اقترح هذا النوع من الليزر عام ١٩٥٩ ، وفي الأعوام التي تلته تم اكتشاف ليزرات غازية أخرى ، كليزرات الغازات النبيلة ، وإن كان معظمها ذا قدرة منخفضة

أنواع من الليزر

بعد ذلك بعام واحد تم بناء أول جهاز « ليزر لحالة الصلبة » وهو من النوع المستمر في مختبرات ل - تلفون) أيضا ، وبعد عام آخر تم بناء ليزر من ع جديد ، هو ليزر أشباه الموصلات ، بتعاون بين ركة جنرال الكتريك ومختبرات لنكولن في معهد MIT ، ويتميز هذا النوع من أجهزة الليزر بصغر حجمه ، حيث لا يزيد عن حجم القلم الاعتيادي ، ولذلك يعتبر مثاليا للاستخدام في العمليات الجراحية

وفي عام ١٩٦٤ تمكن باتيل ومجموعته من توليد أشعة ليزر ثاني أوكسيد الكربون الغازي المستمر بطول موجي ١٠,٦ مايكروميتر وبقدرة ملي واط ، وبعد ذلك بعامين تم تطوير ليزر ثاني أوكسيد الكربون باستخدام مزيج من ثاني أوكسيد الكربون والنيتروجين (أو بحار الماء) ، وأمكن بذلك زيادة قدرة الليزر الى ١٠ واط ، وباضافة غاز الهيليوم الى المزيج السابق أمكن رفع القدرة الناتجة الى ١٠٠ واط

وفي نفس الفترة التي طورت فيها تقنية الليزرات الصلبة أمكن توليد ليزرات سائلة ، لا تختلف عن الأولى بشيء سوى أن المادة الليزرية الأخيرة لا يمكن حصرها في وعاء من الزجاج أو الكوارتز ، بل يجب اعطاؤها مجالا يتمدد فيه حجمها ، أو جعل طول أنبوبة الليزر قابلا للتغير

إن أكثر المحاليل الليزرية كفاءة هو محلول ايونات النيوديميوم المذابة في حامض لا يحوي عنصر الهيدروجين ، لأنه لو وجد الأخير في تكوين الحامض المذيب فان التذبذبات الجزيئية للهيدروجين تلغي إثارة الأيونات المعدنية ، لذلك فالمذيب الملائم يتكون من خليط المركبين $SeOCl_2$ و $SnCl_4$

وفي عام ١٩٦٦ أعلن كل من سوروكن ولانكارد عن اكتشاف نوع آخر من الليزر ، من محاليل عضوية متفلورة ، مثل (كلورو - المنيوم - فثالوسيانين مذاب في كحول أثيلي) ، ويتميز هذا الليزر بشدة إضاءته ، وتتم الاثارة باستخدام مصادر ضخ قوية جدا ، ولهذا الغرض تستخدم في الوقت الحاضر أربع طرق معروفة للضخ ، هي الضخ باستخدام مصابيح ومضية قوية ، أو الضخ باستخدام ليزر النيتروجين الغازي ، أو الضخ

باستحدام ليزر ايون الاركون وايون الكربتون ، أو الصبغ باستخدام ليزر الياقوت أو ليزر النيوديميوم والزجاج وفي ليررات المحاليل العصوية هذه يمكن توليد مدى طيفي عريض نسبيا ، يمتد من ٣٤٠ نانوميتر حتى ١١٧٥ نانوميتر ، أي أنه يشمل المناطق تحت الحمراء المرئية ، وقسماً من المنطقة فوق البنفسجية من الطيف الكهرومغناطيسي ، وذلك عن طريق احتيار المحلول العصوي (الصبغة) المناسب ، حيث يبلغ المدى الطيفي لكل محلول حوالي ٤٠ نانوميترا . وباجراء عملية توليف لأشعة الليزر الناتحة يمكن الحصول على أطوال موجّية صيقة أو متلاحقة

تطبيقات الليزر

بدأ الليزر كجهاز محتري بسيط ، وأصبح الآن يمثل أعظم طفرة علمية في تقنية الصوء ، فقد أدحل الليزر تطورات لا يمكن حصرها في المجالات العلمية الصرفة ، في مفهوم تداحل الصوء ، وفي علم الأطياف ، لتحديد أدق النماذج أو المواد ، وفي معيار القياسات الدقيقة عموما ، وكذلك لتوليد البلازما ، وقياس توريع الكثافة الالكترونية ، وفي عمليات السيطرة في الانشطارات النووية الحرارية ، لكن الليزر فعل فعله في مجالات التطبيقات الطبية ، والصناعية ، وفي علم الاتصالات ، والملاحة ، وكذلك في الكشف عن الزلازل الأرصية ، أو التفجيرات الذرية ، بل حتى في كشف التلوث في الحو وقياسه

ففي المجال الطبي حقق شعاع الليزر حلم الانسانية في حراحة لا تقطع الجلد أو تسيل الدماء ، وكذلك في لحام قرنية العين في زمن لا يتعدى واحدا من ألف من الثانية ، ويمكن أن تجرى مثل هذه العملية في عيادة الطبيب ، دون إزعاج للمريض في دخول المستشفى ، بحيث يمكنه الذهاب لمنزله فور الانتهاء من العملية ، بينما كانت مثل هذه العمليات تستغرق ساعات طوالا ، وتتطلب بقاء المر أسابيع أخرى في المستشفى ، وتعالج هذه الط بعض العيوب البصرية بأساليب مماثلة أيصا

ويستحدم الليزر أيصا لاستحداث التف الكيميائي ، مما يمهد لدراسة الميكروب والفيروسات ، بل حتّى الخلايا ، وهدا مما ييسر دراسة النمو الشاد في الحسم إن دحول الليزر لعلاج السرطان حديث في الوقت الحاصر ، وتجري حاليا - تجارب رائدة لمعالجة أورام الحلد الحبيثة باستخدامه وفي المجال الصناعي يستحدم شعاع الليزر في عمليات قطع المعادن الصلبة وتشكيلها . ولعمل الثقوب في أشد السطوح صلابة ، وكذلك عمليات اللحام ، حتى للمواد غير المتماثلة ، فشعاع الليزر بحرارته التي تبلغ ١٨ ألف درجة مئوية ، وهي تزيد على حرارة سطح الشمس ، يمكن أن يستحدم لانتاج مختلف أحراء المنظومات الصناعية بسرعة ، وكفاءة لا تصاهيها الطرق التقليدية المعروفة ، وبرعم أن كلفة أجهزة الليزر المستحدمة لمثل هذه الأعراض قد تكون في الوقت الحاصر عالية نسبيا إلا أنها تفصل لأسباب مهمة ، منها أنه باستحدام الليزر يمكن لحام مواد مختلفة سويا ، مثل لحام الرجاج بالمعدن دون إحداث أي تشويهات على أي منها ، وعند التثقيب بالليزر فان احتمال كسر المادة (حاصة الصلبة أو الهشة) معدوم تماما ، لأن شعاع الليزر في الأساس يبحر منطقة الثقب دون إحداث تماس مع المادة ، كما الحال في الطرق التقليدية ، بالاضافة الى أن التثقيب به أسرع من أي طريقة أحرى ، فمثلا يستغرق إحداث ثقب في الماس (وهو أصلب مادة معروفة) وقتا يبلغ ثلاثة أيام بالطرق المستعملة حاليا ، لكنه باستحدام الليزر يمكن إحداث نفس الثقب في عشر دقائق ، و لفة زهيدة جدا

بالاضافة الى ما تقدم فان استحدام الليز مكن من إجراء العمليات المذكورة من بعد مناس ، مم

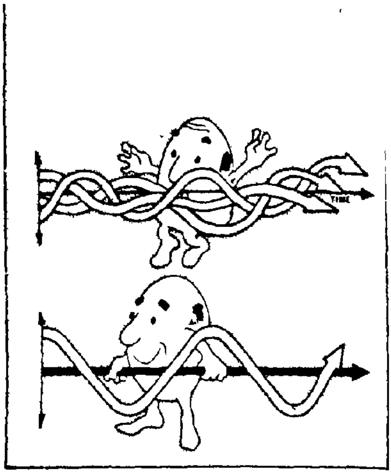

الضوء العادي (أعلى) عبارة عن إشعاعات غير متوافقة في الطور تلغي تأثير بعضها البعض ضوء الليزر (أسفل) متوافق الطور لذلك تكون شدته عالية جدا

يعطي حرية في التعامل وبشكل أفضل

وعندما نتحدث عن القطع واللحام والتثقيب فهذا لا يعني أن كل أنواع الليزر تقوم بهذه المهام ، فلكل مهمة نوع منه ، فللتثقيب السطحي مثلا يستخدم نوع منه ، وللتثقيب العميق نوع آخر ، لكن النوع الأكثر شيوعا في الاستعمال للأغراض الصناعية هو ليزر ثاني أوكسيد الكربون بالذات لأغراض القطع واللحام ، فهذا النوع يولد قدرة تزيد على كيلو واط ، وبضخ قليل نسبيا وعندما يخلط بالاوكسجين فانه ينتج لحاما يفوق البلازما بنسبة ٢٥/

واجدات المدى

أما في مجال الاتصالات فقد حقق الليزر شيئا ثيرا ، وإن شعاع ليزر واحد يمكنه حمل جميع ملومات التي تبثها جميع إذاعات هواتف العالم قاطبة آن واحد ، ولكن قبل البدء برفع مرسلات اعة وأعمدة الهاتف في انتظار الليزر ، لنتمعن في اكل التي تواجه استخدامنا له ، فهو - كأي ضوء - من الامتصاص من قبل الرطوبة المنتشرة في مما يحد من قدرته على البث في بعض أيام السنة ، أما النقل التلفازي بالليزر فقد أثبتت التجارب نجاحه بشكل رائع ، وقد نجح العرض الذي قدم في المعرض الدولي Expo 70 في اليابان نجاحا باهرا

وأخيرا فان استخدام الليزر في الأغراض العسكرية لم يعد سرا ، فمنذ زمن وهو يستخدم لأغراض التوجيه كما في حالات ما يسمى « قابل سمارت » ، حيث أنها توجه بالليزر من طائرة أخرى ، أو من قبل أفراد متسللين ، مما يوفر دقة الاصابة للهدف المطلوب وتعتبر منظومة « الرادار البصري » التي تعمل بالليزر من أفضل أنواع الرادارات المستعملة في الوقت الحاضر ، خاصة في عمليات غزو الفضاء ، والرادار الليزري يعمل بشعاع أضيق مائة مرة - على الأقل - من نظيره الذي يعمل بالموجات المايكروية (القصيرة) ، لكن شعاعا من الضوء المتوافق الطور أكثر دقة في تحديد الأهداف ، كما أنه أسرع آلاف المرات في إعطاء المعلومات عن تحرك الأهداف وهو - أيضا - يعمل في مختلف الظروف الجوية ، وهوائي يقل حجما عن هوائيات الرادارات الأخرى ، كما أنه استخدم بشكل متنوع فيما يعرف « بواجدات المدى » ففي مثل هذه الأجهزة قيست المسافة بين الأرض والقمر ، وبنسبة خطأ لا يزيد عن ١٥سم ، بينما تجاوز عدم دقة أفضل الطرق الأخرى المستخدمة أكثر من ٣٠٠ متر

ويصنع جهاز « واجد المدى » بأشكال وأحجام مختلفة ، فمنه ما يمكن حمله باليد ، أو ما يمكن تثبيته على الدبابات أو السيارات وتحدد ظروف الجو الاعتيادية عمل « واجد المدى » ، ففي الأجواء الغائمة والممطرة تتقلص المسافة التي يعمل ضمنها وتجري الآن تجارب رائدة لتطوير أنواع تعمل في مختلف الأجواء ضمن المشروع الامريكي المعروف بحرب النجوم الذي يتضمن أيضا تطوير ليزرات بعيدة المدى ، قادرة على تدمير الصواريخ عابرةالقارات قبل وصولها الى أهدافها ☐

العربي - العدد ٣٤٩ - ديسمبر ١٩٨٧

المناقشة

بقلم : فهمي هويدي

اشكالية الآخر في التفكير الاسلامي

الاختلاف الذي لابد منه !

عندما اضطر معتزلي كبير مثل واصل بن عطاء لأن يعلن على جماعة من الخوارج اعترضوا طريقه ، أنه « مشرك مستجير » ، ليأمن شرهم ، فقد كان ذلك تعبيرا عن مدى عمق أزمة « الآخر » في بعض مدارس التفكير الإسلامي المبكرة

لقد قدر ابن عطاء بسرعة بديهته ، أن مصيره القتل لو أنه كشف عن حقيقته ، وكونه مسلما يختلف معهم في الرأي ، بينما يظل آمنا موفور الحماية ، لو أخبرهم بصفته التي ذكرها ، وهم الحافظون لقوله تعالى « وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ » (التوبة - ٦) وقد كان حدسه صحيحا ، لأنهم ما أن علموا بأنه على هذه الصفة ، حتى أكرموه وخلوا سبيله ، كما تقول المراجع التاريخية !

آخرون غير ابن عطاء كانوا أتعس حظا ، إذ يروي المبرد في « الكامل » أن جماعة منهم لقيت عبدالله بن خباب ، وكان معه مصحف دل على إسلامه ، ولما حاوروه ورفض أن يؤيدهم في اتهام الإمام علي بالشرك ، قتلوه ! ثم حدث أن ساوموا رجلا نصرانيا على نخلة ، فقال هي لكم ، فأبوا بشدة ، فالرجل في ذمة الله ورسوله ورعاية حقه واجبة ، وقالوا والله ماكنا لنأخذها إلا بثمن ، وهو ما أدهش النصراني وأثار استغرابه ، حتى قال ما أعجب هذا ، أتقتلون رجلا مثل عبدالله بن خباب ، ولا تقبلون منا نخلة ؟!

الآخر الاسلامي

منذ ذلك الحين ، وإلى الآن ، فإن الآخر المسل
في موقف لا يحسد عليه ، وهو موقف يسوء ك
بعدت الشقة بين الحفظ وبين الفهم ، وكلما انف
التدين عن الوعي ، وكلما تصدر حماية الحق أقوا
ينالوا قسطا وافيا من التربية الإسلامية الصحيحة

الأمر كذلك ، فربما كان من المهم أن نحاول استجلاء هذه الصفحة ، والإسهام قدر المستطاع في تصور حقيقة الموقف الإسلامي من إشكالية الآخر ، أيا كان موقعه أو اتجاهه

لقد تحدثنا من قبل عن جوانب متعددة من إشكالية الغير أو الآخر في التفكير الإسلامي فكان هذا الآخر مرة خارج ديار الإسلام ، ثم كان في مرة تالية في داخل ديار الإسلام ، ولكن على غير ملة المسلمين ، وفي هذه الوقفة نبدأ مناقشة الآخر الإسلامي ، الذي نزعم أن وضعه أكثر دقة وحرجا من غيره لأن مظلة حماية غير المسلم يظل الالتباس فيها محدودا ، خصوصا إذا كان من أهل الذمة ، الذين تشدد النصوص الشرعية على البر بهم وتوفير الحماية والأمن لهم وقصة واصل بن عطاء شهادة تعزز ما نقول

مصدر الدقة والحرج في أمر الآخر الإسلامي أنه يقف على أرضية عقيدية واحدة مع غيره ، وعندما يختلف المسلمون ، فلابد أن يكون هناك طرف مخطئ وآخر مصيب ، وعندما تضيق الصدور وتنقطع سبل الحوار ويغيب عن الناس أدبه فإن الاحتماء بالنصوص الشرعية في تجريح اعتقاد الآخر يظل احتمالا واردا أو راجحا الأمر الذي يصبح من الضروري في ظله أن توضح الحدود دائما بين المقبول والمكور من الخلاف ، في أمور الدين فضلا عن أمور الدنيا

في هذا الصدد ، فإننا نميز بين دوائر ثلاث للخلاف بين المسلمين فهناك الفرق الإسلامية المختلفة (شيعة إمامية ـ سنة ـ زيود ـ أباضية) ، وه اك خلاف بين مذاهب أهل السنة ، وهم القطاع الا ـر من المسلمين الآن ، وهناك خلاف ثالث ـ وز الأمور الدينية ، ليثور حول المسائل ا وية ، مما يفتح الباب للحديث عن أمور هي محل ـ في زماننا ، مثل تعدد الأحزاب السياسية ، ر ة حزب الله ، ومسألة المعارضة السياسية في المجتمع الإسلامي

باختصار فإن هذه الدوائر تتفرع عن قضية محورية هي حرية الحركة المتاحة للرأي الآخر في التصور الإسلامي ، دينيا كان أم دنيويا

وقبل أن نخوض في هذه الأمور ، فإننا ننبه إلى نقاط عدة هي

ـ أننا لسنا معنيين هنا بتاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية ، إلا بالقدر الذي يفيدنا في تقييم وتقصي واقعنا الراهن ، أو بتعبير أصرح وأدق ، فإن قضيتنا في هذه المناقشة تتوجه إلى الحاضر والمستقبل ، بأكثر مما تتوجه إلى الماضي ، إذ الماضي بالنسبة لنا ـ في هذا المقام ـ دليل وتجربة وعبرة ، وليس بالضرورة نمطا يتبع أو مثلاً يحتذى

ـ إننا نميز بين الاختلاف والخلاف ونعتبر أن الاختلاف في الرأي أمر طبيعي وعلامة صحة ، بل ومصدر للثراء الفكري وعون على التصحيح إذا أدير بكفاءة وروعيت فيه شروط الحوار وأدبه بينما الخلاف قرين الفرقة ، التي لا يختلف على إنكارها ونبذها

وليس كل اختلاف مؤديا إلى الفرقة أو الخلاف ، إلا إذا اختلت موازين الحوار وأهدرت شرائطه ، أو إذا تصدى للأمر غير أهله ، بالتالي فإن الأحاديث النبوية التي تنهى عن الاختلاف ، ينبغي ألا تحمل بحسبانها دعوة إلى الرأي الواحد ـ المستحيل عمليا ـ ولكنها تعد تحذيرات من الفرقة ، التي تؤدي إلى شق الصف وفتنة المسلمين

ـ أننا ننبه إلى خطأ المقولة المنسوبة ظلما الى النبي عليه الصلاة والسلام ، التي تقرر أن « اختلاف أمتي رحمة » ، وهو ما ينكره أهل العلم ، حتى قال ابن حزم « لو كان الاختلاف رحمة لكان الاتفاق سخطا ، وهذا ما لا يقوله مسلم ، ليس إلا اتفاق أو اختلاف ، وليس إلا رحمة أو سخط » ـ فضلا عن أن هذا الحديث الموضوع يتعارض صراحة مع حديث آخر صحيح يقول « لا تختلفوا فتختلف

قلوبكم »

- في الوقت نفسه فإننا لا نستطيع أن نقول ابتداء ومقدما بأن الاختلاف في الرأي هو خير مطلق أو شر مطلق، وإنما هو خير إذا كان مصدرا للتنوع والإثراء وسبيلا إلى إظهار الحق، وهو شر إن أدى إلى الفرقة وتمزيق الصف. وعلى ذلك فلا مشكلة ولا غضاضة في مبدأ الاختلاف أو تعدد الآراء، إنما المشكلة تكمن في الكيفية التي يدار بها هذا الاختلاف

- إننا نفرق أيضا بين الاختلاف في الأصول والاختلاف في الفروع، وبين الاختلاف في الدين، أو في الفقه، وإذا تم الاتفاق حول الأصول، فلا مشاحة في الاختلاف حول الفروع. وكل اختلاف في هذه الحدود محتمل ومقبول، بنفس المقدار، فإذا انعقد الاتفاق حول اجتهادات الفقهاء وأقاويلهم لا يجرح عقيدة أحد، ولا يقلل من شأن أحد

- من ناحية أخرى، فإننا نقرر هنا أن الإسلام قد احتمل اختلافا في العقيدة نفسها، فاعترف بأهل الكتاب ودعا إلى البر بهم، وقبل تعايشا كريما مع أصحاب الديانات الأخرى، فإننا لا نتصوره ضائقا بتعدد المذاهب والفرق على أرضية الإسلام وتحت مظلته، وإذا ثبت الالتزام بالأصول فليس هناك ما يمنع من تعدد الفرق والمذاهب، شريطة أن يحترم كل فكر الآخر، ولا يجرحه في اعتقاده

الاختلاف والفرق

- بالمثل، فإنه إذا كان الإسلام قد احتمل اختلافا في أمور الدين، عبرت عنه المذاهب والفرق الإسلامية، فإننا نستغرب زعم البعض أن الإسلام يضيق بالاختلاف في أمور الدنيا، مثلا في الأحزاب السياسية بمفهومها المعاصر ولا ندري أي منطق - دعك من المصلحة - يقبل اختلافا في شأن دقيق مثل صلة الإنسان بربه، ثم يرفضه فيما هو أدنى وأيسر، مثل علاقات الناس بعضهم ببعض!

قضية الاختلاف كانت واردة في الوعي الإسلا
منذ وقت مبكر، فقد روي عن النبي عليه الص
والسلام قوله « افترقت اليهود على إحدى وسبع
فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة » - وقد تكلم علماء السنة في صحة هذا الحديث، الذي تردد بروايات مختلفة وقال عنه « المقبلي » في كتابه « العلم الشامخ » وحديث افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة رواياته كثيرة، يشد بعضها بعضا بحيث لا تبقى ريبة، في حاصل معناه »

وكتب الملل والنحل، وأشهرها ما كتبه ابن حزم والشهرستاني، شهادة تفصل في قدر التنوع الفكري العريض الذي عرفه الواقع الإسلامي، ولئن اهتم ابن حزم بأهل السنة والشيعة والمعتزلة والمرجئة والخوارج، فإن الشهرستاني عدد في مؤلفه ٧٦ فرقة - أما الأشعري، فقد عرض لأكثر من مائة فرقة في « مقالات الاسلاميين » (الشيعة ٤٥ - الغلاة ١٥ - الإمامية ٢٤ - الزيدية ٢٦ - الخوارج ٣٦ - المرجئة ١٢) ، وبينما احتسب الأشعري المعتزلة فرقة واحدة، فإن الشهرستاني رصد منهم ١٧ فرقة - والخوارزمي عرض لـ ٧٢ فرقة (د. محمد عمارة - الخلافة ونشأة الأحزاب الإسلامية - ص ١٣١)

ولئن اتخذ الخلاف صورة الجماعات والفرق قبل النصف الثاني من القرن الهجري الأول - تحديدا بعد مقتل خليفة المسلمين عثمان بن عفان وتولي الإمام علي الخلافة سنة ٣٥هـ، إلا أن ذلك لا يعني أن الرأي الواحد كان سمة للمرحلة السابقة، إذ جرت سنة الله في الخلق، فتباينت المواقف بين الصحابة في حياة النبي عليه الصلاة والسلام وبعد مماته.
حياة النبي كانت الخلافات محدودة وكادت تك
محصورة في مجال فهم النصوص الشرعية، و
حسمها ميسورا نظرا لوجوده عليه الصلاة وال
بينهم. فعندما ثار الخلاف حول قول النبي
الأحزاب « لا يصلين أحد العصر إلا

يظة » ، وذهب فريق إلى الالتزام بظاهر النص ، م يصلوا ، بينما استنبط آخرون معنى الإسراع بلوغ الهدف ، وصلوا ، أقر النبي الاثنين ، من التزم بالظاهر ومن استنبط المعنى

أما بعد الوفاة ، فقد تعددت مجالات الخلاف ، ويذكرنا هذا الصدد أن الخلاف بدأ منذ اللحظات الأولى لإعلان خبر الوفاة ، إذ ثار أول خلاف حول خبر الوفاة نفسه الذي اعتبره سيدنا عمر بن الخطاب إرجافات المشركين ، حتى قرأ عليه أبو بكر الآية « إنك ميت وإنهم ميتون » ، ثم اختلفوا في دفنه عليه الصلاة والسلام ، وهل يكون في مسجده أو مع أصحابه واختلفوا أيضا في خلافته ، وفي قتال مانعي الزكاة ، كما اختلفوا في أمور أخرى عديدة ، مثل قسمة الأراضي المفتوحة ، والمفاضلة في العطاء وغير ذلك

وقد ذكر ابن القيم في أعلام الموقعين أن سيدنا عمر وابن مسعود اختلفا في ١٠٠ مسألة وعدد مؤلفو كتاب « تاريخ التشريع الاسلامي » (السايس والسبكي والبربري) عشرين مسألة اختلف فيها الصحابة

لم يستنكر أحد هذا الخلاف ، إنما اعتبره الجميع أمرا طبيعيا لايقطع ودا ولا يفرق صفا ولهذا أيده عمر بن عبدالعزيز ، فيما يذكر الشاطبي في « الاعتصام » وقال ما أحب أن أصحاب رسول الله ﷺ لا يختلفون لأنه لو كان قولا واحدا لكان الناس في ضيق وأنهم أئمة يقتدى بهم فلو أخذ رجل بقول أحدهم لكان سنة »

بدو أن مسألة الخلاف بين المسلمين أرقت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في لحظة تأمل وتفكر ، فظل نفسه كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد ؟ اد طرح السؤال على عبدالله بن عباس ، فيما لرواية ، وقال له كيف تختلف هذه الأمة واحد ، وقبلتها واحدة ، وكتابها واحد ؟ ن عباس قائلا يا أمير المؤمنين إنما أنزل علينا القرآن فقرأناه وعلمنا فيما أنزل وأنه سيكون بعدنا أقوام يقرأون القرآن ولا يدرون فيما نزل ، فيكون لكل قوم رأي فإذا كان لكل قوم فيه رأي لاختلفوا فإذا اختلفوا اقتتلوا

تقول الرواية إن سيدنا عمر زجر ابن عباس ونهره سيدنا علي فانصرف ابن عباس ونظر عمر فيما قال فعرفه فأرسل إليه وقال أعد علي ما قلته فأعاد عليه فعرف عمر قوله وأعجبه (د يوسف القرضاوي - العمدة الإسلامية ص٨٩ نقلا عن مصادر أخرى)

علق الإمام الشاطبي على ذلك ، فأيد مقالة ابن عباس ، وأضاف أنه « إذا عرف الرجل فيما نزلت الآية أو السورة ، عرف مخرجها وتأويلها وما قصد بها ، فلم يتعد ذلك فيها وإذا جهل فيما أنزلت احتمل النظر فيها أوجها فذهب كل إنسان فيها مذهبا لا يذهب إليه الآخر وليس عندهم من الرسوخ في العلم ما يهديهم الى الصواب ، أو يقف بهم دون اقتحام حمى المشكلات فلم يكن بد من الأخذ ببادي الرأي ، أو التأويل بالتخرص الذي لا يغني من الحق شيئا إذ لا دليل عليه من الشريعة ، فضلوا وأضلوا

الموقف من الخلافات

أكان الخلاف ضروريا ؟

(رد أهل العلم بالإيجاب وأثبت إخوان الصفا ذلك في رسائلهم ، حيث ذكروا أن الناس تختلف اتجاهاتهم ومشاربهم فكان طبيعيا أن تختلف مواقفهم إذ (القياسات مختلفة الأنواع كثيرة الفنون كل ذلك بحسب أصول الصنائع والعلوم وقوانينها ، مثال ذلك أن قياسات الفقهاء لا تشبه قياسات الأطباء وقياسات المنجمين لا تشبه قياسات النحويين ولا المتكلمين ، ولا قياسات المتفلسفين تشبه قياسات الجدليين وهكذا)

وقالوا أيضا إن اختلاف المدارك من أسباب

اختلاف العلماء في الآراء والمذاهب « لأنه اذا اختلفت إدراكاتهم اختلفت آراؤهم واعتقاداتهم بحسب ذلك)

وقد قدم الشيخ محمد أبو زهرة للكاتب « تاريخ المذاهب الاسلامية » بدراسة لأسباب اختلاف المسلمين ، حدد لها عناصر عدة في مقدمتها

- العصبية العربية التي يرى فيها استاذنا الجليل أنها « جوهر الخلاف الذي فرق أمر الأمة وأن هذه العصبية اختفت في عصر النبي عليه السلام وبعده ببعض الوقت ثم ظهرت في آخر عهد الخليفة عثمان بن عفان وكان انبعاثها له أثره في الاختلاف بين الأمويين والهاشميين أولا ثم بين الخوارج وغيرهم فقد كانت القبائل التي انتشر فيها مذهب الخوارج من قبائل ربيعة لا من القبائل المضرية والنزاع بين هؤلاء وهؤلاء معروف في العصر الجاهلي ، فلما جاء الاسلام أخفاه حتى ظهر في نحلة الخوارج

- التنازع على الخلافة وهو ما عولج بالحكمة عندما شب بين المهاجرين والأنصار عقب وفاة النبي ولكنه تصاعد بعد ذلك حول الأحق بها قريش أم أولاد علي ، أم المسلمين أجمعين مما كان وراء قسمة المسلمين الى خوارج وشيعة وجماعات أخرى

- مجاورة المسلمين لكثيرين من أهل الديانات القديمة ودخول بعضهم في الاسلام ونقلهم لبعض أفكارهم ومعتقداتهم الى مجتمع المسلمين وهو ما وراء الكلام في الجبر والاختيار وصفات الله تعالى

- ترجمة الفلسفة التي ظهرت عند اليونان والرومان وهو ما أثر في علم الكلام ، وطبع مجادلات المعتزلة وأهل السنة ، التي اعتمدت مجموعة من الأقيسة المنطقية والتعديلات الفلسفية والدراسات العقلية المجردة

- ورود المتشابه في القرآن بالاضافة الى الآيات المحكمات وهو ما أشارت إليها الآية الثانية من سورة آل عمران إذ اختلف العلماء في مواضع المتشابهات من القرآن وحاولوا تأويلها والوصول الى حقيقة معناها ، فاختلفوا في ذلك اختلافا مبينا

استنباط الأحكام الشرعية ، باعتبار أن النصوص تتناهى ولكن الحوادث لا تتناهى مما فتح البا لاستنباط الأحكام الشرعية التي تتعلق بمختلف المستجدات فاختلف الفقهاء حول هذه الأحكام وحول القواعد الأصولية التي تنبني عليها والجدال الطويل حول المصالح المرسلة وحجية أحاديث الآحاد أو الأحاديث الضعيفة والأخذ بالعرف والعادة ، ومن نماذج ذلك (ص ١٦)

وإذ نذكر أن الاختلاف الذي جرى لم يتناول لب الدين ولا أصوله ، فإننا نثني على قول الدكتور طه العلواني ، في كتاب « أدب الاختلاف في الإسلام » أن « في ذكر هذه الاختلافات بيانا لواقعية هذا الدين فهو يتعامل مع الناس على أنهم بشر تتنازعهم عوامل مختلفة مما فطر الله تعالى خلقه عليه ولكن الذي تطمئن اليه النفس المؤمنة أن ذلك الاختلاف لم ينشأ عن ضعف في العقيدة أو شك في صدق ما يدعو إليه رسول الله ﷺ بل كان تحري الحق والرغبة في إصابة قصد الشارع والاحكام وهو بغية جميع المختلفين (ص ١٠٢)

يسري هذا الكلام على عصور الاجتهاد ورجاله ولكن الأمر اختلف في عصور التدهور والانحطاط التي لاحت بوادرها في القرن الرابع الهجري الأمر الذي قاد الأمة الى مرحلة التقليد ، وأوقعها فريسة للأهواء والعصبيات والبدع وكانت تلك ابوابا نفذ منها الاختلاف الذي سببه تقاتل الشيعة والسنة وتقاتل أهل السنة فيما بينهم (الشافعية والأحناف والحنابلة بوجه أخص) ثم تقاتل البعض مع المتصوفة وتقاتل آخرون مع من اصطلح على تسميتهم بالسلفيين وتوالت حلقات التنا وتبادل الاتهامات مرة بالتفسيق ومرة بالتكفير ومر بالابتداع وهو ما نلمسه الآن وتتناهى ا اسماعنا أنباؤه وأصداؤه ، خاصة في ظل ظاهرة ال الإسلامي التي نشهدها منذ بداية السبعينيات

لحظات من الزمن العربي

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

زمن الباشا

بقلم : الدكتور محمد المنسي قنديل

لم يكن هناك من يستطيع أن يقاوم محمد علي باشا القوللي ، فلا الذين حاربوه استطاعوا الصمود في وجهه ، ولا الذين عاونوه استطاعوا أن يجاروا خطوات صعوده . كان ريحا عاصفة أطاحت بكل مفردات الزمن القديم ، المماليك والأمراء والشراكسة والمشايخ ، حتى أن النيل ارتعد خوفا منه ، وغاضت مياهه في أول سنوات عهده .

عندما بدأ رحلة الصعود كان يسكن في أحد قصور الأزبكية ،وسط الناس ، يسمع صواتهم ، ويرى أحجامهم الحقيقية ، ويهتز عند ورتهم ، ويلين في وقت شكواهم ، ويعطي لمشايخ فروض الطاعة الكاذبة ثم صعد إلى قلعة ، مكمن النسر الذي يداوم النظر إلى ريسته ، بجانب فوهات المدافع المسلطة على بيوت ، وابتعدت أصوات المدينة . وتضاءل جمها ، وأصبحت عاجزة مبسوطة الشوارع الميادين والقصور ، وتحول أناسها إلى كائنات غيرة ، تدب بلا صوت ، وتسعى دون جدوى ، لا تملك حيلة أمام تماسك الصخر ، وارتفاع سوار وهنا أدرك تاجر الدخان القديم أنه لا حد من يقاومه وحين أتاه علي بيك الدفتردار طالبا الزواج من ابنته ، قال في اعتداد

ـ أريد لابنتي زفافا لم يحدث من قبل ، لأن مصر لم تر حاكما مثلي من قبل .

بدأ الباشا ينظف المكان

كان يستعد لمحاربة الوهابيين ، ويجهز جيشه للسفر إلى الصحراء العربية كانت هذه هي أوامر الباب العالي ، وتحمس لها الباشا ، لأنها توافق أطماعه الشخصية . بدأ سريعا في تجهيز العسكر ، وصادر كل ما وجده في طريقه من مؤن ودواب ، حتى أنه صادر سفينتين محملتين بالبن كانتا في ميناء السويس ، وأخذ يفكر فيمن سيتولى الحكم مدة غيابه ، لكنه غير رأيه فجأة ، وعاد من السويس سائرا طوال الليل ، لا يرافقه غير دليل واحد وفور

وصوله القلعة أمر أن تصرب كل المدافع ، حتى يعلم الحميع أنه عاد ، فاستيقظت المدينة مرتعبة قالوا إنه كانت هناك مؤامرة على حياته ، وأن الألفي بيك كان يستعدلعزو القلعة ، لكن الباشا بإسراعه في العودة أفسد كل شيء لم يكن يريد الخروج ، فليكن القائد هو ابنه طوسون باشا ، وليكن يوم الخروج سريعا وأرسل الباشا إلى كل الأعداء القدامى من المماليك كانوا بعد أن ظفروا بأمان الباشا الهش يعيشون في قصورهم القديمة ، وسط حالة من الأمل والخوف ، لا يعرفون إلى أين يتجه مراج الباشا المتقلب ، لكنه حين أرسل يدعوهم للمشاركة في موكب طوسون باشا تلقوا هذه البادرة الطيبة بمزيج من الامتنان والرضا كانوا ـ مثل اللصوص القدامى قد عانوا فجأة من وطأة الشيخوخة ، ومن قلة الحيلة في مواجهة ذلك الألباني الذي كان شديد البراعة ، حديث الأساليب بالنسبة لهم

وكأنه الوهج الأخير قبل الأفول خرج المماليك من ديارهم لبسوا الثياب الحريرية المزركشة ، وتحلوا « بالعراك » ، ووضعوا على رءوسهم العمائم الضخمة المرصعة بالجواهر ، وركبوا الجياد المطهمة ، واتجهوا إلى القلعة ، كأنما يتحدون قدرا غريبا ، حدد لهم بدقة لحظة النهاية دخلوا من باب « العزب » الضيق في نشوة من سئم كل شيء ورأتهم القاهرة وهم يتجمعون ، ويسيرون في الحواري المتربة ، مثل بقع زاهية الألوان

تلقاهم الباشا مبتسما ، وأجلسهم بجانبه ، وطافت عليهم فناجين القهوة من البن المصادر ، وقال لهم

ـ سوف تكرمون ابني حين تسيرون في موكبه ، وسوف تكرمون ابنتي حين تسيرون في موكب زفافها

وأحس المماليك بالخجل ، فأثنوا على ولده ، واعتذروا عن الذين لم يحضروا ، بعض من المماليك ما يزال هاربا في أقصى الصعيد غير قانع بالعيش في طل الباشا ، لكن الباشا قال في سماحة

ـ سوء تفاهم بين الأخوان في طريقه للزوال

ثم طلب منهم النصح والمشورة في حملته القادمة ، وعن أفضل الطرق لوقف المشايخ عند حدهم ، وأنجع الأساليب لجبي الضرائب ثم دقت الطبول ، فنهض الباشا ، ونهض المماليك ، وتقدم طوسون باشا حاملا اللواء ، فأدركوا أنه قد آن للموكب أن يتحرك

سار الفرسان في المقدمة ، وتبعهم والي الشرطة والأغا والمحتسب ثم الوجاقلية والأرناؤوط ، وكان المماليك في وسط الموكب تماما ، وبعدهم فرسان الأرناؤوط ، ثم الأعيان ، ثم طوسون باشا وبدأ الموكب في الانحدار من أعلى القلعة ، وسط ممر وعر ، تحيط به الصخور من كل جانب ، وشعر المماليك بشيء من الزهو والتألق يعود إليهم ، حتى أنهم لم يسمعوا شيئا

لم يسمعوا باب العزب وهو يغلق في دوي مكتوم ، كأنه إغلاق القبر ، ولا همهمات جنود الأرناؤوط وهم يتسلقون الصخور بعيدا عن الممر الوعر ، ولا « تكات » الزناد وهي تتراجع كي تفسح المجال لرصاصة الرحمة الأخيرة ، لكنهم ساروا حتى رأوا بقية الموكب قد غادر الممر ، والباب قد أغلق دونهم ، والتفتوا إلى الخلف فشاهدوا آخر جنود الارناؤوط يتسلقون الصخور ، وعبرتهم لحظة وحيرة من الحيرة ، تضامت فيها صفوفهم ، وصهلت فيها خيولهم ، ثم انطلقت رصاصة من إحدى النوافذ ،كانت إشارة البداية ، وبعدها انهمر الرصاص كالمطر ، وتحولت السماء إلى فوهات من نار ، وتثاقل الهواء بالبارود الأسود ، وتخبط المماليك في الممر الضيق الخانق ، ولم يكونوا يحملون إلا السيوف وخناجر الزينة لم يتصوروا ـ وهم الذين تربوا على سنوات الغدر ـ أن يغدر بهم بهذه الصورة الباترة المريعة ، وبدأوا يتساقطون من فوق الجياد ، وقد اخترقت الرصاصات أجسادهم ، وخلع

بعضهم الفراك والأردية الثمينة ، وحاولوا تسلق الصخور ، لكن الطلقات عاجلتهم واجتاز سليمان باشا الممر وجسده ممزق ، ووصل إلى سراي الحريم ، ورأى وجه العروس الصغيرة تطل عليه ، فأخذ يصرخ

- أنا في عرض الحريم ، في عرض العروس ، لكن الجنود انهالوا عليه بالسكاكين الطويلة ، حتى فصلوا رأسه ، وظل طوسون باشا واقفا ممسكا باللواء ، منتظرا أن يواصل الموكب سيرته ، وترامى على أقدام جواده المماليك الجرحى وهم يصرخون

- نحن في عرض سيدنا

لكن سيدنا ظل جامدا ، والسكاكين تهوي عليهم وتكدست الجثث في الممر الضيق ، حتى بلغ ارتفاعها عدة أمتار .

وطوال فترة المذبحة ظل الباشا صامتا ، ساكنا في مكانه لا يتحرك ، وظل من في المجلس في نفس درجة صمته كان وجهه الغريب قد أصبح مليئا بالرهبة ، حتى لأقرب الناس إليه كأن هذه الطلقات هي دقات قلبه ، وصوت إرادته التي سوف يمليها منذ هذه اللحظة دون أن يقدر أحد على مقاومتها .

ودخل طبيب الباشا الايطالي وهو يهتف

- انتهى كل شيء ، يوم سعيد لسموك

فنهض الباشا واقفا ، وطلب قدحا من الماء ، وقال بصوت كأنه خارج من قرار عميق

- نظفوا المكان ، يجب ألا يجد موكب العروس أي درة من الدم

ثم اختار الدار

كانت العروس خجولا ، لذا فقد اندهش الجميع عندما قالت :

- لا أريد السكن في القلعة ، أريد قصرا وسط المدينة

وقال الباشا الفرح بابنته

- اهبطوا بها إلى مدينتنا ، ودعوها تختار أي قصر تريد

سدت العروس أنفها وهي تجتاز الحواري . وانفرجت أسنانها وهي تعبث بقدميها العاريتين في مياه بحيرة الأزبكية ، وأكلت قطعة صغيرة من الحلوى بعد أن صادر الحرس عربة حلواني ، ثم نزلت من « المحفة » وركبت أحد الحمير ، وهنا رأت الدار التي كانت تبحث عنها ، فهتفت من أعماق قلبها :

- لا أريد إلا هذه الدار

كانت هذه هي دار ابراهيم باشا ، آخر لص من لصوص المماليك ، لم يقدر عليه أحد ، لا نابليون ، ولا محمد علي ، ولا الأرناؤوط ، لكن الزمن هو الذي قدر عليه ، مات فوق جواده وهو يدبر آخر المؤامرات ، لكن ابنه مرزوق باشا سار إلى القلعة ، ومات مختنقا تحت الجثث ، ولم يبق في القصر إلا بقايا الحريم والخدم ، يعيشون لحظة الحداد ، بعد أن منحهم الباشا الأمان

دق الأغا عليهم الباب ليخبرهم أن لديهم زائرا رفيع المقام ، وأسرعوا من خلال حزنهم وقهرهم يفرشون كل ما لديهم من سجاجيد وأبسطة ، لكن العروس الخجول رفضت أن تدخل في وجودهم ، فأسرع الحرس فأدخلوا أهل البيت في غرفة « الكرار » المخزن ، حتى ترى العروس باحة البيت ، ثم حشروهم في غرفة المسافرين حتى ترى الحديقة ، ثم صعدوا بهم حتى ترى الايوان والمجلس ، ثم أنزلوهم سريعا حتى ترى مكان الحريم ، ثم هبطوا بهم من السلم الخلفي حتى ترى مجلس البيت المطل على الشارع ، ثم أخرجوهم ريثما تلقى العروس نظرة عامة على المكان ، ثم أغلقوا الأبواب ، ولم يسمحوا لأي منهم بالدخول

وضحك الباشا وهو يهتف

- هذه الصغيرة قد أحسنت الاختيار

وعادت الفتاة الخجول تقول :

- أريد أثاث الأمراء ، أنا أميرة ، وأريد أثاث

الأمراء

وفي صباح اليوم التالي امتلأت ساحة القلعة بقطع الأثاث ، كل أنواع الأثاث التي نهبت من بيوت الأمراء ، جاءت وتجمعت كأنها أضلاع عارية ، وامتلأت النوافذ المحيطة بالساحة بالعيون أثاث غريب يضيء في وهن ، فيه لمسات من كل الذين تسلطوا وارتفعوا فيه شيء من رائحة عطرهم ، مختلط بشيء من العطن ، ربما كانت رائحة الزمن ، وربما كانت بقايا رائحة عرق الذين صنعوها ثم لم يروها ، وحرم عليهم حتى لمسها كان ما فيها من دهب وفضة ومينا وخشب وصدف قد تشكل وطوع وأخذ شيئا من صدأ السنين ، فتخلت عن جمودها المعدني ، واكتسبت مسحة خفيفة من درجات الانسانية ، غير قادرة على البوح ، لكنها مفعمة بالايحاء ، حتى الباشا قد تأمل الأثاث وهو صامت أثاث كل الأمراء وكل العصور وكل الدول ، هل يمكن أن ينتهي مصير أثاثه على هذه الصورة ؟ ! ومن أعلى النوافذ كانت العروس الخجلى ترقب الأثاث المقدم إليها ،

ولم تطق صبرا ، فهبطت إليه ، ولمسته بيدها ، تسربت إلى داخلها كل تباريح الأيام الماضية ، وشعرت أنها قد ورثت فجأة كل متع الحكام القدامى ، وتناهى إليها من خلال صمت الحكام الداعر المهيب كل ما يحمل من رغبات مكتومة تكونت وتراكمت ووضعت سرها الدفين بين نقوش الفضة والمينا

ولم يقطع الصمت إلا صوت العروس الخجول ، وقد ارتعش من شدة الرغبة وهي تهتف

- أريد هذه ، وهذه ، وهذه

اختارت كل شيء تقريبا ، وأمرتهم أن يذهبوا به إلى دارها ، وابتسم الباشا ، لأن الشراهة قد أنست العروس خجلها ، وقال

- لا يتم هذا إلا في موكب عظيم

ثم بدأ يعد الطريق

كان الطريق الذي يصل القلعة ببيت العروس عبارة عن شبكة متداخلة من الحواري والأزقة والعطوف ، نسيج المدينة الحي الذي تشابك مع مرور الأيام والمدينة الغريبة التي تولد كل يوم من خلال قلب المدينة القديمة،مدينة لا تتوسع بقدر ما تزداد تعقيدا ، وخلال هذه الشبكة كان على موكب بنت الباشا أن يجد طريقه ، وأحضر الباشا مستشاره الفرنسي ، فتأمل الطرق قليلا ، ثم قال في حيرة

- إنه أشبه بقصر التيه يا باشا

ولم يكن الباشا ضليعا في معرفة الأساطير ، فقال في إصرار

- أريد أن يمر الموكب ، وأن يشارك فيه كل أصحاب الحرف

وازداد تعقيد الموقف ، فهناك عربات وخيول وجنود ومتفرجون عليه أن يجد لهم مكانا وسط بيت العنكبوت الذي يحيط بالقلعة من كل جانب

وهبط « المسيو » وأتباعه ، وهم يحملون المقاييس ، وأحاطته المدينة من كل جانب ، واكتشف أنها مدينة قد بنيت على الخوف أكثر من محاولتها ايجاد مكان للتواجد والبقاء والتمتع ، مدينة تحاول ضم أضلاعها لعل هذا التلاصق الحميم يمنحها قدرا من الأمان ، اكتشف « المسيو » أنها مدينة حارة ، لكنها ليست مشمسة ، وأنها على الرغم من كل نهار ساطع تخشى الضوء أحس « المسيو » بالاختناق ، فأمسك المقاييس وأمر أتباعه أن يهدموا

صرخ الناس ، فحضر جنود الارناؤوط وضربوهم بالسياط ، وألقوا أثاثهم في الشارع واتهمهم « المسيو » بأنهم ضد التقدم ، وأمر أتباعه بمواصلة الهدم ، فأزالوا المصاطب وأبواب الحارات والحوانيت ، وامتد الشارع كأنه جرح دموي في جسد المدينة ترك نصف غرف البيوت ، ونصف قاعات الحمامات ، ونصف ساحات المنازل

والحوانيت وضاعت كل أصوات الاحتجاج ، وانسحب الناس بعيدا إلى أطراف المدينة ، لعلهم يختفون عن أعين القلعة

ثم واجه « المسيو » أولى المشاكل الحقيقية ، مبنى صغيراً متربا ، عليه نقوش وآيات مطموسة ، وأشكال من الفسيفساء معظمها قد تساقط ، فيه قبة نصف مهدمة ، وم..م تكسوه كسوة حصراء مترية ، كان واقفا في منتصف المقياس بالضبط ، فأمرهم أن يزيلوه ، لكن العمال رفعوا المعاول ثم توقفوا ، وصرخ « المسيو » حتى احمر وجهه ، وهتف به ريس العمال

- يا جناب « المسيو » ، هذا مقام ولي من أولياء الله ، الشيخ العليمي ، وصرخ « المسيو » لا بد من هدمه فورا

وهذه المرة لم يهمهم العمال وحدهم ، لكن الناس هم الذين صرحوا ، وتدافعوا ، وتصايحوا ، ولم يبالوا بسياط الأرناؤوط ، ولا بتهديدات الباشا لم يتحركوا بمثل هذا العنف والغضب عندما هدمت بيوتهم ، لكن عصبتهم كانت عاتية من أجل هذا البناء المتداعي ، وبدا الأمر لغزا جديدا أمام « المسيو » الذي اضطر أن يتراجع ، وأن يراجع كل المقاييس ، ليكتشف أن الطريق يجب أن ينحرف ، وواصل الشق ، وبقي المقام صامدا

ثم بدأ يأخذ الهدايا

جلست أم العروس نفسها كي تستقبل الهدايا ، وجلست بجانبها أم العريس صامتة تماما ، تحس أن ابنها هو مجرد إضافة يمكن إزالتها بإشارة بنصر ، ولم يكن هناك مجال لقبول أي هدية صغيرة بأي حال من الأحوال ، فهي دليل على سطوة الباشا ، وعلى الأعداء أن يقدموها قبل الأصدقاء ، حتى يثبتوا حسن نواياهم ، حتى أقارب القتلى كان عليهم أن يخرجوا آخر بقايا الكنوز ، ويرسموا على الوجوه آخر الابتسامات ، ويسيروا إلى القلعة صاعدين السلم الحجري ، غير آملين إلا في مهمة من الرو الغامض

وكان يجب أن تأتي زوجة الألفي بيك شخصيا فلم يعد يجديها الجلوس في بيت متواضع على حاو المدينة كانت قد فقدت روجها الذي مات عـ وقهرا ، وفقدت قصرها مرتين ، مرة حين أحده بونابرت ، ومرة أخيرة حين أخذه أعوان الباشا الحديد لم يبق لها إلا ذكريات قديمة عن سطوة روجها التي ضاعت .

كانت الزوجة تصعد السلم ، تحمل هديتها المتواضعة ، حليها ومجوهراتها التي تحمل رائحة عرقها سنوات طويلة ، لكن زوجة الباشا قلبت فيها ثم قلبت شفتيها في ازدراء وهي تقول

- أهذه هدية تليق بروجة من كان أميرا لمصر وحاكما لها

ورفستها بقدميها ، وحبت المرأة العجوز على ركبتها ويديها حتى التقطتها ، عقودا من الدر والياقوت ، لحقتها الشيخوخة ، فخبا بريقها هبطت العجوز ، ثم صعدت بعد يومين ، تحمل نفس الهدية مضافا إليها كل النياشين والأوسمة التي أهداها الانجليز لزوجها ، آخر الوعود وآخر الأحلام في أن يصبح سلطانا على البركله ، لكن زوجة الباشا رفستها بقدمها وهي تقول

- أين أنت من القصر الذي كان زوجك يمك أخشابه ، ثم يحمله على ظهور الجمال ، ثم يركبه في أي مكان يشاء من الأرض

قالت الروجة في انكسار

- تكسرت أخشابه وزالت أيامه

ولم ترحمها زوجة الباشا ، فحملت العجوز سيوف زوجها المثلومة ودروعه الصدئة ، وأضافته إلى الجواهر القديمة والنياشين ، وصعدت القلعة ووضعتها أمام زوجة الباشا التي صرخت في فر حقيقي

- ما هذا ، هدايا زفاف أم إعلان للحرب ،

ما لقينا من عصيان زوجك ؟

وهبط البغل الذي كان يحمل هدايا السيدة ريعا ، وهبطت السيدة بنفس سرعته ، دون أن حق به ذهب البغل إلى سوق البغالين حيث تم حيره من قبل ، واحتمت السيدة في الأزقة الضيقة ، حث لم تظهر بعد ذلك قط

خيرا جاء يوم الزفاف

كان يوم خميس يوافق الثالث عشر من يناير عام ١٨ ميلادية

سبقته حركة محمومة بين أصحاب الحرف ، من ل إعداد العربات التي سوف تشارك في هذا كب ، فرض شيخ كل حرفة على أتباعه مبلغا من ل ، وأحضروا الأخشاب والأقمشة والأصباغ ، مد فوق كل عربة حانوتا مصغراً ، فالحلواني وقطع لوى ، و « الشربتلي » ، و « العطار » و حريري » ، والعقاد ، والزيات ، والحداد ، نجار ، والقزاز ، والخياط ، والطحان ، هران ، والجزار ، والبناء ، والمبلط ، والمبيض حاس ، والسمكري ، وحتى المراكبي واحدة سعون عربة كاملة كما أحصاها شيخنا الجبرتي ام كل عربة كان أهل كل حرفة يسيرون ، وهم لون الطبول والمزامير ، ويلبسون الثياب الفاخرة استعاروها .

كان موكب الزفاف يشبه في ترتيبه وتنظيمه نفس كب الذي رتبه الباشا يوم المذبحة ، في أوله كان رسان الولاة كانوا يحاربون بجنون ، ويخسرون شرف ، ويبيعون ذمتهم بأبخس الأسعار ، ثم هم سار والي الشرطة الذي كان راتبه الأساسي الاتاوات التي يدفعها اللصوص ، ثم بعد ذلك نسب الذي كان الباشا معجبا بمهارته الفائقة في لطة الحسابات ، ثم فرسان الانكشارية الذين لم بوا أي معركة قط إلا أمام الناس العزل ، ثم بقية ار والأعيان ، ولم يكن هناك مكان للمماليك ، لأنه لم يكن هناك مماليك

بدأ الموكب يتحرك ، والمدافع تدوي من كل جهات المدينة ، من القلعة ، ومن بولاق ، وعبر بر الجيزة وبدت المدينة تستعد لاستقبال هذه اللحظات الفرحة التي فرضت عليها قسراً وبدأ الموكب يشق طريقه في الشارع الجديد ، وبدت العروس الخجلى جميلة على الرغم من أنها كانت تشبه أباها كل الشبه ولم يكن هناك من يقاوم محمد علي باشا إلا شيء واحد

عندما أصبح الموكب في منتصف الشارع تماما بدأت الشمس تغيب ببطء خلف سحابة متجهمة ، ودون أي تمهيد بدأ المطر يهطل تماما مثلما هبط الرصاص كالمطر ، انفتحت أبواب السماء ، واندفعت المياه من كل اتجاه ، وتحول الطريق الجديد إلى مصيدة موحلة ، وبدأ فرسان الانكشارية وهم الذين تعودوا على الخسارة في الانزلاق ، وهرولت النساء اللاتي حضرن للفرجة من فوق أسطح الحوانيت نصف المهدمة يبحثن عن ملجأ ، وأصبح الموكب في حالة يرثى لها ، وتعثر الرجال بالحمير ، وتعثرت الحمير بالعربات ، وانزلقت المحفة ، فوقعت العروس ، وأنهضوها بطينها ، وأعادوها إلى الداخل ، ثم أسقطوها مرة أخرى ، فأصبح ثوبها الناصع أسود ، وأخذت تصرخ ، فانهدت الزينات فوق رأسها ، وتكونت لها لحية من الطين ، تشبه لحية الباشا الكبير شخصيا ، وظل المطر متواصلا حتى هرب الجميع ، وصمتت كل الأصوات ، وخلت كل الطرقات ، وتوقفت كل المدافع

« ووصلت العروس إلى دارها قبل الغروب بقليل ، وعند ذلك صفا الجو ، وانكشف بيوت النو ، ووافق ذلك اليوم ثالث عشرة طوبة ، من شهور القبط المحسوبة ، وحصل بذلك الغيث العميم النفع لمزارع الغلة والبرسيم »

وبهذا تم الزفاف ، وبهذا شهد شيخنا الجبرتي عليه رحمة الله □

العربي - العدد ٣٤٩ - ديسمبر ١٩٨٧ م

أرقام

بقلم : محمود المراسي

ثقب في الهواء !

التاريخ ١٦ سبتمبر (ايلول) ١٩٨٧
المكان مونتريال

المشهد دول المجموعة الأوروبية وعدد آخر من الدول توقع على معاهدة ، هي الأولى من نوعها في التاريخ ، فيها تلتزم بتخفيض إنتاج الثلاجات وأجهزة التكييف ، وكل ما يترتب على استخدامه إنتاج غازات تفسد الجو ، وتزيد من تسرب أشعة الشمس فوق البنفسجية

أما نسبة تخفيض الانتاج الذي يبدأ العمل به عام ١٩٨٩ فهي (٥٠ /) خمسون بالمائة

أمطار حمضية

قبل ذلك بعدة شهور انعقد مؤتمر دولي آخر تحت رعاية اللجنة الاقتصادية الأوروبية ، ووافق ذلك المؤتمر على مسودة اتفاقية جديدة للحد من انتشار غاز أوكسيد النيتروجين الذي تنتجه السيارات والمصانع ، ويفسد الجو ، ويسقط ما يعرفه العلماء باسم « الأمطار الحمضية » التي تهلك الغرس والزرع ، حتى أن ثلاث دول أوروبية هي ألمانيا الغربية وهولندا وسويسرا قد سجلت أنها فقدت ما بين ثلث ونصف أشجار الغابات بسبب هذه الأمطار الخبيثة

وقبل ذلك أيضا في عام ١٩٧٩ وقعت بعض الدول اتفاقية للحد من الآثار بعيدة المدى المترتبة على التلوث الجوي ، وتكونت منظمات دولية وإقليمية للدفاع عن هواء العالم ، وتربته ، وحيواناته البرية والمائية ، وتركيبه النباتي تكون على سبيل المثال الاتحاد الدولي للمحافظة على الطبيعة والموارد الطبيعية ، وأنشيء برنامج الأمم المتحدة للبيئة ، كما أنشئت جماعات أهلية مثل جماعة « السلام الأخضر » وجماعة الأصدقاء الدوليين للكرة الأرضية » ، وتولت لجان فنية وعلمية عالمية وضع تقارير سنوية ترصد ما يجري حولنا ، وما هي التغيرات التي تجري في الأرض والسماء ، وفي الحيوان والانسان والنبات ؟ وجاء تقرير أخير يقول سوف تزداد الحرارة في العالم ، وسوف يبلغ معدل الزيادة من درجة ونصف إلى أربع درجات ونصف خلال أربعين عاما ، مما يترتب عليه خلل في الأمطار ، فتغرق مناطق جدباء لن تنتج ، وتنحل نمائها على المناطق الخصبة الصالحة للزراعة أما السبب في ذلك فهي كثرة ما يستخدمه الانسان من مواد الطاقة ، كالنفط والفحم ، الذي يترتب عليه إنتاج « ثاني أكسيد الكربون » وغازات أخرى تفسد الغلاف الجوي ، وتقلل من الطبقة التي تحمي الكرة الأرضية التي يعرفها العلماء باسم « طبقة الأوزون »

نبأ هام

في الآونة الأخيرة أثار نبأ مهم دول الشمـ
الأوروبي ، أما النبأ فهو أن ثقبا قد حدث في العـ

زروي بتلك المنطقة ، وهو ما يعي تسرب نسبة
ر من الأشعة التي تطلقها الشمس ، الأشعة فوق
فسحية التي تتحدد الكميات التي تصلنا منها
مك طبقة الأورون

لم يعرف الرأي العام معى ذلك ، فهو لم يتحدث
ى ذلك بلعة « الأورون » لكن العلماء شرحوا الأمر
اطة ، فقليل من أشعة الشمس البنفسجية لارم
حياة ، وكثير منها قاتل للحياة   ويبدأ القتل
كائنات الصعيرة في الماء ، حيث تموت ويأكلها
سمك ، فلما يصل السمك إلى حوف الانسان ،
صل الأشعة مباشرة إلى الناس يصابون ـ وفقا
رحة الاشعاع ـ بسرطان الحلد وانفصال في شبكية
ين   والحماية من دلك بطبقة كثيفة على ارتفاع
تصر ما بين (٨) كيلومترات و (٢٠)
ومتراً ، وقد يصل إلى (٦٠) كيلومتراً   والاسم
لمي لها « أورون » ويبدأ الحطر إدا أصيبت هده
لبقة بثقب أو قل سمكها

ابات الاستوائية تنحسر

كل دلك يأتي في إطار ما يقوله العلماء ، ونخرج من
له المظاهرات في الوقت الراهن ، وهو أن الانسان
مد بيئته   دليل دلك أن الشواطيء ترداد تلوثا
ب مخلفات الانسان

والحو يصبح أقل نقاء بسبب نفس المحلفات التي
عها التقدم الصناعي والاسراف في استحدام المواد
يماوية ومواد الطاقة ، فمع كل « بخاخة لانتاج
ار في المنزل أو السيارة أو المصنع يوحد خطر
م ، ومع كل تصاعد في استخدام الطاقة يوحد
ر آحر   وقد أفسدت قضية الطاقة واستحداماتها
تقبل الانسان مرتين   الأولى عما تنتجه من
ات ، والثانية مما اصطر له إنسان العالم الفقير من
ثاث للغابات واستعانة بحشب الأشجار كمادة
مة للتدفئة والمطبخ في أجزاء كبيرة من العالم
لث   وهو ما يجعل العلماء يتوقعون انخفاض مساحة العابات الاستوائية إلى النصف في نهاية القرن العشرين

وبكلمات أحرى فإن التقدم الانساني أصبح سلاحا دا حدين   حده الأول يريد من رفاهية الانسان ، وحده الثاني يحمل المحاطر الآن أو في المستقبل

كدلك فإن الطاقة قد أصبحت سلاحاً دا حدين   الأول ناتج عن الاسراف في استحدام الفحم والنفط ، وما يسفر عنه من تلوث الحو ، والثاني ناتج عن نقص الفحم والنفط في مناطق تضطرها طروفها الاقتصادية للتعامل المباشر مع مواد الطاقة بأشكالها البدائية فتجتث الأشجار والنباتات الحافة ، وتحرم الأرض من عدائها الطبيعي ، كروث البهائم وبقايا النباتات   يتسابق الناس على استحدام كل دلك فيتراجع اللون الأخضر

التوازن المطلوب

وتمتد لعبة السلاح المردوج للأشعة فوق البنفسجية التي تأتي عبر الأورون   قليلها يصلح العالم ، وكثيرها يقضي على وجوه مهمة للحياة

يقول علماء البيئة   لعبتنا أيضا مزدوجة ، فالمحافظة على البيئة قد تعني عند بعضهم الابقاء على التحلف والبدائية ، وهو ما لا نقصده ، لكننا نقصد الوجه الآحر ، نقصد دلك التوازن الذي يقدم حياة صحية ، يعيش فيها الانسان والحيوان والنبات في تكامل فعال ـ وتظل فيها الأرض والبحار والسماء في وئام مع الانسان ، لا نقدم له سماء وشعاعا كالسموم أيضا

اللعبة دائما مزدوحة ، وعلى الانسان أن يختار ، لكنه في احتياره هذه المرة إذا أراد أن يحافظ على مستقبله فهو لا يستطيع أن يفعل ذلك في حدوده الاقليمية ، بل لا بد أن يكون التعاون عالميا ، فالهواء والبحار ليست لها حدود ، وإن كانت عليها قيود يسعى الانسان الآن لفرصها □

رشيد رضا وقضية المرأة في العالم الإسلامي

منذ نصف قرن

بقلم : الدكتور رضوان السيد*

مكانة المرأة في المجتمع قضية ، كان يبدو أنها حسمت لصالح أنصار تحرير المرأة واستقلالها ، وخروجها للعمل ، لكن في السنوات الأخيرة تصاعد الحوار حولها ، وعلت نبرة بعض الأصوات المطالبة بعودتها مرة ثانية إلى البيت ، حيث عالمها الطبيعي ، هذا المقال يناقش آراء الشيخ رشيد رضا في هذه القضية .

عندما أصدر قاسم أمين كتابه « تحرير المرأة » عام ١٨٩٩ ثارت عليه حملة شعواء ، لم تكن سائغة حتى بمقاييس ذلك العصر فقد دعا الرجل إلى أمرين اثنين تطبيق الشريعة الإسلامية في التعامل مع المرأة ، وليس وفق مقتضيات التقاليد والعادات وتربية المرأة وتهذيبها وتعليمها ، لكي تستطيع أن تعين نفسها وأطفالها الذين تسأل عنهم هي وحدها في سنوات العمر الأولى وكان من بين الثائرين على هذا الكتاب ،والكتاب الذي تلاه (المرأة الجديدة) رجلان معروفان في الأوساط الوطنية في ذلك العهد طلعت حرب ، مؤسس بنك مصر فيما بعد (١٩٢٠) ، ومصطفى كامل ، مؤسس الحزب الوطني فيما بعد (١٩٠٨)

أما المثير للاهتمام فيما يتصل بهذه الضج التي أثارها كتابا قاسم أمين ، فهو وقوف مجلة « ورئيس تحريرها الشيخ محمد رشيد رضا الى

---

* رئيس تحرير مجلة الفكر العربي - بيروت

اسم أمين ، فقد عمد السيد رشيد رضا إلى مناقشة الكتاب الأول في ثلاثة من أعداد « المنار » ، (اثنان في شهر يوليو ١٨٩٩ ، وواحد في شهر أغسطس من العام نفسه) ، مناقشة تقريظية ، منتهياً إلى أن ما فيه هو مقتضى الشرع والعقل ، ثم أضاف لذلك حكما لصالح الكتاب وضعه فيه إلى جانب « رسالة التوحيد » للشيخ محمد عبده ، و « سر تقدم الانجليز السكسون » الذي ترجمه أحمد فتحي زغلول ، وهو من « أهم الأعمال الفكرية في هذا العصر » .

نداء للجنس اللطيف

كان هذا هو الموقف عندما أقبل رشيد رضا عام ١٩٣٣ على كتابة دراسته عن المرأة بطلب من لجنة هدية بلاهور ، اعتادت أن تنشر كتاباً للتوعية كل عام في عيد المولد النبوي (١٢ ربيع الأول) ، وسمى رشيد رضا كتابه « نداء للجنس اللطيف » ، لجذب الانتباه ، لكن استعراضاً سريعاً لمحتويات الكتاب يوضح أنه لم يأت فيه بجديد ، وإنما يكاد يكون مجموعا من مجلدات مجلة « المنار » ، ومن تفسير المنار طوال الأعوام الثلاثين السالفة منذ صدرت المجلة عام ١٨٩٩ م للمرة الأولى وكان الشيخ رشيد رضا قد خصّص صفحات كثيرة لموضوع الزواج في المجلد الثامن من مجلته عام ١٩٠٧ / ١٩٠٨ ، فكرر ذلك هنا من ضمن ما كرره ، كما أنه ذكر مرارا كثيرة أنه ينقل عن تفسير المنار

خطة رشيد رضا في الكتاب هي خطة الفقهاء المسلمين القدامى في تقسيم الدراسة إلى أبواب كبرى أو كتب تأتي تحتها فصول تفصيلية بدأ كتابه كذلك بباب أساسي حول الطبيعة الانسانية الواحـ التي نص عليها القرآن للرجل والمرأة « ومن ـه أن خَلَقَ لكم مِنْ أنفُسِكُم أزواجا » إلخ الآية (ـرة الروم/ ٢١) و « يَا أيُّها الناسُ إنّا خلقناكـ ذكَرٍ وأنْثى ، وَجَعَلْنَاكُم شُعُوباً وَقَبائِلَ لتعارفوا ـنَّ أكْرَمَكُم عِنْدَ اللهِ أتقَاكُم » إلخ الآية (الحجرات ١٣) ثم تتالت الأبواب وتحتها فصولها ، تجمعها وتضم بعضها إلى بعض أرقام متتالية ، بلغت في النهاية الستين ويعني رشيد رضا بذلك أن القرآن والسنة منحا المرأة ستين حقاً ، لم تكن لها قبل ذلك

الطبيعة الخاصة للمرأة

ولتوضيح ما أعنيه سأناقش فهم الشيخ رشيد لمقتضيات الطبيعة التي أعطت المرأة دورا مختلفا عن دور الرجل ، ثم أتطرق لثلاث مسائل ، لعبت دورا رئيسيا في حركة النضال النسائي ، من أجل التحرر ، وهي مسألة الحجاب ، ومسألة قوامة الرجل ، ومسألة تعدد الزوجات

١ ـ مسألة الفطرة يرى رشيد رضا أن « اقتسام أعمال الزوجية بين الرجل والمرأة هو بمقتضى الفطرة ـ والإسلام دين الفطرة ـ » ، لكنه لا يوضح ما يقصده بالفطرة أو بالطبيعة الخاصة للمرأة فهل تكون الفطرة هي الاستعداد الجسدي الأولي ، والاستعداد العقلي الأولي ، أوهما معاً ؟ ! يبدو أن هذا هو ما يقصده المؤلف بالفطرة ، وانصراف المرأة إلى الأعمال التي تقتضيها فطرتها أي طبيعتها ، يقول رشيد رضا « فضل الله الرجل في خلقه بقوة في الجسم والعقل ، كان بها أقدر على الكسب والحماية والدفاع الخاص بالأسرة ، والعام للأمة والدولة » ثم يوضح ما يقصده بذلك بقوله « ولا ينازع في تفضيل الله الرجل على المرأة في نظام الفطرة إلا جاهل أو مكابر ، فهو أكبر دماغا ، وأوسع عقلا ، وأقوى عضلاً ، وأعظم استعداداً للعلوم ، وأقدر على مختلف الأعمال ، بل هو يؤدي وظيفته من حكمة الزوجية وهي النسل بإفراغ مادته بإرادته واختياره في عامة أحواله »

هكذا فإن الطبيعة البشرية التي قدرها الله سبحانه على هذا النحو ـ كما يقول السيد رشيد رضا ـ اقتضت أن يكون الرجل أقدر جسديا وعقليا من المرأة ، حتى أن

حجم دماغه أكبر ! ، وتقدمه عليها من هاتين الناحيتين اقتضى أن يقوم بالأعمال والمهام التي هو أقدر عليها منها ، لكي ينتظم الكون ، ويستمر نظام العالم ويبلغ بالمؤلف الأمر أن يذهب إلى أن العملية التناسلية بين الزوجين أو الطرفين هي عملية اختيارية من جانب الرجل ، بينما هي عملية اضطرارية أو « لا إرادية » من جانب المرأة ، فالمرأة « ليس لها قدرة على مثل هذا ، وإنما تنشأ فيها بويضات النسل في أوقات مخصوصة لا إرادة لها فيها ، وليست هي التي تسعى إليه ، بل هي لا تشاركه أيضا في هذا السعي ، وإنما تنتظره انتظارا فمنه الحصول والفعل ، وعليها القبول والانفعال » وكما أن المرأة لا تبادر في العملية التناسلية ، فإنها لا تبادر أيضاً في ضروريات العيش ، بل تتلقى فقط : « فكذلك يسعى الرجل ويكدح ، وينقل ما يكسبه إلى المرأة في الدار فتتصرف فيه بما تقتضيه حاجة الأسرة من غذاء وغيره » بعد هذا الاستعراض لأشكال الجماجم والأدمغة ،والجهاز التناسلي ، وخلقة الإنسان لاستنطاقها في مسألة أفضلية الرجل على المرأة باسم الفطرة ، يعود الشيخ رضا إلى الفطرة من جهة أخرى ، فيقول « ومن استقرأ طباع النساء السليمات الفطرة من جناية سوء التربية ، وفساد النظام ، يرى أن الثابت في غرائزهن أن خير الأزواج وأولاهم بالاختيار من كان قادراً على الكسب ، وحماية النسل ، وصيانته »

إن السؤال الذي يعرض هنا ، والذي طرحه قاسم أمين في مطلع القرن العشرين فرعاً على مطالبته بتعليم المرأة ، هو مدى صحة المسألة التي يعتبرها رشيد رضا من مقتضيات الفطرة فهل صحيح أن طبيعة المرأة تقتضي أن تنتظر الرجل ، ليجلب لها القوت ؟ وهل صحيح أن الطبيعة تقتضي أن لا تعمل المرأة خارج البيت ، وأن يعمل الرجل فقط ؟ وما معنى الحماية هنا ؟ فحتى الحيوانات في الغابات تحمي إناثها النسل لا ذكورها ، ثم إن هذه الحماية في مجتمعاتنا البشرية ليست عملية عضلية ، بل هي عملية مادية ومعنوية ، لا أحسب أن الرجل يتقدم فيها على المرأة

وكأنما أدرك رشيد رضا أنه مضى بعيداً في تأويلاته للفطرة ومقتضياتها ، وفي التسوية بين الفطرة والطبيعة ، فعاد واعترف بإمكان قيام النساء « بالتوسع في بعض العلوم والأعمال العامة بقدر استعدادهن ورغبتهن » ،ويعني هذا أنه سلم بإمكان قيام المرأة بما اعتبره أعمالاً خاصةً بالرجل ، ثم إنه استدرك من جديد على هذا التسامح الذي انزلق إليه ، فقال « وإنما الأفضل والأنفع لهن ولأمتهن وللإنسانية كلها أن يتقن العلوم والأعمال الخاصة بالزوجية » .

نزع الحجاب

مسألة الحجاب والسفور لعبت هذه المسألة دوراً كبيراً في تاريخ نضال الحركة النسائية من أجل التحرر ، وقد افتتحت المسألة لدى نسوة الطبقة الراقية السيدة هدى شعراوي التي نزعت الحجاب عن وجهها عند عودتها من مؤتمر نسائي بروما عام ١٩٢٣ ، ثم انتشر الأمر وصار عاديا في المدن الرئيسية بسرعة ، بحيث لم يكن بوسع السيد رشيد رضا أن يتجاهل ما آلت إليه الأوضاع وهو يكتب كتابه هذا أواخر العام ١٩٣٢ والحق أن موقفه من الحجاب والسفور لم يتغير عما كان عليه في حياة الأستاذ الإمام ، يقسم المؤلف الموضوع إلى ثلاثة أقسام نسوة النبي والحجاب ، وأمر القرآن لسائر النساء بالتستر ، وذهاب بعض الفقهاء إلى الحجاب من باب سد الذرائع

في المسألة الأولى يورد رشيد رضا الآيات القرآنية التي تأمر زوجات النبي صلوات الله وسلامه عليه بالتحجب ، وتطلب من المسلمين أن لا يكلموهن إلا من وراء حجاب ، فحجاب نساء النبي حجاب حقيقي ، يقتضي أن لا يراهن أحد من الرجال من غير ذوي المحارم ، والنسوة الأخريات ، ثم إن هذه الحرمة لا تتناولهن فقط ، بل تتناول بيت رسول الله

الذي يطلب منهم فيه أن يتصرفوا بطريقة معينة ، وأن لا يطيلوا المكث فيه ، ولا يرفعوا الصوت . ويوضح المؤلف بما لا مزيد عليه أن هذا كان أمراً خاصاً بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا يتناول غيرهن

وفي الأمر الثاني يوضح الشيخ رشيد رضا مورداً النص ، وهو الآيات المعروفة في سورة النور . (وقُلْ للمؤمناتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أبْصارِهنَّ ، وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ، ولا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلاَ مَا ظَهَرَ منها وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهنَّ عَلَى جُيُوبِهنَّ ، وَلاَ يُبْدِيْنَ زِينَتَهُنَّ إلاّ لِبُعُولَتِهِنَّ أو آبائِهِنَّ أو آباءِ بُعُولَتِهِنَّ) إلى قوله تعالى (وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ) إلى آخر الآية (٣١) من سورة النور

فالآيات واضحة على هذا النحو ، إنها تتناول ماعدا الوجه والكفين ، كما تتناول طريقة التصرف في المجتمع وأمام الرجال الأجانب خاصة ويعني هذا أن المرأة لم يكن مطلوباً منها أن تقبع في بيتها ، بل كان المتوقع أن تخرج وتدخل ، وتعمل وتتصرف ، لذلك كانت هذه الآداب التي طلب إليها أن تراعيها ليبقى تصرفها سليما ، ولا يحدث فساد اجتماعي من وراء كثرة الاختلاط ، أو الخروج على المعروف من السلوك والتصرفات ، فالمرأة ليس مطلوبا منها أن تخفي وجهها ما دامت لا تخفيه في الصلاة ، كما أنه ليس مطلوبا منها أن تقبع في بيتها كما يطالبها به أنصار الحجاب ، وهذا كله ظاهر النص ومقتضاه

أما أولئك الذين يريدون التعامل مع سائر النساء كالتعامل مع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فانهم لا يدعون الحجاب لسائر النساء بالنص القرآني ، بل من باب سد الذرائع يقول السيد رشيد رضا « وكل ما استحدثه الناس في المدن والقرى الكبيرة من المبالغة في حجب النساء فهو من باب سد الذريعة لامن اصول الشريعة ، فقد أجمع المسلمون على شرعية صلاة النساء في المساجد مكشوفات الوجوه والكفين . وكن يسافرن مع الرجال إلى الجهاد ، ويخدمن الجرحى ، ويسقينهم الماء ، وقد قاتلت نساء المهاجرين مع الرجال في واقعة اليرموك ، وكن يخدمن الضيوف ، ويقاضين الرجال إلى الخلفاء والحكام »

الرئاسة للرجل

٣ ـ قوامة الرجل على المرأة يستند رشيد رضا في مسألة القوامة إلى الآية الكريمة (النساء/ ٣٤) « الرِّجَالُ قَوّامُون عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُم عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أمْوَالِهِم » إلخ الآية ، والآية الكريمة (البقرة/ ٢٢٨) « وَلَهُنَّ مِثْلُ الذي عَلَيْهِنَّ بالمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ » يرى رشيد رضا أن هذه القوامة تستند إلى ثلاثة أمور الفطرة والطبيعة ، كما هو المفهوم من الآية « بما فضل الله بعضهم على بعض » والأمر الثاني كسب الرجل وإنفاقه ، والكاسب هو الذي يدبر ما كسب ومن أجل ذلك أيضاً ترث المرأة ما يرث الرجل بسبب المسؤوليات الكبرى التي يتحملها الرجل والأمر الثالث العادة والعرف ، فالرئاسة للرجل والقوامة له عند سائر الأمم

والواقع أن السيد رشيد رضا لا يخرج فيما ذهب إليه عن آراء سائر المفسرين لهاتين الآيتين ، كما أن سائر المحدثين يواجهون صعوبات في تأويل الآية الأولى ، وبالتالي في تأويل الآية الثانية ونحسب أن المسألة ليست بهذه الصعوبة ، فالواو ـ في نظري ـ تفسيرية في الآية · « بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُم عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أنفَقُوا مِنْ أموالِهم » إن الذي ينفق هو صاحب السلطة ، فإن انتفى ذلك ؛ فإن القوامة مسألة يمكن أن يعاد فيها النظر ، وما دام الأمر ليس أمر الطبيعة والفطرة التي أعطت الدرجة للرجل على المرأة ، فإن هذه الدرجة تزول أو تتحول أو تنتقل إذا زال السبب المادي الذي أبرزها أو جعلها ظاهرة للعيان في المنزل والمجتمع

أما حجة العادة والعرف فهي حجة ساقطة ، لأن الأعراف نتاج غيرها ، وليست سبباً لسواها في

الغالب ، لذلك فإنها تتغير ـ وإن ببطء ـ تبعا لتغير الوضع الاجتماعي ، فإذا كان مجتمعنا الآن مجتمعا يحترم المرأة ، فإن ذلك كفيل بأن يبدل من معطيات هذا العرف وتلك العادات ، فإن المرأة العاملة المستقلة بدخلها وشخصيتها ليست بحاجة لإرث مادي منقوص ، أو دعم زوج يطلب مقابلاً للحياة المشتركة التي يحياها مع زوجة هو المتقدم عليها أياً كان مسوغ هذا التقدم ، وهذه السيادة ، ولن يخفف من وقع ذلك إصرار الشيخ محمد عبده ، وتلميذه الشيخ رشيد رضا على أن الرياسة شوروية وليست استبدادية

الاباحة المقيدة

١ ـ مسألة تعدد الزوجات لا يميل السيد رشيد رضا ـ شأنه في ذلك شأن شيخه محمد عبده ـ إلى تعدد الزوجات ، لكنه يخشى إن قال بذلك أن يتطرق النقاش إلى حكمة النص القرآني الوارد في المسألة ، لذلك فقد دافع عن تعدد الزوجات بحرارة ، ثم أورد صفحات كثيرة في تسويغ تعديد الرسول صلوات الله وسلامه عليه لزوجاته

مستند القائلين بإباحة تعدد الزوجات الآية القرآنية التي يوردها السيد رشيد رضا في بداية مناقشته للمسألة (٤/٣) « وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم ، ذلك أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا » إن هذه الاباحة التي تحيط بها أدوات الشرط من كل جانب تدل في نظر الشيخ رشيد على أن الإباحة للضرورة ، فهاهنا ـ كما يقول المؤلف ـ ثلاث مسائل قطعية أن الاسلام يبيح تعدد الزوجات ولم يندب اليه

الثانية أنه لم يحرمه تحريماً قطعياً لا هوادة فيه لما في طبيعة الرجال وعاداتهم الراسخة بالوراثة في جميع أنحاء العالم من عدم اقتصارهم في الغالب على التمتع بامرأة واحدة ؛ ومن حاجة بعضهم إلى النسل في حال عقم المرأة أو كبر سنها أو وجود علة أخرى مانعة ، الحمل الثالثة أنه هذا وذاك تركه مباحا إلا أنه قي بالعدد وشرط العدالة الذي يتقي به ضرره ويرجى نفعه إذا التزم فاعله جميع أحكام الإسلام وآدابه ، معاملة النساء »

أما حالة الضرورة التي يرى رشيد رضا أنها تسوغ تعدد الزوجات فيذكر إمكانيات لها كما يلي

١ ـ عقم الزوجة أو مرضها المرض المانع من المواصلة ، وحاجة الرجل لذلك أو للنسل ، فبدلا من أن يخادن الرجل فيظلم امرأة أخرى ويحتال على زوجته ، يتزوج أخرى زواجاً شرعياً بموافقة زوجته الأولى ورضاها

٢ ـ زيادة عدد النساء على الرجال زيادة كبيرة كما في حالات الحروب فإن اقتصر الأمر على الزوجة الواحدة كان من وراء ذلك فساد كبير ، فمن مصلحة الأمم في مثل هذه الحالة إباحة تعدد الزوجات لتلافي الضرر ، وكفالة النساء

٣ ـ قوة الرجل الجسدية وعدم إقبال امرأته عليه مما يؤدي إلى مفسدة وشذوذ في حال استمرار ذلك ، فيحسن عندها التعدد

كانت هذه أهم توجهات السيد محمد رشيد رضا في قضايا المرأة في العشرينيات والثلاثينيات وهي قضايا ماتزال مطروحةً حتى اليوم ، وإن في سياقاتٍ ، ومناخاتٍ أخرى وبالوسع القول إن ردود علماء الإسلام المعاصرين على قضايا المرأة وتساؤلاتها لا تختلف عن ردود الشيخ رشيد كما أنه بالوسع القول إن الشيخ رشيد وفقهاء اليوم في واد ، والمجتمع بنسائه ورجاله في واد آخر لذلك فإن اجتهاداتهم مهما بلغ حسن النية أو الجدية فيها لا تلقى التجاوب الكافي اليوم ، كما لم تلقه من قبل والفتيات والنسوة اللواتي يعدن اليوم للحجاب وقبول التعدد لا يعدن عودة فقهيةً بل من ضمن نسق سياسي واجتماعي يعتبرنه معادياً للغرب ، وأكثر تحقيقاً لهويتهن الخاصة □

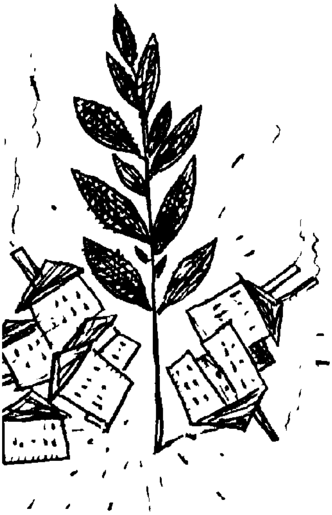

انهيار الحضارة الصناعية

هل يعني العودة إلى قيم الحضارة الزراعية؟

بقلم : حافظ أحمد أمين

هل توحي معطيات التقدم العلمي والتقني التي نعيشها بأن البشرية تقف على أعتاب حضارة عالمية جديدة ، تختلف عن الحضارات السابقة زراعية كانت أم صناعية ؟ ماهي ملامحها ؟ وكيف نواجهها ؟

في منتصف القرن العشرين تنبأ بعض المفكرين الغربيين بقيام حضارة عالمية جديدة ، وقالوا انها ستكون شديدة الاختلاف عن الحضارة الصناعية الحالية ، كما تنبأوا بأن النصف لثاني من القرن العشرين سيشهد ألوانا من الاضطراب والاغتراب والارهاب ، لأنه سيكون صر انتقال عنيف من الحضارة الصناعية الى حضارة ـديدة ، يمكن أن نطلق عليها اسم « حضارة ـدمات والمعلومات » وقد ظهر هذا التنبؤ نتيجة حظتين ذكيتين

ولى أن نسبة المشتغلين في الصناعة بدأت تنخفض انخفاضا ملحوظا ، بسبب استخدام الانسان الآلي والأجهزة الالكترونية في الصناعة

الثانية أن قيم الحضارة الصناعية ونظمها ومهاراتها بدأت تتراجع أمام قيم ونظم ومهارات حضارة جديدة ، عندما لم تعد مهنة الصناعة هي المهنة الغالبة

عصور الانتقال ولادة صعبة

هذا الانخفاض المستمر في نسبة المشتغلين بالصناعة لايعني نقص الانتاج الصناعي ، أو نقص التعامل مع الآلة ، بل العكس هو الصحيح

فالذي سيحدث فقط هو تقادم نظم الحضارة الصناعية وتقاليدها ، لأن مهنة الصناعة لم تعد هي المهنة الغالبة

وهذا هو نفس ماحدث عندما انتقلت الأمم من الحضارة الزراعية الى الحضارة الصناعية ، تناقص عنيف في نسبة المشتغلين بالزراعة ، مع تزايد الانتاج الزراعي ، نتيجة لميكنة الزراعة

وكما حدث في عصر الانتقال من حضارة الزراعة الى حضارة الصناعة من صراعات وأزمات وانهيارات ، نتيجة لتقادم قيم الحضارة الزراعية ، نعيش الآن في عصر الأزمات والارهاب ، نتيجة تقادم قيم الحضارة الصناعية ومهاراتها

وكلما انتشرت التقنية الجديدة في حياتنا زاد عدد المهن ، ومقدار التنوع فيها ، وبالتالي زاد اختلاف القيم والعادات بين الناس ، فالعاملون في مهنة الزراعة لن تزيد نسبتهم على ١٠/ من القوة العاملة ، بسبب ميكنة الزراعة ، وكذلك العاملون في الصناعة ، بسبب استخدام الانسان الآلي بها ، وهكذا في كل المهن الأخرى ، كالتجارة والفنون والادارة والمعلومات ، الخ .

عندما بدأت الحضارة الصناعية في الانتشار على حساب الحضارات الزراعية ، وعندما سادت قيم الصناعة ، وتفوقت نظمها ، شعر أصحاب قيم الزراعة ومهاراتها بالانكسار ، وضعفت ثقتهم بأنفسهم

فلما جاءت الحضارة الجديدة ، وبدأت تمارس الضغوط على المتمسكين بقيم الحضارة الصناعية وعاداتها ومهاراتها ، ظن المتمسكون بقيم الحضارات الزراعية أن انكسار عدوهم (الصناعي) يساعدهم على استرجاع مافقدوه من قوة وحيوية ، فاستردوا بعض ثقتهم بأنفسهم ، وزاد حنينهم الى الماضي ، وتخيلوا أن بامكانهم استرجاع « أيام زمان » ، ولم يدركو أن القوة الجديدة سترث نفوذ القوتين الأفلتين

ولنضرب في ذلك بعض الأمثلة

بالنسبة للملابس ـ مثلا ـ مازلنا نذكر أيام ک نذهب الى الخياط لنختار القماش وشكل الرداء ، ثـ يقوم الخياط بقياس الأبعاد المختلفة لأجسامنا ، وعن ذلك من الأعمال التي تنتهي بتسلم الرداء

صحيح أن هذه العملية تتميز بأنها كانت تعطينا الحرية الكاملة في الاختيار ، والهيئة التي نطلبها لكنها كانت تكلف من الجهد والوقت والمال مالم يكن يستطيعه الا قلة من القادرين

ثم قامت المصانع الكبيرة ، لتنتج الملابس الجاهزة بكميات نمطية ضخمة ، مما يسهل علينا الحصول على الرداء في وقت قصير ، وبثمن زهيد نسبيا ، فانكسر الخياطون انكسارا كبيرا

أخيرا ، تأتي المصانع الصغيرة ، بأجهزتها الالكترونية ، وحساباتها المتنوعة ، وتنظيماتها الحديثة ، لتضرب الانتاج النمطي بالمصانع الكبيرة . فيظن الخياط القديم ان انكسار عدوه اللدود (المصنع الكبير) يمكنه من استرداد مكانته ، غير مدرك أن المصانع الصغيرة الجديدة ، تقدم للناس الملابس التي تتميز بالمزايا كلها ، كالسرعة ، والرخص ، الهيئة المطلوبة

ومثال آخر في الفنون ، بالنسبة للمسرح مثلا ، مازال بعضنا يذكر الفرق المسرحية السائدة في (روض الفرج) في بداية هذا القرن ، ثم مسارح الدولة في الخمسينيات التي كانت تقدم المسرحيات الاشتراكية وشبه الاشتراكية بأسعار زهيدة

فلما انكسرت مسارح الدولة ظن أولاد مسرح (روض الفرج) وأحفاده أن باستطاعتهم ارجاع عقارب الساعة الى الوراء ، مادام عدوهم اللدود (مسرح الدولة) في حالة انكسار ، ولم يدركوا أن الجماهير الجديدة لم تعد ترضى بهذا أو ذاك ، وأنها لن تترك مقاعدها المريحة أمام التلفاز والفيديو ، الا من أجل مسرح قادر على حل المعادلة الصعبة التخلص من تفاهة المسرح الهزلي ، وسماحة مسرح الدولة

لامح النظام الجديد

تسببت الحضارة الصناعية في غلق الاف (الورش) الصغيرة ، والاستغناء عن آلاف المغنين والخطباء والرواة الذين كانوا ينتشرون في المقاهي و (الشوادر) والأسواق ، وكان نتيجة هذا أن (تعملق) عدد قليل من المديرين والفنانين والمفكرين ، على رءوس المصانع والمطابع والسينما والاذاعة ، وأصبح الانتاج للسلع والفنون والتعليم وباقي الخدمات انتاجا نمطيا ، يفرض الأشكال الهرمية في التنظيم والاتصال

ثم جاءت التقنية الجديدة ، لتفرض تعدد أشكال الانتاج المادي والفني ، وزاد عدد المنتجين وتنوع انتاجهم ، وزاد عدد المستهلكين ، وتنوعت حاجاتهم،هنا كان لابد من تغيير التنظيمات الهرمية الكبيرة التي فرضتها الحضارة الصناعية ، فقد بدأت في الانتشار التنظيمات الصغيرة المتنوعة

انكسر أنصار الحضارة الصناعية ، وترحموا على زمان العمالقة الذين كانوا يتربعون على قمم التنظيمات الهرمية،والذين كانوا لاينظرون الى الناس الا كمصفقين أو أتباع أو بطانة

وظن أنصار الحضارات الزراعية أن إزاحة العمالقة تمكنهم من استرجاع التنظيمات الصغيرة القديمة ولم يدركوا أن التنظيمات الصغيرة في الحضارة الجديدة تختلف كل الاختلاف عن التنظيمات الصغيرة البدائية التي كانت تقيمها الاحتياجات المحدودة ، وتثيرها العصبيات الساذجة

مكنتنا التقنية الحديثة من اقامة تنظيمات صغيرة ، أساسها المشاركة الأفقية في الأنشطة والأعمال ، المساندة المباشرة من الناس بعضهم لبعض ، وهذا وع من النظم يختلف تماما عن النوع البيروقراطي عقيم الذي يقوم على صعود العمالقة على أكتاف خرين ، والذي فرضته الحضارة الصناعية ، كما لف عن النوع الساذج الفقير الذي يقوم على الروابط العائلية والعنصرية ، وتعصبات المذاهب والقوميات ، كما فرضته الحضارة الزراعية

وزادت التطلعات في عصرنا ، لتأكيد كل شخص لفرديته ، وأخذ الذين يعيشون في الحضارات الزراعية يرفضون عبوديتهم للاقطاعيين ، والذين يعيشون في الحضارات الصناعية يثورون على الأنظمة التي تعمل على صبهم في قوالب متماثلة ، وقد أدت هذه التطلعات وذلك التمرد الى اكتشاف تقنية ، ترفع من درجة ابداع الانسان وتميزه ، وتزيد من درجة المشاركة والديمقراطية ، ومن توليد الآراء والأفكار ، ومن سرعة تداول المعلومات والاستفادة منها ، فكانت هذه التقنية بداية الحضارة الجديدة

سنوات النهضة والثورة والأزمة

نحن نعيش الآن في سنوات النهضة والثورة والأزمة في آن واحد ، ولابد أن نعي ذلك ، وألا نخلط بين كل ظاهرة من هذه الظواهر الثلاث

نعيش في سنوات النهضة ، لأنها السنوات التي نبني فيها المستقبل على أسس شديدة الاختلاف عن أسس الماضي .

ونعيش في سنوات الأزمة ، لأنها سنوات انتقال عنيف ، ومراحل الانتقال هي مراحل القلق والخوف والاغتراب

ونعيش في سنوات الثورة ، لأن الحضارة الجديدة لاتعترف بكثير من قيم حضارات الزراعة والصناعة ومهاراتها ونظمها

نعيش هذه الأمور الثلاثة في آن واحد ، فالخلط بينها يصيبنا بالحيرة والقلق ، والوعي بخصائص كل ظاهرة يحمينا من التخبط ، وينير لنا طريقنا عند تصنيف المشكلات ، وعند وضع الحلول لها

واذا أراد الانسان أن يواجه المستقبل بشجاعة وتفاؤل ، وأن يعيش حاضره دون خوف أو اغتراب ، وأن ينظر الى ماضيه دون حنين ساذج ، لابد أن يوقف عملية تقديس الأصنام التي انتهى زمانها . □

الموت المفاجيء

بقلم : الدكتور أنيس فهمي

موت قريب أو صديق أو زميل فجأة ، مع أنه كان صحيحا لم يشْكُ أو يتألم ، يمثل ظاهرة محيرة للانسان ، لا يملك ازاءها الا التسليم بحدود الأجل ونهايته . ولكن العلماء يغوصون وراء أسباب هذه الظاهرة بامكانياتهم وفرضياتهم في محاولة فهم لتحديدها ، ومن ثم مواجهتها ، فما مدى نجاحهم . ؟!

الموت المفاجيء ، أو السكتة القلبية من أهم أسباب الوفاة في العالم الصناعي المتقدم ، ففي الولايات المتحدة الأمريكية على سبيل المثال ، تتسبب السكتة القلبية في وفاة ما يقارب من ثلاثمائة وثلاثين ألف شخص كل عام ، بينهم أكثر من مائتي ألف من الرجال . ويمكن القول بأن وفاة واحدة من بين ثلاث وفيات تحدث بسبب توقف القلب المفاجيء لدى الذكور البالغين ومعنى هذا أن عدد الوفيات بسبب توقف القلب المفاجيء أكثر من عدد الوفيات بسبب السرطان ، وضحايا الموت المفاجيء يكونون عادة في مقتبل العمر ، ويبدون في أتم صحة وعافية ، وهم يمارسون عملهم ، أو يقومون بتنسيق الحديقة ، أو بمزاولة الرياضة ، حتى دقائق أو ثوانٍ قبل أن يفاجئهم انقلاب داخلي يؤدي الى توقف قلوبهم الى الأبد .

لقد تقدمت [illegible] أطباء القلب في السنوات الأخيرة وأصبحوا قادرين على التغلب على الكثير من الكوارث القلبية ، بفضل العناية المركزة والعقاقير الحديثة التي تؤدي أعمالا بطولية . وتدل الأبحاث على أن سبب الموت المفاجيء يرجع في كثير من الحالات الى العوامل الانفعالية التي تؤدي تدريجيا الى خلق حالة من حالات استعداد القلب للموت ، أو قد تسبب في حالات الأزمات توقفا مفاجئا للقلب .

نوعان شائعان لموت القلب

هناك نوعان شائعان لموت القلب . النوع الأو يسمى احتشاء القلب ، وهو الذي يطلق عليه عامة الناس « الأزمة القلبية » وينجم عن تصلب الشرا التاجية التي تمد عضلة القلب بالاكسجين والغذا ويعلن هذا المرض عن نفسه بحدوث نو متصاعدة من الذبحة الصدرية وضيق التنفس تستمر شهورا أو سنوات حتى مجيء وقت يتصا

، ترسيب الصفائح الدهنية في واحد أو أكثر من شرايين التاجية ، ويصبح من المتعذر امداد عضلة لقلب بالدم المؤكسد بطريقة كافية

فإذا تكونت جلطة دموية في أحد هذه الشرايين الضيقة ، يتوقف مرور الدم الى ذلك الجزء من عضلة القلب الذي يغذيه هذا الشريان ، ويصاب ـ نتيجة لذلك ـ هذا الجزء من عضلة القلب بالموت فإذا لم يتدخل الطبيب في اللحظة المناسبة لانقاذ هذا الجزء من عضلة القلب فان حالة المريض تأخذ في التدهور حتى يتوقف القلب عن أداء وظيفته

أما النوع الثاني لموت القلب فهو ذبذبة البطين ، وهذا النوع ينتج في ٩٠/ من الحالات من حدوث سيل جارف من التيارات الكهربائية التي تسبب اضطرابات مفاجئة في ضربات القلب ، يؤدي الى ازدياد سرعة هذه الضربات ثم يدخل القلب بعد ذلك في مرحلة ذبذبة البطين وفي هذه المرحلة يصاب البطينان ـ الأيمن والأيسر ـ بحالة من الفوضى لا يستطيع القلب معها أن يضخ الدم وكل ما يستطيع فعله هو أن ينقبض بطريقة عشوائية تؤدي الى الموت المفاجيء

وقد أوضحت الأبحاث الحديثة أن ١٥ ـ ٢٠ / من حالات الموت المفاجيء لا يوجد بها تصلب بالشرايين التاجية ، ونصف هذه الحالات ليست بين المدخنين ، ولم تكن تعاني من ارتفاع ضغط الدم ، أو ارتفاع نسبة الكولسترول في الدم ، أو البدانة كما أن ٧٥/ من ضحايا الموت المفاجيء لا يوجد دليل على اصابتهم باحتشاء القلب ومعنى هذا أن نسبة معتدلة من حالات الموت المفاجيء ، لا يمكن تفسيرها باعتبارها نتيجة محتومة لمرض بالقلب ، أو للعوامل التي يقال بأنها تؤدي اليه ، وعلى أية حال فان الشبان ذوي القلوب السليمة نادرا ما يصابون بالموت المفاجيء ويعتقد الأطباء أن معظم حالات الموت المفاجيء في متوسطي العمر والشيوخ تنتج عن وجود مرض اخر مدمر للصحة لم ينجح الأطباء في تشخيصه

ما هو العامل القاتل ؟

إذا نحينا اصابة القلب بالمرض جانبا فان الأطباء المهتمين بالموت المفاجيء يتساءلون عما اذا كان الجسم أو المخ هو الذي يقوم باسدال الستار على حياة المريض في النهاية ، وبمعنى اخر انهم يتساءلون ما الذي يقتل الناس في النهاية ؟

إن كثيرا من الناس المصابين بمرض خطير في القلب قد يعيشون سنوات طويلة ، ثم فجأة

يموتون ، ولا شك أن شيئا ما يسبب ذلك الموت إن الشواهد لدينا تزيد من الاعتقاد بأن الخوف ، والاكتئاب ، والوحدة قد تلعب دورا كبيرا ، وخاصة لدى أصحاب القلوب الضعيفة المريضة الا أن العالم جيمس سكيير أخصائي الأعصاب بجامعة بيلور بمدينة هوستون الأمريكية يعتقد بوجود عامل كيميائي ، من الجائز أن يكون (نيروبيبتايد) أو انزيما من الانزيمات لا يقوم بوظيفته على الوجه السليم بالفص الأمامي للمخ عند بعض الناس وهذا لا يؤثر على الذكاء ، أو الادراك ، أو الذاكرة ، الا أن له تأثيرا قويا نَوْعاً ما على تنشيط التأثيرات القاتلة للأعمال المرهقة ، ومرض الشريان التاجي ، والعوامل الأخرى التي تسبب اصابة القلب بذبذبة البطين ويعتقد سكيير أن هذا العامل الكيميائي غير الطبيعي عند بعض الناس يتدخل في مقدرة المخ على تحديد ما اذا كان من المناسب مواجهة موقف معين أو الهروب منه مع ازدياد ضربات القلب في تلك الحالة ان الفص الأمامي للمخ يتحكم في مواقف الرعب لدى الناس الأصحاء ، ولكن عند وجود العامل الكيميائي غير الطبيعي يتحول خط سير التيار الكهربائي بالقلب فيؤدي الى اضطرابات النبض والموت المفاجيء

العوامل السيكولوجية والموت المفاجيء

يعتقد بعض الباحثين الأمريكيين أن الأشخاص الذين تنتمي شخصياتهم الى الفئة (أ) (وهم الأشخاص الانفعاليون العنيدون قليلو الصبر) معرضون لأمراض القلب والشرايين ، أكثر من الأشخاص الذين ينتمون الى الفئة (ب) (وهم الأشخاص المرنون المتسامحون) وقد تعددت الدراسات حول المتغيرات السيكولوجية والاجتماعية التي قد تهيىء المسرح لحدوث الموت المفاجيء ، ومن بين الحقائق التي أسفرت عنها هذه الدراسات أن .

* حوالي ٢٠/ ممن يموتون بسبب توقف القا المفاجيء ، أو ممن يعودون الى الحياة بعد اسعا كانوا قد تعرضوا لتوترات سيكولوجية حادة حلا الأربع والعشرين ساعة السابقة . ومن الأمثلة ع ذلك أنه عند وقوع حادث احتطاف طائرة W.A. ! في يونية ١٩٨٥ توفي فجأة والد أحد الطيارين بعد سماعه بحادث احتطاف الطائرة التي فيها ا بساعات قليلة ، وكان يعاني من مرض بالقلب

* الأرامل الذين يفقدون زوجاتهم ترتفع نسبة الموت المفاجيء بينهم بمعدل ٤٠/ أكثر من المتزوجين المساوين لهم في العمر

* تزداد نسبة حدوث الموت المفاجيء زيادة خطيرة بين الرجال خلال السنة الاولى من احالتهم الى المعاش

* الغضب أحد الانفعالات الشائعة قبل حدوث الموت المفاجيء

* الافراز الزائد عن الحد للمواد الكيميائية المسماة « كاتيوكولامينات » CATECHOLAMINES التي تفرزها الغدة فوق الكلوية والجهاز العصبي السمبثاوي أثناء حالات التوتر الشديد ، قد يؤدي الى تمزق بعض الألياف العضلية الدقيقة لعضلة القلب ، وهذا بدوره يسبب فراغات كهربائية ميتة تفضي الى حدوث اضطرابات بجهاز التوصيل بالقلب

* توجد أدلة كثيرة على أن ايقاع نبضات القلب يمكن أن يضطرب فجأة نتيجة للتوتر العصبي أثناء الخطابة في اجتماع عام ، أو قيادة السيارة أثناء ازدحام حركة المرور ، أو مشاهدة مباريات كرة القدم ، أو كرة السلة

وهناك بعض الأبحاث الأخرى التي تؤكد أن العزلة الطويلة ، والاحباط في العمل ، والاكتئاب ، وثورات الغضب قد لا تؤدي فقط الى حدوث الموت المفاجيء بل تؤدي أيضا الى رفع نسبة التعرض للاصابة بالموت المفاجيء على المدى البعيد كما أ

الأبحاث التي أجريت على المجتمعات اليابانية في كاليفورنيا أوضحت أن أكثر العوامل خطورة للاصابة بمرض الشرايين التاجية ، هو انعدام الروابط الأسرية والاجتماعية التي تعتبر من أبرز تقاليد المجتمع الياباني

لقد وجد أن هذا العامل أكثر خطورة من ارتفاع نسبة الكولسترول في الدم ، أو ارتفاع ضغط الدم ، أو التدخين ، أو الافراط في تناول المواد الدهنية وقد أيدت هذه النتيجة أبحاث أخرى أجريت على الايطاليين الذين يعيشون في احدى مدن مقاطعة بسلفانيا بالولايات المتحدة الأمريكية وثمة أبحاث أخرى أثبتت أن العزلة بمفردها يمكن أن تضاعف خطر الاصابة بالموت المفاجيء أربع مرات

والتوتر العصبي

وقد وجد أيضا أن التوتر العصبي والأعمال الرتيبة المتكررة تزيد من خطر التعرض للموت المفاجيء ، والدليل على ذلك أن نظام العمل الرتيب القاسي وحركة المرور التي لا ترحم هما السبب في ارتفاع نسبة الاصابة بارتفاع ضغط الدم لدى سائقي الاوتوبيسات

ولعل من الطريف أن نذكر أنه وجد خلال فترة الستينيات أن مهندسي الصواريخ الشبان الذين كانوا يعملون بمركز كيندي للفضاء بدأوا يصابون بالموت المفاجيء بمعدل يبلغ ضعف المعدل المعتاد لأناس في مثل سنهم

وقد اعتقد رجال المخابرات المركزية الأمريكية في ذلك الوقت أن السبب في ذلك يرجع الى اصابتهم تسمم متعمد ولكن الأبحاث أثبتت أيضا ازدياد سبة الطلاق بينهم ، وادمانهم للخمر والانتحار وقد وجد أن السبب في كل ذلك يرجع الى خوفهم من ستغناء عنهم ، وخاصة ان مركز الفضاء خفض نه العاملة من ثلاثين الف موظف الى أربعة عشر موظف في ظرف ثمانية أعوام وقد أثبت التشريح الوفاة وجود علامات تدل على هبوط عضلة القلب نتيجة للتوتر العصبي لدى ٨٠/ من المتوفين

واتجه فريق آخر من الباحثين الى دراسة الموت المفاجيء لدى السيدات فوجدوا أن ثلثي ضحايا الموت المفاجيء لم يكن لديهن أية أعراض سابقة لمرض القلب وقد أثبتت دراسة أخرى أن الاحباط والتجارب المقبضة مثل حجر المريضة في احدى المصحات النفسية ، أو حدوث وفاة أحد الأقارب ، أو زواج غير موفق ، أو العمل تحت رئاسة رجل حاد الطباع ، أو رعاية أكثر من طفل واحد ، كل هذه العوامل يمكن أن تزيد من استعداد السيدة للاصابة بمرض الشريان التاجي للقلب

لقد أثبت بعض العلماء أن الموجات المتدفقة من افرازات الكاتيكولامينات وهرمونات المخ الأخرى التي تحدث أثناء الغضب ـ على سبيل المثال ـ تسهم بطريقة مباشرة في احداث اصابات الشرايين ، وترسيب الصفائح الدهنية على جدران الشرايين وبمرور الوقت ـ مع تكرار ردود الفعل الانفعالية ـ تنحل ألياف نسيج القلب مما يؤدي الى اضطرابات الدورة الكهربائية بالقلب

ومن المعروف أن الزيادة المفاجئة في افراز الأدرنالين بسبب القلق أو الغضب المفاجيء تؤدي الى انقباض آلاف من الأوعية التاجية الدقيقة ، وهذا يستدعي القلب أن يضخ الدم بنبضات أكثر قوة وأكثر سرعة

وبينما لا أحد يعرف كم عدد الاحباطات والكوارث والنوبات الانفعالية التي تحدد مصير الانسان وقدره ، الا أنه أصبح من المعروف أن ضغط الدم ، ونسبة الكولسترول في الدم ، ينخفضان عندما يقوم الانسان باجازة للراحة والاستجمام

محاولات التغلب على عوامل الموت

مع وضوح كل الأدلة التي تثبت العلاقة بين الحالة الانفعالية للانسان وبين موته المفاجيء اتجهت الأبحاث الى اتخاذ طريق التحدي لهذه العوامل ،

وذلك بتعقب العوامل الكهربائية والكيميائية التي تؤدي الى الموت ومعادلاتها ويحتمل أن يؤدي هذا الطريق الى نتائج حسنة

ووجد أنه لو ترك مرضى القلب بدون علاج فان ٣٠٪ من الذين استطاعوا أن يعيشوا ، يموتون فجأة خلال عامين من بدء اصابتهم بالأزمة القلبية

وتستطيع المراكز الطبية أن تخفض هذه النسبة الى أقل من ٤٪ باستعمال العقاقير المنظمة لضربات القلب والرعاية المستمرة ولكن هذه العقاقير لسوء الحظ تستطيع أن توقف أيضا التغيرات الكهربائية والكيميائية في أعضاء أخرى من الجسم ، وبذلك تؤثر على وظائف أخرى مثل الذاكرة والهضم والقوة الجنسية

لذلك اتجه العلماء الى البحث عن بدائل لهذه العقاقير ونذكر على سبيل المثال استخدام نوع من القسطرة تحمل في طرفها مكواة كهربائية لكي تحرق الأطراف الدقيقة من نسيج القلب الميت أما بيتر شمارتس أخصائي القلب الذي كرس أبحاثه لدراسة الموت المفاجيء في جامعات ميلانو وأوكلاهوما وذلك باستكشاف حركة المرور الكهربائية في شبكة من الاعصاب المتقاطعة الموجودة في حافة القلب ، فقد أثبت أن قطع الفروع العصبية للعقدة العصبية النجمية اليسرى الموجودة على السطح الخارجي لعضلة القلب يمكن أن يحمي قلوب الحيوانات الشديدة المرض من الاصابة بذبذبة البطين

أما أبحاث العالم سكينر فقد أثبتت أن تخدير مجموعات معينة من الخلايا العصبية في الفص الامامي للمخ يمكن أن يحصن قلوب الخنازير ضد الاصابة بذبذبة البطين ومعنى هذا أن هذه الخلايا العصبية في الفص الامامي من المخ هي المسئولة عن احداث ذبذبة البطين وقد وجد سكينر أن الرسائل الكهربائية التي تؤدي الى ذبذبة البطين تبدأ مسارها من الفص الأمامي للمخ ثم تصل الى الهيبوثالاماس (تحت المهاد) ثم جذع المخ الذي يتصل بالقلب عن طريق فروع الجهاز العصبي اللاارادي كما و أيضا أن العقاقير المنظمة لضربات القلب لا تـ فعلها بالتأثير المباشر على عضلة القلب ، ولكـ طريق تأثيرها على الخلايا العصبية في الفص الأما للمخ ومما يؤيد هذا الاكتشاف أن أطباء القلب بجامعة كولومبيا وجدوا أن العقاقير النفسية المضادة للاكتئاب تستطيع في بعض الأحيان أن تنجح في تنظيم ضربات القلب وتدور أبحاث العالم سكينر حول الكشف عن المادة الكيميائية ، وهي من نوع النيروبيبتايد ، التي تطلق الشلال الهادر القاتل من المواد الكيميائية السامة من خلال الجهاز العصبي اللاارادي

فاذا ما اكتشف هذا النيروبيبتايد فان الخطوة التالية هي تحليله بطريقة دقيقة كاملة بهدف التوصل الى تخليق مادة مضادة له

هل للغذاء تأثير ؟

يتجه فريق الباحثين بجامعة هارفارد وجهة أخرى تهدف الى استخدام الغذاء للتأثير على مستويات مادة السيروتونين في المخ ، وهي موصل عصبي قوي يمنع موجات المواد الكيميائية التي يمكن أن تؤثر على القلب أثناء الخوف أو الغضب ، وقد أثبت بعض الباحثين أن مستويات السيروتونين في المخ يمكن أن تهبط بشكل مخيف في فترات الاكتئاب لدرجة تنذر بامكانية حدوث الانتحار

إن هذه الأبحاث وغيرها تثير بضعة تساؤلات هل كل نوبة من نوبات التوتر والغضب تزيد من خطر حدوث الموت المفاجيء باستنفاد طاقةالانسان وقلبه ؟ هل يوجد شيء في المخ ينفجر تحت ضغط المواجهات والمضايقات والانفعالات فيبعث رسول الموت الى القلب ؟ هل يمكن أن تكون غالبية حالات الموت المفاجيء « ارادية » بشكل أكثر مما نعرفه ؟

لا يستطيع أحد في الوقت الحالي الاجابة على هذ الأسئلة ولكن العلم لن يتوقف عن محاولة الاجاب عليها □

ـدر في
ـناير
٨٨

كتاب العربي

الثامن عشر

المسرح العربي

بين النقل والتأصيل

بقلم مجموعة من الكتّاب

كتاب العربي مرآة العقل العربي

العربي
عيونك
على العالم

البرتغال

مملكة الشمس الغاربة

استطلاع : محمود عبدالوهاب

تصوير : سليمان حيدر

VIRTVTIBVS
MAIORVM

هنا مملكة من ممالك العالم التي تعتصرها الآن الهموم والمشكلات . « من هنا تغير تاريخ العالم ، فمنذ خمسمائة عام فقط كانت هذه الارض هي آخر نقطة في العالم المسكون بالبشر ، وفق الافكار التي كانت سائدة وقتئذ ، حتى بدأ عصر الكشوف الجغرافية ، فمن هنا انطلق فاسكو دي جاما ، وماجلان ، وبارثليموديياس مكتشف رأس الرجاء الصالح . ومن هنا خرج أول مستعمر أوروبي لمنطقة الخليج ، وهنا شهد العالم أول صفقة عبيد في التاريخ . .

و . . وقفت الطائرة تماما في مطار لشبونة عاصمة البرتغال .

كان الوقت أصيلا عندما خرجنا من المطار ، والشمس ما زالت في ثلث السماء الأخير ، ينعكس ضوؤها على سقوف القرميد الأحمر . وعلى أسفلت الطريق،سائق سيارة الأجرة يلتزم الصمت ، وملامح وجهه لا تنبيء بشيء الا التركيز في الطريق الذي أمامه ، وحاولت أن أكسر الصمت ، قدمت له لفافة تبغ ، فتقبلها ، وأدار وجهه للطريق .

واخترنا فندقا وسط المدينة ، وفور وصولنا ألقينا بحقائبنا ، وهبطنا الى الشوارع المظللة بالأشجار ، المليئة بالتماثيل والمقاهي

الناس في الشوارع غير ودودين ، الوجوه متجهمة ، والضحكات غائبة والابتسامات التي يلقاها أي غريب في المدينة مفقودة وسط المحلات الكثيرة التي يتميز بها وسط المدينة ـ في أي مدينة ـ عادة يجلس عديد من باعة الأرصفة ، والمتسولون عازفو الموسيقا ،وراسمو اللوحات ، ويتقافز حول السائرين الصبية ، يعرضون بضائعهم الرخيصة والمزيفة أمام كل غريب ، ساعات ونظارات وأقلام ، خلف منطقة وسط المدينة يقطن الفقراء ، حيث الشوارع الصغيرة المتقاطعة الضيقة ، المبلطة بالطوب ، والبيوت ذات الطابق والطابقين التي بها ترى من نافذة بيتك ، بيت جارك والشوارع صاعدة هابطة ، وفي دوامة الطرقات ضللنا الطريق ، ثلاث ساعات ونحن نسير على أقدامنا وسط أحياء الفقراء المحصورة بين الميناء ووسط المدينة ، وطوال التجوال الطويل حاولنا أن نكسر قشرة الجمود من فوق وجوه الناس نلاعب طفلا فيحمل . ونحيي رجلا فيرمقنا باستغراب ، ونجلس في مقهى في قلب حي الفقراء ، فينظر الينا الرواد كأننا من كوكب آخر ، فكل رواد المقهى يعرفون بعضهم بعضا ، ونحن الغرباء فيه ، وعندما ازدادت حمرة الشفق في السماء أنقذنا انفسنا من هذا التجوال ، وركبنا سيارة أجرة ، لتعود بنا الى الفندق ، ولم نحاول ثانية مع سائق سيارة الاجرة ، فمن الواضح أن جمود الوجوه ، وعدم الاحتفاء بالغريب هو بقايا كبرياء مدينة كان لها تاريخ ، وتعتصرها الآن الهموم

على حافة الأطلنطي

تقع جمهورية البرتغال على الجهة المقابلة للمحيط الاطلنطي من شبه جزيرة ايبريا ، تحدها اسبانيا شمالا وشرقا ، والمحيط غربا وجنوبا ، وتعتبر بذلك آخر نقطة في اوروبا باتجاه الأطلنطي ، مساحتها ٩٢ الف كيلو متر مربع تقريبا ، وعدد سكانها حوالي ١٠ ملايين نسمة كانت البرتغال امبراطورية حتى عام ١٩١٠ ، حين أطاح انقلاب ابيض بالامبراطورية ، وأقام جمهورية ، تميزت بعدم الاستقرار ، والاضطرابات العنيفة ، وفي عام ١٩٢٦ قامت ثورة عسكرية في البلاد ، أوصلت المارشال انطونيو كاومونا الى الحكم (٢٦ ـ ١٩٥١) فحافظ على حياد بلاده ، في الحرب العالمية الثانية وأصبحت حلال

حرب ملتقى جواسيس المتحاربين ، وشهدت قدرا س الصراع والحرب السرية الهائلة وكان مقهى ، افنيدا » أشهر مقهى في العالم في ذلك الوقت ، ففيه كانت تدور حروب العالم السرية ، فيختطف جاسوس أو يقتل أو يهرب الى امريكا ، وفيه تعقد صفقات واتصالات وتباع اسرار

كان الرجل القوي في السلطة الجديدة التي تولت البلاد ، وهو سالازار الذي شغل منصب وزير المالية عام ١٩٢٨ ، رئيسا للوزراء من ١٩٣٢ حتى ١٩٦٨

وكان سالازار يرفض الديمقراطية الغربية ، والاشتراكية سواء بسواء ، ويميل علنا الى الفاشية الايطالية ، واستطاع أن يؤمن للبرتغال نوعا من الاستقرار السياسي خلال حكمه الصارم ، كما استطاع بمساعدة الكنيسة والجيش والاتحاد القومي (الحركة السياسية الوحيدة التي رخص لها بالعمل والتي تقوم على فكرة تحالف قوى الشعب العاملة ، وهو بذلك صاحب هذه الصيغة التي انتقلت بعد ذلك الى بعض الاقطار العربية) استطاع سالازار بمؤازرة هذا الثالوث أن يسيطر على البلاد وسياستها ، وحول رئاسة الجمهورية من مؤسسة فاعلة الى مؤسسة ثانوية

وفي عام ١٩٦٨ مرض سالازار ، وانتخب مارسيلوكايتانو رئيسا للوزراء خلفا له ، وأمن كايتانو بعض الحريات ، وخفف من قبضة البوليس السري وأعاد زعيم المعارضة المنفي ماريو سواريس لكنه أبقى على خطوط اساسية لسياسته ، مطابقة لسياسة سالازار

وفي ٢٥ ابريل ١٩٧٤ قامت ثورة بيضاء قادتها حركة القوات المسلحة ، ووضعت حدا لديكتاتورية مدنية استمرت أكثر من أربعين عاما ، وشكلت حركة القوات المسلحة ، مجموعة انقاذ وطني ، وكلفتها باعادة الحياة الى البلاد بشكل يتوافق مع رغبات جموع الشعب والقوى المختلفة فيه وفي عام ١٩٧٦ بدأ العمل بدستور جديد ، ينص على أن مجتمع البرتغال مجتمع اشتراكي ، وأن الحكومات المختلفة عليها - بالتالي - تحقيق هذا الهدف ، كما يقضي الدستور بأن ينتخب الشعب رئيس الجمهورية الذي يبقى في منصبه خمس سنوات ، ويحق لرئيس الجمهورية تعيين رئيس الوزراء بعد التشاور مع مجلس الثورة ، والاحزاب الممثلة في البرلمان الذي يضم ٢٦٣ عضوا ، ينتخبون كل اربع سنوات وبجانب مجلس الوزراء والبرلمان هناك مجلس الثورة الذي يضم أربعة قادة رئيسيين و ١٤ ضابطا منتخبا ، والمجلس بمثابة هيئة استشارية ، تعمل للمحافظة على الدستور وفي واقع الامر أن أبرز نتائج ثورة ١٩٧٤ والدستور الذي وضعته هو النص على اشتراكية البرتغال ، واعادة الحياة السياسية الى وضعها الطبيعي ، والسماح للأحزاب بالعمل ، واطلاق حق تكوين الأحزاب وقيام التأميمات الواسعة التي شملت حوالي ٦٠ بالمائة من وسائل الانتاج في البلاد وادخلت الحكومة شريكا في عديد من النشاطات الاقتصادية وانهاء عصر المستعمرات

خريطة البرتغال

الأعوام الصعبة

كانت السنوات الطويلة التي قضاها سالازار (٣٢ - ١٩٦٨) في الحكم بديكتاتوريته وفاشيته ، وما تبع هذا من قسوة واعتقالات واطلاق للبوليس السري يجوس في حياة الناس ، ويعصف بهم لأقل تعبير عن التذمر والضيق ، كان هذا وحده سببا يبرر

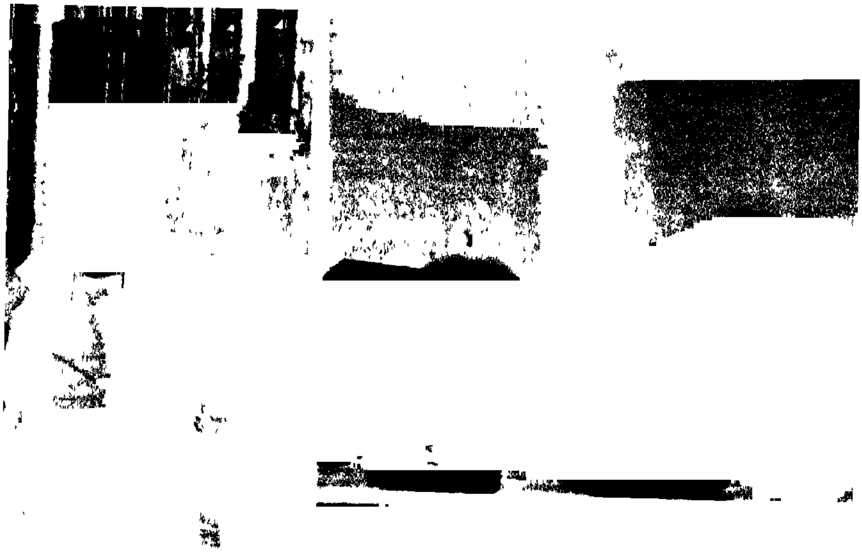

NAG
DES

● من أعلى اليمين، المسجد الاسلامي في لشبونة العاصمة الذي لم ينته العمل به بعد، وعلى الرغم من أن عدد المسلمين بالبرتغال كلها لا يتجاوز ٢٠ ألفا إلا أن الخلافات بينهم والصراع على مناصب الادارة وصل الى القضاء!، وأسفل صورة المسجد لقطتان من قلب الحي، منظر عام للشارع التجاري الرئيسي فيه أناس سائرون، وباعة متجهمو الوجوه، وأخيرا الى اليمين مباشرة شركة إصلاح السفن الشهيرة التي ساهمت في بناء الحوض الجاف بالبحرين، وساهم في بناء الحوض الجاف بجدة

كل الجهامة التي على الوجوه فكما يقول لنا خوسيه تراسيانو أحد أساتذة الجامعة في لشبونة « الناس في وطني ما زال الخوف يملأ حياتهم ، الخوف من السلطة ، والخوف من الغرباء والخوف حتى من الأصدقاء هناك جيل كامل ولد وعاش وتلقى تعليمه في ظل سلطة مطلقة ، وعزلة شديدة عن العالم كان لنا - ما زال استاذ الجامعة يحكي - زميل ، وذات يوم ركب سيارة اجرة عائدا الى بيته وفي الطريق تبادل لفافة تبغ مع سائق السيارة ، ويبدو أنه كان بالسيجارة ثقب أو عيب فألقاها أستاذ الجامعة من نافذة السيارة ، وقال « هذا هو الشيء الوحيد المثقوب في البرتغال ويمكن التخلص منه » وبعد ساعة واحدة كان رجال البوليس السري يقتادون استاذ الجامعة هذا الى دهاليز مظلمة من الاستجوابات والتحقيقات ، وعلى الرغم من أن هذه الواقعة قد مر عليها قرابة ثلاثين عاما ، إلا أنها تظل صورة لحالات الرعب والخوف والعزلة ، حتى صار الناس في وطني جزرا منعزلة ويستمر محدثي د خوسيه تراسيانو - في رسم صور لأيام من حياة جيل كامل فيقول « كنا في الجامعة نخاف من أسئلة الطلبة ، فلم يكن مستبعدا أن يكون أحد الطلبة - وكان هناك كثيرون - له علاقة بالبوليس السري ، فابتدعنا نظاما عجيبا ، يقضي بأن يقدم الطلبة أسئلتهم مكتوبة الى الاستاذ في نهاية المحاضرة ، ليقدم الاجابة عليها في المحاضرة التالية لتكون هناك فرصة للاستاذ ، لكي يتروى ويفكر في السؤال ، ويتجنب كل ما يمكن أن يثير غضب السلطة ، لكن الأزمة الحقيقية أن النظم الفاشية ليس لها خطوط حمراء، بمعنى أن المواطن في النظام الفاشي لا يعرف ماذا يثير غضب الحكومة ، ماذا يجلب رصاصها ، لان الأمر يخضع لحالات من المزاج والسوداوية والقسوة واللامنطق ، ويقوم على افتراض الريبة والشك والاتهام وهذه كلها قواعد مطاطة مرنة ، تحتمل كل شيء ، يحتمل أن يفسر مسئول ما أن السحرية من سيجارة مثقوبة تحمل وراءها كراه للنظام ، وعداء له بينما قد يرى مسئول آخر أن الأم برمته لا يستحق هذا التعنت في التفسير والمغالاة افتراض السوء ولأن القواعد والخطوط ضائعة يصبح كل شيء واردا ومحتملا ، ويصبح هذا المنا هو التربة الفضلى للخوف والتوحش والقلق

هل كانت هذه هي كل هموم السنين ومتاعبها ؟ بالقطع لا ، والدكتور تريسانو لم يتناول إلا جانبا واحدا منها ، فبجانب كل هذا الخوف كانت هناك هموم اخرى ، فقد توالت الأزمات الاقتصادية في الثلاثين عاما الاخيرة ، مما أدى الى قدر كبير من المتاعب ، خاصة أن الاقتصاد البرتغالي كان يعتمد أساسا على الزراعة، وتصدير الأقمشة والمنتجات الخشبية والنبيذ وزيت الزيتون وكان إسهام الصناعة في الحياة الاقتصادية ضئيلا ، وفي بداية الستينيات بدأ قطاع الزراعة يتأثر بحالات التجنيد الواسعة لقمع الاضطرابات التي نشأت في المستعمرات البرتغالية في افريقيا (انجولا ، وموزمبيق ، وغينيا ، والرأس الأخضر) ، والتي جند لها ١٢٥ الف برتغالي ، بالاضافة الى بطء نمو قطاع الزراعة ، نتيجة لعدم التطوير ومسايرة التقنية الزراعية الحديثة ، الامر الذي أدى الى مزيد من الاعتماد على الواردات في مجال الغذاء ، وبالتالي ارتفاع أسعار الغذاء لارتباط اسعاره بالاسعار العالمية ، وقلة الصادرات التي تشكل المنتجات الزراعية جانبا كبيرا منها هذه الحالة تؤدي الى عجز الميزان التجاري وتجعل الحياة الاقتصادية أكثر تعرضا للتضخم المستورد ، بالاضافة الى ضعف العملة ، نتيجة لارتفاع الاسعار المستمر واستمرت هذه المتاعب في الازدياد ، وبشكل تفاقمي ، حتى جاءت ثورة ١٩٧٤م لتجد وضعا اقتصاديا بالغ السوء ، زاد في عبء حملة الانقاذ من أسر الأيام العصيبة

المجد الذي كان

ينقسم تاريخ العالم الى مراحل متعددة ، لكنه في

حلته يتميز بعصرين مختلفين يحددهما« ول ديورنت » في مؤلفه الصخم « قصة الحضارة » بأنها عصر ما قبل الكشوف الجغرافية ، وعصر ما بعد الكشوف الجغرافية ، والبرتغال هي رائدة عصر الكشوف ، وأول امبراطورية في التاريخ الحديث ، تمتد الى خارج حدودها ، وتقتحم آفاق المجهول لكل الدنيا ، وتُسقط كل الافكار القائلة ، بأن خلف هذه البحار والمحيطات لا يوجد بشر ، وحتى المياه نفسها فانها مليئة بالأفاعي والحيتان والصخور وعبورها هو نوع من الانتحار »

يبدأ تاريخ الكشف البحري العظيم للبرتغاليين على يد الامير هنري الملاح (١٣٩٤ - ١٤٦٠م) ابن الملك جون الأول الذي عاش حياته كراهب ، ولا يشغله شيء سوى الاكتشافات البحرية ، وكان هذا - كما يقول معاصروه - مزيجا من الفضول والعقل والبطولة والخيال الممتد ، وقد أنشأ الامير هنري في سانت فنسنت جنوب لشبونة العاصمة مركزا علميا وعمليا لتدريب البحارة ، واعدادهم ، وانطلاقهم لاكتشاف المجهول

وليس من الصعب تماما تحديد دوافع الأمير هنري الملاح لتشجيع حركة الكشوف ، فهناك مثلا صديقه أزورورا الذي الف كتاب « تاريخ غينيا » في عام ١٤٥٣ الذي يسرد فيه دوافع هنري لتشجيع رحلات الاكتشاف هذه يقول ازورورا « إنه رغب في معرفة الأقطار الواقعة وراء جزر الكناري ، وان ابن الكنيسة الزاهري رغب في معرفة حقيقة ما وراء هذه الأقطار ، خاصة انه يقال ان هناك سفينتين حاولتا الذهاب ولكنهما لم تعودا قط

وفي موقع آخر من نفس الكتاب يقول صديق الامير « ولا شك أن الذهب الموجود في مكان ما جنوب الصحراء الكبرى ، كان من جملة العوامل المغرية ، الا ان المؤلف يعود مرة اخرى ليؤكد نعمة الوازع الديني فيقول « وانه رغب في معرفة مدى قوة واستعداد بلدان الكفار ، واكتشاف امكانية وجود امراء مسيحيين في تلك الجهات ، يبلغ بهم حب المسيح والخير درجة تحملهم على معاونته ضد أعداء الدين هناك

وهكذا فان صديق الامير يمزج بين الدافع العلمي والحماس الديني ، والرغبة في الثراء ، ليرسم لنا في النهاية صورة مثالية لدوافع الامير ، ترضي كل الاتجاهات

لكن واقع الحال يقول ان البرتغال في ذلك الوقت شأنها - شأن اوروبا كلها - كانت تعيش لحظة تاريخية من لحظات الانتقال والتطور في تاريخ الشعوب والمجتمعات ، وكما يقول هـ ... وود في كتابه المشهور « الارتياد والكشف الجغرافي » الذي ترجمه الى العربية الدكتور شاكر خصباك ، فقد كانت المخاطر الخارجية في ازدياد أطماع اسبانية قديمة في البرتغال ، والاوضاع الاقتصادية آخذة في التدهور ، وكان هناك عصر بأكمله قد بدأ في التحلل ، فقد بدأت تنتهي مرحلة الاقطاع ، لتسلم الراية الى مرحلة التجارة ، وكان عائد الارض والريع ليس مجزيا بقدر الثراء الذي بدأ التجار يحققونه نتيجة ازدهار التبادل التجاري ، وفي نفس الوقت كانت كتابات ماركوبولو قد ملأت خيال اوروبا بأحلام جامحة عن ثروة الشرق ، وعصر الذهب والتوابل والحرير ، وكانت القصص تحكى في البرتغال واسبانيا عن خطوط التجارة التي تخترق افريقيا من المغرب العربي الى بلاد مالي وحوض نهر السنغال ، وكيف تتم مبادلة الملح بالذهب ، وحكايات اخرى عن بلاد الحبشة ، وأساطير عن الهند وتجارة التوابل كان المجتمع كله يرى أن هذه الرحلات لو قدر لها النجاح فسوف تقدم له طوق النجاة وكان بالتالي الذهاب عبر البحار هو الخيار المتاح ، بحثا عن القوة والخلاص والثراء ، وانقاذا من مصاعب اقتصادية جمة ، وتفاقم حاد في ذلك الوقت ، وتدهور حال ملاك الاراضي ، ولذلك فان كل فئات المجتمع وطوائفه قد دعمت الرحلات البحرية ، فقد باركتها الكنيسة ، وموّلها

● الى اليسار نصب تذكاري ، مقام على لسان صخري ، يمتد داخل مياه المحيط ، وإذا كانت الدول تقيم النصب عادة تحية للذين يموتون دفاعا عن الوطن فإنهم في البرتغال أقاموا النصب تمجيدا للمغامرين الذين وهبوا حياتهم ثمنا للاستكشاف ، ويضم النصب صورا لكل فئات الشعب ، رجل العلم في المقدمة ، ثم المحارب ، فالفلاح ، فرجل الدين الذي يبارك الجميع ، والى أعلى اليمين قوس فوق بوابة كاتدرائية ، يعود تاريخها الى عام ١٦٠٠م ، وهي نموذج فني للعمارة في أزمنة المجد والثراء ، وبين ذلك الزمان والزمان الحالي ـ زمان ساعة الأرصفة أسفل اليمين ـ تناقض لا تخطئه عين

رجال الأعمال الاغنياء وبعض ملاك الأراضي المتوسطين ، وكان وقودها وجهدها الفعلي هم البحارة والصيادين والمزارعين الذين تركوا حقولهم وانطلقوا بحثا عن الثراء ومجد الوطن

الحبيبة تنتظر

ويلخص هذا العصر كله ، كثير من ألوان الفنون الشعبية ، واذا كان القول الشائع أن الفن هو تلخيص واختصار للمجتمع والبيئة فان هذا القول اكثر ما يكون وضوحا عندما نتناول الكشوف الجغرافية وفنون البرتغال ، فأكثر الرقصات الشعبية شيوعا وشهرة هي رقصة اسمها « مشادو » ، ويحمل أشهر مطاعم لشبونة للوجبات التقليدية اسمها ، ويقدم كل ليلة عرضا راقصا للفن الشعبي والرقصات الشعبية ومن ضمنها هذه الرقصة وعلى مائدة صغيرة في المطعم القديم انروينا رميلي المصور وأنا ومعنا مدربة الرقص « إيزابيلا أندرو » تحكي وتشرح لنا قصة الرقصة الشهيرة تقول إيرابيلا هذه الرقصة عبارة عن عدة لوحات تعبيرية تحكي قصة مزرعة صغيرة ، يعمل فيها عدد من الاسر ، وتنشأ قصة غرام بين فتاة ـ وهي عادة الراقصة الاولى ـ وبين أحد المزارعين ، لكن سنوات الجفاف تصيب المزرعة فيقل انتاج المزرعة ، ويتعطل الشباب عن العمل ، وتفرغ القوارير من النبيذ ، وتجف ضروع المواشي ، وتعود الفتيات كل صباح من الحظائر بلا حليب . ويسافر الشباب في الرحلات البحرية ، وتنتظر النساء عودة الرجال وتطول أيام السهر ، والقلق يزداد ، خاصة أن أحوال المزرعة لا تسر ، ثم يعود الشباب بالمال فتنتعش المزرعة ، ويشتري الحبيب المزرعة من مالكها ، وتصبح حبيبته سيدة المزرعة بكل ما فيها

هذه اللوحات التعبيرية التي يستغرق أداؤها حوالي ٥٠ دقيقة في عرض موسيقي غنائي راقص ، تقدم تلخيصا وافيا لرؤية المجتمع البرتغالي للرحلات الكشفية

وقد حققت الكشوفات الجغرافية والمستعمرات ، الخلاص للاقتصاد البرتغالي ، فقد جلبت السفن القهوة من أنجولا ، والتبغ من موزمبيق ، والتوابل من الهند والعبيد من الساحل الافريقي وهم يمثلون الطاقة والقوة والثراء ، وقد وصلت أول صفقة عبيد في التاريخ الى أراضي البرتغال في عام ١٤٤٤م على يد (جيل ايمانس) الذي أسرهم من الساحل الافريقي ، شمال نهر السنغال ، وكانت الصفقة مكونة من مائتي رجل وكانت أول عائد من رحلات الكشف التي سرعان ما منحت الرحلات رضا كل المجتمع وحماسه وترقبه لعائداتها

لكن ماذا حققت البرتغال من هذه الرحلات ؟ وماذا استفادت منها ؟ الاجابة يقدمها كتيب علمي لجمعية المؤرخين البرتغاليين تحت عنوان « نصف قرن على الكشوف الجغرافية » ويتناول بشكل علمي موضوعي حركة الكشوف بما لها وما عليها يقول الكتاب

« انطلقت رحلات البرتغاليين بجوار الساحل الغربي لافريقيا ، فعبرت لاول مرة في التاريخ النتوء الغربي الكبير لافريقيا ، واكتشفت السنغال وغينيا البرتغالية (غينيا بيساو الآن) وساحل الذهب (لكونه مصدرا للذهب) ، وكذا ساحل العاج ، والرأس الأخضر وبنين ، ومع حلول عام ١٤٦٠ كان ساحل افريقيا الغربية كله قد تم اكتشافه ، وبدأت قوافل التجارة تنتظم حاملة خيرات افريقيا الى شرايين الاقتصاد البرتغالي ، فاحتكرت البرتغال التجارة مع غينيا ، ورأس بالماس ، وبدأت تزدهر أسواق البرتغال بالحصراوات والحبوب والعاج والذهب والعبيد ، وفي عام ١٤٨٠ وصل دياجوكاو الى الكونغو ووضع هناك علامات حجرية عليها اشارة الصليب كعلامة لوصول أول مسيحي لهذه الأراضي ، ولم يكن الساحل الغربي لافريقيا ـ وعلى الرغم من ثرائه ـ هو هدف البرتغاليين ، وكان هدفهم الأعظم

عتبار هذه النقاط الافريقية بمثابة نقط تموين استراحة لسفنهم اثناء رحلتهم الى الهند ، والتي فتح طريق اليها بارثليموديياس باكتشافه رأس الرجاء صالح ، والتفافه حول افريقيا ، ووصوله الى وزمبيق على الساحل الشرقي لافريقيا في عام ١٤٨٨م ، وعندما حاول فاسكو دي جاما الوصول الى الهند مستثمرا اكتشاف دياس فانه ضل الطريق ووصل الى ممباسا وموزمبيق ثم انطلق دي جاما من شاطىء ماليندي (على ساحل كينيا الآن) في شهر ابريل ١٤٩٨ ، ليصل الى الساحل الجنوبي الغربي للهند في مايو من العام نفسه محققا بذلك الحلم الاسطوري لاوروبا ، وهو الوصول الى الهند ، حيث امبراطورية التجارة والخيول والتوابل والقطن ، وبدأ بذلك عصر جديد في تاريخ العالم

وانتظمت رحلات البرتغاليين ، ووصلوا موانىء سواكن وعدن ، ومع حلول عام ١٥٠٠ بدأت رحلات القوافل التجارية تتحول الى رحلات استعمارية ارتكب فيها البرتغاليون فظائع وأهوالا لا يتصورها احد ، واستقرت لهم مستعمرات في افريقيا والهند والبرازيل ، وانتبه العالم وقوى ذلك العصر لأهمية اكتشافات البرتغال ، فبدأ عصر المنافسة على المستعمرات ، فطرد الانجليز البرتغاليين من عدن والخليج العربي ، بعد أن استقروا فيها فترة قصيرة وتحولت هذه الرحلات من مجرد رحلات للكشف والبحث عن الثروة والعالم الجديد الى رحلات للاستيطان والاستقرار ونهب خيرات هذا العالم ، وساهمت هذه المستعمرات الجديدة في تنشيط اقتصاد البرتغال ، والخروج به من الأزمة التي واجهها في زمن الانتقال من عصر الاقطاع ، وضعف عائد الاراضي الى عصر التجارة ، وما استتبع ذلك من مفاهيم السيطرة على العالم بالقوة العسكرية ، ليبدأ عصر الامبراطوريات ، وعصر جديد في تاريخ العالم كله

متحف للتاريخ والجمال

على الرغم من أن لشبونة ـ عاصمة البلاد ـ تقع في الجزء الجنوبي الذي يعد من مناطق السهول قياسا الى ارتفاعات المناطق الشمالية من البلاد الا أن العاصمة نفسها أو الجزء القديم منها تحديدا ـ مبني على عدة تلال تحيط بنهر تاجو » الذي يقسم العاصمة الى نصفين ولقد كانت بلدية العاصمة صارمة في قرارها الصادر بالحفاظ على شكل الجزء القديم من المدينة كما هو ، فلم تمتد يد العبث الى المباني التقليدية بالتشويه ، أو الازالة ، ولذلك فالناظر للمدينة من الجو أو من فوق أي تل من التلال السبعة التي تحيط بها ، سيجد امامه امتدادا أحمر من القرميد الذي يظلل كل البيوت والمباني ، وقامات الشجر سامقة مما يعطي شكلا فاتنا خلابا للعاصمة

وعلى الرغم من صرامة النظم المتعلقة بالبناء ، فان الصورة لم تكتمل ، فالجزء القديم من لشبونة يضم أغلب المراكز الصناعية فيها « الميناء ـ وشركات بناء السفن ، ومصانع الاخشاب ، والورش ، ومراكز الاصلاح والملفت للنظر في لشبونة هذا العدد الكبير من التماثيل التي تزين شوارع العاصمة ، والحدائق ، ونافورات المياه ومما يضفي على المدينة احساسا فائقا بالتاريخ والعراقة ، خاصة أن كل مبانيها القديمة تمتاز بالفخامة وروعة التصميم وكثرة المتاحف في لشبونة تثير الاعجاب ، فكل قصر تاريخي او مبنى عريق يتحول الى متحف ، لضمان أكبر قدر ممكن من الصيانة والحفظ له ، وفي نفس الوقت تفتح ابوابه للجمهور للزيارة والتمتع به ، ولعل أشهر هذه المتاحف قلعة سان جورج المقامة على تل يحيط بالعاصمة ، وللقلعة حديقة تقع على مساحة ثلاثين فدانا وهي مفتوحة للجمهور ، ومحاطة بسياج ، ومقسمة من الداخل الى اركان وأرائك وخمائل ، وتتخللها عيون المياه الطبيعية ، والجمال المذهل في المباني القديمة والتاريخية هو هذا القدر الرائع من التفاصيل الدقيقة ، والنقوش والرسوم على القباب ،

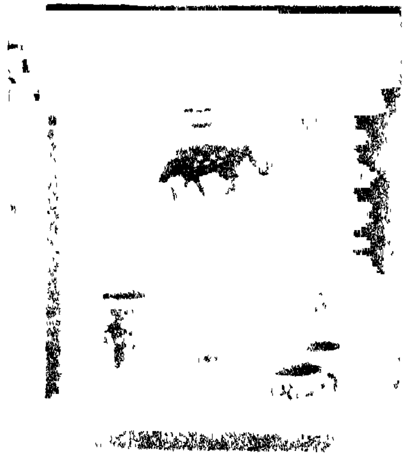

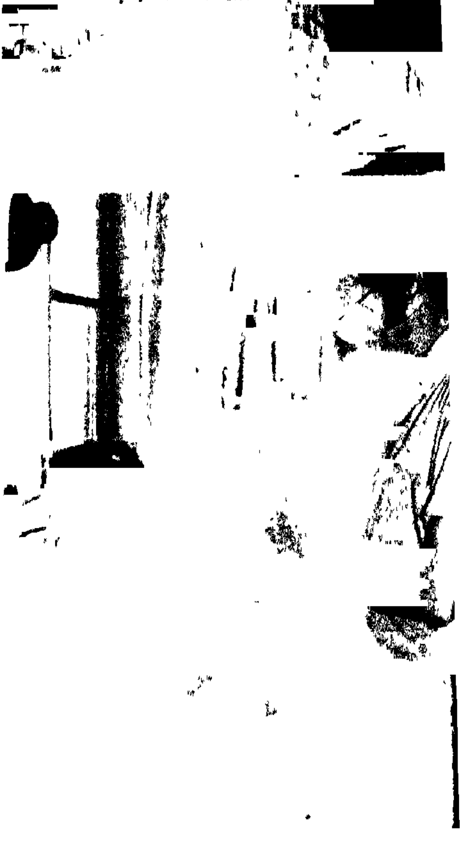

● الى اليمين قلعة سان جورج الشهيرة فوق أعلى قمة تل في لشبونة ، تشرف على العاصمة كلها ، محصنة تحصينا فائقا ، وهي واحدة من القلاع العديدة التي تنتشر في البرتغال والى اليسار صورة عامة لحي الفقراء ، فالبيوت من صفيح وأخشاب ، ثم معهد الصناعات التقليدية ، وهو معهد عائلي ، تتوارثه ثماني أسر ، تمارس هذه الصناعات وتحتكرها منذ زمن طويل

وفوق البوابات ، وعلى مداخل القصور ، وسقوف الغرف ، دقة وتفاصيل تسلب العقل ، وتبهر العين بجمالها وثرائها الزخرفي وبهائها الجميل

في مبنى من هذه المباني العريقة التقينا بالدكتور «سيرا براندو» رئيس جمعية المؤرخين البرتغاليين ، يقول د سيرا براندو:

البرتغال دولة من دول البحر المتوسط بثقافتها واكتشافاتها وانتمائها وحضارتها ، لكنها من دول الأطلنطي بحكم الجغرافيا ولقد استفادت البرتغال من انتمائها لحوض البحر المتوسط ، فتأثرت بالمد والحضارة العربية ، واستفادت من العلوم والمعارف العربية ، فتم تطوير الاسطرلاب الذي استخدمه العرب من قبل ، وكذلك كتابات العرب حول تحديد المركز المغناطيسي للأرض والرياح وحركة الأمواج ، لكن يهمني أن أوضح نقطة غائبة عن أذهان الكثيرين ، وهي أن الاكتشافات كانت سابقة على المستعمرات ، واننا بعد مائتي سنة منها بدأنا المستعمرات ، وصحيح اننا أول بلد شحن صفقة عبيد من أفريقيا ، ولكننا في نفس الوقت أول بلد في التاريخ اتخذ قانونا لمنع تجارة العبيد ، وذلك في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر

ويستكمل الدكتور « سيرا براندو » حديثه قائلا تسألني عن البرتغال الآن في تقديري أن البرتغال تعيش الآن لحظة تاريخية في حياتها فثورة ١٩٧٤ تميزت بأربعة أشياء هي نهاية عصر المستعمرات والديمقراطية ، والحرية ، أخيرا حركة التأميمات ، وفي تقديري الآن في عام ١٩٨٧ وبعد ثلاثة عشر عاما ، فإن هناك أربع قضايا رئيسية لابد من مواجهتها ، وهذه القضايا هي تنظيم الاقتصاد ، وتدعيم الاستقرار ، ومعالجة التضخم واخيرا مواجهة سوء الادارة المتفشي في الجهاز الاداري للدولة والحكومة ، ونحن الآن حتى بعد السنوات الطويلة ـ في نهاية دورة الثورة ، فقد فعلت الثورة كل ما يمكن أن تفعله ، ولا يمكن لأي وطن أن يستمر في حالة ثورة ، لابد من استقرار الدولة وأدائها ، فالثورة تغيير خطوط عامة ، وتوجهات واتجاهات . وأداء هذا وتنفيذه هو دور مؤسسات الدولة التي تحقق ما قامت الثورة من أجله

الضفة الأخرى من النهر

قلنا ان نهر تاجو « يقسم العاصمة لشبونة الى قسمين ، المدينة القديمة بآثارها وبواباتها ومبانيها ومتاحفها وشوارعها الضيقة ، ومطاعمها التقليدية ، والمدينة الحديثة بمبانيها الحديثة ، وشوارعها المتسعة ومجمعاتها السكنية والادارية ، والانتقال عبر النهر يتم بواسطة « عبارات نهرية » ينتظم سيرها بين ضفتي النهر طوال اليوم ، بمعدل عبارة كل خمس دقائق ، وبجانب العبارات هناك جسر ، مقام على طول النهر ، شاهق الارتفاع ، يربط بين ضفتي النهر ، ويصفي جمالا على شكل النهر ، خاصة وانه ينتهي عند أسوار المدينة القديمة ، فالناظر الى النهر والجسر سيرى الجسر معلقا في الهواء فوق النهر ، وتنتهي أطرافه فوق أسوار المدينة القديمة ، فيبدو المنظر العام كلوحة تشكيلية رائعة

ذهبنا الى جمعية الصناعة ورجال الأعمال ، وأمام السيدة ناتفيا سيثر نائبة رئيس الجمعية ، ومسئولة العلاقات الخارجية ، ألقينا بتساؤلات عن أوضاع الصناعة ومشكلاتها في البرتغال ، فقالت السيدة ناتفيا « تضم الجمعية في عضويتها ١٨٠٠ مؤسسة واتحاد ، والعضوية في الجمعية للمؤسسات الفردية . ذات الملكية الخاصة ، وذات الملكية العامة ، وهي التي تشترك فيها الحكومة بنسبة ٥٠ / بالمائة أو أكثر ، والوضع الحالي للصناعة يسير بخطا جيدة على الرغم من أننا عقب الثورة كنا نعاني من عدة مشاكل ، تركت آثارها السلبية السيئة على الاقتصاد ، لكن في خلال العشر سنوات الماضية بدأ الاقتصاد يجتاز المراحل الحرجة الأمر الذي انعكس بالتالي على الصناعة ، وكانت مشاكلنا الرئيسية تتمثل في معدل تضخم مرتفع ، ووصل الى أقصى مدى حتى تجاوز نسبة ٣٠/ ونسبة بطالة عالية ، وضعف معدل النمو

في الناتج القومى ، وميزان مدفوعات يعانى من الحرج ، وديون عالية ، كل هذه ارتباطات كان يواجهها الوضع الاقتصادى ككل ولا تستطيع بالطبع أن تفصل دور الصناعة كأحد أسباب هذا التدهور ولا تأثرها ثانية به ، لقد كان الأمر أشبه ما يكون بدائرة خبيثة

والصناعات القائمة حاليا لدينا في البرتغال هى الصناعات التقليدية والتى نتفوق فيها بحكم طول الممارسة ، وأعنى بها صناعة النسيج ، وصناعة الجلود والأحذية ، وصناعة الملابس والنبيذ ، وتعليب الفواكه والخضراوات وصناعة بناء السفن ، والاسمنت ، ومواد البناء ، واستخراج الفحم وتكريره ، وفي السنوات الخمس الأخيرة بدأنا الاهتمام بصناعات أخرى ، مثل البتروكيماويات والآلات الكهربائية ، ومواد الاتصالات ، والمواد الكهربائية (مصابيح وأسلاك الخ)

لكن المشكلة الحرجة لنا هى اعتمادنا على الاستيراد في عدد من المواد الحيوية ، فعلى سبيل المثال تمثل مصادر الطاقة وتحديدا النفط ٣٣٪ من اجمالى حجم الواردات ، بينما تمثل المنتجات الزراعية ٢٠٪ من اجمالى الواردات

وفي المقابل نصدر النسيج والملابس والفحم والأحذية والخشب ومنتجاته وعربات القطارات والسفن وعربات الشحن البرية والحاويات والرافعات المستخدمة في البناء

وتطرح مشكلات اخرى يواجهها الاقتصاد البرتغالي « تقول وعلى الرغم من التطور الذي بدأ الاقتصاد يشهده إلا أن هناك أزمات حقيقية نواجهها ، وأتصور أن الحكومة الجديدة لابد أن تواجهها وتضعها على جدول أولوياتها ، فمثلا نعانى هنا من انتشار الرشوة والفساد الادارى ، ومتاهات البيروقراطية،وهل يتصور أحد أن يستغرق تمرير ورقة داخل الجهاز الادارى فترة تمتد ستة أشهر ؟

أسألها عن الصبية المتسولين ، والباعة الذين يتقافزون حول السائرين بالسلع المزيفة وهذا الكم من باعة الأرصفة ورسامى اللوحات وعازفى الموسيقا تقول ناتفيا :ـ

هذا هو مانسميه بالاقتصاد الأسود ، ونعنى به انتشار الأعمال الهامشية والخدمية بشكل غير قانونى ، فهى خارج النهر العام اللااقتصاد ، أى خارج السيطرة والتفاعل ، فهى لا تسدد عنها ضرائب والعاملون بها خارج نطاق نظام التأمينات الاجتماعية .

ولكى تكتمل عناصر الصورة ، ونستطيع أن نقدر حجم المتاعب التى تأخذ بخناق الاقتصاد البرتغالى ، فان البرتغال ـ وكما يقول التقرير السنوى الجديد للبنك الدولى عن التنمية والذى صدر منذ أربعة أشهر فقط:قد بلغ اجمالى الناتج المحلى فيها في العام الماضى (١٩٨٦) ٤ مليارات دولار ونصف مليار يبتلع الانفاق العسكرى منه ٧٪ ، وتبلغ الديون الخارجية ١٦,٧٪ مليار دولار ، ويقدر عدد العاطلين عن العمل بـ ٩,٦٪ من حجم قوة العمل ، أما التضخم فقد كان متوسط المعدل العام لسنوات (٨٠ ـ ٨٥) ٢٢,٧٪ ، ولكنه بدأ يميل للانخفاض ، ويقدر حاليا وحتى الربع الثالث عام ١٩٨٧ بـ ١٠,٦٪ ، ومعنى هذا أن الأسعار تنمو بهذا المعدل سنويا

وعلى الرغم من هذه المتاعب فإن الميزان التجارى (الفارق بين الواردات والصادرات) يشهد عجزا قدره ٢,٢ مليار دولار ولكن ما يخفف منه أن هناك مليارا ونصف مليار عائدات ، تمثل عائدات السياحة وملياران ونصف مليار تمثل تحويلات العاملين في الخارج ، ويصبح الحساب الاجمالى بهذه الصورة متوازنا مع عجز الميزان التجارى ، بل محققا لنتائج ايجابية مقدارها ١,٨ مليار دولار

حزام الكروم والزيتون

تشكل البرتغال مع اسبانيا واليونان ما يطلق عليه اساتذة الجغرافيا الاقتصادية اسم حزام الكروم والزيتون الذى يحيط بأوروبا وتشترك هذه البلدان في أنها منتجة رئيسية لهاتين السلعتين مع ما يشتق منهما

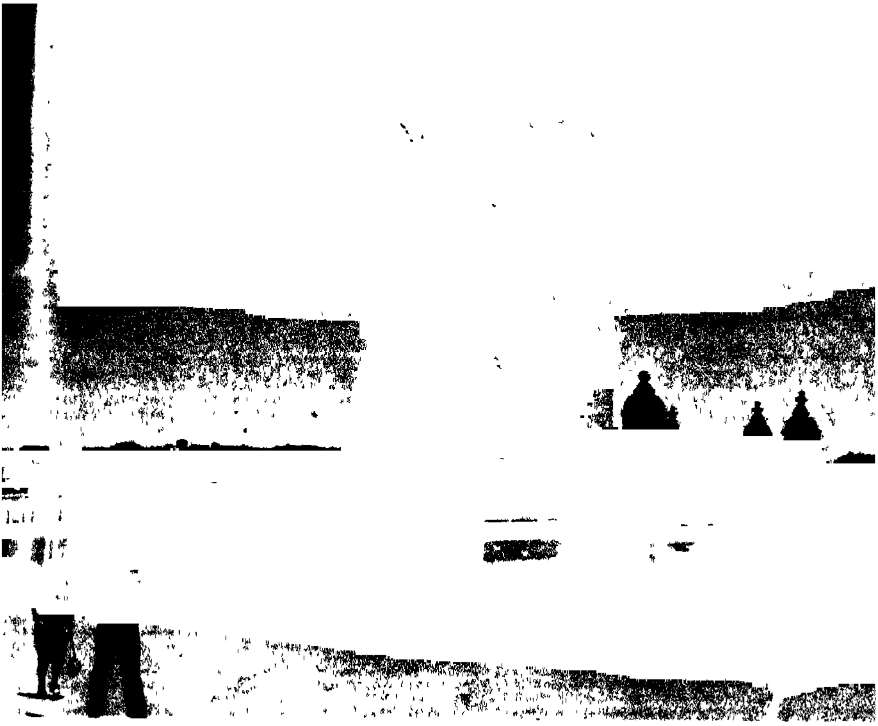

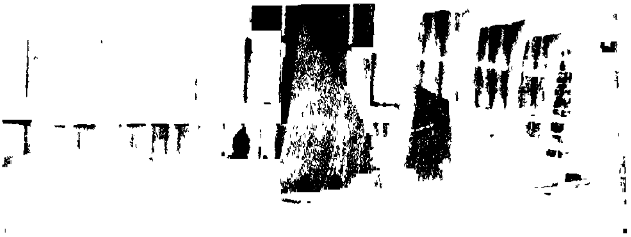

● متحف للتاريخ

استطاع زائر عاصمة البرتغال ، إلى أقصى اليمين قلعة سنت في نفس الموقع الذي انطلق منه فاسكو دي جاما ، وإلى أسفل مبنى متحف المركبات الملكية الذي بيع تقدير نفس ما فيه من تحف ، مركبات وأدوات ، هناك ١٢٠ مليون دولار ، وإلى اليسار من أعلى صورة لمركب النزهة الملكي ، وفي الوسط مركبة صنعت خصيصا للبابا كليمت السابع عند زيارته للبرتغال ، والمركبة تحفة فنية نادرة ، فعلى عجلاتها الخلفية وفي الخلف مشهد كامل للجنة والجحيم ، مستوحى من أعمال دانتي ، وإلى أسفل مبنى جديد وسط المدينة ، يبرز بناؤه بطراز البناء السائد ، سقف مائلة ، مكسوة بالقرميد تتناسق مع أسقف المدينة القديمة كلها ، حيث القرميد وخضرة الشجر وأسوار تنطق بالتاريخ

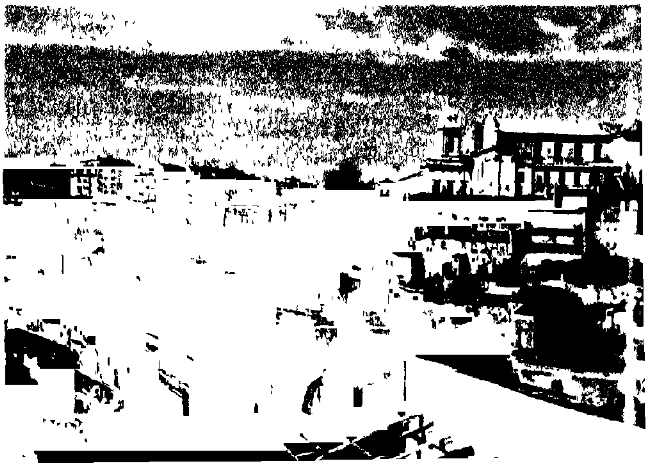

من صناعات وكان لانضمام البرتغال واسبانيا قبل عامين فقط الى السوق الاوروبية المشتركة تأثير مباشر على اقتصاديات بلدان المغرب العربي (تونس ، والجزائر ، والمغرب) فبلدان المغرب العربي تنتج أيضا ، الكروم والزيتون ، وكانت تعتمد في تنشيط اقتصادياتها على عائد تصدير هاتين السلعتين الى أسواق أوروبا وبخاصة فرنسا وايطاليا ، وكانت معامل النبيذ في المنطقة الجنوبية من أوروبا تعتمد على وارادات الكروم من المغرب العربي ، نظرا للقرب الشديد ، ورخص تكلفة النقل البحرى الذي يتم عبر المتوسط ، والذى في كثير من الأحيان كان أقرب مسافة مما بين شمال بعض البلدان الأوروبية وجنوبها

لكن قوانين السوق الأوروبية تحظر على الدول الأعضاء استيراد سلعة ما يمكن توفيرها من داخل السوق ، وبالاضافة الى هذا الحظر فإن هناك رسوما ضريبية ، تفرض على السلع التى تستورد من خارج السوق ، لكى تظل سلع الدول الأعضاء دائما أرخص ثمنا من أى سلعة مشابهة مستوردة

وقد كانت البرتغال مثلا تشترى قبل انضمامها للسوق البتروكيماويات من المملكة العربية السعودية والكويت ، ولكنها الآن مضطرة لشراء منتجات البتروكيماويات من داخل دول السوق وفق النظم المعمول بها

وهكذا نجد ان البرتغال بانضمامها الى السوق قد أثرت على اقتصاديات عدد من البلدان العربية ، وتختلف قوة هذا التأثير من قطر عربي الى قطر آخر ، فمما لا شك فيه أن تأثر بلدان المغرب العربي أشد لكون الكروم والزيتون سلعا تصديرية رئيسية وأوروبا مشتر رئيسى .

وتعود جذور العلاقات البرتغالية العربية الى أكثر من خمسة قرون ، فبداية حركة الاكتشافات قد تأثرت بالعلوم والمعارف العربية ، والبرتغاليون عندما عبروا رأس الرجاء الصالح ، وسارت مراكبهم بجوار الساحل الشرقي لافريقيا وجدوا انهم يبحرون في مناطق سيطرة عربية لذلك ولكسر امبراطورية التجارة العربية المزدهرة في ذلك الوقت لجأ البرتغاليون الى الحل العسكرى خاصة انهم قد أدركوا أهمية موقع البلدان العربية المطلة على الخليج العربي ، وان هذا الموقع هو مفتاح الطريق الى الهند ، وبالفعل فقد احتل البرتغاليون البحرين في عام ١٥٨٢ تقريبا ، ومكثوا فيها أربعين عاما ، الى ان طردهم اليعاربة عام ١٦٢٢م ، واحتل البرتغاليون مسقط في عام ١٥٠٦م باعتبارها ميناء بحريا هاما عند بوابة الخليج ، وتسيطر على خطوط التجارة مع افريقيا (زنجبار وممباسا) ، لكن الاتراك استولوا عليها عام ١٥٥٠ م ثم استردها البرتغاليون عام ١٥٥٣ م وفرضوا سيطرتهم على الخليج العربي كله ، وليكونوا بذلك أول مستعمر أوروبى لهذه المنطقة العربية ، وأول من ادرك اهميتها الاستراتيجية ، فضلا عن ثرائها الهائل في ذلك الوقت من عائدات التجارة مع افريقيا والهند ، الأمر الذى يدفع كثيرا من الباحثين الى القول بأن هذا العصر كان عصر الازدهار الذهبى التجارى للخليج العربي ، لكن العمانيين قادوا حملة مقاومة شديدة ضد الاستعمار البرتغالى ، وخاصة ان البرتغاليين قد سيطروا تماما على التجارة في الخليج كله وبعد معارك شديدة تمكن الامام سلطان بن سيف من اجلاء البرتغاليين من الخليج بل تعقبهم حتى سواحل الهند وافريقيا الشرقية ، ليقطع أثر البرتغاليين من الخليج الذى أصبح بعد ذلك الوقت محط اهتمام قوى ذلك العصر الاستعمارية (الهولنديون والاتراك والبريطانيون) .

وما فشلت فيه البرتغال بالعسكر والسياسة ، عادت بعده بأكثر من ٥٠٠ عام لتمد يد التعاون بينها وبين دول الخليج في اطار من احترام السيادة والحرية والتعاون المثمر بين الطرفين فشاركت البرتغال في مشروع انشاء الحوض الجاف بالبحرين وتولت مهمة امداده بالقطع الفنية وتشارك حالياً في مشروع انشاء حوض جاف بميناء جده وتربطها علاقات تجارية مع

عظم أقطار الوطن العربي ، فقد كانت تستورد وسفانا وقطنا ونفطا من الأقطار العربية ، وتصدر يها المنتجات الخشبية والفلين ومواد البناء والمنتجات لمعدنية ومعدات التجهيز والسفن والمراكب لصغيرة ويبلغ اجمالي حجم التجارة العربية والبرتغالية اليوم حوالي ٤٠٠ مليون دولار سنويا .

ويقول السيد علاوى كريم أبو عبدالله أمين عام الغرفة ان هناك آفاقا مثمرة ممكنة للتعاون ، ولعل ابرزها هو امكانية قيام شركات مشتركة ويستطيع رأس المال العربى ان يستفيد من رخص الأيدى العاملة في البرتغال ويضمن لمنتجه سوقا واسعة هى كل الأسواق الأوروبية التى سوف تعامل هذه المنتجات على انها منتجات برتغالية ، وفي نفس الوقت فان الوطن العربى يمكن ان يستفيد من البرتغال بالتقنية الحديثة والمتوسطة والتى تلائم ظروف الوطن العربى السكانية ، وخصوصية تركيبة القوى العاملة فيه

منتجع للهدوء

وتعد البرتغال من الأماكن الأكثر ازدحاما بالسياحة الأمريكية والأوروبية ، وذلك لرخص اسعارها فالمائة دولار تساوى ١٤ ألف سكودا ، ويستطيع اثنان ان يتناولا وجبة طعام فاخرة في مطعم راق بما يعادل ٢٠ ـ ٣٠ دولارا تقريبا وتعد جزر الأزور وارخبيل ماديرا من الأماكن الأكثر جمالا وسط سواحل أوروبا ، ولذلك فالسفر اليها والاقامة فيها لابد ان تكون بحجز مسبق وعندما حاولنا ان نذهب الى جزر الأزور مدة يوم واحد فوجئنا بأن رحلات الطيران لمدة خمسين يوما تالية محجوزة ، سواء للازور أو لماديرا ، ولأن السكان غير ودودين وليست لديهم رغبة في الاختلاط بالبشر ، فان هذا وان كان في نظر بعضهم عيبا ، إلا انه بالنسبة لكثرة السائحين ميزة ، فالسائح دوما يبحث عن مكان جميل هادىء لا يزعجه فيه أحد ، ولا يتطفل عليه احد ، وفوق ذلك كله رخيص ، ومن الواضح ان هذه الشروط كلها تتوافر في البرتغال ، فالسائح الذى يبحث عن التاريخ والآثار سوف يجد أكثر من ضالته ، فالبرتغال كلها متحف حى للتاريخ ، والفن وآثارها شيدت وقت أن كانت البلاد امبراطورية مزدهرة غنية ، مما جعل آثارها تعبيرا عن هذا الازدهار فنيا وجماليا ، وهذه التحف الموجودة التى لا يمكن ان يوجد لها نظير الا في بلاد الاباطرة والمجد ، ففي متحف المركبات الملكية مازالت هناك المركبة التى صنعت لقداسة بابا روما كليمنت التاسع عندما زار لشبونة عام ١٧١٦م ، والعربة قطعة فنية نادرة فالعجلات مزخرفة بنقوش فنية ، وظهر العربة محفور عليه بالخشب البارز مشهد فنى رائع ، يصور الجنة والجحيم ، في عمل فنى مذهل في دقته وروعته وجماله ، والقصور القديمة التى مازال بعضها مستخدما الى اليوم تشى مبانيها واثاثها بالعظمة والمجد

ولعل هذا الشاهد الحى على المجد القديم هو الذى أورث الناس كل هذا الحزن على الماضى الذى ذهب ، والحاضر الصعب ، فقديمًا كانت هذه البلاد تصنع التاريخ ، وتجبى الذهب من مستعمراتها التى نهبتها ولم تتخل عنها إلا في السبعينيات ، لتكون بذلك آخر دولة في التاريخ تجلو عن المستعمرات ، وقد عانى اقتصادها عندما خسرت ما كانت تنهبه من منتجات هذه المستعمرات بثمن أقل من السعر العالمى ، وعانت مرة ثانية عندما عاد المستوطنون الى الوطن يبحثون عن عمل وظروف حياة ، كانت هذه البلاد امبراطورية ومملكة ، يبدأ منها الحديث عن تاريخ العالم فأصبحت الآن وطنا تتناوشه الهموم ، وتنحسر عنه شمس المجد ، وتبحث لنفسها عن مكان جديد ، وظروف أفضل

لم يبق من التاريخ إلا ذكرى ومشاهد متحفية وجهامة على وجوه الناس □

• رسم من كتاب (الأغاني) للأصفهاني

في المخطوطات العربيّة

بقلم : محمود شكر الجبوري*

• كلية الفنون الجميلة - جامعة بغداد

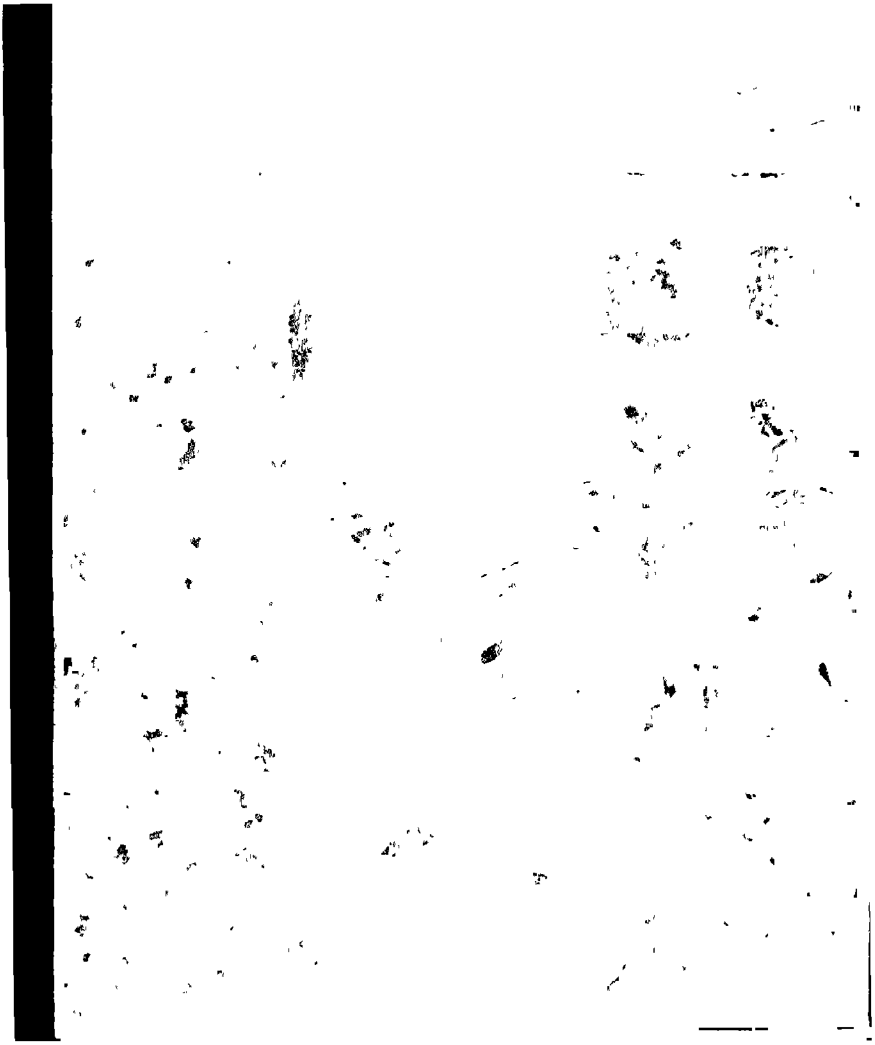

* رسم لقصة السلطان والدرويش (كليلة ودمنة)

يرى بعض الدارسين للحضارة العربية الإسلامية أنها لم تعن بالابداعات الفنية عنايتها بالجوانب العلمية والأدبية ، لكن الآثار المعمارية والتصويرية والمخطوطات التي تزخر بها الأقطار العربية تشهد بغير ذلك

وفنون صناعة الكتاب التي برز فيها الفنانون العرب دون غيرهم تؤكد أصالتهم ، وقدرتهم على الابتكار والابداع

لقد ألف العرب في الجاهلية بعض الفنون ، كفن الشعر والخطابة ، لأنها أقرب الى طبيعة حياتهم الاجتماعية ، وكانت ألفتهم لغيرها أقل من ذلك

لكن بعد امتزاج العرب بسكان البلاد التي وصلتها الفتوحات الاسلامية في القرن السابع الميلادي ، ازدهرت أغلب الفنون بمجالاتها المتعددة ، وكان « فنا البناء والزخرفة » في مقدمة ما ازدهر منها ، أما الرسم فقد تأخر تطوره كفن قائم بذاته ، حتى القرن السابع للهجرة « الثالث عشر الميلادي »

ومازال المعلومات التاريخية قليلة عن التصوير الاسلامي في عصوره الأولى ، لكننا نستطيع - على الأقل - أن نتصور مدى الرونق والبهاء في النمائش الحائطية التي حوتها الآثار المكتشفة في سوريا والعراق ومصر وغيرها من العصر الأموي وبداية العصر العباسي

والآثار الفنية الباقية تشهد للمصورين العرب بالقدرة على الابتكار ، وبالمهارة في التصميم ، وبقوة التعبير ، ودقة الوصف ، والخصوبة والمقدرة على التنويع حيث تعددت مجالات ابداعاتهم في التصوير في الموضوع والمادة والأسلوب ، فصوروا على جدران القصور والأبنية بالألوان المختلفة ، وعلى الأطباق والأواني ، والقناني والبلاطات الخزفية ، وصوروا كذلك على الجلد والخشب ، والورق ، وحفروا الصور والرسوم على المعادن ، والخشب والعاج ، وتفننوا في التصوير بالفسيفساء ، والصور المائية على الجص « الفريسكو » ولعل أقدم لوحات التصوير الاسلامي التي مازالت محتفظة برونقها حتى اليوم تلك التي شيدت على الجدران الداخلية لقبة الصخرة بمدينة القدس ، وكذلك صور الجامع الأموي بدمشق ، وقصور العباسيين في بغداد وسامراء ، وقصور الفاطميين الباقية حتى الآن في مصر

الصور في المخطوطات

لقد كانت الكتب والمخطوطات من المجالات المستحدثة التي برع المصورون العرب في تحليتها بالخطوط والصور التي تظهر معانيها ، فقد انتعشت فنون صناعة الكتاب في العصور الاسلامية ، نتيجة اهتمام الحكام المسلمين والحاشية المحيطة بهم في عمل مصاحف جميلة لهم ، فاستعانوا بأبرع الخطاطين لكتابتها ، وأمهر المذهبين لزخرفتها ، وكان من نتيجة هذا الاقبال على اقتناء الكتب والمخطوطات أ تطورت صناعة التجليد عند المسلمين ، وظهر ها شكل مميز ، منذ القرن السابع الهجري

ومن الطبيعي أن تكون المصاحف أول الميادين التي عمل فيها الخطاطون والمذهبون ، وقد كانت العناية الفائقة بالخط سببا في تطوره ، على يد خطاطين فنانين ، تفننوا في تجميل حروفه ، حـ انفرد الفن الاسلامي بين فنون العالم أجمع ساحـ والزخرفة اللذين استعملا على أوسع نطاق وفي جميع المنتجات

وتشتمل (فنون الكتاب) على فروع الفن التي تساهم في اخراج الكتاب الجميل وهي

الخط والتذهيب والتلوين كانت الصفحات أوسع مجالا للصور ، ففي القرن السابع الهجري أولع الناس في العراق بالتصوير في الكتب ، لتمثيل بعض قصصها ، ولم يقتصر التفنن على تجميل المصاحف وزخرفتها فقط ، بل (حفظ العرب في كتبهم تاريخا مجيدا لصناعة التصوير الملونة)

وقد استعيض عن الرقاق التي كانت مستعملة حتى ذلك الحين بالورق الذي أدخلت صناعته في سمرقند أول الأمر ، على غرار صناعة الورق الصيني ، ثم لم تلبث صناعته أن انتشرت

وقد حظيت بعض المخطوطات بعناية أصحابها ، إذ لم يقتصر الأمر بهم على حرصهم على الحصول على مخطوطات جيدة الخط ، بل عهدوا بها الى عـ

لخطاطين من الفنانين المسلمين ، وذلك لزخرفة صفحاتها بالرسوم ، أو تزيينها بالصور . وزخرفة لمخطوطات بالرسوم الجميلة بديعة الألوان اصطلح على تسميتها بالتذهيب لكثرة الذهب بين ألوانها ، وتعد من أهم الميادين الفنية الاسلامية ، هي توافق الميول الفنية الاسلامية ، من حيث استخدام الرسوم المسطحة ، ذات البعدين ، وبعبارة أخرى الرسوم غير المجسّمة

ونستطيع استجلاء جمالية الفن العربي بصورة واضحة من خلال المنمنمات ، والصور الايضاحية التي بقيت في المخطوطات العربية ، المحفوظة في المتاحف العالمية

مدرسة بغداد في التصوير

وتعتبر مدرسة بغداد المدرسة الأولى في تصوير الصور المصغرة (المنمنمات) في الاسلام التي ظهرت بشكلها العام ، ولقد تعددت تسميات هذه المدرسة في الكتب مثل المدرسة (الميزوبوتامية) ، أي مدرسة بلاد الجزيرة أو ما بين النهرين ، والمدرسة العباسية ، وكذلك المدرسة السلجوقية ، وينسب الى هذه المدرسة ما رقمه الفنانون في صور مصغرة في المخطوطات الاسلامية التي يرجع عهدها الى خلافة العباسيين

ولقد تركت مدرسة بغداد إرثا ضخما في التصوير ، أهمه فيما بين القرن السادس والقرن الثامن الهجريين - الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين - في رسوم المخطوطات التي يأتي في مقدمتها العمل الفذ الذي أتمه بإبداع (يحيى بن محمود بن يحيى الواسطي) في مخطوطة (مقامات الحريري)

وتعتبر هذه المدرسة أحد الفروع الرئيسية للمدرسة العربية التي تعتبر أولى مدارس تصوير المخطوطات في الاسلام ، والتي انتشر تأثيرها الى كل أقطار الدولة الاسلامية المترامية الأطراف حينذاك .

وكانت أقدم المخطوطات الاسلامية المصوّرة بعض ما ترجم وألف في الطب والعلوم والحيل الميكانيكية ، وأشهرها كتاب (الحيل الجامع بين العلم والعمل) للجزري ، ثم كتاب (عجائب المخلوقات) للقزويني ولقيت الكتب الأدبية حظا وافرا من العناية ، خاصة كتاب (كليلة ودمنة) ، و (مقامات الحريري) ، وكان وجود الصور في كل هذه الكتب إيضاحا للمتن وشرحا له

ويمكن القول أن أغلب المخطوطات العربية المصورة في القرن الثالث عشر إنما هي ترجمات للقصص التي كتبها الشاعر الهندي بيدبا ، ولمؤلفات يونانية في علوم النبات والحيوان والطبيعة والطب

ومن أقدم المخطوطات التي ترجع الى المدرسة العراقية كتاب في البيطرة ، كتب في بغداد سنة (٦٠٥ هـ) - (١٢٠٩م) ، وهو محفوظ بدار الكتب المصرية في القاهرة

تمتاز المدرسة العراقية في التصوير الاسلامي بأنها عربية ، فالأشخاص في منتجاتها تلوح عليهم مسحة سامية ظاهرة ، وتغطي وجوههم لحى سوداء فوقها أنوف قنواء وكثيرا ما نرى في الصور المرسومة في المقامات دقة التعبير والمهارة في تصوير الجموع ، وأكاليل النور ، والملابس المزركشة وغيرها

وكان المصورون في تلك المدرسة يميلون الى استخدام الألوان البراقة الخاطفة ، ولعلهم يقصدون جذب الأنظار ، ثم التعويض عما فاتهم من قصور في التجسيم والمساحة والمسافة ، وتمتاز صور هذه المدرسة بالبساطة في الرسم والتكوين الايقاعي الذي يعتمد على الحساسية في توزيع العناصر ، وما تشتمل عليه من خطوط وكتل

المخطوطات المزوقة بالتصاوير

تنقسم التصاوير في المخطوطات الاسلامية الى نوعين أساسيين .

النوع الأول . يشمل التصاوير التي توضح نصوص الكتب العلمية ، وتشمل كثيرا من الكتب العلمية - بحكم موضوعاتها - على تصاوير علمية

---

* [illegible]

بحتة ، لاتدع مجالا للابداع الفني ، وقد لا تحتوي على رسوم آدمية أو حيوانية ، مثل كتب النبات والجغرافية والهندسة

النوع الثاني يشمل التصاوير التي تروق الكتب الأدبية ، ويبرز الطابع الفني فيها أكثر ظهورا وتميزا ، ذلك أن المصور لم يكن يعنى في هذه التصاوير بتوضيح النص بقدر عنايته برسم صورة جميلة ، تتجلى فيها مهارته ، ومن ثم كان يضيف الى القيمة الأدبية قيمة فنية أخرى

غير أن كتبا علمية أخرى ، تضم تصاوير ، يمكن أن تدخل ضمن الاطار الفني ، الى جانب أهميتها العلمية ، وربما يرجع ذلك الى اشتمالها على رسوم آدمية وحيوانية وقد عني مؤرخو الفن ببحثها من الوجهة الفنية البحتة ، فدرسوا أساليبها ، وقسموها حسب طرزها الى مدارس التصوير المختلفة ومن أشهر الكتب المزوقة بالتصاوير كتاب « الحيل الجامع بين العلم والعمل » لابن الرزاز الجزري

ولم يقتصر ترويق المخطوطات الاسلامية في العصور الوسطى على المخطوطات العلمية والأدبية ، بل امتد الى المؤلفات التاريخية والدينية أيضا وقد أتاحت الموضوعات التاريخية للمصورين فرصة الابتكار والتنويع ، والمزج بين الواقع والخيال في أساليبهم . ومن أهم الكتب التاريخية التي عني المصورون بتزويقها كتاب « جامع التواريخ » الذي ألفه الوزير رشيد الدين وهذا المخطوط محفوظ في مكتبة جامعة ادنبرة

ومن الكتب التي حظيت بعناية المصورين المسلمين كتاب (الآثار الباقية عن القرون الخالية) للبيروني ، ومما يتضمنه الكتاب تأريخ الأديان وهذا المخطوط محفوظ في جامعة ادنبرة ، قام بنسخه ابن القطبي سنة (٧٠٧ هـ - ١٣٠٧م)

نماذج من المخطوطات المصورة

تتألف مدرسة بغداد من عدة مخطوطات مصورة ، تحتوى على الصور المصغرة (المنمنمات) ، و أنجزت هذه المخطوطات في القرن (١٣) الميلادي أنحاء متفرقة من العراق وسوريا ومصر ، وهي موزعة بين المكتبات في القاهرة ، واستانبو وباريس ،ولينينغراد ، وفينا ، وغيرها

كتاب « كليلة ودمنة » لابن المقفع

وهو الترجمة العربية لمجموعة من القصص تدور حول الحيوان ، وترد على لسانه وهي حكايات هندية تعزى الى الحكيم الذي يعرف باسم (بيدبا) ، ترجمها عبد الله بن المقفع في أيام الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور حوالي سنة (١٣٣هـ - ٧٥٠م)

انتشر كتاب ابن المقفع في ديار الاسلام وكان المترجم يهدف في البداية الى جعله مصورا وقد أقبل المصورون على ترويق مخطوطاته إقبالا عظيما وهذا المخطوط محفوظ في المكتبة الأهلية بباريس ، ويضم ٩٨ تصويرة ، بينها ست تصويرات أضيفت في عهد متأخر ومن الكتب الأدبية التي زوقت بالتصاوير كتاب (الأغاني) لأبي فرج الأصفهاني ، وقد عثر على أجزاء من نسخة مخطوطة منه ، تشتمل على تصاوير ، وقد كتب هذه النسخة محمد بن أبي طالب البدري سنة ٦١٤هـ (١٢١٧ - ١٢١٨م) ، وهي تقع في عشرين جزءا ، لم يبق منها إلا ثلاثة عشر جزءا متتالية ، أربعة منها محفوظة في دار الكتب المصرية بالقاهرة وتسعة في المكتبة الأهلية في استانبول . وقد عثر في بعض هذه الأجزاء على تصاوير تؤلف كل منها غرة أحد أجزاء الكتاب

وتوجد هذه التصاوير في الجزء الرابع ، والحادي عشر في القاهرة ، وفي الجزأين السابع عشر والتاسع عشر في استانبول

وتمتاز لوحات هذا المخطوط بنزعتها الزخرفية التي تبدو واضحة في نقوش ملابس الأشخاص ، كما أنها ذات علاقة برسوم المصنوعات النحاسية ونقوشها

التي ترعرعت في الموصل ، خاصة في أيام بدر الدين لؤلؤ ولعل بعض الصور تمثله وهو في مجلسه

وبالاضافة الى ذلك يوجد في برلين مخطوط مزوق آخر من كتاب (الأغاني) ، يرجع الى سنة (١٢٣٠م) ، كما توجد ترجمة فارسية للكتاب نفسه تزوقها التصاوير ، وترجع الى سنة (١٢٥٠م)

مخطوطات علمية وطبية

ومن المخطوطات العلمية التي عني بتصويرها وتزويقها الفنانون العرب كتاب (الترياق) لجالينوس ، ويحتوى هذا المخطوط على (جوامع المقالة) الأولى من كتاب جالينوس في المعجونات التي ذكر منها معجون الدرياق ، خاصة بتفسير يحيى النحوي الاسكندراني وقد كتب هذا المخطوط محمد بن عبد الواحد بن الحسن بن أحمد ، في ربيع الأول سنة (٥٩٥هـ - ١١٦٩م) ، ويشتمل المخطوط على ثلاث عشرة صفحة مصورة ، لأشكال النبات ، وجدولا لرسوم الحيات ، بالاضافة الى مجموعة صور تمثل مشاهير الأطباء الأقدمين ، وكل منهم في غرفته ، يطالع ، أو يحاور تلاميذه ويعد هذا المخطوط من الكتب العلمية أو الشبيهة بالعلمية ، وأهم نسخة محفوظة في المكتبة الأهلية في باريس ، وقد اكتشفه الأستاذ الدكتور بشر فارس

وهناك مخطوط آخر لهذا الكتاب موجود في فينا ، إلا أنه لا يوازي مخطوط باريس من حيث اتقان التخطيط والتلوين وقوة التعبير

وكتاب (البيطرة) وهو مختصر رسالة ، لأحمد بن حسن بن الأحنف ، ويضم هذا المخطوط (١٤٨) ورقة ، وفي نهايته أنه قد كتب في بغداد على يد علي بن هبة الله ، في آخر شهر رمضان سنة (٦٠٥هـ - ١٢٠٩م) ، وتمثل تصاوير هذا المخطوط المرحلة الأولى من مراحل المدرسة العربية

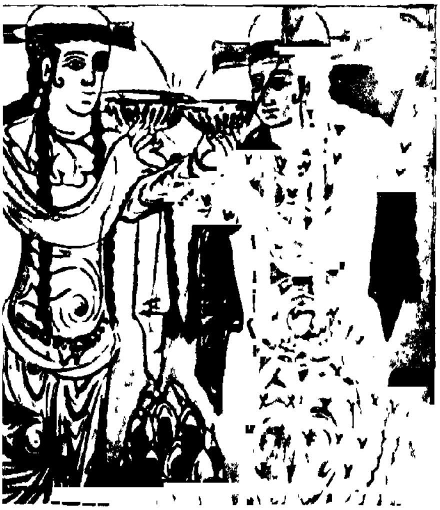

* الراقصتان في قصر الجوسق - سامراء - العراق

يقول (ايتنكهاوزن) إن هذا المخطوط نتاج عربي اسلامي جيد ، أهميته فنية ، تظهر ملامحها بصورة واضحة في هذه الآثار التصويرية

وفي الصفحتين الثانية والثالثة المتقابلتين في هذا الكتاب رسوم هندسية ، تتألف من فروع نباتية ملونة بالأصباغ البراقة ، على النحو المعروف في المخطوطات الثمينة ، أما تزاويق المخطوط فتتألف من تسع وثلاثين تصويرة وهذا المخطوط محفوظ في دار الكتب المصرية

ومن الكتب العلمية الاسلامية التي تضم تصاوير لتوضيح نصوصها كتاب يحتوي على الترجمة العربية لكتاب ديسقوريدس الذي يسمى كتاب الحشائش أو خواص العقاقير أو خواص الأشجار وقد كتب هذا المخطوط عبد الله بن الفضل سنة (٦٢١هـ - ١٢٣٤م) ، وهذا المخطوط يضم عددا كبيرا من التصاوير ، ثم نزع منه ثلاثين تصويرة ، تفرقت بين المتاحف والمجموعات الفنية في أوروبا وأمريكا وبعض رسومه تمثل الأطباء وهم يقومون باعداد الأدوية ، أو بإجراء بعض العمليات الجراحية

والمخطوط محفوظ في مكتبة (طوبقا بوسراي) في استانبول □

العربي الصغير
العربي الصغير
العربي الصغير
العربي الصغير

صدر العدد الجديد
من مجلتك :
ديسمبر ١٩٨٧م

مجلة الفتيان والفتيات في الوطن العربي

رئيس التحرير د. محمد الرميحي

يشترك في تحريره مع الفتيان والفتيات العرب
نخبة من كبار الفنانين والكتاب المتخصصين

في هذا العدد:

- من حكايات ألف ليلة. حكاية العجل والبقرة
- من التراث العربي العين عليها حارس
- استطلاع : رحلة إلى بلاد النمرود.
- المسلسل التاريخي : الفلكي العربي (محمود حمدي باشا)
- كيف نعمل ؟ : الطائرة.
- قصة : أغنية طائر وحيد
- نتيجة مسابقة العدد الحادي والعشرين
ومسابقة جديدة و٥٠ جائزة

وجهاً لوجه

د. أسامة الخولي ◆ **علي ابراهيم عتمان**

■ حققت التجربة العربية قدرا لا بأس به من النتائج ، لكنها دون التطلعات . ■ مازلنا نلجأ للاستعانة بالخبرة الأجنبية ، دون أن نهتم بدفع ثمن تنمية قدراتنا الذاتية . ■ المقارنة بين التجربة اليابانية والتجربة المصرية مقارنة غير مجدية ! ■ مواءمة التقنية المستوردة لظروف بيئتها الجديدة ، مادية ، واجتماعية ، وبشرية ، هي البداية لتنمية تقنية وطنية . ■ جيد أن نعرف ما نريد ، والأهم هو أن نعرف سبل التطبيق في عالمنا المعاصر .

العلم والتقنية تحدى العصر أمام وطننا العربي ، ودول العالم الثالث ، قضية مهمة وحيوية ، كانت موضوع حوارنا مع الدكتور أسامة أمين الخولي مستشار أول بمعهد الكويت للأبحاث العلمية ، ومستشار مجلة عالم الفكر الكويتية . وهو واحد من العلماء العرب المرزين في معالجة هذه القضية المهمة ، منذ أنهى دراسته بجامعة القاهرة عام ١٩٤٤ ، ثم حصوله على دكتوراة الفلسفة في الهندسة من جامعة لندن عام ١٩٥١ .

لقد أتيح للدكتور أسامة الخولى بحكم دراسته ، والمسئوليات العديدة التي أنيطت به ، على المستويين ، القطري والقومي ، وثقافته الواسعة ، والمتنوعة ، أن يشارك في تنمية الحلم والعلم العربيين بانجازاتها وإخفاقاتهما.

أجرى الحوار مع الدكتور الخولى الزميل علي عتمان .

● هل نبدأ بتحديد مصطلحي العلم والتقنية ، والفرق بينهما ؟

ـ العلم جهد إنساني منظم ، في محاولة لفهم ما يجري حولنا في العالم (العلوم الطبيعية) ، امتد فيما بعد لمحاولة فهم ذواتنا نحن (علم النفس) ، والعلاقات التي تربط بيننا في التجمعات الانسانية (العلوم الاجتماعية) ، في إطار من علاقات الأسباب والنتائج

أما التقنية أو التقانة ـ وهو المصطلح العربي الذي اتفق عليه كبديل ـ ، فهى مجموعة المهارات والخبرات ، ونظم العمل التي توفر المنتجات ، والخدمات وفاء لطلب اجتماعي موجود فعلا ، ومن المهم الاشارة الى أن التقنية أقدم بكثير من العلم كما نعرفه اليوم ، بل إنها قديمة قدم ظهور « الانسان الصانع » على ظهر الأرض

ولا حاجة بنا للرجوع الى الماضي لأكثر من بدايات الثورة الصناعية في أوروبا ، وتطورها ، لنلاحظ أن تطوير المحرك البخاري وانتشاره كبديل للطاقة البشرية ، أو طواحين الهواء والماء البدائية التي كانت شائعة حينئذ قد سبق بعشرات السنين بلورة نظريات « الديناميكا » الحرارية ، وصياغة قانونيها الشهيرين ، أو نظريات حركة الموائع ، كما أن بناء الطائرات واستخدامها قد سبق ظهور الديناميكا الهوائية ، كعلم متكامل تطبق نتائجه في تصميم الطائرات

وفي هذه المرحلة من الحضارة كانت الانجازات التقنية وما صاحبها ـ بحكم الصيرورة ـ من إخفاقات ونكسات ، هي القدر المحتوم لكل مرتاد لأرض مجهولة المعالم ، والحافز للعلم ورجاله أن يرتادوا هذه الآفاق الجديدة ، وأن يحاولوا تأصيل هذه الممارسات المستحدثة ، وفهم القوانين الطبيعية التي تحكمها

إنجازات دون التطلعات

● في إطار المراجعة الشاملة التي يجريها العقل العربي ، على اختلاف مدارسه ، منذ عقود ثلاثة مضت للتجربة العربية ، بمجالاتها المختلفة ، مقارنة بالعالم من حولنا ، وسعيا منه لدور ما للوطن العربي في الصراع العالمي المحتدم ، المحكوم بإمكانية حيازة القوة بعناصرها

المختلفة ، يصدم العقل العربي بالفارق الهائل الذي يفصل ليس بيننا وبين العرب وحده ، لكن بيننا وبين دول تنتمي لعالمنا القديم ، كاليابان و الهند

فما هو رأيك في قصور تجربة التنمية العلمية العربية وتحللها خلال القرنين الأخيرين ؟

- بداية مع كل مالنا من ملاحظات وانتقادات لمسار التجربة العربية وانجازاتها ، لاشك أنها حققت قدرا لا بأس به من النتائج وانما الملموس أنه على مر السنين كانت دائما هذه الانجازات دون التطلعات منذ محمد علي حتى الآن .

والسمة الثانية الملفتة للنظر هي أن نمط التعامل مع ما أسميته قضية التنمية العلمية في الوطن العربي ، يبدو أنه لم يتغير منذ مطلع القرن التاسع عشر .

يبقى بعد هذا أن نكون حريصين عند عقد المقارنات مع دول أخرى كالهند ، فالهند بحجمها ، وعدد سكانها ، وتاريخها ، مختلفة اختلافات جذرية عن أي قطر عربي ، وبالتالى فهذه المقارنات غير واردة ، وغير مفيدة ، إلا إذا روعي في الاستشهاد بها مثل هذه الفوارق

وتجربة اليابان التي يستشهد بها كثيرا ، لا يجب أن تتجاهل فروقا أساسية في السوابق التاريخية لعصر (المايجي) الذي جاء هذا العصر تتويجا لها ، واستثمارا لما تحقق في فترات سابقة من بناء القواعد ، وتدعيم البنية الأساسية ، وانتشار التعليم الخ . مقارنا بأوضاع مصر عندما دخلها الفرنسيون ، ثم عندما حاول محمد علي أن يجعل منها دولة صناعية بمعايير ذلك الوقت

ورأيي الشخصي أن لتجربة محمد علي مساوىء كثيرة ، لا يمكن تجاهلها ، وعلى رأسها أمران ، أولها : أن رفاهية الشعب المصري وتقدمه لم يكونا قضية واردة كأولوية أولى ، أو هدفاً من أهداف ما أحدثه محمد علي من تغيرات ، لا شك أنها عميقة و مهمة ، خاصة في مجال التعليم

وثانيهما أن محمد علي باحتكاره التجارة الداخلية والخارجية ربط الاقتصاد المصري الذي كان مايزال يتمتع بقدر - ولو ضئيل - من الاستقلال عن الرأسمالية النشطة في أوروبا التي بدأت مرحلة التوسع بالنظام الرأسمالى

السان سيمونيون وحكاكيان :

● لكن ألا يحسب لهذه التجربة ، البعثات العلمية التي أوفدها محمد علي لأوروبا التي كان من أهم نتائجها أن العقل العربي بدأ صحوه بعد فترة طويلة من السبات ، كما يدلنا على ذلك انتاج رفاعة رافع الطهطاوي ومن جاء من بعده ، كما أن عددا من المشاريع الضخمة مازال باقية كشاهد - مثل مشروع القناطر الخيرية على نيل مصر - وقد ساعد في بنائها السان سيمونيون الذين استعان بهم محمد علي ؟

- أولا كثيرون لا يدركون أن القناطر الخيرية واجهت صعوبات فنية ، حالت دون استخدامها ، حتى السنوات الأولى من الاحتلال البريطاني لمصر عام ١٨٨٢ ، حين قام مهندسون بريطانيون ممن كانوا يعملون في مشروعات الري في الهند ، بحل المشاكل الأساسية التي كانت تحول دون استخدامها للتخزين ، حتى النصف الثانى من عقد الثمانينيات ، أما اهتمام محمد علي بالبعثات فحقيقة لا تنكر ، والأهم منها في نظري هو ما ذكرته من تطوير جذري في نظام التعليم الذي صاحبته حركة تعريب مذهلة حتى بمعايير هذا العصر ، لكن تبقى حقيقة ، وهي أن مجموع من أوفدوا في البعثات الأربع المشهورة كان أكثر قليلا من مائتين ، في وقت زاد فيه الاعتماد

على الخبراء الأجانب ، حتى بلغ عددهم حوالي عشرة آلاف في الثلاثينيات من القرن الماضي وكانوا من جميع بلاد العالم ، فرنسيين ، وأمريكيين ، واسكتلنديين وطليان ونمساويين . وحتى المبعوثين عندما عادوا واجهوا مشاكل مازلنا نتحدث عنها الآن ، مثل وضع الرجل المناسب في المكان المناسب ، وهجرة العقول الخ

● لكننا لا يمكن أن نغفل دور البلاد الاوروبية (الرأسمالية الناشئة) في تحطيم تجربة محمد علي في مصر ، والتجارب المشابهة في أقطار الوطن العربي ، مثل تجربة الأمير عبد القادر في الجزائر ، وخير الدين في تونس ، سواء بحصارها اقتصاديا ، أو ضربها عسكريا ، بهدف اجهاضها ثم السيطرة عليها كسوق واسع لمنتجاتها ، وكمصدر للمواد الخام الرخيصة ، بالاضافة لكون الوطن العربي يتمتع بموقع استراتيجي مهم

ـ لاشك أن هذه حقيقة تاريخية ، ولنا أن نسجل أن طموحات محمد علي العسكرية كان لها أثرها ، مع تسليمي بأن قدرا منها قد فرضتها عليه متطلبات الثورة الصناعية التي بدأها ، فقد كان في حاجة الى مصدر محلي للوقود ، بدلا من الفحم المستورد ، كما كان في حاجة الى خامات معدنية ، ولذا كان هناك دائما علماء ، وخبراء أجانب ، يصاحبون الحملات العسكرية في السودان والشام ، بحثا عن هذه الموارد الضرورية ، وهنا أؤكد قضية تأثير الموقع الاستراتيجي لمصر في تحفظاتي على المقارنة غير المجدية بين التجربة المصرية والتجربة اليابانية

● ألا ترى أن الاستعانة الواسعة من قبل محمد علي بالخبراء الأجانب كانت عاملا مهما من عوامل إجهاض التجربة ، فقد حالت دون نمو التجربة ذاتيا على أيدي « الكوادر » الوطنية ، كما أنه جعلها تابعة للخارج دائما ، حيث كان الخبراء الأجانب يسعون لتدعيم نفوذ أوطانهم في إطار الصراع المحتدم بينها ، سعيا للسيطرة على أقطار الوطن العربي ، وإن كان ذلك لم يمنع من وجود استثناءات ، عملت على دعم الجهود المحلية في النمو ذاتيا ، ومنهم « حكاكيان » ، تلك الشخصية الغامضة في تاريخ مصر التي أشرت اليها في أكثر من دراسة لك ؟

ـ هذه قضية نعيشها اليوم ، وربما بنفس الحدة ، إننا مازلنا في غمرة حماسنا للاسراع بمعدلات « التنمية » ، نلجأ للاستعانة بالخبرة الأجنبية على نطاق واسع ، دون أن نهتم بدفع الثمن الذى لا مفر منه لتنمية قدراتنا الذاتية

ولقد شهد عصر محمد علي شخصية مثيرة حقا ، هي الأرمني حكاكيان الذي أتمنى أن تتوفر الموارد المالية ، والبشرية ، لتحقيق الكم الغزير من مذكراته الموجودة بأكثر من لغة في مكتبة المتحف البريطاني ونشر ذلك حكاكيان كتب عام ١٨٤٣ في مذكراته يقارن بين ما يفعله الأوروبيون من تحسين مستمر لآلاتهم ، وبين استمرار مصر في استيراد الآلات من الخارج ، مشيرا الى ضرورة صنع الآلات بأنفسنا ، حتى لاتتسع الفجوة بيننا وبينهم الى أكثر مما كانت عليه في خمسين عاما قبله وقد طلب من محمد علي عشرة آلاف جنيه استرليني لبدء هذا النشاط الابداعي ، ولم يستجب لطلبه

وأتصور أن القضية مازالت كما قلت ، هي الرغبة المفهومة ، وإن كانت غير مبررة بالاسراع بعملية التحديث ، أو التنمية بأي ثمن ، وفقدان الصبر في هذا الجو المحموم للانتظار ، ودفع الثمن الذي لابد منه ، حتى تتكون قدرات وطنية ، عن طريق سنوات من التجربة والخطأ لعملية تعلم مثل هذه

● هنا تثار قضيتان

أولاهما خاصة بصورة التأريخ العلمي للتجربة العلمية العربية ،

والثانية قضية النقل الحالي من التقنية التي يشير اليها دارسو قضايا التنمية العلمية والتقنية في الوطن العربي

- القضية الأولى أعتقد أنها مسئولية مشتركة بين العلميين والمؤرخين العرب ، فإذا كانوا قد انتقلوا في العقود الأخيرة من التأريخ السياسي الى شيء من المعالجة للتأريخ الاجتماعي ، فإن صورة التاريخ العربي لن تكتمل إلا بدراسات مستفيضة ، وفي أقطار عربية كثيرة ، للتاريخ العلمي والتقني ولتكن هذه دعوة لحركة متصاعدة لشيء من الجهد في هذا السياق ويندرج تحت هذا أيضا الاهتمام برصد تجربتنا الحديثة وتحليلها ، وفهم العوامل التي شكلتها ، وليس الحكم عليها بعد أن صقلتنا التجربة ، وأصبح في استطاعتنا أن ننظر الى الوراء ، ونرصد الفرق بين التوقعات والانجازات

ويقودني هذا بالتالي الى ملاحظة غياب المدرسة العربية الأصيلة في مجال دراسات السياسات العلمية والتقنية التي تستمد مادتها من الواقع العربي ، وتوفر لصانعي القرار ومتخذيه صورة واضحة عما يحدث ، وعن النتائج المتوقعة لمختلف بدائل القرار

وهناك بالفعل في بعض الجامعات العربية بدايات في مجال الدراسات العليا ، لكني ألاحظ عليها أنها كثيرا ما تكتفي بترديد المقولات الشائعة على المستويات الدولية حول هذه القضايا دون مساندتها بمعلومات ، وبيانات ، ودراسات ميدانية للتجربة العربية ، موثقة توثيقا علميا دقيقا

وأنا لا أتصور أن النقل الحالي من التقنية قد تغير ، فالشواذ القليلة المشرفة لهذا الأسلوب في النقل الذي نعيشه أكثر من قرن ونصف حتى الآن لا تنفي هذه القاعدة ، بل إن قلتها تؤكد سيطرة نمط النقل الحالي .

التقنية والثورة

● ألا تعتبر محاولة مصر في عهد الثورة بناء قاعدة علمية بإنشاء المركز القومي للبحوث ثم أكاديمية البحث العلمي ، ووزارة للبحث العلمي ، بالاضافة الى التوسع في البعثات العلمية الى الخارج ، ومحاولة ربط البحث العلمي بمشاكل المجتمع وحاجاته ، وكذلك بناء القاعدة الصناعية والانتاجية ، والتوسع في التعليم الفني والتقني لتغذية هذه الصناعات « بالكوادر » المدربة ألا يعتبر كل ذلك خطوة مهمة على الطريق ؟

- على العكس ، أنا أرى أن الفشل الأكبر للتجربة المصرية هو أنها لم تعر هذا الموضوع الاهتمام الكافي ، فربما كان السبب كما قلنا هو الاسراع في بناء قواعد انتاج تعتمد على التقنية المستوردة ، دون الاهتمام - على المدى الطويل - ببناء قواعد تقنية ، وهذا أمر يختلف تماما عن قواعد الانتاج التي تظل معتمدة طول الوقت على التقنية الخارجية

● لكن الثورة كانت تسعى لتحقيق هذه الغاية - بناء القواعد التقنية - لكنها كانت تصطدم بانبهار غالبية « الكوادر » العلمية الوطنية بالنموذج الغربي في التنمية والحياة ، بما في ذلك اختيارهم لنمط معين في أولويات إشباع الاحتياجات لدى السكان ولقد اشتكى عبد الناصر أكثر من مرة من هذه المشكلة ، وكذلك من نظرة بعضهم الى العلم على أنه عمل « أكاديمي » معزول عن مشاكل المجتمع ، والتجربة هي - بشكل ما - نتاج تخطيط وتوجيه هذه « الكوادر » العلمية ، خاصة في مراحلها الأولى

- فرق كبير بين النوايا الطيبة وبين القدرة على

تنفيذها ، والمسئولية هنا مشتركة بين رجال العلم ، سواء في المواقع الاكاديمية ، ومراكز البحوث ، وبين صانعي القرار ، وعندما أقول هذا فلا يمكن أن أتجاهل أن هذه كانت عملية تعلم لمجتمع بأسره في ظروف معينة ، شكلت فكر الطرفين وباختصار أقول . إن النموذج الذي بدا حينئذ أنه هو النموذج الناجح ، والمرغوب فيه كان نموذج الغرب ، والى حد ما الشرق ، بعد أن غيرت حرب ضروس كثيرا من المفاهيم في شأن العلم والتقنية ، وعلاقتهما بجهود التنمية

● أي حرب تقصد ؟

ـ الحرب العالمية الثانية ، ولا أظن أنه يحق لنا الآن بعد أن كشفت لنا التجربة عن عدم ملاءمة هذا النموذج لأوضاع الدول النامية ، أن نقسو في الحكم على صانعي القرار في ذلك الوقت ، وأنا واحد من هذا الجيل ، وإن كنت لا أزعم أني كنت واحدا من صانعي القرار

● يطرح بعض المفكرين العرب ـ ومعهم بعض مفكري دول العالم الثالث ـ فكرة الاستغناء عن الغرب بنتاجاته التقنية ، ونمط حياته ، ومناهج تفكيره ، والعودة لما يسمى ـ بالجذور ـ لتأكيد الهوية الحضارية لدول العالم الثالث ، مع استخدام التقنية المحلية ، والابداع في تطويرها ، وذلك كرد فعل على سطوة الغرب ، واستغلاله المتواصل منذ ما يزيد على أربعة قرون مضت ، وحيث أنه لا يصدر لنا إلا التقنية الملوثة للبيئة ، وتحت اشراف الشركات المتعددة الجنسية ـ أداته في السيطرة والاستغلال

ـ إن الدعوة للعودة الى الجذور أو تأكيد الهوية الحضارية ، وعمقها التاريخي للدول النامية هو رد فعل متوقع ، لزيادة سيطرة الدول الصناعية في الشمال ، ولربما كانت ذروة ذلك التوجه في الستينيات والسبعينيات ، وقد ساعد عليها أيضا ظهور التناقضات في نموذج الشمال المصنع ، ومشاكله البيئية ، والاجتماعية والحضارية ، لكننا شاهدنا منذ بداية الثمانينيات نزعة لتجميع الشمال لقواه في مواجهة هذا المد ، وتحولات خطيرة في أنماط التجارة الخارجية ، ونزعة الحماية الواضحة ، لهذه الدول على الرغم مما بينها من خلافات ، كما حدث أخيرا بشكل واضح بين اليابان وأمريكا ، الأمر الذي أدى الى تدهور واضح في العالم الثالث ، وانهيار كثير من النماذج التي كانت تعتبر حتى وقت قريب أمثلة للنجاح ـ بالمقياس الرأسمالي ـ على الأخص في أمريكا اللاتينية

في هذا الجو المشحون بالتوتر ، والمتسم بعدم الاستقرار ، تجيء التقدمات التقنية الجديدة التي مازالت هناك أفكار كثيرة متعارضة في الشمال والجنوب حول آثارها المتوقعة في العالمين الصناعي والنامي ، وما فيها من أخطار تنذر بمزيد من الانهيار المتسارع في أوضاع العالم النامي ، نتيجة سيطرة الشمال على منابع التقنية من ناحية ، وعلى الأسواق العالمية من ناحية أخرى ومن فرص واعدة لتحقيق مداخل جديدة للتنمية في العالم النامي

وكل ما يمكن أن أقوله هنا ، هو أننا بشكل عام في الوطن العربي لم نعط هذا الأمر حقه من المتابعة الدقيقة ، والدراسة المتأنية ، والتحليل القائم على معرفة واضحة لظروفنا واحتياجاتنا ، ولقد عقد منتدى الفكر العربي في مطلع العام الماضي ندوة حول فرص العرب في دخول مجالات التقنية المتقدمة ، لعلها تكون بداية جهد متواصل ومتعاظم ، لمعالجة هذه الأمور المصيرية

سلّم القدرة العلمية

● لقد طرحت أسباب كثيرة ، لتفسير عدم مساهمة الوطن العربي في الانتاج

العلمي والتقني العالمي ، كما أنها تحد من امكانياته في نقل التقنية ، وتطوير ابداعه الذاتي في مجالها ، وأهم هذه الأسباب أن بنية اللغة العربية لا تحتمل المصطلح العلمي ، وعدم اعتماد التعليم في الدول العربية على مناهج وأسس علمية ، وغياب سياسة متكاملة للتدريب ، وأيضا ضعف المؤسسات العلمية في بعض الأقطار العربية ، مع افتقادها تماما في بعضها الآخر ، وعلى المستوى القومي ، بالاضافة الى غياب السياسات العلمية المنبثقة أصلا من استراتيجية شاملة فما رأيكم ؟

ـ هذه مجموعة ضخمة من الاعتبارات ، من الصعب التعرض لها بما يوفيها حقها ، في كلمات معدودة ، لذا أكتفي هنا ببعض الملاحظات

أولاها أقترح بأن ننظر الى بناء القدرة العلمية التقنية على أنه سلم نرقى درجاته مع مرور الزمن ، واحدة بعد الأخرى ، مسلمين بأن هذا يعني أننا سنظل سنوات طويلة قادمة معتمدين على ماهو متوفر في العالم الصناعي من تقنيات لا قبل لنا بانتاج بدائل عنها ، حتى نستكمل بناء القدرة

وأول هذه الخطوات هو الحرص على استكمال معرفتنا وفهمنا للتقنيات المتاحة ، وهذا أمر لم يعد سرا ، بل هو متاح مع قدر مقبول من الجهد في ظل عصر ثورة المعلومات ، وسهولة الحصول عليها من عدة مصادر

والخطوة التالية هي الاختيار المناسب لما يلائم احتياجاتنا ، وظروفنا منها ، طبقا لمعايير تعكس استراتيجيتنا التنموية التي تحدثت عنها في سؤالك ، وظروفنا الخاصة بكل قطر عربي ، سواء من حيث موارده أو نقطة انطلاقه. والمرحلة الثالثة هي اكتساب القدرة على التفاوض الكفء في استيراد مايقع عليه اختيارنا ، والتعاقد عليه

ويأتي بعد هذا استغلاله بكفاءة تناظر كفاءة استغلاله في موطنه الأصلي ، وكلنا يعرف الشكوى المستمرة من انخفاض الانتاجية ، وتدني نوعية الانتاج في كثير مما يصنع محليا

وهنا يدخل اعتبار آخر ، وهو محاولة مواءمة التقنية المستوردة لظروف بيئتها الجديدة ، مادية واجتماعية وبشرية وربما كانت هذه نقطة البداية للابداع الوطني ، إذ ستؤدي بشكل شبه تلقائي الى تطوير ما نستورده ، وربما في اتجاهات تختلف عما يحدث في بلاد أخرى ، لأنها تعكس ظروفنا واحتياجاتنا

وأخيرا تجيء مرحلة الابداع العربي لتقنية ندخل بها سوق التقنية الدولية بائعين كما يحدث في كل الدول المصنعة

● هذا ينقلنا الى محاولة استشراف مستقبلي لامكانية تطوير تقنية عربية ، وانتقالنا الى مرحلة الابداع الذاتي ، على ضوء المعطيات التالية

واقع التجزئة وتكريس القطرية ، وغياب المنظمات العربية الفاعلة ، وهجرة الكفاءات العلمية المتزايدة ، وشيوع أنماط الاستهلاك ، وقيمها ، والبحث عن الاشباع السريع للحاجات ، وزيادة التبعية للدول الرأسمالية وآليات سوقها

ـ هذه هي طبيعة العقبات التي تقف في سبيل تنمية تقنية عربية ، لكن لو توفرت النية لمواجهة هذه المعوقات ، لأمكن أن ننظر لهذا الوضع من منظور آخر ، فنقول إن هذه الظروف تفرض الاهتمام بتنمية القدرات الذاتية التي تشير كثير من الشواهد التاريخية الى أن مثل هذه الضغوط يمكن أن تكون الحافز لتحقيقها ☐

الأديب الفرنسي وربع قرن على رحيله

بقلم . الدكتوره زينب عبد العزيز*

على الرغم من مرور ربع قرن على وفاته فإن أثره في الحياة الأدبية الفرنسية لم يتوقف ، وعلى الرغم من كل محاولات التشهير به والربط بينه وبين النازية ومعاداة السامية فإن اسم هذا الأديب الفرنسي الكبير قد بقي أقوى من أن يطمس فكان العام الماضي عام تكريم هذا الأديب الراحل في ذكرى مرور ربع قرن على وفاته

من أهم الأحداث الأدبية التي احتلت الصدارة في المجال الأدبي الفرنسي في نهاية عام ١٩٨٦ الاحتفال بمرور ربع قرن على رحيل الأديب لوي فرديناند سلين ، الذي يعد واحدا من الذين تصدوا لتزايد النفوذ الصهيوني في فرنسا ، بل كان أعنف الأدباء الذين أدانوا اليهود الصهاينة

ويعتبر سلين من كبار الروائيين الفرنسيين الذين ظهروا في النصف الأول من القرن العشرين ، فعلى الرغم من الصمت الذي واكب رحيله بعض الشيء خرج النقاد عن صمتهم ، ليثروا مجال النقد الأدبي الفرنسي بعشرات الدراسات المتعلقة بحياته وبأعماله

فقد نشأ لوي فرديناند ديتوش ، المعروف باسم سلين في أسرة متواضعة ، واضطر للعمل وهو في الثانية عشر من عمره ، لكي يتمكن من استكمال تعليمه ، حتى حصل على شهادة إتمام الدراسة الثانوية ، ثم التحق بكلية الطب وفي عام ١٩١٤ تطوع في الحرب العالمية الأولى ، وقد أصيب في العام التالي إصابة بالغة في ذراعه وعقب انتهاء الحرب راح يمارس مهنة الطب في الأقاليم ، إلا أنه كان يشعر

---

* أستاذة الحضارة بكلية الدراسات الانسانية - جامعة الأزهر - القاهرة

في قرارة نفسه أن ذلك الطريق الذي يسلكه ليس ما يبحث عنه حقيقة ، فبدأ يتنقل ما بين انجلترا وأفريقيا وجنوب أمريكا ، حيث عايش عن قرب الام العبيد ومعاناتهم ، ثم استقر به المطاف في إحدى ضواحي باريس ، حيث راح يعالج الفقراء ، وبدأ مشواره مع الكتابة . وتلك الفترة هي التي عبر عنها في روايته الثانية « الموت بالتقسيط » التي ظهرت عام ١٩٣٦ م

رواية في منتصف الطريق

أما الرواية الأولى التي كتبها سلين فكانت بعنوان « رحلة في اخر الليل » ، وقد نشرت عام ١٩٣٢ وكان في الثامنة والثلاثين من عمره . هذه الرواية فريدة من نوعها في الأدب الفرنسي ، لما تتضمن من أحداث ومواقف ، فهي أشبه ما تكون بثورة بركانية صاخبة ، ثورة دفعتها شتى التجارب الانسانية الطاحنة ، لتنطلق صرخة مدوية في غياهب ليل لا نهاية له

لكنها كانت في نفس الوقت صرخة تعاطف عميقة الأصداء ، تكشف عن آلام المعدمين في ذلك المجتمع الرأسمالي الغارق في الوحل ، فأتت الرواية وكأنها نهر متدفق من الوحل الأسود الذي لا خلاص منه ولا من ظلماته

كاد سلين أن يحصل على جائزة « جونكور » الأدبية عن هذه الرواية لولا تراجع بعض الأصوات في اخر لحظة ، وكان لهذا الحدث أصداؤه الواسعة في التأثير على الجمهور . ولم يكن جمال الأسلوب هو أول ما لفت الأنظار الى رواية « رحلة في آخر الليل » ، وانما صراحة المؤلف الشديدة في الوصف والتحليل والادانة ، وهي صراحة فريدة من نوعها آنذاك ، فلقد لجأ سلين الى استخدام الأسلوب الشعبي الفج ، بكل ما فيه من قذف ، وفظاظة ، واستثارة ، بعد إعادة صياغته بشكل أدبي له بنيانه المعماري الخاص . وذلك ما يمكن مقارنته بما قام به الأديب البريطاني جيمس جويس بالنسبة للغة الانجليزية ، الا أن محاولة سلين كانت أكثر جرأة ، وأكثر ابتكارا ، بحيث اعتبرها النقاد ثورة لغوية أولا ، ثم تجديدا في الايقاع

ومن أهم العناصر التي بلورها سلين في هذه الرواية إحساس الشعور بالوحدة الذي يعتصر الانسان وسط جدرانه الأربعة ، أيا كان وضعه ، وأيا كانت صلاته . مرارة الوحدة في خلفية ايقاع الحياة اليومية ، حيث لا توجد أية رابطة حقيقية بين الأشخاص ، وحيث تقتصر الصلات الانسانية - في خير حالاتها - على بعض المجاملات العابرة ، إنها صفحات بائسة يستشف منها القارىء أن الانسان ليس وحيدا في محنته فحسب ، وانما يتخبط ويصارع في أعماقه برودة ليل أصم ، لا اشراق بعده

تقع هذه الرواية الملحمية «في منتصف الطريق» بين الرواية بمفهومها العام ، وبين السيرة الذاتية ، الا أنها لا تحيد أبدا عن فكرة التعبير عن المجتمع المتطاحن ، وما يعتريه من ضياع ، إنه يصطحب القارىء معه ليعايش أبطاله في مجازر الحرب ، وفي صراعاتهم اليومية

عودة الى الوراء

أما الرواية الثانية « الموت بالتقسيط » التي نشرت عام ١٩٣٦ ، فقد تناول فيها الأديب بعض مراحل شبابه ، وما عاشه من تجارب مريرة في تنقلاته بين الطبقات الاجتماعية الدنيا . ولقد واصل سلين في هذه الرواية - من حيث الأسلوب - نفس الخط الذي بدأه في الرواية الأولى ، وهو الابتعاد عن الجملة التقليدية ، وعدم الالتزام بالقيود اللغوية ، واستخدام التعبيرات الشعبية بشتى صورها ، فأتى أسلوبه بايقاع جديد ، يعتمد على عدد من المقاطع القصيرة المتلاصقة التي تفصل بينها بعض علامات الوقف ، لكنها تكوّن في مجملها صورة أكثر نبضا وحيوية

تعتبر رواية « الموت بالتقسيط » بالنسبة للرواية الأولى « رحلة في آخر الليل » عودة زمنية الى الوراء ، عودة الى طفولة نفس البطل ، أي أن هذه الرواية عبارة عن مزج أدبي بين الواقع والخيال ، عبر ملحمة للتحليل النفسي الدقيق ، ملحمة تعبر عن ثورة الذات ، والشعور بالاغتراب ، من خلال تصوير طبقة البورجوازية الصغيرة في باريس ولا يمنع ذلك الطابع الدرامي للرواية من وجود لمحات باسمة عابرة ، تزيد من سحرية الواقع ومرارته ، مما يضفي على رؤية سلين مزيدا من الايقاع الشاعري الوجداني

وفي نفس ذلك العام بدأ نشاط سلين السياسي يتبلور ، ليتحدد موقفه الشهير ضد التوغل اليهودي الصهيوني في فرنسا ، ذلك التوغل الذي وصل آنذاك الى السيطرة على شتى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفنية ، وكم حذر من ذلك في الثلاثينيات مرددا « إن اليهود يغروننا ويدفعوننا صراحة الى الحرب »

وأهم مؤلفات سلين في هذه الفترة فضلا عن المقالات الحادة الطابع ، الكاشفة بلا مواربة ، أبحاث ثلاثة ، الأول بعنوان « خطيئتي » عام ١٩٣٦ ، والثاني بعنوان « ترهات من أجل مذبحة » عام ١٩٣٨ ، ثم « الورطة » عام ١٩٤١ وعلى الرغم من النجاح الساحق لهذه الأعمال التي كانت تؤرخ الواقع السياسي لفرنسا في تلك الفترة وتعكسه ، فقد قامت الرقابة بمصادرة أول بحثين بعد صدورهما بعدة أشهر ، كما قام رجال الشرطة بسحب أعداد البحث الثالث ومصادرتها

ولا تعد هذه المؤلفات الثلاثة مجرد إدانات للتوغل الصهيوني بشكل خيالي ، أو افتراضي ، لكنها كتابات مدعمة بالوثائق والاحصائيات والأرقام ، والأدلة القاطعة التي يكشف بها سلين عن أساليب ذلك التوغل ، خاصة فيما يتعلق بالمجال الثقافي والاعلامي والآن ، وبعد مرور ما يقرب من أربعين عاما على هذه الأبحاث ، وعلى أحداثها فان النقاد يعتبرونها من أهم الوثائق التي تسمح بتحليل المجتمع الفرنسي حينذاك ، بالاضافة الى ما تتيحه رواياته من متابعة وتحليل

متاعب ما بعد الحرب

وفي منتصف عام ١٩٤٤ هاجر سلين من باريس بصحبة زوجته ليستقر في الدانمرك ، أو لينفي نفسه اليها ، الا أن السلطات الفرنسية اتهمته بالخيانة ، وتم القبض عليه في ديسمبر عام ١٩٤٥ ، وظل معتقلا مدة أربعة عشر شهرا

ولا شك في أن موقف سلين السياسي ، وقضية إدانته بالتواطؤ مع النازية بحاجة الى إعادة فتح ملفاتها ، إذ أن ما يبدو من كتاباته أن موقفه لم يكن في الواقع بدافع التواطؤ ضد وطنه ، وإنما كان بدافع الوطنية ، دفاعا عن ذلك الوطن ضد التوغل الصهيوني الثابت تاريخيا أنه كان يسيطر سيطرة تامة على المجتمع الفرنسي في تلك الفترة

وقد تم الافراج عن سلين بعد ذلك وحددت اقامته في مسكنه ، وفي عام ١٩٤٩ أعيد فتح ملفات قضيته أمام محكمة العدل الفرنسية التي حكمت عليه بالسجن مدة عام ، مع دفع غرامة قدرها خمسون ألفا من الفرنكات ، الا أن المحكمة العسكرية قد برأته من هذه التهمة استنادا الى موقفه كمحارب وطني قديم

وفي شهر يوليو ١٩٥١ استقر سلين مع زوجته في بلدة ميدون جنوب باريس ، حيث راح يمارس مهنة الطب في بعض الأحيان ، مكرسا كل وقته للكتابة

وتتسم مؤلفاته في هذه الفترة بازدياد لمحة السحرية في أسلوبه ، وبرؤية حادة ثاقبة ، وإن ظل سليط اللسان ، لا يرحم خاصة كل من عادوه أو شاركوا باتهامه وأهم المؤلفات التي ظهرت له في الخمسينيات، الثلاثية التي بدأها برواية « أحد القصرين » عام ١٩٥٧ . والتي يقص فيها رحلته

وهو في طريقه الى المنفى ، وتم نشر الجزء الثالث منها بعد وفاته بثمانية أعوام

وتتسم عودة سلين الى المجال الأدبي في فترة ما بعد المنفى بنفس العناصر والمعطيات التي ارتبط بها منذ بداية مسيرته الطويلة الصاخبة ، فبعد التزامه بالتعبير عن ويلات الحرب العالمية الأولى ، والاستعمار ، والحياة في تلك الضواحي النائية للمدن الصناعية الكبرى ، التي راح يشبهها بالمذابح ، أو مسالخ الأجساد البشرية ، وكلها رؤى لم يعقب عليها كأديب فحسب ، وإنما راح يصورها بنبضاتها ، وتدفق إيقاعاتها المتقطعة ، ليعبر عن وحشية الحروب والاستعمار ، كما راح يستلهم أحداث الحرب العالمية الثانية ، وينقب في أحشائها بنفس المبضع ، لكن بنظرة أكثر تطورا ، وكأنه يعيد توزيع تلك الألحان العتيدة ، ليعبر عن الانسان البسيط ، ذلك الانسان الضحية نظرا لطيبته

واذا كان سلين في باديء الأمر يعبر عن نفسه كناية ، تاركا للقاريء مهمة استشفاف الواقع من الخيال ، أو مهمة تحديد السيرة الذاتية من الخيال الروائي ، فانه في المرحلة الثانية من مؤلفاته يعبر عن نفسه ، ويستعين بسيرته الذاتية بلا مواربة فاذا كان القاريء يتلمس ملامح المؤلف في المرحلة الأولى ، من خلال علاقة الشخصيات والأحداث ، فقد أصبح يراه في أعماله الأخيرة ، يقوم بدور الشخصية الرئيسية التي يتعامل معها مباشرة

أما الملامح الأساسية لمؤلفاته ورواياته بعد المنفى ، فضلا عما بها من انعكاسات كراهيته للحروب ، وللمخططات السياسية الكبرى لاحتواء المجتمعات الأخرى ، فهي تدور حول الآفات الانسانية ، ومن أهمها الريبة ، والشك المدمر الذي يتغلب على كل شيء ، ويبتلع كل ما في الانسان من سعادة واستقرار وعطاء

أما من حيث الأسلوب فأوضح ما يوصف به إجمالاً هو أنه أشبه ما يكون بالمطرقة التي يقرع بها فكر القاريء ، حتى يوقظه من غيبوبة طال مداها

مفردات تفزع القاريء

وفي واقع الأمر أن أسلوب سلين يتميز بسرعة ، لا تعكس إيقاع الأحداث ، وتداخل تدفقها فحسب ، وإنما تسمح للقاريء بالامتزاج بالنص ، ليعايش الجو الإبداعي لتلك الأعمال وعلى الرغم مما يقوله بعضهم من أن مفردات حواره تفزع القاريء أحيانا ، فلا شك في أن مؤلفاته تعد كلًّا متماسكا ، لا يمكن تجاهله ، فهي جزء لا يتجزأ من التاريخ الأدبي والسياسي والاقتصادي والاجتماعي لفرنسا في ما بين عام ١٩٣٠ و ١٩٦٠

ومن جهة أخرى فإن أسلوب سلين الأدبي ، بكل مافيه من تجديد وابتكار اتجه تدريجيا نحو التبسيط اللغوي ، والنظم في الايقاع الداخلي ، وذلك ما يمكن وصفه ـ وفقا لقول سلين نفسه ـ بأنه أسلوب أشبه ما يكون بالنغم الموسيقي الذي يكوّن سمفونية ذاتية الايقاع إنه أسلوب لا يمكن لأي قارىء أن يغفله ، مهما كان موقفه من كتابات سلين

كان سلين يعتبر الأشخاص والأحداث جزءا من تكوين اللغة وبنيانها ، فاللغة ـ في نظره ـ هي المجال الوحيد الذي يمكن إعادة تكوين أشلاء الانسان في أبعادها

وبعد وفاة سلين لم يتوقف تأثيره على الأجيال التالية من الأدباء ، بل استمر تأثيره عميق البصمات والأصداء ، من حيث تناوله للقضايا المعاصرة ومعالجتها بوضوح ، وقد وصل في ذلك المضمار الى المستوى الملحمي في التعبير ومثلما كان في مهنته الأصلية طبيبا كانت مؤلفاته علاجا اجتماعيا ، بفضل تشخيص الآفات وتحديدها بلا مواربة لذلك يعتبره النقاد منذرا وشاهدا على عصره ، كما يعتبرونه شريكا وضحية للأحداث التي كشف عنها وأداها بصراحة لم يسبقه اليها أحد □

العشق

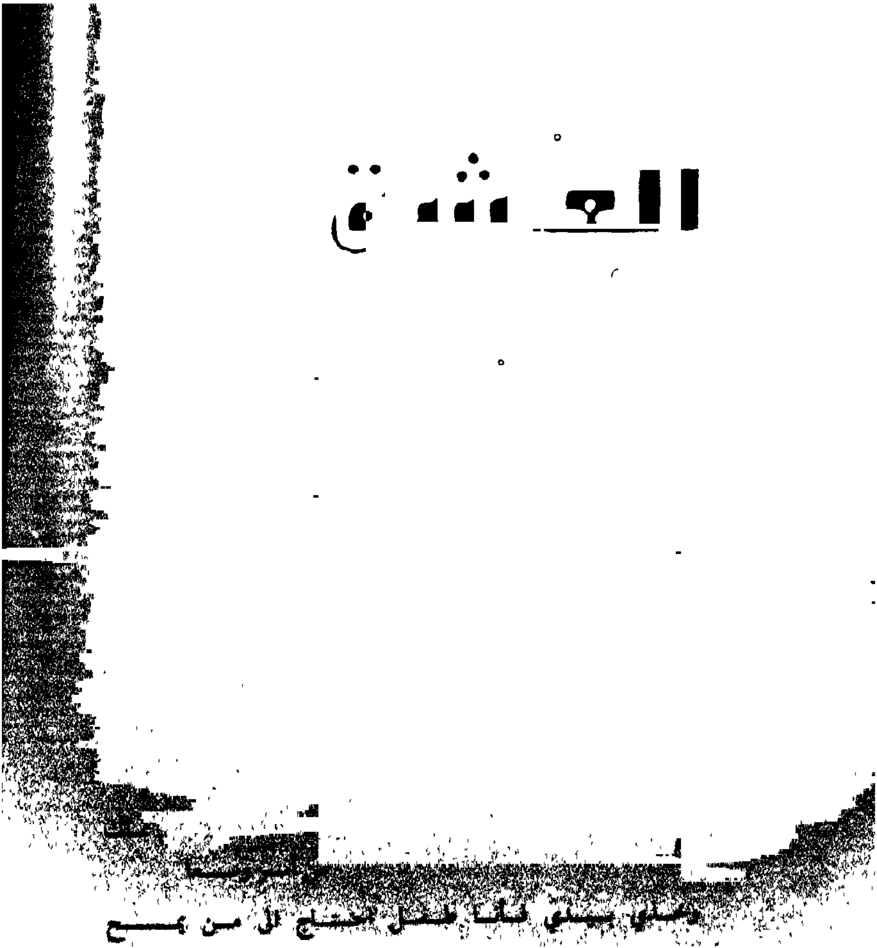

وقلبي يبقى دائماً طفلاً يحتاج إلى من يمسح
عن خديه الدمعا
شعري شاب ، ولكني ملك العشق . العشق
أشكله وجها وأشكله طبعا
أعرف أنا عشاق منذ زمان غنينا العشق لمن لا
يحسن أن يعطيه السمعا
أعرف أن العالم من غير شموع والظلمة نهر
أبدي يتدفق نبعا نبعا

وأصبحنا من ضمن [illegible]
نحن تلاصقنا حبًا وتلاصقنا ضطرًا لكن الخوف
يباعدنا ضلعًا ضلعًا
خفنا أن يحيا الحب بهذي الظلمة مثل الشجر
المنفي بلا زهر لا ينبت في أغصنه طلعا
فوقفنا مشلولين حيرانين لا نبصر شيئًا في
مدن العشق السبعة
هي مطفأة الطرقات لأنّا لم ندخلها فابتسمي
فهي تنادي بالشوق إليّ ، إليّ الرجعى
فدعينا ندخلها بالعشق عروسين فقد نصبح
فيها أول شمعة

العربي ـ العدد ٣٤٩ ـ ديسمبر ١٩٨٧ م

قصة قصيرة

حدود العالم

بقلم : محسن خضر *

حدود العالم تنتهي لكليهما عند جدران السطح ، ولكنها تظفر أحيانابفرصة تخطي هذه الحدود الى أرجاء جديدة ، عندما تصحب أمها مساء يوم الجمعة لشراء لوازم الأسبوع ، أو عندما تصحبها الى جدتها لأبيها

أما هو فيومه يمتد من السادسة صباحا ، وينتهي عند الثانية ظهرا ، وعندما تعود أم سوسن من عملها وتتسلمها منه يخيم ليله مبكرا ، ويلوذ بغرفته الوحيدة في انتظار فجر اليوم التالي ، ليتسلم سوسن من أمها المهرولة الى عملها

يقطع ساعاته الطويلة مسترقا السمع على خطوات البنت وأمها ، فربما يخرجان ثانية من غرفتهما الى السطح ، وبذا يظفر بوقت اضافي مع سوسن

ـ أين ذهبت رجلك ؟

ـ أكلها الماو

تسأله ، فيجيبها مقلدا صوت الوحش الخرافي ، فتتظاهر بالفزع وتخبيء رأسها في حجره ، وهل تفهم لو حدثها عن المنجم وكوارثه ، واليوم المشئوم الذي انهار فيه ، ليخرج وحده حيا من بين زملائه بعد ثلاثة أيام من الدفن تحت تراب الجبل ، وقد فقد ساقه ولكنه اكتسب عمرا جديداً ؟ تعود لتسأله عن أبيها المسافر دائما تحدثها أمها عنه ، وعن سفره ، ولكنه لايعود أبدا محملا بالهدايا كما تسمع منها دائما . . أبوها الذي رحل يوم كانت بذرة في رحم الغيب ، وعندما احتضنت عيناها نور الدنيا ، كان أبوها قد ابتلعته الرمال الصفراء الملتهبة وسط سيناء .

هل تفهم اذا حدثها عن الأعداء والموت واليهود والحرب ؟

ـ فسِّحني .

يطيعها كالمأخوذ ، يرفعها بيد واحدة ، لتصبح فوق المقعد الحديْدي ، وبيده اليمنى يحرك عجلاته لتجوب بهما محيط السطح ، وهي تتقافز فرحا ، وتملأ السماء بضحكاتها الصافية ، وتتجمع العصافير مستمتعة بضحكاتها . تتعب يده ، وتتعب بدورها من الضحك ، فترتكن على صدره وتنام ويظل جامدا فوق مقعده حتى لايوقظها ، ويكاد أن يخنق أنفاسه في صدره حتى لاتهز رأسها المسترخاة

بعد نصف ساعة تقريبا تستيقظ ، تطلب طعاما ، يقترب بمقعده من باب غرفته الخشبية يلتقط لفافة « الساندوتشات » التي يعدها بنفسه في الصباح الباكر استعدادا لهذه اللحظة . . يأكلان معا ، عاتبته الأم كثيرا في البداية ، نبهته الى الساندويتشات التي تتركها فوق المائدة خلف باب غرفتهما المفتوح ، ولكنها تجدها عند عودتها دون أن يمسها لم يغيره عتابها المتكرر ، فاستسلمت بدورها لمنطقه واصراره يحترم الأرملة الصغيرة التي عاشت على ذكرى رجلها المدفون في سيناء ، رفضت عروض

---

* مدرس مساعد بجامعة عين شمس ـ كلية التربية

مغرية للزواج بعده ، والتحقت بشغل للملابس لتكتسب منه ، الى جانب ما تقبضه من معاش ضئيل

نمت سوسن على يديه ، منذ أن كانت تزحف على أربع راقبها وهي تحاول المشي وتتعثر ، الى أن أصبحت تختال كالنسيم منذ الحادث لم يفارق هذا السطح ، يتكفل زميل قديم باحضار معاشه كل شهر ويكفيه عناء الخروج واستعمال العكاز

هاجمته الكآبة في البداية حتى تمكنت منه غزا البياض شعره ، تعمقت تغاضينه وسقطت معظم أسنانه ، وغدت الدنيا في اتساع مقعده المتحرك الذي لايفارقه إلا عند النوم أو قضاء حاجة ولكن عندما ظهرت سوسن في حياته ، أو بالأصح برقت في سماه أصبحت تعني عنده الدنيا كلها ، لم يندم على عدم زواجه ، فقد عوضته عن كل شقائه وجفاف أيامه نسي الحادث ونسي سنوات عمله المملة الطويلة في مناجم الصحراء النائية

لاتستوقفه شيخوخته الا عندما تناديه معابثة

- ياراحل يا عجوز « مناخيرك »

تهجم عليه ، تغرز أسنانها اللينة في طرف فخذه ، تهم بابتلاعه ، تتشبه بالشبح ، فيتظاهر بالفزع ، ويستعطفها حتى تطلق ضحكتها الواسعة علامة العفو عنه ، وتعود للسؤال عن ساقيه المقطوعتين ، تحاول جذبه من فوق مقعده ليلعب معها ، ولكنها آلفت في النهاية مشاركته من فوق المقعد . .

الشمس شمسنا ، لاتشرق الا من أجلنا ، تحاول سوسن أن تحدق فيها ، فتدمع عيناها . . يقول لها *عندما تكبرين ستنظرين اليها بلا دموع . تسأله : ومتى أكبر ؟ ، فيجيبها : غدا .*

العصافير التي تتقافز فوق الأرض ، وتشغلين بمطاردتها ، تجيء لتسترق السمع على حكايتنا إنها تحب سماع الحكايات مثلك . يضطر لابتكار حكايات جديدة ، وخلق مواقف وأحداث جذابة بعد أن حفظت حكاياته القليلة في الأيام الأولى يحدثها عن بطولاته الوهمية ، وأسفاره المختلفة ومعاركه الجبارة تحدق فيه باهتمام ، تلتمع عيناها

بفرحة أيامها البكر وهي تنصت اليه يعشق التماعة شعرها الأسود الفاحم ، ويعشق رائحته ، ويسأل نفسه

ـ ماذا لو كان أبوك حيا ؟

يملأ خياشيمه مزيج من رائحة الياسمين والريحان والقرنفل آتية من خصلات شعرها ، ورائحة رمال سيناء اللزجة مختلطة بدماء الشهداء سأل نفسه مرارا لماذا لاتتزوج أرامل شهداء الحروب ؟

الأم كانت على درجة كبيرة من الجمال ، ولكن سوسن كانت أجمل بالتأكيد أصبح يخصم الساعات التي تفارقه فيها سوسن من عمره ، ويحسب عمره الحقيقي وهي معه ، منذ أن يتسلمها من أمها في الصباح الباكر

يدور يعد الدقائق ، ويراقب من وراء خصاصات شيش نافذته نافذتها ، ويتناوب النوم بين السرير والمقعد وتناول الشاي وسماع المذياع ، حتى تدور الدنيا دورة كاملة ، ويشرق يوم جديد على الخلق

لايقطع صمته الطويل الا طرقات أم سوسن على بابه في العصر ، تناوله أطباقا مختلفة من الطعام الذي أعدته بعد عودتها من العمل ، يسألها عن سوسن ، فتجيبه ضاحكة متعجبة ، فلم يفارقها الا منذ ساعة أو ساعتين وتصبره حتى الصباح ، وتهون عليه الانتظار في السادسة صباحا يكون مستعدا تماما للطرقات الموسيقية ، تبعث الحياة في أوصاله الباردة ، تدفع سوسن اليه وتوصيه بها كعادتها ، ويطمئنها ، ثم يبتلعها باب الدرج وسرعان ما تتلاشى دقات أقدامها فوق السلالم المتآكلة

يبدأ يومهما الجنيهات القلائل التي تتبقى بعد سداد إيجار الغرفة تتوزع بين سجائره وطعامه وحلوى سوسن يئست أمها من تغيير مسلكه ، وصرفه عن ذلك وبالتكرار استسلمت لحنانه المتدفق والذي يضفي على الأشياء والمواقف منطقا غلابا

تشاركهما الطبيعة فرحتهما ، تمد الشمس أذرعها لاهية معهما ، وتتلكأ السحب المارة فوق السطح لتمسح بأعينها مشهدهما الممتع ، ويخيل له أن السطح يرتفع ، ويرتفع حتى ينفصل عن العالم الأرضي ، ويلتحق بمدار كوني آخر بصحبة ملاكه الصغير

تمنى أن يقتصر طول اليوم على ساعاته الثماني معها ، ويختصر من التوقيت الرسمي الساعات التي يقضيها بعيدا عنها ، بعد أن تأخذها أمها غالبته رغبة قوية في البداية أن يستبدل اسمها باسم « هدى » يحب هذا الاسم ، ولا يعرف سببا لذلك تمنى أن يطلقه على ابنته اذا تزوج يوما ، وبمرور الأيام ، وتكاثر الضربات عليه تراجعت أمنيته الى مكان قاص في قلبه

تتقاطر الساعات ، وتنكمش ساعاته ، ويشعر أن وقع خطوات أمها عند الظهر ، وهي عائدة من العمل تعني انقضاء سعادته وتكدر يومه ينتظر يوم الجمعة بفارغ الصبر ، تشغل الأم في شئون التنظيف والغسيل والطهي وتتركها معه ، تمد لهما بساطا على الأرض فيجلس معها ينعمان بدفء الشمس ، وتنعم بحكاياته الخرافية ، الى أن تفرغ الأم من مشاغلها فتجلس معه ، تحدثه عن أحوال الحي ، وتشكو اليه الغلاء ومتاعب المواصلات ، واستغلال صاحب المشغل لها ، ومظاهرات الطلاب في الشارع ، والبوتيكات الجديدة التي تفتتح في الحي الشعبي

ثم في المساء تصحب سوسن لشراء حاجيات الاسبوع وزيارة حماتها آه ما أقسى الأيام وما أسرع دورة الحياة وما أضيق ابتسامة الزمن ففي صباح يوم صيفي تلقى الخبر الذي نغص عليه حياته

ـ سوف أقدم لسوسن هذا العام في المدرسة

قالتها واستدارت وغالب دمعة كبيرة انزلقت على شعيرات لحيته البيضاء التي لم يحلقها منذ يومين

يشيخ الزمن ، ويهرم الرجل ، وتُسلب متعته

ففي العام القادم ستدخل سوسن المدرسة □

لماذا يتخلى المثقف العربي عن دوره السياسي ؟

بقلم : توفيق أبو بكر

تضاؤل الدور السياسي للمثقف العربي في الثمانينيات هو أحد أهم الظواهر البارزة في الحياة السياسية والثقافية والفكرية العربيةفي هذا العقد . هذا ما توصل اليه الكاتب في هذا المجال ، فما هو اجتهاده في هذا الأمر ؟

هناك تضاؤل واصح في التأثير يعبر عن نفسه بأشكال متعددة والهجرة الداخلية(كما يسميها يهوشفاط هركابي ، أكبر الاستراتيجيين في « اسرائيل » حبرة في الشئون العربية)، هي أحد هذه الأشكال ، وهي معادرة المثقف لدوره القيادي والطليعي في المجتمع ، والقبول بدور قاعدي ، مثل أي مواطن آحر ، والاهتمام بتعميق تخصصه ، وبأبحاثه الأكاديمية ، أو موقعه الوظيفي ، وما الى دلك

جلد الذات

وفي مقابل هذه الخطوة الانزوائية نحو الوراء يتخد التضاؤل في دور المثقف العربي شكلا آحر ، وهو الهروب نحو الأمام ، والقيام بعملية متواصلة لجلد الذات ، والادعاء أنه يريد القيام بدور ما ، لكن المحتمع يعاني من مشاكل كثيرة ، وفي حالة مرصية وفي كل يوم تطالعنا الصحف والمحلات بكم هائل من المقالات التي تعبر عن جلد الذات ، فالحديث عن انهيار الأمة ودحولها عصر الانحطاط الذي قد يستمر قرونا طويلة كما حدث في الماضي ، يملأ أدبياتنا ودورياتنا السيارة ، بشكل يعيد الشباب والحيوية للنكتة التي اشتهرت في مصر أيام سعد زغلول وثورته صد بريطانيا ، نكتة (سعد باشا يقول ما فيش فايدة)

(ما فيش فايدة) مقولة قد يقبل المنطق تبرير انتشارها في الأوساط الشعبية التي ترى

العجز العربي العام ، في مواجهة تحديات التنمية والتحديث والديمقراطية ، وفي مواجهة تحديات الغزوة الاستعمارية الصهيونية ولا تستطيع تفسير ذلك لكن انتشار مثل هذه المقولة في أوساط المثقفين ، وقيامهم بالترويج لها خطر حقيقي ، إذ من المفروض أن تكون هذه الطلائع قادرة أكثر من الناس العاديين على تفسير هذه المرحلة الانتقالية التي تمر بها الأمة العربية ، كما حدث مع أمم كثيرة قبلنا ، وبالتالي فإن واجب الطلائع المثقفة تفسير حالة العجز العام ، والتعرف على الثغرات ، وحفز جموع المواطنين للقيام بدورها ، لاجتياز هذه المرحلة ، واجبهم أن يقوموا بدور تنويري ، وبأفق يحمل طابع التفاؤل التاريخي الاستراتيجي لا زراعة اليأس والاحباط ، لتبرير تقاعسهم عن أداء مهماتهم الاجتماعية عبر الهروب للأمام

فالصحيح تاريخيا أن المثقفين في أوساط بعض الأمم وفي مراحل ضعف كالتي نمر بها قد قاموا بعملية قاسية لجلد الذات ، كما حدث في روسيا واليابان ، لكن واجبنا أن نستفيد من دروس التاريخ ، وأن نختصر رحلة المعاناة ، من خلال استيعاب تلك الدروس ، وإلا لماذا نقرأ التاريخ ؟

هذا التضاؤل الواسع في دور المثقفين العرب الذي اتخذ خطا بيانيا متصاعدا منذ مطالع السبعينيات بشكل خاص ، يجد بالطبع تفسيرات علمية لمن يدرس بعمق مراحل تطور الحياة السياسية العربية خلال ربع القرن الماضي

أسباب وخلفيات

من هذه التفسيرات سيطرة الجيش والقوات المسلحة على حركة التغيير في المجتمعات العربية ، فالجيش هو القوة المنظمة المتماسكة التي مثلت طموحات الطبقة الوسطى ـ الأكثر انتشارا ـ ، وذلك في مرحلة ما بعد الاستقلال الوطني عن الاستعمار الأجنبي ، وبدء مرحلة البناء الداخلي في المجتمعات العربية

والطلائع العسكرية التي قادت الانقلابات المسلحة في العديد من الأقطار العربية في الخمسينيات والستينيات حاولت حرق مراحل التطور التاريخي الطبيعي ، وتحقيق أحلام التقدم والتنمية ، والقضاء المبرم على السرطان الذي ينهش جسم الأمة العربية ـ وهو « اسرائيل » بضربة واحدة ، ولم تستطع ، وما كان ممكنا أن تستطيع ، لذلك ، وبحكم الخلفيات الثقافية المحدودة استعانت تلك الطلائع بالمثقفين ، ثم ما لبثت أن دفعت بهم لأدوار هامشية ، باعتبارهم بورجوازيين ، متذبذبين ، مزعزعين ، لايؤمنون بالثورة ، وبحتمية انتصارها السريع

ومن ناحية أخرى فإن حصيلة تجربة المرحلة أظهرت فرقا هائلا بين الأحلام والأمنيات التي طمها بعضهم قاب قوسين أو أدنى من التحقيق ، وبين حقائق الواقع المرير وهذا الأمر دفع بجموع المثقفين العرب للانزواء والتراجع ، وتوسعت الفجوة بين السلطة والمثقفين في كثير من أقطار الوطن العربي

فالمثقفون الذين دخلوا في معمعات العمل السياسي ، عبر العديد من الأحزاب والحركات والمنظمات السياسية ، كانوا قصيري النفس ، وكانوا متطهرين إلى حد كبير ، وبعيدين عن الانغماس في الحياة اليومية لمجموع الشعب وأجادوا التنظير من فوق ، ومن أبراجهم العاجية ، ولذلك سرعان ما تراجعوا إلى الوراء ، لأنهم اكتشفوا خطأ صغيرا هنا أو هناك والحياة بحكم الصراع اليومي مليئة بمثل تلك الأخطاء وسرعان ما تراجعوا ، لأن أحلامهم لم تتحقق سريعا ، ولأن ما تصوروه من إنجازات لم يقع وأمام أول تراجع للوراء ، في الحركة السياسية والكفاحية (وهو أمر طبيعي يتعلق بالظروف الموضوعية وبدرجة تفوق الخصم) نكصوا على أعقابهم ، وولوا الأدبار

المثقفون والمقاومة الفلسطينية

المفكر السياسي الفرنسي جيرارشاليان كتب بعد حرب حزيران ١٩٦٧ عن الدور المحدود للمثقفين العرب في مواجهة تحديات المرحلة ، وقال إن هناك تراجعا كبيرا في دور هذه الفئة الاجتماعية ، ليس له مثيل - حسب زعمه - إلا في الهند ، حيث تراجع المثقفون هناك أيضا عن أداء دورهم المطلوب تجربة المثقفين في المقاومة الفلسطينية دليل صارخ على صحة استنتاجنا السابق بعد حرب حزيران اندفعت جموع المثقفين للالتحاق بالعمل الفدائي مقاتلين قبل أن يكونوا منظرين ، وفي معركة الكرامة (آذار ١٩٦٨) كانت نسبة عالية من الفدائيين الذين صدوا الهجوم الصهيوني على تلك القرية الواقعة في أغوار الأردن من الجامعيين والمثقفين ، وعلقت الصحف « الاسرائيلية » قائلة إن الخطر الحقيقي لظاهرة العمل الفدائي المتصاعدة هي اندفاع المثقفين -الفلسطينيين والعرب- للالتحاق بها غير ماكان الوضع عليه في السابق ، حيث كان المقاومون الفلسطينيون من الفلاحين وبسطاء القوم ، لكن عند أول منعطف مرت به المقاومة ، وتعرضت فيه للتراجع ، بفعل تفوق الطرف الآخر (كعامل حاسم في ذلك التراجع ، إضافة لأخطاء ذاتية كبيرة) انسحب المثقفون بالمئات ، وبدأوا ينظرون منذ زمن طويل لتشييع جنازة المقاومة المسلحة .

وهناك عوامل إضافية ساهمت في تهميش دور المثقف العربي في الحياة السياسية المعاصرة من تلك العوامل اتساع درجة الاغراءات المادية والسلطوية للمثقف ، في عصر الطفرة النفطية والثروة العربية التي عم خيرها مناطق كثيرة ، إن كان ذلك خيرا ، بالمقاييس الاستراتيجية بعيدة المدى ، ولذلك ازدهرت وترعرعت (ظاهرة الاستمالة السياسية) والتحق كثير من المثقفين العرب - وقد رأوا أحلامهم في تحقيق انجازات سريعة قد تعرضت للوأد - بالسلطة السياسية ، بعضهم نتيجة الاحباط ، وبعضهم نتيجة ضخامة الاغراءات التي وفرتها الوفرة المالية العربية ، وبعضهم نتيجة قناعة بعد تجربة طويلة ، بأنه لاسبيل لتغيير الواقع القائم إلا من خلال الاطارات السياسية والهيكليات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية القائمة ، ببطء ودون أوهام دفعا ثمنها غاليا ، في نظر أصحاب هذه الفكرة العمل والاصلاح من الداخل

الاقتتال الداخلي

لاجدال أيضا في أن طبيعة الأمراض والظواهر السلبية التي أفرزتها الحركة السياسية العربية قد دفعت جموع المثقفين للانزواء والتواري عن أنظار المجتمع . من تلك الظواهر السلبية التي أحبطت المثقفين الاقتتال الداخلي العنيف بين التيارات السياسية اغتيال بالكلام ، يمهد الطريق للاغتيال بالرصاص انتشار ظاهرة احتكار الصواب ، والتخوين السهل ، وشيوع الاتهامات المتسرعة ، والاتهامات المعاكسة يميناً ويساراً

في مثل هذه الأجواء فضل العديد من المثقفين العرب النجاة بجلودهم من هذا المسلخ السياسي ، حتى لا يصيبهم من الاتهامات رذاذ قليل أو كثير والمثقفون في بلادنا حريصون على الطهارة ، والسمعة الطيبة ، والابتعاد عن المعارك التي قد تلوثهم بسبب محدودية درجة الفهم العام في المجتمع ، حتى لو أدى ذلك لتلوث الوطن ، وتأخر مسيرته الحضارية

ويجب ألا ننسى أخيرا وليس آخرا أن تطور آلية قمع المعارضة قد دفعت بالمثقف لطلب أمنه الذاتي ، أمام ضخامة الثمن الذي سيدفعه إذا استمر في المعارضة ، أيا كان لونها وشكلها وحدودها وانتشر بسبب ذلك الشعار المميت (انج سعد ، فقد هلك سعيد) □

شارات المجد المنطفئة

بقلم : الدكتور محمود الربيعي *

هل وصلت قافلة الشعر الحر حقا الى طريق مسدود ؟ ، أو على الأقل تكثر فيه العقبات التي تحول دون مواصلة نموه وازدهاره ؟ والى أي مدى يعتبر ديوان « شارات المجد المنطفئة » خطوة تبعث الأمل على طريق الشعر الجديد ؟ هذا مايقدمه هذا المقال

أخذ الشعر الحر حظه الطويل من الزمن بدأ ثورة عارمة جديدة ، مليئة بالحيوية وقوة الدفع ، واستقر في مجراه الذي شقه لنفسه بمواهب رواده العالية ، وبإخلاصهم لفنهم ، وبطاقاتهم التشكيلية التي لاخلاف على قيمتها ، وصنع ـ لاشك ـ ثورته المؤثرة في عقول القراء وأحاسيسهم ، واحتل لذلك مساحات واسعة من اهتمام النقد الأدبي ، واكتسب مشروعيته من الاستجابة الملحوظة له من قبل القارىء العادي والقارىء المتخصص

محاذير على طريق الشعر الحر

ومع توالى اجيال الشعراء ، واتساع مجال العمل الشعري ، وتجدد القضايا ، ودخول الظاهرة عصر استقرارها ، بدأت الشكوى ترتفع من بعض الأمور ، فعلت أصوات « الانتقاد » التي كانت من قبل خافتة ، أو غير موجودة أصلا ، وأصبح لبعض أوجه هذا الانتقاد وجاهتها ، فقد قيل ـ مثلا ـ ان الشعر الحر أصبح ميالا الى التفلسف،متابعة لظاهرة فكرية ما ، أو منحى شاعر عالمي ما ، وقيل ان الشعر الحر « يثرثر » ، محاكيا لغة الطريق والجمهور الواسع ، وقيل إن موسيقا الشعر الحر تخففت باطراد فيقترب من النثر ، وقيل غير ذلك

وكان معنى وجه الانتقاد الأول أن الشعر الحر بدأ يتخلى عن « شاعريته » وحياه المطرية ، ويجنح الى الفكر الفلسفي ، فيصبح قوالب « احتجاجية » ، ومقدمات ونتائج منطقية ، قد تدل على تحلي الشاعر بثقافة العصر ، لكنها تأتي ـ بالقطع ـ على حساب فيضان النبع الأزلي لفن الشعر وكان معنى وجه الانتقاد الثاني أن الشعر ـ وهو رائد أول في الاثراء اللغوي ـ يمالىء الجمهور بالاقتراب من لغته ،

---

* د محمود الربيعي أستاذ النقد الأدبي بكلية دار العلوم (سابقا) ، وبالجامعة الأمريكية بالقاهرة (حاليا)

والشأن فيه أن يساعد الجمهور على اثراء لغته ، بتقديم مغامرات جديدة في هذه الناحية بدل استخدام صيغ لغة الطريق وأصدائها . واذا أصبح الشعر معتمدا على « لغة الشارع » أصبح المستوى اللغوي للشارع هو سيد الموقف ، وتحول الشعر - لغويا - الى صدى ، في حين أنه رائد في كل جانب . وكان معنى وجه « الانتقاد » الثالث أن الشعر يتخلى طائعا عن أقوى سلاح مميز له ، ليعلن صراحة أنه لم يعد « شعرا » ، وقد قوّى من وجاهة هذا « الانتقاد » أن بعض صنّاع القصيدة الشعرية دخلوا في مغامرات تعبيرية ، تحمل عنوانا يحتوي على قدر كبير من التناقض ، وذلك حين كتبوا ماسموه « قصيدة النثر » .

وبهذا كله يمكن القول بأن حركة الشعر الحر تواجه أخطارا ، وأنها محتاجة الى تجديد جزء كبير جدا من دمائها . ولابد أن تفلت هذه الدماء الجديدة من أسر « الانحيار » ، والتقوقع البادي في الرتابة ، أو في التعصب لفلسفات تخرج الشعر عن طبيعته . ومالم تجدد حركة الشعر الحر ذاتها على نحو أو آخر فانه يصبح محتما أن تخرجها حركة أخرى .

ويجيء ديوان « شارات المجد المطفئة » لمولاد عبد الله الأنور (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧م) اشارة فنية ، تبعث الأمل بأن دما جديدا يسري في حركة الشعر الحر .

الهجرة المستحيلة

يعبر ديوان « شارات المجد المنطفئة » بمجمله - عن صورة مارسها الشعر العربي منذ كان ، وهي صورة « الهجرة » الدائمة ، والحنين المستمر ، واستحالة العودة من المهجر . لقد هاجر امرؤ القيس عن « الطلل » ، وحن اليه - في نفس الوقت . وانفصل المتنبي والمعري عن المجتمع - كل على طريقته - وحنا حنينا مستحيلا اليه في نفس الوقت . وأحس صلاح عبد الصبور أن الناس في بلاده « جارحون كالصقور » (فهاجر عنهم) ، وحن في نفس الوقت اليهم لأنهم « طيبون » ، وأحس أحمد حجازي بأن مدينته « بلا قلب » فهاجر عنها ، لكنه حن اليها الحنين المستحيل ، فلم يفارقها قط .

وهاهو ذا مولاد الأنور يمارس ذلك الشعور الشعري الأصيل في الحنين الدائم واستحالة العودة . ترى ما الذي يعنيه هذا الاجتماع المتآخي للمتناقضات في بؤرة واحدة : الحنين الدائم (الماضي الماثل) والضياع (التجربة الحاضرة الحية) والخيالات الشاردة (المستقبل الغامض) ؟ انه يعني - باختصار - تجربة الشاعر الوجودية في الحياة . أما مولاد الأنور فيعبر عنها بتجسيد رمز الحنين في صورة الأب ، والاستسلام في نفس الوقت للضياع في الحاضر ، ثم الاحساس - مع كل ذلك - باستحالة الدوران على الأعقاب . وسطره الشعري - في هذا المضمار - سطر طويل ، يبدأ ويمتد ، ولايستريح الا بعد أن يفرغ دورة كاملة من تفاعل « المتقابلات » ، وهو أمر يصنع - في النهاية - حلقة تجمع كل عناصر الموقف ، وتؤدي - من ثم - الى النتيجة الحتمية التي هي الاحباط .

أعرف أنّ الزمان يمر ،
وأنك تولد في كل يوم ،
وأني أموت ،
وأنك تشرق بين صحارى المشيب ،
وأغرب بين حقول الشباب ،
وتمضي يباركك العمر ،
أبقى يمططي العنكبوت ،
وأنك تمتلك الغد ،
والغد من مهجتي يتسرب .

ذلك سطر شعري مشبع ، لايستقر ولايستريح الا اذا حقق دورة كاملة من الأسباب والنتائج ، ومن « الغزل » الشعري المنسوج من خيوط متقابلة ، وهو اذ يكمل تلك الدورة يستقر ويستريح على تلك القافية الغيبية الممدودة التي تتسرب - مع ذلك - دون أن يحس في قافية أخرى مماثلة تليها في القصيدة في

« مدن من صفيح » الخ .

وكل شيء في رحلة القصيدة ـ أو في هجرة الشاعر ـ يتولد من شيء سابق عليه ، ومؤثر فيه ، فمشاعر المدينة مدرجة « في سجل التجارة » ، وطبعات الجريدة في طبعتها الجديدة تسلم في كل يوم « من أول الأطلسي الى ربوات العراق » الى « مؤامرة واتفاق » . ترى ما الذي يرمز اليه هذا الشيخ الجليل القابع في الانتظار ، والذي يؤثر بالتغيير في الأشياء ، ولكنه لايتغير ؟ أيرمز الى الجذور التي تفارقها سيقانها وفروعها في رحلة أبدية تبدو دائما وكأنها ترتد ولكنها ـ في واقع الحال ـ لاترتد ؟ أو يرمر الى الحياة التي قد تدهشها المفارقة الفاجعة ولكنها لاتعظها ؟ إن قصيدة « الى أبي من عواصم الموت » (ص ١٧ ومابعدها) التي اقتبست منها تكشف عن عدد من مستويات المفارقة ، المفارقة الكائنة في الالتئام (الأبوة) التي تتحد عمايقابلها مس الفراق (الهجرة الحتمية المستمرة) ، والمفارقة الكائنة في العواصم (ماتحمل صيغتها اللغوية من معنى الحفظ والعصمة) التي تتحد بمايقابلها من الضياع والتبديد ، ثم انتقال المفارقة الى المستوى العام ، فمجموع العواصم يفضي الى مفارقة عامة ساحرة تكمن في هذا التلون المأساوي الذي يتكشف في كل يوم عن « مؤامرة واتفاق » !

على أنه يبدو أن تلك « الرحلة » ، أو تلك « الهجرة بدون عودة » ، ليست كلها ضياعا مطلقا ، اذ سرعان ماتبذر قصائد الديوان بدورا جديدة في تربة الغربة ، وذلك مهما بدا من أن التربة لاتتفاعل مع تلك الجذور . هنا ينشأ رمزان متقابلان للقرية والمدينة ، الخصب والعقم ، الضياع والهدف ويزدحم المعجم الشعري في قصيدة « سقوط المدينة النحاسية » (ص ١٧ ومابعدها) بعناصر هذين الرمزين ، فالنخلة والتربة والتراب ، والسلام ، والحب واللهب والحرار (جمع حرّة) ، والعبير ولغة الريف، و « عبير الأرض » (والتعبير الأخير ـ كما يتذكر القراء ـ لواحد مس محيي الأرض هو المرحوم فوزي العنتيل ، وقد جعله عنوانا لديوانه الأول) ، والعشب ، والفأس ، والأعشاب ، كل ذلك في جانب ، والرخام والأصنام ، والتماثيل ،والحرب ، والريف ، والمداخن ، والكذب ، والمقامرة ، والمدن الحائطية ، كل ذلك في جانب آخر ويلاحظ أن ثمة ألفاظا وتعابير تتردد بدرجة عالية في الناحيتين في حين تتردد أخرى بدرجة أقل ، ولكن أكثر هذه التعابير الرمزية ترددا هو رمز النخلة (سلاح القرية ورمزها العتيد) ، لذا لاعجب ان جاء هو المعبر عن الانتصار في آخر القصيدة ، وكأنه الراية التي جرت تحتها المعركة ، وتم تحتها الانتصار ان الضياع الذي عبر عنه بسطر شعري طويل في القصيدة السابقة « الى أبي من عواصم الموت » ـ والذي اقتبسه فيما سبق ـ يرتد هنا عزيمة مباغتة ، ويعبر عنه في سطر قصير حاسم ، هو نوع من « عودة الروح » ، أو « تناسخ أرواح المهاجرين » ـ وهذا الحسم يتأكد في قافية السين الساكنة التي تتردد في صورة متوالية (أو شبه متوالية) في نهاية المقطع

فلا تفرحي الآن أيتها المدن الحائطية ،
نخلته الآن تعلن اقلاعها للميادين ،
تأتي محملة بعبير من الأرض ،
يغرق كل التماثيل ،
لاتفرحي هو آت ،
على منكبيه تراب وعشب وفاس .
هو حتى وان غاب لايحتويه النعاس
انه طالع في سواه على الدرب .
يغرس أعشابه في الرخام ،
ونخلته في البلاد النحاس ،

القرية والمدينة

ويعكس الديوان ثلاثة مظاهر لعلاقة « القرية ـ الرمز » « بالمدينة ـ الرمز » مظهر الضياع ، ومظهر الغزو ، ومظهر الاشتباك وقد تبدو هذه

المظاهر الثلاثة ـ للوهلة الأولى ـ متباينة ، ولكنها عند التحقيق مظاهر متصلة ، ومتداخلة في العمق على نحو وثيق ان الضياع والتلاشى الذي بدا في قصيدة « الى أبي من عواصم الموت » تحللا وتبددا ، يتحول في قصيدة « سقوط المدينة النحاسية » الى غزو فعلي ويتجلى في قصيدة « اشتباك بالمدينة » (ص ٢٧ ومابعدها) في صورة جديدة هي صورة « الاشتباك » ومن الحق أن يقال ان هذه الصورة الجديدة ليست « جديدة » تماما فقد مهّد لها من قبل في قصيدة « الرجل القروي » (ص ٢٠ ومابعدها) ، ولكن على استحياء ، وذلك في شكل تساؤل مزدوج في موضوعه ، وفي جذوره، يدور حول كائن بشري

من منا وسع عمق الهوة مابين القلبين
أ أنا أم ليلى ؟
من فينا الحائل بين المغتربين ،
وبين القرية والأبوين الشيخين ؟

في قصيدة « اشتباك بالمدينة » يجسد هذا الكائن البشري ، فيعطي اسما (نشوى) ومكانا (البيئة الساحلية) ، وتظل المدينة هي محور أو عقدة الفعل الشعري ، ويأتي عنصر جديد رافد في العمق البعيد هو عنصر الفن المتمثل في

الدمع والمداد وتتفاعل كل هذه العناصر لتنتج في النهاية صورة شعرية مركبة تأخذ شكل « التحذير »

عمي صباحا ياحبيبة ،
وامنحيني بعض معطفك القديم ودثريني ،
خبئيني عن عيونك في الصباح ،
وبارحيني
طالما في حوزتي حبر ،
ودمع ،
واشتباك بالمدينة ، فاحذريني

من هذا « الاشتباك » المتعددالعناصر البشر ، والدمع ، والحبر ، يتولد « الاهتمام » الانساني الذي يتحول الى « انتماء » ، ومن خلال الاشارات التراثية يتم الانحياز » الكامل والنهائي الى الجانب الذي يمثله ـ على طول التاريخ البشري ـ الأنبياء والمصلحون والشعراء الحقيقيون ، جانب العدل المطلق ، المتمثل في الوقوف في صف الضعفاء البسطاء الذين قد يلجأون الى ارتكاب الظلم لأنهم مظلومون

سوف أنحاز للخارجين على الزور ،
أنحاز للخاطئين من الضعفاء
سوف أنحاز للبسطاء ،
سأجالس من يسكرون ،
ومن يحتسون سموم النباتات
سوف أغرس فقري في تربة النبلاء ،
وسأدرج اسمي بين قوائم
من يرفضون الولاء ،

وهكذا تنتهي « الشارة » الأولى من ديوان « شارات المجد المنطفئة » ، وقد تراوحت بين « الضياع » « والاقتحام » ، وبين « السكون » والحركة » ، واحتوت على جذور « التمرد » الذي ازداد وضوحا منذ مفتتح « الشارة » الثانية وفي هذه « الشارة » جددت العبارة الشعرية المترددة على شكل لازمة » طبيعية هذا التمرد ومداه ، وذلك من خلال القصيدة الأولى فيها . « انتظريني مطرا لاموسميا » (ص ٤٩ ومابعدها) ونص هذه العبارة

فأنا كالقدر ،
وقدومي انقلاب ، وصمتي مطر .

وهي « لازمة » تتردد أربع مرات على مدى القصيدة ، وفيها الصوت الجهير المتمثل في القافية الرائية الساكنة ، وفيها كذلك « فعل شعري » حركي ذو جوانب ثلاثة ، جانب حركته المعلنة (قدومي انقلاب) ، وجانب حركته المضمرة (وصمتي مطر) ، وجانب حركته الماثلة في نتيجته الحتمية (فأنا كالقدر) وتمثل هذه اللازمة بعناصرها تلك الركيزة الأساسية في القصيدة ، وهي توزع صفاتها

وخصائصها طردا في الأجزاء التي تليها من القصيدة ، وعكسا في الأجزاء التي تسبقها منها وتكون النتيجة شيوع التوتر ، ونمو الاحساس بالايجابية والتمرد في القصيدة كلها ونحن نرى العناصر « المعجمية » التي تكون هذه اللازمة ملحوظة منذ بداية القصيدة ، فمطلعها هو « مطرا يتساقط صمتي عليك » ، وعنصر الانقلاب فيها يأتي بسرعة في عبارة شعرية معبرة هي « لقد بللتك فجائيتي » ولاتكاد تستقر اللازمة بصيغتها الكاملة في نهاية المقطع الأول حتى تظهر نتائجها في شكل تفاعل حاصل بين كائنين بشريين وهذا التفاعل ـ بالطبع ـ لب الفعل الشعري الذي يربط خيوط القصيدة

فافتحي للسحاب بالنار منك
المحمل منك بداء الرجوع اليك

(وليلاحظ نمو المفارقة الكائنة في عبارة « صمتي [انعدام] مطر [حدوث] » ، وتطوره الى السحاب المحمل [لا بالماء وانما بالنار] ، وهذا يجعل الوصول الى ذروة الفعل الشعري « المحمل منك بداء الرجوع اليك » أمرا سلسا ومؤثرا)

اذن فقد نما المقطع الأول في القصيدة من بذور هذا التعبير الشعري الذي أخذ شكل اللازمة ، فجعل المقطع الثاني أكثر تركيبا ، بفعل عناصر الشد والجذب المتمثلة في « السحاب المحمل بالنار منك ـ المحمل منك بداء الرجوع اليك » ، ثم تكررت اللازمة لتثبت نتائج المقطعين ، ولتحمل القارىء الى أفق جديد وفي هذا الأفق المتشكل منذ المقطع الثالث يدخل عنصر جديد ، يتمثل في « بتوافد حراسك اليقظون على ساحة البيت » لقد كان التفاعل حتى الآن مبنيا على عنصري جذب ، وها هو ذا عنصر ثالث متمثل في « حراسك اليقظون » يدخل المجال ، فيحدث فعلا زائدا على مجرد المفاجأة الذي بدا في المقطع الأول ، ومجرد « التجاذب » الذي بدا في المقطع الثاني انه فعل قائم على « الكر والفر »

فأبرق فيهم وأرتد عنهم

وتكون نتيجة تأثير هذا العنصر الجديد أن المجال اتسع طولا وعرضا وعمقا ، أي أنه أصبح شاملا

فيهطل صمتي عليك ، أمامك ، خلفك ،
في أي ركن تروحين ،
في أي ركن تجيئين ،
يسقط حولك هذا المطر

البسيط والمركب

ونتيجة لتقدم عناصر القصيدة من « البسيط » الى « المركب » ، ومن « المفرد » الى « المتعدد » يتحول الفعل من « الصمت » الى « الصوت » ، ومن « الكامن » الى « المعلن » وفي المقطع الأخير من القصيدة يتجلى تفاعل العنصرين الرئيسيين فيها بصورة ايجابية ، فبعد أن كان أحدهما في المقطع الأول منها يقف « عاجز الخطو » ، « مأخوذ اللب » ، « مذهول العين » اذا به في المقطع الأخير منها يقف على قدم المساواة من العنصر الايجابي الآخر المثير

أنت لي وأنا لك

هذا في حين تنشط العناصر الايجابية الأخرى بعوامل منها

يسقط الحراس اليقظون

ومنها

ستلقيني قابعا في الغصون ،
ومنتصبا في جذوع الشجر

ومنها تكرار العنصر الحاسم « القدر » ، متوجا الاحساس بحتمية النصر النهائي وتأبيده ، وجاعلا لورود « اللازمة » في الختام طعم الجواب الموسيقي الذي يتردد صداه مع أشباهه في نهايات المقاطع الأخرى ، فيحدث توازنا صوتيا ومعنويا شبيها بتوازن الآلات التي تعزف بانسجام ، وهذا من شأنه أن يجعل لهذه « اللازمة » وقعا جديدا في كل مرة نستمع اليها فيها

فأنا كالقدر ،
وقدومي انقلاب ، وصمتي مطر . □

منتدى العربي

قضية

دور الأرقام العربية
في الحضارة الإنسانية

بقلم : الدكتور عبد اللطيف كانو *

نشرت « العربي » في العدد ٣٤٥ أغسطس ١٩٨٧ مقالة بعنوان « أرقام الحساب ، عربية أم هندية ؟ » تناولت أرقام الحساب المعروفة بالعربية التي تستخدم في أوروبا والمغرب العربي وبلدان أخرى في العالم ، والأرقام الأخرى التي تستخدم في المشرق العربي ، وتعرف بالأرقام الهندية .

في هذا العدد يناقش الكاتب القضية نفسها من زاوية أخرى .

إن الحقيقة التاريخية المؤكدة هي أن علم الأرقام والأعداد والحساب والرياضيات لم ينهض بمستوى علمي معقول متميز فعال إلا على أكتاف علماء المسلمين ، في حوالي القرن الثاني الهجري ، حيث تمكنوا من إخراج الأرقام والأعداد من نطاق محدود ضيق ، إلى أفق واسع متطور ، ارتبط بعلم الحساب والجبر والهندسة ، وأن المسلمين إبان نهضتهم قد وضعوا مفهوم الصفر الذي في الواقع أعظم اختراع عرفته الانسانية ، وأسست عليه علومها ، وتقدمها،ورقيها ، وحضارتها الحديثة

لقد غير إدخال الصفر على الأرقام العربية المفاهيم البالية ، وجعل الأرقام تستقيم في مواقعها الصحيحة بسهولة ويسر دون لبس أو تعقيد ، والواقع أن الصفر بالنسبة لنا الآن أصبح أمرا سهلا ، لا يحتاج

---

* دكتوراة في الهندسة ، وكيل وزارة الإسكان في البحرين ، مدير ومؤسس بيت القرآن

إلى تفكير أو عناء ، لأننا نتعلمه ونحن أطفال ، لكن الوضع مختلف عند اختراعه ، إذ أنه كان في ذلك الوقت من أهم الانجازات الرئيسية في تاريخ الانسانية ويمكن للمرء الآن أن يتصور كيف ستسير الأمور دون استعمال الصفر كما أن إدخال الصفر في المعادلات الجبرية العربية قد فتح مجالا وآفاقا جديدة أمام علماء ذلك العصر ، لم تكن معروفة قبل ذلك الحين

لقد استعمل العرب كلمة الصفر للدائرة التي تملأ الفراغ بين الأرقام العربية ، وفي نفس الوقت تعني لا شيء وقد أخذ كثير من الشعوب تسمية الصفر من العربية ، فالأسبان يسمون الصفر ثيفر (الاسبان ينطقون (ث) بدلا من (الصاد) ، والانجليز يسمونه « زيرو » أو « صايفر » ، أما باللغة الفرنسية فهو « شيفر » ، وفي اللغة الايطالية اسمه « شيفرا » ، لكن الالمان سموا الصفر « تسفر »

الأرقام الغبارية والأرقام الهوائية :

يقول الأستاذ الكبير قدري حافظ طوقان في مقدمة كتابه عن تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك . « فالتراث الذي خلفه الأقدمون والانقلابات التي تتابعت هي التي أوصلت الانسان إلى ما وصل إليه ، وجهود فرد أو جماعة في ميادين المعرفة تمهد السبيل لظهور جهود جديدة ، من أفراد أو جماعات أخرى ، ولولا ذلك لما تقدم الانسان ، ولما تطورت المدنيات ، ذلك لأن الفكر البشري يجب أن ينظر إليه ككائن ينمو ويتطور ، فأجزاء منه تقوم بأدوار معينة في أوقات خاصة ، تمهد لأدوار أخرى معينة

ويتابع الأستاذ قدري فيقول . « فاليونان (الاغريق) مثلا قاموا بدورهم في الفلسفة والعلوم ، وكان هذا الدور الذي قام به العرب ، وهو الدور الذي مهد الأذهان والعقول للأدوار التي قام بها الغربيون فيما بعد ، وما كان لأحد منهم أن يسبق الآخر ، بل إن الفرد أو الجماعة كانت تأخذ عن غيرها ممن تقدمها ، وتزيد عليه ، فوجود ابن الهيثم ، وجابر بن حيان ، وأمثالهما ، كان لازما وممهدا لظهور « غاليلو » ، و « نيوتن » ، فلو لم يظهر ابن الهيثم لاضطر « نيوتن » أن يبدأ من حيث بدأ ابن الهيثم ، ولو لم يظهر جابر بن حيان لبدأ « غاليلو » من حيث بدأ جابر ، وعلى هذا يمكن القول لولا جهود العرب لبدأت النهضة الأوروبية في القرن الرابع عشر ، من النقطة التي بدأ منها العرب نهضتهم العلمية في القرن الثامن للميلاد

حساب الجمّل .

قبل أن تستعمل الأرقام العربية المتداولة في مشرق الوطن العربي ومغربه كان العرب يستعملون حساب الجمل ، وهو استخدام الحروف الأبجدية للدلالة على الأعداد ، فقد كان كل حرف يمثل قيمة عددية معينة ، فالعدد واحد (1) كان ممثلا بحرف (أ) ، والعدد اثنين بحرف (ب) ، والعدد ثلاثة بحرف (ج) ، وهكذا حتى عدد عشرة الذي يمثل بحرف (ي) حسب ترتيب أبجد هوز ، وابتداء من عدد عشرين حتى عدد مائة يمثل حرف (ك) عدد عشرين ، ويمثل حرف (ل) عدد (٣٠) ، وحرف (م) = (٤٠) ، وحرف (ن) = (٥٠) وهكذا حتى عدد مائة وابتداء من عدد مائتين يمثل حرف (ر) عدد مائتين ، وحرف (ش) = (٣٠٠) ، وحرف (ت) = (٤٠٠) ، وحرف (ث) = (٥٠٠) وهكذا حتى عدد ألف الذي يمثله حرف (غ) وهو آخر حروف العربية على ترتيب أبجد هوز

فلو أننا أردنا أن نعبر عن عدد 272 لجار لنا أن نكتب كلمة عرب ، ومسلمون كلمة عددها بالجمّل 226 وكلمة شعب ، عددها 372، وعدد اسم محمد بالجمل 92، وكلمة (البحرين) عددها بالجمّل 301، أما كلمة (سلام) فعددها بالجمل 131

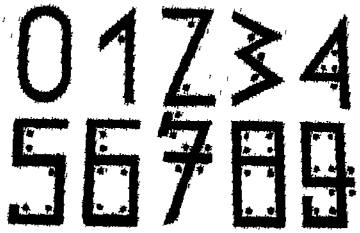

دور الـزوايـا في تشكيل الأرقام الغبارية

نظامان للترقيم

لقد ابتكر العرب في العصر العباسي نظامين عربيين للترقيم ، هما الأرقام الهوائية ، والأرقام الغبارية وانتشر استعمال هذه الأرقام في الأقطار الاسلامية خلال القرن الثاني الهجري وقد طوروها ، وهذبوها ، وأصلحوا كتابتها ، وحسنوا أشكالها ، فأصبحت آية من الاتقان والضبط والسهولة في الكتابة والقراءة ، وفي هذين النظامين للأرقام استعمل الصفر الذي اشتق من دائرة ذات مركز في الوسط ، وقد استعملت الدائرة لتكون الصفر في الأرقام الغبارية ، أما الأرقام الهوائية فقد اتخذت النقطة المتواحدة في مركز الدائرة ، لتعبر به عن الصفر

وقد استعملت الأرقام الهوائية من قبل أبي الجبر والحساب العالم الاسلامي الجليل محمد بن موسى الخوارزمي في كتابه « حساب الجبر والمقابلة » في حوالي سنة 200 هجرية (164 / 235 هـ) ، في عهد الخليفة المأمون ، وقد سميت هذه الأرقام كذلك « الأرقام الهندية » ، و « الأرقام الخوارزمية » ، وهذه الأرقام هي نفسها المستعملة في المشرق العربي وبعض البلاد الاسلامية ، أما الأرقام الغبارية فهي المستعملة في المغرب العربي وفي الأندلس إبان الحكم الاسلامي ، وقد انتقلت إلى اوروبا والغرب عبر جبال البرنيز الاسبانية ، ليطلق عليها هناك اسم « الأرقام العربية » (Arabic Numbers) ، لكننا في المشرق العربي نطلق عليها خطأ اسم « الأرقام الغربية أو الأرقام الإفرنجية » ، ومهما يكن من أمر فإن النظامين المتبعين في المشرق والمغرب العربي يرجعان إلى أصول عربية واحدة ، استعملت جميعها باتقان ومعرفة تامة منذ النهضة العلمية للفكر الاسلامي .

ولقد سميت الأرقام الغبارية بهذا الاسم لأنها كانت تكتب في القديم على طاولة ، أو على لوحة تكسوها طبقة خفيفة من الرمل ، أما الأرقام الهوائية فقد سميت بهذا الاسم لأنها كانت تعد وتحسب في الذهن

الأرقام العربية سهلة التعليم

لا بد من وقفة سريعة للتحدث عن مزايا الأرقام العربية ، الغبارية منها والهوائية على حد سواء ، فإن هذه الأرقام العربية مكونة من عشرة أشكال بسيطة ومنها الصفر ، ويمكن تركيب وكتابة أي عدد منها مهما كان كبيرا من هذه الأشكال العشرة ، وهذه الميزة الطبيعية قد أعطت السبق للأرقام العربية على الأرقام الرومانية المكونة من أشكال وحروف عديدة ، وكذلك على الأرقام اليونانية ، وعلى العربية القديمة المرتبطة بحروف أبجد هوز في حساب الجمّل ، كما أن الأرقام العربية سهلة الاستعمال والتركيب والكتابة ، ويمكن فهمها بسهولة تامة دون عناء أو صعوبة ، كما أن طابعها المنطقي البسيط قد جعلها سهلة في التعليم ، ميسرة للفهم ، مطواعة ، جميلة الشكل والتناسق ، وهي صالحة للنظام العشري ، ولجميع العمليات الحسابية والجبرية والرياضية التي لم يكن ممكنا القيام بها دون الأرقام العربية المبسطة

الارتباط بعلم الزوايا

الأرقام العربية الغبارية مرتبطة بعلم الزوايا ، فكل زاوية تمثل رقم العدد ، فالرقم واحد يتكون من

زاوية واحدة ، والرقم اثنين يتكون من زاويتين ، والرقم ثلاث يتكون من ثلاث زوايا ، وهلم جرا ، إلى أن نصل إلى العدد تسعة ، وهو مكون من تسع زوايا، ولم يستعمل نظام الزوايا بالنسبة للصفر ، بل استعملت الدائرة ، لأنها ليست رقما أو عددا ، وإنما هي مكونة من لا شيء والقصد من استعمالها هو للدلالة على موقع الفراغ بالنسبة للأرقام ، ووضعها في الخانات الصحيحة ، لتفرق بين الخانة الآحادية والعشرية والمئوية إلخ

وقد أدخل العديد من التعديل والتجويد على الزوايا المختلفة للأرقام العربية الغبارية ، فأصبحت شكل مقبول متناسق ، لا سيما بالنسبة للأرقام المكونة من مربعات ، حيث حلت مكان الزوايا الاستدارة والدائرة ، فأصبحت أكثر سهولة في الكتابة والتركيب والشكل

العالم يستعمل الأرقام العربية

إن العديد من دول العالم تستعمل الأرقام العربية الغبارية ، وتسميها باسمها الحقيقي الأصلي ، وتنسبها إلى مصدرها (Arabic Numbers) ، وهي بالنسبة للعالم المتطور المتحضر موضوع مسلم به ، لا يمكن الاستغناء عنها ، وليس لها بديل ، وهي لغة الحضارة والتقدم ، وأساس العلم والتقنية المعاصرة هذه الأرقام العربية الغبارية ما تزال بعض المصادر الأجنبية تخلط بينها وبين الأرقام الهندية القديمة ، فتسميها الأرقام الهندية العربية ، والواقع أن الأرقام الهندية تختلف اختلافا كاملا عن الأرقام العربية الغبارية المستعملة في المغرب ، إلا أن هذه المصادر مصممة على استعمال هذه المعلومات الخاطئة ، إما لعدم الالمام والاطلاع ، أو لأن هذه المصادر مأخوذة من المراجع الأوروبية التي لم تنهج المنهج العلمي الدقيق في بحوثها عند الكتابة عن الأرقام العربية آنذاك

تستعمل الأرقام العربية الغبارية في معظم بلدان العالم . كما تستعمل الأرقام العربية الغبارية في اللغة العبرية الحديثة ، واللغة الاغريقية الحديثة (اليونانية) ، إلا أنه من المؤلم حقا أن نرى الوطن العربي منقسما على نفسه، فأقطار المغرب العربي تستعمل الغبارية ، وأقطار المشرق العربي تستعمل الهوائية ، ويقال إن هذا الاختلاف قد جعل دولة إسلامية عندما بدأت في التعريب الكامل تتحول من الأرقام الغبارية التي كانت مستعملة فيها إلى الأرقام الهوائية التي كانت تستعملها في السابق قبل التحديد ، وكلها في الواقع أرقام عربية لا تحتاج إلى تبديل

لقد كان العرب المسلمون إبان النهضة العلمية أول من استفاد من علوم العصر وطورها ، لكنا في وقتنا الحاضر نتحدث عن تكوين اللجان لدراسة الامكانية والاستبيان بالنسبة لتوحيد الأرقام

لقد عرف العرب فائدة الأرقام العربية الغبارية فاستعملها دون حرج أو شعور بالعيب أو تهاون ، لكننا في المشرق العربي ما نزال نطالب الجامعة العربية أن تأتي وتحل لنا إبهام الأرقام العربية التي هي في الأصل جزء من حضارتنا والتي تستعمل على نطاق دولي عالمي وقد قامت الجامعة العربية بتكليف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بإعداد دراسة ترمي إلى توحيد الأرقام العربية ، ولم يستجب لهذا القرار إلا العراق وسوريا وليبيا ، وعلى ما أعتقد في حدود صيغة محدودة بالاضافة إلى المغرب وتونس والجزائر وموريتانيا والصومال وجيبوتي

متى نوحد الجهود ؟

لقد أثيرت مشكلة اختلاف الأرقام المستعملة في كل من المشرق والمغرب العربيين رسميا ، بقصد توحيدها خلال المؤتمر الأول للتعريب الذي انعقد في المملكة المغربية في عام 1961، ومنذ ذلك الحين والدراسات تقدم من قبل المؤسسات العلمية واللجان تعقد ، والقرارات تتخذ ، لكن ما نزال كما كنا ،

ندور في دائرة مفرغة كما يقولون ، لا نريد أن نتخذ القرار الشجاع باستعمال أرقام عربية موحدة ، وكأننا نعيش في العصور الوسطى التي عاشتها أوروبا ، ووصفتها المستشرقة الالمانية زيغريد هونكه « ووقع الناس في حيرة من أمرهم ، فهم لا يستطيعون نسيان ما اعتادوا عليه قرونا طويلة من استعمالهم لأرقام رومانية ، وهم في الوقت نفسه يتوقون إلى تعلم تلك الأرقام البسيطة ، ونحن كذلك لا نريد أن نعترف أن الأرقام العربية الغبارية والهوائية هما من أصل عربي واحد ، وما هو مطلوب منا أن ننتخب الأكثر فائدة وملاءمة ودقة وجودة ، والأكثر استعمالا وشيوعا في العالم أجمع

لقد وافقت لجنة التنسيق التابعة للجامعة العربية على الدراسة التي أعدتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم حول موضوع توحيد الأرقام العربية ، على استخدام الأرقام العربية الغبارية في المنظمات العربية التابعة للجامعة العربية ، كما قررت أن ترفع الدراسة إلى الجهات المعنية في الحكومات العربية ، للاعلان عن رأيها في استخدام الأرقام العربية الغبارية بصورة رسمية ، ومعنى هذا أن الموضوع ما يزال معلقا ، ينتظر إعلان الآراء السديدة

إن المؤسسات العلمية ، والمنظمات العربية ، والجمعيات العلمية ، والمكاتب الاستشارية المشرقية ، والعديد من المؤسسات المصرفية ، تساند استعمال الأرقام العربية الغبارية ، لأسباب عديدة ، أهمها .-

ـ أنها أرقام كان للعرب دور رئيسي في اختراعها وصقلها وتهذيبها واستخدامها ونشرها في العالم

ـ أنها تحمل اسم الأرقام العربية (Arabic Numbers) في اللغات الأجنبية ، ومستعملة تقريبا في جميع أنحاء العالم ، وفي عدة أقطار عربية في المغرب العربي وبعض أقطار المشرق العربي

ـ أنها تغني عن ترجمة الجداول الرياضية ، وتخفف أعباء ترجمة الأرقام في الكتب العلمية

ـ أنها تحل مشكلة الصفر ، فهو دائرة متميزة في الأرقام الغبارية ، لا نقطة ضائعة ، كما هو الحال في الأرقام الهوائية ، مما قد يسبب صعوبات والتباساً وعدم تمييز

ـ أنها تحقق مبدأ عالمية الأرقام الذي هو مبدأ مفيد ، ذو مردود متميز في العلاقات الدولية

إنه لا بد لنا أن ننطلق في إطار متكامل من خلال مخطط سليم لاستعمال الأرقام الغبارية في الوطن العربي بأكمله ، بدلا من الأرقام الهوائية المستعملة في المشرق العربي ، ولا بد أن تبدأ هذه الانطلاقة في الجامعات والمؤسسات العلمية ، كما أن للصحافة دوراً مهماً في توعية الناس ، وحثهم على تقبل الأرقام الغبارية ، وإن خير نجاح يمكن أن يحققه هذا التطلع هو أن تبدأ الصحافة والجامعات والمؤسسات العلمية باستعمال الأرقام الغبارية على جميع المستويات ، كما أن استعمال الأرقام الغبارية على لوحات السيارات سيعطي مردودا إيجابيا مفيدا نافعا ، وسيمكن المسئولين من استعمال رقم واحد موحد بدلا من المزاوجة بين الأرقام الغبارية والهوائية في بعض الأقطار العربية

والواقع أننا نعيش الآن نهضة علمية تقنية فنية متقدمة متفتحة ، يشكل الرقم العربي الغباري مركزا رئيسيا فيها ، كما أن علوم الحاسوب قد فجرت ثورة عارمة في عالم المعرفة ، واستعمال الأرقام العربية الغبارية في هذا العصر أصبح مطلبا واقعيا علمياً ملحّاً من أجل الأجيال القادمة ، ليتمكنوا من الاستفادة ، ومسايرة علوم العصر وتطوراته ، وسيحل ذلك كثيراً من التعقيد وصعوبة الفهم

من هذا المنطلق فإن أقطار المشرق العربي ـ ومنها أقطار مجلس التعاون الخليجي ـ مدعوة بأن تأخذ زمام السبق والمبادرة ، وأن تضع الخطوات العملية والفعلية لاستعمال الأرقام العربية الغبارية في أقرب فرصة ممكنة □

منتدى العربي

تعقيب

الجنس الثالث
بين الأنوثة والذكورة

قرأت المقالة التي نشرت في عدد ديسمبر ١٩٨٦ ، والتي كتبها الدكتور نجم عبد الله عبد الواحد بعنوان « الجنس الثالث » مرض نفسي أم خلل هرموني ؟ ، وأود إيضاح بعض النقاط التي وردت في تلك المقالة

أولا أعطى العنوان شعورا بتشابه حالات المرض النفسي واختلال الهرمونات ، ولذا فأنا أطمع في سعة صدركم وصدر القراء في أن يسمحوا لي بإيضاح ما بين الحالين ، إن حالات المرض النفسي يشاء فيها الشخص تغيير جنسه ، وما هي إلا اختلال نفسي لانسان سليم جسمانيا ، بمعنى أنه كامل التكوين ذكراً أو أنثى ، وأن ما يحدث هو أن يشاء رجل كامل الذكورة « أو سيدة كاملة الأنوثة » أن يتحول الى الجنس الآخر ، وهذه الحالة يطلق عليها بالانجليزية اسم Transsexuality ، ويتم فعلا إجراء عمليات لهؤلاء الأشخاص ، لجعل أعضائهم التناسلية تبدو بقدر الامكان شبيهة بأعضاء الجنس الجديد . وهناك حالة أخف نوعا من ذلك وهي حالة التشبه بالجنس الآخر من حيث الملبس ، وتسمى Transvistism .

وأتفق تماما مع دكتور نجم أن هذه الحالات ليست سوى اطلاق للشهوة ، والعبث بما لا يجوز أن يعبث به ، وإن كنا نسلم باستنكار تلك الحالات ، إلا أننا لا نستطيع أن ننكر أن يكشف العلم عن أنواع من الخلل في مواد المخ الكيميائية ومستقبلاته تكون مسئولة عن هذه الحالات ، شأنها في ذلك شأن بعض الأمراض النفسية الأخرى ، أو بعض السلوكيات (ولنضرب مثلا بسيطا حيث اكتشف أن حرمان المسجونين ذوي الميول العدوانية من المواد السكرية يؤدي الى تقليل ميولهم تلك)

ثانيا أما حالات اختلاط الصفات الذكرية والأنثوية في نفس الشخص ، والمسماة بالتخنث Irtersexuality فهي نقص جسماني في صفات الذكورة أو الأنوثة ، شأنها في ذلك شأن من يولد بزيادة أو بنقص في عدد الأصابع مثلا

ولنبدأ معا الرحلة داخل بطن الأم لنرى التطور الجنسي للجنين الذي يتم على ثلاث مراحل

تبدأ المرحلة الأولى بتأسيس التركيب الوراثي للجنين ، حيث يكون الذكر « ٤٦ ، س ص » والأنثى « ٤٦ ، س س » ، أي يشترك الذكر والأنثى

في ٤٥ كروموسوما ويختلفان فقط في الكروموسوم السادس والأربعين ، فإن كان « س » فيتم في أغلب الحالات تكون المبيض في الجنين الأنثى ، وإن كان « ص » فيتم تكون الخصية في الجنين الذكر

من عجائب حلق القدير الحكيم أن الجنين بدءا يملك الأعضاء التناسلية الداخلية والخارجية للجنسين معا ، أي أن الحنين الذكر والأنثى يبدوان متطابقين أول الأمر ، فكل جنين عنده قناة مولر (التى يتكون منها الرحم والأنابيب فيما بعد) ، وفي نفس الوقت عنده أيضا قناة وولف (التي يتكون منها الوعاء الناقل للمني والبربخ وعيره فيما بعد) ، هذا عن الأعضاء الجنسية الداخلية أما عن الأعضاء الحنسية الخارجية فتتكون من البرور التناسلي (الدي يكون إما القضيب في الذكر أو البظر في الأنثى) ، والثنيات الشفرية الحبالية (التي تكون الحبال الذكرى في الرحل أو الشفرين الصغيرين في الأنثى) والورمين الشفريين الصفينين اللذين يكونان الصفن وهو كيس الخصية في الرحل أو الشفرين الكبيرين للفرح في الأنثى)

وما يتم في هذه المرحلة هو أن تفرز الخصيتان الهرمونات الخاصة بها التي تؤدي الى نمو قناة وولف ، وضمور قناة مولر ، مما يؤدي الى نمو الأعضاء الحنسية الداخلية الحانحة الى ناحية الذكورة وأيضا تؤدي هذه الهرمونات الى نمو البروز التناسلي ليصبح قضيبا ، وتلتحم الثنيات والورمان ليتكون الحبال الذكرى والصفن على أكمل وجه

وجدير بالذكر أنه على قدر علمنا يلزم لتكوين المبيضين تركيب وراثي سليم « ٤٦ ، س س » ولكن لا يقوم المبيض بأي دور في تكوين الأعضاء الجنسية ، أو بمعنى آخر عدم وجود غدد تناسلية على الاطلاق سوف يؤدي الى تكوين أعضاء تناسلية أنثوية داخلية وخارجية ، كما لو أن الطبيعة جعلت الأساس أن يتم التكوين على هيئة أنثى ، مالم تتدخل هرمونات الخصية لإحداث الأثر العكسي

ونأتي الآن لشرح الاختلالات الممكنة بطريقة موجزة مبسطة ، وهي تنقسم أساسا الى ثلاث مجموعات

المجموعة الأولى وهي التي تنتج عن اختلال التركيب الوراثي ، مما يؤدي الى تكوين أعضاء تناسلية شائهة ، إما داخليا أو خارجيا ، أو الاثنين

المجموعة الثانية وهي أن يتعرض الجنين الأنثى ذو التركيب الوراثي السليم لهرمونات ذكرية ناتجة من الغدة الكظرية ، لاختلال الانزيمات فيها ، أو ناتجة عن تعاطي الأم أثناء حملها للهرمونات ، وفي الحالتين تتكون أعضاء تناسلية خارجية تجنح الى الذكورة .

المجموعة الثالثة وهي أن يولد الطفل دو التركيب الوراثى السليم « ٤٦ ، س ص » ، ولكنه على هيئة أنثى حارحيا ، أو ما بين الذكر والأنثى .

ثالثا ونسأل أنفسنا الآن أين الحالة النفسية ، وإحساس الشحص بجنسه من حيالات التحنث المذكورة في البند الثاني ، بل ونكملة لهذا السؤال نقول ماذا يحدد إحساس الفرد بجنسه ؟ هل هي الهرمونات التي تعرض لها قبل الولادة ، أو عند البلوغ ، أم هي البيئة المحيطة للطفل منذ ولادته ؟ بل ونتساءل لماذا يحدث في بعض الأحيان أن يطالب المريض بتحويل جنسه الى العكس على الرغم من عدم معرفته المسبقة باحتلال وظائفه الحنسية ؟

في الحقيقة تنقسم الآراء في هذا الموضوع الى قسمين القسم الأول يتزعمه البروفسور موني من جامعة جونز هوبكنز ، ورأيه أن الطفل يعرف حنسه بناء على معاملة البيئة المحيطة به ، وأن التربية الجنسية للفرد هي أهم العوامل التي تحدد إحساس الفرد بجنسه ، أما القسم الثاني الذي يتزعمه البروفسور امبراتوماجنكي من جامعة كورنل فرأيه أن هرمونات الذكورة تطبع في خلايا المخ حالة معينة ، تميز الطفل الذكر عن الأنثى ، في اللعب والملبس والميول العدوانية □

الدكتور يحيى زكريا جاد

الجديد في العلم والطب

اعداد : يوسف زعبلاوي

رجل الجبل الأسطوري والعلم

● ثمة ظواهر طبيعية طالما استعصى تفسيرها على العلم تذكر من تلك الظواهر مثلث برمودا والأطباق الطائرة والوحش الاسطوري المتواري في بحيرة نيس في اسكتلندة ونذكر منها أيضا رجل الجبل

أو ان شئت القدم الكبيرة(Big Foot) كما يسميه البعض أو (سسكواتش) (Sasquatch) كما يسميه البعض الآخر ، وذلك في المناطق التي تواترت أخباره فيها ، وفي ولاية واشنطن ، وولاية اوريجون على وجه التخصيص وعلى كثرة ماجمع الصيادون وهواة المشي من شواهد تدل على وجود رجل الجبال فان أغلبية العلماء تطعن في تلك الشواهد ، وترفض القصص التي تتردد عن رجل الجبال وتعتبرها أضغاث أحلام فهم بحاجة الى دليل علمي قاطع ليعيروا تلك الظاهرة اهتمامهم ، ولم يبادر أي من العلماء الى البحث عن ذلك الدليل حتى تولى المهمة جروفر كرانتز (Crantz) وهو أحد علماء الأنثروبولوجيا في جامعة واشنطن

وركز كرانتز جهوده على الآثار التي تركتها القدم الكبيرة هنا وهناك على ثلوج الجبال ، فجمع من هذه الآثار ١٢ أثرا تشمل تلك التي جمعها رجال مصلحة الغابات في الولايات المتحدة ثم صنع العالم قوالب من جبس لتلك الآثار ، وظهرت على ثلاثة منها بصمات مميزة تشبه البصمات التي يحملها ابهام اليد ، وفحص الخبراء تلك البصمات (Dermel Ridges) وأجمعوا على أنها أصيلة

وكشفت القوالب على أن طول القدم الكبيرة يبلغ ١٧ بوصة وأن كاحلها أكثر تقدما الى الأمام من كاحل الانسان العادي ، وذلك بالقدر الذي يستوجبه وزن رجل الجبل ، وهو يبلغ (٥ - ٦) أضعاف وزن الرجل العادي ، اذ لا يقل وزنه عن ٨٠٠ رطل انكليزي حسبما تؤكد الدراسات العلمية الدقيقة ، ويبلغ طوله ٨ أقدام أو يزيد ، وله ساقان لا تختلفان عن سيقان البشر العاديين ، من حيث طولها ونسبته الى طول الجسم هذا بخلاف ذراعيه وهما أطول نسبيا من أذرع البشر وتتباعد كتفاه بمقدار ياردة وله جبين متراجع يذكرك بجبين الغوريلا أضف الى ذلك أن الشعر يغطي جسمه كله ماعدا الوجه وقبضات اليدين ، وأنه يقبل على أكل الجذور والفئران

ويبوي العالم كرانتز القيام بجولات هليوكبتر شاملة للمناطق التي يسكنها رجل الجبل حسبما تؤكد التقارير ، وسيعتمد في تلك الجولات على أجهزة تستطيع الكشف عن جثة رجل الجبل ان كان ثمة جثة ، وذلك بواسطة الأشعة تحت الحمراء

والجدير بالذكر أن عالم الأنثروبولوجيا (كرانتز) يعتقد جازما بوجود رجل الجبل ، ويعتقد أيضا أنه من بقايا الفصيلة التي أدت الى ظهور الانسان في الوقت المناسب قبل ملايين السنين

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

عقار يبطل مفعول الخمور

لعل أخبار المكتشفات والمخترعات التي تأتي وليدة الصدفة تكون أبعث على التشويق والاثارة من أخبار تلك التي تأتي نتيجة البحث الهادف والتخطيط ويصدق هذا بخاصة في الحالات التي تنجح فيها الصدفة حيث يفشل التخطيط وهذا هو بالضبط ماحدث للمركب الذي مازال يعرف باسمه المختبري (Rois-4513)والذي يبطل مفعول السكر تماما في غضون ٤ ـ ٥ دقائق ،

فلطالما بحث عنه العلماء بلا طائل ، مما دفع بعضهم للبحث عن مركب يبطل مفعول (الفاليوم) وقد فاجأتهم الصدفة بمركب يبطل مفعول الخمور لا المهدئات ، لا عجب اذن أن أقدم معهد الصحة العقلية (التابع للمعهد الوطني في الولايات المتحدة) على مواصلة الأبحاث ، فقد بادر بيترسورداك (Suz-dak) وهو جراح أعصاب معروف ينتمي الى المعهد المذكور ، بادر هو وزملاؤه في المعهد الى اجراء الدراسات والتجارب المختبرية التي تتحرى مدى فاعلية المركب (Rois) ونذكر من تلك التجارب ، على سبيل المثال ، تلك التي قدم فيها العلماء الخمرة بكميات لا يستهان بها الى عدد من فئران المختبر ، وما أسرع ما سكرت الفئران ، واستلقت على المائدة دون حراك ، ثم حقنها العلماء بمركب (Rois) واذا بالفئران تتحرك في غضون دقيقتين ثم تصحو ويزول عنها السكر تماماً في غضون ٤ ـ ٥ دقائق ، وكأن شيئاً لم يكن

وأثبتت الدراسات الجديدة أن للمركب المذكور فوائد اخرى عديدة فهو يزيد التحكم بالعضلات ، وحضور البديهة ، والقدرة على اصدار الاحكام واتخاذ القرارات ، ناهيك بتقوية مشاعر الثقة والاكتفاء ، وهي عكس المشاعر التي تسيطر على السكارى

وذهب سوزداك ورفاقه الى أبعد من ذلك ، فقد نجحوا في الكشف عن سر فاعلية (Rois -4513) فهو يمنع التوافق بين الكحول وبين مادة جابا (Gaba) وهي المادة المخدرة الطبيعية التي يفرزها الجسم في أوقات الشدة ، وذلك من أجل تخدير المخ ووقايته والتي لولاها ولولا التوافق معها لما كانت الخمور مسكرة ، فالمركب الجديد يبطل هذا التوافق ويبطل بالتالي مفعول السكر كما أسلفنا

سلامة البشرية في سلامة البيئة

أبقار صغيرة بحجم الدجاج

● لعل أطرف التجارب العلمية وأبعثها على الدهشة . هي تلك التي تتمحص عن صنوف جديدة من المخلوقات ، تختلف اختلافا جذريا عن الصنوف الأولى التي طورت منها، ويعجب المرء أن تكون المكسيك هي البلد التي أجريت فيها التجربة الغريبة التي نحن بصدد الحديث عنها وأن تكون في نظر الكثيرين بحكم ثورة زراعية خضراء ، ولكن في مجال تربية المواشي لا في مجال النبات

كانت البداية قبل ١٧ عاما ، في مطلع السبعينات ، حين اجتمع المدعو انجل كسترليون نالسن وهو عالم اجتماع وصاحب مزارع بالدكتور مانويل برويكوس فيلالوبوس الاختصاصي في علم الوراثة ، والمدير المسؤول بكلية الطب البيطري في جامعة المكسيك المستقلة الوطنية التي تقع في شمال شرق البلاد وفكر الرجلان فيما عساهما أن يفعلا لتطوير بقرة قزمة ، تكون قليلة التكاليف ولا تحتاج مساحة كبيرة من المرعى ، وهذا هو بيت القصيد

ووقع اختيارهما على بقرة (الزبو) ، وهي بقرة هندية ـ برازيلية اشتهرت بضخامتها فهي تبلغ (٦) أقدام طولا و (٢٠٠٠) رطل انجليزي وزنا

ومضى عالم الوراثة في اجراء أبحاثه وتجاربه العلمية التي يستوجبها القصد من المشروع ، وراح يهجن البقر من الفصيلة المذكورة على مدى خمسة أجيال وذلك وفق حسابات علمية دقيقة ومعقدة حتى توصل الى توليد البقرة الصغيرة التي يريد ، نقول صغيرة والأجدر بنا أن نقول قزمة ، اذ لاتبلغ البقرة المهجنة من الطول سوى (٢ـ٣) أقدام ولا يزيد وزنها على (٣٠٠) رطل

والأهم من ذلك أن البقرة القزمة تكتفي بعشر المرعى الذي تحتاجه بقرة الزبو الأصلية ، أي أن مساحة ٣ فدادين من المرعى تفي بحاجة (١٠) بقرات قزمة ، وهي لاتكاد تفي بحاجة بقرة من بقر الزبو الضخم

وفوجىء العالمان بميزات أخرى للبقرة المولدة لم يتوقعاها، فقد أثبتت أنها حلوب ودارّة للبن أيضا ، فهي تعطي ٣ـ٤ لترات من اللبن يوميا ، أي أكثر من نصف ما تعطيه البقرة الأم الضخمة ، وهو لايزيد على ٦لترات في اليوم وأثبتت أيضا أن لحمها مستطاب ولا يقل عن سواه من حيث قيمته الغذائية ، ومقدار ما يحتويه من البروتين .

بيد أن البقرة القزمة ليست مثالية ، بل إنها تسبب لاصحابها من المشاكل ما لم يكن في الحسبان ، فهي أليفة جدا ، وكثيرا ما تضيع في المراعي وتحتمي بحشائشها الخضراء

والجدير بالذكر أن احدى حدائق الحيوان الولايات المتحدة حاولت شراء الأبقار المولدة كلها

وعددها ثلاثون بقرة أو يزيد ، وذلك لقاء أثمان مغرية ، ولكن بلا طائل

أما وكالة الأنباء المكسيكية فقد أثنت على المشروع أعطر الثناء ، وشجعت المكسيكيين جميعا على تربية الأبقار القزمة ، فحدائق المنازل تكفي لتربيتها وان لم توجد الحدائق فسطوح المنازل تفي بالحاجة

الولايات المتحدة تصدر الأمطار الحمضية الى كندا !

● ساءت العلاقات بين كندا والولايات المتحدة أكثر من أي وقت مضى ، فالملوثات التي تتصاعد في الجو لتهطل أمطارا حمضية في كندا مازالت على حالها ، ومازالت تسبب الاضرار البالغة لكندا وأهلها ، هذا بالرغم من الوعود التي قطعها المستر ريجان لرئيس وزراء كندا المستر ملروني في مؤتمرات القمة التي عقداها مؤخرا وقد جاء آخر تلك الوعود في مطلع السنة الحالية ، وتضمن التزام الرئيس الأمريكي برصد ٢٥٠٠ مليون دولار لاجراء الدراسات الكفيلة بتطوير طرق أنظف لاحتراق الفحم ، تضمن احتراقه دون توليد الملوثات

والجدير بالذكر أن أكاسيد النيتروجين وثاني أكسيد الكبريت - وهي الملوثات الرئيسية التي تتصاعد في الجو وتتحد مع الرطوبة لتكون الأمطار الحمضية - مازالت تتدفق من أجواء الولايات المتحدة الى الأجواء الكندية ، ذلك أن محطات توليد الطاقة في ولاية أوهايو ووست فرجينيا وولاية انديانا والينوي وكنتاكي وبنسلفانيا هذه المحطات التي تعتمد على الفحم وقودا هي المسؤولة عن تلويث أجواء كندا بحوالي١٧ مليون طن من ثاني أكسيد الكبريت سنويا ، أما أكاسيد النيتروجين التي تتراكم في الأجواء الكندية بمعدل ١٢ مليون طن في السنة ، فالمصادر المسؤولة عنها كندية ، وهي مسابك النحاس والنيكل في انتاريو وكويبك ومانيتوبا يضاف الى هذا وذلك نحو ٢٥ مليون طن من الملوثات المختلفة التي تتراكم في سماء كندا سنويا ، تقذفها السيارات في كلا البلدين ، ولا ننسى البراكين الموجودة في المنطقة فهي مسؤولة أيضا عن الملوثات التي تعاني منها كندا ، ولكن نصيبها منها ضئيل ولا يجاوز ٥ /

أحدى محطات التوليد الكهربائي في أوهايو (في الولايات المتحدة) تنفث سمومها التي تتوجه الى كندا دون تأخير

تلك هي الملوثات التي سرعان ما تتحول الى أمطار حمضية فتعث فسادا في غابات كندا وبحيراتها وتسبب الأضرار للحيوان والانسان في كل مكان

فقد دلت الدراسات الجادة التي أجرتها كندا أن حوالي (١,٠٠٠,٠٠٠) ميل مربع من غاباتها الشرقية قد تضررت أو تلفت بسبب الأمطار الحمضية وأن أشجار سكر القيقب (Maple) التي تكون عصب الحياة في اقتصاديات كويبك قد تلفت بنسبة النصف تقريبا ، هذا الى جانب الأضرار التي لحقت بالبحيرات ، فقد تحولت المياه في ٢٠٠ من هذه البحيرات الى مياه حمضية تختنق منها الأسماك وتموت ، وتوشك أن تلقى نفس المصير في (٢٠٠٠) بحيرة أخرى من البحيرات الكندية □

حكايات طبية

حتى لا يدفن الناس أحياء !

بقلم الدكتور غسان حتاحت

وحشة اللحد وظلمة القبر أمران مخوفان مريعان ، ترتعد لذكرهما الفرائص ، وتنهزم الملذات ، هذا اذا كان المدفون ميتا ، فما بالك إن كان المدفون حيا ؟

نرى الكتب تطالعنا بقصص عديدة ، عن أشخاص دفنوا خطأ ، وهم لما يقضوا نحبهم بعد ، ونكاد نجد حكايات كهذه في كل أدب وثقافة

ففي أدبنا العربي نجد مثلا العلامة أبا الفرج بن الجوزي يروي في « كتاب الأذكياء » أكثر من قصة ، عن أشخاص ظن أهلهم أنهم ماتوا بالسكتة ، فغسلوهم ، وكفنوهم ، ثم اكتشف الأطباء الفطنون بعد ذلك أنهم ما يزالون أحياء

وفي كتاب « شذرات الذهب » لابن العماد الحنبلي نجده يروي على لسان الحاكم أبي سعيد عبدالرحمن بن دوست إن بديع الزمان الهمذاني ، مؤلف المقامات المشهورة قد توفي يوم الجمعة الحادي عشر من جماد الآخرة [سنة ٣٩٨ هجرية] ، وقد سمع الحاكم الثقات يروون « أن البديع مات من السكتة ، وقد عُجّل بدفنه ، فأفاق في قبره ، وقد سمع صوته بالليل ، وأنه نُبش عنه ، فوجدوه قد قبض على لحيته ومات من هول القبر »

على أن الخوف من الدفن حيا كان أكثر ما يكون شيوعا في القرن التاسع عشر في انجلترا وأمريكا ، ونرى من آثار هذا الخوف كثيرا في قصص (إدجار ألن بو) وسواه .

ولا شك أننا الآن نرى مثل هذا الخوف أمرا مبالغا فيه ، لذلك يصعب علينا تقدير أهميته ، ومداه ، في ذلك العصر ، ونكاد لا نصدق أن هذا الخوف لم يكن مقتصرا على فئة من الناس ، أو مجموعة ما ، بل كان يشمل الجميع على اختلاف مهنهم وثقافتهم

وقد شاعت في ذلك العصر قصص عن أشخاص دفنوا خطأ ، وهم ما يزالون أحياء ، ثم سمعت أصوات في قبورهم ، وعندما نبشت القبور وجدت علامات تدل على أنهم دفنوا وهم أحياء حقا وبغض النظر عن صحة هذه الروايات فقد كان انتشارها واسعا جدا

وقد روي أنه في عام ١٨٥٣ مات طفل عمره عشرة أعوام غرقا ، في مقاطعة ويلز بانجلترا ، وعندما كان نعشه ينزل الى القبر سمعت أصوات طرقات مريعة من الداخل ، ولما فتح التابوت خرج الطفل وانطلق نحو والديه ، رغم أن الطبيب كان قد ذكر أنه مات منذ ساعات وقد برر الطبيب قوله فيما بعد بأنه لم يعثر على أي نبض في شرايين الطفل ، وأن جلده كان باردا ورماديا

ولا شك أن مفهوم الموت ودلائله تختلف جزئيا من فترة لأخرى ، فقد كان توقف القلب يعتبر دليلا أكيدا على الموت ، بينما لم يعد ذلك وحده مقبولا في كل الحالات ، خاصة أن من الأجهزة الحديثة ما يبقي ضربات القلب لفترة ما حتى بعد موت المريض ، كما أن نقل الأعضاء من شخص لآخر فرض تعاريف

جديدة لمفهوم الموت ، بحيث أصبح يعتمد الآن في بعض الحالات على موت الدماغ ، وانعدام الأمواج الكهربائية فيه ، على أن هذا الموضوع أمر جانبي ، استطردنا اليه ، لنبين أن مفهوم الموت ودلائله ما تزال موضع نقاش في نهاية القرن العشرين ، فلا عجب إذن أن يكون ذلك مثار حيرة وشك في العصر الفيكتوري في القرن التاسع عشر

لقد عالج الفيكتوريون في ذلك الزمان الخوف من الدفن حيا بطريقتين الطريقة الأولى هي تأخير الدفن لأيام أو أسابيع حتى يتم التأكد من الوفاة بحاسة الشم ، وذلك بالانتظار حتى تظهر الروائح الجيفية النتنة ، مما لا يدع مجالا للشك في أن الموت قد حصل حقا وصدقا ، وأن الميت العزيز قد غادر الدنيا الى غير رجعة

لذلك لم يكن غريبا في ذلك العصر أن يبقى الميت دون دفن فترة طويلة ، حتى أن دوق ولنجتون القائد العسكري الفذ، والدوق الحديدي عندما مات عام ١٨٥٢ بقي دون دفن مدة شهرين ، حتى انتهت المناقشات العامة والمجادلات حول كيفية تنظيم جنازته ودفنه ومكان ذلك الدفن

أما الطريقة الثانية للوقاية من الدفن حيا فكانت تقنية بحتة ، وذلك بوضع أجهزة إنذار ، تمكن الشخص الميت من الاعلان عن نفسه إذا استيقظ من رقاده ، فكان الأغنياء يدفنون بعد ربط توابيتهم بشبكة معقدة من الأنابيب الحديدية التي تتصل بالأرض ، وتحمل للميت الهواء إذا احتاج اليه ، وفي الوقت نفسه تحمل استغاثته إذا خطر له أن يقوم من غيبوبته ويستنجد ، لذلك كان لا يترك أحد الخدم الأوفياء الأمناء مكان القبر ليل نهار ، مدة شهر أو أكثر ، حيطة وحذرا ، حتى اذا طلب الميت المساعدة أسرع الى العمل على استخراجه من القبر

أما من كانوا يدفنون في مدافن فوق الأرض فقد زودت توابيتهم بنوابض ، يمكن بواسطتها فتح غطاء النعش من الداخل ، وبمجرد حدوث أيسر حركة يقوم بها الميت ، وكانت هذه الطريقة مفضلة لاعتقاد بعضهم أن الميت اذا صحا يكون في حالة من تعتيم الوعي ، ولقد فتحت بعض هذه التوابيت نتيجة أخطاء (ميكانيكية) مما زاد في الاعتقاد بصحو بعض الأموات ، وبأنهم دفنوا وهم أحياء

ولا شك أن مثل هذه الاحتياطات كانت مكلفة عالية ، لذلك كان الفقراء يلجأون الى احتياطات أرخص ، بأن يتركوا الى جوار الميت فأسا ومجرفة ، يساعدانه على إخراج نفسه اذا عادت اليه الحياة ـ حسب توهمهم ـ

وتعددت وسائل الاحتياط ـ والاحتياط واجب ـ

وفي عام ١٨٥٢ ابتدع شخص اسمه جورج بايتسون جهازا اقتصاديا ، يدل على عبقرية وبراعة (ميكانيكية) ، بحيث غدا الوسيلة المفضلة الشائعة لانقاذ المدفون حيا من جهة ، ولادخال الطمأنينة الى قلب الأهل الحزينين من جهة أخرى

ويتألف هذا الجهاز من جرس ، يوضع على غطاء النعش ، ويوصل بسلك أو حبل الى يد الميت بحيث ان أقل رعشة أو حركة تسبب رنين الجرس ، مما ينبه الناس الى أن المدفون حي يرزق ، وغني عن البيان أن كثيرا من هذه الأجراس قد رنت خطأ بسبب سوء التركيب ، أو بسبب تغيرات الجيفة ، أو لوجود غازات الج ، مما عزز اعتقاد الناس أكثر فأكثر بأن الميت قد دفن وهو ما يزال حيا

وقد شاع جهاز بايتسون كثيرا ، لرخص ثمنه بالمقارنة مع الطرق السابقة ، وأضاف بعضهم إلى التابوت ثقوبا للتهوية ، ولا تسل عن الروائح النتنة المنبعثة من تلك الثقوب ، فذلك أمر يسير أمام دفن شخص ما وهو ما يزال حيا ، وقد أصبح بايتسون خلال سنوات ثريا كبيرا

« تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون »

(صدق الله العظيم)

(١)

العلم

وحواس الأطفال الرضّع

بقلم الدكتور محمد نبهان سويلم

من المعارف الشائعة عند معظم الناس أن الأطفال حديثي الولادة لا يستخدمون حواسهم إلا بعد فترة من نموهم ، ولكن العلماء الذين يدرسون هذه الظاهرة بطبيعة [illegible] ، بعد البحث والتمحيص [illegible] في دراسات حديثة هم أن الأجنة والأطفال حديثي الولادة يبصرون ، ويميزون الأصوات

[illegible]

[illegible] (٢)

الرجال والنساء عصدا الدول والأمم ، وأهم عوامل تقدمها ، فهم الحركة في الحياة ، والأداة حلف الانتاح ، والتقدم ، والنماء ، والتطور ، تتأثر انتاجيتهم وأداء أدوارهم في الحياة والمجتمع بعوامل الطفولة ، والأيام الأولى من الخلق ، فهناك رابطة وعلاقة وطيدة بين أطوار حياتهم الأولى وحياتهم في شرخ الشباب والفتوة ، وما يليها من الرحولة الكاملة

ولا نلقي القول دون سند أو دليل علمي فالعلماء أدركوا هذا الدليل عبر سنوات وسنوات من البحث العلمي والدراسات الاجتماعية والاحصائية المؤكدة والموثقة

الأجنة هي الأساس

ونبدأ الرحلة من بدايتها الطبيعية فقد ظلت الأسابيع الأولى للأجنة البشرية عالماً يحيطه الغموص ، ونكتنفه الأسرار لسنوات عديدة ، طالت وامتدت رغم البحث العلمي الذي تواصل لكشف أسرارها فالمشاكل الكبيرة التي يواجهها معظم الأطباء مع البالغين لن يحلها سوى معرفة هذا الكائن الدقيق الذي لايكاد يبلغ طوله خمسة عشر ميللمترا ، إذ أن العلاقة بين اجهزة الانسان الحيوية تبدأ منذ تكوين الأجنة في مرحلة بالغة السرعة ، فبين الأسبوع الرابع والتاسع يتضاعف طول الجنين ثلاث مرات ، ويزداد وزنه خمسين ضعفا ولو استمر معدل النماء وفق هذه السرعة خلال شهور الحمل التسعة لولد الطفل عملاقا ضخما كالجبل يتعدى طوله مئة متر بالتمام والكمال ، ولن يقل عن أربعة عشر طنا ، وهو ما أثبتته دراسات العالم الانجليزي جيوفري تشمبرلن ، وأمكنه خلال هذه الدراسات تسجيل لقطات فريدة ومثيرة صورت نمو خلايا الوجه من جانبي البدن فوجد أن الشفتين لاتلتحمان حين تتقابلان عند منتصف الوجه أما الأطراف مثل الأذرع والأرجل فيبدأ نموها من خلايا جذع الجنين ، وهذا ما توضحه الصور بالشكل رقم (١) ونلمح فيها تكون العينين بداية من الاسبوع الرابع وحتى الأسبوع التاسع منطلقة من خلايا المخ ، ويبدأ تكونها من نتوء يبرز من خلايا المخ ، وتظل تتطور وتتعدل وتتشكل حتى تتخذ شكلا كرويا هو ذاته شبكية العينين وخلاياهما العصبية ثم تتكون عدسة العين من غلاف شفاف ، وسائل مشف ، ولاتمضي الأسابيع التسعة إلا والعينان جهاز مستقل فيما يبدو جليا من الصور بالشكل رقم (٢)

ودراسات العالم الانجليزي كانت الاشارة التي انطلقت بعدها البحوث والدراسات ، انطلاقا محموما على امتداد الولايات المتحدة الأمريكية ، واليابان ، وباقي البلاد الأوروبية ، في محاولة لكشف أسرار هذه المرحلة استشرافا نحو فهم أعمق وأشمل لهذا العالم المثير ، بعد ولادة أي طفل ودخوله الدنيا بعد صرخته الشهيرة التي تستعدها ملايين الأمهات

ولقد ثبت للعلماء أنهم كانوا ـ يجهلون كثيرا ولا يعرفون سوى النادر ، ولم يعرفوا أن للرضع قدرة على الرؤية ، وتمييز الأصوات بدقة بالغة ، والتفريق بين النغمات ، والفصل بين ضحكة صافية وصرخة مدوية ، ويحنون من يضحك ويبش في وجوههم ويفترون إلى الضاحك عبر ابتسامة طفل صافية لاتشوبها شائبة ، والمذهل أن نتائج هذه البحوث تتعارض مع معظم المعتقدات المتعارف عليها ، وهي تضع الآباء في حيص بيص وذلك لأن قدرات الرضع على الفهم والاستيعاب كبيرة ، مما يتحتم اعادة فهم نفسياتهم على ضوء هذه الحقائق المؤكدة لقدراتهم الفريدة التي كشف عنها العلم الغطاء مؤخرا

والواقع أن هذه الحقائق كانت موجودة قبل أن يكشفها العلماء فقد كانت العقبة الأساسية التي عاقت لزمن طويل إجراء أبحاث على الأطفال أنهم لايتكلمون ، وليس في مقدورهم ترجمة أحاسيسهم ومشاعرهم لذويهم ، ومما ساعد كثيرا على تأخر هذه الدراسات قناعة العلماء بأن الرضع لايفكرون على

الاطلاق ، وأنهم يستحدمون صراحهم وعويلهم محرد اشارة لطلب الغذاء أو الدفء والاعتقاد بأن قدرات الرضع على الرؤية محددة للعاية

الرضع يميزون

لكن مع بدايات منتصف هذا القرن حاول العلماء كشف هذه القدرات ، وتمكن الطبيب الفرنسي روبرت فاتس من تصميم عدة تحارب استطلاعية على مهج احصائي دقيق ، في محاولة لتقدير معاملات الارتباط والوثوقية بين تصرفات الأطفال ، وقدراتهم ، ولشد ما كانت دهشته ، أن حققت التجارب نتائج لم يكن يتوقعها ، فقد راقب الأطفال وهم يشاهدون أشياء مختلفة وحسب المدة التي قضوها وهم ينظرون الى كل شكل ، فاكتشف أن الرصع لايملون النظر الى لوحة الشطرنج وينصرفون عن النظر الى قطعة ورق بيضاء لها نفس المساحة ، وكرر العالم التجربة مرات عديدة فاذا به أمام حقيقة أحرى مؤداها أن الأطمال يفضلون النظر الى الأشياء المركبة عن النظر إلى الأشياء السيطة

ولم تذهب نتائج العالم الفرنسي هدرا ، فقد استكملت مع ما أحدثه العصر من تقنية علمية اختبارية جبارة بدحول الدوائر الالكترونية المتكاملة ، والحسابات الالكترونية الدقيقة ، دنيا صناعة الأحهزة العلمية ، ففي دراسة تمت مؤحرا بجامعة شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية ، أمكن للعلماء باستحدام التسجيل الصوتي والصوتي التيقن من امكان الرصع تمييز أصوات امهاتهم عن كل ما احتلط بها من أصوات ، لدرجة دعت زمرة من الباحثين في حامعة نيويورك الى اجراء دراسة أحرى على طفل لم يتجاوز عمره اثني عشرة ساعة لم يتذوق حلاها أي شيء - محرد سوائل وروائح لم يعرفها من قبل - محلول سكري وآحر ملحي ، ورجاجة بها رائحة غاز البيض الفاسد وأحرى بها رائحة حلاصة الموز ، ووضع الباحث قطرة محلول سكري على شفتي الطفل الرضيع ، فتنبه ، وبدت على محياه علامات الرضا والسرور ، وانقلب حاله الى النقيض عندما وضع له قطره من محلول الملح ، وهي نفس المشاعر والانفعالات من رائحتي الموز أو البيض الفاسد ، وبدت النتائج حيال الباحث مشجعة لكن ليست مطمئنة أو يعتد مها لأن العلم لا يقبل تجربة على عينة واحدة ، ولا يتحد نتائجها سندا أو مرحعا يعتد به مهما عظمت النتائج ، ففي الدراسات العلمية هناك معاملات الحرية التي تحتم الا يقل عدد العينات عن اثنتين ، وكلما زاد عدد الرصدات - أي التحارب - راد معامل الارتباط وبدت معاملات الوثوقية التي يعتد مها ، فان قيست بالحداول الاحصائية تأكدت مصداقيتها

لهذا السبب ، وسواه كثير ، أخذ العالم الأمريكي طريقه الى كلية الاحصاء بالجامعة ، والتقى مع أحد اساتذتها المشهود لهم بالكفاءة على مستوى العالم ، وناقشه ، وصمم له استاذ الاحصاء مهجا علميا شاقا لهذا كرر الطبيب مئات التجارب على أطفال حققوا نفس الشروط الموضوعية للتجربة الأولى ، فاذا بالنتائج تثبت وجود توحد وارتباط قوى بين مشاعر الرضع والمؤثرات الحارحية ، البيئية

ويبصرون

ولكي يتأكد العلماء من بطلان الاعتقاد القديم بأن الرضع ذوو إدراك بصري محدود يكاد يقترب من حد العمى ، أو صمم اطار فاقدي البصر أحروا تجارب عديدة أثبتت عكس هذا الوهم ، فقوة ابصارهم تنمو بسرعة ، وتتلاءم حلايا العينين مع الوسط البيئي الجديد المعلف بالضياء الطبيعي ، أو الصناعي ، ويبدأون في النظر الى أطراف الأشياء في رحلة استكشاف مبهرة ومبكرة جدا عما ظنوا ، وحتى عندما تطفأ الأنوار ويخلد الأهل للنوم يلهون بأي ضوء ضعيف ، ولا تمضي ثمانية أسابيع إلا ويعرف الرضع أشكال الأشياء ، ويفرقون بين الألوان ،

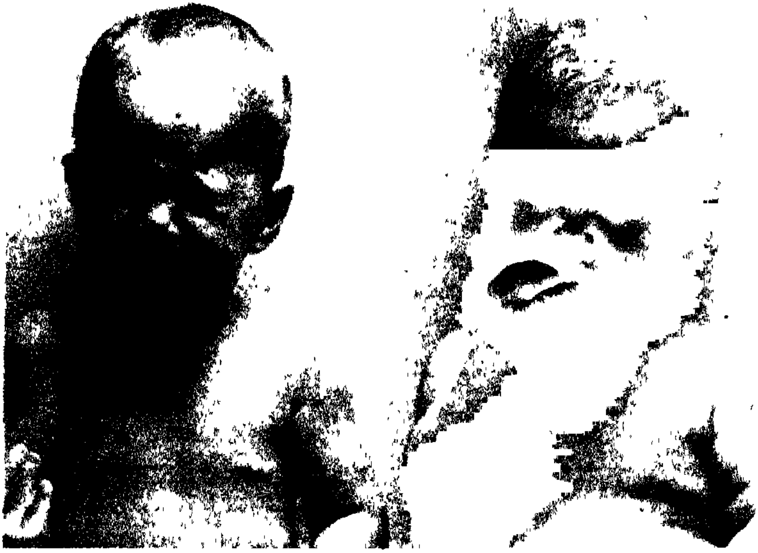

لماذا يبكي أحدهما بينما تطراب الدهشة تصيب
الآخر وكلاهما تجري إثارته بنفس الوسائل البسيطة ؟

تجارب الاستجابة الصوتية لدى الأطفال

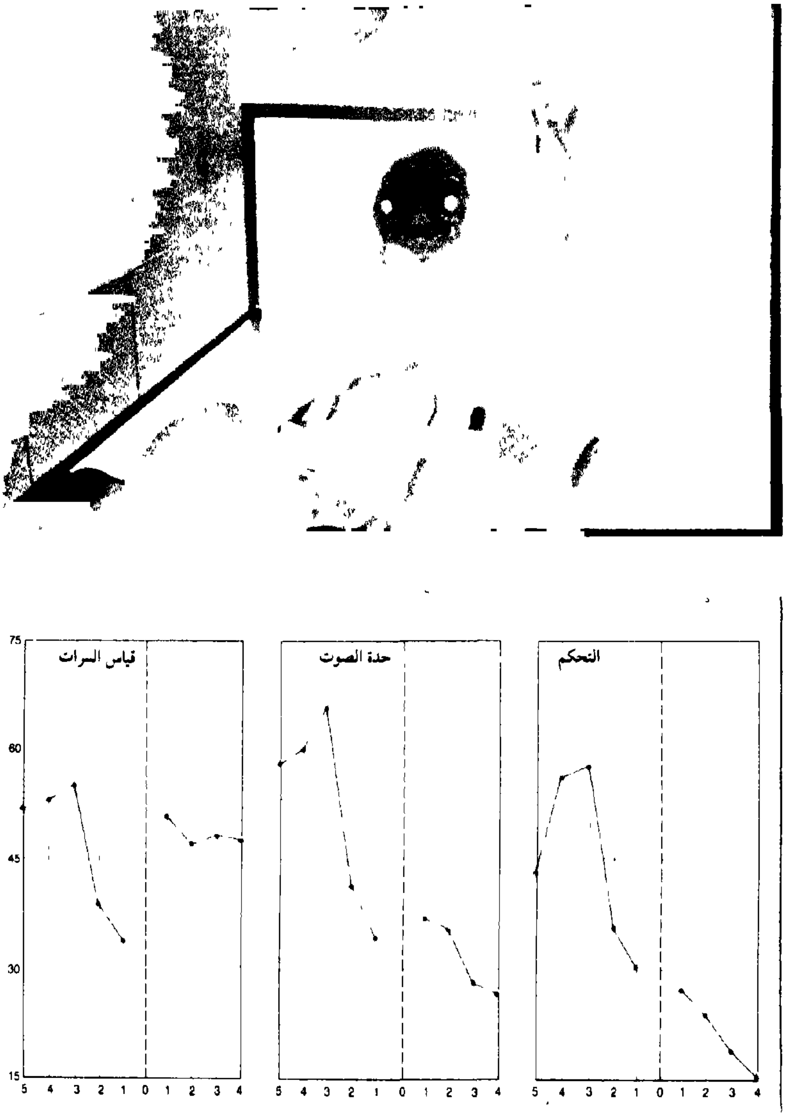

الطفل أعلى [illegible] حلمة [illegible] الأفعال [illegible]
[illegible] في خلال [illegible]
[illegible]

ويدركون تماما اللون الأحمر ثم الأزرق ، وخلال الشهر الثالث يدركون البعد الثالث ، ويبدأ إحساسهم بالرؤية المجسمة معنى هذا وببساطة شديدة أن المخ المتقدم في العينين يترجم الموجات الضوئية الباعثة للاحساس باللون الأحمر أو الأزرق فليس في الواقع لون أحمر وآخر أزرق ، ولكنها مواد تمتص أطياف الضوء ، فيما عدا موجات لها طول موجي معين تبعث داخل المخ احساسا باللون أو طيف الضوء

ولم يترك العلماء تجارب البصر تمر دون تمحيص وتدقيق وكان الحاسب الألكتروني أداتهم نحو فهم أعمق ، فقد اكتشفوا أن الرضع يفرقون بين الخط المستقيم والخط المنحني ، صحيح أنه لم يكن خطاً مثلما نرسم بالمسطرة لكنه مستطيل ضوئي أو مستطيل يشوبه الالتواء ، وسجلت العدسات تحرك عيون الأطفال ، وتأكد أن لهم القدرة على الاحساس بالحركة والانحناء

وقد يظن البعض أن هذه الدراسات محاطة بالغموض ، وأهدافها غير محددة ، والواقع غير ذلك تماماً ، فبعض الأطفال يعانون من أمراض العيون مثل إظلام عدستي العينين أو إنحراف محاورهما ، وهي أمراض يمكن علاجها في سن مبكرة في ظل التطورات العلمية والطبية المتعاقبة والأهم من ذلك أنها إذا لم تكتشف مبكراً فقد تُحدث ضرراً في بعض أجزاء خلايا المخ التي تنمو بسرعة ، خلال مرحلة الطفولة وقد يصبح الضرر بالغاً ومستديماً

الجنين وحاسة السمع :

ومن الحواس التي نالت اهتماماً بحثياً مكثفاً . حاسة السمع قبل وبعد الولادة فما أن تتكون أذنا الجنين من انطلاق خلايا الجانبين حتى تبدأ في تلقي المعلومات عن العالم الخارجي ، وتعتبر دقات قلب الأم أول صوت يسمعه . ويخرج الى الدنيا بردود الفعل الصوتية ـ السمعية لذلك ينام الطفل قرير العين ، هاديء البال ، اذا سمع ضربات قلب حان ، أو التقط صوتا يشبه صوت الأم ، وهي أفضل أصوات كل البشر لذلك ينفك توتر الطفل وتهدأ مشاعره ، ويخلد للسكينة ، والاستقرار على نغمات هذا الصوت الفريد الذي جمع فأوفى حنان الدنيا كلها ويعتقد البعض أن فهم أسباب بكاء الأطفال ، وترجمة هذا البكاء على ضوء معارفه القديمة في تربية أبنائه ، وتفسير الأمر بالجوع ، أو الحاجة الى الدفء ، لكن دراسات تجريبية قد أثبتت خطأ هذا الاعتقاد ، ففي عمر الشهر تتكون لدى الرضيع قدرة كبيرة على تمييز الاصوات المختلفة بأي لغة من اللغات ، وتصنيفها كرد فعل للصوت واللغة التي تتعامل بها البيئة المحيطة به ، واعمالا للنظرية العامة للاتصال بوجود مرسل ومستقبل ورجع صدى ، لذلك لم يحدث قط أن حاول الرضع تقليد صوت حيوان أو سيارة ، بل يركز الرضع قدراتهم على تعلم صوتيات اللغة ونطقها ، ويركزون جميع قدراتهم لتقليد أصوات أمهاتهم ، فقد أثبت الدكتور آندور ميلتروف والدكتورة كيدث مورو بأن الأطفال في سن ١٢ يوما يمكنهم تقليد شخص بالغ مما يؤكد أن تراكيب وخلايا المخ بدأت عملها منذ فترة بعيدة

ذكاء الأطفال

ذكاء الأطفال كان محور دراسات كثيرة لاتحصى ولا تعد ، فذكاء الأجيال رهن بذكاء الأطفال ، ولايكون ذلك وهم أطفال وكائنات مستقلة بل وهم أجنة لاحقون بأمهاتهم وأثبتت بعض الدراسات أن الأمر لايتوقف عند حد الأم والأب ، بل يتعداهما الى حدود الجدة للأب والأم ، فقد أجريت فيما بين عامي ١٩٧٩ و ١٩٨٣ دراسات علمية واسعة شملت آلاف الأطفال ، تركزت على قياس الذكاء كمتغير تابع لتغذية الأم ، وكمتغير مستقل ، مع أخذ تغذية الأب أيضا كأحد المتغيرات اللاحقة ، كما ركزت على قياس المشكلات التي يعاني منها الأطفال ، ومدى الضرر

الذي يصيبهم من قبل الوالدين سواء عن قصد ، أو إهمال ، وثبت منها أن أطفالا جياعا تعني ذكاء ضحلا ومحدودا ، فمنذ أربعين عاما قدم العالم الألماني الغربي ديفيد كارتاختر أول دراسة منهجية لأمراض الاطفال الجلدية ، كنوع من التشوهات الخلقية ، دون أن يحدد سببا لذلك ، ومنذ ذلك الوقت تضاربت تفسيرات الأطباء ، فمنها ما اعتبره انعكاسا غامضا لأداء الخلايا

ولاحظ أحد اطباء السويد أن نقص بعض أنواع البروتينات مثل الداينين **Dynine** له علاقة مباشرة بين هذا وذاك ، وكمن يفرغ الزناد لانطلاق الساق كانت الملحوظة بداية للتجارب التي أثبتت أن غياب البروتين الحيواني عن غذاء الأمهات والآباء يؤدي الى حدوث النقص بالبروتين السالف الذكر ، ومن قبيل الآثار التي تنتج عن غيابه ولادة طفل ذي رأسين ، أو مخه خارج رأسه أو له شعر كثيف ، وكل هذه الأمثلة للتشوهات الخلقية تنبع أساسا من تقلص البروتين الحيواني وهو يؤدي بطريقة متباعدة وراثيا الى ظهور تلك التشوهات الخلقية

إن العلماء خاصة علماء الوراثة اتفقوا منذ وقت طويل على أن للخصائص الوراثية تأثيرها القوي على درجة الذكاء ولذلك يفضل ما أمكن الا يتم زواج أبناء أو أحفاد الأقارب من الدرجة الأولى الا فيما ندر ، ويعتقد العلماء أن حاملات الخصائص الوراثية ذات الصفات الأكثر تخلفا ، والتي لاتبرز الا اذا كانت موروثة من الوالدين ، تنشط اذا كانت هناك صلة قرابة وثيقة بينهما

ولعبة الطفل قد تكون دليلا على نفسيته ، فالطفل الهادىء يفضل الالعاب المعقدة التي تحتاج تفكيرا وجدا وجلدا ، أما العصبي المزاج فيفضل الألعاب البسيطة التي لاتحتاج الا جهدا قليلا ، وذلك من واقع دراسة لحالات أربعة آلاف طفل ، ودعت نتائجها الى معالجة عصبية الطفل دون أن يدري بتعويده على تحمل المسئولية عن طريق توفير لعبة تحتاج جهدا وجدا ، لأنها الطريقة المفضلة لترويضه ومساعدته على تخفيف عصبيته

إن دراسات عالم الاطفال شملت كل شيء ، وأي شيء ، وهي بحر ممتد أشرنا الى بعضه في عجالة ، وسبحان القائل (وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) □

الجوائز الأدبية

● من المعروف أن أول الجوائز الأدبية التي ظهرت خلال القرن العشرين ، ولم تكن لها سمة التجارة ، هي جائزة « نوبل » في بلاد السويد ، وجائزة « جونكور » ، وجائزة « فمينا » في فرنسا ، والجائزة « الهوثورنية » في انجلترا ، وجائزة « بولترر » في انجلترا وقد ظهرت بعد ذلك جوائز أخرى في هذه البلاد وغيرها

ومهما تكن هذه الجوائز صادقة في التعبير عن عصر بعينه ، أو عن أثرة الروح القومية ، أو هي مسألة مقصورة على المؤلف دون غيره ، فهي على أي حال جوائز اعتراف بالتفوق الأدبي

"فيدوروف" وابتكارات جديدة في طب العيون

استطلاع : سليمان الشيخ/ تصوير : طالب الحسيني

أصبح بالإمكان الاستغناء عن النظارات الطبية ، أو العدسات اللاصقة ، بعد إجراء عملية « بسيطة » في العينين ، لا تستغرق سوى دقائق ، قد لا تصل إلى خمس !

وأصبح بالإمكان التغلب على حالات قصر النظر بكل سهولة ، خلال تلك الدقائق القليلة الحاسمة .

هكذا تواترت التقارير من مصادر الأنباء العالمية التي تعنى بالأمور الطبية .

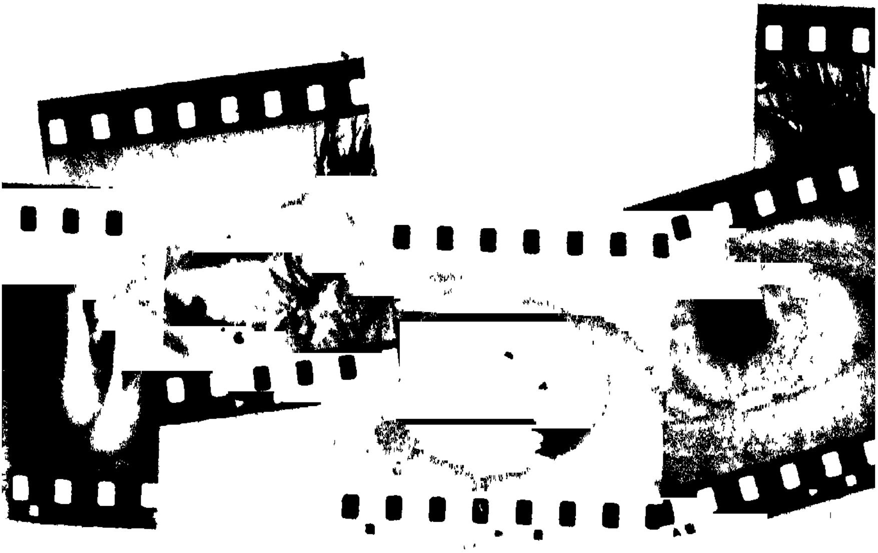

السيدة ايف وحديث عن
تطوير العلم والعلاج

فهل الأمر حقيقي وفيه إنجازات علمية عملية تم تجريبها على بشر فحصدوا نتائج إيجابية في هذا المجال ؟

هناك منظر لا يمكن أن تخطئه عين في طائرات الخطوط الجوية السوفيتية المقلعة من « أبوظبي » المارة بالكويت في طريقها إلى موسكو ، في أية رحلة من رحلاتها الأسبوعية ، حيث تجد فيها أطفالا ونساء ورجالا من أبناء منطقة الخليج العربي ، أو من الوافدين الذين يعيشون فيها

يرافقهم من يقودهم ، بسبب قصر في النظر ، أو مرض في العيون ، وتغشى عيونهم نظارات سميكة .

وفي رحلة الإياب من موسكو ، فإن العين لن تخطيء أيضا ، في رؤية بعض الأفراد وقد عصبوا عيونهم بأربطة .

إنها ظاهرة قد أخذت تتزايد في السنين الأخيرة ، فما هو سبب شد الرحال الى موسكو على الأخص لعلاج بعض حالات أمراض العيون ؟ وما هو حجم هذه الظاهرة ؟

عندما تتحدث مع بعض الأفراد ، فإن اسم فيودوروف ـ أعني الدكتور الجراح سفياتوسلاف فيودوروف ـ يتكرر عدة مرات .

يقولون لك : إننا ننشد العلاج في مستشفى الدكتور فيودوروف . فمن يكون هذا الطبيب ؟

ويضيفون : لقد طبقت شهرة هذا الرجل الآفاق ، بل إن بعض العمليات الجراحية للعيون أصبحت تحمل اسمه ، نظراً لنجاحه ، ولإدخاله طرقاً جديدة مبتكرة في هذا المجال الطبي الدقيق .

فما هي الحكاية ؟ وهل كل ما قيل ويقال يمثل حقيقة واقعة وصحيحة ؟

شهادات حية

على الطائرة العائدة من موسكو في الأسبوع الثالث من شهر آب ـ أغسطس ـ من هذا العام تحدثنا مع « عينة » « عشوائية » من الأفراد الذين

كانوا يضعون « أربطة » على عيونهم

● السيد خميس بن خصيف بن مصبح، مواليد سنة ١٩١٠، قال

لقد خف نظري، بعد أن غطته « المياه البيضاء »، وقد فحصني الدكتور فيودوروف عندما زار « أبوظبي » في شهر حزيران - يونيو - الماضي، ونصحني بالذهاب الى موسكو للعلاج

وقد وصلت منذ أسبوعين، وأجريت لي عملية في عيني اليسرى، واستغرق إجراؤها حوالي نصف ساعة وقالوا لي بأن النظر سيتحسن تدريجيا، وسيتم إجراء عملية أخرى في عيني الثانية بعد ستة أشهر

- السيد يعقوب - والد فتاة اسمها هند ١٣ سنة - من دولة الإمارات أيضا قال تعاني ابنتي من قصر النظر وقد راجعت عدة أطباء في « أبوظبي »، إلا أنهم لم يستطيعوا معالجتها وعندما جاء الدكتور فيودوروف إلى الإمارات نصحنا بعلاجها في موسكو، وقد جئت وإياها، ففحصها أكثر من طبيب، ووجدوا أن سبب قصور نظرها ينحصر في الأعصاب، لذلك فإنهم لم يجروا لها أية عملية

- السيد جاسم الرايد - من دولة الكويت وعمره ٧٧ سنة - كان يرافقه ابنه، قال أشكو من وجود مياه زرقاء في عيني اليمنى منذ زمن، وقد راجعت عدة أطباء في الكويت، إلا أن علاجهم لم يجدني كثيرا، وعندما سمعت بتقدم الطب بموسكو قررت المجيء، وقد قام الأطباء بسحب المياه الزرقاء من عيني، على أن يسحبوا المياه البيضاء في العام القادم

وأذكر أننا حضرنا إلى موسكو ضمن مجموعة من المرضى، كان عددهم ٧٠ شخصا، بين طفل وامرأة ورجل

- السيد حسن كاظم، طالب في جامعة العين بالامارات العربية المتحدة فرع دراسات إسلامية، وعمره ٢٤ سنة قال

أشكو من قصر النظر منذ صغري، وعندما سمعت بالعمليات الناجحة التي يجريها الدكتور فيودوروف قررت الذهاب إلى موسكو، وبعد أن فحصوا عيني أجروا عملية شطب في أجزاء من قرنيتي، لم تستغرق إلا خمس دقائق، بعد أن خدروني بمخدر موضعي، وبعد ذلك غادرت المستشفى وقالوا لي بأن تحسن نظري لا يمكن أن يتم إلا بعد مضي ثلاثة أشهر من إجراء العملية، وقد خفت الآلام التي كنت أشكو منها قبل إجراء العملية

هكذا لخص لنا هؤلاء المرضى حالاتهم المرضية، وما واجهوه وقد اشتكى بعضهم من الشركات التي تتولى نقلهم وإعادتهم، وأفصحوا عن مشاكلهم مع المترجمين في موسكو، ومحدودية المدة التي يقضونها لتلقي العلاج، وعدم البقاء في المستشفى إلا لإجراء العملية فقط

وواضح من خلال السرد أن المرضى كانوا يسافرون على حسابهم الخاص، وعلى مسؤوليتهم الخاصة، وبدون تقارير طبية - أحيانا - تبين حالاتهم ودرجة مرضهم، وغير ذلك من معلومات

تطوير العلم والعلاج

وكي تتضح الصورة، أو على الأصح تكتمل أجزاؤها فإن بعثة « العربي » قامت بزيارة المستشفى في موسكو الاسم الرسمي للمكان هو « المجمع العلمي التقني لجراحة العيون الدقيقة »، ومديره الدكتور سفياتوسلاف فيودوروف

ذلك أن هذا المجمع يقوم بعدة وظائف، فهو مستشفى لجراحة العيون، ومعهد للدراسة والبحوث، ومختبر للتجارب، ومصنع للصناعات الدقيقة المتعلقة بالعيون

هكذا قال لنا السيد يوري لارريف رئيس القسم الدولي في المجمع، والسيد سيفلوت ميلشوف الموظف في القسم الدولي، والسيدة ايف تويوربيا من قسم العلاقات العامة فيه وأضافوا بأن وظيفة

الدكتور سفياتوسلاف فيودوروف   وآفاق جديدة في طب العيون

المجمع تقوم على تطوير العلم والعلاج ، وأنه ليس الوحيد في الاتحاد السوفيتي ، إذ أن هناك ١٢ مجمعا شبيها ، لكنه الأشهر بينها ، نظرا لأن الدكتور فيودوروف هو مديره

ويتسع المستشفى لحوالي ٣٠٠ سرير

● لكن المرضى العرب يقولون إنهم لم يقضوا في المستشفى إلا الوقت الذي تستغرقه العملية والمراجعات

- إن المرضى الأجانب - ومنهم العرب - يقيمون في فندق كوزموس ، وتوجد فيه عيادة تتابع المرضى ، وتستجيب للكثير من طلباتهم

ونعتقد أن شروط تعاقد المرضى مع الشركات التي نقلتهم إلى موسكو تنص على تلقي العلاج في الفندق ، على أساس أننا لم نفتح أجنحة خاصة بالمرضى الأجانب في مستشفانا بعد ، إن العمليات تجرى في المستشفى ، والمتابعة موزعة بين الفندق والمستشفى ، وهي لا تتجاوز ١٥ يوما ، أو حسب اتفاقهم مع الشركات

● لكنهم مرضى - وهم بحاجة إلى الرعاية

- نعم إن ما تقوله صحيح ، إلا أننا نواجه مشاكل في هذا المجال ، إن بعض المرضى يجيئون دون تقارير طبية ، وبعضهم يعاني من أمراض كالسكر ، أو ضغط الدم الزائد ، أو يعاني من أمراض في أسنانه ، إلخ ، أو أنه يعتقد بأنه يعاني من مرض معين في عينيه ، فنكتشف أنه يعاني من أمراض أخرى ، وهناك مشكلة اللغة والترجمة وغيرها ، وهذه أمور يمكن حلها قبل أن يباشر المريض إجراءات السفر

وهذا الأمر يجب أن تعالجه الإدارات والوزارات المتخصصة في بلدان المرضى ، بالاتفاق مع الشركات ، أو بالاتفاق المباشر بين الإدارات

فريق طبي يجري عملية دقيقه

السيد خميس بعد اجراء
عملية المياه البيضاء

السيد جاسم الرايد وأمل
بالشفاء من المياه الزرقاء

السيد حسن كاظم
أمل كبير بتحسن النظر

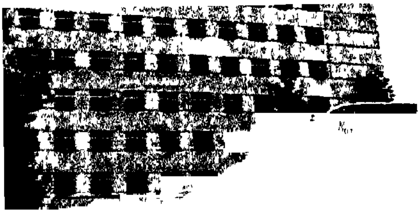

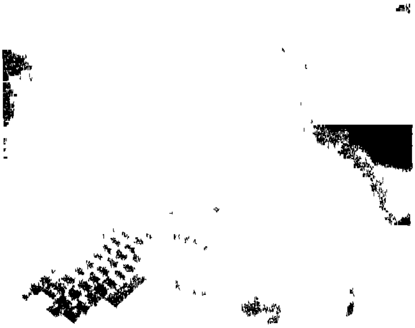

المستشفى الحالي أصبح ملاذاً للكثير من
المصابين [illegible] في [illegible]
[illegible]
اصبح [illegible]
[illegible] العيون [illegible]

والوزارات المعنيّة في بلدان المرضى وبلدنا

● لقد زار وزير الصحة الكويتي بلادكم في شهر تموز ـ يوليو ـ الماضي فهل تم طرح هذه الأمور وغيرها على بساط البحث ؟

ـ لاشك أن هذا الأمر وغيره قد تم طرحه ، لكن الأمور لم تتضح حتى الآن

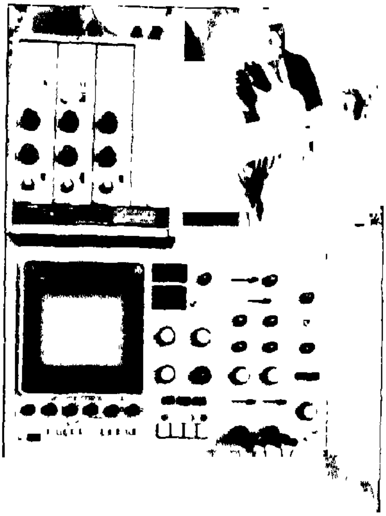

التقنيات الحديثة ذللت الكثير من المصاعب

الفحص ضروري قبل وبعد العلاج

● ما هي نسبة المرضى العرب الذين توافدوا على مستشفاكم ، قياسا بالمرضى الأجانب ؟

ـ لقد تعاملنا مع حوالي ٧٠٠ مريض أجنبي تصل نسبة العرب بينهم الى ٨٠/ من العدد الاجمالي

أما لو أردت بعض التفصيلات المتعلقة بأعداد مرضى الأقطار العربية ، وبخاصة أقطار الخليج ، فهي تم معالجة ١٨٦ مريضا ومريضة من الكويت سنة ١٩٨٦م

وقد وصل العدد حتى ١/٧/١٩٨٧ إلى ١٣٣ حالة من الكويت

أما مرضى دولة الإمارات العربية المتحدة فقد كانوا ٥٤ مريضا ومريضة حتى أوائل شهر يوليو ـ تموز ـ من هذا العام

ووصلنا من المملكة الأردنية الهاشمية ٢١ مريضا حتى يوليو ـ تموز ـ أيضا ، أما من بقية الأقطار العربية فإنه لا يصلنا مرضاهم إلا نادرا ، لأنه توجد بعض المشاكل في تحويل العملة وغير ذلك

ابتكارات وإنجازات

● لو أردنا التحدث عن أشهر ما يقوم به المجمع في مجال عمليات العيون ، وبخاصة ما يحظى بالشهرة العالمية التي نال الدكتور فيودوروف نصيبه بسببها ، فما الذي تقولونه في هذا المجال ؟

وجاءنا الجواب

ـ إن بعض الشهرة التي نالها الدكتور فيودوروف ، ومن ثم المجمع ، تقوم على مجموعة من الابتكارات

فقد باشر الدكتور فيودوروف إجراء عمليات جراحية لتصحيح قصر النظر اعتبارا من سنة ١٩٧٤ ، ونتيجة لنجاح العملية فإن المريض يمكنه الاستغناء عن نظارته أو عدسته اللاصقة

وقد أجريت آلاف العمليات منذ ذلك الزمن حسب طريقة الدكتور فيودوروف ، وقد حالف

الدكتور

سفياتوسلاف

فيودوروف

* من مواليد سنة ١٩٢٧م .
* عضو مراسل في أكاديمية العلوم الطبية السوفييتية .
* حاصل على دكتوراة في جراحة العيون .
* حصل على لقب بطل العمل الاشتراكي هذا العام ، وهو جائزة تمنح من قبل هيئة رئاسة السوفييت الأعلى في الاتحاد السوفيتي لأبرز العاملين في قطاعات العمل المختلفة ، ويناله ١٢ اسما في العام فقط .
* مدير عام المجمع العلمي التقني المتخصص بجراحة العيون الدقيقة .
* له في طب العيون وجراحتها عدة انجازات منها :

ـ تصحيح انحسار وقصر النظر ، من خلال إجراء شطب وقطع دقيق في قرنية العين ويعمل الآن على تصحيح النظر البعيد .

ـ زرع عدسة شفافة ـ توصل أخيرا إلى تصنيعها من مادة السيليكون الشفاف ـ مكان العدسة المعتمة ، وغيرها من الانجازات .

النجاح أغلبها ، وهذا الأمر يعتمد على الدرجة التي وصل إليها قصر النظر وأساس العملية يقوم على إحداث قطوع بواسطة أشعة « الليزر » على السطح الأمامي للقرنية ، وهذا يقتضي حسابات دقيقة في هذا المجال ، كي لا تتجه أشعة القطع إلى أماكن أخرى غير المستهدفة وقد بدأنا نعتمد على الحاسوب ـ الكمبيوتر ـ في تحديد هذا الأمر ، بل وفي تحديد نوع العملية وعمقها ومجالها وهذه العملية قد لا يستغرق تنفيذها أكثر من خمس دقائق ، بعد إعطاء المخدر الموضعي

هذا مثال ، وهناك أمثلة أخرى على الشهرة

● دعونا نذكر الأمثلة الأخرى ؟

ـ عندما كان الدكتور فيودوروف يخطو أولى خطواته في مجال طب العيون قام ـ سنة ١٩٦٠ ـ بزرع عدسة شفافة من ابتكاراته لإحدى مريضاته ، بدلا من عدستها المعتمة ، وبعد ذلك تم إجراء آلاف العمليات المشابهة وثبت نجاحها وقد تم تطوير العدسة لتصبح من مادة السليكون الشفاف وهذه العملية دقيقة جدا أيضا كما وان العمل يسير بنجاح لتصحيح النظر البعيد أيضا

● وماذا أيضا ؟

ـ إن مجال إجراء البحوث والاختبارات ، وتطوير الإمكانات والقدرات البشرية والأدوات التي نستعملها يسير سيرا حثيثا

ويمكن الإشارة ـ على سبيل المثال ـ إلى أننا أخذنا بتطبيق العملية التي تقوم على مراحل متخصصة ، إذ يقوم بإجراء كل مرحلة فريق متخصص

فالفريق الأول ينهي مهمته في اختصاصه المحدد الدقيق ، فينقل المريض إلى فريق آخر متخصص بناحية لاحقة من العملية ، وهكذا يتوالى نقل المريض حتى الانتهاء من العملية المطلوبة إن هذا الإجراء قد أثبت أنه يسهل العمل ، ويعطينا نسبة إنجاز أعلى ، قد تصل إلى عشرة أضعاف ، قياسا بالجراحات العادية ، ذات الأسلوب العادي

● وماذا أيضا ؟

ـ مادامت الحياة تسير ، وأمراضها تنتشر ، فإن العقل الانسان يجب أن يعد عدته ، ويستمر في تطوير أدواته ، كي يوفر للانسان حياة أفضل وأسهل ☐

ـ محطة فضاء لتوليد الكهرباء من الطاقة الشمسية

الطاقة من الفضاء

بقلم : رؤوف وصفي

توقعت البشرية منذ زمن طويل أن يكون الغد كاليوم تماما أو يكاد ، فالتغيير شيء مثير للقلق ، ويدعو للخوف والرهبة ، لكننا في العصر الحديث نتحدث عن صدمة المستقبل ، ونعلم أن التغيير جزء متلازم مع الكون ، وأن أكثر مناهج العمل نجاحا للبشرية هو الذي يحدد كيف ننشيء بيئة تستوعب كل التغييرات التي يمكن التنبؤ بها .

يعتمد التنبؤ بالمستقبل على الأسلوب العلمي ، ودراسة الماضي ، ومواكبة الحاضر ، واستشفاف المستقبل ومع التغيرات المتلاحقة في العصر الحديث نشأ علم جديد ، يختص بدراسة المستقبل ، وهو « علم المستقبل » الذي يجمع بين الخيال والبحث العلمي ، وشحذ الفكر ، بحيث تكون توقعاته أقرب الى النجاح ، ويمتد نطاق هذا العلم ليشمل عددا من جوانب الحياة ، كالعلم والتقنية والفن والتعليم والاقتصاد ، وغيرها ، في ظل زيادة هائلة للسكان ، حيث يتضاعف عددهم

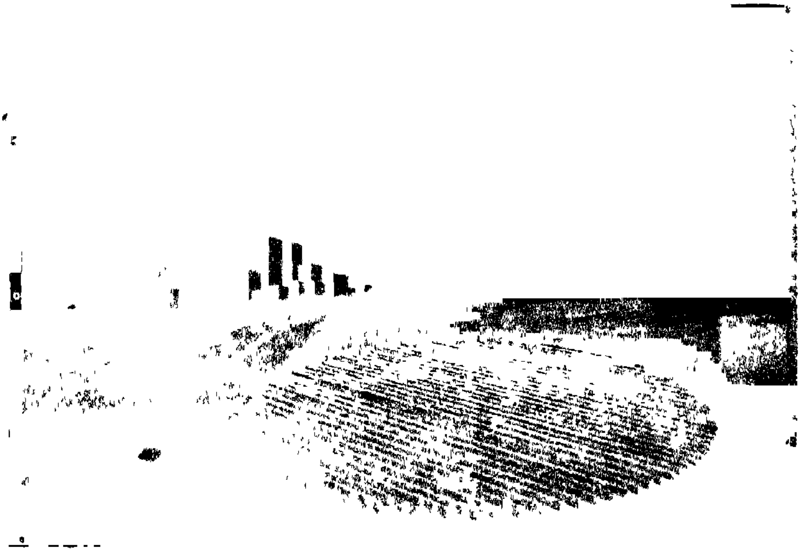

- الموجات الدقيقة تبث الى محطة الاستقبال الأرضية

ليصبح حوالي ٩ بلايين* في عام ٢٠٢٠م

ويجري العلماء أبحاثهم في الوقت الحاضر ، لايجاد بدائل للطاقة ، حيث تشير الدراسات الى أن مصادر الطاقة التقليدية الحالية - كالنفط والفحم - توشك على النفاذ في أوائل القرن القادم

ويمثل هذا كارثة لكافة نواحي النشاط الانساني ، ومن ثم يعكف العلماء على اجراء تجاربهم على استخدام قوة الرياح والأمواج والحرارة الكامنة في باطن الأرض ، كما يحاولون تطوير المفاعلات النووية ، وذلك لتوفير الطاقة التي تعتبر مصدرا للتقدم العلمي والتقني في المستقبل

ومن أهم تلك الأبحاث العلمية استغلال الطاقة الشمسية التي تنتشر في الفضاء السحيق ، خاصة أن مساحات كبيرة من العالم تنعم بثروات شمسية هائلة ، يمكن استغلالها كمصدر رخيص للطاقة ، فالشمس - وهي بمثابة فرن ذري ، يتحول فيه غاز الهيدروجين الى هليوم - تطلق طاقة هائلة الى الفضاء ، تنتج عن احتراق حوالي خمسة ملايين طن متري من الهيدروجين في كل ثانية ، ويتوقع العلماء أن تستمر الشمس في اطلاق الطاقة لمدة خمسة بلايين عام أخرى

ويقدر أن كمية الطاقة الشمسية التي تصل الى كوكب الأرض خلال ساعة واحدة ، يمكن أن تكفي العالم كله كوقود مدة عام كامل ، إذا أمكن الاستفادة من طاقاتها بشكل جيد

وقد أصبح مألوفا في العصر الحديث وجود أجهزة شمسية نافعة في المنازل ، للتسخين والطهو والانارة ، كما تستخدم الطاقة الشمسية في بعض ساعات اليد ، والأجهزة الحاسبة وغيرها

الخلايا الشمسية (الكهربيضوئية)

يمكن تحويل ضوء الشمس الى كهرباء (أي قوة محركة) دون احتراق أو وقود أو تلوث للبيئة ،

---

* البليون (ألف مليون) أى العدد واحد وأمامه تسعة أصفار ويكتب هكذا ١٠^{٩}

باستخدام وحدة يطلق عليها اسم « الخلية الشمسية الكهربيضوئية » « Pholovoltaic » ، وهي تتكون بصفة أساسية من السليكون ، وهي المادة التي تتكون منها رمال الشواطيء ، وتتلخص فكرة توليد الطاقة في أن بلورة السليكون تحول أشعة الشمس الى كهرباء ، فعندما تسقط طاقة الضوء في شكل وحدات ـ يطلق عليها اسم فوتونات ـ على ذرات السليكون في الخلية الشمسية فإنها تسبب انطلاق بعض الجسيمات المكونة لهذه الذرات ، وهي الالكترونات التي تحدث التيار الكهربائي

وتمتاز الخلايا الشمسية الكهربيضوئية بأنها مصنوعة من السليكون ، وهي مادة موجودة بكميات كبيرة في القشرة الأرضية ، ولها قدرة عالية على التحمل ، ويمكن أن تعمل دون تلف مدة عشرين عاما

واستخدمت هذه الخلايا الشمسية لأول مرة في الولايات المتحدة بالقمر الصناعي « فانجارد » عام ١٩٥٨ ، ثم شاع استخدامها في الآلاف من الأقمار الصناعية التي تجوب الفضاء في الوقت الحاضر ، حيث تقوم البطاريات المكونة من عدة خلايا شمسية بتوليد الطاقة لهذه الأقمار ، لتغذية أجهزة الارسال والاستقبال ، وتشغيل أجهزة التصوير الدقيقة والحاسوب (الكمبيوتر) ، وهي تعمل بشكل أفضل في درجات الحرارة المنخفضة ، وهذا ما يتوافر في الفضاء ، خاصة أنه ليس ثمة معوقات ، مثل الع الذي قد يغطي سطح البطارية الشمسية ويتلفها ويسعى العلماء في الوقت الحاضر الى زيادة قد الخلايا الشمسية على تحويل الطاقة الشمسية ا كهرباء ، حيث أن قدرتها الحالية لا تتعدى تحوي سدس الأشعة التي تسقط عليها

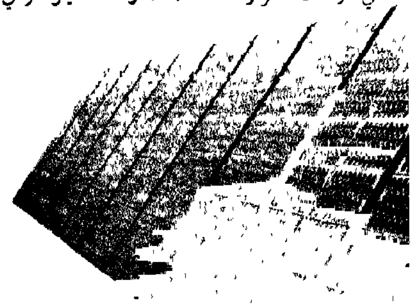

الخلايا الشمسية
(الكهربيضوئية)

ويتوقع أنه في عام ٢٠٢٥ ستتمكن الخلايا الشمسية الكهربيضوئية من سد ١٠ ٪ من احتياجا الدول الأوروبية من الطاقة

محطات فضائية للطاقة

أوصحت الدراسات العلمية بأن محطات تولد الكهرباء من الطاقة الشمسية سوف تأخذ مساحات كبيرة فوق سطح كوكب الأرض ، قد تبلغ خمسين كيلو مترا مربعا من الأجهزة التي تجمع أشعة الشمس ، ومن ثم اتجه التفكير الى إنشاء محطات فضائية ، لاستغلال الطاقة الشمسية ، حيث تظل الشمس مضيئة طول الوقت ، وهكذا يمكن الاستفادة من أشعتها ، كما أنه لا يوجد غلاف جوي يشتت ضوء الشمس ، ويخفف من حدته

وتتكون محطة الفضاء للطاقة الشمسية من قمر صناعي ضخم ، تمتد منه لوحات ، ينتشر عليها عدد كبير من الخلايا الشمسية ، وتبدو في الفضاء كأجنحة هائلة يبلغ طول كل منها عشرة كيلو مترات ، وعرضها خمسة كيلو مترات ، وعندما تسقط أشعة الشمس على الخلايا الشمسية تنتج الطاقة الكهربائية ، ولا تكون الأجنحة مغطاة كلها بالخلايا الشمسية ، بل تتخللها مجموعة من المرايا التي تركز أشعة الشمس على الخلايا ، ومن ثم تزيد من قوة الكهرباء المولدة

لكن كيف يتم ايصال الطاقة الكهربائية من محطة الفضاء الى سطح الأرض ؟

يتوسط أجنحة محطة الفضاء هوائي إرسال ، يبلغ طوله حوالي كيلو متر واحد ، ويتكون من مجموعة من المحولات التي تقوم بتحويل الطاقة الكهربائية

الناتجة الى موجات كهرومغناطيسية دقيقة (ميكروويف Microwave) ، تبث الى محطات استقبال فوق سطح الأرض ، تبلغ مساحة كل منها حوالي سبعة كيلومترات مربعة ، حيث تحول الموجات الدقيقة الى طاقة كهربائية مرة أخرى ، ثم توزعها على المراكز السكانية والصناعية

ويمكن لهذه الموجات الدقيقة أن تخترق الغلاف الجوي دون أن تفقد نسبة كبيرة من طاقتها ، وعندما تصل الى محطات الاستقبال فوق الأرض يمكن تحويل ٨٠٪ من طاقتها الى كهرباء ، ويجب أن يؤخذ في الاعتبار دقة توجيه هذه الموجات الدقيقة الى مراكز الاستقبال ، حتى لا تتشتت بعيدا ، ومن ثم التقاطها بجهاز تحكم خاص بالقمر الصناعي مرة أخرى ، لتوجيه إطلاق مزيد من الموجات الدقيقة الى محطات الاستقبال بدقة أكبر

ويمكن لكل محطة فضاء للطاقة أن تولد ٥٠٠٠ ميجاواط ، وهذا يزيد حوالي خمس مرات عن أكبر مولدات الطاقة الكهربائية الموجودة في الوقت الحاضر على سطح الأرض

ويرى بعضهم أن هناك خطرا على السكان من إطلاق الموجات الدقيقة بتركيز الى محطات الاستقبال ، حيث قد يسبب أمراضا خطيرة كالسرطان ، لكن العلماء يؤكدون بأن أجهزة البث في القمر الصناعي سوف تقلل من قوة هذه الموجات الدقيقة ، بحيث لا تحدث أي ضرر على السكان ، سوى الشعور ببعض الدفء

فرن شمسي في الفضاء

ثمة تصميم آخر لمعدات في الفضاء لتوليد الكهرباء من الطاقة الشمسية باستخدام تقنية المولدات والمحركات ، وتتلخص هذه الطريقة الجديدة في بناء فرن شمسي هائل في الفضاء ، حيث تقوم معدات مصنوعة من البلاستيك المقوى ، المغطى بطبقة رقيقة من الألمنيوم ، بتركيز أشعة الشمس ، لتسخين خزان مملوء بغاز الهليوم ، ونتيجة لهذا التسخين يتمدد غاز الهليوم فيدير محركا هائلا ، حيث يولد الكهرباء ، تماما كما يحدث في محطات توليد الكهرباء فوق الأرض ، ثم يتم بث التيار الكهربائي في شكل موجات دقيقة ، بواسطة محولات خاصة ، الى محطات استقبال فوق الأرض ، حيث يتم تحويلها مرة أخرى الى تيار كهربائي ، يتم توزيعه وفق احتياجات استهلاك الطاقة

ويتساءل العلماء كيف يمكن نقل هذه المعدات العملاقة الى الفضاء ؟ وللتأكد من أن المحطات الفضائية للطاقة الشمسية ستبقى في مكان ثابت فوق كوكب الأرض فإنه يجب وضعها في مدار دائم دائري ، مواز لسطح الأرض ، في المنطقة الاستوائية ، على ارتفاع ٣٦,٠٠٠ كيلو متر في عمق الفضاء ، على أن تكون زاوية سرعتها مساوية لزاوية سرعة دوران كوكب الأرض ، وذلك لضمان توجيه الموجات الدقيقة الى محطات الاستقبال بشكل دقيق ، بالاضافة الى أن وزن كل من هذه المحطات يبلغ أكثر من ١٠,٠٠٠ طن كل هذا يجعل من إطلاق محطة فضاء بهذا الوزن الى مثل هذا العمق في الفضاء أمرا يكاد يكون مستحيلا ، ذلك أنه يتطلب استخدام صواريخ ذات قدرات جبارة - حوالي ٣٠٠ طن - وهذا لا يمكن تحقيقه بالتقنية البشرية حتى في المستقبل المنظور ، ولهذا فكر العلماء في إطلاق أجزاء المحطة الفضائية على دفعات ، ثم تركيبها في الفضاء ، حيث تتلاشى قوة الوزن ، وينعدم الضغط الجوي ، ويقوم بتركيب هذه المعدات فريق عمل من المهندسين والعمال الذين يقيمون في محطة فضاء بصفة دائمة ، لتشغيلها وصيانتها ، ويقدر العلماء أن تكون محطات الفضاء التي تحول الطاقة الشمسية الى كهرباء حقيقة واقعة خلال الخمس والعشرين سنة القادمة ، ويتوقعون أن تسهم هذه المحطات في امداد كوكب الأرض بنسبة كبيرة من الطاقة التي يحتاج اليها التقدم العلمي والتقني في القرن الحادي والعشرين ☐

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

ديسمبر ١٩٨٧ م

سيكولوجية اللعب

تأليف: سوزانا ميلر

ترجمة: د. حسن عيسى

مراجعة: د. محمد عماد الدين إسماعيل

الكتاب ١٢٠

٥٠٠
فلس

المراسلات: باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - ص.ب ٢٣٩٩٦ الكويت

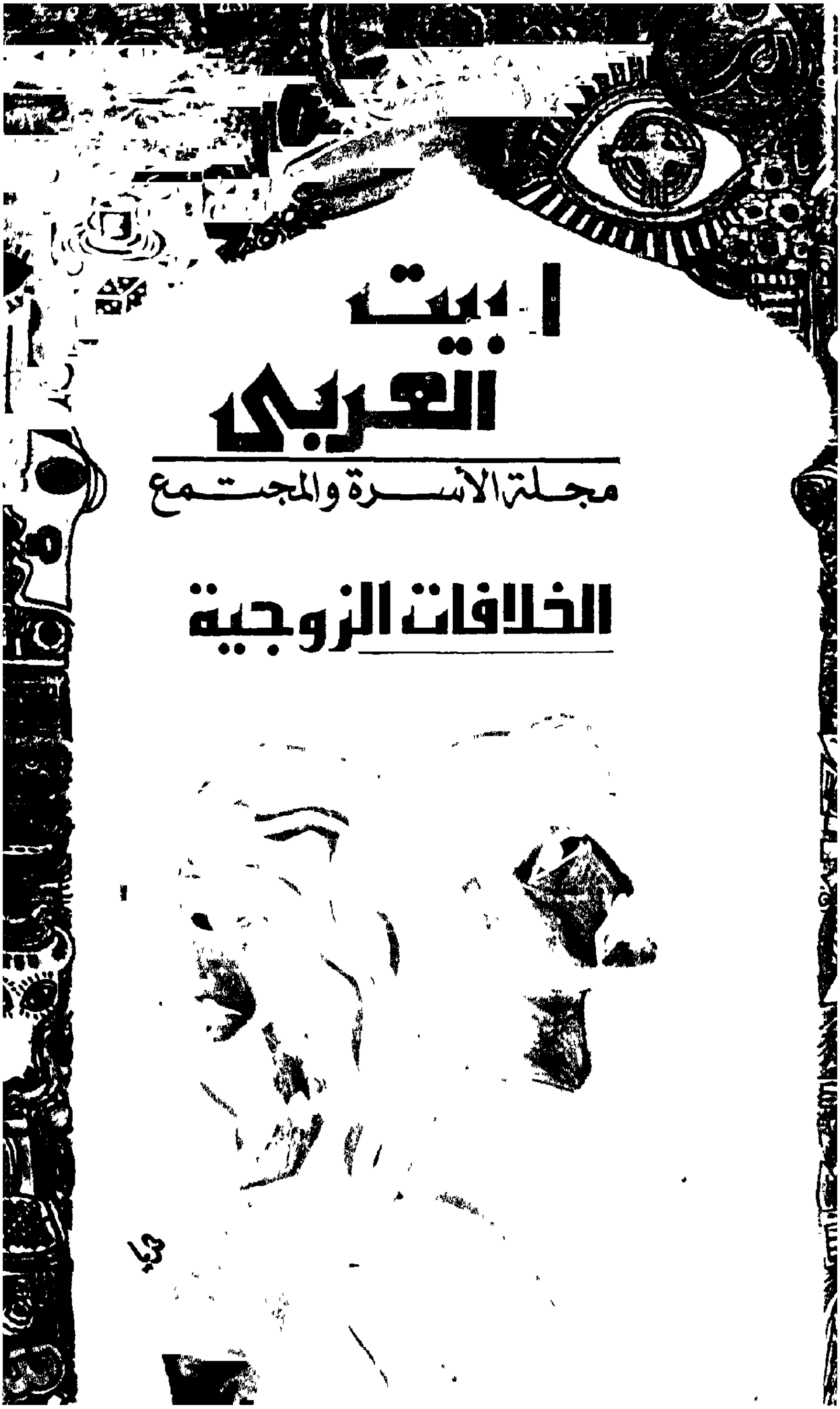

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

الخلافات الزوجية

العربي - العدد ٣٤٩ - ديسمبر ١٩٨٧ م

الخلافات الزوجية:
الحياة بعد العاصفة

اعداد : ريم الكيلاني

« هل يخلو بيت من خلاف ؟ وهل هناك علاقة بدون مشاحنات ؟ في لحظة الغضب قد يبدو للبعض أن الحياة لن تستمر ثانية بين الزوجين ، وان . . وان . . . . . ولكن بقليل من العقل وكثير من الحنان يمكن أن نسج خيوط الحياة المستمرة مرة ثانية .

تماما كما تثور العواصف والزوابع لأوهن الاسباب ، فقد تشتعل الخلافات لاسباب واهية لايتصور أحد أنها تسبب خلافا ، ولا يستطيع أحد أن يحدد بدقة ، قائمة مسببات للخلافات الزوجية ، فقد يسبب موقفاً ما خلافا بين زوجين ، ولكنه بين زوجين آخرين قد يبعث على الضحك ، بل لعلنا لا نزيد الامر تعميما لو قلنا أن اثار ونتائج موقف ما بين زوجين في لحظة معينة تختلف عن نتائج وآثار نفس الموقف بين ذات الزوجين في لحظة اخرى

الأمر برمته مرهون بدرجة حالتنا النفسية ، وبالتراكمات التي داخلنا لحظة مواجهة الموقف ، ومناخنا النفسي ولذا فانه صحيح تماما في الحياة الزوجية أن النار قد تشتعل أحيانا من مستصغر الشرر

لحظات المواجهة

كان ابوها في زيارة لبيتها بدأ النقاش بينه وبين زوجها هادئا ثم ارتفعت حدة النقاش وفجأة ثار الاب وأرغى وأزبد إذ كيف يقول له زوج ابنته أنه مخطىء في أفكاره ؟ وأقسم الا يدخل البيت وانصرف الاب لتبدأ مشكلة الزوجة ثائرة لان الزوج لا يحسن التعامل مع ابيها وتقسم أنها لن تبقى معه في البيت اذا لم يتصالح مع أبيها ثانية !

كان لديه ارتباط لأداء خدمة ما لبعض أقاربه فترك زوجته في بيت أهلها وذهب الى مهمته عندما عاد في منتصف الليل لصحب زوجته ثارت في وجهه وتساءلت بحدة كيف تتركني ثلاث ساعات لكي تجلس مع اهلك تثرثر هناك دون أي مراعاة لي ولا لحاجتي الى النوم ولا ولا ويشب خلاف

في الفراش الزوجة نائمة والزوج يطالع احدى الصحف تبدأ الزوجة في التأفف ثم تهب صارخة فهي لا تستطيع النوم بسبب الضوء وصوت ورق الجريدة أثناء تصفحه فتصيح اذا كنت تريد أن تقرأ فأقرأ خارج غرفة النوم ثم تعال لتنام ، ولكن لا تقلق راحتي وكلمة من هنا وكلمة من هناك ويشتعل خلاف !

ونماذج كثيرة ومتعددة فكل موقف في الحياة المشتركة وكل خبرة وكل تجربة قد يكون سببا لاشتعال خلاف كما قد يكون سببا لمزيد من الفهم المشترك ويصبح السؤال اذن لماذا نختلف ؟ وإذا اختلفنا كيف نتصالح ؟

الخلاف لماذا

تتعدد الأسباب ، وتبقى النتيجة في النهاية واحدة

تقول احدى الزوجات لم أختلف أنا وزوجي قط يوما على موضوع ذي قيمة ، فلم يكن بيننا أي نوع من المشاكل المادية أو الأسرية أو حتى الاجتماعية فنحن قد حددنا لحياتنا منذ البداية مسارا واضحا ومحددا ، ولكنني لا أعرف لماذا تنشب الثورة فجأة لتنتهي بخصام قد يطول أسابيع

ويحاول كلانا أن يلطف الجو ويهدىء من غضب الآخر ، بافتعال موقف وضحك أو نادرة ما ، ولكن تبقى الكبرياء بعد ذلك هي المانع الأول وليس موضوع الخلاف نفسه

ويقول زوج آخر زوجتي مخلصة تماما ، أشعر بحبها العميق لي ولأطفالي فهي تتفنن في خلق جو من السعادة والهدوء في البيت ، لذلك فإن تقصيرا بسيطا في أي من الأمور لا يغضبني بقدر ما يزعجني ويشعرني بالضيق ، ولكني سرعان ما أستدرك الخلاف وأمنعه من الامتداد في زوايا المنزل ، وخاصة وأنا أعلم ما تبذله من جهد في سبيل توفير كل ما احتاجه وأطفالي داخل وخارج المنزل

تقول زوجة ثالثة بحنق وسخط غريبين إنه إنسان مهمل لا يتحمل المسئولية ولا يعرف المعنى الحقيقي للزواج ، إنه لا يعرف في حياته سوى العمل ولا يدرك ما يحتاجه البيت والأطفال، لا من ماديات فحسب بل من عواطف واهتمام انه يلقي بكل المسئوليات والأعباء (الأولاد والبيت والمدارس) على كاهلي وأنا إنسانة لها طاقة معينة وأشعر بعد مرور عشر سنوات على الزواج بأن طاقتي قد نفدت

اذا لم يكن الرجل قادراً على تلبية حاجات منزله وأسرته ، فلم هو اذن ؟ ويعترف زوج آخر ازمتها في الانتقال من الخاص الى العام ومن الحادثة الفردية الى تعميمات وأحكام ونتائج عامة وعند الغضب تصدر أحكامها الجاحدة

ويتملكني الغيظ   و

ثورة مشاعر :

هناك دائما اختلاف في الرأي سواء كان صغيرا ام كبيرا ، ودائما تكون هناك ثورة مشاعر تتولد نتيجة هذا الاختلاف ، واذا كان الخلاف بين زوجين أمراً طبيعيا بل وضرورياً ، فمن الممكن ايجاد حل له عن طريق المناقشات الهادئة دون أي توتر انفعالي

تقول الدكتور سهام أبو عيطة استاذة علم النفس التربوي بجامعة الكويت   قد ينشب الخلاف بين الزوجين حول وضع صورة معينة في مكان ما أو حول اختفاء رباط عنق الزوج من مكانه في دولاب الملابس أو حول رأي في نجم سينمائي ، قد تبدو مثل هذه الخلافات بسيطة للوهلة الاولى   ولكن ماذا لو وجدنا أن الثورة والتفاعل مع المشكلة كانا أشد بكثير من السبب ؟ لا بد أن هناك سببا آخر لا علاقة له بموضوع الشجار ، ولا نعلم أبدا أن لكل انسان جانبا انفعاليا ، فهو قد يكون سعيداً ولا يعرف لماذا ، وتجده أحيانا حزينا مكتئبا ولا يعرف السبب

والحقيقة أن المواقف المباشرة لم تكن يوما سببا لوقوع مشاكل ، ولا يحدث الخلاف الا بسبب تراكمات نفسية داخل النفس البشرية وعدم وجود مثل هذه التراكمات عند الطرف الآخر يمكن أن يساهم في اصلاح الموقف بسرعة وسهولة ، ولا يسمح له بالتطور ، وتعود المياه الى مجاريها بمجرد مرور الحالة الانفعالية   اما اذا كان الطرفان مشحونين انفعاليا لاي سبب كان (العمل ـ المال ـ الاطفال) فان الخلاف في هذه الحالة يكون هو الشرارة التي تشعل النيران

الكرامة والزواج

وتكمل الدكتورة أبو عيطة حديثها   انه من الخطأ أن يمتنع الزوجان في حالات الخلاف البسيطة عن التنازل بحجة الكرامة والكبرياء ، فالتنازل ضروري خاصة في علاقات الزواج   وعدم التراجع هو حجر العثرة الذي يحول دون فض النزاع ، فترى الزوجة في تنازلها أنها تتنازل عما لها من قدرة على المساومة ، يرى الزوج أن تراجعه فيه انتقاص من رجولته أمام نفسه بل أمام المجتمع   ولكن ، ماذا لو كانت هناك مواقف مستعصية ليس لها حل ، فيصل الامر الى حافة الانفصال ؟ غالبا ما يكون ذلك في حالات انحراف الزوج او الزوجة خلقيا ، وهذا ما نطلق عليه اسم الأمراض الاجتماعية وهي المشاكل اللا اخلاقية وغير المقبولة اجتماعيا

وفي هذه الحالات يبحث الزوجان أو دونهما عن حكم ليدير حلقة النقاش بين الزوجين بدون تعصب لأي منهما   وهذا من شأنه أن يضفي جوا من الهدوء والمنطقية أثناء النقاش ، كما أنه يعطي الفرصة لكل طرف بالتعبير   عن رأيه في الطرف الآخر بكل صراحة ودون أي ضغوط ويقوم الحكم باصدار حكم في نهاية الجلسة عليهما أو يأخذ من الطرف المخطىء تعهدا بعدم تكرار الخطأ

ويعود السؤال يلح ثانية   كيف يغفر الزوج لزوجته تفكيرها برجل آخر ؟ وكيف تسامح الزوجة زوجها الذي يقضي نهاره مشغولا بامرأة أخرى ؟

كيف سيكون الطرفان قادرين على الاستمرار وعلى نسج خيوط جديدة للحياة بعد طول خلاف ، وبعد أن عرف بعض اصدقائهم وأقاربهم بنوع وطبيعة الخلاف !

اذا كانت المشاكل البسيطة التي تحدث كل يوم و

كل بيت تزول بزوال النهار وتذهب دون عودة فلا تترك في النفس أحقادا ، فكيف للمشاكل الحادة أن تطوى في ذاكرة النسيان لتسير بعدها القافلة دون منغصات ؟ تقول الدكتورة سهام أن الحب او الكراهية ليس سببا واحدا وكافيا للحكم على الحياة بالاستمرار أو الانفصال فهناك قيود كثيرة تأسر الزوجين وتجعل الخلاص قضية ليس سهلة

ولعل أقوى هذه القيود المصالح المشتركة بين الزوجين خلاصة السنين القليلة التي قضياها معا فمصلحة المحافظة على الأبناء أسريا واجتماعيا وخلقيا ، وهي أول واسمى هذه المصالح ، ولا اعتقد أن مصلحة اخرى غيرها يمكن أن تجعل الحياة تستمر ولا انكر أن المرأة في كل الاحوال ، تجد وضعها في بيت الزوجية مع زوجها وابنائها افضل بكثير من أي وضع آخر

وهنا لا بد أن يعترف المخطىء بخطئه ، وان يقدم تعهداً يضمن به حق الطرف الآخر بعدم الرجوع الى الخطأ ثانية ، وقد تكون السنين كفيلة بمحو كل آثار الخلاف ، ونسيان المرارة التي أحدثها الشقاق

ايجابيات وسلبيات الحياة .

يقول عبد المنعم الزيادي في كتابه الزواج السعيد « من الخطأ تماماً أن يعزب الزوجان عن العواطف الايجابية وكبت العواطف السلبية وخاصة ان الزوجين يستطيعان بسهولة أن يحولا المشكلة ويجعلا من (الحبة قبة) حتى ليستغرب المقربون والأصدقاء من الشكل الذي يتعارك به الزوجان »

كثير من علماء النفس يفضلون أن يفض الزوجان اشتباكهما قبل الذهاب للنوم ، أما اذا وجدا نفسيهما يحتدان في النقاش فعليهما أن يتركا الأمر لحين آخر ليكونا أصفى ذهناً ونفساً

يقول الدكتور قاسم الصراف الأستاذ بكلية التربية بجامعة الكويت ليس من السهل أن تعود المياه الى مجاريها بعد صراع وشجار أي زوجين ، والحقيقة أنه لو انفرد كل منهما بنفسه للحظات يستعيد معها ذكريات تلك الشركة التي يريد أن يفضها ، فعليه أن يضع الأمور جميعها في الميزان الصحيح دون اتهامات باطلة ومحاولاً البدء من جديد اذا رجحت كفة السعادة أما قضية كيف تبدأ من جديد فهي عملية تلقائية يصنعها عاملا التعود والاستمرارية والرغبة الصادقة في ذلك

أما اذا رجحت كفة الشقاء والألم ، فعلى الزوجين أن يتساءلا جدياً هل سيكونان على استعداد لخوض

المغامرة من جديد على أسس بديلة ، أم أن الانفصال سيكون أفضل لجميع الأطراف ويستطرد الدكتور الصراف أن الزوج بحكم وجوده في مجتمع بطريركي يشعر دائماً بأنه على حق وان على الزوجة أن تذعن لهذا الحق ، ولذا فهو لا يرضى بالتنازل عن حقه أو الاعتراف بأنه على خطأ ، وحتى لو كان داخلياً مقتنعاً بخطئه ، فكبرياؤه لا تسمح له بالاعتذار للزوجة ، ومع مرور الوقت تدرك الزوجة الموقف على حقيقته وعليها في هذه الحالة أن تختار فاما أن تتقبل الوضع كما هو وتلتزم الصمت ولو على مضض فتأخذ من الزوج موقفا سلبيا عله يصلح مواقفه الخلافية معها أو تدخل معه في مواجهة صارمة نجاحها ليس بالضرورة مضمونا بل إنها قد تؤدي للتنافر والتباعد وربما الى الانفصال بين الزوجين

وللخلافات الزوجية أسباب عديدة مختلفة منها تدخل الاقرباء في حياة خصوصيات الزوجين كأم الزوج أو ام الزوجة اللتين تحاولان بطريقة لا أرادية توجيه حياة الزوجين بما لا يتناسب مع عقليهما وقد تؤدي هذه التدخلات لخلافات شديدة خاصة حين نرى أن احد الطرفين يحرص اشد الحرص على ارضاء امه في كل شيء ، كذلك فللوضع الاقتصادي المتذبذب داخل الاسرة دور ايضا في الخلافات الزوجية خاصة اذا كان احد الطرفين مبذرا غير مدرك للمسئولية الاسرية

القدرة والسيطرة

ويكمل الدكتور الصراف لا بد للموقف من نهاية ، ولا بد من سيطرة احد الطرفين على الموقف اما النهاية لصالح من ؟ فهذا متوقف على عدة عوامل اهمها قدرة الطرفين على اقناع الطرف الآخر بأنه كان مخطئا او ذاتيا في حكمه وموقفه ، وتجدر الاشارة هنا الى ان استخدام المنطق والموضوعية في مثل هذه المواقف قد لا يوصل الى النجاح المطلوب ، لان الانفعال عادة يتغلب على ملكة التفكير وبالتالي تسود العاطفة وتتغلب على الموقف ونجاح احد الطرفين في السيطرة على المشكلة يتوقف الى حد ما على حاجته الى الطرف الآخر ، ففي الحياة الزوجية يقوم كل طرف منهما باشباع الحاجات الاولية للطرف الآخر بالاضافة الى الحاجات الثانوية ، وعندما يشعر احد الطرفين بالحرمان من هذه الحاجات بسبب غضب الطرف الآخر فانه يحاول بشتى الوسائل والامكانيات الذاتية التنازل عن موقفه لكي يستطيع التفاهم مع الطرف الآخر

خاصة حين يدرك انه بالتنازل عن بعض المتطلبات يستطيع الحصول على اشباع لحاجاته ورغباته التي حرم منها اثناء فترة الخصام ومن خلال اللعبة الزوجية يتعرف كل من الطرفين على نقاط القوة والضعف لدى الطرف الآخر ويستخدمها كورقة مساومة في المواقف الخلافية

وتسير القافلة

الحياة الزوجية شركة أسسها اثنان وحددا في انفسهما القدرة على التعايش والتفاهم معاً واجمعا على ضرورة تكوين اسرة قوامها الحب والتفاني ، فان حدث واختلف الشريكان - وما اكثر ما يحدث ذلك - نجدهما يفكران مليا ويتأنيان قبل أن يتخذ أحدهما او كلاهما موقفاً من الطرف الآخر ، فهناك المصالح المشتركة وعاملا التعود والاستمرارية ، هذه كلها من شأنها أن تجعل الاثنين يبقيان على هذه الشركة لتستمر الحياة وتسير القافلة □

مساحة ود

منطق الفخ

كنت في سفر بعيد ، وفي طريق العودة حطت بي شركات الطيران في الجنوب الاسباني ، وانتظرت في الجنوب ثلاثة أيام حتى موعد أول رحلة طيران تعود بي إلى أرض الكويت وكان الانتظار فرصة ، كي أرى الجنوب ، وبالتحديد منطقة الاصطياف الشهيرة فيه ، وكنت أعلم أنه قد دخل اسبانيا في شهور صيف هذا العام ٤٥ مليون سائح ، وأعلم أن هذه المنطقة نفسها تشترك مع كل أقطارنا العربية المشرقية في المناخ والطبيعة والبحر ، فكل هذه المنطقة تطل على البحر الأبيض المتوسط ، ووطننا العربي يمتلك ساحلا طويلا وهائلا على هذا البحر ، بدءا من سوريا ولبنان وفلسطين ، ومرورا بمصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب ، ويقينا فإن عدد السائحين الذين دخلوا الأقطار العربية مجتمعة لا يعادل عدد المصطافين الذين ذهبوا إلى اسبانيا . لقد ساهم بطرح هذا التساؤل كثير من الكتاب والصحفيين والمهتمين بقضايا التنمية ، على اعتبار أن السياحة هي مصدر مهم للعملة الصعبة ، وهي صناعة متشابكة ، لكن عائدها سريع ، ودورة رأس المال فيها قصيرة ، وكثير من الدول من الممكن أن تكتفي بدخلها من السياحة ، لكي تحقق توازنا ، وتمول مشروعاتها الأخرى منه ، ولقد طرح أيضا كثير من المهتمين سؤالا بسيطاً ومعقدا مفاده ماذا ينقصنا عن اسبانيا ؟ أو بماذا تمتاز اسبانيا عنا ؟ ولا أحد يستطيع أن يتهم وطننا بعدم الاستقرار ، أو أن يدعي بأن اسبانيا أكثر استقرارا منه ، فالباسك وعمليات العنف بها قد ساوت الكفتين ، لكن في تقديري الخاص أن هناك نقطتين هامتين ، الأولى أن كل واحد منهم يعرف أنه يبيع لك شمساً وهواء وراحة ، ويعرف أنه يبيع لك ما هو موجود لدى الآخرين ، فعليه أن يبتسم ويرحب بك ويساعدك ، لأنك تدفع مقابل هذا والنقطة الثانية أن سلوك الناس هناك يختلف عن سلوكنا ، بدءا من « حشايا » الاسفنج التي تبيت الليل على الشاطيء دون حراسة ولا يسرقها أحد ، ولا يمزقها صبية ، وانتهاء باحترام حريتك وحقك في أن تستمتع بأيامك بالطريقة التي تراها والباعة على جانبي الطريق يبيعون كل شيء بدءا من التماثيل ، وانتهاء بالمتعة ، والمقاهي تعج بالمطربين الذين يغنون ويرقصون للوطن وللحبيبة وللبحر تقف وتشاهد وتتفرج ولا أحد ينهرك ، ولا يطالبك بالجلوس المطاعم الرخيصة والغالية جنبا إلى جنب ، تدخل وتطلب ما تشاء ، ولا أحد يلزمك بأن تأكل وجبة كاملة ، فعلى قدر ما تأكل ستدفع مئات التفاصيل الصغيرة نفتقدها في وطننا العربي ، فنحن مازلنا للأسف نرى السائح « صيدا ثمينا » ، قد وقع في الفخ وعلينا أن نصفي دمه ، ولذلك فهو يسافر ولا يعود هذا السلوك الجماعي ، وهذه النظرة للسائح يكمن فيها سبب جوهري لانصراف السائحين عنا إلى بلدان لا تمتاز طبيعتها بمناخ يفضل على أقطارنا في شيء إلا سلوك الناس واحترامهم لحريات الآخرين بلا تدخل ولا قيود ☐

محمود عبدالوهاب

العربي - العدد ٣٤٩ - ديسمبر ١٩٨٧ م

هو..

شقيقتي !

● ألمح في عينيه حديثا صامتا، وبين الحين والحين يلقي بكلمة ذات مغزى، تحمل أكثر من معنى، ولا أستطيع أن أحدد بالضبط ما يعنيه بها، وينتابني التردد والحيرة، هل أفاتحه وأصارحه، وأحادثه في الموضوع بكل تفاصيله، وأسمع تعليقاته؟ لكنني أخاف أن أسمع منه رأيا وأعمل بغيره فأقع بذلك في براثن الخطأ

استجمعت شجاعتي، وأعددت نفسي لكي أقول له كل شيء، بتفاصيل كاملة أقول له كيف هي مشاعري تجاه شقيقتي، وكيف أن زواجها منذ البداية لم يكن موفقا، وكيف كانت ظروفها المادية هي وزوجها صعبة، فبعد زواجها بفترة تعرض زوجها الذي كان يعمل بالتجارة لضربة مالية، لم يقم منها حتى الآن، وتشتت به الأمر، فحينا يعمل لدى بعضهم، وحينا آخر لا يجد عملا، وأياما يبدأ فيها مشروعا لمصالحه، لكن سرعان ما يخفق، ولأنه كان طيلة حياته معتادا على الانفاق بسعة لم يستطع أن يغير هذا السلوك، وأصبح أي مبلغ من المال يتوفر لديه يتبخر

وقررنا نحن شقيقاتها أن نمد لها يد العون، فتكفلت أنا بملابس أطفالها، وصرت أجمع بعض القروش، وأدبر ما أستطيعه من مصروف البيت، وبدلا من أن أشترى لنفسي «بلوزة أو فستان» أشتري قماشا وأخيطه أنا في البيت، وبدأت في مناورات ضغط للانفاق التي تعرفها كل ربة بيت، وبدأت أسمع عبارات زوجي الموحية، مثل مالك ومال تفصيل الثياب أم أن حمى الادخار قد استعرت وهكذا ولم أجد في نفسي القوة كي أقول له، وإن كنت بين الحين والآخر ألمح له، أو أخبره عرضا أني قد اشتريت شيئا لأبناء شقيقتي، أو يراني وأنا ذاهبة إليها محملة بالأكياس، فينظر ويضحك، ويلقي بكلمة من كلماته، فتنغرس في قلبي خناجر الألم ماذا لو ثار يوما، أو حتى قالها بهدوء، إن الانفاق على أبناء شقيقتي مسئولية أبيهم، وأنه ليس مسئولا عن أحد غير أبنائه وزوجته وخوفا من كل هذا استجمعت شجاعتي لأعترف له، لكن مفاجأتي أني ما أن بدأت الحديث وعرف هو مضمونه حتى أشار إلي بالصمت، وطلب مني التوقف عن هذا «السخف»، فهو ـ كما قال ـ يعرف كل شيء، ولو كان غاضبا أو مستاء لعبر عن ذلك، لكن كل ما في الأمر الالتزام بقليل من التوازن، وقال دعينا لا نفتح هذا الموضوع مرة أخرى واعتراني الخجل، فقد أدركت أن كل تصرفاتي السابقة كانت مفضوحة أمامه من قبل

هيا

هي..

خيركم لأهله

● تخطيء كثيرات من الزوجات عندما يعتقدن أن أزواجهن لا يعرفون ما يفعلن ،والحقيقة أن الأزواج يعرفون ، ويرصدون ، ويفهمون ، لكنهم يتغابون أحيانا ، ويتجاهلون أحيانا أخرى ، إما لأن الموضوع لا يستحق ، أو لأن الأفضل تجاهل الأمر بأكمله

وهذا ما حدث بيني وبين زوجتي منذ فترة طويلة وأنا أرى مساعداتها لشقيقتها ، ولأني أعرف حجم ما معها من نقود ، وأنها لا تملك مصادر دخل غير ما أعطيه لها من مال ، فقد أدركت وفهمت تصرفات كثيرة تحدث أمامي ، عرفت لماذا - فجأة - استهواها تفصيل الثياب ورصدت إجراءات ضغط الانفاق في البيت ، وكنت أراها وهي تذهب للسوق فتشتري ثيابا لأبناء شقيقتها ، وأدرك أن ملابس الصبية هذه لا تصلح لبناتي ، لكني أصمت ، لأن مثل هذا الموضوع لا يليق أن يثار ، فحرجه أكبر ، وأنا لا أستطيع أن أمنعها من أن تمد يد العون لأختها ، وخيركم لأهله خيركم للناس ، ولا أستطيع أن أصارحها ، لأن إدراكي لحساسيتها يمنعني أن أصارحها بأنني أعرف الموضوع وأوافق عليه ، لأنها في هذه الحالة ستری أن هناك حرجا ، وأن شقيقتها انتقصت مكانتها أمامي ودرءا لذلك كله ، وإيثارا للصمت تجاهلت الأمر ، لكني بين الحين والآخر كنت أداعبها بكلمة من هنا أو هناك ، علها تدرك أن هذا يعني موافقة ضمنية مني على تصرفاتها ، لكن يبدو أن كلماتي قد فسرت على غير محملها ، فقد أورثتها قلقا وخوفا وجاءت ذات ليلة وبدأت تلقي باعترافاتها أمامي ، واستبشعت الأمر ، فقد كانت تتحدث وصوتها مختنق بالبكاء ، ونظرها في الأرض ، كأنها طفل ارتكب خطيئة ، وهنا لم يكن الموضوع يحتمل أكثر من موقف واحد ، وبلا تردد قلت لها · أغلقي هذا الموضوع ، فكل ما تريدين قوله أنا أعرفه وأراه ، ولم أمنعك عنه ، فأهلك أحق الناس بعونك ومساعدتك ، وما دام الله قد بسط لنا في الرزق ، فشكر نعمته يكون بأن نمد عوننا ليشمل ذوي الأرحام ، وحتى لو لم يكن في رزقنا سعة ، فليس هناك أنبل من أن نقتسم لقمة عيش بيننا وبين أقربائنا ، فحقك علي كزوجه أن أعينك على أن تفعلي ما تحبين وبرك بأهلك وفاء منك تحمدين عليه ، واعترافك لي كرم منك أحمده لك ، لكن دعينا لا نفتح هذا الموضوع مرة ثانية ، فخير لنا أن نفعل الخير بصمت

هو

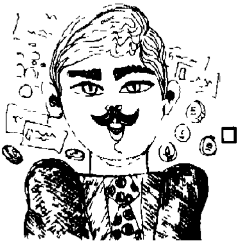

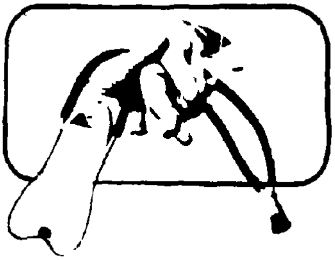

الأسرة

٢٠٠٠

دكتور حسن فريد أبو غزالة

قضايا منزلية

الطفل الباكي

البكاء هو لغة الطفل التي يخاطب بها من حوله حينما يعجز عن التعبير بالكلمات ، لهذا فهو يترجم مطالبه وانفعالاته إلى صراخ وعويل وبكاء بصورة أو بأخرى

لكن الغريب أن الأطفال يعرفون لغة البكاء قبل أن يعرفوا لغة الضحك ، بل إن لغة البكاء هي الأكثر شيوعا ، لكن لا أحد يعرف السر ، أو يدرك السبب لهذا أو ذاك

هناك بكاء معروف السبب ، واضح المعالم ، غير أن هناك بكاء آخر ، لا سبب له ، وهو في أشكال شتى وصور متنوعة ، يطلقها الطفل حسب الحاجة والسبب ، فالبكاء المبحوح قد يصاحب التهابات الحلق ، والبكاء المتقطع قد يكون عن مغص في البطن

وربما فهم الكبار لغة بكاء الطفل ، مما يصاحبها من أعراض أو علامات ، فالبكاء الذي يصاحبه تلوي الطفل مثلا يكون غالبا عن مغص في البطن ، وبخاصة إذا صاحبه إسهال أو إمساك أو انتفاخ ، أما البكاء المصحوب بمص الأصابع فهو دليل على الجوع أو العطش ، أو هما معا

وفيما يلي نستعرض لغة البكاء المعروفة عند الكبار

١ ـ بكاء بلل القماط إن التبول اللاإرادي التلقائي سمة مميزة للأطفال الصغار ، ينتج عنه بلل ملابسهم الداخلية وقماطهم بين حين وآخر ، وحيث ان البول حامضي التفاعل يتحول إلى قاعدي بسبب التخمر فتتكون الأمونيا التي تلهب مقعدة الطفل وبين فخذيه و يعبر عن الألم بالصراخ والعويل والبكاء

٢ ـ بكاء الجوع طلب الطعام لإسكات آلام الجوع لغته البكاء ، لهذا ترى الطفل يكف عن البكاء مع أول جرعة حليب ، أو عندما يتمكن من الامساك بحلمة الثدي أو الحلمة الكاذبة

غالبا ما تفرغ المعدة من محتواها من الحليب في زمن مقداره ساعتان ونصف إلى ثلاث ساعات ، لهذا ينصح أطباء الأطفال بإرضاع الأطفال بنظام يأخذ

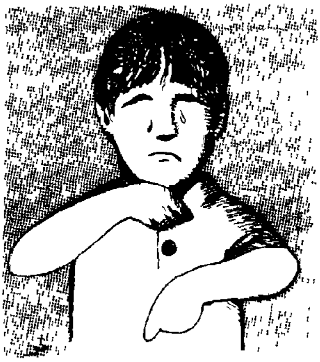

هذه المدة في الاعتبار ، حتى لا تتخم المعدة ـ كما يحدث مع الرضاعة العشوائية غير المنظمة ـ فيؤدي ذلك بالطفل إلى البكاء من التخمة

٣ ـ بكاء الألم اذا لم يكن الطفل مبللا ولا جائعا فإن بكاءه لابد أن يكون من ألم يعاني منه ، وهنا لابد من البحث عن السبب ، كوخزة دبوس عالق بالقماط أو شعور بالبرد أو الحر أو شعور بالحكة ، أو معاناة آلام المغص أو الانتفاخ بسبب جهل الأم بأصول الرضاعة

٤ ـ بكاء المرض الألم هو لغة المعاناة ، والمرض أقسى أنواع المعاناة للطفل الذي لا يجد حيلة للتعبير عن معاناته بغير البكاء ، فالتهاب أذن الطفل معاناة ، والشعور بالصداع معاناة ، وانسداد الأمعاء أو انسداد الأنف معاناة ، وقد يصاحب ذلك أعراض مختلفة ، يدركها الطبيب ، وأشهر هذه الأعراض ارتفاع درجة حرارة الطفل

٥ ـ بكاء الخوف الطفل شأنه شأن أي مخلوق يشعر بالخوف والقلق وعدم الاطمئنان والشعور بالأمان ، لهذا فهو يبكي تعبيرا عن هذه المشاعر ، ولهذا نجد الطفل يبكي إذا ما سمع صوتا عاليا ، كما قد يبكي من الظلام الدامس أو من الضوء الساطع أو من الوحدة ، وهذه أمور تعرفها الأمهات بالخبرة والغريزة

٦ ـ بكاء الابتزاز كثيرا ما تلجأ الأمهات بفضل عاطفتهن الفياضة إلى الاستجابة لمطالب الطفل ، سواء كانت معقولة أو غير معقولة ، ويبدو أن الطفل يدرك هذه الحقيقة ، فيلجأ إلى البكاء ، لتحقيق رغباته ، ما دام البكاء هو اللغة التي تحكم استجابة الأم لرغباته

ومع الأيام يصبح البكاء هو اللغة المفضلة لابتزاز عواطف الأم ، والضمان لتحقيق طلباته

٧ ـ بكاء رضاعة الثدي لقد لوحظ أن بعض الأطفال يداهمهم البكاء عند الرضاعة من أثداء أمهاتهم ، ومع تحري السبب وجد أن الأم تضغط على رأس الطفل بشدة ، مما يسبب له شعورا بالاختناق ، بسبب كتم الأنف بثدي الأم ، ومن ذلك يصاب الطفل بخوف من رؤية الثدي الذي يسبب له الاختناق ، فيجنح إلى تفضيل الرضاعة الصناعية

٨ ـ بكاء التسنين إنه بكاء مألوف لدى كثير من الأمهات ، إذ يلاحظن أن تكرار البكاء لدى الأطفال في عمر التسنين ، نتيجة لما يصيب اللثة من تورم وحساسية ، يؤديان إلى الألم عندما يمس فمه ، لكنه ألم مؤقت ، يزول مع ظهور الأسنان أو إعطائه أدوية مسكنة

٩ ـ البكاء بلا سبب لوحظ أن بعض الأطفال يتميزون بظاهرة كثرة البكاء بلا سبب واضح ، ويقول أطباء علم النفس المتخصصون ان هؤلاء الأطفال يتميزون بالأنانية ، ويعمدون إلى هذا الأسلوب لاستقطاب الاهتمام بهم ، وتركيز الانتباه عليهم ، مما يجعل البكاء عندهم ظاهرة لا مبرر لها من المبررات السابقة الذكر □

جمال العربية

بقلم : محمد خليفة التونسي

نائب الفاعل

هل ينبغي حذفه من كتب النحو ؟

الجملة في لغتنا ـ كما يرى نحاتنا ـ نوعان اسمية وفعلية ، وعندهم أن الاسمية هي التي تبدأ باسم أو يتقدم فيها الاسم على فعله . وان الفعلية هي التي تبدأ بفعل أو يتقدم الفعل فيها على فاعله أو نائب فاعله . ووفق هذه النظرة تكون الجملة في كل اللغات الهندية الأوربية اسمية ، ولا تكون فعلية الا شذوذا في حالات خاصة ، كالدلالة على المفاجأة فيتقدم الفعل على الاسم دون ترقب ، ولا تعد حينئذ قسما آخر مع الاسمية

ولكن هذه القسمة إلى نوعين اصيلة في لغتنا ، فالجملة الفعلية لا تقل اصالة ولا شيوعا عن الاسمية ، وتقدم الاسم على الفعل حينا وتأخره عنه حينا آخر يجري على مقتضى اسباب نفسية بلاغية يقتضيها المقام في الكلام ، فلا تحل جملة منها محل اختها فتؤدي مثلها الغرض منها تمام الاداء ، وهذا ما يوضحه علم المعاني .

ولا يعنينا هنا ان نبين تفصيلا متى تكون الجملة اسمية ، ومتى تكون فعلية ، وان كنا نشير الى ان الجملة الاسمية بلاغيا تفيد ثبوت الحدث لما يسند اليه مثل : سعد خطيب ، وسعيد مدخن ، وأن الفعلية تفيد بلاغيا تجدد الحدث لما يسند إليه الفعل ، كقولنا : سعد يخطب ، ويخطب سعد ، وسعيد يدخن ، أو يدخن سعيد ، وأن تقدم الاسم على الفعل أو تقدم الفعل على الاسم في كلتا الجملتين المتشابهتين هنا ونحوهما ، أو تقدم أي كلمة على غيرها في أي جملتين متشابهتين لداع نفسي بلاغي ـ لا يغير شيئاً من الدلالة على تجديد الحدث

انما يعنينا هنا ان ننظر الى الجملة الفعلية حين يتقدم فيها الفعل ويكون مبنيا للمعلوم ، فاذا جاء بعده اسم (أو نحوه) يدل على من فعل الفعل أو اتَّصف بالفعل فانه يسمى « فاعلا » كما في قولنا « تكلم الخطيب » وطار العصفور ، وقوله تعالى « اقتربت الساعة وانشق القمر » أو يكون الفعل مبنيا للمجهول فيسمى النحاة مابعده « نائب فاعل « كما في قولنا « أُعِينَ المحتاج » و « سير في الطريق » و « سهر عندنا »

وتعريفات النحاة للفاعل متعددة ، ولعلنا نؤدي خلاصتها حين نقول « الفاعل ما يدل على من فعل الفعل أو اتصف بالفعل ، كما في قولنا » « حضر الغائب » و « جرى الطفل » وقولنا « انكسر العود » و« احتجب النجم » و « انحسر المد » ، فكلمة « الغائب » تدل على من حدث منه الحضور ، ومثلها كلمة « الطفل » في الدلالة على من حدث منه الجري ، ولكن كلمة « العود » في الجملة الثالثة لا

تدل على من احدث الكسر ، بل ما اتصف بالكسر ومثلها كلمة « النجم » في قولنا « احتجب النجم » فهي لا تدل على ما حدث منه الحجب بل على ما اتصف به

ولكن اذا قلنا « كُسِر العود » أو « حُجب النجم » فان نحاتنا يُعربون كلًا من « العود » و « النجم » نائب فاعل ، فهل هناك فرق في المعنى بين الجملتين « كُسر العود » و« انكسر العود » ؟ ان المعنى فيهما واحد ، وهو ان العود وقع عليه الكسر ، او اتصف به ، ولكنه لم يقع منه ، أو يحدثه

ثم ان كلمة « العود » مرفوعة في كلتا الجملتين ، ولو انها مؤنثة للحقت تاء التأنيث بالفعل ، فيقال « كُسرت الشجرة » كما يقال « انكسرت الشجرة » ثم ان نحاتنا يقولون ان كل ما يعامل به الفاعل ينبغي ان يعامل به ما يسمونه نائب فاعل ، فكلا الاسمين هنا فاعل لأنه متصف بالفعل وإذَن فلا داعى لتحصيص باب يسمى « نائب الفاعل »

أفليس هناك فرق في غير المعنى بين هاتين الجملتين « كسر العود » و « انكسر العود » إلا تغير صيغة الفعل بين « كسر » و « انكسر »؟

لا شك أن هناك فرقا استدعى تغاير صيغتي الفعلين في الجملتين ، فما هو ؟ انه التغاير في المقام كما يقول البلاغيون ، أي مقام الكلام بين المتكلم والسامع بحسب ما يحسه المتكلم ويراه من حالة السامع ، سواء كان المتكلم مصيبا أو مخطئا في نظرته كما أن هنا تغايرا في المقام بين كلتا الجملتين وجملة ثالثة هي « كسر الطفل العود »

فاذا قلنا « كسر الطفلُ العود » افادت الجملة ان السامع يعنيه أن يعرف من كسر العود ، وان المتكلم عارف به ، صريح في بيانه ولكن اذا قلنا « كُسر العود » دلت الجملة على أن السامع قد يعنيه ان يعرف من كسر العود ولكن المتكلم يسكت عن ذكره لجهله به ، أو لخوفه منه ، أو لخوفه عليه ، واذا قلنا « انكسر العود » دل الفعل المطاوع هنا على حالة ثالثة تخالف الحالتين السابقتين وهي حالة المتكلم حين يرى أن السامع لا يهمه الا معرفة كسر العود ، ولا يهمه من كسره ، ولا ان كان المتكلم يعرف من كسره او لا يعرفه

وقريب من هذا في مراعاة المقام ما حكي عن الامام المبرد ، حين سمع اعتراض أحد الرؤساء على تعدد جمل تفيد معنى واحدا فاتهم العرب بالحشو ، مثل « عبدالله قائم » « وان عبدالله قائم » « وان عبدالله لقائم » فأفهمه المبرد الفرق بين استعمالاتها ، وأن جملة « عبدالله قائم » تفيد الاخبار بقيام عبدالله ، وجملة « ان عبدالله قائم » تستخدم للاجابة عن سؤال سائل تأكيداً له ، وجملة « إن عبدالله لقائم » تقال لمن ينكر قيام عبدالله ويبالغ في انكاره فتؤكد له العبارة بمؤكدين

وهذا ما قننه البلاغيون بعد ذلك ، فميزوا بين أمثال هذه الجمل بأن الاولى « خبر ابتدائي » يقال للسامع الخالي الذهن منه ، والثانية « خبر طلبي » يقال لمن يشك في الخبر ، فيتردد في قبوله ، والثالثة « خبر انكاري » يقال للسامع حين ينكر الخبر

ونعود الى الافعال المطاوعة في العربية فنقول انها تعبر عن حالة لاتعبر عنها غيرها من الافعال المبنية للمعلوم أو المبنية للمجهول ، وهذه فضيلة في العربية تستحق الالتفات والتقدير ونلاحظ ان هذه الافعال المطاوعة قليلة في لغتنا اذا قورنت بغيرها من الافعال ، اذ ليس لكل فعل متعد فعل « مطاوع » منه ، مثل كسر وانكسر ، وحسر وانحسر ، ودفع واندفع ، ومثل وعظ واتعظ ، وحجب واحتجب ، وغمس وانغمس ، ويأتي الفعل المطاوع غالبا على صيغة من هاتين الصيغتين انفعل وافتعل في الفعل الثلاثي

ويظهر ان هناك افعالا مطاوعة اهمل استعمال فعلها المتعدي الاصل ، مثل انتقب ، واختصر ، واكتأب ، كما يظهر انه ليس كل فعل على صيغة « افتعل » يعد مطاوعا والله اعلم □

العربي - العدد ٣٤٩ - ديسمبر ١٩٨٧

جمال العربية

هكذا غنى الآباء

مأساة سيدة

قتل أخوها زوجها

في أواخر الجاهلية كان ولاة من اليمن (في جنوب الجزيرة العربية) يحكمون قبائل من معَدّ (في شمال الجزيرة) ، فلما طغوا عليهم وأثقلوا الجباية ، ثارت قبائل معد وحاربوهم حتى انتصروا عليهم بقيادة زعيم من قبيلة تغلب اسمه « كليب بن ربيعة » ، فجعلوه ملكا عليهم يرحِّلهم بين الأمكنة وينزلهم فيها كما يريد . فلما رأى طاعتهم له دخَله زهو شديد فكان يستأثر دونهم ببعض المراعي والمياه والمصايد ، حتى قيل إنه بلغ من فرط جبروته أنه كان اذا أعجبه موقع ربط فيه جرواً صغيراً ، فكان يحرم على الآخرين دخول الموقع حيث يسمع نباح الجرو ، ليكون حمى خاصاً به

وكانت قبيلة تغلب تساكن قبيلة بكر (وكلتاهما تنسب الى وائل) ، وقد تزوج كليبٌ شاعرتَنا جليلةَ بنت مرة ، وكان أبوها من زعماء بكر ، وكان أخوها جساس صديقا حميا له ، ولهذا كان يشاركه في المواقع التي يحميها لنفسه وأنعامه ، وكانت لجساس جدة تسمى البسوس تنزل في جواره بأنعامها لترعاها مع أنعامه في حمى كليب ، وقد نزل في جوارها يوما بدوي من قبيلة حَرْم كانت له ناقة تسمى « سراب » فكانت ترعى مع ابلها ، وحدث أن دخلت « سراب » مع أنعام البسوس وجساس لترعى في حمى كليب ، فلما رآها كليب أنكرها ورأى في دخولها حماه عدوانا عليه فرماها بسهم ، ورآها صاحبها الجرمي تشخُب دما ، فصرخ مستجيرا بالبسوس التي كان ينزل في جوارها ، فانضمت البسوس إليه مستجيرة بحفيدها جساس ، الذي رأى في عمل كليب عدوانا على جواره وكرامته ، فانتهز غفلة كليب يوما فقتله ، وكان من جرائر قتله - فيما قيل - استمرار المعارك أربعين سنة قتل فيها كثير من الطرفين

وقيل انه لما قتل جساس (أخوها) كليبا (زوجها) اجتمع نساء تغلب للمأتم فقلن لأخت كليب « رحلي جليلة عن مأتمك فان قيامها فيه شماتة وعار علينا عند العرب » فقالت لها « ياهذه اخرجي عن مأتمنا فأنت أخت واترنا ، وشقيقة قاتلنا » فخرجت وهي تجر أعطافها ، فلقيها أبوها مرُة ، فسألها « ما وراءك ياجليلة » فقالت « ثكُل العدد ، وحزن الأبد ، وفقد خليل ، وقتل أخ عن قليل ، وبين هذين غرس الأحقاد ، وتفتت الأكباد » . فقال لها : « أويكفي ذلك كرمُ الصفح ، واغلاءُ الديات ؟ » فقالت : « أمنية مخدوع ورب الكعبة ، أبالبُدْنِ ⁽¹⁾

تدع لك تغلب دم ربها ؟ »

وقيل لما رحلت جليلة قالت أخت كليب « رحلة المعتدي ، وفراق الشامت ، ويل غدا لآل مرة ، من الكرة بعد الكرة » فلما بلغ قولها جليلة قالت « وكيف تشمت الحرة بهتك سترها ، وترقب وترها ، أسعد الله جدّ أختي ، أفلا قالت نفرة الحياء ، وخوف الاعتداء »

وهذه مأساة جليلة وهي بين نارين ، كما تصورها في هذه القصيدة مخاطبة فيها أخت كليب موجهة إياها لتبين حقيقة المأساة

يَاابْنَةَ الأقْوَامِ إنْ لُمْتِ فَلاَ   تعجَلِي بِاللَّوْمِ حَتَّى تَسْألي
فَإذَا أنْتِ تَبَيَّنْتِ الَّذِي   يُوجِبُ اللَّوْمَ فَلُومِي وَاعْذِلِي(٢)
إنْ تَكُنْ أُخْتُ امْرِيءٍ لِيمَتْ عَلى   شَفَقٍ مِنها عَلَيْه فَافْعَلِي(٣)
جَلَّ عِنْدِي فِعْلُ جَسَّاسٍ فيا   حَسْرَتِي عَمَّا انْجَلى أوْ يَنْجَلِي(٤)
فِعْلُ جَسَّاسٍ عَلَى وَجْدي بِهِ   قَاطِعٌ ظَهْرِي وَمُدنٍ أجَلِي
لَوْ بِعَيْنٍ فُدِيَتْ عَيْني سِوَى   أُخْتِهَا فَانْفَقَأتْ لَمْ أحْفِلِ
تَحْمِلُ الْعَيْنُ أذى الْعَيْنِ كَمَا   تَحْمِلُ الأُمُّ أذى مَا تَفْتَلِي(٥)
يَا قَتِيلاً قَوَّضَ الدَّهْرُ بِهِ   سَقْفَ بَيْتَيَّ جَمِيعاً مِنْ عَلِ
هَدَمَ الْبَيْتَ الَّذِي اسْتَحْدَثْتُهُ   وَانْثَنَى فِي هَدْمِ بَيْتِي الأوَّلِ(٦)
وَرَمَانِي قَتْلُهُ مِنْ كَثَبٍ   رَمْيَةَ الْمُصْمَى بِهِ الْمُسْتَأصَلِ(٧)
يَا نِسَائِي دُونَكُنَّ الْيَوْمَ،قَدْ   خَصَّنِي الدَّهْرُ بِرُزْءٍ مُعْضِلِ(٨)
خَصَّنِي قَتْلُ كُلَيْبٍ بِلَظًى   مِنْ وَرَائِي وَلَظًى مُسْتَقْبِلِ(٩)
لَيْسَ مَنْ يَبْكِي لِيَوْمَيْنِ كَمَنْ   إنَّمَا يَبْكِي لِيَوْمٍ يَنْجَلِي
يَشْتَفِي الْمُدْرِكُ بِالثَّارِ وَفِي   دَرْكِي ثَارِيَ ثُكْلُ الْمُثْكِلِ(١٠)
لَيْتَهُ كَانَ دَمِي فَاحْتَلَبُوا   دِرراً مِنْهُ دَمِي مِنْ أكْحَلِي(١١)
إنَّنِي قَاتِلَةٌ مَقْتُولَةٌ   وَلَعَلَّ اللهَ أنْ يَرْتَاحَ لِي.

---

(١) البُدن : الإبل ونحوها ، وكانت الديات تدفع منها (٢) اعذلي : لومي (٣) شفق : شفقة

(٤) عما انجلى أو ينجلي : عما ظهر ، وهو قتل كليب ، أو سيظهر حين يأخذ قومه ثاره

(٥) تفلي المرأة رضيعها ، أو تفتليه : تعزله عن الرضاع ، فتتأذى مثله

(٦) هدم أسرتي الجديدة بعد الزواج ، ورجع الى أسرتي القديمة قبل الزواج

(٧) كثب : قرب . والمعنى العام : قتله أصابني من قرب كما يصيب الرامي الصيد من قرب فيقتله في مكانه ، وينتزعه من أصله

(٨) رزء معضل : نكبة شديدة . والمعنى أن قتله أصابني وحدي ، ولم يصبكن

(٩) اللظى : النار ، والمعنى : أني واقعة بين نارين : نار سبقت بقتله ، وأخرى متوقعة حين تتقاتل القبيلتان

(١٠) الثكل : الموت ، وفقد العزيز ، والمعنى أن الانسان حين يأخذ ثأره من عدوه يستريح ولكن في أخذ ثأر كليب هلاكا للأعزاء

(١١) الأكحل : عرق في باطن الذراع . والمعنى أنني كنت أتمنى لو أني قتلت مكان كليب ، فرعوا دمي دونه

الكلمات المتقاطعة

يهدف هذا اللغز الى تسليتك وامتاعك بالاضافة إلى إثراء معلوماتك وربطك بتراثك الفكري والحضاري عن طريق البحث الجاد المثمر في المعاجم والموسوعات وغيرها من المراجع الهامة

والمطلوب منك الاجابة على أسئلة هذا اللغز ومقارنتها بالحل الصحيح الذي سينشر في العدد القادم

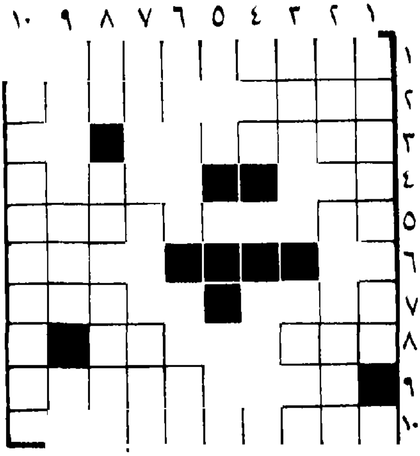

كلمات أفقية

١ من أمهات المعاجم العربية
٢ كاتب وفيلسوف ألماني كبير ، صوت الحمام
٣ عنصر فلزي مشع اكتشفته ماري كوري
٤ مثيل أو كفء ، فحص ، قيح
٥ شدة وهلاك ، من أسماء صلاح الدين
٦ ثقال للمرأة المحصبة ، نقل أو رحرح
٧ يتحلب منه الماء أو الدم ، جانب أو وجه الشيء
٨ اسم لعدد من ملوك فرنسا ، عكسها نوم
٩ تألم ، من جموع عطر
١٠ طبيب عربي شهير كان أستاذا لابن سينا

كلمات رأسية

١ بلدة سوفيتية تعرضت لنكبة نووية مؤخرا
٢ تجدها في قول مأثور بمعنى تشتتوا ، عطاء
٣ شدة وصبر ، حلوى شبه القطائف تؤدّم بدهن اللوز
٤ رائحة طيبة
٥ أفكار لانفع فيها ولاخير ، ثار
٦ عجز عن الانجاب ، خاصم ، تجدها في صراط
٧ حرف مكرر ، فعل أمر بمعنى احفظ ، أطباق
٨ طاقة ناضبة مستخرجة من باطن الأرض
٩ فرح ، يعلن
١٠ عالم ألماني اكتشف موجات لاسلكية تعرف باسمه

● حل مسابقة العدد الماضي نوفمبر ١٩٨٧

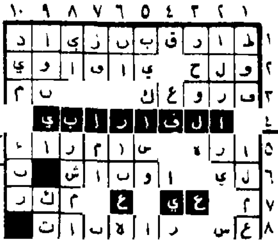

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١	ط	ا	ر	ق	ب	ن	ز	ي	ا	د
٢	و	ل	ح		ي	ا	ى	ا	و	ي
٣	ف	ر	و	ع	ك				ن	م
٤		ا	ل	ف	ا	ر	ا	ب	ي	
٥	ا	ر	ة		ص	ا	م	ر	ا	ء
٦	ل	ي		ا	و	ب	ا	ش	■	ب
٧	م		ع	ي		ع		م	ك	ر
٨	ع	س		ر	ا	لا	ب	ا	ت	■

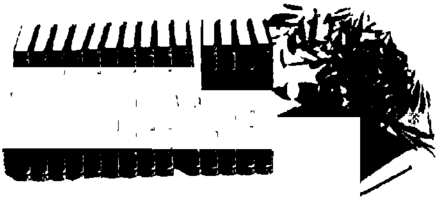

مكتبة العربي

كتاب الشهر

تأليف : أنطوني ثوايت / عرض : خالد عباس

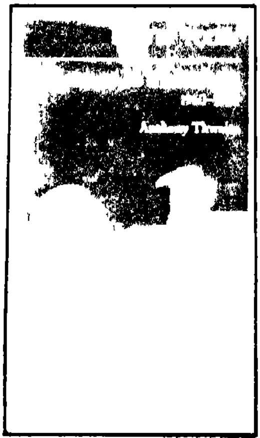

الشعر الإنجليزي المعاصر

كتاب الشهر

صدر هذا الكتاب عن دار نشر « لونجمان » بلندن ١٩٨٥م ، وجاء في مائة وست وأربعين صفحة من القطع المتوسط ، لمؤلفه « انطوني ثوايت » ، الشاعر ، الناقد الانجليزي ، زميل الجمعية الملكية للأدب ، الحاصل على جائزة « تشولموندلي » ، لإسهاماته الجلية في ميدان الشعر

يستهل « ثوايت » كتابه قائلا بأن الشعر مايزال فنا مؤثرا في بريطانيا ، وليس مجرد صنعة ، يمكن احتواؤها إذا لم يدركها المال أو الرعاية ، فما يزال هناك جمهور يستمع للشعر ، كواحد من الأنشطة الحيوية الممتعة ، تماما كالاستماع إلى الموسيقا وقد تجلى هذا في هيئة الإذاعة البريطانية (بي بي سي) بتقديمها لقدر معقول من الشعر الحديث كما تجلى أيضا في دعم مجلس الفنون في بريطانيا ، ومجالس الفنون الإقليمية ، من خلال النشاط الدائب لسكرتارية الشعر القومي

ثم ينتقل « ثوايت » إلى تناول أعلام الشعر الذين كان لهم تأثير واضح على حركة الشعر الانجليزي الحديث ، بدءاً من العقد السابع من هذا القرن وأول هؤلاء الأعلام هو الشاعر روبرت غريفز* ، وهو الوحيد الباقي على قيد الحياة من شعراء ما قبل جيل ١٩٠٠* ، فقد مات ت س اليوت عام ١٩٦٥ ، وماتت أديث سيتويل عام ١٩٦٤ ، وكان كلاهما قد كفا عن كتابة الشعر عدة سنوات قبل وفاتهما ، ولكن بينما ما تزال قصائد ت س اليوت تقرأ اليوم كثيرا ، وبينما ما يزال هو صاحب الاسم المسيطر بشكل مطلق على الشعر في القرن العشرين ، فإن معظم شعر اديث سيتويل قد عانى ضموراً في قيمته على مر الأيام

العجوز وأمير الشعراء

أما غريفز الذي ولد عام ١٨٩٥ فلم يصل فقط إلى شهرة وتقدير الرجل المحور ، بل ظل يكتب قصائده وينشرها حتى وقت قريب ، قصائد فيها رشاقة ورقة ونضارة

شاعرنا الثاني هو السير جون بتجامن الذي عين « أميرا للشعراء » قرب نهاية عام ١٩٧٢ ، وهو شاعر ليس له ابتكار اليوت وتأثيره ، لكن يمكن ربط وعيه بالتقليدية الشعرية ، لكونه أصيلاً ومؤثرا ، كما هو الحال عند اليوت ، وعلى الرغم من أن بتجامن قد نشر كثيرا من القصائد الجميلة القصيرة منذ صدور ديوانه « نداء الأجراس » (١٩٦٠) ، وهو سيرة ذاتية شعرية ، إلا أن هذا الديوان يعد أفضل ما كتب ، وهو ديوان مليء بما أسماه بتجامن نفسه « تغييرات سريعة في الحالة المراهقة والموضوعات » ، ولذا فإنه تعبير عن ذاتية متنامية ، مركبة بدقة ورقة وما تزال الأعمال الكاملة لهذا الشاعر تلقى نجاحاً شعبياً ونقدياً هذه الأعمال نقحت عدة مرات ، وزيد عليها منذ صدورها أول مرة عام ١٩٥٨ ، وكان آخرها طبعة عام ١٩٧٩ امتدحه « أودن » و « لاركن » ، فقد أدرك أودن مهارته التقنية طليقة الحركة ، ولمس لاركن الاستجابة الدرامية في شعره ، وهي تنبع من شعوره الحقيقي تجاه الحياة الحقيقية ، تلك الاستجابة التي هي جزء من المهارة الشعرية

---

* توفي الشاعر روبرت غريفز عام ١٩٨٦ ، أي بعد نشر هذا الكتاب بعام واحد

الثلاثينيات وما بعدها :

يطلق على أودن ، ولوي ماكيس ، وسيسل داي لويس ، وستيفن سبندر ، يطلق عليهم « شعراء الثلاثينيات » ، لأنهم برزوا في فترة ما بين الحربين العالميتين ، لكنهم ظلوا يكتبون حتى الستينيات والسبعينيات ، فقد استمر أودن الاسم المسيطر من بين هؤلاء الشعراء ، حتى بعد وفاته عام ١٩٧٣ ، وقد سبقه ماكنيس عام ١٩٦٣ ، ولويس عام ١٩٧٢

أصبح أودن في الستينيات حكيماً لا نبياً ، وكان فناناً آمن بأن الشعر يمكن أن يعبر عن أصوات عديدة ومهارات عديدة ، وقد صدر له « مدينة بلا أسوار » (١٩٦٩) ، تلاه ديوان آخر على (١٩٧٢) ، وبعد وفاته صدر ديوانه « شكراً لك ، يا ضباب » (١٩٧٤) ، وفي العديد من قصائد هذا الديوان يقف أودن متأملاً ممتلكاً ناصية الحوار ، في يسر مع نفسه وإن لم يرض عنها ، يتحدث عن اهتمامات حقيقية ومحسوسة بعمق وبتهذيب بلا زهو أو غرور

الفضيلةُ دائماً
أعلى كلفة من الشر ، لكنها
أرخص من الجنون ،

عندما مات لوي ماكيس في سبتمبر ١٩٦٣ ، كان يمر بمرحلة خلاقة ، ودليل هذا في كتابيه الأخيرين « انقلابات الشمس » (١٩٦١) و « السارية المحترقة » ، الذي أعده للنشر ، ولم يظهر إلا بعد موته بأيام قلائل كان ماكيس دائماً شاعراً غزير الإنتاج ، لكن كانت هناك فترات في حياته ، خاصة في أواخر الأربعينيات ومعظم الخمسينيات ، عندما بدأت قوته الحقيقية تهن في أعمال مثل « تتمة الخريف » على سبيل المثال ومثل ماكنيس كان لويس الذي مات عام ١٩٧٢م بعد مرض طويل غزير الإنتاج ، وتقلبت شهرته صعوداً وهبوطاً بعد صدور أعماله الشعرية عام ١٩٥٤ نشر أربعة دواوين ، كثير من القصائد في تلك الدواوين تندرج تحت شعر المناسبات ، منها ما يحتفي فيها بأصدقائه الموتى ، ومنها ما يعيد فيها اكتشاف الأماكن والجذور في موطنه الأصلي (ايرلندا) ، أو يسترجع لحظات معينة من السعادة أو الألم ، في غنائية جميلة ، تظللها كآبة رقيقة

ويرى ثوايت أن الاعتقاد الشائع عن شعر سبندر بأن أفضل قصائده هي التي نشرت في أول ديوانين له ، هو اعتقاد صحيح ، فلا الأعمال الكاملة التي صدرت عام ١٩٥٥ ولا الديوان الوحيد الذي صدر بعدها « الأيام السخية » (١٩٧١) يبطل هذا الاعتقاد ، فهناك فقدان تدريجي للتقليدية اللفظية ، فالذات ظلت كما هي ، لكنها فقدت محورية التركيز

ثم تأتي أسماء الشعراء الذين برزوا في الثلاثينيات أو الأربعينيات ، وهم جورج باركر ، وديفيد جاركوين ، و س جراهام ، ولورانس داريل ، ونورمان نيكلسون ومعظمهم ولد بين عام ١٩١٠ و ١٩٢٠ ، وبعضهم قتل أثناء الحرب العالمية الثانية ، أو مات ، وبعضهم توقف ، وبعضهم ظل يكتب وينشر ، لكن دون إضافة قيمة كبيرة إلى أعماله الأولى ، وقليل منهم تطور وقويت شهرته أكثر هذه الأسماء مثاراً للجدل هو جورج باركر ، ففي الوقت الذي بدأ فيه معاصره ديلان توماس يلفت الانتباه ، كان باركر وليس توماس ، هو الذي اختاره ييتس في « كتاب أكسفورد للشعر الحديث » (١٩٣٦)

كانت ستيفي سميث التي توفيت عام ١٩٧١م متفردة تماماً ، وقد قضت من عمرها خمساً وستين سنة وهي تعيش في نفس المنزل في شمال لندن لقصائدها نغمة لم تسمع غالباً في الشعر الحديث ، شاعرة لها خاصية الغرابة والعزلة ، صدر ديوانها « قصائد مختارة » (١٩٦٢) ، تلاه « أمير الضفادع » (١٩٦٦) ، و « العقرب المولود يتيماً »

(١٩٧٢) ، وصدرت مجموعة من أعمالها (١٩٧٥) تبي ستيمي سميث قصائدها غالباً على نسج الخيال والرؤى القريبة ، وهي دائماً شاعرة مشغولة بقضية الموت ، وهو موضوعها الرئيسي خلال حياتها الأخيرة الموت لا كشيء مقيت وإنما كأمر يقابل بالترحيب والارتياح

الحركة وما بعدها .

وينتقل ثوايت إلى تناول الشعراء المنتمين إلى « الحركة » وما بعدها ، وهم فيليب لاركن ، وكينجسلي ايميس ، وروبرت كونكوست ، واليزابيث جيننجز ، و د جي أونرايت ، وجون واين ، ودونالد دايفي ، وتوم جن وما زالت الحركة تثير نقاشاً أدبياً هل وجدت ؟ وإن كانت كذلك ، فمن ينتمي إليها ؟ وهل أنجزت شيئاً ؟

صدر الديوان الأول لفيليب لاركن* « أبيات جديدة » (١٩٥٥) ، وتلاه « الأقل انخداعاً » (١٩٦٤) ، ثم « زفاف العنصرة » (١٩٧٤) ومع نشر الديوان الأخير وما تلاه من سنوات ، تعزز الاتجاه العام والنقدي بأن فيليب لاركن هو أفضل الشعراء الإنجليز الأحياء ، وهذه وجهة نظر تقوم على حجم صغير من الإنتاج الشعري ، على أقل من مائة قصيدة ، لم يزد لاركن عليها إلا بضع قصائد تعد على الأصابع

وما يزال كينجسلي ايميس كواحد من المرتبطين بالحركة يثبت وجوداً شعرياً ، مثله مثل روبرت كونكوست ، واليزابيث جيننجز ، هذه الشاعرة المؤثرة التي جمعت أعمالها على مدى خمسة عشر عاماً في ديوانها الذي صدر عام ١٩٦٧ وقد أظهرتها شاعرة الموهبة التأملية ، بعقلانية منفتحة على الغموض ، بقوالب محكمة ، وصياغة لفظية واضحة ، غنائية إلى حد كبير وعلى الرغم من أنها نشرت ستة دواوين منذ صدور ديوانها الأول ، إلا أن أياً منها لم يكن له وقع أجمل قصائدها الأولى ، غير أن هذا لا يمنع وجود قصائد تذكرنا بقوتها الأولى التي نلمس فيها قوة مماثلة لتلك التي تتميز بها الشاعرة الأمريكية ايميلي ديكنسون ، خاصة في ديوانيها اللذين صدرا عام ١٩٧٥ ، و ١٩٧٩

يقول ثوايت إنه على الرغم من أن الشعر لا يعمل في إطار القواعد التي تقاس بها الصناعة ، إلا أننا لو أردنا اختيار شاعر لكل عقد ، لكان كالتالي أليوت ، وديلان توماس ، ولاركن ، وتيد هيوز فليس هناك شك في أن تيد هيوز هو كلاسيكي عقد الستينيات ، فقد أصبحت كتبه نصوصاً مقررة في المدارس ، ونال من التقدير الكثير ووصفه الشاعر أ ألفيرز بأنه « شاعر من الدرجة الأولى » ، وكان الأساس في هذا كله ديوانه « الصقر تحت المطر » (١٩٥٧) ، حيث القصائد المركزة المعبرة عن الطاقة الحيوانية بلا حدود بعد ذلك وفيما بين ١٩٦٠ و ١٩٦٧ نشر هيوز بضعة كتيبات فقط ، علاوة على كتاب شعر للأطفال ، وشمل ديوانه الذي صدر (١٩٦٧) بعض قصائد من أفضل شعره ، أما مسرحيته الشعرية « الجرح » فلم تلق قبولاً مرضياً ، ثم صدر له ديوان « الغراب » (١٩٧٠) ، وبعد ذلك كتب هيوز بغزارة ، فصدرت له « قصائد مختارة ١٩٥٧ - ١٩٨١ » عام (١٩٨٢) واستمر هيوز

توفي حون نتحاس عام ١٩٨٤

ـدي وضع نفسه فوق النقد قوة رئيسية في الشعر لانجليزي الحديث ، وشاعراً يقرأ له على مستوى اسع ، وصار له تلاميذ من الشعراء ، يكتبون عن ـس الموضوعات ، بنفس الأسلوب ، بل ومتأثرون صياغته اللفظية ، لكن بعضاً من الشعراء مثل ـايموس هيني تحرر من التأثير المباشر ، وانتقى خصوصيته الإبداعية ، أما جون سيلكين وبيتر يدحروف وقليلون معهما فقد بدأوا بدواتهم لبدعة ، وانتقوا فقط ما يناسبهم من إبداعية هيوز

بعد مرحلة تيد هيوز تأتي مرحلة شعرية جديدة ، ـتمي شعراؤها إلى ما يسمى « الجماعة » ، وهم ـتر بورتر ، وجورج ماكبث ، وبيتر ريدجروف ، أودين بروك ، وغيرهم وهم مجموعة الشعراء ـذين كانوا يلتقون في كمبردج ، تحت رئاسة فيليب وبسبوم ، ثم - وهذا أهم كثيراً - في منزل أدوار ـسي - سميث في لندن ، حيث كانوا يلتقون مرة ـسوعياً لمناقشة قصائدهم

وشهدت السبعينيات والثمانينيات نشاطاً واضحاً ـين الشاعرات ، جزء من هذا النشاط مرده إلى وعي الذاتي بحركة المرأة في تلك السنوات ، غير أن ـصل القصائد تأتي دائماً - كما يرى ثوايت - من ـفراد لا المجموعات أو الحركات ، ومن هؤلاء ـاعرات فليور آدكوك ، وجيني جوزيف ، وايلما ـتشل ، وكارول رومانز ، وأخريات

ويتطرق ثوايت إلى مرحلة « التجريب » في الشعر ـنجليزي الحديث ، فيقول بأن التجريب ، في ـشعر تعبير مطاط ، يطبق على الكتاب الذين تأثروا ـماذج أجنبية ، سواء أمريكية أو بغير اللغة ـنجليزية ، وعلى الذين يعيدون استخدام أساليب ـكتاب المحدثين في القرن العشرين وموضوعاتهم ، على آخرين انتقلوا لمناطق تشمل الفنون المرئية ـلموسيقا ، وأبرزوها في شعرهم ، ومن هؤلاء ـشعراء المنتمين إلى هذه المرحلة جيفري هيل ، ـشارلز توميلسون ، وبازيل بانتيج ، وروي فيشر ، وآخرون

أما « الشعر السمعي » فقد سار يداً بيد مع تطور جهاز الكاسيت ، وأكثر الشعراء الذين لا يكلون في هذا المضمار هو الشاعر بوب كوبنج في بريطانيا ، والشاعر الأمريكي روبرت لاكس ، والألماني إرنست جاندل اللذين ارتبطا به

وعودة إلى تقليدية الشعر الحديث يبرز سايموس هيني كواحد من الشعراء الذين تأثرت كتاباتهم الأولى بشعر الطبيعة بأول كتابين لتيد هيوز ، لكن الاكتفاء بهذا فيه ظلم لهذا الشاعر ، فقد لقيت قصائده قبولاً يفوق ما لقيه الشعراء عدا قلة منهم

جيل السبعينيات .

ويأتي دور الشعراء الجدد الذي بدأ إنتاجهم يظهر منذ السبعينيات ، من أمثال جيمس فنتون ، وكريستوفر رايد ، وبيتر ريدنج ، وأندرو موشن ، وغيرهم ، وهم أفضل الشعراء الجدد على الساحة الشعرية الآن ، فهم في بداية الثلاثينيات من العمر ، ويبدو أنهم مدينون قليلاً بالولاء للشاعرين الكبيرين في الخمسينيات والستينيات فيليب لاركن وتيد هيوز

ومن الأصوات المميزة كريج راين الذي صدر له ديوان شعري عام ١٩٧٨ ، وتلاه آخر عام ١٩٧٩ ، ثم مجموعة قصائد « ترجمات بتصرف » (١٩٨١)

وصوت آخر هو صوت الشاعر كريستوفر ريد الذي صدر له « آركاديا » (١٩٧٩) و « شوربة البارلاء » (١٩٨٢) ، وكان تأثيره سريعاً وعريضاً على كثير من الشعراء الذين يصغرونه سناً والذين يكبرونه ، في السنوات القليلة الماضية

ومن الشعراء الذين كان لهم وزن أيضاً بيتر سيكافين ، وجون مول ، وجورج سيز يراتس ، وأكبرهم سناً هو سيكافين الذي لم ينشر مجموعته الشعرية الأولى « الكرة الثلجية » (١٩٧٢) إلا في سن الأربعين تقريباً ، وقد صدر لجون مول ديوانه الأول « إطعام البحيرة » (١٩٨١) □

من المكتبة العربية

مبحث في قضية الرمزية الصوتية

تأليف . الدكتور البدراوي زهران

عرض . الدكتور مصطفى رجب

إذا كانت اللغة هي رموز صوتية ، تعبر عن احتياجات البشر المادية والفكرية ، فهل من علاقة بين هذه الرموز وبين ما تدل عليه ؟ للإجابة على هذا السؤال يعود مؤلف الكتاب الذي نستعرضه إلى أصل اللغة ونشأتها ، ويعرض آراء ويناقشها ، والحصيلة هي هذا الكتاب المهم .

يقع كتاب الرمزية الصوتية الذي نحن بصدده في ثلاثمائة وسبع صفحات ، اعتمد المؤلف في تأليفه على نحو مائة مصدر عربي ، وتسعة وعشرين مرجعا إنجليزيا ، فضلا عن عدد كبير من الدوريات العلمية

يشتمل الكتاب على قسمين كبيرين قسم نظري ، يضم ثلاثة فصول ثم قسم تطبيقي يضم دراسة تحليلية لنصوص قديمة

عرض المؤلف في القسم الأول من الكتاب القضية عرضا تاريخيا ، حيث خصص الفصل الأول وعنوانه (قضية العلاقة بين الدال والمدلول) لدراسة طبيعة العلاقة بين الكلمة وما ترمز إليه منذ عصر اليونان ، وما ثار فيه من خلاف بين هيرقليطس القائل بتوقيفية اللغة ، وديمقريطس القائل باصطلاحية نشأة اللغة وعرض المؤلف محاورة قراطيلس التي خصصها أفلاطون لمناقشة هذا الخلاف ، وما ترتب على تلك المحاورة في مجال الدراسة اللغوية الحديثة ، وبخاصة

١ - وجود نظرية الاسمية في المعنى

٢ - دراسات بلومفيلد ، وما انتهى إليه من أن الرومان عرفوا هذه القضية وناقشوها ، وأنها لم تكن وقفا على اليونان

وخصص المؤلف الفصل الثاني لدراسة القضية في الفكر اللغوي الحديث ، من خلال مسارين

- المسار الأول في الفكر اللغوي الفلسفي
- المسار الثاني في الفكر اللغوي الخالص

واهتم بصفة خاصة بآراء أولئك الفلاسفة واللغويين الذين تعرضوا لنظرية الاسمية في المعنى مبتدئا بأفلاطون، ثم أوغسطين، ثم هوبز ثم فتجنشتين، وركز المؤلف تركيزا ملحوظا على آراء أبرز عالمين لغويين في العصر الحديث، وهما العلامة الفرنسي فرديناند دي سوسير، والأمريكي بلومفيلد، وتحدث كثيرا عما أسماه دي سوسير (العلامة اللغوية)، ويقصد بها أنها محصلة الفكرة داخل العقل والصورة الصوتية المعبرة عنها

الدّال والمدلول

ثم انتقل إلى بلومفيلد الذي ينكر وجود علاقة طبيعية بين الدال والمدلول، ويستدل بلومفيلد على رأيه بأن التحليل الاشتقاقي لا يؤدي بنا إلى أية دلالة يمكن استنتاجها بين الكلمة ودلالاتها الشائعة، فمثلا إذا حللنا كلمة **man**: (رجل) وكلمة **Woman** (امرأة) وجدنا أن الفارق بينهما الحرفان (**W O**)، وليس لهذين الحرفين، كحرفين، أو كمقطع صوتي أية دلالة يمكن أن ترتبط بالفرق بين الرجل والمرأة في اللغة الانجليزية. ثم عرج المؤلف بعد هذا على آراء علماء غربيين آخرين من أمثال ستيفين أولمان وأتويسبرسن

بعد هذا العرض انتقل المؤلف إلى النظريات الخاصة بنشأة اللغة، وتتلخص في نظريات

١ ـ أن اللغة وحي وإلهام من الله، وممن ذهب إلى هذا روم فرانسوا لامي، ودي بونالد

٢ ـ أن اللغة نشأت بالاختراع والتواضع بين البشر، وممن قال بهذا آدم سميث، وريد، ودوجالد ستيوارت، وجون لوك، وهم يذهبون إلى أن الانسان قد اضطر من حيث كونه كائنا اجتماعيا يعيش في بيئة اجتماعية إلى اختراع اللغة، وقد ساعده على هذا وجود جهاز خاص بالنطق لديه

٣ ـ نظرية الغريزة (ماكس موللر + رينان) وهذه النظرية تعتمد على تقسيم اللغات إلى ثلاث مجموعات هي

ـ المجموعة الهندو أوروبية

ـ المجموعة السامية

ـ المجموعة الطورانية

وأيضا تقسيم اللغة من حيث طبيعتها إلى مجموعات مثل

ـ اللغات وحيدة المقطع كاللغة الصينية

ـ اللغات المتلاصقة كاللغة التركية

ـ اللغات الاشتقاقية كاللغة العربية

ثم انتقل المؤلف إلى النظريات الأكثر حداثة، مثل

ـ نظرية التطور التدريجي، وقد تبناها كل من ويتني ثم يسبرسن، ثم ليبتر الذي أراد إكساب اللغة ودراستها صفة العلم الموضوعي المبني على أساليب البحث الحديثة كالاحصاء

ـ نظرية (**Bow — Wow**) التي وضعها يسبرسن، وذهب فيها إلى أن اللغة نشأت عن طريق المحاكاة، كمحاكاة أصوات الكلاب وغيرها من الحيوانات في بدء نشأتها

ـ نظرية (**pooh — pooh**) التي بنيت على أسس من نتائج بحوث داروين في النشوء والارتقاء، وعلى أساس أن هناك علاقة بين اللفظ واهتزازات الجهاز الصوتي المصاحبة له

ـ نظرية (**ding — diong**) وتقوم على أن كل مؤثر خارجي يستلزم صوتا يناسبه، حيث يستشهد أصحابها بأن لكل شيء يصطدم بالأرض أو شيء آخر صوتا يميزه عن غيره

ـ نظرية The yo - he - ho، ويذهب أصحابها إلى أن اللغات تنشأ بتطور أصوات جماعية كالحداء، وكأصوات العمال العفوية، مثل (هيلا هوب)

وهذا العرض يعطينا فكرة عن مدى الجهد الذي بذله المؤلف في استعراض هذه الدراسات الأجنبية في مجال نشأة اللغة، وإن كانت هذه النقطة ليست بالجديدة تماما في حقل الدراسات اللغوية

السيوطي وسابقوه

فإذا انتقلنا الى الفصل الثالث الأخير من القسم النظري الذي خصصه المؤلف لدراسة القضية في الفكر العربي الاسلامي قديما وحديثا نجده يركز في القديم على عرض جهود السيوطي الذي جمع آراء سابقيه في القضية ، وبصفة خاصة آراء المعتزلة وأهل السنة ، ثم يعرض المؤلف لآراء ابن جني وما فيها من جدة وابتكار

أما في مجال دراسة المؤلف لآراء العلماء العرب المحدثين فيمكننا أن نلمس جهدا موفورا في تقصي آراء الدكتور ابراهيم أنيس الذي استفاد من بحوث الغربيين (بلومفيلد - ودي سوسير) في رفضه لما ذهب اليه ابن جني من وجود مناسبة طبيعية بين اللفظ وما يدل عليه ، إذ يرى د. أنيس أن هذا يخالف المنطق ، فمثلا حروف كلمة « فهم » ليست لها دلالة خاصة بها ، تعطينا معنى (أدرك - إدراك) ، وعلى العكس من د. أنيس نجد الدكتور صبحي الصالح الذي يسرف في الاعتماد على السيوطي ، مستنتجا أن القدماء توصلوا إلى أن هناك مناسبة طبيعية بين اللفظ ومدلوله ويرى الصالح أن هناك اجماعا بين معظم العلماء العرب على هذه القضية ، كما يرى سهولة الاستدلال عليها بأمثلة تقوم على مبدأ المحاكاة وتقارب بين الكلمات مثل قد القميص ، وقطع الثوب ، وقط القلم ، وقطف الثمرة إلخ

وقد بذل الدكتور الدراوي جهدا كبيرا في تفنيد كلا الرأيين ، واستند الى حجج منطقية ، فالدكتور أنيس في رفضه للظاهرة - مثلا - لم يكن منصفا ، إذ فهم من كلام ابن جني ما يخالف حقيقة رأي ابن جني

أما الدكتور صبحي الصالح فلم يذكر لنا هؤلاء العلماء الذين أسند اليهم اتفاقهم حول تأييد الظاهرة ، كما أنه لم يلتفت إلى معارضيها من القدماء ، وغفل عن حقيقة مهمة ، وهي أن السيوطي كان يؤمن بتوقيفية اللغة ، في حين أن ابن جني كان يؤمن بنظرية التوقيف ولا يرفض نظرية التواضع والاصطلاح ويتساءل مؤلفنا عن تلك الأمثلة التي أتى بها د. الصالح للتدليل على وجود مناسبة طبيعية بين اللفظ ومدلوله ، فيقول هل يدرك هذه العلاقة أبناء اللغات الأخرى غير العربية ؟ بل هل يدرك هذه العلاقة أبناء العربية من غير المتخصصين في دراستها ؟

ثم يعرض لنا المؤلف بحثا للأستاذ محمد المبارك حول القيمة التعبيرية للحرف في اللغة العربية حيث يذهب المبارك إلى أن لكل حرف في اللغة العربية دلالة معينة ، فمثلا حرف الغين ترتبط دلالته بالغيبة والاستتار ، وتدور حول هذه الدلالة كل المواد اللغوية المشتقة من هذا الحرف على غرار « غاب - غار - غاص - غال - غام - غمد - غمر - غمر - غمص - غمط - غمر - غما الخ)

وحرف النون مثلا يدل على الظهور مثل

(نبت - نبذ - نزف - نجم - نشأ - نما - نهض الخ)

وحرف القاف يدل على (الاصطدام - الانفصال) مثل

(قدر - قطع - قرع - دق - شق - طق - مزق - فرق - الخ)

بينما يدل حرف السين على (السهولة والليونة) مثل

(سهل - سلم - سل - سلس - سال - سار - ساح الخ)

ويرفض مؤلفنا هذا التعسف في استنباط الأحكام ويرى أن الدلالة هنا لا ترتبط بالحرف بل انها ترتبط بكل حروف الكلمة مجتمعة وبالاضافة الى هؤلاء العلماء يعرض لنا المؤلف جهودا بحثية أخرى لباحثين عرب معاصرين مثل محمد الانطاكي - د. عبدالكريم مجاهد - د. عبدالسلام المسدي ويناقشها جميعا بنفس الرؤية

في التطبيق

وإذا كان المؤلف قد تمكن من عرض قضيته في القسم النظري من الكتاب عرضا واسعا فإنه في هذا القسم قام بعدة دراسات تطبيقية تحليلية لنصوص قديمة من :

١ ـ ابن جني في كتاب الخصائص
٢ ـ من ابن فارس في كتاب المقاييس
٣ ـ من ابن فارس في كتاب المجمل
٤ ـ من الثعالبي في كتاب سحر البلاغة وسر البراعة
٥ ـ من الثعالبي في فقه اللغة

وكانت القاعدة التي التزمها المؤلف أن يعرض الباب أو القسم الذي يريد أن يعرضه من المتون القديمة ، ثم يشير إلى ما استنتجه منها الباحثون المحدثون ، وبصفة خاصة د . صبحي الصالح ، والأستاذ محمد المبارك ، ثم يقوم بمناقشة آرائهم من واقع دراسة تحليلية للنص القديم ، في ضوء معطيات الدرس اللغوي الحديث .

وقد توصل المؤلف إلى نتائج في غاية الأهمية ، منها :

١ ـ أن نظرية الفونيم **Phoneme** التي تحدث عنها علماء اللغة الغربيون المحدثون توجد لها أصول في تراثنا العربي القديم . ويرى المؤلف أن أسلافنا قد قطعوا مراحل في دراسة هذه النظرية لم يصل إليها الغربيون ، فقد توقف البحث بالغربيين عند المرحلة الأولى من النظرية ، تلك المرحلة التي تهتم بدراسة الوحدة اللغوية الصوتية الصغرى التي يتغير بموجب تغييرها معنى الكلمة عن بقية معاني الكلمات الأخرى التي اشتركت معها في كل مكونات البنية ، واختلفت في هذه الوحدة الصغرى فقط .

بينما نجد أن لهذه النظرية عند ابن جني مثلا عدة مراحل :

ـ المرحلة الأولى : وهي مرحلة الوحدة الصوتية الصغرى **Unit** التي سبقت الإشارة إليها . وقد تأتي هذه الوحدة في البداية أو في وسط الكلمة أو في نهايتها . وقد تمكن المؤلف من دراسته لاجتهادات ابن جني أن يتوصل إلى أن ابن جني ـ وإن لم يذكر ذلك صراحة ـ قد عرف عدة قوانين ، ترتبط « بسيكلوجية » العربية منها مثلا :

ـ قانون التشابه **Law Of Similarity**
ـ قانون التقارب **Law Of Proximity**
ـ قانون التبعية **Law Of Belongingness.**

٢ ـ توصل المؤلف كذلك إلى أن ابن جني سبق غيره في استخدام الإحصاء في تتبع الظاهرة اللغوية ودراستها .

٣ ـ كما توصل المؤلف إلى أن ابن جني من خلال بابين في كتابه هما « في امساس الألفاظ أشباه المعاني ـ باب في قوة اللفظ لقوة المعنى » قدم نظرية البنيات الشكلية التي تنطوي على دلالات معنوية ، وهو في هذا يتأثر بخطا الخليل بن أحمد وسيبويه ، لكنه توسع حتى أفاض في عرض جوانب هذه النظرية عرضا شائقا .

وفي نهاية هذا العرض تبقى لنا عدة ملاحظات :

أولها : أن المؤلف في القسم النظري أسرف على نفسه في تقصي آراء علماء كثيرين ، وباحثين محدثين ، ممن تناولوا قضيته ، ولعل هذه الأمانة وهذا الحرص هما اللذان دفعاه إلى تكرار رأي لشخص أكثر من مرة ، مما جعل هذا القسم يبدو أكبر مما كاد يسعى .

ولا يعني هذا أننا ندعوه إلى اختصاره ، لكننا ندعوه عند إعادة طباعة هذا الكتاب أن يخفف هذا الجزء قليلا ، وأن يعيد قراءته متأنيا ، ليزيل عن هذا القسم ما يبدو من ترهل .

ثانيا : أن المؤلف أغفل ذكر جميع مراجعه في ثبت المراجع في نهاية الكتاب .

ثالثها : أن المؤلف في ترتيبه للمراجع والمصادر في نهاية بحثه لم يلتزم الترتيب الأبجدي بدقة .

على أن هذه الهنات الهينات لا تنتقص من قدر هذه الدراسة العلمية الجادة التي نحن أحوج ما نكون إليها في مكتبتنا العربية . □

مكتبة العربي

مختارات

الكتاب / تيارات الصحوة الدينية
المؤلف / خليل علي حيدر
عدد الصفحات / ٢٣٢ من القطع الكبير
الناشر / شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع - الكويت
سنة النشر / ١٩٨٧

في هذا الكتاب الجديد يواصل الكاتب الكويتي خليل علي حيدر إلقاء الضوء الكاشف على الجماعات الدينية المختلفة ، متعرضا للأصول التاريخية للتيارات الدينية الحالية التي تشكل ما يطلق عليه المؤلف اسم تيارات الصحوة الدينية

وفي هذا الكتاب أيضا يواصل حواره مع الرموز الفكرية والتاريخية للتيارات الدينية ، وهو حوار بدأ بكتابيه السابقين (مستقبل الحركة الدينية ، ونقد الصحوة الدينية)

وغني عن القول أن هذا الحوار وذلك النقاش الذي تشكل مادته الكتاب هو نقاش نقدي بالدرجة الأولى .

■ ■

الكتاب / القدس في العصر المملوكي
المؤلف / د علي السيد علي
الناشر / دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع - القاهرة
عدد الصفحات / ٣٠٦ من القطع الكبير
سنة النشر / ١٩٨٦

في هذا الكتاب المهم عن مدينة القدس المحتلة ينطلق الكاتب من فكرة ، تحمل في ثناياها أهمية فكرية وتاريخية ، بل وسياسية كبيرة ، فالقدس بالنسبة له ليست مجرد مدينة من عشرات الألوف من المدن التي تملأ الأرض من أقصاها إلى أقصاها ، بل رمز صراع مصيري ، تخوضه الأمة العربية ، لاثبات حضارتها بتاريخها وحضارتها

لذا يقدم الكاتب دراسة مستفيضة للمدينة كما كانت أيام الحكم المملوكي ، عندما كانت مدينة عربية خالصة ويحمل هذا الكتاب ردا غير مباشر على بعض الآراء التي تصدر في الغرب بين آن وآخر ، وتحاول تصوير المدينة وكأنها كانت دائما مدينة يهودية ، تعيش فيها جاليتان « مسيحية ومسلمة »

■ ■

الكتاب / معجم التعابير الاصطلاحية (انكليزي - عربي)
المؤلف / جماعة من الأساتذة الجامعيين
الناشر / مكتبة لبنان - بيروت
عدد الصفحات / ٣٤٥ من القطع الكبير
سنة النشر / ١٩٨٥

هذا المعجم الجديد ثمرة جهد جماعة من الأساتذة العرب في جامعة الكويت ، عملت عليه برئاسة الدكتور محمد موالي ، والدكتور نايف خرما نائب الرئيس ويتخصص في شرح استخدامات التعابير الاصطلاحية ومعانيها والأفعال المتبوعة بحروف باللغة الانكليزية

ولأن مثل هذه الأفعال تكاد تكون هي العمود الفقري للغة الانكليزية ، ولا يتقن أحد هذه اللغة

دونها ، فإن هذا المعجم مهم جدا لدارسي اللغة الانكليزية .

وقبل ذلك كله فإن هذا المعجم الذي قامت جامعة الكويت بدعمه هو الأول من نوعه في الوطن العربي

■ ■

الكتاب / أرض الميعاد ـ رواية
المؤلف / يوري كوليسيكوف
ترجمة / دار التقدم
الناشر / دار التقدم ـ موسكو
عدد الصفحات / ٣٧٧ من القطع الكبير
سنة النشر / ١٩٨٦م

ترجمة جديدة لرواية الكاتب السوفيتي يوري كوليسنكوف الشهيرة التي صدرت لأول مرة في السبعينيات ، فأثارت اهتماما كبيرا في الأوساط الأدبية والسياسية

وأرض الميعاد ليست رواية سياسية على أي حال ، بل هي قصة الشاب اليهودي السوفيتي حاييم فولديتير الذي هاجر إلى فلسطين قبيل الحرب العالمية الثانية متأثرا بالدعاية الصهيونية ، لكنه عندما وصل الى هناك رأى واقعا مختلفا عن الواقع الذي صورته الدعاية الصهيونية . واصطدم مع هذا الواقع ، وتبددت أحلامه ، مثل كثيرين غيره من المهاجرين اليهود المضللين بالدعاية الصهيونية

وفي هذه الرواية فضح لجوهر الصهيونية ، وكشف لقرابتها الروحية مع الفاشية والنازية

■ ■

الكتاب / أشعار فؤاد حداد
المؤلف / فؤاد حداد
الناشر / دار المستقبل العربي ـ القاهرة
عدد الصفحات / ٤٨٠ من القطع الكبير
سنة النشر/ ١٩٨٥م

لم يتسع هذا الكتاب كبير الحجم نسبيا لكل أشعار الشاعر الشعبي المصري الراحل فؤاد حداد، فلم يحتو إلا على بعض القطع الشعرية التي رسم فيها الشاعر لوحات من الحياة الشعبية الفنية في مصر ، ومنها لوحات الحياة الرمضانية التي تتميز بارتفاع الايقاع الشعبي فيها

وليست القصائد المنشورة في هذا الديوان أفضل من قصائد الشاعر الذي كان ظهوره نقطة تحول في تاريخ الشعر بالعامية ، إذ خلا الديوان من قصائده الجميلة الطويلة ذات النفس الملحمي ، لكنها تعبير عن أهم مراحل هذا الشاعر الذي رحل عنا في العام الذي نشر فيه الكتاب

■ ■

الكتاب / الديانة المصرية القديمة
المؤلف / ياروسلاف تشيرني
ترجمة / د أحمد قدري
الناشر / هيئة الآثار المصرية ـ القاهرة
عدد الصفحات / ٤٠٠ من القطع الكبير
سنة النشر / ١٩٨٧

ضمن سلسلة تهدف إلى تكوين وعي حضاري معاصر بالثقافة الأثرية والتاريخية تصدر ترجمة هذا الكتاب الذي وضع قبل زمن طويل ، منذ الخمسينيات ، بلغته الانكليزية الأصيلة ، لتسد فراغا أكيدا في مكتبة الدراسات المصرية التي ما تزال تحتاج للمزيد من الدراسات المتخصصة

وتكمن أهمية هذا الكتاب في أنه على الرغم من الطابع التخصصي الذي قد يوحي به العنوان إلا أنه كتاب موجه في الأساس للمثقف العادي الذي يريد أن يعرف شيئا عن علاقة الديانة الفرعونية بالحياة الاجتماعية وبالفلسفة ، لذا ينبه المؤلف من البداية على أن هذا الكتاب قد لا يقنع علماء المصريات المتخصصين ، لأنه كتب أساسا للمثقف الذي يتطلع إلى المعرفة . □

مسابقة العربي الثقافية

العدد ٣٤٩
ديسمبر ١٩٨٧

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارًا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية
قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الأسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي :

مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ - الرمز البريدي 13008 الكويت «مسابقة العربي العدد ٣٤٩» ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو ١٥ يناير ١٩٨٨ .

أرفق الحل مع هذا الكوبون

كوبون مسابقة العربي
العدد ٣٤٩

هذه مسابقة مشوقة وسهلة ، فنصف أسئلتها قوامها صور ، وكل أسئلتها مستمدة من أعداد العربي السابقة (من العدد ٣٣٦ - ٣٤٧) ، سواء من استطلاعاتها أو أبوابها الثابتة أو مقالات كتابها ونحن واثقون أن الاجابة الصحيحة على هذه الأسئلة ستكون في متناول أكثر المشتركين فيها ، إن لم نقل كلهم

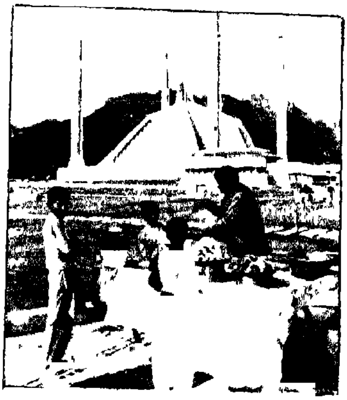

١- ما هذا المبنى الذي ترى في الصورة ؟ أمسجد هو أم ماذا ؟ وأين يوجد ؟

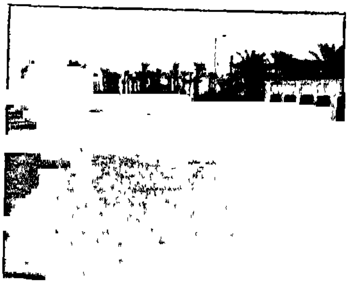

٢- يسمونها (عين العذارى) لماذا ؟ وأين تقع ؟

٣ـ فتاتان جميلتان ، في ثياب زاهية جميلة . ترى إلى أي البلدان تنتميان ؟

٤ـ أسلوب في ري المزروعات فريد ، اعتمده أحد الأقطار العربية منذ أقدم العصور . فما اسم هذا الأسلوب ، وما اسم القطر ؟

٥ ـ ضوء باهر غمر الفضاء في الثالث والعشرين من شهر فبراير (١٩٨٧م) . فما هو هذا الضوء ، ضوء مذنب أم نجم جديد ؟

٦ ـ صورة جسر لاريب ، لكن ما اسمه ، وما طوله وعرضه وتكاليفه ؟

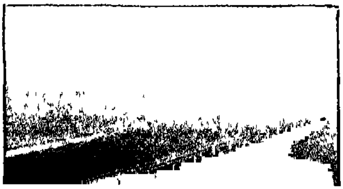

٧ ـ كثر الحديث مؤخرا عن تمثال الحرية القائم في مدخل نيويورك من البحر . ترى مم صنع هذا التمثال . من رخام أم حديد أم خشب أم ماذا ؟

٨ ـ بعض المواد الخمس التالية يزيد إفراز اللعاب في فم الانسان ، وبعضها ينقصه . فأيها هذه وأيها تلك ؟

السكرور ـ محاليل حمض الليمون ـ حمض الخل ـ القلويات اللاذعة ـ الكوكائين

٩ـ السونار يمثل عاملا مشتركا بين الدلفين والوطواط . فما هو العامل المشترك بين الدلفين والحمل ؟

١٠ ـ متى فتح المسلمون البحرين ، وما اسم القائد الذي فتحها ؟

١١ـ مركز الطب الاسلامي في الكويت آية من آيات فن العمارة الاسلامية . ترى كم بلغت تكاليفه ، وما اسم الذي تبرع به ؟

١٢ـ منطقة كاهوتا في الباكستان منطقة فريدة لاريب . فبماذا تتميز هذه المنطقة ؟

حل مسابقة العدد ٣٤٦

١ـ الألعاب الأولمبية مباريات خاصة بهواة الرياضة ، لايسمح للمحترفين بالاشتراك فيها ، ولايخفى أن هؤلاء المحترفين هم الذين يمارسون الرياضة لقاء المال وطلبا للرزق ، بخلاف الهواة الذين يمارسونها دون أي دافع مادي وتجدر الاشارة إلى أن لاعبي كرة القدم الذين يشتركون في مباريات كأس العالم كلهم محترفون

٢ـ ظهرت لعبة البنج بونج أول ما ظهرت في بلاد الهند ، وذلك في الثمانينيات من القرن الماضي ، على أن الضباط الانجليز المقيمين في الهند آنذاك ، لا الهنود هم الذين طوروا اللعبة

أما التسمية « فمشتقة » من الصوت الذي تحدثه الكرة أثناء اللعب ، ولاعلاقة لها باللغة الصينية أو أية لغة أخرى

٣ـ أكبر ستاد مكشوف يوجد في براغ ، عاصمة تشيكوسلوفاكيا ، وهو يسع ٢٤٠,٠٠٠ متفرج على وجه الدقة و٤٠,٠٠٠ رياضي

٤ـ حدث في أولمبياد منتريال ، في كندا في ٢٧/٦/١٩٧٦ ، حين لم يكن في الملعب سوى العمال وكان السبب هو التقلبات الجوية المفاجئة ، على أن أحد العمال أشعلها ثانية في غضون دقيقة أو دقيقتين

ومما يذكر أن تقليد شعلة الأولمبياد تقليد يوناني قديم ، إلا أنه لم يعتمد في المباريات الأولمبية الحديثة إلا اعتبارا من سنة ١٩٣٦ ، حين أقيمت المباريات الأولمبية في برلين ، وقد تم ذلك نزولا عند رغبة هتلر الزعيم النازي

٥ـ وزن الجلة في المباريات الخاصة بالنساء هو ٤كيلوجرامات

٦ـ تسمى مباريات الروديو وأشهر هذه المباريات هي التي تقام سنويا كالجري في ألبرتا بكندا

٧ـ البنتاثلون ، أو المهرجان ذو الألعاب الخمسة هو الخاص بالنساء

والديكاثلون أو المهرجان ذو الألعاب العشرة هو الخاص بالرجال وتشمل ألعاب هذين المهرجانين فيما تشمل الركض والقفز والشوت بوت الخ

٨ـ إنه بيلي اللاعب البرازيلي الشهير الذي يسمونه أحيانا اللؤلؤة السوداء ، والذي أصبح في عداد الأبطال القوميين في نظر أهل البرازيل كان في السابعة عشرة من عمره حين اشترك مع الفريق البرازيلي في مباريات كأس العالم سنة ١٩٥٨م واسمه الحقيقي هو أدسون أرانتس دي ناسيمنتو وقد تقاعد واعتزل منذ حين ، كما هو معروف . ولعله أعظم لاعب عرفته كرة القدم عبر تاريخها

٩ ـ يسمونه السوبر دوم ، ويسع ٩٧٠٠٠ متفرج ، ويقال إن قبته هي أكبر قبة في العالم ، ومن ثم كانت التسمية .

١٠ـ نورمي الفنلندي هو بطل المسافات الطويلة . لقد ظفر بتسع مداليات ذهبية ، وثلاث مداليات فضية في المباريات الأولمبية ، واشترك في سبعة سباقات في أولمبياد ١٩٢٤ في باريس ، وقد فاز بها جميعا .

أما جسي أونز فكان بطل المسافات القصيرة في أولمبياد برلين ١٩٣٦ . وقد فاز بأربع مداليات ذهبية في الأولمبياد المذكور .

سبتمبر ١٩٨٧

١١ـ قواعد كوينزبري تحكم رياضة الملاكمة لقد وضعها المدعو جون تشامبرز (الانجليزي) باسم ماركيز كوينزبري ، واسمه الأصلي جون شولتو دوجلاس فهذبت هذه القواعد رياضة الملاكمة ونظمتها ، وهي التي فرضت استعمال القفازات ، وقد كانت تمارس بالقبضات العارية ، وهي التي أدخلت نظام الجولات على مارياتها جولات تستغرق نحو ثلاث دقائق ، وتفصل بينها استراحة دقيقة واحدة وقواعد كوينزبري هي التي حظرت لجوء الملاكمين إلى المصارعة ، على نحو ما كان يفعل الملاكمون القدامى

١٢ـ كلا ، فالألعاب الأولمبية اليونانية لم تشمل ركض المراثون ، فهذه رياضة حديثة ، ابتكروها ، وأدخلوها ضمن الالعاب الأولمبية الحديثة سنة ١٨٩٦ ، وذلك تخليدا لذكرى فايديبدس الشاب اليوناني الذي ركض المسافة بين بلدة مراثون وأثينا البالغة ٤٠ كيلومترا ، لكي يبشر الأثينيين بالنصر الذي أحرزه جيشهم على الفرس في معركة مراثون الفاصلة سنة ٤٩٠ ق م

* * *

الفائزون في مسابقة العدد ٣٤٦ سبتمبر ١٩٨٧

الجائزة الأولى د صلاح الدين عبد القيوم أبو شامة / بورسودان ـ السودان
الجائزة الثانية هشام بن حسن بن سعيد / سوسة ـ تونس
الجائزة الثالثه ظافر كاظم الكري / كشمير ـ الهند

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ وليم متواضع عجايبي / أسوان ـ مصر
٢ ـ أحمد عبد الله الصالح / درعا ـ سوريا
٣ ـ ابراهيم مصطفى عبد الرحمن / المنامة ـ البحرين
٤ ـ نور الدين ياسين حصير علي / بغداد ـ العراق
٥ ـ عبد الحفيظ أبو رطاسي / مونتريال ـ كندا
٦ ـ حسن عبد الوهاب الوريث / ذمار ـ اليمن
٧ ـ ريتا جوزيف اشيجان / المتن ـ لبنان
٨ ـ ملك بنت خالد الحاج حامد / المدينة المنورة ـ السعودية

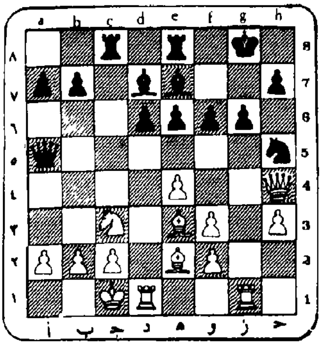

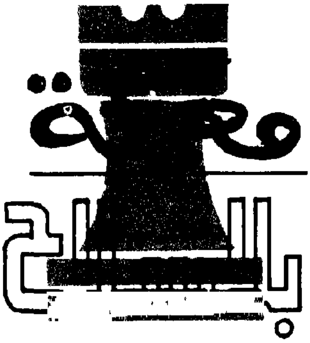

حَرَت البطولة الدولية الخامسة للشطرنج الآلي في العام الماضي ، في معرض كولونيا التجاري ، وسط اجماع عام على أن التفوق سيكون من نصيب البرنامج هايتك Hitec الذي قام بوصعه الدكتور هانر بيرلر من جامعة كارنيجي وللدكتور بيرلر باع طويل في ميدان الذكاء الصناعي ، فهو نفسه مبرمج الحاسب الآلي الذي هزم الدكتور قبلا بطل العالم في طاولة النرد عشية فوره بالبطولة ، وكان للهزيمة الساحقة (٧ ـ ١) التي مني بها بطل العالم أمام البرنامج الآلي مرارة ما تزال تعكّر صفوه حتى الآن لكن متى سيتمكن الشطرنج الآلي من هزيمة كاسباروف أو أي بطل غيره يتربع على عرش الشطرنج ؟

والحقيقة أن الشطرنج الآلي يحقق تقدّماً يكاد يكون يوميا بتطور أساليب البرمجة ، وتقدر الريادة السنوية التي يحققها في القوة بخمسين نقطة ، وعليه فإن الشطرنج الآلي سيتمكن من هزيمته في عام ١٩٩٠ م ، إذا اعتبرنا أن قوة كاسباروف حالياً هي ١٧٣٠ نقطة ، وقوة أقوى شطرنج آلي ١٦٣٠ نقطة وواضع هذا التنبؤ هو دافيد ليڤي الحائز على لقب أستاذ دولي في الشطرنج ، ورئيس الاتحاد الدولي للشطرنج الآلي حالياً ، وهو يراهن على ما يقول ، وقد سبق له أن راهن على أن أقوى شطرنج آلي لن يتمكن من هزيمته حتى عام ١٩٧٨ ، وفاز فعلا بالرهان عندما هزم البرنامج Chess 4.7 في تورنتو في سبتمبر ١٩٧٨ أما الآن وقد أصبح الشطرنج الآلي يفوق قدراته بمراحل فإنه يراهن على أنه سيتمكن من هزيمة البطل العالمي الآدمي كائناً من يكون بعد ثلاث سنوات على الأكثر من الآن

غير أن الباحث النفسي الهولندي المشهور « ادريان دي جروت » وهو من رواد أبحاث التفكير الآلي لا يتوقع أن يتم ذلك قبل عام ٢٠٠٠ ، وأن بطل العالم للشطرنج سيظل من بني البشر حتى بعد ذلك التاريخ ، فالأمر كما نرى هي مسألة وقت لا أكثر

والدور الذي اخترناه لكم من البطولة المذكورة هو من الدفاع الصقلي . وقد تمكن الشطرنج الآلي (هايتك) من الخروج بتركيبة مدهشة حققت له الفوز

□ هايتك	■ شاك ٢,٧
١) هـ ٤	حـ ٥
٢) ح - و ٣	د ٦
٣) ف - حـ ٤	هـ ٦

في نقلة الأبيض خروج عن المألوف لتثبيت الخصم

٤) د ٤	حـ × د ٤
٥) ح × د ٤	ح - و ٦
٦) ح - حـ ٣	ف - هـ ٧

الفائزون في حل مسابقة الشطرنج

العدد ٣٤٦ ◦
سبتمبر ٨٧

الفائزون باشتراك سنة كاملة

١ ـ أشرف مصطفى كامل ـ القاهرة / ح م ع
٢ ـ مسيب الأصفر ـ حماة / سوريا
٣ ـ عادل أحمد مطاي ـ مكة المكرمة / السعودية
٤ ـ عبد العزيز منصور حمد ـ صنعاء / الجمهورية العربية اليمية
٥ ـ رؤية شراء ـ صفاقس / تونس

الفائزون باشتراك ستة أشهر

١ ـ حسني محمد حنفر ـ الفروانية / الكويت
٢ ـ محمد سالم أحمد ـ سعاري / الجماهيرية
٣ ـ عزة علي حسني ـ مصر الجديدة / القاهرة
٤ ـ بلبليطه كمال ـ القيطرة / المغرب
٥ ـ أحمد أحمد سعادة ـ عمان ـ الأردن

---

٧) ف - هـ ٣ ح ب - د ٧
مُضحّيًا بثلاثة بيادق مقابل قطعة واحدة
٨) و د ٢ ح - هـ ٥
٩) ف - هـ ٢ ت
١٠) حـ ٣ ف - د ٧
١١) ح - و ٣ ح × و ٣
١٢) ر × و ٣ ! رائعة و - أ ٥
يندر أن يفكر شطرنج آلي بالأخذ بالبيدق !
١٣) ت ت (الطويل) ر أ - حـ ٨
١٤) ر (حـ) - ر ١ ر (و) - هـ ٨
١٥) ف - حـ ٦ ز ٦
١٦) ف - ر ٥ و - حـ ٥
١٧) و - و ٤ ح - حـ ٥
١٨) و - حـ ٤ و ٦
١٩) ف - هـ ٣ و - أ ٥ (الشكل)
٢٠) ف - ب ٥ ! (رائعة جداً) ف × ب ٥
تضحية رائعة لِقَطْع الوزير الأسود عن جناح الملك مع التهديد بأخذ الفيل
٢١) و × حـ ٥ ز ٥
٢٢) ف × ز ٥ !! و × ز ٥
٢٣) ر × ر ٥ + م - حـ ٨
أدرك كلا الحاسبين أن الأخذ بالفيل يؤدي إلى كش مات في ثمان نقلات
٢٤) ر (د) ز ١ يستسلم

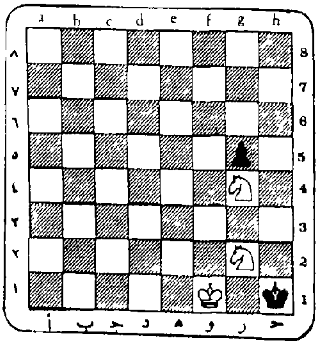

مسألة العدد ٣٤٩
ديسمبر ١٩٨٧
مات ٤

من إهداء القارىء محمد فكري محمد (ح م ع)

حل مسألة العدد ٣٤٧ اكتوبر ٨٧

١) ر - حـ ٣ + ز × حـ ٣ +
٢) م - و ٣ ر ٤ +
٣) م - و ٤ ر ٣
٤) حـ × ز ٣ (مات)

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

على هذه الصفحات .. ترحب "العربي"

حوار القراء ..

شاب يطلب النصح

● الأستاذ الدكتور محمد الرميحي المحترم ،

في هذا العصر الذي تختلط فيه الأمور ، وفي هذه الظروف التي تمر بها الأمة العربية بأقطارها يشعر أي شاب في مثل سني في بداية حياته العملية ، والاجتماعية بحيرة شديدة ، ويجد صعوبة في معرفة الفرق بين الصواب والخطأ ، لذلك توجهت إليك ياسيدي ، لتوجه إلي نصيحة من أب إلى ابنه ، تقول لي فيها كيف يستطيع الإنسان أن يشق طريقه إلى الأفضل ؟ وكيف يمنح ثقته لإنسان ؟ وكيف يختار الصديق ؟ وكيف يختار شريكة عمره ؟ هذا ما أريده عبر رسالة موجهة من الأب الدكتور محمد الرميحي إلى الابن محمد العناسوه ، لتبقى لي شمعة تنير الطريق ، وشكرا لك سيدي

محمد عبدالله العناسوه
الأردن / السلط

العربي

الابن العزيز ، أفهم حيرتك ، وأشعر بكل أبعادها ، وقد يكون من الصعب في مثل هذا المجال أن أجيب بشيء من التفصيل على أسئلتك ، ولعله أيضا ليس مطلوبا أن أقدم لمثل هذه الأسئلة أجوبة محددة .

فالأجوبة الصحيحة ينبغي أن تصل إليها أنت في إطار ظروفك الخاصة التي تعرفها أنت أكثر مني ، لكني أقول لك ، ولكل شاب في مثل سنك ، وحيرتك حاول يابني أولا أن تبذل كل جهد ممكن ، لتكون إنسانا جيدا ، ثم بعد ذلك فإن هذا الإنسان الجيد سيصل بنفسه إلى قرارات أكثر ملاءمة لما يواجهه من ظروف وتحديات وأسئلة ، ولكي تكون إنسانا جيدا في عصرنا هذا فعليك أن تعتمد الأسلوب العلمي في طريقة تفكيرك ، وأن تفتح نوافذ عقلك وقلبك لثقافة أمتك وثقافة عصرك ، تقرأ ، وتفكر ، وتهضم ، وتلاحظ ، ولا تضيق بطرح الأسئلة ، أو بالاختلاف في الرأي ، واستخدم حواسك التي منحها الله لك استخداما راشدا اعمل بيديك ، وأحسن الاستماع ، وتعلم من التجربة ، واصبر على معاناتها ، فالصبر هو ثمن التعلم الناضج وتأمل ، وقارن ، ولا تتعجل في أحكامك على الناس والأشياء

وآنذاك يابني ستعرف أين تضع ثقتك ؟ وكيف تختار الصديق والزوجة والمهنة

وفقك الله ورعاك

د محمد الرميحي

اقتراح لباب « هو وهي »

● أود أن أقدم لأسرة تحرير مجلة العربي اقتراحا حول باب « هو وهي » الذي ينشر في البيت العربي ، فهذا الباب يقدم حكاية زوجين ، يواجهان مشكلة في

حياتهما اليومية ، لكن المشكلة تتعقد ، لأن كل واحد منهما ينظر إليها من زاوية مختلفة ، فالباب يقدم وجهتي النظر دون تدخل ، فتبقى المسافة قائمة بين الزوجين

حبذا لو كان هناك تعليق على وجهتي النظر من قبل المجلة ، أو من قبل القراء الأعزاء ، حول المشكلة المطروحة ، ليعرف القاريء من هو المحق ومن هو المخطيء من الزوجين

هاني صيرفي
سوريا ـ حلب

العربي

نشكر للقاريء اهتمامه ومتابعته ، ونود أن نوضح أن الفكرة الرئيسة في هذا الباب ، هي أن الخلاف يحدث لأن كلا الزوجين ينظر إلى المشكلة من زاويته ، ويعالجها بطريقة تفكيره الخاصة ، ويحاول الباب أن يقول لكل طرف ثمة زاوية أخرى للموضوع ، وثمة طريقة أخرى للنظر إليه والتفكير فيه ، والباب بهذه الطريقة يريد أن يقول إن الخطأ الأساسي يكمن في كون أحد الطرفين لايريد أن يرى وجهة النظر الأخرى ، أو ينصت إليها كما ينبغي ، وأنه لاتوجد هناك وجهة نظر واحدة صحيحة تماما ، أو خاطئة تماما ، وقد يكون الصواب ، (بمعنى الأكثر مناسبة) أمراً جديداً تماما ، يخرجان به معا من كلا الرأيين المطروحين ، بعد استماع كل منهما إلى الآخر بشكل جيد

الأمر الأساسي إذن هو حسن الاستماع ، والقدرة على التقبل ، والتفهم ، والمشاركة ، وهذا هو المنهج الصائب في التعايش الذي يدعو إليه الباب ، فالرأي الواحد الذي يصل إليه الزوجان في النهاية بعد مثل هذا الحوار سيكون هو الصواب بمعنى (الأكثر مناسبة) ، بغض النظر عن تفصيلات هذا الرأي ووقائعه ، وأهم شيء هو أن يصل الزوجان معا إلى هذا الرأي الواحد ، بقدر من الرضا والتفاهم والاقتناع

معلومات جديدة عن « الكمأ »

● قرأت في مجلة العربي بالعدد رقم ٣٤٤ يوليو سنة ١٩٨٧ ما كتبه الدكتور حسين العروسي عن غذاء فريد هو الكمأ ، وأود إضافة هذه المعلومات الطريفة عن هذا الموضوع

أغلى وأفضل أنواع الكمأ هو النوع الفرنسي ، الأسود أو البني الذي ينمو في منطقة « بريجور » ، وقد اكتسب شهرته في المطبخ الفرنسي منذ أواخر القرن الخامس عشر ، وتباع العلبة التي تزن ١٢,٥ جراماً من هذا النوع بمبلغ ٨,٥ جنيهات استرلينية ، لكن أعلى سعر حققه الكمأ على الإطلاق قد بلغ خمسة آلاف ريال سعودي ، ثمنا لثلاثة كيلوجرامات من الكمأ المحلي ، وقد تم ذلك في سوق (حفر الباطن) بالسعودية خلال شهر يناير ١٩٨٥ م

يقدر الإنتاج العالمي من الكمأ بما يتراوح بين ١٥٠ و ٣٠٠ طناً سنويا ، ويشكل الكمأ البري معظم هذه الكمية وتنتج إيطاليا بين ٣٠ ـ ٨٠ طناً سنويا ، واسبانيا من ٤٠ ـ ٦٠ طنّا سنويا ، أما فرنسا فيتراوح إنتاجها بين ٥٠ ـ ١٠٠ طن سنويا من الكمأ البري والبستاني ، والكمأ نادر جدا في أمريكا الشمالية ، لكنه يظهر أحيانا في بعض المناطق بولايتي « اوريجون » و « كاليفورنيا »

تحتوي الكمأة على الفسفور والبوتاسيوم والصوديوم والكالسيوم كما أنها غنية بفيتامين (B1) ريبوفلافين الذي يفيد في علاج هشاشة الأظافر ، وسرعة تقصفها ، وتشقق الشفتين ، واضطراب الرؤية

العربي - العدد ٣٤٩ - ديسمبر ١٩٨٧ م

العربي
ص ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

حوار القراء..

☐☐

تصبح الكمأة غذاء مستساغا سهل الهضم إذا أزيلت الأتربة عنها، وطهيت جيدا، أما المصابون بآفات في أمعائهم فينصحون بالإقلال منها

أحمد محمد باديب

اليمن الديمقراطية / عدن - كريتر

« سبتة ومليلة »

● في البداية أشكركم كثيرا على اهتمامكم بقضايا الوطن العربي والعالم الإسلامي، وتعريفكم بالمشاكل التي يعاني منها، ثم أتطرق إلى إثارة انتباهكم إلى بعض الملاحظات حول ما جاء في العدد ٣٤٢ شهر « مايو » من مجلة العربي عن « سبتة ومليلة » المدينتين المغربيتين السليبتين

في معرض تناول المقال لموقع مليلة وجغرافيتها في الصفحة ١٦٦ من العدد المشار إليه ورد مانصه « وهي أي مدينة مليلة تبعد عن الحدود المغربية الجزائرية بنحو ١٢ ميلا »، والصحيح أن هذه المدينة تبعد عن هذه الحدود حوالي ٦٠ ميلا، أما المدينة التي تبعد عن الحدود المذكورة حوالي ١٢ ميلا فهي الجزر الجعفرية التي ماتزال تحت سيطرة الاستعمار الإسباني، وهي تقابل ميناء رأس كبدانة الصغير

كما ورد في الصفحة ١٥٦ ذكر مكان باسم « إيميسن » والراجح أنه مدينة « ايفنسي » الواقعة في الجنوب المغربي

شاوش محمد

المغرب / مدينة الناظور

من مقترحات القراء وتساؤلاتهم

● **د رمضان محمد سليمان فراج / ج م ع**
الاسكندرية

- العودة إلى نشر بعض الموضوعات التي سبق نشرها في (العربي) منذ ٢٥ سنة
- إعادة استطلاع البلاد التي سبق استطلاعها قبل ٢٠ عاما لبيان درجة التطور
- استطلاع آراء بعض المستشرقين وإقامة حوار معهم
- ذكر أسماء المراجع في المقالات العلمية

● **أديبة الياس - دمشق - سوريا**

- استطلاع عن جمهورية «الأريعة» وجمهورية «قابريا بلقاريا» بالاتحاد السوفيتي، لأن العديد من قراء (العربي) في هاتين الجمهوريتين يسعدهم ذلك ويطلبونه

● **صلاح الدين محمد - ج م ع / الاسكندرية**

- استطلاع عن الصومال، وجيبوتي، وموريتانيا

● **أحمد عيسى عيسى - سورية / حلب**

- زيادة أعداد (العربي الصغير) إلى سورية
- تخصيص صفحات خاصة للقراء لنشر خواطرهم وقصصهم وأشعارهم، لأن باب حوار القراء خاص بمناقشة الموضوعات التي تنشر في المجلة

العربي

نشكر للإخوة القراء اهتمامهم ومتابعتهم، ونعدهم بأن تكون جميع مقترحاتهم موضع دراسة مجلس التحرير أثناء بحث خطة الاستطلاعات والنظر في تطوير أبواب المجلة

العربي

فهرس سنة

١٩٨٧

من العدد ٣٣٨ إلى العدد ٣٤٩

السنة الثلاثون

حديث الشهر بقلم : رئيس التحرير / الدكتور محمد الرميحي

الموضوع	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
الإسلام والسلام	١	٨٧	٣٣٨	٨
صحيح الأرقام	٢	٨٧	٣٣٩	٨
العالم من حولنا يتغير !	٣	٨٧	٣٤٠	٨
المثقفون العرب بين الحسرة والأمل	٤	٨٧	٣٤١	٨
التفكير في غير المألوف !	٥	٨٧	٣٤٢	٨
عشرون عاما على الهزيمة خطوة إلى الخلف وأخرى إلى الأمام	٦	٨٧	٣٤٣	٨
الجبهة الخاطئة !	٧	٨٧	٣٤٤	٨
الحوار الثقافي مع العالم الثالث	٨	٨٧	٣٤٥	٨
لماذا نحتاج الى العائلة ؟	٩	٨٧	٣٤٦	٨
المليار الخامس نقمة أم نعمة ؟	١٠	٨٧	٣٤٧	٨
بعد أربعين عاما من الاستقلال ، هل تبقى الهند محافظة على كيانها ؟!	١١	٨٧	٣٤٨	٨
النظام العربي والمستقبل !!	١٢	٨٧	٣٤٩	٨

دين

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
الوحدة والتنوع في العالم الاسلامي	د عبدالعزيز كامل	١	٨٧	٣٣٨	١٨
الاسلام والتراث الاسلامي	د محمد أحمد خلف الله	١	٨٧	٣٣٨	٣٠
مفهوم غريب للجهاد !	د محمد عمارة	١	٨٧	٣٣٨	٨٦
المسلمون على خريطة المستقبل	د أحمد كمال أبوالمجد	٢	٨٧	٣٣٩	١٨
الاسلام والارض	د أحمد عُلبي	٢	٨٧	٣٣٩	٢٣
البيان في أسباب نزول القرآن	حسين أحمد أمين	٢	٨٧	٣٣٩	٩٦
البيان في أسباب نزول القرآن	حسين أحمد أمين	٣	٨٧	٣٤٠	١٠٨
العقلانية الاسلامية	د محمد عمارة	٤	٨٧	٣٤١	٢٤
العمل الاسلامي ومسألة ترتيب الأولويات	د أحمد كمال أبوالمجد	٥	٨٧	٣٤٢	١٨
الصحوة الاسلامية بين الحسور والعقبات	د عبدالعزيز كامل	٥	٨٧	٣٤٢	٣٠
مآذن لها تاريخ	سليمان مظهر	٥	٨٧	٣٤٢	٦٨
الصوم وحكمة تدبير الحياة	د محمد فتحي الدريني	٥	٨٧	٣٤٢	١٠٨
الكسب الحرام في الاسلام	د توفيق محمد شاهين	٦	٨٧	٣٤٣	١١٢
الأبعاد الأربعة في منهج الاسلام	د عبدالعزيز كامل	٧	٨٧	٣٤٤	٢٣
حسر من كلمات ونور	د عبدالعزيز كامل	٩	٨٧	٣٤٦	٢٠
العلمانية بين الدين والدولة والحياة	د عبدالعزيز كامل	١٢	٨٧	٣٤٩	١٨
رشيد رضا وقضية المرأة في العالم الاسلامي منذ نصف قرن	د رضوان السيد	١٢	٨٧	٣٤٩	٥٤

سياسة واقتصاد

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
الديون الخارجية للعالم الاسلامي	د رمزي زكي	١	٨٧	٣٣٨	٧٤
الصندوق الكويتي للتنمية ، ربع قرن من العطاء والنماء	محمود عبدالوهاب	٢	٨٧	٣٣٩	٦٩
الديمقراطية والثورة العلمية والتقنية	مصطفى طيبة	٢	٨٧	٣٣٩	١٣٧
أزمة السويس واستخدام القوة	أمين هويدي	٣	٨٧	٣٤٠	٢٣
الاستخدام التآمري للقوة ، نموذج حرب السويس	أمين هويدي	٤	٨٧	٣٤١	٣٥
تعالوا نتعلم كيف نختلف !	د. يحيى الجمل	٤	٨٧	٣٤١	٤٧
الردع وتوازن القوى دروس حرب السويس	أمين هويدي	٥	٨٧	٣٤٢	٤١

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
ابن خلدون مفكرا اقتصاديا	د ابراهيم عويس	٦	٨٧	٣٤٣	١٨
الأبعاد الثقافية للانجاز الاقتصادي الياباني	وحيد عبدالمجيد	٧	٨٧	٣٤٤	٥٧
الحرب النووية وصراع « الايديولوجيات »	د فؤاد زكريا	٨	٨٧	٣٤٥	١٨
الاقتراض الخارجي أزمة المديونية في العالم الثالث	نعوم ابراهيم عبود	٩	٨٧	٣٤٦	٣٠
انفجار ديون البرازيل وبدء عصر المواجهة بين الدائنين والمدينين	د رمزي زكي	١٠	٨٧	٣٤٧	٢٢
احتلال العقل ، ملامح الاستراتيجية العربية للتحكم في العقل العربي	رفعت سيد أحمد	١٢	٨٧	٣٤٩	٢٤
انهيار الحضارة الصناعية	حافظ أحمد أمين	١٢	٨٧	٣٤٩	٥٩

عروبة

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
العلوم وطموحات المستقبل في الأقطار العربية	د محمد عبدالسلام	١	٨٧	٣٣٨	٢٣
الارهاب من راوية عربية	د فؤاد زكريا	٢	٨٧	٣٣٩	٢٨
عروبة أم اسلام ؟	د محيي الدين عميمور	٢	٨٧	٣٣٩	٣٣
الشخصية العربية في التلفزيون الأميركي	د جاك شاهين	٣	٨٧	٣٤٠	١٨
ردم الهوة والخيار الصعب !	د شاكر مصطفى	٥	٨٧	٣٤٢	٢٣
مستودع الأفكار	فتحي رضوان	٥	٨٧	٣٤٢	٥٢
لماذا يتخلى المثقف العربي عن دوره السياسي ؟	توفيق أبوبكر	١٢	٨٧	٣٤٩	١١٣

استطلاعات الكويت المصورة

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
صناعة الألبان في الكويت خطوة نحو تحقيق الاكتفاء الغذائي !	ريم الكيلاني - ثريا البقصمي تصوير سليمان حيدر	٦	٨٧	٣٤٣	١٥٧
الخيران منتزه سياحي	سليمان الشيخ تصوير طالب الحسيني	٧	٨٧	٣٤٤	٨٨

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
مركز الطب الاسلامي والمعالجة بالنباتات الطبية	يوسف رعبلاوي تصوير صلاح آدم	٩	٨٧	٣٤٦	١٢٩
لوحات روبرتس تحط رحالها بالكويت	عبدالعلي محمد عبدالله	١٠	٨٧	٣٤٧	١٤٨

الاستطلاعات العربية والخارجية

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
أندونيسيا « سلاملك مكة »	سليمان مظهر تصوير سليمان حيدر	١	٨٧	٣٣٨	٣٦
الجزائر ربع قرن من التنمية	أبو المعاطي أبو النجا تصوير فهد الكوح	١	٨٧	٣٣٨	١٠٠
الرياض مدينة زرقاء اليمامة	صادق يلي	١	٨٧	٣٣٨	١٦٤
القدس ، الانسان والمكان	سليمان الشيخ تصوير أوسكار متري ـ محمد الأسطل	٢	٨٧	٣٣٩	٣٦
أوغندا لؤلؤة افريقيا قبائل وعسكر ورصاص	محمود عبدالوهاب تصوير طالب الحسيني	٢	٨٧	٣٣٩	١٠٠
العرب في أمريكا الحلم الامريكي والوهم المغترب	صلاح حرين أوسكار متري	٢	٨٧	٣٣٩	١٦٤
مملكة بوتان ، الحياة وسط المتناقضات	محمود عبدالوهاب تصوير طالب الحسيني	٣	٨٧	٣٤٠	٦٨
المرأة العراقية تعزل الحياة في السلم والحرب	وفاء طه ناجي	٣	٨٧	٣٤٠	٨٨
فنون الهند أسرار وأساطير	سليمان مظهر تصوير سليمان حيدر	٣	٨٧	٣٤٠	١٣٢
المدينة ذات المئة باب الأقصر الحياة موت والموت حياة !	سليمان مظهر تصوير سليمان حيدر	٤	٨٧	٣٤١	٦٨
الشاشان والانغوش من المنفى الى حياة جديدة !	سليمان الشيخ تصوير سليمان حيدر	٥	٨٧	٣٤٢	١٣٢
باكستان سنوات الصراع والأحلام	محمود عبدالوهاب تصوير طالب الحسيني	٦	٨٧	٣٤٣	٦٨
النوبة أرض الذهب وشعب المأساة	سليمان مظهر تصوير سليمان حيدر	٦	٨٧	٣٤٣	١٣٢
اللاذقية موطن للجمال بين الجبل والبحر	أبو المعاطي أبو النجا تصوير طالب الحسيني	٧	٨٧	٣٤٤	٦٨

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
بيويورك تماحة عسيرة الهصم	صلاح حرين تصوير أوسكار متري	٧	٨٧	٣٤٤	١٣٢
الريف المغربي أسطورة الاسان عبر الرمان والمكان	سليمان مطهر تصوير سليمان حيدر	٨	٨٧	٣٤٥	٦٨
تتاريا إرث المعول وطموحات الحاضر والمستقبل	سليمان الشيخ تصوير سليمان حيدر	٨	٨٧	٣٤٥	١٣٢
الموصل تبحث عن رمحها المفقود	صلاح حرين تصوير طالب الحسيي	٩	٨٧	٣٤٦	٦٨
عُمان ىلاد النخيل والنارجيل	صادق يلي	٩	٨٧	٣٤٦	١٤٤
البحرين ساعة لربك وساعة لقلبك	سليمان مطهر تصوير سليمان حيدر	١٠	٨٧	٣٤٧	٦٨
اليمن الشمالي مشاريع على طريق التنمية	صادق يلي تصوير سليمان حيدر	١٠	٨٧	٣٤٧	١٣٢
بيروبيجان ، من يتذكر دولة اليهود السوفييت ؟	سليمان الشيخ تصوير طالب الحسيي	١١	٨٧	٣٤٨	٦٨
« المولوية » يرقصون « السيما » على أنغام جلال الدين الرومي	سليمان مطهر تصوير سليمان حيدر	١١	٨٧	٣٤٨	١٣٢
البرتغال مملكة الشمس العارية	محمود عبدالوهاب تصوير سليمان حيدر	١٢	٨٧	٣٤٩	٦٨
فيودوروف وابتكارات جديدة في طب العيون	سليمان الشيخ تصوير طالب الحسيي	١٢	٨٧	٣٤٩	١٤٢

أدب ولغة

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
فهد الدويري ناقدا	سالم عباس خدادة	١	٨٧	٣٣٨	٧٢
أدب الرحلات في حياتنا الثقافية	د سيد حامد النساج	١	٨٧	٣٣٨	١٣٣
مضحكات الشدائد	د عبدالسلام العجيلي	٣	٨٧	٣٤٠	١٤٩
الثقافة والشارع	فتحي رضوان	٤	٨٧	٣٤١	١٨
طه حسين وثقافة العصر	د أحمد عُلبي	٤	٨٧	٣٤١	٣٠
قراءة في روايات عدنان عمامة	وليد أبو بكر	٤	٨٧	٣٤١	١٧٦
هل أدب العبث عبث ؟	فتحي رضوان	٦	٨٧	٣٤٣	٢٣
في مجمع الخالدين	عبدالرزاق البصير	٦	٨٧	٣٤٣	٣٦
رؤية فنية لما بعد الموت	أبوالمعاطي أبوالنجا	٦	٨٧	٣٤٣	٦٢

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
الحوار ألوان	فتحي رضوان	٨	٨٧	٣٤٥	٢٤
تصحيحات لغوية طبية وعلمية	د محمد صادق زلزلة	٨	٨٧	٣٤٥	٥٤
الأصالة والعروبة في أدب عبدالسلام العجيلي	أحمد محمد عطية	٨	٨٧	٣٤٥	٥٧
إعراب في البدن !	د محمد حكمت عبدالدائم	٨	٨٧	٣٤٥	١١٤
أكذوبة الثقافة « اليهودية »	د عبدالوهاب محمد المسيري	٩	٨٧	٣٤٦	٢٥
فن القصة المعاصر في أمريكا اللاتينية	د حامد أبوأحمد	١٠	٨٧	٣٤٧	١١٤
بخلاء الجاحظ يراوغون القلق	د عبدالمقصود عبدالكريم	١١	٨٧	٣٤٨	٣٥
أدب المذكرات	فتحي رضوان	١٢	٨٧	٣٤٩	٣٠
شارات المجد المنطفئة	د محمود الربيعي	١٢	٨٧	٣٤٩	١١٦

جمال العربية : صفحة لغة بقلم : محمد خليفة التونسي

الموضوع	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
افتح ياسمسم	١	٨٧	٣٣٨	٢١٤
الأشجار الأولى خضراء مزهرة	٢	٨٧	٣٣٩	٢١٤
سؤالان وجوابان	٣	٨٧	٣٤٠	١٨٢
سؤالان وجوابان	٤	٨٧	٣٤١	١٨٢
أسئلة وأجوبة	٥	٨٧	٣٤٢	١٨٠
أسئلة وأجوبة	٦	٨٧	٣٤٣	١٨٢
حول إعراب المنقوص	٧	٨٧	٣٤٤	١٧٨
إعراب المقصور	٨	٨٧	٣٤٥	١٨٠
أسئلة وأجوبة	٩	٨٧	٣٤٦	١٨٠
اللغة بأنظمتها لا بمعجمها	١٠	٨٧	٣٤٧	١٨٠
بين نحو الدلالة ونحو الإعراب	١١	٨٧	٣٤٨	١٨٠
نائب الفاعل هل ينبغي حذفه من كتب النحو ؟	١٢	٨٧	٣٤٩	١٦٦

جمال العربية : صفحة شعر

الموضوع	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
الشريف الرضي يرثي أمه	١	٨٧	٣٣٨	٢١٦

الموضوع	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
حنين لأبي صخر الهذليّ	٢	٨٧	٣٣٩	٢١٦
حيرة الحب لحنادة العذري	٢	٨٧	٣٣٩	٢١٧
عتاب صديق لابن الرومي	٣	٨٧	٣٤٠	١٨٤
بين التدلل والتذلل لأبي فراس الحمداني	٤	٨٧	٣٤١	١٨٤
وصف زلزال لحافظ ابراهيم	٥	٨٧	٣٤٢	١٨٢
لواعج الحب لابن الدمينة	٦	٨٧	٣٤٣	١٨٤
عداب الحب للصمّة بن عبدالله القشيري	٧	٨٧	٣٤٤	١٨٠
إلى أم كلثوم لمعروف الرصافي	٨	٨٧	٣٤٥	١٨٢
السماء للشاعر ايليا أبي ماضي	٩	٨٧	٣٤٦	١٨٢
مجلس غناء عباسي لبشار بن برد	١٠	٨٧	٣٤٧	١٨٢
معابثات غزليّة لعمر بن أبي ربيعة	١١	٨٧	٣٤٨	١٨٢
مأساة سيدة قتل أخوها زوجها	١٢	٨٧	٣٤٩	١٦٨

شعر وشعراء

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
صـورة	خالد سعود الزيد	١	٨٧	٣٣٨	١٧
فواصل من دفتر الأرض	د محمود الشلبي	١	٨٧	٣٣٨	٩٨
الجنوبي المسافر	د عبده بدوي	١	٨٧	٣٣٨	١٢٣
بقايا أساطير	محمد ابراهيم أبوسنّة	٢	٨٧	٣٣٩	٧٦
الشنفري ، أسطورة الثأر ولامية العرب	د عبدالمقصود عبدالكريم	٢	٨٧	٣٣٩	٨٢
أغنية للحياة	ابراهيم نصر الله	٢	٨٧	٣٣٩	١٤٤
وداع الشباب	أحمدمحمدآل خليفة	٢	٨٧	٣٣٩	١٨٨
يافاتني	يعقوب السبيعي	٣	٨٧	٣٤٠	٢٨
مرثية للمساء الأخير	محمود مفلح	٣	٨٧	٣٤٠	١١٤
الموت فوق صدرها	علي عبد القيوم	٣	٨٧	٣٤٠	١٨٠
الطريق الى يافا	يوسف الخطيب	٤	٨٧	٣٤١	٢٨
استخراج اللؤلؤ في الشعر الجاهلي	د حسين عطوان	٤	٨٧	٣٤١	١٠٨
كان طيفه حقل عنب	محمد البقلوطي	٤	٨٧	٣٤١	١٨٠
الاختيـار	د كافية رمضان	٥	٨٧	٣٤٢	٢٨
فتى دير الغصون	يوسف عبدالعزيز	٥	٨٧	٣٤٢	١١٢
عن الحب والحرية	فاروق شوشة	٦	٨٧	٣٤٣	٢٨
قصيدتان للوطن	محمود الشلبي	٧	٨٧	٣٤٤	٢٨
ادوارد بوكوك أول انجليزي يكتب شعرا بالعربية	د نبيل ابراهيم مطر	٧	٨٧	٣٤٤	٦٤
الرحلة	د . عبده بدوي	٧	٨٧	٣٤٤	١١٣

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
القصيدة الدافئة	شوقي البغدادي	٨	٨٧	٣٤٥	٢٨
رزق الله حسون رائد مجهول في ميادين الصحافة والشعر والترجمة	د علي شلش	٨	٨٧	٣٤٥	٣٦
لكنه لن يعود	عزت الطيري	٨	٨٧	٣٤٥	١١٢
حديث الشباب	عد العليم القباني	٨	٨٧	٣٤٥	١٧٩
تساؤلات	د عيسى درويش	٩	٨٧	٣٤٦	١٩
قصيدتان للخالد الأسمر	محمود عبدالصمدزكريا	٩	٨٧	٣٤٦	١٢٤
حلوة ليل	فاروق شوشة	١٠	٨٧	٣٤٧	٢٨
حكاية	يوسف طافش	١٠	٨٧	٣٤٧	١٢٤
أصل البلاء	زكي قنصل	١١	٨٧	٣٤٨	٣٢
ساعة زرقاء للشاعر جوتفريدبن	د عبدالغفار مكاوي	١١	٨٧	٣٤٨	٤٥
بين نهرين يمشي	أحمد فضل شبلول	١١	٨٧	٣٤٨	١١٦
الشاعر والديوان	محمد التهامي	١٢	٨٧	٣٤٩	٢٨
العشق ، هو العاشق	مجاهد عبدالمنعم مجاهد	١٢	٨٧	٣٤٩	١٠٨

قصص

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
حيلة وحيلة !	د عبدالسلام العجيلي	١	٨٧	٣٣٨	٩٤
السلطان	قصي الشيخ عسكر	١	٨٧	٣٣٨	١٢٠
التجربة الأخيرة (مترجمة)	ابراهيم عبدالله العلو	١	٨٧	٣٣٨	١٧٤
من المصحة لمسات صغيرة	محمد المخزنجي	٢	٨٧	٣٣٩	٩٢
بين والد وولده (مترجمة)	نعوم ابراهيم عبود	٢	٨٧	٣٣٩	١٥٢
جدي عبد الوهاب	سليمان فياض	٣	٨٧	٣٤٠	٤٧
الرواق . الناس	ابراهيم زعرور	٣	٨٧	٣٤٠	١٥٢
السحر ليس للبيع (مترجمة)	شوقي جلال	٤	٨٧	٣٤١	٥٨
مقبرة الأربعين	د محمود موعد	٤	٨٧	٣٤١	١٤٨
رائحة الأشياء	محمد كمال محمد	٥	٨٧	٣٤٢	٩٠
سبق صحفي (مترجمة)	عبداللطيف عبدالحميد	٥	٨٧	٣٤٢	١٧٦
الخسوف	محمد عبد الملك	٦	٨٧	٣٤٣	٥٦
النحب (مترجمة)	يوسف حلاق	٦	٨٧	٣٤٣	١٢٥
عملية تزوير	رجب سعد السيد	٧	٨٧	٣٤٤	٥٢
الغريب (مترجمة)	خليل العطية	٧	٨٧	٣٤٤	١٤٨
حالة حب مجنونة	ليلى العثمان	٨	٨٧	٣٤٥	٤٨
رسالة الى الله (مترجمة)	زهير شفيق رومية	٨	٨٧	٣٤٥	١٧٦

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
صادق الحمّال (مترجمة)	د محمد موفاكو	٩	٨٧	٣٤٦	٤٨
مركب ملونة	حار النبي الحلو	٩	٨٧	٣٤٦	١٧٧
صاحب قديم	د عبدالسلام العجيلي	١٠	٨٧	٣٤٧	٣٠
المحـاص	محمد الشارح	١٠	٨٧	٣٤٧	٥٦
آحر لفافة	سعيد سالم	١٠	٨٧	٣٤٧	١٧٥
الرغبة في الكلام	محمد سمارة	١١	٨٧	٣٤٨	٥٠
اليوم الذي دفنّا فيه السلاح (مترجمة)	محمد العشيري	١١	٨٧	٣٤٨	١١٨
حدود العالم	محسن حصر	١٢	٨٧	٣٤٩	١١٠

طب وعلوم

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
حراح المستقبل بين مضع الليرر والموحات فوق الصوتية	د عامر هشام حعفر	١	٨٧	٣٣٨	٦٠
القتلة البيص	د محمد نبهان سويلم	١	٨٧	٣٣٨	١٢٤
دورة الحياة والموت النباتية هل تؤدي الى فك أسرار الشيحوحة الانسانية ؟	ندور عبدالكريم	١	٨٧	٣٣٨	١٣٧
أيها المرصى لا مبرر للحوف	د ابراهيم أبو طاحون	١	٨٧	٣٣٨	١٥٠
رحلة الى حافة الكون	سمير صلاح الدين شعبان	٢	٨٧	٣٣٩	٥٦
التغدية والأسنان	د محمد محمد منصور	٢	٨٧	٣٣٩	٦٥
الكوارتر كنز في باطن الأرض !	رؤوف وصفي	٢	٨٧	٣٣٩	١٢٠
مرض النحالة الوردية	د محمد عبدالله المشاري	٢	٨٧	٣٣٩	١٥٦
ملح ونفط وتلوث !	د سمير رضوان	٣	٨٧	٣٤٠	٤٠
العلاج الفيريائي عرفه الانسان منذ أقدم العصور	د وليد السباعي	٣	٨٧	٣٤٠	٥٠
حرين الأرض من الأشعة النووية وحوادث المفاعلات	د شذى الدركزلي	٣	٨٧	٣٤٠	١٠٢
الاكزيما تعددت الاسماء والمرض واحد	د سامي محمود علي	٣	٨٧	٣٤٠	١٢٣
عزل جينات السرطان اعجاز علمي	عبدالرحمن حريتاني	٤	٨٧	٣٤١	٩٣
الالمنيوم أعجوبة معادن القرن العشرين	محمد علي النقي	٤	٨٧	٣٤١	١٣٠
مرضك هل له علاقة بالكهربائية ؟	د سامي عزيز	٤	٨٧	٣٤١	١٥٢
الارض بلا ميكروبات كوكب ميت	د سمير رضوان	٥	٨٧	٣٤٢	٣٥
دروس مستفادة من إدخال تقنية الفضاء	حمدي قنديل	٥	٨٧	٣٤٢	١١٤
هل يمكن أن يلد الرجال ؟	د أحمد محمد الكباريتي	٥	٨٧	٣٤٢	١١٨
علاج قصر النظر بالعمليات الجراحية	د سعيد السماهيجي	٦	٨٧	٣٤٣	٤٠
هل دخل السرطان مرحلة الاحتضار ؟	د عماد شمسي باشا	٦	٨٧	٣٤٣	١٠٣

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
الكمأ . غذاء فريد !	د حسين العروسي	٧	٨٧	٣٤٤	٤٨
انجاز علمي جديد · الطيران حول العالم دون توقف	سعد شعبان	٧	٨٧	٣٤٤	١٢٠
جولة في العالم السفلي	د سمير رضوان	٨	٨٧	٣٤٥	٤٢
الضوء وسلوك الانسان	د أمل علي المخرومي	٨	٨٧	٣٤٥	١٠٨
حكايات طبية	د. غسان حتاحت	٨	٨٧	٣٤٥	١٢٢
السوبرنوفا كارثة فلكية !	رؤوف وصفي	٨	٨٧	٣٤٥	١٥٤
اللعاب في الصحة والمرض	د محمد الكبرا	٩	٨٧	٣٤٦	٣٥
الشتاء النووي	د سعود عياش	٩	٨٧	٣٤٦	٤٤
المجهود العربي في العلوم الاساسية	د أسامة الخالدي	٩	٨٧	٣٤٦	٥٧
الدلفين أفضل أصدقاء الانسان	سمير صلاح الدين شعبان	٩	٨٧	٣٤٦	١٠٣
طعام المستقبل	ابراهيم عبدالله العلو	١٠	٨٧	٣٤٧	٣٥
مرض النخالة البيضاء	د محمد عبدالله المشاري	١٠	٨٧	٣٤٧	٦٥
طفيليات يمكن أن تعيش على كبدك	د سامي محمود علي	١٠	٨٧	٣٤٧	٩٠
التنبؤ بالأحوال الجوية عبر الأقمار الصناعية	طاهر سكر القيسي	١٠	٨٧	٣٤٧	١١٠
تقدم العلم وتلوث البيئة	د سمير رضوان	١١	٨٧	٣٤٨	٢٦
الأسنان المصابة بين القلع والعلاج !	د ابراهيم أبو طاحون	١١	٨٧	٣٤٨	٦٤
جنون العنكبوت	عبدالرحمن حريتاني	١١	٨٧	٣٤٨	٩٠
الحاسوب ومستقبل الاقتصاد العالمي	سمير صلاح الدين شعبان	١١	٨٧	٣٤٨	١٠٤
الليزر حل يبحث عن مشكلة	د مهدي رحمة الله	١٢	٨٧	٣٤٩	٣٥
الموت المفاجىء	د أنيس فهمي	١٢	٨٧	٣٤٩	٦٢
حكايات طبية	د غسان حتاحت	١٢	٨٧	٣٤٩	١٣٢
افاق المستقبل الطاقة من الفضاء	رؤوف وصفي	١٢	٨٧	٣٤٩	١٥٠

الجديد في العلم والطب

اعداد : يوسف زعبلاوي

الموضوع	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
علاج الأمراض العصبية بات قريبا ـ كحل العيون سم في الدسم ـ المادة العلاجية في الديكة ـ النقاهة ضرورية ـ حبوب شبه مثالية لتحديد النسل	١	٨٧	٣٣٨	١٥٩
العلق ذو فوائد ـ ثورة في جراحة التجميل ـ جهاز الكتروني لمنع الحمل وتحديد النسل ـ لإطالة العمر ـ جهاز جديد للتأكد من الحمل مبكرا ـ المعالجة بالكالسيوم . . عقيمة	٢	٨٧	٣٣٩	١٥٩
مادة جديدة ، ذات فوائد صناعية ـ عجيبة ـ رائحة العرق الكريهة ضرورية ومفيدة ـ لقاح جديد للجذام ـ عودة المطاط الطبيعي .	٣	٨٧	٣٤٠	١٢٧
الاهتمام بتشريح جثث الموتى مجددا ـ تلسكوبات المرايا السائلة ـ هرمون طول العمر .	٤	٨٧	٣٤١	١٢٥

الموضوع	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
الأطباق الطائرة ثانية ـ مختبر علمي يشفي من السرطان ولكن بثمن	٥	٨٧	٣٤٢	١٢٧
جبال ووديان في باطن الكرة الأرضية	٦	٨٧	٣٤٣	١٢٨
لقاح جديد ضد مرض الايدز ـ الهيئات الطبية البريطانية تعلن الحرب على الادمان ـ كيفية التخلص من البدانة	٧	٨٧	٣٤٤	١٢٦
العلاج بأسلوب « الكيجونج » الصيني ـ جهاز لسبر المياه الجوفية	٨	٨٧	٣٤٥	١٢٧
سيارة الفستق السوداني ـ الطرق الحديدة في معالجة السرطان	٩	٨٧	٣٤٦	١٢٦
صندوق روبك السحري ـ أسلوب جديد في معالجة الجلطة ـ الجروح المستعصية والسبيل الى التآمها ـ أسباب القروح المعوية ـ لقاح حديد فعال لمرض قديم	١٠	٨٧	٣٤٧	١٢٦
آلام الحمل والوضع ، وعلاجها بإفرازاتها ـ للروبوط عيون ترى ـ انجاز هام لطبيب روسي ـ علاج ناجع للصلع	١١	٨٧	٣٤٨	١٢٧
رجل الحبل الاسطوري والعلم ـ عقار يبطل مفعول الخمور	١٢	٨٧	٣٤٩	١٢٨

سلامة البشرية في سلامة البيئة

الموضوع	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
التعرض للغبار الذري يسبب الاصابة بالسرطان ـ طبقة الاوزون في حطر ـ عودة الى الوحش الاسطوري نسي ـ المبيد الأصيل	١	٨٧	٣٣٨	١٦٢
خنفسة تفتك بأخرى فتنقذ الغابات ـ معالم باريس الحضارية في خطر	٢	٨٧	٣٣٩	١٦٢
احصائية دات دلالة ـ العالم مجنون مجنون .	٣	٨٧	٣٤٠	١٣٠
خامة جديدة لصنع الورق ـ السخام في القطب الشمالي ـ في مجاهل الأمزون	٤	٨٧	٣٤١	١٢٨
قصة فراشة كندية في المكسيك ـ الطقس وبنية الشمس	٥	٨٧	٣٤٢	١٣٠
تجربة رائدة في أعمال حماية البيئة	٦	٨٧	٣٤٣	١٣٠
نحل يقتل الانسان ويعبث بالبيئة ـ درع واق لصور الحياة ـ تلوث الهواء في أوروبا وأمريكا وبوادر القضاء عليه	٧	٨٧	٣٤٤	١٢٩
استغلال آبار النفط الناضبة ـ حدائق الحيوان المكشوفة أكثر ربحا من المزارع	٨	٨٧	٣٤٥	١٣٠
وعاد الاوركس الى موطنه ـ أمريكا بلد المتناقضات ـ انتقال التلوث بالهواء .	١٠	٨٧	٣٤٧	١٢٩
السوكيدو ـ بشارة سارة لعشاق الحمامات الشمسية ـ دواجن حسب الطلب	١١	٨٧	٣٤٨	١٣٠
أبقار صغيرة بحجم الدجاج ـ الولايات المتحدة تصدر الأمطار الحمضية الى كندا . !	١٢	٨٧	٣٤٩	١٣٠

طبيب الأسرة

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
من وحي الشتاء الدفء والدفايات	د حسن فريد أبوغزالة	١	٨٧	٣٣٨	٢١٠
عصير الفاكهة وقاية وعلاج	د عزالدين فراج	٢	٨٧	٣٣٩	٢٠٦

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
نزلات البرد		٣	٨٧	٣٤٠	١٧٥
الخطأ والصواب في الاسعاف الأولي المنزلي	د حسس فريد ابوعرالة	٤	٨٧	٣٤١	١٦٩
داء القطط أكثر الأمراض انتشارا	د حسس فريدأبوعرالة	٥	٨٧	٣٤٢	١٧٢
للحذاء مع القدم حكاية		٦	٨٧	٣٤٣	١٧٨
الايس كريم ومرض السكر		٦	٨٧	٣٤٣	١٨٠
حذري الماء	د حسس فريدأبوعزالة	٧	٨٧	٣٤٤	١٧٤
صيف بلا عناء	د حسس فريدأبوغرالة	٨	٨٧	٣٤٥	١٧٢
غليان الحليب	د حسس فريدأبوعرالة	٩	٨٧	٣٤٦	١٧٢
بعد الأربعين	د حسن فريدأبوعرالة	١٠	٨٧	٣٤٧	١٧٢
حمّى الأرانب	د حسس فريدأبوعرالة	١١	٨٧	٣٤٨	١٧٦
الطفل الباكي	د حسس فريدأبوعرالة	١٢	٨٧	٣٤٩	١٦٤

تاريخ وتراث

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
حصارات سادت ثم بادت حصارة كسوس في كريت	يوسف رعلاوي	١	٨٧	٣٣٨	١٨٨
هرابا من حصارات حوض الإندوس	يوسف زعلاوي	٢	٨٧	٣٣٩	١٨٤
صفحات لم يعن بها التاريخ لويس التاسع أسير المنصورة	د سعيد عبدالفتاح عاشور	٣	٨٧	٣٤٠	٥٤
حصارة الاتروسكان أسلاف الرومان	يوسف رعبلاوي	٣	٨٧	٣٤٠	١٥٧
أسرار احتكار الفصة وخسارة العرب !	د عسان حتاحت	٤	٨٧	٣٤١	١١٢
رمضان في ربوع القدس	د صبحي عوشة	٥	٨٧	٣٤٢	٩٦
سبتة ومليلة أرض عربية	د حالد محمد نعيم	٥	٨٧	٣٤٢	١٥٢
حطين،ما قبل حطين والفرص الضائعة	د شاكر مصطفى	٧	٨٧	٣٤٤	١٧
صفية الايطالية سلطانة في البلاط العثماني !	د حالد محمد نعيم	٧	٨٧	٣٤٤	٣٠
حطين وقائع وعبر	د سعيد عبدالفتاح عاشور	٧	٨٧	٣٤٤	٤٠
الاعتبار للأمير أسامة بن منقذ	حمال العيطاني	٧	٨٧	٣٤٤	١٠٤
هل كان الرحل المريض مريضا ؟	فتحي رصوان	٩	٨٧	٣٤٦	٤٠
الأسلحة النارية أكبر تحد واجه القوى العسكرية التقليدية في أواخر العصور الوسطى	د احسان صدقي العمد	٩	٨٧	٣٤٦	١١٦
بعد أن يموت السيد !	د محمدالمسي قنديل	١٠	٨٧	٣٤٧	٤٦
من الانحطاط الى النهضة	د أحمد عُلبي	١١	٨٧	٣٤٨	١٨
ندوة لانظير لها في الوطن العربي !	فتحي رصوان	١١	٨٧	٣٤٨	٢٣
التراث القومي تسجيل لمعالم حضارتنا القومية	د عبدالحميد يونس	١١	٨٧	٣٤٨	٥٨
مواقف انسانية ، المعلم « لوب »	د عبدالوهاب حومد	١١	٨٧	٣٤٨	١٢٣
زفاف ابنة الباشا	د محمدالمنسي قنديل	١٢	٨٧	٣٤٩	٤٥

تاريخ أشخاص

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
تولستوي والعرب	د حابر أبي حابر	٢	٨٧	٣٣٩	١٤٦
سنان حساني من الدين الى السياسة عبر الرواية	د محمد موفاكو	٤	٨٧	٣٤١	٤٢
انطونيو غاودي عبقري العمارة الاسبانية	طارق خالد الحجي	٦	٨٧	٣٤٣	٨٨
وقفة مع الكحالين العرب وشيخهم عمار الموصلي	د سرى سبع العيش	٧	٨٧	٣٤٤	٦٠
جالينوس أشهر أطباء التاريخ	د حسن فريد أبوغزالة	١١	٨٧	٣٤٨	٥٤
سلين . الأديب الفرنسي وربع قرن على رحيله	د زينب عبدالعزيز	١٢	٨٧	٣٤٩	١٠٤

وجها لوجه

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
د فؤاد زكريا	د امام عبدالفتاح امام	١	٨٧	٣٣٨	٦٤
عبدالحميد بن هدوقة	أبوالمعاطي أبوالنجا	٢	٨٧	٣٣٩	١٢٩
نيكولا خايتوف	وليد دسوقي	٣	٨٧	٣٤٠	٩٧
د بدرو مارتينيث	د حامد أبوأحمد	٤	٨٧	٣٤١	١٠١
عبد الوهاب البياتي	د خليل العطية	٥	٨٧	٣٤٢	١٠٣
رسول حمزاتوف	سليمان الشيخ	٦	٨٧	٣٤٣	٩٧
نعمان عاشور	زينب الكردي	٧	٨٧	٣٤٤	٩٧
د حسن الساعاتي	د محمد الجوهري	٨	٨٧	٣٤٥	٩٧
د فاطمة المرنيسي	علاء الدين محسن	٩	٨٧	٣٤٦	٩٧
حنا مينه	أبوالمعاطي أبوالنجا	١٠	٨٧	٣٤٧	٩٧
منح الصلح	جهاد فاضل	١١	٨٧	٣٤٨	٩٧
د أسامة امين الخولي	علي ابراهيم عتمان	١٢	٨٧	٣٤٩	٩٧

تربية وعلم نفس

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
المدرسة والمتع الثقافية !	د عبدالله عبدالدائم	٣	٨٧	٣٤٠	٣٤
كيف اكتشف العقل الباطن ؟	د عبدالرؤوف ثابت	٣	٨٧	٣٤٠	١١٠
الفصام جنون فرد أم جنون مجتمع ؟	د حلمي نجم	٥	٨٧	٣٤٢	٤٧
التعلم عن بعد الجامعة المفتوحة	توفيق أبوبكر	٦	٨٧	٣٤٣	١٠٨
حركات الاصلاح الحديثة وموقفها من التربية والثقافة	د المنجي الكعبي	٧	٨٧	٣٤٤	٣٦

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
الذكاء والذاكرة	د فخري اسماعيل حسن	٩	٨٧	٣٤٦	١٢٠
العلم ، وحواس الأطفال الرّضع	د.محمدنبهان سويلم	١٢	٨٧	٣٤٩	١٣٤

اجتماع

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
المستقبل السكاني في الوطن العربي	د عبدالاله أبوعياش	٣	٨٧	٣٤٠	٣٠
« ولكم في القصاص حياة »	د عبدالوهاب حومد	٥	٨٧	٣٤٢	٥٨
طابور الجياع يتقدم !	فوزي عبد القادرالفيشاوي	٦	٨٧	٣٤٣	٥١

فلسفة

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
حصان طروادة جديد؟	د فهمي جدعان	١	٨٧	٣٣٨	١٥٤
الفصل بين الطب والفلسفة	د عادل البكري	٤	٨٧	٣٤١	٦٤
التعريب ماذا يعني ؟	د محمد عمارة	٨	٨٧	٣٤٥	٣٠

منتدى العربي

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
قضية الاكتفاء الذاتي والإرادة القومية	د فهد الفانك	١	٨٧	٣٣٨	١٤٢
تعقيب على « مرض عربي اسمه الطاعة »	كمال محمود علي	١	٨٧	٣٣٨	١٤٦
تعقيب على التعقيب	د فؤاد زكريا	١	٨٧	٣٣٨	١٤٧
قضية هل أفران الغاز النارية حقيقة مرعبة أم أكذوبة صهيونية ؟	منذر الأسعد	٢	٨٧	٣٣٩	٨٦
تعقيب سقف التجديد بين التطور والتطوير	مصطفى سليمان	٢	٨٧	٣٣٩	٨٩
قضية معوقات وكوابح أمام فنون الاتصال العربية	صلاح دهني	٣	٨٧	٣٤٠	١١٦
تعقيب . هموم تربوية في ثلاث مقالات	د زهدي عبدالمجيد سمّور	٣	٨٧	٣٤٠	١٢٠
قضية · العام والخاص في الأدب الفلسطيني	أحمد المصلح	٤	٨٧	٣٤١	١١٥
تعقيب · ملاحظات تربوية	د أمل المخزومي	٤	٨٧	٣٤١	١١٨

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
قضية الشعر بين التجربة والالهام	د عبدالعزيز المقالح	٥	٨٧	٣٤٢	١٢١
تعقيب ملاحظات على مقال دورة الحياة والموت	د عامر شيخوني	٥	٨٧	٣٤٢	١٢٦
قضية نحن والتراث	فاروق خورشيد	٦	٨٧	٣٤٣	١١٦
تعقيب ملاحظات على مقال الاسلام والتراث الاسلامي	د عجيل النشمي	٦	٨٧	٣٤٣	١٢١
قضية الدخول في دائرة الحداثة	د عبدالرحمن ياغي	٧	٨٧	٣٤٤	١١٤
تعقيب ملاحظات على مقال حركة الزمن	محمدبن حسن الشريف	٧	٨٧	٣٤٤	١١٨
قضية أرقام الحساب عربية أم هندية ؟	د سعيد النجار	٨	٨٧	٣٤٥	١١٦
تعقيب الأهم من التحطئة استقرار المصطلح	د احسان جعفر	٨	٨٧	٣٤٥	١٢٠
قضية تعريب التعليم الجامعي	أبوالمعاطي أبوالنجا	٩	٨٧	٣٤٦	١٠٩
تعقيب بين طه حسين وأحمد أمين	د محمد الدسوقي	٩	٨٧	٣٤٦	١١٥
قضية الزمن والنظرية النسبية	خالد مفتاح	١٠	٨٧	٣٤٧	١٢٠
تعقيب رسل الله وسنن آبائهم	طارق محمد جبر	١٠	٨٧	٣٤٧	١٢٢
قضية تعريب التعليم الجامعي	أبوالمعاطي أبوالنجا	١١	٨٧	٣٤٨	١١٠
قضية دور الارقام العربية في الحضارةالانسانية	د عبداللطيف كانو	١٢	٨٧	٣٤٩	١٢١
تعقيب الجنس الثالث بين الأنوثة والذكورة	د يحيى زكريا جاد	١٢	٨٧	٣٤٩	١٢٦

للمناقشة بقلم : فهمي هويدي

الموضوع	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
الشريعة والناس	١	٨٧	٣٣٨	٨٢
العالم الاسلامي من قيادة التاريخ الى حقائق الجغرافيا!	٢	٨٧	٣٣٩	٧٨
نعم لتحقيق المصالح ، لا لإهدار الشريعة	٣	٨٧	٣٤٠	٦٢
ما حقيقة الربا ؟	٤	٨٧	٣٤١	٥٣
استدعاء الفقه إلى قلب العصر	٥	٨٧	٣٤٢	٦٣
التشدد يحسنه كل أحد !	٦	٨٧	٣٤٣	٤٦
لماذا حجب الأضواء عن التوبة والعفو ؟	٨	٨٧	٣٤٥	٦٢
اشكالية « الآخر » في التفكير الاسلامي !	٩	٨٧	٣٤٦	٥٢
لأنه أرادنا مختلفين !	١٠	٨٧	٣٤٧	٤١
اشكالية « الآخر » في التفكير الاسلامي : آيات السيف !	١١	٨٧	٣٤٨	٤٠
الاختلاف الذي لابد منه !	١٢	٨٧	٣٤٩	٤٠

أرقام بقلم : محمود المراغي

مريض الشمال . ومريض الجنوب	٢	٨٧	٣٣٩	٩٨
حين تجف الآبار !	٣	٨٧	٣٤٠	٣٨

الموضوع	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
انفجار الترمومتر !	٤	٨٧	٣٤١	١٤٦
في قاعات الجامعة	٥	٨٧	٣٤٢	٥٦
المائدة العربية والأطباق متعددة الحسية	٦	٨٧	٣٤٣	٦٠
تحت الصفر	٨	٨٧	٣٤٥	١٠٦
المجتمع العربي نموذج مصر	٩	٨٧	٣٤٦	٩٥
الانسان رقم ٥ مليارات	١٠	٨٧	٣٤٧	٥٤
حرب المعونات	١١	٨٧	٣٤٨	٦٢
ثقب في الهواء !	١٢	٨٧	٣٤٩	٥٢

كتاب الشهر

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
تأملات في الجريمة	د محمود الداودي	١	٨٧	٣٣٨	٢١٩
السياسة الدولية والشرق الأوسط	د أديب نصور	٢	٨٧	٣٣٩	٢١٩
تجارة الجينات	بهاء الدين محمود	٣	٨٧	٣٤٠	١٨٧
تأملات في مستقبل تطور التربية	ياسر الفهد	٤	٨٧	٣٤١	١٨٧
الفكر القومي والعالم الاستعماري	جمال وردة	٥	٨٧	٣٤٢	١٨٥
من حقك أن تكون ذكيا !	د عادل عبدالكريم ياسين	٦	٨٧	٣٤٣	١٨٧
الصليبيون في الشرق	محسن حصر	٧	٨٧	٣٤٤	١٨٣
تمويل الارهاب	رافع عبدالرحمن	٨	٨٧	٣٤٥	١٨٥
المسرحية المفقودة لشكسبير	د صفاء خلوصي	٩	٨٧	٣٤٦	١٨٥
أمريكا والسيطرة النفطية العالمية	جمال وردة	١٠	٨٧	٣٤٧	١٨٤
النبوءة والسياسة	طارق الحجي	١١	٨٧	٣٤٨	١٨٥
الشعر الانجليزي المعاصر	خالد عباس	١٢	٨٧	٣٤٩	١٧١

من المكتبة العربية

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
الشرقاوي.. ورؤية جديدة في كتاب عن خامس الخلفاء	فاروق خورشيد	١	٨٧	٣٣٨	٢٢٤
رحلة جبلية رحلة صعبة، سيرة فدوى طوقان الذاتية	جمال وردة	٢	٨٧	٣٣٩	٢٢٤
من آثارنا في بيت المقدس	حمودة زلوم	٣	٨٧	٣٤٠	١٩٢
عروبة الجزائر عبر التاريخ	رشيد خشانة	٤	٨٧	٣٤١	١٩٢

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
الحكايات الشعبية الكويتية	د عبدالحميد يوس	٥	٨٧	٣٤٢	١٩٠
الارهاب السياسي بحث في أصول الظاهرة وأبعادها الانسانية	محمد وليد حداع	٦	٨٧	٣٤٣	١٩٢
أم أيشين والشهادة على رمن مضى	د محمدحسن عبدالله	٧	٨٧	٣٤٤	١٩٠
تكوين العقل العربي	حمال وردة	٨	٨٧	٣٤٥	١٩٠
كتاب الحيل	د سلمان قطاية	٩	٨٧	٣٤٦	١٨٩
شاحت البلاغة فحاء علم الاسلوب !	عبدالسميع المصري	١٠	٨٧	٣٤٧	١٩٠
أحسن التقاسيم « للمقدسي »	د يقولا زيادة	١١	٨٧	٣٤٨	١٩٠
محث في قصية الرمرية الصوفية	مصطفى محمدرحب	١٢	٨٧	٣٤٩	١٧٦

البيت العربي (الأسرة والمجتمع)

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
ترويص الارادة بين اتهامات التسلط أوالتنازل	ريم الكيلاني	١	٨٧	٣٣٨	١٩٤
المضادات الحيوية سلاح دو حدين	وفاء طه ناحي	١	٨٧	٣٣٨	٢٠٠
من الحياة أين ولدي ؟	مير نصيف	١	٨٧	٣٣٨	٢٠٦
المرأة الكويتية في الرمان والمكان	ريم الكيلاني وفاء طه ناحي	٢	٨٧	٣٣٩	١٩٠
الابن الضال لعبةصارةتساهم فيها الأسرة بأكملها	راحي عايت	٢	٨٧	٣٣٩	٢٠٠
المرأة البحرينية وحلم المشاركة في صنع الغد	ريم الكيلاني	٣	٨٧	٣٤٠	١٦٢
أمراض نسائية غامضة	د علي مبارك	٣	٨٧	٣٤٠	١٧٠
اكتشاف مزايا الطرف الآحر سبيل الى السعادة الزوحية	راجي عنايت	٤	٨٧	٣٤١	١٦٢
الغذاء الصحي بعد بلوغ الحمسين	د ابراهيم فهيم	٤	٨٧	٣٤١	١٦٦
ذات الرداء الأبيص	وفاء طه ناحي	٥	٨٧	٣٤٢	١٦٢
رسوم الأطفال دلالات عنهم وفرص لتوجيه سلوكهم	رينب الكردي	٦	٨٧	٣٤٣	١٦٨
هل هناك حطورة في استعمال حبوب منع الحمل؟	د نجم عبد الله عبد الواحد	٦	٨٧	٣٤٣	١٧٢
طفلك والمولود الحديد	ريم الكيلاني	٧	٨٧	٣٤٤	١٦٢
المرأة ولعبة القوة !	د علياء شكري	٧	٨٧	٣٤٤	١٦٦
أحواض أسماك الزينةجمال للبيت وأداةتثقيف ومتعة	رجب سعد السيد	٨	٨٧	٣٤٥	١٦٢
الوصفات الشعبية داء ودواء	ريم الكيلاني	٨	٨٧	٣٤٥	١٦٦
حدة الطبع وعنف المزاج عند الطفل	د محمدصادق زلزلة	٩	٨٧	٣٤٦	١٦٢
أمهات للايجار	د غسان حتاحت	٩	٨٧	٣٤٦	١٦٦

1218 49
Date 11·12·89

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
العُرس العُماني بين بيضة الحسد ونقوش الحناء	ثريا البقصمي	١٠	٨٧	٣٤٧	١٦٠
أسئلة الأطفال نافذة مغلقة أم مفتوحة على مستقبلهم ؟	كمال راحر لطيف	١٠	٨٧	٣٤٧	١٦٥
ليلة عُرس سودانية	مبارك الصادق	١١	٨٧	٣٤٨	١٦٢
شعرك المفقود هل يعود مرة أخرى ؟	د سامي عرير	١١	٨٧	٣٤٨	١٦٨
الخلافات الزوجية الحياة بعد العاصفة !	ريم الكيلاني	١٢	٨٧	٣٤٩	١٥٦

الفنون واللوحات الفنية

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
جمالية الخط الكوفي	عبد اللطيف هاشم	١	٨٧	٢٣٨	١٨٠
« طبلخانة » العرب	فرج العنتري	٢	٨٧	٣٣٩	٢١٠
الفيلم العربي يبحث عن المتفرج العربي	رؤوف توفيق	٤	٨٧	٣٤١	١٢٠
حسناء باريس بين الفن والسياسة	جمال قطب	٤	٨٧	٣٤١	١٤٠
هذا الثالوث الماسي الذي انكسر !	د شاكر مصطفى	٦	٨٧	٣٤٣	٣٠
نظرة عامة على الفيلم الروائي المغربي	علاء الدين محسن	٧	٨٧	٣٤٤	١٥٢
من يذهب الى السينما ؟	رؤوف توفيق	٨	٨٧	٣٤٥	٩٠
أميل زولا وأدغارديغا خصومة الاديب والرسام	خالد القشطيني	٨	٨٧	٣٤٥	١٠٢
السينما وعلاقتها بالفنون الأدبية	محمد صوف	٩	٨٧	٣٤٦	٦٤
سباق القيمة الفكرية والجمالية في أعمال النحات الكويتي سامي محمد	حميد حرعل	٩	٨٧	٣٤٦	٨٨
الموسيقا العربية المعاصرة متى يتم جمعها ؟	سليم سحاب	١٠	٨٧	٣٤٧	١٠٥
« جويا » العابث الثائر بين رسم الحسان وفظائع الحرب	جمال قطب	١١	٨٧	٣٤٨	١٥٢
المضامين العلمية والفنية في المخطوطات العربية	محمود شكر الجبوري	١٢	٨٧	٣٤٩	٨٨

نذكر فيما يلي الأبواب التي أغفلها هذا الفهرس العام لتعذر فهرستها ونذكر الى جانبها أسماء محرريها

■ أقوال	ـ سليمان الشيخ
■ من مكتبة العربي (مختارات)	ـ صلاح حزين
■ هو . هي + مساحة ود	ـ محمود عبدالوهاب
■ طرائف	ـ صادق يلي
■ الشطرنج + الكلمات المتقاطعة	ـ د محمد حسن التيتي
■ حوار القراء	ـ ابوالمعاطي أبو النجا

الفهرس العام

اعداد : صلاح صادق

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
د. بدر جاسم اليعقوب

- مجلة علمية فصلية محكمة تصدر ٤ مرات في السنة
- تعنى بشئون منطقة الخليج والجزيرة العربية السياسية الاقتصادية، الاجتماعية الثقافية والعلمية
- صدر العدد الاول في يناير ١٩٧٥
- تقوم المجلة باصدار ما يأتي
  ا) مجموعة من المنشورات المتخصصة عن منطقة الخليج والجزيرة العربية
  ب) مجموعة من الاصدارات الخاصة والمتعلقة بمنطقة الخليج والجزيرة العربية
  جـ) سلسلة كتب ووثائق الخليج والجزيرة العربية
- عقد الندوات التي تهم المنطقة او المساهمة فيها واصدارها في كتب
- يغطي توزيعها ما يزيد على ٣٠ دولة في جميع انحاء العالم
- الاشتراك السنوي بالمجلة

ا) داخل الكويت ٣ د.ك للافراد ـ ١٢ د.ك للمؤسسات
ب) الدول العربية ٤ د.ك للافراد ١٢ د.ك للمؤسسات
جـ) الدول الاجنبية ١٥ دولارا للافراد ٤ دولارا للمؤسسات

المقر جامعة الكويت - الشويخ
هاتف ٤٨١٦٨٧
٤٨١٦٧٩٩
٤٨١٦٨٩٤
٨١٤٢٩٥

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير على العنوان الآتي
ص ب ١٧٠٧٣ - الخالدية - الكويت - الرمز البريدي 72451

الثقافة العالمية

مجلة تترجم الجديد في الثقافة والعلوم المعاصرة

- تعتمد فيما تنشر على الترجمة من مختلف الدوريات العالمية.
- هدفها إقامة الصلة بين الفكر العربي وبين الأجواء المتطورة للثقافة العالمية المعاصرة.
- ميزانها الأساسي في إختيار المترجمات هو الجديد والهام.

- تصدر دورية كل شهرين عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت

رئيس التحرير
محمد بن ناري العدواني

نائب رئيس التحرير
د. سليمان ابراهيم العسكري

المجلة العربية للعلوم الانسانية

فصلية محكمة
تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير

د. عبد الله أحمد المهنا

[illegible] قسم اللغة الإنجليزية
[illegible] هاتف ٨١٦٦٨٩ - ٨١٤٤٥٣

المراسلات توجه إلى رئيس التحرير

ص ب ٢٦٥٨٥ الصفاة
رمز بريدي 13126 الكويت

- تلبي رغبة الأكاديميين والمثقفين من خلال نشرها للبحوث الأصيلة في شتى فروع العلوم الإنسانية باللغتين العربية والإنجليزية، إضافة الى الأبواب الأخرى، المناقشات، مراجعات الكتب، التقارير
- تحرص على حضور دائم في شتى المراكز الأكاديمية والجامعات في العالم العربي والخارج، من خلال المشاركة الفعّالة للأساتذة المختصين في تلك المراكز والجامعات .
- صدر العدد الأول في يناير ١٩٨١ .
- تصل الى أيدي ما يزيد على عشرة آلاف قارىء .

ترفق قيمة الاشتراك مع قسيمة الاشتراك الموجودة داخل العدد

مجلة العلوم الاجتماعية

تصدرها
جامعة
الكويت

مجلة فصلية اكاديمية تعنى بنشر الابحاث والدراسات في مختلف حقول العلوم الاجتماعية

رئيس التحرير **د. فهد ثاقب الثاقب**

منبر حوار للأكاديميين العرب
توزع أكثر من (١٠٠٠٠) نسخة
التوزيع في الكويت والخارج مجلة العلوم الاجتماعية

توجه جميع المراسلات الى . رئيس التحرير
مجلة العلوم الاجتماعية - جامعة الكويت ص ب ٥٤٨٦ صفاة 13055
صفاة الكويت - هاتف : ٢٥٤٩٤٢١ - تلكس : ٢٢٦١٦ - KUNIVER الكويت
٢٥٤٩٣٨٧

من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر

وزارة الإعلام - الكويت

العدد ٢١٩ أول ديسمبر ١٩٨٧

لون بشرتنا

تأليف : [illegible] ستيثا
ترجمة : محمود [illegible] عبدالسميع
مراجعة وتقديم : د. الطاهر مكي

لـيـلة الحـب

للفنانة الكويتية ثريا البقـ